

تفسير ابن كمال

يا كبيكج يا كبيكج يا كبيكج

ملكه العبد الفقير الى الله سبحانه
درويش محمد بن عبد الجبار
غفر الله لهما وأحسن
اليهما بجاه محمد صلى الله عليه وسلم
وآله وأصحابه

من فيض ربي الله الغني الفقير
الى الملك القدير حسن غفر له
وعفى عنه

تفسير المولى المدعو ابن كمال
[illegible]
١٣٧٠٠

سورة فاتحة الكتاب • السورة عبارة عن طايفة من القران مترجمة اقلها ثلاث ايات وهي
ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة او من السورة التي هي الرتبة • ومتى ان جعلتها
مبدلة من الهمزة من السورة التي هي البقية او القطعة من الشي • وفايدة تقطيع القران
سورا ان تنويع الجنس احسن من كونه بيانا واحدا • وانشط للقاري • واسهل للحفظ واما افراد
الانواع • وتلاحق الاشكال فلا يصلح وجها لما ذكر لانه غير مراعي في ترتيب الايات وتقطيعها سورا
كما لا يخفى على من تتبع وتامل • وفاتحة الشي اوله • وخاتمته اخره • اذ بها الفتح والختم والتا للنقل
من الوصفية الى الاسمية • وقيل هي في الاصل مصدر بمعنى الفتح • ثم اطلقت على اول الشي تسمية
للمفعول بالمصدر • والفاعلة من المصادر غير عزيز • واضافتها الى الكتاب • وهو مجموع كلام الله
تعالى المفتتح بالتحميد • المختتم بالاستعاذة • بمعنى اللام • لان اول الشي جزؤه • واضافة
الجزء الى الكل بمعنى • ثم ان وجه تسمية هذه السورة بفاتحة الكتاب • وسورة الحمد والشكر
والدعا وتعليم المسيلة ظاهر اما تسميتها بام القران فلاشتمالها على كليات المعاني التي في القران
من الثناء على الله • ومن التعبد بالامر والنهي • والوعد والوعيد • واما التسمية بالاساس فلانها
مفتتحه ومبدؤه فكانها اصله • ومنشاؤه • واما تسميتها بسورة الكنز فلما قال النبي صلى الله عليه
وسلم • انها نزلت من كنز تحت السما وتسميتها بسورة الشفا والشافية • فلقوله عليه السلام انها نزلت
من كنز تحت العرش وهي ام القران وهي شفا من كل داء • واما تسميتها بسورة الصلاة • فلوجوب
قراءتها فيها • وقد تسمى بالصلاة كما وقع في الحديث القدسي قسمت الصلاة بيني وبين عبدي
وذلك من باب تسمية الشي باسم ما يلازمه • واما تسميتها بالوافية والكافية لانها تكفي الصلاة
من غيرها • ولا يكفي غيرها عنها • والمراد من الصلاة الركعتين الاخيرتين من الرباعية لان ضم السورة
عليها واجب في الاوليين • واما تسميتها بالسبع المثاني فلانها سبع ايات تثنى في الصلاة • وقيل
لانها تثنيت في النزول فانها نزلت بمكة حين فرضت الصلاة وبالمدينة حين حولت القبلة • وفيه
ان الوصف المذكور قد ثبت لها بمكة بدلالة قوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني بمعنى فاتحة
الكتاب على ما نص عليه النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال في رواية عن ابي هريرة عنه عليه السلام

فاتحة

فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته • والاية مكية بالنص • وبذلك
استدلوا على مكية هذه السورة • وقد ورد دليل مكيتها اتفاقا ووجه الدلالة ظاهر والمكي ما نزل
بعدها • سوا انزل بالمدينة او في سفر من الاسفار وهي سبع ايات بالاتفاق الا ان قرا المدينة
والبصرة والشام وفقهاؤهم عدوا انعمت عليهم اية ولم يروا التسمية اية منها • وعليه مالك
وابو حنيفة واصحابه ولذا لا يذكرها مالك في الصلاة ويسرها ابو حنيفة ويقولون انها اية من
من القران انزلت للفصل بين السور والابتدا بها تبركا في القراءة • وقراء مكة والكوفة
وفقهاؤهما على انها اية من الفاتحة من كل سورة • وعليه الشافعي واصحابه • ولهذا يجهرون بها في
الصلاة ولا دلالة في الاجماع على ان ما بين دفتي المصحف كلام الله • والوفاق على اثباتها في المصاحف
مع المبالغة في تجريد القران حتى لم يكتب امين على صحة القول الثاني اذ لا يلزم من كونها كلام الله تعالى
ان تكون اية من الفاتحة • نعم فيما روى ابو هريرة رضي الله عنه انه قال عليه السلام فاتحة
الكتاب سبع ايات اوليهن بسم الله الرحمن الرحيم دلالة على بسم الله الرحمن الرحيم • قد جاء في الخبر عن خير البشر
صلى الله عليه وسلم انه يكتب باسمك اللهم فلما نزلت هود عليه السلام بسم الله مجريها ومرسيها كتب
بسم الله فلما نزلت سورة بني اسرايل قل الله وادعوا الرحمن كتب بسم الله الرحمن الرحيم • فلما نزلت سورة النمل
انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم كتب بسم الله الرحمن الرحيم • وفي الخبر دلالة على انه ليس من اول سورة
سورة ولكنها بعض اية من كتاب الله تعالى سورة سورة النمل • وقالوا اللطف في عدم كونها اية تامة
ان لا يكون الجنب والحايض والنفسا ممنوعين عنه عند كل امر ذي بال كالتشهد لئن لم يجتمعا في موضع
واحد لئلا يتم اية وربما يختصر الجنب ونحوه ولا يمكنه التكلم بها عند ختم عمره • بسم نصب بفعل
مضمر تقديره بسم الله اقرأ تقديم المفعول للاهتمام والاختصاص واصله باسم بالالف حذفت لكثرة
الاستعمال ولذلك ثبتت عند استعمالها بحرف اخر نحو قولك لاسم الله حلاوة في القلوب او مضافا
الى اسم اخر نحو باسم ربك وطولت البا لاجله وهي للخفض كسرت لتشابه حركتها عليها وعن عمر بن عبد
العزيز انه قال لكاتبه طول البا واظهر السينات ودور الميم كان القياس السنات لانه جمع السن الا
انه عدل عنه حذرا عن الالتباس ببعض المصادر كما قال الجوهري في الدينار اصله دنار بالتشديد
فابدل من احد طرفي تضعيفه يا لئلا يلتبس المصادر التي تجي على فعال لقوله تعالى وكذبوا باياتنا كذابا
افتتح كتابه العزيز بحرف البا واثرها على ساير الحروف لا سيما على الالف حيث اسقطه واثبت
البا مكانه اشارة الى انه • وان كان متبوعا للبا صورة لكنه من توابعها معنى وذلك انك اذا
نظرت الى صورة وضع الحروف وجدت الالف مقدما على البا متبوعا له واذا تلفظت بالبا وجدت
الالف تابعا لها والاسم من السمو لانه رفعة للمسمى وشعار له جعله لدفع توهم اختصاص الاستعانة
بلفظ الله تعالى فقط فان القايل اذا قال بالله ابتدي فمعناه بهذا الاسم واذا قال باسم الله ابتدي فانه
المقصود المسمى الله اسم علم خاص له تعالى عند الخليل ومن تبعه وعلاقة الاشتقاق بينه وبين

غيره انما بنا في غلبته اذ اثبت اصالته ذلك الغير وذلك لم يثبت بعد وقيل وصف لكنه
غلب عليه تعالى بحيث لا يستعمل في غيره فصار كالعلم لا علم لان ذاته تعالى من حيث هو
بلا اعتبار امر اخر حقيقي او غيره غير معقول للبشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ويرد عليه
ان المعتبر في اسم الذات تجريد الموضوعة له عن معنى زايد على الذات لا تجريد الذات عنه عند
الوضع فملاحظته بوصف مخصوص لا ينافي كونه اسم ذات اذا لم يكن ذلك الوصف معتبرا في
الموضوع له على ان في وضع الاعلام لا ينافي حاجة الى معرفة الموضوع له وملاحظته على وجه
ينحصر ذلك الوجه في الخارج فيه الا ترى ان الاب يضع علما الولد قبل ان يراه ولو سلم انه
يستحيل ان يضع له تعالى علما ولكن لم لا يجوز ان يسمي الحق نفسه باسم يدل على ذاته بالمطابقة
ثم يعرفنا بذلك لا يقال لو دل على مجرد ذاته تعالى لما افاد ظاهر قوله تعالى وهو الله في السموات
وفي الارض معنى صحيحا لان اللازم عدم دلالته وضعا على معنى زايد لا عدم دلالته
عليه اصلا كحاتم فانه علم ومعنى ذلك يدل على معنى السخاوة لاشتهاره بها اصله اله فلما
دخل عليه الالف واللام حذفت الهمزة تخفيفا وعوضت عنها حرف التعريف فان قلت
اذا كان دخولهما قبل حذفها فكيف يكونان عوضا عنها قلت دخولهما قبل حذفهما لا بطريق
اللزوم وبعد الحذف يكونان لازمان فيهما باعتبار اللزوم يكونان عوضا عنها ولذلك قطعت
الهمزة في يا الله وهو اسم جنس وضع لكل معبود بحق او باطل ثم غلب على المعبود بحق لبعوضه
وسنة وقد دل على ذلك اي على غلبته منكرا كلمة التوحيد ثم اختص بذاته تعالى بعد
حذف الهمزة وتعويض التعريف عنها او يدل على هذا التعريف كلمة التوحيد من اله كعبد
وزنا ومعنى وتصرفا او من وله كعلة وولة وزنا ومعنى اي تحيروا دهر او من وله بمعنى طربا
ومن لاه بمعنى طر بلمع او بمعنى احتجب او بمعنى استتار لجموع الاقاويل هو المعبود للخواص والعوام
المفروع اليه عند الامور العظام المرتفع عن الاوهام المحتجب عن الافهام الظاهر بالاعلام
الذي تحير في صفاته الاحلام وسكنت في عبادتها الاجسام وولعت به نفوس الانام وطرب
اليه قلوب الكرام الرحمن الرحيم اصلهما واحد لانهما من الرحمة والاول ابلغ من الثاني لان
فعيلا لمن كثر منه الفعل وفعلان لمن كثر منه وتكرر وحق الابلغ التاخير الا انه
تقدم لانه لاختصاصه كالعلم ووصفه تعالى بالرحمة ومعناها العطف ومنه الرحيم
من قبيل اطلاق السبب على المسبب وهو الانعام والاحسان فان الملك اذا عطف على
رعيته انعم عليهم واحسن في حقهم ومما في معنى الرحمن من الزيادة كما وكيفا حيث يقال
تارة يا رحمن الدنيا ورحيم الاخرة واخرى يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا مرجعه
الى الصيغة فان زيادة البنا لزيادة المعنى وهذا الرجوع الى اصل واحد في الاشتقاق بشرط
الاتحاد في النوع فلا نقض بنحو حاذر وحذر لان احدهما اسم فاعل والاخر صفة مشبهة فالرحمن

عام المعنى خاص اللفظ حيث لم يستعمل في غير الله تعالى الا لغة في كفر مثل كرحمن اليمامة والرحيم
على عكس ذلك الحمد هو المدح والوصف بالجميل ولا اختصاص له بالله تعالى يفصح عن ذلك
قول عايشة رضي الله عنها نحمد الله لا نحمدك وقول علي رضي الله عنه لا تحمدن امرا حتى تجربه
بل لا اختصاص له بذي علم وشعور يرشدك اليه قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا وقول العرب في المثل السائر عند الصباح يحمد القوم السرى ومن ههنا تبين ان المحمود
لا يلزم ان يكون فاعلا لما حمد به فضلا ان يكون مختارا فيه كما توهم وانكشف وهم قيام الفرق
بين الحمد والمدح بصحة تعلق الثاني بالجماد دون الاول فقد وهم وانفتح ان لا مدخل لمسئلة
خلق العباد افعالهم في هذا المقام لان الكلام في الحمد اللغوي والرجح بينه من وثوق بعبيرتهم
وقد ثبت بالنقل الصريح والاستعمال الصحيح من قبلهم عدم اختصاص الحمد به واما حمل التعريف
على الجنس دون الاستغراق فنشاؤه امر اخر وهو ان مقتضي مقام الخطاب تخصيص حقيقة
الحمد له تعالى تنزيلا لافراد الحمد الثابتة لغيره منزلة العدم والقصد الى هذا المعنى ظاهر
عند كون التعريف للجنس دون الاستغراق لانه قد يكون عرفيا كما في جمع الصاغة ويساعده
المقام الخطابي فلا يوجبه استيعاب جميع الافراد فلا يتحقق مقتضى المقام والشكر مقابلة النعمة
بالقول او العمل ولكونه بالفعل كما يكون بالقول قيل دابة شكور اذا ظهر سمنه باذنى علفة له وقال
تعالى اعملوا ال داود شكرا فهو اخص من الحمد متعلقا واعم منه موردا وهذا اللسان من الاركان
ومقابل الحمد الذم الذي يقابل المدح على ما نص عليه الجوهري ومن هنا تبين وظهر ميزاد فان
لغة واما الجنان فليس بمورد له بل هو شرط لكون القول شكرا لا دلالة في قول الشاعر

اقادتكم النعماء مني ثلاثة ... يدي ولساني والضمير المحجبا

على استقلال كل منهما موردا ولما كان الحمد في مقابلة النعمة من شعب الشكر اشيع لها وادل
على مكانها لما في اداب الجوارح من الاحتمال جعل راس الشكر والعمدة فيه وقال عليه السلام الحمد
راس الشكر ما شكر الله من لم يحمده ورفع الحمد بالابتدا وخبره لله واصله النصب على المصدر
باضمار فعله لكونه من المصادر التي حقها ان تكون كذلك ولا يذكر معها الفعل البتة شكرا
وعجبا وقد قرئ على الاصل والعدول والرفع على الاول للثبات في الفعل من التجدد لدلالته
على الازمنة وكذلك كانت تحية ابراهيم عليه السلام احسن في قوله تعالى قالوا سلاما قال
سلام ولان معناه على الرفع لان الحمد حق به يستحقه لذاته وعلى النصب لا دلالة على ذلك
ولان الغافل عن معناه وكذا الساهي عن ملاحظته اذا تكلم به على النصب يكون كاذبا بالاخبار عن
نفسه بكونه كاذبا مع انه ليس كذلك بخلاف ما اذا تكلم به على الرفع وانما خص الاسم المذكور ههنا
لتكون المحامد كلها مقرونة بمعانيها المستدعية لها فانه اسم يبنى على جميع صفات الكمال وعامة
نعوت الجلال حمدا ولم يحمد به تعالى على استحقاقه له باعتبار افعاله العظام واثاره الجسام

ايضا من ربوبيته للكل وشمول رحمته الظاهرة للجميع وخصوص رحمته الباطنة لعباده المؤمنين
وذلك ان ترتب الحكم على الوصف كما يشعر بالعلية كذلك تعقب الحكم بالوصف يشعر به
كانه قال حقيقة الحمد مخصوصة لذاته اوواجبة الكاملة لذاتها والحماية التي لا يشترك
فيها غيره ربّ العالمين الربّ يطلق على المربي والمصلح والسيد والمالك والخالق والمعبود
وكل ذلك يحتمله المقام فيصح ان يراد معنا كل منهما وكفى ذلك وجها للاشارة على الملك ونحوه
ثم ان ربوبيته تعالى بمعنى الخالقية والمالكية والسيدية والمعبودية عامة وبمعنى التربية
والاصلاح خاصة بحسب انواع الموجودات متفاوته فهو مربي الاشباح بانواع نعمه
ومربي الاشباح باصناف كرمه ومربي نفوس العابدين باحكام الشريعة ومربي قلوب العارفين
باداب الطريقة ومربي اسرار الابرار بانوار الحقيقة ولقد احسن من قال انه تعالى
يملك عبادا غيرك كما قال وما يعلم جنود ربك الا هو وانه ليس لك رب سواه ثم انك
تتساهل في خدمته كان لك ربا غيره وهو يعتني في تربيتك كانه ليس له عبد سواك يحفظك
بالنهار عن الافات بلا غرض ويحرسك بالليل عن المخافات من غير عوض فما احسن التربية
واطلاق الرب على غيره تعالى لا يجوز شرعا لا مطلقا ولا مقيدا لما رواه الشيخان عن ابي هريرة عن ابي
لا يقل احدكم اطعم ربك وضئ واسق ربك ولا يقل احدكم ربي وليقل سيدي واما قول يوسف
عليه السلام ارجع الى ربك وانه ربي فمحمول على الحكاية من الله تعالى كانه عليه السلام كان
يتكلم بالعزيز فلا حاجة الى ما قيل انه ملحق بقوله تعالى وخروا له سجدا الا الاختصاص بزمانهم
بل لا وجه له كما لا يخفى ويجوز لغة ولو مطلقا كما وقع في شعر الحارث بن حلزة من شعراء الجاهلية
يمدح ملكا وهو الرب والشهيد على يوم الجبارين والبلاء بلاء والعالمين جمع عالم وهو في لسان
العرب اسم لنوع من المخلوقين فيه علامة بينا نهما من خلافه من الانواع كالملك والانس
والجن فتقول العرب عالم البر وعالم البحر وعالم الارض وعالم السماء على ما نقله ائمة اللسان
وهو جمع لا واحد له من لفظه كالانام والرهط والجيش وهذا ماخوذ من العلم والعلامة لجعل اسما
لما يعلم به الصانع فان فاعلا مما يجئ في اسم الالة التي يفعل بها الشئ كالخاتم والقالب
والطابع فجعل بناؤه على هذه الصفة فلكونه كالالة في الدلالة على صانع واما جمعه
فلانه لو افرد لها تبنادر الى الفهم انه اشارة الى هذا العالم بشهادة العرف والى الجنس
والحقيقة على ما هو الظاهر عند عدم العهد فجمعه ليشمل كل جنس يسمى بالعالم لعدم العهد
وفي الجمع دلالة على ان القصد الى الافراد دون نفس الحقيقة والجنس واما جمع جمع القلة
والظاهر يستدعي عدم الاتيان بجمع الكثرة قال وهب خلق الله تعالى ثمانية عشر الف عالم
والدنيا عالم منها تنبيها على انها وان كثروا قليلون في جنب عظمته وكبريائه واما جمعه بالياء
والنون فلتغليبا لعقلاء منهم الرحمن الرحيم ذكرهما عقيب الحمد لذاته ثناء على صفاته كما

قال

قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما روي يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني
عبدي ويقول العبد الرحمن الرحيم يقول الله اثنى على عبدي نذكرهما في البسملة لاستمالة
قلوب العباد على العبودية بالرحمة والغفران وفي الفاتحة للثناء على الله بالجمال والجلال للقربة
والرضوان مالك يوم الدين تمام القدرة وقرئ ملك من الملك وهو التسلط العام والامر
العام وهذا اشد مناسبة فيه والاضافة الى يوم الدين فان مدار الجزاء على الاعمال في الثواب
والعقاب واخذ حق الضعيف من القوي على الاستيلاء والسلطنة الى الوقت شايع دون
اضافة الملك وقيل في ترجيح قراءة مالك ان فيه زيادة وبه زيادة ثواب لقوله
عليه السلام من قرأ القرآن كتب له بكل حرف عشر حسنات ويمحى عنه عشر سيئات
ورفعت عشر درجات واضافته الى اليوم اضافة اسم الى الظرف المجري مجرى المفعول
اتساعا وانما ساغ وقوعه صفة للمعرفة لان اضافة اسم الفاعل انما يكون غير حقيقية اذا
اريد به الحال والاستقبال لكونه في تقدير الانفصال والمراد هنا الزمان المستمر او
الماضي لقراءة ملك على المضي واليوم مدة كون الشمس فوق الارض عرفا وعبارة عن وقت
استطارة الفجر الى غروب الشمس شرعا وهو الوقت المطلق ليلا كان او نهارا طويلا كان
او قصيرا وهو المراد في الاية لعدم طلوع الشمس والغروب حينئذ والدين الجزاء خيرا
كان المجزي به او شرا يقال كما تدين تدان وانما خص اضافة ملك اليه لان الاملاك يومئذ
زائلة قال الله تعالى والامر يومئذ لله فكانه يقول خلقتك اولا فانا اله
ثم ربيتك بوجوه النعم فانا رب فعصيت فسترت عليك فانا رحمن ثم تبت فغفرت لك
فانا رحيم لا بد من ايصال الجزاء اليك فانا مالك يوم الدين اياك نعبد لانك مالك
واياك نستعين لان ما سواك هالك ايا ضمير منفصل منصوب وكاف للخطاب
مثل كاف ذلك وهو اي ويا وهما حرفا التنبيه والنداء فادغم الياء في الياء وكسرت الالف
لجوار الياء والعبودية التذلل والعبادة ابلغ منها لانها غاية التذلل ولهذا اختصت
بالرب عدل عن الغيبة للحضور وهو صنعة الالتفات وقد اقتضى المقام ذلك لان
من اول السورة الى هنا ثناء والثناء في الغيبة اولى والمعنى نخصك يا من لا تسوغ العبادة
الا له لاتصافه بما ذكر من افاضة النعم الدنيوية والاخروية ولا يجوز الاستعانة الا به
لكمال قدرته واحاطة ملكوته بكل شئ بغاية التذلل في طلب المعونة لا نعبد غيرك ولا نستعين
سواك قدم الضمير المنفصل للتخصيص والتوحيد وقطعا لاحتمال تعلق العبادة بغيره من اول
الامر لانه كفر لا بد من الاحتياط عن ذهاب الوهم اليه ولم يسلك في الحمد ذلك المسلك
اذ لا باس في تعلق الحمد بغيره تعالى واثر الضمير المتكلم الشامل للقاري ولساير الموحدين للتعميم
والتشريك درجا لعبادته في تضاعف عبادتهم وخلطا لحاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتهما

وتاب اليهما ولهذا شرعت الجماعة وكان في ذلك ابقاء لكل مكان حقه فكانه يقول انك منفرد
في المعبودية ونحن شركاء في العبودية وذلك ان في اعبد معنى التوحيد المشعر عن التكبر وفي
نعبد معنى التواضع المناسب لمقام العبادة على الاستعانة تعليما للعباد وجريا على
ما انطبع في القرائح من تقديم الوسيلة على طلب الحاجة لانه احجى لحصول المقصود واسرع لوقوع
المطلوب الاجابة واطلق الاستعانة ليعم كل ما يستعان عليه ثم خصصها بقوله اهدنا
ليتكرر اجمالا وتفصيلا فيدل على ان اهم المهمات الاستعانة وبتوفيقه في طلب الهداية والنعم
الاخروية الباقية وكرر الضمير للتنصيص على التخصيص في كل من العبادة والاستعانة ولولا
ذلك لكان التخصيص في مجموعهما ولا يلزم من ذلك التخصيص في كل منهما اهدنا الصراط المستقيم
الدين القويم ومما يدل عليه القرآن العظيم قال علي وابي بن كعب رضي الله عنهما اهدنا الصراط
اي ثبتنا عليه كما يقال للقائم قم حتى اجود اليك اي دم ما دمت عليه فقيل
وقرئ ثبتنا وفي التعبير عنه باهدنا اشارة الى ان المطلوب هذا الثبات في ضمن التجدد
يعني ثبتنا على اصل الهداية وزدنا فيها في كل وقت والهداية دلالة بلطف ومنه الهدية
وخص ما كان من دلالته بفعلت نحو هديت الطريق وما كان من الاعطاء بافعلت نحو
اهديت الهدية واستعمالها في الشر كما في قوله تعالى واهدوهم الى صراط الجحيم على طريق
التهكم كالبشارة في قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم والفعل منه هدى يتعدى الى
ثاني مفعوليه باللام تارة وبالى اخرى وفي حذف اداة التعدية على طريقة واختار موسى قومه
اخراج له مخرج المتعدي الى المفعولين ولا يبعد في ان يقصد بذلك الاشارة الى تقوم الهداية المطلوبة
وكانه قيل اهدنا هداية كاملة لا يحتاج الى الواسطة وانما قال اهدنا دون اهدني
هداية للمناسبة مع نعبد ونستعين ولان الدعاء مهما كان الى الاجابة اقرب كان بعض العلماء
يقول لتلامذته اذا قرأتم في خطبة السبق ورضي الله عنك وعن جماعة المسلمين ان
ذكرتني في قولك رضي الله والا فلا حرج ولكن اياك ان تنساني في قولك وعن جماعة
المسلمين فلا بد وان يكون في المسلمين ~~فلا بد ان يكون في المسلمين~~ من يستحق الاجابة واذا اجاب
الله تعالى الدعاء في البعض فهو اكرم من ان يرده في الباقي ولهذا السبب قالوا السنة
اذا اراد احد ان يذكر دعاء ان يصلي اولا على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يذكر الدعاء ثم يصلي
على النبي عليه السلام فاذا اجيب في طرفي دعائه امتنع ان يرد في وسطه وقد قال النبي
عليه السلام ادعوا الله بالسنة ما عصيتموه بها قالوا يا رسول الله من اين لنا تلك الالسنة
قال يدعو بعضكم لبعض لانك ما عصيت بلسانه وهو ما عصى بلسانك والصراط كالطريق
في التذكير والتأنيث اما في المعنى فبينهما فرق لطيف وهو ان الطريق كل ما يطرقه طارق معتادا
والسبيل من الطرق ما هو معتاد السلوك والصراط من السبيل ما لا التواء فيه ولا اعوجاج

بل

بل يكون على جهة القصد فهو اخص الثلاثة وفائدة وصفه بالمستقيم ان الصراط
يطلق على ما فيه صعود وهبوط والمستقيم ما لا ميل فيه الى جهة من الجهات الاربعة واصل
الاستقامة في قيام الشخص ان لا يكون منحنيا ولا مائلا الى الجانبين صراط الذين انعمت عليهم
بدل من الصراط المستقيم وفائدته التوكيد للتكرير والتفصيل بعد الاجمال واطلق
الانعام لينتظم كل نعم شددت اللام في الذين لانها لامان والاصل ان سلعم ثم دخلت
الالف واللام للتعريف فالتشديد من اجل ذلك والانعام نفع العالي من دونه بامر
عظيم حال من العوج والتبعة ولما كان الكفار من جملة الذين انعم عليهم على ما صرح به
في قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم خصهم بقوله غير المغضوب عليهم
في دار الدنيا ولا الضالين في دار الاخرة والمشهور ان نعم الله على نوعين دنيوية وهي
اوفر في حق الكافر لقوله عليه السلام الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر واخروية
وهي مختصة بالمؤمن ونحن نقول ان النعم الاخروية على قسمين نعمة نفع وهي المختصة
بالكافر ولا شبهة في عمومها الكفار ايضا لانه تعالى لا يعذب كافرا من الكفار بنوع من
العذاب الا وهو قادر على ان يعذبه باشد منه وترك ذلك نعمة تخفيف منه تعالى غير
صفة مفيدة اي جمعوا بين النعمة والسلامة منها وانما وصف المعرفة بغير تنزيلا للموصول
بمنزلة النكرة اذ لم يقصد به معهودا او رفعا لغير الى الدرجة المعرفة لزوال ابهامه بالاضافة
الى ما له ضد واحد واعلم ان غيرا لها ثلاث مواضع احدها ان تقع موقعا لا يكون فيه الا نكرة
وذلك اذا اريد به النفي الساذج نحو مررت برجل غير زيد الثاني ان تقع في موقع لا يكون
فيه الا معرفة ذلك اذا اريد به شيء وقد عرف بمضادة المضاف اليه في معنى لا يضاف فيه
الا هو كما اذا قلت مررت بغيرك اي المعروف بمضادتك الا انه في هذا لا يجري صفة فتذكر
غير جار على الموصوف الثالث ان يقع موقعا يكون فيه نكرة تارة ومعرفة اخرى كما اذا قلت
مررت برجل كريم غير لئيم كذا قال صدر الافاضل وقد تبين منه ان من قال ان غيرا
لا يتعرف اصلا وان اضيف الى المعارف لم يصب وان من زعم انه بالاضافة الى ما له ضد
وان اضيف الى ما له ضد واحد لكنه لم يعرف ما اريد به بمضادة المضاف اليه ومعنى لا يضاف
فيه الا هو ولهذا لم يكن من قبيل الثاني فلم يتعين تعين حركة من غير السكون فاما ثانيا فلانه
ح يكون معرفة بالحقيقة على ما مر الا بالتأويل كما ظنه ذلك الزاعم واما ثالثا فلانه
لا يجري صفة وانما يذكر غير جار على الموصول وهو في صدد توجيه كونه صفة لما قبله وقيل هو
صفة لما قبله الذين ولا يخفى ذلك لان غيرا اصل وصفة الوصف والبدل بالوصف ضعيف
والغضب تغير يحصل عند غليان دم القلب لارادة الانتقام والقانون في امثال ذلك ان
جميع الاعراض النفسانية مثل الرحمة والفرح والسرور والغضب والحياء والتكبر والاستهزاء

لها اوايل ولها نهايات ولنبين ذلك في الغضب فان اوله غليان الدم وغايته ارادة ايصال الضر
الى المغضوب عليه ولفظ الغضب في حق الله تعالى لا يحمل على اوله الذي هو من خواص الجسم بل يحمل
على غايته وهذه قاعدة شريفة بفقهها هنا نكتة لطيفة وهي انه صرح بالخطاب لما ذكر النعمة
ثم كونه حيث قال غير المغضوب عليهم ولم يقل غير الذي غضب عليهم عطفا على الاول لجا
باللفظ منحرفا به عن ذكر الغاضب فاسند النعمة اليه لفظا وزوى عنه لفظ الغضب تحسنا
ولطفا قيل يعني الاول اليهود لقوله تعالى في قصصهم وباؤا بغضب على غضب وبالثاني النصارى
لقوله تعالى في حقهم قد ضلوا واضلوا كثيرا هذا على ما وافق ما روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم من ان رجلا ساله وهو بوادي القرى من المغضوب عليهم فقال اليهود
ومن الضالين فقال النصارى فان قلت كيف نسر على ذلك وكلا الفريقين ضال و مغضوب
عليه قلت خص كل فريق منهم بصفة كانت اغلب عليهم وان شاركوا غيرهم في صفات ذم
وعليهم ههنا في محل الرفع لانه نايب مناب الفاعل بخلاف ما في انعمت فانه في محل النصب
على المفعولية ولا مزيدة لتوكيد ما في غير من معنى النفي وكانه قيل لا المغضوب عليهم
ولا الضالين وعين دخولها العطف على قوله المغضوب عليهم المناسبة غير لئلا يتوهم
في اول الوهلة بتركها عطف الضالين على الذين والضلال فقدان الطريق السوي
سوا سبقه وجدان اولا كما في قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى وانما عدل لنا عن تفسير
بالعدول عن الطريق السوي عمدا او خطاء لان في طلب الطريق السوي عمدا او
خطاء لان في طلب الطريق السوي عمدا ولم اونفقه عن الطلب ضال ولا عدول
له لا عمدا ولا خطاء امين مبني على الفتح كاين لالتقاء الساكنين وجاء مد الفه وقصرها
فيه والاصل فيه القصر وانما مد ليرتفع الصوت بالدعا كذا قال ابن خالويه في اعراب
القران وذكر ابن درستويه ان القصر ليس بمعروف وانما قصره الشاعر في قوله امين
فزاد الله بيننا بعد الضرورة ولا تشديد ميمه فانه لحن والعامة ربما فعلوا ذلك واما في قوله
تعالى ولا امين البيت الحرام فالميم مشددة لانه من اممت اي قصدت معناه على قول ابن
عباس رضي الله عنهما كذلك يكون وقيل انه اسم فعل استجب روي عن كعب الاحبار انه قال امين
خاتم رب العالمين يختم به دعاء العبد المومن وليس من القران اجماعا وقراته سنة في الصلاة
وخارج الصلاة بعد الفاتحة مفصول عنها

سورة البقرة مدنية وآيها مائتان وسبع وثمانون آية

عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لكل شيء سنام وسنام
القران سورة ولا حجة على من استكره ان يقال سورة البقرة كما قال عليه السلام السورة التي

البقرة

فيها

فيها البقرة فسطاط القران لان ما يكره من لامة ما يكره منه عليه السلام الا ترى انه قال لا يومن احدكم
حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواه وقد انكر قول الاعرابي ومن عصاهما فقد غوى وقال بيس خطيب
القوم انت بسم الله الرحمن الرحيم الم في الفواتح المقطعة
اوجه والاوجه انها اسماء السور وعليه الاكثر ومحلها رفع على الابتدا وقيل نصب او جر على حذف
حرف الجر او اضماره والمروي عن الصدر الاول انها اسرار بين الله وبينه وقال
بعض الكمل قد يجري بين المحرمين كلمات معماة تشير الى سر بينهما والمقطعات في اوايل السور من
هذا القبيل فانه قد وصفها مع نبيه عليه السلام في وقت لا يسعه فيه ملك مقرب ولا نبي
مرسل ليتكلم بها معه على لسان جبريل عليه السلام باسرار وحقايق لا يطلع عليه جبريل عليه
السلام لما نزل بقوله كهيعص فلما قال كاف قال النبي عليه السلام علمت فقال ها قال علمت فقال يا
قال علمت فقال عين قال علمت فقال جبريل عليه السلام كيف علمت ما لم اعلم ذلك الكتاب اصل
ذلك ذا اسم مبهم للاشارة واللام عوض عما الي للتنبيه ولهذا لا يجمع بينهما والكاف للخطاب فلا
دلالة في اصل وضعه الى البصر وانما ذلك بحسب العرف الطاري فالاشارة اليه بلفظ ذلك
وهذا سوا لانه من حيث انه لا يحس بالبصر شبه المحسوس الغايب ومن حيث مدرك بالعقل
والسمع اشبه المحسوس الحاضر وصح فيه استعمال اللفظين ولهذا قال جمع من ايمة التفسير والعربية
ان معنى قوله تعالى ذلك الكتاب هذا الكتاب وتذكيره لان المشار اليه المسمى وهو ذلك البعض
من القران ليس بمونث نعم له اسم اخر وهو السورة لكن الاشارة ليست باعتبارها فلا حاجة الى التاويل
في تذكيره وهو مبتدا ثان والكتاب خبره والجملة خبر المبتدا الاول والمعنى ان ذلك هو الكتاب
الكامل او خبر المبتدا والكتاب صفته ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود مصدر بمعنى المفعول
قال الراغب الكتاب ضم اديم الى اديم بالخياطة والمتعارف ضم الحروف بعضها الى بعض في اللفظ
ولهذا يسمى كتاب الله وان لم يكتب كتابا ومن قال اطلاق على المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما
يكتب فكانه لم يفرق بين الخط والكتابة لا ريب فيه في محل الحال والعامل فيه معنى الاشارة
اشارة الى كماله في نفسه وقوله هدى اشارة الى كونه مكملا الى غيره فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه
بالكمال قال الراغب في الفرق بين الشك والمرية والريب ان الشك وقوف النفس بين شيئين متقابلين
بحيث ما يترجح احدهما على الاخر بامارة والمرية التردد في المتقابلين وطلب الامارة ماخوذ من مري
اي مسحه للدر فكانه يحصل مع الشك تردد في طلب ما يقتضي غلبة الظن والريب ان
يتوهم في الشيء امرا ما ثم ينكشف عما توهم فيه ولما كان الريب اضعف كان نفيه ابلغ
ثم المنفي عنه مثل الريب لانه حالة قايمة بالمرتاب لا يحتمل ان يوجد في نفس الكلام فلا حاجة
الى نفيها بل لا وجه له في مقام المدح فتاخير الظرف لان الحصر المستفاد من تقديمه باطل
بالكتب السماوية ليس بمعجز فلا قاطع لعرق الريب فيه لتجريد الكلام لما سيق فان المفهوم

فقال صاد قال علمت

والكتاب

من الحصر المذكور فضله في المقام واختياره ما هو احسن نظما وتوسيع دائرة القراءة على ما ستقف
عليه باذن الله تعالى وقرئ لا ريب بالتنوين والفرق ان المشهور يوجب الاستغراق
هدى للمتقين المشارفين للتقوى الصائرين اليه ففيه مجاز وايجاز وهما من اقوى
اسباب الاعجاز ولكن المجاز للتنبيه على قوة ترتب اهتدائهم على هدايته بحيث لم يتخلل بينهما
مكان وكان بالذين يهتدون به هداية بالمهتدين وانما لم يقل هدى للضالين لئلا يندرج
تحت عمومه المطبوع على قلوبهم هدى مبتدى خبره فيه تقدم عليه محققا على قراءة من وقف
على لا ريب ومقدرا على قراءة من وقف على فيه للعناية والاهتمام وتنبيها على ان المقصود
بالاخبار كون الكتاب متضمنا لهدايتهم لا لكونهم مهتدين به والمحافظة على الفاصلة
وايثار الظرف على الضمير المنفصل للاشارة الى ان الهداية في بعض الفوائد تضمنها
وتنكيره للتعظيم والهدى في الاصل مصدر على فعل كالسرى وقدم تفسير الهداية وما
يتعلق به والتقوى على ما قال علي رضي الله تعالى عنه ترك الاصرار على المعصية والاغترار
بالطاعة والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وقيل المتقي من
سلك سبيل المصطفى ونبذ الدنيا وراء القفا وكلف نفسه الاخلاص واجتنب الحرام
والجفا ولم يكن فضل الا ما فهم من هنا ليكتفي فانه تعالى بين في موضع ان القرآن
هدى وقال هنا للمتقين فكانه يقول ان المتقين كل الناس لمن لا يكون متقيا فليس بشيء
ولما كان معنى قوله للمتقين للذين يتقون صح ان يكون قوله الذين يؤمنون موصولة
بالمتقين على انه صفة مجرورة او مدح منصوب بتقدير اعني او مرفوع بتقدير هم
واما فصله عنه على انه مرفوع بالابتداء مخبر عنه باولئك على هدى فضعيف لانقلابه
مما قبله والذهاب به مذهب الاستيناف مع وصول اتصاله بما قبله وتعلقه به ومبنى الاستيناف
على تقدير ان يسأل ما بال المتقين مخصوصين بذلك فلا يتم الجواب الا بمجموع القضيتين فيكون القطع
بينهما لكمال الاتصال والظاهر انه لكمال الانفصال في الغرض والاسلوب على ما يشهد بذلك صدين
القصة الثانية بان المتصيرة بالاخذ من ثن اخره والايمان افعال من الامن يقال امنته وامنته غيري ثم نقل
الى التصديق فقيل امنه اذا صدقه التكذيب والمخالفة ثم ضمن معنى اقر واعترف فعدي بالباء بالغيب
اي بما غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث لا يدركه واحد منهما لا بالبديهة ولا بالاستدلال
معنى احوال البعث والجنة والنار كما في قوله تعالى الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والذين
في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين ولقوة غيبته حيث غاب عن
مظهرها الحس والعقل عبر عنه بالمصدر كما يقال لمن بلغ الغاية في العدالة عدل ولكماله في معنى الغيبة
انما اثم فيه وبأتي الغائبين بمنزلة الشاهد نظر اليه ففيه اشارة الى قوة تصديقهم برسول
الله صلى الله عليه وسلم ووفور اعتقادهم بنبوته حيث صدقوه في اخبار لا طريق الى تصديقها الا الجزم

ولا بالعقل الا بالبديهة ولا بالكسب وعدم تعرض التصديق بالمبدأ للتنبيه على ان شانه تعالى
اظهر الامور بحيث كان التصديق به تصديقا باجل المعلومات فلا يناسب ذكره في محل المدح
بالتصديق باخفى المجهولات وفيه نفي على الدهرية على وجه المبالغة ويقيمون الصلوة اقامة
الصلاة جعلها قائمة والقيام انتصاب القامة ولما كانت هيئة الانتصاب كمل هيئة منزلة القامة
في احسنها استعيرت القامة للتكميل والتحسين ومنه اقام الامر اذا اتمه وجاء به معطيا حقوقه
وايضا لما كان استعمال القامة باقامتها استعيرت القامة للاستعمال ايضا ومنه اقام القوم
سوقهم اذا استعملوها ولم يعطلوها فالمعنى الاول يعدلون اركانها ويكملون حدودها وعلى
الثاني يحافظون عليها في مواقيتها ولا يعطلونها والصلاة الاذكار المعروفة والافعال المشهورة
واصلها الدعاء قال الله تعالى وصل عليهم ادع لهم وانما نقلها الشرع اليه لاشتمال على الدعاء وفائدة
الاطناب بزيادة الاقامة التنبيه على انه لم يرد ايقاعها فقط ولهذا لم يأمر بالصلاة ولم يمدح
بها الا بلفظ الاقامة نحو اقيموا الصلاة والمقيمين الصلاة ولم يقل والمصلين الا في المنافقين حيث
قال فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ومن ثم قيل المصلون كثير والمقيمون لها قليل
كما قال عمر رضي الله عنه الحاج قليل والراكب كثير من الافعال التي حث الله تعالى على توفية حقوقها
ذكره بلفظ الاقامة نحو ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل واقيموا الوزن بالقسط لما كان المعنى يعبدون
الله بكل من نوعي العبادة البدنية والمالية عقبه بقوله ومما رزقناهم ينفقون وتقديم
ما هو الاشق وبالتقديم احق لانه ام العبادات وعماد الدين وانما لم يقل ويؤتون الزكاة
لئلا يختص المدح بالاعتبار وايضا لما ذكر البدنية مطلقة شاملة للواجبة منها وغير الواجبة
ناسب ان يذكر المالية ايضا على وجه الاطلاق والرزق اسم لكل ما ينتفع به الحيوان واصله الحظ
والنصيب من اي نوع كان ثم شاع اطلاقه على ما اعطى الله عبده ومكنه من التصرف فيه حلالا كان
او حراما لقوله عليه السلام فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله
واما ما قيل لو لم يكن الحرام رزقا لم يكن المغتذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى
وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فيرد عليه ان الملازمة مسلم وكذا بطلان الثاني مسلم انما
الشأن في وقوع التقدم فانهم نعم هو محمول هنا على المباح دون المحظور بقرينة اضافته الى الله
تعالى فانما يضاف اليه تعالى بخصوصه مفصلا حقه ان يكون خاليا من الكراهة فضلا عن الحرمة
وان كان قد يضاف اليه الافعال كلها على سبيل العموم والاجمال واما الحث على الانفاق والمدح
للمنفق وكونه من المتقين فانما يصح قرينة لكون المنفق مباحا ولا دلالة على عدم كون الرزق كذلك
ذكر المنفق بعضا منه مشتملا على الحرام وزيادة حرف التبعيض على الاقتصاد المحمود لان الجود
الذي هو وسط بين الاسراف والاقتار قال الله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط ففيه اخبار صحيح في حق العارفين ونهي ضمني في حق الحاضرين واما التبذير فلا حاجة

للاحتراز عنه الى اداة التبعيض لانه بمعزل عن مظنة المدح كيف وهو حرام ومنهي عنه بابلغ
وجه في قوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين بخلاف الاسراف فانه قد شاع انه لا اسراف
في الخير فكانه مظنة ان يمدح به ولما كان المدح باعتبار تخصيصهم الانفاق بالبعض الحلال من
رزقهم بالانفاق مطلقا كان ذكر المفعول وتعيينه اهم من الاخبار عن نفس الفعل فقدمه عليه اظهارا
للاهتمام به والاعتنا بشانه ومحافظة على الفاصلة والانفاق صرف المال الى الحاجة لانفاده
واذهابه مطلقا فالاحراق مثلا ليس بانفاق والذين يؤمنون هم مؤمنوا اهل الكتاب
كعبد الله بن سلام واضرابه معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم في جماعة
المتقين دخول اخصين تحت اعم اذ المراد باولئك الذين امنوا وليسوا من اهل الكتاب ولولا
مقالتهم وكانت الايتان الكريمتان تفصيلا للمتقين وانما قدم غير الكتابي لان تصديقهم
بتلك المغيبات اغرب اذ هم لم يسمعوا شيئا منها ان اخبر النبي صلى الله عليه وسلم
بالمدح بذلك الوصف احق ومن ذلك تبين وجه تخصيص التعبير بالغيب عن المصدق به
في حقهم مع ان متعلق التصديق لكلا الفريقين واحد وظهر ان ما فصل بقوله بما انزل
اليك اصله الاك قلبت فرقا بين الاضافة الى الكني وغيره والانزال نقل الشيء من اعلى
الى اسفل وهو انما يلحق المعاني بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها كما في انزال القران فانه انزل
جملة اللوح الى سماء الدنيا ثم نزل منها على لسان جبريل عليه السلام منجما على رسول الله صلى الله عليه
السلام والنفوس الدالة عليها كما في انزال التوراة فانها قد نزلت على موسى عليه السلام مكتوبة على
الالواح فان كان المراد جميع ما انزل عليه السلام الى حين نزول هذه الاية كما هو الظاهر فالامر
نفين غير واجب وذلك بين وان كان المراد مجموع القران والشريعة بجيا على تنزيل المرتب
منزلة النازل لتحقق وقوعه والارتباط بعضه ببعض كالشي الواحد ونظيره قولك مما سمعته
به فلان فهو فصيح ولا يريد به الماضي فقط بل الاتي ايضا وتغليب النازل على ما لم ينزل وفي
يؤمنون اشارة الى ان القران غير متفاوت الابعاض في البلوغ الى حد الاعجاز فمن امن ببعضه
يؤمن كله لا محالة والعدول عن صيغة الماضي الى المستقبل لما فيه من الحدوث التجددي
المتضمن للاشارة الى ان ايمانهم بما انزل اليه عليه السلام متجدد بنزول الايات والاحكام والى
ان ايمانهم السابق انكار في الحقيقة لا تصديق به وقدم الايمان بما انزل اليه لا اصالته حيث
كان صحة ايمانهم بما انزل من قبله في ضمن الايمان بما انزل اليه وبسببه ولهذه النكتة لم يكرر الها
في قوله وما انزل من قبلك كما كرر في امنا بالله وباليوم الاخر والمراد بذلك مما انزل على
الانبيا الذين كانوا قبل محمد عليه السلام والايمان به واجب اجمالا لان الله تعالى لما تعبد
الان به حتى يلزمنا معرفته تفصيلا نعم ان عرفنا شيئا من تفاصيله فهناك لا يجب علينا
الايمان بتلك التفاصيل وبالاخرة تانيث الاخر صفة لله كما في قوله تعالى تلك الدار الاخرة

والنشاة

والنشاة كما في قوله تعالى ثم الله ينشئ النشاة الاخرة سميت بذلك لانها متاخرة زمانا عن الدنيا
والنشاة الاولى وقيل للدنيا دنيا لانها ادنى من الاخرة رتبة هم يوقنون تقديم الظرف
للقصر عليه كما في قوله تعالى لالى الله تحشرون وتقديم المسند اليه وهو ضمير مع بناء الفعل
عليه ايضا للقصر كما في قولك انا سعيت في حاجتك والقصران اضافيان كما هو الغالب في
استعمالات البلغا والمعنى المستفاد من الفصل الاول اذ ايقانهم مقصور على حقيقة الاخرة
لا يتعداها الى ما هو خلاف حقيقتها وتعريض لساير اهل الكتاب ومما هم عليه من امر الاخرة
والايقان ايقان العلم بان الشك والشبهة عنه فاليقين هو العلم بالشي بعد ان كان صاحبه
شاكا فيه ولذلك لا يطلق على علمه تعالى يقال لا الامام ويقال ذلك في العلم الحادث بالامور سوا
كان ذلك العلم الالهي ضروريا او استدلاليا فيقول القايل تيقنت مما اردته لهذا الكلام وان
كان قد علم مراده بالاضطراب ويقول تيقنت ان الاله واحد وان علمه الاكتساب
اولئك اي اهل هذه الصفات فيبنى الحكم على الوصف فينتفي بانتفائه وهذا معنى الاختصاص
واولا كلمة معناها الكناية عن جماعة نحوهم جمع لا واحد له من لفظه بني على الكسر والكاف للخطاب
والجملة استيناف لا محل لها فكانه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة على هدى مثل لتمكنهم من
الهدى شبهت حالهم بحال من اعتلى الشي وركبه ونكر هدى ليفيد ضربا منهما لا يبلغ كنهه نحو
لقد وقفت على لحم ومعنى كونهم على الهدى تمسكهم بموجب الدلايل لان الواجب على المتمسك
بالدليل ان يدوم على ذلك فكانه تعالى لما مدحهم بالايمان بما انزل الله عليه اولا مدحهم بالاقامة
على ذلك ثانيا من ربهم نفي الكسب واثبات كونه بمحض العناية والعطا كالشي الذاتي المقارن
لوجودهم في اول الكون وفيه زيادة وتعظيم لتلك الهداية واضافة الرب اليهم للتشريف
كما يفيد اضافة العبد اليه تعالى تشريفه فكذلك اضافته تعالى اليه تفيده على ذلك
اقوى افادة واولئك اعاد اسم الاشارة تنبيها على ان المقتضي للفلاح ايضا هو اتصافهم
بتلك الصفات وان كل واحدة من الاثرتين لهم بالاستدلال والانفراد لا بتبعية احدهما
الاخرى ولو انفردت احديهما لكفت في تصرفهم بالكمال وارافهم على غيرهم وتوسيط العاطف
لتناسبهما في الوجود حيث كان احدهما علة للاخر وتغايرهما في المعنى المقصود فان الهدى
حاصل في الدنيا والفلاح في الاخرة فالجملتان متوسطتان بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع
بخلاف كالانعام والغافلون في قوله تعالى كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فانهما
شي واحد بحسب المقصود والمال وان تعدد بحسب اللفظ والمفهوم هم المفلحون هم فصل
يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او المفلحون
خبره والجملة خبر اولئك والمفلح الظافر بمطلوبه والفلاح الخير المقطوع ومنه يقال للفلاح
للكاري والاكار لقطعهما الارض في الكرب والكروب وفي المثل الحديد بالحديد يفلح اي يقطع

ويصلح والتعريف للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الاخرة
او الاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم ولا دلالة في الاية على
خلود الفساق من اهل القبلة في العذاب لان الفائز المطلوب به في الاخرة من زحزح عن النار
وادخل الجنة فالعذاب بالنار ان لم يخلد فيها غير مفلح نعم لو قيل ان فيها دلالة على ان الفاسق
بل تارك الصلاة وان كان غايبا لابد من العذاب لاحتيج الى ان يقال ان المراد بالمفلحين الكاملون
في الفلاح ﴿ان الذين كفروا﴾ لما انجز الكلام في تقرير ما سيق له الى ذكر خاصة عباده
وخلاصة اوليائه بصفاتهم التي اهلتهم للهدى والفلاح عقبه على اثره بذكر اضدادهم وهم العتاة
المردة من الكفار المطبوع على قلوبهم بحيث لا ينجع فيهم الهدى ولا يجدي عليهم اللطف والدعوى
والانذار وانما فصل بينهما لتباينهما في الغرض فان الاولى سيقت لبيان شان الكتاب والثانية
سوقها لشرح تمردهم وانهماكهم في الضلال والتاكيد بان لان الخبر بولغ فيه وعالم بما عسى ان يستنكر
او يستبعد والتعريف للاشارة الى ناس معهودين اخرج ابن جرير وغيره بسند صحيح عن ابن
عباس رضي الله عنهما ان المراد به الكفار من اليهود خاصة وهذا الظاهر بينه الا ايه المومنين
من اهل ولان السورة مدنية واكثر الخطاب فيها لليهود والكفر بالضم والفتح في اللغة الستر
ومنه سمي الزراع كافرا لانه يستر البذر ونقل في الشرع الى عدم قبول علم مجيء الرسول عقدا
او قولا لما جاء به من ستر نور الفطرة الاصلية الذي هو بذر نور الكمال هذا من الكفر المقابل
للايمان اللغوي واما الكفر المقابل للايمان الشرعي الذي لابد من الاحتراز عن امارة قبوله
ما ذكر فيكفي في تحقيقه وجود احدى تلك الامارات فقبول ما ذكر يكفي تحققه وجود احدى
تلك الامارات والاخبار بلفظ المعنى نظرا الى حال المخاطب لانه مقصود بالافادة والمتكلم
ليس زمانيا فلا يختلف الاخبار بحسب دلالتها على الازمنة الثلاثة نظرا اليه ﴿سواء عليهم﴾
﴿ءانذرتهم ام لم تنذرهم﴾ مستو عدل عنه مبالغة وايثارا للاسم على الوصف لتجرده عن
معنى الحدوث ولمحض للدلالة على الثبوت والسواء الاعتدال في الوسط والوسط الاعتدال
في المقدار ولكون ذلك الاستواء صار لهم غير نافع قال سواء عليهم ولم يقل سواء لهم والفعل
في تاويل المصدر وانما عدل عنه لما في الفعل من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام
عليه لتقرير معنى الاستواء وتاكيده فانهما جردتا من معنى الاستفهام لمجرد الاستواء والمعنى
سواء عليهم الانذار وعدمه فالانذار وما عطف مبتدا في المعنى وسواء الخبر والجملة خبر ان
وانما قلنا ان سواء الخبر لان موضع الفائدة هو الخبر والشك انما وقع في استواء الانذار ومنه
خرج وجه العناية الداعية الى تقديمه ولفظ الاستفهام لا يمنع عن ذلك اذ المعنى على اليقين
والتحقيق لا على الاستفهام لما عرفت من ان الهمزة هي مستعارة للتسوية والانذار والتعليم
بالتخويف وقال ابن عطية ولا يكاد يكون الا في تخويف يسع زمانه الاحتراز كان اشعارا والانتقا

لان الكفار

لان الكفار ليسوا اهلا للبشارة المطلقة على الايمان ينقلب في حقهم انذارا لانهم مصرون على
الكفر مضمنون عليه فينتظم الانذار هذا القسم من البشارة في ﴿لا يومنون﴾ مفسرة لاجمال
ما قبلها فلا محل وخبر ان وما قبلها اعتراض ولا دلالة على وقوع التكليف بما لا يطاق لان الاخبار
بوقوع الشيء او عدمه لا ينفي القدرة عليه واستحالة الكذب على الله تعالى اللازم على تقدير وقوعه
ما اخبر بعدم وقوعه وانما يدل على عدم وقوعه الملزوم لا عدم كونه مقدورا فان استحالة اللازم
لا تستلزم استحالة الملزوم وفائدة الانذار بعدم العلم فانه لا ينجع الزام الحجة وحيازة الرسول عليه
ولما كان مظنة ان يسال عن سبب الحكم السابق لغرابته استونف الجواب عنه بقوله ﴿ختم الله﴾ الختم
والطبع والاثر الحاصل عن نقش ويتجوز به عن الاستيثاق من الشيء والمنع منه نظرا الى ما يحصل بالختم
على الكتب والابواب بالمنع وقد يقال ذلك ويعنى به بلوغ اخر الشيء نظرا الى انه اخر فعل في احراز
الشيء ومنه ختمت القران ولم يرد به هذا الختم في بدء الفطرة ليكون التكليف ضايعا ويخالف
ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ثابعا من ان كل مولود يولد على الفطرة اي الخلقة القابلة
للاسلام ويخرج النعي عليهم شفاعة صفتهم مخرج التشنيع على فاقد البصر بعدم الابصار كل
اراد الختم بعدما اعرضوا عن الحق واصروا على ذلك على ما ورد في قوله تعالى ﴿بل طبع الله عليها
بكفرهم﴾ وافصح عنه ما روي ابن عمر رضي الله تعالى عنهما مرفوعا قال الطابع معلق بقائمة
العرش فاذا انتهكت الرحم وعمل بالمعاصي واجترئ على الله بعث الله الطابع فطبع على قلبه
فلا يعقل بعد ذلك شيئا فالاسناد اليه تعالى مجازي لكن المسند عليه حقيقة ﴿على قلوبهم﴾
اريد بالقلب محل القوة العاقلة من الفؤاد ﴿وعلى سمعهم﴾ السمع محل القوة السامعة من الاذن
وكان في الاصل مصدرا ولذلك وحد في مواضع الامن عن اللبس جريا على مقتضى الاصل واعاد
الجار للدلالة على ان الختم على السمع بالاستدلال والامالة لا تبعا لختم القلب لان له الختم على
السمع يتبعه الختم على القلب في الجملة وكذلك ترك اعادة الجار حيث قدم السمع على ختم القلب في
قوله تعالى ﴿ختم الله على سمعه وقلبه﴾ واما ذكره في قوله ﴿وعلى ابصارهم﴾ فليس باعادة فانه متعلق
لما بعده فان الابصار داخلة في حكم التغشية دون الختم بخلاف الاسماع بقوله تعالى ﴿وختم
على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة﴾ والوفاق على الوقف على سمعهم دون قلوبهم ولان التغشية
ليست بمانعة للسامع عن الادراك بخلاف الباصر غشاوة رفع بالابتدا وتقديم الخبر للاهتمام فان
المقصود بالاخبار كونها على الابصار والعدول الى الاسمية لافادة والثبوت تقوية التغشية
وحمل النصب انه عن حكم الختم بالنصب عطفا على المختوم من باب الاكتفاء باحد الفعلين عن الاخر فان
العرب اذا اجتمع فعلان متقاربان في المعنى ولكل واحد متعلق على حدة جوزت ذكر احدهما
وعطف متعلق الاخر المتروك على المذكور لقوله متقلدا سيفا ورمحا والمصير الى تقدير فعل او
الحذف والايصال في مثل هذا من ضيق الفطن ولولا الوفاق على الوقف على سمعهم

يجاز ان يكون غشاوة اسما وضع موضع مصدر من معنى ختم لان معنى ختم غشى وستر كانه قيل
تغشية على سبيل التاكيد وتكون قلوبهم وسمعهم وابصارهم مختوما عليها مغشاة ولما كان الختم
والتغشية شيا كما فتروه ناسب تعقيبه بوعد وبيان لما يستحقونه على وجه التفريع كيلا
يتوهم ان ما سبق من الختم والتغشية لذلك فقيل ولهم عذاب عظيم اللام الجارة اذا
اتصلت بالضمير غيرا لبابنيت على النصب والعذاكل ما منع من المطلوب يقال عذب الرجل وعذب
اذا لم ياكل غير صايم والعظيم شديد القوة ومنه العظيم الزايد القدر وذلك في الدنيا الاسار وفي
العقبى النار والمعنى ان تلك الطايفة مخصوصة بين الطوايف بنوع من العذاب على ان التنوين للنوع
كما في غشاوة اي نوع من العذاب لا يتعارفه الناس وفايدة التهذيب توصيفه بالعظيم تاكيد له
وتركه في الغشاوة تنبيها على الفرق بين مقامي التهذيب الاول فان احوال الدنيا والثاني في احوال
الاخرة ولم يبين الحالين وما فيهما من الهولين ثم تعدد ذكر المؤمنين واحوالهم والكافرين
وافعالهم ذكر المنافقين واقوالهم واعمالهم وخصالهم بقوله ومن الناس اصله اناس
جمع انسان وكذلك لا يستعمل الا في معنى الجماعة كقوله تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم وقوله
قد علم كل اناس مشربهم وقوله انهم اناس يتطهرون فحذفت الهمزة وعوض عنها حرف
التعريف ونبي هنا للعهد ومن في قوله من يقول موصول فالقول عبارة عن جملة
ما يتكلم به المتكلم على وجه الحاجة ووجه يقول نظرا الى لفظه من وجمع من نظرا الى معناها
اعتبرت جمعة وحدتها عند ذكر مقالهم وجهه تعدده عند بيان احوالهم اشارة الى انهم وان
كانوا متفرقين على عقايد شتى في الكفر بالباطن لكنهم مجتمعون على كلمة واحدة في اظهار
الشقاق خص هذا المصنف من بين الاصناف بمبالغات وتشديدات وابرز نظم قصتهم ابرازا غريبا
حيث قدم الخبر على المبتدا او الهمة غاية الاهام ونكر المبتدا ووصفه باوصاف عجيبة ليتشوق السامع
الى ذكر ما تعدد من قبايحهم وتكريم عليهم وتعجبا من شانهم يعني نظروا الى هذه الجسنة وقبيح ما ارتكبوا
كيف اختصوا من بين ساير الناس بما لم يرض العاقل ان ينتسب اليه ولما كانت فايدة الاخبار بانهم
من بعض الناس استعظام ان يكون من جنسه من اختص بمثل هذه الصفات فانها تنافي الانسانية
بحيث كان ينبغي ان لا يعد المتصف من جنس الانس ناسب تصدير الكلام به وان كان حقه التاخير
وهذا النوع من الاعتبار اللطيف مداره على دلالة رابعة خطابية لا يعتبرها الا البليغ الا بمعرفة
المقام واقتضاء الحال فلا يطالب الاطراد وهذا الصنف ابغض الكفرة الى الله تعالى وامقتهم
عنده لاستعدادهم للاهتدا وامكان قبولهم لذلك لعدم انطفاء نور الفطرة منهم مع بقاهم
على الكفر وخلطهم بالكفر تمويها وتلبيسا واستهزاء وخداعا وفضيحتهم عن اخرهم معطوفة على وصف
المصرين والاقتصار في وصف الكفار الصرف المطبوع على قلوبهم على ايتين والاطناب في
وصف المنافقين في ثلاث عشرة اية للاضراب عن اوليك صفحا اذ لا يجمع فيهم التوبيخ والتعيير

وعسى

وعسى ان يرتدعوا بالتشنيع عليهم وتقطيع شانهم وسيئتهم وتهجين عادتهم وتنبيهوا بتقبيح
صورة حالهم وتفضيحهم بالتمثيل بهم وبطريقتهم فتلين قلوبهم وتنقاد نفوسهم وتتركي بواطنهم
وتضمحل رذايلهم فيرجعون عما هم عليه ويصيرون من المستثنين في قوله تعالى الا الذين تابوا
واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاوليك مع المومنين امنا بالله وباليوم الاخر
لتاخره عن الدنيا والمراد صدقنا بالمبدا والمعاد فيه احاطة الايمان بقطرته وفي
تكرير الجار ادعاء التصديق بكل منهما على الاصابة وما قيل فيه ابدات بانهم منافقون فيما
يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق فان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون
بالله واليوم الاخر ايمانا كلا ايمانا لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم
وان النار لم تمسهم الا اياما معدودة وغيرها ويرون المومنين انهم امنوا مثل ايمانهم مبناه
على ان يكون التصرف بتخصيصها بالذكر في الحكاية دون المحكي وذلك خلاف الظاهر القران
منه ما ذكر على تقدير ان لا يكون مرادهم من الايمان بالله واليوم الاخر التصديق بجميع ما لا
بد منه في دين الاسلام والظاهر خلافه على ما مر الاشارة اليه ثم ان بيانه بقوله فان القوم كانوا
ح انما يفيد انهم كانوا مخطيون فيما يعتقدون انهم كانوا مصيبون فيه لا انهم منافقون فيما
يظنون انهم مخلصون فيه لان الخطا لا يستلزم النفاق وذلك ظاهر بل يقول شرط النفاق الكتمان
وهم لا يكتمون ذلك وما هم بمؤمنين ما بانيه عن ليس ولهذا عقب بالباء والضمير للمعهود
والمعنى نفي ما انتحلوا اثباته ولاجل التاكيد والمبالغة في نفي ايمانهم جاءت الجملة المنفية اسمية
مصدرة بهم وسلطا النفي على اسم الفاعل الذي ليس مقيدا بزمان ليشمل النفي جميع الازمان
ويجروا الكلام للدلالة على ما سبق له ولم يوف بشي زايد عليه الا ما يشهد من عضد بحرف
البا لتاكيد النفي وكان مقيدا في الاثبات لانه غير متحيز ممن اخل ببعض ما لا بد منه
ليس بمؤمن اصلا لانه مؤمن ببعض دون الاخر الاية الكريمة لا تنهض حجة على الكرامية
لانهم يشترطون في كون الشياطين ايمانا عدم مخالفة القلب للسان اعم من ان يكون موافقا
له او فارغا عنهما لان احتجاجهم بانه تواتر ان الرسول عليه السلام والصحابة والتابعين رضي
الله عنهم كانوا يقنعون بالكلمتين ممن اتى بهما ولا يستفسرون عن علمه وتصديقه القلبي
وعمله فيحكمون بايمانه لمجرد الكلمتين فعلمنا انه الايمان بلا علم ولا عمل صريح في عدم الاشتراط
بالقيد المذكور بل لان كلامهم على ما دل عليه سياق احتجاجهم في الايمان الشرعي المعتبر عندنا
في اجرا احكام الاسلام في الدنيا لا الايمان الحقيقي المعتبر عند الله تعالى المنجي عن الخلود
في النار فلا يندفع قولهم بالاجماع على ان المنافق كافر ولا بالاجماع على ان من هم بالشهادتين
فتم ما نع من خرس او خوف مومن يخادعون الله يعني رسوله بالتجوز في الاسناد تفخيما
لشانه عليه السلام تنبيها على ان المعاملة معه فيما يتعلق بالرسالة معاملة مع المرسل في الحقيقة

وكونهم من اهل الكتاب العارفين بانه تعالى لا يخدع فلا ينافيه قصد خداعه وانما ينافيه قصد
خداع الرسول لانهم ينكرون نبوته كفى قرينة للمجاز والمعنى يعملون له عمل المخادع والخداع اظهار
ما يخالف الاضمار ويراد به النفير ومنه الاخدعان لاستتارهما تارة وظهورهما اخرى واتيانه
مفاعلة من واحد نحو طارقت النعل وعاقبت اللص ومالى الصيغة من المبالغة للافصاح من
بلوغهم الغاية في وجهي النفاق لانه بيان ليقول او في موضع الاستيناف بذكر ما هو الغرض
كانه سئل عن اصل دعواهم وعن كيفية مبالغتهم فيه المنفهمة عن ذكر الايمان بفطرته وتكرير
البا فاجيب عنهما معا عن الاصل بالاصل وعن الوصف بالوصف وعلى تقدير اعتبار الخداع من الجانبين
يريد البيان عن قدر الحاجة وتفصيل الكلام عن مقتضى المقام والذين امنوا يجوز ان
يكون ذكر الله تعالى توطئة والمراد مخادعة المؤمنين من قولهم اعجبني زيد وكرمه وفائدة
هذه الطريقة بيان قوة اختصاصهم وكونهم من الله تعالى بمكان ومنه قوله تعالى والله
ورسوله احق ان يرضوه ان الذين يؤذون الله ورسوله وما يخادعون الا انفسهم وما
يشعرون نفس الشيء ذاته وهي من النفاسة يقال خادع اذا لم يبلغ مراده وخادع اذا بلغ
مراده فيما قصد كان مخادعا ولما وقع ضرر فعلهم على نفسهم خدعا ولم يرجع وبال خداعهم الا اليهم
لانهم لما سلكوا مسلك الخداع نزلوا بقدم النفاق للدرك الاسفل من النار فكانت مضرة خداعهم
راجعة الى انفسهم والواو فيما يخادعون عاطفة الجملة على الجملة وفي وما يشعرون واو الحال
بالعكس والشعور هو الادراك الحسي ومشاعر الانسان حواسه الظاهرة والباطنة اي
يحسون ان ضرر الخداع لا يلحق الا بهم لتمادي غفلتهم فانه من شدة ظهوره كالمحسوس المشاهد
وكانه لا حس لهم اصلا وليس نفي الشعور هنا كنفيه في قوله تعالى لا يحطمنكم سليمان وجنوده
وهم لا يشعرون لانه لبيان العذر من جهتهم وهذا التعظيم الامر على المنافقين واظهار مع
جهلهم يجهلون جهلهم كما قال الشاعر جهلت ولم تعلم بانك جاهل وذاك لعمري من تمام الجهالة
في قلوبهم اثر حرف الظرف على ارادة الملابسة ليدل على الاستقرار والرسوخ مرض اي تردد
واضطراب استعير المرض للعرض النفساني وتنكيره للتنويع اي نوع مرض ليس مما يتعارفه
الناس شبههم بمرضى لاضطرابهم في الدين لانهم كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين بالقول
ويضمرون لهم الخلاف بالقلب فكان حالهم كحال المريض اذ هو مشرف على الموت ويرجى
الاقبال منه ثانيا واما ساير الكفرة فانهم لم يضطربوا في الدين بل ظهروا بالقول ما اضمروا
بالقلب فسماهم موتى وسمى المؤمنين احياء لهم اطمانوا على الايمان قولا وعقيدة فزادهم
الله مرضا بتكرير الوحي وازدياد التكاليف ولا تجوز في الاسناد كما توهم من لا يرى صدور
القبيح عنه تعالى ولا يدري ان القبيح بالنسبة للكاسب ولا بالنسبة الى الفاعل واصل
الكلام فزاد الله مرضهم وانما عدل الى ما في النظم لنكتة سرية فلا دلالة في تنكير المرض

الثاني

الثاني على مغايرته للاول بحقيقته فيه وفي تصدير الكلام بالفاء دلالة على تفرع الثاني
الاول ولهم عذاب اليم اي مؤلم كسميع وخصيب ذكره الراغب وصفا به للمبالغة
وانما وصف عذاب المختوم على قلوبهم بالعظم لانهم حرموا عن جدوى المشاعر وحجبوا عن عالم
النور وحبسوا في سجون الظلمات فما اعظم عذابهم وان لم يحسوا بايلامهم كعضو الميت والمطبوع
وعذاب المنافقين بشدة الايلام لان مشاعرهم غير ما وجه لعدم انطفاء نور فكرتهم والالم
مقدور وادراك المولم فلمنافاة نور استعدادهم لما رسخ فيهم من الرذايل والملكات الردية
والصفات الظلمانية يتالمون وكان ادراكهم لذلك اشد ايلاما وعذابهم اقوى وانكى وان
كان عذاب الاولين لشدة حجابهم وغاية بعدهم من النور اعظم لعدم منافاة ذواتهم
لصفاتهم وضعف ادراكهم لذلك لم يحسوا بالالم بخلاف هولاء بما كانوا يكذبون بسبب
تمرنهم في الكذب فان زيادة كان في مثل هذه الافادة معنى الاعتياد وفيه دلالة على ان
العذاب الاليم لاحق بهم من اجل كذبهم الذي هو ادنى حالهم في الكفر والنفاق فكيف ساير الاحوال
ولا دلالة فيه على ان الكذب وهو الاخبار بالشيء على خلاف الواقع يتحقق به العذاب مطلقا
كيف وقد صرح به في كتب اللغة ان الكذب لاحياء الحق مباح وقال الامام الغزالي اذا اختفى
اختفى رجل من ظالم وسيل عنه وجب الكذب باخفايه واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض عطف
على يقول فلا محل له من الاعراب ولا باس بالتخلل بين اجزاء الصلة بالبيان والاستيناف لانه ليس باجنبي
فالاتيان على سنن تعديد قبايحهم وتوصيفهم بالاوصاف المذكورة قصدا واستقلالا ويحتمل ان تكون
مستانفة ان هذه الجملة والجملتان بعدها من تفاصيل الكذب ونتايج النفاق الا ترى قولهم انا نحن معكم
وقولهم انؤمن كما امن السفها وقولهم عند لقاء المؤمنين امنا كذب محض فيناسب جعل ذلك جملا مستقلة
ظهرت لاظهار كذبهم ونفاقهم والافساد جعل الشي فاسدا خارجا عما ينبغي ان يكون عليه وعن كونه
منتفعا به وكان من افسادهم في الارض تهييج الحروب والفتن بمخادعة المسلمين وممالاة الكفار عليهم بافشاء
الاسرار اليهم والظاهر ان القايل من شافههم من الرسول عليه السلام والصحابة رضي الله تعالى عنهم
والثاني اقرب قالوا انما نحن مصلحون لما كان ينفيهم عن الافساد مشعرا بان فيهم افسادا نفوا ذلك
عن انفسهم بادعا انهم مقصورون على الاصلاح افسادا واثروا انما دلالة على ان ذلك الدعوى ظاهر
بين لا ينبغي ان يشك فيه وفيه تنبيه على انهم يصرون على الاصلاح من غير شايبة افسادهم بصورة الاصلاح
لما في قلوبهم من المرض كما قال تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا وقوله وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا فرد الله تعالى بقوله الا انهم هم المفسدون نصر قلبا اي هم مصرون على الافساد
لا ينخرطون في جملة المصلحين اصلا مع المبالغة في بلغ الوجود والذها من الاستيناف والمقصود به
تمكن الحكم في ذهن السامع فضل تمكن لحصوله بعد التشويق الحاصل من ذكر دعايهم الاصلاح على وجه بليغ
توغلهم في الافساد فانه يشوش السامع ان يعرف ما حكم الله عليهم والشي اذا وجد بعد الطلب يكون

اعز مما نوجي به من غير التعب وتصدير الجملة بالا وان للتنبيه والتحقيق وذلك ان الا مركبة من همزة
الاستفهام وحرف النفي لاعطف معنى التنبيه على تحقق ما بعدها والاستفهام اذا دخل على النفي افاد التقرير
والتحقيق كقوله تعالى اليس ذلك بقادر على ان ولكون همزة الاستفهام لهذه المثابة من التحقيق
تلقى مما تتلقى القسم واختها التي هي من مقدمات القسم وطلايعه وتوسيط همزه وتعريف الخبر
والاستدراك بقوله ولكن لا يشعرون وهذا اولى من نفي العلم مطلقا المستلزم لنفي العلم الحاصل
لان من لا يشعر بالضروريات لاسيما المحسوسات منها اولى الا ان يعلم غيرها وهذا من هذا الوجه لانه
نفي مع دليل ولانه ينادي عليهم بانحطاط رتبتهم على رتبة البهايم ويوذن بان معلومه من اجل
المعلومات ولذلك لا يعلمون وهذا الاخير هو الاصل والباقي موبد واذا قيل لهم امنوا
هو عن الافساد ثم امروا بالسلوك الى سبيل الرشاد وبدي بالنهي عنه لانه الاهم وهو ترك
والترك اسهل من اتيان المامور به فكان في ذلك تدريج لهم كما امن الناس كما امن في محل
النصب على المصدرية وهو في الحقيقة صفة مصدر محذوف اي ايمانا مثل ايمان الناس واللام في
الناس للجنس اما لانهم كاملون في الانسانية من باب ذلك الكتاب واما لان غيرهم ليس بناس حقيقة
لقصورهم وانحطاطهم عن رتبة الانسانية بل عن رتبة البهيمية وفي الاولى نظرا الى كمال المومنين وفي
الثاني الى قصور غيرهم على نحو اذ الناس ناس والزمان زمان وهذا ابلغ في هذا المقام ولا دلالة فيه
على قبول توبة الزنديق لان النفاق غير الزندقة كيف ويقتل الزنديق غير المنافق ولم ينقل احد
ان عدم قتله عليه السلام المنافق دلالة على عدم قتل الزنديق ثم ان دلالة التقييد على نفي افراد
الايمان تفاوتا بالكمال والنقصان لا على ان الافراد باللسان وحده ايمانا قالوا انومن الاستفهام
للانكار كما امن السفهاء لما كان المامور به مشبها اتوا بانكارهم مشبها واللام للعهد والاشارة الى
الى الناس والسفه خفة في البدن او في الفعال يقتضيها نقصان العقل والحلم وذاته في البدن
يقتضيها وفور العقل نصحوهم بامرين تقبيح ما هم فيه لاذائه لهم الى الفساد والفتنة وتبصيرهم
طريق الهدى والصلاح فما كان جوابهم الا ان سفهوهم وادعوا الصلاح فيما كانوا عليه بجهلهم
المركب وتماديهم في غيهم وافراطهم في السفه واعتقادهم ان ما هم عليه هو الحق وان ما عليه
المومنون هو الباطل وكانوا عندهم سفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون رد على وجه المبالغة
في تجهيلهم فان الجاهل الجازم على خلاف ما هو الواقع اتم جهالة واعظم ضلالة من المتوقف المعترف
بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الايات والنذر والتفصيل بلا يعلمون لان تسفيههم العلماء الاعلام
لا يكون الا لغاية السفه والجهل المركب ومعرفة الحق والايمان به وكون المومنين على الحق وكونهم
على الباطل امر نظري لا يتعلق بالحس بخلاف الفساد في الارض ولان ذكر العلم مع السفه وهو
جهل احسن طباقا واذا لقوا الذين امنوا يقول لقيته ولاقيته واستقبلته قريبا منه
بيان لمعاملتهم مع المومنين والكفار وما سبق سبق لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فلا تكرير على ان المعنى

ومن

ومن الناس من يتفوه بالايمان نفاقا للخداع وذلك عند لقاء المومنين ففيه زيادة بيان انهم ضموا
الى الخداع الاستهزاء ولا يتفوهون بالكلمة الا عند الحاجة قالوا امنا واذا خلوا تقول خلوت
به واليه اذا انفردت معه الى شياطينهم والشيطان فيعال من شطن اذا بعد لبعده عن الحق او
فعلان من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل قال الراغب من شاط اذا احترق غضبا والمراد متمردوهم
وشطارهم قالوا انا معكم خاطبوا المومنين بالجملة الفعلية ادعاء لاحداث الايمان اذ
لا يروج عنهم دعوى التحقيق اذ لا تساعدهم انفسهم على ذلك اذ ليس صدق رغبته ولا قوة داع
وشياطينهم بالاسمية مع التاكيد لوجود الامرين بها ونفي الشك والتردد عنهم في كذب قولهم
امنا واستمرارهم على دينهم وموافقتهم ذلك ان نقول ان مقتضى المقام في الاول تجريد
الكلام على جنس المذكور لان التاكيد والتقوية فيه لا يخ عن تذكر لعامتهم باعتبار ان فيه دلالة
على انكار المخاطب وسوء ظنه وهم في مقام التجنب عنه والاحتراز عن مظانه ومقتضى المقام في
الثاني تحليته به لان اظهاره الايمان وموافقتهم المسلمين في ظاهر الاحكام كان مظنة الانكار
المخاطبين ثباتهم على اليهودية انما نحن مستهزءون الهمزة السخرية من سحق عند صاحبه
ولا يخفى عند الهازي استيناف كانهم اعترضوا عليهم حين قالوا انا معكم فقالوا فما لكم توافقون
فقالوا انما نحن مستهزءون مقدما له لان الاستخفاف بالنبي انكار له ودفع للاعتداد به ودفع
نقيض الشي تاكيد لثبوته او ان يكون بدلا لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر والاول
اوجه الاوجه لزيادة الفايدة وكون المحرك للسوال اغنى قوله انا معكم في غاية الظهور
الله يستهزئ بهم يقال هزئت واستهزئت كجوابت واستجبت والصحيح ان الاستهزاء
ارتياد الهزء وان كان قد يعبر وكذا الاستجابة في الاصل معناها محاولة الاجابة وان
كان فيه يجري مجراها كذا قال الراغب لما ذكر استهزاءهم المومنين استانف الكلام اظهارا
للسخط وانما قال يستهزئ ليدل على دوام تجدد الاستهزاء وقتا فوقتا وفي الجملة الاسمية
والخبر الفعل مع المعنى المذكور يقوي الاشعار لتكرره والتخصيص اي هو الذي يتولى الاستهزاء
بهم خاصة الاستهزاء الابلغ الاقوى الذي يكون استهزاؤهم بالنسبة اليه كلا استهزاء ولا
يخرج في المومنين معارضتهم لهم ذكر هذا العدم الداعي الى الحذف بخلاف فيما تقدم فان فيه
باعثا لفظيا وهو المحافظة على الفاصلة وداعيا معنويا وهو تحرجهم من ابلاغ المومنين
وابقاء اللفظة محتملا ليكون لهم مجال التوجيه عند الحاجة اليه والمعنى انه تعالى عاملهم في
الدنيا على وفق معاملتهم فانهم اظهروا الايمان وفي باطنهم النفاق والله تعالى اظهر لهم في
الحال الايمان وعاقبهم الاحراق بالنيران وعلى هذا يكون الكلام المذكور من قبيل الاستعارة
التبعية وقيل ان معناه يجازيهم في الاخرة جزاء استهزائهم والعرب تسمي الجزاء باسم الابتداء
قال عمرو بن كلثوم الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا وفي القران

وجزاء سيئة سيئة مثلها وهذا توسيع مخصوص غير المشكل وقيل انه تعالى يطلع المؤمنين على
المنافقين من الجنة فيقولون لهم أتحبون أن تخرجوا من النار وتدخلون الجنة فيقولون نعم فيفتح
لهم الباب من النار فيقصدون اليه فيغلق عليهم ثم يفتح باب فيقصدونه فيغلق ولا يزال
يفعل بهم مثل ذلك والمؤمنون يضحكون منهم قال الله تعالى ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا
يضحكون الى أن قال الله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وعلى كون التجوز في اسناد
الاستهزاء الى الله تعالى ويمدهم من مد الجيش وأمده اذا زاده وألحق به ما يقويه ويكثره
لا من المد في العمر فانه يتعدى باللام كأملى له والحذف والايصال خلاف الاصل فلا يصار
لا بدليل وهذا خلافه وهو قراءة في طغيانهم الطغيان بالضم والكسر تجاوز الشيء
حده ومكانه والمراد غلوهم في الكفر وتجاوزهم عن الحد في الضوء وانما أضيف اليهم لانه
أريد الطغيان الذي عرف لهم واشتهر بصدوره عنهم فلا اضافة اليهم على أن نعلم يعمهون
في محل النصب بالحال من مفعول يمدهم وفاعل طغيانهم والعمى في البصيرة وهو التحير والتردد
قال الله تعالى ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون أولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى استئناف جار مجرى التعليل لاستحقاقهم الاستهزاء الابلغ والمد
في الطغيان يحتمل أن يجعل مقررا لقوله ويمدهم في طغيانهم يعمهون واستعيرت الضلالة
وهو الجور عن القصد للذهاب عن الحق والصواب في الدين والهدى وقد مر بيان معناه للنور
الفطري والدين القيم الاصلي والاشتراء هو اعطاء بدل لأخذ آخر للاستبدال اختاروا الضلالة
واستبدلوا الهدى فما ربحت تجارتهم الربح الفضل على رأس المال والتجارة تعاطي الا
بالبيع والشرى للربح كناية عن الخسران ونسبته الى التجارة توسعا شائعا قال الراغب الربح
والخسران ينسبان مرة الى صاحب السلعة ومرة الى الصفقة اذا الاستثناء فيه حسن
تلك الكناية التي هي ترشيح الاستعارة المذكورة تظهر في وجه قوله وما كانوا مهتدين
أي لطريق التجارة فانه كناية عن اضاعة الطلبة الاصلية فهي سلامة رأس المال
لان من لم يهتد لطرق التجارة تكثر الآفات في أموالهم ونعم الحرمان أكثر أمواله وقد استبان
من هذا التوضيح انه يشتد من عضدا للترشيح وزيادة كان لاستمرار النفي اعتبارا ولا تم
قيدا او لا في مثل هذا على القرائن مثلهم كمثل الذي استوقد نارا لما بين أوصافهم عقبها
بضرب المثل زيادة في الكشف والتبيين فانه أوقع في القلب وأقمع للخصم الالد فانه يريك المتخيل
محققا والمعقول محسوسا ولشأنه العجيب في ابراز الحقائق المستورة ورفع الاستار عن وجه
الخفيات أكثر قال الله تعالى في القرآن وسائر كتبه الامثال وفشت في كلام رسول الله صلى
الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام والمثل في الاصل بمعنى النظير ثم نقل في العرف
الى القول السائر للمثل مضربه بمورده ولم يسروه ولم يجعلوه مثلا الا لخصوصه نوع من الغرابة

ولذلك

ولذلك لم يغيروه عما ورد عليه ثم استعير للصفة والحال والقصة اذا كانت عجيبة الشأن
وفيها قرابة فالمعنى حالهم العجيب الشأن كحال المستوقد فلا حاجة الى معنى الجميع كما في
قوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار واستوقد من الوقود وهو سطوع
النار وارتفاع لهبها وسين الاستفعال ليس للطلب والسؤال بل للاهتمام والمبالغة في الايقاد
والنار جسم لطيف حار محرق اشتقاقها من نار ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا
فلما أضاءت ما حوله الاضاءة فرط الانارة من الضوء الذي هو النور البالغ القوي
ومصداقه قوله تعالى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وتأليف الحول للدوران
والاضافة وقيل للعام حولا لانه يدور اما متعد وجود مفعول به وما واقعة مفعول
به وحوله ظرف صلة النار مضيئا واما لازم مسند الى ما حوله وما موصوفة أي
أضاءت الاماكن التي حول المستوقد والى النار وما حوله ظرف لغو لاضافة وما زائدة
أو حوله ظرف في موضع القبلة وما موصولة عبارة عن الامكنة والموصول مع الصلة
مفعول فيه وجواب لما اما في قوله ذهب الله بنورهم والضمير الذي وجمعه للحمل على
المعنى وانما لم يقل بنارهم لان في النار شيئين حرارة ونورا والله تعالى اذهب النور وبقي
عليهم الحر المحذور واما محذوف دل عليه ما بعده كما حذف في قوله فلما ذهبوا به لاستطالة
الكلام مع الامن من الالتباس وفي الحذف ايجاز مع الافصاح عن الصفة التي عليها المستوقد
بما هو أبلغ في الدلالة على المعنى من اللفظ وهو العقل كأنه قال فلما أضاءت ما حولها خمدت
فبقوا خابطين في ظلام متحيرين على فوات الضوء خائبين بعد الكدح في احياء النار وما
ذكر استئناف جواب للسؤال عن وجه الشبه لعدم ظهوره أو بيان لجملة المثل واسناده
الاذهاب الى الله تعالى لقصد المبالغة ولذلك عدى الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها
من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله اذا أخذه وما أخذه الله تعالى
وأمسكه فلا مرسل له وعدل عن الضوء الذي هو مقتضى الظاهر الى النور فانه لو قيل
ذهب الله بضوئهم احتمل أن يكون الذاهب ما في الضوء من الزيادة والغرض ازالة
النور عنهم رأسا الا ترى كيف قرر ذلك وأكد بقوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون
فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بالخلوص عن
بمعنى طرح وخلى وفي الظلمات به ولا يبصرون في موضع الحال أو في ظلمات في موضع
الحال فيتعلق بمحذوف ولا يبصرون حال اما من الضمير في تركهم واما من الضمير المستكن
في المجرور وان من ضمن ترك معنى صير يكون ثاني المفعولين في الظلمات ولا يبصرون حال
ولا يجوز العكس لان الخبر لا يكون مؤكدا وقول الشاعر فتركته جزر السباع ينشنه يحتمل
الوجهين لان جزر السباع وان كان معرفة يحتمل الحال كما أن سبق في قوله ولقد أمر على اللئيم

بسيبي يحتمل الصفة وان كان الليم معربة والظلمة ماخوذة من ظلمة اذا منعه لانها تمنع
البصر من النفوذ وتردده فظلماتهم ظلمة الجهل وظلمة الكفر وظلمة النفاق وقيل يجوز ان يراد
بالنار محرية كنار فتنة او حرب وليس بقوي لان الغرض من التمثيل بازا المفعول في صورة المحسوس
ليكون مشاهدا وعلى هذا التقدير يفوت الغرض منه وفي لا انه دلالة على وجود النور شرط
الرؤية الالوان لا لوجودها اذ يمنع الابصار فلا يخرج قوله لا يبصرون يخرجه صم جمع
الاصم النعت من الصمم وهو انسداد حروف السامع ومنه العماء الصما التي ليست مخروقة
وكذا كل فعل كان نصا فما هو خلقة لجمعه الفعل ومثله البكم والعمي وان كان اسما فعلى الافاعل
يجمع كالارنب والارانب والاعجم والاعاجم وان كان نصا مما موافقة في اللسان لا يتمكن
معها ان يعتمد مواضع الحروف عمي من العمى لا عمي في العين وجمعه العمي ومن القلب العمي
وجمعه العمون قال الله تعالى بل هم منها عمون لما سدوا مسامعهم عن الاصافة الى الحق وابوا ان
ينطقوا به السنتهم ويتبصروا الايات بابصارهم جعلوا كانما فصدت مشاعرهم ولم يوجدوا
قواهم وايراد هذه الصفات مع سلامة حواسهم تشبيه بليغ اذ اشرط الاستعارة الاعراض
عن المستعار له صفحا ونسيانه مطلقا وههنا وان حذف المبتدا الذي هو ضمير المنافقين
لكنه في حكم المتقدم المنوي لاستنادة الخبر اليه ونظير قولهم صم اذا سمعوا خبرا ذكرت به وان
بسوء عندهم اذنوا واما قوله اسد وا على وفي الحروب مقامه وفي كونه من هذا الباب نظر فهم
لا يرجعون اي جوابا لان من اشتدت عليه تلك المشاعر لا يمكن ان يرجع جوابا لمن يخاطبه
لا بالعبارة ولا بالاشارة من الرجوع بمعنى الصرف لان الرجوع بمعنى الانصراف فان رجع لازم
ومتعد او كصيب مجرور بمضاف محذوف اي كمثل ذي صيب من السماء صفة في محل
الجر اما تقدير المثل فلا بد منه للعطف على السابق واما تقدير ذوي فلقوله يجعلون اما انهم
والا فنفس التشبيه لا يقتضي تقدير شي اذ لا يلزم في التشبيه المركب ان يكون مما يلي الكاف
هو المشبه بركما في قوله وما الناس الا كالديار واهلها واو في الاصل للتساوي للشك
ثم اتسع فيها فاطلق للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين ومعناها ان قصة
المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما سوا في صحة التشبيه وتثنية التمثيل كشف بعد
كشف وايضاح عقب ايضاح وكما يجب على البليغ في مظان الاجمال والايجاز ان يجمل ويوجه
فكذلك الواجب عليه موارد التفصيل والاشارة ان يفصل ويشبع انشد الجاحظ
يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي الملاحظ خيفة الرقباء والصيب يقال
للمطر والسحاب وفي الاية يحتملهما وتنكيره للتعظيم كتنكير النار في المثل الاول والسما
هذه الظلة وقد يطلق على جهة العرق وهو المراد هنا وتعريفها للدلالة على طباق ذلك
الصيب كالصيب الافاق كلها فان كل فوق سما وامر به ما في صيب من المبالغة من

جهة

جهة التركيب فان الصاد المستعلية والبا مشددة والبا من الشديدة ومن جهة المعنى فان
الصوب فرط الانسكاب والوقوع ومن جهة البنا فان فعيل صفة مشبهة دالة على الثبوت
ومن جهة العارض لان التنكير للتعظيم والتهويل فيه ظلمات ورعد وبرق صفة اخرى
في محل الجر وظلمات مرفوع بفاعلية الظرف بالاتفاق لاعتماده على الموصوف والمعنى في اثنائه
وتضاعيفه وان اريد بالصيب المطر وجعله مكانا للرعد والبرق لانهما في اعلاه ومنحدره
جعلا كانهما فيه بطريق الفوق واستعارة كلمة التلبس المخصوص التشبيه بتلبس الظرفية الحقيقية
والظلمات الكائنة المطر بتتابع القطر والسحاب وسحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وان اريد
به ففيه الرعد والبرق واما الظلمات فما ذكرت بعينها الا للمطر فانه قد يكون وقد
لا يكون والرعد الصوت الذي نسمعه من السحاب عند تحريق الريح اياه وهو من تحريق
الدخان البخار عند اختفائه فيه بتكاثفه والبرق ما لمع من السحاب اذا تحاكت اجزاؤه
من برق الشي اذا لمع ولم يجمع رعد ولا برق وانما كان الجمع من مناسبة لقوله ظلمات
واكثرها مبالغة كما في الحماسة باعارضا متلففا بروقه يختال بين بروقه ورعوده
لكونهما في الاصل مصدرين فانا يريد العينان روعي الاصل واذا اريد الجنسان اي الابل
والارعاد فحقهما الافراد وايضا قصد التهويل المناسب للمقام بقرابة نوعيها المستفاد
من التنكير لا بتعدد افرادهما المستفاد من صفة الجمع يجعلون اصابعهم في اذانهم جملة
استئنافية وذلك انه لما ذكر الظلمات والرعد والبرق على ما يوذن بالهدي والشدة فكان
قايلا كيف حالهم مع ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف ابصارهم ثم قال كيف حالهم مع
ذلك البرق فقيل كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا وصفة للمضاف المحذوف
في محل الجر اي ذوي صيب يجعلون وصح رجوع الضمير الى ذلك المضاف لكونه في حكم المذكور
وفي ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل ومبناها على ان تكون الاصابع بمعناها
لا بمعنى الانامل وفي العدول عن يدخلون وهو الظاهر الى المذكور نوع تقوية لتلك
المبالغة ثم انه كناية عن تمام الحيرة وفرط الدهشة فيستفهم المعنى بلا حاجة الى تنزيل
الكلام عن درجته البليغة حذرا عن منع مطابقته للواقع من الصواعق متعلق بيجعلون
اي من اجلها يجعلون كقولك سقاه من العيمة والصاعقة وصفة رعدته من معها شقة
من نار لطيفة حديدة لا تمر بشي الا اتت عليه لكنها مع حدتها سريعة الخمود للطافتها وهي
تنقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامه او جرم ثقيل يذاب مفرع من الاجزا اللطيفة
الارضية الصاعدة المسماة بخارا دخانا في غاية الحدة والحرارة لا يقع على شي الا نقب
واحرق وينفذ في الارض حتى يبلغ فانطفى ووقف ومنه الحار من الصعق وهو شدة
الصوت وقري من الصواقع وليس بقلب للصواعق عن الاستوا البنا بين المنصرف

يقال صنع الديك وخطيب مصقع ونظيره جيد في جذب وهي في الاصل اما صفة لقصعة
الرعد او للرعد والبا للمبالغة كما في الرواية او مصدرا كالعاقبة والكاذبة   حذر الموت
منصوب على المفعول والموت زوال الحياة   والله محيط بالكافرين   جملة اعتراضية لا محل لها
واحاطة الله بالكافرين مجاز لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط   يكاد البرق
يخطف ابصارهم   كاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه
لكنه لم يوجد اما لفقد شرطه او لعروض مانع والخطف الاخذ بسرعة   كلما اضاء لهم
مشوا فيه   المشي السير السهل واضاء ان جعل متعديا اي اضا لهم ممشى ورجع الضمير في
فيه اليه لكونه ضوئيا ويؤيده قراءة كلما ضا لهم وان كان لازما وهو الظاهر كالظلم وهنا
مشوا في الضوء مطرحه اذ به او كلما انار البرق فانار الطريق مشوا فيه   واذا اظلم عليهم
اظلم غير متعد على الظاهر ويحتمل ان يكون من ظلم الليل ويعضده قراءة اظلم على ما لم يسم
فاعله ومعنى قاموا وقفوا او ثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء
اذا جمد وانما جمع اضا بكلما ومع اظلم باذا لقوة دواعيهم الى مكان المشي والخلاص عما هم
فيه من الشدة والحيرة وخوضهم على ما هم به مشغوفون من السعي والحركة فلا يسعهم
الاهمال وترك الفرصة واما الوقوف فليس كذلك لانه يذمهم للعجز   ولو شاء الله
لذهب بسمعهم وابصارهم بزيادة البا كقوله لا تلقوا بايديكم شاع حذف مفعول شاء واراد
مع حرف الشرط لدلالة الجواب عليه حتى لا يكاد يذكر الا اذا كان مستغربا كقوله ولو
شئت ان ابكي دما لبكيته   اراد ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فاصمهم وفي خفوق الرعد
فاعماهم وفائدة هذه الشرطية التنبيه على انهما معهما سخه وان نعمة الدنيا تفوق نعمة
الاعطا والادلالة فيه على وجود ما يقتضي الجزاء المذكور ولا على تاثير الاسباب مشروطا
بمشيئة الله تعالى والما واما ان الكل واقع بقدرته فالتنبيه عليه بقوله تعالى ان الله
على كل شيء قدير   تقدير لما تقدم والاختصاص للشيء بالموجود وكيف وهو اعم
الاعم يقع على الواجب والممكن والممتنع نص على ذلك سيبويه حيث قال في كتابه ان الشيء يقع
على ما اخبر عنه وخص هاهنا بالممكن بدليل العقل وقرينة القدرة اذ القدرة هي مبدا
الافعال المتضادة على نسبة متساوية والواجب راجح الوجود والممتنع راجح العدم فلا يكن
تساوي الطرفين الذي شرط تعلق القدرة الا في الممكن وكانه قيل على كل شيء ممكن قدير
نعم انه في الاصل مصدر شاء الا ان اطلاقه يمنع مني لا يستلزم الوجود في الجملة لان متعلق
المشيئة قد يكون زوال الوجود وعدم الايجاد واشتقاق القدرة من القدر لان القادر هو
الذي يصح منه الفعل والترك واما الذي ان شاء فعل وان لم يشا لم يفعل فهو المختار ولا يلزم
ان يكون قادرا بجواز ان يكون مشيئة الفعل لازما لذاته وصحة الشرطية لا تقتضي وجود

المقدم

المقدم واعلم ان ما ذكر تتميم للتمثيل بشدة شدة الامر على المنافقين لشدته على اصحاب الصيب
من الحيرة والخوف والدهشة بحيث اذا صادفوا خفقة من البرق انتهزوها فرصة مع خوف
ان يخطف ابصارهم فخطوا خطوات يسيرة فاذا انطوت وانطفأت حبسوا عن الحركة وبقوا
متحيرين خائبين ثم ان التمثيلين المذكورين جاز ان يكونا مفرقين الا ان الاصح الافصح الذي
عليه الفحول من علماء البيان ان يكونا من التمثيلات المركبة لا يتكلف لكل جزء من اجزاء الجملة
الممثل بها فرادى شيئا يشبه به من اجزاء الجملة الممثلة مفرقة كما في قول امرئ القيس كان قلوب
الطير رطبا ويابسا   الذي وكرها العناب والحشف البالي بل يشبه هيئة حاصلة من اشيا تضامت
وتالفت وصارت شيئا واحدا باشياء مثلها من غير مراعاة افرادها والنظر الى تشبيه شيء من هذه
بشيء من تلك فان الغرض تشبيه حال المنافقين في حيرتهم وما خبطوا فيه في الضلالة وشدة
الامر عليهم وخزيهم وافتضاحهم بحال من يكابد شدة امره عند انطفاء ناره بعد ايقادها ورجا
الانتفاع بها والتهدي باضافتها او بحال من اخذته السما في ليلة مظلمة مع رعد وبرق وخوف
من الصواعق والموت   يا ايها الناس   التفت من الغيبة الى الخطاب لان الكلام السابق
كان في تعداد فرق المكلفين وحكايات احوالهم وبيان ما لهم ومناسبته اسلوب الغيبة وا
هذه الاية مصدرة   بامر ونهي   وحق الاوامر والنواهي ان يسلك فيها مسلك الخطاب
خصوصا اذا كان ما كلف به مما فيه مشقة فان فيه جبرا لتلك الكلفة بلذة المخاطبة
والنداء لاحضار الغائب وتنبيه الحاضر وتوجيه المعرض وتفريغ المشغول وتهييج الفارغ
ويا حرف وضع في اصله لنداء البعيد واستعماله هاهنا في نداء القريب لبعده عما خوطب به
معنى وقد يستعمل لنداء القريب الفطن للدلالة على ان الخطاب المذكور بعده معنى به
جدا واما نداء الداعي المتضرع بقوله يا رب مع علمه بانه اقرب اليه من حبل الوريد فلهضم
نفسه واستقصارا واستبعادا من مظان القربة والزلفى واي وصلة الى نداء ما فيه الالف
واللام لتعذر الجمع بين حرفي التعريف وهو اسم يقتضي الى ما يزيل ابهامه من اسم جنس وما
يجري مجراه صفة له جمع تحصل المقصود بالندا وكلمة التنبيه لمعاضدة حرف الندا بتاكيد معناه
ووقوعها عوضا عما يستحقه اي من الاضافة والناس صفة لاي واجب رفعها خاطبهم مقبلا
عليهم بالندا لانه فيه هذا لما يلقيه اليهم من امر العبادة لهم   اعبدوا   وقد مر تفسير
العبادة والامر به يعم افراد المكلفين لان اسم الجمع المحلى للعموم حيث لا عهد وما روي
عن علقمة ان كل ما نزل فيه يا ايها الناس فمكي ان صح فلا يوجب تخصيصه بالكفار وليس المراد
احداث العبادة خاصة بل ما يعم والمواظبة عليها فان هذا هو المناسب للمقام وان كان
الاول هو المتبادر من الكلام البليغ لمقتضى المقام لا لما يتبادر الى الاوهام واعلم ان النبي
صلى الله عليه وسلم بعث بدعوة الكفار الى الايمان وورد في ذلك الى نصوص ثم اخبر ولي

باللام

بعض النصوص بان العبادة لا صحة لها بدونه وبعد هذا امرهم بالعبادة في هذا النص وغيره
وان وان ورد مطلقا من قيد الايمان لفظا لكنه مقيد به معنى بحكم النص وغيره المخبر من
اشتراط صحة العبادات بالايمان وليس في ذلك امر بالايمان في ضمن الامر بالعبادة حتى يكون
ايجاب الاصل تبعا لايجاب الفرع فينافي حكم الاصالة ربكم عبادة الرب صادق بحرها
اذ هو السيد والمصلح ومن كان مالكا او مصلحا احوالا لا العبد جدير ان يعبد ولا اشرك
به ولما امر بعبادته وهي موقوفة على معرفة وجوده ناسب ان يذكر من الاوصاف ما يتضمن
الدليل على وجوده واستحقاق العبادة فقال اعبدوا ربكم الذي خلقكم فالتوصيف المذكور
للتعليل كما هو الاصل في ترتيب الامر بالشيء على الموصوف والموصول وفي التعليل المذكور
باعتبار تضمنه الاشارة الى ما قدمنا قد دل له على الخالق والايجاد الاستحقاق له على العبادة
تعريض للمشركين حيث عبدوا ما لا قدرة له على شيء وقيل على تقدير ان يكون الخطاب للمشركين
يكون الوصف المذكور للتخصيص وهم منشاؤه عدم فهم معنى ربكم فان المعنى المتبادر منه
الرب للشرك فيما بينهم وليس ذلك الا الله تعالى لانهم ما اتفقوا على واحد من معبوداتهم
الباطلة فاذا لا اشتراك في ربكم فلا حاجة الى مخصص واصل الخلق التقدير يقال خلق النعل
فاذا قدرها وسواها بالقياس والمراد ايجاد الشيء على تقدير واستوا والذين من قبلكم
ذكر خلق من قبلهم لانهم اصولهم وخلق الاصول نعام على الفروع وقدم خلق المخاطبين
وان تقدم خلق من قبلهم زمانا لان علم الانسان بحال نفسه اظهر من علمه باحوال
غيره ولانهم الموجهون بالعبادة فتنبيهم اولا على احوال انفسهم اهم واكد وبدا اولا بصفة
الخلق وكانت العرب مقرة بان الله تعالى خالقهم وهم المخاطبون ولك ان تقول اخرجه
مخرج المقر والمعلوم اما لاعترافهم به كما افصح عنه قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله او مبالغة في ظهوره حيث نزل لتمكنهم به باذنى نظر منزلة المعلوم ودخلت
من على الزمان اذ التقدير من زمن قبل زمان خلقكم وقرئ من بفتح الميم على انه خبر مبتدأ
محذوف وهو صدر الصلة كثير الدور في الكلام وفيه تاكيد ابهام يتضمن التنبيه كافية
من التفخيم على ان خلق من قبلكم ادخل في القدرة وعلى هذا تكون موصولة وقبلكم صفتها
ويحتمل ان يكون موصولا مقحما كما اقحم تيم في يا تيم تيم عدي لعلكم تتقون اي
تجعلون العبادة وقايتكم ولعل فيها لغات ولم يجئ في القران الا افصحها وهي للترجي
والاطماع وذلك بالنسبة الى المخاطبين والمعنى اذا عبدتم ربكم رجوتم حصول التقوى
وهي التي يحصل بها الوقاية من النار والفوز بدار القرار فتعلقت جملة الرجا باعبدوا ربكم
وقيل تعلقها بخلقكم ولا يعجبني ذلك لان الذي سيق الكلام لاجله وهو الامر بالعبادة
وذكر الموصول بصلته لما قصد بالتبع فلم يجئ الموصول ويحدث عنه وكذا صلته كيف وهي

لتتميم

لتتميم ما قبلها فلا يناسب ان يتعلق بها ترجي بخلاف اعبدوا ربكم فانها الجملة المفتتح بها اولا والا
والمطلوبة من المخاطبين واذا تعلق باعبدوا ناسب خطاب لعلكم تتقون الذي نصب
على انه صفة ولزوم توسيط الاجنبي بين الوصفين لا يضعفه لانه ادنى من توسيط بين الموصوف
والصفة الواقع في قوله تعالى قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض او رفع عليه او على
الخبرية او بالابتدا وخبره فلا تجعلوا وفيه ضعف لمعنى الصلة فلا يناسب دخول الفاء في
الخبر وللربط بالاسم الظاهر جعل الجعل هنا بمعنى التصيير فيتعدى الى مفعولين ثانيهما
فراشا لكم فيه منة على عباده وفيه تقديمه اشارة الى عزمه عنده وفضيلتهم على باقي
المخلوقات حيث خلق السموات والارض لاجلهم خاصة الارض فراشا الفراش والمهاد
والبساط متقاربة المعنى والمراد ما يفترش وفيه اشارة الى ان الارض لم تخلق مبسوطة
بل خلقت على وضع اخر ثم بسطت كما افصح عنه قوله تعالى والسماء بناء مصدر يسمى
به المبني وانزل عطف على جعل من السماء متعلق بانزل او في موضع الحال فيتعلق بمحذوف
والمعنى من جهة السما لان الاصل الذي لا يعدل عنه ان لا يصادف ان المعرفة اذا اعيدت
تكون الثانية عين الاولى من الابتدا ماء هو جوهر شبا بضاد النار برطوبته وبرودته
وتنكيره للتنويع يعني انزل من السماء نوعا من الماء فيه اشارة ان في ذلك الجنس ما لم ينزل من السما
وهو ما يحدث في الارض بطريق الانقلاب من الهواء وغيره فاخرج به الخروج في الاصل
الانفصال من المحيط الى الخارج ويلزمه الظهور وانما عطف على ترك بحرف التعقيب وان كان
متراخيا عنه بسرعة خروج النبات بالمطر كانه لم يتخلل بينهما زمان تصويرا لشدة تاثير قدرته
تعالى وفيه توسيط الاسباب حكم ليست في الانشا بعينه ثم انه تعالى جعل بلطفه منافع السما
متصلة بمنافع الارض فان اكثر ما يخرج من الارض مما ينزل من السما وهو ما يحدث في الارض
بطريق الانقلاب ليعلم ان منشاها واحد لانه لو كان منشا هذا غير الاخر لم يتصل منافع
هذا بغير الاخر على بعد ما بينهما ولتوهم خلاف احدهما الاخر فلما دل هذا على ان منشاها واحد
لا شريك له فلا تجعلوا لله اندادا من الثمرات الثمرات اصلها الزيادة والنماء يقال ثمر الله
ماله اي زاده وكثره وحمل الشجرة يسمى ثمرة لهذا وجمع ثمر بحذف الهاء هي للتوحيد ثم ثمار
كالبلد يجمع بلادا ثم الثمار على الثمر كالحمار يجمع على الحمر وهذا مجموع تكثير وجمع السلامة هو
الثمرات والمراد هنا الماكولات كلها من الحبوب والفواكه وغيرها مما يخرج من الارض والشجر
وقد بسط الله ما اختصره في هذه الاية في اية اخرى فقال وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به
نبات كل شيء فاخرجنا منه خضرا يخرج منه حبا متراكبا وهو قوله تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر واتوا
حقه يوم حصاده صريح في عموم الثمرة لان الحصاد انما يكون للزرع واللام لتعريف الجنس وانما
جمع الاختلاف انواعه ثم ان جمع التصحيح انما يكون القلة اذا لم يعرف باللام فلا حاجة الى ان يقال

ان المجموع بتعاور بعضها في موضع بعض ومن للتبعيض فان ما يصلح رزقا انما بعض
الثمرات المخرجة ولا يصلح للتبيين اذ لم يتقدم ما يبين رزقا مصدرا فيكون مفعولا له ويحتمل ان
يكون مرة وقا فينتصب على الحال وعلى الاول يكون الكاف في لكم مفعولا به واللام مقوية
لتعدي المصدر اليه وعلى الثاني يكون في موضع الصفة فيتعلق اللام بمحذوف اي كائنا لكم
لا يمتنع عكس ذلك ويجوز ان يتعلق باخرج فلا تجعلوا لله اندادا ند الشيء مشاركه في
الجواهر وذلك ضرب من المماثلة فان المثل يقال لمن اي مشاركة كانت فكل ند مثل ولا ينعكس
ولما كانوا اتخذوا اندادا جا النهي عن جعل الانداد لله تعالى على حسب الواقع والاظهر النهي
ان يتعلق بجعل ند له تعالى وهذه الجملة متعلقة بالذي ما جعلت الا على خبر مبتدا محذوف اي
هو الذي من عليكم بانواع النعم العظام دون خلق السماء سقفا مرفوعا وجعل الارض
فراشا موضوعا واخرج النبات بالمطر رزقا مجموعا فلا تجعلوا لله اندادا وانما عدل عن الطم
لعنا عليهم بان جعلهم له اندادا جعل الانداد لذات موصوف بصفته لا شريك له فيه فاي
الشركا ويجوز ان يكون متعلقا بقوله اعبدوا ربكم والفا للسببية اي بسبب عن ايجاد هذه
الايات الباهرة كل منهما عن اتخاذكم الانداد لذات موصوف بصفة ولولا هذا الاعتبار لكان
الانسب عطفه بالواو كما في قوله تعالى اعبدوا الله ولا تشركوا ويجوز انعام على الفروع وقد
خلق المخاطبين وان تقدم خلق من قبلهم زمانا لان علم الانسان بحال نفسه اظهر من
علمه باحوال غيره ولانهم المواجهون بالعبادة فنبههم اولا على احوال انفسهم اهم واكد ويدا
اولا بصفة الخلق اذ كانت العرب مقرة بان الله تعالى خالقهم وهم المخاطبون وللثان
تقول اخرجه مخرج المفرد المطلق من ما لا اعترافهم به ان يكون نفيا منصوبا باضمار ان على جواب
الامر كما في زرني فاكرمك لا يقال شرط انتصاب المضارع باضمار ان في جواب الامر وهو كون
الاول سببا للثاني منتف بها لانه يجوز ان يكون يكتفي بسببه الاول للاخبار لمضمون الجزا في
قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وانتم تعلمون اي والحال انتم من اهل العلم على ان تعلمون
من الافعال المنزلة منزلة اللازم فلا يقدر له مفعول ويجوز ان يقدر له المفعول على ان المعنى
وانتم تعلمون امتناع الند وانها لا تفعل مثل هذه الافعال وعلى هذا فالمقصود منه توبيخ
والتنبيه على قبح فعلهم لان مرتكب القبيح مع علمه بقبحه اعظم جرما لا يفيد الحكم ويحتمل
فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكليف وانما خصصنا التوبيخ بالوجه الاخير
لان الظاهر ان المراد على الاول لترك الانداد ووجه ذلك ان التلطيف بعد التغليظ ادخل
في الاسماع لداعون على الاصغا من التغليظ بعد التغليظ الا كيف وصار رسوله اذا ارسل
الى عدو وقال فقولا له قولا لينا وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من
مثله لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل الى العلم عقبه بذكر ما هو حجة على نبوة

محمد

محمد عليه الصلاة والسلام وهو القران المعجز بفصاحته وعرف مما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه
من عند الله ثم انه سلك مسلك الاطناب حيث لم يقل وان اوتيتم شرفا للكلام على وفق حالهم
وتنبيها على نوعلهم في الارتياب واستمرارهم على ذلك واستقرارهم فيه وتضمينا للنعي عليهم حيث
بلغوا النهاية فيما لا يجوز لاولي الالباب للوقوع في بدايته وحمل هذا الا لنهاية العبارة والغو
والى بكلمة الشك مع تحقق الارتياب على خلاف الظاهر تكميلا للنعي عليهم بتنزيل حالهم المحقق
منزلة المقدر للتنبيه على مثل ذلك الحال حقيق بان يعبد من قبل ما يفرض كما يفرض المحال
والتنكير في ريب للتحقير وفيه دليل على ان وضوح الاعجاز في المنزل المذكور بلغ الى حد لا ينبغي
ان يفرض فيه ريب الا على وجه القلة ومن يحتمل ابتداء الغاية والسببية وما موصولة اي
من الذي نزلنا والعائد محذوف اي نزلنا وتضعيف نزلنا بمنزلة همزة النقل ويؤيده قرا
انزلنا ولا دلالة فيه على نزوله منجما في اوقات مختلفة لان مبناه على ان يكون التضعيف للتكثير
وذلك في التقدير نحو خرجت وقطعت ولا يكون في اللازم الا نادرا نحو قولهم مات المال وموت
اذ اكثر ذلك وفيه حينئذ لا تجعله متعديا كيلا يلزم الجمع بين معنى التضعيف وذلك غير
جائز وفيما نحن فيه لا بد من معنى التعدية فلا يحتمل الارادة معنى التكثير والتغيير بما نزلنا دون
القران للتنبيه على ان الريب باعتبار ذلك الوصف والعبادة لما كانت اشرف الخصال والتسمي
بها نفس الحظ لا تدعيه الانبيا عبدها فانه اشرف اسماي تسمي يزيد عبدا او اضافة الى نفسه
تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لامره لا يخالفه فكانه يقول على الرسول الذي
كلما يبلغه من عندنا وقد شاركه عليه السلام في ذلك التشريف بعض الانبيا عليهم الصلاة
والسلام انما اختصاصه عليه السلام بتسميته بالعبد المطلق فانه لم يسم غيره الا بالعبد
المقيد باسمه كما قال واذكر عبدنا داود واذكر عبدنا ايوب وغيرهما وذلك لان كمال العبودية
في الحرية عما سوى الله تعالى وهو مختص بهذه الكرامة كما اثنى الله تعالى عليه بذلك اذ يغشى
السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى فلما اختص بهذه الحرية اكرم باسم العبد المطلق كما قال
تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى وقري على عباده كما يعني النبيين الذين انزل عليهم الكتب وفيه تنبيه
على ان من شك في القران مع ظهور اعجازه فهو شاك في سائر الكتب الالهية ايضا حقيقة او حكما
ويجوز ان يراد من اخبى بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبشر بمجيئه من الانبيا كموسى وعيسى عليهما
السلام والامر في فاتوا للتعجيز كما في قوله تعالى فات بها من المغرب والفا لانه جواب الشرط
ويدونها يقال اتوا الالف مجتلبة والهمزة صارت يا لكسرة ما قبلها وسقطت همزتها كما هي
التقاء الهمزتين وتثبت اليا كتابة في قوله فاتوا وفي قوله فاتوا لتعذر الفصل بين الفا
والكلمة وكذا بين ثم اتوا لانه يوقف على ثم ويبتدا اتوا ولا يثبت في قوله فاتوا وفي قوله
واتوا لتعذر الفصل بين الفا والكلمة وكذا بين الواو وبينهما والسورة ماخوذة من قولهم

سار يسور اذا ارتفع ويسمى الجدار المحيط بالمدينة سورا لارتفاعه فالسورة من القران بمجموع
اياتٍ مفصلة ارتفعت وعلت وظهرت وصارت كالعلم في تمايزها لساير السور وهي
باطلاقها تتناول اقصر السور وهي في القران سورة الكوثر وهي ثلاث ايات قصار وهي
ابلغ الزام واتم قطع لاهل الخصام فقد كان التحدي اولا بالاتيان بمثل كل القران
بقوله فاتوا بحديث مثله ثم اخبر عن عجزهم عن ذلك قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان
ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ثم بعشر سور مثله بقوله قل فاتوا بعشر سور مثله
ثم لما ظهر عجزهم عنها ايضا بجراهم بسورة من مثله وقد عجزوا عن ذلك كله من مثله في
محل الجر صفة لسورة اي سورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا والمعنى ان كنتم في شك مما
القينا على عبدنا لحسن استعداده في كمال العبودية بانعام الوحي ومنه نعمة القران في انه من
عندنا زاعمين ان معارضته بايراد المثل مقدور للبشر في زعمكم وقد افصح من هذا المعنى في التحدي
بعشر سور ولولا القصد الى هذا لكان الظاهر ان يقال فاتوا بمثل سورة منه ورجوع
الضمير للمنزل عليه ولا يساعده المقام ولا الكلام فلما عرفت فيما تقدم ان مقام توسيع دائرة
التحدي حيث تنزل التحدي بكل القران الى التحدي بسورة فلا يناسبه التضييق باشتراط
ان يكون الاتي به اميا في هذه السورة دون السور السابقة واما الثاني فلان قوله
وادعوا شهداءكم من دون الله   في معرض وادعوا من استطعتم من دون
الله ان كنتم صادقين فهو امر بان يستعينوا بكل من يعينهم في ذلك فعلى هذا الوجه لا اشتراط
المذكور وايضا لا بد من اعتبار قيد المماثلة بين الترك والمامور باتيانه وعلى تقدير عود
الضمير المذكور الى المنزل عليه يلزم ان يكون الكلام خلوا عن ذلك القيد المهم والشهداء
جمع شهيد معناها على قال ابن عباس واعوانكم لان الشاهد كالعون للمدعي في استخراج
حقه والمراد من الدعا استصراخ وكلمة دون لها معان والمراد ههنا معنى غيره وهي في
الاصل اسم ولهذا دخله الخافض وخفضها ولكنها تستعمل استعمال الحروف مفردة
على اللام الذي هو للتعريف والتنوين الذي هو للتنكير وهما من خصايص الاسما لانها تفيد
المعنى في غيرها كالحروف فاجريت مجراها لذلك   ان كنتم صادقين   في زعمكم السابق
ذكره والصدق الاخبار المطابق للواقع وهذا اذا كان وصفا للمتكلم واما اذا كان وصفا للكلام
فهو الخبر المطابق للواقع واما اذا كان الامر المذكور امرا لكم وتعجيزا اخبرا لهم ليس قادرين
على اتيان بامر المامور به بقوله   فان لم تفعلوا ولن تفعلوا   لما ارشدهم الى دليل تبين
بقول النبي صلى الله عليه وسلم وصدقه وكون ما جاء به حقا صرح بنتيجته لاستلزام نفي
اللازم وهو امتناع معارضته نفي الملزوم الذي هو انتفاء الريب فلزمهم تصديقه والايمان
والا استوجبوا اشد العذاب وانما اورد الفعل في موضع الاتيان لانه ما من شيء من الاحداث

الا ويصح ان تعبر عنه وذلك لما ذكره الراغب ان معناه اعم من ساير اخواته نحو العمل وا
والاحداث فالمعنى فان لم تاتوا بسورة من مثله ولن تاتوا بسورة من مثله ولا يخفى ما فيه من حسن
الايجاز واتى بكلمة ان دون اذا مع تحقق الشرط اما تهكما بهم واما بناء على ظنهم قبل ظهور العجز
عن المعارضة ولم كلمة نفي تدخل على المستقبل فكان فيه اشارة الى انقلاب حال المخاطبين
ولا محل لقوله   ولن تفعلوا   الا انه اعتراض قبل تمام المرام وهو من محاسن الكلام اثارة لهممهم
ليكون عجزهم بعد ذلك ابلغ ومعناه لستم بفاعلين ذلك ابدا لان لن لتاكيد النفي في المستقبل
فيشارك لا في نفيه ويباينه في التاكيد والتشديد واختلف في اصله فقيل لا ان وقيل لا
ابدلت الفه نونا والظاهر انه حرف مقتضب براسه كما هو في قول سيبويه واحدى
الروايتين عن الخليل قيل فيه دليل نبوته عليه السلام وحيث اخبر عن الغيب على ما هو فيه وفيه
انه من باب الكرامة والاختصاص لها عندنا اهل الحق بالانبيا عليهم السلام واما الاستدلال بعدم
كونه عليه السلام شاكا في امره فمما لا وجه له لانه مبني لا لنه على صحة دعواه على ثبوت
عصمته عن الخطاب ولو ثبوت نبوته باثباته به مصادرة   فاتقوا النار التي وقودها
الناس والحجارة   جواب الشرط وكفى به عن ترك العناد وتقريرا للمكني عنه وتهويلا لشان
العناد وتصريحا للوعيد مع الايجاز وذلك ان من عاند بعد وضوح الحق له استوجب العذاب
بالنار واتقاء النار من نتاج ترك العناد والنار هي نار جهنم وقيل النار مجاز عن العناد وهذا
اشد تهويلا لما فيه من ابراز العناد في صورة النار بخلاف الاول فان النار حينئذ على حقيقتها والتهويل
انما جاء في انابة اتقاء النار مناب ترك العناد ثم ان الامر بالاتقاء ابلغ من الامر بالترك في النهي عن
ملابسة العناد وتعريفها بناء على ان تلك النار كانت معلومة للمخاطبين بسماعهم من النبي صلى الله
عليه وسلم بالذات او بواسطة المؤمنين وايضا هذه الاية مدنية فنزولها بعد نزول قوله تعالى
نارا وقودها الناس والحجارة لانها مكية وصح تعريفها لكونها معروفة قبل ذلك ضرورة ان المكيات
لنزولها قبل الهجرة مقدمة على المدنيات النازلة بعدها ولتفظيع شان العناد هول وصف
النار بقوله وقودها الناس والحجارة وكون الصلة معلومة انما اشترط في غير مقام التفخيم
والتهويل الا ترى الى قوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى والوقود بالفتح ما توقد به النار
وبالضم التهابها فهو مصدر والاول اسم وقد جاء المصدر بالفتح والاسم بالضم وقرئ بهما والظاهر
المناسب لبلاغة القران يكون المراد به المصدر على ان المجاز عقلي فان الغرض المبالغة في التهويل
بل يجعل على وجه اتم والحمل جمع وفي المصير الى حذف المضاف تنزيل لبيان التنزيل والناس
ههنا هم الكفار والحجار جمع حجر كالجمل والجمالة وهذا جمع على غير قياس والقياس فيه الاحجار كالشجر
والاشجار وقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما على ما اخرجه ابن جرير في تفسيره وعن ابن مسعود
على ما اخرجه البيهقي في البعث والنشور انها حجارة الكبريت وانما خصت من بين انواع الاحجار لانها

اسرع وقودا وابطى خمودا وانتن ريحا واكثر دخانا واشد حرا والصق بالبدن والظاهر ان المراد
بيان الواقع لا تفسير المراد ههنا من لفظ الحجارة فلا يتجه انه تقييد للمطلق بغير دليل فبقي على
اطلاقها فلا يفوت ما قصد به من تهويل شان تلك النار وتفاقم لهبها حيث تتقيد بما لا يتقيد به
غيرها واما احتمال ان يراد بها الاصنام وما بالعموم المستفاد من قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون
الله حصب جهنم لان بعض ما عبدوه ليس من جنس الحجر ومعنى وقودها الناس والحجارة ان تلك
النار لا تتقد الا بها اعدت ان الاعداد وهو التهيئة والارصاد واكثر استعماله في الوجود
وقد يستعمل فيما هو في معنى الوجود كما في قوله تعالى اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما فلا دلالة
في الاية على ان النار مخلوقة الان كما هو مذهب اهل الحق ليست بقوية للكافرين ختم بما وقع في
البدو اي اتقوا الكفر الموجب للنار فانها اعدت للكافر والجملة استيناف يؤيده عطف وكسر على
لفظ المبني للمفعول به وقيل صلة بعد صلة بلا عاطف بينهما على قياس ما يقع في الاخبار والصفات
ويؤيد قوله تعالى في سورة ال عمران واتقوا النار التي اعدت للكافرين واما العطف بترك العاطف
فتجويزه يؤدي الى الناس في مواضع الفصل والوصل ولا دلالة لام الاختصاص على ان اعداد تلك النار للكفار
ولا يلزم من ذلك اختصاصها بهم كما لم يلزم من اختصاص اعداد الجنة للمتقين ان لا يدخلها غيرهم
فلا حاجة الى ان يقال ان النار التي وقودها الناس والحجارة هي للكفار خاصة ولغيرهم نار غيرها وبشر
الذين امنوا البشر في اللغة اسم لخبر يغير بشرة الوجه مطلقا سارا كان او محزونا الا انه غلب
استعماله في الاول وصار اللفظ حقيقة له بحكم العرف حتى لا يفهم منه غيره واعتبر فيه الصدق
على ما نص عليه في الكتب الفقهية فالمعنى العرفي للبشارة الخبر الصدق السار الذي ليس عند
المخبر به علم والمامور به التبشير على قراءة بشر على لفظ البنا للفاعل على الرسول عليه السلام ولا
وجه للتعميم على كل من يقدر على البشارة من غير تعيين لما عرفت ان مراد البشارة على الصدق في
حقها ان يكون المبشر صادقا ومصدقا فكانه ما الكل في امر البشر على كل قادر على ذلك بل نص
على اعظمهم واصدقهم ليكون ذلك اوفق عند المبشرين واقطع في الاخبار بهذا الشان العظيم الجليل
وفيه من التعظيم لامر البشارة للمومنين ما لا يخفى والجملة معطوفة على ما قبلها عطف قصة
على قصة بينهما جهة جامعة بحيث يقتضي ذكر احدهما بذكر الاخرى توفيه بحق الكلام ورعاية لما
يقتضيه المقام وذلك ان قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم خطاب عام يشمل الفريقين الموافق
والمخالف ثم ان قوله وان كنتم في ريب مختص بالفريق الاول ومضمونه الانذار وان قوله وبشر
الذين امنوا مختص بالفريق الثاني ومضمونه البشارة كانه اوحي اليه عليه السلام ان يدعوا
الناس قاطبة الى عبادته وتوحيده وتصديق رسوله ثم امر ان ينذر من ابى دعاءه ويبشر من اتى
وعبد وهذا المعتمد وقيل معطوفة على مقدر بعد اعدت اي فانذر الذين كفروا بتلك النار
وبشر الذين امنوا وعلى هذا تكون الواو فصيحة كما في قوله تعالى واهجرني مليا اي فاحذرني واهجرني

البشارة

وقيل

وقيل معطوفة على قل مقدرا قبل يا ايها الناس اي قل كذا وكذا وبشر المومنين ولا نبا عن ذلك قوله
وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فانه قد جاء في كلامه في غير موضع منها قل من كان عدوا لجبريل
فانه نزله على قلبك قالوا كان حقه على قلبي لكنه جا على حكاية كلام الله تعالى كانه قال قل ما تكلمت
وجوز ان تكون معطوفة على قوله فاتقوا على انه ليس جوابا للشرط بل هو محذوف وهذا مرتب عليه
فعلى هذا يكون تقدير الكلام اذا تبين عجزكم عن المعارضة فقد صح عند المعاند والموافق صدقه
واذا كان كذلك فاحذروا ايها المعاندون العقاب وبشر يا محمد المصدقين بالثواب وعطف
الامر المخاطب على الامر المخاطب اخر مما اخطا في منعه النحاة لوقوعه قطعا في قوله تعالى يوسف اعرض
عن هذا واستغفري لذنبك وتقف على تتمة هذا الكلام في تفسير قوله تعالى فان خفتم ان
لا يقيما حدود الله وعملوا الصالحات نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم وهي ما ورد به
الامر ايجابا او ندبا من الاعمال وتانيثها على الخصلة تاويل الخصلة والتعريف للجنس لم يرد
بالصالحات جنس الجمع بل جميع الجنس باعتبار التوزيع واللازم منه ان يعمل كل مكلف
ما يختص به من مواجب التكليف كما في لبس القوم ثيابهم ودخلوا مساجدهم لا ان يعمل كل
واحد منهما كيف ما كان وفي مقارنة الايمان والعمل الصالح في القرآن ايذان بانهما كالمتلازمين
في توقف مجموع النجاة والثواب عليهما وهذا لا ينافي لكونهما مجرد عن العمل الصالح في القرآن منجيا
ثم ان بشر يتعدى الى مفعوله بنفسه والى اخر بحرف الجر وهو قوله لهم جنات وحذف
منه الجر وهو في موضع نصب على مذهب الخليل والا في موضع جر وهو ابن مالك قاله
في التسهيل وهو قليل الامام بكتاب سيبويه واللام للاختصاص لا ان التخصيص بفضل
الله تعالى لا بالاستحقاق الذاتي والمختص لهم منازل عالية في دار الثواب لا الدار نفسها
حتى يشكل بالنصوص الداله عدم اشتراط العمل في الدخول لذلك قال جنات دون الجنة فانها
علم لتلك الدار حمل الجنات على الجنات الثمانية مقابلة الجمع بالجمع لا معنى لها الانقسام والتوزيع
وقد روعي ذلك في قرينتها السابقة ولا مجال لرعايتها ههنا لعدم العهد في تنويعها ثم ان ذلك
الاختصاص مشروط بلامة العاقبة لان الاعتبار للخاتمة على ما افصح عنه قوله تعالى ومن يرتدد منكم عن
دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم واما الاستمرار على الايمان المقارن بالعمل الصالح فليس بشرط
والجنة في الاصل المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب على ذلك سمي به الشجر المظلل لالتفاف
اغصانه وسترها تحته ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيه من الجنان والمراد
الغرف وهي المواضع العالية والمنازل الرفيعة من بساتين الجنة على ما افصح عن ذلك في قوله تعالى الذين امنوا
وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار خالدين فيها فان القران يفسر بعضه
بعضا وتنكير الجنان للتعظيم اي جنات لكنه وصفها ثم اكده بالاوصاف الغريبة ويجوز ان يكون المراد جنات
شتى مرتبة في مراتب بحسب طبقاتهم ودرجات اعمالهم وعلومهم واخلاقهم تجري من تحتها الانهار الضمير

للجنات يعني من تحت تلك الغرف هو وفيه تنبيه على انها منازل عالية وقد جاء في الاثار ان الجنة درجات
والنار دركات والنهر بالفتحتين وبالسكون المجرى الواسع والمراد الانهار المعهودة المذكورة
في قوله تعالى فيها انهار من ماء غير اسن الاية فان الاصل في التعريف العهد لا يعدل عنه الا عند
التعذر ولا تعذر هنا اذ لا حاجة في ثبوت العهد الى سبق نزول تلك الاية فان المخاطب بتبليغ البيان
وهو النبي عليه السلام يكفي علمه بها من الله تعالى وفي البيان بقوله من ماء دلالة قاطعة على ان المراد
ماء الانهار على التجوز فيها او الاضمار   كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا   صفة ثانية لجنات او خبر
مبتدأ محذوف اي هي او جملة مستأنفة على تقدير سؤال يختلج في ذهن السامع اثمارها مثل ثمار
جنات الدنيا ام اجناس اخر فقيل من جنسها ومن الاولى لابتداء الغاية وكذا الثانية واقعتان موقع
الحال ورزقا مفعول ثاني يعني المرزوق واصل الكلام ومعناه كل حين وثمرة رزقوا مرزوقا مبتدأ
من الجنات مبتدأ من الثمرة قيد الرزق المطلق بكونه من الجنات ثم المقيد بكونه من الجنات قيد
بكونه مبتدأ من اي ثمرة من ثمارها وصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن
في الحال ويجوز ان تكون الثانية للتبعيض اي رزقوا من تلك الجنات بعض الثمرات على انه مفعول
ثان ورزقا حال او نصب على المصدر وليس المراد من الثمرة الواحدة بالشخص وانما المراد النوع
الواحد من انواع الثمار يقال فلان ادركت ثمرة بستانه والمراد الجنس ويجوز ان يكون بيانا كما يقول
رايت منك اسدا اي انت اسد وعلى هذا يصح ان المراد بالثمرة النوع والجنات الواحدة   قالوا هذا
الذي رزقنا من قبل   اي من قبل هذا في الدنيا والقول جملة تشبيهية لقوله واتوا به متشابها
اي هذا مثل الذي او كالذي رزقنا من قبل حذف حرف التشبيه لاستحكام الشبه كان ذاته ذاته
وانما جعل ثمار الجنة من جنس ثمار الدنيا لتميل النفس اليها اول ما رأت فانه لو لم يكن من جنسها لانكر
ان ينفر منها طباعه ولعافتها نفوسهم في اول الوهلة وبادي النظر وهذا لا ينافي التذاذهم به فوق ما
التذوا به والفوق مع ما كان معهودا لهم قدرا وبينه وبين ما عهدوه تفاضلا بينا وتفاضلا عظيما
عن فوائد النعمة وحقها وبلغ استلذاذهم واستحسانهم له الى ما لا يمكن وصفه لكونه نعمة غير
مترقبة ولو كان من جنس اخر وان فاق وبلغ غاية الحسن وراوا وحسبوا ان ذلك الجنس لا يكون الا
كذلك ولم يتم في انفسهم تلك النعمة وتكرارهم هذا القول واستيثاقهم عند كل ثمرة يرزقونها دليل
على تناهي الامر في الفضيلة والمراد به ان ذلك الفرق البين والتفاوت العظيم هو الذي
يستدعي تعظيم بذلك ويستنطقهم ويستهلهم فرحا وحبورا ولا يدعهم يقروا ويسكنوا بل
يستفزهم لذة وسرورا وعن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها كلما نزعت منها ثمرة عادت
مكانها اخرى انهارها تجري في غير اخدود والضمير في به يجتني يرجع الى المرزوق في الدنيا
والاخرة لاشتمال الكلام عليهما كقوله ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير
ولو رجع الى المذكور لقيل اوتي به ويجوز ان يكون المعنى من قبل هذا في الجنة لان طعامهم متشابه

الصور

الصور كما يحكى عن الحسن يؤتى احدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالاخرى هذا الذي رزقنا من قبل
فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعلى هذا يرجع الضمير الى الرزق المطلق كما ان هذا
اشارة اليه ولا يخفى ان الوجه هو الاولى لعدم المساعدة في نكتة كلما للاخير والجملة اعتراض ضمنه
كقوله تعالى وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون والواو في   ولهم فيها ازواج مطهرة
عاطفة الجملة من تتمة وصف ثواب المؤمنين ومطهرة بالتوحيد ومطهرات بالجمع لغتان
فصيحتان في وصف ازواج لكونه جمع التكسير وان كان جمع المؤنث الحقيقي بخلاف لو قال
زوجات لسلامة الواحد فلم يجز الا مطهرات كانه قال جماعة ازواج مطهرة وبناه
للمفعول للتعظيم اذ فهم ان لها مطهرة وليس الا الله تعالى فتكون طهارتهن اعظم من كل
طهارة فان قيل هذا معارض بان فيه اشعارا بسابقة التلوث مما يستقذر والكمال في
كون الطهارة خلقة قلنا نعم كذلك الا ان الاول ارجح لكونه ادخل في البلاغة لما فيه من
تعظيم المؤمنين وهو المناسب للمقام ورعاية جانب من سيق له الكلام وتطهيرهن من
الاوصاف القبيحة في الخلق والخلق لما كانت مجامع اللذة في المسكن البهي والشرب الروي
والمطعم الشهي والمنكح الوضي ذكرها تعالى فيما يبشر المؤمن وبدأ بالمسكن لانه الاستقرار
ثم بالازواج لانها تمام اللذة وذلك ينتقص بخوف الزوال فنفاه بقوله   وهم فيها
خالدون   الخلد البقاء الدائم الذي لا ينقطع قال الله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد
افان مت فهم الخالدون وتقييده بالتأبيد في قوله خالدين فيها ابدا للقطع لا للتجوز فان
استعماله في الثبات المؤبد وان لم يدم متعارف شائع   ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا
ما بعوضة   لما بين التوحيد واثبت صحة النبوة بالبرهان وهذا هو اساس الدين
واصل الايمان وارشدهم الى معرفة حقيقة القرآن واجمعهم بالتحدي ورتب الوعيد
على الكفر والوعد على الايمان شرع في ابطال الاعتراضات والشبهات التي طعن بها الجاحدون
الجهلة كقولهم ان الله اجل قدرا واعظم شانا ان يمثل بهذه المحقرات كالذباب والعنكبوت
وقولهم اما يستحيي رب محمد فجاءهم بما دل على ان التمثيل امر يستدعيه حال المثل فكلما كان
حال الممثل به اعظم وكلما كان احقر كان الممثل به احقر كقوله ولله المثل الاعلى فيلزم ان
يكون لا تهم المثل الادنى لانها جمادات لا قوة لها ولا شعور ان الغرض التمثيل تصوير المعقول
بصورة المحسوس وتقرير المعنى المراد في النفس ولا يعارض العقل في المعارض في المعقولة
الا الوهم لميله الى الحس امتناع ادراكه للمعاني الكلية فاذا مثل المعنى العقلي بصورة محسوسة
اذعن له وانقاد وقيل المعنى المراد ولهذا اكثر التمثيل في كلام البلغاء والحكماء والانبياء عليهم الصلاة
والسلام وفشى في الكتب الالهية ولا يتعلق حال المثل في الحسن والقبح بحال الممثل الا بما
يصار اليه من وجه الشبه بين المثل والممثل له فان لم يكن مطابقا له لا يكون الوصف مشترك

المقصود اظهار في الممثل به اجلا واقوي واشهر كان الممثل قاصرا في البلاغة منسوبا الى الزيادة
وان كان مطابقا بان المعنى المراد بهما في المثل ابلغ واتم واكمل واعم كذلك الممثل جلاء
قدرا واعلى شانا ولهذا كان تمثيل الله تعالى لهتهم بالبعوضة فما فوقها في المعنى الممثل له من
الحقارة ما هو اخفر منها كجناحها ومخها وكما قيل اقل من لا شي في غاية الحسن والجزالة
ونهاية الفصاحة والبلاغة كما تقول فلان اقل قدرا من الكلب فتقول حاصل وفوقه
ذلك في قلة القدر وقد جاء في لا يخيل تمثيل على الصدر بالنحالة ومعارضة السفها باثارة
الزنابير وفي كلام العرب اضرد من جراد واسمع قراد ويحتمل ان يكون المراد بقوله فما
فوقها العنكبوت والذباب وما ورد في المثل مما هو اعظم من البعوضة ردا لما استنكروه
كما قيل فلان يخيل بدرهم فيقول انه يخيل بدانق فما فوقه اي فضلا عما فوقه في العظم من
الدرهم والحيا انقباض النفس مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجراة على
القبايح وعدم المبالاة بها الخجالة التي هي انحصار النفس من الفعل مطلقا واستعمال الاستحيا
لله تعالى مجاز على سبيل التمثيل اي لا يترك ضرب المثل بالمحقرات كترك من يستحي لحقارتها وقد
جاء في الحديث ان الله يستحي من ذي الشيبة ان يعذبه وفي التمثيل من المبالغة ما لا يخفى على
الفطن للتخييل وتصوير المعقول بصورة المحسوس والوجدان المدرك بالضرورة ويجوز ان
يكون وقوعه على سبيل المقابلة وتطبيق الجواب على السؤال فانه لما جاء في كلام الكفرة اما
يستحي رب محمد ان يضرب المثل بالذباب والعنكبوت قابله بقوله ان الله لا يستحي وهو في
كلامهم نوع بديع وفن عجيب يستحبونه ويصرفونه لمراعاة المشاكلة وضرب المثل واعماله
من ضرب اللبن وضرب الخاتم واصله وقع شي على اخر والاستحيا يتعدي بنفسه ومن فعل
الاول يكون ان يضرب منصوب المحل على المفعولية وعلى الثاني يكون مجرور المحل بتقدير من او
منصوب بنزع الخافض حذفا وتعدية الفعل اليه بنفسه ومثلا مفعول بنفسه واما ابهامية
منصوبة المحل بتقدير صفة لمثل يريد شايعا وعموما وابهاما وسد الباب التقييد او مزيد
للتاكيد كما في قوله فبما رحمة اي مثلا حقا وبعوضة بالنصب بدل او مفعول به وقيل عطف
بيان لمثلا وفيه انه لا يكون النكرات عند الجمهور ومثلا حال مقدمة عليها لتنكيرها او مفعول
ثان ليضرب اجرا ضرب مجري نعل وصير وان رفعت بعوضة فاحذف صدر صلتها كما في
قوله تعالى تماما على الذي احسن بالرفع او موصوفة كذلك اي صلتها جملة محذوفة المبتدا
ولما الوجوه الاربعة المذكورة في بعوضة بالنصب ووجه اخر غرب وافصح وحذفها وهذا
ان يكون استفهامية مبتدا خبره بعوضة اي ما البعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي
ما دينارا ودينارا ان والبعوضة من البعض كالقطوع والخموس من القطع والخمس ومعنى البعض
القطع كالبضع والغضب ومنه بعض الشي لانه قطعة منه وهو في الاصل صفة غلبت على

أي

هذا

هذا النوع فما فوقها عطف على بعوضة او على ما ان جعل اسما فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق
من ربهم اما حرف التفصيل وفيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفا يفيد الكلام تاكيدا
تقول زيد ذاهب فاذا اكدت الكلام قلت اما زيد فذاهب ما بعدها جملة جزائية حقها ان تصدر
بالفا لولا دخول اما عليها فاخر الى الخبر لوجودها وجعل المبتدا اسنادا امسد الشرط المحذوف
لفظا ومعنى التفصيل في اما وتصدير الجملتين بها ان بين الفريقين غاية البعد والتضاد
في فضل الفريق الاول وتحقيقهم في علمهم واصابة نظرهم وهدايتهم وسدادهم وجهل
الفريق الثاني وتعمقهم في جهلهم وازاغة بصرهم وغوايتهم وزيغهم وعنادهم ومكابرتهم
لانهم بين ان ينقضوا وجه التمثيل وحسنه وحقيقته وبين ان يعاندوا ويكابروا كلا الامرين
وفيه بعد عن مقتضى الفطرة وسقوط عن درجة الانسانية وتجاف عن الصواب والسداد
وانهماك في الغي والفساد والحق هو الثابت الصحيح في نفس الامر الذي لا يسوغ عند العقل
انكاره يقال حق الامر اذا ثبت واما الذين كفروا فيقولون انما قال في مقابلة قوله
يعلمون يقولون لدلالته على عدم العلم بابلغ الوجوه وكذا البرهان فان صدور القول المذكور
منهم يدل على فرط الغباوة من عدم التفطن او مخافة العلم بالمكابرة واهمال العمل بمقتضى العلم
جهل ايضا ماذا اراد الله بهذا مثلا يحتمل ان يكون استفهامية وذا بمعنى الذي وما بعده
صلته والمجموع خبرها وان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اي شي منصوب المحل على المفعولية
مثل ما اراد الله والاحسن في جوابه الرفع على الاول والنصب على الثاني ليطابق الجواب السؤال
والارادة نزوع النفس وميلها الى الشي وهو نقيض الكراهة التي هي النفرة وارادة الله
تعالى ليست بصفة زايدة على ذاته كارادتنا بل هي عين حكمته التي تخصص وقوع الفعل على وجه
دون حكمته عين علمه المقتضي لنظام الاشيا على الوجه الاصلح والترتيب الاكمل وانضمامها مع
القدرة هو الاختيار وفي لفظة هذا استركاك واستحقار كما في قول عايشة رضي الله عنها
في عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه عجبا لابن عمرو هذا ومثلا نصب على الحال
كقوله تعالى هذه ناقة الله لكم اية او على التمييز كما في قولك لمن اجاب بجواب ضعيف ما اردت
بهذا جوابا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا بيان للجملتين المصدرتين باما وتقرير لان العلم
بكونه حقا من باب الهدي الذي ازداد به المومنون نورا الى نورهم والجهل به واستنكاره من باب
الضلال والفسق الذي ازداد به الجهل ظلمة الى ظلمتهم وفيه تسجيل على الفريقين بهداية المحققين
ورشدهم وضلالة المنكرين وفسقهم وكون كل منهما موصوفا بالكثرة في انفسهم الا بالقياس
الى الاخر والضالين بالعدد والمهديين بالقدر والحقيقة كما قال ان الاكرمين كثير في البلاد
وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا فان المهديين اقل من الضالين بالعدد ولهذا اقدم به يضل به كثيرا
واما احتمال كونه جوابا لما في ماذا اي المراد ضلال كثير وهداية كثير او ارادة ضلال كثير وهداية

كثيرنبا باه قوله مثلا فان التمثيل لايناسب ان يراد به الاضلال قال الله تعالى وتلك الامثال
نضربها للناس لعلهم يتفكرون وما يضل به الا الفاسقين الفسق لغة هو الخروج عن القصد
قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا ويستعمل في مجرد الخروج يقال فسقت الرطبة عن قشرها
وشرعا هو الخروج عن امر الله تعالى بارتكاب الكبيرة والمراد بالفاسقين ههنا الخارجين عن
الايمان الدالة ما بعده عليه وقصر الخسران عليهم وتركيب الضلال على الضيق يدل عن كونه
سببا على الفسوق الذين ينقضون عهد الله منصوب المحل صفة للفاسقين وتسجيلا عليهم
بالخسران والنقض الفسخ وفك التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله في العهد من باب
الاستعارة بالكناية بايراد صفة المستعار منه دون ايراده لينبه بالرمز على ان العهد من باب
الاستعارة بالكناية بايراد صفة المستعار منه حبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين وعلى هذا
لا يمكن ان يكون النقض مستعملا في معنى لابطال منقولا عن معناه الاصلي كما ان المستعارة الاسد
للشجاع واستعارة البحر للعالم بطريق الكناية لا يلزمها خروج الافتراس والاغراف عن معناهما
الاصليين بل نقول مقتضى تلك الاستعارة ان تكون ما به الكناية فارا في معناه الاصلي حتى يكون
من خواص المستعار منه حقيقة والعهد والموثق وهذا في الوصية عهد الله في كذا اذا وصاه
به ووثقه عليه بما يحفظ ويراعي ويتعهد كالوصية والشرط واليمين ويقال للدار التي يرجع
والتاريخ الذي يحفظ عهد وهذا العهد اما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده
الدالة على جميع تصديقه في الايمان وعلى هذا اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم والمأخوذ
بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول الله المصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولا يكتموا
امره ولا يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب
من بعد ميثاقه الميثاق ما وثق به العهد من القبول والالزام والحلف وامثاله مفعال من
الوثاقة والاصل في مفعال ان يكون صفة لمعطار واله كمحراث وقال ابن عطية بمعنى المصدر
ولا يعلم مفعالا جاء مصدرا ولا عذرة في ابنيته والضمير عائد على العهد ان عني به ما وثق به العهد
على الله او عليه ان عني به معنى المصدر ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل كل قطيعة
لكن الظاهر انه توصيف للفاسقين بانهم يضيعون حق خلق الله تعالى بعد توصيفهم بانهم
يضيعون حقه تعالى وتضييع حقه تعالى بقطيعة ارحامهم والامر طلب الفعل ممن هو دونك
وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول به المصدر كان الداعي الذي يدعوا
اليه ويبعث عليه امر يؤمر به فهو مأمور به كما يسمى شانا والشان الطلب يقال شان شانه
اي قصدت قصده وان يوصل محفوظا لمحل بدلا من الضمير في به للاشتمال وعلى تقدير اللام
ويفسدون في الارض بقطع الزرع والنسل وهيج الحروب والفتن واحداث الهرج
والمرج ولذلك قصر في قوله اولئك هم الخاسرون الخسار عليهم بخروجهم عن مقتضى

الفطرة واستبدالهم ظلمة الجهل بالنور الفطري والغواية بالهداية الاصلية التي هي نور العقل
والنقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب كيف تكفرون كيف للاستفهام عن
الحال والمراد الانكار والاستبعاد والتعجيب وليس فيه معنى الاخبار لا يلزم الجمع بين المعنى الحقيقي
والمجازي ولما علما امتناع وقوع الشيء على غير حال من الاحوال كان انكار حال لما هي احوال الكفر
انكار النفس الكفر على الطريق البرهاني فيكون من باب الكناية بنفي اللازم عن نفي الملزوم فتقييد
كون بالله مع العلم بالحالة التي ذكرها كالمستحيل في نفسه لقوة الدليل الموجب للايمان فانها
ايات بينات ولهذا كان الاستفهام الانكاري بكيف ابلغ من الاستفهام الانكاري بالهمزة وحمل الكفر
على معنى الكفران المقابل للشكر يابا الباء في بالله لانه يقال كفر بالمنعم وبالنعمة بل يقال كفر المنعم
والنعمة والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريق
الالتفات وبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك وكنتم امواتا اي اجساما
لا حياة لا حياة لها عناصر واغذية ونطفا ومضغا والاموات جمع ميت كالابيات جمع بيت
واطلاقها على تلك الاجسام من قبيل اطلاق المقيد على المطلق مجازا كاطلاق المرسن على الانف وقيل
بطريق الاستعارة للاشتراك مع الاموات الحقيقية وهي التي زالت عنها الحياة في عدم الروح
والاحساس وفيه نظر والواو للحال والمنصوب على الحال ليس فعلا واحدا بل جملة قوله كنتم
الى قوله ترجعون وهي وان كان بعض اجزائها ماضيا وبعضها مستقبلا ولا يصح كونها
حالا حتى يكون فعلا مقارنا لوجود ما هو حال عنه لكن سمعنا حالكم المشهودة وقصتكم المعلو
هذه فنزلناها الى قوله كيف تكفرون في حال علمكم بهذه القصة فاحياكم بنفخ
الارواح فيكم واما خلق الارواح فلا دلالة على تأخره عما ذكر بل الظاهر من بعض الاحاديث
تقدمه عليه والعطف باداة التعقيب لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ بخلاف البواقي
ثم يميتكم عند انقضاء اجالكم ثم يحييكم بالنشور يوم ينفخ في الصور لا للسؤال في القبور
اذ لا يناسبه التنزيل منزلة البديهي في الظهور ثم اليه ترجعون بعد الحشر ليجازيكم
باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب وهذه الامور بعضها معلوم بالضرورة
وبعضها لوضوح ادلته النقلية جعل كالمعلوم بالبديهة لقوة التمكن من العلم هو
الذي خلق لكم ما في الارض لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم اما الاول فظاهر
واما الثاني فبالنظر فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم يعني ان الحكمة
والمصلحة في خلقه انتفاعكم وهذا لا ينافي التوقف في الانتفاع به على الرخصة من جهة
الشرع حتى يكون فيه دلالة على ان الاصل في الاشيا الاباحة والاختصاص في البعض
ببعض بسبب بعض العوارض حتى يحتاج الى ان يقال ان الكل في التوزيع فان المعتبر فيه
صلاحية الانتفاع بالفعل وايراد الضمير مبتدا وبناء الذي عليه مبتدا ايقاعه صفة الله

فقيد التخصيص اي هو الخالق لما ذكر دون غيره والمواد من الارض الجهة السفلية مما في الارض
تتناول الارض وما فيها جميعا نصب على الحال من ما في الارض وهو للمبالغة في التكثير للاستغراق
كلفظ كل في قوله واتيت من كل الثمرات لان في الارض ما لا صلاحية الا فيها للانتفاع ولا موضع
معرض الاعتبار لكونه مستورا عن النظر ثم استوى الى السما الاستوا الاعتدال والاستقامة
من استوى العود واذا قام واعتدل واستوى اليه قصده قصدا مستويا لا اعوجاج فيه
كالسهم المرسل من غير ميل الى غيره وسواه عدله وقومه واصل الاستوا طلب السوي واطلاقه على
الاعتدال المنافيه من تسوية وضع الاجزا ولا يذكر حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل
استوى عليه بمعنى استولى عليه وملك وقال قد استوى زيد على العراق والاول اوفق للاظهر
والتسوية المرتبة عليه والمراد من السما هذه الاجرام العلوية والجهات العلوية فسواهن سبع
سموات هن ضمير مبهم فسره سبع سموات بيانا له وقيل راجع الى لانه في معنى الجنس وسبع سموات
حال وقيل جمع سماوة والوجه الاول وقوله وهو بكل شي عليم جملة اعتراضية وثم للتفاوت
بين الخلقين وبيان فضل خلق السما على الارض استعير في معنى التراخي لبعد خلق السما من خلق
الارض في الرتبة ولهذا عضده ورخصه بالالهام والتفسير ليفيده عظمه ورفعته في النفس
ثم قوله الجملة الاعتراضية لافادة مثل ذلك الخلق لا يكون الا عن علم تام فوق كل ذي علم فمعنى
ثم انه مع خلق هذه الاشيا البديعة العجيبة اقدم على خلق ما هو ابدع منها واعجب وانه ابعد
من الوهم والقياس من غير ميل الى شي غيره فلا يدل على تاخر خلق السما عن الارض بالزمان بل على شدة
تباينها وتفاضلها واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة اذ ظرف ينتصب باضمار اذكر
فيكون عطفا على قوله وبشر على الوجه الذي جعل عطف قصة على قصة ومما يخلل ليس باجنبي
بل من تمام القصة واحسن منها لقرب ماخذه وصحته على الاوجه ان يقدر تدبر ونحوه بعد قوله
والله بكل شي عليم ويكون واذكر عطفه عليه ولما كان هذا من اجل النعم على نوع البشر ومن ادل الدليل
على عناية الله الباري تعالى بشان هذا النوع كان العطف عقيب تعداد النعم مناسبا كانه
قيل وتدبر ذلك واذكر هذه النعمة خاصة متقدمة من قوله كيف تكفرون او من قوله كيف
تكفرون ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا وقد سبق انها قصة واحدة في السياق والغرض وانه
لا يجب مراعاة الخبر والطلب في هذا الضرب والملائكة جمع ملاك على الاصل كالشمائل في جمع شمال
والحاق التا التانيث الجمع كما في الصياقلة في جمع صيقل والخليفة فعيلة بمعنى الفاعل من خلف غيره
اذا قام مقامه والتا فيه للمبالغة وفي الارض خليفة كان في الاصل مبتدا وخبرا انتصبا بمفعول جاعل
من جعل التعدي الى مفعولين بمعنى صير والمعنى اني جاعل في الارض خليفة مني اي من يخلفني
ويقوم بامري في الارض وقيل منكم ومن يخلفكم ويسكن مكانكم الا انهم كانوا قبل ادم سكان الارض
لحلفهم ادم وذريته واستغنى بذكراه عن ذكر ذريته كما يستغنى بذكر القبيلة عنها في قولك مضر

فيما

وهاشم

وهاشم واريد به الجنس اي من يخلفكم وانما اخبرهم بذلك ليعرفوا سؤالهم وجوابه حكمة الله تعالى
في قوله اني اعلم ما لا تعلمون اذ الملائكة تطلع على تفاصيل وجوده وخواص قواه من الامساد في الارض
وسفك الدما المختص بالقوى الشهوانية والعصبية ولا يطلع على خواص الهيئة الاجتماعية وعلى خزائن
ما فوق اطوارهم من المعارف والاسرار الالهية وقاسوا الانس على الجن حيث اسكنوا الارض قبل
الملائكة فافسدوا فيها وكذلك استعبدوه وتعجبوا منه وليس فيه تعليم المشاور لانه ليس بطريق
المشهورة قال الراغب ليس قوله اني جاعل في الارض خليفة في الاستشارة فان الاستشارة
استمرار في العلم من استشار والله تعالى منزه عن ذلك وانما هو اعلام كاعلامه ايانا كثيرا من الكتاب
لمصلحة ما ولا البشارة بوجود المجهول لانها انما تكون بالخبر السار والقيد المذكور مفقود منها
على ما يفصح عنه قوله ونحن نسبح قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما لما كان
قول الملائكة مع عصمتهم ظاهر والاعتراض تاوله العلما في وجوه احسنها عندي انهم كانوا حين
الخطاب مخاطبين وابليس مندرج في جملتهم فورد منهم الجواب مجملا فلما انفصل عن جملتهم باباية واستكبار
والفصل الجواب الى نوعين فنوع الاعتراض كان من ابليس ونوع التسبيح والتقديس كان من الملائكة
فانقسم الجواب الى قسمين كانقسام الجنس اليهما وناسب كل جواب من ظهر عنه وكان الظاهر المطابق
للخطاب السابق ان يقولوا اتجعل فيها خليفة من يفسد وانما عدلوا عنه الى ما ذكر حين ما للتعجب الى جعل
المفسد وخلفه في الارض مع قطع الطريق عن معنى الخلافة يعني ان وجودهم فيها محل استبعاد فاني
كونهم خليفة ويحتمل ان يكون القصد تجريد التعجب عن شهوات التعصب فان في ذكرهم بوصف
الخلافة تعريضا لما هو مطمح نظرهم وانما قصد الاستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت
تلك المفاسد والاستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه فبا باه ما في توصيفهم انفسهم
بالتسبيح والتقديس من التعريض وما في قوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون من عدم البيان لما اشتبه عليهم
لا يناسبه منه يفسر احد مفعولي تجعل والثاني فيها وانما قدمه للاهتمام وفي تكريرها تنبيه على ان
ما كان محلا للعبادة لا يكون محلا للفساد والسفك والسبك والسفح والسن والصب متقاربة
وبينها فروق فالصب اعم من هذه الالفاظ والسفك يقال في الدم والسبك في الجواهر المذابة والسفح
في الصب من اعلى والسن للصب عن القربة ونحوها ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال الواو
في ونحن للحال كما تقول احسن الي فلان وانا احق منه بالاحسان وقوله بحمدك في محل الحال اي ملتبسين
بحمدك بمعنى حامدين لك والتسبيح تنزيه الله تعالى من النقص والسوء قولا واعتقادا واصله
من السبح وهو سرعة الذهاب في الما واستعير لمر النجوم في الفلك ولجري الفرس وقال
تعالى ان لك في النهار سبحا طويلا اي تصرفا وذهابا وسبحته عن كذا اي نزهته والتقديس التطهير من
قدس في الارض ذاهب فيها وابعد ثم لم يستعمل في التطهير لان المطهر الشي مبعده عن الاقذار ومعنى
نقدس لك فقدست واللام مزيد وقيل نقدس نفوسنا لاجلك كانهم قابلوا الفساد بالتسبيح والسفك

الدعا بتطهير النفس وليس ذلك اظهار المنة بل هو كما يقول مجتهد يحب ان يفوض صاحبه اليه خدمة ما
يقول بامر الخدمة بغوي وانا مجدي فيها وعلى ذلك قولهم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وقد
تعالى في جوابهم إني اعلم ما لا تعلمون معرض ولم يصرح ههنا لديهم فضيلة الانسان وما خص
به من العلم والعمل الذين يقصر الملك عنهما عيانا ومنشا هذه وانما ابهم بيانا لاستحقاقه فيه ليعرفوا
بالعبودية ويعترفوا ان وراء علمهم علما لم عند محجوب وكفى العباد عليهم بذلك ليردوا وانقطعا
ويتبينوا نقصهم وكمال هم ثم بين لهم بعضه فيما بعد ليعظم عندكم وقعه فيرجعوا ويسلموا ويعرفوا
بنقصهم ويتبينوا سكانهم هنا جملة محذوفة يتم بها المعنى ويصح العطف فتقديرها جعل في الارض
خليفة وهما ادما قالوا والمذكورة مفصحة وعلم ادم الاسما كلها التعليم حقيقة الفعل
يترتب عليه العلم ولا يتخلف عنه وقد يطلق مجازا على لفا تقدمات العلم وهو الذي يترتب
عليه العلم غالبا وقد يتخلف عنه وهو المراد قولهم علمته علم فلم يتعلم ومعنى تعليم الاسما
انه اراه اجناس المخلوقات وبين ان هذا اسمه فرس وان هذا اسمه بقر على ان المراد من الاسماء
الالفاظ الموضوعة للمعاني مفردة كانت او مركبة مخبرا عنها او خبرا او رابطة بينهما او بين
ان هذا المذكور وهذا المحرث على ان المراد مسميات الاشيا وخصايصها ولا علم لنا بطريق تعليمه
تعالى ادم الاسما واعلم انهم بعدما اتفقوا على ان دلالة الفاظ وضعية اختلفوا في تفسير
الواضع فذهب قوم اتباعه الى انه هو الله تعالى ويسمى هذا المذهب مذهبا لتوقيف وذهب بعضهم
الى التوزيع انه هو الناس ويسمى هذا المذهب مذهب الاصطلاح وبعضهم الى التوزيع اي بعضه
توقيفي وبعضه اصطلاحي وبعضهم الى التوقف فان كان النزاع في الظهور لا في القطع فالظاهر
من الاية المذكورة هو الاول وعلى هذا المذهب الثاني لا يلزم من الحاجة الى سابقة اصطلاح التسلسل
اذ يجوز ان يعرف القدر المحتاج اليه في الاصطلاح بالترديد والقراين كما يعرف الاطفال والله
اعلم بحقيقة الحال وادم وزنه فاعل كازر وعاذر وشالح وقالع ان كان عجميا او فعل على انه
مشتق من اديم الارض ان كان عربيا قال الجواليقي في المعرب اسما الانبيا عليهم عليهم السلام
كلها اعجمية الا اربعة اسما وهي ادم وصالح وشيث ومحمد عليهم السلام وقد صح عن ابن عباس رضي
الله عنهما انه قال انما سمي ادم لانه خلق من اديم الارض اخرجه ابن جرير وابن ابي حاتم
والحاكم وصححه البيهقي في الاسماء والصفات وورد مثله عن علي وابن مسعود رضي الله عنهما
اخرجه ابن جرير وادم الارض ظاهر وجهها وقرئ علم على البنا للمفعول ورفع ادم
ومنع الصرف للعلمية والعجمة او للعلمية ووزن الفعل ثم عرضهم على الملايكة الضمير للمسميات
المدلول عليها كما في قوله تعالى ولابويه ان كان الالف واللام في الاسما للجنس والمقدرة ان كان
التعريف واللام عوضا عن التعريف بالمضاف اليه على ان المراد اسما المسميات كما في قوله تعالى
واشتعل الراس شيبا وانما ذكر الضمير للتغليب فان في المسميات العقلا ولقطع الدلالة على تاخر

الفرض عن التعليم وذلك ليتحقق ويظهر فضل ادم وجهة احقيته للخلافة وقت قوله تعالى
إن كنتم صادقين فانه يدل على انهم غير صادقين في زعمهم انهم احقا للخلافة وذلك بثبوت فضل
ادم في ذلك الوقت فقال انبيوني باسماء هولاء إن كنتم صادقين الانبا فيه اخبار
فيه اعلام ولذلك اجري مجري كل واحد منهما فقيل انباته بكذا كقولك اخبرته بكذا وانباته
كذا كقولك علمته كذا ولما كان المراد ههنا يعني الاخبار قال باسمائهم انه لا يقال لمثل الاخبار
فيه خطر ففي عبارة الانبا تعظيم الشان علم الاسماء وانما استنباهم للتبكيت والرد عليهم فيما
اظهروا من عدم استحقاقه للخلافة وما اظهروا من اوليتهم لذلك لا للتكليف لا لانه من باب
التكليف بالمحال لانه معلق بل لان التعليق المذكور لا يناسب التكليف وجواب الشرط في
ان كنتم محذوف دل عليه انبيوني فان قيل الصدق انما يتعلق بالخبر وهو استخبروا ولم
يخبروا فكيف يصدقون قلنا الصدق والكذب وان كانا لا يتعلقان بالاستخبار بالقصد
الاول ومن حيث المنطوق فقد يتعلقان به بالقصد الثاني ومن حيث المفهوم وذلك
اذا كان استخبارا على وجه يفهم منه معنى الخبر وقد تبين فيما تقدم ان الامر فيما نحن فيه
كذلك فان مساق كلامهم لما كان كاشفا عن زعمهم انهم احقا بالخلافة كان استخبارهم متضمنا
معنى الخبر فان قلت الذي زعمهم المذكور فاسدا متضمنا لتجويز صدور ما يخالف الحكمة عن الله
تعالى وشان الملايكة اعلا من ذلك لانهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون
قلت لان نوي الاشكال وقد مر منا الاشارة الى وجه الانجلا في بارجاع الزعم المذكور الى
ابليس والله اعلم قالوا سبحانك تنزيه منهم له تعالى عن فعل ما لا مصلحة فيه ولا
حكمة اي نعتذر عن فعل ما يمكن ان يكون اصلح منه وان ما الاستخبار بان سوالهم كان استفسارا
محضا فلا يناسب المقام لما فيه من التلبيس ولانه مردود بقوله إن كنتم صادقين على
ما نقف عليه باذن الله تعالى وسبحان من اللازم حذف فعلها سماعا وهو علم التسبيح يجري
ذكره مجري ذكر الفعل نحو سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا اعترافا منهم بالنقص ولزوم الحد
اي لا يمكننا الاكتساب والترقي ولما كان قولهم لا علم لنا الا ما علمتنا من باب الشكر افادة
الاية ان العبد ما ينبغي له ان يغفل عند نقصانه وعن فضل الله تعالى واحسانه وفي وجه هذا
الجواب من الحسن ما يبهر الالباب حيث قدموا بين يديه تنزيه الله بالجهل ثم نسبوا العلم لله تعالى
بصفته الحكمة في قوله اني جاعل في الارض خليفه وقدموا وصف العلم لان الذي ظهرت به
المزية لادم هو العلم وان الحكمة من اثاره انك انت العليم الحكيم سلب للعلم والحكمة عن
انفسهم بنقصهما وانما قصروهما عليه بتوسيط الضمير وايراد اللام وصدر الجملة بان التوكيدي
الرافع للشك والانكار والايهام كلامهم بان استخلاف ادم على خلاف مقتضى العلم والحكمة ودعواهم
العلم لانفسهم وشركهم في استحقاقه وانكارهم لمزيته عليهم فرجعوا عن ذلك واقروا بان ماهيه

العلم والحكمة مخصوصة به دون غيره وانه محق عندهم والحكيم فعيل بمعنى مفعل اي محكم لمبدعاته وذلك انه لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة قال يا آدم انبئهم باسمائهم ناداه باسمه العلم وكذلك
كذا سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهو خطاب تعريف ونادى محمدا عليه السلام بيا ايها النبي
ويا ايها الرسول وهو خطاب تشريف فانظر تفاوت ما بين الندائين وقال تعالى انبئهم فجعل من
اعترضوا معلما لهم ونبيهم لما تقاصرت علومهم عنه ليظهر بذلك فضله عليهم فلما انبأهم باسمائهم
بين هذه الجملة والتي قبلها جملة محذوفة تقديرها فانبأهم فالفاء المذكورة فصيحة اي اخبرهم
بها وعلموا فضله وظهر عجزهم وقصورهم قال ألم اقل لكم انكار دخل على النفي فيفيد التقرير
لان نفي النفي اثبات اني اعلم غيب السموات والارض استحضار لقولهم اعلم ما لا تعلمون لكنه
جاء به على وجه البسط ليكون كالحجة عليه واضافه الى الغيب تغني كضرب اليوم الى ما غاب في السموات
والارض والغيب ههنا ما يخفى عنهم فيهما وفي الاصل ما غاب عن الحس اي الغائب المشاهدة بمعنى الشاهد
واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون عطف على ألم اقل لا على اعلم لانه ما كان مقولا لهم في قوله اني
اعلم ما لا تعلمون فهو مقوله كذلك ويجوز ان تكون واو الحال والمراد ما تبدون ما صدر عنهم
من التصريح والتلويح فينتظم ما تعرضوا له بطريق التعريض وبما تكتمون ما اسره
ابليس من الكبر والعصيان فهو من قبيل خطاب الجمع بفعل الواحد منهم كما في قوله تعالى فعقروها
واعلم ان هذه الآيات دلالة على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة انه شرط
في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه
لاشتهاره فيمن يحترف بالتعليم وان لم يكن مختصا به على ما يفصح عنه تلقب الغزالي بالعلم
واذ قلنا للملائكة نظمه بما قبله من حيث ان في اول هذه الآية كشف ما اجمل في ختم هذه
الآية فناسب الهم من كتمان ابليس من الكبر والعصيان اذ هذه عطف على التي قبلها ان نصبها باضمار
اذكر وان نصبها بقالوا وهذه منصوبة باذكر مقدر والواو حينئذ عاطفة الجملة على الجملة ولك ان
تقول ان العامل محذوف تقديره انقادوا فسجدوا لان السجود كان ناشيا وفي قلنا خروج عن
ضمير التكلم المفرد الى ضمير الجمع لان التعظيم من حيث انه ادعى لامتثال الامر من غير تطويل بناسب المقام
اسجدوا لآدم فيه ايجاز ونقل الامر التعليقي الى صورة التنجيز اعتبارا للحاصل على ما دل عليه
قوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فانه صريح وان الامر بالسجود
كان قبل تسوية خلق آدم عليه السلام فلما لم يكن امرهم بالسجود مترتبا على انبائهم بالاسماء على ظهور
شان نفخ الروح الى قال يا آدم عليه السلام لم يصح ان يكون ذلك اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا
عما قالوا فيه قال ابو عمرو ويقال سجد اذا طأطأ رأسه وانحنى والسجود التطامن مع خفض الرأس
وبه يفارق الركوع واما التذلل فاعتباره في مفهومه العرفي دون اللغوي وقد جاء في المثل
اسجد من هدهد وليس في سجوده تذلل وفي الشرع الجبهة على الارض ولا يلزم ان يكون على قصد

العبادة فان صلاة المرائي صلاة حقيقية وليست على قصد العبادة والسجود المامور به
كان على سبيل الكرامة كسجود اخوة يوسف عليه السلام له وكون السجود لله تعالى على ان يكون
آدم عليه السلام قبلة يرده قوله تعالى نقلا عن ابليس أأسجد لمن خلقت طينا لان الاعتراض بكونه
طينا انما يتجه ان لو كان سجودا حقيقة لا قبلة للسجدة كالكعبة شرفها الله تعالى قال الامام ابو
منصور فيه دليل على ان الكتاب ينسخ بالسنة فان جواز السجود لغير الله تعالى يثبت بقصة
آدم ثم نسخ ذلك بالخبر وقيل هو بيان استغنائه عن عبادتهم اياه وانكاره عليهم قوله ونحن نسبح
بحمدك ونقدس لك فقال لهم لا حاجة الى عبادتكم وحدكم فاخدموا عبدا من عبادي لم يخدمني
لكثير خدمه فسجدوا عن وهب اول من سجد جبرائيل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم سائر الملائكة
وكان ذلك كما نفخ في الروح من غير تاخير لقوله عز وجل فقعوا له ساجدين فان الفاء للتعقيب بلا تراخ
الا ابليس ابى واستكبر استثناء متصل لانه من جنس الملائكة لا ينافيه قوله كان من الجن لان
صنفا منهم يطلق عليه الجن على ما دل عليه قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولانه كان
صنفا واحدا بين اظهر الالوف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه في قوله للملائكة ثم استثني منهم استثناء
واحدا منهم لما في قوله تعالى استكبرت ام كنت من العالين دلالة على ان تناول الامر اياه بطريق الدلالة
لان معنى امرك دائر بين ان يكون ادنى من المامورين بالسجود فيتناوله الامر دلالة فيلزم الاستكبار
او اعلى منهم فيكون من زمرة العالين الذين لم يتناولهم الامر بل لان تقدير الكلام فسجدوا وان الملائكة يؤودون
به تبعا الا ابليس فانه امتنع عن السجود واستعظم نفسه ورفعها عن غير المامور به تبعا وهذا انما يليق
ان الجن ايضا كانوا مامورين مع الملائكة الا انه استغنى بذكر الملائكة عن ذكر غيرهم لانه اذا علم
ان الاكابر مامورون بالتذلل لاحد علم ان الاصاغر ايضا مامورون وليس مبنى هذا على ان يرجع الضمير
في فسجدوا الى القبيلتين لان قوله فسجدوا ههنا في موضع فسجد الملائكة في آيات اخرى امتنع ابليس
من الصرف للعلمية والعجمة ومن جعله مشتقا من الابلاس بمعنى الياس قال وشبه العجمة لكونه لم يسم
به احد من العرب فصار خاصا بمن اطلقه الله تعالى عليه فكانه دخيل في لسانهم وهو علم
مرتجل والاباء الامتناع بالاختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من شانه والاستكبار طلب
ذلك بالتشبع فهو من افعال القلوب ولما قدم الاباء عليه وان كان ادل لان مفهوم الاستثناء وهو
عدم صدور السجود عنه ناشئ عن ابائه واباؤه ناشئ عن استكباره فروعي هذا الترتيب واستؤنف
فالآبي لانه موضع سؤال لاحتمال ان يكون ترك السجود لعذر دون استكبار لظهور ان الامتناع بالاختيار
امر فيه تذلل لا يكون الا عن استكبار وكان استكباره مسببا عن كفره الاصلي ولهذا ذيله بالجملة
الاعتراضية للتعليل وهو قوله وكان من الكافرين اي كان اصله من كفرة الجن فلذلك ارتكب
المعصية على ما فصح عنه قوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه فقيل اي صار منهم باستقباحه
امر الله تعالى ولو كان المعنى هذا القيل وكان من الكافرين وقلنا يا آدم عطف على اذ قلنا

وفائدة الندا تنبيه المامور لما يلقى اليه من الامر اسكن من السكنى اي تخذها مسكنا ولهذا ذكر
متعلقة بدونه في الامر لسكون بمعنى ترك الحركة وان كان ذلك في الحقيقة راجعا الى السكون
لانه نوع من اللبث والاستقرار انت وزوجك معطوف على الضمير المستكن في اسكن الذكر
بانت والفصل بالتاكيد لتصحيح الوصل على سبيل التغليب اشعارا بدورها وتبعيتها وكان فيه
توطية للاكتفا بذكره في قوله فتاب عليه الجنة اللام للعهد والمعهود دار الثواب لاغير
وكلا منها عدل ههنا عن اسلوب التغليب تنبيها على ان نفعها لزوجها في السكنى دون الاكل
رغدا وصف للمصدر اي كلا رغدا والرغد العيش الدار الهنى الذي لاعنا فيه وقال ابو الليث
الرغدان ياكل ما شا اذا شا حيث شئتما حيث للمكان المبهم اي اي مكان من الجنة شئتما
ومحل حيث مضافا الى الجملة النصب على الظرفية علقه بالاكل مع ظهور تعلقه بالسكنى لان
اباحة الاكل من اي مكان وفي اي وقت كان مستلزمة لاباحة السكن فيه بحيث العادة بدون
العكس وانما اطلق لهما الاكل من الجنة حيث شا وامتحانا اذ مع سعتها وكثرة اشجارها ولا يتقيد بوقت
ولا موضع والاكل محصوص بشي دون شي كيلا يبقى عذر في التناول من شجرة واحدة منهي عنها بتلك
تلك المبالغة ولا تقربا هذه الشجرة نهي عن الاكل بطريق الكناية مبالغة فالنهي عن القرب
منها وقد افصح عن هذا قوله تعالى ما نهاكما ربكما عن هذه الشجر حيث اشار لما بشاربه الى القريب
ثم انه لم ينقل عن القريب من هذه الشجرة والشجرة نعت او عطف بيان واختلفوا في تعيينها
قال ابن جرير والاولى ان لا يعين لان العلم بها علم لا ينفع والجهل بها جهل لا يضر ولك ان
نقول في التعيين بانها الكرمة كما ذهب اليه بعضهم فايدة الاشارة على ان الخمر ام الخبايث لان
اصلها هو الذي كان السبب في الخروج من الجنة او لا يجب الاجتناب عنها لئلا يكون مانعا
من العود اليها فتكونا مجزوم عطف على تقربا او منصوب بتقدير ان جوابا للنهي والفاء
تفيد السببية سوا جعلته للعطف على النهي والجواب له في جعله سببا لكون المذكور مبالغة
اخرى في تاكيد النهي من الظالمين انفسهم بنقص حقوقها بالعصيان وحطها عن درجة القرب
والكرامات الى مهول الحرمان والهوان والظالم من الذي ظلم ففيه ايضا مبالغة
فازلهما الشيطان اي حملهما على الزلة والضمير في عنها للشجرة اي بسببها وتحقيقه اصدر
اصدر الشيطان زلتهما عنها وعن هذه مثلها في قوله وما فعلته عن امري وقيل يجوز ان يكون
الضمير للجنة اي ادهبهما عنها وابعدهما من زل اذا ذهب يقال زلت عن الشهر كذا اذا ذهب
ويؤيده قراءة حمزة فازالهما اذ على هذه القراءة لا يكون الا الجنة والفرق بينهما ان ازل من الزلل وهو
عثور القدم وازال من الزوال الذي هو التنحية ويقوي هذه القراءة انهما امرا بالثبات والاستقرار
في الجنة فناسب ان يقال بعد ذلك فازلهما الشيطان المعصية عن المكان الذي امرا بالثبات فيه على وجه
الطاعة وازلاله بقوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما عن هذه الشجرة الا ان

تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله اني لكما لمن الناصحين وهذا صريح في ان القاية اليهما
كان مشافهة لا على طريق الوسوسة وهو قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وابن مسعود رضي الله
عنه وجمهور العلما واختلفوا في كيفية الوصلة الى ازلالهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم
فقيل انه منع من الدخول على جهة التقرير والتكرمة كدخول الملايكة من الدخول على جهة الوسوسة
ابتلا لادم وقيل قام عند الباب فنا داهما ويرد قوله تعالى فوسوس لهما الشيطان لان الوسوسة
لا تجامع الندا وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما ورجح هذا الوجه بانهما يعرفانه ويعرفان ما عنده من
العداوة والحسد فيستحيل في العادة ان يقبلا قوله ويرده قوله تعالى الم انهكما الى قوله ان الشيطان لكما
عدو مبين لانه صريح في مباشرة الشيطان للازلال والله تعالى اعلم بحقيقة الحال فاخرجهما مما
كانا فيه من النعم والكرامة والابهام للتعظيم اي مما لا يدخل تحت الوصف او من الجنة
ان خص الضمير في عنها بالشجرة والاسناد ههنا وفيما تقدم مجازي لان الفاعل في الحقيقة هو
الله تعالى والشيطان سبب عادي وقلنا اهبطوا اهبطوا الامر متعد ومصدر التعدي الهبط
ومصدر اللازم الهبوط وهو النزول من علو الى اسفل والخطاب لادم وحوي لقوله تعالى اهبطا منها
جميعا والخطاب تكويني على ما نقف عليه فلا حلال التعدد فلا وجه لما قيل المراد والبليس وكذا ما
قيل وذريتهما لان ما وضع لخطاب المشافهة لا ينتظم المعدوم حال الخطاب لا عبارة ولا دلالة
خلافا للحنابلة واما جمع الضمير هنا رفعا لشانهما كما في قوله وكنا لحكمهم شاهدين بعضكم لبعض عدو
جملة في محل النصب والحال استغنى بالضمير عن الواو اي متعادين والمعاداة فقدان الملايمة
والموافقة ومنه قيل هكان ذو عدو وقوم عدى للاعداي والقرب لما بينهم من فقدان الملايمة
وذلك بين الرجل والمراة كثيرا في الخلق والخلق حتى ان عامة ما يحمد من اخلاق الرجال يذم من المراة
وليس الامر تكليفيا حتى يلزم الاذن في المعاداة بناء على ان الحال قيد والامر بالقيد ويثنا وللقيد
ولكم في الارض مستقر اما حال برأسها بالواو واما عطف عليها والمستقر اما موضع استقرار او استقرار
والقرار هو السكون مع برودة ولما كان من شان البرودة السكون ومن شان الحرارة والحركة قيل
في الساكن برودة ولما كان في شان البرودة السكون ومن شان الحرارة الحركة وفي المتحرك استعمل
والتهب حتى شبه المربع بنا رمتقده والساكن بماء جامدة ومتاع الى حين المتاع امتاع استقا
ممتد الوقت ومنه قيل متعه الله بكذا والمراد من الحين وقت الحين اذ الانتفاع بنعم لغيره وجعله
ابدا يوم القيامة من الموت مكاف مستغنى عنه وكذا جعل السكنى في القبر نفعا في الارض فتلقى
ادم من ربه كلمات فتاب عليه التلقي كالتلقن الا ان التلقي يقتضي استقبال الكلام وتصوره
والتلقن يقتضي الحذف في تناوله والتلقف يقاربه لكن يقتضي الاحتيال في التناول وصيغة
التفعل للتكلف اي تكلف في لقائهما بالجهد والتقبل والتوجه وعلى قراءة النصب في ادم والرفع
في كلمات اي تكلفا الكلمات في الوصول اليه وحاصل المعنى استقبلها بالقبول والعمل واستقبلته

بالبلوغ والوصول اليه واختلف في المراد بالكلمات واكثر المفسرين على انها قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا
وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقيل غير ذلك واصل الكلمة الكلم وهو التاثير المدرك
باحدى الحاستين السمع والبصر والكلام بحاسة السمع والكلمة جرح جراحة بما اثرها ادركه الناظر وسم
التائب في توبته فيلقي معنى التوبة قال فتاب عليه مضمنا اياه معنى العطف اي فرجع منعطفا عليه
بالقبول والرحمة بعد اعراضه واكتفى عنه وحده لانه هو المواجه بالامر والنهي وهي تابعة له ولذا
طوى ذكرها كما في قوله وعصى ادم ربه فغوى وطي ذكر النساء في القران والحديث كثير انه هو
التواب الرحيم الرجاع على عباده بالمغفرة واصل التوبة الرجوع وتوبة العبد رجوعه الى ربه
من ذنبه وتمامها من العبد بالندم على ما كان وترك الذنب الان والعزم على ان لا يعود اليه
في مستانف الزمان وفي المظالم لا بد مع ذلك من رضا الخصم الرحيم المبالغة في الرحمة يرحم
التائب فيغفر حوبته ويقبل توبته قلنا اهبطوا منها جميعا كرر هذا الامر لان الاول من الجنة
الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض لانه مردود بقوله ولكم في الارض مستقر ولا اختلاف
المقصود حيث دل الاول على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني اشعر بانهم
اهبطوا للتكليف لان ما ذكر لا يقتضي التكرار فان الدلالتين المذكورتين يمكن ان يجعلا بالتعليق
الزيادة في قوله فاما ياتينكم مني هدى ليدل عليه ان هذا الغضب مسبوق برحمة اي رحمة
ولهذا اورد بما التاكيد للملازمة والتزموا لتقويتها زيادة النون في الشرط وانما اورد كلمة الشك
مع ان اتيان الهدى محقق عنده نظرا الى انه يحتمل بنفسه غير واجب عقلا وفي هذا النظر اظهار
لما فيه من جهة التفضيل والاحسان فلذلك حسن جميعا حالا في اللفظ تاكيدا في المعنى كانه قيل
اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد كقولك جاؤوا
جميعا فمن تبع هداي من شرطية ويجوز ان تكون موصولة وبعضده اتيان الموصول في قسيمه
ودخول الفاء على الجملة الخبرية جائز هنا جعل بمنزلة الاقام اتبع المقتدي به وفي اضافته اليه
من التعظيم ما لو يكون معرفا باللام وان كان ذلك سبيل ما يكون نكرة ثم يعاد فاما ياتينكم مني
هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اي فلا خوف عليهم من الضلالة
في الدنيا ولا حزن الشقاوة في العقبى قال تعالى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى وقدم انتفاء
الخوف لان انتفاء الخوف فيما هو ات ولهذا ابرزت جملة مصدره بالمعرفة وفيها اشارة الى
اختصاصهم بانتفاء الحزن والى غيرهم يحزن والذين كفروا وكذبوا باياتنا عطف على
من اتبع هداي الى اخره قسيم وهو ابلغ من قوله ومن لم يتبع هداي وان كان ظاهر التقسيم
يقتضيه لان نفي الشيء قد يكون لعدم القابلية في المحل فابرز القسيم في صورة ثبوتية مزيلة
لهذا الاحتمال وانما ذكر الصلتين في معناهما واحد تقريرا لقبائحهم وتكريرا لفضائحهم كما
قال واضل فرعون قومه وما هدى والايات العلامات الدالة على وحدانيته تعالى وصفاته

من الكتب الالهية المنزلة وغير ذلك وسميت اية القران بها لانها علامة لانقطاع كلام عن كلام
وانفصاله وقيل سميت اية لانها جماعة حروف من القران وطائفة من الكلم كما يقال خرج
القوم بايتهم بجماعتهم اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لا اصطحاب اجتماع مع طول اللبث
واولئك مبتدا ويجوز ان يكون عطف بيان او خبرا بدلا فيكون اصحاب خبرا عن والذين وهم
فيها خبر ثان او تفسير ولا تمسك للحشوية في هذه القصة على عدم عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام
لان مبناه ان يكون ادم عليه السلام وان يكون النهي تكليفيا وان تكون التوبة عن معصية وواحد
منها غير مسلم وانما قيل انه اخطا في اجتهاده حيث ظن ان الاشارة الى عين تلك الشجرة فاكل
غيرها من ذلك النوع وكانت الاشارة الى النوع فرد بقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة
الاية لانه صريح في انه كان الازلال في النهي عنه يا بني اسرائيل انتظامه بحكم قصة ادم
عليه السلام انه وعد متبع الهدى بالجنة واوعد من كفر بالنار وجهنم في هذه الاية على الوفاء
بعهده وهو الايمان بالطاعة ليوفي بعهدهم وهو ادخال الجنة والخطاب لاولاد يعقوب عليه
السلام فان اسرائيل لقبه بالعبرانية بمعنى صفوة الله وقيل عبد الله ولم ينصرف للعجمة والعلمية
واصل بني بنين وهو جمع ابن سقطت نونه للاضافة والبنون تطلق على الذكور والاناث من
الاولاد اذا اجتمعوا والابن من البناء وهو وضع الشيء على الشيء شبه الاب بالاس والابن بما بني
عليه اذكروا نعمتي امر من الذكر الذي هو مضمون الدال وهو بالقلب فالمراد الحفظ
الذي يضاد النسيان امر بذكر النعم وكان المطلوب القيام بشكرها ايما الى انها من النعم
الجسام التي لا مانع للعاقل عن القيام الا الغفلة عنها واختير تحريك الياء بمعنى لانه لقيها
الف ولام فلم يكن بد من اسقاطها او تحريكها وكان التحريك اولى لانه ادل على الاصل واشكل
بالمزم في الاستيناف من فتح الف الوصل واسكان الياء في قوله يا عبادي الذين اسرفوا على
انفسهم اجود لان من حق ياء الاضافة لا تثبت في النداء واذا لم تثبت فلا طريق الى تحريكها
التي انعمت عليكم من السابقة واللاحقة والظاهرة والباطنة والمنعم اسم للشيء المنعم
به اضافها الى ذاته اذ لا نعم فيتدها بهم هدى لهم وحثا لطباعهم المجبولة على حبها على القيام بشكرها
وانما قيل ان الانسان غيور وحسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله تعالى على غيره يحمله الغيرة
والحسد على الكفر المسخط فانما يصلح وجها لقيدها بغيرهم وهو بمعزل عن هذا المقام لما عرفت ان
المراد القيام بهذا الشكر لا بمجرد الذكر واوفوا بعهدي الوفاء مراعاة العهد والعقد تماما
لان الانجاز في الفعل كالصدق في القول والغدر والخلف كالكذب فيه واوفى ابلغ من وفى كما ان
اسقى ابلغ من سقى والعهد وهو حفظ الشيء ومراعاته حالا فحالا قال الخليل اصله الاحتفاظ
بالشيء ولحفاظ العهد وسمي للتوثق عهدا للزوم مراعاته يضاف الى المتعاهد والعاهد وههنا
اضيف الى المفعول اي اوفوا بعهدي في ان لا تؤثروا على غيري اوف بعهدكم في ان لا انتقم منكم

خبري ايفاؤه تعالى بعهدي لهو ترتيب الجازما وعدهم على ذلك وانما سماه عهدا على سبيل المقابلة
ابرزه في صورة الشروط الملتزم والجزاء اوفي على جواب الامر وهو متضمن لامر معنى الشرط
فالجزم جوابه او نايب عن الشرط اذا اخذت جملته قولا فولان ويجوز ان تكون اضافته اي في
الاول الى الفاعل اي اوفوا بعهدي الذي قبلتم يوم الميثاق اوف بعهدكم الذي ضمنت لكم يوم التلاقي
وقيل هو ما اخذ عليهم من العهد في كتابهم كالايمان برسالت محمد عليه السلام قال الله تعالى واذ
اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وإياي فارهبون من باب
الاضمار على شريطة التفسير كقولك زيدا رهبته والفاء لتقرير الشرط اي واياي ارهبوا ان
كنتم رهبتم شيئا فارهبون وهو آكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لتكرار الرتبة مضمرة
ومظهرة وايقاعهما على المفعول مرتين مع التقدم في الاولى واخراج الكلام على الجملة الشرطية
والرهبة خوف مع تحرز واضطراب والتضمنة الاحتراز اختيرت على الخوف لان المقام مقام
الحث على التحرز عن نقض العهد وحذف اليا في فارهبون لدلالة الكسرة عليه ولكون
الفواصل كالقوافي وآمنوا بما انزلت اي القران الذي انزلته على محمد عليه السلام
مصدقا لما معكم من الكتب الالهية حيث نزل حسب ما نعت فيها حال وذو الحال الضمير في انزلت
والموصول ويحتمل ان يكون ما مصدرية والتقدير امنوا بانزال مصدقا لما معكم وفيه تنبيه
على انه لا منافاة بما اتى به الانبيا عليهم السلام من اصول العبادات واما الاختلاف في جزئيات
الاحكام وفروعها لما يقتضيه مصلحة كل قوم وزمان فكل مصدق الاخر بما اتى به من حيث
ان كليات شرايعهم متساوية فان فروعها حق بحسب الاضافة الى زمان كل واحد منهم وانه
حق لو كان احدهم في زمان الاخر لرأى المصلحة الاتيان بما اتى به الاخر واما قوله عليه السلام لو كان
موسى حيا لما وسعه الا اتباعي فليس وجهه هذا بل كونه عليه السلام مبعوثا لكافة الناس فلم
يسع من في زمنه كائنا من كان الا اتباعه بخلاف ساير الانبيا عليهم السلام ولا تكونوا
اول كافر به لا مفهوم ههنا لقوله اول فيكون قد ابيح لهم ثانيا او اخرا وانما ذكرت الاولية
لانها افحش لما فيها من الابتداء بالكفر ولان المعنى لا تكونوا ائمة في الكفر فيقتدي بكم بتاعكم
فتكونوا حاملين اوزارهم واوزاركم كما قال تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار
الذين يضلونهم بغير علم فلا بد من القيد المذكور لافادته فاضيف الى مفرد وان كان قبله جمع
لان المفرد اذا كان صفة جاز ان يطابق وان يفرد وقد جا ذلك في قوله واذا هم طعموا فالام
طاعم واذا هم جاعوا فشر جايع افرد في طاعم وطابق في جياع وقال النحاة فقدره الف لام من
طعم وقدره غيره الام فريق طاعم والضمير فيه به للمنزل والمنزل عليه ويجوز ان يكون لما معهم
فان فيه لغة فالكفر به كفر لما يصدقه وعلى هذا ايضا لا يكون القيد المذكور على ظاهره لان مشركي
العرب سيقوم اليه هذا بحث جليل النظر واما الذي بحث دقيقه فهو اذا انما وحد الحمى عن ضمير

الجمع

الجمع لان حكمهم لتساندهم واتفاقهم على دين واحد واتحادهم لذلك والالفة فيما
بينهم كان حكما واحدا وعلى هذا ورد قوله تعالى فقولا انا رسول رب العالمين واول
افعل لا فعل له وزنه افعل واصلها وول واوال واول واوال ولا تشتروا باياتي ثمنا
قليلا استعير الاشترا للاستبدال والثمن القليل هو الرياسة التي كانت عليهم في
قومهم فاستبدلوا بايات الله تعالى لانهم خافوا فواتها لو امنوا بمحمد عليه السلام وصدقوا بكتابه
وما اقلها بالنسبة اليه قليل والهدى الذي كل كثير بالنسبة اليه حقير فكيف بالمتاع الدون
اليسير فلا مفهوم لقوله قليلا بل فيه التنبيه على خساسة انفسهم اذ يبدلون الشي العظيم
في تحصيل الشي الحقير واما اوثر الثمن على البيع مع انه ابلغ في التحقير والتنبيه على ان الحظوظ
الدنيوية وسايل لا مقاصد والبقي على تعاكس اخواتهم وافعالهم حيث جعلوا المثمن ثمنا والثمن
مثمنا اوفي الباو الاستعارة التابعة تذكرها تقوية لهذا المعنى وإياي فاتقون باتباع الحق
والاعراض عن الباطل فصلت الاية الاولى بالرهبة لان التحذير فيها عن الكفر ونقض العهد
وهما من المعاصي وهذه الاية بالاتقا وهو فرط الصيانة لان التحذير ههنا عن الكفر عقدا
وعملا ولك ان تقول ان التقوى فوق الرهبة بحيث ما خاطب لعامة عالمهم ومقلدهم وحثهم
على تلك النعمة الذي يشتركون فيها اوهم بالرهبة التي هي مبادي التقوى وحيث ما خاطب العلماء منهم
خاصة وحثهم على مراعاة اياته والتنبيه على ما اتى به اولوا العزم من الرسل امرهم بالتقوى
التي هي منتهى الطاعة ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس والستر اخوان
وضد الستر الكشف وضد اللبس الايضاح واللباس ما واريت به جسدك ومن جملة اسبابه
الخلط وقد تقدم الكلام في الحق فاما الباطل في الاثبات عند التمحص عنه والحق بما فيه
وذلك عام في الاعتقاد والمقال والفعال والباء صلة معناها الالصاق اي لا تخلطوا الحق
بالباطل بان تكتبوا في التوراة ما ليس منها او للاستعانة اي لا تجعلوه ملتبسا بسبب الباطل
الذي تكتبوه فلا نظر حينئذ الى معنى الاختلاط كما لا نظر في الاول الى معنى الاشتباه وتكتموا
الحق بان تقولوا ليس وصف محمد عليه الصلاة والسلام وهذا الحكم في التورية فليس المراد
من الحق في الموضعين شيئا واحدا وتكتموا جزم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا ونصب
باضمار ان والواو بمعنى الجمع لا وحقيقة لا تكن منكم لبس الحق والقصد الى ان ينعى عليهم سوء
افعالهم الذي هو الجمع بين امرين كل منهما مستقل بالقبح ووجوب الانتها عنه ويجوز ان يكون
المراد بالحق واحدا ويكون اعادة صريح الحق دون ضمير لانهم يكررون اسماء الاجناس والاعلام
كثيرا لا سيما اذا قصد والتفخيم صرح به الامام المرزوقي والشيخ عبد القاهر وعلى ذلك
ورد قوله تعالى وبالحق انزلناه وبالحق نزل وقوله قل هو الله احد الله الصمد وح يكون النهي
عن الجمع لان الخلط بالباطل قد يكون لترويج الحق واسماعه فان اسماع العوام المجبولة الحق

كلمة

الصرف لانه من يخلط الباطل الحلو به لئلا ينفرونه طبع السامع ليسر مما ينكر كل الانكار
فان الضرر اليسير قد يتحمل للنفع الكثير ومثل هذه الرخصة ترغيبا للمخاطب الى الاستماع من
مقتضيات البلاغة وموجبات الخطابة الا ترى قوله تعالى وانا واياكم لعلى هدى او في ضلال
مبين كيف سير وفيه المقال على ابهام الحال واظهار التردد فيه توسعة لدائرة الاحتمال
وفي مصحف ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وتكتمون وهو في موضع الرفع على حذف المبتدا وانتم
تكتمون الحق وانتم تعلمون في محل النصب على الحال اي في حال علمكم بذلك وبقبحه وانما قيد
به لان الجاهل ربما يقتصر ويجهل قدرا فعلى هذا يكون الحذف اختصارا ورعاية للفاصلة ويجوز ان
يكون اقتصارا اي وانتم من ذوي العلم ولا يناسب من كان عالما ان يكتم الحق ويلبسه بالباطل ففيه
تفسير لهم بانهم يفعلون فعل الجهلاء وتذكير لما فيهم من صفة العلم وحث على العمل بمقتضاه
وذلك ادخل في قبول الحق واسماعه من التقريعات الشديدة واقيموا الصلاة وآتوا
الزكاة التعريف فيهما للعهد والاشارة الى الصلاة المعلومة والزكاة المعينة او للجنس كقولهم
هذا رجل كان ما عدا صلاة المسلمين ليس بصلاة كذا الزكاة لكنهما غير مقبولين والزكاة من زكي
الزرع اذا نمى فانها تثمر المال باستجلاب بركة الله تعالى امرهم بفروع الايمان بعدما امرهم باصوله
فيحتمل ان يكون الامر الثاني مشروطا بالامتثال الاول فلا يكون الاية حجة على المنكرين لكون
الكفار مخاطبين بالفروع واركعوا مع الراكعين اي في جماعتهم فان صلاة الجماعة تفضل
صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة لما فيها من فضيلة المشقة وفضيلة الانتظار وقد تقرر
في موضعه ان من ادرك الامام في الركوع فقد ادرك فضيلة الجماعة والادراك فيما قبله ليس
بشرط ولا عبرة للادراك فيما بعده وهذا هو السر في تخصيص الركوع بالذكر وايثار عبارة مع على
عبادة في وانما اما الاحتراز عن صلاة اليهود فلا حاجة اليه لعلمنا اريد بالصلاة فيما تقدم
صلاة المسلمين واصل الركوع الانحناء قال صاحب العين كل شيء ينكب لوجهه فتمس ركبته الارض
ولا تمس بعد ان يطاطا راسه فهو راكع اتامرون الناس بالبر اعتراض والبر التوسع في فعال
الخير واشتقاقه من البر وهو الفضاء الواسع ويتناول كل معروف وتنسون انفسكم وتتركونها
من البر والنسيان يجيء بمعنى الترك ومنه النسي وهو ما يسقط في منازل المرتحلين من رذالة امتعتهم والهمزة
للتقرير معناه ان الامر الذي ورد عليه الاستفهام مكشوف لا يمكن للمخاطب انكاره فلانه يلجى الى الاقرار
والتعجب من حالهم والتوبيخ بين على الجمع بين امر الناس بالبر وتركه في حق انفسهم روي انما نزلت في احبار اليهود
كانوا يامرون سرا من نصحوه ولا يتبعوه وانتم تتلون الكتاب يعني التوراة تبكيت بالحجة كقوله
وانتم تعلمون وفي عبارة التلاوة واشارة الى وضوح ما في التوراة من النهي عن هذا الوصف الذميم
بحيث يقف عليه كل من يتلوه من اهل اللسان والتلاوة اتباع اللفظ سواء تدبر المعنى فيه اولا وفي الاية
التحريض على تقديم العمل على القول والوعيد على مخالفة القول والعمل ولا ينبغي على من يعظ الغير ولا يعظ

نفسه

نفسه وكان المنكر تركهم انفسهم لا امرهم غيرهم بالمعروف الا انه بدا بالمعروف الا انه لبداءة
التوبيخ به ايماء الى ان ذلك الترك ابلغ في الشناعة غاية خرج ما يقارنه من الفعل المندوب
الى معرض المستنكر وفيه من المبالغة في الانكار على سوء صنيعهم ما لا يخفى افلا تعقلون
توبيخ عظيم بالهمزة وتوسيط الفاء انما تفعلون ذلك فلا تعقلون كانكم مسلوبون العقول فلا
تفطنون القبح ما ترتكبون والعقل اصله المنع الشديد ومنه عقل البعير لمنعه اياه من الشرود
ومنه العقل للدية لانها تمنع ولي المقتول عن قتل الجاني وفي ايثار نفي العقل على نفي العلم تاييد
لما قدمناه يعني ان المحتاج الى ادراكه عند التلاوة انما هو العقل الجبلي لا الادراك المكتسب
ولا دلالة على انه شرعي حيث رتب التوبيخ على ما صدر عنهم بعد تلاوة الكتاب والفاء للعطف
كان الاصل تقديمها لكن الهمزة لها صدر الكلام فتقدمت على الفاء وحكم الواو وثم في نحو اولم
يسيروا اثم الى ما وقع حكم الفا واستعينوا اطلبوا المعونة في دفع المكاره وجلب فالاختصاص
للتعميم بالصبر وهو حبس النفس على ما تكره وتقدمت الاستعانة بالصبر لتقدم تكاليف
عظيمة يشق التزامها على من يالفها والصلاة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احزنه
امر فزع الى الصلاة وهي ارفع منزلة من الصبر اذ هو حبس على العبادة وحبس الخواطر والافكار
على الطاعة بل تقول الامر بالصبر تمهيد للامر بالصلاة فان موجب الجمع بينهما ان يصلوا صابرين
على تكاليف الصلاة متحملين لمشقتها ومما يجب فيها من اخلاص القلب بدفع الوسواس ومراعاة
الاداب ولهذا وانها وخصها برد الضمير اليها دون الصبر ولولا ذكر الصبر تمهيدا لكان حق
الصلاة ان يعاد فيها حرف البا الدال اعادتها على الاصالة والجملة اعتراضية وقيل الصبر لانه
حبس عن المفطرات ومنه قيل لرمضان شهر الصبر وعلى هذا رد الضمير على الصلاة ليس بطريق
التخصيص بل بطريق الاكتفاء بالاعم او الاقدم كما في قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها في سبيل الله وقوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها فان الكناية في احدهما
الى الفضة لانها الاغلب والاعم وفي الاخر الى التجارة لانها افضل واهم لكبيرة من كبر
بمعنى عظم تمثيل وتصوير بمعنى عظم تمثيل وتصوير بمعنى ثقلها وكونها مشاقة على غير الخاشعين
الا من كبر سنتنا مفرع عن كلام موجب فلا بد من تاويل النفي والخشوع هيبة في النفس يظهر
منها في الجوارح سكون وتواضع وفيه اشارة الى ان الصلاة التي تخف على غير الخاشع مسماة
باسمها وليست هي في حكمها فان قيل هل لا يلزم ان يكون ثواب غير الخاشع اكثر مما جاء في الخبر
ان اكثر الاعمال ثوابا اشقها قلنا لا يلزم ان يكون ذلك لان مفهوم الخبر ان الاعمال المتساوية في
اشتمال الاركان والشرايط وساير ما يجب رعايته او يستحب اكثرها ثوابا اشقها الذين يظنون
انهم يظنون انهم ملاقوا ربهم لما كانوا الملاقاة متعذرة الحمل على الحقيقة جعلت كناية عن رؤية الله
تعالى وهذا الوجه فيما يروى في الاخبار لقي الله تعالى وهو عليه غضبان والظن بمعنى العلم وبعضده

الا على الخاشعين

ان في مصحف ابن مسعود تعلمون ولا يضار الى التضمين الا عند قيام القرينة اللفظية وهي ذكر ما يتعلق بالضمن وهو مفقود هاهنا وفي عبارة الظن اشارة الى انه يكفي في حصول الخشوع الذي يزول به الخشوع الثقل في الصلاة ادنى مراتب الاعتقاد بملاقاته تعالى وقيل الملاقاة ثوابه وحينئذ يكون الظن بمعنى التوقع لانه وان علم انه لا بد من ثواب او عقاب للازم لكنه وياباه قوله وانهم اليه راجعون اي يشهد حكومته يوم العرض والسؤال اذ لا يناسبه معنى التوقع وتقدير عامل آخر له خلاف الظاهر وانما نقل على غيرهم لانهم لم يتقيدوا بالجزاء ولم يرجوا الثواب فكانت في حقهم مشقة خالصة ولم يثقل عليه لانهم اعتقدوا بلقاء الجزاء وتوقعوا ما ادخر الصابر على متاعبها فراقوا لها برغبة ونشاط وانشراح صدور واستلذاذها ومن ثمه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم تكرير لتمهيد بذكر نعمة التفضيل وقد جاء تفصيلها في قوله واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبيا وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين وذكر كذلك النعمة على الآباء التزام الشكر على الانبيا لانهم يتشرفوا بشرفهم ولذلك قال واني فضلتكم ولم يقل فضلت باكرم والفضل الزيادة في الخير والجملة في محل النصب معطوفة على معنى ما تقدم اي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين الظاهر هو الاستغراق العرفي بقرينة ان المتبادر من الوجود المعتبر في مفهوم العالم الموجود بالفعل لعدم الدلالة فيه على التفضيل من كل جهة عموما ومن جهة القرب والمكانة عند الله تعالى خصوصا ولذلك لم يكن فيه متمسكا لمن فضل البشر على الملك واتقوا يوما يريد يوم القيامة وعظمه التنكير ثم بالتوصيف والمقصود بيان كون ذلك معتادا للمخاوف بحيث لا يكون احد من اتاه خاليا من الخوف وهذا يجعل نفس اليوم مخوفا لا ما فيه لا تجزي نفس عن نفس شيئا لا تقضي نفس ما من النفوس عن نفس شيئا حقا من الحقوق وشيئا مفعول ويجوز ان يكون في موضع المصدر اي قليلا من الجزاء وعلى قراءة لا تجزي من اجزي عنه اذا اغنى عنه لا يكون الا بمعنى شيئا من الجزي والجملة في موضع النصب صفة ليوما والعائد محذوف اي لا تجزي فيه وهذا الحذف بتدريج او حذف برمته ابتداء قولان ولا تقبل منها شفاعة اية شفاعة كانت والضمير منها راجع الى النفس الثانية العاصية اي ان جاءت بشفاعة شفيع لم تقبل منها ويجوز ان تكون ترجع الى الاولى اي لا تجزي منها شيئا وان شفعت لها لا تقبل وقس على هذا قوله ولا يؤخذ منها عدل والعدل الفدية لانها تعادل المفدى والشفاعة من الشفع كان الجاني فرد فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه وضمير الجمع في ولا هم ينصرون يرجع الى ما دلت عليه النفس المنكرة في سياق النفي الدالة على العموم والتذكير بمعنى العباد والاناسي والنصر احق من العونة لاختصاصه بدفع الضر وانما عدل عن الجملة الفعلية المعطوفة على اخواتها الى الاسمية للدلالة على الدوام الوضعي اي ولا ينصرون دايما ما داموا هم هم وفيه ايماء الى انه ينصر غيرهم

وانما فنظم الافناط الجملي لان اليهود كانوا يزعمون ان اباءهم الانبيا عليهم السلام يشفعون لهم فلما كان الخطاب لليهود وكان تقديرهم تجزي نفس ما منكم عن نفس ما منكم فلا دلالة فيه على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة مطلقا وكانه اريد بالآية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون باعطاء شي ومجانا فان كان الاول فاما ان يكون بادا ما كان عليه وهو الجزاء او غيره وهو الفدية وان كان الثاني فاما ان يكون على سبيل اللطف وهو الشفاعة او على القهر وهو النصرة وانما عدل عن الترتيب الذي هو مقتضى هذا التقسيم اختيارا للاسلوب الترقي كما قيل النفس الاولى غير قادرة على الاستخلاص صاحبها بقضاء الواجبات وتدارك التبعات لانها مشتغلة عنها بشانها كما افصح عنه قوله لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه ثم ان قدرت على سعي ما مثل الشفاعة ولا يقبل منها وان زادت عليها بان بضمها الفدا فلا يوخذ منها وان حاولت الخلاص بالقصر والغلبه وانى لها ذلك فلا تتمكن منه فالترقي من السعي الى السعي واذ نجيناكم اذ نصب ما ذكروا النجية التخليص من مكروه وشدة ومثله الانجا فقيل بمعنى نجيناكم القيناكم على نجوة من الارض وهي ما ارتفع منها هذا هو الاصل ثم سمي كل فائز ناجيا فالناجي من خرج من ضيق الى سعة ومعناه وخلصنا اباءكم وجعل ذلك نعمة عليهم لانهم نجوا بنجاتهم ومن عادة العرب يقولون قتلناكم يوم عكاظ اي قتل اباؤنا اباءكم وقرئ نجيناكم توافق الضمير ضمير نعمتي وعطفها عليها كعطف جبرائيل وميكائيل عليهما السلام على الملائكة وتفصيل لما اجمله في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم والتفصيل لا يلزم ان يكون على وجه الاستيعاب بل يكتفى فيه بذكر المعظم من آل فرعون اصل آل اهل لان تصغيره اهيل فابدلت هاؤه الفا وخص بالاضافة الى اعلام الناطقين دون النكرات والامكنة والازمنة وفرعون علم لشخص يسمى به كل من ملك العمالقة وهم جبابرة مصر وضعا ابتداء اذا دل على ذلك منع صرفه وجمعه باعتبار الافراد كقيصر لملك الروم وكسرى لملك فارس ولشهرة الفراعنة بالعتو اشتق منه تفرعن اذا عتى وتجبر وآله قومه المناسبون له وحقيقته الاهم الذين يؤول امرهم اليه في نسبة او صحبة يسومونكم حال من آل فرعون وسيناف حكاية حال والسوم اصله الذهاب في ابتغاء الشي فهو لفظ مفرد بمعنى مركب من الذهاب والابتغا ناجرى مجرى الذهاب في قولهم سمته كذا من السوم في البيع سوء العذاب نصب على المفعول ليسومونكم والسوء مصدر ساء اي قبح ومعنى سوء العذاب مع انه بقسمه سيئ افحشه واقطعه يذبحون ابناءكم استيناف او حال من ضمير الفاعل في يسومونكم او بدل منه او معطوف عليه حذف منها حرف العطف ويؤيده ثبوته في سورة ابراهيم عليه السلام ويستحيون نساءكم الاستحيا استفعال من الحياة اي يبقون بناتكم للخدمة مستحيين بما يؤول اليه امرهن ولما في صيغة الاستفعال من الدلالة على ان بقاهن كان لمصلحتهم فان المذكور من جملة الشدايد وفي ذلكم بلا البلاء الاختبار ويكون بالشر لتصبروا وتكون محنة وكلاهما يحتمل هاهنا بحسب احتمال المشار اليه ان يكون

مصدر انجيناكم او مصدر يسومونكم ويذبحون ويستحيون والاول اوفق بقوله من ربكم
والبق باصل المقام فانه لتعديد النعم والثاني اليق بمقام تفصيل المحن وانسب للتذييل بهذه
الجملة الاعتراضية عظيم صفة بلاء وفيما ذكر من المبالغة والتاكيد بالاجمال والتفصيل
والتسجيل بان الذبح اشد العذاب وافظعه وهذا لا يخفى ولهذا ذيله بالاعتراض تاكيدا وتقوية
له واذ فرقنا الفرق والفلق كالفصل لكن الفلق لا يكون الا بين جسمين والفرق يكون
فيهما وفي المعاني وقرئ فرقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط والبا
بكم للسببية اي بسببكم وبسبب انجائكم ولا يجوز ان تكون للملابسة اي ملتبسا بكم ولا للاستعانة
اي سلكوا بها وتفرق بكم كما يتفرق بكم الشي بالسكين عند قطعه لان قوله تعالى ان اضرب
بعصاك البحر فانفلق صريح في ان انفصال البحر بعضه عن بعض وحصول المسالك كان بضرب
العصا قبل اخذهم في السلوك فان في الفا الفصيحة في قوله فانفلق دلالة على عدم تراخي الانفلاق
عن الضرب البحر هذا البحر كان قريبا من مصر فرعون موسى عليه السلام يقال له اساف
ويسمى اليوم بحر القلزم فانجيناكم من خطر عبور البحر وانجيناكم من ضيق مسالكه اي سعة
البحر وهذه الفاء ايضا فصيحة واغرقنا غرق في الماء من حد علم او رسب فيه فهو غرق
اذا كان لم يمت بعد فاذا مات فهو غريق وجمعه الغرقى ال فرعون اتباعه فهو اول
الغرقى واولى به فكان غرقه معلوما دلالة وفي ما في العدول من الضمير الى المظهر من التنبيه
عن السبب اي السبب لذلك الحال كونهم اتباعه نوع ما يؤيد لتلك الدلالة وانتم تنظرون
تقلبون ابصاركم في الجهات نظر المبهوت اذا فاجاه خطب وتنظرون ما يفعل باعدائكم
على الاول ويكون النظر بمعنى طلب الابصار وعلى الثاني بمعنى الانتظار روي انه تعالى امر موسى
عليه السلام ان يسير ببني اسرائيل فاتبعهم فرعون وجنوده مشرقين ولما تراءى الجمعان وهم
على شاطئ البحر اوحى الله تعالى الى ان اضرب بعصاك البحر فضربه فظهر فيه اثني عشر طريقا
يابسا فسلكوها حتى جاوزا البحر ثم وصل اليه فرعون فراه منفلقا فاقتحم فيه هو وجنوده
فالتطم عليهم واغرقهم جميعا واذ وعدنا موسى اربعين ليلة الوعد هو الترجية بالخير
وعد الله تعالى موسى عليه السلام بعد هلاك فرعون ان ينزل عليه كتابا مما يتمون اليه ويتمسكون
به وعين له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وانما عبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وانتصاب
اربعين على انه مفعول به اي الموعودة بل لا تساع المفهوم بجعل الزمان لكون شرط الموعود
وعودا ولا يجوز نصبه على الظرف لانه معدود فيلزم ان يكون وقوع العامل في كل فرد منها وليس
كذلك وقرئ واعدنا وقال الزجاج هذا جيد لان الطاعة في القبول بمنزلة المطاوعة فمن الله
تعالى وعد ومن موسى عليه السلام قبول وموسى اسم اعجمي لا ينصرف للعجمة والتعريف روي
ان القبط يقولون للماء مو وللشجر شي فلما وجد موسى عليه السلام في التابوت عند ماء وشجر

سمي موسى ثم اتخذتم العجل اي اتخذتموه الها وحذف المفعول الثاني للعلم به ولسماجة ذكره
وتفظيع لشانه حيث ترك تطهيرا اي جعلتموه لانفسكم معبودا ونسبة الاتخاذ على جميعهم وان كان
بعضهم لم يتخذ ولم يرض به لان العلية قد تدوم وتترح لما وقع من بعضها وفيه تنبيه على زيادة القبح
في ذلك الاتخاذ حتى خرج البري مخرج الدم لمقارنته المباشرة والتعريف في العجل للعهد والمعهود
ما ذكر في قوله تعالى عجلا جسدا له خوار وثم للتعديد بين مشاهدة النعم المذكورة واتخاذ العجل
معبودا لان معنى التراخي قد فهم من قوله من بعده الضمير لموسى عليه السلام والمعنى بعد
غيبته وهي المضي الى الطور وانتم ظالمون اخبار بان تجنبهم الظلم يرشدك الى هذا قوله
في موضع اخر اتخذوه وكانوا ظالمين والاتخاذ المذكور يدل على انهم مجسمة او حلولية ثم عفونا
اي تجاوزنا عنكم حين تبتم فان قلتم الهم عو قتبوا بالقتل على ما ياتي عن قريب فما معنى العفو
قد يكون قبل العقوبة وقد يكون بعدها بخلاف الغفران فانه لا يكون معه عقوبة البتة على ان
العقوبة كانت لبعضهم واصل العفو المحو من عفت الريح الاثر اذا ذهبته لا من عفى المترك اذا
درس فانه يتعدى ولا يتعدى وثم للبعد فان العفو بعد ارتكابهم مما هو الموجب لاشراك
العذاب في غاية البعد وذلك في قول من بعد ذلك لتعظيم الشرك ثم عفونا من بعد ذلك
الامر العظيم البعيد عن العفو لعلكم تشكرون نعمة العفو ومعنى الشكر في اللغة
عرفان الاحسان بالجنان ونشره باللسان وتفسير لعل بكي مردود بان جمهور ائمة اللغة اتفقوا
في بيان معناها الحقيقي على ان الترجي والاشفاق وعدم صلوحها لمجرد معنى العلة والغرض
مما وقع عليه الاتفاق الا ترى قوله دخلت على المريض كي اعوده واخذت الماء كي اشربه
ولا يصح لعل وحملها على الارادة انما يصح على اصل الاعتزال واما على اصل اهل الحق فلا صحة
له لان ارادته تعالى تستلزم الوقوع عندهم ولم يقع فلا بد من الحمل على كونهم في صورة من يرجى
من الشكر وان يتعلق بالارادة واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان الواو بينهما التي تتوسط بين
الصفات المفيدة كون الموصوف جامعا لها اي الشي الجامع بين كونه كتابا منزلا عند الله وبين
كونه فرقانا يفرق بين الحق والباطل وهو التوراة وفي توصيفه بالكتاب في مقام المدح اشارة
الى ان نزوله من السما مكتوبا وحمل الفرقان على النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كما في قوله
تعالى الفرقان يعني يوم بدر لا يناسبه قوله لعلكم تهتدون باتباع ذلك الكتاب المنزل
والعمل بما فيه قال تعالى انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور واذ قال موسى لقومه القوم اسم
جمع لا واحد له من لفظه ويختص بالرجال يا قوم المنادى اذا اضفته الى نفسه جاز حذف الياء واثباتها
كما في قوله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا وفتحها كما في قراءة من فتح الياء والاجود الاكتفاء بالكسرة
انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل اي ضررتم انفسكم بايجاب العقوبة عليها اذ نقصتموها
ثواب الاقامة على عهدي فان الظلم في اللغة النقص وفي العرف الضرب الخالي عن النفع بزيد

عليه ودفع مضرة اعظم منه وظلم الانسان نفسه افحش من ظلم غيرها فتوبوا الى بارئكم
فاقتلوا انفسكم الفا الاولى للسببية لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب فان كانت
توبتهم نفس القتل فقوله فاقتلوا تفسير وتفصيل لقوله فتوبوا ولا حاجة الى تقدير العزيمة
وان كانت تتمة التوبة وسبب قبولها فمعناه توبوا فاتبعوا توبتكم القتل تماما لها والتعدية
با الى لما في التوبة من معنى الرجوع وخص البارى بالذكر من ساير اسمايه لان البارى هو الذي
خلقهم بريا من التفاوت في الوقوع والتشابه في الشخص وذلك من عجيب حكمته وبديع
قدرته فضيعتم على تركهم عبادته وهذا شانه الى عبادة ما هو مثل في الغباوة حتى عرضوا
انفسهم لسخطه فناسب خلقهم وجمع بنيتهم باللطف نقلهم وفك تركيبهم بالقهر حيث يقل بلاء النفر
ههنا يعني هذه البنية الانسانية والقتل هو ازهاق الروح وحمل قوله فاقتلوا انفسكم على الظاهر
وهو النخع اي فليقتل كل احد نفسه ويجوز ان يكون على التجوز بجعل المقتول نفس القاتل لما بينهما
من التعلق والاتحاد في الاعتقاد وقيل امروا ان يقتل بعضهم بالسيف بعضا وقيل من لم يعبد
العجل ان يقتل العبدة ذلكم خير لكم اي ذلك القتل والرجوع انفع لكم من الحيوة بالاصرار
المودي الى العذاب بالخلد في النار ولما كان ظهور نفعه في الاخرة بالحياة الابدية والبهجة السرمدية
نبه عليه بقوله عند بارئكم واعادة بارئكم كاعادة الحق في قوله تعالى وبالحق انزلناه وبالحق
نزل فتاب عليكم اخبار بالتوبة وعطف على محذوف اي فامتثلتم فتاب عليكم وهاتان
الجملتان مندرجتان تحت الاضافة الى الظرف الذي تقدم والتفات من الغيبة الى الخطاب
حيث عبر عنهم بطريق الغيبة بلفظة قومه واما اندراجه تحت قول موسى عليه الصلاة والسلام
على تقدير شرط محذوف اي ان فعلتم ففيه ان دخول الفا الجزائية على الماضي المتصرف من غير
قد غير جايز واضمارها ضعيف وحذف فعل الشرط واداته معا وابقاء الجواب مما نوزع في
صحته انه هو التواب الرحيم المبالغة في الوصف الاول لكثرة توفيقه تعالى التوبة وقبولها
مرة اخرى والمبالغة في الوصف الثاني لعدم الاستعجال في امر العقوبة والامهال الى زمان
التوبة او عودا واذ قلتم يا موسى تعداد عليهم ما صدر عنهم من سوء الاقتراح وفي ندايهم موسى
كليم الله باسمه دليل على سوء ادبهم معه وقد تكرر ذلك منهم لن نؤمن لك تعدية الايمان
باللام باعتبار تضمينه معنى الوثوق وما قيل اي لاجل قولك يا باه قوله حتى نرى الله
لان عدم ايمانهم لاجل قوله لا ينتهي عند رؤيته تعالى بل يستمر والرؤية بصرية واكدت بقوله
جهرة اي غير مستتر عنا بشيء مبالغة في الابصار وانتصب على المصدر لانها نوع من الرؤية او على
الحال بمعنى ذوي جهرة وقرئ جهرة بفتح الهاء وهي اما مصدرية كالغلبة واما جمع جاهر
والوجه الاتجه هو ان يكون بمعنى جهرة لان كل اسم كان ثانيه من حروف الحلق يجوز تحريكه قياسا
مطردا كبحر وبحر ونهر ونهر والاصل في القرانين التوافق والجهر حقيقته في ظهور الشيء بافراط

صوقا كان او عينا والقايلون هم النافلوا النقبا السبعون الذي خرج بهم موسى عليه السلام
الى الطور وقيل قاله عشرة الاف منهم والمؤمنون به ان هذا كتاب الله وانك سمعت كلامه
وانه امرنا بقوله والعمل به فاخذتكم الصاعقة لا لاستحالة المسئول بل لانهم لو سالوا
سؤال المسترشد لما سالوا سواله تعنتا واساوا الادب في السؤال حيث قالوا لن نؤمن لك والصاعقة
كل امر هايل مميت ومزيل للعقل والفهم غالبا والمراد الصيحة الهايلة الحاصلة بالرجفة لقوله
تعالى فاخذتهم الرجفة واصله الاضطراب فخروا صاعقين ميتين يوما وليلة وانتم
تنظرون دل هذا على ان جاتهم معاينة بالنهار وهم ايقاظ يبصرونها وذلك اقطع واشد
وقعا ثم بعثناكم البعث اثارة البارك والنايم عن مكانه ونشر الميت كبعث النايم
بالتقييد بقوله من بعد موتكم اي بسبب الصاعقة لتعيين المراد ورفع الاشتباه لعلكم
تشكرون نعمة البعث او نعمة الهداية بعد الضلالة وظللنا عليكم الغمام اي وجعلنا
الغمام يظلكم وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من حر الشمس في اللغة
الستر والغمام جمع غمامة وهي ما ابيض من السحاب سمي بها لستره فان كل ما يستر شيئا فهو غمه
وانزلنا عليكم المن هو الترنجبين وكان ينزل كهيئة الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس
والسلوى هو السماني وكانت ريح الجنوب تحشره عليهم كلوا على ارادة القول من طيبات
ما رزقناكم من المشتهيات الخاليات عن الاذى والمضرات وعن الحرمة والكراهة لان الامر
الاباحة لا يليق بهما وما ظلمونا عطف على مقدر اي فظلموا بكفرانهم هذه النعم
وما ظلمونا فالواو فصيحة ولما اخبر عن وقوع الظلم ونفى ان يصل اليه تشوفت النفس الى
ذكر من وقع منه الظلم واتصل به ضرره فاستدرك ببيانه ولكن كانوا انفسهم يظلمون
فتقديم الفعل للتخصيص والجمع بين كان وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددي
واذ قلنا ادخلوا الدخول الانتقال من العورة الى الحصن هذه القرية هو كقولك
هذا المال وذلك الرجل يبنيهما على كماله فان الشيء اذا عظم امره يوصف باسم جنسه والقرية
الابنية التي هي مجتمع الناس من قولك قريت الماء في الحوض اي جمعته فيه والمراد بالقرية
ههنا بيت المقدس امروا به بعد التيه وقد امروا بالدخول في الارض المقدسة مرة اخرى وذلك
الامر قبل التيه دل على ذلك ما في سورة المايدة من ترتيب على عدم امتثالهم لهذا الامر فكلوا
منها حيث شئتم اي ابحنا لكم ووسعنا عليكم فتعيشوا فيها اين شئتم بلا تضييق ولا منع وذكر
الاكل لانه معظم المقصود والفا افادت تسبب دخولهم لاكل منها لانه كناية عن استيلائهم
عليها وهو سبب الملك المعبر عنه بالاكل رغدا واسعا نعت لمصدر محذوف ويكون ان يكون
موضع الحال وادخلوا الباب يعني باب القرية قال مجاهد والسدي هو باب الثامن
من بيت المقدس يعرف بباب حطة والامر على لسان يوشع ابن نون عليه الصلاة والسلام

يظلمون

فلابثا في عدم دخولهم في حياة موسى الصلاة والسلام سجدا امروا بالسجود عند الانتهاء
الى الباب شكرا لله تعالى وتواضعا وقيل امروا بالدخول بخشوع واخبات وقولوا حطة
فعلة من الحط وهو انزال الشيء من علو وحط الذنب اسقاطه وثم كالقاء الحمل عن الظهر وحط حطا
متعد وحط حطوطا لازم وهي خبر لمبتداء محذوف اي مسئلتنا حطة والاصل النصب بمعنى
حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطي معنى الثبات وقرئ بالنصب على الاصل على انه مفعول
قولوا وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم جواب
الامر مترتب على دخول الباب بقيد السجود وقول حطة الغفل والغفران والمغفرة الستر ومنه
جم الغفير الجمع الكثير الذي يستر بعضه بعضا والخطايا جمع خطيئة بمعنى الاثم يقال
خطي اذا اثم متعمدا او سنزيد المحسنين ثوابا يعني من كان خاطيا غفرنا له خطاياه ومن كان
محسنا زدنا في عطاياه ففي الكلام جمع وتفريق اما عدم انجزام سنزيد مع عطفه على مجزوم
فللخروج عن صورة الجواب بدخول السين المانعة عن الانجزام ونكتته الاخراج الدلالة
على انه يفعل البتة كان تلك الزيادة اذا كانت عن وعد الله تعالى كانت اقطع مما اذا
كانت مسببة عن فعله فبدل الذين ظلموا وضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التبدل
ظلم او مسبب عن ظلمهم وعادتهم في وضع الاشياء غير مواضعها وان المبدلين بعضهم لا كلهم قولا
غير الذي قيل لهم اي امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فبدلوا به قولا معناه غيره
وليس الغرض انهم امروا بلفظة معينة فجاؤا بغيرها لانهم لو قالوا مكان حطة استهزاء وامرا منا
عن طلب ما عند الله الى طلب ما اشتهت نفوسهم فانزلنا على الذين ظلموا الاظهار في موضع
الاضمار للتنصيص على عدم تعدي العذاب عن الذين ظلموا الى غيرهم فان منه ما يتعدى الى غير
الظالم على ما دل عليه قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا الى غيرهم فانه منه ما لا يتعدى
الى غير الظالم على ما دل عليه قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واما
الاشعار بان الانزال عليهم بظلمهم المذكور فقد حصل من الفاء الدالة على التسبب فيما تقدم
رجزا من السماء هذا في غاية الاستداد خارجا عن حد العتاد بالنسبة الى السماء للاشارة الى
هذا المعنى روي انه مات بالطاعون في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا وقيل سبعون
وههنا وجه اخر وهو ان العذاب ضربان ضرب يحصل لاسباب الظاهرة فيظن انه يمكن دفاعه
كالهدم والغرق وضرب يحصل باسباب غير ظاهرة فلا يظن انه يمكن دفاعه كالطاعون
والصاعقة وقد شاع في متعارف الناس نسبة هذا الضرب الى السماء والرجز اسم ما يطلق على العذاب
الموجب للاضطراب يقال ارتجز اذا ارتعب بما كانوا يفسقون بسبب اعتيادهم الخروج عن
الطاعة واذ استسقى موسى لقومه الاستسقاء طلب السقي والاسقاء والسقي ان يجعل له
ما يشربه والاستسقاء التعريض للماء وجعله له لبيتنا وله متى اراده فهو اخص معنى من السقي وقد

دل ذلك على انهم عطشوا واشتد حاجتهم الى الماء وكان العطش والتظليل في التيه ودخول القرية
بعدها ولم يراع الترتيب في ذكرها لان المقصود تعديد النعم والتفريع على كفرها انها نعم نعمة
على التفصيل والتفريق اذ لو على ذلك لانها لو وردت مرتبة كانت قصة واحدة فيظن ان المراد
ذكر نعمة واحدة فيظن ان المراد فقلنا اضرب بعصاك الحجر كانت عصاه من اس الجنة وله
شعبتان تتقدان في الظلمة واللام في الحجر للعهد على ما روي انه كان حجرا اهبطه ادم عليه
الصلاة والسلام من الجنة فوقع الى شعيب عليه الصلاة والسلام فاعطاه اليه مع العصاء او حجرا
طوريا حمله منه او الحجر الذي فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبراه الله تعالى به عما رموه
من الادرة فاشار اليه جبرئيل عليه الصلاة والسلام بحمله او للجنس على ما قيل لم يامره ان يضرب
حجرا معينا ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وهذا الحجر
في الحجة فالاول انسب لتعريف قرينة قال ابن عطية لا خلاف انه كان حجرا منفصلا مربعا
يطرد من كل جهة ثلاثة عيون اذا ضربه موسى عليه الصلاة والسلام واذا استغنوا
عن الماء ورحلوا جفت العيون واياك ان تتوهم ان هذا من قبيل ما يستند الى الطبايع من الحوض
كجذب بعض الاحجار الحديد وحلق بعضها الشعر لانه لا يتبع الارادة والحاجة والحق ان
فتح باب مثال هذا الوجه الباطل في خوارق العادات الصادرة عن الانبياء صلوات الله وسلامه
عليهم سعي في سد طريق دلالة المعجزة عن صدق النبوة فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا
متعلق لمحذوف يفصح عنه الفاء الفصيحة تقديره فضرب فانفجرت ونكتة الحذف الدلالة
على سرعة الامتثال وظهور الاثر في الماء على ان المقصود بالامر اثر الضرب لا الضرب نفسه
والاشارة الى ان ترتب الانفجار وان كان في الظاهر على ضرب موسى لكنه في الحقيقة
على امر الله تعالى به وبتعليقه عليه والتفجر الشق ومنه الفاجر لانه فسق ينشق عصا المسلمين
بخروجه الى الفسق والعين الينبوع وهي مؤنثة سماعا ونصب على التمييز وجاز اجتماع علامتي
التانيث في اثنتي عشرة لانهما في شيئين قد علم كل اناس الاناس اسم جمع لا واحد له من لفظه
والمراد كل سبط من اسباط بني اسرائيل وكانوا على عدد العيون مشربهم المشرب موضع
الشرب والعلم بموضع الشرب كناية عن عدم التجاوز عنه كما قيل فلان يعرف حده اي
لا يتجاوز عنه ففي الكلام ايجاز بليغ حيث دل على سبق التعيين والتخصيص قيل كانوا ستمائة
الف وسعة العسكر اثني عشر ميلا كلوا واشربوا على تقدير القول من رزق الله
من المن والسلوى وماء العيون وقيل الماء ينبت منه الزرع والثمار فهو رزق يؤكل منه
ويشرب ولا وجه له في هذا المقام لانهم في التيه ما كانوا ياكلون من زرع الماء وثمره
من للابتداء وللتبعيض والرزق المرزوق والاسناد الى الله تعالى لعدم التوقف على الكسب
العادي والا فالرزق كله مستند اليه تعالى خلقا وايجادا ولا تعثوا في الارض مفسدين

لما كان قد نهبا لهم الماكول والمشروب من غير تعب نهوا عن الفساد وان كان ذلك قد
يدعوا اليه كما قال الشاعر ان الشباب والفراغ والجده مفسدة للمرا اي مفسده
والعيثي على ما ذكر في العين اشد الفساد والفساد خروج الشي عن ان يكون منتفعا به وربما
لا يكون منهيا بل يكون واجبا لهدم دور المشركين وحرق زرعهم وكذلك قيد بقصد الافساد المستفاد
من قوله مفسدين فان المفسد من باشر الفساد عمدا لامر صدر عنه الفساد مطلقا ولو سهوا وقد يقال
ما في مفهوم العثي تنفار بان نحو جذب وجبذ الا ان البعث اكثر ما يقال فيما يدرك حسا والعثو فيما
يدرك حكما وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد يعني ما رزقوا به في التيه قيل كان ينزل
عليهم المن وحده ثم ملوه فارسلت عليهم السلوى وكان هذا الكلام منهم قبل نزول السلوى وقيل اريد
بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل فلا ينافي التعدد فادع لنا ربك سله لنا بدعائك اياه وفي معنى
التربية التي هي ما اخذ الرب مناسبة للمقام يخرج لنا جزم على انه جواب فادع كانهم طلبوا
حصول ما طلبوه على سبيل خرق العادة كنزول المن والسلوى ولذلك لو لم يخرج اي يظهر ولم
يقولوا ينبت وانما كرر لنا مع ان في الثاني منهما غنى عن الاول اظهارا لصلة الدعا النافع اهتماما
في شانه مما تنبت الارض من للتبعيض والانبات عمل طبيعة الارض في تربية البذر ومادة البنا
بتسخير الله تعالى اياها وتدبيره وذلك امر اخر ورا ايجاد اسبابه والعمل انما يسند حقيقة المباشر
باسباب هذه الاعمال لا الا الباري تعالى وانما نسبة اليه كنسبة القتل والقطع والترك والكسر اليه
لكونه الممكن منها من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها تفسير وبيان وقع في موقع الحال
من الضمير تقديره مما تنبته كاينا من بقلها او بدل باعادة الجار والبقل ما يوكل مع الطعام من الخضر
والفوم الحنطة عند الاكثر وقال مجاهد الفوم الخبز يقال فوموا لنا اي اختبزوا قال الفرا هي
لغة قديمة وقيل الثوم ولا دلالة في قراءة ثومها عليه لان الثا تبدل من الفا كما يقال
مغافير ومغاثير وجدف وجدث ولو كان المراد الثوم لكان المناسب ان يذكر بعد العدس
والقثا جمع قثاة وهو نوع اخر من جنس الخيار واختير صيغة الجمع هنا لفصاحتها واما معنى
الجمع فقد بطلها التعريف لعدم مناسبة المقام قيل كان القوم فلاحة فنزعوا الى مكرهم واشتهوا
ما الفوه قال اي الله وموسى عليه السلام اي دعا فاجابه الله تعالى لما دعا فقال الله تعالى
او موسى باذنه اتستبدلون الذي هو ادنى اي اتطلبون تبديل الذي هو ادنى والمنصوب
هو الحاصل والذي يدخل عليه البا هو الزايل وادنى افعل التفضيل من الدنو المستعار من القرب
المكاني للخسة كالقرب المستعار للشرف والرفعة او من الدون وهو الردي فعلا واصله
ادون فسهلت همزته بابدالها الفا من الدناة وقد قرئ بالهمزة بالذي هو خير يريد به
المن والسلوى وانما كان خيرا لحصوله بلا تعب ووصوله من جهة الرب تشريفا وخلوصه
عن شبهة الخطر وكونه ذي خطر بخلاف البقول اهبطوا مصرا انحدروا اليه فان القادم

على قطر كانه منصب عليه والمصر البلد العظيم اي انزلوا بعض الامصار ان كنتم تريدون هذه
الاشيا ويحتمل ان يريد العلم اعني مصر فرعون وصرفه لعدم سبب اخر على ارادة البلد او لسكون
وسطه ويؤيده انه غير منون في مصحف ابي رضي الله عنه وقراة ابن مسعود رضي الله عنه
وقيل اصله مصرائم تعريب ليصرفه في وجه اخر وهو انه لا اعتداد بالعجم لوجوب التعريف
والتصرف فان لكم ما سالتم لما كان هذا في قوة قوله فوجد وما سالوه عطف عليه قوله
وضربت عليهم الذلة والمسكنة وفي الجمع بينهما اشارة الى ان الذلة والمسكنة من روادف ما ابتغوا
من الزراعة والحرث وقد جاء في الخبر والذلة في اذناب البقر والكلام كناية عن كونهم اذلا
متصاغرين مبناها على الاستعارة اما في الذلة تشبيها لالتصاقها ولزومها بضرب الطين على الحائط
فيكون بصريحه تبعية والذلة فعلة من الذل كانها الهيئة والحال والمسكنة من المسكين وقال الزجاج
هي ماخوذة من السكون وهي في الفقر وخضوعه وان وجد يهودي غني فلا يخلو من ذي الفقر
ومهانته مخافة ان تضاعف جزيتهم وباءوا بغضب من الله رجعوا به اي لزمهم ذلك ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم في دعائه ومناجاته ابوء بنعمتك علي اي اقر بها والزمها نفسي هذا على
ما ذكره الراغب من ان اصل البوا مساواة الاجزا في المكان خلاف النبو الذي هو منافاتها ذلك
اشارة الى ما سبق من الضرب والبوء بانهم كانوا يكفرون بايات الله بسبب انهم جمعوا بين الثبات
على اصل الكفر والدوام عليه وبين تجدد انواعه والمراد من الايات المعجزات والكتب المنزلة
ويقتلون النبيين فانهم قتلوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق ليس احترازا اذ لا يقع
قتل نبي الا بغير الحق فهو قيد لازم نحو دعوت الله سميعا وجا تعظيما للشنعة والذنب الذي اتوه
ما قيل معناه انهم قتلوهم بغير الحق عندهم يرده انهم كانوا يقولون ها ولا كاذبون وما اتوا به
تمويهات وليست من الله تعالى ويقتلونهم لهذا الاعتقاد الباطل ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
اشارة الى السبب المذكور والبا في بما للسببية فيكون بيانا لسبب السبب مبالغة في اجتناب المعصية
والاعتدا بانهما يفضيان الى الكفر بالايات وقتل الانبيا وهما من اشنع القبايح ويجوز ان ذلك
تكرير للدلالة على ان ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب مسبب عن امور كثيرة كل واحد منها
يوجب ذلك العصيان والاعتدا هنا من الافعال التي جعلت لازمة وتركت مفاعيلها نسيا منسيا والا
وان كان في اصل وضعه تجاوز الحد في كل شي لكن عرفه في الظلم والمعاصي والعدو اعني قوله واعتدى
لمثل ما مر من النكتة في قوله بانهم كانوا يكفرون واما التاكيد ثمة دون هنا فلان الكفر بالمعجزات التامة
وقتل الانبيا المبعوثين بالبينات الظاهرة مظنة ان تستبعد بخلاف مطلق العصيان والاعتدا ان
الذين امنوا من غير مواطاة القلوب لا بد من هذا القيد ليدخلوا في اعداد الكفرة وينتظموا معهم
فيصح الابدال والاخبار بان من امن منهم ايمانا خالصا فله كذا والذين هادوا يقال هاد يهود اذا دخل
في اليهودية ويهود من هاد بمعنى تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل والنصارى اخلف

في اصلها والاقرب ماقيل ان المسيح عليه الصلاة والسلام كان من قرية يقال لها نصران فلما ان سموا
باسمها ثم جمعته العرب على النصارى نحو سكران وسكارى اذ جعلوا منسوبين اليها ثم جمعت كمهدي ومهادي
كذا قال الراغب فالياء في نصراني فلما ان سموا باسمها ثم جمعته العرب على النصارى نحو سكران وسكارى
او جعلوا منسوبين اليها ثم جمعت كمهدي للنسبة الى تلك القرية او الى ذلك الجبل وللفرق بين الاسم
الجمع والواحد كما في اليهودي والمجوسي والصابئين الصابي من صبا اذا خرج من الدين وهم خرجوا
عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة والكواكب من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا
في محل النصب بدل من اسم ان وما عطف عليه وخبر ان فلهم اجرهم ودخول الفاء لتضمن الموصول
معنى الشرط او في محل الرفع بالابتدا وخبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان والمعنى من امن من هولا
الكفرة ايمانا صادقا مصدقا بقلبه بجميع ما يجب تصديقه عاملا بمقتضى شرع بني اسرايل اليه
وما قيل في تفسيره من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ لايناسب المقام لما عرفت ان المراد من الذين
امنوا المنافقون والصابيون لم يثبت لهم دين سماوي ولذلك اختلف في حل ذبايحهم فلهم اجرهم
اي ثواب ايمانهم وعملهم الصالح سماه اجرا لانه جزا عمله بوعده الصادق فضلا منه وترتيب الحكم على
الموصول دل على ان الاستحقاق له مسبب عما ذكر في الصلة من الايمان والعمل الصالح مقدر ربهم
والجملة اعتراض بين خطابي بني اسرايل عند ربهم كناية عن كون ذلك الاجر مامونا عن الضياع
لكونه عند امين حافظ ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون اي لا ينالهم خوف ولا يصيبهم حزن
في الاخرة لانهم يصيرون الى النعيم المقيم والامن الدايم والتنكير في الخوف للتقليل وفي قوله
ولاهم دلالة على ثبوت الحزن لغيرهم واذ اخذنا ميثاقكم بالعمل على ما في التوراة والدليل
على اختصاصه قولهم ورفعنا فوقكم الطور اي حتى قبلتم واعطيتم الميثاق والميثاق مفعال
من وثق يثق مثل ميزان من وزن يزن وحد وان اضيف الى الجمع تنبيها على ان الماخوذ على الكل ميثاق
واحد قال الواحدي الطور الجبل بالسريانية وقد تكلمت به العرب وقيل علم للجبل الذي
ناجى عليه الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام وهو المراد هنا خذوا على ارادة القول
ما اتيناكم اي التوراة بقوة اي بجد واجتهاد وامتثلوا من اخذ التوراة والتزام احكامها
الشاقة فاكرهوا على ذلك برفع الطور فوقهم واذكروا ما فيه امر بحفظه وعدم نسيانه
قولا وعملا لعلكم تتقون قد مر في تفسير لعلكم تشكرون ما يغني عن بسط الكلام في
هذا المقام بتوضيح المرام ورد الاوهام ثم توليتم من بعد ذلك اي اعرضتم عن الوفا
بالميثاق بعد اخذه على الكيفية المذكورة وفي كلمة ثم اشارة الى ان الاعراض بعد تاكيد الميثاق
بما ذكر امر بعيد ورتبه عبارة ذلك فلولا فضل عليكم بقبول التوبة ورحمته بالعفو عن
الزلة وارتفاع فضل على الابتدا وعليكم متعلق بفضل والخبر محذوف واجب الحذف على المختار
لدلالة الجواب عليه لكنتم من الخاسرين اي من المغبونين بالوقوع في العذاب حرمان الثواب

جواب

جواب لولا وكثر دخول اللام عليه اذا كان موجبا ولو في الاصل لامتناع غيره فاذا دخل على لا افاد
اثباتا وهو امتناع النفي لثبوت غيره والتفريع المستفاد من الفاء باعتبار ان في مدخولها دلالة
على انهم كانوا على شرف الخسران لولا تدارك فضل الله تعالى وذلك سبب عما تقدم ذكره
من احوالهم القبيحة ولقد علمتم اللام موطئة للقسم مسهلة لتفهم جوابه على السامع وعلم
هنا تعدي الى واحد يعني قد عرفتم اصحاب السبت وما احللنا بهم من النكال في الدنيا بالمسخ حين
اعتدوا بالاصطياد يوم السبت فلم يكن تاخيرنا العقوبة عن اسلافكم الذي كانوا قبلكم على عصيانهم
ونقضهم للعهد للعجز عن تعجيل ذلك بل فضلا ورحمة ولو شينا لعاجلناهم لما عاجلنا به اصحاب السبت
فيكون هذا التذكير لتقرير ما ذكر من ان نجاتهم عن الخسران لمحض فضل الله تعالى ورحمته
الذين اعتدوا منكم في السبت اي الذين جاوزوا الحد الذي حد لهم من ترك الصيد يوم السبت
من اسلافكم وهو يوم معروف سمي به لانه سبت فيه خلق كل شي اي قطع وتم واصل السبت
القطع ومنه السبات لانه يقطع الافعال الاختيارية واليهود يسبتون فيه اي يقطعون الاعمال
وقيل هو ماخوذ من السبوت الذي هو الراحة والدعة والسبت هنا مصدر سبت اليهود اذا عظمت
السبت ومعنى في السبت في تعظيم يوم السبت وتعظيمه عبارة عن ترك العادات والاشتغال بالعبادات
والاعراض عما يودي الى ما يودي الحيوانات داخل في حده وذكر الموصول مع الصلة يفيد تعلق العلم
بالوصف المذكور الموجب المسخ المزبور لا بذواتهم وتفصيل القصة ياتي في تفسير الاعراف باذن الله
تعالى فقلنا لهم كونوا قردة مجاز التعلق ارادة الله تعالى المسخهم في ان واحد والقردة جمع قرد
كالديكة جمع ديك والقياس في فعل الاسم فعول نحو قرود وجمعه على فعلة لا ينقاس خاسئين
خبر اخر لكونوا او صفة لقردة باعتبار انهم كانوا من العقلاء اي جامعين بين القردة والخسو
وهو الصغار والطرد وفعله خسا يجي متعديا ولازما والضمير في فجعلناها للمسخة نكالا
النكال العقوبة الغليظة المنكلة للغير اي المانعة من الذنب فان اصله المنع ومنه النكل للقيد
واللجام لما بين يديها من ياتي بعدها وما خلفها من تقدمها وجودا والتقدم بحسب الوجود
لا ينافي حضور المتقدم عندا وما يحضرها وما بعدها نظرا المكان مستعاران للزمان وان ما ابهم
من لا تحقيرا لشانهم لانه لايناسب المقام بل لاعتبار وصف المعتبرين وموعظة مفعلة من الاتعاظ
والانزجار والوعظ التحريف والعظة الاسم للمتقين لكل من اعتبر بها واتقى اي لم يفعل ذلك
قصدا للتقي كفعل الاولين لمصلحة العباد واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة
اول هذه القصة قوله تعالى واذ قتلتم نفسا وانما فكت عنه واخرج اول القصة مخرج الاستيناف
كانه قصة مستقلة بالتقريع على القتل والتدافع والتنبيه على القدرة في احيا الميت والاعجاز
وقدم اخرها لاستقلاله بنوع اخر من مساويهم وهو الاستهزا بالامر والاستقصاء في السوال وترك
المسارعة الى الامتثال ولذلك لم يقل قال لقومه يا قوم كما قال فيما تقدم فانه لما كان جواب السوال

الابتداء خطاب لم يناسبه التصدير بالنداء ثم اضمر في الثانية ضمير البقرة ليدل هذا انها قصة
واحدة وربما يراد منهما من التقريع والتنصيص قصتان ولو وردت مسرودة على الترتيب
لا يمكن ان يغفل عن ذلك وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتله بنو اعمه طمعا في ميراثه
وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤوا يطالبون بدمه فامرهم الله تعالى ان يذبحوا بقرة ويضربوه
ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله والبقر اسم للانثى واسم الذكر الثور مثل ناقة وجمل وقيل
البقرة واحد البقر الانثى والذكر سواء واصله من بقر اي شق فالبقر يشق الارض بالحرث
قالوا اتتخذنا هزوا اتجعلنا نفس الهزء للمبالغة وفرط الاستهزاء او اهل هزء او مكان
هزء او مهزوا بنا للاختصار والايجاز واما كون المفعول الاول جماعة فلا دخل له في
اقتضاء التاويل بالحذف او التجوز في المفرد او الحكم لان ما اصله المصدر يجوز ان يكون
خبرا عن الاثنين وعن الجماعة كما في قوله تعالى فقولا انا رسول رب العالمين وقوله تعالى
لا هن حل لهم فكيف بالمصدر ظنوا ان موسى عليه الصلاة والسلام يستهزئ بهم وبدا بجهلهم قالوا
نخبرك ان رجلا منا قتل فتقول لنا اذبحوا بقرة يحتمل ان موسى عليه الصلاة والسلام
امرهم بذبحها ولم يبين المراد والثمرة بها في اول الامر فلذلك وقع هذا القول منهم موقع الهزء
في بادي نظرهم وقيل قرئ يتخذنا بالياء اي الله تعالى لا يناسبه قوله تعالى قال اعوذ بالله ان اكون
من الجاهلين تبرأ عن الاستهزاء على وجه ابلغ حيث عده من الجهل واستعاذ منه استفظاعا
له وذلك لكونه في مقام التبليغ والارشاد فلا يناسب قصده في مقام الاحتقار والتهكم مثل فبشرهم
بعذاب اليم فمرجع الجهل هنا الى عدم العلم بمقتضى المقام فلا حاجة الى صرفه الى معنى السفه
قالوا ادع لنا ربك يبين قد مر نظيره قريب ما هي لما راوا ما امروا به على حال لم يعهد
من احوال الجنس المقر اشتبه عليهم وجه الامتثال فلذلك قالوا يبين لنا ما هي فالحاجة الى البيان
انما يكون في موضع الاشتباه والسؤال بما هي لكون غالبا عن الجنس قال انه يقول انما زيد
هذا كيلا يتوهم ان ما ذكر قول موسى عليه الصلاة والسلام وقد وقع هذه النكتة في مواضع
من هذه القصة انها بقرة تكرير الاسم لتقرير المعنى المراد دفعا لاحتمال ان يراد جنس اخر
لغرابة ما ذكر من الاثر كما سبق الى وهم السائلين لا فارض ولا بكر صفة للنكرة واذا وصفت
النكرة بما دخل عليه لا كررت وكذا الخبر والحال الا ما ندر والفارض المسنة التي انقطعت ولادتها
من الكبر والبكر الصغيرة التي لم تلد من الصغر عوان نصف الفعل من الفارض فرضت
يفرض فروضا ومن العوان عونت تعون تعوينا ولم يسمع من البكر فعل الا ان في تركيبها الاولية
ومنه البكرة والباكورة وانما لم يدخل الها في هذه الصفات للتانيث لانها من خصائص اوصاف
الاناث فصارت كالحائض والطالق بين ذلك اي بين البكر والفارض ولم يقل بين ذينك من
الجناس مع بين وقد مر وجه التعبير عن الاثنين بذلك فافعلوا ما تؤمرون ما موصولة

والعائد

والعائد محذوف واصله ما تؤمرون به لان الامر يتعدى الى المامور بنفسه والى الفعل المطلوب
بالباء يقال امرته بكذا ثم حذف الجار فوصل بنفسه والى الفعل به لا مصدرية اي امركم بمعنى
مامورکم لان المصدر بمعنى المفعول شائع واما المصدر بمعنى المفعول به فقليل جدا تجديد للامر
وتاكيد وتنبيه على ترك التعنت والمنازعة الى الامتثال ولم يجد حيث عادوا الى السؤال قالوا
ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع اشد
ما يكون من الصفرة وانصعه اي اخلصه واستعماله للتاكيد يقال اصفر فاقع واحمر قانی
واخضر ناضر واسود حالك سمي هذه التوابع تدل على شدة الوصف وخلوصه وفي اسناده
للون بفاقع مزيد تاكيد لذلك كانه صفراء شديدة الصفرة صفرتها وعلى هذا لا يقف
على صفراء لئلا يفصل بين الصفة والموصوف وان جعلت صفراء بمعنى سوداء وقفت عليها
ويكون الفقوع بمعنى الخلوص صفة اللون فلم يقع تاكيد الصفراء حتى ينافي تفسيرها بالسوداء
تسر الناظرين اي تروق هذه البقرة من نظر اليها وتعجبه وتفرح قلبه لتمام خلقها
ولطافة شكلها وحسن لونها والسرور لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه او اندفاع
ضر قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي طلبوا تمام الكشف ببيان ما يرفع الاشتباه ويدفع
الصدق على ما تعدد ولما ارادوا التعيين الزائد على التعوين بالعوارض المشتركة سالوا بما
هي لكنهم طلبوا ما في منزلة الذاتي المميز من الاوصاف المخصوصة بشخص معين ان البقر
وقري ان الباقر قال القرطبي البقر والباقر والبيقور والبقير لغات بمعنى والعرب
تذكره وتؤنثه والى ذلك ترجع القراءات في تشابه علينا اعتذار عنه وانما لم يقل ان النوع
تشابه علينا المعهود بل تبيان الاوصاف المذكورة صدقت على جماعة من الجنس المذكور فاشكل
علينا الامر فيها للتشابه والتشارك في تلك الاوصاف المذكورة وقرئ تشابهت مخففا
ومشددا قال القرطبي في مصحف ابي رضي الله عنه تشابهت بتشديد الشين قال ابو حاتم
وهو غلط لان التاء في هذا الباب لا تدغم الا في المضارع وانما ذكر الفعل لتذكير اللفظ
كقوله نخل منقعر وكل جمع حروفه اقل من حروف واحده جاز تذكيره مثل بقر ونخل وسحاب وقرئ
ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر وانا ان شاء الله لمهتدون الى البقر المراد ذبحها في الخبر
لو لم يستثنوا لما بينت لهم اخر الابد اي لو لم يقولوا ان شاء الله وانما سميت ثنيا لصرفها الكلام عن
الجزم وهو الثبوت في الحال من حيث التعليق بما يعلمه المستثنى واخر الابد كناية عن المبالغة في
التابيد والمعنى الى الابد الذي هو اخر الاوقات تقدير الكلام وانا لمهتدون ان شاء الله فقدم على
ذكر الاهتداء اهتماما به وحفظا لرد الآي ولا متمسك فيه لاصحابنا على ان الحوادث بارادة الله
تعالى واقع واما ان الواقع ليس الا مرادا فلا تعرض له ولا على ان الامر ينفك عن الارادة لان
محل الخلاف الامر التكليفي وهذا الامر للارشاد على ما يرشد اليه قولهم اتتخذنا هزوا والا

فيه قال انه يقول انها بقرة لا ذلول صفة لبقرة اي لم تذلل للكرات من الذل بكسر الذال وهو
خلاف الصعوبة يقال ذلت الدابة ذلا فهي ذلول وذل الرجل ذلا بضم الذال فهو ذليل تثير
الارض صفة لذلول داخلة تحت النفي والمقصود نفي اثارتها الارض نفي معادل لقوله
لا ذلول والمعنى انها لم تذلل بالعمل في حرث ولا سقي وقيل لا في قوله ولا تسقي الحرث زائدة للتوكيد
وان المعنى لا ذلول مثيرة وساقية فيلزم فتح الوصف بلا غير مكررة ولا مقابل بل منفي وذلك
لا يكون الا في الشعر وقرئ لا ذلول مثيرة بالفتح على ان لا لنفي الجنس والخبر محذوف والجملة
صفة ذلول كناية عن نفي الذل عنه كما يقال الذليل حيث هو كناية عن اثبات الذل له والحرث
الارض المهياة للزرع ومعنى الاثارة هنا قلب الارض للزراعة يقال اثرت الارض للشي واستثرته
اذا بحثته مسلمة من العيوب اي سلمها الله تعالى او من العمل اي سلمها اهلها وقيل مخلصة
اللون من سلم له كذا اذا اخلص له اي لم يشب صفرتها شيء من الالوان ويرد عليه ان حق هذا
البيان ح ان يعقب السؤال السابق ويذكر في اخر جوابه لا شية فيها اي لا علامة فيها
تشبيها وقيل لا لون فيها يخالف لون جلدها ماخوذ من وشي الثوب اذا نسج على لونين مختلفين
يقال فرس ابلق وكبش اخرج وتيس امرق وغراب ابقع وثور اشيه كل ذلك بمعنى البلقة ويرد
على هذا ما ورد على المعنى الاخر لمسلمة قالوا الان هو حد الزمانين الماضي والمستقبل مبني
لتضمنه معنى الاشارة تقديره هذا الوقت جئت بالحق اي بما تحققنا به المراد من البقرة
نفيه دلالة على انهم عرفوها بعينها وروي انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى
بها الغيضة فقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت وحيدة
بالصفات المطلوبة فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة
اذ ذاك بثلاثة دنانير فذبحوها اي فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها
فذبحوها وانما حذف ما حذف اختصارا لدلالة المذكور عليه والفاء ليست فصيحة لان شرطها
ان يكون المحذوف سببا للمذكور والتحصيل ليس بسبب للذبح وانما سببه الامر به للتعقيب
والدلالة على انهم كما حصلوها ذبحوها وما كادوا يفعلون يعني شيئا من الذبح ومقدماته
من تحصيل المامور بذبحه وتهيئة اسبابه وبهذا الاعتبار كان المذكور ابلغ من يذبحون وكاد
من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فالفعل المقرون به مقيد والنفي الداخل عليه
قد يعتبر سابقا على القيد فيفيد معنى الاثبات بالتكلف كما في هذه الاية وقد يعتبر مسبوقا
به فيفيد البعد عن الاثبات والوقوع كما في قوله تعالى لا يكادون يفقهون قولا ومن غفل
عن هذا توهم التدافع بينه وبين قوله فذبحوها فتكلف في التوفيق واعلم انه لا خلاف في ان
الظاهر اللفظ في اول الامر بقرة مطلقة مبهمة ولا في ان الامتثال في اخر الامر انما وقع بذبح
بقرة موصوفة معينة حتى لو ذبحوا غيرها لم يكن مطابقا لكن اختلفوا في ان المراد في اول الامر

هو

هو البقرة المعينة واخر البيان عن وقت الخطاب والمبهمة ولحقها التغيير الى المعينة بسبب
تثاقلهم في امتثالهم وكثرة سؤالهم واستكشافهم والحق هو الثاني لقوله صلى الله
عليه وسلم لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء
شؤم وروي مثله عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو رئيس المفسرين ولان اللازم على الاول تاخير
البيان عن وقت الحاجة لدلالة قوله فافعلوا ما تؤمرون على انهم امروا بايقاع ذبح البقرة
قبل بيان اللون وكونها مسلمة غير مذللة وهذا اللازم محذور عند المخالف ايضا ومن ذهب
الى الاول تمسك اولا بان الضمائر في الاجوبة اعني انها بقرة كذا وكذا للمعينة قطعا فكذا في السؤال
للتطابق والسؤال انما هو عن البقرة المامور بذبحها فتكون هي المعينة وجوابه انهم تعجبوا من
بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى وظنوها معينة خارجة عما هو عليه صفة الجنس فسالوا
عن حالها وصفتها فوقعت الضمائر للمعينة بزعمهم واعتقادهم فعينها الله تعالى تشديدا عليهم
وان لم يكن المراد بالامر المعينة وثانيا قد دل السياق ووقع الاتفاق على انه لم يرد امر مجدد
وعين الاول فالامتثال ليس الا بالامر الاول فلزم ان لا يكون منسوخا وان يكون امرا بذبح المعينة
لظهور ان الامتثال لم يقع الا بذبح المعينة وجوابه ان انتقال الحكم الى المخصوصة لا يلزم ارتفاع
حكم الامر الاول حتى يحتاج الى ايجاب المخصوصة الى امر متجدد بل على انه كان متناولا لها
ولغيرها بمعنى حصول الامتثال باي فرد كان فارتفع حكمه في حق ما عداها وبقي الامتثال
باي فرد كان فارتفع حكمه في حق ما عداها وبقي الامتثال بذبحها خاصة وكان ذبحها امتثالا
للاول ولم يكن هذا منافيا لنسخ الامر الاول في الجملة ولا موجبا لكون المراد به اولا ذبح المعينة
واذ قتلتم نفسا خطاب الجمع لان القتل صدر عن جماعة وهم بنو عم المقتول فادارأتم اي
تخاصمتم لان المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا او تدافعتم لان كلا منهم يدفع التهمة عن نفسه الى
الاخر والبراءة عن الاخر الى نفسه واصله فتدارأتم فادغمت التاء في الدال من مخرجها فسكنت
وادخلت الف الوصل لتعذر الابتداء بالساكن وفي فيها للتعليل كما في قوله تعالى لمتنني فيه
والله مخرج مظهر لا محالة حكى ما كان مستقبلا وقت التدارؤ فاعمل فنصب به ما كنتم تكتمون
على المفعولية كما حكى ما كان حاضرا وقت التقليب في قوله وكلبهم باسط ذراعيه فقلنا
اضربوه عطف على فادارأتم وما بينهما اعتراض مشعر بان التدارؤ لا يجدي اذ الله تعالى مخرج
ومظهر ما كتمتم والضمير البارز للقتيل وفي تذكيره تنبيه على زوال الحكم النفس عن الجسد بعد
القتل ببعضها اي ببعض كان دل على ذلك الابهام يحيي الله الموتى خطاب لمنكري البعث
من مشركي مكة او للذين حضروا القتيل على تقدير فقلنا لهم والكاف في محل النصب على المصدر
اي مثل ذلك الاحياء العجيب الشان وذلك اشارة الى ما دل عليه المحذوف المدلول عليه
بهذا الكلام وما قبله وهو قوله فاحيي روي انه لما ضرب قام باذن الله واوداجه تشخب دما

كذلك

فقال قتلني ابنا عمي فلان وفلان وسقط ميتا فاخذوا فقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك ويريكم
اياته دلايله لان من قدر على احياء الكل لعدم الفرق عند العقل لعلكم تعقلون تستدلون
به او تعملون على قضية عقولكم وقد مر معنى لعل غير مرة وانما جعل حياته مسببا عن ذبح البقرة
وضربه ببعضها وهو قادر على احيائه ابتدا ليعلم ان في الاسباب والشرائط حكما وفوايد كالتقرب
بالقربان والتنبه على حسن تقديم القربة في الطلب وتحري الاحسن والغالي في الثمن وعلى
وجوب المسارعة في امتثال الامر ولو كان للارشاد وان التشديد موجب لتشديد الله تعالى
على من شدد وان الاستهزا من فعل الجهال وان بر الوالدين له بركة وكذا التوكل والشفقة
على الابنا ثم قست قلوبكم من بعد ذلك اي بعد احيا القتيل وهو من عظيم خارق للعادة
موجب للاعتبار فقيل ثم للاستبعاد وفيه ان معناها الحقيقي غير متعذر قال الواحدي
يقال قسا قلبه يقسو قسوة وقساوة وهي الشدة والصلابة واليبس وقست قلوبكم استعارة
تبعية واقعة على سبيل التمثيل شبهت حالة قلوبهم وهي نبوها عن الاعتبار بحالة قسوة الحجارة
في انها لا يجدي فيها لطف العمل وحسن الحيل لاعتبار هذه الاستعارة حسن التفريع والتعقيب
بقوله فهي كالحجارة او اشد قسوة لتشبيه في القساوة ثم رجوع عنه بتفضيلها في القساوة
على الحجارة وبيانه وتقديره وان من الحجارة لدلالته على انها في شدة القسوة مفضلة على الحجارة
لمطاوعة الحجارة لامر الله تعالى دونها وعلى هذا قوله تعالى او اشد معطوف على قوله كالحجارة او مثل شي
اشد من الحجارة قال الواحدي قال المفسرون انما شبه قلوبهم كالحجارة في الغلظة والشدة ولم
يشبه بالحديد وان كان الحديد اصلب من الحجارة لان الحديد يلين بالنار ولا تلين الحجارة بمعالجة
ابدا وانتصب قسوة على التمييز وبقتضيه اشد وكاف التشبيه وهذا التمييز الذي بعد افعل
التفضيل منقول من المبتدا وهو نقل غريب وانما لم يقل اقسى لما في اشد من المبالغة لدلالته عليها
بجوهر اللفظ الموضوع لها مع هيئة موضوعة للشدة فيها وفي ذلك من الايما الى الاعتنا ببيان الزيادة
ما لا يخفى والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة واو بمعنى بل كما في قول الشاعر
بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى وصورتها او انت في العين املح اي بل انت او للابهام على
المخاطب قال ابو الاسود الدؤلي احب محمدا حبا شديدا وعباسا وحمزة او عليا فان يك حبهم رشدا
اصبه ولست بمخطي ان كان غيا ولم يشك ابو الاسود ان حبهم رشد ظاهر وانما قصد الابهام وقد قيل
له حين قال ذلك شككت قال لا ثم استشهد بقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين قال
او كان شاكا من اخبر بهذا لما يتفجر منه الانهار التفجر التفتح لسعة وكثرة وقرئ وان مخففة من المثقلة
لوجود اللام في لما وان منها لما يشقق فيخرج منه الما اصله يتشقق وقرئ به والتشقق التصدع
بطول او عرض فينبع منه الما بقلة هذا على تتميم دون الترقي والا لقدم المؤخر وان منها
لما يهبط من خشية الله الهبوط التردي من علو الى سفل والخشية الخوف من علم وهي ههنا

مجاز عن الانقياد اطلاقا لاسم الملزوم على اللازم وقوله من خشية الله متعلق بالافعال السابقة
كلها ولما كانت قساوة القلوب تنشا عنها الاعمال القبيحة على سبيل التهديد وما الله بغافل
عما تعملون وقرئ بالياء للغيبة ضما الى ما بعده من الضماير العايدة الى اليهود افتطمعون
الطمع نزوع النفس الى شي ما شهوة والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان
يؤمنوا في محل الجر اي في ايمانهم والضمير لليهود والذين في زمن محمد صلى الله عليه وسلم
لانهم الذين يصح منهم الطمع واللام في لكم للتعليل او لاعتبار معنى الاستجابة اي ان يحدثوا
الايمان لاجل دعوتكم او يستجيبوا لكم كما في قوله وامن له لوط لا للصلة كما في قوله وما انت بمؤمن
لنا اي مصدق لان مثله لا يوجد في الفعل وانتظامه بما قبله ان النبي صلى الله عليه وسلم
والصحابة رضي الله عنهم لما سمعوا هذه الايات وهي في مخاطبة اليهود طمعوا ان يؤثر ذلك في
قلوبهم فيؤمنوا فقال الله تعالى تطمعون مبالغة في انكار الطمع مع كونه كالمستحيل عادة بايراد
الفاء بعد الهمزة اي بعد ما تشاهدون منهم ما يوجب الياس من ايمانهم من قسوة القلب تطمعون
في ايمانهم وهم قوم باعيانهم كما في قوله تعالى انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وقد كان فريق
الفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه كالحزب والواو للحال اي في حال علمكم بطريقهم وعادتهم
منهم الظاهر رجوع الضمير الى ما يرجع اليه الضمير في يؤمنوا وعناد البعض انما كان منافيا
لاقرار الباقين لانهم كانوا مقلدين لهم يسمعون كلام الله ما تتلونه من التورية السماع كناية
عن القبول ففي ذكره كناية تقبيح لحالهم لان التحريف بعد القبول اشد قباحة ولو كان على
حقيقته لما احتيج الى ذكره لان التحريف لا يكون الا بعد السماع ثم يحرفونه تحريف
الشي امالته من حال الى حال ومنه قلم محرف اي احد شقيه مايل فيشتمل التغيير والتبديل
والتاويل ومما حرفوه نعت الرسول صلى الله عليه وسلم وشريعتهم كاية الرجم ويكون ان يكون
المراد من الفريق من كان في زمن موسى عليه الصلاة والسلام وهم اهل الميقات والكلام
المسموع كلامه تعالى بالطور وقد نقل تحريفهم ما سمعوه وعلى هذا ايضا الضمير في منهم على ظاهره
ولا حاجة الى ان يكون المعني من اسلافهم فان اسلاف كل طايفة يعدون منهم وعلى هذا يكون المعني
الاصرار على البطلان موروث لهم شنشنة اعرفها من اخزم من بعد ما عقلوه اي فهموه
بعقولهم ولم يبق فيه ريبة وهم يعلمون انهم مفترون اي لم يفعلوا ذلك عن خطا ونسيان
بل فعلوه عن قصد وتعمد حسدا وبغيا واذا لقوا يعني المنافقين الذين امنوا المخلصين
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا امنا اي بانكم على الحق ورسولكم هو المبشر
به في التوراة وانما لم ينطقوا بالنفاق لعدم المساعدة من باطنهم وهذا اية غاية خبثهم واذا خلا
بعضهم الى بعض اي انفردوا عن المخلصين منضمين بعضهم ساكتون وتنتهي الملاقاة الى الناطقين
بكلمات النفاق قالوا اي الذين سكتوا حينئذ عاتبين على الذين نطقوا اتحدثونهم بما فتح

الله عليكم اي بما بين لكم في التوراة من نعت محمد صلى الله عليه وسلم فالاستفهام للتقريع
والتشنيع واللام في ليحاجوكم به متعلق بالتحدثونهم وهي لام كي على تجوز لان الناشي عن شي
وان لم يقصد كالغاية والمعنى ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتاب الله من الحجة واصله من حج
اذا قصد مغالبة خصمه عند ربكم جعلوا محاجتهم بكتاب الله تعالى وحكمه محاجة عنده كما
يقال عند الله كذا ويراد انه في كتابه وحكمه كذا وعلى هذا يكون عند ربكم بدلا عن قوله به اوظرفا
مستقرا المعنى ليحاجوكم بما قلتم حال كونه في كتابكم وقيل المعنى عند ربكم يوم القيامة لا يقال
ان اليهود يعلمون انهم يوم القيامة محجوجون حدثوا اولم يحدثوا لان ذلك العلم لعلمائهم
فلا ينافي تحذيرهم الجهال منهم بذلك القول ابقاء لهم على اليهودية ولان احترازهم عن كونهم
محجوجين من جهة الخصم فان ذلك لازم ان حدثوا ومندفع ان لم يحدثوا في زعمهم افلا تعقلون
فليس لكم عقل حتى تدركوا فساد ما نعلتم وهذا من كلام اللائمين اولا يعلمون مقابلة لهم
بذلك التجهيل والتوبيخ والتعجيب مع التقرير اي اينكرون عليهم ولا يعلمون ان الفساد
في قلوبكم ان يعلم ما يسرون وما يعلنون اي يعلمها على السواء وللقصد الى معنى التسوية
ذكر قوله وما يعلنون مع ان قوله ما يسرون يغني عنه ويظهر هذا في المذكور قوله بكلم الله
في المهد وكهلا وتقديم ما يسرون مع ان حقه في اسلوب الترقي التاخر والتسوية بينهما في
الاهتمام فان في الجمع بين العبارة والدلالة اهتماما بالثاني وفي التقديم مع انه حقه التاخير
اهتماما بالاول ومنهم اميون عاميون من لا يكتب ولا يقرأ سموا لانه على الخلقة التي ولدته
الام عليها لا يعلمون الكتاب اي التوراة الا اماني الاستثناء منقطع والاماني جمع امنية
افعولة من التمني وهو التقدير ولها معان ثلاثة التمنيات لان المتمني يقدر في نفسه
ما يشتهيه ويتخيله او الاكاذيب يقدرها في نفسه ويتخيل شيئا لا وجود له والمقروات لان
القاري يقدر عند قراءته في نفسه ان الكلمة كذا بعد كذا ومنه قوله تمنى كتاب الله اول الليل
فالمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب من المحرفين او مواعيد فارغة سمعوها منهم ان اباءهم الانبياء
يشفعون لهم وان النار لا تمسهم الا اياما معدودة او ما يقرءون الا قراءة عارية عن معرفة
المعنى وتدبره والامي ربما يقدر على قراءة ما بالاخذ من افواه الرجال وان هم الا يظنون ما هم
الا قوم يظنون والظن هنا على بابه من ترجيح احد الطرفين ولا يلزم من الترجيح عندهم ان يكون
راجحا في نفس الامر ويجوز ان يجعل الضمير للفريقين فينفي العلم عن العلماء في قوله اولا يعلمون
على سبيل الانكار حيث لم يعلموا بموجبه وعن المقلدين بقوله لا يعلمون الكتاب ثم حكم انهم في الظن
المؤدي الى الضلال سواء فعلى هذا يكون في الاية جمع وتقسيم جمع الفريقين في قوله افتطمعون
ان يؤمنوا لكم ثم قسمهم الى فريقين علماء معاندين وجهلاء مقلدين ثم جمعهم في يظنون فويل
اي تحسر او هلك روى عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم الويل جبل في النار

وفي رواية

وفي رواية ابي سعيد الخدري رضي الله عنه واد في جهنم وهو في الاصل مصدر لا فعل له لان
فاءه وعينه معتلتان وتنكيره للتعظيم فلم يكن نكرة محضة على ان الغرض من الكلام الافادة فاذا
حصلت جاز الحكم سواء تخصص المحكوم عليه بشيء اولا واما ان النكرة اذا كانت دعائية تقع
مبتدأ وان لم تخصص فقيل في بيانه لا يجري في ويل صرح به الرضي للذين يكتبون الكتاب
يعني ما كتبوه من التاويلات الزائغة ولذلك احتاجوا الى ترويجه الى ان نسبته الى الله تعالى
ولو كان المراد الكتاب المحرف لما احتاجوا اليه لان كون التعدية من الله مسلم وما اخذوه
من التحريف غير معلوم لغيرهم بايديهم نفي للمجاز اي يقولونه بانفسهم فقد يقول الانسان
كتبت الى فلان اذا امر غيره بان يكتب عنه واذا قال كتبت بيدي فقد اخبر انه باشر بنفسه
فنوبين حيث انه كناية عن انه من تلقاء انفسهم دون ان ينزل عليهم ناظرا الى ما في قولهم
هذا من عند الله دعوى النزول هكذا مكتوبا من السماء كما هو الشان في التوراة ويجوز ان
يكون لدفع الاحتمال الانسان فان الكتابة شايعة فيه وفائدة التنصيص يعني الاملاء والتغليط
في الجناية حيث انضم الى القول العمل ثم يقولون هذا من عند الله كلمة ثم للاستبعاد وعدم
الفائدة في الاخبار عن تراخي القول المذكور عن العمل المذكور يكفي قرينة صارفة عن المعنى
الحقيقي لها في الكلام البليغ ليشتروا به ثمنا قليلا متعلق بيقولون قد مر بيان استعارة
الاستبدال ونكتة التعبير عن البيع بالثمن ليتذكروا ما حصلوا به وان جل قليل بالنسبة الى ما فات
عنهم من حظوظ الاخرة فويل لهم مما كتبت ايديهم جعل ما ههنا وفي قوله وويل لهم مما يكسبون
مصدرية اولى من جعلها موصولة لعدم الحذف ولكون الويل على الفعل اولى وانسب من كونه على
المفعول فاصل الكسب الفعل الجر نفع او دفع ضرر ولهذا لا يوصف به الله تعالى وقيل المواخذة
الحظ بما يحمله من الاسباب وكرر الويل حتى يتحقق ان الخسار والهلكة يترتب على كل واحد من الكتب
والمكسوب على حدة وقالوا لن تمسنا النار المس اقل تمكنا من الاصابة وهو اقل درجاتهما ولذا
اوثر عليها في قوله تعالى وما مسنا من لغوب وفي قوله لم يمسسني بشر وقوله تعالى ان تمسسكم
تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها كالنص فيهما الا اياما معدودة اي قلائل وهذا لانهم
يكنون بالعد عن القلة بناء على انهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها روي انهم قالوا سبعة
ايام وعنهم اربعون يوما عدد عبادتهم العجل والاوجه لانهم قد تابوا عنها توبة مقبولة قل اتخذتم
عند الله عهدا الالف المجتلبة ذهبت بالادراج وهذه الالف المقطوعة الف الاستفهام للتوبيخ
يعني مثل هذا الجزم لا يكون الا ممن وعده الله تعالى به وانما عبر عن الوعد بالعهد ايماء الى
ان في الجزم المذكور لا بد من وعد قوي وانما قال عند الله دون من الله تعليما للسلوك مسلك
الكناية في امثال هذا فان التصريح باتخاذ العهد من الله تعالى لاتحاد العهد من الله تعالى لا يخلو
عن سوء ادب فلن يخلف الله عهده جواب شرط مقدر اي ان كنتم اتخذتم عند الله عهدا

فلن يخلف الله عهده فالفا فصيحة والجملة معترضة وانما قلنا ان المقدر ان كنتم اتخذتم لان
المعنى ليس على الاستقبال ثم ان هذا من جملة المواعيد فلا وجه للاستدلال به على عدم الخلف
في وعيده وعلى تقدير صحته انما يدل على عدم الخلف في وعده وعلى تقدير صحته انما يدل على عدم
الخلف في وقوع الخلف في وعده لا على استحالته ام تقولون على الله ما لا تعلمون ام اما معادلة
للهمزة بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير
للهمزة بمعنى بل والهمزة التقريرية بلى اثبات لما بعد النفي اي الامرين كائن على سبيل التقرير
لوقوع العلم بكون احدهما او منقطعة بمعنى بل والهمزة التقريرية بلى اثبات لما بعد النفي
لن تمسنا اي بلى تمسكم ابدا او تختص بابواب النفي من كسب سيئة تابث المبنى وهو فعل من السوء
وهو العمل الفاسد وكذلك ذكر في مقابلته العمل الصالح والمكسوب لا يلزم ان يكون نافعا في
نفس الامر بل يكفي ان يكون ملائما لطبع الكاسب مؤثرا عنده نافعا في زعمه واحاطت به
خطيئته قال القفال كل ذنب خطا وخطيئة لانه ليس بصواب وفي الاساس اخطا في المسئلة وفي
الراي وخطا خطاءة اذا تعمد الذنب ووضع قوله من كسب سيئة اي مكان لن تمسكم النار ابدا
للاثبات على الطريق البرهاني لانه اثبت السيئة العامة اي سيئة من السيئات ثم خصصها بالكبيرة
بقوله احاطت به خطيئته اي استولت عليه ولم ينفض عنها بالتوبة وقرئ خطاياه تعريضا
بكثرة خطاياهم من الشرك والنفاق والتحريف والافترا على الله تعالى وشبهها بالعدو المحيط
به في جميع الجهات لذلك ولغلبتها على طاعته واشار بقوله فاولئك الى ان سببا استحقاق الخلود
في النار هو سببا لكسب المعلوم اصحاب النار ملازموها في الاخرة لانهم ملازموا اسبابها
في الدنيا وذلك لان الصاحب مشتق من الصحبة وهي وان كانت تعم القليل والكثير لكن العرف
خصصها بالملازمات هم فيها خالدون او تعمهم للتاكيد كانه قال اي كبيرة من الكبائر واسر
ورسخت بالغلبة على الطاعة استحق صاحبها الخلود في النار وقد تقرر ان الشرك كبيرة لقوله
ان الله لا يغفر ان يشرك به وكذا التحريف والافترا على الله تعالى لقوله ومن اظلم ممن افترى
على الله كذبا او كذب باياته انه لا يفلح الظالمون فثبت بالبرهان انه لن تمسكم النار ابدا ومعنى الخلود
في الاصل الثبات المديد دام او لم يدم لكن المراد هنا الدوام لما تشهد له من الايات والسنن
وذلك ان تقول الاحاطة في الاصل الاحداق بالشيء من كل جانب وجوانب المكلف من حيث انه
مكلف ثلاثة اللسان كلف من جهته بالاقرار والاركان كلف من جهتها بالطاعة والجنان كلف
من جهته بالتصديق وهم لما افتروا بالسنتهم وحرفوا كتاب الله تعالى بايديهم واصروا على النفاق
معتقدين بالباطن خلاف ما اظهروه فقد تحقق احاطة الخطيئات بهم وثبت استيلاؤها عليهم
فالاية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة في النار والذين امنوا وعملوا الصالحات جرت
عادته تعالى ان يشفع وعده بوعيده تبشيرا للمطيع وانذارا للعاصي والايمان على معناه اللغوي
فلا دلالة في عطف العمل عليه على الخلافية المشهورة المذكورة في كتب الكلام نعم يفهم منه اشتراط العمل

الصالح عليه للمخالف ان يقول ان لفظة هم للتاكيد لا للحصر بدلالة النصوص القاطعة على عدم
اشتراط العمل في النجاة من النار على انه لا دلالة ثمة للفرار اولئك اصحاب الجنة هم فيها
خالدون ذكر الفاء فيما تقدم وترك ههنا للدلالة على ان الملازمة والخلود ثمة للاستحقاق
من قبلهم بسبب ما بهم من احاطة الخطيئات وههنا لمحض فضل الله تعالى على ما دل عليه قوله تعالى
الذي احلنا دار المقامة من فضله واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون اخبار في
معنى النهي كما في الانتصار والدة بولدها وفي لا تنكح المراة على عمتها وهو باب من ابواب البلاغة
في الامر والنهي يظهر البليغ به شدة اعتنائه بالامتثال والانتهاء وتحريض المخاطب على المسارعة والمبادرة
فيهما كانه سارع الى الامتثال والانتهاء فيخبر عنه الامر والناهي ويؤيده قراءة لا تعبدوا ويدل عليه
قوله وقولوا فيكون على ارادة القول فما ايهام ان المنهي مسارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه فلا يناسب
هذا المقام لان حال المنهي هنا على خلاف ذلك وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما سقط ان رفع الفعل لزوال
الناصب كقوله تعالى قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون وقال طرفة الا ايها الزاجري
احضر الوغى برويها احضر بالرفع اي ان احضر الوغى ولك عطف عليه وان اشهد اللذات هل
انت مخلدي ويدل عليه قراءة ان لا تعبدوا ويحتمل ان يكون ان مفسرة بمعنى اي وان يكون ان
مع الفعل بدلا عن الميثاق اي اخذنا توحيدهم او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم
دل عليه المعنى كانه قال وحلفناهم لا يعبدون وقيل انه رفع في موضع الحال في صيغة الفعل
وموضعه نصب في الاسم تقول دخل عليه يتبسم اي متبسما والتقدير هنا اخذنا ميثاقهم
غير عابدين وقرئ بالتاء حكاية لما خوطبوا به وبالياء لانهم غيب الا الله استثناء مفرغ
وفيه التفات من المتكلم الى الغيبة لما في الاسم الظاهر من الفخامة وبالوالدين احسانا
مصدر في معنى الامر اي واحسنوا بالوالدين وتقديم المعمول للاهتمام واحسن كما يتعدى
الى يتعدى بالباء قال تعالى وقد احسن بي وذي القربى عطف على الوالدين اراد به الجنس
ولذلك فردوا اضافته الى المصدر تغني عن صيغة الجمع واليتامى جمع يتيم كنديم وندامى
واليتيم الذي مات ابوه فانفرد عنه واليتم الانفراد عن الاباء الا انه قد غلب ان يسموا به
قبل ان يبلغوا مبلغ الرجال وعلى هذا ورد قوله صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد الحلم وان كان
المراد تعليم شريعة والمساكين جمع مسكين وهو مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه عن
التصرف وقولوا للناس حسنا قولا حسنا وسماه حسنا للمبالغة لما امر بعبادة الله تعالى والاحسان
لمن ذكر وهو فعل امر ذلك بالقول ليكون الاحسان الفعل والقول ولما كان الاحسان القولي
امرا هينا على ما افصح عنه من قال البر شيء هين وجه طليق ولسان لين كان متعلقه الناس عموما
وقرئ حسنا بفتحتين على انه صفة مصدر محذوف وحسنا بضمتين وهو لغة اهل الحجاز وحسنى
على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد واقيموا الصلوة واتوا الزكاة يريد بهما ما فرض

عليهم في شريعتهم ومن هنا ظهر انهما منقولتان الى القدر المشترك بين صلاتنا وصلاتهم والقدر
المشترك بين زكاتنا وزكاتهم ثم توليتم على طريقة الالتفات للتعنيف في التوبيخ فانه
عند الاستحضار اشد ويجوز ان يكون الخطاب مع الموجودين منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومن قبلهم على التغليب اشعارا بان التولي الذي حصل منهم في عهده صلى الله عليه وسلم ليس
ببدع منهم لانه دابهم ودأب اسلافهم الا قليلا منكم اي اشخاصا قليلين وهم الذين اقاموا
اليهودية على وجهها قبل النسخ واما الذين اسلموا من الذين ما اقاموها فقد وجد منهم التولي والاعراض
فلا وجه لاستثنائهم وانتم معرضون التولي قد يكون لحاجة تدعو الى الانصراف مع ثبوت
العقد والاعراض هو الانصراف عن الشيء بالقلب فالجملة حال وليست من قبيل وليتم مدبرين في
اسمية هذه الجملة الدالة على انهم قوم عادتهم الاعراض عن الطاعة والوفاء ترشيح لما تقدم من نكتة
التغليب واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم على نحو ما سبق في
لا تعبدون والمعنى لا تفعلوا الى ما يؤدي الى هذين المحذورين ولا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل
غير الرجل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا ثم نسب الى نفسه ما كان منسوبا الى الغير على التجوز
لادنى ملابسة والديار مباني للاقامة وقال الخليل محلة القوم دارهم ثم اقررتم اي حلفا
بعد سلف ان هذا الميثاق اخذ عليكم والتزمتموه ويحتمل هذا ان يكون من الاقرار الذي هو
نقيض الجحود ويتعدى بالباء وان يكون من الاقرار الذي هو ابقاء الامر على حاله اي اقررتم
هذا الميثاق ملتزما فقوله وانتم تشهدون تأسيس على هذا وتاكيد على الاول لقطع
الاحتمال ان يكون اقر بمعنى تكلم بما يلزم منه الاقرار ثم انتم هؤلاء استبعاد قوي لما
نسب اليهم بعد اداء الميثاق على الانتهاء منهم واقرارهم وشهادتهم وفي هؤلاء توبيخ وتعيير
بليغ وتحقير اي انتم المشاهدون المشار اليهم بنقض العهد الذي لا يكذبهم بما تزيد على ما يشاهد
منهم ويشار به اليهم كقولهم في التحقير يا هذا وانتم المشاهدون اي قوم اخرون غير اولئك
المقربين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كقولك رجعت بغير الوجه الذي
وعدم التعبير باعتبار ما اسند اليهم حضورا وباعتبار ما يحكى عنهم غيبا ثم فصل ما ابهم في
الاشارة للتسجيل عليهم وتشهيرهم بنقض العهد ومخالفة الاقرار والشهادة والافراط في
ذلك بالتظاهر بالاثم والعدوان فقال تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم
ويجوز ان يكون خبرا لانتم وهؤلاء منادى او منصوب على الاختصاص للذم اعني هؤلاء [illegible]
او تاكيد والخبر هو الجملة او بمعنى الذي والجملة صلته والمجموع هو الخبر ويجوز ان يكون حالا
والعامل فيها معنى الاشارة تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان حال من فاعل تخرجون
او مفعوله او كليهما والتظاهر التعاون واصله التظهر وبه يقع الاستناد والاعتماد وان
ياتوكم اسارى تفادوهم روي ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج

فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها فاذا اسر احد من
الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقرئ اسرى وهو جمع اسير كما قالوا اسارى تشبيها
بكسالى والاسير هو الماخوذ قهرا واصل الاسر الشد ومن اخذ قهرا شد غالبا فسمي الماخوذ
قهرا اسيرا وان لم يشد وقال ابو عمرو الاسرى الذين هم في الوثاق والاسارى الذين هم في اليد
وان لم يكن في الوثاق وقرئ تفدوهم اي تطلقوهم بعد ان تاخذوا منهم شيئا قال ابو علي
وفاديت نفسي اي اطلقتها بعد ان دفعت شيئا وفديتها فاديت بمعنى فديت اي دفعت فيه
مالا نفسي ومنه قول العباس رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم فاديت نفسي وفاديت عقيلا
وهما فعلان يتعديان الى مفعولين للثاني منهما بحرف جر تقول فديت زيدا بمال وفاديته
قال ابو علي كل واحد من الفريقين فعل والاسر دفع الاسر والماسور منه دفع ايضا اما اسيرا او ما
عنه والمفعول الثاني محذوف وهو محرم عليكم اخراجهم متعلق بقوله وتخرجون فريقا
منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير للشان ومحرم خبره واخراجهم مرفوع
بمحرم ويجوز ان يكون اخراجهم مبتدأ ومحرم خبر مقدم والجملة خبر هو او مبهم وتفسيره اخراجهم
او راجع الى المصدر يدل عليه تخرجون يكون محرم الخبر واخراجهم بدل من الضمير في محرم او من
هو وتاكيد وبيان لئلا يذهب الوهم الى ان يرجع ذلك الى فداء الاسرى وانما كرر الاخراج
بالنص على تحريمه وان كان ما سبق ايضا محرما لما فيه من الجلاء والنفي الذي لا ينقطع شره
بخلاف القتل فان شره ينقطع في الحال والمحرم الممنوع منه افتؤمنون ببعض الكتاب
يعني الفدية وتكفرون ببعض يعني حرمة المقاتلة والاجلاء والاستفهام بمعنى الانكار
والتوبيخ والتهديد وذلك في التفريق بين احكام الله تعالى فكان مرجع الانكار الى القيد
المستفاد من لفظ البعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا فاذا فعلتم
ذلك نسب ان يكون جزاؤكم في الدنيا الاخزي وفي تولد منكم دلالة على ان التفريق المذكور
فعل بعضهم والتوبيخ للكل لعدم منع الباقين عنه والخزي الذي من الفضيحة وقد خزي خزيا
فهو خزي والخزاية الاستحياء وقد خزي خزاية فهو خزيان قال المرزوقي واخزي يجوز ان يكون
من الخزي الهوان ويجوز ان يكون من الخزاية الاستحياء والمراد قتل قريظة فان قتل مقاتلتهم وسبي
ذراريهم واجلاء النضير وضرب الجزية على غيرهم والدنيا ماخوذة من دنا يدنو واصل الياء
فيه واو ولكن ابدلت فرقا بين الاسماء والصفات وانما قدم ذكر الجزاء هنا للاشارة الى بقائهم احياء
على تلك الحال مدة مديدة واخر الجزاء الى الاخرة لانه عند انتهائها يوم القيامة ويوم القيامة يردون
معنى الرد الارجاع ففيه اشارة الى انهم كانوا قبل ذلك مرة اخرى في اشد العذاب وهو ما في القبر
ثم ان فيه بيانا ان ما كان في الحياة الدنيا من الخزي غير مكفر لذنوبهم الى اشد العذاب اي
عذاب الارواح فيه الاتصال اجزائه وذلك لان عصيانهم اشد وما الله بغافل عما تعملون

تاكيد للوعيد وقرئ يردون بالياء اعتبارا بقوله من يفعل وبالتاء اعتبارا بقوله وقرئ يعملون ايضا بالياء
والتاء على الاعتبارين اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة اي حظوظها لا يحيانها اذ
لا تفوت عنه والاشترا مستعار لايثار العاجل الفاني على الآجل الباقي فلا يخفف عنهم العذاب
اي بشيء على شدته معطوف على الصلة من قبيل عطف الجمل فلا يشترط اتحاد الزمان ولا هم ينصرون
بدفعه عنهم ولقد آتينا موسى الكتاب التوراة وقفينا من بعده بالرسل اي جئنا من بعده
بالرسل مقتفين اثره متبعين لشريعته يقال قفاه اذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفا
به اتبعه اياه ولولا اعتبار معنى جئنا على التضمين لضاع قوله من بعده وآتينا عيسى ابن مريم
البينات اما لم يكن عيسى عليه الصلاة والسلام من جملة المقتفين اثر موسى المتبعين بشريعته
افرده بالذكر فاضافه الى امه تحقيقا لعدم نسبته الى الاب وفيه رد لقول اليهود حيث
نسبوه الى الاب وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم بالسريانية الخادم وقد جعلها امها محررة
لخدمة المسجد وبالعبرية كالزير من الرجال وقال ابو البقا ومريم اسم اعجمي ولو كان مشتقا
ولو كان مشتقا من رام يريم كان مريما بفتح الميم وسكون الياء وقد جاء في الاعلام بفتح
الياء نحو مزيد وهو خلاف القياس البينات من قولك بان اي ظهر وما ثبتت به الدعوى من
حيث افادته البيان يسمى بينة ومن حيث الغلبة به على الخصم حجة والمراد المعجزات الواضحات
كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات والانجيل وايدناه قويناه بروح القدس
جبرائيل عليه السلام وذلك انه تولد نفخة وانه عظمه من اول حاله الى كبره فلم يدن منه الشيطان
عند الولادة ورفعه الى السماء حين قصد اليهود قتله والقدس الطهارة وكان الاصل الروح
المقدسة لكن اضيف الروح الى القدس تنبيها على زيادة اختصاص الروح المقدسة لكن اضيف
الروح الى القدس تنبيها على زيادة اختصاص الروح به لان من شان الصفة ان يكون منسوبة
الى الموصوف فاذا عكس باضافته اليها يزيد معنى الاختصاص افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم
بما لا تحبه يقال هوي بالكسر هوى اذا احب وهوى بالفتح هويا بالضم سقط وانما اسند الهوى الى
الانفس لا الى ضمير الخطاب اشعارا بان حق السيئات ان تسند اليها وقوله كلما جاءكم مسبب عن قوله
عن قوله ولقد آتينا موسى الكتاب ولهذا دخلت الفاء عليه على تقدير نحن انعمنا عليكم ببعثة موسى
عليه الصلاة والسلام لتشكروا تلك النعم بالتلقي بالقبول فعكستم بان كذبتم فريقا وقصدتم قتل
آخرين ثم ادخل بين السبب والمسبب همزة التوبيخ والتعجيب لتعكيسهم فيما يجب عليهم ويجوز
ان يكون استئنافا والفاء للعطف على مقدر فعلى هذا ما عقب الاتيان محذوف وهو قوله
ففعلتم وهو كناية عن التكذيب والقتل وغير ذلك من قبائحهم وعنادهم ثم استأنف الكلام
وسوء حالهم مصدرا الجملة بهمزة الانكار على تقدير كفرتم وخالفتم فكلما جاءكم رسول وذكر
هذا انه حينئذ يلي التقريع والتوبيخ اجمالا استكبرتم اي عن قبوله الى ما لا تحبه

انفسكم

انفسكم على تضمين الاستكبار معنى الاباء لا عن الايمان لانهم كانوا مصدقين ببعض من جاء من بعد
موسى عليه الصلاة والسلام من الرسل كيوشع وداود وسليمان عليهم الصلاة والسلام ففريقا
اي فريقا منهم كذبتم يريد به التكذيب من غير قتل بقرينة تفريق هذا عن قرينة والا لمطلق
التكذيب تنظمها والفاء للسببية والتعقيب وفريقا اخر تقتلون حال الماضية اريد استحضارها
وتصويرها لشدة فظاعتها ونكرها فاخرجها مخرج الحال الشاهدة او قصدا للدلالة على انهم بعد
فيه لانهم كانوا حاولوا قتل محمد صلى الله عليه وسلم لولا العصمة من الله تعالى ولهذا سحروه وسموا
الشاة ثم ان فيه محافظة على الفاصلة وانما لم يذكر تكذيبهم هذا الفريق استغناء بذكر اقبح
الفعلين عن الآخر وقالوا قلوبنا غلف جمع اغلف وهو الذي لم يختن مستعار للقلوب المغشاة
بالاغطية خلقة وجبلة اي مجبولة على صبغة لا يتوصل اليها ما جاء به محمد وقد افصح عنه بهذا
في موضع آخر بقوله قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه والقرآن يفسر بعضه بعضا وفي القراءة الشاذة
غلف بضم اللام جمع غلاف وهو الغشاء والوعاء كالشهاب والشهب معناه قلوبنا اوعية العلم نفهم
ما يقال ويخاطب به لكنا لا نفهم ما تقول ولا نفقه ما تحدث ولو كان حقا وصدقا لفهمت وفقهت
يدعون ابطال ما يقول نحن مستغنون بما فيها عن غيرها ويأبى عن حمل القراءة المتواترة على
هذا التصريح بالمعنى الاول في مواضع اخر بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوا يعني ليست قلوبهم كذلك
خلقة لانها خلقت على الفطرة بل طردهم الله وابعدهم عن قبول ذلك بسبب كفرهم واحتجابهم
بالعقائد الفاسدة فهم الذين غلفوا قلوبهم بما اسقطها عن الفطرة اثبت للعزم نفسه والكفر منهم
وهو مذهب اهل السنة والجماعة والمعنى على القراءة الشاذة بل انتم مبعدون عن خير العلم بشوم
كفركم لستم بعلماء ولو كنتم كذلك لقبلتم هذا وعلمتم به فقليلا ما يؤمنون اي فايمانا قليلا
يؤمنون وهو ايمانهم ببعض الكتاب وما مزيدة للتاكيد لا نافية لان ما في حيزها لا يتقدمها
ويجوز ان تكون مصدرية على ان قليلا منصوب بنزع الخافض ويجوز ان تكون القلة بمعنى
القلة كناية عن العدم بناء على ان التقليل اذا بولغ فيه يستتبع العدم ويجوز ان يكون انتصاب
قليلا على الظرفية ولما جاءهم كتاب اي القرآن من عند الله زيادة عند للتعيين بمعنى النزول
فان كل شيء من الله تعالى مصدق لما معهم من كتابهم وفي مصحف ابي رضي الله عنه مصدقا
بالنصب على الحال من الكتاب لتخصيصه بالوصف وحذف جواب لما لدلالة جواب لما الثانية عليه وقيل
لما الثانية تكرار للاولى والفاء للاشعار بان مجيئه كان عقيب استفتاحهم ولا يعتد به لان بينهما
حاصل الكتاب وكانوا من قبل مجيء الكتاب يستفتحون اي يستنصرون على الذين كفروا وهم
المشركون الذين يقاتلونهم وهم يقولون انصرنا بنبي آخر الزمان المنعوت في التوراة او يفتحون
عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة كأنهم يطلبون الفتح
من انفسهم كما في استعصم ونحوه وذلك لان الفعل مع الداعي والطلب يكون اقوى واجد منه

لها او لانه لما كان الفعل حاصلا يكون الطلب للزيادة فلما جاءهم ما عرفوا من الكتاب والنبي كفروا
به حسدا وخوفا على الرياسة فلعنة الله على الكافرين اي عليهم وان التعريف للعهد كما هو
الاصل فلا يعدل عنه الى الجنس الا عند التعذر على ان الفا يابى عن الحمل على الجنس الا عند التعذر على
ان الفا يابى عن الحمل على الجنس والاظهار في موضع الاضمار للدلالة على ان استحقاقهم اللعنة لثباتهم
على الكفر وكلمة على اوقع من اللام لما فيها من الدلالة على انه تعالى جعل اللعنة مستعلية عليهم جللهم
بها بئسما اشتروا به انفسهم اي باعوها او شروا بحسب زعمهم فانهم زعموا انهم خلصوا انفسهم
من العقاب بما فعلوا والمراد كفرهم في الماضي الا انه عبر عنه بصيغة المضارع استحضارا لذلك
الامر القبيح ان يكفروا بما انزل الله هو المخصوص بالذم بغيا اي حسدا قال اللحياني بغيت
على اخيك بغيا اي حسدته فالبغي اصله الحسد والباغي هو الظالم الذي يفعل ذلك عن حسد
واما بغى بمعنى طلب فمصدره بغا بضم البا وبغت بمعنى فجرت مصدره بغا بكسر البا وهو علة
اشتروا لا ان يكفروا اذ المعنى على ذم الكفر الذي اوثر على الايمان بغيا لا على ذم الكفر المعلل بالبغي
واما الفصل فليس بما هو اجنبي لان الموصوف والصفة في حكم الاتحاد وكذا التمييز والمميز فهما
لا يكون اجنبيا بالنسبة الى الفعل الذي وصف به بمميز ذلك الفاعل ثم انه لا ريبة في ايثار الكفر الناشي
عن البغي على نفسهم انه لا يبقى ح كون الايثار عنادا وبغيا فيحتمل ان يكون لوجه يخفف استحقاق الذم
فالفرق واضح ان ينزل الله لان ينزل او حسدوه على ان ينزل الله من فضله اي بعض فضله
الذي هو الوحي او النبي الذي هو فضلهم على من يشاء من عباده على ان من اختاره للرسالة فباءوا
بغضب على غضب اي صاروا احقاء بغضب مترادف متراكم بعضه على بعض لكفرهم بنبي الحق
وبغيهم عليه او كفرهم بمحمد عليه الصلاة والسلام بعد كفرهم بعيسى عليه الصلاة والسلام
وغير ذلك من انواع كفرهم والاستحقاق معتبر في مفهوم باءوا على ما تقدم بيانه ودلالة
الفا على سببية الاشترا المذكور ولذلك الاستحقاق على الاستحقاق وقوله بغضب حال وعلى
غضب صفة له وللكافرين عذاب مهين يراد به اذلالهم وتقديم الجار والمجرور للحصر
فان عذاب العاصي من المؤمنين طهرة لذنوبه واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله اي جميع الكتب الالهية
قالوا نؤمن بما انزل علينا خصصوا ايمانهم بالتوراة ويكفرون حال عن الضمير في قالوا على
حذف المبتدا وتقديره وهم يكفرون او بتجويز الواو في المضارع المثبت بما وراءه قال الازهري
ان وراء يصلح لما قبله ولما بعده لا لانه وضع لكل منهما على حدة بل لان معناه ما توارى عنك
اي استتر وهو موجود فيهما وهو في الاصل مصدر جعل ظرفا يضاف الى الفاعل والمفعول قيل
فيراد على الاول الخلف وعلى الثاني المقدام وفيه نظر وهو الحق الضمير لما وراءه الشامل
للانجيل والقران وانما وحد لتوحد اللفظ مصدقا لما معهم حال مؤكدة بتضمن الرد لايمانهم
بالتوراة لانهم لما كفروا بما يصدقها حيث نزل على حسب ما نعت فيها فقد كفروا بها والجملة حال

مما وراءه تعريفا للحجة لزيادة التوبيخ والتجهيل يعني انه خاصة هو الحق الذي يقارن تصديق
كتابهم ولولا الحال اعني مصدقا لم يستقم الحصر لانه في مقابلة كتابهم وهو ايضا حق قل فلم
تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين الفا جواب شرط مقدر دل عليه المعنى اي قل
لهم ان كنتم امنتم بما انزل عليكم فلم تقتلون انبياء الله فان ذلك المنزل ينهى عنه وانما قال
تقتلون حكاية للحال الماضية كانه قيل فلم كنتم تقتلون وانما اسنده اليهم لانه فعل ابائهم
وهم راضون عازمون عليه ويجوز ان يكون المعنى على التضمين فلم ترضون قتل الانبيا وتعزمون
عليه وح يتضح وجه الاعتراض ولما اصله لما ما سقطت الالف وهذا السقوط خص بالاستفهامية
لانها تامة فالفها طرف والاطراف محل للحذف وغيره من التغيير بخلاف الموصولة فانها ناقصة
تحتاج الى ما توصل به كاسم واحد فالفها في حكم المتوسط ولقد جاءكم موسى بالبينات بالمعجزات
الواضحة ويدخل فيها فلق البحر وهو خارج عن الايات التسع المذكورة في قوله ولقد موسى البينات
لان المراد منها ما جاء موسى عليه الصلاة والسلام الى فرعون على ما نقف عليه في موضعه باذن الله
تعالى فلا حاجة لحمل البينات المذكورة على الايات التسع ثم اتخذتم العجل اي الها ولفظة ثم ابلغ من
الواو في التقريع لانها تدل على انهم فعلوا ذلك بعد مهلة من النظر في الايات وذلك اعظم ذنبا
من بعده اي من بعد مجيء موسى عليه الصلاة والسلام لكم بالبينات لا من بعد مجيئه او ذهابه الى
الطور لعدم انفهامه من سياق الكلام وانتم ظالمون حال اي واضعون العبادة غير موضعها
وظالمون بالاخلال بايات الله تعالى ويجوز ان يكون اتخذ من قبيل اتخذ خاتما بمعنى صنعه وعمله
ففائدة الحال ظاهرة لان الاتخاذ بهذا المعنى لا يكون ظلما الا حال كونه مقرونا بالعبادة وعلى الاول
فائدته زيادة التوبيخ والتقبيح او اعتراض بمعنى انتم قوم عادتكم الظلم ومساق هذا ايضا
لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه على ان طريقتهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم طريقة
اسلافهم مع موسى عليه الصلاة والسلام لا للتاكيد القصة بالتكرير وكذا ما بعده واذ اخذنا ميثاقكم
ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة ويجوز ان يكون تكرير هذا لما نيط به من زيادة ليست مع
الاولى واسمعوا اي اطيعوا فان الامر بالسماع في العرف يفيد الاجابة والقبول ومنه سمع الله لمن حمده
اي قبل فاجاب قال دعوت الله حتى خفت ان لا يكون الله يسمع ما اقول اي يقبل وهم حملوه على الفهم
اللغوي تجاهلا وتعاميا عنادا منهم قالوا سمعنا اي القول وعصينا اي الامر قال الامام
القرطبي اختلف هل صدر منهم هذا القول او فعلوا فعلا قام مقامه فيكون مجازا وقال الامام ابو
منصور قولهم وعصينا لم يكن على اثر قولهم سمعنا لكن بعده باوقات فانهم لما ابوا قبول التوراة
لما فيها من الشدائد رفع الله تعالى الجبل فوقهم فقبلوها خوفا وقالوا سمعنا واطعنا فلما زايل
الجبل فوقهم وامنوا قالوا او عصينا وهو ما ذكر في قوله تعالى ثم توليتم وكان التولي بعد ذلك
باوقات واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلتهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم

به وهذا كما يقال اشرب الثوب الصبغ اذا تداخل الصبغ اجزاءه لما اعضا الشارب كانه شارب
اياه وفي العدول عن الظاهر وهو اشرب قلوبهم حب العجل الى ما عليه المنزل ما لا يخفى من الفخامة
والابهام والتفسير من وجه والمبالغة في الاسناد الى الكل والدلالة على التمكن المستفاد من الظرفية
وان العجل نفسه المشرب مبالغة في الشراب بالحب الى غير ذلك بكفرهم لسبب كفرهم لما انهم
كانوا مجسمة وحلولية قل بئسما يامركم به ايمانكم اي بالتوراة اذ ليس فيها عبادة العجاجيل واضافة
الامر الى ايمانهم تهكم وكذلك اضافة الايمان اما الثاني فظاهر كما في ان رسولكم الذي ارسل اليكم
لمجنون تحقيرا واستهزاء ودلالة على ان مثل هذا لا يليق ان يسمى ايمانا الا بالاضافة اليكم وليس المراد انه
استعارة تهكمية واما الاول فلان الايمان انما يامر ويدعو الى عبادة من هو غاية في العلم والحكمة
فالاخبار بان ايمانهم يامر بعبادة من هو في غاية البلادة غاية التهكم والاستهزاء سواء ان جعل يامر
به بمعنى يدعو اليه اولا وسواء قصد الاسناد الى سببا لباعث مجازا كما قد بينوه اولا كما هو الحق
والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر وما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة في الايات الثلاث
لزما عليهم ان كنتم مومنين ليس للشك من المتكلم لاستحالته لان المامور بهذا القول ممن
يصح عنه الشك بل العدم مطابقته للواقع لا للتشكيك اذ لم تعد استعمال ان للتشكيك السامعين
بل لتقرير القدح في دعواهم الايمان بالتوراة وذلك ان القايل قد ياتي بالشرط وهو جازم
بعدم وقوعه اقامة للحجة بقياس بين كما في قوله ان كنت قلته فقد علمته وتقريره ان كنتم
مومنين بها فبيس ما يامركم به ايمانكم بها لان المومن ينبغي ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه
لكن الايمان بها لا يامر به فاذا لستم بمومنين قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله المراد من
الدار الاخرة الجنة وانما قال عند الله تشريفا لها وتنبيها على انها في عالم الغيب خالصة صافية
عن غير شوب خطر التخلف لعدم احتمال الزوال لما هو من سبب الاستحقاق وهو كونهم ابناء الله واحباؤه
في زعمهم اصل الخلوص الصفوة والاخلاص تصفية السر والقول والعمل الا انه ضمن معنى الاختصاص
على ما ستقف عليه وهو نصب على الحال من الدار عند من جعله الحال من اسم كان واما عند من لم يجوزه
فهو حال على الضمير المستتر في الخبر العائد الى الدار ومرجع الخلاف الى ان اسم كان هل هو فاعل ولا
من دون الناس متعلق بخالصة باعتبار تضمنه معنى الاختصاص ودون لفظ يستعمل للاختصاص
وقطع الشركة تقول هذا لي دونك ومن دونك اي لا حق لك فيه ولا نصيب وفي غير هذا
الاستعمال ياتي بمعنى الانتقاص في المنزلة او المكان او المقدار فان قلت اليس قد استفيد معنى الاختصاص
من تقديم الظرف قلت نعم الا انه يحتمل ان يراد به الاختصاص بجنس المخاطبين فلا قطع فيه
بالمعنى المقصود فان قلت لا وجه لدعوى الاختصاص مطلقا لانهم لا ينكرون ان من مات قبل
حدوث اليهودية على شريعة ابراهيم عليه الصلاة والسلام يدخل الجنة قلت ذلك ان كان بمعنى
الخلوص لا الاختصاص واما اذا كان معناه الصفا عن شوب خطر التخلف فلا بد ان يدعوا اختصاص

دخول

دخول الجنة مقيدا بتلك الحال لا نفسهم مطلقا وايضا يتفرع الامر بالتمني الاتي ذكره انما يصح على
اعتبار الخلوص بالمعنى المذكور والظاهر ان المراد من الناس سائر الامم مطلقا حتى تنتظم الانبيا
عليهم الصلاة والسلام اذ هم لا ينكرون الانبيا المتقدمين كنوح وابراهيم واسحاق ويعقوب
عليهم الصلاة والسلام ولا دلالة في قوله لن يدخل الجنة الا من كان هودا على ما ذكر لان المفهوم منه اختصاص
الجنة بهم لا اختصاصهم بالجنة وما يصلح منشا للتمني المذكور انما هو الثاني دون الاول على ما نبهت
عليه انفا فتمنوا الموت ان كنتم صادقين لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاقها واحب التخلص
اليها من الدار ذات الشوائب ولا يذهب عليك ان هذا الايقان على تقدير ان يكون معنى الخلوص ما ذكرناه
لا ما ذكره القوم ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم بما سلفوا من الكبائر الموجبة لدخول النار وانما اسند
التقديم الى اليد لانها اعظم الاعضا في التصرف وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت
لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي والمراد بالتمني قول القائل ليتني مت لا تمنيا
في القلب دل عليه قوله صلى الله عليه وسلم غص بريقه وان التحدي لا يمكن بالاعمال القلبية لخفائها
ولو كان المراد المعنى القلبي لكان يمكنهم ان يقولوا تمنينا كاذبين ولو ادعوا مع ذلك لنقلوا الينا لتوفر
دواعيهم على النقل مع كثرتهم ولو نقل لاشتهر وكذا قول احدهم ليتني مت لم ينقل مع كثرة اليهود وغيرهم
من الطاعنين في الاسلام كما نقل سائر المطاعن فهذه الجملة اخبار بالغيب صادقا كقوله ولن تفعلوه والله
عليم بالظالمين تهديد لهم ولتجدنهم احرص الناس على حياة من وجد بمعنى علم المتعدي الى مفعولين
وهما هم واحرص وتنكير حياة للدلالة على نوع من الحياة متطاولة ولذلك كانت القراءة بها اوقع من
قراءة على الحياة ومن الذين اشركوا اما ان يكون معطوفا على الناس محمولا على المعنى لان المعنى
لان المعنى احرص من سائر الناس واما ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة احرص
عليه وعلى الوجه الاول الاولى انما خص المشركون بالذكر لاختصاصهم من بين الناس بزيادة الحرص
على الحياة لعدم اقرارهم بالبعث فكانهم نوع اخر غير الناس ففي افرادهم بالذكر توبيخ وتقريع
لاهل الكتاب لانه لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم
صائرون الى النار وقيل من الذين اشركوا مبتدا على حذف الموصوف اي ومن الذين اشركوا المجوس
لانهم كانوا يقولون لملوكهم من ارسا لبري اي عش الف سنة فالجملة على هذا صفة محذوف وعلى
الاولين استيناف لبيان زيادة حرصهم يود احدهم لو يعمر الف سنة حكاية لودادتهم وانما جرى على لفظ
لو بالغيبة كقولهم حلف بالله ليفعلن ومفعول يود محذوف كالتمني اجراء للفعل مجرى اللازم
اي يصدر من احدهم لو دادة فيكون مفعولا ليرد والضمير في وما هو بمزحزحه من العذاب
لاحدهم وان يعمر فاعل بمزحزحه اي وما احدهم يزحزحه من النار تعميره وقيل الضمير لما
يعمر دل عليه من مصدره وان يعمر موضحة والزحزحة التبعيد والانجاء والله بصير بما يعملون
قرئ بالياء جريا على الغيبة وبالتاء على سبيل الالتفات وكنى بالبصير من العليم مبالغة في درك

يود احدهم

الخبيثات وفيه تهديد ووعيد قل من كان عدوا لجبريل نزلت في عبد الله بن صوريا من احبار فدك
حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وساله عمن نزل عليه فقال جبريل فقال ذلك عدونا عادانا
مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فراه ببابل
فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا فبم تقتلونه وقيل دخل
عمر رضي الله عنه مدارس اليهود يوما فسالهم عن جبرائيل فقالوا ذلك عدونا يطلع محمدا على سرارنا
وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال وما منزلتهما من الله
تعالى قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين
ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدو احدهما فهو عدو الله ثم رجع فوجد جبريل قد سبقه بالوحي
فقال صلى الله عليه وسلم لقد وافقك ربك يا عمر وفي جبريل ثمان لغات قرئ بهن اربع
من المشهورات جبرئيل كسلسبيل وجبريل بحذف اليا وجبريل بفتح الفاء وكسرها وحذف الهمزة
واربع في الشواذ وجبرائل وجبرايل بالمد فيهما وحذف اليا في الثانية وجبرال بحذف اليا وتشديد
اللام وجبرين قال ابن جني العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه ومنع صرفه للعجمة والتعريف
ومعناه عبد الله فلا وجه لعداوته فانه نزل تعليل للجزا اقيم مقامه والبارز الاول لجبريل
اي فلا وجه لعداوته فانه نزله اي القرآن واضماره غير مذكور يدل على فخامة شانه كانه
لتعينه وفرط شهرته يدل على نفسه ويستغنى بذكر شي من صفاته عن التصريح باسمه
على قلبك لانه القابل الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وصرف الاستعلا للدلالة على
انه المنزل ياخذ بمجامع قلبه وكان الظاهر ان يقول على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله
تعالى كانه قال قل ما تكلمت به باذن الله بتيسيره حال من فاعل نزل مصدقا لما بين يديه
حال من ضمير القرآن وكذا وهدى وبشرى للمؤمنين اي نخفه اي يحبوه ويشكروا
له صيغة لانزال ما صدق كتابهم او جميع الكتاب المنزلة قبله ويهديهم ويبشرهم ان كانوا
مؤمنين به ويجوز ان يكون المعنى من عادى جبريل فالسبب في عداوته انه نزل القرآن على قلبك
مصدقا لما بين يديه موافقا اياه وهم يكرهون القرآن خوفا من فوات رياستهم ولهذا يحرفون
كتابهم وينكرون موافقته اياه كقولك ان عاداك فلان فقد اذيته او خوفا افتضاحهم
لانه يكشف عن اسرارهم من تحريفا التوراة وكتمان نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعداوة المؤمنين من كان عدوا لله اراد بعداوة الله تعالى مخالفة امره عنادا او
معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره على طريقة التمهيد تفخيما لشانهم كما في قوله
تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وملائكته ورسله من بني ادم والملائكة ولو لم يكن لما
من الرسل ما يعم الرسولين من جنس الملائكة لما حسن الفصل بينهم وبين ما خص منهم بالذكر وجبريل
وميكال خصهما بالذكر مع اندراجهما تحت عموم الملائكة والرسل لفضلهما وكانهما كان كل واحد

منهما

منهما جنس براسه تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الموصوف وتنبيها على ان معاداة الواحد والكل
سوا في الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى وفي ميكائيل خمس لغات ميكائيل وميكايل بحذف اليا وميكيل
وميكال بحذف المد فيهما والياء عن الثانية وميكال بحذف الهمزة والياء وانما ذكر ميكائيل مع انهم كانوا
يقولون لو كان ميكائيل صاحب محمد لاتبعناه لانه يالي بالخصب والسلم تنبيها على انه من ابغض جبريل
فقد ابغض ميكائيل لانهما قرينان بغض احدهما يستلزم بغض الآخر فان الله عدو للكافرين بحرد
المعاداة ظاهر معلوم فلا بد من الحمل على الكناية ترتيبا للقائلة اي من عاداهم عاقبه الله تعالى
اشد العقاب ولما كان فيه تنزيل المقدر منزلة المحقق استحق التاكيد بالجملة الاسمية وان الشدة
المذكورة معتبرة في المكنى عنه ولا تاثير فيها لتاكيد الخبر وكان الظاهر ان يقول فانه عدو لهم
والعدول عن الظاهر اما للتهويل ولان فيه احتمال ان يذهب الوهم الى رجوع الضمير بمجموع ما تقدم
وثانيا للدلالة على ان عداوة المذكورين لكفرهم وان الكفر سبب لعداوته تعالى اياه ولقد انزلنا
اليك آيات بينات اي واضحة الدلالة لا التباس فيها فعدم الايمان بها ليس لشبهة وما يكفر بها
عطف على مقدر فلا تشتبه على احد ولا يكفر بها الا الفاسقون المتمردون من الكفرة وعن الحسن
الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع من الكفر وغيره وعن ابن عباس رضي الله عنه
قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشي نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك
لما فنزلت نزلت واللام للجنس والمراد اهل الكتاب الخارجين عن دينهم لان الآية نزلت فيهم وطرحا
كلام في شانهم والوصف بالتمرد اليق بحالهم ففيه دلالة على ان ذلك الخروج سبب لكفرهم فيكون
فيه مبالغة وهو ان كفر غيرهم كالعدم ومن لم يتنبه لهذا زعم ان الاحسن كون اللام للعهد اوكلما
عاهدوا عهدا الواو للعطف على محذوف لا مجال للعطف على السابق معناه اكفروا بالآيات البينات
وكلما عاهدوا فالهمزة انكار للجميع بين الكفر ونقض العهد وقرئ بسكون الواو وعلى ان
الفاسقين بمعنى الذين فسقوا فكانه قيل الا الذين فسقوا او نقضوا عهد الله مرارا كثيرة على ان الواو
العاطفة واو في مثل هذه المواضع يفيد تساوي الامرين في الوقوع مع ان الثاني بعد واليق
بان لا يقع فيحمل على انها بمعنى بل وقد انبهها الثقات وشهد بها الاستعمال ودلت عليها هاهنا القرينة
وهي قوله بل اكثرهم لا يؤمنون ترقيا الى الاغلظ نبذه فريق منهم النبذ الرمي بالذمام ورفضه
ولم يغلب فيما ينسى فلذلك اختير الى زيادة قوله وراء ظهورهم عند ارادة معنى النسيان وانما
قال فريق منهم لان بعضهم لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون رد لما يتوهم ان الفريق هم
الاقلون وهذا على تقديران يكون من لم ينبذ جهارا مؤمنا حقا ولما جاءهم رسول تنكير الرسول
للتعظيم وفي قوله من عند الله اشارة الى استحقاقه التعظيم من جهة اخرى مصدق لما
معهم من الكتاب وتصديقه لكونه على الوصف الذي ذكر فيه فالمراد من الرسول محمد عليه الصلاة
والسلام نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله يعني التعدية حيث لم يعملوا الموجب

ما فيها وهو الايمان بالرسول المصدق لما وراء ظهورهم نبذوه وراء الظهر مثل لترك الشي
والاعراض عنه بالكلية مثل بما يرمى وراء الظهر استغناء عنه فقد يكون كناية عن نسيانه فان نبذ
الشي وراء الظهر يستلزم نسيانه غالبا ويجوز ان يستعار النسيان للاعراض ثم يكون النبذ
وراء الظهر كناية عنه على انه نسيان فيكون كناية متفرعة على الاستعارة المنوية وللتسمية
كناية بالاستعارة وهذا ابلغ من الكناية ابتداء والاستعارة المنوية وللتسمية كناية بالاستعارة
وهذا ابلغ من الكناية ابتداء والاستعارة التمثيلية كانهم لا يعلمون انه كتاب الله جملة
حالية وكان فيه ايما الى ما ذكر من الاستعارة المنوية واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك
سليمان عطف على نبذ اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت الشياطين
وهم المتمردون من الجن يقرؤنها على عهد ملك سليمان عليه الصلاة والسلام وليست على
صلاة التلاوة بل من قولهم كان هذا على عهد فلان اي في وقته ودر زمانه وتتلوا حكاية حال
ماضية وما كفر سليمان تكذيب لمن زعم ان سليمان عليه الصلاة والسلام يتسخر الانس والجن
والريح بالسحر وان ملكه تم بهذا العلم والكناية عن السحر بالكفر للدلالة على انه كفر والاشارة
الى ما يوجب نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانه قال وما سحر سليمان لان السحر كفر والنبي
معصوم من الكفر ولكن الشياطين كفروا لما نفي الكفر عن سليمان وكان الشياطين
قد يخدمون لسليمان عليه الصلاة والسلام ويستعملهم فيما يشاء فما يتوهم انهم لا يكفرون ايضا
اذ هم في خدمة نبي فاستدرك انهم كفروا باستعمالهم الكفر وقرا الحسن الشياطون
وقال السخاوي ذي خطا الخازن يحيى ولو سلم صحته فلا خفا في عدم فصاحته يعلمون الناس
السحر اغواء واضلالا والجملة حال عن الضمير والسحر مزاولة النفوس الخبيثة لافعال واقوال
يترتب عليها امور خارقة للعادة ولا يتروي خلاف في كون العمل به كفرا وعده نوعا من الكبائر
مغاير للاشراك لا ينافي ذلك لان الكفر اعم والاشراك نوع منه وهو في اصل اللغة الصرف حكاه
الازهري عن الفرا ويونس فاطلاقه على ما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الالات والادوية
وما يريك صاحب الخفة البديعة عنها ربما فيه من صرف الشي عن جهة حقيقة لغوية
وما انزل على الملكين عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لانه نوع اقوى منه كانه
من جنس اخر وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله تعالى للناس وقيل رجلان سميا ملكين
بالكسر وقيل ما انزل نفي معطوف على ما كفر تكذيب لليهود في هذه القصة بكذبه فقوله تعالى
وما يعلمان من احد فانه اذا لم يكن هناك شي منزل فالتعليم والتعلم في اي شي يكون ببابل ظرفا
وحال من الملكين والضمير في انزل قال ابن مسعود رضي الله عنه في سواد الكوفة ومنع صرفها
للعلمية والتانيث هاروت وماروت عطف بيان او بدل للملكين ومنع صرفهما للعلمية والعجمة
ولو كانا من الهرت والمرت وما هو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقرى هاروت وماروت بالرفع

على

على انهما هاروت وماروت وابدالهما من الشياطين بدل البعض عن الكل تعجبها لما قيل انما انزل
نفي يرده تعلق قوله وما كفر سليمان الاية بما قبله تعلقا خاصا بحيث لا ينتظم بدونه فان
فان المبدل منه في حكم الساقط بحيث لو اقيم البدل مقامه لا انتظم الكلام معه وما يعلمان من احد
حتى يقولا انما نحن فتنة تفريع لما قدمناه من انزال السحر عليهما للابتلاء اي ما يعلمان احدا
حتى ينصحاه وينهاه على انه سحر والعمل به كفر والفتنة ما يتبين بها حال الانسان من الشر
يقال فتنت الذهب والفضة فلا تكفر بتعلمه او باعتقاد جوازه انما انما نحن ابتلاء
من الله والخبر بما قال علي رضي الله عنه كانا يعلمان تعليم انذار لا تعليم دعاء اليه كانهما يقولان
لا تفعل كذا وكذا والصحيح من مذهبنا اصحابنا ان تعلمه حرام مطلقا لانه توسل الى محظور
عنه غني وتوقيه بالتجنب اصلح واحوط فيتعلمون عطف على يعلمان المقدر اي يعلمان
فيتعلمون الناس على ان الضمير لما دل عليه من احد ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي
ما يحدث الله التفرقة بينهما وما هم بضارين به بما يعرفون من احد الا باذن الله
استثنا مفرغ من الاحوال فتوحا للمن فاعل بضارين ومن احد في محل النصب بالمفعول به
في الموضعين وفي زيادة من تاكيد مليغ فيهما وقري بضاري على حذف النون من اسم الفاعل
وان لم يكن فيه ال قال ابو حيان وله نظير في نثر العرب ونظمها واما حذفها على الاضافة
الى احد وجعل الجار جزءا منه فمردود بان الجار مؤثر فيه وجز الشي لا يؤثر في الشي
ويتعلمون ما يضرهم لما عرفت انه افعال واقوال يزاولها النفوس الخبيثة لحصولها
لا يخلو عن نوع تاثير في نفس المتعلم اما ما قيل لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر
الى العمل غالبا فانما يصلح وجها لضرها العلم لا لضررا لمعلوم ولا ينفعهم نفي لاحتمال ان
يكون ضرره مشوبا بنفع في الجملة وهذا كالرد على من توهم ان في تعلمه لتوقاهم ولئلا يغتر
نفعا ما واستشهد بقول ابن بواك عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لم يعرف الشر
من الخير يقع فيه ولقد علموا اي اليهود لمن اشتراه اي استبدله بكتاب الله والضمير
لما تتلوا الشياطين واللام الاولى للتاكيد القسمي والثانية لام الابتداء لتعليق فعل العلم
ما له في الاخرة من خلاق نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم عطف على جملة القسم والجواب
وعطف الانشاء على الاخبار كثير وقد تقدم الكلام فيه لو كانوا يعلمون جواب محذوف
اي لارتدعوا عن تعلم السحر وايثار كتبه او لكان خيرا لهم والمعنى لو اعتاد والعمل لموجب
نبي عن عدم العمل بموجبه بعدم العلم تنبيها على قوة الملازمة بين العلم والعمل بموجبه وان عدم
العمل لعدم الصحة فيما يوجبه من العلم ولو انهم امنوا برسول الله والقران والتوراة
لان ايمانهم بها كلا ايمان واتقوا اجتنبوا ما هم عليه من اتباع السحر واستبداله بكتاب الله تعالى
لمثوبة بشي ما من الثواب من عند الله فيه تعظيم للثواب وتنبيه على بقائه بناء على

ما عند الله عبارة عما في عالم الغيب اعني عالم الاخرة ودفع لما عسى ان يتوهم ان التنكير للتقليل في
مثوبة للتحقير خير جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف
الفعل وركب الباقي جملة اسمية ليدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل من ان ينسب
اليه ويجوز ان يكون ولو انهم امنوا تمنيا على سبيل المجاز كانه قيل وليتهم امنوا واتقوا وترك
الجواب في لو هذه كاللازم لكونه في معنى ليت وتقريره لو امنوا واتقوا لكان حسنا وايراد
الجملة الابتدائية بعده كالتعليل للتمني لو كانوا يعلمون اي ان ثواب الله تعالى خير مما فيه جهلهم
لتركهم العمل بعلمهم يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا راعنا امر من المراعاة
يقتضي المشاركة غالبا اي ليكن منك رعي لنا ومنا رعي لك الرعي حفظ الغير لمصلحته نهوا
ان ينطقوا بلفظ يقتضي المشاركة مع من يعظم وتضمن هذا النهي عن كل ما يكون فيه
استواء مع النبي صلى الله عليه وسلم وروي ان المسلمين كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه
وسلم راعنا اي راقبنا وتأن بنا فيما بلغنا حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوا وخاطبوه
به مريدين نسبته الى الرعن او سبه بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون بها وهي راعينا
فنهي المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يحتمل التلبيس وهو انظرنا من النظرة
اي امهلنا حتى نحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا ذا رعن
نسبة الى الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم راعنا فتسبب للسب واسمعوا ما يكلمكم
به رسول الله صلى الله عليه وسلم بسماع يقظ حتى لا تحتاجوا الى المراجعة فطلب المراعاة
او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه تاكيدا عليهم في تركها وللكافرين
اي الذين تهاونوا بالرسول عليه الصلاة والسلام وسبوه عذاب اليم بسبب كفرهم
ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين المودة المحبة للشيء مع تمنيه ولذلك
تستعمل في كل منهما ومن للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون
ولا مزيدة للتاكيد نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون
لهم الخير ان ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق لتقدم النفي
والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم شيء
منه وبالعلم وبالنصرة والوجه تعميمه للكل لانه نكرة في سياق النفي بالواسطة والله يختص
برحمته من يشاء على مقتضى حكمته وتقديم اسم الله على الفعل للتاكيد والتخصيص ثم وضع المظهر
موضع المضمر للتعظيم وتربيته معنى الاضافة بالانفراد والله ذو الفضل العظيم اشعار
بان النبوة هي الفضل العظيم والله تعالى صاحبه دون غيره ما ننسخ من اية او ننسها وقرئ ما ننسخ
من النسخ وننسها بالتشديد من التنسية وننساها بالهمزة وتنساها من نسي وانسى على خطاب الرسول عليه
الصلاة والسلام وقرئ ما ننسك من اية او ننسخها وما ننسخ من اية او ننسكها والنسخ في اللغة

النقل والتحويل ومنه نسخت الكتاب من نقل من نسخة الى اخرى ونسخ الاية بيان انتهاء التعبد
بقراءتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساخها ونسؤها تاخيرها واذهابها لا الى بدل وانساؤها او
نسيها ان يذهب بحفظها عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة على المفعولية
وننسها مجزوم ايضا للعطف على المجزوم وجزمه بحذف اليا منه والاية على المعنى اللغوي و
جماعة من الكلام يقال خرج القوم بآيتهم اي بجماعتهم اذ الاختصاص للنسخ بتمام الاية المصطلح
نات بخير منها بما هو انفع لكم في الدنيا او في الاخرة او مثلها في النفع في الواحدة منهما نزلت
لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر بخلافه وفي
الاية دلالة على جواز النسخ بل على وقوعه قيل وذلك لان الاحكام شرعت والايات نزلت
لصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمته وذلك يختلف باختلاف الاعصار
والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع في عصر قد يضر في غيره وكان هذا القائل غافلا عن قوله
تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم او عن دلالته على ان النسخ قد يكون
غضبا على قوم ثم ان قوله وذلك يختلف باختلاف الاعصار اه مبناه القول على ان النسخ قد يكون
قبل العمل بالمنسوخ الم تعلم الخطاب لكل احد لان الامر عظيم شامل والتيقظ لمضمونه
للكل فيصلح ان يخاطب به كل احد ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الخير وما هو خير
منه وعلى مثله في الخير ويجوز ان يكون الخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم تعريضا للمشركين
واليهود كما ان قوله أأنت قلت للناس اتخذوني خطاب لعيسى عليه الصلاة والسلام يوم
القيامة تعريضا للنصارى الم تعلم تاكيد لما مر وجعله استفهاما محضا ومعادلة
ام تريدون قول من لم يذق فصاحة كلام العرب ان الله له ملك السموات والارض فهو يملك
اموركم ويليها ويدبرها يتعبدكم بما يشاء مما يرى فيه مصلحتكم وما لكم من دون الله من ولي
من يلي اموركم ولا نصير من ينصركم عليه وفي اظهار اسم الله في من دون الله ما مر
ثم انه لما قرر عليهم انه مالك امورهم ومدبرها بحسب مصالحهم فانه لا ينزل الا ما هو لهم
اراد ان يوصيهم بالثقة به فيما ينزل عليه ويدبر به امرهم ويتعبدهم به وان لا يكونوا كقوم
موسى عليه الصلاة والسلام عن امور عادت عليهم وبالا فيسالوا رسولهم ما يضرهم ولا ينفعهم
فقال ام تريدون ان تسالوا رسولكم ام هي المنقطعة يعني بل والهمزة تعني بل اعرض
من اعتراضهم على القران بالنسخ وطعنهم وغفلتهم عن حكمة الله تعالى ومعنى الهمزة الانكار لما
يناسبه من اقتراحهم على النبي صلى الله عليه وسلم كاقتراحهم على موسى عليه الصلاة والسلام
وفيه مبالغة في النهي حتى كانهم كانوا قصدوا والارادة نهوا عن الارادة فضلا عن السؤال حتى
من شأن العاقل ان لا يتصدى لارادة ذلك ويجوز ان يكون متصلة بهمزة محذوفة اي تعترضون
عليه بالنسخ وتطعنون فيه ام تريدون ان تسالوا وقوله كما سئل موسى من قبل بلفظ

المبني للمفعول ترشيح لهذا المعنى يعني ان من يسأل مثل هذا السؤال حقيق بان يصان عن ذكره المقال
والا فالمناسب ان يشبه سؤالهم بسؤال قومه او سؤال نبينا بسؤال موسى عليهما الصلاة والسلام
على المصدر المبني للفاعل ثم ذيل الكلام بقوله ومن يتبدل الكفر بالايمان اي من ترك
الثقة بالايات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل الطريق
المستقيم اضاف الوصف الى الموصوف ليفيد بعد الانصراف ويكون اول ما يطرق سمعهم
بعد الضلال هو الاستواء فينتبهوا على انهم اخطأوا الاستقامة في طريقهم فيرجعوا وهو ابلغ
من قولك فقد ضل الطريق السوي ود كثير من اهل الكتاب يعني احبارهم لو يردونكم
فان لو بمعنى ان المغني دون العمل من بعد ايمانكم كفارا حالا ومفعولا ثانيا على ان
يضمن يرد معنى يجعل حسدا مفعول له او حال اريد به نعت الجمع اي حاسدين لكم والحسد
الاسف على من له خير بخيره ويتمنى ان يزول عنه اليه من عند انفسهم متعلق بحسدا اي حسدا
ناشئا من عند انفسهم يعني حسدا منبثا لغا ذاتيا لا يمكن ان اله لا عرضيا جائز الزوال والا
فحسدهم لا يكون الا عند انفسهم وتشهيا لا من جهة التدين والميل الى الحق لانهم تمنوا ذلك من
بعد ما تحققوا انكم على الحق من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات والنعوت المذكورة في
التوراة او معنى لفاعل فاعفوا واصفحوا السببية يعني اذا علمتم ان ودادهم المؤكد
انما هي لحسدهم لا للدين فليس يمكنكم ازالتها فلا سبيل لكم الا العفو وهو الترك والصفح وهو
الاعراض حتى يأتي الله بامره من قتل قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بالجزية ولا
يخفى ما في نسبة الاتيان اليه تعالى من التعظيم والتهويل وكذلك عن الاصل وهو حتى
يأتي امر الله ولما كان مظنة ان يسبق الى الوهم ان ذلك التوقف لعدم القدرة على
الانتقام على الفور تدارك دفعه بقوله ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الانتقام
منهم اي وقت شاء وعن ابن عباس رضي الله عنه انه منسوخ باية السيف والغاية الى
يتعلق بها الامر اذا كانت لا تعلم الا بالالهام يخرج ذلك الوارد من ان يكون ناسخا دل على
ذلك الوارد انتساخ حكم التوراة والانجيل بظهور نبينا عليه الصلاة والسلام مع ما فيهما
من بيان انتهاء حكمها بظهوره الى الاي واقيموا الصلاة واتوا الزكاة عطف على فاعفوا
كانه امرهم بالصبر والالتجاء الى الله تعالى بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم من خير
اي شيئا قليلا من جنس الخير تجدوه جاء في الاحاديث الصحاح ان الاعمال نفسها
تتجسد يوم الجزاء او يوجد نفسها عند الله قد مر تفسيره ان الله بما تعملون بصير
وعد يتضمن الوعيد على عدم الاخلاص في العمل وقرئ بالياء فيمحض وعيدا وقالوا
عطف على ود والضمير لاهل الكتاب من الفريقين لن يدخل الجنة الا من كان هودا
جمع هائد كعائد وعوذ وهو جمع لا ينقاس في فاعل وتوحيد الاسم المضمر وجمع الخبر

باعتبار

باعتبار اللفظ والمعنى او نصارى لف بين قولي الفريقين كما في قوله كونوا هودا او نصارى
ايجازا اعتمادا على فهم السامع وامنا من الالتباس لتشهر ما بين الناس التعادي تلك امانيهم اشارة
الى الاماني المذكورة وهي ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم فان يردوهم كفارا وان لا يدخل
الجنة غيرهم او الى ما في الاية على حذف المضاف الى امثال تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض
وقد مر ان الامنية افعولة من التمني مثل الاضحوكة والاعجوبة والتمني تقدير الشيء في النفس
وتصويره فيها ولما كان اكثره عن تخمين صار البطلان له املك قل هاتوا برهانكم اي احضروا حجتكم
على اختصاصكم بدخول الجنة واكثرها مشتق من البره وهو القطع او من البرهة وهي البيان
ان كنتم صادقين في دعواكم فان قلت هلا يجوز ان يكون واحد منهما صادقا في دعواه ومع ذلك
يكون عاجزا عن اثباته قلت يجوز ذلك في العقليات واما الذي مداره على السمع فلا يجوز بلى
اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه اخلص نفسه لله لا يشرك به
غيره عبر بالوجه عن الجملة اذ هو اشرف الاعضاء وفيه الحواس لان اثر الانقياد والخضوع
يظهر فيه وهو محسن في عمله حال فله اجره الذي وعد على عمله عند ربه لا يضيع ولا
ينقص ويجوز ان يكون بلى وحده ردا لقولهم ثم يقع من اسلم كلاما مبتدأ والجملة جواب من ان
كانت شرطية والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط وان تكون من موصولة فاعل فعل محذوف
دل عليه بلى اي يدخلها من اسلم ولا يخفى ما في الشرطية العامة من تعريض بانهم لا يدخلون
الجنة لانتفاء الاوصاف الموجبة للاجر بحكم الوعد الصادق والترغيب في سلوك طريق الدخول
ولم يجزم بان غيرهم موصوف بذلك لانه على اسلوب المصنف واوجه الوجوه ان يقدر بلى
يدخلها غيرهم فيقبل من هو قبيل من اسلم ويكون قوله فله اجره من التتميم على انه زيادة
على دخول الجنة ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قد مر تفسيره وقالت اليهود ليست
النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء هو في غاية لان الشيء يتناول
المعدوم والممكن والمحال فاذا سلب التشبيه ولم يبق من المبالغة حد وراه ومن قيده بقوله يعتد
يعتد به فقد اخل بها نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاهم احبار
اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى عليه
الصلاة والسلام والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى عليه السلام والتوراة
وهم يتلون الكتاب الواو للحال واللام للجنس اي قالوا ذلك وحالهم من اهل العلم والتلاوة والكتب
ونحو من يتعلق ببعض كتب الله الايمان بالباقي لان بعضها مصدق للبعض كذلك اي مثل
ذلك القول البعيد عن الصواب قال الذين لا يعلمون اي الجهال من المعطلة والدهرية
والمشركين الذين لا كتاب لهم مثل قولهم لم يقل قبل قولهما لان المنظور هنا جهة اتحادهم

وفي كونهم اهل الكتاب وهو بيان لقوله كذلك لما فيه من الابهام او بدل منه ويجوز ان يكون كذلك
مفعولا به اي كلاما مثل ذلك الكلام الشنيع الذي سمعت به قال الجهال قولا مثل قولهم صادرا
عن عناد وجهل بلا حجة فيكون مثل نصبا على المصدر وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع
علمهم في سلك من لا يعلم فالله يحكم بينهم اي بين اهل الكتاب لا بين اهل الفريقين ولا القبيل
بينهما او بينهم وبين الجهلة ايضا يوم القيامة اي يريهم من يدخل الجنة عيانا ومن يدخل
النار عيانا فيظهر المحق من المبطل والفا فصيحة كانه قيل اذا لم يرضوا بحكم الكتاب في الدنيا
فالله يحكم الاية فيما كانوا فيه يختلفون من الدين والكتاب والنبي ومن اظلم ممن منع
مساجد الله اي لا اظلم منه دلت على ذلك صيغة التفضيل في سياق الاستفهام الانكاري
وهذا لا ينافي لكون المشرك اظلم لان فضله في الظلم لنفسه وفضل نفسه هذا في الظلم للغير
بسبب نزولها ان النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان
يصلوا فيه منع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية
وكيف كان فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولذلك اي لقصد تعميم الحكم قيل مساجد
الله مع ان التخريب انما وقع على مسجد واحد وهو مسجد بيت المقدس والمسجد الحرام ان يذكر
فيها اسمه مفعول ثان لمنع ويجوز ان يكون على تقدير من اي من ان يذكر وحذف حرف الجر
مع ان قياس ويمكن ان ينصب مفعولا له اي كراهة ان يذكر وسعى في خرابها بالهدم
والتعطيل وسعى كلمة تختلف معانيها باختلاف مصادرها يقال سعى يسعى سعيا اذا عمل واذا
كسب واذا عدا وسعى سعاية اذا اخذ الصدقات وهو عامل لها وكذا سعى به الى السلطان سعاية
اذا وشى به وكذا سعى المكاتب ومعتق البعض اذا ادى ما عليه سعاية وساعى الرجل الامة
اي فجر بها مساعدة ولا يقال لذلك في الحرة وفائدة زيادة سعى ههنا قطع احتمال النسب
اولئك المانعون ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا خائفين اي وجلين من عقابه
تعالى فكيف لهم الجراة على تخريبها فيل ما كان لهم في علم الله تعالى وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين
بالنصرة والاستخلاص المساجد منهم وفيه نظر لان تخريبهم ومنعهم دل على انه قد كان في
علم الله تعالى وقضائه ان يدخلوها غير خائفين وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول
مطلقا لا عن تمكينهم منه غير خائفين لهم في الدنيا خزي اي قتل وسبي وذلة بضرب
الجزية ولهم في الاخرة عذاب عظيم بسبب ظلمهم العظيم وانما اعيد في تضبيطها
على ان المعذبين في الاخرة هم المعذبون في الدنيا وليس عذابهم في الدنيا مكفرا لذنوبهم حتى
يكون احد العذابين لبعضهم والاخر للباقي ولله المشرق والمغرب هما عبارتان عن جهتي
العمورة والمراد كلها فاينما تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية معنى تولية وجوهكم شطر

القبلة بدليل قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره فثم وجه
الله اي جهته التي امر بها الوجه والجهة كالوزن والزنة مصدران نقلا الى الاسم والمعنى انكم اذا
منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او في بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا في اي
بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فان التولية ممكنة في كل مكان لا يختص امكانها
بمسجد دون مسجد ولا بمكان دون مكان ان الله واسع بالرحمة يريد بالتوسعة على عباده عليم
بمصلحتهم واعمالهم في الاماكن كلها وعن ابن عمر رضي الله عنه انها نزلت في صلاة المسافر على الراحلة
وعن عطا عميت القبلة على قوم فصلوا على انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاهم فعذروا اي في الفعل
واما وجوب القضا وعدمه فامر اخر والظاهر انه مستطرد عند ذكر المساجد وتمهيد لذكر نفي الولد
عمن له الجهات كلها تعالى عنها فيستحيل ان يماثله ذو جهة والولد جنس للوالد لا محالة وقالوا اتخذ ولدا
اي الذين قالوا عزير ابن الله والذين قالوا المسيح ابن الله والذين قالوا الملائكة بنات الله قالوا اتخذ
ولدا فالضمير لمن سبق ذكرهم من اليهود والنصارى والمشركين الذين لا يعلمون وقرئ بغير الواو وعلى
الاستيناف كانه سئل هل انقطع حبل افتراهم على الله تعالى واشتد ولم ينقطع فقيل بل قالوا اعظم من ذلك
وافظع سبحانه تنزيه عن ذلك اعتراض بل له ما في السماوات والارض رد لما قالوه وتنبيه على
فساده والمعنى انه خالق ما في العالم كله ومن جملته عزير والمسيح والملائكة كل له قانتون منقادون
لا يمتنعون عن مشيئته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون
له ولد لما مر ان حق الولد ان يجانس والده وانما جاء بما للعموم وقانتون للتغليب العقلا وهذا
التغليب يابى عن قصد التحقير بايراد ما وتنوين كل بدل من المضاف اليه اي كل ما في السموات والارض
والاية تدل على فساد ما قالوه بوجهين وتبنى تضمنه الاحتجاج بالوجه الاول على ثبوت التنافي
بين الولدية احد الاخر ومملوكيته له اذ لا تصريح بهذا بما ذكره فللاحتجاج به على ان من ملك ولده
عتق عليه بناء على ان ذلك المبنى لا يخلو عن مصادرة بديع السموات والارض يقال بدع هو
بديع كقولهم طرف فهو ظريف وبديع السموات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اي بديع سمواته
وارضه او بديع في السموات والارض كقولك فلان ثبت العذر اي ثابت فيه والمعنى انه تعالى عديم
النظير والمثل فيهما وقيل البديع بمعنى المبدع فيكون مضافا الى المفعول وقال ابن مقسم يجوز ان
يكون العين بدلا عن الهمزة والبديع والمبدع كالمبدي والمبدئ فانه جاء على فعل وافعل جميعا
والابداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وعلى هذا لا تكون الاشياء كلها مبدعا وهذا رد على الذين قالوا
اتخذ الله ولدا بوجه اخر تقريره ان من قدر على خلق السموات والارض من غير شيء كيف لا يقدر على
خلق مثل عيسى عليه الصلاة والسلام من غير اب وقرئ بديع مجرورا على البدل من الضمير في له ومنصوبا
على المدح واذا قضى امرا اي اراد شيئا لقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن
فيكون واصل القضا اتمام الشيء قولا كقوله وقضى ربك وفعلا كقوله فقضاهن سبع سموات واطلاق

على تعلق الارادة الالهية لوجود الشيء من آنه بوجه فانما يقول له كن فيكون من كان
التامة اي احدث فيحدث اي لا يدخله تاخير عن وقته ولا يمتنع عليه شيء ولا يلحقه تعب ولا يحتاج
الى استعمال آلة ومزاولة عمل استعارة تمثيلية شبهت الحال التي يتصور من تعلق ارادته تعالى بشيء من
المكونات وسهولة ايجاده اياه من غير امتناع ولا توقف بحالة امر الآمر النافذ تصرفه في المامور المطيع
الذي لا يتوقف في الامتثال واطلق على هذه الحالة ما كان يستعمل في تلك من غير ان يكون هنا قول
وامر وهذا اقرب مما يتراءى لنا به الغني المقصود فلا يتجه المناقشة بان وجه الشبه اقوى وحق
التشبيه عكس هذا وذهب بعضهم الى انه حقيقة وقد جرت السنة الالهية بان تكون الاشياء بكلمة
كن فيكون المامور هو الحاضر في العلم والمامور به الدخول في الوجود وقري برفع فيكون اي
فهو يكون بالنصب على جواب الامر وفيه تقرير لمعنى الابداع وتاكيد لاستبعاد الولادة بالمدلول
عليه بقوله سبحانه واما ما قيل انه حجة اخرى وهو ان اتخاذ الولد مما يكون باطوار ومهلة وفعله
تعالى قد يتعالى عن المهلة لحكمة وان كان مستغنيا عنه كيف وقد كان خلقه السموات والارض في
ستة ايام ومن ههنا ان من اعتبر في التمثيل المذكور الحصول بلا مهلة لم يصب وقال الذين لا يعلمون
اي الجهلة من المشركين وقيل من اهل الكتاب ونفي عنهم العلم لانهم لا يعملون به سواء تجاهلوا
او لا بان اظهروا جهلهم لولا هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة وموسى عليه الصلاة والسلام
ويامرنا وينهانا بالذات وهذا استكبار منهم عن اتباع بشر مثلهم او تاتينا آية من الله نعلم بها
انك رسول الله وهذا استهانة منهم بالمعجزات الباهرة وانكار للآيات الظاهرة كذلك قال الذين
من قبلهم يعني اليهود حيث قالوا ارنا الله جهرة واما قول الحواريين هل يستطيع ربك ان ينزل
مائدة من السماء فليس من هذا القبيل على ما نقف عليه في موضعه مثل قولهم قد تقدم تفسيره والمماثلة
بين القولين في كونهما تحكما وعنادا تشابهت قلوبهم اي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد
والاعتراض وقري بتشديد الشين وخطأ الفراء قائلا ذلك انما يجوز في المضارع يعني تتشابه
فيدغم احد التائين في الشين قد بينا الآيات لقوم ذوي بصائر يوقنون انها آيات يجب
الاكتفاء بها عن غيرها واصل البيان الذي يقع به الالزام يعم الكل لكن يخص الموقنين في حق النفع
واليقين ابلغ علم واوكده لا يكون معه مجال عناد واحتمال زوال ولذلك قال في حق ابراهيم عليه
الصلاة والسلام وليكون من الموقنين ولوضح ان تخلف عنه الاذعان لكان درجته فوق الايمان
فكان من المذعنين ابلغ من المؤمنين واللام في الآية للاستغراق اي كل الآيات والماهية اي
ما يعرف العقلاء انها آيات وتنكير قوم للتعظيم اي قوم صفتهم الاتقان وفيه تعريض بانهم
اراذل اهل الظن والتقليد وايذان بان الايمان له شان انا ارسلناك بالحق مصحوبا به لايفارقك
بشيرا ونذيرا للمطيع والعاصي فلا عليك الا البلاغ المبين ولا تسأل عن اصحاب الجحيم ما لهم
لا يؤمنوا اذا بلغت وبلغت في دعوتهم جهدك وقري لا تسأل على النهي تعظيما لما فيه الكفرة من

العذاب

العذاب كما تسأل عمن وقع في بلية ويقال لك لا تسأل عنه اي هو في حالة لا تحتمل سماعها لفظاعتها
او يحاشيها السامع او اراق او اجذع ان اتكلم بها فلا تكلفني او اعظم ان تكتنهها عبارة او يعرب
عنها فنارة قيل لما امر بتبشير المؤمنين وانذار الكفار كان يذكر عقوبات الكفار فقام رجل
وقال يا رسول الله اين والدي فقال في النار فحزن الرجل فقال صلى الله عليه وسلم ان والدك
ووالدي ووالد ابراهيم في النار فنزل القول المذكور فلم يسألوه شيئا من بعد ذلك والجحيم
النار الشديدة الالتهاب والجاحم المكان الشديد الحر ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى
حتى تتبع ملتهم لف لبعد النشر على عكس ما في قوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان
هودا او نصارى حكى تعالى كلامهم ولا بد من الحمل على هذا ليطابق قوله قل ان هدى الله هو الهدى
فانه يقتضي سابقة قوله ممن ندب عليه الصلاة والسلام الى محاجتهم منبئ عن تمادي لجاجهم
والملة من امللت الكتاب وهي اسم لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان نبيه ليتوصلوا به اجل ثوابه
والدين مثلها لكن الملة يقال باعتبار الدعاء اليه والدين باعتبار الطاعة والانقياد له ثم يقال الملة
والدين لما يكن من قبل الله تعالى على التقييد كقولك ملة مزدك ودينه قيل كان صلى الله عليه
وسلم يجتهد في طلب ما يرضيهم ليقبلوا الى الاسلام فقال له دع طلب ما يرضيهم ليقبلوا الى الاسلام
الى ما امرتك به من مجاهدتهم فليس فيه اقناط عن اسلامهم قل ان هدى الله هو الهدى بالغ في
دين الاسلام بتسميته الهدى واضافته الى نفسه وحصر الهدى فيه بان والضمير واللام اي
ان دين الاسلام هو نفس الهدى المخصوص بالله هو الذي يستاهل ان يسمى هدى وهو الهدى كله
لا غير فيلزم ان ما عداه ليس بهدى بل هوى او لكل قول لا حجة معه ولا عن علم فهو هوى فلهذا
قال على سبيل العرض ولئن اتبعت اهواءهم اراءهم الزائغة فان الهوى رأي عن شهوة داع الى
الضلال وانما سمي بذلك لانه يهوي بصاحبه في الدنيا الى كل داهية وفي الآخرة الى الهاوية بعد الذي
جاءك من العلم ابهمه ثم بينه للتعظيم اي من الدين المعلوم صحته بالبرهان ما لك من الله جواب
للقسم قد سد مسد جواب الشرط من ولي ولا نصير يدفع عنك عقابه الذين آتيناهم
الكتاب هم مؤمنو اهل الكتاب يتلونه حال من مقدر من هم او من الكتاب لانهم لم يكونوا
وقت ايتائه تالين له او خبر حق تلاوته نصب على المصدر بتلاوة كما يجب ان يتلى لا يحرفونه
ولا يكتمون شيئا منه كنعت الرسول عليه السلام وغيره اولئك اي التالون على ما يجب
يؤمنون به بكتابهم دون غيرهم من المحرفين ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه
فاولئك هم الخاسرون المخصوصون في الخسران باشترائهم الضلالة بالهدى يا بني اسرائيل اذكروا
نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا
ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون لما ذكرهم النعمة وخصهم بالخطاب
من بين بني آدم وخصهم على اتباع من هو رحمة للعالمين فانقسموا الى من قبل والى من ابى نصلهم

اخرائم خاطبهم على سبيل الالتفات بمثل الاول خطابا شاملا للفريقين عودا على بدء تحسرا لمن تبا
وتكسيرا لمن كبا وعلم من ذلك ان التكرير ليس لمجرد التقرير وفيه حسن التخلص الى حديث حرم
ابراهيم عليه الصلاة والسلام على وجه يوكد ما يدنوا له واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات
باوامر ونواه فاعلم ان الابتلاء والبلاء يتضمن امرين تعرف ما يجهل من حاله وظهور جودته ورداءته
بعده فربما قصدا الامران معا وربما قصد احدهما فاذا نسب الى الله تعالى فهو الامر الثاني وليس
هذا من ابتلاه الله بكذا اذا اصابه بما يكرهه ويشق عليه لان حمل الاوامر الثاني وليس على المكاره وعدها
من البلايا ليس بمناسب وابراهيم تفسيره بالسريانية اب راحم وذلك لرحمته بالاطفال قيل جعل
هو وزوجته سارة كافلين لاولاد المؤمنين الذين يموتون صغارا الى يوم القيامة فاتمهن اي قام
بهن حق القيام واطاعه فيهن احسن الطاعة كقوله وابراهيم الذي وفى اذ قال استيناف كان العامل
في اذ محذوف او هو العامل في اذ والواو داخلة عليه عطفا على ما قبله عطف القصة على القصة
المشار اليهما اجمالا بقوله يا بني اسرائيل اذكروا اني جاعلك من الجعل بمعنى التصيير فيتعدى الى اثنين
للناس اماما الامام اسم لمن يؤتم به كالازار لما يؤتزر به وامامته عليه الصلاة والسلام مؤبدة
اذ لم يبعث بعده نبي الا كان مأمورا باتباعه واما عمومها فبينا في قوله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا
الحديث قال ومن ذريتي اي واجعل بعض ذريتي واستعمال صيغة الامر في موضع الالتماس سائغ
شايع وهذا اولى من المصير الى عطف التلقين لانه لا يخلو عن سوء ادب وذرية الشخص نسله
قال لا ينال عهدي الظالمين اي من كان ظالما من ذريتك لا يناله عهدي اليه بالامامة وانما يناله
من كان عادلا والنيل اللحوق واختلف في المراد بالعهد والاظهر انه النبوة فلا دلالة في الاية
على ان الفاسق لا يصلح للامامة واذ جعلنا البيت البيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا مثابة
للناس والمثابة كالمباءة صيغة ومعنى اي مرجعا يثوبون اليه بعد التفرقة عنه وامنا اي
موضعا في غاية الامن لا يتعرض لاهله لقوله حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم قيل امنا من حاجه
من عذاب الاخرة وفيه نظر لان الحج لا يجب ما قبله من المظالم وقيل لا يؤاخذ الجاني الملتجي اليه
حتى يخرج وفيه ايضا نظر لانه يلجأ الى الخروج فلا يبقى امنا واتخذوا على ارادة القول او
عطف على المقدر عاملا لاذ او اعتراضا بتقديره توبوا اليه واتخذوا وعلى هذا الواو فصيحة
من مقام ابراهيم مصلى موضع صلاة تصلون فيه وهو على وجه الاستحباب دون الايجاب
وهو الحجر الذي فيه اثر القدمة والموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى
الحج او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روي انه صلى الله عليه وسلم اخذ بيد عمر
رضي الله عنه افلا نتخذه مصلى فقال لم اؤمر بذلك فلم تغب الشمس المراد به الامر بركعتي
الطواف لما روي جابر رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من طوافه عمد الى
مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرئ واتخذوا بلفظ الماضي عطف على جعلنا اي واتخذ

الناس

الناس مقام الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون اليها ويحتمل ان يكون امرا على صيغة الخبر
للتاكيد فيتوافق القراءتان وهذا يتعين كون الامر للايجاب وعهدنا امرنا الى ابراهيم
واسماعيل ان طهرا اي بان طهرا بيتي من الاوثان والانجاس ويجوز ان تكون مفسرة
لتضمن العهد معنى القول والمعنى وما على تطهيره فهو امران يبقياه على الطهارة الا ان يكون
فيه نجاسة فيزيلاه وهو كقوله تعالى لهم فيها ازواج مطهرة اي مبقاة على الطهارة الاصلية
للطائفين اي للطائفين حوله والعاكفين العاكف من لزم الشيء واقام عليه والركع السجود
جمع الراكع والساجد اي المصلين والصلاة تشتمل على افعال اقربها للخشوع هذان وترك العاطف
بينهما لكمال الاتصال واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا اي هذا البلد وهذا وهذا المكان
بلدا امنا ذا امن كقوله في عيشة راضية او امنا من فيه غريبا كان او من اهله كقولك
ليل نائم والبلد الاثر في الجلد ونحوه وانما سمي البلد بلدا لما فيه من الاثار وارزق اهله
من الثمرات الثمرة هي جميع ما يخرج من الارض والاشجار فهو يتناول الطعام والفواكه وذلك
لانه اسكن بواد غير ذي زرع ولا ضرع وانما قال اهله ولم يقل اهلي تعميما للدعاء كما هو
اللائق بشان الانبياء من امن منهم بالله واليوم الاخر بدل من اهله اي وارزق المؤمنين من
اهله خاصة المفسرون قالوا قاس ابراهيم عليه الصلاة والسلام الرزق على الامامة فخص الرزق
المطلوب بالمؤمنين وهذا القياس لا يليق بشانه صلى الله عليه وسلم لظهور الفرق بينهما عند من
له ادنى تمييز فالوجه ان يقال انه صلى الله عليه وسلم ابى عن تعميم الدعاء للكفار لان الكافر
لا يدعا له قال صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطئتك على مضر وقال موسى عليه الصلاة
والسلام ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم وخشي ان يخرج ذلك مخرج المعونة
لهم على العصيان واراد ان يجعل ذلك اية ترغب الكفار في الاسلام قال ومن كفر
مبتدا تضمن معنى الشرط وجوابه وجزء مقدر تقديره فلا اهلكه والفاء في قوله فامتعه
فصيحة وجعله جوابا وخبرا باباه الفاء فان الكفر لا يصلح سببا للتمتيع لا كثيرا ولا قليلا نعم يصلح
لتعليله لكن صرف النظم اليه لا يخلو عن تعسف واما عطف من كفر على من امن ففيه ان العطف يقتضي
التشريك في العامل فيصير التقدير وارزق من كفر ولا يناسبه السياق واللحاق ومن
ههنا ظهر ما في قراءة الجحري عن لفظ الامر على انه من دعاء ابراهيم عليه الصلاة والسلام من القصور
والمناسب له عليه الصلاة والسلام طلب الهداية الى الاسلام لمن كفر لا طلب ختمهم على الضلالة قليلا
نصب على المصدر اي تمتيعا قليلا او على الظرف اي زمانا قليلا ثم اضطره الى عذاب النار اي
الزه اليه لزالمضطر لكفره وقرئ فاطره بادغام الضاد في الطاء كما قالوا اطجع نقل سيبويه
عن بعض العرب مطجعا وقال ومضطجع الكثر وذلك على ان مضجع كثير فلا يكون لغة رذولة
وبئس المصير مصيرهم فحذف المخصوص بالذم واذ يرفع ابراهيم يرفع حكاية حال

ماضية اوردها مع استحضار الها للتعظيم ونحوها في القوس ولذا ابهم القواعد باطلاق ثم بينها
بالتقييد بقوله من البيت تفخيما لشان المبين والقاعدة هي الاساس والاصل لما فوقه وهي من
الصفات الغالبة من القعود بمعنى الثابتة ورفع القواعد هو البناء عليها لانها بالبناء عليها
تنقلت من الانخفاض الى هيئة الارتفاع واسماعيل عطف على ابراهيم فهما مشتركان في الرفع
ربنا اي يقولان ربنا والجملة حال منهما تقبل منا اي هذا العمل الذي قصدنا به رضاك
انك انت السميع لدعائنا العليم بنياتنا ربنا واجعلنا عطف على الدعوات السابقة
وتكرار ربنا للاستلذاذ بذكره والخضوع بالمربوبية مسلمين لك مخلصين لك من اسلم وجهه
او منقادين من اسلم بمعنى استسلم والمراد طلب الزيادة على ما كان او الثبات وقرئ مسلمين على ان التثنية
من مراتب الجمع وقيل ارادوا انفسهما وهاجر ومن ذريتنا خصا الذرية بالدعاء لانهم احق
بالشفقة واتيا بها باداة التبعيض لانه تعالى كان اعلمها ان في ذريتهما من لا ينال العهد لكونه
ظالما فاما قيل ان الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي على الله فعالجنا
مما يتشوش المعاش فلا يصلح وجها لما ذكر كما لا يخفى امة مسلمة لك الاسلام هو الانقياد
بالخضوع وارنا من الروية بمعنى الابصار او المعرفة دل على ذلك الاقتصار على المفعولين
والاخبار بان يقرا بكسر الراء وهي قراءة الجمهور لانها تشير الى الراء وسقطت الهمزة فلا ينبغي ان
يسكن تماما على تحذ كما فعله ابن كثير لئلا يجحف بالكلمة ويبطل الدلالة على الهمزة مناسكنا
متعبداتنا في الحج قال الزجاج كل متعبد منسك والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما
فيه من الكلفة والبعد عن العادة او مذابحنا فان النسك خص بالذبيحة وتعورف فيه حتى قيل
نسك فلان اذا ذبح وتب علينا التوبة ما رجوع بالاحسان ولهذا يتعدى بعلى وذلك ان
تاب بمعنى رجع فكما ان رجع لازم ومتعد كذلك تاب لازم ومتعد وانما قالا ذلك هضما لانفسهما
استتابة عما فرط منهما سهوا وارشادا لذريتهما انك انت التواب الرحيم لمن تاب ربنا
تكرير للاسر وابعث فيهم اي في ذريتهما لا في الامة المسلمة لعدم الدلالة حينئذ على انهم امة
ذلك الرسول رسولا منهم البعث فيهم لا يستلزم ان يكون منهم كالعكس ولهذا جمع بينهما يتلو
يقرا عليهم اياتك المراد بالاية المعجزة الواضحة الدلالة وفي عبارة التلاوة اشارة الى انه
اراد ان يكون للرسول المسئول معجزات من جنس الكلام ويعلمهم اي يلطف بهم في التفهيم شيئا
شيئا الكتاب كلام الله تعالى الذي نزل عليه عليه الصلاة والسلام وهو اعم من القراة لاشتماله
على منسوخ التلاوة الخارج عن القران والحكمة السنة ذكره قتادة ووجه المناسبة بينهما
ان الحكمة ينتظم العلم والعمل كما ان السنة تنتظم القول والفعل ويزكيهم ويطهرهم اي
يحليهم بالفضائل ويخليهم عن الرذائل وانما قدم الاول لان علم القبائح سببا لتركها والجامع لما
ذكرنا هو محمد عليه الصلاة والسلام وقد روي انه صلى الله عليه وسلم قال انا دعوة ابي ابراهيم

وبشارة

وبشارة اخي عيسى ورؤيا امي امنة انك انت العزيز الغالب الذي يقهر ولا يقهر الحكيم
المحكم له ومن يرغب عن ملة ابراهيم الرغبة الارادة ومنه نظير رغبت اي نعم ويتعدى بعن
لتضمنه حرف الارادة عن ذلك الشيء وذلك بالزهد ومن للاستفهام على وجه الاستبعاد والتوبيخ
الجحد على وجه البلغ اي لا يزهد في ملة ابراهيم الا من الا الذي سفه نفسه اذلها واستخف
بها قال المبرد وثعلب ان سفه بكسر الفا يتعدى كسفه المشدد ويشهد له ما في الحديث الكبر
ان تسفه الحق وتغمص الناس والمستثنى في محل الرفع بدلا من الضمير الذي في يرغب وهو اوجه
من النصب على الاستثناء ولقد اصطفيناه في الدنيا اي جعلناه صافيا من جميع ما لا يليق
خلة الحق والاصطفا في الاصل تناول صفوة الشيء كما ان الاختيار تناول خيره والاجتبا
جانبه او وسطه وهو المختار وانه في الاخرة لمن الصالحين اي من الثابتين على الصلاح في الدنيا
من يكون لذلك في العقبى فكم من صالح في اول حاله ذهب صلاحه في ماله فهو في مقام التعليل
لاصطفائه في الدنيا كما انه في مقام التعليل لما سبق في انه حقيق بالاتباع لا يرغب عنه الا
سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت
العامل في اذ قال اسلمت اي حين امره الله تعالى بالاسلام قال اسلمت استيناف تعليلي لما تقدم
من الفلاح في الدارين وانما زاد في قوله لرب العالمين لبيان ان المراد من الاسلام هو الاتيان
عن عرفان بما يوجب الاذعان لا مجرد الاقرار باللسان ووصى بها بملة الاسلام المذكورة
ابراهيم بنيه والتوصية التقدم بفعل فيه صلاح دينيا ودنيويا وقرئ واوصى والاول
ابلغ واشتقاقهما من وصاه اي وصله ويضاده فصاه اي فصله ويعقوب عطف
على ابراهيم اي وصى هو ايضا بها بنيه وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه ابراهيم وانما
منع عن الصرف للعجمة والعلمية يا بني على اضمار القول ويتعلق بوصى لانه نوع منه
وباعتباري الفعل والقول يجوز اثبات ان وحذفها كما في الرسالة والابلاغ والانذار
والوعد ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان لقوله فلا
تموتن الا وانتم مسلمون كناية عن الثبات على الاسلام وفي العبارة المشهورة اشارة
الى ان العبرة للخاتمة ام كنتم شهداء ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها للانكار اي ما كنتم
حاضرين اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال لم تدعون اليهودية عليه روي
ان اليهود قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية
يوم مات فنزلت والشهود حضور بالذات او بالعناية او بالمقال والحضور اكثر ما يقال
بالذات كذا قال الراغب وتقديم المفعول وهو يعقوب لشدة الاهتمام به لانهم يدعون
عليه اليهودية اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر ما تعبدون من بعدي لم يعن به
العبادة المشروعة فقط بل عن جميع الاعمال فكانه دعاهم ان لا يتخيروا في اعمالهم غير وجه الله

تعالى ولم يخف عليهم الاشتغال بعبادة الاصنام وانما خاف ان يشغلهم دنياهم ولهذا فادوا في
الجواب قولهم ونحن له مسلمون اي منقادون له في جميع الافعال والاحوال قالوا نعبد الهك
واله ابايك اي نقتدي بك كما اقتديت بابايك وللاشعار بهذا الاعتبار المناسب للمقام زادوا
في الكلام على قدر الحاجة في الجواب وقرئ واله ابيك على انه جمع اب على السلامة ومفرد وابراهيم
عطف بيان ابراهيم واسماعيل واسحق بدل عن قوله ابايك وابراهيم عليه الصلاة والسلام
كان جده والجد اب قال الله تعالى كما اخرج ابويكم من الجنة واسماعيل عليه الصلاة والسلام
كان عمه والعم عند العرب يسمى ابا قال النبي صلى الله عليه وسلم في حق العباس رضي الله عنه
ردوا على ابي وانما قدمه على ابيه اسحاق لانه كان اكبر سنا منه الها واحدا بدل من
اله ابايك ويجوز ان يكون واحدا حال والها توطية والفائدة التنصيص على ان معبودهم
واحد ونفي التوهم الناشي من تكرير المضاف وانما النصب على الاختصاص فيرده نص النحاة على ان
المنصوب على الاختصاص لا يكون نكرة ولا مبهما ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد ومفعوله
او منهما ويجوز ان يكون جملة معطوفة على نعبد او اعتراضية تلك امة الاشارة الى ابراهيم ويعقوب و
بنيهما والامة اهل الملة الواحدة وهي في الاصل المقصود من امه كالعمدة من عمده وتسمى بها
الجماعة لان الفرق تامها قد خلت اي مضت وصارت الى الخلاء وهي الارض التي لا انيس
بها ويلزمه الانفراد ومنه خلى الرجل بنفسه اذا انفرد وخلا المكان من اهله اي انفرد
منه لها ما كسبت ولكم ما كسبتم الكسب اجتلاب جلب النفع بعلاج ومراس ولذلك
لا يجوز في صفة الله تعالى واذا قيل في المضر فعلى طريقة الاستعارة وتقديم لها ولكم
للتخصيص والجملة استيناف لبيان ان الانتفاع بالاكتساب لا بالانتساب ولا تسألون عما كانوا
يعملون تتميم لما تقدم اي لا اثابات ولا يعاقب احد بما كان من الاخر على ان المراد سوال المواخذة
وقالوا اي روسا اليهود ونصارى نجران كونوا المامورون من امن برسول الله صلى الله عليه
وسلم هودا او نصارى كان الظاهر ايراد اداة الجمع لان كلام المجموع مجموع الكلامين الا انه
اراد ان يتضمن الكلام بيان انقسام المقام على الانفصال الحقيقي فاتى باداة المنع تهتدوا جواب
الامر قل بل ملة ابراهيم على حذف المضاف وقرئ ملة بالرفع على معنى بل المهتدين ملة ابراهيم
على حذف المضاف وقرئ ملة بالرفع حنيفا حال من المضاف او المضاف اليه والحنيف المايل
والمراد الميل عن الاديان كلها الى دين الحق كان يقال في الجاهلية لمن كان على دين ابراهيم
عليه الصلاة والسلام حنيف لميلهم عن طريقتهم الى غير طريقة غيرها وما كان من المشركين
تعريض الى كل من الطايفتين قد اشركت قولوا خطاب للمؤمنين ويجوز ان يكون خطابا للكافرين
على ان المراد بقوله بل ملة ابراهيم بل كونوا اهل ملته لتكونوا مهتدين فيكون بيانا له امنا بالله
اي بالوهيته ووحدانيته وساير صفاته ومن جملتها كلامه فكان الايمان به مشتملا للايمان بجميع

بما انزل

بما انزل من عنده فلهذا لم يفصل بينهما باداة التعدية الدالة على الاستقلال وما انزل الينا القران
قدمه لان التصديق به اهم واتم وما انزل الى ابراهيم في الصحف واسماعيل واسحاق ويعقوب
عطفوا على ابراهيم لانهم لما كلفوا العمل بشريعته صارت الصحف المنزلة عليه كانها منزلة
عليهم والاسباط اولاد اسحاق عليه السلام كالقبايل في اولاد اسماعيل عليه الصلاة
والسلام وهم جماعة من اب وام ماخوذ من السبط وهو شجرة واحدة لها اغصان كثيرة وما
اوتي موسى وعيسى التورية والانجيل والايات البينات ولهذا اتى هنا بعبارة اوتي ولم يكرر
ما اوتي لان شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام هي شريعة موسى عليه الصلاة والسلام الا
في النذر وافرادهما بالذكر لوقوع النزاع فيهما وما اوتي النبيون تعميم بعد التخصيص
من ربهم اي منزلا من ربهم لا نفرق بين احد من رسله اي لا نكونوا كالذين امنوا ببعض وكفروا
ببعض من اليهود والنصارى واحد فساغ ان يضاف اليه بين وعمومه ليس من جهة كونه نكرة
في سياق النفي كما هو السابق الى الفهم بل لانه موضوع له في النفي مستو فيه المذكر والمؤنث
والواحد وما وراه وقالوا فالبينهم لكان اوجز الا انه لما كان القصد الى ان يبين ان لا يفرق
بين واحد واحد ذكر لفظ احد ونحن له مسلمون مذعنون مخلصون فان الفا للترتيب
الكلام على ما تقدم امنوا اي اليهود والنصارى بمثل ما امنتم به اي بمثل ايمانكم فما مصدرية
وبه بدل من بمثل يفيد التوكيد وكذا البا المزيدة ويجوز ان يكون للالة والمعنى ان تحروا بطريق
يهدي الى الحق مثل طريقكم فان وحدة القصد لا يابى تعدد الطريق او المثل مقحم كما في
قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه ويشهد له قراة بما امنتم به وبالذي
وبالذي امنتم به فقد اهتدوا اي اصابوا الصراط السوي وان تولوا يقال تولاه
اذا اتخذه وليا قال تعالى لا تتولوا قوما غضب الله عليهم واذا وصل بالى يكون بمعنى الاقبال
عليه قوله تعالى ثم تولى الى الظل واذا وصل بعن يكون بمعنى الاعراض وهو المراد هنا اي ان اعرضوا
عن الايمان بما امنتم به او عما يقولون لهم فانما هم في شقاق اي ما هم الا في شقاق عظيم
وهو المنافاة والمخالفة لاهل الحق فان كل احد من المخالفين في شق غير شق الاخر فسيكفيكهم
الله تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصر والسين اشارة الى كون الوعد محقق
الوقوع قريبه وهو السميع العليم حذف المفعول للتعميم او نزل تنزيلا للمتعدي منزلة اللازم
لايهام المبالغة وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين صبغة الله انتصب انتصاب المصدر
المؤكد لمضمون الجملة من قوله قولوا امنا اي صبغنا الله تعالى بالايمان الفطري صبغته وهي فطرة
الله التي فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ او هدانا الله تعالى
هدايته وارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم
ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم تداخل الثواب وقيل انه كلام وارد على طريق

المناكل وذلك انه كان للنصارى صبغ يسمونه العمودية وهو ماء اصفر كانوا يغمسون اولادهم
فيه ويزعمون انه تطهير لهم ويقولون للمغموس الآن صار نصرانيا حقا ومن احسن من الله
صبغة اي لا احد احسن من الله صبغة ونحن له عابدون عطف على آمنا بالله او على قوله
ونحن له مسلمون ومحله حال من آمنا بالله وفيه تعريض بهم اي لا نشرك به كشرككم قل
اتحاجوننا المحاجة المقاومة في اظهار الحجة المبينة للحجة اي المقصد في الله في شأنه واصطفائه
نبيا من قريش روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت وهو
ربنا وربكم لا اختصاص لربوبيته بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده ولنا
اعمالنا ولكم اعمالكم فكما ان لكم اعمالا يعتبرها الله تعالى فكذلك لنا اعمال ونحن له مخلصون
اي في الاعتقاد والعمل لا انتم فكيف تكونون افضل منا واولى كانهم لزمهم على كل مذهب ينتحلونه
افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله تعالى على من يشاء والكل فيه سواء واما افاضة
حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص ام تقولون ان ابراهيم واسمعيل
واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى على القراءة بالتاء الفوقانية يحتمل ان
يكون ام متصلة معادلة للهمزة في اتحاجوننا يعني اي الامرين تأتون المحاجة في الله ام ادعاء اليهودية
والنصرانية على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وان تكون منقطعة وعلى القراءة بالياء التحتانية
لا يكون الا منقطعة لان المتصلة تقتضي المساواة بين ما يلي الهمزة وام لاستواء الخ ومعنى الهمزة فيها
الانكار وعلى تقدير الاتصال ام انكار الامرين جميعا وكذا على تقدير انقطاعها وفي القراءة الثانية
اعراض عن الخطاب لهم استجهالا لهم مما كان منهم وفي قل أأنتم اعلم ام الله انكار للقسم الاول
تقرير للثاني اي الله شهد لهم بملة الاسلام في قوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن
كان حنيفا مسلما وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه في الدين اتفاقا ومن اظلم ممن كتم شهادة
ثابتة عنده كائنة من الله اي شهادة الله تعالى في حق ابراهيم الذي ثبت عنده في
كتابه الذي يتلونه والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا الشهادة او منا لو كتمنا
هذه الشهادة وفيه تعريض لهم بكتمانهم شهادة الله تعالى لمحمد عليه الصلاة والسلام بالنبوة
في كتبهم وغيرها وقد مر في تفسير قوله تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد الله ما يتعلق بهذا
المقام من بيان وجه الطريقة من الكلام وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم تلك
امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة
في التحذير والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم سيقول السفهاء
من الناس قد مر معنى السفه والمراد المنكرون لتغيير القبلة من المنافقين والمشركين
واليهود وفائدة تقديم الاخبار به مع انه من الاعجاز توطين النفس واعداد الجواب
ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت المقدس والقبلة وان كانت

في الاصل اسما للحال التي عليها الانسان من الاستقبال كالجلسة والقعدة فقد صارت في التعارف
للمكان المتوجه نحوه للصلاة اليها قل لله المشرق والمغرب كني بهما عن الجهات كلها اي نسبة جميع
الجهات اليه تعالى على السواء فلا يختص بامره مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه
وانما العبرة بارتسام امره لا لخصوص المكان يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو
ما علم الله تعالى صلاحهم واستقامة امرهم فيه من توجيههم الى بيت المقدس تارة والى الكعبة
اخرى وكذلك اي ومثل ذلك الجعل العجيب والاشارة الى الجعل المدلول عليه بجعلناكم
لا الى الجعل المفهوم من الآية المتقدمة وانما جيء بما يدل على البعد تفخيما والكاف مقحم للمبالغة
جعلناكم امة وسطا خيارا لكونهم عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو في الاصل اسم للمكان
الذي يستوي اليه المساحة من الجوانب المذكورة من الطرفين في المطول كالنقطة من
الدائرة ولسان الميزان من العمود فجعل عبارة عن العدل وشبه به كل ما وقع بين طرفي افراط
وتفريط كالجود بين السرف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم جعل عبارة عن المختار
من كل شيء حتى قيل فلان اوسطهم نسبا فاستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر
الاسماء التي يوصف بها لتكونوا شهداء يعني للانبياء عليهم الصلاة والسلام يوم القيامة
على الناس على الكفار ويكون الرسول هو محمد عليه الصلاة والسلام عليكم خاصة
شهيدا معدلا مزكيا والشهيد كالرقيب والمهيمن فجيء بعلى لاستعلائه على المشهود له روي ان
الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء عليهم الصلاة والسلام فيطالب الله تعالى
الانبياء بالبينة على انهم بلغوا وهو اعلم فيأتون محمدا عليه الصلاة والسلام ليتمسك كل رسول
منه طائفة من امته ليشهد له فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك
باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد عليه الصلاة والسلام
فيسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة
بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا واستدل بالآية المذكورة على ان الاجماع حجة اذ لو كان
فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم ولا يخفى ضعفه اذ غاية ما لزم جبليته خطأ وهم
في الاجتهاد ولا تنثلم به العدالة كيف والخطأ في الاجتهاد مما يثاب عليه لا يكون قادحا في العدالة
وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اي الجهة التي كنت عليها وهو الكعبة كان صلى الله عليه
وسلم يصلي عليها بمكة ثم امر بعد الهجرة بالصلاة الى صخرة بيت المقدس تألفا لليهود ولانه
مردود بالحصر المستفاد من تمام الكلام الآتي ذكره فانه صريح في ان جعل الكعبة قبلة ليس
تألفا لقريش على هذا الوجه وان جعل الصخرة قبلة ليس تألفا لليهود على الوجه الآخر
ثم حول الكعبة فالمعنى ما رددناك الى الكعبة وذلك لا يقتضي ان تكون القبلة المفعول
الاول والتي كنت عليها المفعول الاول والتي كنت عليها المفعول الثاني كما توهم بل يجوز ان يكون

على العكس اي صيرنا الجهة التي كنت عليها اولا ثم صرفت عنها الى بيت المقدس قبلتك او الصخرة
فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة
وما جعلنا قبلتك بيت المقدس الا امتحانا وابتلاء للناس وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت
قبلته صلى الله عليه وسلم بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه ولا دلالة في
هذا على احد المعنيين المذكورين بخصوصه كما لا يخفى الا لنعلم من يتبع الرسول ليظهر
علمنا على مظاهر الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ويتميز عندهم الثابت على الاسلام والصادق
فيه وانما عبر عن الظهور المذكور بالعلم المسند الى ذاته لانهم خواصه واهل الزلفى عنده تعظيما
له وبهذا اندفع ما قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل واما التاويل بانه باعتبار التعلق
الحالي الذي هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق به علمنا موجودا فليس بشيء لان علمه تعالى به موجودا
في وقت وجوده لم يزل ايضا فانه تعالى كان عالما في الازل بكل حال من احوالهم التي تقع في زمان
من ازمنة وجودهم مقارنة للزمان الذي يقع فيه تلك ممن ينقلب على عقبيه من المتردد
الذي يتردد باذنى سبب لقلقه تصوير لسوء حالهم في الارتداد باقبح الوجوه فان الانقلاب
على العقب اسوء احوال الراجع في مشيه وفي تثنية العقب تقوية لسرايته والعقب على ما قاله
الاصمعي ما اصاب الارض من موخر الرجل الى موضع الشراك الذي ذكر من جنس الحكم والغايات
التي يترتب عليها المصالح لا من قبيل الاغراض وقرئ الا ليعلم على البناء للمفعول ومعنى العلم
المعرفة ويجوز ان يكون من متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا عنها العلم كقولك علمت ازيد في الدار
ام عمرو وان كانت لكبيرة شاقة الواو وصلية وقيل ان هي النافية واللام بمعنى الا والضمير
لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة اي الجعلة والتحويلة او الردة ويجوز ان يكون للقبلة وقرئ
الكبيرة بالرفع فيكون كان زائدة كما في قوله وجيران لنا كانوا كرام الا على الذين استثناء من
محذوف اي الكبيرة على الناس الا على الذين هدى الله الى الحكمة الاحكام الثابتين على الاسلام
والاتباع وما كان الله ليضيع ايمانكم ثباتكم على الايمان في الاتباع بل شكر صنيعكم واعد لكم
الاجر العظيم وقيل الاستمرار المستفاد من لفظة كان مقدم في الاعتبار على النفي او صلاتكم
الى بيت المقدس اي ايمانكم بسبب الصلاة اليه فانها قبل التحويل مما صحت لا بما نسخنا له قال
ابن عباس رضي الله عنهما لما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قالوا كيف
من مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت ان الله فيه معنى التعليل ولا لما
في مقام الاضمار للتعميم بالناس على الاطلاق فكيف بالمؤمنين منهم لرؤوف رحيم فلا يضيع
اعمالهم ولا يخل بما يصلح احوالهم وانما قدم الرؤوف على الرحيم لان الرافة انما تكون باعتبار
الحفظ والصيانة عن الآفات والنقائص التي يستحق بها العقاب والرحمة باعتبار افاضة
الكمالات والسعادات التي بها يستحق الثواب فالاولى من التزكية والثانية من باب التحلية

ولا

ولا يكون التحلية الا بعد التزكية قد نرى اي للتقليل وقد استعمل هنا في قيام التكثير
كما في قوله قد انزل القرآن مصفرا انامله بمعنى انك نفعل كثيرا على ما دل عليه عبارة تقلب وتو
تقليلا بالنسبة الى ما تهم به وتقرير في ابكيت يدعى قلة الترك بالنسبة الى ما في نفسه وما يريد
وهو كثير في نفسه ذلك تقلب وجهك تقلبا لوجه ابلغ من تقلب العين يكنى ان الوجه
يريد به التوجه كقولك وجهي لفلان في السماء اي في جهتها تطلعا بالوحي كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم عليه الصلاة
والسلام واقدم القبلتين وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة
اليهود وذلك يدل على كمال ادبه صلى الله عليه وسلم حيث انتظر ولم يسال كما فعل ابوه ابراهيم
عليه الصلاة والسلام حيث قال حسبي عن سؤالي علمه بحالي فلنولينك فلنجعلنك واليا
قبلة من وليته كذا اذا جعلته واليا له او فلنجعلنك تلي سمتها من الولي ترضاها تحبها وتميل
اليها لمصلحة دينية وفي هذا القيد دلالة على ان التولية كانت عارية لرضاه صلى الله عليه وسلم
كان بالمدينة والبعيد يكفيه رعاية الجهة لان التعميم المستفاد من وحيثما كنتم فولوا وجوهكم
شطره يا باه بل الدلالة على ان القبلة هي الهواء ولا دخل فيها للبناء الحرام اي المحرم فيه القتال
وممنوع عن ظلمه ان يتعرضوه وهذا الوصف هو الباعث لايثار المسجد على الكعبة فان الحكم المذكور
لا اختصاص له بها لا لان في استقبال عينها حرجا لانه قد اندفع بزيادة عبارة الشطر روي
انه صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى
الكعبة وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته
ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتاكيدا لامر القبلة وتخصيصا للامة على المتابعة وان الذين اوتوا
الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم اجمالا لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص اهل شريعة بقبلة وتفصيلا
لتضمن كتبهم انه صلى الله عليه وسلم يصلي الى القبلتين فالضمير للتحويل او التوجه وما الله بغافل
عما تعملون وعد ووعيد للفريقين وفي قوله ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب اللام موطئة
للقسم بكل آية اي برهان قاطع على ان التوجه الى الكعبة هو الحق بعد قوله ليعلمون انه الحق دلالة
على ان امتناعهم عن التوجه اليها ليس عن شبهة بل عن عناد ومكابرة فلا ينجع البرهان قطعا ما تبعوا
اي كلهم فلا ينافي في اتباع بعضهم قبلتك جواب القسم المضمر وهو مع جوابه ساد مسد الشرط
وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم قالوا تعززا له صلى الله عليه وسلم واطماعا لو ثبت
على قبلتنا كنا نرجو ان يكون صاحبنا وقبلة المخالفين وان تعددت لكنها متحدة من جهة البطلان
ومخالفة الحق وما بعضهم بتابع قبلة بعض لان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع
الشمس فلا يرجى توافقهم فلا وجه للتوجه الى احدى تلك القبلتين لا رضا لاحد الفريقين مع ما فيه
من سخط الآخر ولئن اتبعت اهواءهم اي ولئن تبعتهم في موافقة الهوى فرضا وفي العدول

لفتهم

عن الظاهر البيّنة على ان تبلّهم لما انتحت لم يبق فيها الا جهة الهوى والميل الى مقتضى النفس لبطلان
وجه الحقّ من بعد ما جاءك من العلم اي سببه وهو الوحي انك اذا لمن الظالمين في الايات
الثلاث المجيبة الموطّئين للقسم من الجمل الثلاث والتكرار في قوله قول وتعالوا مع التفخيم في حيثما
والتاكيد بان واللام والوعيد في قوله وما الله بغافل وايراد الجملتين المنفيتين وهما وما انت بتابع
وما بعضهم بتابع بعض اسميتين وتاكيدا لنفي بالبا فيهما وايراد كلمة الشك في قوله ولئن اتبعت بعد
القطع في قوله وما انت بتابع لتدل على الفرض والتقريب كالمحالات وتقريبه ذلك المعنى بقوله
ما جاءك من العلم وذكر الاهوا والتاكيدات الاربعة في جوابه مبالغة عظيمة في ان كل واحد من
المحق والمبطل في غاية التصلب والتشديد في دينه وامتناع رجوعه عنه واما المحق فلقوة يقينه
ووضوح برهانه وكونه على بينة من ربه واما المبطل فلشدة شكيمته في عناده ومكابرته وتعظيم
للحق المعلوم وتحريض على اقتفايه وتحذير عن متابعة الهوى واستفظاع لصدور الذنب عن الانبيا
عليهم الصلاة والسلام الذين اتيناهم الكتاب اتباعهم ودراسه وهم الاحبار يعرفونه العهد
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبق ذكره في قوله تعالى انك اذا لمن الظالمين وهذا الكلام غير
منقطع عنه الا انه التفت من الخطاب الى الغيبة ثم منها الى الخطاب في قوله وهم يعلمون الحق من ربك
كما يعرفون ابناءهم اي يعرفونه صلى الله عليه وسلم معرفة لا يشتبه فيه بالوصف الذي يعينه
كما يعرفون البنين على التعيين لا اشتباه في معرفتهم اياهم بغيرهم وانما خص الابنا بالذكر لان اختلاطهم
بالاباء اكثر لعدم الاشتباه فيه اظهر روى عن عمر رضي الله عنه انه سأل عبد الله بن سلام عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولما قال لاني لست اشك في محمد انه نبي واما ولدي
فلعل والدته خانت فقبل عمر رضي الله عنه راسه وان فريقا منهم التنوين للتحقير والاشارة الى
قلة قدرهم بالنسبة الى المظاهرين منهم ليكتمون الحق الى كونه الموعود كان الظاهر ان
ليكتمونه والعدول عنه للتنبيه على ان المراد معرفته صلى الله عليه وسلم بذلك الوجه لا معرفة
ذاته وهم يعلمون تخصيص لمن عاند واستثنا لمن امن الحق من ربك كلام مستانف والحق
خبر مبتداء محذوف اي هو الحق ومن ربك خبر بعد خبر وحالا او الحق مبتدا اخبره من ربك واللام
اما للعهد او الاشارة الى ما يكتمونه اي الحق الذي يكتمونه هو الحق من ربك او الى الحق الذي عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم واما للجنس اي الحق من ربك لا غير اي ما هية الحق ما ثبت انه من
ربك يعني الذي انت عليه وما لم يثبت انه من ربك كالذي عليه اهل الكتاب فهو الباطل كما يقول
الرجل زيدا اي ما عداه ليس بالرجل وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون
فلا تكونن من الممترين النهي عن الكون على صفة المنع من النهي عن تلك الصفة ولذلك كثر
في القران النهي عن الكون على الصفة التي يطلب اجتنابها والامترا من مرية الناقة اذا مسحت
ضرعها واستعين للتردد في الامر وهو لا يكون بقصد واختيار فالنهي المذكور للحث على محافظة

الاسباب المزيلة له والتحذير عن الغفلة عنها والرسول صلى الله عليه وسلم احق بها بمزامنته
ولقد احسن من قال ان الله تعالى يحذر نبيه من اتباع الهوى اكثر مما يحذر غيره لان ذا
المنزلة الرفيعة الى التحذير بالانذار احوج حفظا لمنزلته وصيانة لمكانته وقد قيل حق المراة
المجلوة ان تكون تعهدها اكثر اذ كان القليل من الصدا عليها اظهر ومن ذهب على هذا
قال ليس المراد به نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بمعتبر
واختيار وكانه غافل عن انه لا صحة للكلام على ظاهره وبعد الصرف عنه لا مانع عن كون
الخطاب له صلى الله عليه وسلم ثم انه لا اختصاص للنهي بالتوقع الا يرى ان الجهل غير متوقع
من نوح عليه الصلاة والسلام وقد وقع التحذير عنه في حقه صلى الله عليه وسلم مع ان
النهي غير متوقع منه المبالغة في حق من يتوقع منه ذلك ولكل وجهة اي ولكل قوم من المسلمين
وجهة وجانب من الكعبة وقيل المعنى ولكل امة من اهل الاديان المختلفة جهة وقبلة ولا ينطبق
وجه التفريع الاتي ذكره ولغراة الى قبلة والتنوين عوض عن الاضافة هو موليها هو اما
راجع الى كل اي هو موليها وجهه فحذف احد المفعولين او الى الله تعالى اي الله تعالى موليها
اهلها فاللام مزيدة للتاكيد جبرا لضعف العامل وقرئ موليها اي هو مولي تلك الجهة ولما كان
في التوسعة المستفادة من الكلام السابق ازاحة العذر في التوقف والتاخر رتب عليه الامر
بالمبادرة بقوله فاستبقوا الخيرات اي تسارعوا الى اداء الصلوات في اوايل اوقاتها والسبق التقدم
والاستباق من الاثنين ومن الجمع السابق وكذا المبادر والابتدار والتقاتل والاقتتال وفي التعبير
بالخير عن الصلاة دلالة على تفوقها في الخيرية على ساير الاعمال الصالحة فان النوع الخاص اذا
عبر عنه باسم الجنس يدل على فضله على سايرها اينما تكونوا يات بكم الله اي في اي موضع كنتم
احضركم الله المحشر للثواب والعقاب استيناف تعليلي للامر المذكور وانما قال جميعا لان
نكال العاصي على رؤس الاشهاد يكون اشد فظاعة والاحسان للمطيع في تلك الحال يكون اقوى
تاثيرا في تحسير العاصي نفسه تاكيدا التحذير وقيل المعنى فيما تكونوا من الجهات المتقابلة يات
بكم اليه جميعا ويجعل صلواتكم كانه الى جهة واحدة وياباه قوله ان الله على كل شئ قدير
اذ لا دخل لشمول القدرة وكما لها في المعنى المذكور فان مبناه على الرخصة والوسعة في امر التكليف
على القدرة في امر التكوين ومن حيث ومن اي مكان خرجت سواء كان للسفر او لامر
اخر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه هذا المامور به للحق من ربك
تاكيد على ابلغ الوجوه وما الله بغافل عما تعملون وقرئ بالياء ومن حيث خرجت فول وجهك
شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره كرر هذا الحكم لتعدد حكمته فانه
تعالى ذكر لتحويل القبلة فوايد تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم بابتغاء مرضاته وجري العادة
الالهية على ان يولي اهل كل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على

ما سياتي بيانه وقرن بكل حكم حكمته تقريبا وتقريرا ان القبلة لها شان والنسخ
من مظان الشبه والفتن ومحال تسويل الشيطان فيحتاج الى التاكيد والتشديد بتحققا نه ليس
بالبدا لئلا يكون للناس عليكم حجة تعليل لقوله تولوا يعني ان في التولية على الصخرة الى الكعبة
دفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التوراة قبلته الكعبة وان محمدا صلى الله عليه وسلم يجحد
ديننا يتبعنا في قبلتنا واحتجاج المشركين بانه يدعي ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام ويخالف
قبلته الا الذين ظلموا منهم الظالمون المستثنون من الناس هم المعاندون من اليهود القائلين
ما ترك قبلتنا اي الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا للبلد ولو كان على الحق للزم
قبلة الانبيا عليهم الصلاة والسلام واهل مكة من العرب الذين قالوا بدا له فرجع الى قبلة ابائه
ويوشك ان يرجع الى دينهم فلا تخشوهم فلا تبالوا بهم فان قولهم عنادو طعن ليس بحجة
فلا يضركم وان ساقوه مساق الحجة ولذلك استثناه من الحجة بنا على زعمهم وقراة زيد بن
علي الا الذين ظلموا وافق على جهة سننا نفا للجملة مصدرة بالا للتنبيه دلت على كونه ليس بحجة
واخشوني ولا تخالفوا امري ولكون الموصول متضمنا معنى الشرط وكون الخبر جملة انشائية
لانقطع جزاء الا على تاويل الخبرية ولاتم نعمتي عليكم معطوف على محذوف اي واخشوني لاعصمكم
منهم في الدنيا ولاتم نعمتي عليكم في الاخرة بان ادخلكم الجنة ولعلكم تهتدون الى الله وفي
الحديث اتمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه اتمام النعمة الموت على الاسلام او على لئلا يكون
او متعلقه محذوف اي ولاتم نعمتي عليكم واردتي اهتدائكم بذلك كما ارسلنا فيكم رسولا منكم
متعلق بما قبله مصدرا اي ولاتم نعمتي عليكم في الاخرة بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال
الرسول فاذكروني بالطاعة وانما جمع بين فيكم ومنكم لان كلا منهما وافع نافع ولا يغني احدهما
عن الاخر يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون ازكيا قدمه هنا باعتبار القصد
واخره في قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة
قد مر تفسيرهما ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى
الوحي وتكرير الفعل للدلالة على انه جنس اخر فاذكروني الذكر حضور الشي للقلب كنى به عما
يتلوه من الطاعة وفيه تنبيه على ان العصيان للنسيان حقيقة وحكما اذكركم كنى به عن
الاحسان وذلك مشهور في كل لسان واشكروا لي يقال شكرته وشكرت له والثاني افصح ولا
تكفرون حذفت اليا من اخره ليستوي الفواصل والشكر اظهار النعمة بالاعتراف بها اولها
هو كالاعتراف عن القيام بحقها والكفران ستر نعمة المنعم بالجحود وبما هو في حكمه من العمل يا ايها
الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلوة قد تقدم الكلام فيهما حث الله تعالى على الصبر لانه
ذريعة الى كل خير وكل فضل وعلى الصلاة التي هي ام العبادات القلبية والقالبية
ان الله مع الصابرين يعني ان النصر مع الصبر لازمه فقد فاز بالنصر ولا تقولوا

لمن يقتل في سبيل الله اي في الجهاد لانه طريق الى رحمته اموات اي هم اموات بل احيا
اي هم احيا ولكن لا تشعرون اي كيف حياتهم وكيف حالهم في حياتهم اي ليس ذلك مما يدرك
بالمشاعر اي بالحواس وعن الحسن ان الشهدا احيا عند الله تعالى تعرض ارزاقهم على ارواحهم
فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح ال فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع
والاية نزلت في شهدا بدر وفيها وما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه لما قتل صناديد قريش يوم
بدر من قتل جمعهم في قليب ثم اقبل يخاطبهم بقوله هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فاني وجدت ما وعدني
ربي حقا فقيل له صلى الله عليه وسلم اتخاطب جيفا قال ما انتم باسمع منهم ولكنهم لا يقدرون على
الجواب دلالة على الارواح مطلقا جواهر قايمة بانفسها دراكة بما يحس من البدن تبقى بعد الموت
دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وبه نطقت الايات والاثار
وعلى هذا فتخصيص الشهدا بالذكر لاختصاصهم بمزيد الزلفى ولنبلونكم لنجازي البلا معيارا كالمحك
يظهر به جوهر النفس هل تصبر وتثبت اي نصيبنكم بمكروه اصابة تشبه فعل المختبر بشي
اي بادنى شي وتنكيره للتقليل لما ابتلانا به ليوذن ان كل بلا اصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقل
هو بالنسبة اليه وليخفف عليهم ويريهم ان رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم حتى في حال البلا
فلو لم عرفوا ذلك لشكروا في موضع الصبر ولهذا شكر العرفا وحمدوا الله تعالى على البلا كما شكر غيرهم
على النعما وقد مر في تفسير الفاتحة ان نعمة الدفع تنتظم الفريقين في الدار الاخرة كما انتظمها نعمة
النفع في هذه الدار وانما وعدهم ذلك ليعلموا ثواب الصبر ويوطنوا عليه نفوسهم من الخوف
والجوع اي خوف الاعدا والقحط ونقص تحقير وتقليل من الاموال بالهلاك والخسران
والانفس بالقتل والموت والثمرات بالجوائح وقلة النبات وانقطاع البركات وبشر من
من الخطاب المتوجه الى كل واحد ممن ياتي منه البشارة عند البلغا لتعظيم الصبر وتفخيمه
لانه كل فضيلة عظيمة الثواب يستحق صاحبه ان يبشر كل احد الصابرين الحابسين لانفسهم
على مكروه الذين اذا اصابتهم مصيبة المصيبة ما يصيب الانسان من مكروه روي انه طفي
سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون قالوا النعم كل شي يوذي
المومن فهو له مصيبة قالوا انا لله اقرارا على انفسنا بالهلاك وليس الصبر بالاسترجاع
باللسان فقط بل لا بد معه من الاذعان بالجنان والمبشر به محذوف دل عليه قوله تعالى اولئك
عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلاة في الاصل الدعا ومن الله تعالى افاضة الكمالات والسعادات
فهي من باب التحلية كما ان الاسلام وهو التطهير والتجريد من باب التزكية والتخلية وجمعها
للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان واولئك هم المهتدون للحق
والصواب حيث استرجعوا واستسلموا لقضاء الله تعالى عظم الله تعالى الصبر لوجوه بالبشارة
العامة وبقوله اولئك تعدد وصفهم اشعارا بان ذلك الوصف يوجب هذه الكرامة المذكورة

وانا اليه راجعون

رة

نعت وتكرير اوليك وبتقديم عليهم اي عليهم خاصة وبتنكير صلوات وجمعه اي امدادات افات متصلة متتالية وتنويرات لا يعرف كنهها ولا يقدر قدرها وبتقييدها بقوله من ربهم ورحمة اية وبتوسطهم وتعريفهم التمهيد ون بلام الماهية ان الصفا والمروة الصفا الحجر الصلب الاملس الذي لا يخالطه طين ولا تراب ولا رمل ماخوذ من الصفوة وهي الخلوص والمروة والمروة وهي الحجر اللين وقيل الحجر الابيض الذي يبرق ثم جعلا علمين للجبلين بمكة من شعائر الله الشعائر جمع شعيرة وهي العلامة اي من اعلام مناسكه ومتعبداته من موقف ومسعى ومنحر لما اراد ازالة الكراهة عن نفس الساعين بين الصفا والمروة على ما سيأتي بيانه مهد لذلك كونهما من شعائر الله تعالى مؤكدا ان لينفي التردد الذي فيهم من اعلام دينه تعالى ومعالم تعبده فتسبب عنه دفع الجناح من الساعين بينهما فلذلك اوردنا السببية في قوله فمن حج البيت او اعتمر الحج القصد والاعتمار الزيارة فغلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما في المعاني كالنجم والبيت في الاعيان فلا جناح عليه الجناح الميل الى الاثم اصله في الجناح ونفيه ابلغ من نفي الاثم ان يطوف بهما الطوف الدور والتطوف تكلفه واصل يطوف يتطوف فادغم وقري ان يطوف من طاف روي ان اساف كان على الصفا ونايلة على المروة وهما صنمان وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوها فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بهما لذلك فنزلت واحتمال الجناح لا يندفع بالوجوب فان اليمين على المعصية يجب نقضه وفيه جناح ولهذا تلزمه الكفارة ومن ههنا اتضح وجه الحاجة الى الاخبار عن عدم الجناح في الطواف المذكور بعد ما بين انه من معالم الدين واعلم انه لا خلاف في انه مشروع في الحج والعمرة وانما الخلاف في وجهه مشروعيته فعن احمد انه سنة وبه قال انس وابن عباس رضي الله عنهم لقوله تعالى فلا جناح فان الظاهر المتبادر منه التخيير المنافي للوجوب وقد مر وجه دفعه ولا يضره في قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما لما ذكر لان موجب تعريفه على ما تقدم ان يكون لا زائدة لعدم تسبب انتفاء الجناح عن عدم الطواف بهما عما تقدم من كونهما من شعائر الله وعند ابي حنيفة واصحابه انه واجب يجبر بالعدم وبه قال سفيان والثوري وعامة اهل العلم رحمهم الله وعند مالك والشافعي ركن لقوله صلى الله عليه وسلم اسعوا فان الله تعالى قد كتب عليكم السعي ويرد عليه ان دلالته على الوجوب دون الركنية ومن تطوع اي فعل طاعة فرضا كان او واجبا او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف خيرا نصب على انه صفة مصدر محذوف او بتعدية الفعل لتضمنه معنى اتى او فعل بحذف الجار وايصال الفعل اليه لا لانه ليس بقياسي فلا يصار اليه بلا ضرورة وقري تطوع واصله يتطوع فادغم مثل يطوف فان الله شاكر مثيب على الطاعة عليم لا يخفى عليه شيء ان الذين يكتمون من احبار اليهود ما انزلنا في التوراة من البينات

على امر محمد عليه الصلاة والسلام والهدى الى اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه شرحنا للناس في الكتاب في التوراة من نعته صلى الله عليه وسلم ووصفه بما لا ابهام فيه ولا اشكال ولا اشتباه على احد فكتموه ولبسوا على الناس ففي قوله من البينات والهدى توبيخ لهم والزام ببيان استحقاقهم اللعن مع ما عندهم من السبب بالابهام والتبيين لانهم اعتقدوا انها ايات بينات وهدى ثم كتموها وكذلك يلعنهم الله تعالى ويلعنهم اللاعنون احياء واذا ماتوا على الكفر والكتمان ولم يتوبوا اخص بهم اللعنة بسبب ذلك ابدا سرمدا اوليك يلعنهم الله اللعن الابعاد على وجه الطرد وصار في التعارف دعاء ويلعنهم اللاعنون الذين يتاتى منهم اللعن ويعتد بلعنهم من الملائكة والمومنين والثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان وساير ما يجب ان يتاب عنه واصلحوا ما افسدوا من احوالهم وبينوا ما كتموه من نعته صلى الله عليه وسلم كابن عبد الله بن سلام واضرابه فاوليك اتوب عليهم بالقبول والمغفرة وانا التواب الرحيم المبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اي الذين تابوا على الكفر من هولاء الكاتمين اوليك الموصوفون بالكفر الثابتون عليه حتى الموت عليهم لعنة الله والملائكة هم المخصوصون باللعنة الابدية احياء وامواتا اورد في الاولى الجملة الفعلية الدالة على الحدوث المسبب من الكتمان لامكان التوبة والفعل المضارع الدال على التجدد المترتب من لوقتنا بعد وقت متتابعا في الازمنة المتتالية وفي الثانية الجملة الاسمية مع تقديم الخبر المفيدة للاختصاص على الدوام واللام في والناس اما للماهية والتاكيد بقوله اجمعين لله والملائكة والناس واما للاستغراق والتاكيد لهم وللكل ثم انه يحتمل العموم لان الكفار يوم القيامة يلعن بعضهم بعضا والخصوص بمن يعتد بلعنه وهم المومنون كان من عداهم ليس بالناس اذ لا اعتداد بهم عند الله وقري والملائكة والناس اجمعون بالرفع عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك عجبت من ضرب زيد وعمرو او فاعلا لفعل مقدر نحو ويلعنهم الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة او في النار وانما اضمرت بلا ذكر تفخيما لشانها وتهويلا لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون من الانظار اي لا يمهلون ولا يؤجلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم اله واحد اي المستحق للعبادة منهم واحد لا شريك له يصح ان يعبد او يسمى الها والخطاب عام لا اله الا هو تقرير للوحدانية ودفع لتوهم ان يكون اله ولكن لا يستحق العبادة منهم الرحمن الرحيم اي المنعم على خلقه بادرار رزقه واسباغ فضله فهو مفزع كل مضطر وغياث كل قانع ومعتر ولا دلالة فيه على ان ما سواه اما نعمة او منعم عليه حتى يكون كالحجة على الوحدانية وهما خبران اخران لقوله الهكم المبتدا او محذوف او صفة لقوله اله والحكم وفصل بالخبر ولانه خبران او اعتراض ان في خلق السموات والارض انما جمع السموات وافرد الارض لانها

طبقات متفاصلة بالذات بخلاف الارض واختلاف الليل والنهار باقبال احدهما وادبار
الاخر وبالنور والظلمة والطول والقصر والتساوي قدم لسبقه في الخلق والفلك السفينة
المدورة يقال للواحد والجمع وقري بضمتين على الاصل التي تجري في البحر وهو ثقيل وكثيف والماء
خفيف لطيف يقبل ويذهب بريح واحدة بما ينفع الناس ما موصولة اي بالذي ينفع الناس
وما انزل الله من السماء ما جرى ما للوصول والسماء يحتمل الفلك والسحاب في جهة العلو فاحيى به
الارض بعد موتها الاحياء والموت مستعاران لطيفتان لتزيين الارض بالنبات واخضرارها
ونموها وكونها صعيدا جرزا وانما قال بعد موتها دون اماتتها تنبيها على انه مقتضى طبعها وبث
فيها البث اظهار ما كان خفيا عن الحاسة قديما او حديثا اوهما او غيرهما من كل دابة الدبيب
اصله حكاية حركة الشيء قيل دب اذا مشى ويقال لكل ما يمشي دابة وانما عطف بثها على احياء
الارض لانه لا يكون الا باحيائها بالنبات بالحبات وتصريف الرياح اي صرفها السحاب من جهة
الى اخرى والسحاب المسخر النوب والسحاب ما جره الريح المسخر يعني للرياح تعليقه
في الجو لمشيئة الله تعالى بمطر حيث يشاء يرشدك الى هذا ذكره عقب تصريف الرياح ولولا ذلك لكان
حقه ان يذكر قبل قوله وما انزل واما ما قيل لا ينزل ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي احدهما
منظور فيه لان بعض المركبات لا يرسب في الماء ولا يخرج منه ولا يتغير حاله فلم لا يجوز ان يكون
بعض كاينات الجو شانه كذلك والتسخير القهر على الفعل وهو ابلغ من الاكراه فانه حمل الغير
على الفعل بلا ارادة منه كحمل الوحي على الطحن بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون
ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون وفيه تعريض بجهل المشركين الذين اقترحوا على
الرسول صلى الله عليه وسلم اية في صدق قوله والحكم لله واحد اه اذ لو عقلوا لكفاهم هذه
التصاريف اية ومن الناس لا يخفى على الخبير ما في هذا التعبير من التحقير من يتخذ من
دون الله من ابتداء الغاية متعلق بيتخذ او حال من اندادا او ثاني مفعولي يتخذ اندادا امثالا
من الروسا الذين يتبعونهم او يطيعونهم في اوامرهم ونواهيهم وقيل من الاصنام ولا يلايمه
قوله اذ تبرا الذين اتبعوا اه و يحبونهم حال من فاعل يتخذ ومن مفعوله كحب الله في
محل النصب على المصدر من الفعل المبني للمفعول اي محبته كما يحب الله او المبني للفاعل اي كحبهم
الله اي يسوون بينهم وبين الله تعالى في الحب لانهم كانوا يقرون بالله تعالى ويتقربون الى
الله والذين امنوا اشد حبا في موضع الحال وانما قيل حبهم اشد لانهم لا يعدلون عنه تعالى
الى غيره بخلاف المشركين فانهم يعدلون عن روسايهم الى الله تعالى عند الشدايد وكذا يعدلون
عنهم والى غيرهم والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه
اصيب بها فرسخ فيها ومحبة القلب لله تعالى ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبته
للعبد ارادة اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي ولو يرى الذين ظلموا ولو

يعلم

يعلم هولاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون العذاب اذا عاينوه عند الموت او بعد
الحشر ولو اذ في المستقبل استعارتان لتحقق الوقوع كانه قد وقع واخبر عنه كقوله ونادى
اصحاب الجنة وحذف جواب لو ايماء الى انه لا يمكن التعبير عنه اما لكونه ازيد من العبارة او
لكونه ممتنع الاكتناه او لا يحتمل المعبر الضجر والجزع والتفجع عليه او السمع وقري ولو
ترى بالتاء على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم او كل مخاطب على ما ذكر من التفخيم ومعنا
لرايت امرا عظيما لا يمكن وصفه وقري اذ يرون على البنا للمفعول ان القوة لله جميعا
ساد مسد مفعولي يرى اي ولو يعلمون حين معاينتهم العذاب يوم القيامة ان القدرة
المطلقة على كل شي من الثواب والعقاب كلها لله تعالى من دون من سواه من الانداد
وغيرهم وان الله شديد العذاب للظالمين لكان ما لا يدخل تحت الوصف من الحسرة
والندامة على ظلمهم وضلالهم لحذف الجواب كما في قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار
وقري ان في الموضعين بالكسر على الاستيناف او على اضمار القول اذ تبرا الذين اتبعوا
من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون العذاب اذ تبرا المتبوعون من الاتباع وقري بالعكس
اي تبرا الاتباع من الروسا والواو في وراوا العذاب للحال وقد مضمرة اي تبراوا
في حال رويتهم العذاب وقيل عطف على تبرا وتقطعت بهم عطف على تبرا الاسباب
الوصل التي كانت بينهم والاتفاق على دين واحد والانساب والمحاب وساير انواع الاتباع
والاستتباع واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر وقال الذين اتبعوا على من تبرا منهم
سبق بالعكس ان يقرا هنا بالبنا للمفعول لو ان لنا كرة الكر الرجوع عن الشي فنتبرا
منهم كما تبراوا منا نصب بعد الجواب لما في لو من معنى التمني اي ليت لنا كرة فنتبرا منهم
واستعيرت لانتزاع التبري والتبري والانفصال ومنه برى من مرضه اذا انفصل منه
بالعافية كذلك نصب على المصدر من يريهم اي مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله
اعمالهم حسرات عليهم يقال حسر يحسر حسرة وحسرا اذا لهف على الشي الفايت وتلهف عليه
وهي غير الندم واشتمنه حالا لان روية الاعمال تكون بالبصر على ما يطق به الخبر عن خير
البشر وبه فسر ابن عباس رضي الله عنه حيث قال اراد به الاعمال التي عملوها من الحسنات
بزعمهم يرونها حسرات عليهم حيث احبطوهم في وما هم بخارجين من النار بجعل الجملة اسمية
يفيد الدوام بحسب العرف كما مر في قوله وما هم بمؤمنين اي وما هم بخارجين من النار
دايما باوامرهم والتخصيص السلب بهم اي بالمشركين بين المكلفين لقوله تعالى ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا اي هم خاصة ليسوا بخارجين من النار لقوله
هم القوم كل القوم يا ام خالد لا لسلب التخصيص فان اداة السلب متاخرة عن اداة التخصيص
معنى وان تقدمت عليها لفظا والثاني في الخبر لتاكيد النفي يا ايها الناس كلوا الاكل

كما تبراوا منا

هو البلع عن مضغ ومن في قوله مما في الارض ان كانت الابتداء الغاية فقوله حلالا
مفعول وان كانت للتبعيض فما مفعول وهو حال او صفة مصدر محذوف وهذا اوجه
الاوجه لان حل الاكل يستلزم حل الماكول بدونها العكس فان الحلال قد يوكل على وجه يحرم
او يكره كاكله فوق الشبع او صايما او في مجلس الفسق طيبا طاهرا عن كل شبهة والى
هذا اشار من قال الحلال لما ليس بمحظور والطيب بمحذور والاية نزلت في قوم حرموا على انفسهم
رفيع الاطعمة والملابس والامر في الماكول امر في الملبوس دلالة ولا تتبعوا خطوات الشيطان
اي لا تقتفوا اثاره اعتقادا وقولا وعملا وقد اجتمع هذه الثلاثة في سببها لنزول ومن نبه
بالنهي عن مطلق الاتباع فقد ضيع ما في عبارة الجمع من الاشارة اللطيفة يقال اتبع خطواته
بضمتين وضمة وسكون الطا وبفتحتين وفتحة وسكونها الخطوة بالفتح المرة من الخطو وهو
نقل قدم الماشي والخطوة بالضم اسم ما بين قدمي الخاطي وهما كالقبضة انه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة عداوة لهم لا تنافي ولايتهم اياه المفهومة من قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت
حتى يحتاج الى التكلف في التوفيق بان يقال سمي وليا لاظهار الموالاة لمن يغويه انما يامركم
استيناف لبيان وجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته اي ما يامركم الا بالشر استعير
الامر لوسوسة الشيطان وتزيينه شبه في تسلطه عليهم بامر مطاع وشبهوا في قبولهم
لها وطاعتهم له بالطبع بامور مطيع لما انقادوا من غير تدبر بالسوء والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه
الشرع اياه وقيل الفحشاء ما يظهر قبحه من المعاصي وما يتجاوز الحد في القبح من العظايم
ويرده قوله تعالى كباير الاثم والفواحش الا اللمم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب
فيه الحد وان تقولوا على الله القول اذا تعدى بعلى يكون بمعنى الافتراء اي وان تفتروا
على الله تعالى فلا تعرض في الاية لاتباع الظن ما لا تعلمون كاتخاذ الولد وتحليل
المحرمات وتحريم الطيبات والافتراء عن جهل محض اقبح من الافتراء عن ظن فاسد واذا قيل
لهم الضمير للناس على طريقة الالتفات والسر فيه انهم وقعوا في حد البعد والغيبة
في طاعة الشيطان وانهم في غاية الحمق والضلال الى حد لا يستاهلون للخطاب اذ لا اضل
اضل من المقلد للباطل كانه يقول للعقلاء انظروا الى هولاء الحمقاء ماذا يجيبون للداعي
اتبعوا ما انزل الله في عبارة ما انزل اشارة الى وجه وجوب الاتباع قالوا بل نتبع ما الفينا
ما وجدنا عليه اباءنا لانهم كانوا خيرا منا نزلت في المشركين امروا باتباع القرآن وساير
ما انزل الله تعالى من الحجج والايات فجنحوا الى التقليد والهمزة اولو كان اباؤهم للرد والتعجب
والواو للحال ايتبعونهم ولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا جهلة لا يتفكرون في امر الدين
ولا يهتدون الى الحق ولو في مثل هذا التركيب يجي تنبيها على ان ما بعدها غير مناسب لما قبلها
كما في قوله اعطوا السايل ولو جاء على فرس والمعنى على كل حال وذلك انها تجي لاستقصاء

والاحوال التي يقع عليها الفعل ويدل على ان المراد بذلك وجود الفعل في كل حال حتى في هذه
الحال التي لا تناسب الفعل اذا قصد التوبيخ والتعجيب في هذه الاية لا يكون ايرادها لاستقصاء
الاحوال ولما كانت الواو للحال لم يحتج لو الى جواب لان الشرط انما يقع حالا اذا انسلخ عنه
معنى الشرط ولا دلالة في الاية على المنع من التقليد لمن قدر على النظر بل ظاهرها
انه انما ينكر اذا كان المقلد ضالا ومثل الذين كفروا تقدم معنى المثل وفيه اضمار
تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي او مثلهم كمثل بهايم الذي لا اضمار في
الكلام من الايجازات المعتبرة في البلاغة لتنبيه الذكي عند الخلل المعنوي في الحمل على الظاهر
على المضمر ثم على خصوصيته بالقراين اللفظية والمعنوية فيبعث في التدبر ويعمل في
التفكر فيتحقق المعنى هذا بحسب جليل النظر والذي بحسب دقيق النظر ما مر في تفسير
او كصيب من السما من ان التشبيه التمثيل لا يلزمه ان يكون ما يلي اداة التشبيه هو
المشبه به فلا حاجة الى تقدير شي ينعق بما لا يسمع قال صاحب العين نعق الراعي بالغنم
اذا صاح بها زجرا الا دعاء ونداء الدعا للقريب والندا للبعيد ولذلك قال الاعرابي
اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه صم هم صم رفع على الذم بكم عمي اي ومثل
داعيهم الى الايمان كمثل الناعق بالبهايم في انهم لا يسمعون الا دعاء الداعي وتصويته من غير
فهم المعنى وتعقله او بالاصم الذي لا يسمع من دعاء الرافع صوته بكلامه الا التصويت
والندا من غير تمييز الحروف وادراكها وقيل مثلهم في تقليدهم اباهم واتباعهم مثل البهايم التي لا تسمع
الا ظاهر الصوت ولا تفهم معناه فكذلك يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون ما هم عليه
احق هو ام باطل فهم لا يعقلون اي بالفعل للاخلال بالنظر يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم لما وسع الامر على الناس كافة واباح لهم ما في الارض سوى ما حرم عليهم امر المومنين
منهم اي يتحروا طيبات ما رزقوا وقد مر ان الطيب اخص من الحلال وان يقوموا بحقوقها
فقال واشكروا لله على ما رزقكم واحل لكم ولما تضمن الامر الاول الامتنان ناسبه الخطاب
وما في الامر الثاني من التنبيه على ان استحقاقه تعالى للشكر ليس لكونه رازقا لهم ومحسنا
لطيبات الرزق فقط بل لكونه خالقا للعالم ويندرج فيه جميع ما يستوجب الشكر اقتضى
العدول عن الخطاب الى الغيبة وعدل التفريع بالفاء الى العطف بالواو ان كنتم اياه تعبدون
فان عبادته لا تتم الا بالشكر وتقديم المفعول لمحافظة الفاصلة كما في قوله تعالى ان كنتم
للرويا تعبرون اذ لا دخل لمعنى التخصيص في التعليل ولك ان تقول ان كنتم تعرفون
انه مولى النعم كلها الا انه كني عنه بلازمه وهو تخصيص العباد اياه تعالى انما حرم عليكم
الميتة قرى حرم وحرم بالتخفيف والميتة بالتخفيف والتشديد وكلمة انما قدم لا يكون
للقصر كما في قوله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش الاية فلا حاجة ان يقال انما بين من حي في

حكم الميتة بالحديث وان المراد فقصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا وانما لم يستثني السمك
والجراد من الميتة والكبد والطحال من قوله والدم فان قلت على قوله صلى الله عليه وسلم
احلت لنا ميتتان ودمان اما الميتتان فالسمك والجراد واما الدمان فالكبد والطحال بناء على
ما يتعارفه الناس ويتفاهمونه في العادة ولما كان المتبادر من الحرمة المضافة الى العين حرمة
التصرف فيه مطلقا زاد عبارة اللحم في قوله ولحم الخنزير قرينة صارفة عنه دلالة على ان
المحرم كالعين المذكورة لا الانتفاع به مطلقا حتى يلزمه الانتساخ المنصوص بالحديث في جلد الميتة
وانما خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يوكل من الحيوان وسائر اجزائه كالتابع له وهذا الوجه
ايضا لا يساعد تقديرا لانتفاع العام للاكل وغيره وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت
عند ذبحه لغير الله تعالى صنما كان او نارا او غير ذلك وما ذكر معناه الاصلي على ما نص عليه
الجوهري والاهلال غرة القمر انما سمي به لرفع الناس اصواتهم عند رؤيته بالتكبير فمن اضطر
غير باغ على مضطر اخر بالاستيثار عليه ولا عاد سد الجوعة فلا اثم عليه في تناوله لمفهوم
على ثبوت الاثم في تناوله غير مضطر ولهذا الاعتبار تفريعه على ما تقدم ففيه دلالة على اعتبار
المفهوم كما هو مذهب الشافعي فانه لولا اعتباره لما صح تصديق الكلام المذكور باداة التفريع
ان الله غفور اي يغفر المعاصي فاولى ان لا يواخذ بما رخص فيه او غفور لما عسى ان يفرط
عند العمل بالرخصة رحيم بالرخصة فيه فهو مقرر للاولى ان الذين يكتمون ما انزل الله
من الكتاب ويشترون به ثمنا وقد مر تفسيره وبيان ما في عبارة الثمن من النكتة على عبارة
الشيء والعوض وغير ذلك قليلا ليس المراد به انهم اذا اشتروا به ثمنا كثيرا كان جائزا بل
المعنى ان كلما ياخذونه في مقابلته من حطام الدنيا فهو قليل اولئك ما ياكلون في بطونهم
اي ملء بطونهم يقال اكل في بطنه واكل في بعض بطنه قال الشاعر كلوا في بعض بطنكم
تعفوا فمرادهم من الاكل في بعض البطن الاكل في جميع البطن وان التعدية بفي لتضمن
معنى الاستقرار المناسب للمقام فان الاكل قد يعقبه الدفع خصوصا اذا كان الماكول غير ملايم
للطبع وذكر الاكل لكونه المقصود الاول من تحصيل المال وذكر في بطونهم تنبيها على شرههم
وتقبيحا لتضييع اعظم النعم لاجل المطعم الذي هو اخس مطلب من الدنيا الا النار مجازا
عن باب اطلاق اسم المسبب على السبب والغاية على الشيء لتلبسه بها فانهم اذا اكلوا السحت وهو
الرشي على الكتمان لزمهم عقوبته التي هي النار فكانهم اكلوا النار ومنه قولهم اكل فلان الدم
اذا اكل الدية التي هي بدل منه ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم عبارة عن غضبه تعالى
عليهم لان من غضب على صاحبه هجره وقطع كلامه وقيل تعريض بحرمانهم حال اهل الجنة في تكرمة
الله تعالى اياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء ولهم عذاب اليم مولم وتقديم الجار والمجرور
للمحافظة الفاصلة اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة في الاخرة

والحاجة

والحاجة في المغفرة اشد من الثواب فالخسران في فقدانها اقوى ولهذا اثرها عليه مع ان المناسب
لانه يذكر مع العذاب لفظا ومعنى فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في ارتكاب موجبات النار
والتباسهم بها من غير مبالاة منهم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد
والسجن تريد انه لا يتعرض بذلك الا من هو شديد الصبر على العذاب وما تامة مرفوعة بالابتدا
تخصيصها لتخصيص قولهم شر اهر ذا ناب او استفهامية وما بعدها الخبر او موصوله والخبر
محذوف ذلك اي العذاب بان الله لسبب ان الله نزل الكتاب بالحق اي نزل ما نزل
من الكتب ملتبسا بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب الظاهر ان المراد هو القران واللام
اشارة الى ان الجنس المسمى كتابا اي الكامل في كونه كتابا كان ما عداه من الكتب لا يستاهل
معه ان يسمى كتابا والاظهار في موضع الاضمار للتعظيم وتربيته فايدة اللام وبيان الاختلاف
فيه عظيمه من العظايم ولهذا فسر في الاول بالحق واختلافهم فيه قول بعضهم سحر وقول
بعضهم شعر وقال بعضهم اساطير الاولين لفي شقاق بعيد عن الحق والشقاق انجاز كل
من المخالفين عن شق صاحبه للخلاف وطلب كل منهما ما يشق على الاخر ليس البر اسم
جامع للطاعات واعمال الخير ان تولوا وجوهكم الخطاب لاهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض
في امر القبلة حين حولت قبل المشرق اي مقابله لفعل النصارى والمغرب اي قبل
المغرب كفعل اليهود وذلك منسوخ متواتر امر وقرى ليس البر بالنصب على انه خبر
مقدم وقرى بان تولوا بالباء لتاكيد النفي ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر
اي بالمبدا والمعاد والملائكة والكتاب والنبيين اي بالشرايع المحددة في اصول
الدين المنزلة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام بواسطة الملك وللتنبيه على جهة الانزال
قال والكتاب دون الكتب وانما قال والملائكة دون والملك لان سفير الوحي وان كان
واحدا لانه انزل بعض الكتب على بعض سور القران بجم غفير من الملائكة تعظيما لشان
المنزل والمعنى والله اعلم ولكن البر هذه العقايد الصحيحة والاعمال الصالحة والوصف
كما يذكر في الموصوف بلا وصف ولا يجوز بحسب اللفظ كما في قولك رجل عدل لان التجوز
فيه في الاسناد دون المسند كذلك يذكر الموصوف في مقام الوصف بلا حذف ولا تجوز
بحسب اللفظ كالذي فيه نحن تنزيل للموصوف منزلته ولا يخفى ما فيه من المبالغة في شان ذلك الوصف
وتعظيمه على عكس ما في المثال المذكور فان المبالغة فيه في شان الموصوف ولدقة الفرق بين الاعتبارين
ذهب على كثير من الحذاق وفي التصير الى التقدير في مثل هذا المقام تنزيلا للكلام عن منزلته
الرفيعة وتغيير لصورته العددية على انه اذا قيل ولكن البر من امن بالله يفهم فيه عدم
الاعتبار لبر من قصر في بعض تلك الاعمال واذا قيل ولكن البر من امن بالله يفهم منه عدم الاعتبار
لبر من قصر فلا يخرج الكلام عن سنن الانتظام وايضا لو قصد هذا لكان المناسب ان يقال ولكن

البر بعض الباء وآتى المال على حبه أي على حب المال والشح به كما قال علي رضي الله عنه لما سئل
أي الصدقة أفضل أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر وقال الله تعالى
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون والجار والمجرور في موضع الحال ذوي القربى
واليتامى الآية أعم الصدقة فلا يشترط فيهما الفقر وقد نفاه بالزكاة فالبعض إلى
المندوبات من الصدقة وقدم ذوي القربى لأنهم أحق بالإحسان قال صلى الله عليه وسلم
صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان صلة وصدقة والمساكين جمع مسكين
وهو الدائم السكون إلى الناس لشدة فقره أو الدائم السكون وابن السبيل المسافر المنقطع به
وجعل ابنا للسبيل لملازمته له والسائلين المستطعمين وفي الرقاب أي في معاونة المكاتبين
حتى يفكوا رقابهم وقيل في فك أسارى الرقاب وإعتاقها وقيل في فك الأسارى وفي العطف بعنوان
الجمع إشارة إلى فضل التعريف إلى هذه الأنواع وأقام الصلوة مفروضة كانت أو واجبة
وآتى الزكاة المقدرة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا عطف على من آمن والصابرين
نصب على المدح لبيان فضيلة الصبر في الشدائد ومواطن القتال وإظهار فضل الصبر على سائر
الأخلاق والأعمال في البأساء في الفقر والشدائد والضراء المرض والزمانة وحين البأس
وقت مجاهدة العدو أولئك الذين صدقوا كانوا صادقين في الدين جادين وأولئك هم
المتقون أي هم الموفون حق الصدق قولا وفعلا وعقدا وحق التقوى خطرو كرا
زيدا والصدق فيما يفعل والتقوى فيما يترك فالآية جامعة للكمالات الإنسانية بأسرها
وإليه أشار النبي صلى الله عليه وسلم في قوله من عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان يا أيها
الذين آمنوا كتب عليكم القصاص تخصيص الخطاب بالمؤمنين لا لاختصاص الحكم المذكور
بهم بل للتنبيه بخطابهم بوصف الإيمان عند إيجاب القصاص عليهم بقتل العمد الذي هو من الكبائر
التي وردت فيها أشد وعيد وتهديد على أن الكبيرة لا تزيل الإيمان والأصل في الإيمان الحفظ
وكنى بها عن الإكرام وهذا الوجوب على الناس كافة فمنهم من يلزمه استيفاؤه وهو
السلطان إذا طلبه الولي ومنهم من يلزمه تسليم النفس وهو القاتل ومنهم من يلزمه المعاونة
أو الرضا به ومنهم من يلزمه أن لا يتعدى بل يقتص أو يأخذ الدية أو يعفو والقص قطع
الشيء على سبيل الأخذ ومنه قص شعره وقص أثره وقص الحديث اقتطع كلاما حادثا
حذو غيره والقصة اسم منه وحقيقة القصاص أن يفعل بالقاتل ما فعل بالمقتول ولا يتعدى
من الحر المقتول ولا يتعدى من الحر إلى العبد لخساسة ولي المقتول ولا من واحد إلى اثنين لشرفه
والعبد بالعبد ولا يتعدى من العبد إلى الحر لشرف مولى المقتول ونبيلته والأنثى بالأنثى
ولا يتعدى من الأنثى إلى الذكر لشرف العتق كان بنو النضير يقولون لبني قريظة إذا قتلتم
منا عبدا قتلنا منكم رجلا وإذا قتلتم منا عبدا قتلنا منكم حرا وإن قتلتم منا امرأة قتلنا منكم رجلا

وإذا قتلتم منا حرا قتلنا منكم حرين وكانوا على ذلك قبل ظهور النبي صلى الله عليه وسلم فلما جاء الإسلام
تحاكموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وأمرهم أن يتباووا ولا دلالة فيها على أن لا يقتل
الحر بالعبد والذكر بالأنثى كما لا دلالة على عكسه فإن المفهوم إنما يعتبر حيث لا يظهر للتخصيص
سوى اختصاص الحكم وقد ظهر هنا وجهه فلا مستمسك للقائلين بحجية المفهوم في هذه الآية
لإثبات ما قالوا من عدم قتل الحر بالعبد فمن عفي تفريع على ما في عبارة القصاص من الإشارة
إلى المكتوب حق العبد سقط بإسقاطه له مفعول لكونه بواسطة حرف الجر كان مساويا للمصدر
وغيره في جواز الإسناد إليه من أخيه أي من جهة أخيه يجوز أن يتعلق بالفعل وأن يكون
حالا من شيء يعني ولي الدم وإنما ذكره بهذه العبارة تذكيرا لما بينهما من الأخوة الدينية والجنسية
ليرق له ويعطف عليه فيتساهل شيء أي شيء من العفو بأن كان للقتيل أولياء فعفا
بعضهم فصار نصيب الباقي مالا وهو حصتهم من الدية فهو في موقع المفعول المطلق
المقيد الموصوف مثل ضرب ضربا شديدا لما في تنكير شيء من الدلالة على ذلك وفائدته
الإشعار بأن بعض العفو كالعفو التام لكن يعدى إلى الجاني وإلى الذنب وإذا تعدى إلى
الذنب بعن عدي إلى الجاني وإلى الذنب وإذا تعدى إلى الذنب بعن باللام وكان أصله في
الآية فمن عفي له عن جنايته من أخيه فاستغني بذكر القصاص في القتلى عن ذكر الجناية وأما
عفي بمعنى ترك المتعدي بنفسه إلى المفعول به فلم يثبت وإنما ثبت أعفى ولما انقلبت حقا في
الورثة في الصورة المذكورة من القصاص إلى الدية فاتباع بالمعروف وأداء
إليه بإحسان أي فعلى الولي اتباع المعروف بأن لا يتجاوز عن حد المعهود في الدية فأخذ
الزيادة عن حصته منهما ومن هنا ظهر وجه التعريف في المعروف وعلى الجاني أداء الدية
بإحسان بأن لا يماطله ويبخسه على أن كلا منهما مبتدأ أو فاعل للظرف أو فليكن اتباع من الولي
وأداء من الجاني على الفاعلية فيهما أو فالأمر للولي اتباع والأمر للجاني أداء على الخبرية فيهما وفي هذه
التوصية لهما ترتيبه لفائدة الأخوة ذلك إشارة إلى المذكور صريحا وهو العفو المستلزم
للدية وضمنا وهو العفو العاري عنها وذلك أن عفوا كله أيضا مشروع تخفيف تسهيل
بدفع القصاص عن الجاني من ربكم ورحمة بنفع الولي حيث لم يضع حقه والفصل بينهما
بقوله من ربكم للإيذان بتعلقه بهما كما في قوله لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا
قال ابن عباس والحسن البصري رضي الله عنهم كانت في شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام
العفو لا غير وفي شريعتنا القصاص ثابت والعفو حسن والصلح جائز على ما يراه العبد نافع
له وأشفى لقلبه وأوفق لمراده ومن قالت خيرت هذه الأمة بين الثلاث القصاص والدية
والعفو لم يصب إذ ليس الثاني منها باختيار الولي لأنه بدل الصلح لا يكون إلا برضا الجاني بقي
ههنا شيء وهو أن قولهما كان في شريعة موسى عليه الصلاة والسلام القتل لا غير محل بحث

فان مما ياتي في تفسير قوله تعالى في سورة الاعراف ياخذوا باحسنها ان الحسن هو الاقتصاص
والاحسن العفو صريح في ان ذلك في التوراة اذ ضمير احسنها للالواح فمن اعتدى بعد ذلك
الحكم والتخفيف فتجاوزه بقتل غير القاتل والقتل بعد العفو واخذ الدية فله عذاب
نوع من العذاب اليم شديد الالم ولكم في القصاص حياة كلام كامل في الفصاحة
وعالي الطبقة في البلاغة وذلك لم يوجد اقل مسموعا واجلى مفهوما منه مع اشتماله
على الغرابة التي هي من نكت البلاغة وذلك ان القصاص قتل وتفويت للحياة فجعل
محل الحياة وعرف القصاص ونكر حياة وقدم الخبر وخصص الخطاب بالاولي الالباب بقوله
يا اولي الالباب اشعارا بان لا يفهم معناه الا ذوي الالباب اي لكم خاصة ايها العقلاء في هذا
الجنس في الحكم نوع من الحياة او حياة عظيمة لا يقدر قدرها اذ لو لم يشرع وكان ما كان
من الجاهلية من قتل غير القاتل وقتل الجماعة بواحد لوقع الهرج والمرج بين الناس
وهاجت الفتن والحرب وارتفع الامن من الناس فانطفت تلك النايرة لشروع
القصاص وارتدع الامن من الناس فانطفت تلك النايرة لشروع القصاص وارتدع
كل منهم بالقتل لعلمه بذلك فسلم المقتول من القتل والقاتل من القود ولم يجترئ احد
من اولي الالباب على القتل فامن الناس وتلك حياة تحقق كثير من امن وسلامة وسعة
وفضلا عن النفسين فلذلك قال لعلكم تتقون القتل بغير الحق اي اريتكم ما فيه
من الحياة لكي تتقوا ويجوز ان يختص الخطاب بالاية وهم اولو الالباب اي لعلكم تتقون
في المحافظة على القصاص والحكم به كتب عليكم امر الوصية لا بد في اقامته من جماعة
فلهذا اثر صيغة الجمع هنا اذا حضر احدكم الموت اي قرب منه بظهور اماراته
ان ترك خيرا اي مالا طيبا وكان هذا القيد لا بد منه لان المال الخبيث لا تجوز الوصية
به لما فيها من الاثم والتنوين للتكثير لما روي عن عايشة رضي الله عنها ان رجلا اراد ان
يوصي فسالته كم مالك فقال ثلاثة الاف درهم فقالت كم عيالك قال اربعة قالت انما
قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا شيء يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين
الوصية فاعل كتب وتانيثها ليست حقيقية فيجوز تذكيرها ولا حاجة لما قيل تذكير الفعل
للفاصل او لانها بمعنى ان يوصي ولهذا ذكر ضميرها في قوله فمن بدله والعامل في اذا
مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها بالمعروف بالعدل المعهود وهو ان لا يوصي
للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث حقا مصدر موكد اي حق ذلك حقا على
المتقين كان ذلك الحكم في بدء الاسلام بعد نزول اية المواريث بقوله صلى الله عليه
وسلم ان الله اعطى كل ذي حق حقه لا وصية لوارث فانه وان كان من الاحاد الا ان
الامة تلقته بالقبول حتى لحق المتواتر لعلمنا بانهم لا يتلقون بالقبول الا الثبت الذي صحت

روايته

روايته فمن بدله اي قول الموصي بتغييره قوله بعدما سمعه اي غيره من وجهه من
الاوصياء والشهود والحكام ولا حاجة الى ان يقال ان كان موافقا للشرع لان الذي لا يوافقه
مردود لا مبدل فانما اثمه اي اثم التبديل والايصاء الى المبدل على الذين يبدلونه لا على
الموصي والموصى له وانما اتى هنا بصيغة الجمع لان التبديل انما تقرر بالاتفاق فالموصي
مثلا انما يقدر على التبديل بمساعدة الشهود ولو بالسكوت وكذا الحال في غيره ان الله سميع
لقول الموصي عليم بفعل الوصي وغيره من الذين يبدلون الوصية ظاهره الاخبار وباطنه
الوعيد للمبدل ومن يساعده فيه فمن خاف يراد بالخوف في مثل هذا ما يلزمه من التوقع
والظن الغالب اذ لا خفاء في انه لا معنى للخوف من الميل والاثم بعد الوقوع من موص جنفا
ميلا عن الحق او اثما تعمدا للحيف قال الربيع الجنف في الخطا والاثم في العمد فاصلح بينهم اي
اي بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون او بين الموصى لهم والورثة بردهم الى [illegible]
اضمار لانفهامهم من سياق الكلام بمعونة المقام قال الراغب ولا فرق بين ان يخاف منه ذلك
قبل موت الموصي فيمنعه او بعد موته فيصلحه وليس الاصلاح المقصور على ايقاع الصلح دون
استعمال الصلاح بل بينا ولهما فلا اثم عليه اي على المبدل حينئذ لانه تبديل باطل بحق واما قال
هذا لانه لما خوف في الاولى من تغيير الوصية بين ان النهي في تغيير مما لا حيف ولا اثم فيه
فاما اذا كان فيه شيء من ذلك فلا شيء في تغييره ولما كان ما تضمنه الكلام السابق من الوعيد
باعتبار احاطته تعالى بالظواهر والسراير علما ناسب ان يترتب عليه ما في هذا الكلام من الوعد لمن
قصد بتغييره الصلاح فصدره باداة الترتيب وبين قوله ان الله غفور رحيم ان يتجاوز
عما عسى ان يسقط من المصلح مما لا يجوز رحيم بالرخصة فيما ذكر يا ايها الذين امنوا كتب عليكم
تخصيص الخطاب بالمومنين لا لاختصاص المذكور بهم بل لاشتراط صحة المكتوب بالايمان فلا
متمسك فيه لمن قال ان الكفار مخاطبين بالعبادات الصيام الصوم قال الخليل الصوم قيام
بلا عمل والصوم الامساك عن الطعام وفي الشرع الامساك بالنية في النهار الشرعي
عن المفطرات كما كتب نصب على المصدر اي كتبا كما كتب على الذين من قبلكم من الانبياء
عليهم الصلاة والسلام والامم من لدن ادم عليه الصلاة والسلام يعني ان عبادة قديمة
ما اخلى الله تعالى امة من افتراضها عليهم ففيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على
النفس والتشبيه في اصل الوجوب فقط وقيل في الاصل والقدر والوقت جميعا لعلكم
تتقون الله بالمحافظة عليها لقدمها واصالتها فانها ما فرضت عليكم وحدكم او تتقون
المعاصي لان الصايم اردع لنفسه فان الصوم يكسر الشهوة التي هي مبداها على ما اشار
اليه النبي صلى الله عليه وسلم فان الصوم له او لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين فان
الصوم شعارهم اياما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلايل كقوله تعالى

دراهم معدودة واصله ان المال القليل يقدر بالعدد والكثير يحثى حثيا نصبها على الظرفية
للصيام وقد جوز عمل المصدر في الظرف مع تخلل الفاصل وان لم يجز في غيره والمراد بها ما وجب
صومه قبل فرضية رمضان ونسخ به وهو عاشورا او ثلاثة ايام في كل شهر ويجوز ان يراد بها
رمضان والاول اولى اذ لا يناسب على الثاني ان يقال شهرا معلوما كما قيل الحج اشهر معلومات وقيل
معناه صومكم كصومهم في عدد الايام كما روي ان رمضان كتب على النصارى فوقع في حر او برد
شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان اصابهم
فمن كان منكم مريضا ذهب بعضهم الى ان كل مرض مبيح للافطار اخذا باطلاق النص وبعضهم الى ان
المراد المرض الذي يضره الصوم او يعسر معه لقوله يريد الله بكم اليسر او على سفر لم يقل
مسافرا ليتناول لمن دخل بلدة ومكث فيها اياما لا بنية الاقامة فان ما ذكر يطلق عليه دون ما ترك
فعدة من ايام اخر اي فعليه صوم عدة ايام المرض والسفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط
والمضاف والمضاف اليه للعلم بها كذا قالوا وفيه وجه التعليل المذكور ظاهر في حذف المضافين
لانه بحكم قانون العربية واما في حذف الشرط فلا لانه بحكم الشرع ولم يعلم بعد انه حتم ام
معلق على شرط ولذلك قال بعضهم مكتوب عليهما ان يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر ولعله حذف
مساغا للاجتهاد فيه وقرئ فعدة بالنصب اي فليصم عدة وعلى الذين يطيقونه اي المطيقون
للصيام لا عذر لهم ان افطروا وقرئ يطيقونه على البنا للمفعول تفعيل من الطوق بمعنى
الطاقة اي يكلفونه او القلادة اي يقلدونه ويقال لهم صوموا وقرئ يطوقونه اي يتقلدونه
ويطيقونه بادغام التاء في الطاء ويطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه
من فيعل وتفيعل من الطوق فقلبت الواو ياء وادغمت فيها اليا كقولهم تديرا المكان وما بها
ديار واما بمعنى يطيقونه او يقلدونه واما بمعنى يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم
وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكمهم الافطار والفدية وعلى هذا الوجه ثابت غير منسوخ ويجوز
ان يكون معنى يطيقونه ايضا هذا اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغهم وسعهم فدية
طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقها العراق ومد عند فقها الحجاز قيل
رخص لهم ذلك في اول الامر لما امروا بالصيام فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقد
بينت فيما تقدم على انه لا حاجة الى المصير الى النسخ وقرئ فدية منونا وطعام مرفوعا
لا من فدية ومساكين مفردا وجمعا وقرئ بالاضافة والجمع وتبين بقراة الافراد ان الحكم
لكل يوم يفطر فيه طعام مسكين فمن تطوع خيرا بان زاد في الطعام للمسكين او في عدد
من يلزمه اطعامه وانتصاب خيرا على انه صفة لمصدر محذوف اي تطوعا خيرا لا على اسقاط
الحرف اي بخير لانه غير قياس حينئذ فهو اي فالتطوع خير له اي الخير له من الاقتصار
على المقدار المفروض وان تصوموا ايها المطيقون والمطوقون خير لكم من الفدية

على

على اي وجه كان ومن في قراة من جعل يطوع ماضيا يحتمل الموصولة والشرطية وفي قراة
من جعل يطوع شرطية ان كنتم تعلمون جوابه محذوف دل عليه ما قبله اي ان كنتم
من اهل العلم والتمييز علمتم ان الصوم خير لكم من ذلك شهر رمضان مبتدا خبره الذي
انزل فيه القران فمن شهد والفا لوصف المبتدا بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان
الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم فيه او بدل من الصيام في قوله كتب عليكم
الصيام والذي انزل صفة او خبر مبتدا محذوف اي هو او هي الايام المعدودات
وقرئ بالنصب بدلا منها او على هو صوموا شهر رمضان ولا يجوز ان يكون مفعولا ان
تصوموا اذ حينئذ يلزم الفصل بين المعمول وعامله بالخبر ورمضان مصدر رمض
اذا احترق من الرمضا فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف
والنون وسموه بذلك لارتماضهم فيه من الجوع والظما او لوقوعه ايام رمض الحر حينما
نقلوا اسما الشهور عن اللغة القديمة وقد يحذف المضاف من لا لباس على ما جا في الحديث
من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه الذي انزل فيه القران
ابتدا فيه انزاله وكان ذلك في ليلة القدر وقيل انزل جملة الى سما الدنيا ثم نزل الى الارض
نجوما وقيل في شانه القران وهو قوله تعالى كتب عليكم الصيام هدى للناس الى الحق
وبينات وايات واضحات عطف عليه من الهدى من جملة ما يهدي الله به الناس والفرقان
وما يفرق به بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية المفارقة بينهما فمن شهد منكم
الشهر اي من شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت
الجمعة اي صلاتها وعلى هذا ينتظم الامر المريض والمسافر ولا بد منه لان اصل الوجوب
ثابت في حقهما والساقط بالرخصة المستفادة من قوله ومن كان مريضا او على
سفر انما هو وجوب الادا فلا وجه لان يكون شهد بمعنى حضر لاستلزامه اختصاص
الامر بالمقيم ولا صحة له اذ حينئذ يلزم ان يكون الحكم المذكور في حق المسافر عزيمة او
على تقدير حمل عليه الوجوب الساقط من الاركان وجوب الادا لا وجه لتخصيص المقيم
بالذكر دون الصحيح ثم ان اختصاص وجوب الادا بما عدا المريض والمسافر قد علم من قوله
فعدة من ايام اخر فالوجه ان يحمل ما قبله على اصل الوجوب لان الافادة خير من الاعادة
فعدة من ايام اخر اطلاقه يقتضي التخيير بين الجمع والتفريق ولا يجوز تقييده بالتتابع
نسخ ولا يجوز نسخ الكتاب باخبار الاحاد يريد الله بكم اليسر برخصة الافطار بعذر
المرض والسفر ولا يريد بكم العسر بايجاب القضا متواليا وبلا تاخير عن زوال
العذر وفي عبارة يريد الله اشارة على ان لا واجب عنده تعالى [illegible] هذين العذرين
لما في مقابلة عدم قبول الاحسان والامتنان به وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم على هذا

بقوله ليس من البر الصيام في السفر وما في الا في رمضان من الفضيلة لا بمجرد من هذا
الاستحباب والله اعلم بالصواب ولتكملوا العدة يجوز ان يعطف على علة محذوفة اي
لتعلموا ما شرع لكم ولتكملوا العدة او على اليسر اي يريد الله بكم اليسر ويريد لتكملوا العدة
لقوله تعالى يريد الله ليذهب عنكم الرجس ولتكبروا الله قيل هو تكبير يوم الفطر وقيل
التكبير عند الاهلال ضمن فعل التكبير معنى الحمد فعدي بعلى فكان المعنى حامدين على ما
هداكم على هدايتكم ولعلكم تشكرون اي ارادة ان تشكروا ومجاز الاشتراك المرجو والمراد
في الترجي والا فصح ان يجعل ولتكملوا العدة الى اخره علة لفعل معلل محذوف
مدلول عليه بما ذكر من قوله فمن شهد منكم الشهر اي ولهذه الامور شرع ذلك فقوله ولتكملوا
العدة علة للامر في قوله فعدة ولتكبروا الله على ما هداكم علة للامر بصوم الشاهد في الشهر
وانظار المسافر والمريض وما علم من كيفية القضا والخروج عن عهدة الفطر اي ولتعظموا
الله وتثنوا عليه ولعلكم تشكرون علة الترخص والتيسير وهذا نوع من اللف لطيف المسلك
لا يطلع عليه الا الاحذ من علماء البيان واذا سألك مرتبط بما تقدم من جهة انه لما حث
على تكبيره وشكره وبين ان الذين يذكرونه ويشكرونه قريب منهم ولهذا فصله بين حكمي رمضان
عبادي شرفه بالاضافة الى نفسه عني اي عن صفتي ومعاملتي معهم اذا دعوني فاني قريب
لم يقل فقل اني قريب كما في سائر سؤالاتهم لانه تعالى تولى جوابهم حين كان عنه سؤالهم فقد تبين
الكلام فالقول اني قريب روي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا
فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت تمثيل الحالة في اجابة الداعي بحال من قرب مكانه
من مكانه فلبيته اذا دعاه لانه تعالى عن المكان فانه كان ولا مكان وهو الان على ما كان
اجيب دعوة الداعي اذا دعان تقرير للقرب ووعد للداعي بالاخلاص فقررنا بشرائطها
بالاجابة من الوجوب وهو القطع فاجابة السائل القطع بما سأل لان سؤاله على الوقف
ايكون ام لا يكون فليستجيبوا لي اي انا اجيبهم فيما دعوني فعليهم ان يجيبوني فيما دعوتهم اليه
بالايمان فيما امروا به فالانتها عما نهوا عنه قال ابو عبيدة الاستجابة والاجابة واحد
كالانابة والاستنابة وانشد لكعب بن سعد الغنوي

وداع دعا يا من يجيب الى الندا فلم يستجبه عند ذاك مجيب

اي لم يجبه هذا بحسب جليل النظر الاستجابة طلب الاجابة وان كان قد يستعمل في معنى
الاجابة فتبين ان العباد متى تحروا اجابته بقدر وسعهم فانه يرضى به منهم هذا فيما
تتولاه الجوارح من الاعمال واما الذي يتعلق بالاذعان القلبي من الايمان فلا بد فيه
من حقيقة الاجابة ولهذا افرده بالذكر وليؤمنوا بي مع انطوائه تحت ما تقدم بحسب
جليل النظر لعلهم يرشدون راجين الرشد وهو اصابة الخير ونقيضه الغي وقرئ

بفتح الشين وضمها اما الاول فمن الرشد بالفتح يقال رشد يرشد رشدا فهو رشيد
من حد علم واما الثاني فمن الرشد بالضم يقال رشد يرشد رشدا بالضم فهو راشد من
حد دخل وقرئ بالكسر ايضا احل لكم ليلة الصيام نصب على الظرف وانما
لم يقل ليالي الصيام اعتمادا لاجل دلالة الكلام ولا يخفى لطفه على الافهام الرفث الى نسائكم
روي ان المسلمين كان اذا صلوا العشاء او ناموا حرم عليهم الفطر الى القابلة وان
لم يفطروا ان سيدنا عمر رضي الله عنه باشر بعد العشاء فندم واتى النبي صلى الله
عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال فاعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت والرفث
الى نسائكم في الاصل هو القول الفحش ثم جعل اسما للافصاح بما يجب ان يكنى عنه النساء
من معاني الافضاء يرشدك الى هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما حين انشد وهو محرم

وهن يمشين بنا هميسا ان تصدق الطير ننك لميسا

فقيل له ارفثت انما الرفث ما كان عند النساء

وانما عدي بالى لما في مفهومه من معنى الافضاء ثم انه كني بمجموع قوله الرفث الى نسائكم عن
الجماع فقد كني عن الجماع في جميع القرآن بلفظ مستحسن لا يدل على معنى القبح مراعاة للادب
والادب كادب التنزيل كقوله وقد افضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها باشروهن او لامستم
النساء دخلتم بهن فاتوا حرثكم الى شئتم من قبل ان تمسوهن فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن
الا هنا فانه كني عنه بما دل على معنى القبح استهجانا واستقباحا لما ارتكبوه ولذلك خيانة
هن لباس لكم وانتم لباس لهن استئناف يبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر عنهن
وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة وفي تقديم هن لباس
لكم نوع تأييد له حيث كان ذلك لزيادة الشغف من جانبه شبه الرجل والمراة في تعانقهما
واشتمال كل منهما على صاحبه في عناقه باللباس المشتمل عليه قال الجعدي

واذا ما الضجيع ثنى عطفه تثنت فكانت عليه لباسا

وافراد اللباس لانه كالمصدر علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم تظلمونها
بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب
من الكسب لتضمنه القصد والزيادة والخيانة ضد الامانة وقد ائتمن الله تعالى عباده
عليها امرهم به ونهاهم عنه فاذا عصوه في السر فقد خانوه وفي زيادة كنتم دلالة
على انهم يحتالون على ذلك ففيه نوع اشارة الى وجه قبول توبتهم ولهذا اتى باداة التفريع
في قوله فتاب عليكم اي لما ندمتم مما اقترفتموه من المحظور وقد مر تفسير التوبة
وعفا عنكم ومحا اثر ذلك عنكم بالتجاوز فالان اذ اصله فعل بمعنى حان ثم جعل
اسما للزمان الحاضر وعرف بالالف واللام وبني على الفتحة والمراد ليلة الصيام باشروهن

لما نسخ عنكم حكم التحريم ولا دلالة فيه على انتساخ السنة بالقران لاحتمال ان يكون المنسوخ
حكمه من كتاب الله تعالى المنسوخ تلاوته واصل المباشرة التصاق البشرة بالبشرة وهو ظاهر
الجلد كني بها عن المجامعة والامر للاباحة وابتغوا الابتغاء الطلب للبغية ما كتب الله
لكم ما قدر الله لكم من الولد اي لا تباشروهن لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء
ما وضع الله له النكاح من التناسل لبقاء النوع الى الغاية وهذا يتضمن النهي عن العزل واتيان
المحل المحرم وكفي في الابتغاء المذكور كون الولد مقدرا للجملة ولا يلزم ان يكون مقدرا لكل
واحد منهم وكلوا الظاهر انه كلام مبتدأ لا معطوف على باشروهن وانما زيد قوله
واشربوا اما لا للدلالة فانه على تقدير عدمها لم يبق حاجة الى تلك الزيادة وانما اهملت لانها
ينتظم الوقاع وهو لا يجوز ان يفعل الى طلوع الفجر اذ لا ينقطع اثره المفسد للصوم في الحال
بخلاف الاكل والشرب حتى يتبين لكم التبين تميز الشيء الذي يظهر للنفس على التحقيق
الخيط الابيض من الخيط الاسود شبه اول ما يبدو من نور الفجر المعترض في الافق بالخيط
الابيض وما يمتد معه من غلس الليل بالخيط الاسود اختلف مشايخ اصحابنا ان العبرة لاول
طلوعه ام لاستطارته وانتشاره وقال شمس الائمة الحلواني الاول احوط والثاني اوسع
ونحن نقول ان التشبيه بالخيط للتنبيه على ان العبرة لاول طلوعه فلا مساغ للاختلاف
من الفجر بيان لهما اما كونه بيانا للاول فظاهر واما كونه بيانا للثاني فلانه
باعتبار انتهائه اليه واتصاله به بعد منه ومثل هذا التوسع في البيان له حقه التاخير
عنه ومن ههنا اتضح انه لا وجه لان يكون من المذكورة للتبعيض وبالبيان المذكور خرج
الكلام من احتمال الاستعارة وانما زيد مع ان الاستعارة ابلغ من التشبيه لفقد شرطها ولو
تعذر الحقيقة قال سهل بن سعد الساعدي نزلت هذه الاية حتى يتبين لكم الخيط الابيض
من الخيط الاسود ولم ينزل قوله من الفجر فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجليه
الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل ويشرب حتى يتبين له منهما فانزل الله تعالى
بعد ذلك من الفجر فعلموا انه انما يعني بذلك الليل والنهار وهذا حديث صحيح عند ائمة
الحديث كالبخاري ومسلم الا انه غير مقبول عند ائمة البلاغة لان الكلام المذكور بدون
البيان المزبور ساقط عن درجة البلاغة على ما نبهت عليه انفا وعند عامة الاصوليين لما
فيه من تاخير البيان عن وقت الحاجة ولا خلاف في امتناعه عند من لا يجوز تكليف المحال
وانما الخلاف في التاخير عن وقت الخطاب قيل وتجويز المباشرة الى الصبح للدلالة على جواز
تاخير الغسل عنه ويلزمه صحة صوم المصبح جنبا ومبناه الغفول عما قدمناه من اهمال الدلالة
ثم ان تمام الاستدلال المذكور على تحقق المنافاة بين اباحة المباشرة الى اخر الليل ووجوب
الاغتسال فيه وذلك غير مسلم فان وجوب الصلاة مع كونها مشروطة بالطهارة قد

اجتمع مع اباحتها في اخر وقت صلاة المغرب ثم اتموا الصيام تمسك اصحابنا بهذا في جواز
النية بالنهار في صوم رمضان ولا وجه له بل هو ظاهر فيما ذكره المخالف حيث قال الله تعالى
ثم اتموا الصيام ولم يقل ثم صوموا ولولا ما فيه من محذور الدلالة على تراخي الشروع في
الصوم عن طلوع الفجر لما عدل عن الاخصر الاظهر الى الليل بيان اخر وقت الفرض واخراج
الليل عن حده لا يستلزم اخراجه عن محلية الصوم مطلقا فلا دلالة فيه على نفي صوم الوصال
ولا تباشروهن المراد بالمباشرة الوطي والنهي عنه لا لعينه بل لانه سبب للجناية المانعة
لصحة الاعتكاف فانه في الشرع لبث المسلم العاقل الطاهر في المسجد بنية القربة فينتظم
النهي ما في معناه من الملامسة بالشهوة مع الانزال وانتم عاكفون في المساجد معتكفون في
المساجد والعكوف في اللغة الاقامة بين ان المباشرة تحل في ليالي رمضان لكن لغير المعتكف
فانها تفسد الاعتكاف عن قتادة كان رجل يعتكف فيخرج الى امراته فيباشرها ثم يرجع فنهوا
عن ذلك وانما اراد قوله في المساجد للاشارة الى ان الاعتكاف انما يكون في المسجد وصيغة الجمع
لدفع وهم العهد فيفهم منه عدم اختصاصه بمسجد دون مسجد تلك اشارة الى التقديرات
الواقعة في الاوامر والنواهي المذكورة المانعة عن التجاوز عنها حدود الله اصل الحد المنع ومنه
الحداد للبواب وحدود الشرع موانع الجنايات وحدود الدار موانع عن الاختلاط فلا تقربوها
نهي اشفاق يتضمن نهي التحريم عن التجاوز عنها على وجه ابلغ كما في قوله تعالى ولا تقربوا هذه الشجرة
قال النبي عليه السلام ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه
ومن ههنا ظهر وجه النهي المذكور كذلك مثل التبيين يبين الله اياته الدالة على سائر
مشروعاته للناس لعلهم يتقون مخالفة الاوامر والنواهي ولا تاكلوا اموالكم بينكم
نصب على الظرف او الحال من الاموال تقبيح بليغ لما كانوا يتعاطونه من المنكر في ذلك مع اطلاع
بعضهم على حال البعض بالباطل بالجهة التي ليست مشروعة كما في العقود الفاسدة والاكساب
الخبيثة واموال الغنيمة هذا هو الظاهر من قوله اموالكم قيل اي لا ياكل بعضكم مال البعض ولا
يخفى ما فيه من الصرف عن ظاهره بلا داع اليه وتدلوا بها الى الحكام عطف على النهي اي
ولا تدلوا لا منصوب باضمار ان اذ حينئذ يكون المعنى لا تجمعوا بين الاكل بالباطل والادلاء الى
الحكام والنهي عن الجمع بينهما لا يستلزم النهي عن كل منهما وكل منهما حرام يحقه ان ينهى عنه منفردا
عن الاخر فيفهم منه النهي عن الجمع بينهما بطريق الدلالة على اكد وجه وابلغه والادلاء ارسال
الدلو في البير واستعير للتوصل الى الشيء لتاكلوا بالتحاكم فريقا من اموال الناس الفريق
القطعة المعزولة من الشيء بالاثم اي بما يوجب الاثم كشهادة واليمين الكاذبة وملتبسين
بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون وانما قيد به لان حصول الاثم مشروط بالعلم المذكور وقيل
ارتكاب المعصية مع العلم بقبحها اعظم وصاحبها بالتوبيخ احق والاول اولى كما لا يخفى روي

ان عبدان الحضري ادعى على امرء القيس الكندي ارضا غصبا في يده واختصما الى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال لعبدان الك بينة قال لا قال لك يمينه فقال اذن يذهب بارضي فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ليس لك الا ذلك فحلف كاذبا بالله ما له فيه حق فنزلت الاية فاقر
عبدان ورد ارضه اليه واعطاه ارضا اخرى ايضا مكان ما اخذ من غلتها يسألونك عن الاهلة
الاهلة جمع هلال وهو ليلة او ليلتين سمي به لان الناس يرفعون اصواتهم عند رويته روي
ان معاذ بن جبل وثعلب بن غنم الانصاري رضي الله عنهما سالا فقالا ما بال الهلال يبدو
دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يمتلي ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا ومن ههنا ظهر وجه
الاتيان بصيغة الجمع فانهما سالا عما في قد الشهر وعما في اخره كان المناسب ان يعبر عن المسؤول
عنه بصيغة الجمع قل هي مواقيت جمع ميقات وهو مفعال من الوقت معناه ما وقت به الشي
اي حد ومنه مواقيت الاحرام وهي الحدود التي لا يتجاوزها من يريد دخول مكة محرما والوقت
والمدة والزمن تتقارب ولكن المدة المطلقة اوسعها فانها امتداد حركة الفلك اي اتصالها
من مبدايها الى غايتها والزمان مدة مقسومة من مطلق المدة والوقت الزمان المفروض للعمل
للناس والحج اي لما يتعلق به امور المعاملات ومصالحهم ونبه بذكر الحج على ما يتعلق به من
العبادات التي لا يتيسر في قضايها وقت معين كان السؤال عن السبب العادي لاختلاف القمر
في زيادة النور ونقصانه واجيب على اسلوب الحكيم ببيان الحكمة في هذا الاختلاف للتنبيه
على ان المناسب لحال السايل ان يسال عن ذلك لا عن السبب لانه ليس مما يطلع عليه لتشبه
لا لتنايه على معرفة مسايل من دقايق علم الهيئة وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها
ولكن البر من اتقى اي بر من اتقى لما بين انهم عكسوا الحال في السؤال عن حال الهلال مثل
حالهم في السؤال عما لا ينبغي بحالهم في الاحرام بالحج وجريهم على خلاف ما يجب ان يكونوا عليه
وهو ان ناسا من الانصار كانوا اذا احرموا لم يدخلوا ابنيا من البيوت من بابه فان كانوا من
اهل المدر نقبوا انقبا في ظهر بيتهم منه يدخلون ويخرجون واتخذوا سلما يصعدون
فيه وينزلون وان كانوا من اهل الوبر دخلوا وخرجوا من خلف الخبا فقيل لهم ليس
البر بتحرجكم من دخول الباب ولكن البر من اتقى من محارم الله تعالى وهذا منع لكونه نهيا
لهم عن عادتهم الردية في باب الحج على سبيل الاستطراد لذكر الحج وبيان مواقيته ببيان التعكيس
في السؤال ومعان ليسكتوا عما يهمهم ويسالوا عما لا يعنيهم اي ما انتم في سؤالكم عن سبب نقصان
الاهلة وكمالها وترككم ما يهمكم من فوايدها الا ككونكم متحرجين عن دخول البيوت
من ابوابها واتيانكم من ظهورها حاسبين ذلك برا وما هو من البر في شي وبترككم
التحرج عما يجب عليكم اتقاوه واجتنابه وهو البر ثم قال واتوا البيوت من ابوابها
اي باشروا الامور من وجوهها والمراد توطين النفس عن ترك الفضول من السؤال

والفعال واجتناب ما يجب اجتنابه والزام ما اوجبه الشرع من غير شك وشبهة فان
السؤال امارة الشك واتقوا الله في تفسير احكامه والاعتراض على افعاله لعلكم
تفلحون لكي تظفروا بالبر وقاتلوا في سبيل الله اي جاهدوا لاعلاء كلمة الله واعزاز
دينه والقتال محاولة القتل بمن يقاتله يحاوله والقتل نقض بنية الحياة الذين يقاتلونكم
عن الربيع بن انس رضي الله عنه هي اول اية نزلت بالقتال في المدينة وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقاتل من قاتل ويكف عن من كف اي قاتلوا الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين
فعلى هذا يكون منسوخا بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة او الذين يناصبونكم القتال دون
غيرهم كالشيوخ والنساء والصبيان والرهبان والكفرة كلهم لانهم اعداء المؤمنين قاصدين لقتالهم
فهم في حكم المقاتلة قاتلوا او لم يقاتلوا فيكون غير منسوخ وقيل لما صد المشركين رسول الله صلى
الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له
مكة ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء خاف المسلمون ان لا يفي لهم قريش ويقاتلوهم في الحرم وفي
الشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت اطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم فيها ولا تعتدوا بابتداء
القتال على الاول والرابع او بقتال غير الناصبين كالشيوخ والنسوان والصبيان والرهبان
والذين بينكم وبينهم عهد على الثاني او بالمثلة او المفاجاة من غير دعوة على الثالث ان الله لا يحب
المعتدين عدم الحب كناية عن الكراهة فهم معرض المؤاخذة لسبب الاعتداء واقتلوهم
حيث ثقفتموهم في حل وحرم تقول ثقفته او ثقفه ثقفا اذا ظفرت به ومنه قوله تعالى فاما
تثقفنهم في الحرب فشرد بهم وقول الشاعر

فاما تثقفوني فاقتلوني فان اثقف فسوف ترى نبالي

واما الحذاقة في الاخذ فغير معتبر في مفهومه واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد
فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل من باب
التعميم لاندراج الخاص فيه اي المحنة والبلاء الذين يتعذب به الانسان اشد عليه من القتل
قيل لبعض الحكماء ما اشد من الموت قال الذي يتمنى فيه جعل الاخراج من الوطن من الفتن والمحن التي
يتمنى عندها الموت قول القايل لقتل بحد السيف اهون موقعا على النفس من قتل الفراق
ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام اي لا تفاتحوهم بالقتل وهتك حرمة المسجد الحرام الحرم كله
قال تعالى وصدوكم عن المسجد الحرام وانما صدوهم عن الحرم كله حتى يقاتلوكم فيه الى هنا
بعبارة فيه دون عند الدلالة على انه لا رخصة للقتال بمقاتلتهم عند المسجد الحرام بل لا بد
في اول الامر من الالتجاء اليه بالدخول فيه فان انتهوا عن القتال والا فلهم ان يقاتلوهم بعد
بعد ذلك وهذا لرعاية حرمته مهما امكن وفيما تقدم اي بعند دون فيه لان النهي عن القتال
عند المسجد الحرام يستلزم النهي عن القتال فيه بدون العكس فكل من العبارتين اصاب محزها

فان قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم ثمة فانهم الذي هتكوا حرمته وهذا تصريح بمفهوم الغا
وبشارة بالغلبة حيث قال فاقتلوهم دون فقاتلوهم وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم
جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم يقال قتلتنا بنو فلان كذلك جزاء الظالمين
مثل ذلك جزاؤهم نفعل بهم مثل ما فعلوا فان انتهوا عن الكفر والقتال فان الله غفور
رحيم يغفر لهم ما سلف ويرحمهم في المؤتنف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة عدوان وتفسيرها
بالشرك يأباه العطف بالواو في قوله ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب
فان انتهوا اي عن العدوان والفاء للتعقيب فلا عدوان الا على الظالمين اي فلا عدوان عليهم
فاراد ان ينبه على قبح العدوان والفا للتعقيب ظلم وان مقاتله المنتهين عدوان فحصر العدوان
في اضدادهم ويحمل على ان العدوان وانه ظلم وان مقاتلة المنتهين عدوان فحصر العدوان ظلم
ووضع الظالمين موضع الضمير العائد على المنتهين فدل بالنحوي على المنتهين هم العادلون الذين لا عدو
عليهم وسمي القتل عدوانا مجازا من حيث كان عقوبة على العدوان كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها
وحسن ذلك لازدواج الكلام ومزاوجته ههنا على اعتبار المقدر لما عرفت ان تقديره وان
انتهوا عن العدوان فلا عدوان الا على الظالمين الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم
المشركون عام الحديبية في شهر حرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضا
فيه وكراهتهم القتال الشهر الحرام بالشهر الحرام اي هذا الشهر بذاك الشهر فهتكه بهتكه فلا
تبالوا به والحرمات قصاص احتجاج عليه اي كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ عليه يجري
فيه القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم
ان قاتلوكم واكد معنى القصاص بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم
الاعتداء المجاوزة حدا ما وذلك قد لا يكون مذموما بخلاف الظلم فانه وضع الشي في غير الموضع
الذي يحق ان يوضع فيه وهذا في حال مذموم فلا يقال لمن ظلمك فاظلمه الا بطريق المشاكلة
بخلاف ما في الاية المذكورة واتقوا الله في حال كونكم منتصرين منهم فلا تزيدوا على المثل فتعتدوا الى ما لا
يحل لكم واعلموا ان الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شانهم وانفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا
كل امساك ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف وتضييع اسباب المعاش فان المال وقاية
النفس وتضييعه يفضي الى تضييعها او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فان ذلك يقوي العدو
ويسلطه عليكم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه نحن اعلم بهذه الاية فانها
نزلت فينا حين رجعنا الى اصلاح الاموال وتركنا القتال بعدما فشا الاسلام وكثر اهله وانهما التي
في الفساد وله سمي الموت هلاكا عند ابي عبيدة التهلكة والهلاك واحد والالقا اطلاق الشي الى جهة
السفل ونقيضه الامساك وتعديته بالى لما فيه من معنى الانتهاء والمراد بالايدي الانفس فان
اليد يعبر بها عن النفس كما في قوله تعالى تبت يدا ابي لهب والبا مزيدة واحسنوا اعمالكم

واخلاقكم

واخلاقكم وتفضلوا على المحاويج ان الله يحب المحسنين يريد بهم الخير واتموا الحج والعمرة
انما قال فيهما اتموا كما في الصوم دون اقيموا كما في الصلاة تنبيها على انهما يجبان بالنية كالصوم فيلزم
اتمامهما بعد النية كما يلزم اتمام الصوم بعدها بخلاف الصلاة فانها لا تجب بالنية فيلزم اتمامها
بعدها بل يجوز ان تترك ومن ههنا اتضح وجه تخصيص هذه الثلاثة من بين العبادات بالامر
بالاتمام ومن لم يتنبه لهذه الدقيقة الانيقة قال في تفسيره ايتوا بهما تامين مستجمعي المناسك
فدلالته على ان من شرع فيهما لزمه اتمامهما من جهة الاركان والشرائط وبه نقول ان العمرة
وقراءة واقيموا الحج مطلقا لما يجب به فلا تمسك فيها لمن قال بوجوب العمرة وقراءة واتموا
الحج والعمرة شاذ فلا يصح حجة وما روي جابر رضي الله عنه انه قال يا رسول الله العمرة واجبة
واجبة مثل الحج فقال لا ولكن ان تعتمر خير لكم نص في هذا الباب ولا يعارضه ما روي ان رجلا
قال لعمر رضي الله عنه اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك
لان الاثر لا يعارض الخبر على انه ليس في كلامه ترتيب الاهلال على الوجدان بل الظاهر منه
بيان سبب الوجدان على سبيل الاستئناف لله لوجه الله تعالى عن علي وابن عباس وابن مسعود
رضي الله عنهم ان تحرم بهما من دويرة اهلك وقيل ان يفرد لكل منهما سفرا وقيل ان تخلصهما
للعبادة ولا تشوبهما بشي من التجارة والاغراض الدنيوية وقرئ والعمرة لله على الابتدا
فان احصرتم اي منعتم يقال احصره اذا منعه امر من خوف او مرض او عجز قال الله تعالى
للفقراء الذين احصروا في سبيل الله وقال ابن ميادة

وما هجر ليلى ان تكون تباعدت ... عليك ولا ان احصرتك شغول

ويقال حصره اذا حبسه عدو وعند البعض او سجن هذا هو الاكثر في كلامهم وقد نص عليه الخليل حيث
قال الحصر الحبس والاحصار ان يحصر الحاج عن بلوغ المناسك بمرض او غيره ويوافقه قول الكسائي
وابو عبيدة وقال الفرا وابو عمرو والشيباني هما بمعنى المنع في كل شي مثل صده واصده وعن
جماعة من الصحابة رضي الله عنهم من كسر او عرج فقد احصر وهو مذهب اصحابنا وقال
الشافعي رحمه الله لا يكون الاحصار الا بالعدو فان احصار النبي صلى الله عليه وسلم كان بالعدو
ولانه تعالى قال فاذا امنتم وذلك زوال خوف العدو وقلنا العبرة بعموم اللفظ لا
بخصوص السبب واللفظ لما قلناه لغة والامن يكون من العلل ايضا قال النبي صلى الله عليه
وسلم الزكام امان من الجذام فما استيسر من الهدي في محل الرفع بالابتدا اي فعليه ما استيسر
او النصب اي فاهدوا ما استيسر واستيسر بمعنى يسر كاستيقن وتيقن واستحل وتحل كذا قالوا
والظاهر ان زيادة السين لزيادة اليسر فالمراد الشاة لان الهدي من الثلث من الابل والبقر
والغنم وايسرها الشاة والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي بالتشديد
جمع هدية كمطية ومطي والمعنى ان احصر المحرم واراد ان يتحلل ذبح هديا يسر عليه حيث احصر

عند الشافعي رحمه الله فان النبي صلى الله عليه وسلم احصر بالحديبية وذبح هناك وتحلل وعند
ابي حنيفة رحمه الله لا يذبح الا بالحرم ببعثه ولا يتحلل حتى يبلغ محله ويعين المبعوث على يده
يوم امارة يدل عليه قوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله فان بلوغ المحل يدل على مسافة
بين موضع الحصر وبين المحل وكذا قوله تعالى والهدي معكوفا ان يبلغ محله مكانه الذي يجب
فيه نحره او ذبحه لمحل الدين وهو الوقت الذي يجب فيه قضاؤه وهو انما نحر الرسول في موضع الاحصار
لان محصره كان طرف الحديبية في طرف الحرم على تسعة الذي الى اسفل مكة وهو من الحرم وعن
الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة وعن الزهري ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم نحر هديه في الحرم فمن كان منكم مريضا الفا للتعقيب وفايدتها دفع ذهاب الوهم
الى الوهم على ان احصرتم على تقدير التصدير بالواو فانه حينئذ يلزم اخراج المريض عن حد
المحصر ولا وجه له الخطاب في منكم للذين بعثوا الهدي من المحصرين فالمعنى من كان بعد
البعث مريضا يخرجه الى الحلق والتنكير للتقليل فينتظم المرض المرخص ما في الراس من الجراح
والقرحة او به اذى هو ما يؤذيه اي يتعبه ويشق عليه من بخار في الراس وقمل وتعميم
للثاني قال من راسه اي من ههنا دون في راسه ففدية فعليه فدية ان حلق
من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روي انه صلى الله
عليه وسلم قال لكعب بن عجرة رضي الله عنه اذ مر عليه والقمل يتهافت في وجهه لعلك اذاك
هوامك فقال نعم يا رسول الله فقال احلق وصم ثلاثة ايام وتصدق بفرق على ستة مساكين
او انسك بشاة والفرق ثلاثة اصع واو للعطف على وجه التفريق وبيان خلو المواجب
عن احد الانواع الثلاثة المذكورة للفدية والتخيير لجزم هذا البيان ضرورة لا لانها معناها
الوضعي والنسك جمع نسيكة وهي الذبيحة واختير الجمع ههنا لتعدد انواعها وقري اونسك
بالتخفيف كان مقتضى الظاهر البداءة بالاعلى وهو النسك وانما عدل عنه بالبداية بالصيام
تطييبا لقلوب الفقراء العاجزين عن النسك باظهار العناية والاهتمام في شان الصيام بتقديمه
على البواقي والتقديم لا يخلو عن التعظيم فاذا امنتم الاحصار او كنتم في حال امن او سعة
فمن تمتع بالعمرة الى الحج اي استمتع بها الى وقت الحج استمتاعه اذا حل من عمرة باستباحة
ما كان محرما عليه الى ان يحرم بالحج وقيل بالتقرب بها الى الله تعالى قبل الانتفاع بتقربه
اليه بالحج فما استيسر من فعليه دم بسبب التمتع هو هدي المتعة وهو نسك عند ابي حنيفة
رحمه الله لا يذبحه الا يوم النحر وياكل منه وجبران عند الشافعي رحمه الله يجوز ذبحه اذا احرم
بحجه لان السبب هو التمتع ولا يتحقق الا به ولا ياكل منه لانه دم جناية فمن لم يجد اي
الهدي فصيام ثلاثة ايام اي فعليه صيام ثلاثة ايام في الحج في ايام الاشتغال به بعد
الاحرام عند الشافعي رحمه الله وعند ابي حنيفة رحمه الله في وقت الحج في اشهر ما بين الاحرامين

الهدي

كثر

وافضله اليوم السابع ويوم التروية وعرفة ولا يجوز في ايام النحر وايام التشريق عند الا
وسبعة اذا رجعتم الى اهليكم وهو احد قولي الشافعي رحمه الله او نفرتم وفرغتم
من افعال الحج وهو القول الثاني ومذهب ابي حنيفة رحمه الله وقري سبعة بالنصب عطفا
على محل ثلاثة ايام اذ تقديره فصيام ثلاثة ايام تلك عشرة فذلكة الحساب وفايدتها امران
احدهما ان يعلم جملة كما تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب قال فرزدق ثلاث واثنتان
فهن خمس والثاني ان ينفي توهم الاباحة فان الواو قد يجي لها كما في قولك جالس الحسن وابن سيرين
ويرد على الاول انه لا يناسب بلاغة القران لان المراعي فيها مقتضى المقام نظرا الى الخواص
دون العوام وعلى الثاني ان الاباحة موجب صيغة الامر والواو للتشريك للحكم فقط واما
ارادة الكثرة من السبعة دون العدد فلا يذهب اليه وهم عند ذكرها مع الثلاثة فلا حاجة
الى دفعها وعندي ان صيام ثلاثة ايام لما كان قبل تعذر الاصل ودخول وقته احتمل ان
يذهب الوهم الى عدم اعتباره في اصل البدل فاتى بالعد لكة المذكورة دفعا لذلك الوهم
الى عدم اعتباره في اصل البدل كاملة صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد او
مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به ينتهي الاحاد وتتم مراتبها او مقيدة تفيد
كمال بدليتها من الهدي كذا قيل والاوجه الاوجه انها مفيدة تفيد كمالها في الثواب والاجر
ودفع ذهاب الوهم الى صوم السبعة ليس كصوم الثلاثة في الاجر للتفاوت في زمانها ذلك
اشارة الى التمتع عند ابي حنيفة واكثر الائمة لانه مختص بالافاقي عندهم فلا متعة ولا قران لحاضري
المسجد الحرام فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية والى الحكم المذكور عند الشافعي رحمه الله
لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام اي للذي لا يكن ثمة وانما ذكر الاهل لان الظاهر ان
الانسان يسكن حيث سكن اهله فعبر بسكون الاهل عن سكون نفسه وقد مر ان المسجد الحرام
وهو الحرم كله وحاضروا المسجد عند ابي حنيفة هم اهل مكة ومن كان منزله داخل الميقات
وعند الشافعي رحمه الله اهل مكة ومن كان من الحرم على مسافة القصر عنده وعند مالك
اهل مكة ومن كان من الحرم واهل ذي طوى واتقوا الله لما تقدم امر ونهي وواجب
ناسب ان يختم ذلك بالامر بالتقوى في ان لا يتعدى ما حده ثم اعلم بقوله فاعلموا ان الله
شديد العقاب بشدة عقابه على المخالفة الحج اشهر اي وقته كقوله البرد شهران لما امر
باتمام الحج والعمرة ثم اقتصر على بيان وقت الحج علم منه بطريق البيان المكوني
وقت الحاجة ان العمرة غير موقتة وهذا من جملة وجوه الاعجاز الذي الرتقي به القران الى
ذروة الاعجاز ولم يتنبه الناظرون فيه معلومات هي شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة
خلافا للشافعي الى يوم النحر وذو الحجة كله عند مالك وثمرة الخلاف ان المراد من وقته وقت
افعاله او وقت احرامه اي ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا وانما لم يسمها باعيانها لانها

كانت معروفة عندهم على ما توارثوه الا انهم كانوا يدخلون فيها النسيء فنبهوا على انها هي وقت
دون غيرها والاشهر على الحقيقة واما التجوز في جعل بعض الشهر شهرا او اطلاق الجمع على ما فوق
الواحد فلا يناسب المقام لما فيه من اخراج بعض الشهر الثالث من حد الحرام ثم ان الاستدلال
على الاطلاق المذكور بقوله تعالى فقد صغت قلوبكما فليس بشيء لانهم صرحوا بان مثل هذا ليس
من المتنازع فيه فمن فرض فيهن الحج الزمه نفسه بالاحرام ولا خلاف فيه انما الخلاف بيننا
وبين الشافعي في ان الاحرام يتم بالنية او لا يتم بل لا بد من التلبية معها او من سوق الهدي ولا
دلالة فيه على خروج يوم النحر من وقت الحج لان معنى من فرضه فيهن من فرضه في كل منها الاشهر
المذكورة لا من فرضه في كل يوم من ايامها نعم فيه دلالة على كراهة تقديم الاحرام عليها فانه
لو جاز ذلك لضاع قوله فيهن واما ان من احرم بالحج لزمه الاتمام فقد دل عليه قوله تعالى واتموا
الحج والعمرة لله بظاهره فلا رفث فلا جماع فانه مفسد للحج وقيل لا فحش في الكلام ولا فسوق
ولا خروج عن حدود الشريعة بالسباب والتنابز بالالقاب لقوله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب
بئس الاسم الفسوق ولا جدال ولا مراء ولا شقاق مع الرفقاء والخدم وغيرهم وانما نهي عنه
مع كونه منهيا عنه لكونه في الحج افحش كلبس الحرير في الصلاة في الحج في اثناء اقامة مناسكه
بعد الاحرام وانما نفى الحقيقة في الثلاثة المذكورة للمبالغة في النهي اي فلا تكونن هذه الاجناس
واذا اوجب انتفاؤها وكانت حقيقة بان لا تكون لزم الا انتفاؤها وقرئ الاولين بالرفع
على معنى النهي اي فلا يكونن رفث ولا فسوق والاخر بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الجدال اي الخلاف
وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب بعرفة وكانوا يؤخرون الحج سنة ويقدمونه سنة
وهو النسيء فرد الوقف الى عرفة والحج الى وقت واحد فاخبر الله تعالى انه قد ارتفع الخلاف في الحج
واستدل على ان النهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله صلى الله عليه وسلم
من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج كهيئته يوم ولدته امه فانه لم يذكر الجدال وما تفعلوا
من خير التنكير للتقليل يعلمه الله حث على الخير بعد النهي عن الشر وبناؤه على الكناية
بعلمه تعالى بفعل من افعال العباد عن ترتب الجزاء عليه ولا يخفى ما في ضمن هذا الوعد من الوعيد
وبه يتم حق المقام والمراد بالخير بقرينة سياق الكلام ان يأتوا بالكلام الحسن مكان الفحش
وبالبر والتقوى مكان الفسوق وبالثناء والمدح مكان السباب والتنابز وبالرفق وحسن
الاخلاق مكان الفسوق وبالثناء والمدح مكان الجدال ويجوز بقرينة لحاقه ان يراد
بفعل الخير ضبط انفسهم عما نهوا عنه وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي اجعلوا زادكم
في الآخرة اتقاء القبائح فان خير الزاد [illegible] الطعام الذي يتخذ للسفر وقيل كان اهل اليمن لا يتزودون
ويقولون نحن المتوكلون ونحن نحج بيت الله فلا يطعمنا ويكونون كلا على الناس فنزلت فيهم ومعناه
وتزودوا واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد الاجتناب من ذلك

والتقوى

والتقوى وخافوا عقابي يا اولي الالباب انما الذين نبهت عليهم بالعقول التي هي آلة
التمييز والتدبير فيسهل معها التقوى والتفكر ليس عليكم جناح حرج ان تبتغوا
في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم زيادة عطاء وهو الربح بالتجارة قيل كان عكاظ
ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها من اسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام
تأثموا منها فنزلت ترفع عنهم الجناح في ذلك وانما يباح ما لم يشغل عن العبادة الواجبة فاذا افضتم
دفعتم بكثرة وهو من افاضة الماء اي صبه بكثرة واصله افضتم انفسكم وترك ذكر المفعول
كما ترك في دفعوا من موضع كذا وصبوا والفاء للتعقيب لما بين وقت الحج وذكر ما نهي عنه في الاحرام
واما ندب اليه وما ابيح فيه عقبه ببيان ما يجب ان يفعل بعد الفراغ عن اقامة ركنه وهو
الوقوف من عرفات علم للموقف منقول عن الجمع كاذرعات والظاهر انه جمع عرفة
جمع عارف والاظهر من الاسماء المرتجلة اذ لا يعرف النقل في اسماء الاجناس منصرف لان تاءه
مع الالف علامة جمع المؤنث لا التاء التي هي علامة التأنيث واما التأنيث المعنوي فمقدر
باعتبار المعنى والموقف ليس بمؤنث فليس فيه الا العلمية فلا تمنعه الصرف وحده وانما
سمي الموقف بها لان آدم عليه الصلاة والسلام وحواء التقيا فيه فتعارفا والناس يتعارفون
فيه وكان جبرائيل عليه السلام يدور بابراهيم عليه الصلاة والسلام في المشاعر اراه اياها
فقال عرفت وقيل وصف له عليه الصلاة والسلام فلما رآه عرفه وليس هنا دليل على
وجوب الوقوف فيه فاذكروا الله عند المشعر الحرام بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء
والدعاء وقيل بصلاة المغرب والعشاء فانهما يجمعان بالمشعر الحرام وهو الجبل الذي يقف عليه
الامام وعليه الميقدة وقيل ما بين جبلي المزدلفة من مأزمي عرفة الى وادي محسر والا فالمأزمين
ولا وادي محسر من المشعر والصحيح انه الجبل لما روى جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم
يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم للعبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند
المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه للفضل كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها
موقف الا وادي محسر وجعلت اعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر
واذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها واذكروه كما علمكم كيف
تذكرونه وما مصدرية او كافة وان كنتم من قبله اي الهدى لمن الضالين الجاهلين
لا تعرفون كيف تذكرونه وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة ثم افيضوا من
حيث افاض الناس اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر
الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وليس فيه ايجاب الافاضة
حتى يدل على وجوب الوقوف بعرفة بناء على ان الافاضة عنها لا تكون الا بعده بل لبيان اختصاص [illegible]

بالوجه المذكور ثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم
قيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بالكسر اي الناسي يريد
ادم عليه الصلاة والسلام من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم لا تغيروه
واستغفروا الله من مخالفتكم في الموقف وغيرها من افعال الجاهلية وعاداتهم ان الله غفور
يغفر الذنوب رحيم بالمذنبين يدعوهم بجميل احسانه الى بابه ويرغبهم في جزيل ثوابه ولهذا
اي ولتضمنه الترغيب المذكور اتى باداة السببية في قوله فاذا قضيتم مناسككم اي فاذا
اتممتم امور حجكم فاذكروا الله كذكركم اباءكم اي فاذكروا الله ذكرا كثيرا وبالغوا فيه
كما تفعلون في ذكر اباءكم وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى والجبل ويذكرون
مفاخر ابائهم ومحاسن ايامهم فنزلت اي اكثروا ذكر الله تعالى كذكركم ولا تطلبوا بالذكر اعراض الدنيا
كالذاكرين اباءهم او اشد ذكرا في موضع الجر عطف على الضمير المضاف اليه الذكر في قوله تعالى
كذكركم او قوم اشد ذكرا من ذكركم او في موضع النصب عطف على اباءكم او اشد ذكرا من
اباءكم على انه من الفعل المبني للمفعول اي مذكورا به ويجوز ان يكون معطوفا على الكاف في ذكركم اي
ذكرا مثل ذكركم او ذكرا اشد ذكرا من اباءكم على ان الذكر اشد من ذكرهم كقوله جد جده وشعر
شاعر واو هنا ليست للتخيير بل للتنقيل عن الاول قال القفال ومجاز اللغة في مثل هذا معروف
يقول الرجل للاخر افعل كذا الى شهر ثم يقول او اسرع منه وانما يريد به النقل عن الاول الى ما هو
اقرب وفقا فمن الناس من يقول الفاء سببية من تقسيم يتضمنه الكلام السابق فانه يشتمل
على ذكر المفيضين من عرفات الذاكرين من المزدلفة الذاكرين لاباءهم فعقب التقسيم الثاني
بانهم الطالبون لحظوظ الدنيا واما القسيم الثاني بانهم الطامعون بين الاثنين فاولئك هم
اهل الفلاح والفوز ربنا اتنا في الدنيا اي اجعل ايتانا في الدنيا خاصة وما له في الاخرة
من خلاق الخلاق نصيب الانسان من فعاله المحمودة التي تكون خلقا له وقد يراد به النصيب
من الخير على وجه الاستحقاق وهو المراد ههنا ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة من
الصحة والكفاف والتوفيق للخير وفي الاخرة حسنة من الثواب والكرامة والقربة
وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة اولئك اشارة الى الفريق الثاني واليهما لهم نصيب
مما كسبوا اي من جنسه من الاعمال وهو الثواب الحسن في الاخرة والمنافع الحسنة في الدنيا
او من اجل ما كسبوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما يستوجبونه في الدنيا والاخرة لان الدعا
من الاعمال الحسنة والاعمال توصف بالكسب تسمى كسبا او من جنس ما كسبوا ما تقتضيه مشيئة
الله تعالى وحكمته والله سريع الحساب وعيد اي سريع حسابه للخلائق مع كثرة اعدادهم
واعمالهم لكمال علمه وقدرته فيجب الحذر منه او حث على العبادة اي سريع وقوع حسابه
يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب العباد فبادروا الى المكاثرة وطلب الاخرة واذكروا الله

في ايام معدودات الايام المعدودات ايام التشريق وذكر الله فيها التكبير في ادبار الصلاة وعند
الجماعة وعند ذبح القرابين وغيرها فمن تعجل فمن استعجل النفر في يومين يوم القر والذي
بعده اي فمن نفر في ثاني ايام التشريق قبل طلوع الفجر عندنا وبعد رمي الجمار عند الشافعي فلا
اثم عليه باستعجاله ومن تاخر اي في النفر حتى رمي اليوم الثالث بعد الزوال فلا اثم
عليه قال ابو حنيفة رحمه الله يجوز تقديم رميه قبل الزوال ومعنى التخيير بين النفرين فلذلك
سوى بينهما بنفي الاثم عن صاحبها وفيه رد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المستعجل ومنهم
من اثم المتاخر لمن اتقى اي الذي ذكر من التخيير او من الاحكام لمن اتقى لانه الحذر المتحذر
وعن كل ما يريبه ولانه هو الحاج عند الله بالحقيقة واتقوا الله في المحافظة على هذه الاحكام
ليعبأ بكم واعلموا انكم اليه تحشرون وعيد شديد اي اليه لا الى غيره حشركم ويجازيكم على
حسب تقواكم واصل الحشر ضم المتفرق وسوقه من جهات مختلفة ومن الناس من يعجبك
يروقك ويعظم في نفسك قوله والتعجب حيرة تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشيء
ومعنى اعجبني كذا ظهر لي ظهورا لم اعرف سببه في الحياة الدنيا متعلق بقوله اي ما يقوله
في باب الدنيا وشانه اذ مراده به احراز حظوظ الدنيا لا ثواب الاخرة كما يراد بالايمان الحقيقي
والمحبة الصادقة وقيل يعجبك في الحياة الدنيا لفصاحته وحلاوته لا في الاخرة لما يرهقه
هناك من الحبسة واللكنة او لانه لا يؤذن له في الكلام ويشهد الله على ما في قلبه ويحلف
ويقول الله شاهد على ما في قلبي من المحبة والاسلام وهو الد الخصام شديد الجدال والعداوة
للمسلمين واضافة الالد بمعنى في على ان الخصام بمعنى المخاصمة كقوله ثبت الغدر وانما
وصف بكونه الدلالة للمبالغة وجعل خصامه لشدته كانه في نفسه خصم الد وقيل جمع خصم
كصعب وصعاب اي هو اشد الخصومة روي انه نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان
حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعي الاسلام وقيل منافقا
كلهم واذا تولى سعى التولي الانحراف عن الشيء على خلاف جهته والسعي الاسراع في الشيء اي اذا
انصرف عنك وذهب مسرعا في الارض ليفسد فيها كما فعله الاخنس بثقيف وقيل اذا صار واليا
فعل ما فعله الولاة من الافساد والظلم ويهلك الحرث والنسل حقيقة او حكما بان يمنع
الله تعالى القطر بشوم ظلمه وفساده فيهلك الحرث والنسل والحرث هو الزرع واصل الشق
والنسل ما خرج من كل شيء من اجناس الحيوان والله لا يحب الفساد عدم الحب كناية عن
البغض فيه وعيد بليغ ويتضمن التعليل لما سبق على المعنى الثاني والافساد في الحقيقة اخراج
الشيء عن حالة محمودة لا لغرض صحيح وذلك غير موجود في فعل الله تعالى ولا هو امر به ولا يحب
له وما نراه في فعله فساد فهو بالاضافة الينا ولا اعتبارنا فاما النظر اليه فكل صلاح واذا قيل
له اتق الله اي واذا خوف هذا المنافق بالله تعالى اخذته العزة بالاثم اي حملته العز

على ذلك من قول اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه وفيه مبالغة شديدة كان العزة التي
فيه اي حمية الجاهلية فالترنع حاكم مسلط عليه يلزمه ارتكاب الاثم الذي نهي عنه لجاجا واصرارا
وعلى رغم الواعظ ورد قوله فحسبه جهنم اي كافيه جزاء جهنم وهو استعظام لما حل به وجهنم
اسم علم للنار رومي ماخوذ من قولهم ركية جهنام اذا كانت بعيدة القعر وامتنعت من الصرف
للتانيث والعلمية بين ان جهنم نصيبه الكافي وجزاؤه الوافي ثم دل على حال جهنم بقوله ولبئس
المهاد جواب قسم محذوف وحذف المخصوص بالذم للعلم به والمهاد ما يوطا للجنب ويهيا للنوم
ومن الناس من يشري نفسه يبيعها ببذلها في الجهاد ويامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى
يقتل ابتغاء مرضات طلبا لرضاه والله رؤف بالعباد اي هو في غاية الرحمة لهم ولهذا
عوضهم النعيم المقيم على عمل منقطع عقب ذكر المذموم من اعدائه بذكر المحمود من اوليائه
ترهيبا وترغيبا يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة السلم بالكسر والفتح الاسلام
والطاعة وكافة اسم للجملة من الكف كانهم كفوا باجتماعهم عن ان يخرج منهم احد حال من فاعل
ادخلوا او من السلم وتاؤها بعد النقل لم يبق للتانيث والمعنى استسلموا لله واطيعوه جميعا
ظاهرا وباطنا على ان الخطاب للمنافقين وادخلوا في الاسلام بكليتكم ولا تخلطوا به غيره على ان
الخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل والبانها او في شرائع
الله تعالى كلها بالايمان بالانبياء عليهم الصلاة والسلام والكتب جميعا على ان الخطاب لاهل الكتاب
او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء منها على ان الخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات
الشيطان بالتفريق والتفرق وقد مر ما يتعلق به وبقوله انه لكم عدو مبين فان زللتم
عن الدخول في السلم اصل الزلل في المقدم يقال زل يزل زلا وزلولا اذا زلت قدمه ثم استعمل في
الاعتقاد والراي بطريق الاستعارة من بعد ما جاءتكم البينات الحجج والشواهد على ان ما امرتم بالدخول
فيه هو الحق فاعلموا ان الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا يهمل وان كان يمهل
على ما تقتضيه الحكمة هل ينظرون ما ينتظرون الا ان ياتيهم الله اي ياتيهم امره كقوله تعالى
تعالى هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي امر ربك وانما اسند الاتيان اليه تعالى تعظيما
وتهويلا وتنبيها على انه ياتي الامر الذي لا يدافع كان امره هو لوجوبه واكد التهويل وشدة
العذاب ببيان اتيانه من الغمام الذي هو مظنة الرحمة لكونه اقطع فان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب
كان اعم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير
ولهذا كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث في ظلل جمع ظلة
كقلة وقلل وهي ما يستظل به وقرئ ظلال جمعها كقلة وقلال او جمع ظل من الغمام قال
الثعالبي من سر الادب او ما ينشأ هو الذي اذا اسحب في الهواء فهو السحاب فاذا تغيرت له السماء
فهو السحاب ظلة فكان انسب لعبارة الظلل من السحاب والملائكة وقرئ بالجر عطفا على ظلل

والغمام وقضي الامر اي قضي امر هلاكهم وتدميرهم وفرغ منه عبر بالماضي عن المستقبل لدنو
وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله ترجع الامور قرئ على البناء
للمفعول على انه من الرجع وعلى البناء للفاعل على انه من الرجوع سل بني اسرائيل بحذف
الهمزة في الكلام المبتدأ وتثبت في العطف مثل قوله واسئل القرية والسؤال للتقريع لكل
احد وللرسول عليه الصلاة والسلام كم اتيناهم من اية بينة على ايدي انبيائهم وهي
معجزاته او من اية في الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام وحقيقته وكم خبرية واستفهامية
للتقرير ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر واية مميزها
ومن للفصل ومن يبدل نعمة الله اي اياته اذ هي اجل نعمة من الله تعالى بان يجعلها اسباب
الضلالة واسبابا للهدى والنجاة عنها لقوله تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم ويحرفها كما
حرفوا الايات الدالة على دين محمد عليه الصلاة والسلام من بعد ما جاءته من بعد ما
وصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعدما عقلوها ولذلك قيل تقديره
فبدلوها ومن يبدل فان الله شديد العقاب فيعاقبه اشد لانه ارتكب اعظم جريمة والعقاب
ماخوذ من العقب كان المعاقب يمشي بالمجازاة له في اثار عقبه زين للذين كفروا الحياة الدنيا
التزيين هو التحسين المدرك بالعقل ولذا جاء في اوصاف الدنيا دون اوصاف الاخرة والمزين
في الحقيقة هو الشيطان فانه حسن الدنيا في اعينهم وحببها اليهم وقرئ زين على البناء للفاعل
والحياة بالنصب على الاسناد المجازي فانه تعالى امهل المزين فجعل امهاله له تزيينا او زينها حتى
استحسنوها واحبوها ومن قال المزين على الحقيقة هو الله اذ ما من شيء الا وهو فاعله اخطا
في الدعا وما اصاب في الدليل اما الاول فلان التزيين صيغة تقوم بالشيطان والفاعل للصفة
ما تقوم به تلك الصفة وليت شعري ما يقول هذا القائل في الكفر والضلالة ولان الثاني
فلان مبناه عدم التفرقة بين الفاعل النحوي الذي كلامنا فيه والفاعل الكلامي الذي بمعزل
عن هذا المقام ويسخرون من الذين امنوا اي يهزؤون من فقراء المؤمنين الذين لا حظ
لهم في الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم رضي الله عنهم على رفضهم الدنيا واقبالهم
على الاخرة قال القرطبي يقال سخرت منه وهزئت منه وهزئت به كل ذلك يقال وحكى الاخفش
عن الاسم السخرية والذين اتقوا اي الذين اتقوا الدنيا واختاروا الفقر من المؤمنين هم اهل
الزلفى والكرامة عند الله تعالى وضعوا موضع الذين امنوا لانهم يسخرون منهم دون الاغنياء
تنبيها على انهم اهل السعادة الكبرى عند الله تعالى وتحريضا للمؤمنين على التقوى فوقهم
يوم القيامة لانهم كانوا في درجات الجنة وهم في دركات النار فيناديهم ان افيضوا
علينا من الماء او مما رزقكم الله والله يرزق من يشاء يعني في الدنيا لانه مساق الكلام
فيه بغير حساب اي بغير تقدير اي يوسع بحسب الحكمة والمشيئة التابعة له على عباده

فمنهم من تكون الوسعة عليه كرامة له كاغنياء المومنين استدراجا كهولاء الكفرة وقارون واضرابهم
ومنهم من تكون التوسعة عليه كرامة له كاغنياء المومنين وسليمان وداود عليهما السلام وامثالهم
كان الناس امة واحدة على الفطرة متفقة على دين الاسلام فيما بين ادم ونوح عليهما السلام قاله
القرطبي وفيه نظر لان ادريس عليه الصلاة والسلام على الصحيح وقيل هم نوح عليه الصلاة
والسلام ومن معه فبعث الله النبيين اي فاختلفوا فبعث الله فحذف للدلالة قوله ليحكم
بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه وفي قراءة عبد الله فاختلفوا فبعث الله ولقوله تعالى وما كان
الناس الا امة واحدة فاختلفوا ولما كان سبب البعثة الاختلاف ولم يبق احتمال لان يكون المراد
من الامة المذكورة المتفقين على الجهالة والكفر مبشرين من اطاع ومنذرين من عصى
وانزل معهم الكتاب اي الكتب واسم الجنس يصلح للجمع ومعهم حال المقدرة من الكتاب فيتعلق
بمحذوف وليس منصوبا بانزل ولا يريد به انه انزل مع كل واحد منهم كتاب بحصته لا لان لكثيرهم
لم يكن لهم كتاب يخصهم بل كانوا ياخذون كتب من قبلهم لان المجموع مع كل واحد من الذين لهم كتاب
وعموم النبيين لا ينافي خصوص الضمير العائد اليه بمعونة القرينة بل لان بعض الكتاب المخصوص
لمن معه لا يشتمل الاحكام كالزبور فلا يحصل ما ذكر بقوله ليحكم بين الناس غاية له بالحق حال
من الكتاب اي متلبسا بالحق ليحكم بين الناس اي النبي الذي معه الكتاب فيما اختلفوا
فيه من امر الدين وما اختلف فيه الا الذين اوتوه اي الكتاب المنزل لازالة الاختلاف
ومعناه زاد اختلافهم بسبب الكتاب حتى كان الاختلاف من الاول بالنسبة اليه لا اختلاف
وما كان الاختلاف الا الذي حدث بعده كان الاختلاف الموجب لنزول الكتاب اتفاق في جنبه
لشدة عنادهم من بعد ما جاءتهم البينات الدلائل الشاهدة على حقيقة الدين المتفق
عليه بغيا بينهم وحسدا وقلة انصاف منهم لحرصهم على الدنيا وقادتهم فهدى الله لسبب
تلك البينات الذين امنوا منهم لما اختلفوا فيه من الحق بيان لما اختلفوا فيه باذنه
بتيسيره وتوفيقه اياهم والله يهدي دون غيره من يشاء من اهل العناية بمقتضى
الحكمة الى صراط مستقيم لا يعوج سالكه وهو طريق التوحيد ام حسبتم ان تدخلوا الجنة
ام منقطعة ومعنى الهمزة فيه الانكار والحسبان كالظن يستعمل في المترجح لما ذكر حال الامم الخالية
واختلافهم على النبيين بعد مجيء البينات وانكارهم تشجيعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين
واغراهم على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين واهل الكتاب وانكارهم
لاياته وعداوتهم له خاطبهم على طريقة الالتفات التي هي ابلغ ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم
حالهم التي هي مثل في الشدة ولما للتوقع في النفي كقد في الاثبات ومعناه ان اتيان ذلك متوقع
ولم يقع بعد مستهم بيان للمثل على الاستئناف الباساء الشدة من الخوف والجوع والفاقة
والضراء الالام والامراض وزلزلوا اي ازعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة مما اصابهم من

الاموال والاتباع حتى يقول لتناهي الشدة وتماديهم في العظم بحيث تقطعت حبال الصبر
الرسول مع كونه في كمال الثبات والصبر وضبط النفس والوقار والى غاية لا يقدر قدرها
والذين امنوا معه الصابرين في الباساء والضراء وقرئ يقول بالرفع على معنى الحال
وهي حكاية حال ماضية وبالنصب على اضمار ان ومعنى الاستقبال متى نصر الله معناه
استبطاء النصر وطلبه وتمنيه واستطالة زمان الشدة الا ان نصر الله قريب استئناف
على ارادة القول فقيل لهم اجابة لهم الى طلبتهم من عاجل النصر واعطاء سؤالهم يسالونك
ماذا ينفقون لما نزل قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا جاء عمرو بن الجموح الانصاري
وسال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كم ننفق فنزل جواب السائلين من هذه السورة
جواب كم ننفق في قوله قل العفو وجواب قوله على من ننفق في قوله قل ما انفقتم من خير
اي شيء انفقتم من مال والمال يسمى خيرا قال الله تعالى لا يسام الانسان من دعاء الخير وقال
وانه لحب الخير لشديد وانما سماه خيرا هنا لانه مذكور في موضع الصرف الى الخير فللوالدين
والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل بدا في المصرف بالاقرب فالاقرب ثم بالاحوج فالاحوج
وما تفعلوا من خير من معنى الشرط فان الله به عليم جوابه اي ان تفعلوا خيرا فان الله تعالى
يعلم كنهه ويوفي ثوابه والفعل اعم من الانفاق وغيره سالوا عن خاص واجيب بخاص ثم اتى
بالعموم من افعال الخير قيل كان هذا قبل الايجاب ونسخها الامر بالزكوة وقيل كان بالاستحباب
وهو كتب عليكم القتال اي فرض عليكم الجهاد وهو كره لكم من الكراهة لقوله وعسى
ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو اما ان يكون بمعنى الكراهة على وضع الوصف المصدر موضع
الوصف للمبالغة لفرط كراهيتهم واما ان يكون فعلا بمعنى المفعول كالخبز بمعنى المخبوز اي
وهو مكروه وقرئ بالفتح على ان يكون بمعنى المضموم كالضعف والضعف وبمعنى الاكراه
على سبيل المجاز كانهم اكرهوا عليه لفرط كراهيتهم له وكراهة الطبع لا توجب الذم بل
تحقق معنى العبودية اذ فعل ذلك اتباعا للشرع مع نفرة الطبع واما كراهة الاعتقاد
فهو من صفات المنافقين ونبه بقوله وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان
تحبوا شيئا وهو شر لكم بالطف وجه على ان ما كتب عليهم من القتال خير لهم واوضح
دلالة وهي اذا جاز ان يكون منكم كراهية الامر وفيه الخيرية فيجوز ان يكون كراهيتكم لما كتب
عليكم من القتال كذلك واذا جاز ان تحبوا شيئا وهو شر لكم فيجوز ان يكون محبتكم لما
احببتموه شرا ثم نبه على ان هذا الجواز كونه عندكم واجب كونه في نفسه بقوله
والله يعلم وانتم لا تعلمون وقد قضى بان ذلك خير واذا كان خيرا فيجب ان تحبوه
ولا تكرهوه فالخير بحسب الارادة والشر بحسب الكراهة والمحبة ميل النفس الى ما تراه وتظنه
خيرا والارادة لا يلزمها ظن الخير ولهذا قيل عبوا دون ان تريدوا ولم يراع حق المقابلة

مع قوله ان تكرهوا وعسى كلمة تجري مجرى لعل وهي من العباد للترجي ومن الله تعالى للترجية
قيل جميع ما كلفوا به من قبيل الاول وجميع ما نهوا عنه من قبيل الثاني وفيه نظر يسئلونك
عن الشهر الحرام نزلت في اول سرية في الاسلام اغاروا على عير لقريش قافلة من الطايف
وقتلوا عمرو بن عبد الله الحضرمي في اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الاخرة فعيرهم
اهل مكة باستحلاله قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وفايدة الابدال في ذكر الشهر
والاتيان بها على ان السوال عن القتال لاجل الشهر لا لغيره قل قتال فيه كبير ذنب كبير والاكثر
انه منسوخ بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء ولا وجه لمنع دلالة
الاية على حرمة القتال في الشهر الحرام مطلقا على ان النكرة في حيز الاثبات لا تعم لانها اذا لم توصف
وقد مر ما يؤيد هذا وصد الصد ناحية الشعب والوادي المانع للسالك وصده عن
كذا كانما جعل بينه وبين ما يريده صدا يمنعه والصديد ما حال بين الجلد واللحم والقيح
كذا قال الراغب عن سبيل الله اي ما يوصل العبد الى الله من الطاعات وكفر به
اي بالله تعالى عطف على صد وقد عطف عليه قبل تمام المعطوف عليه لشدة الاعتنا
عند ذكر الله تعالى بان الكفر به اكبر الكباير وامها والذي يندرج جميع الكباير والا كان
حقه ان يوخر عن قوله والمسجد الحرام لما اشرنا اليه من انه من تمام قوله وصد عن
سبيل الله واخراج اهله منه اكبر عند الله خبر عن الاشيا المعدودة يعني وكما
قريش من صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفرهم بالله واخراج اهل المسجد
الحرام وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون منه اكبر عند الله مما فعلته
السرية على سبيل الخطا والبنا على الظن والفتنة اكبر من القتل وما ارتكبوه من الصد
والاخراج والكفر اكبر من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم اي يداومون
على عداوتكم ولا ينفكون عن مقاتلتكم حتى يردوكم عن دينكم حتى للتعليل كما في قولك
اعبد الله حتى ادخل الجنة لقوله ان استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل
لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي مع وثوقه بانه لا يظفر به وايراد ان في موضع
اليقين للتهكم والبنا على ظنهم الفاسد ومن يرتدد منكم عن دينه الى دينهم ويطاوعهم
على ردهم اياه اليه ولم يتب فيمت على الردة فاولئك حبطت اعمالهم اي حسناتهم
لانها هي الاعمال في الحقيقة والسيات مما ينبغي ان لا تعمل ويقال لمن عمل ما لا ينتفع به
ما عمل شيئا في الدنيا والاخرة لفوات ما لهم من الثواب لو لم يرتدوا بالموت
عليها والحبط فساد يلحق الماشية في بطونها من اكل الكلا واستعير لفساد العمل واولئك
اصحاب النار ملازموها يقال فلان صاحب فلان اذا كان ملازما له هم فيها
خالدون اي دايمون فيها لا يموتون ولا يخرجون عنها ثم الطاعة تحبط بنفس الردة

وهو كافر

الردة عندنا

عندنا لقوله تعالى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله والموت عليها ليس بشرط وقال
الشافعي رحمه الله شرط وتمسك بهذه الاية وقلنا انما جعل الموت على الكفر شرط جميع ما ذكر
في هذه الاية من حبوط العمل والخلود في النار وبه نقول كذا قيل واياه تكريرا وليك لما فيه
من الدلالة على اعتبار الشرط المذكور في كل واحد من الحكمين المذكورين فالصواب في الجواب
ان يقال انما اعتبر الشرط المذكور في حبوط عمل الدنيا وعمل الاخرة معا لا في حبوط عمل الاخرة
وحده فلا متمسك فيه للخصم لانا نقول تاثير الشرط المذكور في حبوط الدنيا فانه لم يستمر على الردة
الى اخر الحياة لا يحرم عن ثمرات الاسلام ان الذين امنوا نزلت ايضا في السرية المذكورة لما قال
بعض الناس فيهم ان لم يكن عليهم وزر فليس لهم اجر والذين هاجروا اي من مكة الى المدينة وقيل
اي فارقوا اعمال السوء واصحابها والاول كان فرضا فنسخت فرضيته والثاني فرضية باقية وجاهدوا
في سبيل الله اي قاتلوا الكفار وقيل استفرغوا المجهود في طاعة الله تعالى وتكرير الموصول لتعظيم
الهجرة والجهاد وكانهما مستقلان في تحقق الرجا اولئك يرجون رحمة الله في الدنيا والاخرة
نفعا ورفعا ودفعا وفي عبارة الرجا مدحا لهم باستقصارهم واستصغارهم اموالهم خايفين رده لاجل
قوله قال الله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة والله غفور لما فعلوه خطاء
وقلة احتياط رحيم باجزال الثواب والايصال الى حسن الماب يسئلونك عن الخمر والميسر
فانهما مذهبة للعقل ومسلبة للمال نزلت فيهما اثم كبير ومنافع للناس فشربها قوم وتركها اخرون
والخمر ما خمر العقل اي ستره كانها سميت بالمصدر للمبالغة ومنه الخمار لما يستر الراس وقال ابن الانباري
سميت خمرا لانها تخامر العقل اي تخالطه قال عمر رضي الله عنه في خطبته ايها الناس فانه نزل
تحريم الخمر وهي من خمسة من العنب والعسل والتمر والشعير والميسر القمار وقال الازهري الميسر
الجزور الذي كانوا يتقامرون عليه سمي ميسرا لانه يجزا اجزا فكانه موضع التجزية وكل شي
جزاته فقد يسرته والياسر الجازر لانه يجزي لحم الجزور قل فيهما لما كان منشاه والسببية
فلا حاجة الى تقدير المضاف بل لا وجه له فلا دلالة في هذا على ان السوال عن تعاطيهما اثم الاثم
ما يستحق فاعله بالعقاب فيختص بما يكون عمدا يرشدك اليه ذكره في قوله تعالى ومن يكسب اثما
في مقابلة الخطيئة كبير من حيث انه يودي الى الانتكاب عن المامور وارتكاب المحظور ومنافع
من الطرب والالتذاذ وكسب المال ومصادقة الفتيان وفي الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفير
المروة وتقوية الطبيعة للناس في عبارة اسم الجنس اشارة الى عموم المنافع لما تحته من الاصناف
والافراد وفيه وفي جمع المنفعة تمهيد لتعظيم الاثم فيهما ضرورة ان تعظيم المفضل عليه يستلزم
تعظيم المفضل واثمهما اكبر من نفعهما يعني ان الاثم المترتب على المفاسد التي تنشا من كل منهما
اعظم من المنافع المتوقعة منه قال الحسن هذه الاية تدل على تحريم الخمر لانه ذكر ان فيها اثما
وقد حرم الله تعالى الاثم بقوله قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم على انه

قد وصف ما فيهما من الاثم بالكبير والكبير منه حرام بالاتفاق وقوله حسن وان كان مخالفا لما روي
مما سبق ويسألونك ماذا ينفقون قد مر ان سائله ايضا عمرو بن جموح قل العفو اي
العفو نقيض الجهد وهو القصد في الانفاق بحيث لا يبلغ الجهد وهو القصد في الانفاق بحيث
لا يبلغ الجهد واستفراغ الوسع كذلك يبين الله لكم الآيات اي مثل ما بين من الاحكام والكاف
في موضع النصب صفة المصدر محذوف وتوحيد العلامة على تأويل القبيل لعلكم تتفكرون في
الدنيا والآخرة متعلق بيتفكرون اي لعلكم تتفكرون في امر الدارين وما هو اصلح لكم فيهما فتختارون
وتجتنبون عما يضركم اكثر ويسألونك عن اليتامى الحال تشهد بان السؤال ليس عن اعيانهم
بل عن كفالتهم ومخالطتهم والافصاح بامثال هذه يخاف عن طريق البلاغة لانه لا يخلو عن عناية
وتغليبه وسوء ادب وكلام الله تعالى منزه عن كل هجنة روي انه لما نزلت ان الذين ياكلون اموال
اليتامى ظلما تحاشوا عن اليتامى وتركوا مخالطتهم والقيام لمصالحهم واموالهم والاهتمام باحوالهم
فشق ذلك عليهم وكادوا يوقعهم في الحرج فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذا
لا سواه في سبب النزول ولوجه ما قاله مقاتل من ان المسلمين لما اشفقوا من مخالطة اليتامى
نعزلوا بيت اليتيم وطعامه شق عليهم فقال ثابت بن رفاعة للنبي صلى الله عليه وسلم قد انزل
في اليتيم ما انزل فعزلناهم والذي لهم واعتزلنا والذي لنا فشق علينا وعليهم وليس كلنا يجد سعة
فهل يصلح لنا مخالطتهم فيكون البيت والطعام واحد الامر واحد الا ان يعود عليهم بافضل منه
فنزل قوله تعالى قل اصلاح لهم خير اي تعهد احوالهم على وجه الاصلاح لهم خير من مجانبتهم
وان تخالطوهم فاخوانكم حث على المخالطة اي انهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط اخاه
الخلط الجمع بين اجزاء شيئين سواء كانا مائعين او غير مائعين فهو اخص من المزج والله يعلم
المفسد من المصلح والله يميز المخالط بالافساد من المخالط بالاصلاح ولا يخفى عليه فيجازي
بحسبه فلا تقصدوا في مخالطتهم الا الاصلاح ولو شاء الله لاعنتكم يحملكم على العنت وهو
المشقة وسعكم عن المخالطة فوقعتم في الحرج ان الله عزيز غالب يقدر على الاعنات حكيم
لا يكلف الا ما تسع طاقتهم ويصلح حالهم ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اي ولا تزوجوهن
من المسلمين المشركات والمشركة تعم الكتابية لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه وتعالى عما يشركون ولكن خصت عنها الكتابيات
الذميات بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب وبقيت الحربيات في عموم هذه الآية روي
انه صلى الله عليه وسلم بعث مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فاتته عناق
وكان يهواها في الجاهلية فقالت الا نخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج
بي فقال نعم ولكن استأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمره فنزلت ولامة مؤمنة
خير من مشركة يعني ان المؤمن ولو كان معه خساسة الرق خير من الكافر ولو كان

معه

معه شرف الحرية فان شرفها لا يجدي نفعها مع الكفر ودناءة الرق لا تضر مع شرف الايمان
ولو اعجبتكم جملة اعتراضية وجواب لو محذوف لدلالة ما قبلها عليه وكذا لو اعجبكم اي ولو
اعجبتموها واعجبتكم حسنها كانت المؤمنة مع ذلك خير لكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا
ولا تزوجوهم المؤمنات وعلى هذا عمومه ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم وضع
اللام مقام اللزوم في الموضعين للتنفير والترغيب فقال اولئك اي المشركون والمشركات
يدعون الى النار اي الشرك المستلزم لدخول النار فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا والله
يدعوا الى الجنة والمغفرة اي الايمان الملزوم لدخول الجنة واورد الله مكان المؤمنين
لاختصاصهم به وتعظيمهم حثا على مصاهرتهم وموالاتهم وايثارهم على غيرهم باذنه بتيسيره
وتوفيقه لما يستحق به الجنة والمغفرة من الايمان والعمل الصالح ويبين آياته للناس لعلهم
يتذكرون لكي يتذكرون او يكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز في العقول السليمة من الميل
الى نيل الخير والاجتناب عن مظان المضار ويسألونك عن المحيض مصدر يقال حاضت
محيضا كما يقال جاء مجيئا وروي ان اهل الجاهلية لم يساكنوا الحيض ولم يواكلوها لفعل
اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سأل ابو الدحداح في نفر من الصحابة رضي الله عنهم عن
ذلك ولعله سبحانه انما ذكر يسألونك في المواضع الثلاثة بغير واو وفي المواضع الثلاثة
بعدها مع الواو لان الاول ليس لمظنته للواو وليس لمظنة للواو وكانت اسئلة عن الحوادث
الاول في الاحوال المتفرقة كل واحد منهما سؤال مبتدأ والاسئلة عن الحوادث الاخر
ثالثة الاول كانت في وقت واحد وليس مبني هذا على ان الواو حرف الجمع الذي هو مدلول
الواو اعم من المعية بل ان في ترك الواو دلالة على الاستقلال وفي ذكره دلالة على خلافه قل هو اذى
لما كان الموضع موضع الكناية والمجاز لكون التصريح والحقيقة لا يخلو عن سوء ادب سلك
طريق التعريض والتشبيه باحسن الوجوه فكنى عن المحيض المستقذر الذي ينفر منه
الطبع بالاذى وهو اسم لما ينال النفس منه مكروه وعن امتناع المجامعة بقوله فاعتزلوا النساء
في المحيض ولا تقربوهن والاعتزال العدول عن الشيء ولما كان الانسان قد يحتمل الاذى
ولا يراه محرما صرح بالحكم ولم يكتف بذكر العلة وانما اكده بضعفي امر ونهي مبالغة في المنع لما
ان الزوجين يجتمعان غالبا ومعهما داعيان اليه ظاهرا والدليل على المراد الاجتناب عن مجامعتهن
قوله عليه الصلاة والسلام انما امرتكم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن
كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعوهن
ولا يبالون بالحيض حتى يطهرن بيان لغايته اي يخرجن من الحيض بانقطاع الدم
واذا كان ايامها عشرة فكلما انقطع حل وطؤها واذا كانت دون ذلك وانقطع واغتسلت

فكذلك حمله قال زفر والشافعي رحمهما الله فانهما قالا لا يحل قبل الاغتسال واحتجا بقراءة
التشديد فان التطهير الاغتسال ونحن نعمل بالقرائتين في حالتين وفيه نظر لان شرط العمل
بالمفهوم ان لا يكون مخالفا للمنطوق ومفهوم قراءة التخفيف مخالف لمنطوق قراءة التشديد
ونحن نقول ليس العمل بقراءة التخفيف بطريق المفهوم بل بطريق المنطوق فان الدلالة
انتهاء الحكم عند الغاية بحسب الوضع ثم ان قوله فاذا تطهرن فأتوهن ظاهر في
تأخير جواز الاتيان عن الغسل من حيث امركم الله اي المأتى الذي امركم الله به وحلله
لكم وهو القبل انما زيد هذا وكان الكلام تاما بدونه للنهي بطريق المفهوم عن اتيانهن في الدبر
فان الله تعالى حرم الاتيان في ايام الحيض للاذى فيحرم اتيان الدبر في الاحوال كلها لما فيه من
الاذى ومن ههنا ظهر وجه تصديره الكلام المذكور بالفاء التعريفية ان الله يحب التوابين مما
عسى يندر منهم من ارتكاب ما نهوا عنه من سائر الذنوب ويحب المتطهرين اي المتنزهين عن
الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان في غير المأتى نساؤكم حرث لكم اشارة
الى ان الغرض الاصلي من الاتيان المأمور طلب النسل لا مجرد قضاء الشهوة والى الوجه الذي
قصد بطريق المفهوم شبههن بالمحارث تشبيها لالقاء النطف في الارحام للنسل بالقاء البذور في الارض
للزرع ولما كان التشبيه المذكور مرتبا على هذا التمثيل المتروك ترتب اللازم على الملزوم ولم يبعد ان يسمى
تمثيلا على سبيل الكناية والقوم قد غفلوا عن هذا النوع من التمثيل فأتوا حرثكم انى شئتم كما يأتوا
الحراثون محارثهم من اية جهة شاؤوا بعد مراعاة موضع الحرث عبر به عن وجوه الاتيان المختلفة مع
اتحاد المأتى تمثيلا لحالهم بحالهم روي ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته وهي مجبية من دبرها
في قبلها كان الولد احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كذبت اليهود ونزلت
وقدموا لانفسكم الخير والذخر بطاعة الله تعالى فيما امر به ونهى عنه في هذه الاية وقيل النية
الخالصة اي لا تقصروا على قضاء الشهوة ولكن اقصدوا التعفف والولد واتقوا الله
بالاجتناب عن المعاصي واعلموا انكم ملاقوه فلا تجترؤا عليه بالمخالفة وتزودوا ما لا
تفتضحون به وبشر المؤمنين المستوجبين للمدح والكرامة بترك القبائح والفواحش
ولا تجعلوا الله عرضة الفعلة بمعنى المفعول يطلق لما يعرض دون الشيء لايمانكم متعلق
بعرضة اي حاجزا لايمانكم اذ في العرضة معنى الاعتراض والمنع او بالفعل اي لا تجعلوا الله لايمانكم
حاجزا ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس عطف بيان لايمانكم اي للامور المقسم
عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس ويجوز ان تكون اللام للتعليل وان تبروا وما
عطف عليه متعلقا بالفعل اي ولا تجعلوه معرضا لايمانكم تبتذلونه بكثرة الحلف ولذلك
ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة النهي اي انهاكم عنه ارادة بركم

وتقواكم

وتقواكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله تعالى والمجترئ عليه لا يكون برا
متقيا ولا موثوقا به في اصلاح البين نزلت في الصديق رضي الله عنه لما حلف ان لا ينفق على
مسطح لافترائه على عائشة رضي الله عنها وقيل في عبد الله بن رواحة رضي الله عنه حين
حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته والله سميع لايمانكم
عليم بنياتكم فيجازيكم بحسبها وهو وعيد على كثرة الحلف وعلى جعله مانعا للتبري من انواع البر
والتقوى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو الساقط لا يعتد به من كلام وغيره
فاللغو من اليمين الذي لا عقد له كما اذا سبق به اللسان او تكلم به جاهلا بمعناه كقول العرب
وغيرهم في اثناء الكلام للتأكيد لا والله وبلى والله لا يخطر ببالهم الحلف بدليل قوله ولكن يؤاخذكم
بما عقدتم الايمان ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وهو قصد القلب لعقد اليمين والمعنى
لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بواحد منهما بما قصدتم
من الايمان وقال ابو حنيفة رحمه الله اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم
بما اخطأتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيها ولا يساعده ظاهر قوله ولكن يؤاخذكم
بما عقدتم الايمان والله غفور حيث لم يؤاخذ باللغو حليم حيث لم يعجل المؤاخذة على يمين الجد
تربصا للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اي يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته
بعلى لكنه ضمن في هذا القسم معنى الامتناع فعدي بمن اي يمتنعون من نسائهم مقسمين ويجوز
ان يكون المقسم عليه محذوفا والمراد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك لي منك
كذا والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع اي للمولي التلبث في هذه المدة
فلا يلزمه شيء منها وهذا لا ينافي وقوع الطلاق البائن عند مضيها كما قاله ابو حنيفة رحمه
الله ولا يقتضي ان يكون مدة الايلاء اكثر مما ذكر كما قاله الشافعي رحمه الله ولا دلالة في الفاء
في قوله فان فاؤوا على ذلك لانها للتعقيب فان التفصيل الفيئة وان كانت قبل مضي المدة
او وقوع الطلاق يعقبها المفصل والفيء والرجوع اي ان رجعوا عن هذا الاضرار بترك الوطء
فان تقربوا بالمدة فان الله غفور يغفر للمولين ما ارادوا به اضرار النساء لاجل الفيئة التي
بمثابة التوبة رحيم حيث اجاز لهم الحنث وقبل منهم الكفارة ورفع عنهم الذنب وان عزموا
الطلاق العزم هو العقد على الامضاء فان الله سميع لما جرى بينكم عليم بما قصدتم نحوه
والمطلقات يعني اللاتي بهن ذو ان الاقراء بقرينة الحيض عام مخصص بالمدخول بهن من الحرائر
بالنصوص الدالة على اختصاص الحكم الاتي ذكره بهن يتربصن اخبار في معنى الامر وانما
عدل عن الظاهر للتأكيد واظهارا للاعتناء بالمبادرة الى الامتثال والمسارعة كانهن امتثلنه
واخبر عنه موجودا كما قال في الدعاء رحمك الله تفاؤلا بالاجابة وثقة بها كان الرحمة وقعت
وبناؤها على المبتدا زيادة فضل تأكيد لم يكن لو قيل يتربص المطلقات وفي قوله بانفسهن

زيادة تحريض وبعث وتهييج لهن على التربص وقمع الانفس وذلك ان انفس النسا طوامح الى
رجال فاذا امرن ان يقمعنها على المطموح يستنكفن فيحملهن على التربص ثلاثة قروء انتصب
على انه مفعول كقولك المحتكر يتربص الغلا اي يتربصن مضي ثلاثة قروء وعلى انه ظرف اي
يتربصن مدة ثلاثة قروء والقرء وجمع القرء بالضم والفتح وهو لفظ مشترك بين الحيض والطهر
باجماع اهل اللغة وقد ورد الشرع في كل واحد منهما قال صلى الله عليه وسلم لامراة دعي الصلا
يوم قرئك اي حيضك وقال لعبد الله بن عمر رضي الله عنه ان من السنة ان مطلقها في كل قرء
تطليقة اي في كل طهرة وقال ابو حنيفة رحمه الله ان المراد من القرء الحيض وقال
الشافعي رحمه الله المراد الطهر وقوله صلى الله عليه وسلم طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان
صريح في الاول وانما جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الاقرا اعتبارا لما في المطلقات من
معنى العموم فان المعنى ليتربص كل واحدة منهن ثلاثة اي بلفظ القرء ليدل على الكثرة المرادة
واما الانفس فكان النكتة في تقليلها الايما الى ان التطليق ينبغي ان يكون قليل الوقوع من الرجال ولا
يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الولد ما يكتمن حملهن استعجالا للطلاق مخافة ان ينتظر
الزوج لطلاقها ان تضع او يشفق على الولد فلا يطلق وتنيل من الحيض ما تقول طهرت وهي حائض
استعجالا للفراق ويجوز ان يكون الكتمان كناية عن ارادتهن اسقاط ما في ارحامهن من الاجنة ولا
يعترفن لهن وفيه دليل على ان قولها مقبول في ذلك ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر تعظيم
لفعلهن وانهن اولا يفعل ذلك من كان يؤمن بالله واليوم الاخر ولا يجترئ مثل هذه العظائم
وبعولتهن اي ازواج المطلقات والبعول جمع بعل والتا لاحقة للتانيث الجمع وانما يسمى زوج
المراة بعلا لانه سيدها ومالكها ذكره الازهري ومن ههنا تبين وجه التعبير عنه بالبعل فان
الحكم الاتي ذكره مخصوص بصورة الطلاق الرجعي الذي لا يزول به ملك النكاح وفي عبارة البعل
اشارة اليه احق بردهن اي برجعتهن ومعنى احق ان الرجل في ذلك اي في زمان التربص
ان ارادوا اي بالرجعة اصلاحا بينهم وبينهن لا اضرارا والمراد التحريض عليه والمنع من قصد
الاضرار لا بيان اشتراط صحة الرجعة بقصد الاصلاح ولهن من الحقوق على الرجال مثل الذي
للرجال عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع والعادة الجلية اي لا يكلف احد الزوجين
صاحبه ما لا يستحسن في الشرع ولا يعنف به ولكن يسامحه ويسهل والمراد بالمماثلة مماثلة
الواجب بالواجب والمستحب بالمستحب لا الاتحاد في الجنس وللرجال عليهن درجة الدرجة
نحو المنزلة لكن يقال اذا اعتبرت بالصعود دون الامتداد على البسيط كدرجة السلم ويعبر بها
عن المنزلة الرفيعة اي زيادة فضيلة بقيامهم عليهن وانفاقهم في مصالحهن بعد ما تساويا
في نيل اللذة والله عزيز على الانتقام ممن خالف الاحكام حكيم شرعها لحكم ومصالح
الطلاق مرتان الطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم يعني التطليق الشرعي كرتان على التفر
يق

تطليقة بعد تطليقة يعقبها رجعة لا تطليقتان على التشبيه والامساك دفعة واحدة والا التطليق
البائن واحدا كان او اثنين لقوله فامساك اي فالامر للزوج بعدهما امساك او فعليه امساك
ولا يخفى ما في عبارة الامساك من الدلالة على استدامة الملك وهي لا تبقى بعد البائن بمعروف
بحسن عشرة ومما يعرف شرعا من القيام بواجبها او تسريح بان لا يراجعها حتى تبين بالعدة باحسان
بان لا يراجعها مراجعة يريد بها الضرار وتطويل العدة عليها وقيل التسريح ان يطلقها الثالثة في الطهر
الثالث وروي ان سائلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين الثالثة فقال صلى الله عليه وسلم او تسريح
باحسان او ظاهر الاية حجة على الشافعي رحمه الله في قوله لا باس بارسال الثلث ولا متمسك في حديث
العجلاني الذي لاعن امراته فطلقها ثلاثا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يذكر عليه
لعدم الدليل بتاخره عن نزول الاية ولا يحل لكم ايها الازواج ان تاخذوا مما اتيتموهن من الصدقات
شيئا قليلا الا ان يخافا الا ان يخاف الزوجان استثنا مفرغ وان يخافا فانتصب على الظرف او مفعول
له النفات كانهم اذا رضوا بالخلع وهموا بالاخذ وقفوا في حق البعد فلم يتاهلوا للخطاب لعدم انصا
وعدالتهم واحتياجهم الى الائمة والحكام فخاطبوا بما ياتي ويجوز ان يكون الخطاب الاول ايضا للحكام
وان لم يكن الاخذ والايتاء منهم لانهم الامرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكانهم الاخذون
والمؤتون وقري الا ان يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته عن الضمير بدل الاشتمال وتري
الا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن الا يقيما حدود الله بترك اقامة حدود الله تعالى فيما يلزمهما
من واجب الزوجية لما يحدث من نشوز المراة وسوء خلقها فان خفتم ايها الحكام الا يقيما حدود
الله بتركهما اقامة الحدود المذكورة فلا جناح عليهما فيما افتدت به اي لا جناح على الزوج فيما
اخذ ولا على المراة فيما بذلت وافتدت به نفسها واختلعت به من الصداق والزيادة عليه على كره
روي ان جميلة اخت عبد الله بن ابي كانت تحت ثابت ابن قيس وكانت تبغضه وهو يحبها فاتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله لا انا ولا ثابت يجمع راسي وراسه شيء والله
ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ولا اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخبا
فرايته اقبل في عدة فاذا اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت وكان قد اصدقها
حديقة فاختلعت منه بها وهو اول خلع كان في الاسلام تلك حدود الله اي ما حد من الاحكام
ومن يتعد حدود الله عدل عن الضمير الى الظاهر للتفخيم فاولئك هم الظالمون تعقيب
للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد فان طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله
او تسريح باحسان اعتراض بينهما ذكر الخلع دلالة على ان الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض اخرى والمعنى
فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من بعد اي من بعد ذلك التطليق حتى تنكح اي تتزوج
زوجا غيره والنكاح يسند الى كل منهما كالتزوج يقال فلان ناكح في بني فلان وتمسك ابن المسيب
بدلالة حتى على انتهاء الحرمة بتزوجها زوجا اخر في الاقتصار على العقد في التحليل فان قلت اليست

اشارة
فلا تعتدوها

الحرمة باقية الى ان يطلقها وتنقضي عدتها قلت كي تنتهي تلك الحرمة بالعقد وتحدث حرمة اخرى
هي اثره والجمهور على انه لا بد من الاصابة لحديث العسيلة وتجوز به انتساخ حكم الغاية وان كان
حكم ثبوته منطوقا لا مفهوما لانه حديث مشهور تلقته الامة بالقبول ومنهم من دون وقال
ان شرط الدخول ثابت بنص الكتاب لان المراد من التزوج الاصابة على انها كناية عن حظها
من الشرط المذكور والكلام على القلب كقولك ادخلت الخاتم في الاصبع والمعنى حتى ينكحها زوج
اخر ولا بد من المصير الى احد هذين الوجهين كيلا يضيع قوله زوجا والحكمة في هذا الحكم الردع عن
التسرع الى الطلاق فان طلقها اي الزوج الثاني وانقضت العدة وهذا القيد معلوم
من موضع اخر ولهذا لم يذكروا الفا لتفريع صحة المراجعة بعد تطليقه اياها على ما تقدم من نحو
التحليل بالتزوج فلا جناح عليهما ان يتراجعا اي يرجع كل من الزوج الاول والمراة الى صاحبه
بالمزاوجة ان ظنا ان يقيما حدود الله حقوق المعاشرة وما يجب عليهما من حسن المصاحبة
ومن فسر الظن بالعلم فقد وهم من جهة اللفظ والمعنى لانه لا يقال علمت ان يقوم زيد لان
ان الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم وان المستقبل غيب فلا يعلمه الا الله تعالى وهذا الظن
ليس بشرط في صحة النكاح بل في اباحته ودفع المأثم لان العقد صحيح وان ظنا ان لا يقيما
حدود الله وتلك حدود الله اي الاحكام المذكورة يبينها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون
بموجب العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اريد بالاجل اخر المدة وبالبلوغ مشارفته والقرب
منه على الاتساع لقوله فامسكوهن بمعروف اذ الامساك بعد البلوغ حقيقة او سرحوهن
بمعروف لما اعيد ذكر الرجعة على التسريح بالمعروف تنبيها على انه ان لم تراعوا في تسريحها الاحسان
فراعوا فيه المعروف كما قال بعض الناس لسلطان ان لم تحسن وهذه الاية ظاهرها
اعادة حكم ما تقدم الا ان الاولى لبيان جواز الرجعة بعد التطليقة والتطليقتين وهذه لبيان جوازها
ما دامت في العدة وانما خص لسائقه بالذكر لانهم كانوا يطلقون المراة فيتركونها حتى تشارف
انقضاء العدة ثم يراجعونها اضرارا بها فنهوا عنه بقوله ولا تمسكوهن ضرارا بعد الامر بضده
مبالغة ونصب ضرارا على انه مفعول للمضارع او حال المضارة اي مضارين لتعتدوا
لتظلموهن بتطويل العدة اي الجائها الى الافتداء واللام متعلقة بالضرار اذ المراد تقييده ومن
يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله تعالى ولا تتخذوا ايات الله هزوا بالاعراض
عنها والتهاون في العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازئ كانه نهي عن الهزء
الامر بالجد فيل كان الرجل يطلق ويعود ويتزوج ويقول كنت لاعبا فنزلت وعن النبي صلى الله
عليه وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم
التي من جملتها الهداية الى الاسلام وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم والمراد من ذكرها مقابلتها بالشكر
والقيام بحقها وفي الكفاية بالذكر عن الشكر تنبيه على انها نعمة جليلة بحيث تذكيرها كاف في ايجاب

شكرها

شكرها والقيام بحقها والمانع عنه ليس الا الغفلة عنها وما انزل عليكم التنزيل على النبي صلى الله
عليه وسلم الا انه لما كان لمصلحتهم نزل منزلة النازل عليهم من الكتاب والحكمة الكتاب والسنة
وقد مر وجه مناسبة الحكمة بالسنة وانما افردهما بالذكر لشرفهما يعظكم به بما انزل عليكم
واتقوا الله اي لا تخالفوا امره ونهيه واعلموا ان الله بكل شيء عليم وعد ووعيد وتاكيد
وتهديد والعدول عن الضمير الى الاسم الظاهر للتفخيم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن
اي انقضت عدتهن لقوله فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن العضل المنع مع التضييق يقال
عضلت الدجاجة ببيضها والمراة بولدها والخطاب لا يجوز ان يكون للازواج بدلالة ما روى
البخاري والترمذي وابو داود ان الاية نزلت في معقل بن يسار وكانت اخته تحت ابن عم له
وطلقها طلقة فلما انقضت عدتها خطبها وهي تريد ان ترجع اليه فقال لا ازوجها ابدا فانزل الله
تعالى هذه الاية فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فتلاها عليه فقال سمعا لربي وطاعة والحكم
الوارد في سبب لا يصح ان يكون السبب خارجا عنه اريد معه غيره ولا ان يكون للاولياء لما فيه
من تنافر الخطاب من الازواج قبل تمام الكلام الى الاولياء فان خطاب اذا طلقتم للاولياء قطعا فالوجه
ان يكون للناس ليتناول عضل الازواج والاولياء جميعا مع السلامة عن المحذورين والمعنى
لا يوجد بينكم عضل ايها الناس ولا يخفى ما فيه من تهويل امر العضل بان من حق الاولياء ان لا يجوزوا
حوله ومن حق الناس كافة ان ينصروا المظلوم اذ ذاك ولا متمسك للشافعي في الاية على ان النكاح
لا ينعقد بعبارة النساء اذ لا يلزم من قدرة الاولياء على منعهن ان يكون النكاح بعباراتهم وقوله
ان ينكحن صريح في انه ينعقد بعباراتهن اذا تراضوا بينهم اي اذا تراضى الخطاب والنساء وهو
ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف بالوجه الجميل في الدين والمروءة حال عن الضمير
المرفوع او صفة مصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف ذلك اشارة الى ما مضى ذكره
والخطاب للكل احد او للرسول للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يتصوره
كل احد ويجوز ان يكون الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين
المخاطبين يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر لانه المتعظ والمنتفع ذلكم اي
العمل بمقتضى ما ذكر ازكى انفع لكم واطهر من دنس الاثام والله يعلم ما فيه من النفع
والفلاح وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن اولادهن اخبار بمعنى الامر
للمبالغة في الحث على الارضاع فان الامر لما كان للاستحباب دون الايجاب على ما دل عليه التعليق
بالارادة احتيج الى المبالغة فيه والحمل على الوجوب والتخصيص بما اذا لم يرتضع الصبي الا من امه
او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد عن الاستيجار يأباه تعيين المدة والتعليق المذكور حولين كاملين
صفة مؤكدة لحولين كما في قوله تلك عشرة كاملة لانه مما يتسامح فيه كما في قوله الحج اشهر
لمن اراد ان يتم الرضاعة لمن اراد اتمام الرضاعة قيل متعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع

كالنفقة والام ترضع له وفيه ما مر من ان التعليق بالارادة لا يناسب الوجوب وتذنيبه على هذا لمن
قال ان النقصان عن ذلك والزيادة عليه عند وقوع الكفاية بما دونها والحاجة الى الزيادة جائز
انه حيث علق ذلك بالارادة وعلى المولود له اي الذي حكم له الولد شرعا بموجب قوله صلى
الله عليه وسلم الولد للفراش وان لم يكن والده حقيقة وله في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم
غير المغضوب عليهم والفرق بين المولود والولد باختصاص الاول بالصغر على ما ذكره المطرزي
نبني لطف موقعه ثم ان في العبارة المذكورة اشارة الى علة بناء الحكم في قوله وراودته التي هو
في بيتها لان الذي ولد له وجب عليه الرزق والكسوة اذا ارضعت ولده كالظئر بناء على ما تقرر
من ان الغنم بالغرم وعلى هذا يكون مونتها على المولى اذا ولد الولد من جاريته التي تحت نكاح
الغير لان المولود له حقيقة في هذه الصورة وتس ههنا انفتح ان المولود له اعم من الوالد لانه
ما لا يكون ما لا يكون والدا من صاحب الفراش والمولى رزقهن وكسوتهن اراد بالرزق الماكول
والمشروب ولهذا ذكر الكسوة بعده بالمعروف اي من غير اسراف ولا تقتير نظرا الى الجانبين
لا تكلف نفس الا وسعها الوسع ما احتملته الطاقة اي لا يحمل احد الا ما يطيقه فلا يكلف المولود
له ما لا يطيق من الاجر ولا الوالدة ما لا تستطيع من العمل ولا الرضا بما لا يكفيها من الاجر وهذا الآية
التي في سورة الطلاق فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن الى قوله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها
لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل لما تقدم وتقرير له اي لا يضار واحد
منهما الاخر بسبب الولد واضاعة الولد اليهما تارة واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه
على انه ضعيف بان ينفقا على استصلاحه والاشفاق عليه فلا ينبغي ان يضربه ويضار بسببه
وقرئ لا يضار بالرفع على الاخبار ويحتمل البناء للفاعل والمفعول على ان الاصل تضارر بكسر
الراء وتضارر بفتحها وقرئ لا تضار بالفتح على النهي وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى
تضر والباء من صلته اي لا يضر الوالدان بالولد فيفرطا في تعهده ويقصرا فيما ينبغي له وقرئ
لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره
وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما
معترض والمراد بالوارث وارث المولود له على العموم او الصبي نفسه او وارث الصبي على العموم
او بتقييد ان يكون ذا رحم محرم من الصبي بحيث لا يجوز بينهما النكاح على تقدير ان يكون احدهما
ذكرا والاخر انثى وبتقييد ان يكون احد اصوله من الآباء والامهات والاجداد والجدات او بتقييد
ان يكون من عصبته وانما جعل الوارث بمعنى الباقي وان كان صحيحا لغة فقلهم في هذا المقام
ان ليس لقولنا فالنفقة على الاب وعلى من بقي الاب والام معنى يعتد به وذلك اشارة
الى ما وجب على المولود له من الرزق والكسوة فان ارادا فصالا تفريع على ما تقدم من
تعليق اتمام الحولين على الارادة تصريح بالتوسعة بعد التحديد والفصال الفطام سمي به

لانه فصل بين الغذاء والصبي عن تراض منهما والتراضي اجتماعهما في المشورة وهي استخراج صو
الراي باشارة المستشار من شور العسل وهو اجتناؤه وانما اطلقه لينتظم تشاور احدهما الاخر
وتشاورهما الثالث ممن له خبرة في تربية الاطفال وتدبيرهم وانما اعتبرها لان الفطام قبل
تمام الحولين مظنة لحوق الضرر فلا بد من اتفاقهما اما المولود فلانه حقه واما الام لانها اعلم
بحاله وتربيته والدليل على ان المراد الفطام قبل التمام فلا جناح عليهما اي لا يتصور الجناح
بعد تمام مدة الرضاع وان اردتم ان تسترضعوها اي المراضع اولادكم يقال ارضعت
المراة الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتي واستنجحته اياها فحذف المفعول الاول
استغناء عنه لعدم الفصل الخصوص المرضعة فلا جناح عليهما اي لا يتصور الجناح بعد تمام
مدة الرضاع وان اردتم ان تسترضعوا اي المراضع اولادكم يقال ارضعت المراة الطفل
واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتي واستنجحته اياها فحذف المفعول الاول استغناء عنه لعدم
الفصل الخصوص المرضعة فلا جناح عليكم فيه وفيه دلالة على ان للاب ان يسترضع الولد
ويمنع الام عن الارضاع اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه وقرئ ما اتيتم
اي ما آتاكم الله واقدركم عليه بالمعروف متعلق بسلمتم اي سلمتم على وجه جميل الطلاقة والبشاشة
من طيب ما يكون من اموالكم على احسن ما يكون من اموالكم على احسن ما يكون من وجوه الاعطاء لتكون
طيبة مشفقة على الرضيع وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس التسليم شرط الجواز الاستيجار
بل هو مندوب اليه للتطييب نفس المرضعة ولهذا قيده بالمعروف واتقوا الله مبالغة في المحافظة
على ما شرع في الاسترضاع واعلموا ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد والذين يتوفون منكم
اي تقبض ارواحهم بالموت واصل التوفي اتمام القبض وقرئ يتوفون بفتح الياء يستوفون اعمارهم
وهو كناية عن الموت ويذرون ازواجا اي يتركون زوجات ويذر مستقبل امنت ماضيه
ومصدره وكذلك يدع يتربصن ينتظرن بانفسهن تقديره يتربصن لوفاتهم دل عليه
يتوفون وبه يحصل الربط بين المبتدا والخبر اربعة اشهر وعشرا اي يعتددن هذه المدة ولا
حاجة الى التاويل في عشرا لما نقل عن ائمة النحو انه اذا كان المعدود مذكرا وحذفته فلك فيه
وجهان احدهما وهو الاصل ان يبقى العدد على ما كان عليه لو لم يحذف المعدود فتقول صمت
خمسة تريد خمسة ايام والثاني ان يحذف منه كلمة التانيث فقوله عشرا على احد الجائزين
وحسنه هنا انه مقطع كلام يشبه بالفواصل واطلاق اللفظ يقتضي عدم بين الفرق بين
المسلمة والكتابية والحرة والامة والحامل وغيرها الا ان القياس اقتضى تنصيف المدة للامة
بالاجماع وخص الحامل عنه لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن فاذا بلغن
اجلهن اي انقضت عدتهن تفريع على التحديد المذكور فلا جناح عليكم ايها الائمة وجماعة
المسلمين فيما فعلن في انفسهن من التعريض للخطاب بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره شرعا

خبير

ودل بالنجوى على انهن لو فعلن ما ينكره الشرع كان عليهم الجناح والله بما تعملون خبير وعيد لهن
في ارتكاب المنكر وللائمة في التقصير عن المنع ولا جناح عليكم فيما عرضتم به التعريض ايهام المقصود
بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كانه امالة الكلام الى عرض على الغرض من خطبة النساء الخطبة
بالكسر اسم الحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المراة والمراد بالنساء
المعتدات وتعريض خطبتها ان يقال لها انك جميلة او نافعة ومن غرضي ان اتزوج ونحو
ذلك او اكننتم في انفسكم او اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه صريحا ولا تعريضا علم الله
انكم ستذكرونهن اي ستظهرون رغبتكم فيهن لقلة صبركم عن النطق به وفيه طرف من
التوبيخ على التحرز ابتداء عما ابيح لحكمه ولكن لا تواعدوهن سرا مستدرك عن محذوف
دل ستذكرونهن عليه اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر كناية عن النكاح بمعنى
العقد لانه سبب فيه الا ان تقولوا قولا معروفا استثناء مفرغ وان تقولوا نصب
على المصدر اي لا تواعدوهن مواعدة ما الا مواعدة معروفة وهي بالتعريض ولا تواعدوهن
بوجه الا ان تقولوا قولا معروفا غير منكر في الشرع ولا يجوز ان يكون استثناء منقطعا
لفساد المعنى وهو مواعدة هن التعريض وليس المراد مواعدة التعريض بل مواعدة النكاح
بالتعريض وقيل لا تواعدوهن في السر لان مسارتهن في الغالب انما هي مما يستحيى من
المجاهرة به لاستهجانه الا وقت ان تقولوا قولا جميلا غير منكر في الشرع على هذا ان تقولوا في
محل النصب بالظرف ويكون الموصول محذوفا اي لا تواعدوهن النكاح في السر ولا تعزموا
عقدة النكاح ولا تقصدوا عقدة النكاح قصدا جازما لا تردد معه نهى عن العزم ليكون
ابلغ في منع الفعل وتقدير المضاف لان العزم انما يكون ابلغ في منع الفعل وتقدير المضاف
لان العزم انما يكون على الفعل كالعقد لا على نفس العقد وقيل العزم القطع والمعنى لا تقطعوا
عقدها اي لا تبرموه ولا تلزموه ولا تعزموا عليه فيكون النهي عن نفس الفعل لا عن قصده
حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهي ما كتب من العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم
على ما لا يحل شرعا فاحذروه اي فاحذروا مواخذته بالمناهي الصادرة عن عزيمته ولما
كان السابق الى الفهم مما تقدم المواخذة بالعزائم على المناهي دفعه بقوله واعلموا ان الله
غفور لمن عزم ولم يفعل خشية من الله تعالى حليم لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بعدم المؤاخذة
بالعذاب عاجلا لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من ايجاب مهر ولزومه ان طلقتم النساء ما لم
تمسوهن المس كناية عن الوطي لان حقيقة المس لا يوجب المهر اذا لم يوجد خلوة صحيحة او
تفرضوا لهن فريضة انما جزم عطفا على تمسوهن اي ولم تفرضوا لهن فريضة او نصب بمعنى
الا ان او الى ان تفرضوا فرض الفريضة تعيين المهر وهي بمعنى المفروضة وفريضة نصب
على المفعول به فعيلة بمعنى مفعول والتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر وانما

اعتبر القيد ان المذكوران لانه يجب مهر المثل في المس وان لم يفرض لها شيئا ويجب نصف المسمى
اذا طلقها وان لم يمسها ومتعوهن عطف على مقدر اي فطلقوهن ومتعوهن اي ملكوهن
ما يتمتعن به ويسمى ذلك متعة واصل المتعة المتاع ما ينتفع به المتاع انتفاعا قليلا غير باق بل ينقضي
عن قريب وضمير النصب عائد الى المطلقات قبل المس وقبل الفرض والحكمة في شرع المتعة
جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى راي الحاكم بويته قوله على الموسع قدره وعلى المقتر
قدره يقال اوسع الرجل اتسع حاله فصار ذا سعة وغنى والمقتر المقل من قتر اذا افتقر
وقرئ قدره بفتح الدال وبتسكينها او هما لغتان اي على كل من الذي له سعة ومن الفقير الضيق
الحال قدر يساره واعساره اي ما يطيقه ويليق به لان الحد الذي يطيقه هو الذي يختص به
ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لانصاري طلق امراته المفوضة قبل ان يمسها متعها
ولو بقلنسوتك اما لانها لا تساوي شيئا ولكن احببت ان احيي السنة متاعا تمتعا بالمعروف
بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروة حقا صفة لمتاعا اي متاعا واجبا او مصدرا
موكدا اي ذلك حقا على المحسنين على الموصوفين بالاحسان من صحاب المروات والذين يحسنون
الى المطلقات بالتمتيع وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا ولما اتى بعبارة ظاهرة في
الوجوب تاكيدا في الحث واهتماما في الترغيب دفع ذهاب الوهم اي بمعنى الايجاب حقيقة بعبارة
المحسنين لما فيهما من الاشارة الى انه بطريق الاحسان لا بطريق الالزام وسمي هذه الاشارة على
ما في قوله تعالى ما على المحسنين من سبيل من التنصيص على عدم الايجاب فيما يكون احسانا وان
طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم
قسيمها فنصف ما فرضتم فيه دلالة على الجناح المنفي ثمة تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير
لانه قسيمها الا ان يعفون الاستثناء مفرغ وان يعفون نصب على الظرف اي فعليكم
او فالواجب نصف ما فرضتم لا يحل لكم منعه ابدا الا وقت ان يعفون والنون ضمير المطلقات
في طلقتموهن محلها الرفع بالفاعلية والواو لام الفعل وقد يشتبه في اللفظ بفعل جماعة الذكور
يقال الرجال يعفون والفرق ان الواو حينئذ ضمير الرجال والنون علامة الرفع والفعل
على الاول مبني ولذلك لم يؤثر فيه ان ونصب المعطوف عليه او يعفو الذي بيده
عقدة النكاح وهو الزوج لان الطلاق بيده عقدة النكاح العقد بيده والمراد ان يعطيها
المهر كله واطلاق العفو عليه بطريق المشاكلة وقيل هو ولي الصغيرة والمراد العفو على
حقيقة وهذا لا يصح لانه لا يملك التبرع بحق الصغيرة ولا بحق الكبيرة بغير رضاها
وان تعفوا اقرب للتقوى خطاب للازواج وكذا قوله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم اي
فضل الرجال على النساء ندب الزوج الى كمال المهر اظهارا للمروة واقتصارا للفتوة ان الله
بما تعملون بصير اي لا يضيع تفضلكم واحسانكم حافظوا على الصلوات بالاداء لوقتها

والمداومة عليها والامر بها في تضاعيف احكام الاولاد والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشأنهم
عنها والصلاة الوسطى أي المتوسطة بين الصلوات الخمس ثنتان نهاريتان وثنتان ليليتان
وهي صلاة العصر لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى
صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وانما افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل
لكونها اشق لاشتغال الناس في وقتها بتجاراتهم قيل معنى الوسطى الفضلى من قولهم للافضل
الاوسط وقرئ والصلاة الوسطى بالنصب على المدح والاختصاص وقوموا لله في الصلاة
قانتين ذاكرين له تعالى في قيامكم والقنوت الذكر في القيام وقال زيد بن ارقم كنا على
عهد النبي صلى الله عليه وسلم يكلم احدنا صاحبه في الصلاة بحاجته حتى نزل قوله
تعالى وقوموا لله قانتين اي ساكتين فان خفتم من عدو او غيره فرجالا اي
فحافظوا عليها في حال الخوف ايضا ولا تؤخروها وصلوا رجالا وهي جمع راجل وهو القائم
على الرجل او رجل بمعناه ويجوز لهم اداؤها بالجماعة او ركبانا هي جمع راكب ولهم ان
يصلوا جماعة عندنا ولا في حال المشي والمسابقة ما لم يمكن الوقوف وعند الشافعي رحمه
الله يصلون في كل حال اخذا بما في هذه الاية من الاطلاق فاذا امنتم اي زال خوفكم
فاذكروا الله فصلوا صلاة الامن والذكر الصلاة كما علمكم اي صلوا طائفة واحدة من
غير انصراف وفي حالة الخوف يصلون طائفتين وتنصرف كل طائفة الى العدو وعند تمام ركعة
على ما يأتي بيانه في سورة النساء باذن الله تعالى ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا قد مر تفسيره وصية لازواجهم قرئ وصية بالنصب
على تقدير حق الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا وكتب الله عليهم وصية ويؤيده قراءة
كتب عليكم الوصية لازواجكم الخ وقرئ بالرفع على تقدير وصية الذين يتوفون او حكم
الذين وصية او والذين يتوفون منكم اهل وصية او كتب عليهم وصية متاعا الى الحول
نصب بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية وبمتاع على قراءة من قرأ متاع لازواجهم لانه
بمعنى التمتيع غير اخراج مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او بدل من
متاعا او حال من الازواج اي غير مخرجات والمعنى يجب على الذين يتوفون عن ازواج
ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم بان تمتعن بعدهم حولا كاملا اي ينفق عليهن من
تركتهم ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله تعالى
اربعة اشهر وعشرا ونسخت النفقة بالارث الذي هو الربع والثمن والناسخة وان
كانت مقدمة في التلاوة لكنها متأخرة في النزول والسكنى لها بعد ثابتة عند الشافعي
خلافا للحنفية فان خرجن من البيت من غير اخراج الورثة او من العدة بانقضاء
الحول فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن من معروف من تزين والطلب

الزوج على وفق الشرع وهذه الاية متقدمة في النزول وان تأخرت في الترتيب ولهذا جاء
المعروف منكرا هنا ومعروفا فيما سبق وفيها دلالة على انها لا تجب عليها ملازمة مسكن الزوج
والحداد عليه بل هي مخيرة بينها واخذ النفقة بين الخروج وتركها وهذا من تمام ما كان
في مبتدأ الاسلام والله عزيز اي منتقم ممن عصاه حكيم مصيب فيما حكم
وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين هم المطلقات باستحباب المتعة لهن بعدما
خص واحدة منهن به وهي غير المدخول بها كذلك اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدة
يبين الله لكم آياته وعد بانه تعالى يبين لعباده ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا من الاحكام
ودلائلها لعلكم تعقلون لتعقلوا اي لتستعملوا عقولكم في فهمها والتفكر فيها والاستنباط
غير المنصوص الم تر كلمة تجري مجرى المثل في التعجب يخاطب بها من لم ير ولم يسمع ما بعدها
وهي تقرير لمن يسمع بالقصة من اهل الكتاب واخبار الاولين وتعجيب في شأنهم والخطاب لكل
واحد الى الذين خرجوا من ديارهم روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيها الطاعون
فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا ان لا مفر من حكم الله تعالى وقضائه وقيل
قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم
وهم الوف كثيرة واختلف في عددها بما لا يجدي وهذا تشجيع للمسلمين بان الموت اذا لم يندفع بشيء
ولم يكن منه بد فاولى في سبيل الله والدليل عليه الامر بالقتال بعده وهم الوف الواو للحال
حذر الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا اي اماتهم الله تعالى بالامر التكويني دفعة واحدة
على خلاف العادة ثم احياهم اي اماتهم موت عقوبة او تنبيه لا موت انقضاء آجال ثم اعادهم
احياء ليستوفوا بقية اعمارهم ان الله لذو فضل على الناس حيث يبصرهم ما يعتبرون به ويستبصرون
من اقتصاص خبرهم كما بصر اولئك الاماتة والاحياء او حيث احياهم ليعتبروا وينالهم وليتفقهوا
بالبعث ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يشكرون كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار
والاستبصار فكان مقتضى الحال الاضمار وانما اعيد اسم الظاهر لما فيه من الايماء الى سبب
الغفلة عن النعمة وقاتلوا في سبيل الله عطف على المعنى على الم تر لانه في معنى انظروا
وتفكروا فيما بين ان الفرار عن الموت غير نافع وان المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال
اذ لو جاء اجلهم ففي سبيل الله والا فالنصر والثواب ويرد عليه انه تعالى نهى عن القاء النفس
الى التهلكة ولم يكن في الاختيار نفعا لما نهي عنه واعلموا ان الله سميع يسمع ما يقول له المتخلف
والسابقون عليم بما يضمرونه فيجازيهم بحسبه من ذا الذي يقرض الله من استفهامية
مرفوعة المحل بالابتداء وذا خبره والذي صفة ذا او بدله واقراض الله تعالى مثل لتقديم
العمل الذي يطلب به ثوابه قرضا حسنا اقراضا حسنا بكونه حلالا وقيل المراد
من القرض الانفاق في سبيل الله تعالى ويؤيده انه تعالى في ابي الدحداح حين تصدق

بحديقة له فيضاعفه فيضاعف جزاءه له اخراج على صورة المغالبة للمبالغة وقرئ
بالنصب على جواب الاستفهام حملا على ان المعنى ايقرض الله احد وقرئ فيضعفه بالرفع
والنصب اضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب او المفعول الثاني
على تضمين يضاعف معنى يصير او المصدر وجمعه للتنويع كثيرة كثرة لا يقدرها الا الله
والله يقبض ويبسط يقتر على بعض ويوسع على بعض حينا ويبسط لاخر ويقبض في حال ويبسط في اخرى حسبما اقتضت حكمته
يقبض اذا اقبض حتى لا طاقة ويبسط اذا بسط حتى لا فاقة اي لا تخافوا الاقلال بالانفاق
ولا تظنوا انفاد السعة بالامساك فان الله تعالى هو الموسع والمضيق لا الامساك والانفاق
سهل هذا عليهم الاقراض واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم وفيه تنبيه على ان الغني فان
ماله بالموت فليبادر الفوت الم تر الى الملا من بني اسرائيل الملا الجماعة الاشراف يجتمعون للتشاور
وقيل هي الملاءة التي هي القدرة فهم قوم لا حاجة الى الزيادة فيما اجتمعوا له لقدرتهم عليه لاو
له كالقوم ومن للتبعيض من بعد موسى اي من بعد وفاته ومن للابتداء اذ قالوا لنبي لهم
اختلفوا فيه والاشهر الاظهر انه اشمويل من نسل هارون عليه الصلاة والسلام ابعث لنا ملكا
انهض لنا اميرا نقاتل في سبيل الله نقاتل بالنون والجزم جواب الامر وقرئ بالرفع حالا اي
اي ابعث لنا مقدرين القتال واسبانا كانه قيل كيف تصنعون بالملك قالوا نقاتل في سبيل الله
وقرئ بالياء والجزم جوابا وبالرفع صفة للملك قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا
معنى الاستفهام في هذا التقرير والتثبت اذ المتوقع كاين وانه مصيب في ظنه وتوقعه كما في قوله
تعالى هل اتى على الانسان وخبر عسيتم ان لا تقاتلوا والشرط اعتراض بينهما وجوابه محذوف مدلول
عليه بقوله عسيتم اي كتب عليكم القتال خفت ان تجبنوا ولا تقاتلوا اراد ان تقول عسيتم
ان لا تقاتلوا اي اتوقع منكم الجبن من القتال فادخل هل للتقرير لما توقعه قالوا وما لنا
الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا اي داع لنا الى ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه
من الاخراج عن الديار وابنائنا اي متفردين عنهم على تضمين الاخراج معنى الانفراد
والديار المبالغ من الاوطان لما في الاخراج عنها من الدلالة على استعلاء العدو عليهم واما
ذكر الابناء دون الاولاد المنتظمة للبنات فلعدم اسبابهن لعرب بهن فلا يشق الانفراد عنهن
بل هم يانفون عن انتساب اليهم فلا يرضون لا طهار التعلق بهن ومن لم يتنبه لما ذكر فرد في
تفسيره الاوطان بدل الديار والاولاد بدل الابناء ولم ير ما فيه من سوء الادب حيث اوهم
فضل البدل ومن احسن من الله قيلا وليس كلام المعجز بدلا يبقى ههنا شيء اخر لا بد من التنبيه له
ايضا وهو انهم عللوا القتال لما يرجع الى حظوظهم فخذلوا ولو قالوا كيف لا نقاتل وقد عصوا
الله وحربوا بلاده وقهروا عباده لو نفروا روي ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا
يسكنون ساحل البحر بحر الروم بين مصر وفلسطين وظهروا على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم

وسبوا

وسبوا اولادهم فلما كتب عليهم القتال لما قالوا ذلك دعا نبيهم الله تعالى وسال لهم ملكا فاجابه
الله تعالى الى ذلك ونصب لهم طالوت ملكا وفرض عليهم القتال فكان منهم طاعنة هو الذي
دعاهم الى ذلك نتابعوه وكانوا يرجون ان يملك عليهم فما ملك الا الله تعالى غيره
نكصوا على اعقابهم وكرهوا القتال في قوله فلما كتب عليهم القتال فضيحة والقول الاول ذكره
تقدم وقوعا وان كان موخرا ذكرا الا قليلا منهم ثلثمائة وثلاثة عشر بعدد اهل بدر
والله عليم بالظالمين وعيد لهم وتسجيل عليهم بالظلم في القعود عن القتال ولذلك وضع الظاهر
موضع المضمر وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم صرح بنسبة البعث الى الله تعالى تعظيما
لشان المبعوث ودفعا لذهاب الى ان يكون تعيينه عن ميل ونسبته اليه طالوت علم عجمي
وامتناعه عن الصرف يابى عن ذلك الا ان يقال اسم عبراني وافق عربيا كما وافق حنطة
وبسم الله رحمانا رحيما بسم الله الرحمن الرحيم ملكا روي ان نبيهم دعا الى الله تعالى حين
طلبوا منه ملكا فاتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا
انى يكون له الملك علينا اي يعني كيف كما في قوله انى يؤفكون استبعدوا تملكه عليهم والواو
في ونحن احق بالملك منه والحال وفي ولم يؤت سعة من المال عاطفة فاشتمت
الجملتان في حكم الحال اي والحال احق بالملك ومكنة وانه فقير لا مال له حتى يتشرف به اذا
فاته نسب المملوك وانما قالوا ذلك لان الملك كان في اولاد يهوذا وكان فيهم من سبطه
خلق كثير اغنياء وطالوت كان فقيرا من سبط ابن يامين ولم يكن فيهم الملك ولا النبوة
فانها كانت في اولاد لاوي ذكروا العلة عن استحقاق الملك وجهين احدهما في الخارج والاخر
في نفسه وقدموا ما في الخارج اخذا الطريقة الترقي قال ان الله اصطفاه اختاره عليكم
اصل الاصطفا اخذ صفوة الشيء والقاء ما سواه ان لم يكن له نسب ولا نشب فله فضيلة
ذاتية على ما نبه عليه بقوله وزاده بسطة في العلم قدمه لكونه اقدم في الاعتبار والجسم
طولا وعرضا لما في انكروا تملكه عليهم اجابهم بالجملة التاكيدية المصدرة بان وقدم المسند
اليه وبنى الله على الفعل للتخصيص وتاكيدا لنسبة الى الله تعالى هو الذي اصطفاه عليكم
دون غيره وهو اعلم بمصالح الحكم منه لا اعتراض على حكمه ثم ذكر خصلتين كالبرهان وبيان
حكمه في اختيار انهما اقوى من باب الملك واولى بجانبه من النسب والمال وهما العلم والحسنة
ليتمكن من معرفة امور السياسة ويكون اعظم خطرا في القلوب واقوى على مقاومة
العدو ومكابدة الحروب اطلق العلم ووصفه بالبسطة فيه وفي الجسم ليندرج تحته
العلم الذي طلبوه لاجله وهو المعرفة بامر الحرب والله يؤتي ملكه من يشاء قدم المسند
اليه لافادة الاختصاص اي الملك له خاصة غير منازع فيه فهو يؤتي ملكه من يشاء دون
غيره بسبب استصلاحه لذلك والله واسع اي واسع الفضل والعطا يوسع على من ليس

تولوا

له سعة من المال ويغنيه من الفقر عليم بمن يصطفيه للملك وان لم يكن من نسل الملوك
فقوله واسع رد لقولهم ولم يؤت سعة من المال كما ان في قوله ان الله اصطفاه رد
لقولهم ونحن احق بالملك منه يعني انه مصطفى مثل من ينسبون اليه وليس المالك كالمستعير
وقوله عليم تكميل حسن يدل على ان اصطفاه واياه من علم وحكمة لا عن جهل وسفه وقال
لهم نبيهم لما طلبوا منه حجة على انه تعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت
التابوت صندوق فيه التوراة فعلوت من التابوت صندوق بمعنى الرجوع لانه ظرف يوضع
فيه الاشيا فلا تزال ترجع اليه ما يخرج منه وليس بفاعول نحو سلس وقلق ولانه تركيب
غير معروف فلا يترك المعروف اليه ومن قراه بالها فلعله ابدله من تاء التانيث لاشتراكهما
في الهمس والزيادة فيه سكينة ما به تسكنون اليه من ربكم اي من فضله والضمير للتابوت
لا للاتيان لقوله وبقية فانها تاتي عنه والبقية مثل في الجودة والفضل يقال فلان من بقية
القوم اي من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا وذلك لان الرجل يستبقي
مما يخرجه اجوده وافضله مما ترك آل موسى وآل هارون رضاض الالواح وعصا موسى
وثيابه وعمامة هارون والآل مقحم لتفخيم شانهما كما في قوله صلى الله عليه وسلم يا ابا موسى لقد
اوتيت مزمارا من مزامير آل داود تحمله الملائكة حال من التابوت قيل رفعه تعالى بعد موسى
عليه الصلاة والسلام فنزل به الملائكة وهم ينظرون اليه ان في ذلك اي في اتيان التابوت
والملائكة تحمله لاية عظيمة لكم ان كنتم مؤمنين من كلام النبي صلى الله عليه وسلم
لان المقام لا يتحمل الخطاب من الله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود قبل هذا جمل محذوفة
اي فجاءهم التابوت واقروا لطالوت بالملك وتاهبوا للخروج والفا فصيحة والبا في الجنود
للملابسة اي متلبسا بالجنود سواء كان لازما بمعنى انفصل عن بلده او متعديا بمعنى فصل نفسه
عنه فان الفصل في التعدي والفصول في اللازم لغتان مثل وقفه وقفا ووقف وقوفا
والجنود جمع الكثرة للجند والاجناد جمع القلة له والجند الجيش لانه ماخوذ من الجند وهو
الارض الغليظة الشديدة روي انهم لما فارقوا بلدهم سلكوا مفازة وكان الوقت قيضا
فسالوا ان يجري الله تعالى لهم نهرا قال طالوت ان الله مبتليكم بنهر معاملكم معاملة
مختبر بما اقترحتموه كان في جنبة طالوت المخلص والمنافق فميز بينهم بالما كالذهب والفضة
تميز الخبث منهما الخالص من غيره بالنار والنهر بفتح الها وتسكينها المجرى الواسع للماء وكل
ثلاثي حشوه حرف حلق فتسكينه وفتحه لغة كالشعر والنحر والذاب فمن شرب
منه فليس مني اي فليس متصلا بي ولا متحدا معي من قولهم فلان مني كانه بعضه لاملاطفته
واتحادهما ويجوز ان يراد فليس من جملتي واشياعي ومن لم يطعمه فانه مني الطعم الذوق
ويقع على الاكل والشرب الا من اغترف غرفة بيده الغرف اخذ الماء بالة كالكف والغرفة

تام

بالفتح

بالفتح المرة من هذا الفعل والغرفة بالضم قدر ما يغرف بالكف من الماء واصل الغرف بالكف
من الماء القطع ومنه الغرفة التي هي العلية قطعة البنا استثنى من الشرب الممنوع هذا النوع وقد
علم الجملة الثانية لان مدلولها مفهوم منه بطريق الدلالة وانما ذكرت تتميما للجمل الاولى لما
فيها من الترغيب الى الانتهاء بالنهي المذكور وحقها ان تذكر عقيبها قبل الاستثناء المزبور وطالوت ان كان
نبيا فله ان يعرف ذلك بالوحي والا فبالالهام او باخبار من النبي فشربوا منه اي فكرعوا فيه
اذ الاصل في الشرب منه ان لا يكون بواسطة وتعميم الاول ليتصل الاستثناء وقرئ الا قليلا
بالنصب على الاستثناء وبالرفع على انه تابع المرفوع قبله لان الكلام اذا كان موجبا جاز فيما بعد الا
النصب وهو الافصاح والاتباع بما قبله ان رفعا فرفع او نصبا فنصب او جرا فجر وليس هذا
من مواضع الميل الى المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا والقليل على ما قيل كانوا ثلاثمائة وثلاثة
عشر رجلا الا قليلا منهم فلما جاوزه هو اي قطع طالوت النهر والذين آمنوا معه اي
القليل الذي لم يخالفوه وفي التعبير عنهم بما ذكر دلالة على ان المخالفين لم يكن مخلصين في دعوى
الايمان فاما زاد قوله معه لافادة معنى المتابعة اياه والموافقة له ولما افترقوا فرقتين كان
لكل فرقة ما يليق بشانه وعدم العطف بين القولين لعدم جمعهما مقام واحد وسياق كلام واحد
قالوا اي الذين تخاذلوا على ما نص عليه ابن عباس رضي الله عنهما قالوا ما قالوا اعتذارا الى الخالف
وتخذيلا للمقدمين على القتال لا طاقة لنا اليوم بجالوت اي بقتال جالوت وجنوده
لكثرتهم وقوتهم وفي عبارة الجنود دلالة على هذا على ما نبهناه فيما سبق قال الذين يظنون انهم
ملاقوا الله الظن على حقيقته ومعنى ملاقوا الله انهم يستشهدون في ذلك اليوم لعزمهم
على صدق القتال وصدقهم في عزمهم او بمعنى الايقان اي يوقنون بالبعث على ان معنى ملاقوا
الله راجعون اليه في القيامة ويجزون باعمالهم وعلى هذا المعنى من الملاقاة يجوز ان يكون الظن
على اصله ويكون القصد الى انه يكفي للعمل فكيف باليقين كم من فئة قليلة كم كلمة تكثير ومن
مبينة او مزيدة للتاكيد والفئة الفرقة من الناس من فاوت راسه اي شققته او من
فاء اذا رجع غلبت فئة كثيرة كم مبتدا خبره غلبت باذن الله والله مع الصابرين
بتيسيره وهذا تحريض على القتال ولما برزوا لجالوت وجنوده المبارزة في الحرب
ان يظهر المحارب لقرنه بحيث يراه قالوا ربنا افرغ علينا صبرا الافراغ صب الماء
استعير للاكمال والاكثار وثبت اقدامنا اي في المعركة كي لا تزل ولا تزول
وانصرنا على القوم الكافرين التجاؤا علينا عليهم واستعانتهم التجاء الى الله تعالى بالدعاء
وفيه ترتيب بليغ اذ سالوا اولا افراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات
القدم في مدحض الحرب المسبب منه ثم النصر على العدو المترتب عليهما فالباء ثم اشاروا
بتوصيف القوم بالكافرين الا انهم يطلبون النصر لا للانتقام منهم بفعلهم بهم بل لانهم

كفار واعداء لرايهم فهزموهم الفاء فصيحة وقبله مضمر اي فاستجاب الله دعاءهم ونصرهم
والهزيمة رفع الشي بقوة حتى يدخل بعضه في بعض والمهزام خشبة يحرك بها الجمر
ويدفع بعضه على بعض باذن الله بعونه وتيسيره وقتل داود جالوت لم يبين الله
تعالى كيفية القتل الا انه اشار في سياقه الى انه كان بسهولة واتاه الله الملك اي
ملك بني اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود عليه السلام على ملك والحكمة والنبوة بها وضع الامور
مواضعها فاتاه ملك طالوت ونبوة نبيهم وجمع له كليهما وكان قبله الملك في سبط والنبوة
في سبط وعلمه مما يشاء من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب وغير ذلك
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ولولا ان الله يدفع بعض الناس ببعض ويمنع فسادهم
الارض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين ولكن الله يبسط الفضل على
العالمين بنصرة المصلحين على المفسدين تلك ايات الله اشارة الى ما نقص من حديث
الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود عليه الصلاة
والسلام جالوت نتلوها عليك بالحق بالصدق واليقين الذي لا ريب فيه لاهل
الكتاب اذ هي في كتبهم لذلك وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير كتاب ولا سماع
اخبار تلك الرسل اي المذكورة في السورة كلها او المعلومة لك بالوحي فضلنا بعضهم
على بعض بحسب درجاتهم في الزلفى وتفاوت مراتبهم في الاصطفا منهم من كلم الله تفصيل
للتفضيل اي خاطبه الله تعالى بكلامه الازلي بلا واسطة وهو موسى عليه الصلاة والسلام
لقوله تعالى وكلم الله موسى تكليما ورفع بعضهم درجات بان فضله على غيره من وجوه
متعددة وبمراتب متباعدة وهو محمد عليه الصلاة والسلام المفضل عليهم حيث اوتي ما لم
يؤت احد منهم والابهام لتفخيم شانه كانه العلم المتعين لهذا الوصف المستغني عن التعيين
والتنكير درجات يعضده في تعظيم شانه واتينا عيسى ابن مريم البينات خصه بالتعيين
لافراط اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها ايات
ظاهرة وبينات باهرة لم يستجمعها غيره وايدناه بروح القدس قد مر تفسيره ولو
شاء الله ان لا يقتتلوا ما اقتتل الذين من بعدهم اي من بعد هؤلاء الرسل من بعد
ما جاءتهم البينات اي المعجزات الواضحات لاختلافهم في الدين وتشعب مذاهبهم وتضليل
بعضهم بعضا ولكن اختلفوا اي ما شاء لما اقتضاه حكمته فمنهم من امن ومنهم
من كفر لا لتراجم دين الانبيا عليهم الصلاة والسلام بتوفيقه ومنهم من كفر
لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتاكيد لكون الامور بمشية
الله تعالى ولكن الله يفعل ما يريد من تخصيص بعضهم بالسعادات والايمان وبعضهم
بالشقاوة والكفران قلنا الاستدراك بعد استعمال كلمة لو على قاعدة العربية ان

يذكر

الجزو الثالث

يذكر انتفاء الجزاء ليعلم انتفاء الشرط اي لكنهم اقتتلوا فعلم انه لم يشا عدم الاقتتال بل
ثبوته فثبت لانه يثبت ما يريده ايا ما كان قيل يوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء
عدلا ويرد عليه انه حينئذ يكون الخذلان عن باعث فيتقيد ارادته المتعلقة به
وباباه التعميم المستفاد مما ذكروا الاية دليل على ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام وان
كانوا اولي العزم من المرسلين متفاوتة الاقدار وانه يجوز تفضيل بعضهم على بعض
على التعيين ولا دلالة عليه في الاية نعم يجوز ذلك اذا وجد دليل قاطع لانه مما يتعلق
بالاعتقاد دون العمل حتى يكتفى فيه بالظن وانما يتعلق به ارادة الله تعالى فعلا كان
او تركا خيرا كان او شرا يقع وان ما ان كلما يقع انما يقع بارادته تعالى فلا دلالة عليه
فيها انما علم ذلك من مواضع اخر يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم اراد به
الواجب من الزكوة الظاهر الامر واتصال الوعيد به من قبل ان ياتي يوم لا بيع
لا كسب فيه لانه يوم جزاء لا يوم عمل وغير من كل الكاسب عملها ولا خلة لان الاخلا
يومئذ بعضهم لبعض عدو فان قلت ليوم زمرة المتقين مستثناة منهم قلت بلى لكن الوعيد
في حق من ترك الانفاق الواجب فالاستثنا المذكور لا يجديه ولا شفاعة يعني
ان تدارك ما فاتكم من الانفاق اما بالاتيان بعد الحصول لطريق المعاملة او المجاملة
اي الابراء ولا سبيل الى شيء من ذلك او لا كسب ولا خلة ولا شفاعة خصوصا في
اسقاط حقوق العباد وان الشفاعة لا تكون الا في زيادة الفضل لا غير
موضع بيانه وما خذ عنانه علم الكلام وانما رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم لانها في
التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد فتحها من نصبها على الاصل
والكافرون اي التاركون للزكاة وانما عبر عنهم بالكافرين تغليظا عليهم وزجرا
لهم كما في اخر الاية الحج حيث جعل ترك الزكاة في موضع اخر من صفات الكفار ولوازمهم
فهو على الاول استعارة تبعية او مجاز مشارفة وعلى الثاني كناية او مجاز لزوم هم
الظالمون هم الذين ظلموا انفسهم بترك الانفاق الواجب في غير موضعه الله
لا اله الا هو مبتدا وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وقيل خبره الحي القيوم
ولا اله الا هو معترض بينهما والمراد من الحياة في حقه تعالى البقا الذي لا سبيل اليه
للفنا مجازا وذلك لان الحياة بحسب اللغة عبارة عن قوة مزاجية تقتضي الحس والحركة
ولا صحة لهما في حقه تعالى فلا بد من المصير الى المعنى المجازي المناسب له وهو البقا
وانما وضعناه باذكر لانه مستند الى خالقه تعالى فلا يمكن زواله وانما الذي ذكره المتكلمون
بقولهم الحي الذي لا يصح ان يعلم ويقدر فمعناه الاصطلاحي الحادث فلا مساغ لحمل
ما في الكلام المتقدم عليه حيث لا يعرفه اهل اللسان ووقت نزول القران وقد ورد

صاحب الكشاف مثل هذا في تفسير قوله تعالى يجعلون اصابعهم في اذانهم وجوزه هنا
والقيوم القائم بذاته المقوم لغيره وقيل الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعود
من قام بالامر اذا حفظه لا تاخذه الاخذ التناول ومنه اخذ الشارب قصته وقطع
شيء من شعره سنة السنة ثقلة من النعاس وفتور يعتري المزاج قبل النوم وليست
بداخلة في حكم النوم على ما دل عليه قول عدي بن رقاع وسنان اقصده النعاس فرنقت في
عينه سنة وليس بنائم ولا دلالة فيه على ان السنة هي النعاس كما توهم ولا نوم النوم
حالة تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة
بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس راسا لا يعتريه ما يعتري المخلوقين من الغفلة
والملال والفتور في حفظ ما هو قائم بحفظه ولا يعرض له عوارض التعب المحوجة
الى الاستراحة فيستريح بالنوم والسنة فالجملة بيان للقيوم بانه مهيمن على ما يقومه غير غافل
عنه وتاكيد لقوله حيا فان من اخذه سنة او نوم كان موؤف الحيوة ولذلك ترك
العاطف فيه وتقديم السنة على النوم على قياس المبالغة في الترقي فان سلب السنة واذا
كان ابلغ من سلب النوم لكن سلب اخذها ليس ابلغ من سلب اخذه لما فيه من القوة
لمن يقدر على دفعها قد لا يقدر على دفعه لمن وهم ان قياس المبالغة عكسه فقد وهم
حيث لم يفرق بين سلبهما وسلب اخذهما وايضا السنة من طلايع النوم ومقتضيات
سببه السابقة عليه نفي النوم بعد نفيها باعتبار انه يستلزم نفي سببه يكون ابلغ واما
نفي التشبيه فقد حصل بالحي القيوم المغني المراد منهما له له ما في السموات وما في الارض
بيان وتقرير بنفي السنة والنوم لان الذي يملكهما وما فيهما يحفظهما وما فيهما بتدبير
فلا يمكن ان ينام والا لزال التاعن النظام ولهذا ترتب على ما قبله من غير حرف عطف
ولو كان تقريرا للقيومية كما قيل لا يجدي ما قبله في هذه الجهة فكان حقه ان يرتب
عليه بحرف عطف والمراد بهما فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنها متمكنا
فيهما فهو ابلغ من قوله له ما في السموات والارض وما فيهن ولما ذكر مالكية للكل
بين ذلك بقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه اي مالكيته وكبريائه ان
لا يمالك يوم القيامة الا من اذن له لقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن
ثم بين ذلك بقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اي ما كان قبلهم وما يكون
بعدهم فكيف يجالهم ومن احاط علمه باحوال الخلق كلها يعلم المستوجب للشفاعة وغيره
والضمير لما في السموات والارض لان فيهم عقلاء او لما دل عليه من ذا الذي من الانبيا
والملايكة عليهم الصلاة والسلام ولا يحيطون بشيء من علمه اي معلومه كانه ثم
المصدر يقع على المفعول يقال في الدعا اللهم اغفر علمك فينا اي معلومك وعطفه

على قبله لان مجموعها يدل على تفرده بعلم من يستحق الشفاعة وغيره وانما فصل المعطوف
عليه عما قبله لما اشرنا اليه من انه مبين لما قبله واما على ما قيل ان مجموعها يدل على
تفرده في العلم الذاتي التام الدال على وحدانيته فلا يظهر وجه الفصل المذكور كما لا
يخفي الا بما شا اي يعلم به من المعلومات وسع كرسيه السموات والارض بيان
لشمول علمه واحاطته وسعته وبسطته فانه لم يحقق عندنا السموات والارض على سبيل
التمثيل والتخييل بتصوير امر المعنوي بالصورة الحسية ولا كرسية ولا تعود ولا
تاعد كقوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه من
غير تصور قبضته وطي ويمين فيل تصوير لعظمته وتمثيل ولا على هذا لا يظهر وجه الفصل
عما قبله وعلى ما ذكرنا فقد ترتبت الجمل الخمس متاخية متعانقة كل منهما تبين ما ترتب عليها
مقررة لمعناها فلا سبيل للعاطف بينهما لكمال الاتصال بين معانيها وعن الحسن الكرسي هو
العرش وقيل انه تعالى خلق كرسيا بين يدي عرشه دونه السموات والارض وهو
الى العرش كاصغرني وعرش الخلق للجلوس عليه والكرسي لوضع القدمين عليه وتعالى
الله عن ذلك علوا كبيرا كما ان بيت الناق جعل للسكنى فيه والله تعالى جعل الكعبة بيته
وتعالى ان يسكنها انما المراد ان ما في السموات والارض لا يغيب عنه كما لا يغيب عمن
جلس على السرير ما تحت فيه واصل الكرسي في اللغة هو المراكب والكراسي سميت بها التراكب
بعض ادراقها على بعض والكريز البعر والبول اذا التبد بعضه على بعض ولا يؤده
ولا يثقله ولا يشق عليه حفظهما حفظ السموات والارض وانما ثني مع ان السموات
جمع ردا الى الجنس والاود الاعوج الذي يعرض من الاعتماد عليه بالثقل وهو العلي
العظيم اسمان جامعان لكلام التوحيد فالعلي هو المتعالي عن الصفات التي لا تليق به
والعظيم هو الموصوف بكل الصفات التي لا تليق به قيل تذاكر الصحابة رضي الله عنهم
افضل ما في القران فقال لهم علي رضي الله عنه اين انتم عن اية الكرسي ثم قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي سيد البشر ادم وسيد العرب محمد ولا فخر
وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال طور سينا
وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القران وسيد البقرة اية الكرسي وفيه
نظر لان قوله سيد البشر ادم وسيد العرب محمد يفصح تفضيل ادم على محمد وهو خلاف
ما انعقد عليه الاجماع وما روي في الحديث الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم
انا اكرم الاولين والاخرين على الله ولا فخر ويمكن ان يقال ان ادم عليه الصلاة والسلام
ويمكن ان يقال ان ادم عليه الصلاة والسلام سيد البشر في الدنيا ومحمد عليه الصلاة
والسلام سيد البشر في الاخرة على ما افصح عنه بقوله انا سيد ولد ادم يوم القيامة

ولا فخر وبيدي لوا الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي اخرجه صاحب
المصابيح عن ابي سعيد الخدري ولا خفا في ان السيادة في الاخرة راجحة على سيادة الدنيا
والفضل لنبينا عليه وعلى سائر الانبيا عليهم الصلاة والسلام وانما فضلت اية الكرسي لاشتمالها
على توحيد الله تعالى وصفاته كما فضلت سورة الاخلاص لافصاحها عن التوحيد الذاتي وان
شرف العلم بشرف المعلوم والموضع ولا معلوم اجلى واعلى من الله ولا مذكور اعظم ولا احمل
منه فلا ذكر اشرف ولا افضل لا اكراه في الدين اي لا الزام على الدين الحق وهو الاسلام
لما يضطره الى قبوله اذ الاكراه في الحقيقة انما يكون بحمل الغير على ما يرى فيه خيرا فعلا كان
او تركا قد تبين الرشد من الغي استيناف تعليلي فلا وجه لتقدير ولكن اي تميز الايمان
من الكفر بالايات الواضحة ودلت الدلايل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر
بالايات الواضحة ودلت الدلايل على ان الايمان غي يودي الى الشقاوة السرمدية والعاقل
متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج الى الاكراه
والالجاء وقيل هو اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين وهو اما عام منسوخ بقوله
تعالى جاهدوا الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب لانهم حصنوا انفسهم
واسوا لهم باذا الجزية روي انه كان لانصاري ابنان فتنصرا قبل ان يبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا
فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصاري ايدخل بعضي النار وانا
انظر اليه فنزلت فخلاهما والغي ضد الرشد تقول غوي يغوي غيا وغواية سلك خلاف
طريق الرشد فمن يكفر بالطاغوت بكل معبود سوى الله تعالى ولا يلزم اطلاق الطاغوت
على عزير وعيسى والملايكة عليهم السلام لان عبادهم في الحقيقة قد عبدوا الشيطان على ما يأتي
تفصيله في تفصيل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وبهذا التفصيل
انفتح فساد ما قيل الطاغوت كل ما عبد من دون الله مما هو مذموم في نفسه ولا يرد عليه
عيسى عليه الصلاة والسلام لانا قيدنا بالذم لعدم الحاجة حينئذ الى زيادة القيد المذكور
بل لا وجه له كما لا يخفى وتبين الخلل فيما قيل الشيطان او الاصنام اوكل ما عبد من دون
الله او صد عن عبادة الله والطاغوت من الطغيان وهو مجاوزة الحد في الشر واصله طغووت
وهو مقلوبه من الطغووت على وزن فعلوت ثم جعلت الواو الفا لفتحة ما قبلها ويؤمن
بالله عدي فعل الايمان بالباء والمقصود التصديق وهو متعد بنفسه لانه نقيض الكفر
المتعدي بالباء ومن ذا يهم حمل النقيض على النقيض فقد استمسك او تمسك عن قصد
وطلب والفعل الاختياري اذا كان مسبوقا بذلك يكون حصوله على اكد وجه ولهذا
تؤثر هذه الصيغة في مقام المبالغة ومن لم يتنبه لهذا قال في تفسيره طلب الامساك من نفسه

بالعروة

بالعروة الوثقى بما هو اوثق من المتمسكات المحكمة المامون انقطاعها والظاهر ان الاستمساك
بالعروة الوثقى كالاعتصام بحبل المتين مثل في كل اعتقاد ومطابق لا يحتمل النقيض وهو
تشبيه للمعقول المعلوم بالبرهان بالمحسوس المشاهد ولا مجاز ولا استعارة في مفرداتها والقول
بالاستعارة في العروة تنزيل الكلام عن درجة العليا الى الدرجة العالية كما لا يخفى على من
له كعب عال في صنعة البلاغة لا انفصام لها الفصم بالفا القطع بلا ابانة القصم بالقاف
القطع مع الابانة ونفي الاول ابلغ من نفي الثاني كما ان اثبات الثاني ابلغ من اثبات الاول
فتامل والله سميع بالاقوال عليم بالعزايم والعقايد وهو ابلغ وعد ووعيد في
عامة الناس فيندرج تحت التهديد في حق المنافقين الله ولي الذين امنوا ناصرهم
ومتولي امورهم يخرجهم بالتوفيق والتاييد من الظلمات الشبه والشك والضلالة
الى النور الى نور اليقين والمعرفة والهداية والذين كفروا اولياهم الطاغوت الشياطين
يخرجونهم بالاغوا والوسوسة من النور من نور البينات الى الظلمات الى ظلمات
الشك والشبهة او ولي الذين ارادوا الايمان يخرجهم بالهداية والتوفيق من ظلمات الكفر
الى نور الايمان والذين ارادوا الكفر تخليهم مع شياطينهم الذين يولونهم يخرجونهم من النور
البينات والدلايل الواضحة الى ظلمات الكفر والشبهة جمع الظلمات ووحد النور لان الباطل
متعدد والحق واحد اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وعيد وتحذير وفيه
دلالة على ما في مقابلة من الوعد والتبشير ولهذا اكتفي به عنه وانما لم يعكس محافظة على
الفاصلة الم تر الى الذي حاج ابراهيم تعجيب في محاجة نمرود في ربه يجوز ان
يعود الضمير على ابراهيم عليه الصلاة والسلام الا ان الراجح ان يعود على الذي حاج لان
سياق الكلام فيه على وجه التعجب عن حال يقتضي ذلك ان اتاه الله الملك مفعول
له لان اتاه الملك يعني ابطرته النعمة وحمله الملك على العتو والكفر فحاج لذلك او وضع
المحاجة مكان ما وجب عليه من الشكر فعكس الامر والتعجيب على هذا الوجه اقوى او
ظرف اي وقت ان اتاه الله الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك الكافر من
المعتزلة والجواب بان المراد ايتاء الاسباب لا يشفي كما لا يخفى على ذوي الالباب وكذا تمليك
ملكه امتحانا اذ اما من قبيح الا ويمكن ان يكون فيه غرض صحيح مثل الامتحان واذ قال
ابراهيم نصب على الظرف بحاج على الاول وبدل من ان اتاه الله على الثاني ربي الذي
يحيي ويميت اي يحيي الاموات ويميت الاحيا قال انا احيي واميت اي اعفي عن القتل
واقتل فاعرض ابراهيم عليه الصلاة والسلام عنه وان كان تيسر عليه ان يقول له
ليس هذا باحيا ولا اماتة لكن كان هذا عند ملا من الناس وفيهم الضعفة فاراد ابراهيم
ان يفضحه فضيحة ظاهرة لا تخفى على احد فجاء بما لا يمكنه المعارضة بالتلبيس ولهذا

التفصيل اندفع ما قيل لما كان ينبغي للنبي ان ينتقل بل كان عليه ازاحة الشبهة رفعا لوهم الانقطاع
واجيب بان ذلك انما يكون الا اذا كانت للشبهة قوة والتباس على السامعين واما في الشبهة
الواهية فيحسن الاعراض عنها وعدم الالتفات سيما مع المجادل الاحمق على انه صلى الله عليه
وسلم ما اعرض عن الاعتراض اعراضا كليا بل تعرض له اجمالا اذ قال ابراهيم فان الله ياتي
بالشمس من المشرق فات بها من المغرب حيث التى بالقاء الفصيحة عن كلام مقدر يناسب
المقام كانه قال لا يجديك هذا التلبيس في المادة المذكورة فان الله تعالى منفرد بفعل الانجاء
للتلبيس في معارضة فيه ولا مجال له لان يقول انه ليس من فعل ربك ايضا كما انه ليس من فعله
لانه ليس من الدهرية بل معترف بالحاجة في العالم للرب ولهذا يدعي الربوبية فبهت الذي كفر
يقال بهته اي حيره والبهتان على الانسان هو الافترا الذي يحيره اي انقطع في هذا الالزام
الظاهر متحيرا قيل كان انقطاعه في الالزامين جميعا في الاول عند العقلا وفي الثاني عند الكل
فان قيل هلا قال نمرود لابراهيم عليه الصلاة والسلام فليات بها ربك من المغرب قلنا لانه
خاف انه لو سال ذلك فعل الله لما راي معه بعض الخوارق فان هذه المحاجة كانت بعد خلاصه
من النار فعلم الملعون ان من قدر على ذلك قدر عليه قال الحسن قال الله تعالى وعزتي وجلالي
لاتين بها من المغرب تصديقا لقول خليلي والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا
انفسهم بالامتناع من قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج وفيه انه يوهم ان
يكون لنمرود طريق الى المعارضة في الثاني الا انه تعالى لم يهده اليه كما زعم من قال ان الله
تعالى انساه ذلك نصرة لنبيه او كالذي مر على قرية اصله او رايت مثل الذي مر فحذف
لدلالة الم تر عليه لان كليهما كلمة تعجب ويجوز ان يكون من الكلام المحمول على المعنى دون
اللفظ كانه قيل ارايت الذي حاج ابراهيم او كالذي مر على قرية وانما زيد هنا حرف التشبيه
لانه سلك طريقة الترقي في التعجيب ولا يخفى ان قولك هل رايت مثل هذا ابلغ من قولك
هل رايت هذا ومن لم يتنبه لهذا التزم زيادة الكاف وانما التكثير بها فلا يناسب المقام
انما المناسب له ما ذكرناه والقرية مجتمع الناس من قولك قريت الماء في الحوض اي جمعته
والمراد ايليا بلد بيت المقدس وكانت بخت نصر البابلي خربها وهي خاوية ساقطة
يقال خوي البيت بكسر الواو يخوي خوى مقصورا اذا سقط وخوى البيت بالفتح خوى
ممدودا اذا خلا فلا يجوز الجمع بينهما والاول متعين للارادة لقوله على عروشها سقوفها
واحدها عرش اي سقطت السقوف ثم وقعت الحيطان عليها كما هو الغالب في خراب البيوت
قال قيل ظاهر الكلام ان المار القايل كان كافرا بالبعث لانتظامه مع نمرود في سلك
واحد ولكلمة الاستبعاد وانتظامه مع ابراهيم عليه الصلاة والسلام في مثل حاله وهي طلب
معرفة احياء الموتى فرجح انه كان مومنا وقوله انى يحيي على هذا استعظام لقدرة المحيي

واعترف

واعتراف بالعجز عن معرفة طريق الاحيا ولهذا اشتهر انه كان عزيرا وقيل الخضر اراد ان
يعاين احياء الموتى ليزداد ابراهيم عليه الصلاة والسلام ويويد هذا ذكر الله واضافته الاحيا
اليه في قوله هذه الله بعد موتها وانى في محل النصب على الظرف بمعنى متى او على الحال بمعنى
كيف والاشارة الى اهل هذه القرية قال هذا القول ثم ربط حماره وعصيره وتينه عنده
فاماته الله ناعمي الله العيون من رؤيته مائة عام او فلبث ميتا مائة عام ثم بعثه
بالاحيا قال كم لبثت روي انه ناداه مناد من السما وقيل القايل هو الله تعالى وبابا
الفصل فان حق النظم حينئذ الوصل بالفا او بثم قال لبثت يوما او بعض يوم انما تردد
لانه نومه كان اول النهار وبعثه قبل الغروب ولم يدر انه ذلك اذ ما بعده وحمل او على
الاضراب تكلف مستغنى عنه قال المنادي بل لبثت مكثت مائة عام فانظر لما كان الامر
بالنظر للتنبيه على خارق العادة وكان ذلك مبنيا على ما تقدم صدر باداة الترتيب والتفريع
الى طعامك كان طعامه تينا او عنبا وشرابك يعني العصير لم يتسنه لم يتغير مع
انه في صدد الاحيا عن الشيين الى اقربها ذكرا الا انه اسرع تغيرا فاكتفى بذكر حاله عن
ذكر حال قرينه والمعنى لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة والهاء اصلية ان
قدر لام السنة هاء وهاء السكت ان قدرت واوا وانظر الى حمارك الامر بالنظر الى الحمار
ظاهر في انه لم يبق منه على هيئة الحمار غير متغير كالطعام والشراب ولما كان تفاوت
حيا بلا نما ولا علف ابعد واغرب اعاد فيه الامر بالنظر واخره على طريقة الترقي وقيل
والاول الحال والانسب لما بعده ان يكون المعنى كيف تفرقت عظامه ويرد عليه ان الادلة
على اللبث مائة سنة فانى الزيادة في الدلالة وبعده ذو الوجهين فلا ترجيح من تلك الجهة
وفي نظم الامر بالنظر الى الحمار ومع الامر بالنظر الى الطعام والشراب دون الامر بالنظر
الى العظام حيث فرق بينهما بقوله تعالى ولنجعلك اية للناس اي فعلنا ذلك لنبين لك الحال
ولنجعلك عبرة للناس ولادلالة لهم على البعث اشارة ظاهرة الى ان الحمار من جملة الباقين كما كان
لم يكن مع صاحبه على ما نقل عن السدي وبه اخذ كثير من المفسرين وانما قلنا ان الواو للعطف
على المقدر لان المقام مقام الفصل للتباين بين الجملتين انشاء واخبارا ومن لم يتنبه له قال اي
وفعلنا ذلك لنجعلك اية فان قلت لابد للحذف من قرينة تلت نعم ويكفي قوله فلما تبين له قرينة له
روي انه اتى قومه على حماره وقال انا عزير فكذبوه فقرا التوراة من الحفظة ولم يحفظها احد قبله
فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع الى منزله كان شابا واولاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث
قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام يعني عظام الموتى الذين تعجبت من احيائهم كيف
ننشرها بالزاء المعجمة اي نرفعها من الارض ونردها الى اماكنها من الجسد ونركب بعضها على
بعض وقرئ بغير المعجمة من الانشار وهو الاحيا واحيا العظم جعلها عماد الاحيا ولما كان احيا

له

اللحم فضلة لا يتوقف عليه بنية الحياة نبه عليه بكلمة الحياة في قوله ثم نكسوها تلبسها
لحما وهو مجاز عن سترها به وانما وحد اللحم مع جمع العظام لان العظام متفرقة
ومتعددة صورة واللحم متصل متحد مشاهدة وكيف منصوب بننشزها والجملة حال من
العظام اي انظر اليها محياة كذا قيل والاوجه ان يكون موقع البدل من العظام والتقدير
وانظر الى العظام كيفية انتشارها على نمط قول الشاعر

الى الله اشكو بالمدينة حاجة وبالشام اخرى كيف يلتقيان

اي اشكوهما بين الحاجتين كيفية التقائهما فلما تبين اي الحال على ما دل عليه سياق المقال
قال اعلم ان الله على كل شيء قدير من احياء الموتى وغيره وعلم من قوله اعلم دون
علمت انه متعجب دون منكر وقرئ اعلم على الامر والامر مخاطبة واذ قال
ابراهيم رب استعطاف بين يدي السوال ارني كيف تحيي الموتى كان موقنا به
ايقان غيب فاحب ان يوقن به ايقان عيان قال اولم تؤمن الواو للعطف على مقدر
اي اتقول ذلك ولم تؤمن باني قادر على احياء الموتى باعادة التركيب والحياة قال بلى
امنت ولكن سالت ليطمئن قلبي ليزيد سكونها بتظاهر الادلة ومضامة علم
الضرورة علم الاستدلال فانه لا مجال للتشكيك في الضروريات بخلاف الاستدلال
والطمانينة السكون والمطمئن من الارض ما انخفض منها وحكمة خطاب الله تعالى قطع
اوهام الجهال بجوابه كيلا يظنوا به عليه الصلاة والسلام ولقد جاد فيما افاد
من قال الظاهر انه عليه الصلاة والسلام سال عن كيفية الاحياء لا عن انيته
وهي غير معلومة لا استدلالا ولا ضرورة نعم العلم الاجمالي بان لا بد من
كيفية حاصل وقوله تعالى اولم تؤمن اشارة الى ان العلم الاجمالي كان فيما يجب ان يعتقد
ويؤمن به في هذا الباب وقوله صلى الله عليه وسلم في الجواب ولكن ليطمئن قلبي
اشارة الى ان العلم التفصيلي اقوى وفيه حظوة خاصة للعارف وان العيان وراء
ما يدل عليه البرهان ومن هذا التقرير يلوح تفاوت ما بين كلمتي الخليل وعزير عليهما
الصلاة والسلام قال فخذ اربعة من الطير قال في المغرب الطير اسم مؤنث وقد
يقال للواحد عن قطرب وكذا حكاه ثعلب عن ابي عبيدة وجمعه طيور وعليه قول محمد
في المحرم يذبح الطير المسرول وانما خص الطير من بين سائر الحيوانات لان الطاير ما للنا
وله زيادة الطيران ولانه هوائي ومائي وارضي فكانت الاعجوبة في احيائه اكثر ولهذا
قال عيسى عليه الصلاة والسلام اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فصرهن
اليك اي املهن وضمهن اليك لتتاملها وتعرف شانها لئلا يلتبس عليك بعد الاحياء
وقرا ابن عباس رضي الله عنه فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره اذا جمع

ثم

ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال وعبارة كل في مثل
هذا للمبالغة كما في قوله تعالى واوتينا من كل شيء فلا حاجة الى تقييد الجبال بالتي بحضرته
ثم ادعهن قل لهن تعالين باذن الله تعالى يأتينك سعيا اسراعا ماشيهن على ارجلهن
او في طيرانهن والتجوز في سعيا عقلي للمبالغة كما في عدل في رجل عدل روي انه صلى الله
عليه وسلم امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها فيمسك رؤوسها ويخلط سائر اجزائها
ويوزعها على الجبال ثم يناديهن ففعل كذلك فجعل كل جزء ياتي الى الاخر حتى صارت
جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤوسهن وفيه دلالة على ان الضراعة في الدعاء وحسن
الادب في السوال وعلى فضل ابراهيم عليه الصلاة والسلام على عزير عليه الصلاة
والسلام حيث اراه في الحال على ايسر الوجوه ما اراد ان يراه واراه عزيرا عليه
الصلاة والسلام بعد مائة عام واعلم ان الله عزيز لا يعجز عن شيء بل يتصرف
في كل شيء بالقدرة الغالبة حكيم ذو حكمة بالغة في افعاله فلا يصدر عنه خوارق
العادات الا قدر ما تقتضيه الحكمة البالغة مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله
اي على وجه يتوسل به الى رضائه تعالى كمثل حبة اي مثل نفقة الذين كمثل باذر حبة
واعتبار حذف المضاف وتقديره من جانب المشبه به ليحصل ملاءمة المثل للمثل وان كان
التشبيه من المركب الذي لا عبرة فيه بتشبيه المفردات انبتت سبع سنابل ايراد جمع
الكثرة في موضع تمييز السبع مكان جمع القلة وهو سنبلات وقد مر توجيهه في ثلاثة قروء
في كل سنبلة مائة حبة يعني يخرج منها ساق يتشعب منها سبع شعب لكل منها سنبلة فيها
مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه على انه قد يكون في الذرة والدخن وغيرهما
من الاراضي المغلة والله يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء من المنفقين لا لكل منفق
لتفاوت احوالهم ونياتهم في اعمالهم ومن اجل ذلك تفاوتت الاعمال في مقادير الثواب
والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق وقدر المنفق
الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله نزلت في عثمان رضي الله عنه فانه جهز جيش العسرة
بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه اتى النبي صلى الله
عليه وسلم باربعة الاف درهم صدقة ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى المن ان يعتد
باحسانه على من احسن اليه والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه والتنكير في الموضعين
للتقليل وثم للتراخي في المعطوف باعتبار الانتهاء وفايدته الدلالة على لزوم الاستمرار
على عدم اتباعهم ما انفقوا بالمن والاذى في استحقاق الاجر المذكور ومن لم يتنبه لهذه الدقيقة
الانيقة قال انها للتفاوت بين المعطوفين لهم اجرهم قيل لعله لم يدخل الفاء فيه
وقد تضمن ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف

فكيف بهم اذا فعلوا ومبناه الغفلة عن الفرق بين مطلق الجواب والذي يعطي اجرا فان
الثاني لا يتصور بدون العمل عند ربهم اي مهيا محفوظ لا يحتمل الضياع ولا الم الاستثقال
لتحصيله وقت الحاجة ولا خوف عليهم من العذاب والتنكير للتقليل ولا هم يحزنون
لنقصان في الثواب قول معروف اي كلام جميل في رد من التمس منه صدقة ومغفرة
اي تجاوز عنه اذا اسا السوال او ستر عليه حاله فعلا تغيره بفقره ولا تهتك ستره عند
الناس سال اعرابي قوما بكلام فصيح فقال له قايل ممن الرجل فقال اللهم غفرا سوا الاكتساب
يمنع من الانتساب خير من صدقة يتبعها اذى خبر عن مجموع القول الموصوف والمغفرة
والتوصيف هنا يصحح الابتدا بالنكرة والعطف على المخصص مخصص والله غني عن كل
شي من صدقة وغيرها وانما دعاكم اليها لينفعكم بها حليم لا يعاجلكم بالعقوبة
على سوء صنيعكم في معاملتكم مع الغير خصوصا مع الفقرا والسايلين وعيد شديد وتخويف
بليغ لما ورد في الحديث القديم نعوذ بالله من غضب الحليم يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا
صدقاتكم لا تحبطوا اجرها تخصيص الخطاب بالمومنين لعدم الاحتمال للابطال في صدقات
غيرهم لانه فرع الاستحقاق للاجر وهو مفقود فيها بالمن والاذى اي لا بد ال
ولا بهذا كالذي اي مماثلين الذي ينفق ماله ريا الناس تشبيه من جهة المعنى لما
تقدم في معنى لا تطيعوا اموالكم بصدقات بالمن مشوبة بالاذى مصحوبة وهذا في معنى
كالذي ضيع ماله بالانفاق ريا والمشبه به اقوى لانه ضيع ماله ابتداء لمن وهم انه فيه
ايضا لا نفقة وهم والريا مصدر راي من الروية وهو ان يرى الناس ما يفعله من جنس البر
حتى يثنوا عليه ويعظموه ويظنوا انه من اهل الخير وممن ينفق لوجه الله وانتصب ريا
ولا يومن بالله واليوم الاخر اي لا يعتقد لا بالمبداء ولا بالمعاد فلا حاجة في زعمه الى
الزاد وانما قيل به مع تمام الغرض من التشبيه بما تقدم فانه لا ثواب للانفاق
ريا وان كان المنفق مومنا تغليظا في الزجر للمنفق المودي المان وايما الى ان تلك
الحال لا تليق بمن يعتقد بالمعاد والاحتياج الى الزاد وانما تخصيص المراد بالمشبه به
بالمنافق فلا يقتضيه المقام ولا قرينة له في الكلام فمثله اي لما كان حال المنفق ريا
كذلك فمثله كمثل صفوان حجر املس عليه تراب تقديم الجار والمجرور لان
بيان محله اهم فاصابه وابل اي مطر شديد الوقع كثير القطر فتركه صلدا
املس نقيا من التراب لا يقدرون على شي مما كسبوا استيناف كانه قيل ما بال
المنفقين ريا مثلوا بالصفوان المذكور فقيل لا يقدرون اه اي لا ينتفعون بشي منه
وعلى هذا لا حاجة الى التاويل بان الذي ينفع في معنى الجمع او بان من والذي ينفقا
انما الحاجة اليه على تقدير ان يكون لا يقدرون حالا من الذي ينفق والله لا يهدي

القوم الكافرين اي لا يوفقهم بعد الهداية حتى يهتدون فالهداية في حقهم في حكم المعدوم
وعلى هذا قوله تعالى هدى للمتقين والا فالهداية الى الخير والارشاد يعم الفريقين لقوله
تعالى وهديناه النجدين وقوله تعالى انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا وفيه
تعريض بان الريا والمن والاذى على الانفاق من اخلاق اهل الكفر والنفاق فلا بد للمومن
ان يجتنب عنها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله اي لطلب رضاه
وتثبيتا من انفسهم كلمة من للتبعيض كما في قوله هز من عطفه اي ليثبتوا بعض انفسهم فان من
بذل ماله لوجه الله معا فقد ثبت كلها واما لابتداء الغاية كما في قوله تعالى حسدا من عند انفسهم
وتثبيتا من انفسهم وهذا عند المومنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه ويعضده قراءة مجاهد
وتبيينا من انفسهم وهذا يمشي على التبعيض والابتدا وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق تزكية
المنفق نفسه عن البخل وحب المال فانه راس كل خطيئة كمثل جنة بربوة لموضع مرتفع
من الارض والربوة الزيادة ومنه الربا واصابه ربو اذا زاد نفسه في جوفه على عادته اي
ومثل نفقة هولاء في الزكا كمثل بستان لموضع مرتفع فان شجره يكون احسن منظرا
وازكى ثمرا وقرى كمثل حبة بربوة بالحركات الثلاث اصابها وابل قد مر تفسيره
فاتت اي اعطت وحذف المفعول لان المقصود ذكر ما يثمر لا لمن يثمر اكلها الاكل بالضم
الطعام الذي يوكل والمراد الثمرة ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل وانتصابه
على الحال اي مضاعفا والضعف يراد به الواحد كما يراد بالزوج قال الله تعالى من كل زوجين
اثنين وقيل اربعة امثال ونسبة الايتا اليها مجازية والفا سببية فان لم يصبها وابل فطل مطر
صغير القطر يكفيها لكرم منبتها ولطافة هوايها والمعنى ان نفقات هولاء لا زاكية عند
الله تعالى لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم اليها من احوالها ومثل حالهم
عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما ان كل واحد
من المطرين يضعف اكل الجنة فلذلك نفقتهم كثيرة كانت او قليلة بعد ان يطلب بها
وجه الله تعالى ويبذل فيه الوسع زاكية عند الله تعالى زايدة في زلفاهم وحسن حالهم والله
بما تعملون بصير ترغيب عن الريا وترغيب في الاخلاص وانما قال بصير دون خبير تنزيلا لسرايرهم
منزلة الظواهر لعدم التفاوت بالنظر الى الله تعالى ايود احدكم الهمزة فيه للانكار ان
تكون له جنة من نخيل واعناب النخيل جمع نخل كالعبيد جمع عبد والنخل يكون واحد
ويذكر قال الله تعالى اعجاز نخل منقعر ويكون جمعه لنخلة كالنمل جمع نملة يونث قال الله تعالى
اعجاز نخل خاوية الاعناب جمع عنب تجري من تحتها اي من تحت ذلك الاشجار الانهار
الجاري في الحقيقة مياهها فلا بد من التجوز في المسند او في الاسناد وبالمار مما فيها وبها وكما
له فيها اي في تلك الاشجار من كل الثمرات كلمة كل للمبالغة في التكثير لا لتحديد الثمرات

فطل

المنافع وقيل ضمير فيها للجنة جعلها من النخيل والاعناب مع ما فيها من سائر الاشجار تغليبا لهما
لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها كل الثمرات ليدل على احتوائها على سائر انواع الاشجار
وعلى يكون له فيها اي صفة اخرى للجنة من قبيل الصفة الاولى ولا يناسبه الفصل بينهما
بقوله تجري من تحتها الانهار اذا ما كان الضمير للاشجار فظاهر واما اذا للجنة فلانه صفة
من جنس اخر واصابه الكبر اي كبر السن واصابته كناية عن العجز عن الكسب فان الفاقة
والعالة في زمان العجز عن الكسب فان الفاقة والعالة في زمان العجز عن الكسب اشد والواو
للحال او للعطف حملا على المعنى فكانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر وله
ذرية ضعفاء صغار لا قدرة لهم على الكسب فاصابها اعصار عطف على اصابه او على
يكون على اعتبار المعنى والاعصار ريح عاصفة ينعكس من الارض الى السماء ملتفة في الهوي
حاملة للتراب مستديرة كالعمود فيه نار فاحترقت اي الجنة بالنار فصارت نعمها الى
الى الذهاب واصلها الى الخراب فكما بقي هو وذريته في الحسرات لينقطع الاسباب فكذا
الكافر والمنافق والمرائي والمنان والمؤذي يتحيرون على صدقاتهم يوم يقوم الحساب حين
فاتهم الثواب وحق عليهم العذاب كذلك يبين الله لكم الايات تضرب الامثال لانه اوضح
بيانا وافصح تبيانا لما فيه من تصوير المعقول بصورة المحسوس المشاهد عيانا لعلكم تتفكرون
اي تتفكرون فيها والتفكر فيها كناية عن الاعتبار بها يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات
ما كسبتم الطيب رد الحلال لان الحلال جامع الكرامة والطيب ما لا خطر فيه لا بسبب
الحرمة او ما كسبتم ينتظم الانواع ما يملك باسباب الكسب من التجارة والزراعة وغيرهما
ومما اخرجنا لكم من الارض يعني بلا مؤنة كسب منكم دل على ذلك اضافة الاخراج الى نفسه
تعالى دون المنفقين وقد اضاف قرينه السابق اليهم والمراد منه المباحات التي ملكوها
بالاحراز ولا حاجة فيه الى قيد الطيب لعدم الخطر فيه بوجه من الوجوه ولهذا قال ومن
طيبات ما اخرجنا لكم من الحبوبات والثمر والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره فلم
يدر انه ح حقيقة عدم زيادة من كلام يحتاج الى التقدير ولا يخفى انه من قبيل المطول
المحل المبالغة لا من قبيل الاطناب المفيد ولا تيمموا الخبيث اي ولا تقصدوه وهو
ابلغ ولا تنفقوا الخبيث ومعناه الردي وخبث الفضة والحديد ما نفاه الكير لانه ينفي
الردي وهو ينتظم الحرام والمكروه منه تنفقون في محل النصب على الحال والضمير [illegible]
للخبيث وتقديم الجار والمجرور للتخصيص اي تخصون بعضا منه بالانفاق لان شح
الانفس وحب المال يقتضي تخصيص شيء من الردي وما يشبهه حاله وهو مناف لفضيلة
البر قال الله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وفيه توبيخ وتعيير وتقريع
بما كانوا يفعلون ويجوز ان يكون الضمير المذكور لمجموع المكسوب والمخرج كما في قوله

كانه في الجلد توليع البهق وتنفقون حال مقدرة من فاعل تيمموا ولستم باخذيه الا
كناية عن الاخذ بالضرورة انه ماخوذ حقيقة لما عرفت انه مكسوب او محرز اي وحالكم انكم
لا تاخذونه لانفسكم لرداءته الا ان تغمضوا فيه في محل النصب على الظرف اي الا وقت ان
تغمضوا اي تتسامحوا في اخذه مجاز من اغمض بصره اذا غمضه وقرئ تغمضوا اي تحملوا
على الاغماض وتوجدوا مغمضين روي انهم يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه
واعلموا ان الله غني عن انفاقكم وانما يامركم به لانتفاعكم حميد مستحق للحمد على الامر بذلك
مع استغنائه عنه لينفعكم ذلك في الدارين الشيطان يعدكم الفقر في الانفاق والوعد على
الاطلاق يستعمل في الخير كالوعيد في الشر ويستعمل في الشر ايضا لما فيه ويامركم بالفحشاء
يغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الامر للمامور والفاحش عند العرب البخيل والله يعدكم
في الانفاق مغفرة والضمير في منه لله تعالى وفضلا ان يخلف عليكم افضل مما
انفقتم في الدنيا او ثوابا في الاخرة والله واسع اي واسع الفضل لمن انفق
عليم بانفاقه يؤتي الحكمة يوفق للعلم والعمل به من يشاء اوله اخره للاهتمام
بالشأن ومن يؤت الحكمة بناؤه للمفعول لانه المقصود وقرئ بالكسر اي ومن يؤته
الله تعالى فقد اوتي خيرا كثيرا التنكير للتعظيم كانه قال فقد اوتي اي خير كثير
وما يذكر اي وما يتعظ بما ذكر من الايات الا اولوا الالباب ذووا العقول الخالصة
عن شوب الوهم والركون اي الهوى والمراد به الحث على العمل بما تضمنت به الاي
اي يعني الانفاق وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة او علانية في حق او باطل
رياء او لوجه الله او نذرتم من نذر بشرط او بغير شرط في طاعة او معصية
فان الله يعلمه فيه وعد ووعيد على ابلغ وجه لان العلم في مثل هذا المقام كناية
عن العمل بموجبه يقال لفلان لا يعلم الاحسان اي لا يعمل بمقتضاه وما للظالمين
الذين يمنعون الصدقات او ينفقون اموالهم رياء او مع المن والاذى او لا لوجه تعالى
او ابتغاء مرضاته او يخصون الانفاق بالخبيث الردي او ينفقون في المعاصي ولا يفون
بالنذور او يبذرون في المعاصي فان الظلم وهو في الاصل وضع الشيء في غير موضعه
المستحق له عبارة جامعة لهذه الاحوال كلها من انصار ينصرهم من الله تعالى ويمنعهم
من عقابه والعدول عن نفي المفرد وهو ابلغ من نفي الجمع بحسب جليل النظر رعاية لمقابلة
الجمع بالجمع والتوزيع اي لا ناصر لظالم بظاهره وهذا ابلغ بحسب دقيق النظر ان تبدوا
الصدقات فنعما هي ما نكرة غير موصولة ولا موصوفة اي نعم شيئا ابداؤها اي
الصدقات المبداة وان تخفوها وتؤتوها الفقراء اعتبر هنا القيد هنا ولم يعتبر
فيما سبق اذ لا تاثير له ثمة فان الصدقة هي سواء كانت للفقير او للغني كما تاثيره في

كون اخفايها خيرا من ابدايها وذلك عند كونه للفقير لما فيه من ستر حاله وصونا عن شر
الريا فانه لابد منه اذا كانت لوجه الله تعالى فلا حاجة وذلك كانت للفقير واما اذا كا
للغني فلا يكون لوجه تعالى فلا حاجة الى الصون المذكور ولا الى الستر المزبور وهو اي
فالاخفا مع اصابة موضع الاستحقاق خير لكم هذا في المندوبات واما في الواجبات
فالاظهار افضل عن ابن عباس رضي الله عنه صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها
سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ولما
كان اظهارها بالفرايض افضل لنفي التهمة التهمة حتى اذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار
كان اخفاوه افضل والاعمال بالنيات ويكفر عنكم قرئ بالنون مرفوعا عطفا على ما بعده
فيكون جملة فعلية مبتداة بجزوما عطفا على محل الفا وما بعده لانه جواب الشرط وقرئ
بالياء مرفوعا والفعل لله تعالى او للاخفا ونكفر بالتاء مرفوعا وبجزوما والفعل للصدقات
وقرئ بالياء والنصب باضمار ان ومعناه وان تخفوها يكن خيرا لكم وان يكفر عنكم
من سياتكم من للتبعيض اي نكفر بعض سياتكم وذلك لان ما هو من حقوق العباد لا يتعلق
به المغفرة بدون ارضا الخصم قال الامام المطرزي في المغرب الكفر في الارض الستر يقال
كفره وكفره اذا ستره ومنه الحديث في الجهاد هل ذلك مكفر عنه خطاياه يعني هل
يكفر القتل في سبيل الله تعالى ذنوبه فقال نعم الا الدين اي الا ذنب الدين فانه لا بد
من قضايه والله بما تعملون خبير فلا يتفاوت الاظهار والاسرار وفيه ترغيب الاسرار
ليس عليك هداهم اي لا يجب عليك ان تجعلهم مهتدين الى ما امروا به والانتها عما
نهوا عنه من المن والاذى والريا والانفاق من الخبيث وغير ذلك مما مر وما عليك الا
ان تبلغهم فحسب ولكن الله يهدي من يشا استدراك عما يقتضيه الكلام السابق وينتظم
به من تعليله كانه قيل لانك لا تقدر عليه ولكن الله قادر على الهداية الموصلة الى البغية
من الله تعالى ولمشيته واما انها مخصوصة بقوم دون قوم فهو اظهر من ان يخفى والحاجة
الى الدلالة فيما يشتبه فيه الحال وما تنفقوا من خير فلا نفسكم اي فانتم تنفقون
به وانما قال من خير دون من مال لانه اذا لم يكن طيبا لا ينتفع به المنفق بل يتضرر
فالعبارة المذكورة ضمنها الاشارة الى النهي عن انفاق المال الخبيث وعن المن على الغير
والاذى له ابلغ واما انه لا ينتفع به غيركم فلا يقتضيه المقام ولا هو المناسب
لان يقصد بالكلام المذكور وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال كونه قال وما
تنفقوا من خير فلا نفسكم غير منفقين الا ابتغاء وجه الله تعالى وطلب ثوابه وما
تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فلا تتركوه وانفقوا من احسن
الاموال على احسن الوجوه فهو تاكيد للشرطية السابقة او ما يخلفه المنفق استجابة

ان

الدعوة الملك القايل اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا روي ان ناسا من المسلمين كانت
لهم اصهار وارضاع في اليهود وكانوا لينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوهم
فنزلت واختلف في الواجب فجوزا بو حنيفة صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة وابا غيره
وانتم لا تظلمون جملة حالية اي لا تنقصون شيا مما وعد من الثواب جزا لاعمالكم
فان نقص الثواب مطلقا ظلما للفقرا الجار متعلق بمحذوف تقديره اعمدوا للفقرا
واجعلوا نفقتكم للفقرا كقوله في تسع ايات اي اذهب في تسع ايات او خبر مبتدا مبتدا
محذوف اي صدقاتكم للفقرا الذين احصروا في سبيل الله احصرهم الجهاد والاحصار
منع النفس عن التصرف لا يستطيعون ضربا في الارض ذهابا فيها للكسب تقول ضربت
ضربا اذا سرت فيها اي يكرهون المسير لاجله لئلا يفوتهم صحبة رسول الله صلى الله
عليه وسلم والخروج في سرية وهذا كقوله تعالى لا يستطيعون سمعا اي يكرهون سمعه
ولهم الاذن السماع ولا يخفى ان هذا المعنى ابلغ في وصفهم مما قيل لا يستطيعون لاشتغالهم
بالجهاد وقيل هم اهل الصفة وكانوا نحوا من اربعماية من فقرا المهاجرين يسكنون صفة
المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والعبادة واقواتهم من فضل الاغنيا وكانوا يخرجون
في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم اغنيا واما
نال من التعفف اي من اجل تعففهم عن السوال لاحتمال ان يكون حسبانه من الاغنيا وفي اطلاق
اسم الجاهل عليه على الاطلاق ما لا يخفى من الذم وذلك الاستحقاق لان الغافل عن حالهم لا يكون
من اهل الصحبة والوفاق والتعفف تفعل من العفة يقال عف عن الشي اذا امسك عنه تنزه
عن طلبه تعرفهم الخطاب لمن يستحق التوصيف بعرفانهم من الاصحاب رضي الله
عنهم ومن حذا حذوهم في سلوك طريق الصواب بسيماهم بعلامتهم من صفرة الوجه
ورثاثة الحال لاخفا في ان لسان الحال انطق من لسان القال وبيان الدلالة اصدق
من بيان العبارة والعارف يحدث من رثاثة الحال والجاهل يستدل بعدم السوال
ومعنى لا يسيلون الناس الحافا ينفي السوال والالحاف جميعا الا ترى الضب بها ينجحر فيها
ولا انجحار ولا يخفى ان هذا المعنى ادخل في التضعيف وفي ان يحسبوا اغنيا فيلون انسب
للمقام واجلب لمزيد حسن في الكلام كيف وفي هذا النوع من التركيب دقيقة انيقة
وهي انه لما جعل نفي الاول تمهيدا لنفي الثاني جعل الاول كسلما لا نزاع فيه ان من حق الدليل
ان يكون اوضح من المدلول ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنه في تفسيره لا يسيلون الناس
الحافا ولا غير الحاف وقيل ترك غير الالحاف ذاكرا للايما الى اطلاق السوال عند الحاجة ورفع
الاثم عن فعله مضطرا والالحاف لزوم السوال من الحاف الذي يلازم الملتحف به الاربعة بعد
الصلة مترتبة عليها بمنزلة البيان لها فلا سبيل للعاطف بينهما لشدة اتصال كل منهما بالاخرى وما

تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب في الانفاق لان علم الله تعالى به كناية عن انه لا يضيع
ولهذا ازاد قوله من خير فان اريد علمه تعالى على حقيقته تكون تلك الزيادة خلوا عن الافادة
الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاوقات والاحوال
بالصدقة لحرصهم عليها فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاها ولم يؤخروها ولم
يتعللوا بوقت ولا حال نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وقيل في علي رضي الله عنه
وقيل نزلت في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله فلهم اجرهم عند ربهم اي مامونون عن
الضياع خبر الذين واذا اريد كون الصلة سببا لحصول الخبر للموصول ضمنت معنى الشرط
وادخل الفاء في الخبر وان لم يقصد ذلك فلا كقوله تعالى ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم
ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم وقيل للعطف والخبر محذوف اي
ومنهم الذين ولهذا جوزوا الوقف على قوله وعلانية ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون تقدم
تفسيره الذين ياكلون الربا اي يتمتعون فان التعبير بالاكل عن مطلق التمتع على طريق
العبارة عن كل وجوه الشيء يجعلها شايع في الالسنة كلها كتب الربوا بالواو على لغة من يفخم
كما كتب الصلوة والزكوة وزيدت الالف بعدها تشبيها لها بواو الجمع لزيادة التفخيم وهو
لغة الزيادة المطلقة شرعا الزيادة في القدر او في الاجل على الوجه المذكور في كتب الفقه
لا يقومون يوم القيامة الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان الا قياما كقيام الذي
يتخبطه المفسد من الجن والخبط الضرب باليد كيف يقع والرمح بالرجل والزبن بالركبة
والتخبط تكليف الخبط والمراد الزيادة الزيادة فيه من المس يتعلق بيقوموا او يتخبط
والمس الجنون يقال المس على ما لم يسم فاعله فهو ممسوس كما يقال جن فهو مجنون والجنون
قد يكون بضرب الشياطين من الجن ولذلك سمي مجنونا وهو بتسليط الله تعالى اياهم على الناس
كما يسلط عليهم بعض الدواب والسباع وله ان يفعل في ملكه ما يشاء اي لا يقوم اكل الربا
عن قبره يوم القيامة الا كالذي ضربه الجن فخبطه فصار كالمصروع فهو يقوم ويسقط
ليس كساير الناس لانهم يخرجون من الاجداث سراعا وهذه عقوبة لهم بما يعرفون يومئذ
وقد ثقل بطونهم ما اكلوه من الربوا ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اي ذلك
العقاب بسبب انهم نظموا الربوا والبيع في سلك واحد وقاسوا احدهما على الاخر يعني ان
البيع يكون مثل الربوا في اشتماله الفضل ولو كان ذلك سببا لحرمته لحرم البيع لكنه حلال
ثبت انه ليس بحرام وشبهتهم ان بيع السلم وغيره قد يكون المشتري فيه بدرهم يساوي درهمين
فيكون اربى من الربوا ومن لم يتنبه لما قررناه زعم انهم بالغوا في وصفها اعتقادهم حل الربوا حتى جعلوه
اصلا في القياس وشبهوا البيع به مع ان الكلام في الربوا والبيع اصل في الحل على طريقة قول الشاعر
وبلدة مغبرة ارجاؤها كان لون ارضها سماؤها

يبالغ

يبالغ في وصف السماء بالاغبرار حتى يشبه الارض بها في التعبير عن اعتقادهم هذا بالقول مما لا يخفى
من المبالغة في انه لا حقيقة له اصلا ثم انكر تسويتهم بينهما بقوله واحل الله البيع وحرم الربا
وفيه دلالة على ان القياس يهدمه النص حيث نقل قياسهم وابطله بمجرد القول المذكور من غير
تعريض لفساد القياس من حيث ان الفضل في الربا محقق وفي البيع متوهم واما ما قيل هو ابطال
للقياس لمعارضته النص فيرد عليه انهم قاسوا قبل ورود النص الفارق بينهما فلا معارضة حينئذ
فمن جاءه موعظة من ربه فمن بلغه وعظ من الله تعالى وزجر بالنهي عن الربوا وفي عبارة الرب
ايماء الى انه تعالى يربي عبده بفضله بلا توقف على كسبه كيف وقد رباه وهو جنين لحفظه ان لا
يتجاوز في طلب الكسب عن حد الرخصة فانتهى فاتعظ به وتبع النهي فله ما سلف اي
فلا يؤاخذ بما مضى منه ولو ما اخذ لانه قبل نزول التحريم وما في موضع الرفع بالظرف
ان جعل من موصوله وبالابتدا ان جعل شرطية على راي سيبويه اذ الظرف غير معتمد على
ما قبله وانما ذكر فعل الموعظة لان تانيثها غير حقيقي مع ان فيه فاصلا فلا حاجة الى
التاويل بانها في معنى الوعظ وامره ذلك الى الله يحكم في شانه بما يشاء يوم
القيامة لا اليكم فلا تطالبوه بشيء ومن عاد الى الربوا بعد النهي عنه فاولئك
اصحاب النار لاصرارهم عليه هم فيها خالدون اذا اعتقدوا حلها لانه كفر
والكفر يوجب الخلود في النار ويمحق الله الربا المحق نقصان الشيء حالا بعد
حال حتى يذهب كله كما في محاق الشهر وهو حال كل الربوا فان الله تعالى يذهب بركته
ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات اي ينمي ويزيد بان يضاعف عليها
الثواب ويزيد المال الذي اخرجت منه ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت زكاة
من مال قط لا يقال الكلام في زيادة ما يتصدق به وهذا ليس منه لانا نقول وقوع زيادة
المال والبركة فيه بسببه فضيلة تزيد وربا له كتضاعف الثواب بسببه
والله لا يحب عدم المحبة كناية عن البغض كل كفار باستحلال الربوا اثيم
باكله بدون الاستحلال لانه يحمل على التعميم بعد السلب حتى تكون سالبة كلية دون العكس
اذ حينئذ يكون رفع الايجاب الكلي وهو يناسب المقام ولا بعد فيما ذكرنا لان القيد
المقدم ذكرا قد يعتبر موخرا معنى وفي صيغة المبالغة تغليظ عظيم بليغ في شان المستحل
للربوا لما فيه من الايذان بتجدد كفره في كل ان ان الذين امنوا بالله ورسوله
والايمان بالرسل لا يتم الا بالايمان بجميع ما جاء به منه وعملوا الصالحات من الفرايض
والواجبات والمندوبات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة عطفهما على ما يعمهما
لفضلهما على ساير الاعمال الصالحة لكونهما امهات العبادات البدنية والمالية لهم
اجرهم عند ربهم قد مر تفسيره ولا خوف عليهم من ات ولا هم يحزنون

في

على ما فات يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا بقايا ما شرط
على الناس منه وقرا الحسن ما بقي بقلب الياء الفا على لغة طي وعنه ما بقي بياء ساكنة
ان كنتم مؤمنين بقلوبكم دليله امتثال ما امرتم به وفي اطلاق المؤمنين في الذكر
عن قيد المذكور دلالة على ان المؤمن حقيقة من امن بقلبه روي انه كان لثقيف
مال على قوم من قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا
لم يرد مطلق الترك بل اريد الترك في ضمن الاتيان فلذا قيل لم تفعلوا دون لم تتركوا
فاذنوا بحرب فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرئ فآذنوا اي فاعلموا
غيركم من الاذن وهو الاستماع لانه من طرق العلم وقرئ فايقنوا وهو دليل
لقراءة العامة والتنكير في حرب للتعظيم من الله ورسوله الحرب يكون من الرسول
صلى الله عليه وسلم بامر من الله تعالى فذكره للتمهيد وحرب منه ابلغ من حربه لما في
التنكير من التهويل اي بنوع من الحرب ولا يقبل التعريف لعظم شانه وذلك يقتضي
ان يقاتل المربي بعد الاستتابة حتى يفيء الى امر الله تعالى كالباغي ولا يقتضي كفره
روي انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء ومن
زاد على هذا واعتقاد حله فكانه غفل عن قوله بان سياق الكلام لا يقتضي كفره فان
قلت ليس يفهم من قوله فلكم رؤس اموالكم اصولها واما الارباح فطوارئ عليها
لا تظلمون باخذ الزيادة ولا تظلمون بالنقصان والمطل انهم لم يتوبوا فليس لهم
رؤس اموالهم قلت ذلك وهم سبق الى فهم من قال انه يكون فيئا للمسلمين وتبعه القائل
وهو يشهد على ما قلناه اذ المصر على التحليل مرتد والحق ان الظاهر منه بطريق المفهوم
وهو انه اذا لم يتوبوا لا تصل ايديهم الى رؤس اموالهم وذلك لانهم يقتلون حينئذ كما
يقتل الباغي وان كان اي وجد غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة اي وان كان
الغريم ذا عسرة فنظرة فالحكم نظرة اي فليكن نظرة او فعليكم نظرة وهي الانظار
وقرئ فناظره على الخبر اي فصاحب الحق ناظره بمعنى منتظره او صاحب نظرته الى طريق
النسب وعلى الامر فسامحه بالنظرة الى ميسرة قرئ بضم السين وفتحها وهما لغتان
بمعنى يسار وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة وان تصدقوا بالابراء
خير لكم اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تاخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد
بالتصدق الانظار لقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له
بكل يوم صدقة قد بعث لهم على التصدق بالدين كله او بعضه على من اعسر من غرمائهم
او على الامهال الى وقت اليسار ان كنتم تعلمون كنى بالعلم عن العمل لانه اذا كان نافعا
قلما يتخلف عنه عمله فهذه الكناية باعتبار مبناها تاكيد لما تقدم من الخيرية على ابلغ وجه

ومن

ومن لم يتنبه لهذا قال في تفسيره ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل ثم انه لو يريد ان
الذكر الجميل لا يصلح وجها للحث على الصدقة اذا كان الحث من الله تعالى لان الصدقة
المرضية عنده تعالى ما لا يشوبها غرض دنيوي واتقوا يوما يوم القيامة
والتنكير للتعظيم وللاشارة الى انه لا يقبل التعريف ترجعون من الرجع وقرئ
بفتح التاء وكسر الجيم من الرجوع وقرئ بالياء على الالتفات فيه الى الله للحساب
والجزاء والامر بالاتقاء كناية عن الامر بموجبه وهو التاهب للمصير اليه ثم توفى
التوفية والايفاء الاكمال كل نفس كاسبة ما كسبت اي اجزيت من جزاء الاعمال الموعود
بان الكناية بالكسب عن الاجر شايعا في الالسنة وانما وصفت الجزاء بالموعود لان الظلم
بنقص الثواب انما يكون بذلك الاعتبار وهم لا يظلمون لا بنقص ثواب ولا بزيادة
عذاب عن ابن عباس رضي الله عنه انها اخر اية نزلت بها جبريل عليه الصلاة والسلام
وقال ضعها في راس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعدها احدا وعشرين يوما وقيل اقل وقيل اكثر يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم اذا
داين بعضكم بعضا يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او اخذا كما يقال
بايعته اذا بعته او باعك واما كونها نسيئة فغير معتبر في المداينة واراد بها في المقام
لذكر الاجل وانما قال بدين مع انه مستفاد من التداين للتعميم اي باي دين كان
قليلا او كثيرا ولقطع احتمال معنى اخر فان المداينة بمعنى المجازاة واما تنوعه الى المؤجل
والحال فيعلم من قوله الى اجل ومرجع الضمير في فاكتبوه لا يلزم ان يكون مذكورا بل يكفي
ان يكون مفهوما في ضمن الكلام السابق هذا كله بحسب دقيقة مؤانه لا بد من ذكر الدين
لتعلق الجار به فانه لو لم يذكر لفهم تعلقه بالتداين والاوجه فان المبايعة الى اجل غير
مشروعة مسمى معلوم مؤقت بالسنة والشهور والايام المعينة لا بالحصاد والدياس
وقدوم الحاج ونحو ذلك مما لا يتعين فاكتبوه تنبيه على انقسام الدين الى اجل حال ومؤجل
وامر بكتابة المؤجل على سبيل الندب والارشاد لانه اوثق وامن من النسيان وابعد من
الجحود عن ابن عباس رضي الله عنه ان المراد به السلم وقال لما حرم الله تعالى الربوا اباح
السلم وسياتي ما يتعلق بهذا المقام من الكلام وليكتب فنبه بقوله بينكم ليكون ابعد
عن الاشتباه والتهمة والتنكير في كاتب للتنبيه على ان المعتبر كون الكتابة على الوجه
المعهود لا كون الكاتب معهودا ولهذا قيدها بقوله بالعدل واطلق الكاتب اي
وليكتب بالتسوية والاحتياط لا يزيد على ما يجب ولا ينقص عنه وهذا يدل اقتضاء
على ان الكاتب يجب ان يكون فقيها عالما بالشروط حتى يكون مكتوبه معتدا بالشرع فيحصل
ما هو المقصود من الكلام على تقدير تعلق القيد المذكور بالكاتب واما الذي ذكرناه

تنفوت حينئذ فالراجح تعلقه بالفعل والامر في الحقيقة للمداينين باخبار كانت فقيه
دين حق يجي مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع ولا ياب ولا يمتنع كاتب احد من الكتاب
ان يكتب فان تنكير كاتب بعد النهي يفيد العموم كما علمه الله مثل ما علمه من كتبه الوثائق
والاياب ان ينفع الناس بكتابه كما نفعه الله بتعليمها كما قال تعالى واحسن كما احسن
الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء عنها تاكيدا وهذا
لان التاء تدل على الترتيب على السابق ولان ورود الامر عقيب ذلك النهي تاييدا له
يشعر بذلك كل الاشعار ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر فيكون النهي عن الامتناع منها
مطلقة ثم الامر بها مقيد وهذا الامر احسن من جعل الاول تمهيدا له لما فيه من
تدرج وتفخيم لشان الكتابة على النهج المذكور وفي تقديم كما علمه الله مبالغة حسنه
والاول اظهر واقرب تناولا وليملل الذي عليه الحق الاملال والاملاء الالقاء على
الكاتب الكتابة والذي عليه الحق هو الذي عليه الدين وانما كان الاملاء اليه لان
المقر المشهود عليه وليتق الله ربه اي الكاتب لا المملي على ما ستقف عليه جمع بين اسم
الذات والوصف تذكيرا لكونه مربيا له مصلحا ولا يبخس منه شيئا اي ولا ينقص مما املى
عليه قليلا ولما كان الامر بالاتقا تمهيدا للنهي عن النقص المذكور لم يوت بينهما باداة الترتيب
فان كان الذي عليه الحق دل على هذا توجه الامر والنهي الى الكاتب فانهما لو توجها الى المملي
لكان حق الكلام في هذا المقام الاكتفا بالضمير وتصديره بالفاء المترتبة على ما تقدم
سفيها محجورا عليه لجهله بالتصرف او التبذير او ضعيفا لصغره او لكبره والمراد صفة
القوي لا ضعف النهي لانه من اسباب الحجر فيندرج تحت السفه او لا يستطيع ان يمل هو
او غير مستطيع بنفسه لعي او فليملل وليه اي الذي يلي امره وصيا كان او وليا او وكيلا او
ترجمانا بالعدل وفيه دلالة على جواز النيابة في الاقرار بالدين واستشهدوا واشهدوا
اي واطلبوا ان يشهد لهم شهيدين من رجالكم اي من المومنين البالغين اما البلوغ
فلا بد منه قطعا واما الاسلام فلا بد منه ايضا ان كان المديون مسلما وان كان كافرا فاعتبار
احتياط لانه يحتمل ان يسلم فلا دلالة في الاية على انه لا يسمع شهادة الكفار بعضهم على
بعض ثم ان المقصود بيان النصاب لا بيان الشرائط ولهذا لم يتعرض لقيد الحرية والعقل
فان لم يكونا رجلين فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامراتان فليشهد رجل وامراتان
من قال هذا مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند ابي حنيفة رحمه الله
فكانه ذهل عن الكلام في الاشهاد على الدين فان قلت اليس كل منهما نصاب الشهادة بلا تفاوت
بينهما ولا توقف لصحة الثاني على عدم الاول ولهذا لم يقل فان لم يوجدا فرجل وامراتان واما
عدم التفاوت بينهما فممنوع فان الاصل هو الاول وهو الراجح ولهذا صدر بالشرطية المذكورة

باداة

باداة الترتيب ممن ترضون من الشهداء اي من العدول المرضيين من الشهود ان تضل
احداهما فتذكر احداهما الاخرى علة الاقامة شهادة امراتين مقام شهادة رجل واحد
والضلال بمعنى النسيان مجازا لانه سببه كما في قوله تعالى فعلتها اذا وانا من الضالين
فان قيل كيف قال ان تضل وانما الاقامة المذكورة للاذكار لا للضلال قلت اجاب عنه
سيبويه بان الضلال سببا للاذكار فقدم عليه لانه سبب العلة لا لانه العلة كما
يقال اعددت هذا الحايط ان يميل فادعمه وانما اعددته للدعم لا للميل لكن قدم عليه الميل
لانه سببه والعدول عن الظاهر للاعتنا بشان التذكير فان اقتضاء الفعل اليه وكونه
مقصودا من الفعل ابلغ مبلغ صار المهروب عنه مطلوبا لاجله ومن حيث كونه مفضيا
اليه واجاب عنه الفرا بانه بمعنى الجزاء وتقديره ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت الا
انه لما تقدم ان اتصل بما قبله من العامل الاول فانفتح ويوده قراة ان تضل بكسر الالف
على الشرط فتذكر بالرفع وقرئ ان تضل على البنا للمفعول اي توجد ضالة من الاضلال
الذي همزته للوجدان نحو احمدته بمعنى وجدته محمودا ولا يخفى ما في التعليل المذكور من
الدلالة على ضعف حفظهن وقلة ضبطهن وليس ذلك الا لنقصان عقلهن ولا ياب
الشهداء اذا ما دعوا اي لا يمتنع المدعوون لتحمل الشهادة عن الحضور ليتحملوا الشهادة وكان
تسميتهم شهداء قبل التحمل تنزيلا للمشارف منزلة الكائن او لا يمتنع المتحملون اذا دعوا الى ادا
الشهادة ليودوها والنهي عن الاول تنزيها وعلى الثاني تحريما ولا تساموا نهي عن الضجر
والملل من كثرة المداينات ان تكتبوه اي لا تملوا ان تكتبوا الدين والحق والكتاب
لذا قالوا ويرد عليه ان الضجر والملل انما يكون بعد الشروع فيه والاكثار منه والمراد هنا
النهي عن السامة من ان يكتب ابتداء فان الوجه ان تكون السامة كناية عن الكسل والمير
الى الكتابة لا لانه من صفة المنافق اذ حينئذ لا يجدي تغيير التعبير بل لان تلك العبارة
كانت دايرة على السنة المنافقين فصارت من شعارهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
لا يقول المومن كسلت صغيرا قدم اهتماما به وانتفاء لا من الادنى الى الاعلى او
كبيرا حالان منه اي لا تساموا كتابة الحق والدين على اي حال كان من صغر او كبر
ولا تساموا ان تكتبوه مختصرا او مشبعا على ان الضمير للكتاب الى اجله الى وقته الذي
عينه المتداينان ذلكم اشارة الى ان تكتبوه لانه معنى المصدر اقسط اكثر قسطا
عند الله اي في حكمه واقوم للشهادة واثبت لها واعون على اقامتها واقسط مبني من
قاسط بمعنى النسب الى ذي قسط واقوم من قويم ويجوز عند سيبويه ان يبنى افعل التفضيل
من غير الثلاثي فيكونان مبنيين من اقسط واقام وادنى ان لا ترتابوا واقرب لانتفاء
الريبة من جنس الدين وقدره واجله والشهود ونحو ذلك والمفضل عليه محذوف وحسن

حذفه ووقوع افعل خبرا للمبتدا الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس
عليكم جناح الا تكتبوها استثنا مفرغ اي لا تتركوا كتابة وقتا ما او لعلة ما
الا وقت كونها تجارة ناجزة تتعاطونها بينكم يدا بيد ولا تكون تجارة ناجزة
على ان ما بعد الا منصب على الظرف او على المفعول له قري تجارة حاضرة بالرفع
على ان كان التامة والناقصة واسمها تجارة وخبرها تديرونها وبالنصب على الا ان
يكون التجارة تجارة حاضرة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين او عين والمفهوم
تفريع نفي المباح وهو الاثم على الشرط المذكور فيستلزم ثبوت الاثم في عدم الكتا
على تقدير فقد ذلك الشرط وموجبه ان يكون الامر بالكتابة فيما تقدم للوجوب
فالقايلون بحجية المفهوم لا بد لهم من القول بوجوب الكتابة واشهدوا اذا تبايعتم
في العاجل والاجل جميعا والامر للندب ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل البنا للفاعل
والمفعول جميعا والدليل عليه قراة عمر ولا يضارر بالاظهار والكسر وقراة ابن عباس
رضي الله عنه ولا يضارر بالاظهار والفتح والمراد نهي الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة
الى ما يطلب منهما وعن التغيير بالزيادة والنقصان او نهي المستكتب والمستشهد عن الضرار
بهما بان يعجلا عن مهم او لا يعطي الكاتب حقه من الجعل او يكلف الشهيد مؤنة مجيئه من مكان
بعيد وامثال ذلك وقرا الحسن ولا يضار بالكسر وان تفعلوا اي وان تضاروا
وان تفعلوا شيئا مما نهيتم عنه فانه فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم
واتقوا الله في مخالفة امره ونهيه ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله
بكل شي عليم كرر لفظة الله ثلاث مرات متواليات وكان الثاني والثالث موضع
كناية ولهذا الباب قانون يعرف به المستحسن من المستقبح وهو ان كل كريم على طريق
تعظيم الامر او تحقيره في جمل متواليات كل جملة منها مستقلة بنفسها فذلك غير مستقبح
وهذا ظاهر في الاية فان الجملة الاولى منها حث على التقوى والثانية تذكير بنعمته والثالثة
تعظيم له متضمن لوعد ووعيد شديد وقصد لتعظيم كل واحد من هذه الاحكام فاعيد
لفظة الله فيها وان كنتم على سفر لم يقل مسافرين لما بينهما من الفرق الظاهر فان من
دخل مدينة ولم ينوا الاقامة مسافر ولكنه ليس على سفر والمناسب لان يذكر تمهيدا لقوله
ولم تجدوا كاتبا هو الثاني دون الاول فرهان خبر مبتدا محذوف اي فالذي يستوثق
به رهان وهي جمع رهن وهو العين المقبوض للدين توثيقا له وقري فرهن وهو جمع
الجمع قال الجوهري كانه يجمع رهنا على رهان ثم يجمع على رهن مثل فراش وفرش ولا
يجمع فعل على فعل الا قليلا شاذا مقبوضة نعت للرهان ودل ذلك على ان حكمة دوام
الجنس فانه لا يصير رهنا الا بابتداء القبض فذكر الرهن ذكر ذلك القبض ثم وصفها

بالمقبوضة بعد ذلك اشتراط لدوام القبض فيها وليس الغرض تخصيص الرهن بالسفر
شرطا في جوازه لكن لما كان السفر مظنة اعواز الكاتب والشهيد ارشاد المسافر
الى حفظ المال بان يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد وعن
مجاهد والضحاك انهما يجوزانه الا في حال السفر اخذا بظاهر الاية وليس بشي لان رسول
الله صلى الله عليه وسلم رهن درعه في حضر واما القبض فلا بد من اعتباره على
ما نصت عليه الاية وعليه الجمهور وقال مالك يصح الرهن بمجرد الايجاب والقبول
بدون القبض فان امن بعضكم بعضا فان امن بعض الدائنين بعض المديونين
بحسن ظنه به فليؤد الذي اؤتمن امانته اي فليجب على المديون اداء امانته الذي
ائتمنه عليها بان لم يرتهن منه شيئا حثا له على ان يكون عند ظنه به وفي تسمية الدين امانة
وقري فان اؤمن اي امنه الناس بان وصفوه بالامانة والديانة والاستغناء
عن الارتهان من مثله وليتق الله ربه نهي عن الخيانة وانكار الحق على ابلغ وجه
وقد مر وجه الجمع بين اسم الذات والوصف ولا تكتموا الشهادة خطاب للشهود
ومن يكتمها فانه اثم قلبه اثم خبر ان وقلبه فاعل اثم اي فانه ياثم قلبه او قلبه
مبتدا واثم خبره والجملة خبر ان وقري قلبه بالنصب كقوله تعالى سفه نفسه
وقري اثم قلبه اسند الاثم الى القلب لكونه ابلغ من وجوه احدها ان يعلم انه
الذي اضمرها فلم يوديها الى اللسان ليظهرها فالقلب هو المقترف فيكون صاحبه فاعلا
للذنب لا اللسان فيكون كالنوادر والثاني ان الفعل اذا اسند الى الجارحة التي
يعمل بها فان كان ابلغ واكد كما اذا اردت التاكيد قلت هذا مما ابصرته عيني وسمعته
اذني وعقله قلبي والثالث القلب هو الرئيس والقلب البدنية فاسناده افاد
انه تمكن في اصل نفسه وملك اشرف محل فيه ورسخ في ذاته الرابع ان الاثام المتعلقة
بالاعضاء الظاهرة اسهل واخف واسرع زوالا ما دام القلب سليما واما المتعلقات
فمنكوسة اشد واغلظ وابعد عن العفو لها من الابدان بان الكتمان من الكباير
المتعلقة والعقايد كالكفر والنفاق والشرك وامثالها ولهذا قال
ابن عباس اكبر الكباير الاشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة
وشهادة الزور وكتمان الشهادة والسادس القلب هو الاصل الذي يتقوم به
ساير الاعضاء فافعاله هي الاصول التي تتشعب منها افعال الجوارح الا ترى ان اصل الحسنات ر
الايمان والكفر هو الذي اذا صلح صلح الكل واذا فسد فسد الكل فاذا اثم اثم الكل والله بما
تعملون عليم وعيد وتهديد لله ما في السموات وما في الارض ناسب ختم ما في هذه السورة
من الكلام المشتمل للاحكام العديدة والتكاليف محل اعتقادها الانفس قال وان تبدوا ما في انفسكم

من السوء او بخفوه ولا تدخل فيه الوسواس وحديث النفس اذ ليس في وسعه الخلو منه ولا
يكلف الله نفسا الا وسعها ولكن ما اعتقده او عزم عليه يحاسبكم به الله قال الحسن ليس
يعاقب الله تعالى عبدا يوم القيامة اسر عملا او اعلنه من حركة في جوارحه او هم في
قلبه دون ان يعرفه اياه يوم القيامة حتى يقرره ثم يغفر ما يشاء لمن يشاء ويعذب
من يشاء بما يشاء فيغفر لمن يشاء من اهل المغفرة ويعذب من يشاء من اهل العقوبة
وهذا صريح في نفي وجوب التعذيب وفي الاية دلالة على وقوع الحساب فيكون حجة
على من انكره من المعتزلة والروافض وقرئ يغفر ويعذب مجزوما على البدل من يحاسبكم
بدل البعض من الكل او بدل الاشتمال ومعنى لا بدا لتفصيل للاجمال الذي في الحساب
لان التفصيل بين واوضح فكلها لا يحتاج الى البيان يجري فيه هذا البدل اسما كان او
فعلا اذ الفعل يحتاج اليه احتياج الاسم وللمفعول اظهار الرا في الجزم وادغام البا ومن
روي ادغام الرا في اللام عن ابي بكر فهو مخطئ مرتين حيث لحن فاحشا اذ الرا لا تدغم الا
في مثلها ثم نسبه الى اعلم الناس بالعربية والسبب عدم ضبط الرواية لعدم الدراية
كذا قيل وفيه بحث يطلب من تفسير ابي حيان والله على كل شيء قدير فلا يعجز
عن الاحيا والمحاسبة وما يعقبها من المغفرة والتعذيب امن الرسول تنصيص
من الله تعالى على صحة ايمانه عليه الصلاة والسلام والاعتداد به بما انزل اليه
روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان جبرايل عليه الصلاة والسلام انزل على محمد صلى
الله عليه وسلم جميع القران الا هذه الايات الثلاث فان الله تعالى اوحاها اليه
عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج وبه قال الحسن ومجاهد وابن سيرين من ربه
في عبارة الرب اشارة الى ان في الانزال المذكور تربية له عليه الصلاة والسلام
ولهذا كان تدريجا والمؤمنون كل امن بالله وملائكته ان عطف والمؤمنون
على الرسول كان التنوين في كل عوضا عن الضمير الراجع الى الرسول والمؤمنون اي
كلهم امن ووحد ضمير كل في امن ليتناول كل واحد فيكون ابلغ من الجمع وان جعل مبتدا
كان الضمير للمؤمنين دون الرسول باعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدا ويكون
افراد الرسول عليه الصلاة والسلام بالحكم اما التعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة
وعيان وايمانهم عن نظر وبرهان فكانهما جنسان وكتبه ورسله ذكر الكتب بين
الملائكة والرسل باعتبار انها تصل منهم اليهم وقرا ابن عباس رضي الله عنه وكتابه
يريد القران او الجنس وعنه الكتاب اكثر من الكتب لما ذكر من تناوله وحدان
الجمع لا نفرق بين احد من رسله اي يقولون لا نفرق بين وقرئ يفرق
بالياء على ان الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا على معناه لقوله وكل اتوه داخرين

واحد

واحد في الاصل بمعنى واحد في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في نفي العام مستويا
فيه المذكر والمونث والواحد وما رواه وهذا العموم غير العموم المستفاد من وقوع
المنكرة في سياق النفي يدل عليه انه لا يستقيم لا نفرق بين رسول من الرسل الا
بتقدير عطف اي رسول ورسول والمراد الفرق بالتصديق لا الفرق مطلقا
فان الفرق بالتفضيل والبعثة بالشريعة غير منهي عنه وقالوا سمعنا اي
فهمنا كما في قوله تعالى ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ان كان اطاعتنا
عن اذعان وقبول لا عن تقليد على العمى والطمع في متاع الدنيا ونيل جدوى وفيه ان قوله
واطعنا يغني عنه والافادة خير من الاعادة ويجوز ان يكون المراد سمعنا قولك
فيما كلفتنا واطعنا امرك في ذلك غفرانك ربنا واليك المصير منصوب
باضمار فعله يقال غفرانك لا كفرانك اي نستغفرك ولا نكفرك اي من التقصير
في حقك وفي عبادتك التي لا نوفي حقها لا يكلف الله نفسا الا وسعها اي لا ما يتسع
فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود وهذا اخبار عن عدله ورافته
كقوله يريد الله بكم اليسر لانه كان في طاقته ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم
اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة وفيه دلالة على عدم وقوع التكليف بالمحال واما انه
ممتنع فلا دلالة عليه بل الظاهر من الاخبار عن عدم وقوعه امكانه لها ما كسبت
من خير وعليها ما اكتسبت من شر وتقديم الهاء وعليها على الكسب والاكتساب
للتخصيص اي لا يثاب بخيرها ولا يؤاخذ بشرها غيرها بل يختصان بها تخصيص الكسب
بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب
اليه فكان اجد في تحصيله واعمل بخلاف الخير وفيه تنبيه على زيادة اللطف وكمال
الفضل حيث يثيب على الخير كيفما وقع ولا يعاقب على الشر الا بعد الاعتمال فيه
وقوة التصرف ربنا اي يقولون ربنا كما تقدم وما بينهما اخبار من الله تعالى
والاعتراض قبل تمام الكلام كثير في القران لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا
النسيان والخطا مجازان من باب اطلاق اسم السبب على المسبب اي لا تؤاخذنا
ان فرط منا ذنب بسبب النسيان او الخطا او من باب اطلاق اسم المسبب على
السبب اي لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى النسيان والخطا من تفريطه وقلة مبالاة
ويجوز ان يكون على حقيقتهما اولا يمتنع المؤاخذة بهما عقلا لكنه تعالى وعد التجاوز
عنها رحمة وفضلا ويجوز ان يكون يدعو الانسان فيه استدامة واعتدادا بالنعمة
فيه وقوله عليه الصلاة والسلام رفع عن امتي الخطا والنسيان يحتمل المعنيين
ايضا لان المرفوع اثرهما لا نفسهما على هذا يصح ان يراد المعنى الاول ربنا تكرير

للمنادي فلا يخل بعطف قوله ولا تحمل علينا على قوله لا تواخذنا اصرا الاصر
العبا الذي ياصر حامله اي يحبسه في مكانه لا يستقل به لثقله والمراد به التكاليف
الشاقة وقري ولا تحملنا للتشديد للمبالغة في الطلب لان المطلوب انتفاؤه
كما حملته حملا مثل حملك اياه على الذين من قبلنا من الامم او مثل الذي حملته
عليهم فيكون صفة الاصر والمراد به ما كلف به بنوا اسرائيل من قتل الانفس وقتل
موضع النجاسة وخمسين صلاة في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكاة ربنا
ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من العقوبات النازلة بالامم السالفة طلبوا الاعفا
من التكاليف الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عما نزلت بهم من العقوبات لتفريطهم
في المحافظة عليها وقيل هو تاكيد للاول بالتكرير والمراد به الشاق الذي لا يكاد
يستطاع من التكاليف وهذا دليل على جواز التكليف بما لا يطاق ولم يتعين هذا المعنى
مرادا من الاية حتى يتم الدلالة بها على جوازه والتشديد هنا لتعدية الفعل
من المفعول الثاني واعف عنا قال الازهري كل من استحق عقوبة فتركها فقد
عفوت عنه لفظ اللازم والتعدي سوا يقال عفا الله عن العبد عفوا وعفت الرياح
الاثر عفا فعفا الاثر عفوا واغفر لنا واستر ذنوبنا ولا تفضحنا بكشف عيوبنا
والعفو لا يستلزم الستر فلا تكرار وارحمنا تعطف بنا وتفضل علينا انت مولانا
سيدنا ونحن عبيدك وناصرنا ومتولي امورنا فانصرنا على القوم الكافرين
فان من حق المولى ان ينصر مواليه على الاعدا او فان ذلك من امورنا التي تتولاها
خصت السورة الكريمة بمثل ما بديت به من اثبات توحيده وصفات جلاله والنبوة
والمعاد والقضا والقدر وضمن ذكر المؤمنين السامعين المطيعين وهم المتقون
الذين جعل الكتاب هدى لهم وبين شمول لطفه في شان هذا النوع وخصوصا
هذه الامة وجعل ختام ذلك كله ما يدل على كمال حال المؤمنين المطيع ان لا يزال
مستمدا من مخرجوده بالسنة الاستعداد والحال والمقال فبذلك ارتقاؤه في مدارج
الكمال ومعارج الجلال والجمال

سورة آل عمران مدنية وآياتها مايتان

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا اله الا هو الافصح ان يوقف على ميم كما وقف على الف ولام كما هو قراة ابي
بكر في رواية عاصم واطبق سائر القرا على فتح الميم بطرح الهمزة للتخفيف
والفاتحة كلها عليها وهي في حكم الوقف والهمزة في حكم الثابت ومن قال ان الحركة

لالتقا

التقاء الساكنين من كلمتين فما ذكره ليس بنظير له لانه في كلمة واحدة والفرق واضح واما قرا
الكسر فاجوزها الاخفش ولم ينقل عن احد من السبعة الحي القيوم اسم الله الاعظم
بدلالة ما روي انه عليه الصلاة والسلام قال ان اسم الاعظم في ثلاث سور البقرة الله
لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه
للحي القيوم نزل عليك الكتاب القران منجما بالحق بالعدل او بالصدق في اخباره
ومواعيده وبالبينات المحققة انه من الله تعالى وهو في موضع الحال مصدقا لما بين
يديه من الكتب الالهية المنزلة على الانبيا عليهم الصلاة والسلام الحاضرة عند نزوله التنا
وانزل جملة التوراة والانجيل اسمان عبرانيان فلا يدخلهما اشتقاق عربي بعض النحاة ثم تكلموا
فيهما على تقدير كونهما عربيان فالتوراة تفعولة او تفعلة بكسر العين او تفعلة بفتحها من
الوري والانجيل فعيل من النجل من قبل تنزيل القران هدى للناس على العموم
واختصاص الكتابين المذكورين ببني اسرائيل من جهة التكليف لا ينافي عمومهما الجنس الانس
من جهة الهداية فان من تعبد بهما قبل الانتساخ فقد اهتدى وان لم يكن من بني اسرائيل
على ان كونهما هداية في اصول الدين لا يختص ولا يقبل النسخ ولهذا قال الله تعالى فبهداهم
اقتده وانزل الفرقان رابع الكتب الاربعة وهو الزبور لان الظاهر من العطف خصوصا
مع اعادة لفظ انزل التغاير بالذات وانما خص بعبارة الفرقان جبرا للنقصان المتوهم
من جهة تاخير ذكره عن قوله هدى للناس نكاته قيل في الكتب الثلاث شرايع هي هداية للناس
وفي هذا الكتاب حكم يفرق بها بين الحق والباطل ان الذين كفروا بايات الله من كتبه
المنزلة وغيرها من المعجزات لهم عذاب شديد مخصوص بنوع لا يعرف كنهه
من العذاب الشديد والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب ذو انتقام له انتقام
لا يقدر قدره من الشدة ولا يقدر على مثله منتقم والنقمة مطلق العقوبة لا عقوبة
المجرم خاصة وعيد جي به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوة
تعظيما للامر وزجرا على الاعتراض عنه ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السما عبر
عن العالم بقطريه وتقديم الارض لان المقصود بالذكر ما اقترف فيها كانه قيل يعذبهم الله
الذي هو عالم بكمال القدرة والغلبة والعلم باحوال العباد هو على الانفراد والتعيين
الذي يصوركم في الارحام كيف يشا من الصور المختلفة فهو في موضع الظرف اي
في اي صورة على اي هيئة يشا وقري يصوركم اي صوركم لنفسه وعبادته
لا اله الا هو اي لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز المنيع
في ملكه الحكيم في قوله وفعله قيل هذا احتجاج على من زعم ان عيسى عليه الصلاة
والسلام كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت السورة

من اولها الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليهم واجاب هو الذي انزل عليك الكتاب
منه آيات في موضع النصب بالحال من الكتاب او كلام مستانف موضح الحالة محكمات احكمت
بظهور دلالتها على المعنى المراد هن ام الكتاب اي اصله الذي يحمل المتشابهات عليه
ويرد عليه وانما افرد لامر تحديد الكلام للدلالة على ما يساق له وآخر متشابهات
محتملات لاكثر من معنى واحد وغير ظاهرة الدلالة وفائدته بعث النفوس على النظر
والفكر وتحريض القلوب على التامل والتدبر ليتميزن في الاستدلال واستخراج الدقائق
وابراز مكنونات الحقائق ويزداد حرصهم على تحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد
من المتشابهات والتوفيق بينهما وبين المحكمات فان الانسان بذلك ينال من الثواب الدرجات
ما لا ينالها بالتقلب في العبادات المواظبة على سائر القربات ومن وهم انه لو كان كله محكمات
لتعطل الطريق الذي لا يتوصل الى معرفة الله الا به فقد وهم اذ لا يلزم من ترك التامل في معرفة
معاني الالفاظ تركه في ترتب البعض على البعض واستنباط ما فيها من العلل والنكات
والفروع وغير ذلك وانما المراد من المحكم في قوله احكمت آياته المحفوظ من فساد المعنى وركاكة
اللفظ ومن المتشابه في قوله كتابا متشابها الشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة
اللفظ فاما الذين في قلوبهم زيغ ميل عن الصواب وتحرف الحق تفريع على ما فهم مما
تقدم من ان المتشابهات محال الصرف عن الحق كما ان فيه محال الرد اليه واما التفصيل
حال الفريقين السالكين مسلك الصرف عنه والصرف اليه وانما اقتصر على ذكر الاول منهما
لظهور حال الثاني فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون المتشابه المحتمل لما يطابق اهواءهم
ولا يلتفتون الى المحكمات وكان حقهم ان يتبعوها ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنون الناس
ويضلوهم عن الحق وابتغاء تأويله بما يطابق عقيدتهم قدم الاول لانه الغرض وهذا
وسيلة اليه وما يعلم تأويله الذي يجب ان يحمل عليه الا الله والراسخون
والذين رسخوا اي ثبتوا في العلم وتمكنوا منه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما
استأثر الله تعالى بعلمه وبمعرفة المحكم من آياته ومن يطلع اليه احدا لا يقال لو لم يكن
للراسخين حظ من علم المتشابه الا ان يقولوا آمنا به كل من عند ربنا لم يكن لهم فضل على
الجهال لانهم يقولون ذلك لانا نقول ليس الكلام في اثبات الفضيلة لهم بل في بيان اختصاص
المتشابهات بالله فالمعنى ان الراسخين مع ما فيهم من المزية والفضيلة يقفون عند التصديق
الاجمالي ولا يتجاوزون عنه الى الحد التفصيلي بالتفسير والتاويل فكيف من دونهم يقولون
آمنا به كلام مستانف موضح لحال الراسخين او حال منهم وخبر ان جعل والراسخون مبتدأ
به بالمتشابه او بالكتاب كل من عند ربنا اي كل من المحكم والمتشابه منزل
من اللوح المحفوظ عنده تعالى وما يذكر الا اولوا الالباب مسرود على سبيل المدح

للراسخين المتحققين في العلم او ايماء الى انهم جردوا عقولهم من قشر الاوهام والخيالات
وشوب الاهواء والعادات فهم اهل اللب الخالص لا يجوم غيرهم حول التذكر والتفكر
ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين وما بينهما اعتراض ويحتمل الاستيناف على اضمار
قولوا والمعنى لا تمل قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل باطل قال عليه الصلاة
والسلام قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه
وقيل لا تبتلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا الى الحق ويندرج فيه الايمان
بالقسمين اندراجا اوليا وبعد نصب على الظرف واذ في موضع الجر باضافته اليه وقيل
انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك رحمة ترشدنا بها الى كل خير وصلاح وتعصمنا بها عن كل
شر وفساد انك انت الوهاب كثير الهبة وفيها النص على العبد فعله ولا دلالة فيه على
ما هو الحق في الخلافية المشهورة لان المعتزلة لا ينكرون الافضال بعد اتيان الواجب ربنا
انك جامع الناس ليوم المراد من اليوم وقعة القيامة والتفكير للتهويل لا ريب فيه
في وقوعه ان الله لا يخلف الميعاد اي للداعين بالاجابة والمطيعين بالاثابة او في اقامة
القيامة كما وضع اولوا الالباب موضع اولئك للمدح والتسجيل باللب على طريقة الالتفات
غايته وجه التعبير المذكور بناء في ضمنه ان الذين كفروا يعني برسول الله صلى الله
عليه وسلم لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من جهة رحمته وطاعته كانه
قال لا تقوم بدل رحمته وطاعته فتغني عنهم اغناؤها واولئك هم وقود النار حطبها
وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها كدأب آل فرعون متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم
تغن عن اولئك او توقد بهم كما توقد باولئك استيناف مرفوع المحل تقديره دأب
هؤلاء كدأبهم في الكفر والعذاب وهو مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه ثم غلب استعماله
في معنى الشان والذين من قبلهم عطف على آل فرعون او استيناف كذبوا بآياتنا فاخذهم
الله بذنوبهم حال باضمار قد او استيناف تفسير حالهم او خبر على تقدير الابتدا
بالذين والله شديد العقاب تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة قل للذين
كفروا اي لمشركي مكة وقيل لليهود ستغلبون يوم بدر او بقتل قريظة واجلاء
بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وتحشرون الى جهنم وقرئ بالياء
فيهما على الغيبة الاخبار يعني كلام الله تعالى وعلى الخطاب بلفظه وبئس المهاد تمام
ما يقال لهم او استيناف اي بئس المهاد جهنم او ما مهدوا لانفسهم وفي عبارة المهاد
تهكم بهم قد كان لكم آية الخطاب لقريش او لليهود وقيل للمؤمنين في فئتين
التقتا يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة صح الابتدا بالنكرة لانه في
موضع تفصيل وثمة صفة محذوفة تقديرها فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله واخرى

معطوفة على فيه تقديره واخري كافرة تقاتل في سبيل الله عوت كما قال تعالى الذين
امنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت حذف من الجملة
الاولي ما اثبت مقابله في الجملة الثانيه ومن الثانية ما اثبت مقابلة في الاولي وهذا من
الاختصارات البليغة يرونهم مثليهم اي يري المشركون المومنين مثلي عددهم وكانوا
ثلثماية وبضعة عشر او مثلي المشركين وكانوا قريب الف وهذا لا ينافي قوله واذ
يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم لا يجوز ان يكون التقليل من جهة العدد
فلا ينافي التكثير من جهة العدد فلا ينافي التكثير من جهة العدد فلا ينافي التكثير من جهة
العدد يكونان في حالة واحدة كيلا يجبنوا كل الجبن فيحجموا عن القتال ولا يجترؤا كل الجراءة
فيشتد الامر وهذا اولي من التوفيق بينهما بان التقليل كان في اول الملاقاة والتكثير بعد
ذلك او يري المومنون المشركين مثلا المومنين وكانوا ثلاثة امثالهم ليثبتوا لهم بتيقنوا
بالنصر الموعود في قوله وان تكن منكم ماية صابرة يغلبوا مائتين والقراة بالتاء الفوقانية
تويد هذا ان كان الخطاب للمومنين ويويد المعني الاول ان كان الخطاب لقريش وقري
بهما على البنا للمفعول اي يريهم الله او يريكم ذلك بقدرته وقري فيه بالجر على البدل
من فيتين والنصب على المدح واخري كافرة نصب على الذم او حال من فاعل التقتا
راي العين لا بد من صرفه عن الظاهر لان الروية بمعني الابصار لا تتعدي الى المفعول ثاني [بين]
ومثليهم مفعول ثان لا حال لعدم ثبوت تلك الحال في الواقع لواحد من الفيتين فالمراد
معناه المجازي وهو العلم الحاصل بسبب روية العين والله يويد بنصره من يشاء
نصره كما ايد اهل بدر ان في ذلك اي فيما ذكر من غلبة المسلمين في قلتهم وضعفهم
الكافرين على كثرتهم وشوكتهم بالكيفية المذكورة لعبرة لفظة لاولي الابصار [ل]
لذوي البصاير او لمن ابصرهم زين للناس حب الشهوات اي المشتهيات سماها شهوات
مبالغة وايما الي انهم انهمكوا في محبتها حتي احبوا شهوتها وهم يقولون النفس لحب الشيء
والمزين في الحقيقة هو الشيطان لان التزيين صفة تقوم به فمن قال المزين هو
الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعي فقد اخطا في المدعي واما اصاب في الدليل
على ما سبق تفصيله في سورة البقرة وانما سلطه الله تعالى على تزيين ما ذكر لانه من اسباب
التعايش وبقاء النوع من النساء والبنين والقناطير المقنطرة القناطير جمع القنطار
وهو المال الكثير والمقنطرة ماخوذة منه للمبالغة اي من شان العرب ان يشتقوا
من لفظ الشيء ما اذا رفعته ومنه القنطرة لانه بناء مشيد من الذهب والفضة والخيل
المسومة الخيل الافراس سميت خيلا لاختيالها في مشيها والمسومة المعلمة وهي العلامة
او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة اي تامة الخلق من السومة لانها كانها

علم

علم في الحسن او من السوم في البيع لانها تسام كثيرا والانعام والابل والبقر والحرث
وهو القا البذر وتهيه الارض والزرع مراعاته وانباته ولهذا قال الله تعالى افرايتم
ما تحرثون انتم تزرعونه ام نحن الزارعون فاثبت لهم الحرث ونفي عنهم الزرع ذلك
اشارة الي ما ذكر متاع الحياة الدنيا المتاع ما يستمتع به مدة ثم يفني والله عنده
حسن الماب المرجع في الارشاد بذلك اشارة الي بعد تلك المشتهيات من الله تعالى وتقديم
اسم الله تعالى على ما عنده تقرير لذلك البعد بتخصيص غيره وذكر الحسن وتقديم الظرف
عليه اشارة الي الحسن مختص بالعندية واما الي قبح الشهوات البعيدة والمقصود التحريض
على ثبات ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية على الشهوات الناقصة الفانية قل
اونبيكم بخير من ذلكم تقرير لخيرية ما عند الله من مستلذات الدنيا للذين اتقوا
عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها استيناف لبيان ما هو خير ويجوز
ان يتعلق اللام بخير وترتفع جنات ويويد قراة من جرها بدلا من خير وازواج مطهرة
قد سبق تفسيره في سورة البقرة ورضوان من الله جمع بين التكثير المستفاد من
التنكير والتشريف المستفاد من قوله تعالى فهو ابلغ من رضوان الله والله بصير بالعباد
اي يثيب ويعاقب على استحقاقهم او بصير بالذين اتقوا باحوالهم فلذلك اعد لهم الجنات
على حسب درجاتهم الذين يقولون ربنا امنا نصب على المدح او رفع عليه او جر صفة
للمتقين او العباد فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار في ترتيب السوال على مجرد الايمان
دلالة على انه وسيلة كافية في طلب المغفرة الصابرين والصادقين والقانتين
والمنفقين والمستغفرين بالاسحار حصر لمقامات السالك على احسن ترتيب فان معاملته
مع الله اما توسل واما طلب التوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذايل وحبسها على
الفضايل والصبر يشملهما واما بالبدن وهو اما قولي وهو الصدق واما فعلي وهو القنوت
الذي هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو الانفاق في سبيل الخير واما الطلب فهو الاستغفار
لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسط الواو بينهما للدلالة على انهم جامعون
لها واما دلالته على استقلال لكل من المعطوفين فغير مسلمة فان دلالتها على الانضمام على
ما ياتي في تفسير سورة التوبة وتخصيص الاستغفار بالاسحار لانها اصفي اوقات العبادة
فانهم كانوا يجتهدون قوامين بالليل يستغفرون الى الله تعالى فيكون طلب الحاجة بعده
احسن واقرب الي الاجابة لتعاضد الامرين صفاء الوقت والتقرب بالطاعة اليه
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه شهد الله انه لا اله الا هو بين وحدانيته بنصب
الدلايل الدالة عليها وانزال الايات الناطقة بها والملائكة بالاقرار واولوا العلم من الثقلين
بالاحتجاج عليها شبه ذلك بالبيان والكشف بشهادة الشاهد والدلالة والاقرار والاحتجاج

نعله
ايثار

من افراد معنى مجازي والامر المشبه بالشهادة لا معاني مجازية ليمتنع الجمع بينهما في الارادة
وانما لم يعتبر التقرير فعل اخر ليكون الاول مجازا والثاني حقيقة لانه خلاف الظاهر
مع الغنية عنه للمجاز المستفيض قايما بالقسط مقيما بالعدل في قسمة الارزاق والاجال
والعقاب ويقين الشرايع والاحكام بين العباد وانتصابه على الحال من هو والعامل معنى
الجملة اي تفرد قايما وهذا اوجه الاوجه لانه اقرب واذل على المقصود واغنى دخول
التعديل تحت الشهادة كالتوحيد والاوفق بما عليه غالب الاستعمال من كون الحال المؤكدة
عقيب الجملة الاسمية واما انتصابه على المدح نكرة والمنتصب عنه معرفة فيمنعه القياس
ولم يرد به الاستعمال وقرئ القايم بالقسط على البدل من هو او الخبر المحذوف لا اله الا
هو كرره ليؤكد المشهود به على ما هو عليه في نفس الامر ونقرر ان الاصل في الدين هو
التوحيد والعدل لازم له لزوم الظل للذات ولهذا الدعا بقوله العزيز اي الغالب
بوحدته على كل شيء لا يغالبه شيء فيكون الها الحكيم الذي يؤتي كل ذي حق حقه ولا يعدل
عن العدل في افعاله فهما صفتان مقررتان لهما ورفعهما على البدل من الضمير او
الصفة لفاعل شهد ان الدين عند الله الاسلام كلام مستانف لانه لما قرر اصل الدين
واساسه باطنا وظاهرا وهو التوحيد والعدل اتجه ان يقال فما الدين الذي يجب ان يتدين
به بعد هذا الاعتقاد فاجيب بان الدين يستحق ان يسمى دينا ويعتد به عند الله ويقبل
هو الشرع الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ بالفتح على انه بدل الاشتمال وقرئ
انه بالكسر وان بالفتح على وقوع الفعل على الثاني واعتراض ما بينهما او اجراء شهد مجرى
قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما وما اختلف الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى
الا من بعد ما جاءهم العلم من بعد ما تمكنوا من العلم بحقيقة الامر بالايات البينة لا اخفاء في
ان المراد اختلافهم فيما بينهم على ما دل عليه قوله بغيا بينهم حسدا وطلبا للرياسة انقسمت
اليهود الى قراني وربانی وسمرة وانقسمت النصارى الى ملكي ويعقوبي ونسطوري وكل
طايفة تكفر من خالفها بعد ان كانت اليهود امة واحدة والنصارى كذلك وقد تمكنوا
من العلم بحقيقة الامر بالكتب المنزلة عليهم من التورية والزبور والانجيل ومن يكفر
بايات الله يرشدك هذا الى المراد من مجيء العلم مجيء ما يفيده من الايات فان الله سريع
الحساب اي لا يهمل في جزايه ولا يمهل فان الحساب كناية عن عدم الاهمال في الجزاء وسرعته كناية
عن عدم الامهال في الايصال وهذا اية وعيد شديد في الغاية فان حاجوك فان جادلوك
ولم يقبلوا ما ذا ابينته من الجواب انه في الدين فقل اسلمت وجهي لله اخلصت نفسي وجملتي
لا اشرك فيها غيره فالوجه مجاز عن نفس الشيء وذاته كما في ويبقى وجه ربك او عن جملة الشخص
تعبيرا عن الكل باشرف الاجزاء والمقصود المبالغة بجعل كل البدن محلا للاخلاص والفا للترتيب

على ما فهم مما تقدم من ان اختلافهم في الدين لغرض دنيوي لا لاظهار الحق وازالة الشبهة فلا يجري
المجادلة معهم والاحتجاج عليهم ولهذا امره عليه الصلاة والسلام بالجواب الفصيح عن الاعراض
عن محاجتهم ومن اتبعن في موضع رفع بالابتداء والخبر محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره
اسلم وجهه لله ولا يجوز عطفه على الضمير في اسلمت لاستلزامه المشاركة في المفعول ولا يصحح
لما وحمل الواو على معنى مع لا يفضي الى ذلك الا ان جوز مع ان تدخل المتبوع وقل للذين اوتوا
الكتاب والاميين الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب اسلمتم استفهام فيه استقصار
تعيير بالمعاندة اي قد جاءكم من البينات ما يوجب الاسلام ولم يبق معه شبهة فهل اسلمتم ام انتم
بعد على كفركم وعنادكم فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم باخراجها من ظلمة
الضلال الى نور الهدى وان تولوا لم يضروكم فانما عليك البلاغ وقد ابلغت وبالغت
في الحجة والله بصير بالعباد وعد للرسول ووعيد لهم ان الذين يكفرون بايات الله
ويقتلون النبيين بغير حق في سورة البقرة بغير الحق اي بغير الحق الذي حدده
الله تعالى واذن فيه والنكرة ههنا على معنى ان القتل يكون بوجوده من الحق فمعناه يقتلون
بغير حق من تلك الحقوق ويقتلون الذين يامرون بالقسط قرا رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذه الاية قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرايل ثلاثة واربعين نبيا من اول النهار
في ساعة واحدة فقام مائة رجل واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرايل فامروا بالمعروف ونهوا
عن المنكر فقتلوا جميعا من اخر النهار في ذلك اليوم وهو الذي ذكره الله وفايدة البيان
بقوله من الناس للتنبيه على انهم قتلوا الامرين بالقسط لا لخصومة بينهم ووجه المضارع
الدال على الاستقبال والحال مع ان قتل الانبياء ان كان فيما مضى ان اوايل اهل الكتاب
قتلوا الانبياء وابقاءهم الامرين بالقسط والمعاصرين راضون بذلك وقاصدون قتل
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وذلك في حكم القتل على المعاصرين بقرينة قوله
فبشرهم بعذاب اليم لا على المجموع ليلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز على ان الماضين قد
انقرضوا والمعاصرين لم يباشروا فالاستمرار على القتل في الكل ايضا مجاز فلا جمع وقد منع
سيبويه ادخال الفا في خبر ان كليت ولعل ولهذا قيل الخبر اولئك حبطت اعمالهم كقولك
زيد فافهم رجل صالح والفرق ان لا تغير معنى الابتدا بخلاف ليت ولعل في الدنيا والاخرة
اي لا ينالون بها نفعا لا في الدنيا ولا في الاخرة وما لهم من ناصرين يدفع عنهم العذاب
واعتبر مقابلة الجمع بالجمع والا يفي الفرد ابلغ الم تر تعجيب من حالهم وتنبيه على سوء صنيعهم
الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يريد احبار اليهود فانهم حصلوا نصيبا وافرا من التورية
ومن اما للتبعيض لان ما فهموه مع وجوزه ليس الا البعض منها لتعذر احاطة بكنه كلام
الله تعالى واما للبيان بمعنى ان النصيب الوافر الذي اوتوه هو التورية وعلى هذا فالانسان

بفتنة الانبيا بانزال عليهم واطلاعهم عليها لا بالتحصيل ويجوز ان يكون اللام للجنس ومن للابتدا
او للتبعيض وان يكون للعهد والمعهود واللوح ومن للابتدا او النصيب التوراة ووصفها
بالعظم انسب من وصفها بالكثرة ويدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم حال واستيناف
وكتاب الله تعالى هو التوراة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدارسهم
فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اى دين انت فقال على دين ابراهيم فقالا له
ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان يهوديا فقال فهلموا الى التوراة فانها بيننا وبينكم
فابيا فنزلت وقيل نزلت فى الرجم وقد اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة كتاب الله القرآن
لانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم
ان الرجوع الى كتاب الله لم يشكوا فيه وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض استينا
لاحال لقلة فائدة تقييد التولي به وان استقام ان يكون حالا موكدة وقرئ
ليحكم على البنا للمفعول والوجه ان يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي هو من اسلم من احبارهم
وبين من لم يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم فى صحته وهو التوراة ليحكم
بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق وهم الذين لم يسلموا وذلك ان قوله ليحكم بينهم يقتضى
ان يكون اختلافا واقعا بينهم لا فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك
اشارة الى التولى والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات بسبب
تسهيلهم امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد الزايغ والطمع الفارغ والسبب فى الحقيقة
زعمهم اياه الا انه عبر عنه بالقول تنزيلا لمعتقدهم الفاسد عن منزلة العقايد الفاسدة
الى منزلة الاقوال الباطلة التى لا طايل تحتها وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون من
ان اباءهم الاوليا يشفعون لهم اى غر الضعفا الكرام والغرور الاطماع فيما لا يصح وانما
سماه افترا وهو اختلاق الكذب على الغير لانهم اطلقوا القول الى التوراة فكيف
جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظام لما اعد لهم من العقاب وتهويل لهم اى كيف
يصنعون او كيف يكون حالهم اذا وقعوا فيما لا حيلة لهم فى دفعه ووفيت كل نفس
ما كسبت جزاء ما كسبت قيل فيه دلالة على ان العبادة لا تحبط وان المومن لا يخلد
فى النار لانه توفيه ايمانه وعمله لا يكون فى النار ولا قبل دخولها فاذن هما بعد الخلاص
ورد عليه انا لا نسلم ذلك فانه يجوز ان يكون فيها تخفيف العذاب وقبلها بدفع بعض
الاهوال عند موقف الحساب والمرور على الصراط وهم لا يظلمون بنقص وعد
من اجورهم والضمير لكل نفس على المعنى لانه فى معنى كل انسان قل اللهم الميم
عوض من يا ولهذا لا يجتمعان وذلك من خواص هذا الاسم كدخول تا القسم ويا به
مع حرف التعريف وقطع همزته مالك الملك اللام للاستغراق بعيد العموم ومو

ندا

ندا ثان عند سيبويه لان الميم عنده تمنع الوصفية تؤتى الملك من تشا اللام هنا
وفى قوله وتنزع الملك ممن تشا للماهية التى تحصل الوجود منه فهما خاصتان اى
تؤتى من تشا النصيب الذى قسمت له منه وتنزع ممن تشا النصيب الذى اعطيته
منه وتعز من تشا وتذل من تشا فى الدنيا بالنصر والادبار وفى الاخرة بالتوفيق
والخذلان بيدك الخير انما خص الخير بالذكر لعدم نسبة الشر اليه تعالى على ما وقع
التصريح به فى الحديث النبوى حيث قال والخير فى يديك والشر ليس اليك ولما احتمل
ان الشر خير خارج عن قدرته دفع بقوله تعالى انك على كل شى قدير تولج الليل فى النهار
وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشا بغير حساب
لما ذكر قدرته فى ايتا الملك والنزع والاعزاز والاذلال بحسب المشية عدد اياته لقدرته
الباهرة بذكر الليل والنهار وبزيادة كل منهما بنقص الاخر وذكر الحى والميت واخراج كل منهما
من الاخر وذكر سعة فضله دلالة على ان من قدر على هذه الامور العظام المحيرة للعقول لا
ثم قدر على ان يرزق من يشا من عباده بغير حساب فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم
ويذلهم ويوتيه العرب ويعزهم ويرزقهم بغير حساب والولوج الدخول فى شى بكلفة
واستعير هنا للحوق وقدر من الليل بالنهار وقدر من النهار بالليل بالقسم على وجه يكون
اللاحق من جنس الملحوق والمراد من اخراج الحى من الميت وعكسه انشا النسمة الحية
من النطفة الميتة والنطفة الميتة من النسمة الحية وقيل هو اخراج المومن من الكافر
وعكسه انه ليس من الايات الباهرة التى يستحق بها ان يستدل على ما ذكر وذكر من ان الرزق
غير مخصوص بذوى العقول للتنبيه على ان رزق هذا الجنس وهو اقل افراد من الجنس
الا اذا كان خارجا عن حد الحد فالخروج عنه فى الجنس وفى الكل بطريق الاولى لا يتخذ
المومنون الكافرين اوليا نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة ونحوهما حتى لا يكون
حبهم وبغضهم الا فى الله او عن الاستعانة بهم فى الغزو وساير الامور الدينية من دون
المومنين اى لا يتخذوهم اوليا متجاوزين ولاية المومنين فان لهم فى موالاتهم مندوحة
عن موالاة الكافرين فلا توثروهم عليهم بالولاية ومن يفعل ذلك اى اتخاذهم
بالولاية اوليا فليس من الله فى شى يطلق عليه اسم الولاية فان ولاية العدو وعداوة
وهم اعدا الله الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاوه فى محل
النصب على الظرف اى الا وقت ان تتقوا فقيل بمعنى تخافوا وتحذروا تعدى لمن كان هذا
القايل ظن ان خاف وكذا حذر لا يتعدى بنفسه ولم ينصب ويكون تقاة نصبا على المصدر
بمعنى تتقى وقرئ تقية تفعيلة بمعنى مفعول او تسمية بالمصدر ايضا ويجوز ان يكون
مصدرا بين ان تجعل مفعولا به وفيه مبالغة شديدة حيث كان الرخصة معلقة بشدة

الخوف حتى ان المحذور من غاية كونه مخوفا كانه نفس المحذور وفيه التفاوت
ولا يخفى ما فيه من اللطف فانهم لما نهوا عن فعل ما لا يجوز جعل ذلك في اسم غايب فلم
يواجهوا بالنهي ولما وقعت المسامحة والاذن في بعض ذلك ووجهوا به ايذانا بلطف
الله تعالى بهم تشريفا لخطابه اياهم ويحذركم الله نفسه فلا تتعرضوا لسخطه
بموالاة اعدائه وعيد شديد يدل على تناهي المنهي عنه في القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذور
منه عقاب يصدر عنه فلا يؤبه دونه مما يحذر من الكفرة والى الله المصير دون
غيره فلا تفوتونه ولا عليكم الحذر ايعاد بليغ عند مخالفته ثم بين قوله ويحذركم
الله نفسه بقوله قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله وهو بيان
من باب التتميم لاقامة البرهان اي ان تخفوا ما في صدوركم من ولاية الكفار وغيره مما
لا يرضى الله تعالى به او تبدوه بعد قوله ان تخفوا مع انه مغن عنه لتقرير معنى
التسوية المذكورة فهو كقوله وكهلا في قوله ويكلم الناس في المهد وكهلا ويعلم
او وكيف وهو لا يعلم ما في السموات وما في الارض فانه مطلع بالذات على الاشيا
كلها سرها وعلنها والله على كل شيء قدير فهو القادر على عقوبتكم وفي اظهار
ذكر الله في المواضع الثلاثة وتقديمه على المصير مع ان الموقع موقع الاضمار ايعاد
شديد وتربية للعلم والقدرة والمهابة بانه هو العالم القادر دون غيره لا يختص
علمه وقدرته ببعض المعلومات والمقدورات دون بعض فيجب ان يحذر ويتقى يوم
تجد نصب بمضمر اذكر لا بيود اذ حينئذ يضيع توصيف اليوم بوجدان كل نفس
ما عملت من خير محضرا بلا محل اذ لا يصلح متمنا لتلك الودادة والاصل في مثل ذلك هو
المتنازع كل نفس اي كل نفس عاملة للخير وهي النفس المؤمنة لعدم الخير للكافر وحذف
الوصف لدلالة قوله ما عملت من خير محضرا عليه وفيه بشارة للمؤمن لانه ذكر انه
يجد الخير محضرا ولم يذكر في حقه احضار الشر لانه منه ما يغفر فلا يحضر قال تعالى
اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم والظاهر حضور العمل
بنفسه من الخير والشر على ما نطق به الخبر عن سيد البشر فلا يجوز الصرف عنه بلا صارف
وما عملت من سوء مبتدا خبره تود لو ان بينها وبينه اي يحب متمنيا ان بينها وبين
ذلك اليوم لهوله ولا يجوز ان تود حالا من الضمير في عملت لان عملها ليس في حال الودادة
المذكورة وعلى قراءة ودت يجوز ان يكون وما شرطية وكذا على قراءة العامة عند المحقق
ولا يأباه رفع يود لان الشرط اذا كان ماضيا والجزاء مضارعا جاز فيه الرفع والجزم لكن
الحمل على الجملة الاسمية ارجح في المعنى لانه حكاية الكاين في ذلك اليوم امدا بعيدا
والامد المسافة والزمان ويحذركم الله نفسه ذكره فيما سبق للمنع عن موالاة الكافرين

وذكره هنا للحث على عمل الخير والمنع عن عمل السوء فلا تكرار والله رؤف بالعباد يعني ان المبالغة
في تحذيرهم واستيقاظهم عن الغفلة وتذكيرهم كمال علمه وقدرته واحاطته بهم من الرأفة
العظيمة بالعباد لانهم اذا تنبهوا وعرفوه حق معرفته حذروا سخطه وطلبوا رضاه منجو
ويجوز ان يريد انه مع كونه محذورا لاحاطة علمه وكمال قدرته وقوة قهره مرجو لسعة
رحمته ورأفته ولطفه كقوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني المحبة امر وجداني لا يمكن تعريفه بحسب الحقيقة كما قيل حقيقة الحب لا تحكي
لفاقدها وواجد يسمع التعريف بالقيل لا يعرف الشمس الا من يشاهدها فالكمه تعريفها في
غير تطويل واثرها الحادث في القلب ميل الى المحبوب لكمال ادرك فيه بحيث يحملها على ما يقربه
اليه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص
على طاعته يحببكم الله جواب للامر اي يرضى عنكم ويقربكم من جنات عدن ويبويكم في جوار
قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المشاكلة ويغفر لكم ذنوبكم ما سلف
من ذنوبكم والله غفور رحيم لمن تحبب اليه بطاعته ومتابعة نبيه قل اطيعوا الله والرسول
ذكر الله توطئة لذكر الرسول تخصيصا له بان الله تعالى وتعظيما لكون الطاعة مكان المتابعة
كانه قال فان لم تتبعوني فاطيعوني ووقوعه بذكر الرسول والالتفات والتعظيم فان تولوا
يحتمل ان يكون ماضيا وان يكون مضارعا بمعنى فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين
نبت الكفر لتاركي طاعة الله والرسول بوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالكفر وحكم
للكفر بينهم بافادة انهم جنس للكفار بالزمان تارك المتابعة في سلوك طريقة تعليقه بالطا
كما مر والا كان كافرا ان الله اصطفى آدم ونوحا بالرسالة والخصايص الروحانية والجسمانية
ولذلك قووا على ما لم يقف عليه غيرهم لما اوجب طاعة الرسول وبين انها الجالبة لمحبة
الله تعالى عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وآل ابراهيم اسمعيل واسحق عليهم
الصلاة والسلام واولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم وآل عمران موسى
وهارون عليهما الصلاة والسلام والمراد عمران بن ماثان واله عيسى ومريم بنت عمران بن يصهر
على العالمين ذرية بعضها من بعض حال او بدل من الالين او منهما ومن نوح وآدم اي انهم
ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض والذرية لما كانت مشتقة من الذر وهو الخلق شملت
الكل لان الاب خلق منه الولد والولد خلق من الاب وقيل بعضها من بعض في الدين والله
سميع عليم باقوال الناس واعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل او سميع
بقول امرأة عمران عليم بنيتها اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني
فينتصب اذ بسميع ومنع بوصفه عن العمل غير مسلم وقيل نصبه باضمار اذكر محررا
نصبه على الحال اي معتقا لخدمته مخلصا للعبادة لا اشغله بشيء وقيل كانوا بنو اسرائيل

لم يكن لهم غنايم فلم يكن لهم مماليك يعتقونها وكانوا يحررون اولادهم تقربا الى الله تعالى
ويقطعون منافعهم عن انفسهم ويلتزموا بخدمة بيت الله فتقبل مني ما نذرته والتقبل
اخذ الشيء على الرضى به انك انت السميع لقولي العليم بنيتي فلما وضعتها قالت
رب اني وضعتها انثى الضمير لما في بطنها وتانيثه لا لانه كان انثى حتى يكون كقولك وضعت
انثى بل نظرا الى الحال او على تاويل النفس او النسمة وانثى حال من وضعتها وطريق ضمير ما في
بطني للحال لان الحال وذلك الحال كشيء واحد وانما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها لانها
كانت ترجوا ان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة والله اعلم بما وضعت اي
بالشيء الذي وضعته وهو استيناف من الله تعالى تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشانها وقرئ
وضعت على انها من كلامها تسلية لنفسها اي ولعل لله تعالى فيها سرا والانثى كان خيرا
وقرئ وضعت على خطاب الله تعالى لها وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي
وهبت لها بيان لقوله والله اعلم بما وضعت والتعريف فيهما للعهد وقيل ويجوز ان
يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيان فيما نذرت فيكون التعريف للجنس واني
سميتها مريم عطف ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض ارادت بذلك التقرب
الى الله تعالى والعصمة لها لان مريم بمعنى العابدة فلعل الله يحفظها ويجعلها طبقا لاسمها
تقوم مقام ما نذرته الا تراها كيف اتبعته بقوله واني اعيذها بك اجيرها بحفظك
وذريتها من الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه
وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسه الا مريم وابنها والخبر
مذكور في الصحيحين ولا صارف عن ظاهره فمن تردد في صحته ثم اوله فقد ضل واضل فتقبلها
ربها فرضي بها بالنذر مكان الذكر بقبول حسن بوجه حسن تقبل به النذائر وهو
اقامتها مقام الذكر وتسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة ويجوز ان يكون
مصدرا على تقدير مضاف اي بذي قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضي وتعجل
اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا اي انشاها
وربّاها على احسن وجه خلقا وخلقا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب قال
الاصمعي المحراب الغرفة اي التي بناها لها وقال الزجاج المحراب اشرف المجالس
ومقدمها وقيل المساجد عندهم تسمى المحاريب وهو مفعال من الحرب لانه يحارب فيه الشيطان
كانها وضعت في اشرف موضع في بيت المقدس وجد عندها رزقا جواب كلما وناصبه وتنكير
رزقا للتنويع اي نوعا غريبا من الرزق روي انه كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج اغلق
عليها بسبعة ابواب فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس قال يا مريم
انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت في غير حينه والابواب

مغلقة عليك استبعد الاوصاف من انم الاشارة المستعملة لكمال العناية بالتمييز لما له من الاوصاف
العجيبة الشان قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل كان رزقها ينزل عليها من الجنة
ولم ترضع ثديا قط ان الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير لكثرته او تفضلا
بغير محاسبة ومجازاة على عمل من جملة كلامها او من كلام الله تعالى هنالك اي في ذلك
المكان دعا زكريا ربه لما ان المحراب مكان عبادة وكرامة لمريم دعا فيه ان
يهبه الله تعالى ذرية طيبة قال تفسير للدعا رب هب لي من لدنك ذرية طيبة
اي تفضل علي باعطاء ولد وابقائه كما وهب لامراة عمران وهي عجوز عاقر يفهم هذا
من قوله من لدنك فان فيه اشارة الى تلك الهبة على خلاف العادة قيل لما راى الفواكه
في غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسال والذرية الولد يقع على
الذكر والانثى والواحد والجمع وتانيث الطيبة للفظ الذرية والطيب هو الذي
يستطاب فلا يكون فيه امر يستخبث ويعاب انك سميع الدعا مجيبه فنادته الملائكة
كان المنادي جبريل عليه الصلاة والسلام وحده وانما ذكره جمعا لانه اذا نزل الامر
خارق كان معه جماعة من الملائكة تعظيما لذلك الامر وهذا كما يقال حضر زيدا خواص
السلطان يدعونه اليه وان كان الذي يخاطبه بالدعوة واحد منهم وهو قائم يصلي
في المحراب اي قائما في الصلاة ويصلي صفة قائم او خبر او حال عن الضمير في قائم
دل على ان المرادات تطلب بالصلوات وفيها اجابة الدعوات وقضاء الحاجات ان الله
يبشرك قرئ انما بالفتح لوقوع فعل الندا من جبرائيل عليه السلام وحده وانما ذكره
وجعل الندا في معنى الاعلام وبالكسر على ان في الندا معنى القول وقرئ يبشرك بالتشديد
من التبشير وبالتخفيف من البشارة وقد سبق تفسيره في سورة البقرة بيحيى اسم
عجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل مصدقا بكلمة من الله
اي بعيسى عليه الصلاة والسلام مؤمنا به سمي بذلك لانه وجد بامر الله تعالى بلا اب
لشابه البدعيات التي هي عالم الامر او بكتاب الله تعالى سمي كلمة كما قيل كلمة
الحويدرة لقصيدته وسيدا يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا على الناس كلهم
في انه ما هم بمعصية وحصورا ممتنعا من النساء مع القدرة عليهن والحصر الحبس
وهو فعول بمعنى الفاعل وقيل هو الذي حصر نفسه عن كل لذة في الدنيا روي انه مر في
صباه بصبيان يلعبون فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين
ناشيا منهم لانه كان من اصلاب الانبياء عليهم الصلاة والسلام او كائنا من الصالحين
وفي توصيفه بالصلاح بعد توصيفه بالنبوة ما لا يخفى من التعظيم للصلاح قال رب
انى يكون لي غلام استعظاما وتعجبا وفي عبارة الغلام دون الولد تقوية له وذكر الغلام

كان في البشارة بمثل ما ذكره في سورة مريم وترك ههنا اختصارا والاستبعاد بحسب الغاية
لا يناسب الحال وسياق المقال الا على قول من قال كان دعاؤه عليه الصلاة والسلام ببشارة
باربعين فلذلك سمي ما سأل ربه حتى قال ما قال على ان الاستعظام ينبغي اذا اقتضاه
المقام واما الاستفهام عن كيفية حدوثه فلا يناسبه تمام الكلام ولا ينتظمه حق الانتظام
وقد بلغني الكبر ادركني كبر السن واثر فيّ وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته
ثمان وتسعون ولهذا قال وامرأتي عاقر لا تلد من العقر وهو القطع لانها
ذات عقر من الاولاد قال كذلك تعظيم اي مثل ذلك الفعل العظيم العجيب
الشان البعيد عن العقل والعادة يفعل الله ما يشاء من الافاعيل العجيبة وقد خلق الولد
من الشيخ الفاني والعجوز العاقر كذلك نصب على المصدر او خبر مبتدا الله اي على
مثل هذه الصفة الله وقوله يفعل ما يشاء بيان له اي يفعل ما يريد من الافاعيل
الخارقة للعادات قال رب اجعل لي آية علامة اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة
والشكر وتزيح مشقة الانتظار قال آيتك الا تكلم الناس ان لا تقدر على تكلم
الناس وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة لتخليص المدة لذكر الله تعالى وشكره قضاء
حق النعمة لما اطلع الله تعالى على انه طلب الآية لاداء الشكر فان اخلاص المدة المذكورة
لذكره دون شغل لسانه بغيره من احسن انواع الشكر واحسن الجواب ما كان منتزعا
من السؤال كانه قال آيتك بان لا تقدر الا على شكري ثلاثة ايام من غير مرض
ولا آفة لقوله في موضع آخر سويا اي سليم الاعضاء ذكر الايام هنا والليالي هناك ولا تنافي
بينهما لان ذكر احدهما جمعا يقتضي دخول الاخرى فيها لغة وعرفا الا رمزا الايماء
بالشفتين وقد يستعمل للايماء بالحاجب والعين واليد والرأس والاول اغلب واصله
التحرك ومنه الراموز للبحر والكلام ينتظم الرمز لان المراد منه ما دل على الضمير قال
حوبة بن عابد كان تكلم الابطال رمزا وغمغمة لهم مثل الهزبر فالاسنتا منتصل
وقرئ رمزا كخدم جمع رامز ورمزا كرسل جمع رموز على انه حال منه رمز الناس يعني
مترامزين واذكر ربك كثيرا في ايام الحبسة وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه
والكثرة قيد المأمور لا قيد الامر فعلى تقدير دلالة الامر على التكرار فائدته تكرار الذكر
الكثير وسبح بالعشي والابكار في طرفي النهار بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار
يقال اتيته بكرا بفتحتين اي بكرة واذ قالت الملائكة يا مريم لما فرغ من قصة زكريا
عليه الصلاة والسلام وكان قد استطرد من قصة مريم اليها رجع الى قصتها والمقصود
تنزيهها عما رمتها به اليهود وفي نداء الملائكة لها باسمها تأنيس لها وتوطئة لما يلقوه اليها
ودفع لاحتمال ان يكون ذلك بطريق الالهام لا على وجه المشافهة بالكلام اولا بانواع

الكرامة

الكرامة واختصك بتقبلك من امك وتربيتك برزق الجنة وقبض القدرة ان الله اصطفاك
وطهرك مما يستقذر ويستخبث من الافعال ويدخل فيها ما قذفها اليهود دخولا اوليا
واصطفاك اخرا على نساء العالمين بان وهب لك عيسى عليه الصلاة والسلام
من غير اب كان تلك المخاطبة كرامة لها بالاجماع على انه لم يستنبئ امرأة واما قوله تعالى
وما ارسلنا قبلك الا رجالا فلا دلالة فيه لان الرسول اخص من النبي ولا يلزم
من انتفاء الخاص انتفاء العام يا مريم اقنتي اخلصي واديمي الطاعة لربك واسجدي
اي اصلي النافلة وحدك واركعي مع الراكعين اي صلي الفرض مع المصلين في بيت
المقدس جماعة وانما خص السجود من بين اركان الصلاة بالذكر في مقام التعبير عن الكل
بالجزء لان تمام الصلاة به ولهذا يحنث من حلف لا يصلي اذا اتم سجوده ولا يحنث قبله
وخص الركوع بالذكر في مقام التعبير عن الصلاة بالجماعة لان شرط صحة الاقتداء ادراك
الامام في الركوع ذلك اشارة الى ما ذكرنا من زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم الصلاة
والسلام من انباء الغيب نوحيه اليك مما نوحيه اليك من الغيوب وما كنت لديهم
الضمير عائد على ما دل عليه المعنى اي وما كنت لدى المتنازعين اذ يلقون اقلامهم
قداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة تبركا بها والمراد
تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكره كانه قيل انه تعالى يخبركم بما لا سبيل اليه بنظر
العقل وانتم تنكرون الوحي وتعترفون بعدم السماع فلم يبق لنا بمقتضى عقولكم ما يحتاج
الى النفي سوى المشاهدة التي هي اظهر الامور انتفاء ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل على
يلقون اقلامهم اي يلقونها ليعلموا ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون تنافسا
في كفالتها اذ قالت الملائكة بدل من قالت الاولى وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون
على ان وقوع الاختصام في زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا يا مريم ان الله يبشرك بكلمة
منه قد سبق تفسيرها اسمه الضمير للكلمة وانما ذكر باعتبار المعنى المسيح عيسى
ابن مريم المسيح لقبه اصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وهو من الالقاب المشرفة
كالصديق وعيسى معرب ايشوع وانما قال عيسى بن مريم والخطاب لها للتنبيه بنسبته الى
الام انه يولد من غير اب لان النسبة اليها انما تكون عند فقد الاب وقد كان في قولهم بكلمة منه
تمهيدا لهذا التنبيه ولما كان الاسم علامة يعرف بها المسمى ويتميز من غيره قيل اسمه اي ما يعرف
به ويتميز مجموع هذه الثلاثة تعظيما له وتنويها بذكر اللقب والاسم وجيها في الدنيا والآخرة
حال مقدرة من كلمة وهي وان كانت نكرة لكنها موصوفة والوجه في الدنيا النبوة والتقدم
على الناس بالمعجزات وفي الآخرة علو الدرجة والشفاعة ومن المقربين من الله تعالى حال اخر
وقيل اشارة الى رفعه الى السماء وصحبته الملائكة ويكلم الناس في المهد حال اخرى والعدول

الى الفعل لانه صفة متجددة بخلاف السابق واللاحق وذكر الناس لبيان ان المراد التكلم المتا
فان الصبي قد يقدر على التكلم مع ابويه وهو طفل فتكلمه مطلقا في تلك الحال ليس بخارق للعادة
في المهد حال من يكلم وكهلا عطف عليه اي طفلا وكهلا وانما عدل عنه الى المنزل تصوير
الحال صغره الثاني للقدرة على التكلم كما ينبغي والمعنى يكلمهم في الطفولة والكهولة على السوا
وفيه بشارة لامه بعيشه وبقائه الى الكهولة وهي ما بين الشباب والشيب واستدل به على
نزوله من السما لان رفعه اليها كان قبل ان يصير كهلا والمهد ما يمهد للصبي من مضجعه
تسمية بالمصدر ومن الصالحين حال رابع من كلمة او الضمير الذي في يكلم قالت رب
انى يكون لي ولد تعجب ناشئ من استبعاد عادي لا الاستفهام عن ان يكون بتزوج او غيره
لان قوله ولم يمسسني بشر ظاهر في ان الطريق عنده منحصرة في التزوج قال جبريل
عليه الصلاة والسلام بامر الله تعالى كذلك الله يخلق ما يشا قد سبق تفسيره اذا قضى
امرا فانما يقول له كن فيكون بيان لقوله يخلق ما يشا واشارة الى انه تعالى كما يقدر
ان يخلق الاشيا مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك ويعلمه
الكتاب كلام مبتدأ ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما اهمها من خوف اللوم لما علمت
يقينا انها تلد من غير زوج لكنيه وقري ونعلمه بالنون على الالتفات من الغيبة الي
الى الخطاب لشدة الاعتنا بامره عليه الصلاة والسلام ويجوز ان يكون المراد بالكتاب جنس
الكتب المنزلة وخص الكتابان في قوله والحكمة والتوراة والانجيل لفضلهما ورسولا
الى بني اسرائيل اني قد جئتكم باية من ربكم منصوب بمضمر اي ونجعله رسولا او رسولا
يتضمن معنى كانه قال ورسولا ناطقا باني قد جئتكم باية ويجوز ان يكون التقدير ويقول
ارسلت رسولا ولا يخفى ضعفه اذ فيه اضمار شيئين القول ومعموله والعطف على الامور
المتقدمة يأباه الفصل بقوله قالت رب انى يكون لي ولد فانه حينئذ ينبغي ان يؤخر
هذا القول عن ذا الاوصاف والاحوال والاهتمام بلا علة لا يصلح باعثا لتقديم ما حقه
التاخير فانه لا يكون بملايمة الامر وتخصيص بني اسرائيل لخصوص بعثته عليه السلام
اليهم او الرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم اني اخلق لكم من الطين في محل النصب
بدل الى قد جئتكم او الجر بدلا من اية والرفع على هي اني او الكسر على الاستيناف كهيئة
الطير اي قدر لكم اصل كالطين واصور شيئا مثل صورة الطير في هيئة واعاده
عنه الى المنزل اشارة الى انه منكم لم يكن منه عليه الصلاة والصلاة والسلام تصرف
الا في الهيئة مماثلة بينهما في المادة وانما المماثلة في الصورة فقط فانفخ فيه
والضمير للكاف اي في ذلك المماثل فيكون طيرا اي يصير حيا طايرا باذن
الله بين به ان احياه كان من الله تعالى لا منه وفي عبارة الاذن دون الامر

اشارة

اشارة الى تهوين امر كونه طيرا قيل تواطا النقل عن المفسرين ان الطاير الذي خلقه
كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا ليتميز فعل
المخلوق من فعل الخالق ومن هنا ظهر وجه زيادة لكم في اخلق لكم ووجه التهوين الذي
اشير اليه بعبارة الاذن وابرئ الاكمه والابرص الاكمه الذي ولد اعمى وقيل
الممسوح العين واحيي الموتى باذن الله ذكره فيما لا يدخل تحت قدرة العباد وقيل
في وجهه على انه يعتقد ويتخذ الها فينفي عن نفسه الالوهية قطعا لحجتهم عند الله تعالى
وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم بالغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها
ان في ذلك الاشارة الى المجموع لاية لكم ان كنتم مومنين موفقين للايمان
فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين للحق غير معاندين ومصدقا لما بين يدي
من التورية عطف على رسولا او على باني بتقدير قد جئتكم مصدقا ولاحل لكم
ولا بين الحل واحله معطوف على معنى مصدقا كقولهم متعذرا ولا طيب قلبك او
مردود على قوله جئتكم باية اي منتظم معطوف عليه ظاهرا لكنه في التحقيق هي عطف
الجمل اي وجئتكم باية لاحل اذ لا وجه لعطف مفعول له على المفعول به وذلك ان
تحمل الكل في معنى الحال يستقيم العطف اي جئتكم ملتبسا باية ومصدقا لما بين يدي
ولاجل لاحل بعض الذي حرم عليكم اي في شريعة موسى كالشحوم والثروب
والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت وذلك لا ينافي كونه مصدقا للتورية لان
النسخ في الحقيقة بيان في انتهاء حكم المنسوخ وجئتكم باية من ربكم اي جئتكم باية
بعد اخرى مما ذكرت لكم ومما لم اذكر من ولادتي بغير اب ومن كلامي في المهد
وغير ذلك وقري بايات من ربكم فاتقوا الله لما جئتكم به من الايات واطيعون
فيما ادعوكم به ثم ابتدا فقال ان الله ربي وربكم اي تلك الايات واسمعوا هذه
فانها اعظمها وهو التوحيد الذي تطابق عليه الرسل كلهم وهو مقصود من الكل واساسه
فاعبدوه خصوه بالعبادة او قري ان الله بالفتح ومعناه ولان الله ربي وربكم
فاعبدوه وقوله لايلاف قريش فليعبدوا ويجوز ان يكون المعنى وجئتكم باية عظيمة ما ايه
واية على ان الله ربي وربكم وما بينهما اعتراض للتاكيد هذا صراط مستقيم اشارة بقوله
تعالى ان الله ربي وربكم الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الذي غايته التوحيد
وبقوله فاعبدوه الى استكمال العملية فانه بملازمة الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر
والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود
بالاستقامة فلما احس عيسى منهم الكفر نزل الكفر منزلة الامارة المحسوسة من
شدته وطلبه للقتل مبالغة في قوة تاثيره وشدة ظهوره ثم كني باحساسه عن التا

به والخوف منهم ولذلك طلبوا الانصار ومن وهم ان الاحساس مستعار للعلم اليقيني الذي
لا شبهة فيه فقد وهم لان فيه تشبيه القوي بالضعيف فان الاحساس كثيرا ما يقع فيه
الغلط نعم لو قيل فيه الغلط نعم لو قيل شبه المعقول بالمحسوس من قوة الظهور فاضيف
اليه الاحساس وعلى طريقة الاستعارة بالكناية لكان له وجه والفاء فصيحة ترتيبها
على محذوف يفهم من سياق الكلام وسياقه قال من انصاري جمع النصير كالاشراف
جمع الشريف او جمع ناصر كالاصحاب جمع صاحب الى الله في محل النصب متعلق بحال
محذوف اي ذاهبا الى الله او ملتجئا او صلة لانصاري متضمنا معنى فعل متعدي بالى اي من
الذين يضيفون انفسهم الى الله ينصروني كما ينصرني الله قال الحواريون حواري
الرجل صفوته وخالصته من الحور وهو البياض الخالص سمي به اصحابه عليه الصلاة
والسلام لخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم نحن انصار الله اي انصار دينه امنا بالله
واشهد بانا مسلمون تاكيد لاسلامهم لان الرسل يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم
ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين مع الانبيا الذين يشهدون لاممهم
او مع امة محمد صلى الله عليه وسلم لانهم شهدا على الناس او مع الشاهدين بالوحدانية
ومكروا اي الذين احس عيسى عليه الصلاة والسلام منهم الكفر ومكرهم انهم وكلوا
من يقتله غيلة ومكر الله بان رفعه تعالى والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى
قتل وحقيقة المكر اظهار امر يعتقد فيه الناظر اليه الجاهل حقيقته بضد ما هو
وكذلك الاحتيال والخديعة والسخرية ومن قصد بشي من فعل ذلك امرا قبيحا يكون
ذميما وان قصد به فعلا جميلا يكون بذلك حميدا كذا قال الراغب فلا ينبغي اسناد الكيد
اليه ومن وهم انه لا يسند اليه الا على سبيل المقابلة والازدواج فقد وهم وكانه غافل عن
قوله تعالى افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون والله خير الماكرين اقواهم
مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب اذ قال الله ظرف
لمكر الله لا لخير الماكرين لان تقييد كونه تعالى خير الماكرين بالظرف ليس بسديد يا عيسى
اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابض
نفسك من الارض من توفيت مالي ومتوفيك نائما اذ روي انه رفع نائما وقيل اماته الله
ورفعه الى السماء ثم احياه واليه ذهبت النصارى ورافعك الي الى محل كرامتي
ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من خبث صحبتهم وسوء جوارهم او قصد
جندهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا يعلونهم بالحجة وفي اكثر الاحوال بها
وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون لانهم متبعوه في اصل الاسلام وان اختلفت الشرايع دون
الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى الى يوم القيامة الى الان لم يسمع علية

اليهود

اليهود عليهم ولم يتفق لهم دولة وملك ثم الي مرجعكم الضمير لعيسى عليه الصلاة
والسلام ومن تبعه ومن كفر به وغلب المخاطبين على الغايبين بعدما التفت من الغيبة
الى الخطاب ليكون الاخبار ابلغ من التهديد واشد زجرا فاحكم بينكم فيما كنتم فيه
تختلفون من امر الدين والتفت من الغيبة الى التكلم مسندا الحكم الى نفسه ليعلم ان
الحاكم هنا من لا يخفى عليه خافية فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة
وما لهم من ناصرين واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فنوفيهم اجورهم تفسير للحكم
وتفصيل له وبدا بذكر الكفار لان ما تقدم من الجمل انما ذكر على سبيل التهديد والوعيد
لهم والاخبار بجزائهم وقوله تعالى وعملوا الصالحات لم يذكر على انه قيد احترازي بل
ذكر للتنبيه على ان الايمان الصحيح يتبعه العمل الصالح اي لم يمنعه مانع والله لا يحب
الظالمين اي يبغضهم لانه من الكنايات الملحقة بالحقيقة في جميع الالسنة ذلك
اشارة الى ما سبق من نبا عيسى عليه الصلاة والسلام وغيره ومبتدا خبره نتلوه
عليك وقوله من الايات حال من الها او خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف
ويجوز ان يكون من الايات خبرا ونتلوه حالا على ان العامل معنى الاشارة وان ينتصب
ذلك بمضمر نتلوه وان يكون بمعنى الذي ونتلوه صلته والمجرور الايات والذكر الحكيم
هو القران وصف بصفة من هو له على طريقة قولهم شعر شاعر ولكنه كانه
حكيم ناطق بالحكمة والمحكم الممنوع من تطرق الخلل اليه ان مثل عيسى عند الله اي
شانه الغريب في الاذوية من غير نطفة كمثل ادم كشانه الغريب في خلقه في
ان وجدا وجودا خارجا عن العادة بان خلقا من غير نطفة فظهر ان لا مزية لاحد
هما في نفس ذلك المعنى فصح التشبيه فلا اشتباه واما كون عيسى عليه الصلاة والسلام مخلوقا
من غير اب وادم عليه السلام مخلوقا من غير اب وام فخارج عن مدلول الكلام وان كان
مقصودا في التشبيه بما سبق له ذلك ملحوظا من عرضه بمعونة المقام فان الغرض دفع
استغرابهم خلق عيسى عليه الصلاة والسلام من غير اب فملاحظة من خلق من غير اب وام يتم
ذلك الغرض على وجه اقوى وهذا تعرض لبيان حاله بقوله خلقه من تراب
جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما له الشبه اي خلق جسده فانه من عالم الخلق وهو عالم
الملك وعالم الشهادة ثم اوجد روحه بقول كن وهو من عالم الامر وهو عالم الملكوت
وعالم الغيب على ما افصح عنه بقوله ثم قال له كن وفيه دلالة على ان الانسان
كاين [illegible] على ما صرح به في قوله ثم انشاناه خلقا اخر فكلمة ثم للتراخي حقيقة
فيكون حكاية حال ماضية استحضارا لتلك الحالة العجيبة وبيانا لسرعة حصول المراد فان
الفا للدلالة على عدم التراخي الحق خبر مبتدا محذوف اي هو الحق من ربك اي

ثابتا منه على انه حال مؤكدة وقيل الحق مبتدا ومن ربك خبره اي الحق المذكور من الله تعالى
وتعريف الحق للعهد الذهني اي ايجاد عيسى عليه الصلاة والسلام من غير اب هو الحق الذي
نعرفه فلا تكن من الممترين الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وفائدة النهي عن الامترا
هو التثبيت على اليقين والطمانينة والايما الى الممتري هو الذي لا يعرف الحق قدرة الله تعالى
على الايجاد من غير اب والا فرسول الله صلى الله عليه وسلم اجل من ان يمتري حتى ينهى عنه
فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى عليه الصلاة والسلام من بعد ما جاءك من العلم
اي الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم
اي يدع كل منا نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على النفس
تنبيها على لطف مكانهم وقرب منزلتهم ويقدمون على الانفس كيف والرجل يخاطر بنفسه لهم
ويحارب دونهم ثم نبتهل من البهلة بفتح البا وضمها وهي اللعنة واصل الابتهال الالتعان
ثم استعمل في كل دعاء يجتهد الانسان عليه وان لم يكن التعانا والمباهلة الملاعنة اي نتباهل
بان نقول بهلة الله على الكاذبين منا ومنكم فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف فيه بيان قد
طول المفسرون في قصة المباهلة وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم لما دعاهم اليها وخرج
بالحسن والحسين وفاطمة وعلي رضي الله عنهم الى الميعاد كفوا عن ذلك ان هذا ما قص من نبا
عيسى عليه الصلاة والسلام ومريم لهو القصص الحق بجملتها خبر ان فصل يفيد ان ما ذكر
في شانهما حق دون ما ذكروه وما بعده خبر وحق اللام ان يدخل المبتدا فلما دخلت ازلقت عنه
الى الخبر والواسطة المزيد التاكيد واذا جاز تاخيرها الى الخبر فلان يجوز الى الواسطة التي هي
اقرب الى المبتدا اولى وما من اله الا الله زيادة من هنا في افادة معنى الاستغراق والتاكيد
في النفي كالبناء على الفتح في لا اله الا الله والمراد الرد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز
الحكيم دخول ان واظهار اسم الله وتوسيط هو للفصل وادخال اللام عليه وتعريفا العزيز الحكيم
مبالغات وتاكيدات في التوحيد ونفي الشرك وان العزة الى الغلبة والقهر مخصوصة
بالله تعالى ليس لغيره فيها نصيب وان قهره انما يكون بالحكمة فلا يقهر الا الكافر ثم بالغ
في الايعاد بقوله فان تولوا عن التوحيد فان الله عليم بالمفسدين وادخال الفا
في ان الله اشارة الى ان الوعيد مسبب عن الاعراض ووضع المفسدين موضع ضميرهم
لتسجيل عليهم وتنبيه على ان حقيقة الفساد هو التولي عن التوحيد وان الوعيد المذكور في
قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون مخصوص بهم قل يا اهل الكتاب
يعم اهل الكتابين وقيل يريد به نجران وقيل يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم
اذ لا يختلف فيها الرسل والكتب ويفسرها ما بعدها الا نعبد الا الله ان نوحده بالعبادة
ولا نشرك به شيئا لم يرد به الشرك في العبادة لان الوصل ياباه بل اراد به ما ذكر

بقوله

بقوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله وهذا لشركائنا ولا يتخذ
بعضنا بعضا اربابا من دون الله اي لا يتخذ الاتباع الرؤس اربابا من دون الله فيطيعونهم
كطاعة الله نهي عن اطاعتهم الاحبار فيما احدثوا من التحليل والتحريم لا عن قولهم عزير ابن الله
والمسيح ابن الله لان مرجعه الى ما تقدم من توحيده تعالى بالعبادة فان تولوا عن التوحيد
الذي هو اصل دين الكل فقد لزمتهم الحجة بانهم ليسوا على دينهم فقولوا اشهدوا بانا مسلمون
دونكم لانكم خالفتم كتابكم ونبيكم ويجوز ان يكون من باب التعريض اي اشهدوا واعترفوا
بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل ولا يخفى ما في نظم هذه القصة
من المبالغة في الارشاد ولطف التدرج في الحجاج وحسن المقطع عند ظهور اللجاج يا اهل الكتاب
لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده تنازعت اليهود والنصارى في
ابراهيم عليه الصلاة والسلام وزعم كل فريق انه منهم فترافعوا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنزلت بمعنى انكم معترفون بحدوث اليهودية والنصرانية بنزول التوراة
والانجيل ونزولهما بعده عليه الصلاة والسلام فكيف يكون يهوديا او نصرانيا ولا يرد الالزام
علينا في قولنا انه عليه السلام كان على دين الاسلام لانا لا نقول بحدوث دين الاسلام بنزول
القران افلا تعقلون حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال ها انتم هؤلاء حاججتم
فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ها حرف التنبيه وانتم مبتدا وهؤلاء خبره
وحاججتم جملة مستانفة مبينة للاولى اي تنبهوا ايها الغافلون وانتم هؤلاء الحمقى على هذه
الصفة التي انتم عليها بما لا يمكن ذمكم بما هو ابلغ منه فانتم لا تخاص لتعيين المشار اليهم
في الحماقة وفي حرف التنبيه مبالغة في غفلتهم وفي هؤلاء الذم بالجهل وحاججتم كشف
لجهلهم وسخافة عقولهم اي ان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم من التوراة والانجيل
من حال محمد صلى الله عليه وسلم فلم تحاجون فيما لا ذكر له في كتابكم ولا علم لكم به من حال
ابراهيم عليه الصلاة والسلام والله يعلم ما حاججتم به وانتم لا تعلمون
وانتم جاهلون ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان
ولكن كان حنيفا مائلا عن العقائد الزائغة مسلما ثابتا على ملة الاسلام وما يبقى
الى بعض الاوهام من الاشتراك في الالزام فقد اندفع بما قدمنا من الكلام وما كان من المشركين
تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به تعالى عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة
ابراهيم عليه السلام ان اولى الناس بابراهيم ان اقرب الناس منه واخصهم به من
الولي وهو القريب للذين اتبعوه في زمانه وبعده وهذا النبي خصوصا والذين امنوا
من امته لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم اصالة وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا على الها
في واتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم والذين امنوا على قراءة النصب عطف على الذين اتبعوه

بالجر عطفا على ابراهيم والذين امنوا على قراءة النصب عطف على الذين اتبعوه وعلى قراءة الجر بحكم
العطف على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الذين اتبعوه وهذا اوجه والله ولي المؤمنين ينصرهم
ويجازيهم لايمانهم ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود لما
دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم اي
وما يتعدون على اضلال المسلمين وانما يضلون امثالهم من اشياعهم او وما يعود وبال
اضلالهم الا عليهم بضلالهم واضلالهم وما يشعرون ذلك يا اهل الكتاب لم تكفرون
بايات الله بما في التوراة والانجيل من الايات الناطقة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وانتم تشهدون انها ايات الله تعالى او بالقران وانتم تشهدون نعته في الكتابين وتعلمون
بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بالتحريف وابراز الباطل
في صورة الحق وقرئ تلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل كقوله عليه السلام
كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وانتم تعلمون
عالمين بما تكتمون وقالت طائفة من اهل الكتاب المراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك
بن الصيف وكعب بن اسد قالوا لاصحابهم لما حولت القبلة امنوا بالذي انزل على الذين امنوا
كان حقه ان يقول بالذي انزل على محمد صلى الله عليه وسلم وانما عدل عنه الى المنزل
لعدم من باطنه على التكلم به وجه النهار اوله قال من كان مسرورا بنقل
مالك فليات ببنونتنا وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى
هدى الله يهدي من يشاء من الايمان او يثبته عليه الهدى اسم ان وهدى الله بدل منه
وان يؤتى احد مثل ما اوتيتم خبر واللام في الهدى للمهية وفائدة الابدال العظيم تعظيم
الهدى بنسبته الى الله تعالى اي ان حقيقته الهدى ومهيته الهدى الالهي الذي ليس وراءه
هدى بل لا هدى الا هو لان ما عداه من هدى الخلق ليس بهدى وعلى هذا او في قوله
او يحاجوكم بمعنى حتى لان الحاجة نفسها لا تصلح لذلك الا من بسط بالايتاء مرتبة عليه
او هدى الله خبر ان وان يؤتى علة فعل محذوف دل عليه ما قبله من اظهار ايمانهم
ورجوعهم لتقرير من اسلم من اصحابهم لان احد كتبنا موافقا لكتابكم مصدقا
له منزلا من عند الله او المحاجة اهله اياكم عند ربكم دبرتم ما دبرتم وقلتم ذلك
لاصحابكم وانما اتى باو تنبيها على ان كل واحد منهما مستقل في اغاظتهم وحملهم على الحسد
حتى دبروا ما دبروا ولو اتى بالواو ولما وقع هذا الموقع للعلم ان الثاني يلزم الاول فلم يكن فيه
فائدة زائدة واما اذا اتى باو فقد اشعر بان كلا مستقل في الباعثية على الحسد والامر
في التدبير والحمل على معنى حتى ليس له موقع يروع السامع وان كان وجها ظاهرا باو ويؤيد
هذا الوجه قراءة وان يؤتى بهمزة الاستفهام لا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاتباعكم

ولا

ولا تعيدوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا تدعوهم الى الاسلام وقوله
قل ان الهدى هدى الله اعتراض على ان كيدهم لا يجدي بطائل وقرئ ان يؤتى بكسر الهمزة على
انها نافية فيكون من كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى
احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى لهم ما يؤتى والضمير فيه
لاحد على ان المراد به المنزل عليه وسلم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء اي لا بـ
ايديكم وبيد غيركم لمن يؤتيه ويوفقه لم يكن لاحد دفعه وهو الاسلام فيكون تاكيدا
لقوله قل ان الهدى هدى الله ويجوز ان يكون اعتراضا اخر لتقرير امر الانبياء في قوله ان
يؤتى احد اي النبوة والوحي الذي هو الفضل يؤتيه من يشاء لا يمكنكم دفعه ولا ينفعكم
الحسد ولا يضره والله واسع عليم واسع الرحمة عليم بالمصلحة لمن يصلح لذلك
من غير كره فهو يؤتيه متفضلا يختص برحمته من يشاء تاكيد وتابيد لقوله وتابيد
بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فيه وقع المقصود في افضاله المبا
الى الفهم من اختص من من يشاء برحمته ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده
اليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشي الفا ومائتي درهم اوقية ذهبا فاداه اليه
ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليه كفنحاص بن عازورا استودعه قرشي اخ
ر دينارا فجحده الا ما دمت عليه قائما في محل النصب على الظرف اي الا وقت دوام
عليه قائما على راسه بالمطالبة والتقاضي او بالبينة عليه عند المرافعة الى
الحاكم ذلك اشارة الى عدم الاداء الذي دل عليه لا يؤده اي تركهم اداء الحقوق
بانهم قالوا بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اي لا يتطرق علينا ذم ولا
عتاب في شان الاميين اي الذين ليسوا من اهل الكتاب ويقولون على الله الكذب
بادعائهم ان ذلك في كتابهم وهم يعلمون انهم كاذبون وذلك انهم استحلوا ظلم من خالفهم
وقالوا لم يجعل لهم في التوراة حرمة بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل من
اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين جملة مستانفة مقررة للجملة التي سدت بلى
مسدها والضمير في بعهده راجع الى من او الى الله تعالى ويقويه بعهد الله والضمير
الراجع من الجملة الجزائية الى من يقوم مقام المتقين لعمومه فيشمله اي كل من اوفى بما
عاهد عليه واتقى الخيانة والغدر فان الله تعالى يحبه ويستلزم ان يبغض الغادر الخائن
فللذم والعقاب عليهم سبيل في الاميين وفي غيرهم ووضع المتقين موضع الضمير للدلالة
على ان التقوى تجلب محبة الله تعالى لصاحبها وان الوفاء بالعهد هو المنفي فالغادر هو
الفاجر بدلالة الفحوى وتعميم الحكم لعموم من والمتقين يفيد انهم لو وفوا بعهودهم
واتقوا الخيانة لوفوا بالعهد الاعظم وهو ما اخذ الله عليهم في كتابهم من الايمان برسول

مصدقاً لما معهم وانتفوا الكذب على الله وتحريف كلمه فكانوا مسلمين محبوبين متابعة حب
لقوله فاتبعوني يحببكم الله ثم صرح بما عرض به من نظر قالذم والعقاب الى الخاين بقوله
ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول
والوفا بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنومنن به ولننصرنه
ثمنا قليلا متاع الدنيا اولئك لاخلاق لهم في الاخرة قد سبق في تفسير سورة البقرة
ما يتعلق به ولا يكلمهم الله اصلا وان الملايكة يسالونهم يوم القيامة او لا ينتفعون
بكلمات الله تعالى والظاهر انه كناية عن سخطه وشدة غضبه تعالى عليهم او مجاز
لان الغاضب لا يكلم المغضوب عليه ولا ينظر اليهم يوم القيامة كناية عن الاستهانة
بهم واذلالهم او مجاز عن ترك احسانه اليهم ولا يزكيهم ولا يثني عليهم هذا غير
مقيد بيوم القيامة فيفيد فايدة زايدة ولهم عذاب اليم على ما فعلوه قيل انها
نزلت في احبار حرفوا التوراة وبدلوا نعت الرسول صلى الله عليه وسلم وحكم الامانات
وغيرهما واخذوا على ذلك رشوة وان منهم لفريقا هم كعب ابن الاشرف ومالك
ابن الضيف وحيي بن اخطب وغيرهم يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته
من المنزل الى المحرف ويعطفونها بشبه الكتاب فعلى هذا الباء صلة كما تقول لوى لسانه
بالشعر اذا قاله مع تعمل وفيه ايماء الى ان كتابا متكلفا او على زعمهم لتحسبوه من الكتاب
وما هو من الكتاب الضمير راجع الى شبه الكتاب والعدول في قوله من الكتاب
عن الضمير الى المظهر للتفخيم فان المقام مقام تعظيم جريمة التحريف وذلك للتفخيمة
وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير ايضا للمسلمين ويقولون هو من عند الله اي ليس هو
نازلا من عنده وفيه دفع لاحتمال ان لا يكون من الكتاب ومع ذلك يكون من عند الله
كالاحاديث القدسية فهو تاسيس لا تاكيد بقوله وما هو من الكتاب وتسجيل عليهم
بالكذب وتشنيع عليهم باجترايهم على الله تعالى والعدول عن الضمير الى المظهر في قوله
تعالى عند الله لتعظيم هذا الامر وبيان انهم لفرط دعايهم يصرحون بذلك ولا يذرون
ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله تعالى
والتعمد فيه ما كان لبشر ما صح له وما استفهام ان يوتيه الله الكتاب
والحكم والنبوة ثم يقول للناس ثم وهي للمهملة تعظيما لهذا القول واذا انتفى هذا
القول بعد المهملة كان انتفاوه بعد ونها اولى واحرى اذ هذا لا يتا لا يجامع هذا
القول وان كان بعد مهلة كونوا عبادا لي من دون الله تكذيب ورد على عبدة
عيسى صلى الله عليه وسلم وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد اتريد
ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان امر بعبادة غير الله فما بذلك فما بذلك

يعني

يعني ولا بذلك امرني فنزلت وما باه قوله ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول
كونوا ربانيين والرباني منسوب الى الرب وزيادة الالف والنون للمبالغة كما في اللحياني
والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل الى بعد اذ انتم مسلمون وقيل قال رجل يا رسول
الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا بعضا افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد غير الله
ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ويناسب هذا قوله بما كنتم تعلمون الكتاب
وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فالباء
متعلق بكونوا فالمطلوب هو الربانية والسببية عن العلم وهذا مما يدل على ان الربانية
والتمسك بطاعة الله اذا لم يكن مسببة عن العلم لا يكون معتدا بها واقعة على وفق المامور به
لا على العكس وان كان الامر كذلك في نفس الامر وقرئ تعلمون بمعنى العالمين وقرئ
تدرسون من التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم ويجوز ان
يكون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير بما تدرسون على الناس ولا يامركم
ان تتخذوا الملايكة والنبيين اربابا قرئ بالنصب عطفا على يقول ويكون لا مزيدة
لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر لعبد العهد وتخلل الاستدراك او غير مزيدة
على انه ليس لنبي ان يدعوا العباد الى عبادته وينهاهم عن عبادة الملايكة والنبيين وبالرفع
على الاستيناف وهو الظاهر ويويده قراءة وان ايامركم بالكفر انكار والضمير فيه
للبشر وقيل بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستاذنون لان
يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول
مصدق لما معكم لتومنن به ولتنصرنه قيل هذا على ظاهره واذا كان حكم الانبيا عليهم
السلام كان الامم به اولى وقيل معناه انه تعالى اخذ ميثاق من النبيين اضافة الى الفاعل
والمعنى على حذف المضاف وهم بنو اسرايل وسماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى
بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطية للقسم لان اخذ
الميثاق بمعنى الاستحلاف وما شرطية مفعوله باتيتكم وجواب القسم لتومنن وما بعده
جواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه وقدم الايمان لانه الاصل ثم النصر لانه
من ثمرته ويجوز ان يكون ما خبرية وقرئ لما بكسر اللام للتعليل على ان ما مصدرية
اي لايتائي اياكم الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسولي صلى الله عليه وسلم مصدقا لما معكم او موصولة
لان ما معكم بمعنى ما اتيتكم فيجوز ان يكون عطف جاءكم على الصلة لوجود الراجع اليها اي
لاجل الذي اتيتموه من الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدق له وقرئ
لما بالتشديد بمعنى حين اتيتكم الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق وجب عليكم الايمان
ونصرته وقيل اصله لمن ما فاستثقل ثلاث ميمات لان النون ما لم تقلب ميما لم تدغم في الميم

فحذفت احديهما فصارت لما اي لمن اجل ما اتيتكم لتؤمنن به قال ءاقررتم واخذتم على ذلكم
اصري اي عهدي سمي به لانه يوصر اي يشد ويعقد وقري اصري بالضم وهو اما لغة فيه
كعبر وعبر واما جمع اصار قالوا اقررنا قال فاشهدوا فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وانا
معكم من الشاهدين وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم مشاهد استيثاق معناه التوكيد
والتحذير وقيل الخطاب للملائكة فمن تولى بعد ذلك بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة
فاولئك هم الفاسقون اي المتمردون من الكفار افغير دين الله يبغون الفاء عاطفة
على الجملة اي فاولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما للانكار ويجوز
ان يعطف على محذوف تقديره ايتولون فغير الله دين الله يبغون وتقديم المفعول لتوجه
الانكار الى كون دين غيره مطلوبا فالمقصود الاهم بالانكار هو المفعول ويجوز ان يكون
التقديم للتخصيص لا بمعنى التخصيص منكر فيلزم جواز طلب دين باطل مع طلب دين
الله بل للمبالغة في الانكار مع التشنيع والتوبيخ حيث لا يرضون بطلب دين باطل الى دين
الله بل يخصون الدين الباطل بالطلب وقري تبغون بالتاء وترجعون بالياء لان الباغين
هم المتولون والراجعون جميع الناس وله اسلم من في السموات والارض طوعا بالادلة
وكرها بالسيف ومعاينة ما يلجي الى الاسلام كنتق الجبل فوق بني اسرائيل وانتصابهما على المصدر
او على الحال ومن قال او مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون
ان يمتنعوا عما قضي عليهم فكانه ذهب الى مذهب الجبرية واليه ترجعون وقري بالياء
على ان الضمير لمن قال ءامنا بالله وما انزل علينا الخطاب له صلى الله عليه وسلم لفظا
وله ولامته معنى ولهذا قال في موضع اخر قولوا ءامنا الى اخره وجاء الكلام في ءامنا وعلينا
بلفظ الجمع امر الرسول صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان بالله والقرءان
وان كان منزلا عليه خاصة لكن نزوله عليه لما كان لتبليغه ايضا والمنسوب الى واحد
من الجمع قد ينسب اليهم ويجوز ان يكون مامورا بان يتكلم على طريقة التواضع ارشادا له
صلى الله عليه وسلم الى ادب المجاورة وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط قدم المنزول عليه على المنزل على ساير الرسل لانه منفرق له والعبارة عليه
والنزول باعتبار انه من فوق تعدي بالى وباعتبار انه ينتهي الى المرسل اليه تعدى
بالى ولهذا قال في موضع اخر وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم ووجه التخصيص ان الخطاب
هنا للرسول صلى الله عليه وسلم والنزول من السماء كان عليه والخطاب ثمة للمسلمين ولا نزول
عليهم حقيقة بل انتهى بالتبليغ اليهم ولا يتجه المناقشة بقوله تعالى بما انزل اليك وانزلنا اليك
الكتاب وقوله ءامنوا بالذي انزل على الذين ءامنوا لان النكتة الزايدة على اصل البلاغة الحاصلة
بمطابقة الكلام بمقتضى المقام لا يلزمها الاطراد ولهذا تتفاوت المكررات في القرءان بحسب

يكون بعضها افصح من بعض وما اوتي موسى وعيسى التوراة والانجيل افردهما بالذكر بحكم
ابلغ لان امرهما بالاضافة اليهما مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما والنبيون من ربهم وفي موضع
اخر وما اوتي النبيون لما تقدم هنا قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما ءاتيتكم من كتاب وحكمة والنبي
به عن اعادة ما اوتي ولم يتقدم ثمة مثل هذا فلم يكن فيه ما يغني عن التاكيد باعادته لا نفرق
بين احد منهم بالتصديق ونحن له مسلمون منقادون او مخلصون في عبادته
ومن يبتغ غير الاسلام اي التوحيد والانقياد لله دينا نكرة تحقيرا فلن يقبل منه
في الدنيا وهو في الاخرة من الخاسرين الواقعين في الخسران مطلقا من غير تقييد بالشاع
ولا دلالة فيه على ان الايمان ليس غير الاسلام انما الا دلالة على انه ليس دينا غير الاسلام
كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات هم
اليهود ءامنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم حين عاينوا ما يوجب قوة ايمانهم من البينات
وتحققوا منها ومن كتابهم انه حق ثم كفروا به وقيل نزلت في رهط كانوا اسلموا ثم رجعوا
عن الاسلام ولحقوا بمكة كيف استبعاد لان تهديهم الله تعالى لان الحايد عن الحق بعدما اوضح
له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار له لما علم من عنادهم ومكابرتهم ولامتناع
قبولهم اياه تعنتا عليهم ولو تبجحا فلا دلالة فيه على عدم قبول توبة المرتد وشهدوا عطف
على ما في ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فاصدق واكن او حال باضمار قد من كفروا والمراد
من ايمانهم تصديقهم بالله تعالى وعلى التقدير ان يراد منه التصديق بالرسول صلى الله
عليه وسلم لا دلالة في الاية ايضا على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان
المصطلح عند اهل الشرع انما دلالتها على انه خارج عن الايمان بمعنى التصديق بالله ورسوله
وليس هذا مما يقبل النزاع والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاخلال
بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه اولئك
جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين استقر عليهم لعنة الله ومن يعتد
بلعنه من خلقه ودلالة مفهومه على عدم استقرار اللعن على غيرهم لا على عدم جوازه في حق غيرهم
فالمراد من الناس المؤمنون ويجوز ان يراد العموم لان الكافر ايضا يلعن منكر الحق ولكن
لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها في اللعنة او في النار واضمارها قبل الذكر تفخيما لشانها
وتهويلا لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون اي لا يمهلون ليعتذروا ولا ينظر اليهم
نظر رحمة الا الذين تابوا اي رجعوا عن الارتداد من بعد ذلك الاشارة الى الكفر
لتعظيمه وشدته وغاية بعده عن الصواب والعقل واصلحوا ما افسدوا او دخلوا في
الصلاح فان الله غفور رحيم يتفضل عليه ان الذين كفروا بعد ايمانهم كاليهود
كفروا بعيسى عليه السلام والانجيل بعد الايمان بموسى عليه السلام والتوراة ثم ازدادوا

كفرا لكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن او كفروا به صلى الله عليه وسلم بعد
ايمانهم قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض
الميثاق والسخرية بكل ما نزلت من الآيات او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا
بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه فننافقه باظهاره لن تقبل توبتهم قد عرفت
ان التعريف في الذين كفروا للعهد والاشارة الى قوم مخصوصين والا فكل كافر اذا تاب
قبلت توبته فان ازدادوا كفرا الى كفرهم ان اريد بهم المرتدون قالوا وفي واولئك هم الضالون
للحال اي لن تقبل توبتهم في حال كونهم على ضلالهم الذين هم ثابتون عليه لكون توبتهم نفاقا
وان اريد بهم اليهود فكذلك وفيه وجهان اخران احدهما ان يكون اخبارا بالغيب على طريقة
قولهم لا يهتدي الضب بها بمنجحر اي لن يتوبوا فلا توبة ولا قبول واولئك هم الضالون اعتراض
اي والموصوفون بما ذكر اولئك هم الثابتون على الضلال المطلق والثاني ان يكون كناية
عن موتهم على الكفر اي يموتون وهم كافرون على ما صرح به بعده والفائدة التغليظ في
شأنهم وابراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة التي هي اغلظ الاحوال واشدها
ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار لفظ الذين هنا عام في من كفر ومات على الكفر فلذلك
دخلت الفاء في قوله فلن يقبل من احدهم تضمينا للموصول معنى الشرط على ان الموت
على الكفر سبب الامتناع قبول الفدية وانما كفر ترك الفاء في الكلام السابق بفقد السبب
ثمة وايراد المسند اليه موصولا لتحقيق الخبر ملء الارض ذهبا ملء الشيء ما ملأه ذهبا نصب
على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء او الخبر المحذوف وفيه انه لابد من تقدير وصف
فيحسن البدل ولا دلالة عليه والثاني انما يحسن اذا جعلت الجملة صفة او حالا ولا يخلو عن
ضعف ولو افتدى به اعتراض اي ولو فرض انه افتدى به على ان الافتداء ثمة محال
وتقديرنا للكلام ان الذين ماتوا على الكفر ولو افتدى احدهم ملء الارض ذهبا لم يقبل
منه فلما كان الجزاء اهم الاقناط والبعث على الرجوع عن الكفر الى الايمان قبل الموت قدم
وجعل جزاء الشرط الاول ما ورد لن للتأكيد واخر الشرط فلزم الواو للربط وقيل
محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا اولئك
لهم عذاب اليم تتميم لمعنى الاقناط لان من لا يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه
تكرما وما لهم من ناصرين في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق لن تنالوا البر
لن تبلغوا حقيقة البر وهو ما يتقرب به الى الله تعالى من اعمال الخير وقيل لن تنالوا
بر الله اي ثوابه حتى تنفقوا مما تحبون من اموالكم التي تحبونها او مما يعمه وغيره
كبذل الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعة الله تعالى والمهجة في سبيله ومن هنا
للتبعيض يدل عليه قراءة حتى تنفقوا ما تحبون وفي قوله وما تنفقوا من شيء لتبيين

ما تنفقوا

ما تنفقوا اي من اي شيء تحبونه او خبيث تكرهونه فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه
كل الطعام هو ما يطعم ماكولا كان او مشروبا والمراد تناولها كان حلا على شريعة
ابراهيم عليه السلام لبني اسرائيل حلا لهم هو مصدر نعت به ولذلك يستوي
فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل
يعقوب عليه السلام كلحوم الابل والبانها وكان تحريمه لذلك قبل على نفسه ثم انه
تعالى حرمه على اولاده على ما دل عليه الاستثناء المذكور فلا متمسك فيه لمن جوز للنبي ان
يجتهد من قبل ان تنزل التوراة متعلق بالمستثنى منه وفائدته حل ما عدا لحوم الابل
والبانها في شريعة ابراهيم عليه السلام حتى يثبت تحريم ما كان حلا لبني اسرائيل بنزول
التوراة وبه يحصل الزام اليهود ويتم الرد عليهم طيبات وقوله وعلى الذين هادوا
حرمنا كل ذي ظفر الاية بان قالوا لسنا اول من حرم عليه وانما كانت محرمة على
عليه السلام ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من
قبلنا في منع النسخ والطعن في دعوى الرسول عليه موافقة ابراهيم لتحليله لحوم الابل
والبانها للمستثنى بيانا لكون التحريم المذكور فيه اذ لا فائدة فيه اصلا قل فأتوا بالتوراة
فاتلوها ان كنتم صادقين في زعمكم انه تحريم قديم امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما
فيه من ان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وكفرهم لا تحريم قديم كما زعموا
روي انهم لم يجسروا على اخراج التوراة وبهتوا وفي ذلك برهان قاطع على صدق النبي
صلى الله عليه وسلم وحجة بينة على جواز النسخ فمن افترى على الله الكذب ابتدع
على الله تعالى ادعاء ان ذلك كان محرما على بني اسرائيل قبل نزول التوراة من بعد
ذلك من بعد ما الزمهم بالبرهان القاطع فاولئك هم الظالمون المكابرون
الذين لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون الى البينات قل صدق الله تعريض
بكذبهم اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فلما عرض بكذبهم الزمهم
اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والايمان بالقرآن فعبر عن ذلك بقوله فاتبعوا
ملة ابراهيم حنيفا اي ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابراهيم عليه السلام
كان اكثر تحريهم واقرب الى قبولهم كانه قال فاذا ظهرت لكم الحجة البينة لكذبكم فيما
زعمتم وثبت صدق كتاب الله وظهر بطلان دينكم الذي اضطركم الى تحريف كتاب
الله والافتراء على الله لتسوية اغراضكم فاتبعوا الحق هو ملة ابراهيم وهي ما عليه محمد
ومن معه واستصحاب حنيفا وقد سبق تفسيره في سورة البقرة وما كان من
المشركين اراد استمرار النفي لا نفي الاستمرار لانه لو كان مقدما في الاعتبار
وفيه تعريض بشرك اليهود واشارة الى ان اتباعه واجب في التوحيد الصرف والاستقامة

في الدين ان اول بيت وضع للناس اي جعل الله متعبدا لهم للذي ببكة للبيت
الذي ببكة وهي لغة في مكة كالنبط والنمط وقيل هي موضع المسجد ومكة البلد من بكت اذا
زحمت او دقت فانها تدق اعناق الجبابرة مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمر
واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن في الظرف وهدى للعالمين سبب
هداية لانه قبلتهم فيه ايات بينات حال اخرى مقام ابراهيم عطف بيان لقوله
ايات بينات وحد لقيامه مقام ايات كثيرة يدل على هذا قراءة اية بينة ولا يخفى ما فيه
من التفخيم لشأنه كانه لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى ونبوة
ابراهيم عليه السلام بمنزلة ايات عظام كثيرة ويؤيد ذلك التعظيم البالغ تنكير
ايات ووصفها بالبينات ونحوه في التعظيم قوله ان ابراهيم كان امة الاية ومن دخله كان
امنا جملة ابتدائية كان الحرم امنا في الجاهلية ومفزع كل خائف وملجا كل جان وقال
ابن عمر لو وجدنا قاتل ابينا في الحرم لم نقتله وقيل المراد الامن من العذاب يوم القيامة
وفيه ان مدار هذا الامن على الدفن فيه على ما افصح عنه قوله صلى الله عليه وسلم
من مات في احد الحرمين بعث يوم القيامة امنا لا على قوله تعالى ولله على الناس
حج البيت الذي هو من الالفاظ الدالة على الالزام كلها على انها عم فيه والحج كالخو
من المقولات الشرعية وله فرائض وواجبات وسنن وشرائط بعضها للوجوب
وبعضها للاداء ومعناها اللغوي القصد على جهة التعظيم والمراد معناه الشرعي اي قصد
الى البيت الملابسة فان طواف فيه احد ركنيه واحد ركنيها على الاختلاف في الاحرام
فانه ركن عند الشافعي وشرط عند ابي حنيفة ومن قال في تفسيره قصده للزيارة
على الوجه المخصوص فقد زاد على معناه اللغوي وقصر عن معناه الشرعي وقرئ
حج بالكسر وهي لغة نجد من استطاع اليه سبيلا بدل من الناس مخصص له وفيه
ايراد المراد في صورتين مختلفتين على وجه فيه تشويق وجذب لتعد تشغف
وطلب وتنكير سبيلا وتقديم اليه عليه اي سبيلا ما اي سبيل يسير على وجه قريب
وبعيد بشرط اختصاص انتهائه اليه لا الى غيره وكل ما اتى الى الشيء فهو سبيل وقد
فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة وما فسره صلى
الله عليه وسلم استطاعة السبيل الى البيت المذكور في القران لا استطاعة الحج فانها
لا بد فيها في صحة البدن ايضا فلا دلالة فيه على احد القولين المذكورين في المسئلة
الخلافية المشهورة ومن كفر فان الله غني عن العالمين وضع كفر موضع لم يحج
تاكيدا لقولين الوجوبية وتغليظا على ترك الحج وتشديدا عليه ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وقد اكد امر الحج في هذه

الاية

الاية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وايراده في صورة الاسمية
وايراده على وجه يفيد انه حق واجب لله تعالى في رقاب الناس وتعميم الحكم
اولا وتخصيصه ثانيا فانه كالايضاح بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج بالكفر
من حيث انها فعل وذكر الاستغنا فانه في مثل هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله
عن العالمين يدل عليه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغنا عنه بالبرهان والاشعار
بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال والتجرد
عن الشهوات والاقبال على الله تعالى بقي ههنا دقيقة انيقة وهي ان اللام في قوله ولله مظنة
ان يكون في الحج نفع له تعالى دفعه ببيان غنائه عن العالمين روي انه لما نزل صدر الاية
جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا
فامنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر الاية قل يا اهل الكتاب
تخصيص اهل الكتاب بالخطاب لان كفرهم اقبح وانما الدلالة على انهم وان زعموا انهم مؤمنون
بالتوراة والانجيل فهم كافرون بها فلا تاثير فيها للتخصيص المذكور لم تكفرون بايات
الله اي باياته السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما ادعاه
من الاوامر والنواهي ومن الانتقام وفي لم انكار لكفرهم وتعجب منه مع وجود المانع
ويقولون الحق شهيد على اعمالهم والله شهيد على ما تعملون اي والحال ان الله شهيد
اي مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاسرار وهذه الحال توجب
الايمان به كما جسركم على الكفر باياته واظهار اسم الله والمقام مقام الاضمار للتخويف
والتربية للمهابة قل يا اهل الكتاب اعيد الخطاب لان الاول للضالين وهذا
للمضلين بلا تكرار وكون كل واحد من الامرين مستقبحا في نفسه مستقلا في استجلاب
العذاب مما لا حاجة الى الاشعار به لعدم الخفاء فيه لم تصدون معنى الاستفهام
انكار القصد وطلبا للعوج في الطريق المستقيم مع كونهم علماء شهداء بان ليس فيه عوج
وان الصاد عنها ضال مضل والتوبيخ هنا اشد لمعنى المكابرة فيه عن سبيل الله
دينه الحق المامور بسلوكه وهو الاسلام قدم للاهتمام عن المفعول الاول وهو قوله
من امن كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم
ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا الميل ويحتالون لصدهم عنهم والمنعون
من اراد الدخول فيه بجهدهم فعلى الاول يكون التوجيه في الصد وعلى الثاني في امن تبغونها
مفعول تبغون والضمير منصوب بنزع الخافض وتعدية الفعل فيهما والعوج بكسر
العين الميل والانحراف في المعاني وبفتحها في الجثث اي تطلبون اعوجاجا وميلا عن
الاستقامة بان تلبسوا على الناس حتى توهموهم ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة عيسى عليه السلام

عوجا

لا تنسخ وتغيير صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوها ان يبغونها عوجا وانتم
شهداء عالمون انها سبيل الله لا يصد عنها الا ظالم كافر او عدو بين اهل الاسلام وبينكم
يتمسكون باقوالكم ويستشهدونكم في عظايم امورهم لكونكم احبارا وما الله بغافل
عما تعملون وعيد بالغ والختم بهذا يناسب المقام لان الكلام في صدهم المومنين عن الاسلام
وكانوا يخفونه ويحتالون فيه وفيما تقدم في كفرهم وهم يجهرون به فكان المناسب
الختم بقوله والله شهيد على ما تعملون يا ايها الذين امنوا خاطبهم الله بنفسه بعد توسيط
الرسول صلى الله عليه وسلم في مخاطبة اهل الكتاب باظهار الجلالة قدرهم واشعارا بان لهم
منزلة عند الله تعالى دون اهل الكتاب ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب نزلت
في نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه تالفهم
واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه
وكان الظفر في ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم تفاخروا القوم وتغاضبوا
وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم واصحابه رضي الله عنهم وقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله
بالاسلام وقطع به عنكم الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم
فالقوا السلاح واستغفروا وعانقوا بعضهم وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم والتعبير عن شاس ومن اعانه فيه بالتعريف يناسب مقدم ايقاع التفرقة بين جمع
المومنين يردوكم اي عن الهدى الى الضلالة على ما دل عليه قوله بعد ايمانكم كافرين
رد يتعدى الى مفعولين قال الشاعر فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض
سودا وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله معنى الاستفهام الانكار
والتعجب من تطرق الكفر اليهم في حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر
وانما اخر قوله وفيكم رسوله مع ان حقه التقديم لان التلاوة المذكورة بواسطة اخراجا له عن
حيز الوسايط الى منزلة الاستقلال في السببية كانه قيل والحال ان ايات الله تتلى عليكم معجزة
وازعة عن الكفر وفيكم الرسول واعظا زاجرا لكم ناهيا عنه ومن يعتصم بالله اما يورد
قدمه او يلتجي اليه في جامع اموره فقد هدي الى صراط مستقيم انما يورد قد في جواب
الشرط عنه مضيه عنه والقصد هنا تحقيق الوقوع بمعنى فقد حصل له الهدى كانه قد
حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع في قد ان المعتصم بالله متوقع للهدى يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالواجب
واجتناب المحارم ويدخل فيه الاجتناب عن طاعة اهل الكتاب دخولا اوليا ولا تموتن
الا وانتم مسلمون اي ولا تكونن على حال سوى الاسلام حين الموت فالمنهي كونهم على حال

غير

غير الاسلام عند موتهم لا موتهم هذا ما عندهم والذي عندي ان النهي المذكور التحذير عن الموت
على حال سوى الاسلام والحذر عنه انما يكون بالاحتراز عما يفضي اليه فيه حث على الثبات على
الاسلام في جميع الازمان على ابلغ وجه وعلى هذا لا عدول عن الظاهر بخلاف ما قالوه
واعتصموا بحبل الله يحتمل التمثيل بان يمثل صورة حالهم في اعتضادهم وانتصارهم
وتوثقهم بالله تعالى وحمايته واتكالهم عليه بصورة حال المتدلي من مكان مرتفع متمسكا
بحبل وثيق يامن انقطاعه والاستعارة بان يستعير الحبل للعهد او كتابه ويجعل
الاعتصام ترشيحا لها بما يناسب الحبل جميعا اي اجتمعوا على استعانتكم بالله وتوثقكم
به واجتمعوا على التمسك بعهده اليكم ان تومنوا به ولا تعبدوا الا اياه او بكتابه لقوله
صلى الله عليه وسلم القران حبل الله المتين ولا تفرقوا ولا تتفرقوا كما كنتم متفرقين
في الجاهلية يعادي بعضكم بعضا ويحاربه ولا تفعلوا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة
من القول والعمل واما التفرق بالاختلاف في الدين كاليهود والنصارى فهو مفهوم
قوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا واذكروا نعمة الله عليكم اراد نعمة الهداية
والتوفيق للاسلام المودي الى التالف وزوال الغل اذ كنتم اعداء في الجاهلية
متقاتلين فالف لوقوع الالفة بين قلوبكم بالاسلام فاصبحتم بنعمته
بسبب تلك النعمة اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة في الله واصبح اصله دخل
في الصباح ثم اطلق على الصيرورة اي وقت كان ففيه باعتبار اصله دلالة على خروجهم
من ظلمات الضلالة الى نور الهداية قيل كان الاوس والخزرج اخوين فوقع بين اولادهما
العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفاها الله تعالى بالاسلام
والف بينهم برسوله صلى الله عليه وسلم وكنتم على شفا حفرة من النار مشرفين
عليها لكفركم اذ لو ادرككم الموت على تلك الحالة لصادفتم القبر حفرة من النار
وانما قال فانقذكم منها وان لم يكونوا فيها لانهم كانوا بمنزلة من هو فيها من حيث كانوا
مستحقين لدخولها ويجوز ان يكون الضمير لشفا وتانيثه لانه بمعنى الشفة فان شفا
البير وشفتها طرفها واصله شفو فقلبت الواو في المذكر وحذفت في المونث كذلك مثل
ذلك التبيين يبين الله لكم اياته دلايله لعلكم تهتدون اراده ان تثبتوا
على الهدى وازدادوا هدى ولتكن منكم امة من للتبيين بمعنى وكونوا امة كقوله
كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
من فروض الكفايات فهو واجب على كل الامة بدليل لو ترك اثم الجميع فان سقط بفعل
البعض لحصول المقصود فلا بد من توجيه الخطاب الى الكل ثم من قال من للتبعيض علل
لما ذكرناه اتفاقا فقد اختار المذهب المردود وهو ان يكون الوجوب على البعض من غير

تعيين وأما الاستدلال على أنه لا يجب على الكل لعدم الوجوب على الجاهل فمردود لأنه إذا
ترك بالكلية فذلك الجاهل آثم أيضا ولولا الوجوب عليه لما أثم كمن وجب عليه الصلاة وهو
محدث فإن عليه تحصيل الشرط ثم الفعل وأما من اختار أن يكون من للتبعيض متعللا بما
تقدم ثم قال خاطب الجميع أو طلب فعل بعضهم ليدل على أنه واجب على الكل فقد خبط
حيث خلط بين المذهبين ثم إنه لم يرد أن الوجوب على الكل بمعناه الطلب من الكل لا الخطاب
للكل فإن الخطاب بدون الطلب بمعزل من الدلالة على الوجوب يدعون إلى الخير
يعم الدعاء إلى ما فيه صلاح ديني أو دنيوي فينتظم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
لقوله ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر من قبيل عطف الخاص على العام
للإيذان بفضله وأولئك هم المفلحون المخصوصون بكمال الفلاح والأمر بالمعروف
يكون واجبا ويكون مندوبا على حسب ما يؤمر به وكذا النهي عنه مكروها كراهة تنزيه
ومن وهم أن جميع ما أكره الشرع حرام فقد وهم والعاصي يجب أن ينهى عما يرتكبه
لأنه كما يجب عليه تركه يجب عليه إنكاره ونهي الغير عنه إلا أن الثاني على طريق الكا
والإنكار في أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون متوجه إلى القيد
ولا تكونوا كالذين تفرقوا أي بالعداوة واختلفوا أي في الديانة وهم
اليهود والنصارى وإنما قال من بعد ما جاءهم البينات أي الآيات والحجج المبينة
للحق الموجبة للاتفاق عليه لأن الاختلاف في موضع الاجتهاد ليس بمنكر كيف
وقد قال عليه الصلاة والسلام اختلاف أمتي رحمة ولا اختصاص لواحد من
الاختلاف بين الأصول والفروع فإن في الأصول أيضا موضع الاجتهاد كما أن
الفروع لا امتناع له وأولئك لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا وتهديد
على التشبه بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب بما في لهم من معنى الفعل
وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه ويجوز
أن يراد بالبياض والسواد حقيقتهما فأما الذين اسودت وجوههم ابتدأ
بهم في مقام التفصيل للاهتمام بالتحذير من حالهم والمجاورة قوله تعالى تبيض
وتسود وجوه وليكون الابتداء بالمؤمنين والاختتام بحكمهم أكفرتم بعد إيمانكم
على إرادة القول أي فيقال لهم أكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم والظاهر
أنهم أهل الكتاب كفروا وكذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد إيمانهم به قبل مجيئه
وقيل هم المرتدون وقيل هم جميع أهل الكفر لإعراضهم عما أوجبه الإقرار به
حين أشهدهم على أنفسهم على ما أفصح عنه قوله ألست بربكم قالوا بلى فذوقوا العذاب
اسراهانه بما كنتم تكفرون بسبب كفركم والجمع بين الصيغة الدالة على التجدد

وزيادة

وزيادة الكون الدالة على الاستمرار للمطابقة بين العمل والجزاء المذكور مفصلا في
قوله كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب والله أعلم بالصواب
وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة من الثواب المخلد جمع للفريق الأول بين
التعنيف بالقول والعذاب وههنا جعلهم مستقرين بالرحمة فهي ظرف لهم وأشار
بها إلى سابق عنايته بهم بجانب الثواب هم فيها خالدون أخرجه مخرج الاستئناف
لبيان أن ذلك الاستقرار وهو على سبيل الخلود لا زوال منه وهم تأكيد لقوله وفيها
تأكيد لقوله ففي رحمة الله ولم يذكر الخلود للكافر بذكر قرينه ولم يعكس إذ لا يفهم من دوام
العدل دوام الفضل بخلاف العكس ثم إنه لما ذكر العذاب علله بفعلهم ولم يذكر هنا
سبب كونهم في الرحمة إشعارا بأن رحمته تعالى لا تحتاج إلى السبب تلك آيات الله
الواردة في الوعد والوعيد نتلوها عليك بالحق متلبسة بالحق لا شبهة فيها
وما الله يريد ظلما للعالمين فيأخذ أحدا بغير جرم أو يزيد في عقاب مستمر
على ما يستحقه أو ينقص من الثواب الموعود المحسن وتقديم الله على فعل الإرادة
بعد النفي يفيد أن الذي يظلم ويريد الظلم غيره لا هو أي هم الظالمون على
أنفسهم لا غيرهم ونفي إرادة الظلم ينفي إرادته عنه تعالى فضلا عن الظلم وتنكير
ظلما وتعميم للعالمين معناه لا يريد شيئا من الظلم أي نوع ما يكون لأحد من العالمين
كائنا من كان ومن في تعليل ما ذكر يستحيل الظلم منه لأنه لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه
ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لأنه المالك على الإطلاق ثم إنه حينئذ أي على تقدير أن
يكون الظلم منه مستحيلا لا يناسب نفي إرادته فضلا عن المبالغة فيه إذ ليس من
شأنها ما ليس بمقدور له بل الظاهر منه أنه مقدور له إلا أنه لا يريده لا يليق
بشأنه والتعليل المذكور فاسد لأنا نعلم قطعا أن النقص عن الثواب الموعود لبعض
الأعمال من قبيل الظلم كنقص حق الأجير وهو من جملة المحتملات والله قادر
له إلا أنه لا يفعله ولله ما في السموات وما في الأرض استئناف في معرض التعليل
لما تقدم كأنه يقول إرادة الظلم أمارة الحاجة والرغبة الجاء بنقصه بالظلم
والله تعالى متنزه عنها لأنه مالك ملك السموات والأرض وإلى الله خاصة
ترجع الأمور فالملك في دار الآخرة أيضا له تعالى والعدول عن الضمير إلى الاسم
الظاهر للإشعار بأن ما ذكر من شأن الألوهية ولوازمها وإنما قال ترجع لأنها
قد زالت لهلاك ما سواه كنتم خير أمة دل على خيريتهم ولم يدل على أنهم لم
يكونوا خيرا وانقطع ذلك عنهم لأن كان الناقصة لا دلالة فيها على عدم سابق
ولا على الدوام فلذلك يستعمل فيما هو حادث مثل كان زيد راكبا وفيما هو دائم

ففي رحمة الله

مثل كان الله غفورا رحيما ومن قال كانه قيل وجدتم خير امة فكانه زعم انه تامة وان
خير امة حال ويرده عدم قبول وكان الله غفورا رحيما اخرجت للناس اظهرت
للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف بين به كونهم خير امة
وتومنون بالله يتضمن الايمان لكلما يجب ان يومن به لان الايمان بكل ما امر ان
يومن به وانما اخره وحقه ان يتقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف
ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه والتفريق في الموضعين
للعهد والمعهود المعروف الشرعي ومن فهم انه للاستغراق فقد وهم واستدلاله
به على حجية الاجماع ليس بتام كما لا يخفى على ذوي الافهام ولو امن اهل الكتاب ايمانا
كما ينبغي لكان الايمان خيرا لهم مما هو عليه منهم المومنون كعبد الله بن سلام
واصحابه واكثرهم الفاسقون اراد الكافرين والتعبير عنهم بالفاسقين للتنبيه على
ان المومنين المذكورين عادلون لا حظ لهم من الفسق وهذه الجملة والذي بعدها
واردتان على سبيل الاستطراد لن يضروكم الا اذى ضررا يسيرا الطعن وتهديد
وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر ثم لا ينصرون
لا يكون لهم نصر من واحد نفى اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا
الى القتال كانت الدبرة عليهم ثم اخبر بانه يكون عاقبتهم العجز والخذلان وانما عدل به
عن حكم الجزاء العطف عليه الى الاخبار ليلا يكون انتفا النصر مشروطا بالشرط
مقيدا بالمقاتلة كتولية الادبار مطلقا ثم اخبركم انهم لا ينصرون بوجه قاتلوا
او يقاتلوا ويبقون في الخذلان والذل والعجز لا ينهضون بجناح ولا يرجع اليهم
قوة ونجاح لما كان من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر وثم
استعارة للتراخي في الرتبة فان الاخبار بالخذلان المطلق وانتفا النصر البصر
بالكلية اعظم من الاخبار بالانهزام عند المقاتلة ضربت عليهم الذلة قد سبق
تفسيره في سورة البقرة اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل الله وحبل من الناس
في محل النصب على الحال اي الا متمسكين او معتصمين بذمة الله وذمة المسلمين
والظاهر من تكرار الحبل تعدد الذمتين معنى فالمناسب يحمل الاولى على الذي
نص الله تعالى عليه في قوله حتى يعطوا الجزية والثانية على الذي يراه امام من
اعطاء الامان في مقابلة اخذ مال ولمصلحة اخرى فالاستثنا من اعم الاحوال اي
لا عز لهم الا هذا العز وعلى طريقه ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم لان التمسك باحدى
الذمتين غاية الذل ومن فسر احد الذمتين بدين الاسلام والاخرى بسبيل المومنين
اجرى الاستثنا على ظاهره فيرد عليه ان سبيل المومنين هو دين الاسلام بعينه

فلا

فلا يناسب تكريره ذلك الحبل وباؤا بغضب من الله ورجعوا مستوجبين وضربت عليهم
المسكنة لم يقل ضربت عليهم الذلة والمسكنة كما قال في سورة البقرة لانه لو اراد
تفصيل حال ذلتهم بالمبالغة فيها بخلاف حال مسكنتهم فانها باخبارهم في الغالب
فان الاغنيا كثيرة في اليهود الا انهم لا يظهرون غناهم ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب
الذلة والبوء بالغضب وضرب المسكنة بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون
الانبيا بغير حق قد تقدم تفسيره في سورة البقرة ذلك اي الكفر والقتل بما
عصوا وكانوا يعتدون بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله على الاستمرار فان
الاصرار على الصغاير يفضي الى الكباير والاستمرار عليها يودي الى الكفر وقتل
كرر الاشارة والمشار اليه واحد اشارة الى ان كل واحد من الامرين مستقل بايجاب الامور
المذكورة من الذل والمسكنة والبوء بغضب عظيم من الله لو لم يكن الاخر يكف والامران
منفصلان وارتبه بالامرين الكفر ويندرج فيه قتل الانبيا والاستمرار على عدم
الامتثال بالتكاليف ويبنى هذا على انهم مخاطبون بالفروع ايضا ليسوا سوا في المساوي
والضمير لاهل الكتاب من اهل الكتاب امة كلام مستانف لبيان قوله ليسوا كقوله
تامرون بالمعروف لبيان كنتم خير امة قايمة مستقيمة عادلة من قولهم اقمت العود
فقام اي استقام وهم الذين اسلموا منهم يتلون ايات الله صفة لامة وكذا يومنون
اناء الليل وهم يسجدون يتلون القران في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل
مع السجود ليكون ابين وابلغ في المدح ويجوز ان يكون قايمة احد تفاصيله اي قايمة
في حال تلاوة الايات بالليل وقيل المراد صلاة العشا لان اهل الكتاب لا يصلونها على ما ورد
في حديث ابن مسعود رضي الله عنه وقوله يومنون بالله واليوم الاخر في عداد خصايص
المومنين تعريض اخر بان ايمان اليهود بالامرين ليس بشي لاشراكهم بالله العزير او وصفهم
الاخر بخلاف صفته وكذا ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر تعريض بانهم متباطيون
عنها لقلة رغبتهم فيهما اذ كل من رغب في شي يسارع في توليه والقيام به والمسارعة المبادرة
والخيرات عامة تشمل هذه الاوصاف السابقة واتيانها على صيغة المضارع للدلالة على
التجدد والتكرر واولئك اشارة الى من اتصف بتلك الصفات من الصالحين
حقيقة الصلاح في انتفاء الفساد عنه بالكلية وهي نهاية كمال الوصف بالمحاسن وهو
مما مدح الله به انبياءه عليهم الصلاة والسلام لما عدد الخصايص التي يستحق بها الثواب
بالغ في تعظيم جزايها للترغيب فيها بقوله وما تفعلوا من خير حيث اتى بالتنكير للتقليل
اي وان كان قليلا وجعلها نعما فاستعمل في مقابلها انتفا الكفران ليكون من الاستعارة
بالكناية ويستلزم كون الله تعالى شاكرا فلن تكفروه فلن يضيع ولا ينقص ثوابه

البته ضمن الكفران معنى الحرمان فعدي الى مفعولين وفي هذا التضمين زيادة تنزيه انه نسب
اليه تعالى معنى الكفران لان تقديره لن تحرموه مكفورين والله عليم بالمتقين وعد
وبشارة لهم بالفوز والثواب الجزيل واشعار بان التقوى مبدا الخير وحسن العمل ان
الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من العذاب او من الغنا
فيكون مصدرا واولئك اصحاب النار ملازموها هم فيها خالدون دون
فساق المؤمنين مثل ما ينفقون ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة او سمعة
او المنافقون رياء وخوفا في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر برد شديد
والشائع اطلاقه للريح الباردة في الاصل لمصدر نعت او نعت وصف به البرد للمبالغة
كما في قولك برد بارد اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي
فاهلكته عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط اشد اراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه
بحرث من يستحق العقوبة ضربه ضربا فاستاصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما وهو من
التشبيه المركب ولا يلزم فيه ان يكون قابله الاداة المشبه الا ان تشبيه المثل بالمثل يستدعي
ان يراعي فيما اضيف اليه المثل في الجانبين المناسبة على ما قرر في مثل الذين كفروا المثل
بالمثل يستدعي ان يراعى ينفق ولهذا قيل تقديره الكلام كمثل مهلك ريح وهو الحرث
وما ظلمهم الله بعدم قبول نفقاتهم ولكن انفسهم يظلمون بحيث بنيانهم او وما
ظلمهم الله باهلاك حرثهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ
ولكن بالتشديد اي ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز اعمالها في ضمير الشان المحذوف
على تقديره ولكنه انفسهم يظلمون لان ذلك لا يجوز الا في الشعر يا ايها الذين
امنوا لا تتخذوا بطانة وليجة وهو الذي يطلعه على باطنه وسره ثقة
به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار في قوله عليه السلام الانصار شعاري
والناس دثاري من دونكم من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف
وهو صفة بطانة اي بطانة كائنة من دونكم لا يالونكم خبالا لا الخبال
الفساد والالو التقصير واصله ان يعدى باللام ثم عدي الى مفعولين كقولهم
لا الوك نصحا على تضمين معنى المنع والنقص ودوا ما عنتم تمنوا عنتكم وهو
شدة الضرر والمشقة وما مصدرية قد بدت البغضاء من افواههم لانهم
لامتلائهم بالبغض لا يتمالكون ان يخفوا ولا ينفك من افواههم ما يظهر به بغضهم
وعداوتهم مع ضبطهم انفسهم وتحاملهم عليها وسعيهم في الاخفاء وذكر الافواه دون
الالسنة اشعار بان ما يلفظون به يملا افواههم كما يقال كلمة تملا الفم اذا تشدق
وما تخفي صدورهم اكبر مما بدا وفي نسبة البدو الى البغضاء والاخفاء الى الصدور

اشعار

اشعار بانهم مطبوعون على النفاق قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب
الاخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون ما بين
لكم والجمل الاربع مستانفات على التعليل ويجوز ان يكون الثلاث الاول صفات
لبطانة ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم ما تنبيه على خطائهم واولا تحقيرهم
او تغيير اولا الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب وقوله تحبونهم ولا يحبونكم
بيان لخطائهم في موالاة من يبغضهم وهو خبر ثان او خبر اولا والجملة خبر انتم او صلة
او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب اولا بفعل يفسره ما بعده وتكون
الجملة خبرا والواو في وتؤمنون بالكتاب كله واو الحال تقديره وانتم مؤمنون
والعامل لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله او بجميع الكتب وفيه توبيخ شديد
لا يحبونكم مع كونكم بكتابهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم فهم في باطلهم اصلب
منكم في حقكم واذا لقوكم قالوا آمنا نفاقا وتغريرا واذا خلوا عضوا عليكم
الانامل من الغيظ من اجله تاسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا قل موتوا
بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته والمراد به زيادة ما يغيظهم من قوة
الاسلام وعز اهله المستلزم لذلهم وتبارهم فهو من كناية بالواسطة عبر بدعاء
موتهم بالغيظ عن ملزومه الذي هو دعاء ازدياد غيظهم الى حد الهلاك وبه عن ملزومه
الذي هو قوة الاسلام وعز اهله وذلك لا مجرد الموت بالغيظ وازدياده مما يحسن
ان يطلب ويدعى ويجوز ان لا يكون ثمة قول ومعنى الامر بالقول طب نفسا وكن
مستبشرا بالله تعالى بعز الاسلام وبذل الكفر بحيث يزداد ان يكون الكفار الى
حد الهلاك على ما سبق من طريق الكناية واصل الكلام استعارة تمثيلية شبه
طيب النفس والاستبشار بذلك بتحديثه نفسه واعلامها بذلك ان الله عليم
بذات الصدور الاسرار التي لا تنكشف اصلا لبخلها للزوم الصدور وعن عدم
الظهور البتة والظاهر انه تذييل لمجموع ما سبق من قوله ها انتم الى قوله بغيظكم
فهو وعيد على اضمار موتهم بعد النهي وتقرير باطلاع الله تعالى على بواطنهم واطلاع
رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وتحذير لهم ايضا كي يرجعون عن نفاقهم
ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها التنكير في الحسنة للتحقير
وفي السيئة للتعظيم والمس مبني عن ادنى مراتب الاصابة فالمعنى ان الحسنة
اي قدر كان ولو مسا تسوؤهم واما الفرح بالسوء فلا يكون الا بالوصول التام
بحيث يعتد به لان مقام مبالغة الحسد والغيظ يقتضي ذلك ومن ثم ان المس مستعار
للاصابة فكان المعنى واحد فقد وهم وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا

سوالايهم لايضركم كيدهم شيئا بفضل الله وحفظه ان الله بما يعملون
من الصبر والتقوي محيط اي محيط علمه بجازيكم بما انتم اهله وقري بالياء
بما يعملون في عداوتكم فيعاقبكم عليه واذ غدوت اي اذكر اذ غدوت من اهلك
اذ خرجت غدوة من اهلك اذ خرجت غدوة من وطنك منزل عايشة رضي الله عنها
الي احد تبوي المومنين تسوي لهم وتهيي ترشد اليه القراة باللام مقاعد للقتال
مواقف واماكن له والله سميع عليم سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وفيه وعيد
للمنافقين اذ همت بدل من اذ غدوت طايفتان منكم بنوا سلمة من الخزرج
وبنوا حارثة من الاوس وكان جناحي العسكر ان تفشلا اي قصدا ان تفعلا
فعل من فشل وهو الانصراف وترك قطرا القتل وهو للخطرة ههنا لا للعزمة بقوله
والله وليهما اي عاصمهما من اتباع تلك الخطرة وكان ذلك عند انخذال
ابن ابي في ثلثماية من قومه وعلى الله فليتوكل المومنون تقديم على التخصيص
اي فلا يتوكل المومنون الا على الله لينصرهم كما نصرهم يوم بدر وانما جمع بين الحرفين
في عطف الجملة على الجملة لتقدم العلة للاختصار فالواو للعطف والفاء لافادة
السبب فان كونه تعالى سبب للتوكل عليه ولقد نصركم الله ببدر تذكير
ببعض ما افادهم التوكل على الله تعالى وبدر ما بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي
به وانتم اذلة حال من الضمير وانما اورد اذلة على صيغة جمع قلة ليدل على انهم
مع ذلتهم كانوا قليلا وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال لقلة المركوب والسلاح والمال
فاتقوا الله بالثبات مع رسوله لعلكم تشكرون بتقواكم ما انعم عليكم من
نصرته اولعلكم ينعم الله عليكم نعمة اخرى تشكرونها فوضع الشكر موضع الانعام لكونه
سببا له اذ تقول للمومنين ظرف لنصركم او بدل ثان من اذ غدوت على ان قولهم لهم
يوم احد وكان مع اشتراط الصبر والتقوي عن المخالفة فلما لم يصبروا على الغنايم
وخالفوا امر الرسول صلى الله عليه وسلم لم تنزل الملايكة الن يكفيكم ان يمدكم
ربكم بثلاثة الاف من الملايكة منزلين انكار ان لا يكفيهم الامداد ثلاثة الاف من
الملايكة وتاكيد النفي بلن اشعارا بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته
كالايسين من النصر فقيل امدهم الله تعالى يوم بدر اولا بالف ثم صاروا خمسة وقري
منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج وقري منزلين بكسر الزاي منزلين منزلين
النصر بلى ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم ثم وعدلهم الزيادة على الصبر والتقوي حثا
عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا وتتقوا ياتوكم اي المشركون من فورهم
هذا من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعيرت للسرعة

في العرف

في العرف فغلبت ثم سميت به الحالة التي لا لبث فيها ولا تعريج لصاحبها على شيء والمعنى ان ياتوكم
في الحال يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملايكة في حال اتيانهم بلا تراخ ولا تاخير
مسومين معلمين من التسويم الذي هو اظهار سيما الشي لقوله صلى الله عليه وسلم لاصحابه
تسوموا فان الملايكة قد تسومت ومرسلين من التسويم بمعنى الاسامة وقري
مسومين بكسر الواو وما جعله الله وما جعل الوعد والامداد ومن قال وما جعل
الامداد فكانه غفل عن ان البشارة قد حصل بالوعد بالامداد الا بشرى لكم
الا بشارة لكم بالنصر والتاييد هذا غاية للوعد وقوله ولتطمين قلوبكم به
اي ولتسكن اليه من الخوف غاية الامداد وللتنبيه على انهما غايتان لامرين مختلفين
غير الاسلوب وفصل بينهما بحرف التعليل هذا ما بحسب البلاغة والذي بحسب النحو هو انه
لما وجدت شروط المفعول من احد من اتحاد الزمان والفاعل في الاول دون الثاني دخل
عليه السلام ولم يدخل عليه الاول وما النصر الا من عند الله لا من العدد والعدد فيه
تنبيه على انه لا حاجة في نصرهم الى مددهم الا ان عادته تعالى جرت بان ينصر باعداد
الاسباب ولو بتكثير السواد على ما اشار اليه بقوله العزيز الذي لا يغالب في اقضيته الحكيم
الذي يفعل على مقتضى الحكمة بامداد واعداد في لتنبيه المذكور ادرج الاشارة الى ان الملايكة
ما نزلوا للقتال بل لمجرد تكثير السواد وكذلك احتيج الى الكثرة والا فملك واحد كاف في اهلاك
الكل ليقطع طرفا من الذين كفروا متعلق بقوله وما النصر الا من عند الله اي ليهلك طايفة
منهم ويذل بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديد قريش
وروسايهم او يكبتهم يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا خايبين غير ظافرين بمطلوبهم
ليس لك من الامر شيء اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على قوله او يكبتهم والمعنى
ان الله تعالى مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان
اصروا وليس لك من شي وانما انت عبد مامور بانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون معطوفا على
الامر باضمار ان اي ليس من امرهم شي والتوبة عليهم او تعذيبهم روي ان عتبة بن ابي وقاص
شجه عليه السلام يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح
قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت فانهم ظالمون قد استحقوا التعذيب بظلمهم ولله
ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا فلله الامر كله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء
صريح في نفي وجوب شي من المغفرة والتعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له وتقديم
المغفرة للاشارة الى سبق الرحمة على الغضب والله غفور رحيم بعباده فلا تبادر الى الدعاء
عليهم قيل هم صلى الله عليه وسلم ان يدعو عليهم يوم احد فنهاه الله تعالى لعلمه بان فيهم من يومن
فنزلت يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة لا تزيدوا زيادات مكررة والنهي

الخطاب بالمؤمنين مع اختصاص النهي بهم للتنبيه على ان المؤمنين بارتكاب الكبائر
ولا يخرج عن الايمان واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون راجين
الفلاح واتقوا النار التي اعدت للكافرين تخصيص بعد التعميم فان اتقاء الله تعالى ينتظم
سخطه في الدارين ولا يخفى على الفطن ما فيه من المبالغة والتهديد على الربو حيث اتى بلعل
في فلاح من اتقاه واجتنبه لان تعلق امكان الفلاح ورجائه بالاجتناب منه يستلزم امتناع
الفلاح لهم اذ لم يجتنبوه ويتقوه مع ايمانهم ثم انه اوعد عليهم بالنار التي اعدت للكافرين
مع كونهم مؤمنين فما اعظمها من معصية توجب عقاب الكفار للمؤمنين وما اشده من تغليظ
عليه ثم امد التغليظ بالامر بطاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم تعريضا بان اكل الربا
منهمك في المعصية لا طاعة له ثم علق رجاء المؤمنين لرحمة بطاعة الله تعالى ورسوله اشعارا
بانه لا رجاء للرحمة مع هذا النوع من العصيان فانظر روح التغليظ في التهديد حتى الحقه
بالكفار في الجزاء والعقاب وانما قيل فيه تنبيه على ان النار بالذات معدة للكفار وبالعرض
للعصاة فبناء على ان يكون المراد نار جهنم وذلك غير مسلم وقد نبهت فيما تقدم على ان المناسب
للمقام حملها على نار مخصوصة بالكفار واطيعوا الله في نهيه من الربو مجملا واطيعوا الرسول
في بيانه ذلك المجمل لعلكم ترحمون اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في
الطاعة ولعل وعسى في امثال ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل خبرا له وسارعوا بادروا
الى مغفرة من ربكم الى ما يستحق به المغفرة من الاسلام والاخلاص ترك المنهي واتيان
اللازم مقامه للتنوين والتحريض على ما يوجبه وليكون سرعة الاقبال عليه بالنشاط عليه
مع خفته على النفس وجنة عرضها السموات والارض اي عرضها كعرض السموات كما قال
في موضع آخر كعرض السماء والارض قال ابن عباس رضي الله عنه والحق ان السموات والارض
اذا ضم بعضها الى بعض كعرض الجنة مثلها فاما الطول فاكبر من ذلك لان طول كل شيء
يزيد عرضه وقيل العرض هو السعة قال الشاعر كان بلاد الله وهي عريضة على الخائف
المطلوب كفة حابل اي واسعة اعدت للمتقين هيئت لهم صفة اخرى للجنة وفيه
دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم فلا دلالة عليه فيه اذ يجوز ان يكون
فوق السموات دون العرش وقد جاء في الحديث سقف الجنة عرش الرحمن الذين ينفقون
صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب او مرفوع في السراء والضراء اي في حال الرخاء واليسر
وحال الضيق والعسر لا يهملون انفاق ما تيسر لهم او في الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو
عن مسرة ومضرة اي لا يخلون في حال ما من انفاق ما قدروا عليه من القليل والكثير وتقدم
الانفاق على سائر خصال المتقين لكونه اشق على النفس وادل على الاخلاص في التوكل ولانه
كان اعظم اعمال البر في ذلك الوقت للحاجة اليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين

والكاظمين

والكاظمين المتجرعين يقال كظم البعير جرته اذا ردها الى جوفه الغيظ وهو توقد
حرارة القلب من الغضب يقال تغيظت الهاجرة اذا اشتد حميها ويجوز ان يكون من كظمت القربة
اذا شددتها على ملئها والاول ابلغ ومن قال في تفسيره الممسكين عليه الكافين عن امضائه
مع القدرة عليه في اعتبار القيد الاخير لانه غير لازم في كظم الغيظ على ما يفهم من قوله
صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا
والعافين عن الناس المتجاوزين اي عن الجاني كائنا من كان والله يحب المحسنين
يحتمل الجنس فيدخل المذكورون تحته والعهد فتكون الاشارة اليهم فيكون تسجيلا عليهم بالاحسان
وبشارة لهم بكرامة محبة الله تعالى اياهم والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة في
القبح كالزنا او ظلموا انفسهم اذنبوا اي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم
النفس الصغيرة وقيل الفاحشة الكبيرة ما تتعدى وظلم النفس ما لا يتعدى ذكروا الله
تذكروا حقه الموجب للخشية والحياء منه او تذكروا عقابه او وعيده او نهيه فاستغفروا
لذنوبهم فتابوا عنها نادمين ومن يغفر الذنوب الا الله اعتراض بين المعطوفين
تصويبا للتائبين المستغفرين وتطييبا لقلوبهم وبشارة لهم بوصف ذاته تعالى بسعة
الرحمة والمغفرة وتحريضا لهم على التوبة وبعثا على الرجاء وردعا عن اليأس ومعنى الاستفهام
تقرير انه تعالى وحده مخصوص بموجبات المغفرة ومصححاتها من الفضل والكرم
والعفو والرحمة الذاتية ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على افعالهم السيئة غير
مستغفرين اي تداركوا بالاستغفار كلما عادوا الى الذنب عن النبي صلى الله عليه وسلم
ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون حال من فعل الاصرار
وحرف النهي المتوجه اليها معناه ليسوا مصرين على الذنوب وهم يعلمون كونها منهيا عنها لانه
قد يعذر من لا يعلم قبحها وكونها معاصي اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها خبر للذين اي ابتدأ به وجملة مستأنفة مبينة لما قبلها
ان عطفتها على المتقين او على الذين ينفقون ومن اذعن للحق وانصف وتجنب عن التعسف
والتعصب انصف علم على ان ليس في هذه الآيات سوى ان الجنة اعدت للمتقين او التائبين
او للمتقين خاصة والتائبون اجرهم مغفرة وجنة اما مع سكوته عن حكم المصر او دلالته
ظنية على انهم ليسوا كذلك ولا نزاع في ان الجنة ليست معدة لهم ولا جزاءهم ولكن من اين
البيان القاطع انهم لا يدخلون الجنة وانه لا يجوز في حقهم التفضل والاحسان على ان
الكلام وارد لسبب اكلة الربو اولا وترغيبهم في الاقلاع عنه ثانيا فالتقييد بعدم
الاصرار ليلائم الغرض فينتفي شرط مفهوم المخالفة وهو ان لا يظهر فائدة اخرى وتنكير
جنات على الاول ليدل على ان ما لهم ادون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة

في الاية المتقدمة وكفاك فرقا بين القبيلين وانه فصل ايتهم بان بين انهم محسنون
مستوجبون لمحبة الله تعالى وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصص
لمكارمه وفصل اية هؤلاء بقوله ونعم اجر العاملين لان المتدارك لتقصيره كالعامل
لتحصيل بعض ما فوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل
لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين
ذلك يعني المغفرة والجنات الى نعمة احد وما نابهم قد خلت من قبلكم
سنن في الامم المكذبين من الوقايع كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من
قبل ويجوز ان يكون اعتراضا للتحريض على الايمان والتصديق لما يصحهم به اي مضت
على هذا المنهاج سنن من الانبيا السابقين فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة
المكذبين عاقبة تكذيبهم حتى تعتبروا لما ترون من اثار عذابهم تنزجروا عن التكذيب
وتصدقوا والفا لتضمن الكلام معنى الشرط اي ان شككتم فسيروا هذا بيان للناس
اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا كيف كان عاقبة اي ايضاح لسوء عاقبة
ما هم عليه من التكذيب وهدى وزيادة تثبت وموعظة للمتقين للذين
اتقوا من المؤمنين او الى ما لخص من امر المتقين والتايبين والمصرين ولا تهنوا ولا تحزنوا
تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عما اصابهم يوم احد وتقوية لقلوبهم اي
لا يورثنكم ذلك وهنا وجبنا عن الجهاد وحزنا على من قتل منكم وانتم الاعلون
وحالكم انكم اعلى منهم واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد
او وانتم الاعلون شانا لان قتالكم لله تعالى ولاعلاء كلمته وقتالهم للشيطان
واعلاء كلمة الكفر وقتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار او وانتم الاعلون في العاقبة
فيكون بشارة لهم بالعلو والغلبة في العاقبة ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي اي
ولا تهنوا ان صح ايمانكم فان صحة الايمان يوجب الثقة بالله تعالى وقوة القلب
وصحة العزيمة والتوكل عليه حذف جوابه لدلالة النهي عليه تقديره ان كنتم
مؤمنين فلا تهنوا او بالاعلون اي انتم الغالبون ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله به
ويبشركم به ان يمسسكم قرح فقد قرئ بالضم والفتح وهما لغتان كالضعف
والضعف وقيل هو بالضم الجراح وبالفتح المها وقيل الفتح المصدر وبالضم
الاسم فقد مس القوم قرح مثله اي ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم
بدر ثم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بذلك فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل
كلا المسين كان يوم احد فالمسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول صلى
الله عليه وسلم وقوله مثله لا ينافي المعنى الاول لقوله وانتم الاعلون لان الاصابة

تنتظم

تنتظم الاسر والمماثلة في مس الجرح وما يترتب عليه من القتل وتلك الايام اشارة
الى مبهم فسره بالايام ومعني الوقايع العظام نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديلها
لهؤلاء واخرى كقوله فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر اي فواقعة علينا وواقعة لنا و
لنسا والمداولة كالمعاودة يقال داولت الشيء بينهم فتداولوه والايام يحتمل الوصف والخبر والحال
وليعلم الله الذين امنوا عطف على علة محذوفة اي نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله
فالواو العاطفة للايذان بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المؤمن فيه من المصالح
ما لا يعلم وفيه تسلية لهم عما جرى عليهم وتبصير بان العبد ربما يسوءه شيء ويجري عليه
من المكاره ولا يدري انه خير له والفعل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان
من الذين على حرف وجعلنا ذلك القصد في امثاله ونقايضه ليس لاثبات علمه تعالى ونفيه
بطريق البرهان ويتخذ منكم شهدا ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهدا
احد او يتخذ منكم شهدا معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدايد والله
لا يحب الظالمين الذين يضمرون خلاف ما يظهرون اعتراض بين التعليلات
للتسجيل على من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان والمجاهدين في سبيل الله
المخلصين من الذنوب والتنبيه على ان ظلمهم اوجب ان يبغضهم الله تعالى والتعريض بانه
يحبهم لاجل تلك الصفات وليمحص الذين امنوا التمحيص التطهير والتصفية والتخليص
وصيغة التفعيل للمبالغة اي وليطهرهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين
ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشيء حالا بعد حال كمحق الهلال ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة بل احسبتم ومعناه الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم الواو للحال
بتقدير المبتدا ولما كلم في نفي الماضي الا ان فيه معنى التوقع في المستقبل فدل على نفي الجهاد
في الماضي مع توقعه في المستقبل الان معنى ولما يعلم الله ولما تجاهدوا لان وقوع الشيء يستلزم
علم الملزوم فنزل نفي منزلة نفي الجهاد لكونه معلوما لله تعالى ونفي اللازم يستلزم نفي الملزوم
نزل نفي العلم منزلة نفي الجهاد للتاكيد والمبالغة لان انتفاء الملزوم وفيه اشعار بان علمه
تعالى بالاشيا على ما هي له ضروري وقرئ ولما يعلم الله بفتح الميم على ارادة التاكيد بالنون
الخفيفة اي ولما يعلمن فحذفت ويعلم الصابرين نصب باضمار ان على ان الواو بمعنى
الجمع كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن اي لا تجمعوا بين الجهاد والصبر يريد وجوب
الجمع بينهما وقرئ بالجزم على العطف وقرئ يعلم بالرفع على ان الواو للحال كانه
قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت اي لقاء العدو فانه من
اسباب الموت او الموت بالشهادة الخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا بدرا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شهدا ليكون لهم يوما كيوم بدر ويتمنوا الشهادة فيه

لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج من قبل ان تلقوه تفد
رايتموه حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وانتم تنظرون معاينين له مشاهدين
اي لا غفلة واشتغال عنه بامر سواه ففيه تاكيد وهو توبيخ لهم على تمنيهم الحرب والحاحهم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج ثم قلة مصابرتهم عليه وعدم ثباتهم له وانهزامهم
عنه عند مشاهدته او على تمنيهم الشهادة ثم توليتم مدبرين ومن فهم ان في تمني الشهادة
تمني غلبة الكفار فقد وهم فانه يقصد الى نيل كرامة الشهادة ولا يخطر بباله غلبة الكفار
وما محمد الا رسول قصر الموصوف على الصفة يستلزم نفي سائر الصفات التي فوق
الرسالة عنه اي ليس بمخلد ولا اله حتى لا يمكن موته وقتله ومعنى قد خلت من قبله
الرسل انه لا ينافي الرسالة المضي لسبيله فيمضي كما مضت الرسل من قبل وما كان مضيهم
سببا لانقلاب اتباعهم عما كانوا عليه فينبغي لكم ان تتمسكوا بدينه وطريقته في الجهاد وغيره
كما تمسك اتباع الرسل بعدهم بما كانوا عليه فان المقصود من الرسالة التبليغ لا البقاء بين الامة
وقد بلغ ثم عنفهم ووبخهم على ما كان منهم بقوله افان مات اتى بكلمة ان وقد علم انه
يكون تنزيلا للسامع منزلة المتردد ولاستعظامه وذكر القتل بقوله او قتل انقلبتم على
اعقابكم لحوي الكلام تفريع الانكار على ما تقدم اي قد علمتم مضي الرسل وتمسك اممهم
بعدهم باديانهم فكيف صح انقلابكم على اعقابكم بمضيه بالموت او القتل لا انه قدم ما حقه
التاخير لاقتضاء ارادة الاستفهام والصدارة في الكلام لان انكار التفريع بمعزل عن
مذهب الاذهان فرده الى لابنا يناسب المقام كما لا يخفى على ذوي الافهام ومن ينقلب
على عقبيه قد سبق بيانه في سورة البقرة فلن يضر الله شيئا بارتداده بل
يضر نفسه وسيجزي الله الشاكرين نعمة الاسلام بالثبات عليه كما سبق واخواته
وما كان لنفس وما صح لها ان تموت الا باذن الله لملك الموت في قبض روحه لما كان
السابق الى الوهم والتبادر الى الفهم من اسناد الموت الى الميت في قوله افان مات هو ان
الموت الموافق بلا سبب ظاهر من المرض والقتل يقتضي طبيعة الموت دفعه ببيان ان الموت
مطلقا لا يكون الا بقبض الروح وهو باذن الله تعالى وليس فيه تحريض وتشجيع على القتال
بناء على ان الاجل المقدر لا يتاخر بالحذر كيف وهو خلاف المامور به في قوله تعالى ولا
تلقوا بايديكم الى التهلكة واما الوعد للرسول صلى الله عليه وسلم بالحفظ وتاخير
الاجل فلا يفهم منه اصلا كتابا مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا صفة
له اي موقتا له اجل معين ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها اي من ثوابها تعريض بالذين
شغلتهم الغنائم يوم احد ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي
الشاكرين الذين شكروا نعمة الاسلام لم يشغلهم شيء عن الجهاد وحذف المفعول

الثاني

الثاني في الموضعين لابهام الجزاء تعظيما اي جزاء لا يوصف كنهه وكاين اصله اي دخلت
الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين اثبت في الخط على غير قياس وقرئ كائن ككاع
ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة فصار كيان ثم حذف الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء
الاخرى الفا كما ابدلت ما طائي من نبي بيان له قتل معه ربيون كثير الربيون الربا

نبيون

وقرئ بالحركات الثلاث بالفتح على غير القياس والكسر والضم من تغييرات النسب وقرئ
قتل والفاعل ربيون او ضمير النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ربيون حال عنه اي قاتل كائنا
معه ربيون ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد فما وهنوا فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما
اصابهم في سبيل الله من الشدة وغلبة العدو وقتل النبي وما ضعفوا من الجهاد بعد القوة
اليقين والثبات في الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو قيل استكان افتعل من
سكن والالف للاشباع لان معناه خضع وتذلل والخاضع يسكن لصاحبه ليفعل ما يريد
وقيل استفعل من كان التامة ان يطلب من نفسه ان يكون ويثبت على ما يريد صاحبه والاول
اقوى من حيث المعنى ولكن لا يساعده وجوه الاشتقاق والتصريف والثاني اصح لفظا
واضعف من حيث المعنى وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم
من الوهن والضعف عن الجهاد والاستكانة للمشركين حتى هموا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله
بن ابي في طلب الامان من ابي سفيان والله يحب الصابرين فينصرهم ويعظم قدرهم وما
كان قولهم الا ان قالوا قراءة العامة قولهم بالنصب وانما جعلوه خبرا لان قالوا اعرف لدلالته
على جهة النسبة وزمان الحدث ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا
على جادة الجهاد وانصرنا على القوم الكافرين وهو مدح لهم مع حسن العمل استغفروا
من الذلل والخلل وما كان قولهم الا هذا القول اي الاستغفار عن الذنوب والاسراف
واضافتهما الى انفسهم وطلب تثبت الاقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدو معتقدين
عليهما بالاستغفار لهما متضمنا لانفسهم استقصارا مع كونهم ربانيين ليكون الدعاء مع الخضوع
وزكاء النفس فيقترن بالاجابة كما جاء بعده فآتاهم الله بسبب الاستغفار واللجاء اليه ثواب
الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وحسن ثواب الاخرة من الجنة وما
فيها من النعيم وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عنده تعالى والله يحب
المحسنين اي هم محسنون والله يحبهم ويحسن ثوابهم يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين
كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزلت في قول المنافقين عند الارجاف ارجعوا
الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا لابي سفيان واشياعه وتستأمنوهم
يردوكم الى دينهم وقيل عام في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه يجر الى موافقتهم
بل الله مولاكم ناصركم دون غيره فلا تميلوا الى ولاية غيره ونصرته وقرئ بالنصب

في قلوب الذين كفروا الرعب

على تقدير اطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين والرعب الخوف الذي يملأ
القلب فان تاكم للحال البعض لشدة بعصيانكم سيلقى في قلبهم الرعب فتكون العاقبة لكم بايمانكم
وقد حق بايمانكم هذا الوعد فالقى في قلوب ابي سفيان واصحابه الرعب فلم يجيبوا في بدر
الصغرى بعد ان وعدوا ذلك وقيل يريد ما قذف في قلوبهم الخوف يوم احد حتى تركوا
القتال وانهزموا الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة ولا يساعده عبارة سنلقي
بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم به ما لم ينزل به باشراكهم سلطانا حجة
بتره على معنى على معنى نفي الحجة والانزال جميعا كقوله ولا يرى الضب بها ينجحر وذكر
الانزال لان الشان الحجة الالهية ان تنزل من السما ففيه تهكم بالهتهم واصل السلطنة
القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان ومأواهم النار اي
مرجعهم جهنم في الاخرة وبئس مثوى الظالمين اي مثويهم فوضع الظاهر موضع الضمير
للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم الله وعده اي وعدهم اياهم بالنصر بشرط الصبر والتقوى
كما مر في قوله ان تصبروا وتتقوا وكان ذلك حين خالف الرماة اذ تحسونهم
تقتلونهم من احسه باذنه بتيسيره حتى اذا فشلتم الخطاب للكل والمراد بعضهم على
طريقة العرب في نسبة ما يقع من البعض الى الجميع على سبيل التجوز الفشل الجبن والضعف
وحتى حرف جر بمعنى الى داخل على الاسم هو اذا وقد عرفت ان معنى صدق الوعد النصر
والا لنقاها فلا يرد انه لا يصلح غاية لان وعده تعالى لا ينقلب كذا وانما قدم ذكرا وهو
مؤخر وجودا عن التنازع عن العصيان للدلالة على ان الموعود لم ينسه تنازعهم وعصيانهم
ما لم يجبنوا فالغاية في الحقيقة جبنهم وهذا ارجح الوجه المذكور على ما قيل ان اذا لم تجرد
عن معنى الشرط وجوابه محذوف ودل عليه ثم صرفكم اي منعكم نصره وتنازعتم في الامر
يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون في اول الوهلة فقال بعضهم فما موقفنا
ههنا الغنيمة وقال اخرون لا نخالف امر الرسول فثبت مكانه اميرهم في نفر دون
العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعني بقوله وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون
من الغنيمة وفيه تنبيه على باعث عصيانهم وتشنيع لهم حيث اثروا الغنيمة على الجهاد
ومن زاد على ما ذكر الظفر وانهزام العدو فقد فوت النكتة منكم من يريد الدنيا
وهم التاركون المركز على الغنيمة ومنكم من يريد الاخرة وهم الثابتون محافظة على
امر الرسول صلى الله عليه وسلم ثم صرفكم عنهم ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال
ليبتليكم على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا
لما فرط من عصيانكم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما علم من ندمكم عليه والله
ذو فضل على المؤمنين في جميع الاحوال تارة تتفضل عليهم بالنصر والادالة

على

على عدوهم لتقوية امر الدين وتارة بتفضل الابتلا وادالة العدو عليهم لظهور الصفات
الكمالية الكامنة فيهم ونيل درجات الشهادة وتارة بتفضل العفو وتمحيصهم من الذنوب
وكلها رحمة منه عليهم وفضل بحسب اقتضاء احوالهم ذلك اذ تصعدون متعلق
بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الابعاد في الضرب بالارض وقال صاحب
الديوان في الارض والتصعيد في الجبل والصعود في السلم وقرئ تصعدون تفسح
الناس من الصعود وقرئ اذ تصعدون في الوادي ويحتمل انهم ذهبوا في الوادي ثم صعد
بعضهم الى الجبل ملتجأ به ولا تلوون على احد ولا تلتفتون على احد من الاحاد من قولك
لوى جيده اليه اذا التفت اليه وهو اجار عن غاية خوفهم من العدو والرسول
يدعوكم وكان يقول الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة في اخراكم في
ساقتكم وجماعتكم الاخرى فاثابكم غما بغم عطف على صرفكم اي فجازاكم الله على
فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وغلبة المشركين والارجاف
بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جازاكم غما بسبب غم اذقتموه رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعصيانكم والثواب الجزا كيف ما كان والاثابة اعطاؤه وقال صلى الله عليه وسلم
الواهب احق بعطائه ما لم يثب منها الا ان الثواب اذا اطلق يراد به الجزا في الخير وههنا
هذا يكون فاثابكم كقوله فبشرهم بعذاب اليم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم
لتتمرنوا على تجرع الغموم وتعتادوا الصبر واحتمال الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على ما فاتكم
من الفوائد ولا ما اصابكم من المكائد وقيل الضمير في فاثابكم للرسول اي فاساكم في الاغتمام
فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم كيلا تحزنوا
على ما فاتكم من النصر ولا ما اصابكم من الهزيمة والله خبير بما تعملون عليم باعمالكم
وبما قصدتم بها وهذا ترغيب في الطاعة وترهيب عن المعصية ثم انزل عليكم من بعد
الغم امنة نصب على المفعول نعاسا بدل منها او هو المفعول امنة حال منه
او مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع امن كبار وبررة
وكفرة وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن اي انزل الله عليكم الامن وازال
الغم والخوف حتى نعستم يغشى طائفة منكم اي النعاس عن ابي طلحة غشينا
النعاس ونحن في مصافنا فكان سيف احدنا يسقط من يده فياخذه ثم يسقط
وقرئ تغشى بالتاء ردا على الامنة والطائفة المؤمنون حقا وطائفة منهم وهم
المنافقون قد اهمتهم انفسهم اوقعتهم انفسهم في الهم والحزن اليقين او ما
يهمهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها لا هم الدين ولا هم الرسول صلى الله عليه وسلم والو
مستفاد من المقام يظنون بالله صفة اخرى لطائفة او حال من انفسهم او استئناف

على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر اي يظنون بالله غير الحق الذي
يجوز ان يظن به ظن الجاهلية بدل وهو الظن المختص بالملة الجاهلية واهلها
وفي الابدال مبالغة في كشف خطاء الظن واشعار بان ظن الجاهلية علم في البطلان
يقولون اي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بدل من يظنون هل لنا من الامر
من شيء اي هل لنا مما امر الله تعالى ووعد من النصر والظفر نصيب قط قل ان الامر
كله لله اعتراض عن الغلبة الحقيقية لاوليائه قال الله تعالى فان حزب الله هم الغالبون
فلا معنى لنفي الامر يعني النصر والظفر عنهم وقرئ كله بالرفع على الابتداء يخفون
في انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون او هو بدل من يخفون او استئناف
على وجه البيان له وهو اجود اي يظهرون هل لنا من الامر شيء سؤال المؤمنين المسترشدين
و يقولون في انفسهم او بعضهم لبعض منكرين لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا
هاهنا منكرين لقولك ان الامر كله لله تعالى اي لو كان الامر كما قال محمد ان الامر كله لله ولاوليائه
وانهم هم الغالبون ما غلبنا قط وما قتل من قتل من المسلمين في هذه المعركة قل لو كنتم في
بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اي لخرج الذين قدر الله عليهم القتل
وكتب في اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم ينفع به الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد منهم
لا لان العلم الازلي يحملهم اليه ويلجئهم ذلك لان العلم تابع للمعلوم فلا تاثير له فيه
بل لان الله تعالى قدر الامور ودبرها في سابق قضائه لا معقب لحكمه وليبتلي الله ما في صدوركم
وليمحص ما في قلوبكم وليمتحن ما في صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو علة
محذوف اي وفعل ذلك ليبتلي او عطف على محذوف اي لبرز لمصالح جمة وللابتلاء وليمحص
ما في قلوبكم من وساوس الشيطان والله عليم بذات الصدور من الظنون والعزائم
وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه تعالى غني عن الامتحان وانما فعل ذلك ليميز المؤمنين
ويظهر حال المنافقين ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان
ببعض ما كسبوا يعني ان الذين انهزموا يوم احد كان السبب في توليهم ان الشيطان طلب منهم
الزلل فاطاعوه فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعهم الله تعالى التاييد بالنصر وتقوية القلوب
حتى تولوا وقيل استزلال الشيطان اياهم هو التولي وانما دعاهم اليه بذنوب قد تقدمت
لهم لان الذنب يجر الى الذنب كما ان الطاعة تجر الى الطاعة وقيل بعض ما كسبوا هو تركهم
المركز الذي امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبات فيه فجرهم ذلك الى الهزيمة وقيل
ذكرهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله تعالى معها فاخروا الجهاد حتى يصلحوا امرهم ويجاهدوا
على حال مرضية ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب
حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني

المنافقون

يعني المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم والمراد بالاخوة الصداقة والاتفاق في
النسب اذا ضربوا في الارض اي سافروا فيها وابعدوا للتجارة وسائر المهام وكان حقه
قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية او كانوا غزى للغزاة جمع غاز كعفى
جمع عاف لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم
قد قالوا بعد ان غابوا عنهم ليجعل الله ذلك معتقدين ليكون حسرة في قلوبهم على ان اللام
للعاقبة ويجوز ان يتعلق بالنهي اي لا يكون مثل الكافر في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعل
الله حسرة في قلوبهم خاصة ويصون قلوبكم منها ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى ما دل
عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم لان مخالفتكم
اياهم في قولهم واعتقادهم مما يغيظهم ويغمهم والله يحيي ويميت رد لقولهم وتخطئة
لعقيدتهم اي الامر بيده قد يحيي المسافر والغازي ويميت القائم والقاعد
وبالعكس كما يشاء والله بما تعملون بصير تهديد لهم على ان يماثلوهم وعلى القراءة
بالياء وعيد للكفار وصدر الجملتين بالاسم للتاكيد والتحقيق ولئن قتلتم في سبيل الله او متم
في سبيل الله متعلق بالمعطوفين كمن قبل في قوله تعالى لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها
خيرا فلا حاجة الى تقديره بعد قوله او متم وقرئ بكسر الميم من مات يموت وتقديم
القتل لانه الغالب في الجهاد بخلاف غيره ولهذا اخر فيما ياتي لان المقتول احق بالمغفرة
واخذ بالميت في الحشر اكثر فتدبر لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون جواب
القسم وساد مسد جواب الشرط وتنكير مغفرة للتعظيم وكذا تنكير رحمة كذب الكافرين
اولا في زعمهم وخطاهم واعتقادهم ونهي المسلمين عن ذلك لكونه باعثا للتقاعد عن
عن الجهاد ثم قال ولئن وقع ما تحذرونه فان ما تنالونه من المغفرة والثواب العظيم
خير مما تجمعون من منافع الدنيا لو لم تموتوا ولئن متم او قتلتم على اي وجه
اتفق هلاككم لالى الله تحشرون لا الى معبودكم الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجكم
لاجله لا الى غيره لا محالة تحشرون فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم ولوقوع اسم الله تعالى
هذا الموقع مع تقديمه شان لا يخفى ولذلك عدل عن الضمير اليه فبما رحمة من الله
لنت لهم ما مزيدة للتاكيد وتقديم الظرف على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله
تعالى وتنكير رحمة للتعظيم اي بحظ وافر من رحمة الله تعالى وتنكير رحمة للتعظيم
لنت لهم وتلطفت وما عنفتهم على مخالفتهم امرك وتركهم اياك بين الكفار بل واسيتهم
بالغم واغتممت لاجلهم والفاء لاجل الترتيب على ما دل عليه سياق الكلام من انهم كانوا
مستحقين للعتاب البليغ وان المرجو منه صلى الله عليه وسلم على ما هو ظاهر مقتضى
الطبع البشري ان يعنف عليهم ويغلظ في مخاطبتهم ولو كنت فظا الفظ الجافي

الحسن الخلق غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك ولم
يسكنوا اليك ولما بين فائدة حسن الخلق ورافة القلب رتب عليه الامر بقوله فاعف
عنهم فيما يختص بحقك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله اتماما للرافة بهم
وشاورهم في الامر في امر الحرب وغيره مما لم ينزل عليك فيه وحي لما في مشاورتهم من
الرفع في اقدارهم وتطييب قلوبهم والاستظهار برايهم وعن الحسن قد علم الله تعالى انه
ما به اليهم حاجة ولكنه اراد ان يستن به من بعده فاذا عزمت فاذا قطعت الراي
على شيء بعد الشورى والفاء للتعقيبية للدلالة على ان حق المشاورة ان تنتهي الى العزم
على احد الامرين ولا ينبغي التردد بينهما فتوكل على الله في امضاء امرك على
ما هو الارشد الاصلح فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم اي فاذا عزمت
لك على شيء وعينته لك فتوكل على الله ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين
اي يرضى عملهم ويهديهم الى الاصلح وينصرهم ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا
غالب لكم فلا يغلبنكم احد وان يخذلكم اي ان ترك نصرتكم كما تركها يوم احد
فمن ذا الذي ينصركم من بعده اي من بعد خذلانه او من بعد الله بمعنى اذا جاوزته تعالى
من قولهم ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان وهو تنبيه على المقتضي للتوكل عليه
تعالى وتحريض على ما يستحق به النصر وتحذير عما يستجلب خذلانه وعلى الله فليتوكل
المؤمنون اي فليعلموا ان لا ناصر لهم فليخصوه بالتوكل عليه والتفويض اليه وفي تعيين
المؤمنين اشارة الى وجه يؤيد التخصيص المذكور وهو ان الايمان الحقيقي يقتضي رؤية
نناد القوى والقدر كلها في قوته تعالى وقدرته فلا ناصر سواه وما كان وما صح
لنبي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فكيف لمن هو افضل الرسل ان يغل الغلول
اخذ المال من الغنيمة في خفاء تفقدت قطيفة حمراء من الغنائم يوم بدر فقال بعض من
كان مع النبي صلى الله عليه وسلم لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها فنزلت
وقائل ذلك مؤمن لم يظن في ذلك حرجا براه الله تعالى من ذلك ونزهه ونبه على
عصمته صلى الله عليه وسلم بان النبوة والغلول متنافيان لئلا يظن ظان فيه
شيئا منه ولا يسترتب احد وقرئ ان يغل على البناء للمفعول والمعنى وما صح
له ان يوجد غالا او ان ينسب الى الغلول ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة
ياتي بالذي غله بعينه يفتضح به على رؤوس الاشهاد وهذا ما يقتضيه سياق الكلام
واما حمله على عنقه كما ورد في بعض الاحاديث فغير منظور اليه في هذا المقام ثم انه
مخصوص بما له ثقل على ما يفهم من قوله صلى الله عليه وسلم لابي هريرة رضي الله عنه
لا اعنان من امرك شيئا من الغنايم اذا اخرج يوم القيامة وهو متعلق بثيابك ولوكا

ابرة بلا اتجاه بما نقل عن بعض الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت عليه الاية فقال
اذن احملها طيبة الريح خفيفة المحمل ثم توفى كل نفس ما كسبت وافيا كان الظاهر ان
يقال ثم يوفى ما كسب ليتقابل بقوله يات بما غل لفظا وانما عدل عنه وعمم ليدخل تحته
دخولا اوليا فيكون ابلغ واثبت بالبرهان لان ما علم الغال ان كل نفس يوفى جزا
جزا مكسوبه خيرا كان او شرا علم انه غير متخلص من بينهم مع ما بينهم ما كسب
فاتصل به معنى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزداد في عقاب
عاصيهم ولما عمم كل كاسب خيرا وشرا وكلا المتتابعين من النبي والغال فقال افمن
منكرا بهمزة الاستفهام مبالغا بايرادها على الفاء العاطفة ما بعدها على مقدر دل
عليه ما قبلها مؤكدا بهما المنافاة بين النبي صلى الله عليه وسلم اتبع رضوان الله
بالطاعة يعني النبي صلى الله عليه وسلم ومن تابعه كمن باء رجع بسخط
عظيم من الله تعالى بالعصيان كالغال ومن دان بدينه ومأواه
جهنم وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع ان المرجع هو انقلاب
الشيء الى حالة كان عليها والمصير انقلابه الى خلاف الحال التي كان عليها هم درجات
تشبيه بليغ اي هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات وقيل على حذف المضاف اي هم
ذوو درجات وانما قال عند الله تعظيما للتفاوت والله بصير بما يعملون عالم
باعمالهم فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين خصهم بالذكر لانهم هم
المنتفعون ببعثته صلى الله عليه وسلم والمنة ههنا الانعام وتركيب من على انه
خبر مبتدا محذوف تقديره منه سنة او بعثه ويجوز ان يكون اذ في قوله اذ بعث
في محل الرفع بانه مبتدا اي وقت بعثه لمن من الله وانما قال فيهم لانهم كانوا عارفين
مولده ومنشاه وصدقه وامانته وطهارة اخلاقه فاندفع بذلك كثير من الخواطر
رسولا التنكير للتعظيم من انفسهم من جنسهم عربيا مثلهم ليسهل عليهم اخذ ما يجب
اخذه عنه لاتفاقهم في اللسان وقيل من نسبهم يعني من ولد اسماعيل عليه الصلاة والسلام
كما انهم من ولده وكلما كانت الجنسية اكثر كان المن اوفر لما بينهم اباه وسهولة تبوطهم
منه وعلى هذا يكون المراد من قومه صلى الله عليه وسلم وتخصيصهم بالمن لزيادة
انتفاعهم ببعثته عليه الصلاة والسلام وعلى كلا الوجهين لا اختصاص لمن امن معه
صلى الله عليه وسلم وقرئ من انفسهم من اشرفهم لانه كان من اشرف شعوب العرب
والخاذهم يتلو عليهم اياته من الوحي المتلو بعدما كانوا اهل جاهلية لم يطرق
اسماعهم شيء من الوحي ويزكيهم يطهرهم من دنس الكفر والخبائث وعوائد الطبيعة
والرذائل ويعلمهم الكتاب والحكمة اي القرآن والسنة الشاملة لاقسام الحكمة

وان في قوله وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين وهي المخففة من الثقيلة ومن قبل مبني على الغاية واللام هي الفارقة اي وان الشان كانوا من قبل بعثته في ضلال ظاهر لا شبهة فيه اولما اصابتكم مصيبة ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم قد اصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين والهمزة لتقرير العقول والتقريع ولما نصب بقلتم في قوله قلتم انى هذا واصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه تقريره وقلتم حين اصابتكم وانى هذا نصب على انه مفعول قلتم والواو عاطفة للجملة على قصة احد من قوله ولقد صدقكم الله وعده او على محذوف اي افعلتم وقلتم ان هذا اي من اين هذا قل هو من عند انفسكم اي استوجبتم لما اصابكم بسبب ناشئ من عند انفسكم فانزل الله بكم ذلك فلا ينافي كونه من عند الله اي السبب العادي انتم لتخليتكم المركز وميلكم الى الغنيمة فان وعد النصر كان مشروطا بالثبات والمطاوعة وانما اختيار الخروج من المدينة فبعيد لان الله تعالى وعدهم النصر بعد ذلك بشرط الثبات واختيار الفدا يوم بدر بعد منه ان الله على كل شيء قدير فهو قادر على النصر وعلى منعه وعلى ان يصيب بكم تارة ومنكم اخرى ولا تاثير للاسباب العادية وفيه دفع وهم العجز عن نصرهم عند عدم شرط الثبات وما اصابكم يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يوم احد فباذن الله فهو كائن بتخلية الكفار سماها اذنا لانه من لوازمه وليعلم المومنين عطف على باذن الله والباء واللام هنا للسبب وليعلم الذين نافقوا اي وليتميز المومنين والمنافقين فيظهر ايمان هولاء وقيل لهم عطف على نافقوا داخل في الصلة تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قسم الامر عليهم بين ان يقاتلوا المومنين وبين ان يقاتلوا دفعا عن انفسهم واهلهم واموالهم ان يكن لهم همم في الله والاخرة قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم ابوا القتال وجحدوا عن القدرة عليه راسا لنفاق على ما روي ان عبد الله ابن ابي انخذل مع حلفائه فقيل له تعال لذلك ويجوز ان يكون المعنى لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء النفس في التهلكة يريد الخطيئة رايهم لان رايه كان في الاقامة بالمدينه او ادفعوا العدو بتكثير سواد المجاهدين وان لم يقاتلوا لان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر قلبه بقي ههنا شيء وهو ان مقتضي ترتيب الكلام على الوجه الاول ان يعطف قالوا لو نعلم قتالا على نافقوا بالفاء وانما اخرج مخرج الاستيناف على انه جواب سوال اقتضى دعا المومنين اياهم الى القتال فاخره عن الدعا كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا لو نعلم لينبه على ظهور امارة النفاق منهم تثبطهم وتعللهم لهذا الدعا الذي كان يجب عليهم اجابته ويجوز ان يختص الصلة على نافقوا ويكون وقيل لهم كلاما مبتدا عطفا على جملة وما اصابكم فباذن الله

هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانخذالهم وقولهم هذا فانهما امارات ظهرت منهم موذية بكفرهم والظروف كلها متعلقة باقرب لما فيها من الاتساع لكن تعلق الكفر باعتبار الزيادة وتعلق الايمان من حيث المفعولية كانه قيل قربهم من الكفر يزيد على قربهم من الايمان وصلة القرب يكون من والى تقول العرب تقرب منه واليه ولا تقول له فاللام بمعنى الى وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انخذالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمومنين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم اي يظهرون خلاف ما يضمرون لا يواطئوا قلوبهم السنتهم بالايمان والعرب تستعمل القول في غير الكلام فتقول قال بيده اي اهوى بها وقال براسه اي اشار فقوله بافواههم لتخصيص القول بالكلام وايثار الافواه على الالسنة لانها اوسع دائرة فان من الحروف ما لا دخل في تلفظه للسان والله اعلم بما يكتمون من النفاق وتجهيل المومنين وتخطية رايهم وذمهم فيما بينهم والشماتة بهم وغير ذلك وانما قال اعلم لانهم يعلمون بعض ذلك على مجملا بامارات والله تعالى يعلم كله علم احاطة بتفاصيله وكيفياته الذين قالوا بدل من الذين نافقوا او جر بدل من الضمير في افواههم او قلوبهم لاخوانهم اي لاجلهم يريد من قتل يوم احد من اقاربهم او من جنسهم وقعدوا حال اي قالوا وقد قعدوا عن القتال لو اطاعونا في القعود ما قتلوا كما لم نقتل قل فادرءوا عن انفسكم الموت جواب شرط مقدر يدل عليه ان كنتم صادقين اي ان كنتم تقدرون دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت فانه احرى بكم يعني ان القعود غير مغن فان اسبابه شتى والقتال قد يكون سببا للنجاة والقعود سببا للهلاك ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا امواتا نزلت في شهداء بدر او الابلغ ان يجعل الخطاب لكل احد لانه امر خطير يجب ان يبشر به كل احد لتتوفر دواعيهم الى الجهاد وتنفتح بحسن الجزاء وقرئ بالياء اي حاسب وقرئ بالتشديد لكثرة المقتولين بل احياء اي بل هم احياء وقرئ بالنصب على بل احسبهم احياء عند ربهم عندهنا بمعنى قرب شرفا ورتبة يرزقون في الجنة وهو تاكيد لكونهم احياء فرحين حال من يرزقون بما اتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية والقرب من الله تعالى والتمتع بنعيم الجنة معجلا ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اي باخوانهم المومنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم اي الذين من خلفهم زمانا او رتبة الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم وهو انهم سيلحقون بهم في امن وفرح وارغد عيش وفيه تحريض لمن بعدهم على الطاعة والجهاد والرغبة في نيل درجة الشهادة وبشارة المومنين بالفوز وحسن الماب واحماد

لمن يرى بنفسه بخير فيتمنى مثله لاخوانه ويستبشرون لهم والاية تدل على ان روح الانسان
جسم لطيف لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتالمه والتذاذه ويؤيد ذلك
قوله تعالى النار يعرضون عليها وما روى ابن عباس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم
قال ارواح الشهداء في اجواف طيور خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى
قناديل معلقة في ظل العرش يستبشرون كرره للتاكيد وليعلق به ما هو بيان لقوله
ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين هم في ذكر النعمة والفضل وهو نفي الحزن
وعدم ضياع اجرهم بنفي الخوف لان الاول على الواقع والثاني على المتوقع ويجوز ان يكون
الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم وفي تقديم الاستبشار بحال اخوانهم ارشاد الى وجوب
الصدق في الاخوة الدينية وهو ان يكون صلاح اخيه اهم عنده من صلاح نفسه بنعمة
من الله ثوابا لاعمالهم وفضل زيادة كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرها
للتعظيم وان الله لا يضيع اجر المؤمنين قرئ ان الله بالفتح عطفا على فضل فيكون من
جملة المبشر به وقرئ بالكسر على ان الجملة ابتدائية على سبيل الاعتراض للاشعار بان ذلك
اجرهم على ايمانهم وان من لا ايمان له اعماله محبطة لا اجر لها ويعضده قراءة والله لا يضيع
اجر المؤمنين الذين استجابوا لله والرسول اجابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر الله تمهيد لبيان ان دعوته دعوة الله تعالى فكان اجابته اجابة الله من بعد ما اصابهم
القرح اي الجرح في غزوة احد وبهم احد ابه ذلك ويجوز ان يكون الذين مخصوصا
نعتا للمؤمنين وان يكون منصوبا على المدح وان يكون مرفوعا بالابتداء وخبره للذين
احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيانية والمقصود من ذكر الوصفين المدح
والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون قيل لما كان اليوم الثاني من
غزوة احد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله من انتدب لطلب العدو حتى
يعلموا انا نستاصل وان فينا بقية وقال لا يخرج معنا الا من شاهدنا بالامس فانتدبوا
وبهم جراح حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة واقام بها ثلاثة ايام
ثم انصرفوا وقد فاتهم العدو فنزلت الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين
استقبلهم ابن عبد قيس او نعيم ابن مسعود الاشجعي واطلق عليه الناس لانه من جنسه
كما يقال فلان يركب الخيل وما له الا فرس واحد ولانه انضم اليه ناس من اهل
المدينة واذاعوا كلامه ان الناس يعني ان ابا سفيان واصحابه فالمعرفة وان
اعيدت معرفة فليس الثاني عين الاول ولا اللام العهدية اشارة الى ما ذكر صريحا بل
الى ما يعرفه المخاطبون قد جمعوا لكم فاخشوهم روي ان ابا سفيان نادى عند
انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم ان شاء

الله

الله فلما كان القابل خرج في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فانزل الله الرعب في قلبه وبدا له ان
يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب
ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيما وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الابل
فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت احد منكم
الا شريدا افترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون
حسبنا الله ونعم الوكيل فزادهم ايمانا الضمير المستكن للقول اي فزادهم ذلك
الكلام او للمصدر اي فزادهم قولهم والبارز للمقتدين مع الرسول صلى الله عليه وسلم
لا المقول لما عرفت ان اكثرهم كرهوا الخروج معه عليه الصلاة والسلام والمعنى انهم لم
يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت يقينهم بالله وازدادوا ايمانا واظهروا حمية الاسلام واخلصوا
النية عنده وهو دليل على ان الايمان يعني يزيد وينقص ومن انكره قال لان ذلك بحسب
المتعلق اعني ما يؤمن به واما الايمان الشرعي فدائرة الخلاف فيه واسعة من المخالفين من قال
به بدخول الطاعات فيه ومنهم انكره وقالوا حسبنا الله محسبنا الله وكافينا من احسبه
اذا كفاه والدليل على انه بمعنى المحسب قولهم هذا رجل حسبك على انه صفة للنكرة لكون الاضافة
عندي حقيقية وهي اضافة اسم الفاعل لمعموله ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه
فانقلبوا فرجعوا من بدر الصغرى سالمين غانمين وهو ما ذكره بقوله بنعمة من الله
بنعمة عظيمة وهي السلامة وهروب العدو منهم وفضل وهو الربح في التجارة فانهم
لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا لم يمسسهم سوء لم يصبهم من الضر بدنيا كان
او ماليا والتنكير للتحقير واتبعوا رضوان الله الذي هو مناط الفوز بخير الدارين بجرأتهم
وخروجهم والله ذو فضل عظيم بتوفيقهم لما فعلوا والتفضل عليهم بسعادة الدنيا
والاخرة من الربح والرضوان وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رأيه حيث حرم نفسه
ما فازوا انما ذلكم الشيطان ذلكم مبتدأ خبره الشيطان اي انما ذلكم المثبط هو
الشيطان وما بعده بيان لشيطنته او صفته وما بعده خبر ويجوز ان تكون الاشارة
الى قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان يعني ابليس يخوف اولياءه القاعدين
عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم او يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان
واصحابه فلا تخافوهم الضمير للناس الثاني على الاول وللاولياء على الثاني وخافون
من مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي ان كنتم مؤمنين فان الايمان يرجح خوف الله
تعالى على كل خوف ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا
ويرغبون فيه اشد رغبة وهم المنافقون وقوم من اليهود والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك

او يجبنوا عليك لقوله انهم لن يضروا الله شيئا اي لن يضروا اولياء الله بتلك المسارعة
وانما يضرون بها انفسهم وانما اضافوا الضرر الى نفسه تعظيما لاوليائه وشيئا يحتمل المفعول
والمصدر وتنكيره للتحقير يريد الله ان لا يجعل لهم حظا نصيبا في الثواب في الآخرة
وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر الارادة اشعارا بان كفرهم بلغ
الغاية حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته وبان مسارعتهم الى الكفر
لانه تعالى لم يرد لهم ان يكون لهم حظ في الآخرة ولهم عذاب عظيم مكان الثواب ان
الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم تعميم للكفرة بعد
تخصيص المنافقين وقوم من اليهود ذبذبنا ولهم ويكون كالبرهان على ان وبال كفرهم
ضرورة لا يعود الا اليهم وان لهم عذابا مولما مع عظيمه ولا تحسبن الذين كفروا الذين
كفروا نصب على المفعولية على قراءة لا تحسبن بالتاء والخطاب لكل من يحسب نبهت فيما
سبق على ان هذا ابلغ من تخصيص الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وقوله انما نملي لهم
خير لانفسهم بدل منه على الاشتمال وما مصدرية وحقها ان تكتب منفصلة ولكنها
وقعت في خط الامام متصلة فاتبع سنة وانما اقتصر على احد المفعولين مع امتناع ذلك
في افعال القلوب لان الاعتماد على المبدل منه في حكم المنحي ليس المقصود فالمبدل وهو ان
مع اسمه وخبره ينوب عن المفعولين ويجوز ان يقدر مضاف اي ولا تحسبن حال الذين
كفروا الى اخره على قراءته بالياء فالذين كفروا رفع على الفاعلية والاملاء الامهال واطالة
العمر وقيل تخليتهم وشانهم من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف يشاء انما نملي
لهم ليزدادوا اثما جملة استينافية لتعليل الحكم السابق وما كافية واللام للتعليل
فان القائلين بان الخير والشر بارادة الله تعالى يجوزون التعليل بمثل هذا اما لانه
غرض والغرض لا يلزم ان يكون مطلوبا بل يكفي جعله غاية للفعل واما لانه مراد مع الفعل
تشبيها بالعلة وهم الذين لا يجعلون فعل الله معللا بالغرض وقرئ انما بالفتح وبكسر الاولى ولا
يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد
الاثم بل للتوبة والدخول في الايمان وانما نملي لهم خير اعتراض معناه املاءنا لهم خير ان
انتهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم ولهم عذاب مهين يجوز ان يكون حالا من الواو اي
ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله اراد استمرار النفي لا نفي الاستمرار يعني
كان مقدما في الاعتبار واللام في ليذر المؤمنين لتاكيد النفي على ما انتم عليه اختلاط
المؤمنين المخلصين بالمنافقين حتى يميز بينهم والخطاب للمؤمنين المخلصين لانهم الممنون عليهم
والموصوفون بالطيب ولقوله ليطلعكم حتى يميز الخبيث من الطيب تسجيل على
المنافقين بالخبث وعلى المؤمنين بالطيب اي حتى يعزل المنافق عن المخلص لئلا ينفذي

خبثه

خبثه اليه والالتفات الى الخطاب تقريب للمؤمنين وتخصيص والمعنى لا يترككم
مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي الى نبيه باحوالكم
او بالتكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها ويذعن لها الا الخلص المخلصين منكم كبذل الاموال
والانفس في سبيل الله ليختبر بواطنكم ويستدل به على عقايدكم وما كان الله ليطلعكم
على الغيب من مضمرات القلوب وغيرها فان ذلك مما استاثر الله تعالى به ولكن الله
يجتبي من رسله من يشاء فيعلم بعض المغيبات بالوحي وبطريق اخر وليس هذا من قبيل
الاطلاع ولذلك قطع الاستثنا فآمنوا بالله بان تعرفوه حق معرفته وتعلموه
وحده مطلعا على الغيب ورسله بان تعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله
تعالى ولا يخبرون الا بما اخبرهم الله به من الغيوب بالوحي وليسوا من علم الغيب في شيء
قيل قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا بمن يؤمن منا ومن يكفر فقال المنافقون
انه يزعم من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا حق الايمان
وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا تحسبن الذين يبخلون بما
آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم القراءة فيه ما سبق ومن قرأ بالتاء قدر مضافا
ليطابق مفعولاه اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأ بالياء فجعل فاعل
ضميرا للرسول او حاسب ومن جعل فاعله الذين يبخلون جعل مفعوله الاول ما دل عليه يبخلون
اي بخلهم وسوغ حذفه لذلك وهو فصل وقرئ الخبر هو بل هو اي البخل شر لهم
لاستجلاب العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة تفسير لقوله هو شر
لهم والتطويق يستعار للالزام تنبيها بما لا ينفك عن الداخل بالطوق اي يستلزمون وبال
ما بخلوا به الزام الطوق وقيل يجعل ما بخلوا به من الزكاة حية يطوقها في عنقه يوم القيامة
تنهشه من فرقه الى قدمه وتنقر راسه وتقول انا مالك ولله ميراث السموات والارض
يتوارثه اهلها من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بما له من ملكه ولا ينفقونه في سبيله
والله بما تعملون من المنع والاعطاء خبير فيجازيكم وقرئ تعملون بالتاء على الالتفات
وهو ابلغ في الوعيد لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قال اليهود
لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وعيد بليغ وقد اكده بالقسم في ولقد اي لم
يخف عليه وانه اوعد لهم العقاب عليه وكذلك سنكتب ما قالوا كما يقول المهدد
لم يكتب اذا وقف منه على جريمة حديثة لقد سمعتها وساكتبها مع جرمها يريد ما نسيت جزا
جمعها والحق احدهما بالاخرى محفوظة مكتوبة عندي حتى اذا اخذك بالكلاء للكلام على طريقة
الاستعارة التمثيلية ومفرداته على حقايقها والسين لتاكيد الاثبات كما ان لن لتاكيد
النفي فيها ليكون الوعيد على طريق التاكيد كما في الاخبار لوجود السماع لان الجريمة

عظيمة اذ هو كفر بالله واستهزاء بالقران وقتلهم الانبيا تذكرتهم لما يستحقون به اشد
العقاب اظهارا لشدة الغضب وتوبيخ شديد اي هذه عظيمة مثلها اذ لهم سوابق في ذلك
ومن ارتكب قتل الانبيا بحق نقوله بغير حق بيان في الواقع زيادة ونقول
ذوقوا عذاب الحريق تتمة للتوعيد مع تهكم بالغ اي ننتقم منهم بهذا القول وذوقوا كلمة يقولها
المنتقم للمنتقم منه اي ذوقوا كما اذقتم المسلمين الغصص ذلك اشارة الى ما مر من عذاب الحريق
تهويلا وتفظيعا والذوق ادراك الطعم وعلى الاتساع يستعمل لادراك سائر المحسوسات
والحالات والتهكم به لان سبب العذاب توليهم الناشي عن البخل والتهالك على المال وغالب
الحاجة اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من الفقر ولذلك كثر ذكر الاكل
مع المال ذلك اشارة الى العذاب بما قدمت ايديكم من قتلكم الانبيا وقولكم
هذا وسائر معاصيهم ولما كان اكثر الاعمال تزاولها الايدي جعل كل عمل وان كان بالقلب او
اللسان وسائر الجوارح عملا بالايدي على سبيل التغليب ولان اليد مظهر القدرة والالتا
نسبوا الكسب اليها كانهم ارادوا كسبا للنفس وحدها بلا مشاركة احد فيه وان الله ليس
بظلام للعبيد عطف على ما قدمت اي ذلك بسبب كسبكم بانفسكم وبان الله عادل لا يجازيكم
الا بما كسبتم وقضية العدل عقاب المسيء وثواب المحسن وصيغة المبالغة للتنبيه على ان شانه
تعالى لبلوغه الى الغاية في كل وصف يتصف به فعلى تقدير اتصافه بالظلم يلزم ان يكون
ظلاما الذين قالوا هم كعب الاشرف واصحابه ان الله عهد الينا يعني امرنا في التورا
واوصانا ان لا نؤمن بان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار هذه المعجزة
الخاصة التي كانت لبني اسرائيل وهو ان يقرب بقربان فيقوم النبي صلى الله عليه
وسلم فيدعو فتنزل نار سماوية فتاكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق قل قد جاءكم
اي جاء اسلافكم الذين انتم على ملتهم وراضون بفعلهم رسل من قبلي بالبينات وبالذي
قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين الزام لهم بان رسلا جاءوهم قبله كزكريا ويحيى
عليهما السلام بمعجزات صادقة موجبة للتصديق وبهذه الاية التي اقترحوها فلم قتلتموهم
ان كانوا صادقين ان الايمان لا يلزمها اية ومعجزة فهي ادت وسائر الايات سوى في ذلك
فلا يجدي نفعا في دفع ما قالوا لانهم ادعوا العهد من الله تعالى فيه قال السدي ان الله تعالى
امر بني اسرائيل في التورية من جاءكم انه يزعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبين فلا
تصدقوه حتى ياتيكم بالقربان تاكله النار من السماء حتى ياتيكم المسيح ومحمد فاذا اتياكم فامنوا
بهما فانهما ياتيان بغير قربان فما ذكروه ليس مفتريا بهم بل من تحديهم فان كذبوك فقد
كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب
قومه زبره اي كتبه والجمع يدل على الكثرة قالوا اذ منه الصحف ومن الكتاب المنير التورا

والزبر

والزبور

والزبور والانجيل وقرئ وبالزبر وبالكتاب باعادة الجار فيهما للدلالة على انها مغايرة للبينات
بالذات وان الكتاب مغاير لها كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب
وهو من تمام التسلية اذ بذكر الموت والفكرة فيه يهون ما يصدر من الكفار من التكذيب
وغيره وفيه دلالة على ان النفس غير البدن وانما لا تموت بموته وقرئ ذائقة الموت
بالنصب مع التنوين على الاصل وعدمه لالتقاء الساكنين وانما توفون اجوركم
تعطون ثواب اعمالكم تاما وافيا ومن قال يوم القيامة يعني في دار الاخرة ولفظ
التوفية الام يشعر بانه قد يكون في هذه الدار بعض الاجور فلا يدل على عدمه فلا ينافي
عليه ما يدل على وقوعه من الاخبار كقوله صلى الله عليه وسلم الصدقة والصدقة
والصلة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار واما ما يعطى في القبر فمما يوفي في دار الاخرة
لان الموت بابها والقبر اول المنزل فمن زحزح عن النار اي بعد عنها وقد سبق
في سورة البقرة وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر
بالبغية وما الحيوة الدنيا اي لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهها بالمتاع
الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والمدلس هو الشيطان
وانما هذا التشبيه تعبير وتحذير لمن اشتراها بالاخرة ويؤثرها عليها واما بالنسبة الى
من باعها بالاخرة وعلم سرعة نفادها واتخذ منها زادا واختار الباقية فهي متاع الغرور
والمغبون لا الغرور والغرور مصدر والاضافة للملابسة لتبلون اي والله لتختبرن
في اموالكم بتكاليف الانفاق وما يصيبه من الافات وانفسكم بالجهاد والقتل والاسر
والجرح وما يرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من هجاء الرسول صلى الله عليه وسلم والطعن
في الدين واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر
والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها فيقويهم الصبر والكرامة وان تصبروا
على ذلك وتتقوا مخالفة امر الله فان ذلك يعني الصبر والتقوى
من عزم الامور من معزومات الامور التي يجب العزم عليه من الامور او مما عزم
الله ان يكون منكم وقطعه عليكم وبالغ فيه والعزم القطع قال صلى الله عليه وسلم لا صيام
لمن لم يعزم الصيام من الليل اي لم يبيت ولا اختصاص له بالراي واذ اخذ الله
اي اذكر وقت اخذه ميثاق الذين اوتوا الكتاب يريد به العلماء لتبيننه للناس
ولا تكتمونه حكاية لمخاطبتهم وقرئ بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم
الذي ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه اي الميثاق وما
عهد اليهم وراء ظهورهم تشنيع باهل الكتاب بالغ في توبيخهم بانهم اذا اخذ الله ميثاقهم

وعهدوا اليهم واكدوا القسم ليظهروا الكتاب واوجب عليهم بالتاكيد بيان ما فيه واحتفوا بكتمانه
نقابلوا المبالغة في ذلك بالمبالغة في اطراحه وتركه فان النبذ وراء الظهر مثل في الطرح بالكلية
وترك الاعتداد بالشيء والنبذ الرمي والابعاد في الحديث انه مر بقبر منتبذ عن القبور اي
منفرد بعيد عنها والوراء كما يطلق على الخلف يطلق على الامام واضافته الى الظهر لتعيين
معنى الخلف واشتروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا واعراضها فبئس
ما يشترون يختارون لانفسهم وقد سبق ما يتعلق به من تفسير سورة البقرة وكفى به
دليلا على انه ماخوذ على العلماء ان يبينوا الحق للناس وان لا يكتموا مما علموا شيئا لغرض فاسد
من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم او لجر منفعة او لتقية مما
لا دليل عليه ولا امارة او لبخل بالعلم وغيرة ان ينسب اليه غيرهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من كتم علما عن اهله الجم بلجام من النار ولا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان
يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن ضم التا جعل الخطاب له وللمسلمين واحد المفعولين الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله
فلا تحسبنهم تاكيد والفاء للاشعار بان افعالهم المذكورة علة لنفي الحسبان والنهي عنه والمعنى
لا يحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا
من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة بمنجاة من العذاب اي فائزين
بالنجاة منه وقرئ بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الذين فاعل ومفعولا
يحسبن محذوفان وقوله يدل عليهما مفعولا مؤكده وكانه قيل ولا يحسبن الذين كفروا
يفرحون بما اوتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة وقيل المفعول الاول محذوف وقوله فلا
تحسبنهم تاكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاول وفيه ان التاكيد للفعل وفاعله والفاعل
فقط اذ ليس المذكور سابقا الا الفعل والفاعل فالضمير المنصوب بالتاكيد هو المفعول
الاول ولا حذف ولهم عذاب اليم بكفرهم وتدليسهم روي انه عليه الصلاة والسلام
سال اليهود عن شيء في التوراة فاخبروه بخلاف ما كان فيه واروه انهم قد صدقوه
وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل غير ذلك والحق انه شامل لكل من اتى بحسنة ففرح
بها اعجابا واحب ان يحمده الناس بما ليس فيه من الفضيلة وبما لم يفعل من انواع البر وانهم
وليس وان كان السبب خاصا ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم والله
على كل شيء قدير فيقدر على عقابهم ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار لايات لاولي الالباب لدلالات واضحة على وجود الصانع ووحدته
وكمال علمه وقدرته لذوي العقول الخالصة عن شوب الاوهام والعادات النفسانية
من شوب الهوى والخيالات المذكية للحقائق بنظر الاعتبار والتدبر للمعاني بصواب

الانكار روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها والاقتصار على الثلاث
المذكورة لان مناط الاستدلال هو التغير وانواعه الثلاثة يوجد فيها لانه اما ان يكون
في الاحوال الخارجة عن الشيء كتغير الافلاك او في جزء كتغير العناصر بتبدل صورها او في
ذاته كتغير الليل والنهار ووجه الترتيب ظاهر الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى
جنوبهم محله نصب على الحال عطفا على خبريه اي قائمين وقاعدين ومضطجعين يعني
يذكرون الله تعالى ذكرا دائما على اي حال كانوا من قيام وقعود واضطجاع ويتفكرون
في خلق السموات والارض اي في خلق العالم استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات
كما قال عليه الصلاة والسلام لا عبادة كالتفكر لانه عمل القلب والمقصود من الخلق
وفيه اشعار بان ذوي الالباب بيانهم وتفسيرهم الذين يذكرون الله دائما على اي حال كانوا
عليه المتفكرون في خلقه ربنا ما خلقت هذا باطلا مفعول قول مقدر اي يقولون وهو
في موضع الحال بمعنى يتفكرون قائلين وباطلا صفة مصدر محذوف اي ما خلقته خلقا
باطلا بغير حكمة او حال من هذا وهو اشارة الى ما عبر عنه بفطرته وهو عالم الملك
وفيه ضرب من التعجب وظهور امره في العظمة وكما ان ذلك يستعمل لظهور امره في ذلك
المعنى وتعيينه وانفراده بذلك اي ما خلقت هذا العالم العجيب الشان النير البرهان
المنفرد بالعظمة وغرابة الابداع باطلا وفي السكوت على هذا القدر من البيان دلالة
على قصور العبارة عن بيان فوائده ومنافعه سبحانك تنزيها لك من تعلق العبث
وخلق الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه والقيام
بما يقتضيه ولكون الدلالة على وجوب الاعتبار به واجتناب الغفلة عنه ماخوذة من ربنا
ما خلقت هذا باطلا حسن ما يقتضيه هذا الكلام والفاء للسببية اي اذا ذكرناك واقررنا
بك فقنا ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته غاية الاخزاء وهذا اشعار من
حصل الخزي امرا ظاهرا للزوم الشرط يجب لا فائدة في ذكره ما دام محمولا على اطلاقه
فيحمل على حصر المخصوص ليفيد والمراد به تهويل المستعاذ منه قال ابن السكيت خزي
يخزي خزيا اذا وقع في بلية فلا اشعار فيه بان العذاب الروحاني اقطع وقد تمسك بهذه
الاية اصحاب الوعيد قالوا من دخل النار ينبغي ان لا يكون مؤمنا لقوله فقد اخزيته
فان الله تعالى يقول يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه والجواب بان المراد من
الذين امنوا معه الاصحاب لا الذين امنوا مطلقا وما للظالمين من انصار اللام للعهد
والاشارة الى من يدخل النار والاعلام بان من يدخل النار فلا ناصر له ووضع المظهر
موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم سبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في
الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لان النصرة دفع بقهر ربنا اننا

سمعنا مناديا ينادي للايمان اذا اريد تخصيص سماع القول بمن سمع منه اوقع الفعل على
ما سمع منه وحذف المسموع ووصف المتكلم الموقع عليه الفعل بما سمع منه او جعل حالا
منه فيسد الحال او الوصف مسده يقول سمعت رجلا يقول وسمعت زيدا يتكلم وذكر
مطلقا ثم قيده بالايمان تعظيما للمنادي وهو الرسول وتفخيما لشأنه والندا والدعا
ونحوهما يعدي بالى واللام لتضمنها معنى الانتها والاختصاص ان آمنوا اي آمنوا
او بان آمنوا بربكم فآمنا فامتثلنا والفا للعطف على سمعنا او مسببة عن آمنوا اي سبب
عنه ايماننا ربنا فاغفر لنا الفا للسببية اي اذا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا كبائرنا
فانها ذات تبعة وكفر عنا سيئاتنا صغائرنا فانها مستحبة وفي تخصيص كل من التعديتين
بما ذكر نوع اشارة الى ان المراد من الذنوب الكبائر كما بينا سببها معناها وما تعلق بها من
الفعل بحسب معناها واختصاصه بالله تعالى ومن السيئات الصغائر كما بينا سببها ايضا
معناها وجواز استعماله في غيره تعالى وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين
في زمرتهم ولا دلالة فيه على طلب التوفي حتى يكون منه تنبيه على انهم يحبون لقاء الله تعالى
والابرار جمع بر او بار كارباب واصحاب ربنا وآتنا عطف على الدعوات السابقة وتكرار
ربنا للاستلذاذ بذكره والخضوع بالربوبية وكذا جميع التكرارات في الاية ما وعدتنا
على رسلك اي على تصديق رسلك من الثواب قيل لما اظهر امتثاله لما امر به سال
ما وعد عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون من الموعودين لسوء عاقبة
او قصور في الامتثال ويرد عليه انه على تقدير وقوع ما خافه لا يكون السؤال المذكور
مناسبا لحاله وعلى تقدير عدمه لا حاجة الى السؤال فالوجه ان يقال انه تعبد واستكانة
ويجوز ان يكون التقدير منزلا على رسلك او على السنة رسلك ولا تخزنا يوم القيامة
بان تعصمنا عما يقتضيه انك لا تخلف الميعاد باثابة المؤمنين واجابة الداعي
فاستجاب لهم ربهم الى طلبتهم وهو اخص من اجاب ويتعدى بنفسه وباللام وفي
الآثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف اني لا اضيع عمل عامل
منكم اي باني لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول من ذكر او انثى بيان
عامل بعضكم من بعض لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر او لفرط الاتصال والاتحاد
لانهما من اصل واحد او الاتفاق في الدين وهي جملة اعتراضية يبين بها شركة النسا والرجال
في الهجرة لا يذكر النسا فنزلت فالذين هاجروا الى اخره تفصيل لاعمال العمال وما اعتد
لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الاوطان
والعشائر واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله
بدا اولا بالخاص وهي الهجرة وهي اشق شي على النفس وثنى بما هو اعم فان الخروج من

الديار لا يستلزم الهجرة الى المدينة كخروج من خرج الى الحبشة والى الخندق وانما لنا
بذكر الاذى وهو اعم من ان يكون باخراج من الديار او بغيره وارتقى بعد هذه الاوصاف
السنية الى الجهاد فقال وقاتلوا الكفار وقتلوا في سبيل الله وقرئ بالعكس
ولا منافاة لان الواو لا توجب الترتيب والثاني افضل لاشعاره بانه قتل بعضهم
وقاتل الباقون ولم يضعفوا وقرئ قتلوا بالتشديد للتكثير لاكفرن عنهم
سيئاتهم كفر اذا عدي بعن يفيد معنى تجاوز ولادخلنهم جنات تجري من تحتها
الانهار ثوابا من عند الله اي اثيبهم بذلك اثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر
مؤكد والله عنده حسن الثواب على الطاعات قادر عليه بالغ في جزائهم
بالتاكيد القسمي وايراد المصدر المؤكد وتقييده بالعندية بعد الاطلاق ولانه
من عند الله واظهارا باسمه في الجملة وبعده وجعل الجملة الظرفية خبر غاية
في البلاغة لا يغرنك الذين كفروا في البلاد ظاهر النهي للتقلب وحقيقته
للمخاطب وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم تثبيتا له على ما كان عليه كما في قوله
ولا تطع المكذبين او لكل احد ليفيد نفي السبب وهو من باب تنزيل السبب منزلة
المسبب لان التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب اي التغرير يستلزم امتناع
السبب الذي هو الاغترار مبالغة والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة
والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم
روي ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش ويقولون
ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل
خبر مبتدا محذوف اي ذلك التقلب متاع قليل وصف بالقلة بالنسبة الى
ما فاتهم من نعيم الاخرة او بالنسبة الى ثواب المؤمنين او اراد قلته في نفسه ودنو
تدرج بسرعة انقضائه وزواله ثم ماواهم جهنم عطف على محذوف كانوا
يواخذون بتبعته يوم القيامة ثم ماواهم جهنم وثم للتراخي في الرتبة
وبئس المهاد اي ما مهدوا لانفسهم فالمخصوص بالذم محذوف لكن الذين اتقوا
ربهم اي خافوه ولم يجاوزوا امره ولا نهيه لهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها قابل الجهنم بالجنات وقلة متاعهم بالخلود في النعيم توضيحا لكن احسن
موافقتها لانه اي معنى الجملتين الى تعذيب الكفار والى تنعيم المتقين فهو واقع بين
بين الضدين نزلا من عند الله النزل بسكون الزاء وضمها ما يقام للنازل عند
نزوله من القرى وفيه تنبيه على ان وراء ذلك ما هو اعظم منه كرامة وانتصابه
اما على الحال من جنات لتخصصها بالوصف والعامل الظرف اي حاصلة لهم جنات

تقلب

نزلا او على انه في معنى مصدر مؤكد كقوله ثوابا كانه قيل رزقا واعطا من عند الله وما
عند الله لكثرته ودوامه خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله
او خبر في بيان مال الذين كفروا بحذف المبتدا والمخصوص بالذم وانتصارا الكلام للتحقير
والازدرا وعدم الاعتداد بهم وبمتاعهم واطنب في وصف المتقين اظهارا للعناية بهم
وبشانهم وما لهم او لا لقوله لكن ليتدارك ما لهم المخالف لما لهم المباين له بما لا يوصف
كونه ثم بقوله ربهم وتنكير جنات للتعظيم ووصفها للابهام والتوضيح وتقوية الاسناد
اليهم تكرير النسبة في لهم والجملة الظرفية والتفنيد بقوله نزلا من عند الله والجملة
اعتراضية اي وما عند الله وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله نزلت في ابن سلام
واصحابه وقيل غير ذلك وانما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه ان للظرف وما انزل
اليكم وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين خايفين خاضعين لله حال من فاعل
يؤمن وجمعه هنا وفي اليهم باعتبار المعنى بعد ما افرده باعتبار اللفظ لا يشترون بايات
الله ثمنا قليلا كما يفعل من لم يسلم من احبارهم اولئك الموصوفون بما ذكر لهم اجرهم
الذي يختص بهم وهو ما وعدوه في قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين عند ربهم ان الله
سريع الحساب لانه علمه محيط بكل شي ولا يشغله شان عن شان والمراد الاجر سريع
الوصول فان سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزا يا ايها الذين امنوا اصبروا على
مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدايد وصابروا اعدا الله في الجهاد اي غالبوهم
في الصبر على شدايد الحرب ولا تكونوا اقل صبرا منهم وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا
لشدته وصعوبته ورابطوا اقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين للغزو
واتقوا الله في مخالفة امره ونهيه لعلكم تفلحون لكي تفلحون والفلاح الامن
مما يخاف والوصول الى ما يدام والحمد لله على التمام والصلاة على نبيه سيد الانام وعلى
اله وصحبه الكرام ما تعاقب الليالي والايام

سورة النسا مدنية مائة وخمس وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها
الناس خطاب عام يتناول الموجودين ومن بعدهم دون المنقرضين اتقوا ربكم في مخالفة
امره ونهيه الذي خلقكم من نفس واحدة يعني ادم عليه الصلاة والسلام ترتيب الامر
بالتقوى على هذه القصة لا لما فيها من الدلالة على قدرته تعالى على اهلاكهم وانشاء خلق
اخر على تبدل وجه بل لما فيها من الدلالة على قدرته تعالى على اهلاكهم وانشاء خلق اخر على تبدل
وجه بل لما فيها من الدلالة على القدرة العظيمة والا لكان خلق السموات والارض احق

بالذكر

بالذكر وما في ذكر الرب من الاشارة الى نعمة التربية الموجبة للطاعة لتضمين الترغيب معنى
الترتيب وخلق منها زوجها يعني حوى خلقها من ضلع ادم عليه السلام بيان لخلقهم
من نفس واحدة على وجه الاستيناف كانه قيل انهم خلقوا من ذكر وانثى لا من ذكر وحده
فاجيب بان تلك الانثى قد خلقت منه قالوا واستينافية لا عاطفة لما عرفت ان مدخولها
مقرر ومبين لما تقدم والعاطف لا يتخلل بين شي ومقرره وعلى تقدير العطف على محذوف
اي خلقها وخلق منها زوجها يندفع المحذور المذكور لانه لا دخل للمقدر في تقرير ما ذكر
ومن شرايط البلاغة تجريد الكلام عما لا يقتضيه المقام وبث منهما اي لنشر من النفسين
المذكورين من جهة التناسل والتوالد اراد بيان كيفية توالدهم ولذلك قال رجالا
كثيرا ونسا دون ذكورا كثيرا واناثا ولمن لم يفطن لهذه الدقيقة الانيقة قال في
تفسيره بنات وبنين لكثرته وذكر كثيرا حملا على معنى الجمع وحذف وصف النسا
لدلالة وصف قرينها عليه وقري وخالق وبات على حذف مبتدا تقديره هو خالق
وبات واتقوا الله الذي تسالون به اي يسال بعضكم بعضا به بقول اسالك بالله او
تسالون غيركم فجي بتفاعلون موضع يفعلون للكثرة ويعضده قراة يسالون
واصله تتسالون فادغمت التا الثانية في السين وقري بطرحها والارحام بالنصب
عطف على محل الجار والمجرور وبنصره قراة تسالون فادغمت التا الثانية وبالارحام
او على الله اي اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها قري بالجر عطفا على
الضمير المجرور والضعف في اضماره يرده هذه القراة الثابتة بالتواتر فانها مما
يحتج عليه الاعتداد من الاعتماد له على القراة الثابتة والاعتداد لزعمه الفاسدة وقري
بالرفع على انه مبتدا محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك مما يتقي او يسال وقد نبه
تعالى اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان منه وعنه صلى الله عليه وسلم الرحم
معلقة بالعرش تقول الا من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ان الله كان
عليكم رقيبا حافظا مطلعا واتوا اليتامى اموالهم كما بلغوا ان انس منهم الرشد ولذلك
امر بابتلايهم صغارا واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه من اليتم وهو الانفراد
ومنه الدرة اليتيمة اذا انفردت في صدفها اما على انه لما جرى مجرى الاسما كفارس
وصاحب جمع على يتايم ثم قلب فقيل يتامى كاسرى واسارى وحق هذا الاسم ان يقع على
الصغار والبكار لبقا معنى الانفراد عن الابا الا انه قد بلغ ان يسموا به قبل ان يبلغوا
مبلغ الرجال فاذا بلغوه زال عنهم هذا الاسم وعلى وفق هذا ورد عرف اسم الشرع
قال عليه الصلاة والسلام لا يتم بعد الحلم اي لا يجري عليه احكام اليتيم ولا يحتاج
الى حيلولي والمراد في الاية البلوغ على الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على ان يدفع اليهم

اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم روي ان رجلا من غطفان كان معه مال
كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله
نعوذ بالله من الحوب الكريم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب اي لا تستبدلوا الخبيث بالطيب
اي لا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما ابيح لكم من المكاسب والتفعل
بمعنى الاستفعال كثير وقيل ولا تأخذوا الرفيع من اموالهم وتعطوا الخسيس مكانه ورد بانه
تبديل لا تبدل فان في التبدل وكذا ما دخلته الباء متروك وما تعدى اليه الفعل بنفسه
مأخوذ في التبديل بالعكس ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم اي ولا تضموها الى اموالكم
في الاكل ودل قوله الى اموالكم على ان المخاطبين اغنيا وذلك انه اذا كان فقيرا يجوز ان يأكل
بالمعروف وفيه تعريض بانهم كانوا يفعلون لذلك ليكون ازجر لهم ولهذا اعدل عن مقتضى
الظاهر وهو نهي الغني عن اكل مال اليتيم مطلقا انه الضمير للاكل كان حوبا كبيرا
والحوب مطلق الاثم قال عليه الصلاة والسلام رب تقبل توبتي واغسل حوبتي اي
اثمي ولو اعتبر فيه العظم لما وصف بالكبير فتدبر وقرئ حوبا وهو مصدر حاب وكذا
حابا وقد قرئ به ايضا كقال قولا وقالا كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او جمال
او يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن
وفقد من يغضب لهن فقيل وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى اي ان خفتم ان
لا تعدلوا في يتامى النسا اذا تزوجتم بهن فانكحوا ما طاب لكم من النسا اذا تزوجتم بهن
تتزوجوا ما حل لكم من غيرهن وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة وقرئ تقسطوا
بفتح التاء على ان لا مزيدة مثلها في لئلا يعلم ان خفتم ان تجوروا مثنى وثلاث ورباع
منصوبة على الحال من فاعل طاب معدولة عن اعداد مكررة ثنتين ثنتين وثلاثة
ثلاثة واربعة اربعة غير منصرفة لوجود العدل والوصف فانها بنيت صفات وان
كانت اصولها لم تبن لها ومعناها الاذن في الجمع بان ينكح ما شاء من العدد المذكور متفقين
فيه ومختلفين كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة ولو
افرد كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو عطف باو لذهب
تجويز الاختلاف بالعدد فان خفتم ان لا تعدلوا فيما فوقها فواحدة فالزموا
او فاختاروا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل فعل محذوف او خبره
تقديره فيكفيكم واحدة او فالمقنع واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى بين المنكوحة
الواحدة وبين الاما مطلقا سوا كانت واحدة او متعددة بلا حصر ولا تعيين عدد
في اليسر والترخص بخفة مؤنتهن وعدم شروط العدل بينهن لا في القسم ولا في
العدل ونسبة هذا الملك الى اليمين للفرق والنفا وتكميله وملك اليد ذلك

اشارة الى اختيار الواحدة والتسري ادنى الا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا ولا تجوروا
يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وفسر بان لا يكثر عيالكم على انه من عال
الرجل عياله يعولهم اذا مانهم عبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده
قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ووجهه على تقدير ان تكون الاشارة الى التسري
ان العزل يجوز فيه فهو سبب قلة الولد وآتوا النسا صدقاتهن مهورهن والخطاب
للازواج وقيل للاوليا لانهم كانوا يأخذون مهور مولياتهم نحلة عطية يقال
نحلة كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ونصبها على المصدر
لانها في معنى الايتا وقيل معناه نحلة من الله اي اعطا من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل
ديانة على انه مفعول له او حال من الصدقات اي دينا من الله مشروعا مفروضا فان
طبن لكم عن شي منه نفسا الضمير في منه جار مجرى اسم الاشارة في التذكير على ما ذكر
رؤبة وقد سبق في تفسير سورة البقرة كانه قيل عن شي من ذلك اي ما ذكر من الصدقات
او يرجع الى ما دل عليه الصدقات من الصداق ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك
وحد والمعنى فان طبن لكم من الصداق عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس
للمبالغة وعداه بعن لتضمن معنى التجافي والتجاوز وفيه دليل على وجوب الاحتياط في
ذلك وضيق مسلك في قوله من الصدقات منهن لانه بنى الشرط على طيب النفس الذي
هو من خفي بطرق بها ان تدعي انها ما طابت نفسا ان ندمت ولهذا لم يقل فان وهبت
او سمحت اشعارا بان الشرط تجافيها عن الموهوب من طيبه لا من ضرورة ثم قال
عن شي منه نفسا بعثا لها على تقليل المواهب فكلوه هنيئا مريئا انما صفتان للمصدر
اي اكلا هنيئا مريئا او حالان من ضمير كلوه اي كلوه في حالة كونه هنيئا مريئا والهني
ما يلذه الاكل والمري ما تحمد عاقبته وقد سبق ما في الاكل من الدلالة على سائر وجوه
الانفاق روي ان ناسا كانوا يأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شي مما ساق اليها فنزلت
ولا تؤتوا السفها اموالكم السفها هم الذين ينفقون اموالهم فيما لا ينبغي من وجوه
التبذير ولا يمكنهم اصلاحها بالتثمير والتصرف فيها بالتدبير والخطاب للاوليا بدلالة
السياق واللحاق واضافة الاموال اليهم لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم او لانه لم يقصد
بها الخصوصية الشخصية بل الجنسية التي هي معنى ما يقام به المعاش وتميل اليها القلوب
وبني هذا المعنى لا يختص باليتامى كما قال تعالى ولا تقتلوا انفسكم قصدا الى جنس النفس
وهذا اوفق لقوله التي جعل الله لكم قياما اي تقومون وتنتعشون وعلى الاول
يؤولها التي ما جعل لكم قياما اي تقومون بها اي التي من جنس ما جعل الله لكم قياما سمي
به القيام قياما للمبالغة وقرئ قيما معناه لعود بمعنى عياذ وقرئ قواما وهو ما يقام

به وارزقوهم فيها واكسوهم الظرف متعلق بالمعطوفين كما في قوله تعالى لم تكن آمنت
من قبل أو كسبت وانما قال فيها ولم يقل منها تنبيهاً على ما قاله عليه الصلاة والسلام
ابتغوا في أموال اليتامى التجارة لا تأكلها الزكاة فعلى هذا يكون الرزق والكسوة من الارباح
لا من أصل المال فيأكله الانفاق وقولوا قولاً معروفاً كلاماً يؤنسهم ويؤلف قلوبهم ومنه
عدة جميلة وكل ما سكنت اليه النفس واستحسنته عقلاً أو شرعاً أو عرفاً فهو معروف وكل ما نفرت
منه وكرهته فهو منكر وابتلوا اليتامى واختبروا عقولهم بتصرفاتهم قبل البلوغ
حتى اذا بلغوا النكاح بلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده فان آنستم
منهم رشداً الايناس الابصار بالحس فان تبينتم منهم رشداً أي اهتداء الى مصالحهم وقرئ
أحستم فادفعوا اليهم أموالهم من غير تأخير عن وقت البلوغ وتنكير الرشد معناه نوعاً
من الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة أو طرفاً من الرشد حتى لا ينتظر الى تمامه
جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء فكأنه قيل وابتلوا اليتامى الى
وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع أموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد ويجوز أن يكون اذا
المجردة الظرفية ليست متضمنة معنى الشرط أي ابتلوهم الى وقت البلوغ وفي الآية
دلالة على أن لا يدفع اليهم مالهم قبل البلوغ وأما عدم دفعه اليهم بعد البلوغ قبل
الايناس فلا دلالة عليه اما منطوقاً فظاهر وأما مفهوماً فلأن مفهوم قوله فان آنستم
منهم رشداً عدم الدفع على الفور لا عدم الدفع مطلقاً ولا تأكلوها اسرافاً أي
مجاوزة عن الحد وبداراً أي مبادرة وهي المسارعة أن يكبروا أي أن يبلغوا
أي لا تأكلوا مسرفين ومبادرين كبرهم وهو كقولك بادرت مجيء زيد أي
تعجلت قبل مجيئه والمعنى لا تأكل قبل بلوغهم واسترداده منهم ما لهم منكر وليس هذا
نص التحريم على الاسراف وعلى مبادرة البلوغ دون غيرها بل هو ذكر غالب الحال
كما في قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصناً ومن كان غنياً
فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف في تقييد النهي بالاسراف والبدار
ايماء الى أن للأوصياء حقاً فقسم الأمر بين أن يكون الوصي غنياً وبين أن يكون فقيراً فأمر الغني
بالاستعفاف من أكل مال اليتيم الى ماله وتركه الطمع في مال اليتيم والاقتناع بما رزقه
الله تعالى من ماله والفقير بالأكل بالمعروف أي بأكله قوتاً مقدراً محتاطاً في تقديره
على وجه الأجرة لقيامه عليه بحفظه وتنميته وعلى اليتيم بتشديده وتدبيره والاستعفاف
مبالغة كأنه مأمور بطلب زيادة العفة ولو قال فليعفف لم يكن فيه ذلك فاذا
دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم بأنهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها
ذممكم لئلا يتوجه اليمين عليكم عند التناكر وليظهر أمانتكم وتبرأ ساحتكم عن التهمة

فالأمر

فالأمر بالاشهاد كالأمر به في قوله وأشهدوا اذا تبايعتم فلا دلالة فيه على أن القيم
لا يصدق في دعواه الا بالبينة وكفى بالله حسيباً كافياً في الشهادة عليكم بالدفع
والقبض ومحاسباً يحاسبكم بالبراءة وعدمها فعليكم بالتصادق واياكم والتكاذب
للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان
والأقربون يريد بهم المتوارثين بالقرابة قيل كان اليونانيون يعطون جميع المال
للبنات لأن الرجل لا يعجز والمرأة تعجز وكانت العرب لا يعطون البنات فرد الله تعالى عليهم
على الفريقين وكان المقام مقام التفصيل والاطناب وفي عبارة الرجال اشارة الى أن قدرتهم
على الكسب غير مانع لاستحقاقهم فاذا كان الرجل مع قدرته على التكسب مستحقاً للنصيب
فالصبي مع عجزه عنه يكون مستحقاً له بطريق أولى مما قل منه أو كثر بدل مما ترك باعادة
العامل وتقديم الظرف على المبتدأ في الرجال والنساء لتخصيص لكل واحد من القبيلين
نصيب مفروض على ما فرض الله مؤذن بأن لا بد لكل واحد منهم باختصاصه لا يستأثر
به غيرهم ولا يغلبه ثم أكده بقوله نصيباً مفروضاً نصب على الاختصاص أي أعني
نصيباً مقطوعاً واجباً أو على أنه مصدر مؤكد كقوله فريضة من الله تعالى كأنه
قيل قسمة مفروضة أو حال اذ المعنى ثبت لهم مفروضاً نصيب وانما ذكر النصب
على الابهام لأن التعيين خارج عما سيق الكلام في هذا المقام وفيه دليل على أن الوارث
لو أعرض عن نصيبه لم يسقط حقه واذا حضر القسمة أي قسمة التركة أولو
القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين من الأجانب فرق بين من لا يرث من
الأقارب وبين من يرث بقوله فارزقوهم منه حيث لم يعين لهم نصيب وندب
الى أن يرضخوا بقليل منه ايماء الى أن لا حق لهم فيه ألا ترى كيف جعل أموال اليتامى
السفهاء مكان رزقهم حيث قال فارزقوهم فيها لأنها حقهم وقولوا لهم قولاً
معروفاً وهو أن تدعوا لهم وتستقلوا ما أعطوهم ولا تمنوا عليهم والأمر
للندب والمأمور البالغ من الورثة قالوا ولو كان فريضة لضرب له حد ولو
اجمالاً كالنفقة حيث قال على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وليخش الذين لو تركوا
من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم أمر الأوصياء بالخشية متمثلين في أنفسهم
حال اليتامى بحال أولادهم على الصفة المذكورة وليخشوا الله في رعاياهم أو
أكل أموالهم أو مشتملاً بين المتوفى وأيتامه بحالهم وذرياتهم خلفهم على تلك ثم تركوا
لهم وهذا الوجه هو الأنسب الا أنه لا ينتظم الكلام ما بين الوجوه المذكورة في
التفاسير فيكون قوله ان الذين يأكلون الخ تتمة له وتصريحاً بحال الأوصياء
لو خالفوا مقتضى الشفقة وأكلوا مال اليتيم تهديداً لهم على ذلك ولكونها في حيز

صلة للذين او يخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يتركهم المقصود منه والعلم
فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده فليتقوا الله وليقولوا
قولا سديدا امرهم بالتقوى الذي هو غاية الخشية بعدما امرهم بها مراعاة
المبتدا والمنتهى اذ لا ينفع الاول بدون الثاني ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم
بالشفقة وحسن الادب ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما وعلى وجه الظلم انما ياكلون
في بطونهم ملء بطونهم نارا تهويل في الردع ومبالغة في الردع ومبالغة في تهديد بجعل بطونهم
ظروفا مملوءة نارا ولما اراد ان يصور سرعة جريا ياكلون انفسهم الى النار وجعلهم ياكلون
كانه نار بالحقيقة ونكرها اي نارا تتعاظم عن الوصف وقراءة تنكير سعيرا في قوله وسيصلون
سعيرا اي سعيرا لا يحتمل سماع وصفه فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار بمعنى الهبتها
وقرئ سيصلون بضم اليا وتخفيف اللام وتشديدها تقول صلي النار قاسى حرها
وصليته شويته واصليته وصليته القيته فيها يوصيكم الله يامركم ويعهد اليكم
في اولادكم في شان ميراثهم وهو اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين التعريف
في الموضعين للعهد والمعهود الذكر والانثيين من الاولاد ولا حاجة الى تقدير منهم و
الذكر بالتنصيص على حظه لفضله على الانثى وانما لم يقل للذكر مثلي حظ الانثيين اي مثل
حظي الانثى لانه ح لا يعلم عدم نقصان حصته مع الواحدة الابن عند تعدد البنت
فانها اذا تعددت ينتقص حصته مع الواحد وان في الاختلاط ان يجتمع ابن وبنت وللابن
الثلثان فعرف بهذه الاشارة ان للبنتين الثلثان في الجملة وليس ذلك الا في حال انفراد
عن الابن ولما كان الاثنان حالة الانفراد معلوما بهذه الاشارة رتب عليها بيان
حكمها اذا كانت فوق الاثنين بقوله فان كن نساء كن ضمير الاولاد طابق به الخبر
كما في قوله هذا ربي او على تاويل المولودات اي ان كانت نسا خلص ليس معهن رجل
فوق اثنتين خبر ثان لكان او صفة لنسا اي زايدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك
المتوفى منكم يدل عليه المعنى وان كانت اي المولودة واحدة فلها النصف
وقرئ واحدة بالرفع على كان التامة والنصب وهذا اوفق لقوله فان كن نساء
ولا يجوز ان يكون الضميران في كن وكانت مبهمين مفسرين بنسا وواحدة منصوبين
على التفسير على ان كانت تامة لان كانت ليست من الافعال التي يكون فاعلها مضمرا
يفسره ما بعده بل هذا يختص من الافعال بنعم وبئس وما حمل عليها اختلف في اثنتين
فقال ابن عباس حكمها حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين فوقهما وقال الباقون حكمهما
حكم ما فوقهما لما قررنا فيما سبق وقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين لبيان ان
عددهن لا يزيد على ما لهن عند التعدد والانفراد عن الذكر بشرط المفهوم مقصود

على

على انه لا يعارض المنطوق والوجه الذي قدمناه من قبيل المنطوق واما ما قيل ان البنتين
امس رحما من ابن الاخ فقد لا يجوز بما يحرزه كما اذا كانت البنت فوق الاربع واذا كان ذلك
في العصبة والمعتبر فيه قوة القرابة فلا يجوز فيمن لا يعتبر فيه تلك القوة من اصحاب
الفرايض بطريق الاولى وكذا ما قيل ان الاخت اذا كانت مع اخيها وجب الثلث فبالاولى
ان يجب لها ذلك وان كانت مع اخت اخرى مثلها غير تام لان مبناه ايضا على ان من
اخذ سهما مع وارث ياخذ ذلك السهم مع وارث اخر دونه بطريق الاولى وقد عرفت
عدم صحة ذلك المعنى ولابويه ولابوي الميت لكل واحد منهما السدس بدل منه
بتكرير العامل وفايدته التنصيص مع استحقاق كل واحد منهما السدس مبتدا ولابويه
خبره والبدل متوسط بينهما للبيان مما ترك اي من جملته ان كان له اي للميت
ولد ذكرا وانثى وولد الابن وان سفل يقوم مقام الصلبي عند عدمه للاجماع غير ان
الاب ياخذ مع الانثى ما بقي من الفروض بالعصوبة بعد اخذ فرضه فان لم يكن له ولد
وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك لم يذكر حصة الاب لانه لا فرض له
فقط وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب ولم يعكس مع كونه احق ببيان نصيبه اصالة
لفضله لانه يلزم حينئذ ان يكون هو صاحب فرض وصاحبه عصبة وهو خلاف وضع
الشرع والمعنى المفيد انه اذا ورث مع ابويه احد الزوجين لم يكن له نصيب الثلث
مما ترك بل ثلث ما بقي بعد فرضه كما هو مذهب الجمهور خلافا لابن عباس رضي الله عنه
والمعنى ان الابوين اذا انفردا بالارث نقسما الميراث للذكر مثل حظ الانثيين ولذلك
لزم انهما اذا كانا مع احد الزوجين كان لها ثلث ما بقي والا انقلب الفاضل مفضولا
فيما اذا كان مع الزوج لان فرضه النصف فلو فرض له الثلث بقي للاب السدس مع
كونه اقوى وكونه اذا فرض وتعصيب فان كان له اي للميت والفاء هنا
ايضا لترتيب احد القسمين على الاخر اخوة فلامه السدس المراد هنا ما يعم الاخوات
على طريقة عموم المجاز او على طريقة التغليب او حينئذ لا يتناول الاخوات المنفردة
وهذا التعميم ومن صيغة الجمع ما يتناول المثنى وفيه خلاف لابن عباس رضي الله
عنه ان اطلاق الاخوة لا يدل على انهم يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون
كما اذا كان مع الاب وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم ياخذون السدس الذي حجبوا
عنه الام فالجمهور على ان الاثنين من الاخوة او من الاخوات او منهما سوا كان من الاعيان
او من العلات او من الاخياف متفقين او مختلفين محجوبين كانا او غير محجوبين
يردونها من الثلث الى السدس ومن بعد وصية يوصي بها او دين متعلق بجميع ما تقدم
من قسمة المواريث كلها اي هذه الانصبا للورثة من بعد ما كان من وصية او دين

وانما قال باو التي للاباحة دون الواو للدلالة على انهما متساويين في التقدم على القسمة
مجموعين او منفردين ولم يكونا متساويين في التعلق بالتركة فان الدين لا يسقط منه
شيء بذهاب بعض المال بخلاف الوصية وانما قدم على الدين وهي متاخرة عنه في الحكم
لان مظنة الاشتباه تقديمها فكان هو اخرج الى البيان وانما كونها مشبهة بالميراث
فيشق اخراجها على الورثة فلا ينتظم بعض الوصايا كالوصية بالحج ثم اكد امر الوصية ورغب
فيها بقوله آباؤكم وابناؤكم معترضا اي هم نصحاؤكم واهل شفقتكم ومحبتكم لا يريدون
بكم الا خيرا بما لكم على مضايقها مبينا ذلك المعنى بقوله لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا
اي الفريقين منهم انفع لكم امن اوصى منهم ام من لم يوص لان من اوصى عرضكم للثواب
الاخرة بامضائها وهو وان كان عاجلا فهو بالحقيقة اقرب لكم نفعا واوفر جدوى
لانه خير وابقى وان لم يوص بقاكم على خير الدنيا وهو وان كان عاجلا لكنه في الحقيقة
ابعد نفعا واقرب ضررا واقل جدوى لانه يزول ويفنى آباؤكم وابناؤكم خبر مبتدا
محذوف اي هم آباؤكم وابناؤكم لا تدرون بيان لحالهم او مبتدا خبره لا تدرون ايهم
فريضة من الله في موضع المصدر المؤكد اي فرض ذلك فرضا او حال مؤكدة بمعنى
مفروضة اي لكم الانصباء المذكورة بينا ها مفروضة ولما فرض انصباءهم واثبت
الوصية وسلب علمهم به قال ان الله كان عليما اي لمصالح دنياكم واخراكم
حكيما في كل ما فرض وقسم من المواريث وحكم به من الوصية وغيرها ولكم نصف
ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اي ولد
وارث ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم وولد الابن وان سفل يقوم مقام الصلبي في
الحجب المذكور عند عدمه بالاجماع من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما
تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون
بها او دين يستوي الوحدة والعدد منهن في الربع والثمن فرض للرجل بحق الزواج
ضعف ما للمراة كما في النسب قيل وهكذا قياس كل رجل وامراة اشتركا في الجهة والقرب
لا يستثنى عنه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة وفي نظر وان الابوين ايضا من هذه
الجملة وان كان رجل يورث اي يورث منه من ورث صفة لرجل كلالة خبر
كان وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد
بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان يكون الوارث ويورث من ورث
وكلالة من ليس بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة
يحتمل المعاني الثلاثة على الاول خبرا او حالا وعلى الثاني المفعول له وعلى الثالث
المفعول به وهي في الاصل مصدر بمعنى الكلال استعيرت للقرابة التي لا تقاربها البنت

لانها

لانها كانت ضعيفة بالبنت اي التي يقاربها النسب وصف بها المورث والوارث بمعنى
ذي كلالة كقوله فلان من قرابتي اي من ذي قرابتي ويجوز ان يكون صفة كانه قيل
من غاية الضعف نفس الكلالة او امراة عطف على رجل وله اي لواحد منهما
او لا ضرورة للحمل على الاقتصار كما ذهب اليه من قال وللرجال واكتفى بحكمه عن حكم المراة
لدلالة العطف على تشاركهما فيه اخ واخت اي من الام على ما نص عليه في قراءة وله
اخ واخت من ام وقد ذكر في آخر السورة ان للاخت الواحدة النصف وللاختين الثلثين
وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد الام وما قدر هاهنا فرض الام فيناسب ان يكون
لاولادها فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث يستوي
بين الذكر والانثى لان الادلاء لمحض الانوثة وقد عرفت ان الكلالة استعيرت لقرابة
لا يقاربها النسب فان تضمن ارادة الام والجدة دون البنت وبنت الابن لان النسب
الى الاباء دون الامهات ولا تخصيص في مفهوم الاية من بعد وصية يوصى بها
او دين غير مضار اي لورثته وذلك ان يوصي بزيادة على الثلث او يوصي الثلث
فما دونه ونيته مضارة ورثته لا وجه الله وعن الحسن رضي الله عنه المضارة
في الدين ان يوصي بدين ليس عليه وفي معناه الاقرار واعتبر المضارة في الدين ايضا بناء
على انه حال عنهما واعتبر الايصاء فيه ايضا على عطفه على وصية كانه قيل او دين
يوصي به على قاعدة تقييد المعطوف بما قيد به المعطوف وصية من الله مصدر مؤكد
او منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده القراءة باضافة المضار الى وصية غير
مضارة وصية من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة او بوصية منه للاولاد
بالاسراف في الوصية والاقرار الكاذب والله عليم عن جار ومن عدل في وصيته
حليم من الجائر اذ لا يعاجله بعقوبة هذا وعيد بليغ تلك اشارة الى الاحكام
التي تقدمت في امر اليتامى والوصايا والمواريث حدود الله شرايعه التي كالحدود
المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها
الانهار حمل اولا على لفظ من في قوله ومن يطع يدخله فافرد ثم حمل على المعنى في
قوله خالدين فيها فجمع فانتصابه على الحال المقدرة ويجوز ان يكون لجنات على
مذهب الكوفيين وبه اخذ الزجاج هنا ولا يحتاج الى ابراز الضمير عندهم اذا لم يلتبس وذلك
الفوز العظيم الذي يستحقر دونه الدنيا وما فيها ومن يعص الله ورسوله ويتعد
حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين زادها هنا على العصيان تعدي
الحدود وهو في الاعمال صرفا للعصيان الى ما يكون في العقايد وفائدته التنبيه على ان
المراد من الاطاعة في قسيمه ما يكون في العقايد وان الموعود من دخول الجنة ليس

بشروط بالعمل الصالح وذكرنيه مقابلة الاهانة لاينفعدا ها الامن اغتر قاسية الاهانة
والمراد غايتها وهذا استبعاد من توصيف العذاب به فانه ظاهر بحيث لافايدة في
ذكره ما دام محمولا على اطلاقه فيحمل على الكمال ليفيد وافرده هنا خالدا وجمع فيما قبل
المردوحاني وهو عذاب الوحشة   واللاتي يأتين الفاحشة من نسايكم
يفعلن الفعلة القبيحة والمراد الزنا لزيادتها في القبح على كثير من القبايح
فاستشهدوا عليهن   اي فاطلبوا ايها الايمة الذين اليكم اقامة الحدود   اربعة
منكم   من الرجال المومنين ليشهدوا عليهن بالزنا   فامسكوهن في البيوت   فخلدوهن
محبوسا في البيوت   حتى يتوفاهن   يستوفي ارواحهن   يتوفاهن ملايكة الموت
قيل كان ذلك عقوبتهن في اوايل الاسلام فنسخ بالحد   او يجعل الله لهن سبيلا   كتعيين
الحد المخلص عن الحبس والنكاح المغني عن السفاح   واللذان يأتيانها   يعني الزاني
والزانية وصفا بما يوصف به الذكران تغليبا للذكر على الانثى والظاهر من زيادة
منكم   تخصيص الحكم بالمسلمين والمسلمات هنا ومن زيادة من نسايكم فيما سبق
فاذوهما   بالتوبيخ والتقريع قال الحسن اول ما نزل من حد الزنا الاذي ثم الحبس
ثم الجلد فكان ترتيب النزول على ترتيب التلاوة وقال الضحاك كان الرجل اذا زني
بامراة يكون حبس كل واحد منهما في بيت ثم لا يرى بهما ما را لا اذاهما بالتعيير وعلى هذا يكون
بالاذي مع الحبس مشروعين في ذنب واحد في حق الرجل والمراة جميعا قال مجاهد
اية الاذي في الرجلين اي الذكر يفعل ذلك بالذكر وهو اللواطة قال ابن منصور
هذا يكون حجة لابي حنيفة رحمه الله في انه يعزر ولا يحد بالجلد والرجم   فان تابا
عن المعصية وغير الحال الى العفاف   فاعرضوا عنهما   بالاغماض والستر   بالاعما
عنهما الاذي   ان الله كان توابا   يقبل توبة التايب   رحيما   فلا يعذبه وهو
علة الامر بالاعراض وترك المذمة   انما التوبة على الله   من تاب الله عليه اذا
قبل توبته لا من تاب العبد اذا رجع عليه   للذين يعملون السوء بجهالة   ملتبسين
بها والتبس هي عدم العلم بانه ذنب لانه عذر لكنها ترك التفكر في العاقبة كفعل
من يجهله   ثم يتوبون من قريب   من زمان قريب وفي عبارة ثم اشارة الى انه لم
يرد من القرب القرب في عمل السوء حقيقته   فاولئك يتوب الله عليهم   وعدا بالوفا
بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله وفايدة اولئك والفا انهم اذا
تابوا في هذا الزمان تثبت توبتهم للقبول ومعنى الحصر في انما التوبة التي كتب الله
على نفسه قبولها لتبت الاهذ فيلزم ان لا يقبل غيرها ولهذا فصل الاية بقوله
وكان الله عليما   اي بالتوبة الموصوفة بما يقتضي القبول والتي تتصف

واصلحا

بها

بها   حكيما   لا يقبل الا الاول فانه تهديد ووعيد وما يناسب القبول ترغيب ووعيد
وما يناسب القبول ترغيب ووعد لم يكن الحصر والنسبة لكان ينبغي ان يقول وكان الله
غفورا رحيما ولذلك اي وللفرق بين التوبتين صغر المعصية هنا بتوصيف السوء
والتقييد بالجهالة اي الغفلة بحال التوبة بالقرب وعظمها في قوله   وليست التوبة
للذين يعملون السيات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان ولا الذين يموتون
وهم كفار   حيث جمع السيات وبعد بحال التوبة بحرف الغاية واضاف الى المحتضر قبول
التوبة لا نفسها وزاد قول الان وسوي بين الذي سوفوا توبتهم الى ذلك الامد البعيد
مبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة واكد الوعيد بقوله   اولئك اعتدنا
لهم عذابا اليما   اي الموصوف باحد الوصفين التوبة وقت الاختصاص والموت على الكفر
استحقوا عذابا اليما بسبب اتصافهم بما ذكر وفخم وعيدهم بتقديم الظرف وتنكير العذاب
ووصفه بالالم فافهم والاعتداد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعددنا فابدلت
الدال الاولى تاء وانما لم يقل اذا حضرهم الموت لان المتبادر منه الموت النادر وهو الموت
جماعة معا وذلك لا يناسب مقام التغليظ للتقصير   يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء
كرها   كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امراته وقال انا احق بها ثم ان شاء
تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره فنهوا عن ذلك وقيل لهم لا يحل لكم ان تأخذوها
على سبيل الارث واظهار ما فيه من القبح فلا دلالة فيه على جوازه اذا كان طوعا وقرئ
كرها وهما لغتان فيه وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه   ولا تعضلوهن لتذهبوا
ببعض ما اتيتموهن   ثم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج عن العضل وهو الحبس والتضييق
ومنه عضلت المراة بولدها اذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه كان احدهم
اذا تزوج امراة ولم يكن من حاجته حبسها معه بسوء العشرة وشكاسة الخلق حتى تفتدي
منه بمالها وتختلع قهرا عنه وقيل لهم ولا تحبسوهن لتاخذوا منهن بعض ما اتيتموهن
من الصداق والواو للعطف الجملة واما عاطفة على ان ترثوا على ان يكون الخطاب
لمن خوطب فيما سبق يتاباه قوله ببعض ما اتيتموهن ولا ينتظم مع قوله   الا ان يأتين بفاحشة
مبينة   الاستثناء من اعم تمام الظرف والمفعول له تقديره ولا تعضلوهن للافتداء الا وقت
ان يأتين بفاحشة مبينة او لا تعضلوهن لعلة الا ان يأتين الفاحشة والمراد بها شكاسة
الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلاطة ويدا عليه قراءة الا ان يفحش عليكم   وعاشروهن
بالمعروف   بالانصاف في الفعل والاجمال في القول   فان كرهتموهن بالمعروف فلعلكم
ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا   فقوله فعسى علة للجزاء اقيم مقامه لاستلزامه
اياه فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ولون خيرا عظيما ووصفه بالكثرة مبالغة وان

اردتم استبدال زوج مكان زوج اي ان زعمتم على ان تاتوا بزوج مكان زوج مستبدلين
بها اياها وتصويرا للكلام في هذه الصورة لتعيين ان يكون التطليق لرغبة في تجديد الفراش
لا لسبب جمحها فانه حينئذ يجوز اخذ المال في مقابلة الطلاق وآتيتم احداهن اي احد
الزوجات مع الضمير لانه اراد بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا ضمن الكلام الاشارة
الى جواز الاستبدال مع تعددها ولهذا اتى بعبارة تفصح عنه وكان يكفي ان يقول وآتيتم
اياها فلا تاخذوا منه من القنطار شيئا قليلا اتاخذونه بهتانا واثما مبينا
باهتين وآثمين والاستفهام للانكار والتوبيخ اي اتفعلون هذا مع ظهور قبحه قيل يحتمل
انتصابهما على العلة وان لم يكن غرضا كقولهم قعدت عن الحرب جبنا وفيه ان الاثم ليس
بعلة للاخذ بل الامر بالعكس وتخصيص البهتان بالذكر لانهم كانوا اذا ارادوا جديدة بهتوا
التي تحتهم بفاحشة حتى يلجئوها الى الافتداء منهم بما اعطوه ليصرفوه الى تزوج الجديدة
فنهوا عن ذلك والبهتان اخص الكذب لانه اذا كان عن قصد يكون افكا والافك اذا كان
على الغير يكون افتراء والافتراء اذا كان بحضرة المقول فيه يكون بهتانا لانه يدهشه
ويتركه متحيرا من بهت اذا دهش وتحير وكيف تاخذونه انكار لاسترداد المهر
وقد افضى بعضكم الى بعض والحال ان معكم ما يصرف عنه والافضاء هو الخلوة من الفضاء
وهو المفازة الخالية كذا فسره الكلبي وهو حجة اصحابنا في ان المهر يتاكد بالخلوة الصحيحة
من غير وطي واخذن منكم ميثاقا غليظا الميثاق العهد الوثيق والغليظ المبالغة
فيه وهو قوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان والله تعالى اخذ هذا الميثاق
على عباده لاجلهن فهو كاخذهن وقيل هو قول الولي عند العقد انكحتك على ما في كتاب الله
من امساك بمعروف او تسريح باحسان وكان ذلك معتادا في السلف ولا تنكحوا ما نكح
آباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة وقيل مصدرية على ارادة
المفعول من المصدر فلا بد من البيان بقوله من النساء وزانه وزان في الارض في
قوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ففايدة تاكيد ما في نكح من العموم الا ما قد
سلف قيل استثنا من المعنى اللازم للنهي كانه قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح
آباؤكم الا ما قد مضى قبل التحريم او من اللفظ للمبالغة في التحريم والتعميم كقوله ولا
عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى لا تنكحوا حلائل آبائكم
الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوه وقيل الاستثنا منقطع ولكن ما قد سلف لا مؤاخذة
عليه لانه مغفور ونقف على ان هذا هو الوجه انه كان فاحشة علة للنهي وزيادة
كان للدلالة على انه لم يرخص فيه في شريعة من الشرائع ومقتا ممقوتا والمقت
البغض باستحقار وساء سبيلا سبيل من يراه ويفعله كانوا ينكحون وناس من ذوي

مروآتهم

مروآتهم يمقتونه ويسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه يسمى المقتي ولذلك قيل فانه
ومقتا اي في دين الله مفرطة القبح مقتا في المروة والعرف ولا مزيد على ما يجمع القبحين
شرعا وعرفا وبه زاد مقتا فانه تعالى قال فيه ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة
وساء سبيلا حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات
الاخت اراد تحريم التمتع بهن لان المفهوم في حرمة عين منصرفا هو المقصود منه
ويلزمه حرمة النكاح لانه موضوع لملك المتعة فلا يصح بدونه والام حقيقة هي الوالدة
وفي معناها كل امراة رجع نسبك اليها بالولادة من جهة ابيك او من جهة امك والبنت
هي كل انثى ولدتها وفي معناها كل انثى رجع نسبها اليك بالولادة بدرجة او درجات باناث
او ذكور والاخت كل من جمعك واياها صلب او بطن والخالة من جمع امك واياها صلب
او بطن وفي معناها من جمع جداتك قريبة كانت او بعيدة واياها صلب او بطن ولنوافل
الاخ والاخت وان كانت بعيدة داخلات في الحكم الذكور مدلين بالذكور او بالاناث والا
من اي الجهات كانت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم من الرضاعة نزل تعالى الرضاعة [illegible]
منه ان زوج المرضعة ابوه وابويه اجداده واخته لامه ومنه قوله عليه الصلاة والسلام
يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب قالوا تحريم الرضاع كتحريم النسب الا في مسئلتين
احديهما انه لا يجوز للرجل ان يتزوج اخت ابنه من النسب ويجوز ان يتزوج اخت ابنه
من الرضاع لان المانع في النسب وطي الاب اياها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع و
الثانية لا يجوز ان يتزوج ام اخته من النسب الرضاع وفي الحصر نظر لان ام النافلة زوجة
الابن وجدة الولد ام الزوج ولا يحرمان من الرضاع كمن ارضعت ولد ولدك وكام
اجنبية ارضعت ولدك هذا بحسب جليل النظر والذي هو بحسب دقيقه لان الحرمة
في الصور المذكورة بالمصاهرة دون النسب فلا حاجة الى الاستثنا اصلا وامهات
نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ذكر اولا محرمات
النسب ثم الرضاعة لانها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارضة
لمصلحة الزوج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المراة من آخر سمي به لانه يربيه كما يرب
ولده في غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقته التاء لانه صار اسما لولد المراة
وان لم يربه وقوله في حجوركم كناية عن كونهن في ولايتهم وحمايتهم وقالوا ان ذكره
خرج مخرج العادة لا مخرج الشرط ولهذا اكتفي في موضع الاحلال بنفي الدخول هذا
بحسب جليل النظر والذي هو بحسب دقيقه مؤانسة تقوية العلة وتكميلها والمعنى اذا علم
بانهن نهن وهن في احتضانكم او من شانهن وحقهن الكون فيه قوي والشبهة بينها وبين
اولادكم فصارت احقاء بان تجروها مجراهم وعلى هذا اي على تقدير ان يكون المعنى على

واخواتكم

ما قدرناه من تعميم المراد التي من شانها ان يكون احتضانهم كما هو مقتضى كون الوصف
المذكور لتقوية العلة يكون ذلك الوصف تقييداً للمحرمة والاكتفاء في موضع الاحلال
بنفي الدخول لا يستلزم انتفاؤه ومن نسائكم حال من ربائبكم او صفة او من جملة الصلة
اي اللاتي من نسائكم وهو اولى نظم الكلام والمعنى دخلتم بهن الستر وهو كناية عن الجماع
وعندنا يقوم اللمس مقامه ولا يجوز ان اللاتي وصف لنسائكم وامهات نسائكم لعدم
الحاجة في افادة المعنى المراد الى قوله من نسائكم والكلام البليغ يجب صرفه عن الحشو
والباقي بهن للتعدية والرسول صلى الله عليه وسلم بين امر المرأة وبنتها فقال في رجل تزوج
امرأة وطلقها قبل ان يدخل بها لا باس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان تزوج امها وهذا الدخول
شرط بالاجماع خلاف كون الربائب في حجوركن فانه خرج على الاغلب وليس بشرط عند عامة
العلماء فان لم تكونوا دخلتم بهن اريد استمراراً النفي لا نفي الاستمرار يعني الكون مقلم
في الاعتبار فلا جناح عليكم اي في نكاح الربائب وهذا البيان نعيهم عند من لا يقول بحجة
المفهوم وعند من قال بها فايدته دفع القياس وحلائل ابنائكم زوجاتهم سميت حليلة
لحلها للزوجها او لحلولها معه في محل الذين من اصلابكم بالذات او بالواسطة احترز
به على المتبنى لانهم كانوا يحارمونه كولد الصلب لا عن الولد من الرضاع وان تجمعوا بين الاختين
في التمتع ويلزمه حرمة الجمع بينهما بالنكاح لما قدمنا دون ملك اليمين لانه يجامع حرمة
التمتع ويلزمه حرمة الجمع بينهما بالنكاح كما في الامة المجوسية والاخت رضاعاً ولا
دلالة في قوله او ما ملكت ايمانكم على حل المملوكة على كل حال فلا يعارض هذا القول الدال
على حرمتها في بعض الاحوال يحتاج الى الترجيح الا ما قد سلف استثناء منقطع معناه
لكن ما قد سلف منكم مغفور لقوله ان الله كان غفوراً رحيماً روي هشام عن
محمد بن الحسن انه قال كان اهل الجاهلية يعرفون هذه المحرمات الا اثنين نكاح امرأة
الاب ونكاح الاختين معاً فلذلك قال هناك ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد
سلف وقال هنا ان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف والمحصنات من النساء بفتح
الصاد اي اللاتي احصنهن التزويج وقرئ بكسرها اي اللاتي احصن فروجهن بالتزويج
والاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع في المحرم الا ما ملكت ايمانكم يعني من
اللاتي سبين واخرجن بدون ازواجهن فان الفرقة انما تقع بتباين الدارين لا بالسبي
ولا تجب العدة وتحل للغانم بملك اليمين بعد الاستبراء ولا مساغ لاخذ على عمومه فانها
اذا كانت مجوسية او محرمة بسبب الرضاع والمصاهرة لسبب اخر او وهي
ذات زوج لا تحل لمالكها فلا يكون لابي حنيفة رحمه الله في قوله لو سبي الزوجان معاً
لا يرتفع النكاح ولا تحل للسابي كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي كتب الله ذلك

عليكم

عليكم كتاباً وهو تحريم ما حرم واحل لكم عطف على كتب المقدر الناصب يدل عليه قراءة
كتب الله عليكم واحل لكم وقرئ كتاب الله بالجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم ومن قرأ
واحل لكم على البناء للمفعول عطف على حرمت ما وراء ذلكم ما سوى المذكور من الاصناف
المحرمة بالنسب والرضاع والمصاهرة او الجمع وما ثبت حرمتها بالسنة ليست بخارجة
منها الكاف والميم في ذلك خطاب للرجال واذا الاشارة الى المذكور قبله من المحرمات ولو اشار
اليها لقال وراء تلكم ان تبتغوا باموالكم مفعول له اي لان تبتغوا باموالكم من النساء
ويجوز ان يكون بدلا من وراء ذلكم على الاشتمال والا فصح ان يقدر المفعول اي ليصدر
منكم الابتغاء باموالكم ولمراعوا جها من مهر النساء واثمان الاماء محصنين حال عن فاعلين
صفته او حال اخرى والسفاح الزنا من السفح وهو صب الماء باطلا ومنه السفاح وهو المسرف
في القتل وفي الزنا تضييع الماء لعدم ثبوت النسب به والمعنى بين لكم ما يحل مما يحرم لكيلا
تضيعوا اموالكم في ما لا يحل لكم فتخسروا في دنياكم ودينكم ولا تحموا ابين الخسرانين وفي الاية
دلالة على انه لا نكاح الا بمهر من جنس المال فما استمتعتم به منهن من جماع ودواعيه
والخلوة الصحيحة اقيمت مقامه ولفظة ما يدل على ان يسير التمتع يوجب ايتاء الاجر
فاتوهن اجورهن مهورهن والاجر بدل من منافع العين في الاجارة وبدل منافع البضع
في النكاح فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او مصدر موضع موضع ايتاء لان
الايتاء مفروض او مصدر مؤكد اي فرض ذلك فريضة مفروضة فيما تراضيتم به
ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة من حط شيء منها او هبتها كلها منه او
زيادة عليها او فيما تراضيا به من نفقة او مقام او فراق وقيل نزلت في المتعة
التي كانت ثلاثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخت وهي غير النكاح الموقت على ما بين في
محله ان الله كان عليماً بالمصالح حكيماً في ما شرع من الاحكام ومن لم
يستطع منكم طولاً غنى واصله الفضل والزيادة ان ينكح المحصنات المؤمنات
ان ينكح الحرائر لقوله فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم يعني الاماء المؤمنات قال
الشافعي لا يجوز نكاح الامة الكتابية بناء على مفهوم الوصف ولا نكاح الامة المسلمة عند
القدرة على مهر الحرة ونفقتها بناء على مفهوم الشرط كلا المفهومين ليسا بحجة عندنا
على ان اللازم على تقدير صحة المفهوم اباحة نكاحها ويجوز ان يكون ذلك للكراهة
لعدم صحته والله اعلم بايمانكم تانيس بنكاح الاماء وازالة الاستنكاف اي اعلم بتفاضل
ما بينكم وبين اتقاكم في الايمان فربما كان ايمان الامة ارجح من ايمان الحرة وايمان المرأة
ارجح من ايمان الرجل ولا ينبغي للمؤمن ان يطلب الفضل والرجحان الا باعتبار الايمان
والاسلام الا بالاحساب والانساب بعضكم من بعض تاكيد لذلك المعنى اي انتم

وارقا وكرمتوا صلون ومتناسبون نسبكم من ادم عليه السلام ودين الاسلام فانكحوهن
باذن اهلهن اي موالیهن باعتبار اذنهم دون مباشرتهم ظاهره في العقاد والنكاح
بعبارتهن اذ لو كانت مباشرتهم او مباشرة وكيلهم شرط لكان المهم ذكرها لا ذكر الاذن
لا يغني عن ذكرها وذكرها يغني عن ذكره واتوهن اجورهن واتوا اليهن
مهورهن لحفف لانهن وما في ايديهن ملك الموالي فكان الاداء اليهن اداء الى الموالي وقال
مالك ليس للسيد ان ياخذ مهر امته ويدعها بلا جهاز بالمعروف بغير مطل وضرار
ونقصان محصنات عفايف غير مسافحات غير مجاهرات بالسفاح وهو بالاجر
لكل من رغب فيهما والمخادنة في صديق لها على الخصوص وكان الاول يقع اعلانا والثاني
سرا فاذا احصن بالتزويج فان اتين بفاحشة بزنا فعليهن نصف ما على المحصنات
يعني الحراير من العذاب اي ما على الحراير من الحد وهو الجلد لان الرجم لا يتنصف والعذاب
المعهود ههنا هو الحد قال الله تعالى وليشهد عذابهما طايفة من المؤمنين وقوله فاذا احصن
ليس بنفي الحد عنهما اذا تنكح بل لبيان انها بالنكاح لا يزداد حدها ذلك اشارة الى نكاح
الاما لمن خشي العنت منكم خاف الاثم الذي قد يقع فيه من غلبة الشهوة العنت في الاصل
انكسار العظم مستعار لكل مشقة فادحة لاشتراكهما في الضرر والالم ولا ضرر اعظم
من مشقة الماثم بالحش القبايح وقيل المراد الحد اخذ الشافعي بظاهر الاية وقال لا يجوز
نكاح الامة الا بثلاث شرايط اثنان في الناكح عدم طول الحرة وخشية العنت
والثالث في المنكوحة وهي ان تكون مومنة وهذا لا يثبت عندنا لا اخبارا ولا للاشتراط
وان تصبروا اي صبركم عن نكاح الامة خير لكم لان فيه ارقاق الولد وقال عليه
الصلاة والسلام الحراير صلاح البيوت والاما هلاك البيوت والله غفور للزنا
باقامة الحد اذا اجتنب ذلك رحيم اذ جعل العذاب عليه الحد في الدنيا لا العقوبة
في الاخرة يريد الله ليبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالح دينكم اصله يريد الله
ان يبين لكم فزيدت اللام لتاكيد ارادة التبيين كما زيدت في لا ابا لك لتاكيد اضافة
الاب لا لتاكيد اضافة الاب لا لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة فانه لا ينبغي
ان يخطر ببالنا في مثل هذا المقام ويهديكم سنن الذين من قبلكم مناهج من تقدمكم
من اهل الرشد لتسلكوا طريقهم ويتوب عليكم ويقبل توبتكم اذا رجعتم اليه
بسلوك مناهجهم والله عليم فيما يشرع لهم والله يريد تقديم اسم الله
على الفعل للاختصاص مع تقوي الاسناد اي والله خاصة يريد ارادة تامة ان
يتوب عليكم بسلوك طريق الحق التي هداكم اليها ويريد الذين يتبعون الشهوات
يعني الفجرة اتباع الشهوة في كل حال مذموم لان ذلك ايثارها من حيث ما دعت

٣
ولا متخذات الاخدان
اخلاء في السر كان
زناهن في الجاهلية
من وجهين
بالسفاح
صح

الشهوة

الشهوة اليه اذا كان الاتباع من حيث العقل والشرع فلذلك هو اتباع لهما لا للشهوة
وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت
ان تميلوا الى الباطل عن القصد والحق بموافقتهم على اتباع الشهوات ميلا
التنكير للتكثير عظيما توصيفه بالعظم للمبالغة فانه فوق الكبر وهو المناسب
لمقام التنفير والتحذير ولقوة ارادته تعالى وضعف ارادتهم واستلزامها للمراد وتخلف
مرادهم عن ارادتهم قدمه على الفعل واخرهم عنه يريد الله ان يخفف عنكم باحلال نكاح
الاما وساير الرخص وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق
التكاليف يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بالوجه الغير المشروع
كالشركة والمضاربة الفاسدتين والربو والقمار واما السرقة والغصب ونحوهما فلا
يناسبهما قوله بينكم الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثنا منقطع ولكن كون تجارة
اي تجارة صادرة عن تراض المتعاقدين وخص التجارة بالذكر لان اكثر اسباب الرزق
يتعلق بها وقري تجارة بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم اي الا ان تكون التجارة
او الجهة تجارة ولا تقتلوا انفسكم من كان من جنسكم من المؤمنين كانهم كنفس واحدة
او لا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله بعض الجهلة او بالقاء النفس الى التهلكة ويويده
ما روي عن عمرو بن العاص تاوله في التيمم نحو البرد ولم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم
او بارتكاب ما يودي الى قتلها جمع التوصية بين حفظ النفس والمال الذي هو شقيقها
من حيث سبب قوامها استبقاء لهم لتستكمل النفوس وتستوفي فضايلها رافة بهم
ورحمة كما اشار اليه بقوله ان الله كان بكم رحيما ما نهى عما يضركم الا لرحمته
عليكم وقيل معناه ان الله كان بكم يا امة محمد رحيما لما امر بني اسرايل بقتل انفسهم ونهاكم
عنه ومن يفعل ذلك اشارة الى قتل النفس اي مقدم على قتل النفس عدوانا وظلما
الا اقتصاصا وعدلا والمراد من العدوان التعدي على الغير ومن الظلم الاتيان بما لا يستحق
فسوف نصليه نارا ندخله اياها وقري بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه
نصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء على ان الضمير لله تعالى او لذلك من حيث انه سبب
الصلي وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف عنه ان تجتنبوا كباير
ما تنهون عنه الاجتناب التباعد والكباير جمع كبيرة وهي الفعلة العظيمة الاثم
وقد اضافها الى جميع المنهيات وقري كبير على ارادة الجنس نكفر نستر عنكم سيا[تكم]
من الصغاير اضافة السيات الى المخاطبين لان المراد الذنوب التي فعلوها ولم يضف
الكباير اليهم لان المراد منها ما جتنبوا عنها وفي عبارة الاجتناب اشارة الى ان تلك الكباير
مما يتعرض الناس في طريق معاشه ومعاملته والاحتراز عنها لا يخلو عن مشقة وكلفة

فتلك الكفارة جزاء ولو قيل لم تفعلوا لفاتت تلك الفايدة والكبيرة والصغيرة وضعت
كل واحد منهما بالقياس الى صاحبتها فكلما كانت المخالفة فيها اكثر والنهي عنها اغلظ كان اكبر
بالعكس والتنكير مبالغة في سترها بجعلها كان لم تكن حيث لا عقاب عليها وعن امير المؤمنين
علي رضي الله عنه والكباير سبع الاشراك بالله والقتل والقذف والزنو واكل مال اليتيم
والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة وزاد ابن عمر رضي الله عنه السحر واستحلال
البيت الحرام وعن ابن عباس رضي الله عنه ان رجلا قال له الكباير سبع فقال هي
الى سبعماية اقرب لانه لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وفيه ما فيه
وقيل اراد به ههنا انواع الشرك لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء وفيه نظر وكان هذا القايل غافل عن الفرق بين ما دون
ذلك وبين غير ذلك لمن يتنبه لوجه العدول عن الثاني مع انه اخصر واظهر الى المراد
وندخلكم مدخلا كريما بضم الميم وهو مكان الدخول او مصدر منصوب بفعل
محذوف تقديره فيدخلون مدخلا حذف لدلالة الفعل المطاوع عليه ولا تتمنوا
ما فضل الله به بعضكم على بعض نهوا عن تمني ما فضل الله به بعض الناس على بعض
من الجاه والمال والعلم مع قطع النظر عن كونه ذريعة الى التحاسد والتعادي لان ذلك
تفضيل قسمة من الله تعالى على ما اقتضته حكمته فليرض كل واحد بما قسم له علما بانه هو
الذي فيه صلاحه ولا يذهب عليك ان موجب هذا يكون التمني المذكور منهيا سواء
كان مقارنا للطلب او لم يكن فمن وفق للتعليل المذكور ثم قال انه يشتهي حصول الشي
له من غير طلب وهو مذموم لان تمني ما لم يقدر له معارضة لحكم القدر وتمني ما قدر
له بكسب بطالة وتضييع حظ وتمني ما قدر له بغير كسب ضايع محال لم يكن على بصيرة
ثم ان قوله معارضة لحكم القدر بناه الغفول عما بين في موضعه من انه لا حكم للقدر
والا يلزم الجبر ويبطل التكليف ثم ان الشق الاخير في موضع المنع اذ يحتمل ان يكون ما قدر
له بغير كسب مشروطا بالتمني فلا يلزم المحذور المذكور للرجال نصيب مما اكتسبوا
وللنساء نصيب مما اكتسبن بيان لذلك اي لكل من الرجال والنساء نصيب مقدر على
ما تقتضيه الحكمة فلا ينبغي للمفضول ان يتمنى نصيب الفاضل وليسب الكسب اليهم وجعل
النصيب منه لانه جعل سعيه سببا لوصول لوصوله ما قدر له اليه واسألوا الله من
من فضله اي لا تتمنوا انصباء غيركم من الفضل فانه طلب للمحال ولكن سلوا الله من
خزاين جوده التي لا تنفد ان الله كان بكل شيء عليما فهو يعلم ما يستحقه كل انسان
تفضل عن علم وتبيان روي ان ام سلمة قالت ومعها ليت الله كتب علينا الجهاد
كما كتب على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم فنزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك

الوالدان

الوالدان والاقربون مما ترك صفة لكل مبينة له اي لكل شي مما ترك الوالدان
جعلنا وارثا يلونه ويحوزونه ولكل مفعول جعل او صفة لمحذوف على جعلنا موالي
صفة لكل اي ولكل قوم جعلنا موالي نصيبا مما ترك الوالدان والراجع محذوف
وهو نصيب ولا يجوز ان يكون المعنى ولكل ميت جعلنا وارثا مما ترك اذ لا يلزم
ان يكون لكل ميت وارثا فضلا ان يكون وارثا من الوالدين والاقربين والذين
عاقدت ايمانكم موالي الموالاة لان الحليف يورث السدس من مال الحليف فنسخ بقوله
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعند ابي حنيفة رحمه الله اذا تعاقدا على ان لا يتعاقلا
ويتوارثا صح وورث بحق موالاة خلافا للشافعي وحمله على الازواج على ان العقد
عقد النكاح يأباه قوله ايمانكم وهو مبتدا ضمن معنى الشرط وخبره فاتوهم نصيبهم
او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا اضربه او معطوف على الوالدان فقوله
فاتوهم جملة مبينة عما تقدم والضمير للموالي وقري عقدت بمعنى عاقدت عهودهم ايمانكم فحذف
العهود واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف في القراة الاولى
ان الله كان على كل شي شهيدا تهديد لمن خالف الامر الرجال قوامون على النسا
يقومون عليهن آمرين ناهين كالولاة وعلل ذلك بامرين موهبي وكسبي فقال
بما فضل الله بعضهم على بعض بسبب تفضيل الرجال على النسا والتعبير عنه على وجه
الابهام للايهام بان هذا التفضيل من جملة التفضيلات الواقعة في القسمة الازلية
على مقتضى الحكمة المذكورة فيما تقدم بقوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض
وفيه دليل على ان الرجال انما يستحقون الولاية عليهن بالفضل لا بالتغليب والقهر
وهو كمال العقل وحسن التدبير وقوة العزم والحزم ومزيد القدرة على الطاعات
وساير الاعمال ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعاير ووجوب
الجمعة والجهاد ونحوها وبما انفقوا وبسبب ما اخرجوا في نكاحهن من اموالهم
في مهورهن ونفقاتهن روي ان سعد بن ربيع نشزت عليه امراته فاطمة فانطلق
بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا
والذي اراد الله خير ثم بين ان النسا نوعان فقال في قوله فالصالحات لتفصيل
المجمل المفهوم مما تقدم قانتات اي النسا الموصوفات بالصلاح من المطيعات
لله تعالى القايمات بحقوق الازواج حافظات للغيب اي لغيبة الازواج ما يجب
عليهن حفظه من الفروج والاولاد والبيوت والاموال وقيل لما غاب عن الحس
من اسرارهم والوجه هو الاول لما روي عليه الصلاة والسلام خير النسا امراة ان
نظرت اليها سرتك وان امرتها طاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها

وتلا الآية بما حفظ الله يحفظ الله إياهن لذلك وقيل بالأمر يحفظ الله تعالى بهذا
المعنى بالنوع الأول منهن ومن رام الإصلاح بزيادة قوله والتوفيق لم يتدبر الذي
أراده وجه مستقل ومعنى تام وقرئ بما حفظ الله بالنصب على أن ما موصوله أي
بالأمر الذي يحفظ حق الله وأمانة الله وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال
واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن من مطاوعة الأزواج من النشز فعظوهن
قال الإمام أبو منصور العظة كلام يلين القلوب القاسية ويرغب الطبائع النافرة وهو يذكر
العواقب واهجروهن في المضاجع إذا لم ينفع الوعظ وظهر النشوز فاهجروهن
بالهجر وهو القطع والمضاجع جمع مضجع وهو موضع وضع الجنب للنوم ولم يرد به تبعيدها
عن مضجعه ولذلك لم يقل عن المضاجع بل أراد أن يوليها ظهره وهما في مضجع واحد
إعلاما بالعتب والموجدة واضربوهن أي إذا لم يقع الكفاية بالهجران فاضربوهن بالضرب
لاضرارهن على النشوز وهو ضرب لا جارح ولا خادش ولا شائن وما ذكر من الترتيب مع
مع النظم بالواو مستفاد من قرينة المقام وسوق الكلام للفرق في إصلاحهن وإدخالهن
تحت الطاعة فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا فلا تتعرضوا لهن بالأذى والتوبيخ
واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن بعد الرجوع إلى الطاعة وترك النشوز إن الله كان عليا
كبيرا يعني إنكم تعصونه تعالى مع علو شأنه وكبرياء سلطانه ولا يؤاخذكم بأول الحال ويدعو
إلى التوبة ويقبل إذا تاب ولا يؤاخذها فقد كان والعبد أحق بذلك وفي ذكر علوه تعالى
وكبريائه تحذير للعبد ومنع عن مجاوزة الحد فيما يقيمه عليها على وجه التأديب وإن
خفتم لولاة الأمر شقاق بينهما خلاف بين المرأة وزوجها أضمرهما قبل الذكر لذكر ما
يدل عليهما على وجه التأديب وإن خفتم لولاة الأمر شقاق بينهما خلاف بين المرأة
وزوجها أضمرهما قبل الذكر لما يدل عليهما وأصل الشقاق أن يصير أحدهما في شق والآخر
في شق من المخالفة والمباعدة وإضافته إلى الظرف إما لإجرائه مجرى المفعول كقوله يا سارق
الليلة أو الفاعل كقولهم نهاره صائم فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها متى
اشتبه عليكم حالهما ليتبين الأمر وإصلاح ذات البين رجلا عدلا مرضيا به يصلح للحكومة
والإصلاح من أهله وآخر من أهلها لأن الأقارب من الطرفين أعرف ببواطن الأحوال وأطلب
للصلاح ويسكن إليهم نفوس الزوجين ولا يحتشمان من إبراز ما في ضمائرهما من الحب والبغض
وإرادة الصحبة والفرقة وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الأجانب جاز وقيل الخطاب
للأزواج والزوجات ولا يساعده نظم الكلام كما لا يخفى على ذوي الأفهام واختلف في
أنهما يليان الجمع والتفريق بينهما بحسب ما رأيا أولا إلا بإذن الزوجين والأصح أن ذلك
إليهما وما جعلا حكمين إلا وإليهما بناء الأمر على ما يقتضيه اجتهادهما وبه استدل على جواز التحكيم

ان

إن يريدا أي الحكمان إصلاحا لذات البين يوفق الله بينهما أي أوقع الله بحسن
سعيهما الموافقة بين الزوجين إنما ذكر إرادة الإصلاح والتوفيق بينهما وأهمل ذكر التفريق
مع كون الحكمين منصوبين لما يأتي من الأمرين جميعا حثا لهما وبعثا للزوجين على الوفاق والجمعية
والألفة وردع لهما عن الخلاف والتقاطع والفرقة وترجيحا للأول على الثاني وقيل إن الضمير
أن كلاهما للحكمين أي قصدا الإصلاح يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما
وقيل للزوجين أي إن أريد الإصلاح وزوال الشقاق أوقع الله بينهما الألفة والوفاق
وفيه تنبيه على أن من أصلح أصلح الله مبتغاه واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا من الإشراك
في العبادة أو شيئا من الإشراك جليا أو خفيا وبالوالدين إحسانا أي وأحسنوا بهما
إحسانا وبذي القربى بكل من بينكم وبينه قرابة عطف بتكرير الجار ليفيد أن الإحسان
ذي القربى بالأصالة لا بالتبعية واليتامى والمساكين والجار ذي القربى الذي قرب
جواره للسلم أنصا ذي القربى نصبا على الاختصاص تعظيما لحق الجوار والجار الجنب
الذي بعد جواره ولا قرابة له قال عليه الصلاة والسلام الجيران ثلاثة جار له حق واحد
وهو حق الجوار وهو الجار المشرك وجار له حقان حق الجوار وحق الإسلام وهو الجار المسلم
وجار له ثلاث حقوق حق الجوار وحق الإسلام وحق القرابة وهو الجار المسلم القريب
والصاحب بالجنب هو الذي صحبك بأن حصل بجنبك إما رفيقا في سفر أو شريكا في تعلم
علم أو حرفة وابن السبيل المسافر والضيف في حكمه وما ملكت أيمانكم من الرقيق
إن الله لا يحب من كان مختالا متباها متكبرا عن إكرام أقاربه وجيرانه وأصحابه
ومماليكه فلا يلتفت إليهم وقد سبق أن عدم المحبة عبارة عن البغض فخورا يتفاخر
عليهم الذين يبخلون بما يجب أداؤه ويأمرون الناس أمر إرشاد بالبخل ويكتمون
ما آتاهم الله من فضله الغنى والعلم بدل من قوله من كان أو صفة لمن قال بحما الاحملا
على لفظ من قال الذين محملا على المعنى من قال الذم أو رفع عليه أي هم الذين أو خبر مبتدأ
أو خبر محذوف كأنه قيل الذين يبخلون ويأمرون ويكتمون أحقاء بالمقت والتعذيب
وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا يهانون به في الآخرة غاية الإهانة وهذا يستفاد من جعل
الوصف أمر ظاهرا للزوم للموصوف بحيث لا فائدة في ذكره إن لم يحمل على المبالغة والمعنى
أعتدنا لهم وهم الذين قال الله تعالى وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا
للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه والعدول عن الضمير إلى المظهر للإشعار
بأن أمرهم الناس بالبخل وإخفاءهم ما أنعم الله تعالى عليهم من المال وسعة الحال
الكفر وفيه تنبيه على أن الكفران لنعمة الله تعالى من واد الكفر قال طاوس البخل هو أن
يبخل الإنسان بما في يده والشح أن يشح بما في أيدي الناس فهم جامعون بين البخل والشح والذين ينفقون أموالهم

رئاء الناس ليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا ابتغاء وجه الله تعالى عطف على الذين يبخلون
واما شاركهم في الذم والوعيد لان البخل والسرف هو الانفاق على ما لا ينبغي من حيث انهما طرفا
افراط وتفريط سواء في القبح واستجلاب الذم او مبتدا خبره محذوف مدلول عليه بقوله
ومن يكن الشيطان ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه
ونفقة من لا يؤمن لا يكون لرضى الله بل يكون لتزيين الشيطان ولذلك ختم الاية بقوله
ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا حيث حملهم على البخل والرياء وكل رذيلة او حين يقرب
بهم في النار فيكون وعيدا وفي ساء ضمير مبهم قرينا تفسيره وبيانه والمخصوص بالذم محذوف
اي الشيطان وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله اي تبعة
ووبال عليهم في الايمان والانفاق في سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ على الجهل بمكان المنفعة
والاعتقاد في الشيء على خلاف ما عليه وايهام انهم في الاعتبار بالرذايل والاتصاف بالكفر
والقبايح كانهم في الاعتبار يعتقدون انهم مثابون على ذلك ومعاقبون على اضدادها من
الفضايل والايمان والمحاسن وتحريض على الكفر لطلب الجواب لعله تؤدي بهم الى العلم
بما فيه من الفوايد الجليلة والفرايد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه
ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن المنافع ولما قصد في الاية الاولى الذم
بالانفاق رياء لكونهم مؤمنين قدم ذكره وجعل قوله لا يؤمنون في موضع الحال تنبيها
على ان ذلك منهم غير مؤمنين ولما ذمهم في هذه الاية على ما يجب ان يتخذوه ابتداء بذكر
الايمان تنبيها على ان انفاقهم غير معتد به الا بعد الايمان وكان الله بهم عليما
اي انشاهم على علمه بانهم لا يؤمنون ليعلم الخلايق ان مخالفتهم اياه لا تضره ان
الله لا يظلم مثقال ذرة لا ينقص من الثواب الموعود ولا يزيد في العقاب المعهود
واصغر شيء كالمدرة وهي النملة الصغيرة ويدل عليه قراءة نملة والمثقال مفعال
من الثقل وفيه تنبيه على ان الاعمال صورة مثالية لها ثقل وخفة وايماء الى الميزان
وان تك مثقال ذرة حسنة وتانيث الضمير لتانيث الخبر او لاضافته المثقال
الى الذرة وحذف النون من غير قياس تشبيها بحرف العلة وقرئ حسنة بالرفع على كان
التامة يضاعفها يضاعف ثوابها وقرئ يضعفها والمعنى واحد ويؤت
اي صاحبها من لدنه من عنده اجرا عظيما تفضلا وفيه تنبيه على انه اطلاق
الاجر عليه بحسب الوعد لا ينافي كونه تفضلا في الحقيقة اجرا عظيما ما وصفه الله تعالى
بالعظم لمن يعرف مقداره مع انه سمى الدنيا وما فيها هذا الفضل عظيما فكيف
حال هؤلاء الكفرة من اهل الكتاب وغيرهم اذا جئنا من كل امة من الامم السالفة
بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم واذا اشارة الى وقت المجيء للرسل للشهادة والعامل

في الظرف

في الظرف مضمون المبتدا والخبر من هول الامر وتعظيم الشان وجئنا بك يا محمد على
هؤلاء اي هذه الامة شهيدا لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول اي خالفوا امره ونهيه
لو تسوى بهم الارض بيان لحالهم حينئذ اي يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان
الرسول في ذلك الوقت ويتمنون ان تسوى بهم الارض بان يكونوا من جملة الارض ترابا
قال تعالى ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وهذا لان الارض انما تستوي بشيء منها ولا
يكتمون الله حديثا عطف على يود اي يودون ذلك ولا يقدرون كتمانه لان جوارحهم
تشهد عليهم بذلك وقيل الواو للحال اي يودون ان تسوى بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون
من الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي بانهم اذا قالوا
ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فتشهد الامم عليهم فيتمنون ان تسوى بهم
الارض يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم اي لا تدخلوا الى مواضع الصلاة وهي
المساجد حالة السكر لعطف قوله ولا جنبا عليه وهي نهي الجنب عن قربان المساجد لان
الاستثناء بقوله الا عابري سبيل في حق المساجد دون الصلاة ولا يجوز ان يكون معناه
الا في السفر لان السفر ليس برخصة فيه والمصير الى ان المعنى اذا لم يجد الماء وتيمم
ارتكاب لتعسف ظاهر ثم انه على تقدير اعتبار الشرط المذكور لا يبقى فرق بين المسافر
والمقيم والنهي عن قربان المساجد حال السكر نهي عن الصلاة في تلك الحال على ابلغ وجه
بطريق الدلالة لان حرمة موضعها بحرمتها فما ذكر ينطبق على سبب النزول دلالة وان لم
ينطق عليه عبارة وهو ما روي ان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه صنع مادبة
ودعا نفرا من الصحابة رضي الله عنهم حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى
ثملوا وجاء وقت الصلاة المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرا اعبد ما تعبدون
فنزلت ثم ان النهي ليس عن الصلاة لانها عبادة لا ينهى عنها بل هو نهي عن الافراط في الشرب
في وقت يلزمه اداء الصلاة حالة السكر وقرئ سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع كهلكى
او مفرد وانتم قوم سكرى وسكرى كحبلى على انه صفة الجماعة والسكر من السكر وهو السد
حتى تعلموا ما تقولون بين ان السكر المانع هو ان يصير بحال لا يعلم ما يقول ولا جنبا
عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة مع الواو في موضع النصب على الحال والجنب
الذي اصابته الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه يجري مجرى
المصدر الا عابري سبيل متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال اي
لا تقربوا المسجد في عامة الاحوال الا في حال العبور او صفة لقوله جنبا اي جنبا
غير عابري سبيل فنزل في قوله ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم في المسجد فكانت

سكارى

نصيبهم جنابة ولا ماء عندهم فيريدون الماء ولا يجدون ممرا الا في المسجد فانزل الله ولا جنبا
الا عابري سبيل واضافة العابر الى السبيل لتخصيص الرخصة بحالة الضرورة بان لا يكون
له سبيل الا في المسجد ولهذا قال ابو حنيفة رحمه الله لا يجوز له المرور في المسجد الا اذا
كان فيه الماء والطريق حتى تغتسلوا غاية للنهي عن القربان حالة الجنابة والتيمم
بدل عنه فذكر الاغتسال يغني عن ذكره وان كنتم مرضى مرضا يمنعه عن استعمال الماء
حقيقة كما اذا لم يكن عنده ماء ولا يقدر على الحركة وليس عنده من ياتي به او حكما كما كان
مرضه يشتد باستعمال الماء او يمتد او على سفر اي مسافرين اراد به البعد من
العمران ومواضع الماء ولم يرد به كمال مدة السفر ولا مسافرا لا يجد الماء ولما ثبت ان الحكم
لم يتعلق بعين المرض والسفر بل بالعجز فيهما ونحو العجز من استعمال الماء وانما علق بهما
ظاهرا لان العجز يقع فيهما غالبا ثبت ان الحكم كذلك في كل موضع تحقق العجز وظهر
به صحة قول ابي حنيفة في اجازة التيمم للجنابة في المصر اذا عدم الماء الحار وخاف ان يهلكه
الاغتسال بالماء البارد او جاء احد منكم من الغائط الغائط المكان المطمئن من الارض
وكانوا ياتونه لقضاء الحاجة قبل اتخاذ الكنيف في البيوت والمجي منه كناية عن الحدث
ولما كان الاجتماع في السفر مندوبا بخلاف التغوط فان المندوب فيه الانفراد غير
الاسلوب ولم يقل او جئتم من الغائط واما قوله او لامستم النساء فعلى طريقة
مقابلة الجمع بالجمع ففيه ايضا روعي ما هو المندوب وقرئ لمستم اي جامعتم ما جنبتم
قال ابن عباس رضي الله عنهما الملامسة واللمس والمباشرة والافضاء كنايات عن الجماع
فلم تجدوا ماء حقيقة او حكما كما اذا لم يكن مقدورا للاستعمال لمانع او يكون في استعماله
نوع حرج كضرر بدن او مال لبقي هاهنا اشكال وهو ان الجمع بين الاسباب المذكورة في
الشرط المرتب عليه الجزاء واحدا وهو الامر بالتيمم عند فقد الماء مع ان سببية الاولين
انما هي للترخص والثالث لوجوب الوضوء والرابع لوجوب الغسل وليس الامر بالتيمم
معنى واحدا يعم الكل ووجه حله هو ان القصد في الترخص في التيمم بالتراب لكل من
وجب عليه التطهر ولم يجد الماء فقيد عدم الوجدان راجع الى الكل وقيد وجوب
التطهر المكنى عنه بالمجي من الغائط والملامسة الذين هم من اغلب اسباب وجوب التطهير
معتبر في الكل حتى المرضى والمسافرين وذكرهما تخصيص قبل التعميم بناء على ان زيادة
استحقاقهما للترخيص بغلبة المرض والسفر على سائر اسباب الرخصة فكانه قيل ان جاء
احد منكم من الغائط او لامستم النساء ولم تجدوا ماء بخصوصهما المرضى والمسافرين فتيمموا
ووجه سببية مضمون الشرط لمضمون الجزاء ظاهر فتيمموا صعيدا طيبا التيمم
القصد والصعيد وجه الارض والطيب الطاهر فيجوز التيمم بكل ما كان من اجزاء

الارض عند ابي حنيفة رحمه الله لزمه بالكف ولم يلزق عملا باطلاق النص وعند محمد كذلك
لكن اذا الزق بالكف لقوله في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي من بعضه وعند
ابي يوسف الصعيد هو التراب والرمل وعند الشافعي هو التراب لا غير والطيب المنبت
من الارض عنده واللائق بموضع الطهارة انما هو المعنى الاول وشرط من التبعيضية
وهو صحة وضع بعض موضعها منتف هاهنا اذ لو قيل فامسحوا وجوهكم وايديكم بعضه
افاد ان المطلوب جعل الصعيد ممسوحا والعضو ماسا به وهو فاسد بالاتفاق
فامسحوا بوجوهكم وايديكم اي الى المرافق لانه بدل عن الوضوء فيتقدر بتقدير الاصل
ولانه عليه الصلاة والسلام تيمم ومسح يديه الى مرفقيه ومسح البا ار اليه
تقول مسحت براسه ومسحت راسه بمعنى ان الله كان عفوا غفورا اشارة الى وجه
الترخيص والتيسير لان من كان عادته العفو عن الخاطئين والغفران عن المذنبين
فلان يكون ميسرا غير معسر اولى الم تر الى الذين اوتوا كلمة تعجب عن امر
قد بلغ المخاطب بتخريج مخرج التذكير او لم يبلغه بتخريج التعليم من رؤية البصر
اي الم تنظر اليهم او القلب وتعديته بالى لتضمن معنى الانتهاء نصيبا حظا وتنكيره
يحتمل التعظيم والتحقير من الكتاب اي التوراة او جنس الكتب السماوية ومن
للتبعيض او للبيان يشترون الضلالة يستبدلون اليهودية التي هم عليها بالهدى
الذي هو دين الاسلام لتمكنهم منه بعد ما تبين لهم من علم الكتاب انه الحق ويريدون
ان تضلوا ايها المؤمنون السبيل سبيل الحق ويتحيروا في سلككم والله اعلم
منكم باعدائكم اخبرهم بعداوتهم وما يريدون بهم تحذيرا اياهم وكفى بالله وليا
يلي امركم وكفى بالله نصيرا ينصركم عليهم فثقوا عليه واكتفوا به من غيره والباء
تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي من الذين هادوا
بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب لانه يتناول من الكتاب لليهود والنصارى والجمل
الثلاث توسطت بينه وبين المبين على سبيل الاعتراض الاولى للتصريح بما لوح اليه
لان المخالفة في الدين سبب للعداوة والاخريان لتشجيعهم وتقوية قلوبهم وعدم
المبالاة باعدائهم وبذلك كرر وكفى بالله لتقرير معنى كفاية الله تعالى عنهم في نفوسهم
وان ولاية الله تعالى بالانفراد كافية لهم كما ان نصرة الله وحدها كافية او بيان
لاعدائهم وما بينهما اعتراض ويجوز ان يكون صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا
كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا او كلاما مبتدا على ان يحرفون صفة
مبتدا محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اي يميلونه عن
مواضعه التي وضعه الله فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها او يؤولونه على

ما يشتهون فيميلونه عما انزل الله فيه والكلم والكلمة كالتمر والتمرة على انه اسم جنس فرق
بينه وبين واحده بالتاء لا على انه اسم جنس فرق بينه وبين واحده بالتاء لا على انه جمع
ولهذا ذكر ضميره واما جمع المواضع فلتكرره في التوراة في مواضع بحسب الجنس وقرئ الكلم
بكسر الكاف وسكون اللام على انه جمع كلمة تخفيف كلمة وتذكير الضمير على هذه القراءة لان
جنس الكلمة ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع اي
مدعوا عليك بلا سمعت بصمم او موت واسمع غير مجاب الى ما تدعوا اليه واسمع غير مسمع
كلاما ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به وانما
ما قيل واسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه فيما باه السياق
وكونه على قصد النفاق لا يحتمله السياق لانهم بقولهم عصينا اظهروا الخلاف والشقاق
وراعنا انظرنا نكلمك ونفهم كلامك ليا بالسنتهم فتلا بها وصرفا للكلام الى ما
يشبه السب حيث وضعوا راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها
وطعنا في الدين كانوا يقولون له عليه الصلاة والسلام السام عليك فيخرجون
ويقولون لولا يعذبنا الله بما نقول اي لو كان هو على الدين الحق فلما لا يعذبنا الله
لهذا ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا انهم قالوا فاعل بفعل محذوف
دل عليه معنى الثبوت والتحقق في ان اي لو ثبت انهم قالوا يعني لو ثبت قولهم
هذا مكان ما قالوا والضمير المستكن في لكان يرجع الى هذا القول خيرا لهم
واقوم واعدل ولكن لعنهم الله خذلهم الله وابعدهم الهدى بكفرهم بسبب
كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الكتب
والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم لانه رديفها في الغالب اي لا يؤمنون الا
ايمانا معدوما على طريقة لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اي ان كان ايمان
المعدوم ايمانا فهم يحدثون شيئا من الايمان فهو في المعنى تعليق بالمحال لكون
ما بعد الا مستوفقا لما قبلها في المعنى ولا يجوز ذلك في الاستثناء ولذا لا يجوز ان يكون
المعنى الا قليلا منهم امنوا او سيؤمنوا لعدم صحته نسبته عما تقدم فافهم يا ايها
الذين اوتوا الكتاب خطاب لليهود والنصارى امنوا بما نزلنا وهو القران
مصدقا لما معكم من الكتاب الذي انزل على نبيكم يعني التوراة والانجيل متضمنا
صفة النبي صلى الله عليه وسلم وصحة ما جاء به من قبل ان نطمس وجوها فنردها
على ادبارها من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها هيئة ادبارها يعني الى
الاقفاء او ننكسها الى ورائها في الدنيا او في الاخرة واصل الطمس محو الاثر وازالة الاعلام
وقد يطلق بمعنى الطلس اي ازالة الصورة بمعنى القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من

قبل

قبل ان نغير وجوها فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار او نردها
حيث جاءت منه وهي اذرعات الشام يعني اجلاء بني النضير او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمي
الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن سماع الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة
او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت نخزيهم بالمسخ كما اخزينا به اصحاب السبت او ما للحمل التعاقب
والضمير لاصحاب الوجوه لان المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم او للذين على طريقة
الالتفات او للوجوه ان اريد به الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على ان المراد
به ليس مسخ الصورة في الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال انه مترقب
او كان وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم وقد امن بعضهم وكان امر الله بايقاع شيء
مفعولا كائنا انما المنتظر ابدا او بالنظر الى المقيدين بقيد شي لا ابداعه المجرد
عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به لانه بت الحكم على خلود عذابه ويشاركه في الحكم
المذكور ما في مرتبته وهو سائر وجوه الكفر بان الحكم على خلود عذابها ايضا قد ثبت للوجود
هذا القسم قال ويغفر ما دون ذلك ولم يقل يغفر غيره مع انه اخصر واظهر
دلالة على المراد على تقدير عدم قسم اخر فتدبر والله الهادي الى الرشاد وانما قال لمن
يشاء مع انه معلوم ان المغفرة لا تكون الا بمشيئة الله تعالى للدلالة على انها لا تعم
والاشارة الى ما دون الشرك بخلافه من حيث ان المشيئة لا تتعلق بمغفرته اصلا
ومن يشرك بالله فقد افترى فقد ارتكب مفتريا اي مفتعلا ما لا يصح كونه اثما
عظيما يستحقر دونه الاثام ويجوز ان المعنى فقد افترى امرا عظيما وذلك الامر
لكونه سببا للاثم عبر عنه بالاثم مبالغة كما عبر بالنار عن موجبها في قوله فاتقوا النار
وهذا ابلغ وفيه اشارة الى المعنى المفارقة بينه وبين سائر الذنوب الم تر الى الذين يزكون
انفسهم بقولهم نحن ابناء الله واحباؤه ولن تمسنا النار الا اياما معدودات وانا
نعلم ابناءنا الصغار التوراة فتكفر بذلك ذنوبنا فنصير كانا لا ذنب لنا في ذلك عض
على من يزكي نفسه بزيادة الطاعة والتقوى بل الله يزكي بل اضراب من تزكيتهم
انفسهم وانما قدم الله على الفعل للتخصيص اي لا يزكي احد نفسه ولا غيره فانه غير
معتبر ولا معتد به اذ لا علم لاحد بما ينطوي عليه الانسان من حسن وقبيح بل الله خاصة
يزكي من يشاء من المرتضين من عباده الذين عرف منهم الزكا واصل التزكية نفي ما يستقبح
قولا او فعلا ولا يظلمون فتيلا اي اقل قليل من الظلم والفتيل وهو ما يفتل من الوسخ
عند ذلك الاصبع مثل في القلة اي يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم الموعود
شي انظر كيف يفترون على الله الكذب بقولهم نحن عند الله اذكيا وكفى به بافترائهم
هذا اثما مبينا من جملة اثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب قد سبق تفسيره

الاصل

فى هذه السورة يؤمنون بالجبت والطاغوت الجبت هو اسم صنم ثم اطلق على كل ما عبد
من دون الله والطاغوت الشيطان وكل راس فى الضلال نزلت فى يهود كانوا يقولون
ان عبادة الاصنام ارضى عند الله مما يدعوا اليه محمد ويقولون للذين كفروا لاجلهم
وفيهم هؤلاء اشارة اليهم اهدى من الذين آمنوا حذف المفعول لا اختصارا
بل احتقارا سبيلا ارشد دينا واقوم طريقا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن
الله فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب عنه بالنصرة والخطاب لكل واحد ام لهم نصيب
من الملك ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون له نصيب من الملك والتنكير
فى نصيب للتحقير ونفيه حجة على بالغ وجه لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم
فاذا لا يؤتون الناس نقيرا النقير النقرة فى ظهر النواة ومعناه انه لو كان لهم
نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احدا مقدار نقير لفرط بخلهم وهذا هو الاغراق فى
بيان شحهم فانهم اذا بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنهم به اذا كانوا اذلاء متفاقرين واذن
اذا وقع بعد الواو والفاء لا لتشريك مفرد جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ
لا يؤتون على النصب ثم انتقل من هذه الخصلة الذميمة الى خصلة اشد منها وهى الحسد
فان البخل منع البخيل وصول خير من نفسه الى الغير والحسد تمنى زوال ما اعطى الله تعالى الغير من
الخير فقال ام يحسدون الناس انكار بحسدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين على ما آتاهم الله تعالى من النصرة والغلبة وزيادة العزة والقوة والشوكة
كل يوم واللام فى الناس للجنس كانهم الناس بالحقيقة وما عداهم من اليهود ليس
بالناس على ما آتاهم الله من فضله يعنى النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز
فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما الزام لهم بما عرفوه من
ايتاء الله تعالى الكتاب والنبوة والملك العظيم الى آل ابراهيم الذين هم اسلاف محمد عليهم
الصلاة والسلام وانه ليس ببدع ان يؤتيه الله مثل ما اوتى اسلافه فمنهم
فمن اليهود من آمن به بما ذكر من حديث آل ابراهيم ومنهم من صد عنه
وانكره مع علمه بصحته او فمنهم من آمن برسول الله ومنهم من انكر نبوته ومنهم من
كفر فلا تعجب من تمردهم فان احوال جميع الامم هكذا وذلك تسلية له عليه
الصلاة والسلام وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة يعذبون بها ان لم يعجلوا
بالعقوبة فقد كفاهم الله ما اعد لهم من سعير جهنم ان الذين كفروا باياتنا سوف
نصليهم نارا كالبيان والتقرير لذلك وتنكير نارا للتعظيم قال سيبويه سوف
كلمة تذكر للتهديد والوعيد وقد ترد للوعد ايضا كلما نضجت جلودهم اى
بلغت الى حد لا يبقى اثر من الاحراق بدلناهم جلودا غيرها اى اعدنا تلك الجلود غير

محترقة قال ابن عباس رضى الله عنهما يوم تبدل الارض غير الارض الا ان الارض لكن
بدلت اكامها وجبالها وانهارها واشجارها والجملة فى محل النصب على الحال من الضمير
المنصوب فى نصليهم ليذوقوا العذاب ليتجدد لهم ذوق العذاب ولما كان تأثر
الذائقة اسرع واقوى تأثر اللامسة استعير الذوق لادراك اللامسة مبالغة فى
التأثر من العذاب وقيل يخلق مكانه جلدا آخر والعذاب فى الحقيقة للنفس
العاصية المدركة لا لالة ادراكها فلا محذور ان الله كان عزيزا حكيما العزيز
القادر الغالب والحكيم الذى لا يفعل الا الصواب انما قاله لانه قد يقع فى القلب تعجب
من كون الكريم الرحيم يعذب الشخص الضعيف الى هذا الحد العظيم ابد الآباد فقيل ليس
هذا التعجب لانه القادر على ذلك وكما انه رحيم فهو ايضا حكيم والحكمة تقتضى ذلك
والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات الوعد والوعيد متعاقبان
فى الذكر غالبا وقدم الوعيد هاهنا لان الكلام فى الكفار تجرى من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا قد سبق تفسيره لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا
ظليلا صفة مشتقة من لفظة الظل لتأكيد معناه كما يقال ليل اليل ويوم اليوم
وهذا ما كان مطبقا لا فرجة فيه ودائما لا ينسخ وسجسجا لا حر فيه ولا برد ولما
كانت بلاد العرب فى غاية الحرارة كان الظل عندهم من اعظم اسباب الراحة
ولهذا جعلوه كناية عن الراحة قال عليه الصلاة والسلام السلطان ظل الله
فى الارض فلا يتجه السؤال بان يقال اذا لم يكن فى الجنة شمس تؤذى بحرها فما فائدة
وصفها بالظل الظليل ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها خطاب
يعم المكلفين والامانات وان كانت سبب النزول خاصا وهو اخذ رسول الله صلى
الله عليه وسلم مفتاح الكعبة من سادنها ورده اليهم بعد نزول هذه الاية واذا
حكمتم بين الناس ان تحكموا بان تحكموا بالعدل والعدل يقابل الجور والا يضا
يقابله الظلم ان الله نعما ما فى نعما نكرة موصوفة منصوبة نعم شيئا يعظكم به
او معرفة موصولة مرفوعة اى نعم الذى يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف
اى ذلك يعنى المأمور به من اداء الامانات الى اهلها والحكم بالعدل ان الله كان
سميعا باقوالكم واحكامكم بصيرا بما تعملون فى الامانات يا ايها الذين آمنوا
اطيعوا الله واطيعوا الرسول كرر لفظ اطيعوا تعظيما لامر الرسول صلى الله
عليه وسلم ولهذا اى لما ذكر من ان تكريره للتعظيم ترك اعادته فى قوله تعالى
واولى الامر فرق بين المطاوعين فى التعظيم لما امر الولاة باداء الامانات والحكم
بالعدل امر الناس بان يطيعوهم ويمتثلوا امرهم والمراد بهم امراء المؤمنين

القايمون بالعدل الثابتون على الحق لا امرا الجور وعلى ما ستقف على وجهه وفي قوله
منكم تمهيدا للرخصة في المنازعة المفروضة في قوله فان تنازعتم لما كان الامر
بالطاعة لاولى الامر استشعارا باشتراط العدالة وكونهم على الحق وفيما تقدم من قوله
واذا حكمتم الاية نوع تمهيد لذلك رتب الشرطية المذكورة على ما قبله في شيء من
امور الدين وامور الدنيا فردوه فارجعوا فيه الى الله الى كتابه تعالى والرسول
الى سنته قولية كانت او فعلية او تقريرية وهذا ينتظم حالتي حياته ومماته وان
كنتم تومنون بالله واليوم الاخر فان الايمان بالمبدا والمعاد يوجب ذلك صدر
الامر بطاعة اولي الامر بامرهم بالحكم بالعدل وتبدله بجمعهم مع الله ورسوله في العطف
وتخصيصه بقوله وذيله بالامر بالرجوع الى الكتاب والسنة فيما اشكل واختلف فيه
اعلاما بان طاعة المتغلبة من امرا الجور الذين على خلاف ذلك ليست بواجبة بل
الواجب مخالفتهم وعصيانهم فيما لا يطابق الكتاب والسنة من احكامهم واحتج
بالاية المذكورة منكروا القياس حيث حصر المرجع اليه في الكتاب والسنة ولم يذكر القياس
لكنها حجة عليهم لا لهم لانه تعالى اوجب في كل متنازع فيه الرد اليها ولا يرد في كل حادث
نص ظاهر فنعلم انه امر بالنظر في موداته والعمل بدلولاته ومقتضاياته ذلك
خير واحسن تاويلا عاقبة الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل
من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت عن ابن عباس رضي الله عنهما ان منافقا
خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودي فلم يرض
المنافق وقال نتحاكم الى عمر رضي الله عنه فقال اليهودي لعمر رضي الله عنه قضى لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضايه وخاصم اليك فقال عمر رضي الله عنه
الذلك قال نعم قال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب عنق المنافق
حتى برد وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله وقال جبرايل عليه الصلاة
والسلام ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق والطاغوت على هذا كعب
ابن الاشرف وفي معناه من يحكم بالباطل سمي بذلك لفرط طغيانه والتشبيه للشيطان
من حيث انه الحامل عليه قال وقد امروا ان يكفروا به وقري على ان الطاغوت
جمع كقوله اولياوهم الطاغوت يخرجونهم ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا
قيل ظاهر الاية يدل على انه كان المخاصم منافقا من اهل الكتاب كان يظهر الاسلام
على سبيل النفاق لان قوله تعالى يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك
انما يليق بمثل ذلك المنافق واما صيغة الجمع فلعلها يندرج امثاله فيما ذكر فانهم في صدد
ذلك وان لم يظهر منهم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول لما بين رغبتهم

في التحاكم الى الطاغوت بين هنا رغبتهم في التحاكم الى الرسول عليه الصلاة والسلام وقد سبق
الكلام في تعالوا في سورة آل عمران رايت المنافقين يصدون عنك في موقع الحال
صدودا اي يعرضون عنك اعراضا فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة كقتل
عمر رضي الله عنه او النقمة من الله تعالى بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك وعدم الرضا بحكمك
ثم جاوك عطف على اصابتهم اي بعد ما اصابتهم جاوك للاعتذار وعلى يصدون وما بينهما
اعتراض يحلفون بالله حال ان اردنا الا احسانا وتوفيقا ما اردنا بذلك الا الفصل
بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين وقيل جا اصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا ما
اردنا بالتحاكم الى عمر رضي الله عنه الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه اولئك
الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب
فاعرض عنهم اي عن عقابهم في الدنيا لمصلحة في استبقايهم وعن قبول معذرتهم وعظهم
بلسانك وكفهم عما هم عليه وهذه المخاطبة لا تنافي الاعراض عن المعاتبة وقل في انفسهم
فيما يحل بهم من العذاب اذ لم يرجعوا وما يصل اليهم من الثواب ان رجعوا قولا بليغا يبلغ
منهم ويوثر فيهم امره بالتجافي عن معاتبتهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترهيب والترغيب
كما هو مقتضى شفقة الانبيا عليهم الصلاة والسلام ومتعلق الظرف بليغا على معنى بليغا
في انفسهم موثرا فيها يجوز على اصل الكوفيين خلافا للبصريين وما ارسلنا من رسول الا
ليطاع باذن الله بتيسيره وتوفيقه لطاعته اذ بسبب اذن الله في طاعته اي بامر المبعوث
اليهم ان يطيعوه لانه مبلغ عن الله تعالى كما امر النبي عليه الصلاة والسلام بوعظهم
وابلاغ القول فيهم امرهم بطاعته فيما امروا وتعاطيهم بما وعظ ولا دلالة فيه على ان من
يعظه ولم يرض بحكمه كان كافرا مستوجب القتل فان الكفر لا يستوجب القتل لبنته
كيف والذمي والمستامن كافران لا يوجب قتلهما ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى
الطاغوت جاوك تايبين منه وهو ان واذ متعلق فاستغفروا الله مخلصين
له الدين معتذرين اليك مما ارتكبوه من رد قضايك حتى استغفرت ولما كان تحاكمهم
الى الطاغوت اثاه على الرسول عليه الصلاة والسلام وادخالا للغم في قلبه لزمهم الاعتذار
له عليه الصلاة والسلام وطلب الاستغفار منه وانما قال واستغفر لهم الرسول على طريقه
تعظيما لشانه وتفخيما لاستغفاره وتنبيها على ان من كان رسول الله تعالى فاستغفاره
وشفاعته من الله بمكان واما قبول اعتذار التايب فلا دخل فيه لوصف الرسالة فلا وجه
للتنبيه عليه بالالتفات لوجدوا الله توابا رحيما قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة توابا
حال ورحيما بدل منه او حال من الضمير فيه فلا وربك اي فوربك ولا مزيدة لتاكيد القسم
لا لتظاهر لا في قوله لا يومنون لانها تزاد ايضا في الاثبات كقوله لا اقسم بهذا البلد وفي امثاله

تعالى بنفسه إليه عليه الصلاة والسلام في القسم رفع قدره حتى يحكموك فيما شجر بينهم غاية
متعلقة بقوله لا يؤمنون فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه
واختلافه في الجهات ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا ضيقا مما قضيت مما حكمت به أو من
حكمك وإنما قال ثم لأن المحتمل الغالب وجدان ذلك بعد زمان ويسلموا تسليما وينقادوا
انقيادا بظاهرهم وباطنهم ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أن مصدرية أو مفسرة
لأن كتبنا في معنى أمرنا أو اخرجوا من دياركم أي لو أوحينا عليهم مثل ما أوحينا على بني
إسرائيل حين استتابهم من عبادة العجل من قتلهم أنفسهم وإخراجهم من ديارهم ما فعلوه
الضمير للمكتوب الذي دل عليه كتبنا إلا قليل قوم قليل منهم وهم المخلصون وهذا
توبيخ بليغ لهم لما بين أن إيمانهم لا يتم إلا بأن يلحق التسليم نبه على قصور أكثرهم ووهن إسلامهم
وقرئ بالنصب على الاستثناء أو على إلا فعلا قليلا ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به من متابعة
الرسول ومطاوعته في أوامره ونواهيه بلا اعتراض وشبهة في نفسهم لكان خيرا لهم
في عاجلهم وآجلهم وأشد تثبيتا لإيمانهم وأنفسهم وأبعد اضطرابا ونصبه على التمييز وهذه
الآية أيضا نزلت في شأن المنافق واليهودي وقيل غير ذلك وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما
جواب سؤال مقدر وجزاء المحذوف معطوف على الجملة الشرطية قبلها أي ولو تثبتوا لآتيناهم
وفي قوله من لدنا الدال على أنه على سبيل الفضل دفع لذهاب الوهم من الأجر إلى معناه الحقيقي
فإن الثواب لكونه موعودا للعمل نزل منزلة الأجر ولهديناهم صراطا مستقيما أي وفقناهم
لطريق التوحيد وزيادة الخيرات والاستقامة في الأحوال ومن يطع الله والرسول
فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة أكرم
الخلائق وأعظمهم قدرا من النبيين بيان للذين حال منه أي من ضميره والصديقين
هم الصادقون في أقوالهم وأعمالهم ونياتهم وأحوالهم المتقدمون لغاية الصدق
في تصديق الأنبياء من أفاضل أصحابهم والشهداء الباذلون للأرواح لله تعالى [illegible]
المقربة أو في التخلق بأخلاقه والاتصاف بصفاته وليس المراد من المعية المعية في الدرجة
فإن ذلك غير ممكن بل المعنى أن الأرواح الناقصة إذا استكملت علاقتها الكاملة في الدنيا
بقيت بعد المفارقة تلك العلائق فينعكس الشعاع من بعضها على بعض فتصير أنوارها في غاية
القوة والصالحين وحسن أولئك رفيقا فيه التعجب كأنه قيل وما أحسن أولئك
رفيقا منصوب على التمييز ولذلك لم يجمع إذ لم يقصد الأنواع ويجوز أن ينتصب على الحال
ذلك إشارة قصد بها التعظيم الفضل صفته من الله خبره والفضل خبر من الله
والعامل فيه معنى الإشارة وفيه تنبيه على ما أعطي المطيعون من الأجر العظيم ومرافقة
المنعم عليهم فضل خاص منه تعالى يتفضل بأن طاعتهم لمن يزيد عليه من عنده وتفضل به عليهم

تكملة

تكملة لثوابهم وإلزاما لهم وكفى بالله عليما بجزاء من أطاعه لعلمه بأحواله وما يقتضي هذا العمل
من استعداده بحسب العناية الأولى في حقهم على حسب تلك العناية يا أيها الذين آمنوا خذوا
حذركم أي احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من أنفسكم كأنهم أمروا بأن يجعلوا
الحذر آلتهم التي يقون بها أنفسهم ويحصنون بها أرواحهم والحذر بمعنى الأثر والإثر
يقال أخذ حذره إذا تيقظ واحترز من الخوف فانفروا يقال نفر القوم إذا نهضوا
للقتال لعدوهم وخرجوا للحرب ثبات نصب على الحال أي جماعات متفرقة سرية
بعد سرية أو انفروا جميعا مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتفرقوا فتخاذلوا فتلقوا
بأيديكم إلى التهلكة والآية نزلت في الحرب ولا دلالة في لفظها على وجوب المبادرة إلى الجهات
كلها وإن منكم لمن ليبطئن الخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين
منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطأ بمعنى أبطأ وهو
لازم أو ثبطوا غيرهم كما فعل ابن أبي يوم أحد واللام الأولى للابتداء دخلت اسم إن للفصل بالخبر
والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع إليه ما استكن في ليبطئن والتقدير
وإن منكم لمن أقسم بالله ليبطئن والتقدير وإن منكم لمن أقسم بالله ليبطئن ووجوه التأكيد
لتأكيد حال المنافقين وأنهم على خلاف ما يظهرون من الإيمان فإن أصابتكم مصيبة
من قتل وهزيمة قال أي المبطئ قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا حاضرا فيصيبني
ما أصابهم وإذ لم أكن ظرف لصفة أنعم بمعنى من ولئن أصابكم فضل من الله من الفتح
والغنيمة ليقولن ذلك المنافق أكد لفرط تحسره وقرئ بضم اللام إعادة للضمير
إلى معنى من لأنه في معنى الجماعة كأن لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض بينه وبين مفعوله
وهو يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما حكى الله تعالى سرور المنافقين عند نكبة المسلمين
ثم أراد أن يحكي حزنه عند دولتهم بسبب فوات الغنيمة فقبل أن يذكر الكلام بتمامه ألقى هذا
القول في البين للتعجب كأنه يقول انظروا إلى ما يقوله هذا المنافق كأن لم يكن بينكم وبينه
مودة ومخالطة أصلا والذي حسن موقع الاعتراض كون ما بعدها فاصلة وهي ليست
بفاصلة أو حال من الضمير في ليقولن أو داخل في القول أي يقول المبطئ لمن يثبطه من
المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا كأن لم يكن بينكم وبين محمد عليه الصلاة
والسلام مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وكأن مخففة من
الثقيلة واسمها ضمير الشأن وهو محذوف وقرئ تكن بالتاء لتأنيث لفظ المودة والمنادى
في يا ليتني محذوف أي يا قوم وقيل أطلق للتنبيه على الاتساع فأفوز نصب على جواب التمني
وقرئ بالرفع على تقدير فأنا أفوز في ذلك الوقت والعطف على كنت معهم ليندرج
الفوز مع الكون معهم في حكم التمني فيكونوا متمنيين جميعا فليقاتل في سبيل الله الذين

يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة ان جعل يشرون بمعنى يبيعون فالامر للمؤمنين اي ان صدّ
هؤلاء المبطئون عن القتال فليقاتل الثابتون في الايمان المخلصون فيه الذين يستحبون
الاخرة على الدنيا ويستبدلونها وان جعل بمعنى يشترون فالامر للمبطئين الذين يشترون الحياة
الدنيا بالاخرة وعظوا بان يغيروا نياتهم وما بهم من النفاق ويخلصون الايمان بالله ورسوله
ويجاهدوا في سبيل الله فالفاء على الاول جواب شرط مقدر وعلى الثاني للتعقيب يعني ينبغي ان يعتبروا
ما صدر عنهم من التثبيط عن القتال والثبات على النفاق بالتحريض على القتال ومن يقاتل
في سبيل الله فيقتل او يغلب لم يقل فيغلب او يغلب اذ لم يندرج في الاول الفار من الزحف
ولا اجر له ولم يقل فيقتل او يقتل للتنبيه على انه يستحق الاجر بالغلبة فيقتل ولم يقتل وعلى
ان حقه لا يقصد بالذات الى القتل بل الى علي الحق واعزاز الدين وتقديم الاول للدلالة
على انه اولى واحق بالاجر والاقتصار عليهما للتنبيه لان حق المجاهد ان يثبت في المعركة
ولا يفر حتى يعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة فسوف نؤتيه اجرا عظيما
وعد له الاجر غلب او غلب ترغيبا للقتال وتكذيبا لقوله قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم
شهيدا وفيه انه لم يصب في قوله غلب على ما نبهت عليه انفا وكذا في قوله وتكذيبا لان
مراد ذلك المنافق من القول المذكور مطابق للواقع وما لكم مبتدأ وخبر لا تقاتلون
في سبيل الله حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل والمستضعفين مجرور
عطف على سبيل الله اي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين او نصب على الاختصاص
واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين فان سبيل الله تمام في كل خير ومن اعظم
الخيرات خلاصهم من ايدي الكفار وهم الذين اسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة
فبقوا بين اظهرهم مستذلين من الرجال والنساء والولدان جعل الولدان من
جملة المستضعفين للتسجيل على الظلمة بافراط الظلم حتى بلغ اذاهم الصبيان ارغاما
واذى لابائهم وامهاتهم ومبغضة وايلاما لهم ويجوز ان يكون ذكر الولدان مع المستضعفين
لاشراكهم الاطفال في الدعا استنزالا من الله بدعا الصغار الذين لم يذنبوا ويجوز ان
يراد بالرجال والنسا الاحرار والحرائر وبالولدان كما يقال الولدان • الذين يقولون
ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها • اراد بالتوصيف التنبيه على ان طلبهم
الخروج منها لظلم اهلها لا لامر اخر وطنهم واشرف البقاع لا يريدون الخروج منها
بلا اضطرار ولما كانت المراد من القرية مكة شرفها الله تعالى تجنبوا عن نسبة الظلم
الظلم بنسبة الظلم الى القرية ولم يسلكوا مسلك قوله وكأين من قرية عتت عن امر
ربها وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها • واجعل لنا من لدنك وليا • ومن لنا من عندك
من يتولى كفايتنا • واجعل لنا من لدنك نصيرا • من ينصرنا ويمنعنا عن عدونا فاستجاب

الله تعالى

الذين امنوا

الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اوليا

الله دعاهم ثم جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وليهم وعتاب وابن اسيد ناصرهم والكفار يقاتلون
في سبيل الشيطان فلا ولي لهم الا الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا اي كيده
للمؤمنين في جنب كيد الله تعالى للكافرين اضعف شيء واهونه فلا تخافوا اولياءه الم
تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم عن القتال واقيموا الصلاة واتوا الزكاة واشتغلوا بما
امرتم به فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس على ما طبع عليه البشر من المخافة
لا من المخالفة وذلك ان المسلمين كانوا بمكة مكفوفين عن القتال وكانوا يتمنون ان يؤذن
لهم فيه فلما كتب عليهم القتال بالمدينة احجم فريق منهم خوفا من الموت وضنا بالارواح
وجبنا عن الاخطار بها لا ريبة في الدين اذا للمفاجاة جي بها في الجواب الشرط مع الجملة الاسمية
بدل الفا وفريق مبتدأ مخصص بالصفة وهي منهم خبره يخشون الناس كخشية الله في
موضع النصب صفة للمصدر المحذوف اي خشية مثل ما يخشى الله فهي مضافة الى المفعول
اي الحال من ضمير يخشون اي يخشون الناس مثل اهل خشية الله منه او اشد خشية
نصب على المصدر اي خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله او
على ان الخشية من الفعل المبني للمفعول اي كخشية الله او خشية هي اشد في كونه
مخشيا من الله تعالى كما ذكر في اشد ذكرا او نصب على العطف على محل الكاف والخشية في
الاصل الخوف مع تعظيم المخوف منه والمراد هنا المبالغة في الخوف وكلمة او للدلالة
على تفاوته في الخشية فان خشية بعضهم كان مثل خشية الله تعالى وخشية بعضهم
كان اشد منها وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال هذا المقال لا يناسب حال الصحابة
الراسخ قدمه في الايمان المنشرح جنانه بالاسلام الذي يرى الوصول الى الدار الاخرة
خيرا من القرار في الدار العاجلة ولهذا قيل لهم المنافقون والتاويل انهم ما تفوهوا
به ولكنهم قالوا في انفسهم فحكى الله عنهم مع انه بعيد لم يتعهد مثله في القرآن لا يجدي نفعا
لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت كانهم حسبوا
القتال قتلا فتمنوا تاخير الاجل وهذا غاية جبنهم قل متاع الدنيا قليل سريع
النقض والاخرة خير لمن اتقى اي المعاصي ولا تظلمون فتيلا شيئا يسيرا بالنقص
عن الثواب الموعود ولا بالزيادة على العقاب المعهود وقد تقدم تفسير الفتيل وفيه
ترغيب في التحمل على مشاق القتال وترهيب عن مخالفة الائتمار للامر بالجهاد وقرئ
ولا يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم الموت اي لا خلاص لكم من الموت
والجهاد موت يستعقب سعادة اخروية فاذا كان لا بد من الموت في سبيل الله اولى وقرئ
يدرككم بالرفع على حذف الفا كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على انه كلام
مبتدأ واينما متصل بلا يظلمون وعلى هذا ابن ظرف مكان الاتم شرط وانتفا الظلم بلفظ

عطف

الدارين ولو كنتم في بروج مشيدة في قصور او حصون مرتفعة والبروج في الاصل
بيت على طرف القصر واصل البروج الظهور ومنه تبرجت المرأة اذا اظهرت محاسنها
وقرئ مشيدة وصفا لها بوصف فاعلها كما في قولهم شعر شاعر ومشيدة من شاد القصر
اذا رفعه وان تصبهم حسنة نعمة كخصب يقولون هذه من عند الله اي نسبوها
اليه تعالى نسبة مجردة عن توسيط كسب العبد وان تصبهم سيئة بلية كقحط الحسنة
والسيئة كما يقعان على الطاعة والمعصية كذلك يقعان على النعمة والبلية يقولوا هذه
من عندك اي اضافوها اليك وقالوا ان هي الا بشومك كما قالت اليهود منذ دخل محمد
المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها قل كل من عند الله بتقدير الله واقع على حسب
سنته في خلقه قال الله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات وقال وما ارسلنا في قرية
من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ولما كان هذا تفصيل ذلك
المجمل لتنزل ظهر حسن الموقع للفاء في قوله فما لهولاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا
يوعظون به وهو القران وتنكيره للتعظيم والتنبيه على انه لا حاجة الى الاشارة عند الاطلاق
ومساعدة السياق ونفي المقاربة وهو ابلغ من نفي الفعل ما اصابك خاطب النبي
صلى الله عليه وسلم ليعلم حال ما اصاب غيره بطريق الدلالة من حسنة من نعمة
فمن الله تفضيلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافي نعمة الوجود فكيف
يقتضي غيره وما اصابك من سيئة من بلية فمن نفسك يعني هو وان كان من
عند الله لا فاعلها بالايجاد والفاعلية لكن لما كان السبب القابل المقتضي لذلك ولعله
واستحقاقك فهو من عندك وبما كسبت يداك واسندعائك اياه ازلت بك كقوله وما
اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير لما نسبوا النعمة الى الله تعالى والبلية
الى النبي عليه الصلاة والسلام رد الله عليهم بان الكل من عند الله لا فاعل لها سواه
ولا واسطة في البلايا سوى انفسهم دون النبي عليه الصلاة والسلام على ما زعمتم فتمام
الرد عليه قوله فمن نفسك وارسلناك للناس لا رسولا للعرب خاصة كما زعمه بعض المنكر
بعض المعنى مستفاد من ذكر اسم الجنس بمساعدة المقام رسولا حال قصد بها التاكيد
ويجوز نصبه على المصدر كقوله ولا خارجا من زور كلام ولا يجوز تعلق الجار بها لانه يفهم
منه اختصاص رسالته عليه الصلاة والسلام بجنس الانس وكفى بالله شهيدا على ذلك
بنصب المعجزات فوجب على الكل طاعتك واتباعك ولهذا قال من يطع الله فقد
اطاع الله لانه في الحقيقة مبلغ والامر هو الله تعالى لا لانه لا ينتظم الطاعة في غير الاحكام
الشرعية بل لانه تعالى ارسله وامره بالطاعة والعدول عن الضمير الى المظهر للاشعار
بترتب ايجاب الطاعة على وصف الرسالة روي انه عليه الصلاة والسلام قال من احبني

فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك
وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ومن تولى
اي عن طاعته حذف جزاؤه وهو فاعرض عنه واوقع ما هو سبب له موقعه فقيل
فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا
الحساب وهو حال من الكاف ويقولون اذا امرتهم او نهيتهم عن شيء طاعة اي
امرنا طاعة اي ذلك واصله النصب على المصدر والعدول الى الرفع للدلالة على الثبات
فاذا برزوا خرجوا من عندك اي غابوا عنك والفاء للدلالة على عدم التراخي بين
قولهم الموافق وفعلهم المخالف بيت طائفة منهم اي زورت وسوت غير
الذي تقول خلاف ما قلت لها وما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت
انما يبيتونه لان الامور تدبر بالليل او من البيت المبني لانه يسوى ويدبر وقرئ
بيت طائفة بالادغام لقربهما في المخرج والله يكتب ما يبيتون وعيد لهم اي يثبت
في صحائف اعمالهم ويجازيهم عليه او يكتب في جملة ما يوحي اليك فيطلعك عليه
او يكتب في جملة ما يوحي اليك فيطلعك عليه فلا يخفى عنهم اسرارهم فاعرض عنهم ولا
تشتغل بالانتقام منهم وتوكل على الله في الامور كلها سيما في شانهم وكفى بالله
وكيلا لمن توكل عليه فهو الرافع كيدهم عنك والمنتقم منهم لك افلا يتدبرون القران
الهمزة للانكار وللعطف على محذوف اي يقدحون في القران فلا يتدبرونه
لانهم لو تدبروه حق التدبر لم يكن لهم شك في تواتر معانيه وتناسق نظمه والتدبر
اثارة المعاني بعوض الانكار واستخراج جواهر المعاني بدقائق الاعتبار وهو في الاصل النظر
في ادبار الامر اي عاقبته ثم استعمل في كل تامل ونظر سواء كان في حقيقة الشيء واجزائه
وسوابقه واسبابه ولواحقه واعقابه وفيه باعتبار اصله اشارة الى ما في مقاطع الكلام
من مظان الظن في بادي الراي التي تزول عند التامل وتدقيق النظر والواو في قوله
ولو كان من عند غير الله للحال وغير الله ينتظم الجن والملك وفيه دلالة على انه كلام الله
تعالى وانما اعجازه فالثابت به ليس من كلام البشر ولا يلزم منه ان يكون كلام الله تعالى
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من جهة فصاحة اللفظ وبلاغة النظم وصحة المعنى
لان الخطيب الفصيح البليغ اذا كثر كلامه اختل نظامه واختلفت اقسامه خصوصا اذا
نطاولت في تطاريف الكلام ايامه لنقصان قدرة غير خالق القوي والقدر وما
يوجد فيه من الاختلاف في الاحكام لاختلاف الاحوال في الحكم للتناقض في الحكم
واذا جاءهم امر من الامن او الخوف من للبيان وبيان الامر بمجموع الامن والخوف
اي ما يوجبهما لا باحدهما على سبيل البدل فكلمة او للتنويع لا لمنع الجمع اذاعوا به فعلوا

الاذاعة به وهو ابلغ من اذاعوه لدلالته على انه يوجد نفس الحقيقة كما في نحو يعطي ويمنع
ولما فيه من الابهام والتفسير وقيل الاذاعة الاشاعة والافشاء كان يفعله قوم من ضعفة
المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبرهم الرسول عليه
الصلاة والسلام بما اوحي اليه من ظفر بالعدو وتخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم
بان فيه مفسدة ولو ردوه اي الامر الى الرسول اي لم يحدثوا به حتى يكون النبي
صلى الله عليه وسلم هو الذي يحدث به والى اولي الامر منهم وهم اكابر الصحابة رضي
الله عنهم البصراء في الامور او امراء السرايا لعلمه اي على وجه يذكر الذين يستنبطونه
منهم يستخرجون تدبيره بتجاربهم وانظارهم واصل الاستنباط اخراج النبط وهو
الماء الذي يخرج من البئر اول ما يحفر وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها
فتعود وبالا على المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم حتى يسمعوه منهم وتعرفوا
انه هل يصح ان يذاع لعلم ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول والى اولي الامر
اي يستخرجون علمه من جهتهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته ايها الرسول والمؤمنون
بما انزل من الهدى واظهر من كيد الشيطان والمنافقين لاتبعتم الشيطان ودمتم على
الكف عن القتال والاصغاء الى المنافقين المثبطين الا قليلا هم رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمستنبطون وفيه تحريك من حمية الضعفة مع لطف واحماد لحال الاقوياء
ثم قال فقاتل في سبيل الله اي فاذا كان الامر كذلك من انك اوتيت الفضل والرحمة
مع ما وفقت له من سابقة التقدم في التجنب عن اتباع الشيطان قاتل في سبيل الله
واعلاء كلمة الرحمن ولا تبال بكيد المنافقين واستجرارهم الضعفاء وما يحصل من مفسدة الاذاعة
فانه لا يضرك خذلان الخاذل قويا وضعيفا والله ناصرك باحلال باسه بمن يعاديك لا تكلف
الا نفسك نصب على الحال من فاعل فقاتل اي فقاتل غير مكلف الا نفسك وحدها لا يضرك
تخلفهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود روي
انه عليه الصلاة والسلام دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت
فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد وقرئ لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون على
بناء الفاعل اي لا نكلفك الا فعل نفسك لانا لا نكلف احدا الا نفسه لقوله وحرض
المؤمنين على القتال وما عليك الا تحريضهم بحسب لا التعنيف بهم عسى الله ان يكف
باس الذين كفروا اي كفار قريش وقد كف بعد بدا لابي سفيان وقال هذا عام مجدب
فرجع بهم والله اشد باسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا منهم وفيه تقريع لمن
لم يتبعه من يشفع شفاعة حسنة وهي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شرا او جلب
بها اليه خيرا الى خير من حدود الله او حق من حقوقه طلبا لرضا الله تعالى لا لعرض من اغراض

الدنيا والسيئة بخلاف ذلك يكن له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير
الواقع بها وقيل الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم لانها في معنى الشفاعة الى الله تعالى وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك
مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له
كفل منها نصيب من وزرها مساو لها في القدر وكان الله على كل شيء مقيتا مقتدرا من
اقات على الشيء اذا قدر عليه او شهيدا حافظا من القوت فانه يقوي البدن واذا
حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها الجمهور على انه في السلام ويدل على وجوب الجواب
اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهي النهاية
وذلك لاستجماعه اقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها او بردها
بان يقول وعليك ان بلغ المسلم نهايته لما روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم السلام عليك ورحمة الله وقال الاخر السلام عليك ورحمة الله وقال وعليك السلام
ورحمة الله وبركاته وقال الاخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال
الرجل نقصتني فاين ما قال الله وتلا الاية فقال عليه الصلاة والسلام انك لم تترك لي فضلا
فرددت عليك مثله واو للتنويع لا للتخيير لما عرفت ان كلا من الزيادة ورد المثل
مشروط بشرط ينافي شرط الاخر فلا يجتمعان ايضا التخيير بين امرين احدهما ايسر من الاخر
لا يكون على وجه الوجوب على ما قرر في موضعه وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام
مشروع فلا يرد في الخطبة وقراءة القران وفي الحمام وعند قضاء الحاجة والتحية
تفعلة من حيي يحيي تحية وكانت تحية العرب عند اللقاء حياك الله اي اطال الله
حياتك ونقل ذلك في الاسلام الى السلام ويعني الاسم كذلك ان الله كان على كل شيء
حسيبا يحاسبكم على التحية وغيرها الله مبتدا لا اله الا هو خبره او اعتراض
والخبر ليجمعنكم اي احي بجمعة العالم في يوم القيامة للمجازاة وانما قال الى يوم القيامة
تنبيها على ان جمعهم بطريق الحشر والقيامة كالطلاب والطلبة وهي قيام الناس من قبورهم
او للحساب لا ريب فيه في اليوم او في الجمع فهو حال من اليوم او صفة للمصدر ولما
ذكر الجمع مقسما عليه اردفه بقوله ومن اصدق اي لا احد اصدق من الله حديثا
فانه لا يتطرق الكذب على خبره بوجه لانه نقص ينافي الالوهية فما لكم الفاء
للترتيب على ما فهم مما تقدم من ان ما نزل في حق المنافقين وبيان احوالهم حق
مطابق للواقع في المنافقين فئتين اي فما لكم تفرقتم في امر المنافقين فرقتين
ولم تتفقوا على كفرهم الذي نطق به المنزل وذلك ان ناسا منهم استاذنوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو لاجتووا المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين

مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في اسلامهم ونزلت وفئتين
نصب على الحال من الضمير في ما لكم والعامل فيها الظرف في معنى الاستقرار كقولك ما لك
قائما وفي المنافقين حال من فئتين • والله اركسهم • ردهم في حكم المشركين اصل الركس رد الشيء
مقلوبا بما كسبوا من لحوقهم بهم واحتيالهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم او ردهم
في الكفر لسبب مرض قلوبهم وسوء عقيدتهم جملة اعتراضية مبينة لوجوب اتفاق
المؤمنين على نفاقهم رافعة لاختلافهم في ذلك مقررة لمعنى الانكار الذي في ما الاستفهام
او حال لمبينة • اتريدون ان تهدوا • الى الحق • من اضل الله • على طريق الحق
ومعنى الهمزة انكار ارادتهم هداية من اضل الله لكونه مستحيلا ولذلك قال
ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا • اي الى الاهتدا ولن تجد لهدايته سبيلا لاستحالة
وقوع ما اراد الله خلافه تقريرا للانكار لارادتهم المتعلقة بالمحال ودوا لو تكفرون كما
كفروا تمنوا راغبين في ان تكفروا ككفرهم الذي وادتهم لكفرهم بلو وبقوله كما كفروا
اي لا يرضون بما نالكم من الكفر بل يتمنوا لكم كفرا بالغا امثلا لحاصل كفرهم بالغ
في ذلك بقوله فتكونون سواء • لا يترجح كفرهم عطف على تكفرون اي ودوا كفركم
وكونكم مستوين معهم في الضلال ويجوز نصبه على جواب التمني فلا تتخذوا منهم اولياء
فلا تتولوهم وان اظهروا الايمان • حتى يهاجروا في سبيل الله • حتى يظهروا الايمان
بهجرة صحيحة في سبيل الله بنية صادقة لله ولرسوله لا لغرض من اغراض الدنيا وسبيل
الله ما امر بسلوكه فان تولوا • فان اعرضوا عن الهجرة المستقيمة التي تصدق ايمانهم
فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم • اي حكمهم حكم سائر المشركين في وجوب
قتلهم حيث وجدوا في الحل والحرم • ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا • اي وان بذلوا
لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا وجانبوهم مجانبة كلية • الا الذين يصلون الى قوم
بينكم وبينهم ميثاق • استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين ينتهون ويلتجئون
الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم فانهم في حكمهم في الميثاق وهم من بايع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقت خروجه الى مكة على ان لا يعينوه ولا يعينوا عليه ومن لجا اليهم
من الجوار مثلا لهم • او جاؤكم • عطف على صلة الموصول اي والذين جاؤكم كافين عن قتالكم
وقتال قومهم استثنى عن المامور بالاخذ والقتل من ترك المحاربين ولحق المعاهدين ومن جاء
المؤمنين وكف عن قتال الفريقين لا على صفة قوم لان الاستثناء يدل بان سبب ترك
التعرض لهم امران احدهما الاتصال بالمعاهدين والاخر الاتصال بالكافين ان كان
العطف على الصلة بقوله فان اعتزلوكم يرشد الى انه الكف وقرئ بغير العاطف
على الصلة بقوله فان اعتزلوكم انه بيان او بدل او استئناف حصرت صدورهم

في موضع

في موضع الحال باضمار قد يدل عليه قراءة حصرة صدورهم وحصرت وحاصرات
صدورهم وجعله المبرد صفة لموصوف اي او جاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل
بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر
الضيق والانقباض • ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم • ان يقاتلوكم صلة لحصرت اي
كراهة ان يقاتلوكم مفعول له • ولو شاء الله لسلطهم عليكم • وهذا بيان القدرة
ويلزمه الموافقة للحكمة فانها تستتبع الوقوف دون القدرة • فلقاتلوكم • فلم يكفوا
عنكم • فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم • اي فان لم يتعرضوا لكم • والقوا اليكم السلم
الاستسلام والانقياد • فما جعل الله لكم عليهم سبيلا • فما اذن لكم في قتالهم واخذهم
ستجدون آخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم • هم اسد وغطفان وقيل عبد الدار
اتوا المدينة واظهروا الاسلام فلما رجعوا كفروا • كلما ردوا الى الفتنة • كلما دعاهم
قومهم الى قتال المسلمين • اركسوا فيها • ردوا فيها وقلبوا اخبث قلب واشنعه لعنهم
للكفر الى الغدر ونقض العهد • فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم • الاستسلام
والانقياد • ويكفوا ايديهم • عن قتالكم • كلاهما معطوفان على يعتزلوكم في حكم الجزم بلم
فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم • حيث تمكنتم منهم لانهم لم يكفوا ايديهم عن القتال
واولئكم • اشارة الى ان الموصوفين بدوام نقض العهد والخيانة مرة بعد اخرى
في جميع الاوقات انما يستحقون تسليط الله اياكم عليهم واظهاركم الحجة لهذه الصفات
جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا • حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور
حالهم في الكفر والعداوة والغدر او تسلطا ظاهرا حيث اذن لكم في قتالهم اينما
اثقفتم عليهم • وما كان لمؤمن • اي ليس من شانه ولا يليق بوصف الايمان • ان
يقتل مؤمنا • يباشر لقتله من عند نفسه بلا ايجاب الشرع ولا رخصة منه •
الا خطا • مفعول له اي لعلة ما الا للخطاء وحده بمعنى مخطيا اي ليس له قتله
في حال من الاحوال الا في حال الخطا او صفة مصدر محذوف اي الا قتلا خطا وهو
ما لا القصد الى الفعل والشخص فما لا يقصد به زهوق الروح غالبا من
قبيل الاول لانه قصد الى القتل بل قصد الى الضرب وما لا يقصد به محظور كرمي
مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه من قبيل الثاني لانه ما قصد الى الشخص المسلم
في زعمه بل قصد الشخص الكافر والمعتبر في القصد زعم القاصد واما غير المكلف
فالشرع لم يعتبر قصده فاعطاه حكم الخطا وقرئ خطا بالمد وخطا كعصا بتخفيف
الهمزة والاية نزلت في عياش بن ربيعة اخي ابي جهل من الام لقي حارث بن زيد في
طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله • ومن قتل مؤمنا خطا فتحرير

رقبة • أي فعليه أو فواجبه تحرير رقبة والتحرير جعل الإنسان حرا كما في الإعتاق
جعله عتيقا والحر والعتيق الكريم لأن الكرم في الأحرار كما أن اللؤم في العبيد ووجه الحر
الكرم موضع منه والرقبة يعبر بها عن النسمة كما يعبر عنها بالرأس مؤمنة كبيرة
كانت أو صغيرة ذكرا كان أو أنثى ودية عطف على تحرير مسلمة مؤداة •
تصرف إلى ما تصرف إليه تركته فالأهل ينتظم الوصي وأمين بيت المال ولم يعين الله تعالى
في كتابه ما يعطى في الدية ولم يبين فيه أن إيجابها على العاقلة أو القاتل وإنما أخذ
ذلك من السنة إلا أن يصدقوا عليه بالدية وأصلها على القاتل تحملها على العاقلة
تخفيفا عليه وسمي العفو عنها بالصدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله
عليه وسلم كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه أو بمسلمة أي تجب الدية عليه أو يسلمها
إلى أهله إلا حال تصدقهم إياها عليه فهو في محل النصب على الحال من القاتل وأما انتصابه
على الظرف فقيل إنه مخالف لنص النحويين على منع قيام أن وما بعدها مقام الظرف فإنه
مما اختص به ما المصدرية فإن كان أي كان المقتول من قوم عدو لكم كفار محاربين
وهو أي المقتول مؤمن يعني إذا أسلم الحربي في دار الحرب ولم يهاجر إلينا فقتله مسلم
ولم يعلم بإيمانه والإفادة هذا القيد صدر الكلام بالفاء المرتبة له على ما تقدم وفيه
الكفارة لا غير وهو قوله فتحرير رقبة قيل دون الدية لأهله إذ لا وراثة بينه وبينهم
لأنهم محاربون وكان هذا القائل غافل عن العموم المذكور فيما سبق في مصرف الدية والشافعي
حمله على مؤمن اختلط بالحرب وإياه قوله من قوم لأنه ح لا يكون منهم وإن كان من قوم
بينكم وبينهم ميثاق ينتظم عهد الميثاق وعقد الذمة فدية مسلمة إلى أهله وتحرير
رقبة مؤمنة أي حكمه حكم المسلم في وجوب الكفارة والدية وتقديم الدية ههنا
اهتماما في رعاية حكم الميثاق وقيل هذا في مشركي العرب الذي كان بينهم وبين النبي صلى الله
عليه وسلم عهد على أن يسلموا أو يؤذنوا بحرب إلى أجل معلوم لمن قتل منهم وجبت الدية
والكفارة ثم نسخ بقوله براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين وأما ما قيل
ولعله فيما إذا كان المقتول معاهدا أو كان له وارث مسلم فلا صحة له وأما أولا فلأن
قوله وإن كان من قوم صريح في كون المقتول معاهدا فلعل لم يصب محزه وأما ثانيا
فلأن دية الذمي تؤخذ لبيت المال إذا لم يكن له وارث ودية الحربي إنما يعطى بحكم العهد
فقوله وكان له وارث مما لا وجه له فمن لم يجد أي الرقبة المؤمنة بأن لم يملكها
ولا ما يتوصل به إليها أو لم توجد في دياره فصيام شهرين فعليه أو فواجب
متتابعين توبة مصدر مؤكد أي تاب الله عليه توبة أو مفعول له أي شرع ذلك توبة
منه من الله صفتها وكان الله عليما بالأحوال ويندرج فيها حال القاتل دخولا

أوليا

أوليا حكيما في الأفعال ومنها ما أمر في شأنه ومن يقتل مؤمنا متعمدا عدل
ههنا عن الماضي إلى المستقبل استبعادا لوقوع هذا النوع من القتل فجزاؤه جهنم
اقتصر ههنا على بيان حكمه الدنيوي في سورة البقرة خالدا فيها المراد بالتخليد
المكث الطويل دون التأبيد ولهذا لم يقل أبدا لأن الدليل متظاهر على أن عصاة
المسلمين لا يدوم عذابهم وقيل إنه مخصوص بمن لم يتب لقوله وإني لغفار لمن تاب وآمن
ونحوه إما تخصيصه بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ففيه أنه تخصيص بلا مخصص
فإن سبب النزول لا يصلح له وهو أن مقيس بن ضبابة وجد أخاه هشاما قتيلا
في بني النجار ولم يظهر قاتله فأخذ منهم الدية بأمره صلى الله عليه وسلم ثم حمل على
مسلم فقتله ورجع إلى مكة مرتدا إذ لا تصريح فيه بقوله مستحلا وقد تقدم في
الأصول أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومراد ابن عباس رضي الله عنهما
من قوله لا تقبل توبة قاتل المؤمن عمدا التشديد إذ روي عنه خلافه وغضب
الله عليه ولعنه • أي انتقم منه وطرده من رحمته • وأعد له عذابا عظيما • لاجترائه
على الله تعالى لما كان قتل النفس المحرمة أكبر الكبائر بعد الشرك بالله بالغ فيه بأن
جعله منافيا حيث قال ما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا أي منافيا في وصف الإيمان فقتل
المؤمن ثم تنكير مؤمن أي ليس لأي مؤمن كان ثم بحذف الخبر المقدم لشدة العناية
بالتصريح بالكفارة ثم بإيجاب الدية والكفارة على قاتل الكافر المعاهد حرمة لها وإن
كانت كافرة لمجرد العهد ثم بالوعيد مع التوبة بقوله وإن كان عليما حكيما لأنه عظم
الإثم بعلمه به وإلا لقال غفورا رحيما اعتدادا بالتوبة وتفخيما لها تحقيرا التوبة من جنب
الإثم مع كونه خطأ لما عسى يقع تفريط فيما يجب عليه من الاحتياط والتحفظ ثم بالتهديد
العظيم والإيعاد والإبراق الشديد والإرعاد في قتل العمد وأن بالوجوه المذكورة
من دخول جهنم والخلود فيها واستحقاق الغضب ثم العذاب العظيم كل ذلك تغليظ للدلالة
على غلظ الأمر وعظم الخطب يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله إذا غزوتم وسرتم
إلى الجهاد فتبينوا وقرئ فتثبتوا وتفعل بمعنى استفعل الدال على الطلب أي فاطلبوا
بيان الأمر وثباته ولا تعجلوا فيه وقد قوبل البيان بالعجلة في قوله عليه الصلاة والسلام
التبين من الله والعجلة من الشيطان ولا تقولوا لمن ألقى السلام لمن حياكم بتحية
السلام وقرئ السلم أي الاستسلام والانقياد وفسر به السلام أيضا لست مؤمنا
وإنما فعلت ذلك متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح من أمنه أي لا نؤمنك تبتغون في
محل النصب على الحال من الضمير في تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة أي لا تقولوا
ذلك مبتغين عرض الحياة الدنيا الغنيمة التي هي حطام الدنيا سريع النفاد

التثبت والتفحص عن حال من تقتلونه لاجله فعند الله مغانم كثيرة تغنمكموها
يغنيكم عن مثل هذه الفعلة الشنيعة والفاء لتعليل النهي كذلك كنتم من قبل اول ما
دخلتم في الاسلام سمعته منكم كلمة الشهادة فحصنت منها دماؤكم واموالكم من غير
اطلاع على قلوبكم ومواطاتها لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والتصلب في
الدين والاشتهار بالايمان والتقدم فيه والفاء للعطف على كنتم فتبينوا وافعلوا
في الداخلين في الاسلام كما فعل بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء
وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون عند الله تعالى من قتل امرء مسلم وتكريرا لامر
بالتبيين والايعاد بقوله ان الله كان بما تعملون خبيرا للتاكيد لتعظيم الامر
وترتيب الحكم على ما ذكر والمبالغة في التحذير عن مثل ما فعلوا اي كونوا متحرزين محتاطين
مجتهدين لاعلاء كلمة الاسلام ولاعزاز الدين لا لطلب الغنيمة والمال فان الله تعالى مطلع على
ما في ضمائركم خبير باعمالكم وما يبتني عليها من نياتكم فيؤاخذكم بها فلا تتهاونوا في القتل روي
ان سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غزت اهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة باسلامه
فلما راى الخيل الجا غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال
لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة رضي الله عنه واستاق غنمه
فنزلت ولا دلالة فيه على صحة ايمان المكره وما روي ليس من الاجتهاد المعهود في شيء
لا يستوي القاعدون من المؤمنين في موضع الحال من القاعدون او من الضمير فيه
غير اولي الضرر بالرفع بدل من القاعدون او صفة لهم لانه لم يقصد بهم قوم
باعيانهم ولان غير قد يتعرف اذا وقعت بين الضدين وقرئ بالنصب على الحال
او الاستثناء وقرئ بالجر على صفة للمؤمنين او بدل منه روي انها نزلت ولم يكن فيها
غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا اعمى فنزلت القيد المذكور والضرر
والنقصان بدنيا كالعمى والعرج او ماليا كعدم الاهبة ولما كان مساق الكلام
للتحريض على الجهاد كان الاستثناء المذكور لبيان انهم غير متوادين بالتحريض وخروج غير
المكلفين اليه لا انهم كالمجاهدين في الاجر والفضل والمجاهدون في سبيل الله
باموالهم وانفسهم اي لا مساواة بينهم وبين القاعدين عن الجهاد بلا عذر وبعد
ما ذكرنا بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد لرفعته وانفة عن الخطا فقوله
فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة نصب على المصدر وتنكيرها
للتعظيم والمعنى على القاعدين اولي الضرر نص على ذلك الامام الواحدي في الوسيط
ثم قال وذلك ان المجاهدين يباشرون الطاعة فلهم فضيلة على القاعدين من اهل
العذر وان كانوا على نية الجهاد وقصده هو تفضيله انما المراد بقوله تعالى لا يستوي

الى قوله وانفسهم ان بين المجاهدين والقاعدين غير اولي الضرر هذا البون البعيد ولكن بينهم
تفاوت ايضا وكان هذا المعنى محتاجا الى البيان فبينه بقوله فضل الله ولما عطف عليه
من قوله وفضل فكلتا الجملتين بيان له لا الجملة الاولى فقط فتبين بالكلام الاول انهم مفضلون
على اهل العذر درجة ثم قال وكلا يعني المجاهدين والقاعد المعذور كذا نقل في
الوسيط عن مقاتل وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهي الجنة لحسن عقيدتهم
وخلوص نيتهم وانما التفاوت في زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب وفضل الله المجاهدين
على القاعدين اي المجاهدين مفضلون على القاعدين من غير عذر بدرجات وقوله
اجرا عظيما نصب على المصدر لان فضل بمعنى اجر والمفعول الثاني لتضمنه معنى الاعطا
كانه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة
كل واحد منهما بدل من اجرا او ينتصب درجات نصب درجة كما تقول ضربته سوطا
وسوطات اي ضربات كانه قيل فضلهم تفضيلات واجرا حال عن درجات مقدمة عليها
لكونها نكرة وينتصب مغفرة ورحمة باضمار فعليهما اي غفر لهم مغفرة ورحمهم
رحمة وقيل الدرجة ارتفاع منزلتهم عند الله والدرجات منازلهم في الجنة وكان
الله غفورا لما عسى يفرط منهم رحيما بما وعد لهم ان الذين توفاهم الملائكة يجوز ان
يكون ماضيا وان كان مضارعا بحذف التاء اي تتوفاهم وقرئ توفتهم بتاء التانيث فعلى
الماضي وتوفاهم المضارع المبني للمفعول من وفيت بمعنى ان الله تعالى يوفي الملائكة انفسهم
فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة
وموافقة الكفرة فانها نزلت في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة
قالوا اي الملائكة للمتوفين وهو خبر ان اي قالوا لهم فحذف الراجع فيم كنتم باي
شيء كنتم على ما كنتم عليه من مخالطة المشركين وموافقتهم ولفظة هنا كالتي في قوله
المتنبي فيه قيل في اي شيء كنتم من امر دينكم ولا ينتظم الجواب قالوا كنا مستضعفين في
الارض اي ارض مكة اجابوا اعتذارا بما وبخوا به بضعفهم عن مقاومة المشركين
وعدم قدرتهم للمخالفة قيل وعجزهم عن الهجرة ولا ينتظم الرد قالوا اي الملائكة
ردا لهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الى قطر اخر تتخلصوا عن ايدي المشركين
كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة هذا السؤال والذي سبق يدلان على انهم كانوا
ظالمين انفسهم في تركهم الهجرة فانهم لو ماتوا كافرين لكان التوبيخ على كفرهم فاولئك
ماواهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم المشركين وهو جملة معطوفة على جملة
قبلها مستنتجة منها وساءت مصيرا مصيرهم او جهنم كانوا الهجرة من فرائض الاسلام
بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة بقوله عليه الصلاة والسلام

لا هجرة بعد الفتح وكانه غافل عن هذا من قال وفي الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع
لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه والاشارة الى القوم المذكورين على العموم ولهذا استثنى
منهم المستضعفين العاجزين حقيقة بقوله الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان
قيل لما نزل الوعيد المذكور قال المسلمون هلك اخواننا الذين بمكة فنزل الا المستضعفين
الآية وان اريد بها المماليك فظاهر وان اريد بها الصبيان فللمبالغة في امر الهجرة وايهام
انها تجب لو استطاعها غير المكلفين لوجبت عليهم الاشعار بانه لا محيص لهم عنها البتة اذا بلغوا
حتى كانها واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا وبان العجز ينبغي ان يكون كعجز الولدان وقيل
لتحقيق خروج الرجال والنساء من الوعيد عند عدم الاستطاعة فانهم حينئذ كالولدان
في عدم الاثم لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين كقوله
ولقد امر على اللئيم يسبني اوحال لعنه او عن المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان
اسباب الهجرة وما يتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل
فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم عسى من الله دليل الوقوع لانه اطماع والكريم اذا اطمع انجز
وفي لفظ العفو ايذان بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يامن ويترصد
الفرصة ويعلق قلبه بها وكان الله عفوا بالتخفيف عن العاجزين غفورا
للقاعدين الذين اخروا الهجرة بعد وجوبها الى نزول الوعيد فيبقى الفرقة الثالثة
وهم القاعدون الذين تركوا الهجرة بعد ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض
مراغما كثيرا • مهاجرا يهاجر اليه على رغم من يفارقه او طريقا يراغم بسلوكه
انوف قومه المفارق لهم منهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام
وهو التراب • وسعة • في الرزق واظهار الدين ومن يخرج من بيته مهاجرا الى
الله ورسوله قوله الى الله ذكر لتمهيد الذكر الهجرة الى الرسول صلى الله عليه وسلم
تعظيما له وتنبيها على فعله اختصاصه بالله تعالى ثم يدركه الموت وقرئ يدركه
بالرفع على انه خبر محذوف اي ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان والجمهور على ان
هذا في الواو والفاء في عشر جواب الاشياء الثمانية ضرورة في ثم فقد وقع اجره
على الله فقد ثبت وتحقق موجب وعده قال ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت
آية الوعيد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مسلمي مكة فقال جندب بن ضمرة
لبنيه احملوني فاني من المستضعفين واني لاهتدي الطريق وكان شيخا كبيرا فحملوه
بنوه على سرير متوجها الى المدينة فمات بالتنعيم فبلغ الاصحاب رضي الله عنهم
موته فقالوا لو لحق بنا لاتم الله اجره فانزل الله تعالى ومن يخرج من بيته الآية فاعلم
انه لا يخيب من التمس رضاه وكان الله غفورا يغفر له ما كان من القعود الى

ان

ان خرج رحيما يرحمه باكمال اجر المهاجر له واذا ضربتم في الارض سافرتم
فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة بتنصيف ركعتها والقصر رخصة •
عند الشافعي لان نفي الحرج في الرخصة لا في العزيمة قلنا في الآية بيان حكم
الخوف فيتوقف حكم حالة الامن على قيام الدليل وقد ورد ذلك في الحديث بلفظ الصدقة
ولو بقي فرض الاربعة فابن الصدقة ثمن وهم ان الآية تخالف قول عمر رضي الله عنه
صلاة السفر ركعتان تام غير قصر على لسان نبيكم وقول عائشة رضي الله عنها اول ما فرض
الصلاة ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر فقد وهم وقرئ تقصروا من
اقصر بمعنى قصر ومن الصلاة صفة محذوف اي شيئا من الصلاة عند سيبويه ومفعول
تقصروا بزيادة من عند الاخفش ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا اي ان خفتم
ان يقصدكم الكفار بما يكره من قتل او جرح او اخذ والخوف شرط لجواز القصر عند
الخوارج اخذا بالمفهوم هذه الآية وعند الجمهور ليس بشرط اما عند من لم يقل بحجية
المفهوم فظاهر واما عند من قال بها فلانها مشروطة بعدم معارضة منطوق نص
وقرئ من الصلاة يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم ان الكافرين
كانوا لكم عدوا اي اعداء والعدو يستوي فيه المفرد والجمع وانما قال مبينا
على اللفظ فانه للمفرد في الوضع وفيه اشعار بان وصف الكفر الجامع لهم الباعث
للعداوة جمعهم وحدتهم واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة وهي صلاة الخوف
وتعلق بالشرط المذكور من خصها بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا
انها خلاف القياس فلا يتعدى موردا لنص بطريق الدلالة طريق القياس
فلتقم طائفة منهم معك يصلون وتقوم الطائفة الاخرى تجاه العدو وما جعلهم
طائفتين مفهوم اقتضاء وليأخذوا اي المصلون اسلحتهم ولا يجوز ان يكون
الضمير للطائفة الاخرى لانه حينئذ تتفرق الضمائر بينهما فعليك النظم الذي
هو امام اعجاز القرآن ومراعاته والقانون الذي وقع عليه التحدي على طريق التقدير
دون التصوير اهم ما يجب في المعز • فاذا سجدوا عبر بالسجود عن الركعة فليكونوا
من ورائكم اي اذا صلت هذه الطائفة التي معك ركعة تامة فليرجعوا ليقفوا
بازاء العدو وفي وراءكم تغليب المخاطب على الغائب • ولتأت طائفة اخرى •
هذا الاظهار دليل ظاهر على ان الضمائر فيما سبق للطائفة الاولى لم يصلوا •
لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا معك الركعة الثانية • وليأخذوا حذرهم
ما يتحذرون به من العدو من الترس والدرع والمغفر واسلحتهم • ما يقاتلون به
من السيف والرمح والقوس كذا فسر الامام ابو منصور والذي يناسب بلاغة القرآن

مرانه جمع بين الحذر والاسلحة في وجوب الاخذ ايذانا للغازي بانه يجب عليه ان يجعل
الحذر آلة للحرب كالاسلحة فجعلا ماخوذين جمع بينهما في الامر ههنا مبالغة للاحتياط
لانه مظنة هجوم العدو بان تنبهه بكونهم في الصلاة يكون بعد سجودهم ذكر صلاة
طايفة ركعة مع النبي صلى الله عليه وسلم صلاة طايفة معه اخرى ركعة معه
عليه الصلاة والسلام ولم يبين كيفية اتمام الطايفتين واختلف الاخبار في ذلك
واختلف باختلافها العلما فعند ابي حنيفة رحمه الله يتم صلاته ان كانت كعتين ثم تقف
هذه بازاء العدو وتاتي الاخرى فتودي الركعة بغير قراة لانهم لاحقون ويتمون الصلاة
ثم يحرسون وتاتي الاخرى فتودي الركعة بقراة لانهم مسبوقون يتمون الصلاة
كذلك رواه ابن مسعود وتاتي الاخرى فتودي الركعة بقراة وابن عمر رضي الله
عنه والسجود مجاز عن الركعة على ما نبهت عليه فيما سبق على ظاهره ود الذين كفروا
لو تغفلون اي احب الكفار غفلتكم عن اسلحتكم وامتعتكم متمنيا ذلك فيميلون
عليكم ميلة واحدة فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان ما لاجله امروا باخذ الحذر
والسلاح ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى تعب من مطر او كنتم مرضى لم يقل
او مرضى لعدم دلالته على العموم وهو المراد ان تضعوا اسلحتكم لما كانت حالة
المرض مما يشق السلاح فيها وحالة المطر مما يثقل العدو ويمنعه من خفة الحركة
للقتال رخص لهم فيهما وضع السلاح وفي قوله ولا جناح دلالة على ان الامر بالاخذ
للايجاب دون الاستحباب وخذوا حذركم امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا
يهجم عليه العدو ولما كان الامر بالحذر موهما لتوهم غلبة التوقع وقاية والله
وكلهم الى انفسهم ولم يكلاهم ازال ذلك الوهم بقوله ان الله اعد للكافرين عذابا
مهينا تقوية لقلوبهم وتبشير بان الله هو الذي يهين عدوهم ويخذله وينصرهم
عليه واعلاما بان الامر بالحذر انما هو تعبد لا تخلية بينهم وبين عدوهم مراعاة لحكمة
الله تعالى وسنته فاذا قضيتم الصلاة اديتم وفرغتم منها فاذكروا الله كثيرا
قياما وقعودا وعلى جنوبكم فدوموا على الذكر في جميع الاحوال وهو الذكر باللسان والدعا
بالنصر عند ملاقاة العدو وهو كما قال اذا لقيتم فية فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم
تفلحون وقيل اذا اردتم اداء الصلاة فصلوا قياما ان قدرتم عليه وقعودا ان عجزتم
عن القيام ومضطجعين ان عجزتم عن القعود لسبب الجرح اي ادوها على حسب الوسع
وهذا عند اشتداد الحرب بقرينة قوله فاذا اطماننتم اي سكنتم قلوبكم من الخوف
وعلى كلا التفسيرين لا دلالة فيه على صحة الصلاة في حال المسابقة فاقيموا الصلاة
تعدلوا وادوها تامة بطايفة واحدة ان الصلاة كانت على المومنين كتابا موقوتا

مفروضا محدودا باوقات معينة فلا يوخر عنها بسبب الخوف فهو كالتعليل لما سبق واما
انه لا يوخر عنها بسبب من الاسباب فلا دلالة عليه في الكلام فلا يكون دليلا على وجوب
ادايها في حال المسابقة والاضطراب في المعركة واما عدم دلالته على ان المراد بالذكر
الصلاة فظاهر وانما قال على المومنين لان الكلام في ادايها والايمان شرط صحته وان
لم يكن شرط وجوبها عند القايلين بان الكفار مخاطبون بالعبادات المفروضة ولا تهنوا
ولا تضعفوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال ان تكونوا تالمون •
به اي لا تتوانوا بسبب الالم والجراح ثم علل النهي فانهم يالمون به كما تالمون •
وترجون من الله ما لا يرجون اي فان الالم ليس مختصا بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم
ثم انهم يصبرون مع ذلك وانتم اولى بالصبر منهم لانكم ترجون من الله الثواب العظيم في
الاخرة باظهار دين الله واعزازه وهم لا يرجونه فما بالكم لا تصبرون وفيه طرف من
التوبيخ والتقريع على التواني فيه وقرى ان تكونوا بالفتح بمعنى ان تكونوا وكان
الله عليما بمصالح العباد حين دعاهم الى الجهاد حكيما في تدبير امورهم في المبدا
والمعاد انا انزلنا اليك الكتاب بالحق ملتبسا به لتحكم بين الناس روي
ان طعمة بن ابيرق سرق درعا في جراب فيه دقيق لقتادة بن النعمان وخباها عند
يهودي فحلف طعمة ما لي بها علم فاتبعوا اثر الدقيق الى دار اليهودي فقال اليهودي
دفعها الي طعمة واختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء اليهودي وشهدوا
بالسرقة على براة اليهودي وجا بنو ظفر وهم قوم طعمة وشهدوا بالسرقة على اليهودي
فهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يعاقب اليهودي فنزلت بما اراك الله بما عرفك الله
واوحي اليك وليس من الرؤية لمعنى العلم والا لاستدعى ثلاثة مفاعيل ولا تكن
للخائنين لاجلهم والذب عنهم وهم طعمة وقومه الذين شهدوا زورا على اليهودي خصيما
للبري وهو اليهودي واستغفر الله مما هممت به ان الله كان غفورا رحيما لمن
يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يخونونها فان وبال خيانتها
يعود عليها او جعل معصية العاصين خيانة منهم لانفسهم كما جعلت ظلما عليها وضمير
الجمع وان كان الخاين طعمة وحده ليشمل كل خاين لعموم الحكم ولان شهدوا له بالبراة
ونصروه فكانوا شركا في الاثم ان الله لا يحب يكنى بعدم الحب عن البغض في
جميع الالسنة من كان خوانا مبالغة في الخيانة بالاصرار اثيما منهمكا فيه وانما
اورد صيغة المبالغة فيهما تعريضا بحال طعمه وافراطه في الخيانة حيث سرق ورمى
بالسرقة يهوديا وحلف كاذبا وقد كان سارقا في الجاهلية يستخفون من الناس
يستترون منهم خوفا وحيا ولا يستخفون من الله لا يقدرون على الاستخفاء منه

تعالى اذ لا يخفى عليه شي في الارض ولا في السماء ويجوز ان يكون الاستخفا كناية عن
الاستحيا لانه من اسبابه اي لا يستحيون منه تعالى اذ لا يخفى عليه شي وهو احق
بان يستحيى منه • وهو معهم لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معه الا ترك ما يستحقه كونه
عليه • اذ يبيتون • يدبرون ويزورون سرا واصله ان يكون بالليل ما لا يرضى من
القول من رمي البري والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله بما يعملون محيطا
اي عالما بكل وجوهه ها انتم هولاء مبتدا وخبر وفيه مبالغة عظيمة في التوبيخ اي
مشارا اليكم في الجدال بالباطل لا يمكن ذمكم بازيد مما انتم عليه فانتم انتم لا تشهير لكم بوصف
اظهر في القبح مما انفردتم به وتعينتم من بين ساير الناس ثم اكده بالتنبيهين وللاجمال في اسم
الاشارة والتفصيل في بيانه والايذان بان الجدال بالباطل لا يجدي في الاخرة انما هو
في الدنيا لكونها موضع التلبيس والاشتباه ولا يغني عنهم شيئا عند الانتصاح على رؤس
الاشهاد والانتقام العزيز القهار ودفع الفضيحة في الدنيا والعقوبة فيها فقوله
جادلتم عنهم في الحياة الدنيا جملة مبينة لوقوع اولا خبرا وصلة عند من يجعله موصولا
فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا محاميا يحميهم عن عذاب الله
ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره او يظلم نفسه بما يختص ولا يتعداه غيره ثم
يستغفر الله بالتوبة وفي كلمة ثم اشارة الى ان الاستغفار لا يكون مانعا اذا لم يود الى الاصرار
يجد الله غفورا لذنوبه رحيما بقبول توبته وامهاله الى ان يتوب وفيه حث
للمذنبين على الاستغفار ويدخل فيهم طعمة وقومه وهولاء اولياء ومن يكسب اثما فانما
يكسبه على نفسه فلا يتعداه وباله كقوله وان اساتم فلها وكان الله عليما حكيما
في مجازاته ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه او اثما كبيرة او ما كان
من عمد ثم يرم به بريئا كما فعل طعمة ووحد الضمير لمكان او فقد احتمل اي
بسبب انكاره ورميه به بريئا بهتانا برميه البري قدمه لانه افظع واحتمل بالغ
من حمل لان افتعل فيه للسبب واثما مبينا بتبرئة النفس الخاطئة وليس فيه
التسوية بين الكاسبين بل تشريكهما فيما احتملا بسبب ما فعلاه بعد الكسب ولولا فضل
الله عليك اي عصمته عن الخطا ورحمته بما اوحى اليك من الاطلاع على سرهم
لهمت طايفة منهم من بني ظفر او من الناس والطايفة بنو ظفر ان يضلوك
عن القضاء بالحق مع علمهم بان الجاني صاحبهم والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى
نفي همهم بل الى المبالغة في نفي تاثيره بتنزيله منزلة العدم وما يضلون الا انفسهم
لانهم ما ازلوك عن الحق وعاد وبال اعمالهم عليهم وما يضرونك من شي لان الله تعالى
عاصمك يحول بينك وبين الخطا في الحكم وما خطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر

لاميلا

لاميلا في الحكم ومن شي في موضع النصب على المصدر اي شيئا من الضرر وانزل الله عليك
الكتاب القران والحكمة السنة المنقسمة الى القولية والفعلية كالحلة وفيه
تنبيه على ان السنة التي هي احدى اركان الشريعة من قبيل الوحي الغير المتلو وعلمك
ما لم تكن تعلم من خفيات الامور ومن امور الدين والاحكام وكان فضل الله عليك
عظيما اذ لا فضل اعظم من الرسالة العامة لا خير في كثير من نجواهم من متناجيهم
الا من امر على حذف المضاف وهو في محل الجر على البدل من كثير او في محل النصب على
الاستثناء المنقطع اي لكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير بصدقة او معروف وهو
عام في كل جميل شرعا وعقلا وعرفا او اصلاح بين الناس او اصلاح ذات البين
ومن يفعل ذلك اي يامر بالخير لان الفعل كثيرا ما يطلق على القول والامر ومن يفعل
ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نوتيه اجرا عظيما ويجوز ان يرتب الوعد على
الفعل تحريضا للامر بالخير على فعله وتنبيها على ان الامر بفعله دون فعله لا يستحق
بل الامر به دليل على ان فعله اهم وانما يوجب الثواب لاقتضايه اليه فثوابه تبع لثواب
اهله وانما شرط ان يكون لطلب مرضاته تعالى لان الاعمال بالنيات واذا لم تقارنه
النية او عرض لحاجة الدنيا والمسمعة تحير هل هو الى الشر واستجلاب العقاب اقرب
ووصف الاجر بالعظيم تنبيها على حقارة ما فات في حسبه من اعراض الدنيا ومن يشاقق
الرسول يخالفه من الشق فان كلا من المخالفين يكون في شق غير شق الاخر من بعد
ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات ويتبع غير سبيل المومنين
وذلك هو السبيل الذي اتفقوا على صحته من الدين الحنيفي القيم فيندرج فيه
الاجماع والاجتهاد فانه ايضا مما اتفقوا على صحته وعلى كون الثابت به من الدين
وهذا كالبيان لمخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم فان من اتبع الاجماع او
اجتهاد مجتهد فهو موافق له صلى الله عليه وسلم في الحقيقة وان كان مخالفا لظاهر
الكتاب والسنة فقوله نوله ما تولى نجعله واليا لما تولاه من الضلال بان نخلي
بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وندخله فيها اي نخذله في الدنيا ونعذبه
بالنار في الاخرة وقرئ نصله بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا جهنم قيل
تدل الاية على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة
واتباع غير سبيل المومنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او واحد منهما او الجمع بينهما
والثاني نظر اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر استوجب الحد وكذا الثالث لان المشاقة
محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم
واجبا ومبناه على ان لا يكون قوله ويتبع غير سبيل المومنين لتقرير المخالفة

المذكورة وبيانها على ان لا يكون قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين لتقرير المخالفة المذكورة
وبيانها وذلك غير مسلم ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن
يشاء كرره لقصة طعمة واتصاله بها انه اشرك بعد الايمان وليس للمشرك غفران
قال المقاتل خرج طعمة من مكة ولحق بحرة بني سليم يعبد صنمهم حتى مات على الشرك نزل
فيه الاية فبين انه لو لم يشرك لكان في سعة رحمة الله تعالى ان يغفر له ومن
يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا اي تناهى تماديه في الضلال اذ لا جهل افحش من
الجهل بالله وانما ذكر في الاية الاولى ومن يشرك بالله فقد افترى لانها متصلة بقصة
اهل الكتاب ومنشا شركهم كان افتراءهم وهو دعوى البنى صلى الله عليه وسلم
وهذا في شان من ليس من اهل الكتاب ولا علم عنده فناسب وصفه بالضلال
وايضا فقد تقدم ذكر الهدى وهو ضد الضلال ان يدعون من دونه الا اناثا
يعني اللات والعزى ومناة ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه ويلبسونه انواع
الحلي ويسمونه انثى بني فلان وقيل كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل
المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى وقرئ انثى على
التوحيد وانثى على انه جمع انيث كخبيث وخبث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع
وثن كاسد واسد والمشابهتهما على قلبها لواو لضمها همزة وان يدعون وان يعبدون
بعبادتها الا شيطانا لانه هو الذي بعثهم على ذلك ودعاهم اليه فاطاعوه
فجعلت طاعتهم به عبادة مريدا عاتيا خارجا عن طاعة الله ظاهرا شره كالغلا
الامرد والشجرة المرداء التي سقطت اوراقها وظهرت عيدانها لعنه الله صفة
ثانية للشيطان وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا صفة اخرى والواو
للجمع جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع لاتخذن وما بعده من الافعال
الدالة على فرط عداوته للناس والمفروض المقدر اي نصيبا فرض لي وقدر من
قولهم فرض له في العطا ولاضلنهم عن الحق ولامنينهم الاماني الباطلة من
طول الاعمار وبلوغ الامال ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام البتك القطع والتفعيل
للتكثير والتكرير اي يقطعونها لتحريم ما احل وهي عبارة عما كانت العرب تفعل
بالبحاير والسوايب واشارة الى تحريم كل ما احل ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل
او بالقوة ولامرنهم فليغيرن خلق الله من وجهه صورة او صفة ويندرج
فيه ما قيل من فقاء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر وعموم اللفظ
يمنع التغيير مطلقا لكن خص منه البعض كالختان بالنص ثم الفقهاء منه خصاء
البهايم للحاجة بالقياس واما ما هو من انواع الكفر كعبادة الشمس والقمر

وكبائر

وكبائر المعاصي كاللواطة فقد اندرجت تحت قوله ولاضلنهم والجمل الاربعة
حكاية عما ذكره الشيطان نطقا او اتاه فعلا ومن يتخذ الشيطان وليا من
دون الله بمجاوزته عن طاعة الله تعالى الى طاعته واتباعه ما يدعوه اليه على
ما امره تعالى به فقد خسر خسرانا مبينا اذ ضيع راس ماله وبدل مكانه
من الجنة بمكانه من النار يعدهم ما لا ينجزه ويمنيهم ما لا ينالون وما يعدهم
الشيطان الا غرورا باظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة
او بلسان اوليائه اولئك ماواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا اسم مصدر
من حاص الحيص اذا خلص ونجا وعنها حال منه وليس صلة لان المصدر لا يعمل
فيما قبله ويجوز ان يكون اسم مكان اي معدلا ومهربا بالغ في التنفير عن
الشرك بوجوه اولها تحقير معبودهم ونقصها بالانوثة وثانيها ان دعاهم
وعبادتهم اياها انما هو دعوة الشيطان وعبادته وثالثها وصف الشيطان بالمرادة
واللعن والتمنية والدعوة الى القبائح وفنون الاغواء والاخبار عن نفسه بذلك على
التاكيد القسمي ورابعها الاخبار بان ولايته توجب الخسران الظاهر وخامسها تكرار
اسم الشيطان في ثلاث مواضع وترك اضماره الى اظهار اسمه الدال على البعد والطرد
وسادسها تكرار تمنيته الكاذبة والاخبار بان وعده ليس الا تغريرا محضا وتبوؤهم
اياه غرورا باطلا وسابعها ان المشركين المطيعين له في الشرك وارتكاب تلك المعاصي
ماواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا ثم قابل ذلك التنفير بالترغيب في الايمان والتوحيد
والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا قد تقدم تفسيره وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول لنفسه
اي وعده وعدا لان مضمون الجملة الاسمية التي قبله وعد والثاني لغيره اي
وحق ذلك حقا ويجوز ان ينتصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله
سندخلهم لانه بمعنى نعدهم ادخال وحقا على انه حال حق من المصدر ومن اصدق
من الله قيلا توكيد ثالث على سبيل الاعتراض والمقصود من الاية مواعدة المواعيد
الشيطانية الكاذبة لقرنايه بوعد الله الصادق لاوليائه والمبالغة في توكيده
ترغيبا للعباد في تحصيله ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب اسم ليس وعد الله اي
ليس ما وعد الله من الثواب ينال بامانيكم ايها المسلمون ولا باماني اهل الكتاب وانما ينال
بالايمان والعمل الصالح وقيل الخطاب مع المشركين ويعضده تقدم ذكرهم ثم قرر
ذلك وقال من يعمل سوءا يجز به عاجلا او اجلا ويدل على التعميم للعاجل قوله
تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا سمى القطع جزاء وقوله

صلى الله عليه وسلم في جواب ابي بكر رضي الله عنه اذا قال كيف الصلاح بعد هذه الاية
غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض يصيبك الالام فهو ما تجزون ولا يجد له من دون الله وليا
ولا نصيرا ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته في دفع العذاب عنه ومن
يعمل من الصالحات من للتبعيض لا المكلف لا يطاق عمل كل الصالحات والطاعة بحسب
الطاقة من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان وهو مومن
حال قيد به اذ لا اعتداد باعمال الكفرة لا نفعا ولا دفعا والعمل الصالح لا يكون الا للمومن
فزيادته لبيان ان المراد من عمل الصالحات وهو ثابت على الايمان فلا بد من هذا القيد في
تحقق ما اخبر به بقوله فاولئك يدخلون الجنة ولا عبرة لايمان اقترن بالعمل الصالح
ثم زال ولا يظلمون نقيرا لا بالنقص عن الثواب الموعود ولا بالزيادة على العقاب المعهود
فهو متعلق للوعيد ايضا المذكور بقوله ومن يعمل سوءا يجز به ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه
لله استفهام معناه النفي اي لا احد احسن دينا منصوب على التمييز وكنى بالوجه عن الانسان
اذ كان اشرف الاعضاء ومعنى اسلم لله انقاد لامره وشرعه وهو محسن جملة حالية
موكدة وكون الغير احسن دينا منه لا يستلزم بلوغه منتهى المراتب البشرية واتبع ملة
ابراهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها فانه صلى الله عليه وسلم بعث
على ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وزيد له اشيا حنيفا مائلا عن سائر الاديان
حال من المستكن في اتبع واتخذ الله ابراهيم خليلا مجاز عن اصطفائه واختصاصه
بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وهي جملة اعتراضية فائدتها تاكيد وجوب اتباع
ملته لان من بلغ من الزلفى والكرامة عند الله تعالى الى ان اتخذه خليلا كان جديرا
بان يتبع ملته وبان من اتبعه كان من احسن الناس دينا واما عاد وذكره ولم يضمر
تفخيما له وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها
ومن الخلة بمعنى الخصلة فانهما تتوافقان في الخصال ولله ما في السموات وما في الارض
خلقا وملكا يختار منهما من يشاء وقيل من تتمة ذكر اعمال الصالحين مقرر لوجوب طاعته
عليهم وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال وكان الله بكل شي محيطا احاطة علم وقدرة
وعد ووعيد ويستفتونك في النسا في ميراثهن اذ فيه نزلت قل الله يفتيكم
يبين لكم حكمه فيهن والافتا تبيين المبهم وما يتلى عليكم في الكتاب في محل الرفع عطفا
على الله يفتيكم والمتلو في معنى اليتامى على ان في يتامى النسا صلة يتلى وجاز ان يكون
بدلا من فيهن او ما يتلى مبتدا وفي الكتاب خبره والجملة اعتراضية او في محل الجر على الضمير
وفي يتامى النسا على الوجهين بدل من فيهن واضافة يتامى الى النسا بمعنى من والكتاب
على الوجه الثاني هو اللوح المحفوظ وفائدة الاعتراض تعظيم المتلو وخاصة حكم اليتامى

اي

اي المتلو عليكم في باب يتامى النسا حكم مثبت عند الله في اللوح المحفوظ حقه ان يراعى ويحافظ
عليه فانه من عظائم الامور عنده كما ان فائدة العطف في الوجه الاول تعظيمه بالاختصار
بالله وان حكمه حكم الله فان هذه التوطية تفخم شان الموطا له وكذلك فائدة القسم
في الوجه الثالث فان الاقسام بالشي تنويه باسمه وتعظيم لشانه اللاتي لا تؤتونهن
ما كتب لهن اي فرض لهن من الميراث وترغبون ان تنكحوهن كان الرجل
منهم يضم اليتيمة وما لها الى نفسه فان كانت ذميمة عضلها التزوج حتى تموت فيرثها
فيجوز ان يكون المعنى في ان تنكحوهن لجمالهن وعن ان تنكحوهن لدمامتهن والظاهر
الثاني بقوله ولا تؤتونهن ما لهن ولا تنكحوهن والواو للعطف دون الحال لانه
مضارع مثبت فلا يدخل عليه الواو الا بتاويل لا حاجة اليه ههنا ظاهر النص يدل
على صحة تزويج الصغيرة لغير الاب والجد ولا يعارضه احتمال ان يكون المعنى
ان تنكحوهن اذا بلغن لان الاصل في المطلق ان يجري على اطلاقه والمستضعفين
من الولدان عطف على يتامى والعرب كانوا لا يورثونهم كما لا يورثون النسا وكذا
قوله وان تقوموا لليتامى بالقسط عطف عليه اي ان تقوموا وهو خطاب
للايمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم وللقوام بالنصفة في شانهم وما
تفعلوا من خير فان الله به عليم ذكر العلم بعد العمل ابلغ وعد ووعيد واملى
اشارة وتهديد وان امراة فاعل فعل يفسره الظاهر خافت توقعت
من بعلها لما ظهر من المخايل نشوزا تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها ومنعا لحقوقها
او اعراضا بان يقل مجالستها ومحادثتها فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما
ان يتصالحا بان تحط له بعض المهر او القسم او تهب له شيئا تستميله به وقرئ ان
يصلحا بين المتنازعين وحينئذ جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما
ظرف او حال منه او على المصدر كما في القراة الاولى والمفعول بينهما او محذوف
وقرئ يصطلحا بمعنى يتصالحا والصلح خير من الفرقة او من النشوز
والاعراض وسوء العشرة او من الخصومة في كل شي فانه ابعث على التوافق
والتسالم مما اذا قيد بهما لهما او خير من الخيرات كما ان الخصومة شر من الشرور
جملة اعتراضية اكدت باعتراضية اخرى في قوله واحضرت الانفس الشح
اي لا تخاصما مرا وعنادا فان النفوس مجبولة على الشح كانها الزمته وجعلت
حاضرة له لا تنفك عنه فاذا هي لا تسمح بنفسها او بسائر حقوقها او ببعضها فلا
يغضب الزوج وليسامحها فان الشح كالامر الطبيعي للنفوس كما ذكر وللنسا محبة
ولا ينبا غضا وبيننا فقا وان تحسنوا بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن

كان به

وتتقوا النشوز والاعراض مراعاة لحقوق الصحبة خص الخطاب بالازواج اشارة
الي انهم اولى باقامة حقوقهن والتقوى فانهن نواقص العقول فان الله كان بما
تعملون من الاحسان والتقوى خبيرا فيجازيكم عليه ويثيبكم به ولن تستطيعوا
ان تعدلوا بين النسا حتى لا يقع بينكم زيادة ونقصان فيما يجب لهن البتة ولو حرصتم
من جهة التكليف ومراعاة العدالة في الحقوق فان ذلك امر طبيعي غير اختياري فدفع
لذلك عنكم تمام العدل والتسوية في شي وما كلفتم الا ما استطعتم لتستطيعون بشرط
ان تبذلوا فيه وسعكم فلا تميلوا كل الميل الى المحبوبة المرغوب فيها عن المرغوب عنها
فتمنعوا لها قسمها من غير رضى منها فانه في وسعكم فتذروها كالمعلقة وهي التي ليست
بذات بعل ولا مطلقة فيه ضربا للتوبيخ وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من
امورهن وتتقوا فيما يستقبل من مثل ذلك فان الله كان غفورا رحيما
غفر الله لكم الماضي ووعدكم بالتوفيق للعدل في المستقبل وان يتفرقا اي
يفارق كل منهما صاحبه يغن الله كلا منهما عن صاحبه وكفاه امره بدونه من
سعته من سعة رحمته وكان الله واسعا من جهة الافضال لكل من جميع جهات
الفضل والكمال حكيما لا يامر عباده الا بما هو مصلحة ذو حكمة ولله ما في السموات
وما في الارض تنبيه على كمال سعته وقدرته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم متعلق بوصينا او باوتوا واياكم عطف على الذين اوتوا ان اتقوا الله
اي بان اتقوا الله او تكون ان المفسرة لان التوصية في معنى القول واللام في الكتاب للجنس
يتناول الكتب السماوية لان المراد ولقد وصينا الامم السالفة كلها ووصيناكم اي هذه
التوصية قديمة ما زال يوصي الله تعالى به عباده لستم مخصوصين به فان السعادة في
التقوى وفيه تعظيم لاهل التقوى وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض
جملة معطوفة على ان اتقوا الله لان المعنى امرناهم واياكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم
ان تكفروا فان لله الحق كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم
وانما وصاكم لرحمته لا لحاجته ثم بين بقوله وكان الله غنيا عن الخلق وعبادتهم
حميدا في حد ذاته حمدوه او لم يحمدوا ان خلقه العالم ليس لحاجته ومصلحته فانه
كان غنيا قبل خلقه حميدا قبل حمد الحامدين ولله ما في السموات وما في الارض تكرير
لبيان عظمته وغناه وتقرير لوجوب تقواه تقدمه على التوصية تمهيد لعظمته
ومالكيته وكونه اهلا لان يتقى ويطاع والثاني لبيان غناه والتاكيد الاول في تقرير
معناه والثالث تقرير لما ذكر من كونه حميدا البستان لكل وكون الاشيا كلها في طاعته
وحمده وعبادته فلا يضره كفركم وكفى بالله وكيلا اعتراض مؤكد لما قبله

و

ومدبريته لذلك بان انه لم يكل امورهم الى غيرهم فعليهم ان يطيعوه ويتوكلوا عليه
وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وفيما بعده تخويف وتهويل شديد [illegible]
وتهديد بليغ لاعدائهم ان يشا يذهبكم ايها الناس اي ان يشا يفنكم ويعدمكم كما
اوجدكم وانشاكم ومفعول يشا محذوف دل عليه الجواب ويات باخرين ويوجد قوما
اخرين مكانكم يوالونه صلى الله عليه وسلم ويؤمنون به والخطاب لمن يعاديه
من كفار العرب وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا اذ لا يمتنع شي
على قدرته وارادته ويروى انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده
على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا ابنا فارس من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد
يطلب الغنيمة بجهاده فعند الله ثواب الدنيا والاخرة فلا وجه لارادته فعند
الله ثواب الدارين فما له يطلب الاخس ويترك الاشرف في الحديث ان الله يعطي الدنيا
على نية الاخرة ولا يعطي الاخرة على نية الدنيا فان الاشرف يستتبع الاخس دون
العكس فمن جاهد لوجه الله لم تفته الغنيمة وله من ثواب الاخرة ما الغنيمة بجنبه
كلا شي نيرد خيرا مما وكان الله سميعا باحاديث نفوسكم بصيرا بنياتكم واراداتكم
في اعمالكم وفيه وعيد لمن وقف مع هوى نفسه واختار الاخس الفاني ووعد لمن اخلص
لوجه الله وطلب الاشرف الباقي يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط ملازمين للعدل
دائمي القيام بها شهداء لله لوجه الله وهو خبر ثان لا حال لانهم مامورون بكونهم قوامين
بالقسط مطلقا فلا وجه لتقييده بحال الشهادة ولو على انفسكم وكانت الشهادة على
انفسهم بان يقروا عليها فان الشهادة بيان الحق سوا كان على نفسه او على غيره او الو
الدين والاقربين اخره ولم يسلك طريقة الترقي لمكان قوله ان يكن اي المشهود
عليه غنيا او فقيرا فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة ولا تجوزوا فيها ميلا لغناه
او ترحما لفقره فالله اولى بهما بالغني والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة
عليهما اصلاحا لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت مقامه والضمير في بهما لجنس المذكور
اعني احد الجنسين حتى يلزم افراده بل لما دل عليه المذكور اعني مجموع الجنسين فان اشتراط
احد الامرين دلالة على وجودهما في الجملة ولهذا القدر من البيان لا يتم الكلام في هذا المقام
بل لا بد من بيان وجه العدول عن الظاهر وجعل الضمير للمدلول دون المذكور وهو انه
للقصد الى تعميم اولويته وان لا يتوهم انها بالنسبة الى الواحد فقط وقراة اولى بهم
شاهد على ارادة الجنس فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا كراهة ان تعدلوا بين الناس
وارادة ان تعدلوا بين الناس وارادة ان تعدلوا عن الحق على ان يكون علة للنهي وطلب
الترك اي انهاكم عن اتباع الهوى ارادة لعدلكم او كراهة العدول وان تلووا السنتكم

عن شهادة الحق او حكومة العدل وقرئ وان تلوا وان توليتم اداءها بمعنى ان وليتم اقامة الشهادة
والحكومة او تعرضوا عن الشهادة بما عندكم او عن الحكومة بالعدل فان الله
كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها الذين امنوا امنوا اي دوموا على الايمان
بالله ورسوله والخطاب للمسلمين او امنوا بقلوبكم كما امنتم بالسنتكم والخطاب للمنافقين
او امنوا ايمانا عاما يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض مع انكار الباقي كلا ايمان والخطاب
لمؤمني اهل الكتاب ويشهد له ما روي ان ابن سلام واصحابه قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك
وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه فنزلت ويساعده التفصيل في قوله والكتاب
الذي نزل على رسوله يعني القرآن فانه نزل نجما ولهذا قال نزل منجما ولهذا قال نزل بخلاف
سائر الكتب والكتاب الذي انزل من قبل اريد به الجنس وذكر المنزل عليه في الاول
تنبيه على ان الايمان بتلك الجملة في حكم الايمان بشيء واحد فالكفر ببعضه في حكم الكفر
بكل فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه ان الذين
امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا يعني المنافقين اذ هم المتلاعبون
بالدين بالكفر مرة بعد اخرى والاصرار على النفاق وافسادا للامر على المؤمنين ولذلك جاء
بعده بشر المنافقين اظهارا لحالهم واخبارا عن مالهم لم يكن الله ليغفر لهم اي ليس
في عادته ارادة المغفرة لهم ولا ليهديهم سبيلا لان قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم
عميت عن الحق وخبر كان في امثال هذا محذوف تعلق به اللام اي لم يكن الله مريدا ليغفر لهم
بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما وضع بشر مكان انذر للتهكم بهم الذين يتخذون
الكافرين اولياء من دون المؤمنين في محل النصب على الذم لا نعت لوجود الفاصل
فلا يرتكب حيث لا ضرورة او في محل الرفع على الذم ايبتغون عندهم العزة الهمزة
للانكار اي كيف يطلبون العزة عند من ضربت عليهم الذلة ثم تبين امتناع حصول
مطلبهم العزة في اولياء الله مع التاكيد بان وجميعا بقوله فان العزة لله جميعا
اي ما العزة الا لاولياء الله الذين اعزهم بنصره وكتب لهم العزة كما قال ولله العزة
ولرسوله وللمؤمنين لا يؤبه بعزة غيرهم بالاضافة الى عزتهم وقد نزل عليكم
الكتاب يعني القرآن والخطاب للمؤمنين والمنزل عليهم ما نزل بمكة من قوله تعالى
واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وقرئ
نزل والقائم مقام فاعله ان اذا سمعتم ايات الله وهي المخففة والمعنى انه
اذا سمعتم ايات الله وهذا على طريقة قولهم سمعت فلانا يقول فالمسموع هاهنا استهزاؤ
بايات الله تعالى لا الايات يكفر بها ويستهزأ بها حالان من الايات والاولى تمهيد للثانية
تعظيما لامر الاستهزاء بالقرآن والجائي به لتقييد النهي عن المجالسة في قوله فلا تقعدوا

معهم

معهم المنتهين لما دل عليه قوله يكفر بها من الكفرة حتى يخوضوا في حديث غيره اي
غير ما خاضوا فيه والخوض للشروع وحتى غاية للنهي وانما جعل غايته الخوض في حديث
غيره دون السكوت عنه لانه لا يدل على الفراغ عنه بخلاف الخوض بحديث اخر انكم اذا
مثلهم اي اذا مكثتم معهم فانتم مثلهم في الوزر لانهم قادرون على الاعراض عنهم والانكار
عليهم ولم يرد به التمثيل من كل وجه لان خوض المنافقين فيه كفر ومكث هؤلاء معهم
معصية او عدم انكارهم عليهم لا يدل على الرضى وعلى تقدير تسليم الدلالة عليه فالرضى
بكفر الغير ليس بكفر اذا لم يكن معه استحسان له وتخصيص الخطاب بالمنافقين لا يساعده
السياق ولا يقتضيه اللحاق على ما ستقف عليه باذن الله تعالى واذا ملغاة لوقوعها
بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافرد مثلهم لانه كالمصدر او للاستغناء
بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى مبني قيل لما نزلت هذه الاية
وكانوا اذا خاضوا في ذلك قام المخلصون فعلم المنافقون بذلك فكانوا يكثرون الخوض
فيه قصدا الى تفويتهم ومن هنا ظهر انتظام قوله ان الله جامع المنافقين والكافرين
اي جامع لنفس الفريقين في جهنم وقوله جميعا لاحاطة افرادهما وسياق
الكلام لذم المنافقين موجب ذلك اذ لا يجمع المذنبين من مخلصي المؤمنين مع الكفار فيها
وذلك يخرجهم يتربصون او صفة للمنافقين خاصة او ذم مرفوع او منصوب ويجوز
ان يكون مبتدا والخبر قوله وان كان لكم فتح من الله وكونه ضعيف لنبو المعنى عنه ولزيادة
الفاء في غير محلها لان هذا الموصول غير ظاهر التشبيه باسم الشرط قالوا الم نكن معكم
مظاهرين لكم فاسهموا لنا في الغنيمة وان كان للكافرين نصيب من الحرب فانها سجال
وانما سمي غلبة المؤمنين فتحا وغلبة الكفار نصيبا تعظيما لشان المسلمين وتخسيسا لحظ
الكافرين لان ظفر اهل الاسلام امر عظيم تفتح له ابواب السماء وينزل على اوليائه
وانما غلبة الكفار فما هي الا حظ دني كنار الوخ قالوا للكفرة الم نستحوذ عليكم
الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وهذا جاء بالواو
على اصله كما جاء استروح واستصوب ونمنعكم من المؤمنين بان خذلناهم بتخييل ما ضعف
به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم فاشركونا فيما اصبتم فالله يحكم بينكم يوم القيمة يعني
ان ما في حقهم من الامهال في الدنيا استدراج لهم لا اهمال لامرهم والفاء للسببية للدلالة
على ان الحكم الموعود عليهم لا لهم ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا حينئذ
او في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة ولا متمسك فيه لاصحاب الشافعي على فساد شرى
الكافر المسلم ولا للحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد ان المنافقين
يخادعون الله وهو خادعهم سبق الكلام فيه في اوائل سورة البقرة واذا قاموا

إلى الصلاة قاموا كسالى بضم الكاف وفتحها جمع كسلان أي متثاقلين كالمكره على الفعل يراؤن
الناس ليخالوهم مؤمنين والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم أو للمقابلة فإن المرائي
يري من يرائيه عمله وهو يريه استحسانه وكسالى ويراؤن منصوبان على الحال من ضمير قاموا
ولا يذكرون الله إلا قليلا لاشتغالهم بأمور الدنيا ولما لكهم عليها إما عطف على يراؤن وإما
حال من ضميره قيل أن المرائي لا يفعل إلا بحضرة من يرائيه وهو أقل أحواله ويأباه العطف
بالواو وحينئذ حقه العطف بالفاء مذبذبين بين ذلك مترددين بين الكفر والإيمان
من الذبذبة وهو جعل الشيء مضطربا وأصله الذب بمعنى الطرد حال من ضمير يذكرون
أو يراؤن أو منصوب على الذم وقرئ بكسر الذال أي يذبذبون قلوبهم أو دينهم
أو يتذبذبون لقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال غير المعجمة يعني أخذوا
تارة في دبة وأخرى في دبة وهي الطريقة لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء لا صائرين
إلى أحد الفريقين بالكلية وفي نظمهم هذا الوجه دلالة على أن النفاق أخبث من الكفر
الصرف ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا إلى الحق والصواب اعتراض لبيان تلك
الذبذبة من الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين
فإنه صنيع المنافقين فلا تتشبهوا بهم أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة
بينة فإن موالاتهم دليل ظاهر على النفاق والهمزة للإنكار إن المنافقين في
الدرك الأسفل من النار وهي الطبقة التي في قعر جهنم ولها أشد عذابا ولذلك يقول
الكافرون ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من
الأسفلين والنار سبع دركات سميت بذلك لأنها متداركة متتابعة بعضها تحت بعض
والمنافقون أخبث الكفرة حيث ضموا إلى الكفر استهزاء بالإسلام وخداعا للمسلمين
ولذلك استحقوا أشد العذاب وأما قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو
منافق وإن صام وإن صلى وزعم أنه مسلم من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا
ائتمن خان فمن باب التغليظ وقرئ في الدرك بسكون الراء وهو لغة كالسطر والسطر
أوجه لأنه يجمع على أدراك ولن تجد لهم نصيرا يخرجهم منه إلا الذين تابوا
عن النفاق وأصلحوا ما أفسدوا من أحوالهم وأسرارهم في حالة النفاق واعتصموا
بالله تمسكوا ووثقوا به كما يثق المؤمنين الموقنون وأخلصوا دينهم لله بالبراءة عن
الرياء وتخصيص العبادة به تعالى وابتغاء وجهه بالطاعات فأولئك مع المؤمنين أي
أصحابهم ورفقاؤهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما فيساهمونهم فيه
ويشاركونهم في الأجر ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم إنكار لانتفاعه تعالى
بعذابهم أي منزه عن الأغراض إلى أنما تعذب الملوك لأجلنا لا ينتفي به من غيظ ولا يدرك

به ثارا ولا يستجلب به نفعا ولا يستدفع به ضرا كما يفعل الملوك لأن الغني المطلق
الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك وإنما العذاب يقتضيه حكمته فإن شكرتم نعمه باستعمالها
فيما يجب وتوصلتم إلى معرفته وآمنتم به فقد أبعدتم استعدادكم من استحقاق العذاب
وكان الله شاكرا يثيبكم بإيفاء أجوركم عليما بحق شكركم وإيمانكم إنما قدم الشكر
على الإيمان لأن أعظم الشكر هو الاستدلال مقدم على الإيمان لا يحب الله الجهر بالسوء
من القول لما ذكر هذا الوصف مع أنه لا يحب السوء مطلقا لانطباقه بسبب النزول
روي أن رجلا ضاف قوما فلم يطعموه فأصبح شاكيا فعوتب على الشكاية فنزلت إلا من
ظلم إلا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم وذكره بما فيه من السوء فالاستثناء متصل وقرئ
ظلم على البناء للفاعل على أنه منقطع أي ولكن الظالم يجهر بالسوء فاعلا ما لا يحبه الله أو
على البدل من الفاعل إلا يحبه إلا الظالم على لغة من يقول ما جاءني زيد إلا عمرو بمعنى
ما جاءني إلا عمرو ومنه قوله تعالى لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله
وكان الله سميعا يسمع قول المظلوم عليما يعلم فعل الظالم إن تبدوا خيرا
طاعة وبرا أو تخفوه أو تفعلوه سرا أو تعفوا عن سوء خص العفو
بالذكر مع أنه يكرم القسمين لكونه المقصود على أي وجه كان وذكر إبداء الخير
وإخفاءه لتنبيه له ولذلك رتب عليه قوله فإن الله كان عفوا قديرا يكثر العفو
عن العصاة مع القدرة على الانتقام فعليكم أن تقتدوا بسنته وتتخلقوا بخلقه
ثم العفو بجعله صفة لله تعالى وبالحث على الاتصاف به وتعظيم صاحبه بأنه سميه
إن الذين يكفرون بالله ورسله قوله تعالى توطئة لرسله بقوله ويريدون أن
يفرقوا بين الله ورسله أي بالإيمان والكفر بالرسل والمراد بالتوطئة بيان أن
الكفر بالرسل كفر بالله فالتفريق خطأ ظاهر إذ لا واسطة بين الكفر والإيمان ويقولون
نؤمن ببعض ونكفر ببعض نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعضهم ويريدون أن
يتخذوا بين ذلك سبيلا طريقا وسطا بين الإيمان والكفر بالرسل والمراد بالتوطئة
بيان أن الكفر بالرسل كفر بالله بالتفريق خطأ ظاهر إذ لا واسطة بين الكفر والإيمان
ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعضهم ويريدون
أن يتخذوا بين ذلك سبيلا طريقا وسطا بين الإيمان والكفر وهي في الأول لأنه
إن الكفر بالبعض كفر بالكل وصرح به في آخرها بقوله أولئك هم الكافرون كما
على سبيل الحصر بتوسيط الضمير وتعريف ما بعده أي الكاملون في الكفر بالتأكيد
بالمصدر فإن قوله حقا مصدر مؤكد لغيره أو صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين

بدليل

كفروا كفرا حقا اي يقينا محققا ﴿واعتدنا للكافرين عذابا مهينا﴾ اراد الاهانة في العذاب
والا فمعلوم ان العذاب لا يكون الا مهينا ﴿والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين
احد منهم﴾ اضدادهم ومقابلوهم وقد سبق وجه دخول بين على احد في آخر سورة البقرة
﴿اولئك سوف نؤتيهم اجورهم﴾ الموعودة لهم وتصديره بسوف لتأكيد الوعد والدلالة
على كائن لا محالة وان تأخر وقرئ يؤتيهم بالياء على تلوين الخطاب ﴿وكان الله غفورا﴾
لما فرط منهم ﴿رحيما﴾ بتضعيف حسناتهم ﴿يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا
من السماء﴾ نزلت في احبار اليهود اذ قالوا ان كنت صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما قال
الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة وقيل كتابا محررا بخط سماوي على
اللوح المحفوظ كما كانت التورية او كتابا الينا باعياننا كما قال بل يريد كل امرئ منهم
ان يؤتى صحفا منشرة او كتابا نعاينه حين ينزل كما قالوا لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا
نقرؤه ﴿فقد سألوا موسى اكبر من ذلك﴾ جواب لشرط محذوف دل عليه يسألك اي
لسألوك ما كبر عليك فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فلك في الانبياء اسوة ولهم في ذلك
سابقة وانما قال فقد سألوا والسائلين اسلافهم لانهم على طريقة واحدة ورثوها اكابر
عن اكابرهم واوائلهم قول واحد على مذهب واحد في التعنت وعن فهم راسخ في ذلك ﴿فقالوا
ارنا الله جهرة﴾ اي ارنا نراه جهرة عيانا او مجاهرين معاينين له ﴿فأخذتهم الصاعقة﴾
نار جاءت من السماء فاهلكتهم ﴿بظلمهم﴾ بسبب ظلمهم وهو تعنتهم في السؤال بلا دلالة فيه على
استحالة المسؤول ﴿ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات﴾ المعجزات ولا يجوز حملها
على التورية لان اتيانها بعد ذلك ﴿فعفونا عن ذلك﴾ اي تابوا فعفونا فالفاء فصيحة
يرشدك اليه قوله في سورة البقرة ثم عفونا عنكم ﴿وآتينا موسى سلطانا مبينا﴾ تسلطا
ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم العجل ﴿ورفعنا فوقهم الطور
بميثاقهم﴾ بسبب ميثاقهم ليقبلوا ﴿وقلنا لهم ادخلوا الباب﴾ اي باب ايليا ﴿سجدا﴾
مطأطئين عند الدخول رؤوسكم ﴿وقلنا﴾ على لسان داود عليه السلام ويجوز ان يكون موسى
عليه السلام فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ في زمن داود عليه السلام
﴿لهم لا تعدوا في السبت﴾ وقرئ لا تعدّوا على ان اصله لا تعتدوا فادغمت التاء في الدال
﴿واخذنا منهم ميثاقا غليظا﴾ على قولهم سمعنا واطعنا ﴿فبما نقضهم ميثاقهم﴾ متعلق بمحذوف
اي بسبب نقضهم ميثاقهم وكفرهم وكذا فعلنا بهم من تحريم الطيبات عليهم
واعتداد العذاب الاليم لهم وحذف لدلالة ما بعده عليه واما بقوله حرمنا واعتدنا
على ان قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم وما عطف عليه وما بين

للتأكيد

للتأكيد وتحقيق ان الطيبات عليهم واعتداد العذاب الاليم لهم لا يكون بنقض العهد
وما يتبعه من الكفر بالآيات وقتل الانبياء عليهم السلام وغير ذلك والفاء فصيحة عاطفة
على محذوف تقديره ثم نقض الميثاق بسبب نقضهم الميثاق فعلنا بهم ما فعلنا ﴿وكفرهم
بآيات الله﴾ بما في كتابهم وقيل بالقرآن وفيه انه صرح حقه ان يؤخر عن
قوله ﴿وقتلهم الانبياء بغير حق﴾ قد سبق تفسيره في سورة البقرة ﴿وقولهم قلوبنا
غلف﴾ معناه مغطية مغشية لا يصل اليها شيء من الذكر والموعظة ﴿بل طبع الله عليها
بكفرهم﴾ رد لما قالوا اي لم تخلق قلوبهم غلفا بل طبع الله عليها وخذلهم بكفرهم فابطل
استعدادهم ﴿فلا يؤمنون الا قليلا﴾ ايمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه ويجوز ان
تكون القلة كناية عن العدم وقد سبق وجهها في سورة آل عمران واما ما قيل المعنى
الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام فيأباه التفريع على ما تقدم ﴿وبكفرهم﴾ يعني بعيسى
عليه السلام وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب الطبع اي على قوله فبما نقضهم
ويجوز ان يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون تكرير ذلك الكفر ايذانا
بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى عليهما السلام ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم
﴿وقولهم على مريم﴾ يعني نسبتها الى الزنا والقول اذا تعدى بعلى يكون بمعنى الافتراء ونصب
﴿بهتانا﴾ على تضمين معنى باهتين وقوله ﴿عظيما﴾ تأكيد لما في تنكير بهتانا من التفخيم ﴿وقولهم
انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله﴾ قالوه استهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي
ارسل اليكم لمجنون ويجوز ان يكون استئنافا بان يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم
القبيح في الحكاية عنهم رفعا لعيسى صلى الله عليه وسلم عما يذكرونه به وعيسى بدل من
المسيح او عطف بيان وكذلك ابن مريم ويجوز ان يكون صفة ايضا واجاز ابو البقاء
في رسول الله هذه الاوجه الثلاثة الا ان البدل في المشتق قليل وقد يقال ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم جرى مجرى الجوامد ﴿وما قتلوه وما صلبوه﴾ تخصيص
بعد التعميم لكونه محلا للاهتمام ونفي لما ظنوه من انهم قتلوه او صلبوه ﴿ولكن شبه
لهم﴾ شبه مسند الى الجار والمجرور كأنه قيل وقع لهم التشبيه او الى التشبيه ضمير
المقتول المدلول عليه بقوله انا قتلنا كأنه قيل شبه لهم ما قتلوه روي انه دخل
رجل الى اليهود بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله تعالى عليه شبهه فلما خرج ظن
انه عيسى صلى الله عليه وسلم فأخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق لا يستبعد في
زمان النبوة وقيل ان رهطا من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة
وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله تعالى بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه
ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل فالقي عليه شبهه

فقتل وصلب وأما ذمهم الله بما دل عليه الكلام من جراءتهم على الله وقصد قتل نبيه المؤيد
بالمعجزات الباهرة وتبجحهم به لا بقولهم هذا على حسبانهم وإن الذين اختلفوا فيه في شأن
عيسى صلى الله عليه وسلم وذلك انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد لما وقعت تلك الواقعة
اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم
ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا
وقال من سمع منه ان الله تعالى يرفعني الى السماء انه رفع اليها وقال قوم صلب الناسوت
وصعد اللاهوت لفي شك منه لفي تردد والمراد من الشك التردد ولما احتمل ان
يكون الوقوع في الشك لاكثرهم دفعه بقوله ما لهم به من علم شي من جنس
العلم الا اتباع الظن استثناء منقطع والمعنى انهم مستمرون على الشك لكن قد يلوح
لهم امارة فيحصل ظن ثم يزول ويعود الشك وهذا دل على شدة الحيرة من استمرار
الشك بالانقطاع هذا بحسب جليل النظر والذي بحسب دقيقه ان المراد من الحيرة
التي لا محيص لهم عنها او عبارة في الدالة على الثبوت والنفي بين ما تساعد هذا وما قتلوه
يقينا صفة مصدر محذوف اي وما قتلوه قتلا يقينا او حال اي وما قتلوه قتله
يقينا او حال اي وما قتلوه متيقنين فيما ادعوا من قولهم انا قتلنا المسيح او تأكيد لما
قبله كانه قيل وما قتلوه حقا اي حق انتفاء قتله حقا ولو تأكيد لغيره بل رفعه
الله اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه الى محل عالية مما كان فيه وكان الله
عزيزا لا يغلب على ما يريده حكيما في تدابيره ويدخل فيها دخولا اوليا ما دبر
في امر عيسى صلى الله عليه وسلم وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به قبل موته
جملة قسمية وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثاني والاول لعيسى صلى الله عليه
وسلم اي ما من يهودي ولا نصراني الا ليؤمنن به قبل ان يموت ولو حين تزهق روحه
ولا ينفعه ايمانه بان عيسى صلى الله عليه وسلم اي ما من يهودي ولا نصراني عبد الله
ورسوله ويؤيد ذلك انه قرئ الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان احدا
في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الايمان به قبل ان يضطروا
اليه ولا ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى صلى الله عليه وسلم والمعنى انه اذا نزل من
السماء آمن به اهل الملل جميعا فتكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام وهذا يقتضي تخصيص
اهل الكتاب بالذين هم يوجدون عند نزوله صلى الله عليه وسلم وتعميم الحكم لعين الكتابي
ايضا بعلى ذكر يكون في المنزل تخصيصا في موضع التعميم وتعميما في موضع التخصيص
ويوم القيامة نفديه للتخصيص يكون عليهم شهيدا فيشهد على اليهود بالتفريط
في حقه وعلى النصارى بالافراط فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم

معنى

معنى ما ذكر في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا الآية والتكرير في بظلم للتعظيم وتقديمه
على ما تعلق به بقيد التخصيص • وبصدهم عن سبيل الله كثيرا • اناسا كثيرا او صدا
كثيرا وانما اعيدت الباء هنا دون في واخذهم وما بعده للفصل بين المعطوفين بما ليس
معمولا للمعطوف عليه بخلاف الفصل فيما بعده فان الفاصل فيه بالمعمول للمعطوف عليه
واخذهم الربا نهوا عنه • اي نهي تحريم بدلالة السياق فلا دليل فيه على ان النهي المطلق
يدل على التحريم • واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا
للكافرين منهم • دون من • عذابا اليما • في الغاية • لكن الراسخون في العلم منهم
كعبد الله بن سلام واصحابه • والمؤمنون • اي من المهاجرين والانصار • يؤمنون بما
انزل اليك وما انزل من قبلك • خبر المبتدأ • والمقيمين الصلاة • نصب على المدح لبيان
فضيلة الصلاة او عطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام اي
يؤمنون بالكتب والانبياء وقرئ بالرفع على الراسخون او الضمير في يؤمنون او على انه
مبتدأ والخبر اولئك سنؤتيهم والمؤتون الزكاة رفعه لاحد الاوجه المذكورة
والمؤمنون بالله واليوم الآخر قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من
اتباع الشرائع لانه المقصود من الآية اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما على جمعهم بين الايمان
الصحيح والعمل الصالح انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح بدأ به صلى الله عليه وسلم
لانه اول من شرعت له الشرائع وسنت له السنن والنبيين من بعده جواب لاهل
الكتاب اي تنزل عليهم كتابا من السماء احتجاج عليهم بان امره بالوحي كسائر الانبياء •
واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس
وهارون وسليمان خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم لان ابراهيم عليه السلام اول
اولي العزم وعيسى صلى الله عليهم وسلم آخرهم والباقون اشراف الانبياء ومشاهيرهم
وانما لم يذكر موسى عليه السلام ههنا لان له طريقة مخصوصة على ما سيأتي التصريح
بها وايضا قد انزل عليه كتاب من السماء دفعة فلا يناسب ذكره في الرد على من طلب
مثل ذلك وآتينا داود زبورا وقرئ زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور
ورسلا منصوب بمضمر دل عليه اوحينا او بما فسره قد قصصناهم عليك من قبل
من قبل هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما وهو
منتهى مراتب الوحي خص به موسى صلى الله عليه وسلم من بينهم قوله تكليما لرفع المجاز
قال الفراء العرب تسمي ما وصل الى الانسان كلاما باي طريق وصل ولكن لا تحققه
الا بالمصدر فاذا حقق به لم يكن الا حقيقة الكلام رسلا مبشرين ومنذرين
منصوب على المدح او على البدل للتأكيد او على الحال الموطئة كقولك مررت بزيد

وقد صح
تاب
عطفا

رجلا صالحا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل لئلا يقولوا لولا ارسلت الينا
رسولا فينبهنا من سنة الغفلة ويعلمنا ما يجب الانتباه له ومن قال وفيه تنبيه على ان
بعثة الانبيا عليهم الصلاة والسلام الى الناس ضرورة لقصور الكل عن ادراك جزئيات
المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها فلم يثبته لعدم مساعدة الاقتصار على التبشير والانذار
لذلك فان الاهم حينئذ ذكر بيان الاحكام كما لا يخفى على ذوي الافهام واللام متعلقة
بارسلنا او بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله
والاخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها او صفة وكان الله
عزيزا لا يغلب فيما يريد حكيما فيما دبره ويدخل فيه تدبيره في النبوة وتخصيص
كل نبي من الانبيا المذكورين بما خصه به دخولا اوليا لكن الله يشهد استدراك
عما دل عليه سؤالهم فانه لما اجاب عن اقتراحهم انزال الكتاب من السما تعنتا واحتج عليهم
بان طريق الوحي المنزل على جميع الانبيا عليهم الصلاة والسلام على هذا الاسلوب دل عليه
انهم لا يشهدون به والا لم يسالوا لوضوحه ولم يتعنتوا فقال لكن الله يشهد وانهم انكروه
ولكن الله يثبته ويقرره بما انزل الله من القران المعجز الدال على نبوتك روي
انه لما نزلت انا اوحينا اليك الاية قالوا ما نشهد لك فنزلت انزله بعلمه حال
اي ملتبسا بعلمه جملة مفسرة او وردت بيانا للشهادة اي بعلمه الخاص وهو العلم بتاليفه
على وجه يعجز عنه كل بليغ او بحال من يستعد للنبوة او يستاهل نزول الكتاب عليه
او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم وعلى هذا يكون الحال على المفعول
وعلى الاولين عن الفاعل والملائكة يشهدون ايضا بنبوتك وكفى بالله شهيدا
اي وكفى بما اقام به من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره ان الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا لجمعهم بين الضلال والاضلال ولان المضل
يكون اعرق في الضلال وابعد عن الانقلاع عنه ان الذين كفروا بانكار نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم وظلموا بالضلال وغيرهم بالصد والاضلال لم يكن الله
ليغفر لهم اي ليس في عادته تعالى المغفرة لهم ما داموا على ذلك ولا ليهديهم
طريقا لامتناعهم عن قبول ذلك الا طريق جهنم لاجرائهم اليها بعوائهم ولا
يهديهم يوم القيامة الا طريقها خالدين فيها ابدا يجري حكمه السابق ووعده
المحتوم على ان من مات على الكفر فهو لا يخرج من النار وخالدين حال مقدرة وكان
ذلك على الله يسيرا لا يصعب عليه ولا يستعظمه يا ايها الناس قد جاءكم الرسول
بالحق البا للتعدية اي بالكتاب او الدين الذي هو الحق او للمصاحبة اي ملتبسا
بالحق من ربكم لما قرر امر النبوة وبين طريق الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها

خاطب

خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على عدمها فامنوا
خيرا لكم اي ايمانا خيرا لكم او ايتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه فان تكفروا فان لله
ما في السماوات والارض اي فان الله تعالى غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع
بايمانكم لان له ما في العالم كله فحذف الجزا واقيم تعليله مقامه وعبر
عن العالم بظرفيه وكان الله عليما باحوال العالم حكيما فيما دبر له

سورة الانعام مكية مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والارض اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد باعتبار ذاته المستجمعة لجميع صفات
الكمال وعزته وعامة نعوت الجلال والجمال ونبه على استحقاقه باعتبار افعاله العظام وآثاره
الجسام وايضا حمدا ولم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض
مع انها مثلها في التعدد لان طبقاتها مختلفة بالحقيقة على ما ورد في الاخبار دون الارض انها
مثلها في التعدد لان طبقاتها وامداد لالة آثارها وحركاتها على تعددها فمبناها على اصول فلسفية
باطلة وقدمها الا لتقدمها وجودا الا انه على خلاف ما ورد في الاخبار الصحيحة على ما مر بيانه
في سورة البقرة بل لشرفها وعلو مكانها وعبر بهما باعتبار انهما قطري العالم عن جميع الاجسام
لطيفها وكثيفها كما عبر بالظلمات والنور عن جميع الاعراض محسوسها بالبصر وغائبها عنه
وجعل الظلمات والنور انشأهما والفرق بين خلق وجعل المتعدي الى مفعول واحد ان الخلق
فيه معنى التقدير والتسوية والجعل المذكور فيه معنى التعليق والارتباط بالغير بان يكون فيه
ومنه او اليه لا بان يصير اياه لانه معنى آخر للجعل فانه حينئذ يتعدى الى مفعولين ولهذا اي ولكون
الارتباط بالغير معتبرا في معناه آثره ههنا تحقيقا لما في الظلمة والنور من معنى القيام بالغير
وتضمينا للرد على الثنوية بتقدير عدم صلاحيتها للقيومية وجمع الظلمات دون النور لاختلاف
اجناس ما غاب عن البصر اختلافا فاحشا بحسب اختلاف مظاهره من القوى الظاهرة والباطنة
بخلاف النور وقدمها لتقدم جنس الغائب عن البصر ظهورا فانه يظهر للانسان وهو جنين
ولا يظهر له ما يدركه بالبصر ما لم يولد ولرعاية المناسبة لما تقدم ثم الذين كفروا يعني
بالآخرة على ما افصح عنه قوله تعالى والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون عطف على
خلق وفي ثم معنى استبعاد ترك الايمان بعد ان قام عليه البرهان كانه قيل حصل ما اوجب
توحيده من خلق السماء والارض وما بينهما بناء على انه لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا
بربهم يعدلون حذف المفعول حفظا على الفواصل تقديره يعدلون به غيره اي يشركون
به واصل العدل المساواة اي ساووا بين الله تعالى خالق العالم وبين الله خالق اصنامهم العاجزة
عن الخلق ثم ان هذا العطف ليس على قصد انه صلة اخرى او بعض الصلة بل على قصد انه
من الرادف لتلك الصلة ولهذا حسن كلمة الاستبعاد دون التشريك وتمحضها له تمحض
الفا للسببية في قولنا ما تأتيني فاكرمك انقطع عنه علقة التشريك فلم يكن في معنى الحمد
لله الذي عدلوا به ولتضمنه البشارة بالاشارة الى غاية لطفه ونهاية حلمه زاد وجه ذلك
الارداف حسنا ولطافة ويجوز عطفه على الحمد لله والمعنى انه تعالى حقيق بالحمد على ما
خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون عنه فيكفرون نعمته وحذ صلة يعدلون

ايقاعا

ايقاعا للانكار على نفس الفعل ووضع المظهر به موضع الراجع الى الموصول تنبيها على انه خلق
هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر ومعنى ثم على هذا الوجه
استبعاد عدولهم عنه بعد ذلك هو الذي خلقكم من طين اي خلق اباكم اي خلق اصل اصل مادتكم
وهو الاغذية التي تتكون منها النطفة او مادة اصلكم وهو آدم عليه السلام كائنة من طين
وللتباعد بين الخلق الصوري والتقدير المعنوي قال ثم قضى اجلا نوعا من الاجل عمل
التجاوز عنه واجل آخر لا يحتمل ذلك قوله مسمى اي مثبت معين وقد افصح هنا عن
قوله تعالى ويؤخركم الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون على ما تقف وعلى ما بين
الفاضلين من الواصلة المعنوية في تفسير سورة نوح والذي عبر عنه ثمة باضافة الاجل الى الله
تعالى وهو المعتبر وكون ذلك الاجل منهما نظرا الى ذاكر منكرا وانما قدم وهو نكرة على خبره وموطن
لفاصل بينهما بما هو مخصوص له ثم انتم تمترون الامتراء التردد من المتقابلين مأخوذ
من مري الضرع اي مسحه والفرق بين الريب والشك قد مر بيانه في تفسير قوله تعالى
لا ريب فيه والامتراء المتهم فيما ذكر حقيقة الا انهم لانهماكهم في حب الحطام كانهم شاكون في الوقوع
وانما ذكرتم مع زيادة الالتفات في انتم تنبيها على زيادة الاستبعاد وهو الله الضمير
لله تعالى والله خبر في السموات وفي الارض متعلق بمعنى اسم الله تعالى اي هو المستحق
للعبادة فيهما لا غير او هو المتوحد بالالوهية فيهما لا غير ويجوز ان يتعلق الظرف بقوله
يعلم ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد في الحرم اذا
كنت خارجه والصيد فيه او بالمصدر وهو بمعنى المفعول فليس بمقدر بحرف مصدر
وصلته حتى يلزم تقدم صلته عليه والجملة خبر ثان او هي الخبر والله بدل ويجوز ان
يكون الظرف مستقرا وقع خبرا بمعنى انه لكمال علمه بما فيهما كانه فيهما او في الجملة الفعلية
الواقعة حالا عن ضمير الاستقرار في الظرف بيان وتقرير له يعلم سركم باطنكم اي نفوسكم
وجهركم ظاهركم اي ابدانكم وعلى تقدير تعلق الظرف بالفعل المذكور يكون المعنى يعلم
نفوسكم المفارقة في السموات ونفوسكم المقارنة لابدانكم في الارض ويعلم ما تكسبون
بالقوى النفسانية والجوارح البدنية لانه تعالى خالق والمخلوق كاسب ولما كان مقتضى العلم
بذلك كونه خالقا له وهو فطنة الاشتباه حتى ضل فيه كثير من الناس اعاد الفعل اهتماما
لتحقيق ذلك المقتضى ولما اثبت المبدأ مع ما يتوقف عليه البداية من التوحيد ثم اثبت
المعاد مع ما يتوقف عليه الاعادة من العلم بين ثبوت النبوة بشهادته واوعد للمنكرين بقوله
وما تأتيهم من آية من آيات ربهم من الاولى مزيدة للاستغراق دل عليه وقوع آية في سياق
النفي والثانية للتبعيض كانه قال وما تأتيهم بعض من الآيات اي بعض كان فلا منافاة بين
هذا التبعيض والاستغراق والآيات هي المعجزات الظاهرة لهم واسنادها الى الرب

للتعظيم والتنبيه على انها صادرة عنه تعالى تصديقا للنبي صلى الله عليه وسلم الا كانوا عنه
معرضين تاركين لها غير ملتفتين اليها لكونهم غير مبالين بالعواقب وفي العدول الى صيغة الفعل
وزيادة كان دلالة على شدة اعراضهم وتوغلهم فيه وزيادة تمرنهم عليه فقد كذبوا
الكلام كاللازم لما قبله اي اذا اعرضوا عن الايات كلها فقد كذبوا بالحق لما جاءهم اي بها
اوكالدليل عليه اي ان اعرضوا عن الايات كلها فلا عجب فقد كذبوا بما هو اعظم الايات كلها او
اجلها وهو الحق لما جاءهم اي القران الذي تحدوا به فعجزوا عن الاتيان بمثله وكانه لوضوحه معلوم
عندنا للكل ان الحق هو لا يحتاج الى التسمية وعلى هذا يعني الابهام في انباء ما كانوا تعظيم القران
وتفخيم شانه اي سيعلمون باي شي استهزوا وينكشف لهم انه لم يكن في موضع استهزا فسوف
ياتيهم يعني ان الاتيان كاين لا محالة وان تاخر ففايدته تاكيد الوعد وتنبيه لابيان كونه
متاخرا انباء ما كانوا به يستهزءون اخبار ما استمروا على تجديد الاستهزاء به حينا فحينا
تارة بنسبته الى السحر والكهانة واخرى الى الشعر واساطير الاولين ان هو الا ذكر وقران مبين
ولتعلمن نباه بعد حين والمراد من اخباره ما فيه الوعد للمصدقين والوعيد للمنكرين اجلا وعاجلا
وهذا منهم غاية العصيان ونهاية التماد والتمادي في الطغيان حيث اعرضوا عما هو اية بينة
اولا وكذبوه ثانيا وسخروا به ثالثا ومن الرحمن زيادة فضل واحسان واذا اخرهم الى حين ولم يعجل
لهم العذاب المهين شدد عليهم النكير وهددهم ثم جاءهم بالموعظة والتذكير بقوله الم يروا كم
اهلكنا من قبلهم من قرن كم مفعول اهلكنا ومن قبلهم لابهامها اي كثيرا من القرون اهلكنا
وكل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم ماخوذ من قرن الشمس وهو اعلاها واول ما يبدو
منها وقال الزجاج عندي القرن هو اهل كل مدة كان فيها نبي او طبقة من العلماء قلت السنون
او كثرت والتقدير يرده قوله صلى الله عليه وسلم خيركم قرني اصحابي ثم الذين يلونهم يعني التابعين
ثم الذين يلونهم يعني تابعي التابعين مكناهم في الارض اي اثبتناهم فيها ممكنين اياهم واثباتهم
فيها كناية عن طول عمرهم كما ان تاليه كناية عن بسط معيشتهم ما لم نمكن لكم مكنه ابلغ
من مكن له اي جعل له مكانا فكانه قال اثبتناهم ما لم نوت لكم بما يقرب منه والالتفات للتكثير
والتمييز بينهم وبين المحكى عنه والخطاب لاهل مكة وارسلنا السماء عليهم مدرارا السماء
هو المظلة والمرسل والمدرار المطر او السحاب فلا بد من التجوز في المسند اليه او في الاسناد
والمدرار مفعال يستوي فيه المذكر والمؤنث معناه كثير الدرور وجعلنا الانهار
لم يقل واجرينا الانهار جريا على تجري قرينه السابق لان النهر انما يطلق على الماء حال كونه
جاريا فليس له ان يجري وان لا يجري وهو نهر بخلاف الماء النازل من السماء او السحاب فانه
تتحبس وقد يطلق وهو هو وانما صدر بالواو الداخلة على الاستقلال دون الفاء
لان المقام مقام تعداد النعم العظام وفي ضمنه الاشارة الى ان الانهار ايراد هذا لا بد
ان يكون من الاعطا بغايتهم هذا الاعتبار تجري من تحتهم خص هذا الوصف بالذكر لانه مما

يتعاطه

يتعاطه الناس الا ترى الى قول فرعون وهذه الانهار تجري من تحتي فاهلكناهم بذنوبهم
الفاضحة تفصح عن محذوف تقديره بطرت معيشتهم كما ورد في قوله تعالى وكم اهلكنا
من قرية بطرت معيشتها وانشانا من بعدهم تحقيق الامر الوعيد بتسهيل شان الاهلاك
فان من قدر على انشاء القرون لا يتعاظم عنده اهلاك بعضهم بذنوبهم وفي عبارة
الانشاء اشارة الى انهم قلعوا من اصلهم واستوصلوا فلم يبق احد من نسلهم ويعضد
ذلك ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لم
يهلك قوما او يعذب قوما فيجعل لهم نسلا قرنا اخرين يعمر به بلادهم وحاصل
الوعيد انه تعالى كما يقدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشي مكانهم اخرين يعمر بهم بلادهم
يقدر ان يفعل مثل ذلك بكم ثم قيل جماعة من قريش قالوا يا محمد لن نومن لك حتى تاتينا
بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملايكة يشهدون انه من عند الله وانك رسوله
فنزلت ولو نزلنا عليك نزل هاهنا بمعنى انزل كخبر بمعنى اخبر كتابا مكتوبا في
قرطاس ورق لم يقتصر على رويتهم الكتاب عيانا في قرطاس بل زاد عليه التقييد بقوله
فلمسوه تقوية للادراك البصري بالادراك اللمسي مبالغة في الظهور وليس فيه دفع ما عسى
ان يقولوا سكرت ابصارنا وما نزل من السماء شي اذ باللمس انما يندفع احتمال كون المراد مخيلا
واما نزوله من السماء فلا يثبت به ثم ان اللمس ابلغ من المس لانه لصوق باحساس والمس
لصوق فقط ولذلك اثر اللمس عليه بايديهم انما قيد به لان اللصوق بالاحساس ليست
في سايرها واما التجوز باللمس عن الفحص كما في قوله تعالى وانا لمسنا السماء فلا يندفع اذ لا
بعد في ان يكون ذلك لبيان مباشرتهم للفحص بانفسهم بل يندفع بكون المعنى الحقيقي
انسب للمقام ولما سيق له الكلام لقال الذين كفروا عدل عن الظاهر حيث لم
يقل لقالوا تنبيها على ان هذا ليس باول كفرهم ويجوز ان يكون تعريفا للموصول
للعهد والمراد به اشخاص باعيانهم توغلوا في التعنت والضلال على وفق ما ذكر في سبب
النزول فيكون التوصيف بيانا لسبب تقولهم هذا ان هذا الا سحر مبين توصيف
المنزل بكونه ملموسا بايديهم فكانهم عارضوا تاكيده الفعلي في الاظهار بتاكيدهم القولي في
الانكار وهذا دليل غاية عنادهم ونهاية خبثهم وفسادهم وقالوا لولا انزل هلا
انزل عليه ملك يكلمنا انه نبي ولو انزلنا ملكا لقضي الامر جواب لقولهم
وبيان المانع من انزال مقترحهم والقضاء الاتمام والالزام والمعنى لتم امر هلاكهم
لوجوب العذاب بعد ذلك وهذا لانهم لا يومنون ولو نزل عليهم الملك كما اخبر
الله تعالى في قوله ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شي قبلا

ما كانوا ليؤمنوا وسنة الله تعالى في الكفار وقد جرت على انه متى اقترحوا اية قاهرة فظهرت
ثم لم يؤمنوا استوصلوا بالعذاب كما افصح عن ذلك اية المائدة ولكن الله تعالى ابى من
استيصالهم به تعظيما لنبيه كما اخبر به في قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ثم
لا ينظرون اي لا يؤجلون ولا يمهلون قال قتادة لو انزلنا ملكا ثم لم يؤمنوا لعجل لهم
العذاب فلم يؤخروا طرفة عين يعني بعد عدم ايمانهم لا بعد نزول العذاب ولم يؤخروا
طرفة عين بعد عدم ايمانهم لا بعد نزول العذاب وفي لفظ ثم اشارة الى ان لهم مهلة
ان يتاملوا فيما نزل فيؤمنوا بالاختيار والاختيار لا بالالجاء والاضطرار فافهم هذا الاعتبار
ولو جعلناه اي الرسول ملكا لجعلناه اي لمثلناه رجلا كما مثل جبريل عليه السلام
في صورة دحية وذلك لان ابصار عامة البشر لا يقدرون على النظر الى صورة الملك
للطفه وضعف شعاع ابصارهم جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل
عليه ملك وتارة يقولون لو شاء ربنا لانزل ملئكة واحتمال ان يكون جوابا ثانيا على
ان الضمير للملك المقترح انزاله يا باه عبارة جعلناه ملكا فان المناسب حينئذ ان
يقال ولو انزلناه ملكا لجعلناه رجلا وانما لم يقل بشرا مع انه المناسب لمقابلة الملك تضمينا
للكلام معنى زايدا على اصل المرام وهو الاشارة الى ان شان الرسالة البراءة عن النقصان
ولا بد من رعاية على التقدير المذكور حتى لا يصح ان يكون الرسول المفروض في صورة
امراة ولا في صورة صبي ولما كان تفصيل ما ذكر انه لا نفع لهم فيما سالوا لانه اذا كان
في صورة رجل لا يعلمون انه ملك ولا يجدي نفعا في دفع شبهتهم الخبيثة ان يقال بجواز ان
يكون له اتيانا لملك في صورة الرجل فيندفع الاشتباه بذلك تداركه دفعه بما مرجعه
الى انه لا بد من الالتباس والاشتباه كيلا يفوت حكمة التكليف فقوله وللبسنا من تتمة
الجواب وقرئ باللامين مع تقرير شرط اخر وقرئ بلام واحدة على التعطف وبالتشديد
فيهما للمبالغة عليهم ما يلبسون اي لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم الان يقولون
ما هذا الا بشر مثلكم ثم قال تسلية له صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به بان له في
الانبياء عليهم السلام اسوة وانما يفعلون به يحقق بهم كما حاق بالمستهزئين عليهم السلام
وتنبيها لنا على ان قولهم ذاك على سبيل الاستهزاء والا فهم عقلاء يعلمون ان رسول قوم لا يكون
الا من جنسهم ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق اي احاط بسبب ذلك الاستهزاء
بالذين سخروا منهم والمراد الاهلاك من احاطة العدو فالحيوة لا يستعمل الا في الشر
منهم تنبيه على ان ضرر سخريتهم لا يتعدى انفسهم وهو مدلول القول الالهي وان
يهلكون ما كانوا به يستهزءون من العذاب الذي كان الرسل يخوفهم بنزوله فلا يجوز

الا في الاثناء ولا في المسند اليه لما ذكر اهلاك المستهزئين المكذبين امر بالسير في الارض للاعتبار
بحالهم في مساكنهم فقال قل سيروا في الارض الى ان تنتشر فوادا بار قوم ينزل بهم العذاب
فاخبروا واعتبروا ولما كان في هذا السير المامور به من الامتداد جيء بكلمة التراخي في قوله
ثم انظروا فان النظر وان لم يكن متراخيا عن السير باعتبار الانتهاء ولكنه متراخ
عنه باعتبار الابتداء واما قوله تعالى قل سيروا في الارض فانظروا فلعل المراد
من الارض فيه ما هو المشهور من ارض قوم نزل العذاب بساحتهم فجيء بحرف
التعقيب تنبيها على ان السير انما اريد لاجل النظر لحقته ان لا يتاخر عنه وما قيل
معناه اباحة السير في الارض للتجارة وغيرها من المنافع وايجاب النظر في اثار
الهالكين ونبه على ذلك بثم للتباعد ما بين الواجب والمباح يا باه سلامة الذوق
لان الكلام امر اجنبي وهو بيان اباحة امر السير للتجارة بين الاخبار عن حال
المستهزئين وما يناسبه ويتصل به عن الامر بالاعتبار بانار نعم مما يخلو البلاغة
اخلالا ظاهرا كيف كان عاقبة المكذبين كيف اهلكهم الله تعالى بعذاب
الاستيصال وانما عبر عنهم بالمكذبين دون المستهزئين اشارة الى ان ما لمن
كذب ان كان كذلك فكيف الحال في ما لمن جمع بينه وبين الاستهزاء قل لمن
ما في السموات والارض الزام وتبكيت لانهم لا يقدرون ان يضيفوا خلقهما
وملكهما الى غيره تعالى وكذلك عقبه بقوله قل لله تقريرا لهم لا خلاف بيني
وبينكم في ذلك وفيه انهم مع كونهم مقرين بذلك على ما افصح عنه قوله ولئن
سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله تساقوا في الجواب وانقموا المناظرة
من كونهم محجوجين فقرره لك عليهم كتب على نفسه الرحمة في الدارين اي
التزمها تفضلا واحسانا لا ان ذاته اوجبها على نفسه بمقتضى حكمته وهذا
استعطاف منه تعالى للمتولين عنه في الاقبال اليه واخبار بانه رحيم بالعباد لا
يعجل العقوبة ويقبل الانابة والتوبة ليجمعنكم ضمن الجمع معنى الحشر ولذا
قال الى يوم القيامة اي الى واقعها في موقعها كيوم بدر استيناف وقسم
للوعيد على اتركهم كانه قيل وما تلك الرحمة فقيل هي انه تعالى ليجمعنكم الى
يوم القيامة وذلك لانه لولا خوف الحساب والعذاب لحصل الهرج والمرج لارتفع
الضبط وكثر الخبط فتقدير العقاب في العقبى من اعظم اسباب الرحمة في
الدنيا وذلك ان تقول بين بقوله كتب على نفسه الرحمة كمال رحمته بالامهال
ودفع عذاب الاستيصال بعدما تقدم بيان كمال قدرته بقوله قل لمن ما في السموات
والارض ليتعين ان اول الامران امهاله ذلك عن رحمة لا عن عجز ثم بين بقوله

ليجمعنكم الى يوم القيامة فيجازيكم على شرككم انه يمهل ولكن لا يهمل بل يحشرهم
ويحاسبهم على نقير وقطمير لا ريب فيه في اليوم او الجمع الذين خسروا انفسهم
نصب على الذم او رفع عليه او مبتدا خبره فهم لا يؤمنون والفا للسببية فان
الخسران بتضييع راس مالهم وهو نور الفطرة يوجب الاصرار على الكفر
وله ما سكن في الليل والنهار لما ذكر ان له ملك ما حوى المكان من السموات
والارض ذكر ان له ما حوى الزمان واشتمل عليه الملوان وكل واحد من الزمان
والمكان مستلزما للاخر لكن التنصيص عليهما ابلغ في مقام التقرير والبسط
وقدم المكان لانه اقرب الى العقول والاذهان من الزمان والظاهر انه
استيناف اخبار وليس بمتعد بحاله تحت قل وسكن من السكنى وهو يتعدى بفي كما
يتعدى بنفسه يقال سكنوا الدار وسكنوا فيها لا من السكون على الاكتفاء باحد
الضدين على الاخر لانه لا يناسب البسط الظاهر فقصده من تفصيل قطري
المكان وصفي الزمان وهو السميع العليم وعيد للمشركين على اقوالهم
وافعالهم قل اغير الله اتخذ وليا ادخل همزة الاستفهام على الاسم دون
الفعل لان الانكار يتوجه الى اتخاذ الغير وليا لا الى اتخاذ الولي مطلقا ولا
دخل في ذلك لتقديم المفعول لانه لازم لدخول همزة الاستفهام فكان
ثابتا تبعا له وانما عبر عن المعبود بالولي لان اول درجة العبادة لشخص اتخاذه
وليا فكان نفيه ابلغ فاطر السموات والارض مبدعهما وجر على الصفة
لله فانه بمعنى الماضي ويؤيده قراءة فطر ويجوز ان يكون بدلا ورجحه ان الفصل
بين المبدل منه اسهل من الفصل بين المنعوت والنعت بناء على ما هو المشهور من
ان البدل على تكرار العامل وقرئ بالنصب على المدح والجملة تقرير لانكار
اتخاذ غير الله تعالى وليا وتعليل له وكذا قوله وهو يطعم ولا يطعم
بفتح اليا وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله تعالى فان الكلام وان كان
مع عبدة الاصنام الا انه نظرا الى عموم غير الله تعالى وتغليبا وولي النهي لان
فيه انكارا ان تصلح الاصنام للالوهية بطريق الاولى والمعنى كيف اشرك
بمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن مرتبة الحيوانية وبناها للفاعل
على ان الثاني من اطعم بمعنى استطعم او على انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى
وهو الباسط والقابض بحسب الحكمة والمصلحة كقولك هو يطعم وهو
يعطي ويمنع قل اني امرت ان اكون اول من اسلم لان النبي صلى الله
عليه وسلم سابق امته في الاسلام وهذا على طريق التحريض على الاسلام

كما امر الملك رعيته بامر ثم يتبعه بقوله انا اول من يفعل ذلك ليحملهم
على فعله ولا تكونن من المشركين عطف على معنى قوله اني امرت فانه بمعنى
قيل لي كن اول من اسلم فلا حاجة الى تقدير وقيل لي لا تكونن اي امرت بالمسارعة
الى الاسلام ونهيت عن الشرك والتعلق الامر بالمسارعة دون نفس الاسلام لم
يؤكد تاكيد النهي المتعلق بنفس الشرك وقيل بجواز عطفه على قل ويرد
عليه ان سلامة النظم تابى عن فصل الخطابات البليغة بعضها عن بعض بخطاب
ليس منها قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم الشرط معترض
بين الفعل والمفعول وجوابه محذوف دل عليه الجملة والانبيا عليهم السلام
وان كانوا معصومين عن الكفر الا انه قد يفرض اذا تعلق به غرض صحيح
من المبالغة في قطع اطماعهم والتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبوا العذاب
فلا دلالة في الاية على انه صلى الله عليه وسلم كان يخاف على نفسه من الكفر
من يصرف عنه اي العذاب وهذا ابلغ لتضمنه معنى ان يقال انا نصرف
العذاب رحمة من الله سواء كان الصارف هو او غيره فان فيه تنبيها على ان
الغير كالشفعاء وان كان صارفا للعذاب عن العصاة لكن صرفهم ذلك باذن
الله تعالى يومئذ وقرئ يصرف مبنيا للفاعل على ان الضمير فيه لله تعالى
ويعضده القراءة باظهاره وبمناسبة الجزاء والمفعول محذوف لظهوره مما قبله او هو
على ان يراد من هوله فلا حاجة الى تقدير المضاف وفي عبارة الصرف اشارة الى
ان الاية فيمن استحق العذاب فقد رحمه رحمة هي ذلك الصرف نفسه
ونظير هذا قوله صلى الله عليه وسلم لن يجزي ولد والده الا ان يجده مملوكا
فيشتريه فيعتقه يعني بالاشتراء المذكور ووجه ذلك ان اختلاف العنوان
يكفي في صحة الترتيب والتعقيب ولك ان تقول ان الرحمة سبب للصرف سابق عليه
على ما لوح اليه باعتبار الاخبار عنها وذلك ايصرف العذاب عنه وهو مستحق
له الفوز المبين ظهور الفوز يزداد بازدياد الاستحقاق المعتبر فيمن صرف عنه
العذاب وان يمسسك الله بضر الضر وهو سوء الحال اخص من الشر المقابل
للخير وانما خصه بالذكر لشدة الحاجة فيه الى الكشف فلا كاشف له فلا مزيل له
عنك الا هو وان يمسسك بخير حذف جوابه لدلالة جواب مقابله عليه ثم اكد
الجوابين لشمول قدرته كل شيء فقال فهو على كل شيء قدير فلا يقدر غيره على
مخالفته وهو القاهر فوق عباده معنى الفوقية ههنا تصوير للقهر والعلو
بالغلبة والقدرة لا بالجهة وفي القهر معنى زائد ليس في القدرة وهو منع غيره

عن بلوغ المراد وهو الحكيم في امره وتدبيره اياهم الخبير باحوالهم وخفايا
قل اي شيء اكبر شهادة روي ان قريشا قالوا يا محمد لقد سالنا عنك اليهود والنصارى
فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله فنزلت والشيء
يطلق على كل موجود وقدم تفسيره في سورة البقرة ووضعه موضع شهيد للمبالغة
في التعميم قل الله هو الجواب ثم ابتداء شهيد بيني وبينكم كرر البين ولم يقل بيننا للابانة
الى معنى التفصيل المترتب على الشهادة المقبولة ويجوز ان يكون الله شهيد فهو على الاول
للتساوق من اثبات التوحيد الى اثبات النبوة بان هذا الجواب الشاهد الذي لا اصدق منه
شهد لي بايحاء هذا الذكر الي وعلى الثاني من الاسلوب الحكيم لان الوهم لا يذهب الى ان
هذا الشاهد يحتمل ان يكون غيره تعالى بل الكلام في انه هل يشهد لنبوته ام لا واوحي
الي هذا القران لانذركم به اي بالقران والخطاب للكفار مكة وليس فيهم ما يصح ان
يبشروا به ولذلك خص الانذار بالذكر ومن بلغ في موضع نصب عطف على مفعول
لانذركم به اي ومن بلغه هذا القران من العرب والعجم وقيل من الثقلين ممن
وجد ويوجد الى يوم القيامة وهو دليل على ان احكام القران تعم كل من يبلغه الى
يوم القيامة فلا دلالة فيه الا عند من قال بحجية المفهوم ويجوز ان يكون في موضع رفع
عطفا على الضمير المستكن في لانذركم وجاز ذلك للفصل بينه وبين الضمير ولينذر به
من بلغه القران اينكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى تقرير لهم مع انكار واستبعاد
ولما كان تلك الالهة حجارة وخشبا اجريت مجرى المفرد تحقيرا لها فوصفت بما وصف
به المفرد وقيل اخرى قل لا اشهد شهادتكم بان معه الهة قل انما هو اله واحد
اي قل اشهد ان لا اله الا الله وانني بريء مما تشركون امر اولا بان يخبرهم بانه لا يوافقهم
في الشهادة ولا يلزم من ذلك افراد الله تعالى بالالوهية فامر به ثانيا بان يخبرهم بالتبري
من اشراككم وهو التاكيد لما قبله الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه يعني اليهود والنصارى
يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم بحليته ونعته الثابت في الكتابين معرفة حقة كما
يعرفون ابناءهم بحلاهم الذين خسروا انفسهم من المشركين واهل الكتاب بتضييعهم
ما يكتسب به الايمان من النور الفطري فهم لا يؤمنون قد مر وجه السببية المستفادة
من الفاء على انه لا يلزمها السببية بل يكفي ان يكون ما بعدها لازما لما قبلها كما في قوله
تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ومن اظلم ممن افترى على الله
كذبا بقولهم الملائكة بنات الله تعالى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله تعالى
وغير ذلك او كذب باياته بالقران او بالمعجزات وانما جاء باو مع كونهم جامعين
بين الكذب والتكذيب تنبيها على ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط في الظلم على

النفس لا ظلم فوقه انه لا يفلح الظالمون جاء بضمير الشان مع ان الاجمال وال
والتنبيه على ان الظالم قط لا يفلح فكيف من لا احد اظلم منه ويوم نحشرهم جميعا
منصوب بمضمر حذف تهويلا للامر ومبالغة في التخويف تقديره كان ما لا يدخل
تحت الوصف والحشر السوق من جهات مختلفة الى مكان واحد ثم نقول للذين
اشركوا وقرئ يحشرهم ثم يقول بالياء فيهما اين شركاؤكم سؤال توبيخ
وانما الشركاء اليهم لانه لا شركة في الحقيقة بين الاصنام والمعبود وانما وقع
عليها اسم الشريك بمجرد تسميتهم لها شركاء فاضيف اليهم لهذه النسبة وبعضهم التعبير
عن اعتقادهم بالزعم فانه كالعلم في الباطل ولا يخفى ما فيه من التهكم الذين كنتم
تزعمون انهم شركاؤه حذف المفعولات لدلالة سياق الكلام عليه وهذا ال
ظاهر في غيبة الشركاء وقوله تعالى وما نرى معكم شفعاءكم الذين الى قوله وضل عنكم
ما كنتم تزعمون نص فيها فلا وجه لما قيل يجوز ان يحضروا ويشاهدوا ولكن لما لم ينتفعوا
بهم ولم يكن فيهم ما رجوا من الشفاعة لهم جعلوا كانهم غيب عنهم وهو ابلغ في التوبيخ
اذ وجودهم اضر من العدم واما ما قيل يجوز ان يحال بينهم وبينهما حينئذ ليفقدوا
في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها فيرد عليه انه حينئذ ينكشف الحال عندهم ويعلمون
انه لا منفعة لهم في الهتهم بل مضرة فلا احتمال للتفقد ثم لم تكن فتنتهم جوابهم وانما
سمي فتنة لانه معذرتهم التي توهموا تخلصهم بها من قولك فتنت الذهب اذا خلصته
وقيل كفرهم والمراد عاقبته الا ان قالوا وقرئ تكن بالتاء الفوقانية والنصب
على تقدير ان قالوا مؤنثا اي لم تكن فتنتهم الا مقالتهم وهذا احسن من اعتبار التانيث
في الخبر وقرئ بالتاء الفوقانية والرفع على انها الاسم والله ربنا ما كنا مشركين
كذبوا وحلفوا مع علمهم بانه لا ينفع حيرة ودهشا وقرئ بالنصب على النداء او المدح
انظر كيف كذبوا على انفسهم بنفي الشرك عنها وضل عنهم يحتمل ان يكون
عطفا على كذبوا فيدخل في حيز انظر ويحتمل ان يكون اخبارا مستانفا فلا يدخل
في حيزه ما كانوا يفترون اي غاب عنهم ما كانوا يفترونه من الشركاء اي
يفترون الهيته وشفاعته ومنهم من يستمع اليك حتى تتلو القران روي
ان جماعة من كفار قريش استمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر ما يقول
محمد الا اساطير الاولين مثل ما احدثكم عن القرون الماضية وكان صاحب اخبار
فنزلت وجعلنا على قلوبهم اكنة جمع كنان وهو ما يستر الشيء كالغطاء ان يفقهوه
كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه الكلام المذكور اي منعناهم
ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا ثقلا الاكنة في القلوب والوقر في الاذان مثل

نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته وما قيل لما كان القرآن معجزا من
حيث اللفظ اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ المطبوع الحامل للخواص
والمزايا • وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم ولا بد من تخصيص الاية
بغير الملجئة دفعا للمخالفة بينه وبين قوله تعالى ان نشأ ننزل عليهم من السماء
اية فظلت اعناقهم لها خاضعين • حتى اذا جاءوك يجادلونك • حتى هي التي يقع
بعدها الجمل والجملة بعدها هي الشرطية يجادلونك في محل الحال وجواب الشرط
يقول الذين كفروا • وفيه وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالكفر
والعناد مع وضوح الايات ويجوز ان يكون حتى هي الجارة واذا المجرد الظرفية
في محل الجر لا يكون له جواب اي حتى وقت مجيئهم ويقول الذين تفسير ليجادلونك
ان هذا الا اساطير الاولين الواحدة الاسطورة بالضم والاسطورة بالكسر وجعل
اصدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب ويجيء الاساطير جمع اسطار بالتحريك
بمعنى الخط والكتابة وعلى هذا ينطبق ما روي عن النضر فيما سبق واما السطر
بالسكون فجمعه على اسطر وسطور وهم ينهون عنه اي ينهون الناس عن القبول
او الرسول واتباعه والايمان به وينأون عنه يبعدون عنه بانفسهم فيضلون
وان يهلكون وما يهلكون بذلك الا انفسهم وما يشعرون ان ضرر ذلك
لا يتعداهم الى غيرهم وان كانوا يظنون انهم يضرون رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولو ترى اذ وقفوا من وقفه اي حبسه الا انه قال في موضع اخر
ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون اي يحبسون والقرآن يفسر
بعضه بعضا وضمنه معنى الاطلاع دل على ذلك قوله على النار والمعنى اذ
وقفوا مطلعين على النار وقرئ على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا ولما
حذف الجواب تهويلا اي لو تراهم حين يوقفون عليها حتى يعاينوها او يطلعون
عليها وهي تحتهم او يدخلونها فيعرفوا مقدار عذابها لرأيت امرا شنيعا لا يدخل
تحت الوصف فقالوا يا ليتنا نرد تمنوا الرجوع الى الدنيا ولا نكذب بايات
ربنا ونكون من المؤمنين قرئ بنصب نكذب ونكون باضمار ان بعد الواو ولا يقع في جواب
الشرط ولا ينعقد ما قبلها وما بعدها شرط وجواب وانما هي واو الجمع تعطف
ما بعدها على المصدر المتوهم قبلها والافعال الثلاثة متمناة على سبيل الجمع بينها
لان كل واحد متمنى على حدة اذ يا ليتنا يكون لنا رد مع انتفاء التكذيب وكوننا
من المؤمنين او واو الحال على ان مدخولها حال من الضمير في نرد اي يا ليتنا نرد غير
مكذبين وكائنين من المؤمنين وقرئ برفعهما عطفا على نرد فيكونان داخلين

في

في التمني وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمني من الوعد او على الاستئناف
ونصب الثاني عطفا على مصدر متوهم مقدر من الجملة السابقة وتكون ان مضمرة
بعد الواو وفي التقدير يكون منا رد وكون من المؤمنين • بل بدا لهم ما كانوا يخفون
من قبل • اضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمني اي ظهر لهم في صحفهم
وبشهادة جوارحهم عليهم ما كانوا يخفون من الناس من فضائحهم وقبائحهم
فلذلك فتمنوا اي ما تمنوا ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لآمنوا • ولو ردوا لعادوا •
الى الدنيا • لعادوا لما نهوا عنه • من الكفر والمعاصي • وانهم لكاذبون • فيما
وعدوا من انفسهم وقالوا استئناف او عطف على انهم لكاذبون لا على لعادوا
ولا على لما نهوا اذ حينئذ حق قوله وانهم لكاذبون ان يؤخر عن المعطوف او يقدم
على المعطوف عليه ان هي الا حياتنا الدنيا الضمير للحيوة وما نحن بمبعوثين
الى الحشر والجزاء ولو ترى اذ وقفوا على ربهم للتوبيخ والسؤال كما يوقف
العبد الجاني بين يدي سيده ليعاتبه ضمن الوقوف معنى العرض ولذا
قال على ربهم والمعنى اذ عرضوا على ربهم موقوفين وقد افصح عن هذا
المعنى قوله تعالى وعرضوا على ربك صفا وقوله تعالى اذ المجرمون موقوفون
عند ربهم وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزائه او عرفوا حق التعريف
وجواب لو محذوف كما مر قال اليس هذا بالحق استئناف كأنه قال قائل
ماذا قال لهم ربهم حينئذ فقيل قال الى اخره والهمزة للتقريع والتعيير من
الله تعالى على التكذيب وانكار البعث والجزاء حين سمعوا حديثه وقالوا ما هذا
بحق والاشارة الى البعث والجزاء قالوا بلى وربنا اقرار مؤكد باليمين قال
فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بسبب كفركم قد خسر الذين كذبوا بلقاء
الله بالبعث وما يتصل به من احوال الاخرة حتى اذا جاءتهم الساعة القيامة
وحتى غاية لكذبوا لا لخسروا فان خسرانهم لا غاية له والكلام فيها وفيما بعدها
من الجملة كما مر في حتى اذا جاءوك بغتة فجأة وهي مجيء الشيء بسرعة من غير
خطور ببالك حال باغتة او مصدر لانها نوع من المجيء بسرعة قالوا يا حسرتنا
تعال فهذا اوانك والحسرة شدة الندم على ما فرطنا قصرنا مع القدرة
على عدم التقصير فيها اي في الحيوة الدنيا اضمرت لانها معلومة وان لم
يجر لها ذكر او في الساعة اي في شأنها والايمان بها كما في قوله فرطت في جنب
الله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم من قال بالميزان او اعتقد وزن
الاعمال واذعن حصول الثقل لها يوم الجزاء فليس له ان يقول انه تمثيل لثقل

اوزارهم والمعنى انهم يقاسون عذاب ذنوبهم مقاساة من يحمل ثقله على ظهره لانه
مظنة الافكار بما ذكر والجملة حال من الضمير في قالوا الا ساء ما يزرون اعتراض
والمخصوص بالذم محذوف اي بئس شيئا يزرون وزرهم او الذي يزرونه وساء
على وزن فعل متعد نقيضه ساءهم وما الحيوة الدنيا اعمالها المخصوصة بها
بحيث لا يظهر اثرها في الحيوة الاخرى ولذلك قال الا لعب ولهو فان
مطلق اعمالها المخصوصة الشاملة للعبادات ليس كذلك فالك ومن ههنا
ظهر وجه السلوك الى طريق المجاز شبهت اعمال الدنيا باللعب واللهو لقلة
جدواها وسرعة زوال منافعها او لانه يلهي الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة
دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا وللدار الآخرة
خير للذين يتقون ايراد لام الابتداء واثبات ما فيها للذين يتقون والتاكيد
بقوله افلا يعقلون اشعار بان ما سوى اعمال المتقين لهو ولعب يشتغل به
من لا يعقل وان العاقل هو الزاهد في الدنيا وقرئ ولدار الآخرة على الاضافة
اي دار الآخرة وقرئ تعقلون بالتاء على خطاب المخاطبين به او تغليب الحاضرين
على الغائبين قد نعلم انه قد ههنا من باب استعمال اللفظ في نقيضه للمبالغة
لانه بمعنى تكثير الفعل وزيادته كما يستعمل ربما لذلك كانه ايما الى ان كلما يفهم
من وقوع مرات الفعل وزيادته بالنسبة الى ما يراد منه قليل ويقويه في تفخيم الفعل
وكثرته ايراد ضمير الشان ولام الابتداء في المعلوم المقيد للاعتبار به وتحقيق وقوعه
ليلزم من كثرة الوقوع المعلوم كثرة العلم به ومن دوامه دوام العلم ليحزنك قرئ
بفتح الياء وضمها من احزن الذي يقولون اي كثرة ما نعلم حزنك من قولهم ساحر
كذاب او كاهن وامثاله فتسل ولاه عن حزنك فانهم لا يكذبونك المراد بنفي تكذيبه
صلى الله عليه وسلم استعظام تكذيبه بجعله تكذيب الله تعالى لا نفيه حقيقة
ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون بل يكذبون الله تعالى بجحود آياته ولا استهانة
بكتابه فتكذيبك تكذيبه ووضع الظاهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالظلم وان
جحودهم مسبب عن تمرنهم وافراطهم في الظلم والالتفات في اسم الله تعالى بالمعظم
ما ارتكبوه والباء لتضمن الجحود معنى التكذيب وقرئ لا يكذبونك بالتخفيف من اكذبه
اذا وجده كاذبا او نسبه الى الكذب ومعنى كذبه جعله كاذبا في زعمه روي
ان ابا جهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا لمصدق وانما نكذب ما جئتنا به
فنزلت ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على
التكذيب ومبناها على وقوع التكذيب فدل هذا على ان المعنى ما قدمنا فصبروا على

ما كذبوا

ما كذبوا واوذوا اي على تكذيبهم وايذائهم فتاس بهم واصبر كما صبروا فان مع الصبر النصر
حتى اتاهم نصرنا فيه ايماء الى وعد النصر للصابرين ولا مبدل لكلمات الله اي لمواعيده
من قوله ولقد جاءك من نبإ المرسلين اي بعض انبائهم وما كابدوا من مصابرة اعدائهم
ويجوز ان يكون الفاعل ضميرا يعود على ما دل عليه المعنى من الجملة السابقة اي ولقد
جاءك هذا الخبر من تكذيب اتباع الرسل للرسل والصبر على الايذاء الى ان نصروا ومن نبا
ما في موضع الحال وذو الحال ذلك الضمير وان كان كبر شق وثقل عليك اعراضهم
عما جئت به فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض منفذا ينفذ فيه الى ما تحت
الارض فتطلع لهم اية او سلما في السماء فتاتيهم باية او مصعدا تصعد به الى
السماء فتنزل منها اية جواب فان استطعت محذوف اي فافعل اي انك لا تستطيع
ذلك والمراد بيان حرصه وتهالكه على اسلام قومه والشرطية جواب الشرط الاول
وفي الارض صفة نفقا او متعلق بتبتغي وكذا في السماء صفة سلما او متعلق بالفعل
ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ولكن لم يشأ فلا تتهالك على ايمانهم فلا تكونن من الجاهلين
من الذين يجهلون ذلك ويرومون خلافه اي لا تحرص على ما لا يكون ولا تجزع في
مقام الصبر فان ذلك من دأب الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون اي لا يستجيب دعوتك
الى الايمان الا الذين يسمعون فيفهمون ويتدبرون دون الموتى وهؤلاء الذين
تحرص على ايمانهم موتى كقوله تعالى انك لا تسمع الموتى والموتى استعار الموتى للجهال
لان العلم حيوة القلب فالذين لا يسمعون انما لا يسمعون لان قلوبهم موتى الحقيقة
يبعثهم الله فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان وانت لا تقدر على اعلامهم ثم اليه يرجعون
للجزاء وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه مع كثرة ما نزل اليه من الايات لعدم اعتقادهم
بها عنادا كانه لم ينزل عليه شيء او اية مما اقترحوها قل ان الله قادر على ان ينزل عليه
شيء وقرئ بالتشديد على ان ينزل بمعنى انزل اية مما اقترحوا او اية ان يجحدوها
اخذهم العذاب ومن لوازم الايات الملجئة ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر
على انزالها ولكن يفعل على مقتضى حكمته وما من دابة في الارض اي تستقر فيها
وزيادته تحقيق المقابلة بينها وبين قرينتها المقابل فان بعض الطاير يتحرك على وجه
الارض الا انه لا يستقر فيها ولا طاير وقرئ بالرفع على المحل يطير بجناحيه
تصوير لتلك الهيئة الغريبة الدالة على القوة الباهرة والمقام مقام بيان كمال
قدرته تعالى وقيل انه تعالى لقطع مجاز السرعة وقيل للتعميم ويرد عليهما انه
لو قيل ولا طاير في السماء لكان اخصر وفي افادة ذلك الامر اظهر مع ما فيه من رعاية
المناسبة بين القرينين بذكر جهة العلو في احدها وجهة السفل في الاخر الا امم امثالكم

محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها واجالها والمقصود من ذلك بيان كمال قدرته
وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل اية وجمع امم
على المعنى لجمع تقوية للعموم المستفاد من وقوع النكرة في سياق النفي مصحوبة بمن التي
تفيد الاستغراق ولما دل بها على كمال قدرته واحاطة علمه او عدم على ما فرطتهم
من الانكار بقوله ما فرطنا وقرئ بالتخفيف في الكتاب اي ما اغفلنا وما
اهملنا في اللوح المحفوظ من شيء مما لم نكتبه ولم نبينه اي شيء كان فلا بد من كتابة
اعمالكم وعقايدكم واحوالكم ثم الى ربهم اي الى ذلك القادر لا الى غيره يحشرون
كلهم فيجازيهم وانما اجريت مجرى العقلاء لاطلاق الامر عليهم او غلب العقلاء للوهم
المقصودين ومن مزيدة وشيء في موضع المصدر او مفعول به على تضمين فرط معنى
اهمل او اغفل والمقصود ان يضبط احوال الدواب والطير كلها واعمالها فينصف
بعضها من بعض كما روي انه ياخذ للجما من القرنا ويجازي كلها كيف يهملكم سدى وقيل
حشرها موتها ويرده ان الحشر بعث من مكان الى اخر وتعديته بالى تنصيص على هذا
المعنى والذين كذبوا باياتنا صم وبكم في الظلمات خبر ثالث كناية عن عمى البصيرة
ناظر الى عمى في قوله تعالى صم بكم عمى وهذا ابلغ اذ جعلت الظلمات ظرفا لهم
وجمعت لاختلاف جهات الضلالة من الكفر والجهل والعناد والتقليد ولما
تخص من الدلائل القاطعة على ربوبيته وقدرته وعظمته ووجوب التنفيظ لما وعد
عليه والاقرار به بالحشر قال والمكذبون باياتنا صم ولا سمعوا كلامه المنبه فالمتفق
ودعجوا وبكم ولا نطقوا بالاقرار بالحق خابطون في ظلمات انواع الضلالة فلا ينتبهون
لذلك ولا يتاملون ولا يتفكرون فيه ثم اكد ما بين من شدة جهلهم وعميهم واحتجاجهم
بقوله من يشاء الله يضلله ايذانا بانهم من اهل الطبع والختم ومن يضلل الله فلا
هادي له ومن يشا يجعله على صراط مستقيم كان الظاهر ان يقول يهده وانما
عدل عنه لان هدايته وهي ارشاد الى الهدى غير مختصة ببعض دون بعض بل عامة
للكل قل ارايتكم اخبروني لما كان العلم سبب الاخبار وضع طلب العلم موضع
طلب الخبر وصورته استفهام ومعناه الامر لاشتراكهما في الطلب والكاف حرف
الخطاب اكد به الضمير للتاكيد لا محل لها من الاعراب والفعل معلق والمفعول
محذوف تقديره ارايتكم الهتكم تنفعكم اذ تدعونها ان اتيكم عذاب الله كما اتى
من قبلكم او اتتكم الساعة وهولها اغير الله تدعون تبكيت لهم ان كنتم
صادقين ان الاصنام الهة وجوابه محذوف اي فادعوه بل اياه تدعون بل تخصونه
بالدعاء كما حكى عنهم في مواضع وتقديم المفعول للتخصيص فيكشف ما تدعون اليه

ان

ان شا واراد ان يتفضل عليكم وتنسون ما تشركون اي الهتكم
التي تشركونها به تعالى لما ركز في العقول انه القادر على كشف
الضر دون غيره ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم
الفا فصيحة اي كذبوا الرسل فكفروا فاخذناهم والاخذ الامساك
بقوة وقهر والمراد هنا مبالغة العقوبة والملامة بالباساء البوس
الشدة كالقحط والفقر والضراء الضر والافات وهما صفتا
تانيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون يتذللون لنا ويتوبون [illegible]
فان البلايا تلين القلوب فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا معناه نفي التضرع
في ذلك الوقت مع قيام المدعي وعدم المانع وذلك انه لما جاء بلولا
التحضيضية الداخلة على الماضي للتنديم دلت على ان لا مانع لهم في
التضرع الذي اقتضاه الحال ولما كان التضرع الذي اقتضاه من لين القلب
كان المعنى لم يتضرعوا ولم يلينوا واستدرك بقوله ولكن قست
قلوبهم فالاستدراك عن كلام غير ملفوظ بل مدلول عليه معنى وزين لهم
الشيطان ما كانوا يعملون يعني مانع لهم من التضرع الا قسوة قلوبهم
وشدة شكيمتهم وعنادهم واعجابهم باعمالهم التي زينها لهم الشيطان
فلما نسوا ما ذكروا به من الباساء والضراء اي تركوا
الاتعاظ به ولم يزدجروا فتحنا عليهم ابواب كل شيء التكثير
دون التعميم كما في قوله تعالى واوتيت من كل شيء والفتح المذكور
تعبير عن تيسير مطالبهم الدنيوية اي فتحنا هم بالضراء والسراء
وابتليناهم بالشدة والرخاء محاسنة وملاطفة الزاما للحجة وازاحة للعلة
ويجوز ان تكون التوسعة عليهم مكرا واستدراجا لما روي في مسند احمد بن
حنبل عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا رايت الله تعالى يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فانما هو
استدراج ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نسوا ما ذكروا
به الاية والتوسعة قهر خفي في صورة اللطف كما ان الاخذ بالبلاء
لطف خفي في صورة القهر وقرئ فتحنا بالتشديد للتكثير حتى اذا
فرحوا بطروا واعجبوا بما اوتوا من النعم اخذناهم بغتة
اي اهلكناهم فجاة وهو اشد الاهلاك اذا لم يتقدم مشعور
به فتتوطن النفس على لقائه فاذا هم مبلسون المبلس الشديد

الحسرة والياس الحزين • فقطع دابر القوم الذين ظلموا • استوصلوا
ولم يبق منهم احد • والدابر التابع للشيء من خلفه يقال دبر الولد
يدبره دبرا ودبورا اذا تبعه ووضع الذين ظلموا موضع الضمير للتسبب اى
حق عليهم الدمار والعذاب بسبب تمادي ظلمهم وتناهيه حين لم يبق لهم
مطمع في صلاحهم • والحمد لله رب العالمين • على اهلاكهم وفيه
ايذان بان اهلاك الظلمة من اجل النعم واحقها بان يحمد عليه
لان وجودهم في الخلق بلاء وعناد وشرهم متعد ومفسدة
دنيانا وديننا فتخليص المومنين عن سوم اعمالهم وعقايدهم
خير عظيم • ونعمة سنية • قل ارايتم ان اخذ الله • لما كان
التهديد اخف من التهديد السابق اكتفى ههنا بخطاب
الضمير ولم يوكد بحرف الخطاب كما اكده ثمة سمعكم وابصاركم
اي اصمكم واعماكم • وختم • على قلوبكم • غطى عليها ما يذهب
فهمكم وعقلكم • من اله غير الله ياتيكم به اي بذلك اجرى الضمير مجرى اسم
الاشارة او بما اخذ وختم عليه • او باحد هذه المذكورات • انظر نصرف
الايات • نكررها تارة بالمقدمات والحجج العقلية وتارة بالوعد والوعيد •
والترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال الامم الماضية
ثم هم يصدفون • يعرضون وثم لاستبعاد الاعراض على الايات
بعد تصريفها وظهورها ولذلك ورد م الضمير على الفعل المضارع وصير
الجملة اسمية اي هم المكرر عليهم الايات متنوعة لا غيرهم يجدون الاعراض
دايما مع تجدد التصريف مما ابعد حالهم عما فعلنا بهم • قل ارايتكم • لما
كان التهديد شديدا جمع بين اداتي الخطاب • ان اتيكم عذاب الله بغتة
او جهرة • لما كانت البغتة هجوم الامر من غير ظهور امارة وشعورية
تضمنت معنى الخطلفة فصح مقابلتها للجهرة وبداها لانها اردع من الجهر
والما لم يقل خفية لان الخفية لا يناسب شانه تعالى وقرى بواو
الجمع • هل يهلك • معنى الاستخبار النفي ما يهلك به هلاك
سخط وقهر • الا القوم الظالمون • بالاعراض عن الايات
عنادا لاستحقاقهم ذلك بالزام الحجة وازالة العذر • وقرى
يهلك من هلك • وما نرسل المرسلين الا مبشرين • للطيعين بالجنة

ومنذرين • للعاصين بالنار وانتصابهما على الحال وفيهما
معنى العلية اي ارسلنا بقترح عليهم وبشرى • فمن امن واصلح • اي
ما يجب اصلاحه مما شرع لهم • فلا خوف عليهم • من العذاب
ولا هم يحزنون • بفوات الثواب • والذين كذبوا باياتنا يمسهم
العذاب جعل العذاب ماسا كانه حي يطلبهم بالوصول
اليهم واستغنى بالتعريف عن التوصيف • بما كانوا يفسقون •
بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة • قل لا اقول لكم عندي خزاين
الله • جمع خزينة وخزانة وهي ما يخزن اي يحرز ويحفظ بحيث لا تناله
الايدي وخزاين الله تعالى مقدوراته اى لا املك ان افعل ما اريد مما
تقترحونه وليس المراد التبري عن دعوى الالوهية والا لقيل
لا اقول لكم اني اله كما قيل • ولا اقول لكم اني ملك وايضا
في الكناية عن الالوهية بعندي خزاين الله ما لا يخفى عن البشاعة
بل هو جوابهم عن اقتراحهم عنه صلى الله عليه وسلم ان يوسع عليهم
خيرات الدنيا • ولا اعلم الغيب • عطف على لا اقول فليس معمولا
له بل للامر ولذلك احتيج الى اعادة لا اقول في قوله • ولا اقول لكم اني
ملك فانه على تقدير العطف على عندي خزاين الله لا حاجة الى اعادته
وانما لم يات فيه بنفي القول للفرق الدقيق بينه وبين قرينه وهو ان
مفهومي عندي خزاين الله لا حاجة الى اعادته وانما لم يات فيه بنفي القول
للفرق الدقيق بينه وبين قرينه وهو ان واني ملك معلومان عند
الناس فلا حاجة الى نفيهما انما الحاجة الى نفي ادعائهما تبريا عن
الدعوى الباطل بخلاف مفهوم لا اعلم الغيب كانه كان مجهولا
عندهم بل كان الظاهر من حاله صلى الله عليه وسلم الاطلاع على الغيب
فلذلك نسبوه الى الكهانة فالحاجة هنا الى نفيه ثم ان هذا النفي تضمن
الجواب عن قولهم ان كنت رسولا فاخبرنا بما يقع في المستقبل من المصالح
والمضار فنستعد لتحصيل تلك ودفع هذه ونفي دعوى الملكة تضمن الجواب
عن توهمهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق • ان اتبع الا ما يوحى

الي في الدعاوي والاحكام والاخبارات وفيه تتميم لما تقدم من نفي الامور
الثلاثة وبيان ان منزلته في الرسالة التي هي اقصى المنازل البشرية
قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي او العالم والجاهل
والمدعي المحال كالملكية ومدعي الممكن الصحيح كالنبوة افلا تتفكرون
فتهتدوا كالبصير ولا تكونوا ضالين كالاعمى وتعلموا اني ما ادعيت
الا ما يصح للبشر وان اتباع الوحي واجب فتكونوا ابصر الاعمى انا •
وانذر به • اي بما يوحي • الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم
هم المقرون بالبعث من المؤمنين المقصرين في العمل او من اهل الكتاب
والمتردد دين فيه كالمشركين المستعدين الذين علم الله تعالى
ان ينجع فيهم دون المنكرين الجازمين بانتفائه ليس لهم من دونه
ولي ولا شفيع • في موضع النصب على الحال من يحشروا غير منصورين
من احد من دون الله تعالى ولا مشفوعا لهم • لعلهم يتقون
يحذرون سوء العاقبة فيعملون عمل اهل التقوى او يؤمنون فيتقون
ولما امر بالانذار غير المتقين ليتقوا امر باكرام المتقين
وتقريبهم تكميلا لامر التحريض على التقوى بالترهيب والترغيب
فقال ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة وقرأ
ابن عامر وحده بضم العين واسكان الدال واثبات الواو وبعدها
وفيه انها معرفة ولو كانت نكرة لجاز فيها الاضافة كما
جاز غداة يوم الجمعة وقال ابو علي الفارسي الوجه الغداة
لانها تستعمل نكرة وتعرف باللام واما غدوة فمعرفة ابدا
وهو علم صيغ له وقال ابن خالويه في توجيهه ان العرب تدخل
الالف واللام في المعرفة اذا جاؤا بما فيه الالف واللام ليزدوج الكلام
قال الشاعر رأيت الوليد بن اليزيد مباركا فادخل الالف واللام
اليزيد لما جاور الوليد ومنهم من قال انها انما تكون معرفة
اذا اردت غدوة نهارك وههنا لم يرد ذلك وكان التعريف
حسنا وقال الجوهري سر على فرسك غدوة وغداة
وغدوة وما نون من هذا نكرة وما لم ينون فهو معرفة والعشي اي يعبدون

الله تعالى

الله تعالى دائما فان المراد من الغداة والعشي الدوام على اكثر استعمالهما وقيل يصلون
الصبح والعصر وقت دعوتهم بالغداة والعشي لانها من الاعمال الظاهرة وهي موقتة وادلتهم
ارادتهم فاستغرقت جميع اوقاتهم لانها من احوال الباطنة وهي مؤبدة يريدون وجهه
لا دنيا ما لكرائهما ولا عقبا ما بعطائهما والوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته والمراد
بارادة وجه الله تعالى الاخلاص رتب النهي عن مواظبتهم على دعائهم وعبادته مع الاخلاص
رتب النهي انها الموجبة لاكرامهم وان ملاك الامر في العبادة الاخلاص فلا يعتبر
بدونه لما قصر لهم لسان المعارضة سكتوا متضرعين بقلوبهم بين يدي الله تعالى لان
له يحسن الابتهال فتولى سبحانه وتعالى خصومتهم فقال ولا تطرد الذين لخ لا تنظر يا محمد الى
جرفهم على ظواهرهم وانظر جرفهم في سرائرهم كانوا مستورين فشهرهم الله تعالى قال الامام
ابو منصور ذهب عامة اهل التاويل الى النبي صلى الله عليه وسلم هم بطرد فقراء المسلمين
طمعا في اسلام رؤساء المشركين فعاتبه الله تعالى في ذلك وانزل عليه هذه الاية ولكنه
يبعد منهم ان ينسبون النبي عليه السلام الى قبح فعل واوحشه ولا يحتمل ان يكون النبي
عليه الصلاة والسلام يقرب الاعدا ويبعد الاعدا ولو فعل ذلك لوجد الكفرة عليه
مطعنا يقولون يدعوا الناس الى الايمان والتوحيد والاتباع فاذا فعلوا ذلك واجابوه
طردهم وابعدهم هذا الغري مدفوع في عقل كل عاقل لكن يجوز ان يكون طلب ذلك منه
اولئك فاما ان يهم هو به فلا ويجوز ان طلب ذلك منه اولئك فاما ان يهم هو به فلا ويجوز
ان يكون هذا من الله تعالى ابتداء تاديب وتعليم له في صحبة اصحابه رضي الله عنهم ومعاملتهم
واخبار عن قدرهم عنده ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء
كقولهم ان حسابهم الا على ربي وذلك ان المشركين طعنوا في دينهم واخلاصهم فشهد الله
لهم بالاخلاص وقال لنبيه عليه الصلاة والسلام ما عليك من حسابهم من شيء كما لا
عليهم من حسابك من شيء اي لا يلزمك اعتبار بواطنهم واخلاصهم بعدما اتسمهم بسيرة
المتقين وصلاح ظواهرهم انما ذلك على الله او عليهم اخلصوا ولم يخلصوا الا عليك فحالهم
في ذلك بالنسبة اليك كحالك بالنسبة اليهم سواء لا يتعدي ذنب احد الى صاحبه
كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى فالجملتان في تاديه المعنى المراد بمنزلة جملة
واحدة وقيل حساب رزقهم وقيل الضمير للمشركين اي لا يواخذون بحسابك ولا انت
بحسابهم حتى يهمك ايمانهم فتطرد المؤمنين لاجلهم فتطردهم جواب النفي اي ما عليك من
حسابهم فتطردهم فتكون من الظالمين جواب النهي اي ولا تطردهم فتكون من الظالمين وجوز
عطفه على فتطردهم على وجه التسبب ولا يساعده المعنى فان الطرد انما يستقيم جوابا للنفي على
تقدير ان يكون حسابهم عليه وح لا يكون سببا للظلم الا ان يقدر فتطردهم بقول المشركين

وكذلك اي مثل ذلك الفتن العظيم وهو اختلاف احوال الناس في الدنيا فتنا بعضهم
ببعض اي ابتلينا بعض الناس نقدمنا فقراء المسلمين على اشراف قريش بالسبق الى الايمان
ليقولوا ليقول المشركين اللام للعاقبة وان ضمن فتناهم معنى خذلناهم فللتعليل على
اصل القايلين بصحة تعليل فعاله تعالى بالاغراض اي خذلناهم مفتونين سببا لهذا القول
فانه لا يقوله الا مفتون مخذول اهولاء اشارة الى فلك المومنين واستحقار لهم اهل
الذي بعث الله رسولا من الله عليهم من بيننا اي انعم عليهم من بيننا لما بعد منهم عنه من
الايمان واصابة الحق من دوننا ونحن الروسا والمقدمون وهم الضعفا والعبيد وهو انكار منهم
لان يكون شانهم على الحق وتمنونا عليهم بالجنة دونهم كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه اليس
الله باعلم بالشاكرين الاستفهام للتقرير اي الله اعلم بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه
لذلك ومن لا يقع منه فيخذله واذا جاءك الذين لا يومنون باياتنا وهم الذين يدعون
ربهم وصفهم بالمواظبة على الطاعة ثم بالايمان بالله واياته من الحجج والبينات بعد النهي عن طردهم
ثم امره عليه الصلاة والسلام بقوله فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة بان يبدا
بالتسليم عليهم اي يبلغ سلام الله اليهم ويبشرهم بسعة رحمته وفضله عليهم وان الله تعالى
التزم لهم ذلك ابدانا بانهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك وجب اعزازه
واكرامه وان يبشر من الله تعالى بالسلامة في الدنيا والرحمة في الاخرة وقيل ان قوما جاؤا
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا
فنزلت انه من عمل منكم سوءا استيناف تفسير الرحمة وقري بالفتح على البدل منها
بجهالة في موضع الحال اي عمله وهو جاهل او ملتبسا بجهالة ثم تاب من بعده من بعد العمل
السوء واصلح بالتدارك والعزم على ان لا يعود الى مثله فانه غفور رحيم فتحه
من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتدا او خبر اي فامره او فعليه غفرانه وكذلك اي
مثل ذلك التفصيل البين نفصل الايات ايات القران في وصف المطيعين والمجرمين
الاوابين منهم والمصرين ولتستبين سبيل المجرمين استبان يجي لازما ومتعديا كتبين وقري
بالياء والتاء رفع السبيل لانها تذكر وتونث وقري بالتاء ونصب السبيل على خطاب النبي
الرسول صلى الله عليه وسلم ولعلها عطف على علة محذوفة اي ليظهر الحق ولتستبين وليبين
او علة لمحذوف اي لتستبين سبيل المجرمين فصلنا ذلك التفصيل واكتفي بذكر سبيل المجرمين
ببيان سبيل غيرهم منه ولم يعكس لان ذكره اهم والنفس الى الترهيب اطوع منها الى الترغيب
قل اني نهيت صرفت وزجرت بنور فطرتي وصفاء عقلي وبما اوحي الي ونصب من الدلايل
ان اعبد الذين تدعون من دون الله عن عبادة ما تعبدون من دون الله تعالى او تدعونها
الهة قل لا اتبع اهواكم تاكيد لقطع اطماعكم واشعار بالهم واشتراكا لعقولهم واشارة

الى

الى علة النهي وموجبا الامتناع عن متابعتهم وبيان لسبب ضلالتهم وذم لطريقتهم وان ما هم
عليه مجرد هوى فارغ عن الدليل مخالف لمقتضى العقل ويعني قد ضللت اذا ان اتبعتكم
قد ضللت لانه مركوز في العقل ان كل من اتبع الهوى فهو ضال وفيه تنبيه على ان كل من
طلب الحق فليتجنب الهوى وليتمسك بالحجة وليلزم طريق العقل فانه الهدى ثم اكده
بقوله وما انا من المهتدين على الجملة الاسمية الدالة على المنافاة الكلية بين متابعة
الهوى والهدى مع المبالغة بناء على ان من المهتدين ابلغ من مهتد وهو ابلغ من اهتدي
فان القيد دخل النفي اي وما انا من الهدى في شي ما دمت انا تابعا لكم كذلك ونبه
غاية التنفير عن طريقتهم ولما بالغ في نفي كون الهدى متابعته على ما يجب اتباعه بقوله
قل اني على بينة البينة الحجة الواضحة التي تفصل الحق عن الباطل فقيد الوضوح
في مفهومها لا استفاد من التنكير وهي اعم من ان تكون وحيا او دليلا عقليا او كشفا من ربي
متعلق بالظرف او صفة لبينة اي اني من معرفة ربي وتوحيده على يقين وحجة واضحة
وكذبتم به اي بربي حيث اشركتم به غيره او بالبينة حملا على المعنى وهو القران ما عندي
ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة من السماء
او ايتنا بعذاب اليم ان الحكم الا لله في تاخير العذاب لا الي ولا لاعجله يقضي
في كل ما يرجع به من التعجيل والتاخير الحق صفة المصدر اي الحق القضاء ومفعول
به اي يضع الحق من قولهم قضى الدرع اذا صنعها فيرجع الى القراءة الثانية معنى قال
الزجاج هذه كتبت ههنا بغير ياء على اللفظ لان الياء سقطت لالتقاء الساكنين كما كتبوا
سندع الزبانية وقري يقضي الحق اي يتبع ما هو الحق من قص اثره اذا اتبعه لا من
قص الخبر لما تقدم من ملايمته ما في السياق واللحاق من الحكم والفصل وهو خير
الفاصلين القاضين واصل القضاء الفصل بين الحق والباطل قل لو ان عندي اي
في قدرتي ووسعي ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتم
غضبا عاجلا لربي وانقطع ما بيني وبينكم استعظاما لتكذيبهم اي انتم ان كذبتم بما هو
ابين شي بان تفاقصم بالعذاب المستاصل لكنه لا قدرة لي ولو كان عندي اشد العذاب
لاوقعته بكم معجلا والله اعلم بالظالمين نستخبل عليهم بان الشرك الذي هم عليه اظلم
الظلم والظلم موجب لاستحقاق العذاب لكن الله اعلم بما يجب من عذابهم ووقته وعنده
مفاتح الغيب المفاتح جمع مفتح بفتح الميم وهو مخزن الذي لو وبفتح او جمع مفتح بكسرها
وهو المفتاح ويويد قراءة مفاتيح استعار المفاتح لما اودع فيه الغيب من خزاينه او بما
يتوصل به اليه وخصصت به بتقديم الظرف لانه لا اطلاع عليه ولا يمكنه التوصل
اليه لا يعلمها الا هو هو المطلع على مكامن غيبه وحده اذ هو ما به يتوصل

إليه كأنه في مخدع يغلق أبوابه لا يعلم أحد مفاتحه إلا هو أعني أسبابه التي توجب
إحداثه وإظهاره في عالم الشهادة أي يعلم أوقاتها وما في تأخيرها وتعجيلها من الحكم
فيظهرها على ما اقتضته مشيئته بحسب حكمته وهذا الوجه أنسب لما قبله وقيل
فيه دليل على علمه تعالى بالأشياء قبل وقوعها ويرد عليه أن علمه تعالى بالأشياء قبل وقوعها
ويرد عليه أن علمه تعالى ليس بزماني فلا قبلية بينه وبين الأشياء الواقعة في الزمان
ويعلم ما في البر والبحر كما يعلم ما في الغيب كله يعلم ما في الشهادة كلها وما تسقط
من ورقة إلا يعلمها تأكيد لعلمه بالجزئيات مما في البر والبحر ولا حبة في ظلمات الأرض
أراد ظلمة بطنها وظلمة داخل الشجر وظلمة جوز الثمر عبر بالحبة الموصوفة لهذه الصفة
عما هو في مبتدأ أمره من جنس النامي وبالورقة الساقطة عما بلغ منتهى شأنه فيه ولا
رطب ولا يابس معطوف على ورقة وقوله إلا في كتاب مبين كالتكرير لقوله إلا يعلمها
لأن معناه ومعنى إلا في كتاب مبين كالتكرير لقوله إلا يعلمها لأن معناه ومعنى إلا في
كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل في وقت النوم وإنما عبر عنه بالليل عن وقت
الكسب بالنهار لأنهما مقطعا أوقاتهما وخصهما بالذكر جريا على ما هو المعتاد واستعير التوفي
من الموت للنوم لمشابهته إياه في زوال الإحساس والتمييز به وأصله قبض الشيء بتمامه ويعلم
ما جرحتم بالنهار ما كسبتم فيه ومنه إطلاق الجوارح للأعضاء الكاسبة والواو حالية
لا ناسقة والآخر عن قوله ثم يبعثكم فيه بالنهار والبعث الإثارة لا الإيقاظ غايته
بعث النائم بإيقاظه فلا ترشيح فيه للتوفي ليقضى أجل مسمى في علم الله تعالى وقضاء الأجل
فصل مدة العمر من غيرها ويلزمه البلوغ إلى نهاية تلك المدة وهو المراد بقوله ههنا
ثم إليه مرجعكم بالبعث بعد الموت والمراد الرجوع إلى موقف حسابه تعالى ثم ينبئكم
يخبركم بما كنتم تعملون من الخير والشر فهذا وعد ووعيد وقيل الخطاب للكفرة والمعنى
أنكم ملقون كالجيف في الليل وكاسبون للآثام في النهار والله تعالى مطلع على أعمالكم يبعثكم
من القبور في شأن ما قطعتم به أعماركم من الغفلة والمعاصي في الليل والنهار ليقضى المدة
التي ضربها لبعث الموتى وجزائهم على أعمالهم ثم إليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بأعمالكم بالجزاء
وعلى هذا يكون الضمير في فيه عائدا إلى مضمون كونهم متوفين محاسبين ويكون في معنى لام
التعليل وكاسبين والأجل المسمى مدة الكون ولا يخفى ما فيه من التعسف المستغنى عنه
لما قدم من الرجاء الظاهر وهو القاهر فوق عباده قد مر تفسيره في هذه السورة قدمه على
ذكر إرسال الحفظة ليعلم أن إرسالهم لم يكن لحاجة إليه لأن المحتاج لا يكون قاهرا بل للحكمة
وهي أن يكون العباد على حذر وهذا أبلغ من الزجر لأن من علم أن عليه رقيبا كان أجدر بالحذر فإن
العبد إذا وثق بلطف مولاه واعتمد على عفوه لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين عليه

ويرسل

ويرسل عليكم حفظة الجمهور على أنهم حفظة الأعمال وقيل إنهم الذين يحفظون أنفاس الخلق
ويعدونها إلى وقت انقضائها ثم يقبضون الروح بمناسبة ما بعده وعليكم متعلق بيرسل كما في
قوله تعالى ويرسل عليكما شواظ من نار وهم بتمكنهم بناء جعلوا مستولين علينا ويجوز تعلقه
بحفظة أي حافظين عليكم حتى إذا جاء أحدكم الموت أي أسبابه توفته قبضت
روحه وقرئ بألف ممالة رسلنا جاءهما يعني به ملك الموت وأعوانه وفي عبارة رسلنا
إشارة إلى أن ذلك بأمره تعالى ولذلك أسنده إلى نفسه في موضع آخر وقال الله تعالى يتوفى
الأنفس حين موتها وهم لا يفرطون حالية واستئنافية قرئ بالتشديد والتخفيف
والتفريط التواني والتأخير عن الحد لا فراط مجاوزة الحد أي لا ينقصون مما أمروا
به ولا يزيدون فيه ثم ردوا إلى الله فيه التفاوت من الخطاب إلى الغيبة ومن التكلم إليها
وذلك لأن الرد بمناسبة اعتبار الغيبة وإن لم يكن حقيقة فإنهم ما غابوا عن قبضة حفظه
ولا خرجوا من حكمه نظرة ولا لحظة فالرد من البرزخ إلى موقف العرض للسؤال والجواب
مولاهم أي مولى أمرهم والمراد منه قوله تعالى وأن الكافرين لا مولى لهم يعني المعين
والناصر فلا منافاة الحق العدل الذي لا يحكم إلا بالحق وقرئ بالنصب على المدح ألا له
الحكم يومئذ لا حكم لغيره فيه وهو أسرع الحاسبين لا يشغله حساب عن حساب ولا يشغله
في السؤال والجواب قل من ينجيكم استفهام بمعنى النفي وقرئ بالتخفيف من ظلمات
البر والبحر من شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما وبين معنى الظلم والهول
وإبطال الأبصار فقيل لليوم الشديد الخسف في البر والغرق في البحر تدعونه
تضرعا وخفية معلنين باللسان الضراعة وهي شدة الفقر والحاجة إلى الشيء ومسرين
الطلب على حال وجه الإخلاص القلب وإظهارا وإسرارا وقرئ خفية بالكسر لئن أنجيتنا
وقرئ أنجانا ليوافق قوله تدعونه من هذه إشارة إلى الظلمات لنكونن من الشاكرين
جواب القسم المحذوف ولا حاجة إلى تقدير القول لدلالة تدعونه عليه قل الله ينجيكم
منها قرئ بالتشديد والتخفيف ومن كل كرب عبارة كل المبالغة في التكثير المناسبة
للمقام فإن كل نفس عند كل نفس في معرض الآفات التي لا تعد ولا تحصى والله تعالى
ينجيها منها وهي نعمة النفع ظاهرتان وتعذر الخروج عن عهدة الشكر لعدم إمكان التذكر
لأفراد النوع الأول وتفاصيلها إلا أن الشكر على النعمة نعمة أخرى ثم إن الكلام المذكور على طريق
ذكر أحد الفعلين وعطف متعلق المحذوف على المذكور على حسب ما يقتضيه لفظه حتى كأنه
شركه في أصل الفعل إجراء لأحد المتقاربين مجرى الآخر كقوله تقلدت السيف والرمح فالغم
إذا اشتد الكرب الشديد الغم أصله من كرب الأرض وهو قلبها بالحفر فالغم إذا اشتد
يثير النفس إثارة ذلك ثم أنتم تشركون أي لا تخلصون حين تستخلصون ولا

ولا تشكرون بل تشركون ثم استبعاد لشركهم مع اقرارهم بانه لا يكشف الضر الا الله تعالى
ووضع تشركون موضع لا تشكرون مبالغة لان من يشرك بالله فهو في غاية البعد من شكره
قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا اذ هو الذي عرفتموه انه الكامل في القدرة الذي
لا قدرة لاحد سواه ومعنى الاية الوعيد باحد اصناف العذاب المذكورة من فوقكم كما
امطر على قوم لوط وعلى اصحاب الفيل الحجارة او من تحت ارجلكم كما خسف بقارون
واغرق فرعون او من الجهتين معا كالطوفان وقيدنا رحلكم لقطع المجاز كما في تجري من تحتها
الانهار وذلك ان تقول اريد بالاول ظلم السلاطين وبالثاني تسلط السفلة وبالثالث الهرج
والمرج ولما كان بين هذه الثلاثة منع الجمع بحسب العادة اتى باداة التفريق او يلبسكم
شيعا فرقا بان يخلط امركم خلط شقاق لا وفاق بجعلكم مختلفي الاهواء ويذيق بعضكم
باس بعض يقاتل بعضكم بعضا نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن انظر كيف
نصرف الايات نحولها من نوع الى اخر من انواع الكلام تقريرا للمعنى وتقريبا الى الفهم
وتيل بالوعد ولا يناسبه قوله لعلهم يفقهون وكذب به اي القران قومك وهو
الحق حال من الضمير في به واستينا فاخبر بان القران الصدق قل لست عليكم بوكيل
بحفيظ وكل الي امركم فامنعكم من التكذيب اجبارا انما انا منذر والله الحفيظ لكل نبإ
النبا خبر ذو خطر مستقر اي لكل شيء نبينا في القران وقت استقرار وحصول
لا بد منه وسوف تعلمون عند وقوعه في الدنيا والاخرة وهذا كقوله ولتعلمن
نباه بعد حين واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا بالاستهزاء بها والطعن فيها والخوض
اصله في الماء ثم استعمل بطريق الاستعارة في غمرات الاشيا التي هي مجاهل تشبيها لها
بغمرات الماء فاعرض عنهم امره عليه السلام بعدم التوجه اليهم وترك الاقبال
عليهم ويلزمه النهي عن مجالستهم بطريق المبالغة حتى يخوضوا في حديث غيره غير
القران وليس هذا من قبيل عود الضمير على الايات باعتبار المعنى كما من قبيل عوده الى ما علم من سياق
الكلام واما ما زائدة بعد ان الشرطية واما احسن مجي الشرط الاول باذا التي هي
للتحقق او غالب الوقوع ومجي الشرط بان التي للشكوك ينسينك الشيطان وان شغلك
بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم وقري ينسينك بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى
بعد ما ذكرت مع القوم الظالمين اي معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم
ظلموا بوضعهم التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام وما على الذين يتقون
وما على المتقين الذين يجالسونهم من حسابهم من شيء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم واثامهم
ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى اذا سمعوهم يخوضون فيها بالمواعظة والنهي ثم القيام
واظهار الكراهة فذكرى نصب على المصدر ويجوز ان يكون مرفوعا اي عليهم ذكرى لعلهم

يتقون يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمساءتهم ويجوز ان يكون الضمير للذين يتقون اي
لعلهم يثبتون بتاباه لانه حال من شيء قدم عليه فصار قيدا للعامل فاذا عطف ذكرى عليه
كانت جهة القيد معتبرة فيه بحسب الاستعمال في عطف المفرد على المفرد لا سيما بحرف الاستدراك
فيؤول المعنى الى ان عليك من حسابهم ذكرى وذكرى ليس من حسابهم روي ان المسلمين قالوا لئن كنا
نقوم كلما استهزءوا بالقران لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام فنزلت فاذا عطف ذكرى
عليه كانت جهة القيد معتبرة فيه بحكم الاستعمال في عطف المفرد على المفرد لا سيما بحرف
الاستدراك فيؤول المعنى الى ان عليهم من حسابهم ذكرى وذكرى ليس من حسابهم
وذر الذين اتخذوا دينهم الذي كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به او بنوا امر دينهم على التشهي
وتدينوا بما لا ينفع فيه اصلا كعبادة الصنم وتحريم البحائر والسوائب وجعلوا عيدهم الذي
جعل ميقات عبادتهم زمان لعب ولهو والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويجوز
ان يكون تهديدا لهم كقوله ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون اي كلهم الى
ما اختاروا فانا اعتدنا من خفي المنكر ما ذا حللنا بهم كسرنا عليهم خمار الغفلة وكشفنا عنهم
خمار الوهم والجهالة فالاعرضون في جعله منسوخا باية السيف حمله على الامر بالكف عنهم وترك
التعرض لهم وغرتهم الحيوة الدنيا اعتراض لبيان انهم انما بنوا امر دينهم على اللعب
واللهو لان الحياة الدنيا غرتهم حتى انكروا البعث وذكر به اي بالقران ان تبسل نفس
بما كسبت مخافة ان تمنع نفس من النجاة وتسلم الى الهلكة والعذاب بسبب كسبها وترهن
لسوء عملها كقوله كل نفس بما كسبت رهينة او تقتل بسوء كسبها وعذابه كقوله وجوه
يومئذ باسرة الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل مانع ان يفلت فريسته ويقال
لبس الرجل اذا اشتد عبوسه فاذا زاد قالوا بسل ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع
يدفع عنها العذاب وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدي
لا تعادل المفدي وكل نصب على المصدر ويؤخذ في قوله لا يؤخذ منها مسند الى منها لا الى
ضمير العدل لا بطريق الاستخدام لان العدل ههنا مصدر لوقوعه مفعولا مطلقا او نوعيا
ليس بماخوذ بخلاف قوله لا يؤخذ منها عدل لانه المفدي به اولئك الذين ابسلوا بما
كسبوا اي اسلموا الى العذاب بسبب قبائح اعمالهم استعمل الابسال للاسلام الى العذاب لان
المسلم اليه يمنع المسلم لهم شراب من حميم ماء شديد الحرارة وعذاب اليم بما تنالوا
من الشهوات بما كانوا يكفرون اي هم بسبب كونهم بين ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ونار
تشتعل بابدانهم قل اندعوا نعبد من دون الله ما لا ينفعنا اي اطعناه ولا يضرنا
ان عصيناه ونرد على اعقابنا اي نرد عن ديننا ونرجع الى ورائنا بعد اذ هدانا الله
فانقذنا منه ورزقنا الاسلام والمعنى نكار الرجوع الى الشرك بعد الاهتداء الى التوحيد

كالذي استهوته الشياطين مردة الجن في الارض استهوى استفعل من هوى
في الارض ذهب فيها كان معناه طلبت هواه وحرصت عليه وزعم ابو علي انه من الهوى
اي القته في هوة ويكون استفعل بمعنى افعل نحو استزل وازل وباباه نعبده حيران
نصب على الحال ولم ينصرف لان انثاه حيرى كسكران وسكرى والحيران هو الذي
لا يهتدي لجهة جهة له اصحاب رفقة يدعونه الى الهدى الى الطريق المستقيم
سمي الطريق بالهدى تسمية بالمصدر للمبالغة ائتنا يقولون ائتنا واضمر القول لدلالة
يدعونه على ذلك قل ان هدى الله اي الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال
وامرنا في محل النصب عطفا على ان محل ان هدى الله على انه بقوله واللام في لنسلم لرب العالمين
للتعليل اي وامرنا بذلك لنسلم وزعم الكسائي والفراء ان اللام كي تقع في موضع ان في
اردت وامرت قال الله تعالى يبين لكم وقيل بمعنى الباء وقيل زائدة ويقرب بها عطف
وان اقيموا الصلاة واتقوه عليه كانه قيل وامرنا لنسلم وان اقيموا وعلى الاول
معناه وامرنا بذلك للاسلام واقامة الصلاة وتقوى الله فان ان المصدرية اذا دخلت
على الامر ينسبك منه مصدر ولا بالاخطر فيه معنى الامر وقيل موقع الغلة موقع المامور
به نعطفه على موقعهما وهو الذي اليه تحشرون يوم القيامة وهو الذي خلق السموات
والارض بالحق في موضع النصب على الحال اي قائما بالحكمة ويوم يقول اي وحين يقول لشيء
من الاشياء كن فيكون ذلك الشيء ويوم منصوب بما دل عليه بالحق ويخلق اي ويقوم
بالحق يوم يقول او خلق السموات يوم يقول قوله الحق مبتدا خبر قدم فيها الخبر لا
للحصر لانه لا يناسب المقام بل لكون الشائع في الاستعمال مثل عنده علم الساعة وقيل
قوله على هذا الوجه يجوز ان يكون فاعل فيكون والحق صفته اي ويوم يقول الحق
ويوم يامر كل شيء بقوله كن فيكون قوله الحق ولا يخفى من تعسف او منصوب بفعل
الاستقرار على ان قوله الحق مبتدا ويوم يقول خبر مقدم كقولك يوم الجمعة القتال
او قوله مبتدا والحق خبره ويوم ظرف للقول او للحق وله الملك يوم ينفخ في الصور
يوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك كقوله لمن الملك اليوم او بدل من يوم يقول
على ان كن فيكون بمعنى الاحياء والبعث وقوله الحق قوله يوم القيامة عالم الغيب والشهادة
او هو عالم الغيب او خبر بعد خبر وهو الحكيم الخبير كالفذلكة للآية واذ قال
ابراهيم لابيه آزر وهو عطف بيان لابيه قال الفراء والزجاج ليس بين النسابين
اختلاف في ان اسم ابي ابراهيم تارح والذي في القرآن يدل على ان اسمه آزر فكانا لقب
له قال ابن الانباري قد يغلب على اسم الرجل لقبه حتى يكون به اشهر منه
باسمه فيجوز ان يكون آزر لقبه ابطل الاسم لشهرته فخبر الله تعالى به لذلك وقيل

نعت

نعت مشتق من الازر ومنع صرفه للعجمة والعلمية او للوصفية ووزن الفعل وقيل المراد
به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده اي اتعبد أتتخذ اصناما آلهة
تفسير وتقرير وبعضهم قرأ ازرا بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام
وسكون الزاي ونصب الراء منونة على انه اسم صنم وتوجيههما على الاول انه كان اسم
صنم يعبد فلقب للزومه عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقرئ آزر بالضم
على النداء وهذا ظاهر في حذف المضاف لما في نداء الابن اباه باسم العلم غلظة واستخفافا
لا يليق بشأن ابراهيم عليه الصلاة والسلام الموصوف بغاية الحلم ومحبة اسمه
ورعايته يرشدك الى هذا قوله اني اراك وقومك في ضلال مبين ظاهر
الضلالة حيث لم يقل انت وقومك في ضلال مبين رعاية لحسن الادب في مخاطبته
وكذلك نري ابراهيم مثل ذلك التبصير نبصر ابراهيم قد سبق ان اسم الاشارة
في مثل هذا المقام اشارة الى هذه الاراءة لا الى شيء آخر تشبه به هذه جملة اعتراضية
بين المعطوف والمعطوف عليه ومعنى الاعتراض بيان الارشاد والهداية بطريق
الاستدلال للوصل الى مرتبة الايقان الذي انكشف به ضلال قومه ولذلك اختير
الماضي حالا فقال نري على الحكاية تصويرا وتعظيما وقرئ بالتاء ورفع الملكوت
ومعناه تبصره دلائل الربوبية ملكوت السموات والارض فعلوت من الملك
وزيادة التاء للمبالغة ومعناه ما يملك به النبي اي نريه ربوبية الله تعالى
للسموات والارض وما يدبرهما ويملكهما به من عجائب الملكوت وليكون من الموقنين
اي فعلنا ذلك ليكون من المحققين وقيل اي ليستدل وليكون وباباه الام
والواو فيهما لابد لها ان بين الاستدلال وما يترتب عليه فلما جن عليه الليل
ستره بظلامه رأى كوكبا قيل كان الكوكب الزهرة او المشتري قال هذا ربي
على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قول خصمه على ما يقول الخصم ثم ينكر عليه بالاقامة
وفي تقديم الاعتراض المذكور تنبيه على هذا فانه لولا ذلك البيان لسبق الى الوهم
انه استدلال لنفسه واما بعد تقديمه فلم يسوغ ذلك الاحتمال ومن هنا تبين انه
لا مجال لان يكون قوله فلما جن عليه الليل الخ تفصيلا وبيانا لذلك لان ما ذكر
طريق المنظر والاستدلال الشائع الذائع بين اصحاب الظواهر المقصود نظرهم
على عالم الملك فلا يصلح بيانا لحال من يترقى منه الى درجة الوقوف على سرائر عالم
الملكوت والشاهد لاسرار الربوبية فيتعين عطفه على ما قال ابراهيم فان اباه وقومه
كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى
الحق من طريق النظر والاستدلال فلما افل الافول الغروب قال لا احب

الآفلين الارباب المتنقلين من حال الى حال المحتجبين بالغروب والانتقال فضلا عن
اعبدهم فان التغير بالانتقال من مكان الى مكان من خواص الاجرام المحتاجة الى الرب
فلا تصلح لربوبيته فلما رأى القمر بازغا مبتدئا في الطلوع قال هذا ربي فلما افل
كانه غاب عن نظره او لم يكن حين راه في ابتداء الطلوع بل كان في وراء الجبل ثم طلع
منه في جانب اخر لا يراه والا فلا احتمال ان يطلع القمر من مطلعه بعد افول الكواكب
ثم يغرب قبل طلوع الشمس قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين
تنبيها لقومه على ان من اتخذ الافل المتغير الها فهو ضال وان الهداية الى الحق انما يكون
من فضل الرب وعطائه وهذا طريق من يتلطف في البحث والارشاد باظهار المناصحة
لنفسه واغماض النصح حين اراد لصاحبه وانما اراد لنفسه وبلسانه الذم والتقريع
الى نفسه لا يواجه به الخصم ليكون ابعد من التعاضد والعناد واشد تليينا لعريكته
وكسر العدو وتكميله كما قال صاحب يس ومالي لا اعبد الذي فطرني وفيه تعريض [illegible]
فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر او لانه لا يفرق
في لغة العرب بين المذكر والمؤنث في الاشارة على قاعدة تلك اللغة في مقام الحكاية
وعلى قدرة العربية في مقام الاخبار واما ما قيل وكان اختيار هذه الطريقة
واجبا لصيانة الرب عن شبهة التانيث فيرد عليه ان هذا الوجوب في الرب
الحقيقي مسلم واما الذي غرضه الابطال لاظهار ما فيه من الاوصاف النافية
للربوبية المذكورة فيه ثم بل المناسب حينئذ اظهار علامة التانيث لما فيه من الانا
الى ما يليق له العبارة هذا اكبر من باب مراعاة النصفة ايضا مع الخصم ويحتمل
ان يكون تجريد اسم الاشارة عن علامة التانيث ايضا من هذا الباب كانه
يفرض ما يفرضه ربا متجنبا عما يمكن التجنب عنه مما يوهم ما لا يليق بشان الرب
فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون من الاجرام المحدثة المحتاجة
الى محدث ومدبر مغير وهذا صريح في ان الكلام مع القوم وقد دل قوله لئن
لم يهدني ربي على انه كان عارفا بان له ربا يستحق العبادة ومنه الهداية
وان قومه على الضلال فاشعر بان محاجته كانت مع منكر بالغ في الانكار حيث
احتيج الى القسم فان اللام في لئن موطئة للقسم ربي لاكونن جواب قسم لما تم استدلا
له وظهر بالحجة ولم يبق شبهة يتمسك بها الخصم صرح بالمقصود واظهر التبري مما
كانوا يشركون به على اخرها والتوجه الى من دلت عليه الممكنات المتغيرة من
موجدها ومبدعها فقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا
وما انا من المشركين انما استدل بالافول دون البزوغ مع دلالته ايضا على التغير

والانتقال

والانتقال من حال الى حال لتعدد دلالته من جهة الانتقال والاختفاء والانتفاء
النورية ولانه لا مجال للاستدلال بالبزوغ في الكواكب لانه راه في وسط السماء
حين قرر الاستدلال وحاجه قومه خاصموه في توحيد الله تعالى ونفي الشركاء عنه
قال اتحاجوني وقرئ بتخفيف النون في الله في وحدانيته تعالى انكر لمحاجتهم
فيها بعد ان احتج عليهم بالبرهان كما اشار اليه بقوله وقد هداني الى التوحيد وكانوا
خوفوه ان معبوداتهم تصيبه بسوء فقال ولا اخاف ما تشركون به اي ولا اخاف
معبوداتكم وقتا ما لانها لا تضر ولا تنفع الا ان يشاء ربي نصب على الظرف اي الا وقت
مشيئة ربي شيئا يخاف من جهتها مثل ان يصيبني مكروه من جهة الكواكب والشمس
والقمر فان كان فذلك منه تعالى لا منها وسع ربي كل شيء علما اعتراض كالتعليل للا
اي لا اعلم والله احاط علما بكل شيء فلا يبعد ان يكون في علمه ان يصيبني مكروه من
جهتها افلا تتذكرون ابعد ما اخبرتكم من الدليل لا تتذكرون مؤداه وهو ان
لا مدبر الا الله والفاء للعطف على مقدر اي اتخوفونني فلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح
والفاسد والقادر والعاجز ثم تعجب من جهلهم بقوله وكيف اخاف ما اشركتم ولا تاثير
له في شيء ولا تخافون انكم اشركتم بالله وانتم لا تخافون ما يوجب كل الخوف وهو اشراكهم
بالله القادر على كل شيء ما لم ينزل به باشراكه عليكم سلطانا تهكم بهم فان اقامة
الحجة على الشرك ممتنع وتعريض بوجود الحجة على نفيه ولما دل الكلام على انهم يخافون
الامنون من كل وجه وهم لا يخافون المخوف من جميع الوجوه قال فاي الفريقين احق
بالامن الموحدون ام المشركون ولم يقل فاينا انا ام انتم حفظا للادب واحترازا
عن تزكية النفس ان كنتم تعلمون ما يحق ان يخاف منه ثم استانف جوابا لقسم
بقوله الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اي لم يخلطوه بشرك كنسبة التاثير
الى الغير بعد التصديق بالله تعالى لما روي ان الاية لما نزلت شق ذلك على الصحابة
رضي الله عنهم قالوا اينا لم يظلم نفسه فقال عليه الصلاة والسلام ليس ما تظنون
انما هو ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وقيل المعصية
ويؤيده الاول كونه جوابا للاستفهام عن المشرك والموحد اولئك الموحدون
لهم الامن دون غيرهم وهم مهتدون خاصة وتلك اشارة الى ما احتج به
ابراهيم عليه السلام على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون
حجتنا خبر تلك اتيناها ابراهيم الهمناها اياه وارشدناه لها على قومه متعلق بحجتنا
واتيناها خبر بعد خبر او جملة مبينة او حجتنا بدل واتيناها خبر وعلى قومه متعلق
بمحذوف دل عليه مفعول اتيناها حجة على قومه نرفع درجات من نشاء في الحكم

والحكمة وقرئ درجات بالتنوين إن ربك حكيم في رفعه وخفضه عليم بحال المرفوع
والمخفوض واستحقاق كل منهما بما يفعل به ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا
هدينا من قبل من قبل إبراهيم عليه السلام أول قومه عبدوا الأصنام ووحده وحد الله تعالى
ففي عبادة من قبل إشارة إلى أن فيه أسوة حسنة لإبراهيم عليه السلام وأما عد هداه
نعمة لإبراهيم عليه السلام من حيث إنه أبوه وشرف الوالد يتعدى لخلفه أن يذكر نوح
عليه السلام لعلاقته بإبراهيم عليه السلام كما ذكر من ذكر بعد كذلك ومن ذريته
إبراهيم عليه السلام وإن الكلام فيه يونس عليه السلام من ذريته لما ذكر في جامع الأصول
أنه كان من الأسباط في زمن شعيبا عليه السلام أرسله إلى نينوى من بلد الموصل ولا
يعد في عد لوط عليه السلام من ذرية إبراهيم عليه السلام من ذرية إبراهيم عليه السلام
باعتبار أنه كان ابن أخيه هاجر معه إلى الشام فلا ضرورة داعية إلى تخصيص لبيان المعدود
في الآية الأولى والثانية وعطف المذكورين في الثالثة على نوح عليه السلام داود وسليمان
وأيوب أيوب ابن أموص من أسباط إسحاق عليه السلام ويوسف وموسى وهارون
وكذلك ومثل ذلك الجزاء العظيم الذي جزينا إبراهيم عليه السلام من رفع درجات وكثرة
أولاده والنبوة فيهم نجزي المحسنين الذين أحسنوا في عبادتنا وزكريا ويحيى
وعيسى هو المسيح ابن مريم وذكره على تناول الذرية لأولاد البنت والياس هو من
سبط هارون عليه السلام وقيل هو إدريس جد نوح عليهما السلام فيكون البيان مخصوصا
بمن في الآية الأولى كل من الصالحين من الكاملين في الصلاح وهو الإتيان بما ينبغي
والتحذر عما لا ينبغي وتوصيف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالصلاح تنويه بشأن تلك
الصفة وتنبيه على عظيم قدرها كما في وصف الأنبياء والملائكة عليهم السلام بالإيمان فإنا وصفنا
الأشراف أشراف الأوصاف وإسماعيل واليسع هو اليسع ابن أخطوب وقرئ الليسع
كضيغم وعلى القراءتين هو علم أعجمي قيل أدخل عليه السلام كما أدخل على اليزيد في قوله رأيت
الوليد ابن اليزيد مباركا ويرده لزوم اللام له فالوجه ما قال ابن مالك ما قارنت إلى نقله
كالنضر والنعمان وارتجاله كاليسع والسموأل فإن الأغلب ثبوت آل فيه ويونس بن متى
عليه السلام ولوطا هو ابن هاران بن أخي إبراهيم عليه السلام وكلا فضلنا على
العالمين بالنبوة على من ليس من الأنبياء ولا بد من هذا القيد لئلا يلزم تفضيل كل منهم على
الآخر وتفضيل كل من المعاصرين على الآخر ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم في محل النصب
عطفا على كلا أو نوحا ومن للتبعيض لأن منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا واجتبيناهم
عطف على فضلنا وهديناهم إلى صراط مستقيم تقرير لبيان ما هدوا إليه ذلك هدى الله
إشارة إلى ما دانوا به يهدي به من يشاء من عباده فيه دليل على أن الهداية لمشيئة الله

تعالى وأما أنه متفضل بها فمبناه على لزوم المشيئة لذاته تعالى وذلك غير ظاهر
من الكلام ولو أشركوا مع فضلهم وتقدمهم وعلو درجاتهم لحبط عنهم ما كانوا يعملون
لكانوا كغيرهم في بطلان أعمالهم لسقوط ثوابها عنهم أولئك الذين آتيناهم الكتاب
أي جنسه والحكم الحكمة أو فصل الأمر على ما يقتضيه الحق والنبوة قد بالغ الفرق
بينها وبين الرسالة في سورة الأعراف فإن يكفر بها أي هذه الثلاثة أو بالأخيرة
منها هؤلاء يعني أهل مكة فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين هم مؤمنوا
أهل المدينة قال ابن عباس رضي الله عنهما ومعنى توكيلهم توفيقهم للإيمان
بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهده فيغني المراعاة داخل في
مفهوم التوكيل المنفي أولئك الذين هدى الله الإشارة إلى الأنبياء المتقدم ذكرهم
فبهداهم اقتده تقديمه فبهداهم للتخصيص أي فاخصص هداهم بالاقتداء ولا تعتد
الأمم والمراد بهداهم الإيمان والتوحيد وأصل الدين مما اشترك الكل فيه دون
الفروع من الشرائع المختلفة والأديان فإنها تختلف بحسب الأزمان بقي قسم آخر
وهو المتفق عليه كالصوم والصلاة وحرمة الكذب والزنا فيدخل هذا القسم من
الفروع مع الأصول تحت مطلق الهدى عن المشترك المضاف إلى الكل فيصلح متمسكا
في الجملة لمن قال إنه عليه السلام كان متعبدا بشرائع من قبله والهاء في اقتده للوقف
ومن أثبتها في الدرج ساكنة أجرى الوصل مجرى الوقف ووجه إشباعها أن تجعل
كناية عن المصدر قل لا أسألكم عليه أي على التبليغ أجرا جعلا من جهتكم
كما لم يسئل الأنبياء السابقون من قبل وهذا من جملة ما أمر بالاقتداء بهم فيه
وفيه اعتراف بعدم اختصاص الهدى المذكور بالأصول فلا وجه لنفي التمسك المذ
كور إن هو أي التبليغ والقرآن إلا ذكرى للعالمين تذكرة وعظة
لهم وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة على عباده
والإنعام عليهم ببعثة الرسل وإنزال الكتب أو في السخط على الكافرين والبطش
بهم حين أنكروا الوحي والنبوة وأقدموا على تلك المقالة العظيمة إذ قالوا
ما أنزل الله على بشر من شيء والقائلون هم اليهود بدليل إلزامهم بإنزال التوراة
على موسى عليه السلام وقيل القائلون قريش وإنما ألزموا بإنزال التوراة لأنه
كان من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو أنا أنزل علينا الكتاب
لكنا أهدى منهم قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس
إلى التوحيد والمعاد تجعلونه اعتراض لبيان سوء حملهم للكتاب وتعلقهم
به ما ينافي كونه نورا وهدى للناس توبيخا لهم وتعييرا قراطيس ورقات متفرقة

ليتمكنوا بتفريقها على ما قصدوا من الابدا والاخفا تبدونها وتخفون كثيرا قراءة الجمهور
فيجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون نقضا لكلامهم والزاما لهم وقرأ بعضهم بالياء التحتانية
حملا على قالوا وما قدروا والتضمين الالزام توبيخهم على تبعيض التوراة وتحريفها وابداء بعض
واخفاء بعض وعلى هذا التفت الى الغيبة تبعيدا لهم بسبب فعلهم القبيح ثم التفت ثانيا الى
الخطاب تنبيها على ان الغائبين هم المخاطبون وما احسن الالتفاتين حيث اريد نسبة القبيح
اعرض عنهم حتى لا يواجهوا به وحيث نسب اليهم الحسن وعلمتم ما لم تعلموا ابه خاطبهم به وعلمتم
خطاب لليهود اي على لسان محمد عليه الصلاة والسلام ما لم تعلموا انتم مع كونهم حملة
الكتاب ولا اباؤكم الاقدمون الذين كانوا اعلم منكم من الحكم والمواعظ والقصص زيادة
على ما في التوراة وبيانا لما التبس عليكم بقوله تعالى ان هذا القران يقص على بني اسرائيل
اكثر الذي هم فيه يختلفون وعلى القول الثاني لخطاب لمن امن من قريش كقوله لتنذر
قوما ما انذر اباؤهم قل الله امر بالجواب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لا يلتبس عليهم
ولا ينكرون فيه وهو الله انزله حذف الخبر لدلالة انزل في السؤال عليه لكنهم بهتوا محجوجين
ملزمين لا يقدرون على الجواب خوف الفضيحة ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ثم
لاستبعاد الكلام بعد الالزام اي لا كلام الا هذا ولهذا سمى كلامهم غير هذا خوضا على
الباطل هزؤا ولعبا وسماهم لاعبين لان الكلام الذي بنافع ولا مفعول لعب ويحتمل ان
ذرهم لا عليك بعد الزام الحجة ان لم يسكتوا اذا تركتهم يلعبون او حال منه او من خوضهم
والظرف صلة لذرهم وهذا اي القران كتاب والتعظيم الذي قصد بذلك في قوله تعالى
ذلك الكتاب حصل من تنكير كتاب لحصل التعادل بين القولين انزلناه مبارك كثير
المنافع الثابتة والفوائد الباقية فان البركة ثبوت الخير على الازدياد مصدق الذي
بين يديه من الانجيل وسائر الكتب الالهية المخبرة عن رسالة نبينا عليه الصلاة والسلام
والمبشرة عن بعثته ومرجعه الى تصديقه عليه الصلاة والسلام في دعوى
النبوة وهو من المقاصد الاصلية من انزال القران ولتنذر عطف على ما دل
عليه صفة الكتاب اي للبركات والتصديق وللانذار اكتفى بذكره عن مقابله وخصه
بالذكر لعمومه وقيل يجوز عطفه على صريح الوصف اي كتاب مبارك وكائن للانذار
وعطف الظرف على المفرد من باب الصفة والخبر كثير وعلة لمحذوف اي ولتنذر
انزلناه وقرئ بالياء والضمير للكتاب ام القرى وانما كنيت به لانها قبلة اهل القرى
ومحجهم ومكان اول بيت وضع للناس لانها اعظم القرى شانا ومن حولها من
العرب وانما خصهم بالذكر مع ان اصل الانزال للانذار العام لان نزوله عربيا لاجلهم
على ما افصح عنه في قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا لاجلهم على ما افصح عنه

في قوله

في قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها والذين
يؤمنون بالاخرة يؤمنون به لان التصديق بالاخرة يحمل صاحبه على النظر والتدبر
خوف العاقبة حتى يؤمن بالكتاب وبالنبي ويحافظ على الطاعات وهم على صلاتهم
يحافظون المراد بالمحافظة على الصلاة المحافظة على الطاعات كلها وانما خص
الصلاة بالذكر لانها عماد الدين فارق بين الكفر والاسلام ناهية عن الفحشا والمنكر
لمن واظب عليها وواظب على كلها ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بانه بعثه
الله تعالى نبيا كمسيلمة كذاب اليمامة والاسود كذاب صنعا واختلف عليه احكامه
يعمر بن يحيى ومتابعيه او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء هو عبد الله بن سعد
بن ابي سرح القرشي كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزل قوله تعالى
ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
على عليه حتى اذا بلغ قوله ثم انشاناه خلقا اخر تعجب عبد الله بن طوار خلقه فقال
تبارك الله احسن الخالقين فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك
عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا
لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة ثم رجع مسلما قبل فتح مكة ومن
قال سانزل مثل ما انزل الله كالنضر بن الحارث واشباهه حيث قال لو نشاء لقلنا
مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون اللام اما للعهد والاشارة الى المذكورين من
اليهود والمتنبئة وسائر المدعين واما للجنس ودخل هؤلاء تحته دخولا اوليا
وحذف جواب لو وهو لرايت امرا عظيما دائما الا انه لا يمكن وصفه لشدته
وحذف مفعول ترى لدلالة اذ الظالمون عليه اي ولو ترى الظالمين
في غمرات الموت اصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعير للشدة الغالبة والملائكة
باسطوا ايديهم اليهم حال اخرجوا انفسكم على تقدير القول اي يقولون
اخرجوا انفسكم خلصوا من ايدينا ولا تفتدوه على الخلاص تنبيه لهم الطالب
العنف والغريم المشدد الذي لا يمهل ولا يخفف بل يلح ويبرم تصويرا لعنفهم في
زهاق الروح والغلظ في المطالبة والقبض من غير تنفيس او بالمواخذ الباطش
القائل لاسير خلص نفسك عني يريد تعجيزه وانه لا يقدر على الخلاص البتة
اليوم يريد به وقت الامانة او الوقت الممتد من الامانة الى ما لا نهاية
له تجزون عذاب الهون اضافة العذاب الى الهون لافادة الاصالة فيه
والتمكن والعراقة كما تقول رجل سوء بما كنتم تقولون بسبب قولكم على الله
غير الحق كنسبة الولد والشريك اليه ودعوى النبوة والوحي كاذبا وكنتم

عن آياته تستكبرون وباستكباركم من الآيات فلا تؤمنون بها ولقد جئتمونا للحساب
والجزاء فرادى منفردين عن اموالكم واولادكم وسائر ما آثرتموه دنياكم واعوانكم
واوثانكم التي زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد او جمع فريد كقرين وقرانى ورديف
وردافى والالف للتانيث ككسالى وقرئ فرادا بالتنوين مثل رخال وفيه انه
بالضم اسم جمع رخل بكسر الخاء وقد يقال الرخال بالضم انه جمع انما يجوز وانما القلب
الكسرة ضمة وقرئ فراد كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم اول مرة
صفة لمصدر اي مجيئا مثل خلقنا لكم او صفة لفرادى او بدل منه اي على الهيئة
التي ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية او حال من ضمير فرادى اي مشبهين
ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما وانتصب اول مرة على الظرف وتركتم ما خولناكم
اعطيناكم وتفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم مبالغة
في الشرك وعدم الانتفاع به بحيث لا يمكنه النظر اليه وما نرى معكم شفعاءكم
صرح في انه شفعا لكيتهم ولنهم ابتداء وللاستغناء رغبتهم عند ذلك ثم انهم يجمعون
معهم على ما افصح عنه قوله تعالى واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم وقوله مما يتعلق
بهذا في هذه السورة الذين زعمتم انهم فيكم شركاء في ربوبيتكم واستحقاق
عبوديتكم شركاء الله تعالى لقد تقطع بينكم والمعنى وقع التفرق بينكم وقرأ اكثر القراء
رفع بينكم على اسناد الفعل والمصدر كما تقول رفع انقطع بينكم كما يقال جمع
بين الشيئين واوقع الجمع بينهما واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به وقيل
ان البين مصدر وهو من الاضداد يجيء بمعنى الفصل والوصل بمعنى تقطع وصلكم
ولتشتت جمعكم ولا يأباه قراءة النصب اذ حينئذ يكون حركته بناء لاضافته
الى المبني وهو ضمير الخطاب فيكون فاعلا لتقطع فتستوي القراءتان وضل غاب
عنكم ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او يرشدكم الى هنا قوله تعالى وضل عنهم
ما كانوا يفترون ان الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر اخبر
عنه بشق النواة مع شدتها وصلابتها ويخرج منه نبتا اخضر لينا ما لو اجتمع
كل الخلائق على اخراج مثله ما قدروا عليه وقيل المراد به الشقاق الذي في النواة
والحنطة مثلا يخرج الحي من الميت جملة مبينة لما قبله لان فلق الحب بالنبات
والنواة بالشجر اخراج الحي من الميت لان النامي في حكم الاحياء لقوله تعالى يحيي
الارض بعد موتها الا انه اعم فيكون كالدليل ومخرج الميت مما لا ينمو من
العطف والحب من الحي من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق
الحب ذلكم الله اي ذلكم القادر على تلك الامور العجيبة هو الذي يحق له العبادة

فأنى

فأنى تؤفكون تصرفون عنه الى غيره وفيه دلالة على ان هناك صارفا لهم عن مقتضى
فطرتهم وانه غير الله تعالى فالق الاصباح شاق ظلمة الاصباح وهو الغلس في
آخر الليل الذي يلي الافق عن الصبح او شاق عمود الصبح عن بياض النهار يقال انشق
عمود الصبح وانصدع الفجر وسموا الفجر فلقا بمعنى مفلوق والاصباح في الاصل
مصدر اصبح اذا دخل في الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب
على المدح وجاعل الليل سكنا ما يسكن اليه للاستراحة فيه ونصبه بفعل
دل عليه جاعل الاية لانه قصد به معنى المضي ويعضده قراءة جعل الليل حملا
على معنى المعطوف عليه لان فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به او به على المراد
منه جعل مستمر في الازمنة وما يقال انه لما تعد بمعنى الماضي عن شبه الفعل بمعنى
الاستمرار دافع ليس لشيء لان شبهه الخاص انما هو بالمضارع وباعتباره يعمل ولهذا
يشترط معنى الحال والاستقبال الذي هو حقيقة المضارع عند الجمهور والمضا
قد يجيء بمعنى الاستمرار وكثيرا فاسم الفاعل بالاستمرار لا تبعد عن شبهه الفعل
بخلاف معنى المضي وعلى هذا التقدير يجوز ان يكون والشمس والقمر عطفا
على محل الليل حتى يبتنا في حسن نصبهما على اضمار وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر
محذوف اي والشمس والقمر مجعولان حسبانا اي جعلا حسبانا او جعلهما
على حسبان لان حسبان الاوقات يعلم بسيرهما ودورهما يعني على ادوار مختلفة
يحسب بهما الاوقات ويكونان علمي الحسبان وعلى قراءة بالجر نصب حسبانا بفعل
مقدر جعلا كما مر في سكنا والحسبان كالكفران مصدر حسب بفتح السين
واما مصدر حسب بالكسر فالحسبان كالغفران ذلك اي جعلهما
حسبانا بمعنى ذلك والسير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما
وسخرهما العليم بتدبيرهما وتدويرهما على الادوار المختلفة وهو الذي
جعل لكم النجوم اجمال اي خلقها لاجلكم فان لكم فيها منافع وهو دليل اعجاز
في الكل من فالق الحب وجاعل الليل والشمس والقمر لانه في معرض الامتنان
وتقدير النعم على الانسان لتهتدوا بها يتبين بافراد بعض منافعها بالذكر
اشارة الى انه اكثر منافعها واجلها في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل والنهار في البر
والبحر واضافتها اليهما للملابسة او في مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة
قد فصلنا الآيات بيناها فصلا فصلا وانما قال لقوم يعلمون لما
علمت ان ذلك التفصيل في معرض الامتنان ولو لا يكون الا للعالم بما امر به
وهو الذي انشأكم من نفس واحدة هو آدم عليه الصلاة والسلام فمستقر

نعمها

ومستودع ذلكم استقرار في الرحم وفوق الرحم او فوق الارض واستيداع في الصلب
او تحت الارض وقال ابن الحنفية المستقر الصلب المستودع الرحم لتقديم ذكرهم في المستودع
اي ذلكم على استقرار يوم استيداع وعلى قراة كسر القاف فمنكم استقر اسم فاعل ومنكم
مستودع اسم مفعول لان الاستقرار منا دون الاستيداع وهو الذي يجعل الشي في الشي
للاحتفاظ به قال الحسن المستقر من مات

والمستودع انتم والشد   يجمع الاحبة في الاحبة قبلنا
فالناس مجموع به ومفجع   مستودع او مستقر قد خلا

فالمستقر بورة المستودع وكان يقول يا ابن ادم انت وديعة في اهلك وينشد

وما المال والاهلون الا ودايع   ولا بد يوما ان ترد الودايع

قد فصلنا الايات لقوم يفقهون فرق بين الفاصلتين فذكر من ذكر النجوم والاهتدا
بما يعلمون من ظهور امرها ومع انشا الخلق من نفس واحدة يفقهون لان تصريفهم من
اطوار واحوال مختلفة يحتاج الى دقة نظر وروية وهو الذي انزل من السما ما
من جانبها او من السحاب فاخرجنا على تلوين الخطاب به بالما نبات كل شي نبت
كل من اصناف النامي وفيه ايما الى عجيب صنعه وبديع خلقه من كون السبب واحد
والمسببات اشيا مختلفة كقوله تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل
فاخرجنا منه من النبات خضرا شيا غضا اخضر وهو ما تشعب من اصل النبات
الخارج من الحبة نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل ومن النخل من
طلعها الطلع اول ما يخرج من النخلة في اكمامها قنوان والاعذاق جمع عذق وقنوان
مبتدا ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه كانه قال وحاصله من طلع النخل قنوان ومن قرا
يخرج وقرى بضم القاف وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع
دانية قريبة التناول لان النخل تثمر على قصرها او قريبة بعضها من بعض ووصف
القنوان بالدانية لان النعمة فيها اكثر واكتفى بها عن ذكر مقابلها كقوله
سرابيل تقيكم الحر وجنات من اعناب بالكسر في محل النصب عطف على نبات
كل شي وقرى بالرفع على الابتدا اي ولكم او وثمة جنات من الاعناب اي مع النخل
ويجوز عطفه على قنوان ولا يلزم ان يكون المعنى من النخيل جنات من اعناب عطفا على النخل
فيصير من عطف مفرد على الابتدا واخر على خبره وقدم الظرف على المعطوف عليه
للتخصيص واخر في المعطوف لعدم اختصاص الجنات غايته ان المعطوف عليه المبتدا
يكون نكرة غير مخصوصة ولم يعرف منع ذلك كيف وقد قال الشاعر

عندي اصطبار وشكوى عند قاتلتي   فهل باعجب من هذا امري سمعا

والزيتون والرمان عطف على نبات او نصب على المدح لعزة هذين الصنفين عندهم مشتبها
وغير متشابه والرمان كذلك كقوله كنت منه ووالدي بريا ان بعضه متشابه في
القدر واللون والطعم والشكل وذلك دليل القدرة وقرى متشابها في القدر والاشتباه
والتشابه بمعنى واحد وكثيرا ما يشترك الافتعال والتفاعل بمعنى انظروا الى ثمره الى
ثمر كل واحد من ذلك وقرى بضم الثا جمع ثمرة كخشبة وخشب او ثمار ككتاب وكتب
اذا اثمر اذا اخرج من ثمره نظر استبصار واعتبار واستدلال على قدرة مقدره ومدبره
وناقله من حال الى حال كيف يخرج ضئيلا حقيرا لا ينتفع به وينعه الى حال نضجه كيف
يعود شيا جامعا لمنافع وملاذ والينع مصدر ينع بفتح اليا في لغة الحجاز وضمها في بعض
لغة نجد يقال ينعت الثمرة اذا ادركت ونضجت وقيل جمع يانع كتجر وتاجر وقرى
بالضم وهو لغة فيه ويانعة ان في ذلكم لايات لقوم يؤمنون اي الايات دالة على
وجود قادر حكيم وتوحيده عن نظر واحد واعتبر وظهور الايات لا ينفع الا من قدر
الله تعالى له الايمان فنبه على ذلك بتوصيف القوم بالايمان فهو من قبيل هدى للمتقين
ولما ذكر ما دل على صانع قادر حكيم لا ند له ولا ضد له وبخ من اشرك به واستعظم ذلك
فقال وجعلوا لله شركاء الجن لله شركا مفعولا جعلوا والجن منصوب بمحذوف
جوابا عن سؤال كانه قيل من جعلوه شركاء لله فقيل الجن او بدل من شركا او شركا
الجن مفعولاه ولله متعلق بجعلوا او حال من شركا وشركا ثاني مفعوليه وقرى
الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة للتبيين وفائدة تقديم
الله استعظام ان يكون لله شريكا اي شي كان جنيا لاحتيائهم تحقيرا بشانهم ويجوز
ان يراد بالجن الشياطين لانهم اطاعوهم كما يجب ان يطاع الله تعالى وعبدوا الاوثان
بتحريضهم وتسويلهم فهم عبدوهم في الحقيقة وقيل المراد بالتسوية القائلون يزدان
واهرمن الذين زعموا ان الله تعالى خالق كل شي ونافع وابليس خالق كل شر وضار
وخلقهم اي الجاعلين معناه وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن فكيف يجعلون من
لا يخلق شريك الخالق او حال الجن يعني وخلق الله الجن فكيف يجعلون من لا يخلق
شريك الخالق او حال الجن يعني وخلق الله ا مخلوقه شريكا له وقرى خلقهم بسكون
اللام عطفا على شركا على الوجه الاول اي اختلاقهم للافك معناه وجعلوا لله امرهم
وهم ما نسبوا قبايحهم الى الله تعالى في قولهم ان الله حرم هذا وقولهم ان الله امرنا
بها وامثال ذلك وخرقوا له افتعلوا الافك يقال خلق الله الافك وخرقه
واختلقه واخرقه بمعنى ويجوز ان يكون من خرق الثوب اذا شقه اي اشتقوا له
بنين وبنات وقرى وخرقوا له اي زوروا له اولادا لان المزور محرف مغير

للحق الى الباطل وهو قول اهل الكتابين في المسيح والعزير عليهما السلام وقول قريش
في الملائكة بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه اي قولا عن جهالة وعمى من غير فكر
وروية وهو في موضع الحال اي خرقوا ملتبسين بالجهالة او المصدر اي خرقا بغير علم
ولما ثبت اثباتهم الشركاء له تعالى وهم واختلاقهم بنسبة ما لا يجوز كنسبته اليه
تعالى نزهه عن ذلك بقوله سبحانه وتعالى عما يصفون وهو ان له شريكا
او ولدا بديع السموات والارض من اضافة الصفة الى فاعلها اي بدعت سمواته
وارضه او الى الظرف اي بديع فيهما بمعنى عدم النظير فيهما كذلك فلان ثبت العذر
اي ثابت فيه وقيل بمعنى المبدع وقد ان فعيلا يجيء بمعنى المفعل كاليم وحكيم وهو
خبر مبتدا محذوف اي هو بديع او هو مبتدا خبره انى يكون له ولد اي من
وكيف يكون له ولدا او فاعل تعالى وقرئ بالجر صفة لله او بدل من ضمير سبحانه والنصب
على المدح ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد وقرئ بالياء للفصل ولان الاسم
ضمير الله او ضمير الشان وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية
وانما قال بكل شيء ولم يقل به لان الاول خصص بالمخلوقية وفي الاية استدلال على
نفي الولد من وجوه احدها انه تعالى مبدع الاجسام كلها ومبدع الاجسام كلها
لا يكون جسما والولادة انما تكون من صفات الاجسام فلم يكن له ولد وثانيها ان الاجسام
مبدعه والمبدع هو الذي لا يوجد من مادة والولد لا يكون الا من مادة شخص والمبدع
ليس بوالد وثالثها ان الولد لا يكون الا من جنس يجانس الوالد وهو غير مجانس
فلا زوجة له ولا ولد له ورابعها انه تعالى خالق الكل والمخلوق ممن محتاج الى الخالق
والخالق واجب مستغن فلا يشابهه شيء من خلقه وخامسه تعالى عالم بكل شيء لذاته
ومن عداه ليس كذلك ليس بالاجماع فلا يجانسه غيره والوالد لما هو مجانس للوالد
فلم يكن له ولد ذلكم اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدا
وما بعده اخبار مترادفة وهي الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء ويجوز ان يكون البعض
خبرا والبعض بدلا او صفة فاعبدوه بسبب من مضمون الجملة اي من استجمع
هذه الصفات وجب عبادته ولا تحق العبادة الا له وهو على كل شيء وكيل اي
وهو مع تلك الصفات متولي اموركم فكلوا اليه اموركم وتوسلوا اليه بعبادته
يجازيكم بها لا تدركه الابصار لا تحيط به الابصار فاذا لم تحط به الكل لعدم احاطة كل
واحد منها به بطريق الاولى وهذا لما لوجه العدول عن الفرد الى الجمع واذا كان النفي
الادراك الخاص فلا متمسك فيه لمن انكر الرؤية واما الجواب عنه بتخصيص الحكم ببعض
الاوقات او ببعض الاشخاص فلا يحتمله الكلام على الوجه المذكور المناسب للمقام والابطال

جمع

جمع بصر وهو حاسة العين اي قوتها التي بها يدرك وقد يطلق على العين مجازا
وهو يدرك الابصار مع بصره به علما وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا يدرك
بالبصر ويجوز ان يكون الاول ناظرا الى قوله لا تدركه الابصار والثاني الى قوله
وهو يدرك الابصار كانه قيل لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار
لانه الخبير بكل خفية والمراد من اللطف لا يتعلق حاسة النظر لعدم خطه من
الكثافة بطريق الاستعارة قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة وهي
نور للقلب يدرك به الحقائق يستبصر وهي للقلب بمنزلة العين سميت بها الدلالة
لانها تجلي بها الحق ويتبصر بها فمن ابصر اي ابصر الحق بهذه الدلائل وامن به
فلنفسه وابصر واتاها نفع ومن عمي اي عمي عن الحق وانكر فعليها واتاها ضرر
اذ ليس وباله الا عليه وهذا الكلام وارد على لسان النبي لقوله وما انا عليكم بحفيظ
وما انا عليكم برقيب احفظ اعمالكم واجازيكم بها بل الله هو الحفيظ وما انا الا منذر وكذلك
نصرف الايات ومثل ذلك التصريف نصرف وهو نقل الشيء من حال الى حال وليقولوا
علة فعل محذوف اي وليقولوا درست نصرفها واللام للعاقبة كذا قالوا والظاهر
انها لام الامر والفعل مجزوم بها لا المنصوب باضمار ان ويؤيده قراءة من قرأ بتسكين
اللام والمعنى عليه متمكن كانه قيل ومثل ذلك نصرف الايات وليقولوا انهم ما يقولون
وهذا من معناه الوعيد والتهديد وعدم الاكتراث بهم وبما يقولون والدرس استمرار
التلاوة وقرئ دارست لعلها ودرست من الدرس قدمت هذه الايات وعفت
كقولهم اساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء مبالغة في درست ودرست على
البناء للمفعول اي قرئت هذه الايات او عفت ودارست بمعنى درست اي دارست اليهود
محمدا عليه الصلاة والسلام وجاء الاضمار لان اليهود كانت مشهورة عندهم بالدراسة
ويجوز ان يكون الضمير للايات والمراد اهلها وهم اهل الكتاب ودرس اي درس محمد
عليه الصلاة والسلام ودرسا اي عفون ودارسات اي قديمات او ذات درس
كعيشة راضية ولنبينه اللام للتعليل على الحقيقة اي بطريق الاستعارة على
الاصلين في جواز ان يكون فعل الله تعالى معللا بالغرض واعيد الضمير مفردا على معنى
الايات وهو القران ولما كان التبيين اعتبر فيه وحدة المعنى كان التوحيد
الضمير ههنا باعتبار المعنى موقع حسن لقوم يعلمون وجه التخصيص ما ذكر في
في قوله لقوم يؤمنون اتبع ما اوحي اليك من ربك بالتدين به لا اله الا هو اعتراض
اكد به ايجاب ايقاع الوحي او حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا في الالوهية واعرض عن
المشركين ولا تحتفل ولا تلتفت اليهم ومن جعله منسوخا باية السيف حمل الاعتراض

على ما يعم الكف عنهم ولا ضرورة فيه ولو شاء الله توحيدهم وعدم اشراكهم ما اشركوا
دليل على ان الله تعالى لا يريد ايمان الكفار وان مراده تعالى واجب الوقوع وما جعلناك
عليهم حفيظا رقيبا وما انت عليهم بوكيل بقوم بامورهم ولا تسبوا الذين يدعون
من دون الله اي لا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح فيسبوا الله
بسبب سبكم لان يسبوا الله تعالى فيه تلوين الخطاب بالعدول عن خطابه عليه الصلاة
والسلام وحده الى الخطاب في ضمن الكل لما في مواجهته عليه الصلاة والسلام بما ذكر من خلاف
ما كان عليه من الاخلاق الكريمة اذ لم يكن فحاشا ولا سبابا فاستنبط الامام ابو منصور منها
نهانا الله عن سب من يستحق السب لئلا يسب من لا يستحقه وقد امرنا بقتالهم واذا قاتلنا
قتلونا وقتل المؤمن بغير حق منكر ولذا امر النبي صلى الله عليه وسلم بتبليغ الوحي والتلاوة
عليهم وان كانوا يكذبونه ثم قال في جوابه ان السب لاولئك مباح غير مفترض وقتالهم فرض
وكذا التبليغ وما كان مباحا فانه ينهى عما يتولد منه وتحديث ما كانوا فرضا لا ينهى عن المتولد
منه وعلى هذا يقع الفرق لابي حنيفة فيمن قطع يد قاطع يده قصاصا فمات منه فانه
فانه يضمن الدية لان استيفاء حقه مباح فاخذ بالمتولد منه والامام اذا قطع
يد السارق فمات لم يضمن لانه فرض عليه فلم يؤخذ بالمتولد منه الى هذا كلامه
وعلى هذا لا دلالة في الاية على ان الطاعة الواجبة يجب ان يترك اذا ادت الى معصية
راجحة كالنهي عن المنكر يعني ههنا شيء هو انهم كانوا مقرين بالله تعالى وعظمته وان الاصنام
انما تعبد ليكونوا شفعاء عند الله تعالى فكيف يسبونه واجيب عنه بانهم لا يفعلون
ذلك صريحا لكن ربما يفضي نقالهم الى ذلك قوله عدوا بغير علم اي تجاوزا عن الحق الى
الباطل على جهالة حال اي عادين او مفعول له اي لعدوان فيهم او مصدر للنوع اي سبا
عدوا وقرئ عدوا بضم الدال وتشديد الواو روي بانه قد نزلت ان الخلل مما قيل انه عليه الصلاة
والسلام يطعن في آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك فنزلت وان عبارة
نهجو تأبى على التأويل المذكور وقد ذكر في التيسير بسبب النزول على وفق ذلك التأويل
كذلك زينا لكل امة عملهم اي مثل التزيين العظيم وهو تزيين سب الله تعالى زينا لكل
امة من امم الكفار سوء عملهم بالخذلان والتخلية بينهم وبين اعمالهم حتى تزين لهم وقيل هو
عام لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا
ويقوي الاول كون الكلام في الكفرة والشبه فيه تزيين سب الله تعالى والتهديد بقوله
ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمجازاة والمعاقبة واقسموا بالله جهد ايمانهم
مصدر في موقع الحال اي جاهدين ايمانهم جهدا وانما اقسموا بالله مذكرين تحكما على رسول الله
صلى الله عليه وسلم في طلب الايات واختراعهم وعدم الاعتداد بما انا وليتها لئن جاءتهم آية

من

من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الايات عند الله لا عندي اي هو القادر عليها
لا انا حتى آتيكم بها وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون استفهام انكار لسبب
مبالغة في المسبب اي لا تدرون انها المؤمنون ان الايات المقترحة اذا جاءتهم لا يؤمنون
بل انا اعلم بذلك يعني ان سبب عدم اتياني الاية التي يقترحونها علم الله تعالى بانها
اذا جاءت لا يؤمنون بها وذلك ان المؤمنين كانوا يطمعون في ايمانهم ويتمنون
مجيئها ليؤمنوا فاجيبوا بذلك ودليل قوله تعالى كما لم يؤمنوا به اول مرة ومنهم
من جعل لا مزيدة القراءة بالفتح وقرئ لا تؤمنون بالتاء على ان الخطاب للمشركين وقرئ
وما يشعرهم اي وما يعلمون ان قلوبهم اذا جاءت كما كانت مطبوعا عليها فلا يؤمنون
بها وقيل انها بمعنى لعلها في قول العرب ائت السوق انك تشتري لحما ويؤيده قراءة
ابي رضي الله عنه لعلها وقرئ انها بالكسر على ان وما يشعركم كلام قديم اي وما يشعركم
ما يكون منهم ثم ابتدأ فاعلمهم بقوله انها اذا جاءت لا يؤمنون البتة ونقلب افئدتهم
وابصارهم عطف على يؤمنون داخل في حكم الاستفهام وكذا نذرهم اي وما يشعركم
انا نقلب افئدتهم اي نطبع على قلوبهم ونغشي ابصارهم كما كانت ولم يذكر اسماعهم اذ لا
مناسبة التقليب ولهذا ابصارهم بقلب قلوبهم بدلا افئدتهم ويجوز ان يكون كما في قوله
كما لم يؤمنوا به اول مرة للتعليل وما مصدرية اي يفعل بهم ذلك لكونهم لا
يؤمنون به اي بما انزل من الايات اول وقت جاءهم هدى الله تعالى ويناسب هذا المعنى
آخر الاية ونذرهم نخليهم في طغيانهم يعمهون متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين
وقرئ ويقلب على البناء للمفعول ورفع افئدتهم وابصارهم ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
كما قالوا لولا انزل علينا الملائكة وكلمهم الموتى كما قالوا فأتوا بآبائنا وحشرنا عليهم كل
شيء قبلا كما قالوا او تأتي بالله والملائكة قبيلا والقبل جمع قبيل بمعنى كفيل اي كفلاء بما
بشروا به وانذروا او جمع قبيل جمع قبيلة اي جماعات او مصدر بمعنى مقابلة وقرئ
قبلا بكسر القاف وفتح الباء اي عيانا حال على القرآن كلها من كل شيء لعمومه ما كانوا
ليؤمنوا لما سبق عليه القضاء بالكفر لان فيه تعليل الحوادث بالتقدير الازلي
ولا يخفى فساده لبطلان استعدادهم وتبدل فطرتهم القابلة بسوء اختيارهم
الا ان يشاء الله ظرف اي الا وقت ان يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون انهم
لا يؤمنون عند مجيء الايات فيطمعون في ايمانهم ويتمنون نزولها بين ان الايات
وان توالت وشموس البرهان وان تعالت لمن قصمته العزة وكسته القسوة
لم يزده ذلك الا للقوة حالا وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا اي كما جعلنا
لك عدوا جعلنا لكل نبي عدوا والحكمة في ذلك الابتلاء والامتحان ليظهر الثبات

والصبي وكثرة الثواب والاجر شياطين الانس والجن متمردي الصنفين بدل
من عدوا وهما مفعولان ولكل به او حال منه يوحي يلقي في خفية بعضهم الى بعض
شياطين الجن الى شياطين الانس وبعض الصنفين الى بعض اخر منه زخرف القول
مزينة ومموهه بالاباطيل غرورا حالا اي غارين او مغرورين او مفعول له
للغرة ولو شاء ربك حذف المفعول لدلالة ما فعلوه عليه اي لو شاء ربك
ان لا يفعلوا معاداة الانبياء به وايحاء الزخارف على ان الضمير لما ذكرنا تعلق
ولكن شاء لما اقتضته حكمته ويجوز ان يكون الضمير للايحاء في الاية دلالة
على ان الشرور وصدورها عنه تعالى بمشيئته فذرهم وما يفترون اي
اذا عرفت ان ذلك بمشيئة الله تعالى تابعة لحكمته فاتركهم وكفرهم وفيه
تهديد ووعيد ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة عطف على
غرورا ان جعل علة او علة لمحذوف اي ولتصغى اليه جعلنا لكل نبي عدوا
واللام للتعليل او للعاقبة على الاختلاف وجواز ان يكون فعله تعالى معللا
بالغرض وليست لام الامر والا لقيل ولتصغ بحذف الالف ولا الا لقسم لان
عطف قوله وليرضوه يأباه وهذا يدفع كونها للامر ايضا والضمير في اليه
وليرضوه لما له ضمير فعلوه والصغو الميل لغرض من الاغراض فقال
يقال اصغيت الاناء اذا املته للجمع لما فيه وليرضوه لانفسهم وليقترفوا
وليكتسبوا ما هم مقترفون من الاثام فيتميز الشقي من السعيد وترتيب
هذه المفاعيل في غاية الفصاحة لانه اولا يكون الخداع فيكون الميل فيكون الرضا
فيكون فعل الاقتراف فكان كل واحد سببا لما قبله افغير الله ابتغي حكما على ارادة
القول اي قل لهم يا محمد والهمزة للانكار والفاء للعطف على ما دل عليه ما قبله اي
اتشكر لكثرة الجاحدين المفسرين فغير الله تعالى ابتغي حكما يحكم بيني وبينكم ويفصل
المحق منا من المبطل روي ان مشركي قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اجعل بيننا وبينك حكما من احبار اليهود وان شئت من اساقفة النصارى ليخبرنا عنك بما
في كتابهم عن امرك فنزلت وغير مفعول ابتغي وفي تقديمه ايما الى وجوب تخصيصه
تعالى بالابتغاء والرضا بكونه حكما حال منه ويحتمل عكسه ويجوز ان يكون حكما تمييزا عن
غير كقولهم ان لنا غيرها ابلا وهو ابلغ من الحاكم قيل ولذلك لا يوصف به
ان المبالغة من جهة التكرر ولا دلالة فيه على الوصف وهو الذي انزل اليكم حق
الواو للحال الكتاب اي القران مفصلا مبينا فيه الحق والباطل مميزا به الصادق
من المفتري وفيه تنبيه على ان القران باعجازه وتقريره مغن عن سائر الايات

ثم اكد

ثم اكد الدلالة على ان القران حق يعلم اهل الكتاب انه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته
لهم من غير قراءته عليه الصلاة والسلام لكتبهم استينافية وهو قوله والذين
اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل قرئ بالتخفيف والتشديد من ربك بالحق
انما وصف الكل بالعلم تنزيلا للجاهلين منهم لتمكنهم منه منزلة العالم وقيل المراد
مؤمنوا اهل الكتاب فلا تكونن من الممترين انهم يعلمون ذلك او انه منزل من
ربك بالحق لكثرة جحودهم وكفرهم فهو من باب التهييج والالهاب وخطاب لكل احد
اي لما تعاضدت الادلة بهرت فلا ينبغي لاحد ان يرتاب فيه وقيل الخطاب للرسول
عليه الصلاة والسلام والمراد امته وتمت كلمات ربك اي تمت كل كلمة من ربك
ومعنى تمت استمرت لا انه كان بها نقص فكملت وبلغت الغاية صدقا في الاخبار
والمواعد وعدلا في الاحكام والاقضية نصبا على الحال او المفعول له لا مبدل لكلماته
لا احد يقدر ان يحرف شيئا منها شيوعا وذياعا كما فعل بالتوراة على ان المراد بها القران
فيكون ضمانا من الله تعالى بحفظه ولا نبي ولا كتاب بعده ينسخه ويبدل احكامه
وقرئ كلمة ربك اي ما تكلم به او القران وهو السميع لما يقولون العليم
بما يضمرون فلا يهملهم وان تطع اكثر من في الارض اي اكثر الناس
يضلوك عن سبيل الله لان اكثرهم يتبعون اهواءهم وقيل المراد بالارض ارض
مكة ان يتبعون الا الظن اي الاراء الفاسدة والاهواء الباطلة وظنوا ان
اباءهم كانوا على الحق وهم يقلدونهم فان الظن يطلق على ما يقابل العلم وان هم الا يخرصون
يقدرون انهم على شيء او يكذبون في قولهم ان الله حرم عليهم كذا واحل كذا فان الخرص
التقدير والكذب ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي اعلم بالفريقين
ومن اما موصولة او موصوفة ومبني في محل الجر باسقاط حرف الجر وابقي عمله لدلالة
بالمهتدين عليه لان مثله لا يجوز الا في ضرورة الشعر بل اضافة اعلم اليه واستفهامية
في محل الرفع بالابتداء والخبر يضل والجملة تعلق عنها الفعل المقدر وعلى هذا صرفه
عن وفاق مثيله تنبيها من شان المضلين المتبعين لظن الكاذبين وابعادا لهم وقرئ
من يضل بضم الياء اي يضله الله اي اعلم المضلين من قولهم من يضل الله او من اضللته
اذا وجدته ضالا والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي من شان العلم
ان يتعلق بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب
على انكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم
تعبدون الله فما قتل الله احق ان تاكلوا مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين ان كنتم
تعبدون متحققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة دون ما ذكر عليه

اسم غيره من آلهتهم ولموا المذكي باسم الله تعالى إن كنتم بآياته مؤمنين فإن الإيمان بها
يقتضي ما ذكر وقد ذكي هذا على شرط محذوف جوابه فكلوا وما لكم ألا تأكلوا وأي غرض
لكم في أن لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وتتحرجوا عن أكله قيل هو كلام على القلب
والمراد أن تأكلوا مما ذكر اسم الله تقلب مبالغة في صونهم عن أكل ما حرم عليهم وانهم
لبسوا انما يهمون بذلك فيحتاجون إلى التنبيه وانهم لشدة الاحتراز عن الحرام كانوا يتركون
ما أحل لهم تورعا ولهذا رتب الوعيد على تجاوز الحد وقد فصل لكم ما حرم عليكم وقد
بين لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم يعني في هذه السورة لأنها نزلت في مرة واحدة والتفصيل
الواقع في البقرة والمائدة متأخر في النزول لأنهما مدنيتان وقرئ فصل على البناء للمفعول وكذا
حرم إلا ما اضطررتم إليه استثناء متصل أي مما حرم عليكم ويجوز أن تكون ما مصدرية
وما اضطررتم في محل النصب على الظرف والاستثناء مفرغ أي ما حرم عليكم في جميع الأوقات
إلا وقت اضطراركم إليه يعني في حال الضرورة فإنه حينئذ حلال وإن كثيرا ليضلون
يحلون ويحرمون بأهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تمسك بدليل يفيد العلم
وقرئ ليضلون بضم الياء وفتحها إن ربك هو أعلم بالمعتدين المتجاوزين الحق
إلى الباطل والحلال إلى الحرام وذروا ظاهر الإثم وباطنه ما يعلن وما يسر
وما يعمل بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في منازلهن واتخاذ الأخدان قال الضحاك
كان أهل الجاهلية يرون ما كان من الزنا سرا حلالا لا تحرم هذه الآية إن الذين
يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون يكتسبون ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم
الله عليه ظاهر في تحريم المتروك عليه اسم الله تعالى عمدا أو نسيانا وعليه أحمد
ومالك وداود وخلافا للشافعي لقوله عليه السلام ذبيحة المسلم حلال وإن لم يذكر
اسم الله عليه وفرق أبو حنيفة بين العمد والنسيان وأوله بالميتة لقوله وما ذكر اسم
الله عليه أو فسقا أهل لغير الله به وإنه لفسق الواو للاستئناف أو
للعطف على جملة استئنافية للتعليل حذفت لدلالة باقي الكلام عليها أي إنه حرام
وإنه لفسق الضمير لمصدر الفعل الذي يدخل عليه النهي أي وإن الأكل منه
لفسق أو للموصول إما بحذف المضاف أي وإن أكله وإما بجعل ما لم يذكر اسم الله
عليه نفس الفسق ويجوز أن يكون الضمير الثاني على تقدير لتقدير لعدم ذكر اسم
الله تعالى وإن الشياطين ليوحون أي ليوسوسون إلى أوليائهم من المشركين
ليجادلوكم بقولهم المنقول فيما سبق وهو يؤيد التأويل بالميتة وإن أطعتموهم
في استحلال ما حرم إنكم لمشركون لأن من اتبع غير الله تعالى في دينه فقد أشرك
جواب قسم مقدر قبل الشرط سد مسد جوابه أي والله وقيل حذف الفاء لدخول

الشرط

الشرط على الماضي ورد بأنه يقع ضرورة فلا يكون في القرآن أومن كان ميتا
فأحييناه الهمزة للإنكار والواو للعطف على مقدر يدل عليه ما قبله أي هل
يكون المهتدي كالضال ومن كان ميتا فأحييناه وقرئ ميتا على الأصل وجعلنا
له نورا يمشي به في الناس تقوية للنور فإن المشي بينهم يعجز عنه ما في
نور بصره ضعف كمن مثله وهو مبتدأ خبره في الظلمات على سبيل الحكاية
يعني أنه إذا وصف يقال له كذلك والجملة صفة من إذ لو صفته نقده وقوله
ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف والعامل بمعنى لا يستقر أي لا يمن
البارز في مثله للفصل وهذا مثل لمن تغني في الضلالة لا يفارقها بحال وما سبق
مثل لمن هداه الله تعالى وأنقذه من الضلالة وجعل له نور البصيرة يميز به بين
الحق والباطل إلا لتأمل في الآيات والبينات وكلاهما من قبيل الاستعارة التمثيلية إذ لا
ذكر للمشبه صريحا ولا دلالة بحيث ينافي الاستعارة وهذا كما يقال في الاستعارة
الإفرادية أيكون الأسد كالثعلب والشجاع كالمحتال كذلك أي مثل التزيين
والإشارة إليه ما في قوله لكل أمة عملهم أو قوله وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم
زين للكافرين ما كانوا يعملون والآية نزلت في حمزة رضي الله عنه وأبي جهل
وقيل في عمر أو عمار رضي الله عنهما وأبي جهل وكذلك أي كما جعلنا في مكة
أكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها
جعلنا بمعنى صيرنا ومفعولها الأول أكابر مجرميها وفي كل قرية مفعولها الثاني
ويجوز أن يكون في كل قرية ظرفا والمفعول الثاني ليمكروا على أن الجعل بمعنى
التمكين وأكابر على هذين الوجهين مضاف إلى مجرميها بدلا منها أكابر وأجاب ابن عطية
أن يكون مجرميها المفعول الأول وأكابر المفعول الثاني والجعل بمعنى التصيير أو
بمعنى التمكين على أن يكون الكلام من قبيل أعصر خمرا ويردهما أن أفعل التفضيل
إذا كان من ملفوظا بها أو مقدرا أو مضافا إلى نكرة كان مفردا مذكرا دائما سواء
كان لمذكر أو لمؤنث مفردا أو مثنى أو مجموعا فإذا أنث أو جمع طابق ما هو له في
ذلك ولزمه أحد الأمرين إما الألف واللام أو الإضافة إلى معرفة وعلى الوجهين
المذكورين يلزم أن ينفي أكابر مجموعا وليس فيه الألف واللام وهو مضاف إلى
معرفة واللازم باطل وتخصيص الأكابر لأنهم أقوى على استتباع الناس في الكفر
وقرئ أكبر مجرميها وعلى هذه القراءة يمكن تمشية الوجهين المردودين على القراءة
السابقة وما يمكرون إلا بأنفسهم لأن وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك
وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن أي بتلك الآية حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله

لم يقولوا مثل ما اوتي محمد لانهم كانوا في مقام الانكار لذلك وفيما روي ان ابا جهل قال
زاحمنا بنو عبد مناف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى
به ولا نتبعه الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت قوله كما يأتيه ولا يأتينا سبب النكتة
المذكورة وعلى صحة ما روي الجميع في ما اذ لان من تبعه من قريش رضوا بقوله
فنزلوا منزلة القايلين الله اعلم حيث يجعل رسالاته استيناف للرد عليهم بان
النبوة ليست بكثرة النفس ولا بالمال والجاه وانما هو خصايص يخص الله تعالى بها
من يشاء من عباده ويصطفي لها من يعلم انه يصلح لها وهو يعلم بالمحل الذي يضعها
فيه بناصب حيث يعلم محذوفا لا عليه ما علم لا به لان افعل التفضيل لا يعمل
في المفعول به وحيث هاهنا مفعول به لما عرفت ان المعنى انه تعالى يعلم نفس المحل
المستحق لوضع الرسالة فيه لا شيا في المحل وقرى رسالته سيصيب الذين اجرموا
من اكابرها صغار هوان وحقارة بعد كبرهم وعظمتهم مكان ما يفترون من
عين النبوة وخشية الرسالة وفيه دلالة على ان المجرم يستحق الذل والهوان وان
الرسل لما قاموا بتلك العزة لعصمتهم عن الجرايم عند الله يوم القيامة
وقيل نقديره من عند الله ويأباه الفصل بين الصغار والعذاب لان كلاهما
من عذاب الله تعالى ويمكن ان يقال انه من قبيل الفصل بين المعطوفين بما
تعلق بها ويأتي نظيره في هذه السورة وعذاب الله شديد في الدارين من القتل
والاسر وعذاب النار بما كانوا يمكرون بسبب كفرهم او جزاء عليه فمن
يرد الله ان يهديه يوفقه للايمان ويعرفه طريق الحق يشرح صدره
للاسلام شرح الصدر وتوسعه كناية عن تنوير الباطن وتصفية الاستعداد
عما يأبى قبول الحق من ظلمات الشكوك والشبه فيصدق الرغبة في الايمان ومن
يرد ان يضله اي يخذله ولا يوفقه يجعل صدره ضيقا حرجا وقرى
بالتخفيف والتشديد ضيق الصدر كناية عن كدر الباطن وتزيل الاستعداد
ويميل النفس الى الشهوات فينبو عن الحق وينقبض عنه فلا تقبله حرجا شديد
الضيق وقرى بفتح الراء وصفا بالمصدر كانما يصعد في السماء مثل لمن زاول
امرا ممتنعا لا يسعه قدرته لان صعود الانسان الى السماء امر خارج عن طوق
العادة وقيل لمن ينبو عن الحق ويتباعد تباعدا لغاية الهرب منه والتحلي
واصل يصعد يتصعد وقد قرى به وقرى يصعد من صعد ويصاعد
من اصعد وتصاعد بمعنى تصاعد ومعنى في السماء من مدارج السماء وهذا ابلغ من التمثيل
كذلك اي مثل ذلك التضييق يجعل الله الرجس العذاب والخذلان والفعل

المؤدي الى العذاب على الذين لا يؤمنون وضع الظاهر موضع المضمر للتعليل وهذا
اي الاسلام وما ذكر من التوفيق والخذلان صراط ربك طريقه الذي ارتضاه او
طريقه الذي اقتضته حكمته مستقيما لا عوج فيه ولا ميل الى شيء من الجوانب
او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة لان صراط الله تعالى لا يكون الا مستقيما
والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون يعلمون ان
القادر على ما يشاء وان الخير والشر بقضايه وقدره وانه عالم باحوال العباد عادل
فيما يفعل لهم دار السلام اضافة الدار ان كان الى السلام الذي هو اسم من اسماء الله
تعالى لتعظيم ورفع من شانها واشارة الى انها دار لا نقص ولا نقص ولا آفة ولا عيب وان
لنفي السلامة من المكاره او دار تحيتهم فيها سلام عند ربهم في نزله وضيافته كما
تقول نحن اليوم عند فلان وضيافته ويحتمل ان يكون قوله عند الله فيما سبق من قوله
تعالى صغار عند الله لهذا المعنى على التهكم وقيل في ضمانه كقولك له عندي حق
وهو وليهم محبهم وناصرهم على اعدايهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم
بجزايها ويوم نحشرهم جميعا منصوب باضمار يقول او قايلين يا معشر الجن وهذا
اولى من اضمار اذكر مفعولا به لخروجه عن الظرفية والحاجة الى تقدير القول في
ربط ما بعده والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرى نحشر بالياء والمراد من الجن
الشياطين قد استكثرتم من الانس عن اغوايهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم
تحشروا معكم يقال استكثر الامير من الجنود وقال اولياؤهم من الانس الذين
اطاعوهم ربنا استمتع بعضنا ببعض استمتع الانس بالجن بدلالتهم على شهواتهم وما
يتوصل بها من الحيل واستمتع الجن بالانس بطاعتهم ومساعدتهم على مرادهم وما يشتهون من
اغوايهم وقيل استمتاع الانس بهم ما في قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون
برجال من الجن واستمتاع اعترافهم للجن بانهم يقدرون على الدفع عنهم واجارتهم لهم
وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي البعث وهو اعتراف منهم بطاعة الشياطين في الدنيا
والتكذيب بالبعث ويحشروا على حالهم قال النار مثواكم منزلكم او ذات مثواكم
خالدين فيها حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا او معنى الاضافة وان جعل مكانا
الا ما شاء الله من عصاة المؤمنين واستعمالها في ذوي العقول شايع كما في قوله تعالى
الا ما رحم وفي قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم او من الاوقات الذين يخرجون بها من
النار وهو ما ذكر في تفسير قوله تعالى يستهزئ بهم من انه يفتح لهم وهم في النار باب
الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم
الذين امنوا من الكفار يضحكون وقيل من الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى

الزمهرير وفيه من الحاجة الى صرفنا لنا رعن معناها اللغوي وقيل الا ما شاء الله قبل الدخول ولا وجه له لان حكم الخلود الابد بعد الدخول ومن جهة المنتهى لا من جهة المبتدا
ان ربك حكيم في افعاله واقواله عليم باحوال عباده وافعالهم وكذلك
اي مثل ذلك نعاملنا من تمكين الجن من اغواء الانس نولي بعض الظالمين بعضا اي نجعل بعض الظالمين وليا على بعض ليسخروا منهم ويغووهم ونجعل بعضهم اولياء بعض وقرناءهم
يوم القيامة كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي
يا معشر الجن والانس قدم الجن لان الخطاب للتوبيخ الم ياتكم رسل منكم من جملتكم
وهم رسل الانس عن الكلبي كانت الرسل قبل نبينا عليه الصلاة والسلام يبعثون الى
الانس وهو عليه الصلاة والسلام بعث الى الثقلين وقيل من الجن ايضا رسول
ولا دلالة في الاية الى ذلك اذ لم يقل منهما حتى يحتاج الى القول الاول الى التاويل
بمثل ما ذكر في قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان يقصون عليكم اياتي وينذرونكم
لقاء يومكم هذا يعني يوم القيامة قالوا جوابا شهدنا على انفسنا بالجرم والعصيان
ارادوا اشهادتهم عند وفاتهم على ما نطق به قوله تعالى حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم
قالوا اينما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين
وكذلك قالوا شهدوا بلفظ الماضي وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم
كانوا كافرين ذمهم وتخطئة لرايهم وتحذير لمن يسمع للايقاظ بهم ذلك اشارة
الى ما تقدم من ارسال الرسل وانذارهم وهو خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلك ان
لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون تعليل وان هي الناصبة للافعال
اي لئلا يكون وان المخففة من الثقيلة اي لان الشان والحديث لم يكن ربك مهلك
القرى ويجوز ان يكون بدلا من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر
هؤلاء مقطوع وان تكون خبرا لذلك اي ارسال الرسل والانذار لانتفاء كون ربك
مهلكا بظلم والباء للسببية اي لسبب ظلم او بظلم حال اي ملتبسين بظلم يعني
انه لو اهلكهم وهم غافلون ولم ينبهوا برسول ولا كتاب لكان ظلما وهو سبحانه وتعالى
منزه عن الظلم ولكل اي لكل عامل بطاعة او معصية درجات اي مراتب
في الجزاء مما عملوا من اجل اعمالهم بحسبها فالمحسن من روح الثواب متنقم والمسيء
في روح العقاب متالم وما ربك بغافل عما تعملون وقرئ بالغيبة ردا على الاية
التي قبلها وبناء المخاطبة ردا على قوله يا معشر الجن والانس والمعنى وما ربك
بغافل عما تعملون من المعاصي ولكن يؤخر تعذيبهم رحمة منه كما قال تعالى ولا تحسبن
الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم الاية او انه تعالى على علمه باعمالهم يرجع اليهم

لا اليه

لا اليه تعالى قال ابو يوسف ومحمد بظاهره في ان الجن لهم ثواب وابو حنيفة ذهب الى
التخصيص والقراءة بناء المخاطبة تشهد لهما وربك الغني فلا ينتفع بالطاعة
ولا يتضرر بالمعصية فليس التكليف لمصلحة نفسه بل لتكميلهم الى الدرجات والكمال
ذو الرحمة فلا يعاجل العقوبة بل يمهلهم حتى يتداركوا ما فاتهم اخبر الاول عن جلاله
والثاني عن افضاله فهم في سماع هذه الاية بين اختياج وابتهاج وهذا تكملة لما قبله من
ان ارسال الرسل للرحمة عليهم لا لانتفاعه بطاعته وتاسيس ما بعده من قوله
ان يشا يذهبكم ايها العصاة اي لغناه عنكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء
من الخلق المطيع لكنه ابقاكم ترحما عليكم كما انشاكم بدلا منه انما توعدون
من البعث واحواله لات لكائن لا محالة وما انتم بمعجزين بفائتين قل يا قوم
اعملوا على مكانتكم المكانة مصدر مكن مكانة اذا تمكن وقد يكون بمعنى المكان
يقال مكان ومكانة كما يقال مقام ومقامة اي على غاية تمكنكم واستطاعتكم
او على مقامكم وحالتكم التي انتم عليها من كفركم وعداوتكم الى يقال للرجل
اثبت على مكانتك اي اثبت على ما انت عليه من حال ولا ينحرف عنه وقرئ
مكاناتكم اني عامل فاعل على قدرتي واستطاعتي او على بقائي وحالي
في الاسلام والمصابرة معكم فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والاشعار بان
حاله تعالى لا يقف فانه تعالى يزيد على مر الايام قوة ونصرة ومعنى الاية
على الاول اظهار التجلد للعدو وعدم المبالاة به غاية الوثوق بحفظ الله
تعالى والاعتماد على نصرته اي لا تبقوا علي وانفذوا وسعكم في عداوتي فاني فاعل
بكم ما اقدر عليه وهذا غاية في التهديد بتعجيز الخصم وعلى الثاني التخلية
والتسجيل على المامور بانه لا ياتي منه الا الشر فكانه مامور به واجب عليه
ذلك لا يسعه خلافه والاعراض عنه بالكلية والاشعار بانه لا مطمع في
غيره كقوله تعالى اعملوا ما شئتم فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار
من اما استفهامية علق عنها الفعل ومحلها الرفع على الابتداء ما بعده خبره
ستعلمون اينا تكون له العاقبة المحمودة التي لها هذه الدار واما موصولة
محلها النصب على المفعولية اي فسوف تعرفون الذي يكون له العاقبة
وعيد وانذار لتطيف المسلك مع مراعاة حسن الادب والانصاف للخصم
في القول عند الوثوق بسوء عاقبة الموعود كذا قوله انه لا يفلح الظالمون
اشعار بظلم المخاطبين وان ظلمهم سببا متاح فلاحهم مع حسن العبارة
وانها العنان والمسامحة والابهام باني كنت انا الظالم فلا فلاح لي ولهذا ذكرو

بمذرية قوم آخرين

لمون

الكفر بين ظلمهم وكفرهم في الاية بعدها وجعلوا اي مشركوا العرب لله مما ذرا
خلق انما الى انهم يرجون مالم يخلق شيا ولم يقدر على شي من خلق اشيا فيرثونه عليه
بما خلقها وذكاها وكان الحيا اولى ولهذا قال اساء ما يحكمون من الحرث والانعام
نصيبا لم يذكر هنا نصيب الشركا ايجازا واكتفا بذكره في التفصيل الاتي انما
الحجا للتهم بانهم جعلوا لمن له الكل نصيبا مما خلقه وان التسوية شي لا يليق
بالادب التلفظ به مراعاة للحشمة فقالوا هذا لله بزعمهم وقري بضم الزاي
وهو لغة فيه وهو الظن الخطا وقد جا فيه الكسر ايضا كالود وفيه تنبيه
على ان ذلك من جهالاتهم وشرعهم ما لم ياذن الله تعالى وهذا لشركائنا فما
كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم كانوا يعينون من
حرثهم ونتاجهم نصيبا لله تعالى وكضيبا لالهتهم فاذا راوا ما عينوه لله تعالى
ازكى رجعوا وجعلوه لالهتهم وان راوا ما عينوه لالهتهم ازكى تركوه لها معتلين بان
الله تعالى غني وانما فعلوا ذلك حبا لالهتهم وايثارا لها ساء ما يحكمون ما مصدرية
وساء تعديه حذف مفعولها لدلالة المعنى تقديره ساء حكمهم اي جاب لهم السوء
وكذلك ومثل ذلك التزيين الذي تزيين قتل الاولاد وقسمهم هذا زين
لكثير من المشركين قتل اولادهم بالواد وبنحرهم لالهتهم شركاؤهم من الجن
ومن السدنة قرى زين على البنا للفاعل وهو شركاؤهم ونصب قتل على البنا
للمفعول وهو القتل ورفع شركائهم باضمار فعل دل عليه المذكور كانه قيل ومن زينه
فقيل زين شركاؤهم واما قراءة ابن عامر زين على البنا للمفعول وهو القتل ونصب
الاولاد وجر الشركا على اضافة القتل اليه والفصل بينهما بغير الظرف فقد رد
بان ذلك غير مقبول في مقام الضرورة كما في قوله زج القلوص ابي مزادة فكيف
به غيره لكنه مردود لانه لا يختلف فيه بين النحويين على ما ذكره ابو حيان
ووقوعه في قراءة متواترة على الصحة لان العربية تثبت بالقران وعكس العكس
تركيب منقلب من عكس الفهم ثم انه لا ضرورة في الشعر المذكور كما توهم لاستقامة
الوزن والقافية بجر القلوص ورفع ابي واعتقاد الضعف في مثل ذلك القراءة
من ضعف الاعتقاد ومبناه عدم الاعتماد في القراءة والطعن في الاسناد
ولا يخفى ما فيه من الفساد ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء والضلال واللام
للتعليل ان كان التزيين من الجن وللعاقبة ان كان من السدنة
وليلبسوا وليخلطوا عليهم دينهم وهو ما كانوا عليه في الاصل من دين
اسماعيل عليه السلام او دينهم الذي وجب عليهم ان يدينوا به ولو شاء الله

ما

ما فعلوه اي ما فعل المشركون او ما فعل الشياطين والسدنة والتزيين والارداء
او اللبس والاولى ان يجري الضمير مجرى اسم الاشارة فيراد به الجمع فذرهم وما
يفترون وافتراءهم او الذين يفترونه من الافك وقالوا هذه اشارة الى
ما جعل للالهة انعام وحرث حجر حرام من الحجر وهو المنع فعل بمعنى المفعول
كالذبح ويستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير لان حكمه حكم الصفات
وقرئ حجر بالضم وعن ابن عباس حرج اي ضيق لا يطعمها الا من نشاء يعني
خدم الاوثان الرجال دون النساء بزعمهم اي بقولهم الباطل وانعام حرمت
ظهورها اي قسموا انعامهم اجناسا بهواهم فقالوا هذه حجر وحده محرمة
الظهر وهذه لا يذكر عليها اسم الله افتراء عليه لنسبوا ذلك التحليل
الى الله تعالى افتراء عليه نصب على المفعول او حال اي مفترين على الله
او مصدر مؤكد لان تقولهم ذلك يحصل الافترا والجار متعلق بقالوا
سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه وقالوا ما في بطون هذه الانعام يعني
ما في بطون هذه البحائر ونحوها من الاجنة وفي قول ابن عباس والشعبي رضي
الله عنه هي البنات وياباه قوله وان يكن ميتة خالصة لذكورنا حال للذكور
خاصة لا يشاركهم فيها الاناث ان ولد حيا لقوله وان يكن ميتة ومعنى الاختصاص
الذكور منهم في المقام لانه قرينة لارادة الاناث من الازواج وهو لا يباد
بعبادة المباح فلذلك اورد عبارة خالصة عليها مع ان حق المقابلة مع
محرم لها والتاء في خالصة ليست للتانيث بل يقال في الاسم خالص خالصة
او حمل في التانيث على المعنى لان ما في بطونهم في معنى الاجنة ومحرم على اللفظ
او كانت التا للمبالغة كراوية الشعر وكان مصدرا كالعافية موقع النصب
اي ان خالصة بمعنى خالص ويؤيده قراءة خالصة بالنصب على انه مصدر
لذكورنا الخبر لذكورنا ويجوز ان يكون حالا من الضمير الذي هو فاعل الاستقرار
في قوله في بطون لا من الذي في لذكورنا لان العامل المعنوي لا يتقدم
معموله عليه ومن الذكور لان المجرور لا يتقدم عليه حاله وقراءة ابن
عباس خالصة على الاضافة وهو بدل من ما او مبتدا ثان وفي مصحف عبد الله
خالص على ازواجنا لم يقل على اناثنا مع ان المراد منها الاولاد الاناث
وهي المناسب ان يذكرن في مقابلة الذكور لان المقصود الاشارة الى وجه
تحريمها على الاناث وهو كونهن ازواج الرجال في الجملة لا بيان حرمتها
على الاناث فانها قد فهمت مما تقدم وهذا تقدره باداة الوصل فانه

وانعام لا يذكرون اسم الله عليها

لو اريد به بيان الحرمة على الاناث لكان حقه الفصل لما بينه وبين ما تقدم كما
الاتصال وان يكن ميتة الضمير لما في بطونها وقرئ بالتاء الفوقانية على تاويل
الاجنة وقرأ ابن عامر بها وقرأ ابن عامر بها ورفع ميتة على كان التامة
وتذكير الضمير فهم فيه لان الميتة قد تكون ذكرا وقرئ بالتاء التحتانية
ورفع ميتة شركاء اي الذكور والاناث فيه سواء سيجزيهم وصفهم
الكذب جزاء وصفهم الكذب على الله تعالى في التحريم والتحليل انه حكيم في
جزائهم عليم باقعالهم قد خسر الذين قتلوا اولادهم يريد بهم العرب
الذين يدفنون ابنائهم احياء فبعضهم يفعل ذلك خوف العيلة والافتقار وبعضهم
خوف السبي والعار وروى قتلوا بالتشديد سفها مفعول له والسفه
خفة الحلم بالعجلة اي ما لا ينبغي ان يعجل اليه بغير علم حال او صفة مصدر
اي قتلا بغير علم فيه اشارة الى ان فعلهم ذلك بجهلهم بان الله تعالى هو الرزاق المقدر
للسبي وغيره وحرموا ما رزقهم الله من البحاير ونحوها افتراء على الله قد
وجوه الاعراب في مثله قد ضلوا وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب وزيادة
كان للدلالة على الاستمرار على عدم الاهتداء على ان القيد المذكور داخل على النفي
في الاعتبار وان كان مدخولا في الظاهر بهذا اندفع وهم القصور والتكرار وهو
الذي انشأ جنات من الكروم معروشات مرفوعات على دعايم وغير معروشات
متروكات على الارض وقيل الاول ما غرس من الناس وغرسوه والثاني ما نبت في الجبال
والبوادي ولم يغرس والنخل والزرع مختلفا حال مقدرة لانه لم يكن لذلك حال
الانشاء اكله ثمره الذي يوكل في الهيئة والكيفية والكمية والضمير في النخل
والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه لان الاصل ان يطلق الاكل على الثمرة
بالحقيقة فغلب فيه الزرع او للمزروع والباقي يقاس عليه او للجميع على تاويل ذلك
او كل واحد منهما والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه يتشابه بعض افرادهما
في الكم والكيفية ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره الضمير لكل واحد اذا اثمر
قد كان من المعلوم ان لا يوكل قبل ان يثمر ففائدة هذا القيد المذكور التنبيه على
ان اباحة الاكل تثبت قبل الادراك والايناع بخلاف وجوب الحق الشرعي المذكور
في قوله واتوا حقه يوم حصاده وهو ما يتصدق به وقت الحصاد وكان ذلك
الحق واجبا حتى نسخ بالزكاة وقيل هو الزكاة والاية مدنية والطرو قيد
ليعلم ان الوجوب وجوبه بالادراك بالتنقية لا للايتاء للحاجة الى التاويل والتوفيق
في الاوامر حقه ان يحافظ على ظاهره كيلا يشتبه الموقت بالمطلق وقرئ حصاده

بكسر

بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا اي في التصدق لا في الاكل ولذلك اقتصروا على
نفي المحبة عنهم وقد قيل انهم كانوا يعطون شيئا سوى المقدر ويسرفون فيه فنهي
عنه انه لا يحب المسرفين الموصوفين بهذه الصفة فانه من امارات المنكورين لا
المشكورين ومن الانعام عطف على جنات اي وانشأ من الانعام حمولة وفرشا
بالحملة للاثقال وبالفرش للذبح اي ينسج من وبره وصوفه وشعره للفرش وقيل
الاول الكبار التي تصلح للحمل والثاني الصغار مثل الفرش وهي الارض المستوية
التي لا يتوطاها الناس كلوا مما رزقكم الله اي ما احل لكم منه ولا دلالة فيه
على كل رزق ماكول حتى ينتهض حجة على المعتزلة في ان الحرام ليس برزق ولا
تتبعوا خطوات الشيطان ولا تقتفوا اثاره في التحليل والتحريم من عند انفسكم
اعتقادا وقولا وعملا وكان في الاتيان بعبارة الجمع اشارة الى هذه الثلاثة انه
لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا والزوج ما معه
آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال للمجموع منهما والمراد هنا الاول من الضان اثنين
اي زوجين الكبش والنعجة وهو وما بعده عطف بيان لثمانية ازواج او من الضان
بدل من الانعام واثنين من حمولة وفرشا او من ثمانية ازواج وان جوزنا
للبدل بدلا وقرئ اثنان على الابتداء والضان جمع ضائن كالتجر جمع تاجر وقيل
هي جمع لا واحد له من لفظه ويجمع على ضئين كالعبد يجمع على عبيد وقرئ بفتح
الهمزة وهي لغة فيه ومن المعز اثنين التيس والعنز وهي جمع ماعز
وقرئ بالفتح وهو ايضا جمع له كحارس وحرس وقرئ ايضا معزى قل الذكرين
ذكر الضان والمعز والمعزه للانكار حرم ام الانثيين انثييهما او نصف
الذكرين والانثيين يحرم وتقديم المفعول للتخصيص اما اشتملت عليه
اي حوته وانضمت عليه ذكرا كان او انثى ارحام الانثيين الارحام جمع
رحم وهو موضع الولد وما كان في الحي منه عضو واحدا الاضافة الى الاثنين الجمع
كما في قوله تعالى فقد صغت قلوبكما نبئوني بعلم اخبروني بامر معلوم من جهة
الله تعالى يدل على انه تعالى حرم شيئا من ذلك عبر عنه بالعلم مبالغة للتنبيه
على دليل التحريم لا بد ان يكون ذلك قطعيا وهو اعتراض لطيف بين اقسام المفصل
للتاكيد في الاحتجاج على من حرم ما احل الله تعالى لعباده ومن التفضل به عليهم مبالغة
في التحليل ان كنتم صادقين في زعمكم ان الله تعالى حرم هذا ومن الابل اثنين ومن
البقر اثنين قل الذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين كما سبق

المراد انكار تحريم الله تعالى شيئاً من الاجناس المذكورة وذلك انهم كانوا يحرمون ذكور
هذه الانعام تارة واناثها اخرى واولادها كيف ما كانت ذكوراً واناثاً وينسبون تحريمها
الى الله تعالى فانكر ذلك عليهم ام كنتم شهداء معنى بل في ام المنقطعة الاضراب على
طلب العلم والدليل الدال على التحريم لمن عند الله على سبيل المسامحة ومعنى الهمزة
انكار المشاهدة وذكرها تهكم بهم وبدينهم لانهم لم يومنوا بنبي ولا كتاب وزعموا ان
الله حرم هذا فلم يبق الا طريق المشاهدة والسماع فقيل لهم اشاهدتم ربكم
اذ وصاكم بهذا حين وصاكم الله بهذا التحريم وامركم والوصية مقدمة مؤكدة فيها
بفعل او بترك او كانت لان لا علم لهم اصلا في هذا فلم يبق الا الافترا وهو ظلم فمن
اظلم ممن افترى على الله نسب اليه تعالى تحريم ما لا يحرم وهو عمرو بن لحي المؤسس
بتحريم البحائر وتسييب السوائب كذبا مخطيا في ظنه فان فيه مندوحة عن الكذب
ليضل الناس اي عمل عمل القاصد اضلالهم من اجل دعاهم الى ما فيه الضلالة وان لم يقصد
الاضلال ولذلك قال بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين اي دار الثواب
لانهم يستحقون العقاب قل لا اجد كني بعدم الوجدان عن عدم الوجدان عن عدم
الوجود ومبنى هذه الكناية على ان طريق التحريم التنصيص من الله تعالى عليه ولا
مساغ للراي فيه فيها ثبوت ذلك المبنى اقتضائم ان فيها اشارة الى ان فيه اشارة الى
ان من الاحكام المنزلة ما في العثور عليه حاجة الى التفقد والتتبع لكونه بطريق الدلالة
الخفية وانما قال فيما اوحي الي دون ما انزل علي لان النص المحرم لا يلزم ان يكون من جنس
الكتاب محرما على طاعم تجريدا له من حيث انه مطعوم محرم الا هذه الاربع فلا ينتقض النقض
بحرمة الماكول ظلما لان حرمته من قبل لا من نفسه وفائدة التنصيص بقوله يطعمه
قطع المجاز كما في قوله طائر يطير فان الطاعم يطلق على المطعم مجازا الا ان يكون
اي الا ان يكون المطعوم فالاستثناء من المفهوم وقرئ بالتاء لتانيث الخبر ويرفع ميتة
على ان كان التامة والمراد من الميتة ههنا ما فقد حياته بلا ذبح اصلا اي شرعيا كان او
شرعي ولهذا احتيج الى ذكر المحرم الرابع وفي قوله تعالى على طاعم يطعمه دلالة على ان جلد
الميتة قبل الدباغ محرم لانه قد يشوى فيؤكل واذا دبغ خرج عن قابلية الاكل او دما
عطف على ميتة او على ان ما في حيزه على خلاف القراءتين فهما و٢ لما ذكرهما منكرين في سورة
البقرة والمائدة معرفين بتعريف العهد وتعريفهما في سورة النحل مع انها ايضا
مكية بناء على تاخر نزولها فيها من الاية المشتملة عليها من نزول ما في هذه السورة
مسفوحا مصبوبا صابا بعا يرشدك الى اعتبار هذا القيد الزائد على معنى الصب في
مفهوم السفح اطلاقهم على الزاني باعتبار تضييعه الما قال عليه الصلاة والسلام ولدت

من نكاح

من نكاح لا من سفاح واذا تقرر هذا ففي العبارة المذكورة اشارة الى ان حق هذا
الدم التضييع والاهدار وانما خص الدم بالقيد المذكور لان ما اختلط باللحم
منه وقد تعذر تخلصه من اللحم عفو مباح واما الطحال فليس بدم حقيقة
وكذلك الكبد فلا حاجة الى الاحتراز عنهما الى المذكور او لحم خنزير انما زيد زيادة لحم
لان كله غير ماكول والا لتناسب زيادتها في الميتة ايضا للاشتراك في العلة المذكورة
بل لئلا يسبق الى الوهم انه من قبيل مسند الى شيء لا يبقى محرما بعد ما صار رحما
ولما كان الماكول المحرم من الخنزير غير منحصر في اللحم تدارك الحكم في الباقي بالتعميم
دلالة حيث علل المذكور بقوله فانه اي فان الخنزير رجس اي قذر ينفر
عنه الطبع السليم لتعوده اكل النجاسة ولا يخفى ما في الاعتراض بين المعطوفين للتعليل
من الدلالة على سائر اجزائه المقابلة للكل ويجوز ان يراد باللحم ما يؤكل منه مطلقا على
طريقة التعبير عن الكل بالجزء وعلى هذا لا حاجة الى صرف الضمير عن المضاف فان قلت
اليس في هذا التعليل اغنى عن اقحام اللحم لايهام ما ذكر قلت لا لان التعليل بحق
لا يلزم ان يكون بالعلة الشرعية بل قد يكون بالحكمة التي لا يلزمها الاطراد ولا الانعكاس
وانما خصص هذا والذي يليه بالتعليل تارة واشارة الى ان الطبع ليساعد السمع في الاولين
بخلافهما او فسقا نصب عطفا على لحم خنزير لا على انه مفعول له دل على ذلك قوله
تعالى في موضع اخر وانه لفسق سمي بالمصدر مبالغة فهو بعبارته تحذير عنه وباشارته
تعليل منه اهل لغير الله به صفة موضحة له والاهلال به كناية عن ذبحه وهو
في الاصل رفع الصوت بالشيء فمن اضطر دعته الضرورة الى شيء من ذلك غير باغ
على مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة في تناوله فان ربك غفور لما عسى ان
ان تفرطه عن العمل بالرخصة رحيم بالرخصة فيه وقد استدل بهذه الاية عن انتساخ
الكتاب بالسنة لان عبارتها وان كانت ساكتة عن عدم محرم اخر لكن دلالتها ناطقة
بانه لا محرم بغير هذه وليس فيها توقيت فلما زيد محرم اخر بالسنة انتسخ حكم الدلالة
وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر قال ابن عباس وجماعة من ذوات الظلف كالابل
والنعام وما ليس بذي اصابع منفرجة كالبط والاوز ونحوهما واختاره الزجاج تقديم
حرمنا تكذيب لليهود في قولهم ان الله لم يحرم علينا شيئا وانما حرمنا ما حرمه اسرائيل
على نفسه ومن البقر والغنم عطف على ذي ظفر وقوله حرمنا عليهم شحومهما
تبيين للمحرم منهما ولا بد من الاضافة للربط في الاجمال ثم التفصيل زيادة تقرير
وتاكيد ولولا القصد الى ذلك لكان الظاهر ان يقال ولحوم البقر والغنم او يقال
ومن البقر والغنم الشحوم والمعنى حرمنا كل ذي ظفر وشحمه وكل شيء منه

وتركنا البقر والغنم على التحليل لم نحرم منهما الا الشحوم الخالصة وهي الثروب وشحوم
الكلى وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فعمم التحريم لسبب ظلمهم كقوله تعالى فبظلم
من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وتدعي النصارى ان ذلك نسخ في
شرع عيسى عليه الصلاة والسلام ويشهد لذلك التخصيص المستفاد من تقديم الجار
والمجرور في قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا الا ما حملت ظهورهما الا ما علقت
بظهورهما او الحوايا ان قدر وزنها فواعل جمع حوية كمطية ومطايا وهي الدوا
التي تكون في بطون الشاة وقيل هي عطف على شحومهما والتفصيل فصل بها ما حرم من
البقر والغنم او ما اختلط بعظم كالالية وما في القوايم والجنوب والراس والعيون
والاذان والمخ ذلك التحريم او الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون
فيما اخبرناهم فان كذبوك في ذلك فقل ربكم ذو رحمة واسعة اي لا نعرض
عنهم او لا نبلسهم عن رحمتي بل كن ثابتا في مقام الدعوة على قومي الابشار والانذار وذلك
ان ما ذكر كلمة جامعة لهما اما الابشار فلما فهم من العبارة المذكورة من الله تعالى بقبول
التوبة وتغسل الحوبة فان رجعوا عن التكذيب الى التصديق فلهم الفوز والنجاة واما
الانذار فلما فهم من اشارتها الى انه تعالى لسعة رحمته يمهل ولما كان في الامهال مظنة
الاندفاع تداركه بقوله ولا يرد باسه حين ينزل عن القوم المجرمين فلا تغتروا
بامهاله او فان كذبوك في الانذار يعاد العصاة واعتلوا بان الله واسع الرحمة فلا
يواخذ بالبغي فقل ربكم ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو باس شديد فلا يرد رحمته باسه
عليهم بل نهاتا اودع فهمه في صورة لطيفة استدراجا فلا تغتروا سيقول الذين اشركوا
في رد الدعوة وتكذيب الرسول لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا عطف على الضمير المرفوع
في اشركنا بلا تاكيد للفصل بلا ولا حرمنا من شيء اي ما صدر منا من ابائنا ما تصدى
الا بمشية الله تعالى وارادته اصابوا فيما قالوا على وفق ما مر في هذه السورة من قوله
تعالى ولو شاء الله ما اشركوا ولو شاء ربك ما فعلوه ولكنهم اخطاوا في تمسكهم به في الرد على
الرسول عليه الصلاة والسلام وزعمهم ان فيه حجة عليه بناء على ظنهم ان ما اراده الله تعالى
لا يكون منهيا عنه ولم يرده الله تعالى لا يكون مامورا به فلا مساغ للنهي في شرك دل وقوعه
على انه مراد الله تعالى والامر بتوحيد الله دل على عدم وقوعه على انه لم يكن مرادا له تعالى لما
تقرر في موضعه انه لا تلازم بين الامر والارادة بل ينفك كل منهما عن الاخر بل في
احتجاجهم به عليه الصلاة والسلام ومنهم بالتكذيب دون الكذب قال كذلك مثل
ذلك التكذيب كذب الذين من قبلهم وهذا للرسل وهذا دليل على ان مرادهم التكذيب
دون ابلاء العذر حتى ذاقوا باسنا حتى انزلنا عليهم العذاب وبين ان احتجاجهم ليس

عن علم

عن علم ويقين بل عن ظن وتخمين لقوله قل هل عندكم من علم اي ليس عندكم بذلك علم فتخرجوه
فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن اي ليس عندكم بذلك علم فتخرجوه فتظهروه اي الذي
لا يغني عن الحق شيئا وان انتم الا تخرصون وما انتم الا تخمنون وتقدرون ان الامر كما
زعموا وليس كذلك لما مر من بطلان مبنى ذلك الظن فلا متمسك فيما ذكر لاهل الزيغ والضلال
من اصحاب الاعتزال ولا حاجة الى التوجيه والتاويل بتقييد المشية اولا اي فيما مر ولا
جريانها على اطلاقها اخرا اي فيما سياتي قل فلله الحجة البالغة الفاء للسببية والجملة مسببة
عما دل عليه الكلام السابق والمعنى اذ قد ظهر عدم تمام حجتكم فالحجة البالغة مختص به تعالى
فلو شاء لهداكم اجمعين الفاء لتمام مقام ان في تحقيق ما دل عليه الكلام السابق من مجيء بين وذلك
ان فيه النا ما لهم على قولهم اي بل صدقتكم ولكن كما شاء كفركم فلو شاء هدايتكم لهداكم
كلكم وباي شيء علمتم انه لم يشا هدايتكم حتى اصررتم وهذا تهييج لمن عسى ان يكون استعداد
منهم لينتفع ويهتدي ويرجع عن شركه ويؤمن وفيه فايدة اخرى وهي تدارك لما يخطر
بالبال من ابطال احتجاجهم ان يكون الاختلال في قولهم لو شاء الله ما اشركنا بتصديقهم
في ذلك المقال حجة دامغة لاصحاب الاعتزال قل هلم شهداءكم هلم من اسماء الافعال
يجيء متعديا كما هاهنا بمعنى هاتوا ولازما كقوله هلم الينا اي تعالوا وانما اضاف الشهداء اليهم
لانها لو اطلقت لكان المعنى هلم ناسا يشهدون فكان ظاهره طلب الشهداء بالحق وذلك
فاسد الذين يشهدون ان الله حرم هذا يعني من نصاهم وقدوتهم امرهم باحضارهم
ليلزمهم الحجة ويبكتهم فيظهر للشهود لهم عند انقطاعهم انهم ليسوا على شيء قال فان
شهدوا فلا تشهد معهم فلا تصدقهم ولا تسلم لهم كنى عن ذلك بالشهادة معهم مبالغة في
النهي لدلالة ان الاصغاء اليهم دخول في عداد الشهداء بالباطل ولا تتبع اهواء الذين كذبوا
بآياتنا من باب وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان المكذب بايات الله تعالى لا يكون
الا متبع الهوى لو اتبع الدليل والعقل لكان مصدقا بها والذين لا يؤمنون بالاخرة
كعبدة الاوثان وهم بربهم يعدلون يجعلون له تعالى عديلا قل تعالوا من التعالي
واصله امر من كان في مكان عال لمن هو اسفل منه ثم اتسع فيه لكثرة الاستعمال
اتل ما حرم ربكم ما موصولة منصوبة باتل او استفهامية منصوبة بحرم والجملة في
محل النصب باتل لان التلاوة من باب القول اي اتل اي شيء حرم عليكم متعلقة بحرم
وان في ان لا تشركوا به شيئا مفسرة ولا للنهي لعطف الاوامر عليه في قوله وبالوالدين
احسانا لان التقدير واحسنوا بالوالدين وعطف الاوامر على النواهي الواقعة بعد ان المفسرة
للتلاوة المحرمات مع القطع بان المامور به لا يكون محرما دل على ان التحريم راجع الى اضدادها
وذلك لانه لما علق التلاوة بالتحريم اجمالا ثم فسره بالتفصيل وجب ان التفاصيل

اجمعين

كلها منهيات محرمات لكن عدل في بعضها الى الامر باضدادها مبالغة في النهي وتنبيها على أن
اضدادها واجبة فلزمها النهي عنها بابلغ الوجوه ويحتمل ان يكون للاوامر معطوفة المناهي
وداخلة تحت أن التفسيرية يحتمل المصدر والمفعول وبالوالدين احسانا أي واحسنوا
اليهما احسانا ووضعه موضع النهي عن الاساءة اليهما للدلالة على ترك الاساءة في شانهما غير كاف
بخلاف غيرهما ولك ان تقول انها معطوفة على قوله ألا تشركوا امرهم اولا بما يترتب
عليه ذكرمناه ثم امرهم ثانيا باوامر يتبعها المبالغة في النهي ولا تقتلوا أولادكم النهي
مطلق وانما قال من إملاق اظهارا لسوء صنيعهم فانهم كانوا يفعلون ذلك من اجله
في الاساس املق الرجل انفق ماله حتى افتقر ولما كان الاملاق باعتبار بدايته انفاقا وباعتبار
نهايته فقرا جاز استعماله في كل منهما وتذييل الخطاب من الفقر وانما عدم رزقهم فقيل
نحن نرزقكم وإياهم منعا لموجبية ما كانوا يفعلون لاجله واحتجاجا عليهم فناسب ان يعني
الاملاق هنا بالفقر والخطاب في لا تقتلوا اولادكم خشية املاق للاغنياء ولذا قدم رزق
اولادهم فقيل نحن نرزقكم وإياكم فناسب ان يفسر الاملاق ثمة بالانفاق ولا تقربوا
الفواحش كبائر الذنوب ما ظهر منها وما بطن بدل منه والظاهر منها ما بينك
وبين الخلق والباطن ما بينك وبين الحق ولا تقتلوا النفس لما كان في اطلاق
النفس شمول للنفوس الحيوانية والاصل فيها الاباحة قيدها بقوله التي حرم الله
يعني النفس الانسانية إلا بالحق أي بما يحق به قتلها كالكفر بعد ايمان ورجم احصان
وقتل نفس ظلما ذلكم اشارة الى ما ذكر مفصلا وصاكم به لما كان في الوصية
معنى الاتمام والمحافظة زيادة على معنى الطلب استعيرت للامر المؤكد والموصى به نفس
ما ذكر لا حفظه زيادة على معنى الطلب استعيرت للامر المؤكد والموصى به لعلكم تعقلون
ترشدون فان غاية العقل الرشد ولا تقربوا مال اليتيم نهي عن القرب الذي يعم وجوه
التصرف وفيه سد الذريعة إلا بالتي أي بالخصلة التي هي أحسن في حق اليتيم وانما
جي بصيغة التفضيل مراعاة لمال اليتيم حتى يبلغ أشده غاية من حيث المعنى أي
احفظوه عليه حتى يبلغ ايذان الحكم مع الرشد والاشد جمع شدة كانعم ونعمة وأوفوا
الكيل والميزان عطف عليه على طريقة ذكر احد الفعلين وعطف متعلق المحذوف
على المذكور عليه على حسب ما يقتضيه لفظه حتى كانه شريكه في اصل الفعل كقوله علفته تبنا
وماء باردا بالقسط بالعدل والتسوية متعلق بالفعل المحذوف أي وزنوا الميزان بالقسط
فانه مظنة البخس لا يتفطن له صاحبه بخلاف الكيل لا نكلف نفسا الا وسعها الوسع
ما حملته الطاقة وذكره عقيب الامر للدلالة على انه لا يؤاخذ بها بتقصير يقع بعد الاجتهاد
في مراعاة العدل وإذا قلتم أيد بالقول هنا ما لا يطلع عليه إلا بالقول من امر وحكم

وشهادة

وشهادة وحيز وسعادة وغير ذلك فاعدلوا فيه ولو كان المقول اليه أو عليه ذا
قربى من ذوي قرابتكم وبعهد الله أي ما عاهدكم الله عليه من اوامر ونواهيه
أوفوا أي ما عاهدتم الله عليه من ايمانكم ونذوركم ذلكم وصاكم به أي امركم
به واكد الامر لعلكم تذكرون لما كان في هذه الامور نوع خفاء بالقياس الى ما سبق يحتاج
يحتاج الى الاجتهاد والذكاء لكثير ممن تذكرون وأن هذا صراطي الصراط من السبيل
ما لا التواء فيه ولا اعوجاج بل يكون على جهة القصد وانما يوصف بالاستقامة للاحتراز
عن الميل الى شيء من الجوانب الاربعة بصعود وهبوط ونحوهما الا ان الاحتراز المذكور
حصل بالاضافة فقوله مستقيما حال مؤكدة والاشارة الى ما ذكر في السورة فانها
باسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرئ إن بالكسر على الاستئناف
وبالفتح بتقدير اللام على أن الامر في قوله فاتبعوه وقرئ أن مخففة من الثقيلة
وفيها ضمير الشان ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة او الطرق التابعة للهوى
والطريق كلما يطرقه طارق معتادا كان او غير معتاد والسبيل من الطرق ما هو
معتاد السلوك اعم من ان يكون على جهة القصد او لا وهذا التفصيل تبين وجه
اصابة كل من الصراط والسبيل مميزه فتفرق القاء جواب النهي والمضارع
المحذوف والتاء منصوب باضمار أن وفاعله ضمير السبل ومنهم من لم يحذف التاء
والباقي بكم للتعدية وتعديته بعن لتضمنه معنى الازالة أي فتزيلكم متفرقين
عن سبيله فيه التفات وتفنن وتنبيه على ان الطريق المنسوب الى الله تعالى لا يكون الا
صراطا مستقيما ذلكم اشارة الى مجموع الامر والنهي وصاكم به لعلكم تتقون
ذكر اولا تعقلون ثم تذكرون ثم تتقون لانهم يعقلون ثم يتعظون ثم يتقون المحارم
والمهالك ثم آتينا موسى الكتاب عطف على ذلكم وصاكم به وثم للتراخي في الاخبار
والتفاوت الى الرتبة كانه قيل ذلكم وصاكم به قديما ثم آتينا او ثم اعظم من
ذلك انا آتينا موسى الكتاب تماما للكرامة والنعمة على الذي أحسن على
من احسن القيام به ويؤيده قراءة ابن مسعود على الذين احسنوا وقراءة ابي تمام
على المحسنين او على الذي احسن تبليغه وهو موسى عليه السلام او تماما على الذي
احسنه أي اجاده من العلم والشرائع أي زيادة على علمه اتماما له وقرئ بالرفع
على ان تقديره على الذي هو احسن وقيل في درجة الصفات خفض لكنه لا ينصرف
ففتح وحينئذ يكون بدلا عن الذي وترجمة عنه كقولك مررت بالذي خير
منك بالخفض وتفصيلا وبيانا في غاية التفصيل عطف على تماما ونصبهما
يحتمل العلة والحال والمصدر لكل شيء يحتاج اليه في الدين وفيه دلالة على

انه لا اجتهاد في شريعة موسى عليه السلام لانه كنزع الاجمال في بعض الامور
الدينية وهدى ورحمة يهون عليهم مقاساة التكاليف بما ذكر من الترغيب
لعلهم لعل بني اسرائيل بلقاء ربهم بلقاء ثوابه وعقابه يوم الجزاء يؤمنون
يصدقون وهذا اي القرآن كتاب عظيم الشان انزلناه اسنده الى
نفسه بنون العظمة مبارك كثير النفع المافرق بينه وبين قرينه بانزلنا
لان الانتفاع به بعد نزوله فاتبعوه واتقوا مخالفته لعلكم ترحمون بذلك
علقهما بكلمة الترجي لان حصولهما بالختم على الايمان وفيه خطر ان تقولوا كراهة
ان تقولوا علة لمقدر يدل عليه انزلناه فيما تقدم وقرئ بالتاء والياء على الالتفات
فيه التفات من خطاب فاتبعوه واتقوه وفي فقد جاءكم التفات من الغيبة الى
الخطاب وكلاهما في محله حيث اعرض عنهم وجعلهم فاييين من مكانة اقوالهم الردية
ثم خاطبهم عند قصد توبيخهم وتبكيتهم انما انزل الكتاب جنس الكتاب المنحصر
في التوراة والزبور والانجيل بقولهم من قبلنا واما الصحف فليست من جنس الكتاب
في العرف على طائفتين من قبلنا اي اليهود والنصارى ودل هذا على ان المجوس
ليسوا من اهل الكتاب اذ لو كانوا منهم كانوا ثلاث طوائف وان كنا ان هي
المخففة دل عليه دخول اللام الفارقة بين كان اي وانه كان عن دراستهم
قراءتهم لغافلين لا ندري ما هي لانه لم يكن بلغتنا لم نقدر على قراءته
او تقولوا عطف على الاول ولو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم
الى شدة واسرع اهتداء منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولهذا تلقفنا فنونا
من العلم كالتواريخ والاشعار والخطب على انا اميون فقد جاءكم بينة من ربكم
حجة واضحة تعرفونها تبكيت لهم والزام الحجة وفيه ايجاز بحذف الشرط اشعارا بتصديقهم
في دعوى الذكاء وحدة الذهن وان من يدعي ذلك فلينتبه لمثل هذه النكتة ويدرك
البينة ونعت لافهامهم وتقبيحا وايذانا بان الاهم هو الجزاء لا الشرط والمعنى ان صدقتم
في الدعوى فقد جاءكم او ان ظهور صدقه وهدى ورحمة وان ظهور صدقه كالذي جاء
على من قبلكم فمن اظلم اي لنفسه ولغيره وقد مر في تفسير قوله تعالى ومن اظلم ممن
منع مساجد الله ان يذكر اسمه تحقيق هذا النوع من الاستفهام ممن كذب بايات الله بعد
ما عرف صحتها وتمكن من معرفتها وصدف صد عنها الناس فضل واضل والمعنى ان
فقد حصل بالتكذيب سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب اي العذاب
السيء وهو الموصوف بنهاية النكاية بما كانوا يصدفون بسبب اصرارهم على تجديد العهد
واحداثه حينا فحينا هل ينظرون اي ما ينظرون يعني الذين قالوا لن نؤمن لك

حتى

حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى اخره الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي ربك هذا ما ذكروه بقولهم
او تأتي بالله والملائكة قبيلا او يأتي بعض آيات ربك تعظيما لانه اعظم الايات الظاهرة قبل
قيام الساعة يوم يأتي بعض آيات ربك يعني الاية المذكورة انفا لا بعض اشراط الساعة
مطلقا لان الايمان نافع بعد ظهورها كيف ونزول عيسى عليه السلام لدعوى الخلق بعد خروج الدجال
لا ينفع نفسا ايمانها كالمحتضر اذ صار الامر عيانا والايمان المقبول برهانا كان او تقليديا
يكون بالغيب لم تكن آمنت صفة نفسا من قبل متعلق بالمطويين او كسبت عطف
على آمنت في ايمانها خيرا اريد بالايمان المعرفة يرشدك الى هذا قراءة لا تنفع بالتاء
وبكسب الخير الاذعان والقبول ونحن معاشر اهل السنة والجماعة نقول بما هو موجب النص
من ان الايمان النافع بمجموع الامرين فلا حجة فيه للمخالف لان مبناها على حمل الايمان
على المعنى الاصطلاحي المخترع بعد نزول القرآن وتخصيص الخير بما يكون بالجوارح وكل
منهما خلاف الاصل والظاهر ولو سلم فنقول الايمان النافع لا بد فيه من امرين الاعتقاد
بالقلب والاقرار باللسان وقد عبر عن الاول بقوله آمنت وعن الثاني بقوله او كسبت فان
الكسب يكون بالالات البدنية ومنها اللسان فمنطوق الاية على وفق مذهبنا والله تعالى اعلم
قل انتظروا اي انتظروا اتيان احد الثلاثة انا منتظرون له وعيد لهم ووعد
لنا ان الذين فرقوا دينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وافترقوا فيه عليه الصلاة والسلام
افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وقرئ فارقوا وكانوا شيعا
فرقا جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع
وهو الحطب الصغار توقد بها الكبار لست منهم من امرهم في شيء اي ليس اليك
شيء من مجازاتهم والعفو عنهم انما عليك انذارهم وتبليغ الوحي انما امرهم الى الله ان شاء
عاجلهم بالعقوبة وان شاء اخرهم الى الاخرة وان شاء وفقهم للرجوع عنها معفوا عنهم ثم ينبئهم
بما كانوا يفعلون اي في الاخرة ويجازيهم على ذلك من جاء بالحسنة لم يقل من عمل الحسنة
ليعلم ان المنظر اليه ما ختم به وعلى ذلك قال عليه الصلاة والسلام الاعمال بالخواتيم فله عشر
امثالها على اقامة صفة الجنس المميز مقام الموصوف فتقديره عشر حسنات امثالها لم يرد به
القصر بل ما دبه النفضل التضعيف وهذا اقل ما وعد بالاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وسبعمائة
وبغير حساب وقرئ عشر بالتنوين وامثالها بالرفع على الوصف ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها
اي واحدة بعد واحدة هذا بحكم الوعد لا باقتضاء العدل كما توهمه المعتزلة اذ لا حق للخالق على الخالق
وهم لا يظلمون بنقص ما وعد لهم من الاجر والعقاب بالاستحقاق قل انني هداني ربي الى صراط
مستقيم اي ارشدني الى ما نصب من الحجج دينا بدل من محل الى صراط لان معناه هداني صراطا
كقوله ويهديكم صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ او حال من صراط لاختصاصه

بالصفة او نصب على المدح اي اعني واخص دينا قيما فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم ابلغ منه باعتبار الصيغة لانه نص في الاستقامة وقرئ قيما وهو مصدر بمعنى القيام وصف به ملة ابراهيم عطف بيان لدينا انما ذكره ذلك حثا لهم على اتباعه لانه دين ابيهم حنيفا حال من ابراهيم وما كان من المشركين عطف عليه قل ان صلاتي ونسكي عبادتي وتقربي كله وقيل ذبحي وجمع بين الصلاة والذبح كما في قوله تعالى فصل لربك وانحر وقيل حجي من مناسك الحج وانما خصه بالذكر لان المشركين كانوا يدخلون الشرك والتلبية فلذا تخصيص الذبح بالذكر على القول ومحياي ومماتي وما انا عليه من حياتي واموت عليه من الايمان والطاعة او طاعات الحيات والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير وقرئ محياي باسكان اليا اجراء للوقف مجرى الوصل لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا اشرك فيها غيره وبذلك الاخلاص امرت بما بقوله قل وختم لهذا بيانا ان نقول ايمانا وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته قل اغير الله ابغي ربا هذا ابلغ من اغير الله اعبد لدلالته على نكاه بطريق البرهان وهذا جواب عن دعائهم له عليه الصلاة والسلام الى عبادة الاصنام وهو رب كل شيء فلا يصلح غيره ان يكون معبودا اصلا فضلا عن ان يكون شريكا له تعالى في المعبودية وهو مستحق لان يكون معبود كل شيء جملة حالية في مقام التعليل لانكار المذكور ولا تكسب كل نفس الا عليها اي لا يكون جناية نفس الا عليها ومعناه السلب الكلي لا سلب الكلي فاداة السور داخلة على النفي معنى وان كانت مدخولة له لفظا ولا تزر وازرة وزر اخرى اي تحمل نفس حمل نفس اخرى قال عطاء قال الوليد بن المغيرة اتبعوا سبيلي احمل عنكم فنزلت هذا نفي القدرة على الغير على ذلك التحمل وانما نفي التحميل عن الله تعالى فالاية ساكتة عنه فلا منافاة بينها وبين حديث ابي موسى المذكور في صحيح مسلم وهو هذا يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب امثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى ثم متعلق بقوله ولا تكسب كل نفس الا عليها وقوله ولا تزر اعتراض تاكيد لما ذكر الى ربكم لا الى غيره مرجعكم يوم القيامة فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون يبين الرشد من الغي ويميز المحق من المبطل وهو الذي جعلكم خلائف الارض خلائف الامم الماضية في الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الخلقة والكنة والعلم والعمر ليبلوكم اي ليختبركم فيما اتاكم فيما اعطاكم من النعم بالشكر وفيما ابتلاكم به من المحن بالصبر ان ربك سريع العقاب لاعدائه وانما كان عقابه سريعا لانه لا يحتاج الى سؤال الات ولا يتوقف على استحضار ذوات وانه لغفور رحيم اي لاوليائه وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليها الوصف بالرحمة واتى ببناء

المبالغة

المبالغة وعلى التاكيد ان واللام تنبيها على انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها لقوله تعالى ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون اي استخلافكم بعد القرون التي اهلكناها استخلاف من يجيء ولا يلزم من هذا ان يكون الخطاب للمؤمنين خاصة وكل من جاء بعد ما مضى فهو خليفة والجمع خلائف جاؤا به على خلاف الاصل مثل كريم وكرايم وقالوا ايضا خلفا من اجل انه لا يقع الا مذكر وفيه الهاجمعوه على سقاط الها مثل ظريف وظرفا لان فعيلة بالهاء لا يجمع على فعلا

سورة الاعراف مكية الا ثمان ايات مايتا اية وست ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

المص قد سبق الكلام في مثله كتاب خبر لمبتدا محذوف انزل اليك صفته والمراد بالكتاب السورة وهو الحسن ان يراد به القران لان البعض اذا استعمل بالكمال او الاعجاز فالكل اولى به فلا يكن في صدرك حرج اي فلا تكن شاكا او خائفا على طريقة الكناية فان الشاك والخائف ضيق الصدر او فلا يكن في قلبك شك او خوف وتوجيه النهي اليه ايهام ان الحرج لو كان مما ينهى عنه لنهيناه عنك فانته انته عنه ولا يخفى في هذا الاعتبار اللطيف من تعظيم شانه الشريف والفاء للسببية اي اذا انزل اليك من الله تعالى فلا تحرج صدرك لانه سبب الانشراح او فلا يكن في صدرك ضيق على ان يكون النهي للتكوين ويعضد هذا الوجه قوله تعالى الم نشرح لك صدرك منه من انه منزل من الله تعالى او من تبليغه مخافة ان يكذب فيه او يقصر في القيام بحقه وفائدته التشنيع لتنذر به علة لانزل وانما اخر تنبيها على انه ينبغي ان يزيل الحرج عن صدره اولا ثم يشتغل بالانذار او لانه اذا ايقن انه من عند الله تعالى تشجع على الانذار وكذلك انا امنه الله تعالى وذكرى نصب باضمار فعلها اي وتذكر تذكيرا فان الذكرى اسم بمعنى التذكير وجر عطفا على المصدر المنسبك من ان والفعل المنصوب باضمارها في قوله لتنذر اي للانذار لا على محل لتنذر لان محله النصب او رفع عطفا على كتاب او خبر لمحذوف اي هو ذكرى للمؤمنين اطلق الانذار لعمومه الفريقين وخص التذكير بالمؤمنين لانهم المنتفعون به اتبعوا ما انزل من القران والسنة لقوله وما ينطق عن الهوى لانه لا ينتظم السنة التقريرية بل لقوله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ولهذا عدل عن الضمير وقيل اليكم من ربكم لما تجمعه عليه الصلاة والسلام امر الجميع باتباع جميع ما يرسمه ليكون ادعى الى انشراح صدره ورحب ذرعه ولا تتبعوا من دونه اي من دون ربكم اولياء من الشياطين الانس والجن فيضلوكم عن دين الله تعالى ويحملونكم على عبادة الاوثان واتباع الهوى والبدع او من دون ما انزل اليكم اي من دون دين الله دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا قليلا صفة للمصدر اي تذكيرا قليلا

او للزمان اي زمانا قليلا حيث يتركون دين الله تعالى ويتبعون غيره ما مزيدة لتاكيد القلة
تذكرون صفة لاولياء وقرئ بحذف التاء وقرئ يتذكرون على ان الخطاب مع النبي صلى الله
عليه وسلم وكم من قرية خبرية منصوبة بفعل مقدر يفسره اهلكناها
اي وكثير من القرى اهلكناها فجاءها باسنا فيه استخدام وقلب اما الاول فلان
الضمير في اهلكناها للقرية باعتبار معناها الحقيقي والضمير في فجاءها لها باعتبار معناها
الحقيقي وهو اهلها واما الثاني فلان اصل الكلام وكم من قرية جاءها باسنا فاهلكناها
ويجوز ان يكون الفاء تفصيلية ويكون الكلام على اصله بياتا في موقع الحال بائتين او
هم قائلون في محل النصب عطفا على بياتا كانه قال بائتين وقائلين وانما وقعت الجملة
الاسمية حالا بغير واو ولا اكتفاء بالضمير لانه غير فصيح بل لعطفها على حال قبلها فاستثقل
اجتماع حرفي عطف لان واو الحال واو العطف استعيرت للوصل وتخصيص الوقتين بنزول
العذاب لانهما وقت دعة وغفلة فيكون نزوله فيهما اشد وافظع واما المبالغة في التعبير
فلا اختصاص لها بالوقتين فما كان دعواهم دعاؤهم على انفسهم بالويل اذ جاءهم باسنا
وقت ظهور طلائع العذاب الا ان قالوا انا كنا ظالمين الا قولهم هذا يرشدك الى المعنى
هذا قوله تعالى وكم قصمنا من قرية الى قوله قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم
حتى جعلناهم حصيدا خامدين فلنسألن الفاء فصيحة اي نجمعن الخلائق فلنسألن
الذين ارسل اليهم هم الامم نسألهم عما اجابوا به الرسل لقوله تعالى ماذا اجبتم المرسلين والمراد
به التوبيخ والتقريع لا الاستخبار ولا التقرير لقوله تعالى فعميت عليهم الانباء يومئذ ولنسألن
المرسلين عما اجيبوا به لقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم والمنفي في قوله ولا يسأل
عن ذنوبهم المجرمون السؤال عن الذنب لا مطلق السؤال فلا ينافي هذا حتى يحتاج الى التوفيق
بالاختلاف في الاوقات او في معنى السؤال فلنقصن لما كان سؤال الفريق الاول سؤال
تعنيف وتعذيب وسؤال الفريق الثاني سؤال تشريف وتقريع لا للاستخبار والاستفسار
سكتوا عن الجواب وتركوا الخطاب فناسب المقام تصدير الكلام بالفاء الفصيحة عليهم اي على
الفريقين ما كانوا عليه بعلم كامل شامل لظواهرهم وسرائرهم وما كنا غائبين حال في
مقام التعليل اي اذ لم نكن عنهم غائبين لم يقل وما كانوا عنها غائبين تنبيها على ان المنشأ لهذا الحال
ما في شأنه تعالى من الكمال لا امر من جانبهم وعدم الغيبة عنهم مجاز متفرع على الكناية عن الاحاطة
التامة باحوالهم وافعالهم واقوالهم وفيه دفع ما عسى ان يخطر بالبال من ان وزن الاعمال
لخفاء الحال فله متعلق تام بجانبي الكلام مورث لكمال الحسن في النظام وتمام الالتئام
والوزن مبتدأ يومئذ ظرفه الحق خبره اي الوزن يوم يسأل الله الامم ورسلهم
هو الحق الثابت الواجب للوقوع او الحق صفته والخبر يومئذ بانه الحق لا غيره لا ان اليوم المذكور

بان الوزن الحق فيه لا في غيره فقيل توزن صحف الاعمال بالميزان له لسان وكفتان ينظر
اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فيعترف بها السنتهم وتشهد
بها جوارحهم وبه اخذ الجمهور ويصدقه ما ورد في الخبر عن سيد البشر ان الرجل يؤتى به
الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها
كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فمن ثقلت موازينه اي
رجحت موزوناته وهي الاعمال التي لها وزن واعتبار وقدر اي الحسنات او ما يوزن
به اعماله على ان الموازين جمع موزون او جمع ميزان وتوحيد الضمير باعتبار لفظه من
لان معناه جمع لقوله فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب ومن
خفت موازينه عن الحسن وحق الميزان ان يوضع فيه الحسنات ان يثقل وحق الميزان ان يوضع
فيه السيئات ان يخف وهذا على ثاني معنى الموازين فاولئك الذين خسروا انفسهم بتضييع
الفطرة السليمة التي فطروا عليها بما كانوا باياتنا يظلمون اي يكذبون ظلما ولقد
مكناكم في الارض اقدرناكم على التصرف فيها بالسكنى والزرع وغيرهما وجعلنا لكم فيها
معايش ما تعيشون به جمع معيشة وهي وصلة من جهة مكسب المطعم والمشرب والملبس
الى ما فيه الحياة وقد يطلق على ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرهما والوجه تصريح الياء
لاصالتها ومن همز فقد شبهها بما فيه التاء زائدة كصحائف قليلا ما تشكرون نصب
قليلا بتشكرون وما مزيدة لتاكيد القلة والشكر اعتراف بالنعم مع ضرب من التعظيم ولقد
خلقناكم ثم صورناكم اي خلقنا اباكم آدم عليه السلام غير مصور ثم صورناه والصورة
فيه بنية مقومة على هيئة ظاهرة نزل خلقه عليه السلام وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره
لقوله تعالى ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم او ابتدأنا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا آدم
عليه السلام ثم صورناه ثم قلنا وكان الظاهر ان يقول ثم امرنا الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام
وانما عدل عنه لان الامر بالسجدة كان قبل خلق آدم عليه السلام على ما نطق به قوله تعالى
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين والواقع بعد تصويره انما هو قوله تعالى
للملائكة اسجدوا لآدم لتعيين وقت السجدة المامور بها قبل هذا فصار في الكلمة ثم عن معناها
الاصلي وعلى تقديرها لتصرف عنه حقها ان تصرف الى معنى التفاوت في الرتبة لا في التراخي
في الاخبار فسجدوا اي سارعوا في الامتثال وانما امروا به على الاستعجال لما كان
في بقعة الاحتمال ان يكون الاستثناء بقوله الا ابليس عن المقيد راجعا الى قيده لا الى المطلق
احتيج الى قوله لم يكن من الساجدين دفعا لذلك الاحتمال فلا صارف فيه للاستثناء عن الاتصال
بناء على انه حينئذ لا حاجة الى هذا المقال وكان يكفي ان يقال لم يسجد الا انه قصد مع الاجمال
عن عدم الايهام الاشعار بانه على تقدير اظهار السجود لا يكون ساجدا حقيقة لما فيه من

اضمار الاستكبار بل كون معدودا من الساجدين ينبغي ذلك الكون فافهم هذا الاعتبار قال عدل
عن التكلم الى الغيبة ايما بعدم اسناد القول الى نفسه صريحا الى ان هذه المخاطبة مع ابليس لم
تكن بالذات وكان الجبائي نبّه لهذا الايماء حيث قال ان هذه المكالمة على لسان بعض الملائكة
ما منعك ان لا تسجد منع نظير صرف فحمل عليه في التعدية بالى كانه قيل ما صرفك على ان
تسجد ولا يخفى ان اعتبار الصرف ابلغ في الكلام وانسب للمقام ومن هنا تبين انه لا دلالة في قوله
تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي بزيادة لا في هذا القول لانتظام معنى الصرف على كلا
القولين اذ معمول لقوله منعك اي ما منعك عن السجود في وقت امرتك بالسجود فيه
فلا دلالة فيه على ان مطلق الامر للفور ولا على انه للوجوب اما الاول فلان الفور انما لزم
من تعيين وقت نفخ الروح في بدن ادم عليه السلام في قوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه
من روحي فقعوا له ساجدين فان فيه دلالة على ان المامور به السجدة في الحال وفي تضاعيف
المقال تلويح الى انها كانت لتعظيم امر النفخ وما يظهر عنه من اثار القدرة الباهرة في الحقيقة
وان كانت في الظاهر لتعظيم ادم عليه السلام واما الثاني فلان تلا ان معناه على ان
يكون صيغة الاستفهام للتوبيخ وان يكون التوبيخ على عدم الايتمار وكل منهما في معرض المنع
اما الاول فلان الظاهر من قوله استكبرت ام كنت من العالين الاستفسار والاستخبار عن
سبب المنع واما الثاني فلاحتمال ان يكون التوبيخ مع الساجدين اي ابى عن متابعتهم في امر
السجود وفي قوله امرتك دلالة على ان ابليس مامورا بالسجود لادم عليه السلام بقوله تعالى
للملائكة اسجدوا لادم عبارة كان ذلك او دلالة والظاهر من قوله تعالى استكبرت ام كنت من
العالين هو الثاني على ما نقف عليه في موضعه قال انا خير منه لما كان هذا القول
منه جوابا من حيث المعنى عن السؤال على وجه التفصيل عن المانع المذكور في قوله تعالى ما منعك
ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين منشا نفاه باختيار الشق من
من الترديد المذكور اي كنت من الذين يتنا ولهم الامر لا دلالة لعلو شانهم كما لم يتنا ولهم عبادة
ذكرها هنا في معرض الجواب عن السؤال على وجه الاجمال عن المانع ومن غفل عن هذا قال انه
جواب من حيث المعنى منشا نف استبعادا منه لان يؤمر الفاضل بسجود المفضول فهو الذي
بالحسن والقبح العقليين اولا خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل الفضل عليه وقد
غلط في ذلك حيث راى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه
بقوله لما خلقت بيدي على القراءة بالتوحيد اي بغير واسطة وباعتبار الصورة كما اشار اليه
لما خلقت بيدي من القراءة بالتشديد اي بقدرتي المتصرفة في عالمي الشهادة والغيب ولذلك اي
ولكونه ذا حظ من عالمي الملك والملكوت فصار افضل ممن له حظ من احدهما فقط واستحق لان
يسجد له الملك فالمعين في تعليله لمن قيل له حفظت شيئا وغابت عنك اشياء وقيل لعل لنسبة

خلق الانسان الى الطين خلقه الى النار باعتبار الجزء الغالب ويرد عليه ان المناسب
لهذا الاعتبار ربقا لخلقته من تراب والله اعلم بالصواب قال فاهبط تفريع على
جوابه الخارج عن حد الادب بل نهج الشدايد افتخر اللعين بما في عنصره من شرف الصعود
لجوزي بذل الهبوط وهو زوال من جهة العلو الى جهة السفل فصح عود الضمير في
قوله منها الى جهة العلو ويلزمه النزول من السماء والخروج من الجنة فلهذا ذهب الى
كل منهما ذاهب غافلا عن عود الضمير الى احد منهما بخصوصه ممدودا لاضمار قبل الذكر
فما يكون يصح لك تعليل للامر المذكور ان تتكبر فيها لانها مكان المطيعين المتواضعين
والتكبر في وصف المخلوق واظهار الكبر بالتكلف بلا مساعدة من الحال ويحق وصف الخالق الظاهر
على وجه الكمال فلهذا ما رد ما في الاول ومدح ما في الثاني فاخرج وفي سورة الحجر فاخرج
منها اي من زمرة الملائكة المقربين الساكنين في السماء تفريع على عدم لياقته لكونه من
جهة العلو انك من الصاغرين من الذليلين لصغر القدر تعليل للامر بالخروج من
بين المستحقين للعزة نوبل في كل مقابل الامر بعد ما ظهر من المامور بما لا يحالا قال انظرني
من الانظار بمعنى الامهال الى هذه فيها النظر طال ام قصر الى يوم يبعثون بيان
مدة الانظار الذي طلبه والضمير في يبعثون عائدا الى المفهوم من تضاعيف المقال
المعلوم بقراين الاحوال وفيه دليل على اعتقاد اللعين بالبعث ومعنى الاصل الاطلاق
في الامر ثم استعمل مجازا في الاخراج عن العدم والمراد باليوم المذكور يوم النشور بما لا انتهاء
الى يوم القيامة كما افصح عنه في قوله تعالى لئن اخرتني الى يوم القيامة قال انك من المنظرين
اي انك من جملة من قد تلقم الانظار فلا حاجة الى السؤال وفيه الاشعار بان ذلك ليس
من قبيل استجابة الدعوي فافهم لطف هذا الاعتبار ثم ان فيها الاخبار عن حصول ما رامه من
اصل الانظار لا ابتلاء للعباد بمخالفة الثواب لا عن الوصول الى المقصود من امتداده المفهوم
ونيل الامان من خوف الفوت والم ذوق الموت حيث قال الى يوم الوقت المعلوم لله تعالى
وموقت قد رفيه انتهاء اجل المنظرين ويومه يوم النفخة الاولى وانما ابهم الله تعالى
كيلا يخلو اللعين عن الم الخوف في كل حين وفي اتمام اليوم زيادة في الابهام كما لا يخفى عن
ذوي الافهام قال فبما اغويتني الباء للسببية تعلقت بفعل القسم وقد اظهر المقسم
به في قوله فبعزتك لاغوينهم اجمعين لا بلاقعدن لان اللام تصد عنه وما مصدرية واصل
الغي الفساد تقول العرب غوي الفصيل اذا بشم والبشم فساد اللبن في البطن والمعنى بعد
ان امهلتني لاجتهدن في اغوائهم باي وجه يمكنني بسبب اغوائك اياي كيما يفسد وا
كما فسدت بسببهم لاقعدن لهم القعود كناية عن الترصد بل متفرع عليها لان المراد من
الصراط المستقيم الدين القويم وهو لا يصلح متعلقا للقعود الحقيقي صراطك المستقيم

صفين

نصبه على تضمين معنى الترصد اي لاترصدن صراطك مترصدا كما يفعله قطاع الطريق بالسابلة
وهو اولى من انتصابه على الظرف وانما انتصابه على اسقاط على كما قاله الزجاج وشبهه
بقول العرب ضرب زيد الظهر والبطن وفيه ان اسقاط حرف الجر في مثل هذا لا ينقاس ثم
مستعار لبعد ما بين الاجمال المذكور والتفصيل لان في ضمن التمثيل لآتينهم من بين ايديهم
ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم مثل اتيانه اياهم بقصد التسويل والاضلال باتيان
العدو السابلة بقصد القتل ونهب الاموال يحيطاهم من الجوانب كيلا يفوت الاستيصال
ولهذا خص الجهات الاربع بالذكر ولا قصد التسويل يتيسر له من جميع الجهات وانما قال
من بين ايديهم ولم يقل قدامهم قصدا الى تشبيه اتيانه من تلك الجهة باتيان عدو لم
يتنبه له الخصم الا وهو حاضر بين يديه فانه اشد كيدا واشد نكاية وانما عدى الفعل
في الاوليين بمن لان فيهما معنى طلب النهاية وفي الاخريين بعن لان فيهما معنى طلب
الانحراف عن المقصد ولا تجد اكثرهم شاكرين لم يقل لا يجد لانه اذا ذكر بناء حالهم
هذا على مقتضى جبلتهم لا بسبب تسويل واضلال ولا تعلق له بقوله ولقد صدق
عليهم ابليس ظنه لان مظنونه بقرينة تمام ذلك المقام وهو قوله فاتبعوه
الا فريقا من المؤمنين ما ذكره بقوله فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم
المخلصين فان انطباقه عليه لا بمضمون هذا الكلام قال اخرج منها الامر باصل
الخروج من زمرة المؤمنين قد كان وهو هنا منصرف الى قيده المذكور بقوله
مذءوما من ذامه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في مسائل او مكول في مكيل من ذامه يذيمه
ذيما وقيل الذام الذيم اشد العيب كاللوم مدحورا الدحر الدفع والطرد على وجه الهوان
والاذلال لمن تبعك منهم اللام لتوطئة القسم وجوابه لاملان جهنم وهو ساد مسد
جواب الشرط وقرئ لمن بكسر اللام اي لمن تبعك منهم هذا الوعيد وقوله لاملان جهنم
على ان لاملان جهنم في محل الابتدا ولمن تبعك خبره او على انه علة لاخرج ولام لاملان جهنم جواب
قسم محذوف على الوجهين منكم اجمعين اي منك وممن تبعك لقوله تعالى في موضع اخر
لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين فغلب هنا المخاطب ويا ادم اي وقلنا يا ادم
على ما ذكر في سورة البقرة ولا مساغ لان يعطف على قوله اخرج لانه في معرض الاستيناف في جواب
ابليس وهذا ليس من تتمة الامتنان وفي العطف على ما بعد قلنا بعد اسكن انت وزوجك الجنة
قد سبق ما يتعلق به من اللطايف فكلا من حيث شئتما وفي سورة البقرة وكلا اعتبر فيه
الاستقلال في امر الاكل تعظيما لشكل تلك النعم الجليلة واعتبر هنا تفرعه على الامر الاول
وفيه زيادة تفخيم لذلك الامر ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي على الاصل لتصغير
ذيا والهاء بدل من يا فتكونا فتصيرا يحتمل الجزم بالعطف والنصب بالجواب من الظالمين اي

بصيغة

بصيغة الفاعل لانه ابلغ من الذي ظلمه والحلقة ليتنظم الظلم غيره من ذريته فوسوس
اي تكلم كلاما خفيا مكررا اصل الوسوسة الصوت الخفي ومنه وسواس الحلي وهو غير متعد كولولت
المرأة وقوقوت الذيب فلا بد من اداة التعدية ولهذا قيل لهما الشيطان والفاء للترتيب
على ما تقدم من النهي ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما الابداء الاظهار والمواراة الستر
والسوءة العورة مجاز لانه ليسوء صاحبها ظهورها وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الاخر
واللام للتعليل ان كان اللعين عالما بذلك والا فلام العاقبة وقال ما نهاكما ربكما عن هذه
الشجرة بيان لوسوسته والواو للاستيناف الا ان تكونا الا كراهة ان تكونا ملكين او تكونا
من الخالدين من الذين يخلدون في الجنة ولا يموتون في حصول الكمالات النظرية والاستغنا
عن الاطعمة والاشربة اذ لا احتمال لقلب الحقايق فلا دلالة فيه على فضل الملك على ادم وقاسمهما
اني لكما لمن الناصحين اقسم لهما بالنصيحة فاخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة لاجتهاده
فيه اجتهاد المبالغ وقيل اقسم لهما بالنصيحة واقسما عليه بالله انك لمن الناصحين فدلاهما
فنزلهما الى الاكل من الشجرة وفيه دلالة على انه اهبطهما من درجة عالية الى منزلة سافلة
لان في معنى التدلية من ارسال الشي من علو الى سفل بغرور بما غرهما من القسم بالله
وكانا لا يظنان ان احدا يحلف بالله كاذبا او ملتبسين بغرور اي مغرورين فلما ذاقا الشجرة
بالاكل من ثمرتها دل هذا على ان المراد من الاكل في قوله فكلا منها بدايته كما دل هو على ان المراد
من الذوق هنا نهايته فالقرآن يفسر بعضه بعضا بدت لهما سوءاتهما اخذتهما
العقوبة لشوم المعصية وتساقط عنهما لباسهما وظهرت عوراتهما ورقة فوق ورقة
ليستترا بها كما يخصف النعل ويجعل طرقة فوق طرقة من ورق الجنة قيل كان ورق
التين وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة انما قال تلكما لانه خاطب اثنين واشار
الى الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين توبيخ من الله تعالى لهما على الاغترار
بقول العدو بعد التحذير وعتاب على مخالفة النهي الارشادي ولا دلالة فيه على ان
النهي للتحريم قالا ربنا ظلمنا انفسنا بنقص حظها من النعمة وتعريضها للمحنة وان
لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين هذا على عادة المقربين في استعظام الصغير من
السيات واستصغار العظيم من الحسنات لما عرفت ان النهي ارشادي لا تكليفي فلا دلالة فيه
على ان الصغيرة من الذنوب مما يعاقب عليها ان لم تغفر لنا وانما لم يقل وان لم تغفر لان
الحاجة الى المغفرة والرحمة والكون من زمرة الخاسرين عند عدمها ليس مما تقدم من
النقص والتعريض بل ذلك امر اخر وراء ما ذكر قال اهبطوا خطاب لهما ولذريتهما او لهما
ولابليس كرر الامر تبعا ليعلم ترتبا او اخبر عما قال لهم متفرقا بعضكم لبعض عدو في
موضع الحال ولكم في الارض مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع تمتع

الى حين انقضاء اجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون يعلمهم انهم
انهم لا يعودون الى الجنة الى ان يبروا من قبورهم ثم يصير السعيد الى الجنة والشقي الى النار
يا بني آدم اراد نوع الانسان والتعبير بما يشير الى بدء خلقته وابتداوليته لتذكير خلقه
عريانا فانه المناسب لمقام الامتنان باعطاء اسباب اللباس قد انزلنا عليكم لباسا
جعل ما في الارض منزلا من السما لانه قضي وقدرثمه وخلق بتدبير سماوية واسباب
نازلة منها كقوله وانزلنا الحديد يواري سوآتكم التي قصد الشيطان ابداها اي
اي يستر ما يسوؤكم انكشافه من الجسد ويغنيكم عن خصف الورق وريشا وقرئ
رياشا جمع ريش كشعب وشعاب والريش لباس الزينة والجمال استعير من ريش الطير
لانه لباسه وزينته اي انزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سوآتكم ولباسا يجملكم ويزينكم
والزينة غرض صحيح في الشرع كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال ولباس التقوى
هو الاكتفا بالصوف والخشن من الثياب ورفعه بالابتداء ذلك خير وذلك
لان خير الامور اوسطها او خبره خير وذلك صفة عدل عن النصب وفخم بالاشارة اليه
وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا قيل هو ما يتقى به في الحروب ولا يناسبه
الترجيح والتفخيم فان ما ذكره جهة الرجحان انما يساعده الاول وقيل هو لباس الورع والاستحيا
ذلك من آيات الله اي تحصيل اللباس من مواد ارضية حاصلة باسباب سماوية وفيه ايصال
احداهما بالاخرى مع بعد ما بينهما دليل على كمال قدرته منشيهما وحكمة مدبرهما لعلهم يذكرون
فيعرفون نعمته ويعترفون بقدرته ويحترزون عن نقمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح
روي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنزلت
فعلى هذا يكون قصة آدم عليه السلام تقدمة لذلك تنبيها على ان انكشاف العورة اول سوء اصاب
الناس من الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم وان الفطرة السليمة اقتضت سترهما
بخصف الورق عليها ليتعظوا بها يا بني آدم لا يخفى على الفطن ما في هذا التعبير من الاشارة
الى انهم مظنة الافتتان لكونهم ذرية من افتتن لا يفتننكم لا يمنعكم الشيطان دخول الجنة
بالافتتان اي بالاغوا كما اخرج اي فتن ابويكم بما ادى الى اخراجهما من الجنة والمراد
نهي الشيطان المبالغة في نهيهم عن مظان الافتتان به ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما
حال من ابويكم او فاعل اخرج واسناد النزع اليه مجازي للتسبيب والعدول عن صيغة
الماضي لاستحضار تلك الصورة الفضيحة والنزع قلع الشي عن موضعه الذي هو ملابس
له انه اي الشيطان يراكم تعليل للنهي على سبيل الاستيناف وتاكيد للتحذير من
فتنته بانه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم من حيث لا تشعرون هو ظاهره ليصح عطف قوله
وقبيله اي جنوده من حيث لا ترونهم بيته قال ابن عباس رضي الله عنه صدر الانسان له

مسكن

مسكن ويجري منه مجرى الدم وانما لم يقل ولا ترونهم كيلا يذهب الوهم الى عدم تيسير رؤيتهم لنا
مطلقا انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون بالتناسب بينهم والاية مقصورة القصة
واذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية من القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف
قالوا وجدنا عليها آباءنا اعتذروا بتقليد الاباء لما راوا ما فيه من الضعف ابدوه بقولهم
والله امرنا بها قيل هما جوابا سؤالين مترتبين لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها
اباءنا فقيل لمن اين اخذ اباؤكم فقالوا الله امرنا بها وفيه ان حق النظم حينئذ والله امرهم
قل ان الله لا يامر بالفحشاء لان عادته جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال
اقتصر على رد الثاني لما عرفت ان الاول لا يعول عليه بدونه وفي الاية دلالة على ان في بعض
الافعال قبحا يثبته العقل مع قطع النظر عن الشرع وانه لم يدل على ترتيب الذم عليه اجلا لا قبل النهي
عنه اتقولون انفترون على الله انكار يتضمن النهي وانما قال ما لا تعلمون الظاهر
لما في افترائهم من زيادة قبح لتضمنه الاخبار عما لا علم لهم به قل امر ربي بالقسط بالعدل
الذي هو الواسطة بين طرفي الافراط والتفريط في كل شي واقيموا وجوهكم معطوف
على ما ينحل اليه المصدر الذي هو القسط اي بان اقسطوا واقيموا وكما ينحل اليه المصدر الى ان
والفعل الماضي نحو عجبت من قيام زيد وخرج اي قام زيد وخرج كذلك ان مع الفعل المضارع
للبس عباءة وتقر عيني اي لان البس عباءة وتقر عيني عند كل مسجد موضع سجود
اي يسجدوا كما يسجد اليهود على انصاف الوجوه وقد مر وجه ذلك في تفسير سورة البقرة
وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة مبتغين بها وجه الله خالصا فانكم
ستعودون مجزيون على اعمالكم فحذف التعليل وذكر ما يدل على البعث اكتفاء بالعبارة عن
الاشارة كما بدأكم اي كما ابدأكم ابتداء تعودون باعادته اي فقيسوا الاعادة
بالابدا فلا تنكروها لانها اهون منها فريقا هدى بان وفقهم للايمان وفريقا حق
عليهم الضلالة بابطالهم الاستعداد الاصلي والقابلية الفطرية لا باقتضاء القضاء
الاولي كما زعمته الجبرية لان القضاء تابع للمقتضي لا متبوع له وانتصابه بفعل مضمر
يفسره ما بعده اي اضل كقولك زيدا مررت به انهم اي الذين حق عليهم الضلالة
اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله فاطاعوهم تعليل للمفسر ويحسبون انهم مهتدون
ولولا حسبانهم هذا لكان فيهم تاثير لانذار النذير فهو تتميم للتعليل والتحقيق وتنبيه
على ان الضلال انما حق على من ضل وزعم انه اهتدى ومن هنا ظهر ان المكلفين غير محصورين
في الفريقين المذكورين فان المعاند بمعزل عن الحسبان المذكور يا بني آدم انما خاطبهم
بهذا تذكيرا للسنة ابيهم آدم عليه السلام في ستر العورة خذوا زينتكم اي لباسكم المواري
لعوراتكم والزينة فعلة من التزين وهو اسم ما يتجمل به من ثياب وغيرها والامر باخذه

الى حين انقضاء اجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون بعلمهم انهم
انهم لا يعودون الى الجنة الى ان يبروا من قبورهم ثم تصيير السعيد الى الجنة والشقي الى النار
يا بني ادم اراد نوع الانسان والتعبير بما يشير الى بدء خلقته وابتدائه ولائمه لتذكير خلقه
عريانا فانه المناسب لمقام الامتنان باعطاء اسباب اللباس قد انزلنا عليكم لباسا
جعل ما في الارض منزلا من السما لانه قضي وقدر ثمه وخلق بتدبير سماويه واسباب
نازلة منها كقوله وانزلنا الحديد يواري سوآتكم التي قصد الشيطان ابداها اي
اي يستر ما يسوءكم انكشافه من الجسد ويغنيكم عن خصف الورق وريشا وقري
رياشا جمع ريش كشعب وشعاب والريش لباس الزينة والجمال استعير من ريش الطير
لانه لباسه وزينته اي انزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سوآتكم ولباسا يجملكم ويزينكم
والزينة غرض صحيح في الشرع كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال ولباس التقوى
هو الاكتفا بالصوف والخشن من الثياب ورفعه بالابتداء ذلك خير وذلك
لان خير الامور اوسطها او خبره خير وذلك صفته عدل عن النصب وفخم بالاشارة اليه
وقري ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا قيل هو ما يتقي به في الحروب ولا يناسب
الترجيح والتفخيم فان ما ذكر وجه الرجحان انما يساعده الاول وقيل هو لباس الورع والابساط على
ذلك من ايات الله اي تحصل اللباس من مواد اصليه حاصله باسباب سماويه ايضا البالغ
احداهما بالاخري مع بعد ما بينهما دليل على كمال قدرته منشيها وحكمة مدبرهما لعلهم يذكرون
فيعرفون نعمته ويعترفون بقدرته ويحترزون عن نقمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح
روي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنزلت
فعلى هذا يكون قصة ادم عليه السلام تقدمة لذلك تنبيها على ان انكشاف العورة اول سوء اصاب
الناس من الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوي ابويهم وان الفطرة السليمة اقتضت سترهما
بخصف الورق عليها لينعطوابها يا بني ادم لا يخفي على الفطن ما في هذا التعبير من الاشارة
الا انهم مظنة الافتتان لكونهم ذرية من افتتن لا يفتننكم لا يمنعكم الشيطان دخول الجنة
بالافتتان اي بالاغوا كما اخرج اي فتن ابويكم بما ادي الى اخراجهما من الجنة والمراد
بنهي الشيطان المبالغة في نهيهم عن مظان الافتتان به ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما
حال من ابويكم او فاعل اخرج واسناد النزع اليه مجازي للتسبيب والعدول عن صيغة
الماضي لاستحضار تلك الصورة الفضيعة والنزع قلع الشي عن موضعه الذي هو ملابس
له انه اي الشيطان يراكم تعليل للنهي على سبيل الاستيناف وتاكيد للتحذير من
فتنته بانه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم من حيث لا تشعرون هو ظاهره ليصح عطف قوله
وقبيله اي جنوده من حيث لا ترونهم بينه قال ابن عباس رضي الله عنه صدر الانسان له

يسكن

يسكن ويجري منه مجرى الدم وانما لم يقل ولا ترونهم كيلا يذهب الوهم الى عدم تيسير رؤيتهم لنا
مطلقا انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون بالتناسب بينهم والاية مقصورة القصة
واذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية من القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف
قالوا وجدنا عليها اباءنا اعتذروا بتقليد الاباء لما راوا ما فيه من الضعف ابدوه بقولهم
والله امرنا بها فقيل هما جوابا سوالين مترتبين لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها
اباءنا فقيل لم اخذ اباءكم فقالوا الله امرنا بها وفيه ان حق النظم حينئذ والله امرهم
قل ان الله لا يامر بالفحشاء لان عادته جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال
اقتصر على رد الثاني لما عرفت ان الاول لا يعول عليه بدونه وفي الاية دلالة على ان في بعض
الافعال قبحا ينبه العقل مع قطع النظر عن السمع وانه لم يدل على ترتيب الذم عليه اجلا لا فعل النهي
عنه اتقولون انفترون على الله انكار يتضمن النهي وانما قال ما لا تعلمون الظهار
لما في خبرائهم من زيادة قبح لتضمنه الاخبار عما لا علم لهم به قل امر ربي بالقسط بالعدل
الذي هو الواسطة بين طرفي الافراط والتفريط في كل شي واقيموا وجوهكم معطوف
على ما يحمل اليه المصدر الذي هو القسط اي بان اقسطوا واقيموا وكما يحمل اليه المصدر الى ان
والفعل الماضي نحو عجبت من قيام زيد وخرج اي قام زيد وخرج كذلك ان مع الفعل المضارع
للبس عباة وتقر عيني اي لبس عباة وتقر عيني عند كل مسجد موضع سجود
اي يسجدوا كما يسجد اليهود على انصاف الوجوه وقد مر وجه ذلك في تفسير سورة البقرة
وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة مبتغين بها وجه الله خالصا فانكم
صائرون مجزيون على اعمالكم بحذف التعليل وذكر ما يدل على البعث اكتفاء بالعبارة عن
الاشارة كما بدأكم اي كما ابتداكم ابتداء تعودون باعادته اي فليبسوا الاعادة
بالابدا فلا تنكروها لانها اهون منها فريقا هدي بان وفقهم للايمان وفريقا حق
عليهم الضلالة بابطالهم الاستعداد الاصلي والقابلية الفطرية لا باقتضا القضا
الاولي كما زعمته الجبرية لان القضا تابع للمقتضي لا متبوع له وانتصابه بفعل مضمر
يفسره ما بعده اي اضل كقولك زيدا مررت به انهم اي الذين حق عليهم الضلالة
اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله فاطاعوهم تعليل للمفسر ويحسبون انهم مهتدون
ولولا حسابهم هذا لكان فيهم تاثير لانذار النذير فهو تتميم للتعليل والتحقيق وتنبيه
على ان الضلال انما هو على من ضل وزعم انه اهتدي ومن هنا ظهر ان المكلفين غير محصورين
في الفريقين المذكورين فان المعاند بمعزل عن الحسبان المذكور يا بني ادم انما خاطبهم
بهذا تذكير السنة ابيهم ادم عليه السلام في ستر العورة خذوا زينتكم اي لباسكم المواري
لعوراتكم والزينة فعله من التزين وهو اسم ما يتجمل به من ثياب وغيرها والامور باخذه

الى حين انقضاء اجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون يعلمهم انهم
انهم لا يعودون الى الجنة الى ان يبروا من قبورهم ثم تصيير السعيد الى الجنة والشقي الى النار
يا بني ادم اراد نوع الانسان والتعبير بما يشير الى بدء خلقته وابتدا ولايته لتذكير خلقه
عريانا فانه المناسب لمقام الامتنان باعطاء اسباب اللباس قد انزلنا عليكم لباسا
جعلناها في الارض منزلا من السما لانه قضي وقدرته وخلق بتدبير سماوية واسباب
نازلة منها كقوله وانزلنا الحديد يواري سواتكم التي قصد الشيطان ابداها اي
اي يستر ما يسوؤكم انكشافه من الجسد ويغنيكم عن خصف الورق وريشا وقري
رياشا جمع ريش كشعب وشعاب والريش لباس الزينة والجمال استعير من ريش الطير
لانه لباسه وزينته اي انزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سواتكم ولباسا يجملكم ويزينكم
والزينة غرض صحيح في الشرع كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال ولباس التقوى
هو الاكتفا بالصوف والخشن من الثياب ودرعه بالابتداء ذلك خير وذلك
لان خير الامور اوسطها او خبره خير وذلك صفة عدل عن النصب وفخم بالاشارة اليه
وقري ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا قيل هو ما يتقى به في الحروب ولا يناسب
الترجيح والتفخيم فان ما ذكر وجه الرجحان انما يساعد الاول وقيل هو لباس الورع ولا يساعد
ذلك من ايات الله اي تحصل اللباس من موادهما حاصله باسباب سماوية ايصال الصانع
احدهما بالاخري مع بعد ما بينهما دليل على كمال قدرته منشئها وحكمة مدبرهما لعلهم يذكرون
فيعرفون نعمته ويعترفون بقدرته ويحترزون عن نقمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح
روي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنزلت
فعلى هذا يكون قصة ادم عليه السلام تقدمة لذلك تنبيها على ان انكشاف العورة اول سوء اصاب
الناس من الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوي ابويهم وان الفطرة السليمة اقتضت سترهما
بخصف الورق عليها لينفطوا بها يا بني ادم لا يخفى على الفطن ما في هذا التعبير من الاشارة
الا انهم مظنة الافتنان لكونهم ذرية من افتتن لا يفتننكم لا يمنعكم الشيطان دخول الجنة
بالافتنان اي بالاغوا كما اخرج اي فتن ابويكم بما ادي الى اخراجهما من الجنة والمراد
نهي الشيطان المبالغة في نهيهم عن مظان الافتنان به ينزع عنهما لباسهما ليريهما سواتهما
حال من ابويكم او فاعل اخرج واسناد النزع اليه مجازي للتسبيب والعدول عن صيغة
الماضي لاستحضار تلك الصورة الفصيحة والنزع قلع الشي عن موضعه الذي هو ملابس
له انه اي الشيطان يراكم تعليل للنهي على سبيل الاستيناف وتاكيد للتحذير من
فتنته بانه بمنزلة العدو المراجي يكيدكم من حيث لا يشعرون هو ظاهره ليصح عطف قوله
وقبيله اي جنوده من حيث لا ترونهم فيه قال ابن عباس رضي الله عنه صدر الانسان له

مسكن

سكن ويجري منه مجري الدم وانما لم يقل ولا ترونهم كيلا يذهب الوهم الى عدم تيسير رؤيتهم لنا
مطلقا انا جعلنا الشياطين اوليا للذين لا يؤمنون بالتناسب بينهم والاية مقصورة القصة
واذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية من القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف
قالوا وجدنا عليها اباءنا اعتذروا بتقليد الاباء لما راوا ما فيه من الضعف ابدوه بقولهم
والله امرنا بها فيل هما جوابا سوالين مترتبين لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها
اباءنا فقيل لمن ابن اخذ اباكم فقالوا الله امرنا بها وفيه ان حق النظم حينئذ والله امرهم
قل ان الله لا يامر بالفحشا لان عبادته جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال
اقتصر على رد الثاني لما عرفت ان الاول لا يعول عليه بدونه وفي الاية دلالة على ان في بعض
الافعال قبحا ينتبه العقل مع قطع النظر عن السمع وانه لم يدل على ترتيب الذم عليه اجلا لا فعل النهي
عنه اتقولون افترون على الله انكار يتضمن النهي وانما قال ما لا تعلمون الظهار
لما في افترائهم من زيادة قبح لتضمنه الاخبار عما لا علم لهم به قل امر ربي بالقسط بالعدل
الذي هو الواسطة بين طرفي الافراط والتفريط في كل شي واقيموا وجوهكم معطوف
على ما ينحل اليه المصدر الذي هو القسط اي بان اقسطوا واقيموا كما ينحل اليه المصدر الى ان
والفعل الماضي نحو عجبت من قيام زيد وخرج اي قام زيد وخرج كذلك ان مع الفعل المضارع
للبس عباءة وتقر عيني اي لان البس عباءة وتقر عيني عند كل مسجد موضع سجود
اي يسجدوا كما يسجد اليهود على انصاف الوجوه وقد مر وجه ذلك في تفسير سورة البقرة
وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة يبتغون بها وجه الله خالصا فانكم
ستعودون مجزيون على اعمالكم فحذف التعليل وذكر ما يدل على البعث اكتفاء بالعبارة عن
الاشارة كما بداكم اي كما ابداكم ابتداء تعودون باعادته اي فليس الاعادة
بالابدا فلا تنكروها لانها اهون منها فريقا هدي بان وفقهم للايمان وفريقا حق
عليهم الضلالة بابطالهم الاستعداد الاصلي والقابلية الفطرية لا بانتفا الفضا
الاولي كما زعمته الجبرية لان الفضا تابع للمقتضي لا متبوع له وانتصابه بفعل مضمر
يفسره ما بعده اي اضل كقولك زيدا مررت به انهم اي الذين حق عليهم الضلالة
اتخذوا الشياطين اوليا من دون الله فاطاعوهم تعليل للمفسر ويحسبون انهم مهتدون
ولولا حسبانهم هذا لكان فيهم تاثير لانذار المنذر فهو تتميم للتعليل والتحقيق وتنبيه
على ان الضلال انما هو على من ضل وزعم انه اهتدي ومن هنا ظهر ان المكلفين غير محصورين
في الفريقين المذكورين فان المعاند بمعزل عن الحسبان المذكور يا بني ادم انما خاطبهم
بهذا تذكيرا لسنة ابيهم ادم عليه السلام في ستر العورة خذوا زينتكم اي لباسكم المواري
لعوراتكم والزينة فعلة من التزين وهو اسم ما يتجمل به من ثياب وغيرها والامر باخذه

بهم هنا ما يستر العورة عند كل مسجد اي عند كل قصد للطواف دل عليه سبب النزول
فانهم كانوا يدعون ثيابهم وراء المسجد عند الطواف او الصلاة فان ستر العورة فيهما واجب
والسنة ان ياخذ الرجل احسن هيئة للصلاة اعتبارا لظاهر عبارة الزينة وكلوا واشربوا
اي لا تضيقوا على انفسكم فيما وسعه الله من الاكل والشرب روي انهم كانوا لا يصلون في
ثيابهم ويقولون لا نصلي في ثياب اذنبنا فيها ولا ياكلون من الطعام الا قوتا سيما في ايام حجهم
يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون يا رسول الله نحن احق بذلك ان نفعل فنزلت الاية ولا
تسرفوا اي في التعدي مثل التعدي من الحلال الى المحظور بل من الطيب الى المحذور ولما كان
حذف المفعول في الموضعين مظنة التعميم والتوسيع الدائر الرخصة في الاكل والشرب
كما وكيفا تدورك دفعه بقوله انه اي ان الله تعالى والاضمار للتفخيم لا يحب المسرفين
اي لا يرتضيهم لاسرافهم وهذا ابلغ في ذم الاسراف وصيغة الجمع للتعميم لا لانواعه فانه مذموم
في كل امر حتى التصدق مثلما مر في سورة الانعام قل من حرم معنى الاستفهام انكار تحريم هذه
الاشياء وتوبيخ محرميها والاستفهام اذا تضمن الانكار لا جواب له زينة الله الاضافة اليه
تعالى تعظيما لنعمة الزينة للدلالة على عدم التحريم من جهته تعالى التي اخرج من الحيوان
كالحرير والصوف والنبات كالقطن والكتان والمعدن كالحديد وسائر الاجساد لعباده
في عبارة العباد اشارة الى ان الاخراج المذكور لمصلحة العبادة فلهذا اثره على الناس
والطيبات اي المحللات فان المحرم ليس بطيب وان كان مستلذا من الرزق من
الماكل والمشارب فوصف الطيب هنا في مقابلة الاضافة الى الله تعالى في ترتيبه في افادة
المعنى المبهم في المقام وهو كونهما غير محرمين في الشرع فلا دلالة في الاية على ان الاصل في
المطاعم والمشارب والملابس وانواع التجملات الاباحة قل هي اي جملة ما ذكر من الزينة
والطيبات للذين امنوا في الحياة الدنيا غير خالصة لهم لكون الكفار شركاءهم فيها
وانما لم يقل للذين امنوا ولغيرهم تنبيها على انها خلقت لهم بالاصالة والكفار تبع لهم فيها
واقحام الحياة للاشعار الى وجه التشبث بايهام انها للحاجة اليها في الحيوة خالصة يوم
القيامة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال من الضمير المستكن في الجار والمجرور
الواقع خبرا لها وقرئ بالرفع على انها خبر بعد خبر كذلك نفصل الايات اي كتفصيلنا
لكم هذه الاحكام في الحلال والحرام نفصل لكم جميع ما بكم حاجة اليه من شرائع الاسلام وانما
قال لقوم يعلمون تفضيلا للعلماء على غيرهم بتخصيص التفصيل لهم وتغليبا للذكور
على الاناث لاصالتهم في اهلية الخطاب باعلام الاحكام وافهام الحلال والحرام قل انما حرم
ربي الفواحش اي لم يحرم الزينة والطيبات وانما حرم القبائح التي زاد قبحها والتحريم
المنع من الفعل باقامة الدليل وجوب تجنبه وضده التحليل وهو الاطلاق في الفعل ببيان جواز

تناول ما ظهر منها وما بطن قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا لا يرون بالزنا
سرا باسا وكانوا يستقبحونه علانية فنهوا عنه جميعا وتخصيصهما بالذكر مع اندراجهما
في سلك الآتي ذكره للاهتمام والاثم اريد به ما بين العبد وبينه تعالى من الذنب
والبغي اريد به ما بينه وبين الغير وهو التعدي مبتدا كان او منتصرا وقوله
بغير الحق زيادة بيان لان ما كان بحق لا يكون بغيا وان تشركوا بالله ما لم
ينزل به سلطانا تهكم به اذ معلوم انه لا برهان عليه حتى ينزل فهو من قبيل ولا ترى
الضب بها ينجحر واذا لم يجر انزال البرهان بالاشراك كان ذكره استهزاء ثم ان
في السلطان مزية على البرهان من حيث ان البرهان اظهار صحة المعنى وافساد
نقيضه والسلطان اظهار ربما يتسلط به على نقيض المعنى بالابطال ولا يخفى ما في اعتبار
نفيه المزيد واشتراط نزوله دون ظهوره من تعظيم امر الشرك وان تقولوا
على الله وان تفتروا عليه ما لا تعلمون انما ذكره اظهارا لزيادة قبح ما فعلوه
والا فالافتراء لا يكون من علم ولكل امة اجل الامة الجماعة التي على قصد واحد
والاجل الوقت المضروب لانقضاء المهل وفيه اشارة الى تقارب اعمار اهل العصر الواحد
واما الوعيد فمعناه على ان يكون المراد من الاجل نزول العذاب ولا يساعده اخذ
الكلية على ظاهرها فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون اي
لا يتقدمون ولا يتاخرون وانما قال ساعة لانها اقصر الاوقات في العرف
يقول المستعجل لصاحبه في ساعة اي اقصر وقت وانما قال فاذا جاء اجلهم لانه
قبل المجيء يقبل التقدم والتاخر بخلاف ما بعده على ما افصح عنه في قوله ويؤخركم
الى اجل مسمى ان اجل الله لا يؤخر والمراد من مجيء الاجل مجيء قربه على ما دل عليه
قوله ولا يستقدمون وهذا كما يقال جاء الشتاء وجاء الصيف اذا قارب وقته
يا بني ادم اما اوثر هذا التعبير لما فيه من التذكير لاول الرسل منهم اما ياتينكم
على ان الشرطية زيدت عليها ما لتاكيد معنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون
الثقيلة والخفيفة وجوابها الشرط الجملة الشرطية الاتية رسل منكم اما جاء
في اتيان الرسل بحرف الشك تنبيها على انه غير واجب كما زعم اهل التعليم يقصون
عليكم اياتي القصص وصل الحديث واصله اتباع الشيء الشيء فمن
اتقى الشرك والمعاصي واصلح العمل في الاسلام فلا خوف عليهم
من العقوبات وهذا ثمرة الاتقاء ولا هم يحزنون بفوات الثواب وهذا
ثمرة الاصلاح وليس فيه ابطال لمخافات القيامة لان المراد به العاقبة فهو
كقوله الى الطبيب لا باس عليك ولا خوف وان كان في وجع وضعف والذين

كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اي تعظموا عن قبولها واستمروا على التكذيب فان
الاستكبار يلزمه الاستمرار على خلاف من اتقى واصلح اولئك اصحاب النار الملازمون
لها لتكذيبهم بآياتنا هم فيها خالدون لاستمرارهم عليه وانما ادخل الفا في جواب من اتقى
الفا دون جواب والذين للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد فمن اظلم الخ ظلما
والفا للترتيب على ما فهم مما تقدم من عظيم شان الافترا حيث قرن بالشرك بالله
وشان التكذيب حيث اخبر بان اجزاءه الخلود في النار والاستفهام للاستعظام وقد
مر بيانا لطريقته في تفسير سورة الانعام ممن افترى على الله الا انه امر
لا اصل له في حق من يستند ولهذا يتعدى بعلى فقوله كذبا تصريح بما علم التزاما
اظهارا لما في الافترا من مزيد قبح حيث جمع بين القبيحين او كذب بآياته لم يقل
او كذبه لان من كذب كلام الله تعالى لما كذبه منكرا لكونه كلامه وانما قال بآياته
لتنتظم المعجزات الفعلية اولئك ينالهم النيل هو وصول النفع الى الغير اذا
اطلق واذا قيد وقع على الضرر لان اصله الوصول الى الشي نصيبهم من الكتاب
اي مما كتب لهم من الارزاق والاعمار اي هولاء مع نهاية ظلمهم لا يحرمهم في الدنيا
ان يصل اليهم حظهم في الدنيا بل يصل اليهم حظهم في الدنيا مما كتب لهم في الكتاب السابق
حتى اذا جاءتهم رسلنا اي ملك الموت واعوانه يتوفونهم يستوفون ارواحهم
حال من الرسل غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائه وهي التي يقع بعدها الجملة قالوا اين
اذ اينما كتبتم حق ما ان تنفصل لانها موصولة ولكن وقعت موصولة في خط
المصحف باتباع سنة تدعون من دون الله اي تعبدونه من الالهة
ترجون شفاعتهم ومعونتهم قالوا ضلوا عنا غابوا عنا فلا نراهم وشهدوا على
انفسهم انهم كانوا كافرين اعترفوا بكفرهم بلفظة الشهادة التي هي تحقيق الخبر
ولا يخالف هذا لما تقدم في سورة الانعام من قولهم والله ربنا ما كنا مشركين
انكارهم ذلك عند غيبة الهتهم على ما بين فيما سبق واعترافهم هذا عند حضورهم
على ما افصح به قوله تعالى واذا راى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هولاء شركاؤنا
الذين كنا ندعوا من دونك قال اي يقول الله تعالى لهم على لسنة الملائكة يوم
القيامة ادخلوا ويجوز ان يكون الامر للتسخير كما في قوله تعالى اهبطوا فيكون
دخولهم في النار بلا قدرة واختيار منهم كما هو الظاهر من قوله تعالى كلما القي فيها فوج
في امم اي كائنين في عدادهم او مصاحبين لهم فان كلمة في تجي بمعنى مع قد خلت
من قبلكم اي مضت لان من مضى بالهلاك فقد انتفى عن مكانه فخلا مكانه عنه
الا انه قلب فنسب الخلو اليه من الجن والانس قدم الجن على الانس لان الفا

مقا

مقام التحقير في النار متعلق بادخلوا والدخول في النار وان لم يقتضي كون الفريقين من
الكفار لكن الامر بالمشركين بالكون منهم في معرض العقاب دل على ذلك كلما دخلت امة اي في
النار امة من تلك الامم لعنت اختها مثلها في الدين التي ضلت هي بها وقيل بالاقتدا
بها حتى اذا اداركوا وقرى تداركوا اي تلاحقوا وهو الاصل ثم وقع الادغام
فاحتيج الى الف الوصل فيها جميعا قالت اخراهم منزلة وهم الاتباع والسفلة لاولاهم
لاجل اولاهم لان الخطاب مع الله لا معهم وهم الروسا والقادة ربنا هولاء اضلونا بان
دعونا الى ذلك وامرونا به قال الله تعالى مخبرا عنهم اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له
له اندادا فلا حاجة الى الصرف عن الظاهر المتبادر فآتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا
لانهم ضلوا واضلوا قال لكل اي لكل منكم ومنهم ضعف مثل زايد على مثل لان
كلا من الفريقين ضال ومضل وهذا في حق الاتباع فلانهم بالاتباع لهم وصدودهم
عن رايهم زادهم في طغيانهم وثباتهم على الضلال وقوتهم على الاضلال وقد افصح عن هذا
المعنى في قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا
وانما التقليد في الباطل فلا يصلح وجها له لعدم اختصاصه بالاتباع فان القادة ايضا قد
يكونوا مقلدين ولكن لا تعلمون ذلك كيلا يحصل لهم نوع سلوة وسرور فانه لو
علم كل منهم ما بالآخر بسبب ضلالهم لكان لهم فيه تسلي وخفة وقرى بالياء على الانفصال
وقالت اولاهم لاخراهم مرتبا كلامهم على جوابه تعالى لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل
فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا بل انا واياكم متساوون في الضلال والاضلال والاستحقاق
والعذاب بهما فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون كما نحن نذوقه بما كنا نكسبه فليس هذا
القول منهم تشفيا كيف والمقام لا يحتمل الاخبار عن حال فيها نوع سرورهم ان الذين
كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها قد سبق تفسيره لا تفتح لهم اي لادعيتهم
واعمالهم او لارواحهم كما تفتح للمومنين فهو بمنطوقه وعيد للكفار وبمفهومه وعد
للمومنين اذ لولاه لما كان وعيدا لهم والحاجة الى صيغة الجمع في قوله ابواب السما
لمصلحة المفهوم اذ لا حاجة اليها في المنطوق وقرى تفتح بالتشديد لكثرة الابواب
وبالياء لان تانيثها غير حقيقي والفعل مقدم وعلى البنا للفاعل ونصب الابواب بالتا
على الفعل للآيات وبالياء على انه لله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل الولوج التقحم
في الشي وانما خص الجمل من جنس البعير بالذكر لانه اكبر واصلب من الناقة في سم الخياط
في ثقبة الابرة وهو من باب التعليق بالمحال اذ المعنى لا يدخلون الجنة حتى يدخل
ما هو مثل في عظم الجرم فيما هو مثل في ضيق المسلك وذلك مما لا يكون ابدا فكذلك
ما علق به وقرى الجمل كالحبل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل

كالقمل وهو الحبل الغليظ وقيل حبل السفينه وقرئ بالضم والكسر وفي سم المخيط وهو الخياط
ما يخاط به كالحزام والمحرم وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين
اي الكافرين الموصوفين بالجرم الكامل وانما وضع المجرمين موضع الضمير تسجيلا
على المكذبين بالاجرام وايذانا بان الاجرام هو السبب المحرمان الموصل للعقاب المويد في
النيران وكذلك كرر الجزاء بالظلم تاكيدا لهم من جهنم مهاد جمع مهد وهو الوطا
الذي يفترش ومنه مهد الصبي وتمهيد الامور لتسويتها واصلاحها فهو على طريقه
قوله فبشرهم بعذاب اليم والهذا اي لما في لفظ المهاد من التهكم اثره على لفظ الفراش
ما فيه من صيغة التجنيس اعتبارا لجانب المعنى وترجيحا للمزية المعنوية على اللفظية
ومن فوقهم غواش جمع غاشية وهي لباس مجلل في المهاد اختصاص التحت بخلاف الغاشية
فانها خلو عن الاختصاص بجهة وكان المراد التغطية من جهة الفوق فلا جرم احتيج الى قوله
ومن فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل يرشدك الى ارادة معنى الجمع من المهاد وكذلك
نجزي الظالمين لانفسهم بالاصرار على عدم الايمان والاستكبار على الاذعان والذين امنوا
وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدا والخبر للاشارة اولا
الى ان المذكور في معرض الشرط الاعمال التكليفية وثانيا الى انه غير معتبر في حق غير المكلفين
والمعذورين اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون على عادته تعالى في ان يشفع
الوعيد بالوعد واولئك اشارة الى ان استحقاق الخلود في النعيم بسبب اتصافهم بالايمان والاعمال
الصالحة مع شهد لهما وتعظيم لشانهما ونزعنا ما في صدورهم من غل النزع رفع الشي
من مكانه المتمكن فيه اما بتحويله عنه واما باعدامه والمراد به هنا هو الثاني والغل الحقد
الذي يصل بلطفه الى صميم القلب ومنه الغلول وهو الوصول بالحيلة الى دقيق الخيانة والغل
ما يصدر من جهة التدبير والراي منه قيل للرئيس الصدر تجري من تحتهم الانهار زيادة في
حبورهم وسرورهم والنهر المجرى الواسع من مجاري الما ومنها النهار لاتساع ضيائه والانهار
انحدار المايع وقالوا الحمد لله الذي هدانا بالدلالة على ما وصلنا اليه من الايمان والعمل الصالح
وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله زيادة اللام لتاكيد النفي اي وما كان يصح ويستقيم
لنا ان نكون من المهتدين الى ذلك مع يسره لولا هداية الله تعالى وتوفيقه وجواب لولا
محذوف دل عليه ما قبله وقرئ ما كنا بغير واو على انها جملة مبينة للاول وعلى القراءة
المشهورة اعتراضية للتاكيد لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا الى هذا بارشادهم
وهو كلام وارد على سبيل الاغتباط والتبجح بما نالوا والسرور بما شاهدوا ونودوا ان تلكم الجنة
اورثتموها النداء الدعاء على طريقة يا فلان كانه قيل لهم يا ايها المؤمنون وان هي المخففة
من الثقيلة تقديره بانه والضمير ضمير الشان او المفسرة لان النداء في معنى القول والجنة

صيغة

صيغة تلكموا وهو مبتدا خبره اورثتموها او الجنة خبر واورثتموها حال والعامل معنى الاشارة
في تلكموا اي مورثة لكم والاشارة بتلك القصد التعظيم وانما سماها ميراثا لانها مما يستحق بالعمل
بل محض فضل الله ووعده على الطاعة كالميراث من الميت لا يكون عوضا مستحقا عن شي بل هو
عطية خالصة ففيه حفظ السامع عما يتبادر الى الفهم من الباء السببية في قوله بما كنتم تعملون
من ان تكون تلك الاعمال اسبابا خفية لما يعطى لهم في الدار الاخرة فان سببيتها له انما هي
بحكم الوعد وهذه طريقة بليغة سميناها في بعض رسائلنا المعمولة في اسرار البلاغة بالتقيد
بالحفظ وهي ابلغ من طريقة التدارك سميناها في بعض رسائلنا وقد غفلوا عنها
القوم ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار قد مر ان النادي معناه دعا غير ان في النداء
معنى امتداد الصوت ورفعه ليس كذلك الدعاء لانه قد يكون بعلامة كالاشارة من
غير صوت ولا كلام والصاحب هو المقارن على نية طول المدة والصحبة والمقارنة نظير
ان الا ان في الصحبة الارادة ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ووجدنا من الوجود
وحقا مفعول له الثاني ومن المصادقة وحقا حال الوعد عند الاطلاق ينتظم الخير والشر
بخلاف الوعيد فانه مختص بالثاني فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا انما قالوه تبجحا بما لهم
وتحسيرا لاصحاب النار ولذلك ذكر مفعول وعد في الاول وترك في الثاني فان اهل الجنة يستبشرون
بحصول موعودهم فذكروا ما وعدهم الله مضافا اليهم واطلقوه حين سالوا اهل النار ليشتمل كل
موعود من البعث والحساب والعقاب والعذاب وسائر ما في احوال القيامة من الاهوال لانهما
على المذنبين بامور كثيرة ليست مخصوصة بهم ساءهم كلها ويكون اجابتهم بنعم تصديقا لجميع ما وعد
الله بوقوعه في الاخرة للصنفين واعترافا منهم بحصول موعود المؤمنين ليتحسروا على ما فاتهم من
نعيمهم اذ نعيم اهل الجنة مما يخزيهم ويزيد في عذابهم قالوا نعم وقرئ نعم بكسر العين
فرقا بين نعم التي هي جواب وبين نعم التي هي اسم للابل والبقر والغنم فاذن موذن
اي للتكبير ونكر للتعظيم وهو ملك ينادي من الله تعالى نداء يسمعه اهل النار زيادة في
تحسرهم تغيظهم بينهم بين القائلين نعم لو كان المعنى بين الفريقين لقيل بينهما كما قيل
وبينهما حجاب ان لعنة الله على الظالمين اي الكفار اطلاقا لاسم الجنس على الفرد
الكامل بدليل قوله تعالى وهم بالاخرة كافرون وقرئ ان بالتشديد والنصب وقرئ
ان بالكسر على ارادة القول او اجراء النادي مجراه الذين يصدون عن سبيل الله صفة
مقررة للظالمين او نصب على الذم او رفع عليه والصد الصرف عن الخير خاصة
ويبغونها اي يبغون فيها والضمير للسبيل وهو يذكر ويؤنث عوجا العوج بالكسر
في المعاني والاعيان ما لم تكن منتصبة وبالفتح في المنتصبة كالحائط والرمح اي يطلبون
بها زيغا وميلا الى الباطل وهم بالاخرة كافرون اي كانوا بها جاحدين لما كان

مناداة الفريقين مبنية عن القرب بينهما ومظنة ان يتوهم وصول روح اهل الجنة الى اهل
النار وفيحها الى اهل الجنة رفعه بقوله وبينهما اي بين الفريقين لا بين الدارين لانه
قال في موضع اخر بينهم حجاب الحجاب هو الحاجز المانع عن الادراك والمراد ههنا السور
المذكور في قوله فضرب بينهم بسور وعلى الاعراف اي اعراف الحجاب وهو اعاليه جمع
عرف وهو ما ارتفع من الشيء فانه بارتفاعه وظهوره اعرف من غيره ومنه عرف الديك
رجال قوم علت درجاتهم كالانبياء عليهم الصلاة والسلام وخيار المؤمنين او ملائكة
يرون في صورة الرجال وقيل جمع قصر الى العمل وتساوت حسناتهم وسيئاتهم وبابا هما عبارة
الرجال لان الامر المذكور لا يختص بالذكور يعرفون كلا من اهل الجنة والنار بسيماهم
بعلامتهم التي علمهم الله تعالى لها كبياض الوجه وسواده تفعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى
معلمة او عفلى من وسم على القلب كالجاه من الوجه وتدل الباء السببية على انهم يعرفونهم بالامارات
الظاهرة فلا وجه لما قيل وعرفانهم يجوز بالالهام من الله تعالى وبتعريف الملائكة ونادوا
اصحاب الجنة ان سلام عليكم اي اذا نظروا الى اهل الجنة نادوهم بالتسليم وقد دل
على هذا تمام الكلام فلا حاجة الى تقديره لم يدخلوها استئناف او صفة لاصحاب اي
لم يدخلوها بعد وفيه دفع ما يتبادر الى الفهم من عبارة اصحاب الجنة ودفع مخالفته لما يأتي
من قوله ادخلوا الجنة وهم يطمعون حال منهم والطمع توقع المحبوب ونقيضه الياس
وهو القطع بعدم حصوله واذا صرفت ابصارهم الصرف امالة الشيء من جهة اخرى تلقاء
اصحاب النار اي حذاهم وفي جهتهم التلقاء تفعال استعمل ظرف مكان وفيه دلالة على ان نظرهم
الى اهل الجنة نظر رغبة وارتضاء واما نظرهم الى اهل النار فليس كذلك بل لا ينظرون اليهم
لكراهتهم ونفرتهم منهم ولا ينبغي منهم النظر اليهم طوعا حتى كان صارف نظرهم اليهم
كرها قدرنا ما هم فيه ولهذا كان الاول مقابلا بالتسليم والثاني بالاستعاذة قالوا ربنا
لا تجعلنا مع القوم الظالمين استعاذوا بالله من مصاحبتهم صريحا وفي ضمنها الاستعاذة
من النار ولا يخفى ما في هذا الاعتبار من تقديم الفرار من عذاب النار ربنا على ان الاول
روحاني والثاني جسماني والروحاني اشد ايلاما ونادى اصحاب الاعراف رجالا من
رؤس الكفرة واعيان الفجرة يعرفونهم في الدنيا بسيماهم المعهود عندهم فهذه
معرفتهم باشخاصهم وما سبق معرفتهم من حيث انهم من اهل الجنة او من اهل النار
قالوا ما اغنى عنكم استئناف لبيان ما نودي به جمعكم كثرة خدمكم واعوانكم او جمعكم
المال وما في ما اغنى استفهامية للتوبيخ والتقريع ويجوز ان يكون نافية وفي وما كنتم
مصدرية اي وكونكم تستكبرون عن الحق او على الخلق وقرئ تستكثرون بالثاء المثلثة
اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى فقراء اهل

الجنة

الى

يعرفون كلا

الجنة والخطاب لرؤسا الكفرة الذين كانوا يستهينون به ويحتقرونهم لفقرهم يقسمون ان
الله لا يدخلهم الجنة وقد مر تفسيره لنيل ادخلوا الجنة من كلام اهل الجنة اي لفقراء اهل
الجنة لما اشاروا اليهم بهؤلاء معتبرين لرؤسا الكفرة قالوا لهم اخبارا من الله تعالى ملتفتين
اليهم ادخلوا مقولا لهم لا خوف عليكم فيما ياتي ولا انتم تحزنون على ما فات وفيه تعريض
لاصحاب النار بانهم يحزنون ونادى اصحاب النار اي الكفار على ما ستقف عليه
اصحاب الجنة ان قلت كيف النداء وبينهما حجاب قلت في الجنة كوى ينظر اهلها منها الى
اهل النار ان افيضوا من الفيض وهو السيلان من الامتلاء ولما فيه من معنى الاحسان
قالوا علينا اي احسنوا علينا مما ازداد منكم من الماء فلا دلالة فيه على ان الجنة فوق النار
او من فضله مما رزقكم الله من نوع اخر من المشروب وانما خصهم بالطلب لما بهم من غلبة
العطش وشدة الحرارة ولهذا اتوا باداة التنويع ولو كان المراد الطعام لما عدلوا عن العطف
باداة الجمع اذ لا بد لهم من طلب الماء ولما كان في سؤالهم ما دل على ان التماسهم من الفضلة
وما لا حاجة لهم به وكان الامتناع عن الاجابة في مثله مظنة البخل اجابوا بما يدفع
به هذا الوهم ثم انهم عدلوا عن الجواب بالمنع الصريح الى ذكر سببه محافظة لجانب الكرم
مهما امكن وقطعا لاطماعهم على وجه حسن قالوا ان الله حرمهما على الكافرين لم يقل
عليكم لتضمينا معنى التعليل وتعميما للجواب لغير السائلين من جنسهم والتحريم المنع وتعديته
بعلى كتعديته الشهادة بها كما في قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل ولا خفاء ان المنع
اللغوي ابلغ من التحريم الشرعي فلا وجه لما قيل منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف الذين
اتخذوا دينهم الاتخاذ اخذ الشيء باعداد الامر من الامور ولا يخفى لطف موقعه ههنا
من حيث تضمنه الاشارة الى ان حق الدين الجد والاهتمام بشانه دون الهزل واللعب فكان
ينبغي لهم تقبيح صنيعهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت واصل
اللهو الانصراف عن الشيء والمراد ما ينصرف اليه مما لا يعني واللعب طلب المرح بما لا يحسن
ان يطلب به واشتقاقه من اللعاب وهو المرور على غير استواء وغرتهم الحياة الدنيا
الغرور تزيين الباطل للموقوع فيه فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسي بتركهم في النار
ترك المنسي كما نسوا لقاء يومهم هذا كما فعلوا به فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له ولم
يهتموا به والمراد من اليوم الواقعة ولهذا اضافه اليهم وما كانوا بآياتنا يجحدون
التنكير للتعظيم وفي التعبير بجئنا زيادة تعظيم له فصلناه اي جعلناه فصولا
هي اصول للامور الدينية والدنيوية على علم عالمين كيف يجب ان يفصل حتى جاء
حكيما وقرئ فضلناه ارجحناه على سائر الكتب عالمين بوجه رجحانه وانه حقيق بذلك
هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال من الهاء او مفعول له اي لاجل هدى هل ينظرون

حنس

اي ما ينظرون والانتظار هو الاقبال على ما سياتي بالتوقع له وانما قيل لهم ينتظروا وان
كانوا جاحدين لانهم بمنزلة المنتظر في اتيه يانهم لا محالة اتيان المنتظر الا تاويله التاويل
ما يوول اليه حال الشي يوم ياتي تاويله اي يتبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد
والوعيد يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسي قد جاءت رسل ربنا بالحق
قد تبين انهم جاؤا بالحق وظهر ما اخبروا عنه فهل لنا من شفعا فيشفعوا لنا اليوم حذف
النون للنصب بالفاء جوابا للتمني اونرد اوهل نرد الى الدنيا وجوابه نعمل وقرئ
اونرد بالنصب عطفا على يشفعوا اي ليشفعوا لنا اونرد او حملا لا وعلى معنى الى ان اي
فيشفعوا حتى نرد فنعمل وقرئ بنصب نرد ورفع نعمل اي فنحن نعمل فالمعنى على الرفع
تمني الشفاعة او الرد على ول وجهي النصب تمني الشفيع للشفاعة بدون الرد او للرد على
ثانيهما تمني الشفيع للشفاعة مفضيا الى الرد وسببا وسيلة اليه غير الذي كنا نعمل من الكفر
والمعاصي قد خسروا انفسهم في الدنيا ببطلان استعدادهم فلا يجري الرد على ما افصح
عنه في قوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه استيناف لبيان حالهم على وجه يتضمن الحكم في
عدم استجابتهم وضل اي غاب عنهم في الاخرة ما كانوا يفترون ما كانوا يعبدونهم
من الهتهم ان ربكم الله اي ليس ربكم ومدبركم وحافظكم ما تعبدونه من الاجسام والكرام
والجن بل كل ذلك مربوب مخلوق محتاج الى مدبر حافظ بل ربكم وحافظكم الله الذي خلق
السموات والارض وما بينهما على ما بينه في موضع اخر جعل الخبر موصولا بناء على كون
ذلك مفهوما عند السامع ومفروغا من تحقيق النسبة والعلم به في ستة ايام في صحيح
مسلم عن ابي هريرة قال اخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خلق الله عز وجل
التربة يوم السبت وخلق الجبال فيها يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق الجبال يوم
الثلاثا وخلق النور يوم الاربعا وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق ادم بعد العصر
يوم الجمعة اخر الخلق في اخر ساعة من ساعات يوم الجمعة فيما بين العصر الى الليل والمراد
من اليوم مقدار دورة العرش من الزمان ثم استوى على العرش استوى عليه بالتام
في ايجاد الاشيا باثبات صورها عليه فصد استويا من غير ان يلوي الى شي اخر فهو شانه الذي
عليه كل يوم ولما ذكر الاستوا على العرش وهو اخبار عن نفاذ امره وكمال ملكه واطراد
تدبيره بين ذلك في عباده فقال يغشي الليل النهار اي يغطيه به ولم يذكر عكسه
لان اللفظ يحتملهما اذ لا بد من ارادة احدهما على التعيين بل العلم به يطلبه حثيثا
من الحث وهو الحمل على السرعة حال من الليل تقديره حاثا او من النهار وتقديره
محثوثا ويجوز ان ينتصب نعت المصدر محذوف اي طلبا حثيثا اي حاثا او محثوثا والمراد
من طلب الليل للنهار تعاقبه اللازم فكانه طالب له لا يدركه لهو في اثره بحيث يكاد

يدرك

يدركه والشمس والقمر والنجوم عطف على السموات مسخرات حال منها بامره متعلق
بمسخرات وقرئ كلها بالرفع على الابتدا والخبر الا له الخلق والامر اي هو الذي اوجد الاشيا وما فيها
بارادته كيف شا جملة اعتراضية مبنية لما ذكر من التوحيد كالمقصود منه ولذلك
صدرها بحرف التنبيه وقدم فيها الظرف للتخصيص ايذانا بان اهم الاشيا اعتقاد التوحيد
في الخلق والتدبير تبارك الله رب العالمين اي فذلك هو الرب للجميع لا رب سواه
فيجب تعظيمه اعتراض اخر لبيان تعظيمه بالوحدانية في الالوهية والربوبية وتوجيهه
ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فدعاهم الى التوحيد بالحكمة والحجة وصدر الاية بان
لانكارهم فقال ان ربكم المستحق للربوبية ليس الا واحدا وهو الله الموحد للكل على الترتيب
المحكم المتقن الدال على العلم والحكمة والقدرة التي انشا ملكه على ما تشاهد ثم عمد الى تدبيره
كالملك المتمكن في مملكته ليدبر ملكه فصرف الدهر على ما ترى من تصريف الملوين وتسخير
الاجرام السماوية بامره ونفذ امره بقضائه وقدره ثم صرح بما هو فذلكة التقدير في بيان
التوحيد بالجملة الاعتراضية الاولى وافصح عن المقصود من التركيب كالنتيجة بالجملة الاعتراضية
الثانية ثم امرهم بتخصيصه بالعبادة والدعوة متضرعين متذللين ذوي خفية بقوله
ادعوا ربكم تضرعا التضرع التذلل وهو التكليف في اظهار الذل في النفس وخفية كيلا
يشوب الدعا مضي الريا والاخفا اغماض الشي بحيث لا يقع عليه الادراك وفي التعبير عن
تسمية الدعا خفية مما ذكر اشارة الى ان الدعا جهرا انما يصلح ما مورا به اذا كان مقرونا
بالاستكانة والتذلل انه لا يحب المعتدين استيناف لتعليل ما قدمه عبارة واشارة
والاعتدا التجاوز الحد الذي لا ينبغي تجاوزه اي ان الله تعالى لا يحب المجاوزين ما امروا به في شي
من الدعاء وغيره وفيه تنبيه على انه لا ينبغي الصياح في الدعا والاسهاب فيه وطلب ما لا يليق
ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي بعد اصلاحها ببعث الانبيا عليهم الصلاة
والسلام وشرح الاحكام وادعوه خوفا وطمعا خائفين من عقابه طامعين في ثوابه
والخوف هو الانزعاج مما لا يومن من المضار والطمع توقع المحبوب وانما قدم الخوف لانه
الاهم ان رحمة الله قريب من المحسنين استيناف لتعليل ما قدمه من القيدين عبارة
واشارة اما الاول فظاهر فان الاخبار التاكيدي من قرب رحمته تعالى لطمع واما الثاني
فلان اشتراط الاحسان وهو ورا الايمان والاسلام مظنة الخوف لعامة المومنين وقد
قال كثير من العلما ينبغي ان يغلب الخوف على الرجا طول الحيوة فاذا جا الموت غلب الرجا ومن
هنا اتضح وجه اخر لتقديم الخوف على الطمع وتذكير قريب بان الرحمة تاول بالرحم او الترحم
او لاكتسابها التذكير من المضاف اليه كما ذكروا في قراءة ما ان فاتحة الكتاب لتنوب لنا التحابة
او لكونه صفة محذوف اي شي قريب وعلى تشبيه بفعيل الذي هو مصدر كالنقيض او للفرق

ضيئة

بين القريب من النسب أو القريب من غيره وأما التذكير لكون التأنيث غير حقيقي فنوهم لوجود
التأنيث في نحو الشمس طالعة والموعظة نافعة وهو الذي يرسل الرياح وقرئ الريح على
الموحدة والأول أولى لأن الغالب استعمال الجمع في الرحمة واستعمال المفرد في العذاب
ولهذا قال عليه الصلاة والسلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا نشرا نضمتين جمع نشور
بمعنى ناشر ونشرا بتخفيف نشر كرسل ورسل ونشرا بمعنى منشورات فعل بمعنى مفعول أو نشرا
بفتح النون على أنه مصدر في موقع الحال بمعنى ناشرات أو مفعول مطلق فإن النشر والإرسال
متقاربان وبشرا جمع بشير وبشرا بتخفيفه وبشرا بفتح الباء مصدرا من بشر بمعنى بشره وبشرى
بين يدي رحمته أمام نعمته وهي الغيث الذي هو من أهم النعم وأتمها نفعا وقد سبق بيان
ما في عبارة بين يدي من الدلالة على القرب ولهذا يؤثر على عبارة الإمام والقدام قيل أن
الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى إذا أقلت حملت
ورفعت واشتقاق الإقلال من القلة لأن الرافع المطيق يرى ما يرفعه قليلا سحابا ثقالا
بالماء جمعه لأن السحاب جمع سحابة سقناه الضمير للسحاب على لفظه ونسب السوق إليه
تعالى بنون العظمة التفاتا لما فيه من عظيم المنة وجليل النعمة لبلد أي لأجله ولا يلزم
أن يتصل به بل يكفي أن يكون وصوله لما وصل به لمصلحته فينتظم السوق إلى الجبال والأودية
ومن هنا ظهر وجه ترجيح اللام على إلى ميت الموت بجدبه وعدم نباته لأنه من حيث
عدم الانتفاع به كالجسد الذي لا روح فيه فأنزلنا به أي بالبلد أو بالسوق أو بالسحاب
والباء للسببية على الأول تحتمل الظرفية والإلصاق الماء المعهود وهو ما تقل به السحاب
فأخرجنا به أي بالماء لأنه أقرب لفظا ومعنى لا إلى البلد على أن الباء للظرفية
لقوله من كل الثمرات فإن جميع أنواعها لا تخرج من البلد وقوله وهو الذي أنزل من
السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء صريح في الفحوى الأول والقرآن يفسر بعضه بعضا
كذلك أي مثل ذلك الإخراج وهو إخراج الثمرات نخرج الموتى من الأجداث قال
الكلبي وذلك إذا مات الناس كلهم مطروا السماء أربعين يوما كمني الرجال فينبتون في قبورهم
بذلك المطر ينبتون في بطون أمهاتهم ثم يخرجون من النفخة الآخرة وبينهما أربعون سنة
لعلكم تذكرون فتعلمون أن من قدر على هذا قدر على ذلك والبلد الطيب الأرض
الكريمة القوية وتخصيص البلد بالذكر لأنه أصلح منبتا على ما نبه عليه في الخبر المأثور وهو
قوله الرجال من القرى ولهذا أسقطه من مقابله يخرج نباته بإذن ربه بتيسيره عبر
به عن كثرة النبات وحسنه لأنه أوقعه في مقابله والذي خبث السبخة التي لا تنبت
ما ينتفع به لا يخرج إلا نكدا النكد الذي لا خير فيه ونصبه على الحال تقديره لا يخرج
نباته إلا نكدا فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه وهو الضمير المجرور مقامه فانقلب مرفوعا

مستكنا

مستكنا لوقوعه موقع الفاعل أو تقديره ونبات الذي خبث وقرئ يخرج من أخرج
فيكون نكدا مفعولا وقرئ نكدا بفتح الكاف على المصدر أي ذا نكد ونكدا بسكونها
للتخفيف كذلك مثل ذلك التصريف والترديد نصرف الآيات نرددها
ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله تعالى ويتفكرون فيها ويعتبرون بها والآية
مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها ولمن لم يرفع إليها رأسا ولم يتأثر بها لقد أرسلنا
نوحا جواب قسم محذوف والإنكاد تنفع هذه اللام إلا مع قد لأن الجملة القسمية
مظنة التردد ونوح عليه السلام أول من شرعت له الشرائع وسنت له السنن
وليس بينه وبين إدريس عليه السلام نبي ولما قال إلى قومه لأن بعثته كانت
مخصوصة لقومه كبعثة سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام غير نبينا عليه الصلاة والسلام
فإن بعثته عامة لا خاصة ولا ينافي هذا قول نوح عليه الصلاة والسلام رب لا تذر على
الأرض من الكافرين ديارا لأن من لم تعمه دعوته لا يدخل تحت هذا الدعاء فقال
يا قوم أتى هنا بالفاء الدالة على التعقيب بدون الإمهال دلالة على الاستعجال في
الامتثال اعبدوا الله أي وحدوه وأفردوه بالعبادة لتفرده بالألوهية
ما لكم من إله غيره وبالنصب على الاستثناء أي ما لكم من إله إلا إياه إني أخاف عليكم
وعيد وبيان للداعي إلى عبادته تعالى وموقعها الاعتراض عذاب العذاب هو الألم
الجاري على الاستمرار يوم عظيم هو يوم القيامة أو يوم نزول العذاب وهو
الطوفان قال الملأ الملأ الجماعة الشريفة لأنهم يملؤون النفس والعين بجلالهم
وبهائهم على أنه مأخوذ من الملء ويحتمل أن يكون مأخوذا من تمالؤ القوم على أمر إذا تواطؤوا
ومنه قول علي رضي الله عنه ما قاتلت عثمان ولا مالأت في دمه والملأ صفة غالبة وجمع
الملأ وليس من باب رهط وإن كانا اسمين للجمع لأن رهطا لا واحد له من لفظه ما حكى
أحمد بن يحيى المالئ للرجل الجليل الذي يملأ العين فهو كغائب وخادم فإن اسم جمعهما
غيب وخدم من قومه القوم الجمع الذين يقومون بالأمر لا نسوة فيهم وفائدة التقييد
بالوصفين تجريد المسند إليه عن نقصان العقول لئلا يتوهم أن هذا القول صدر من
بعض ضعفائهم في العقل والرأي وإسناده إلى الكل إسناد فعل الواحد إلى الجماعة إنا
لنراك استعاروا الرؤية للعلم بلا شبهة تمهيدا لما ادعوا من الظهور في المعلوم
في ضلال منغمسا فيه والضلال الذهاب عن صوب الصواب والتنكير للتعظيم
مبين بالغ فيه بعد ما بالغوا كما قال يا قوم أضافه إلى نفسه تمهيدا لما يأتي
من دعوى الإخلاص والاختصاص ليس بي ضلالة قدم الجار والمجرور للتعريض
لهم به وزيدت التاء للتعليل أي ليس بي أقل ضلال قليل من الضلال فضلا عن الضلال

نفوا

العظيم الظاهر وما يتخايل من ان نفي الماهية ابلغ لان نفي الشيء من قيد الوحدة قد يكون
بانتفاء الوحدة مضمحل بان الوحدة ليست صفة مقيدة بل للقطع موضوع الاول
المتحقق مع الكثرة ولكني رسول استدراك بطريق الكناية قال ولكني على هدى
كامل في الغاية لاني رسول قابل تعريضهم بالتعريض الذي هو واقع في البلاغة بالكناية التي هي
اقوى في النكاية وادات ظرفية باداة الملابسة لانها اوسع دائرة في النفي تكون اقطع الداء
احتمال الضلال واداة تعظيمه في التضليل باداة التحقير والتقليل ولا يخفى ما في هذه المقا
على وجه المقابلة من المبالغة في المغالبة من رب العالمين فيه اشارة الى ان رسالته
لمصلحة تربيتهم ففيه اظهار لمكابرتهم وفرط عنادهم حيث وصفوا من هو بهذه المنزلة
من المباهر بالضلال المبين الظاهر ابلغكم والابلاغ ايصال ما فيه بيان الاوهام
ومنه البلاغة وهي ايصال المعنى الى النفس باحسن صورة من اللفظ رسالات ربي الرسالة
جملة من البيان يحملها القايم بها يوديها الى غيره وانما جمعها باعتبار تعددها بحسب
الاوقات او باعتبار تنوعها بحسب المعاني وفي قوله ربي بعد قوله من رب العالمين اشا
الى ان ما في تربيتان عامة وهي للمرسل اليهم وخاصة وهي للمرسل اليهم وانصح لكم النصح
الدعاء الى ما فيه الصلاح والنهي عما فيه النهي ومنه قوله الدين النصيحة والنصح لذلك
وخلافه الغش وفي زيادة اللام تاكيد في محاض النصح لهم ومبالغة في انها خالصة للمنصوح
له مقصود بها جانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح واعلم من الله ما لا تعلمون
وعيد وتقرير لما في قوله عليكم عذاب يوم عظيم اي اعلم من قدرته وشدة بطشه او من
جهته بالوحي اشياء لا تبلغكم علمه اوعجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف على محذ
تقديره اكذبتم وعجبتم والعجب تغير النفس بما خفي سببه وخرج عن العادة ان جاءكم
ذكر موعظة من ربكم على ما ياتي من الله تعالى فله حكم النزول فكان جاءكم معناه نزل
فحسن معه ان يقال على رجل ولا حاجة الى تقدير لسان منكم من جنسكم فانهم
كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا
بهذا في ابائنا الاولين اي بارسال البشر وانما لم يقل على بشر بل اثر اطناب على الوجه
المذكور لان المناسب لانكار تعجبهم ان يبين مجيء الرسالة على مقتضى الحكمة وهو ان
يكون الرسول من جنسهم ولا يكون اجنبيا ولا صغيرا لينذركم ليحذركم عاقبة
الكفر والمعاصي اكتفى باحد القرينين عن الاخر وانما خصص الانذار بالذكر دون
الابشار لانه اعم واهم ولتتقوا وليوجد منكم التقوى ولم يعتبر لسببية
الانذار والانقياد فتتقوا ولعلكم ترحمون لتتقوا كرر العطف بالواو دون
الفاء للتنبيه على ان الترحم من الله تعالى تفضل لا يوجب التقوى فهو في ثقة

الامكان وكلمة الترجي لترجيح جانب الوقوع حتى تزداد الرغبة في تحصيل التقوى ولا يعتمد
عليه كل الاعتماد فكذبوه وذلك ان تقول في الوصل بينهما باداة التعقيب تنزيل
للتكذيب منزلة العذاب التي تترتب عليه ولا يخفى ما فيه من التهويل والتعظيم
لامر التكذيب فانجيناه الفاء فصيحة وقد ذكر ما حذف في موضع اخر والذين
معه من البشر وساير انواع الحيوان وفي العبارة المذكورة اشارة الى ان نجاتهم
بسبب متابعتهم وبركة مصاحبتهم فقوله في الفلك متعلق بمعه اي الذين صحبوه
في الفلك واشتقاقه من فلكة ثدي المراة اذا استدار سميت السفينة فلكا لانها
لانها تدور على الماء كيف اديرت واغرقنا الاغراق الغوص المتلف في الماء الذين
كذبوا باياتنا كان اغراقهم بسبب تكذيبهم على ما اشير اليه واغراق ساير انواع الحيوان
لشوم معاصيهم انهم كانوا قوما عمين استيناف على سبيل التعليل وانما قال قوما على
تغليب الذكور على الاناث تنبيها على تعمقهم في الضلالة الحاصلة بسبب كونهم عمي القلوب
غير مستبصرين وقرئ عامين والاول ابلغ لدلالته على الثبات والى عاد اخاهم
عطف على نوحا الى قومه وهم قوم سموا باسم ابيهم وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن
نوح عليه السلام ومعنى نسبهم وانما جعل منهم لانهم افهم المقالة واعرف بحاله وارغب
في اقتدائه هودا عطف بيان لاخاهم قال يا قوم استيناف على تقدير سؤال السائل
فكانه قال فماذا قال قال يا قوم وكذبوا جوابه هنا فان قلت ما وجه اختصاص قول نوح
عليه السلام بالعطف والربط اللفظي وقول هود عليه السلام للاستيناف المعنوي
قلت قصة نوح عليه السلام ابتداء كلام فليس مظنة سؤال بخلاف قصة نوح عليه
السلام فانها معطوفة على قصة نوح فكان مظنة ان يقال قال لهود مثل ما قال نوح
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد سبق تفسيره افلا تتقون عاقبة الشرك
الهمزة للانكار والفاء لترتيبه على ما تقدم من موجب التوحيد فهي مقدمة على الهمزة معنى
وان اخرت عنها لفظا محافظة على حق صدارتها وكانهم كانوا واقفين على نزول العذاب
على مشركي قوم نوح عليه السلام لقرب عهدهم منهم فلهذا انكر عليهم بهذه الصيغة قال
الملا الذين كفروا من قومه التقييد بالذين كفروا للتنبيه على ان من اشراف قومه من امن به
كمرثد بن سعد الذي اسلم وكتم ايمانه ولا مساغ لهذا التنبيه في قصة نوح عليه السلام
ولهذا لم يذكر ذلك التقييد ثمه واما ما ذكره فيها في سورة المؤمنين فللمدح والتمييز وان
كان معرض الملزوم فلا كذلك الذام انا لنراك في سفاهة متمكنا في خفة عقل راسخا
فيها حيث خالفت اشراف قومك واسلافك وكما كان هذا تخطية له عليه السلام في فعله
قالوا انا لنراك على القطع واليقين وقوله وانا لنظنك من الكاذبين تخطية في

في قوله ولا علم عندهم بحقيقة الحال انما تمسكهم فيه التقليد بآبائهم قالوا وانا لنظنك على القطع
واليقين وقوله قال يا قوم ليس بي سفاهة اكتفى بنفي السفاهة ايماء الى ان الاقدام
على الكذب في مثل هذا الامر الخطير لا يخلو عن سفه فنفاه واستغنى عن نفي الكذب ولكني
رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم
على رجل منكم لينذركم قد سبق تفسيره وفي اجابة الانبياء عليهم السلام اممهم المكذبين عن
كلماتهم الحمقى بما اجابوا به والاعراض عن مقابلتهم كمال الشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة
وكرم الخلق ليقتدي بهم المؤمنون في اداب المناظرة والمعاشرة مع الخلق وفي قوله وانا
لكم ناصح امين تنبيه على شهرة فيما بينهم بالنصح والامانة واذكروا حذرهم من انتقام
الله تعالى ثم ذكرهم بانعامه اذ جعلكم مفعول به لا ظرف اي اذكروا ذلك الوقت
خلفاء من بعد قوم نوح اي خلفتموهم في مساكنهم او في الارض وجعلكم ملوكا فان منهم شداد
بن عاد وزادكم في الخلق بسطة في القامة والقوة والبدانة وهو تعميم بعد تخصيص
فاذكروا آلاء الله اي ما شكروا على نعم الله تعالى وفي الكناية بالذكر عن الشكر تنبيه على ان هذه
النعم بحيث يستتبع ذكرها الشكر عليها فيغني تذكيرها عن الحث على الشكر عليها لعلكم
تفلحون لعل الشكر عليها يفضي الى الفلاح قالوا اجئتنا كان له عليه السلام مكان
يتحنث فيه معتزلا عن قومه كما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء فلما اوحي اليه جاء
قومه يدعوهم ويحتمل ان لا يراد حقيقة المجيء ولكن التعرض بذلك والقصد كما يقال
ذهب يشتمني ولا يراد حقيقة الذهاب كأنهم قالوا اقصدتنا لنعبد الله وحده ونذر
لنا بتكليف ذلك ونذر ما كان يعبد آباؤنا انكروا واستبعدوا اختصاص الله تعالى
بالعبادة والاعراض عن الالهة التي عكف عليها آباؤهم حبا لما نشأوا عليه والفا
لما صادفوا اسلافهم يتدينون به فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين استعجال منهم
لما خوفهم من العذاب تكذيبا قال قد وقع قد حق ووجب عليكم او على جعل المتوقع
الذي لا بد من وقوعه بمنزلة الواقع من ربكم رجس عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب
وغضب ارادة انتقام اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم اي اسماء بلا
مسميات لانكم سميتموها آلهة واعتقدتم فيها معنى الالوهية ما نزل الله بها من سلطان
تحكم به لان المستحيل لا يمكن اثباته بالحجة ولا نزولا لوحي به فجمع بينهما اظهارا لفرط جهالتهم
فانتظروا اي لما تبين الحق وانتم مصرون على العناد فانتظروا العذاب اني معكم من
المنتظرين هذا غاية في التهديد والوعيد ونهاية في الوثوق بما يحل بهم وانه كائن
لا محالة فانجيناه الفاء فصيحة وما حذف ههنا مذكور في موضع آخر والانجاء التخليص
من الهلاك واصله من النجوة وهي الارتفاع من الارض والذين معه اي كالذين آمنوا

برحمة

برحمة منا عليهم لا بقوة منهم فيه اشارة الى هود عليه السلام مع رتبته في النبوة ودرجته
في الرسالة انما نجا برحمة من الله ليعلم ان النجاة لا تكون باستحقاق الذات ولا باستيجاب الصواب
من العمل وانما تكون بفضل من الله ورحمة ابتداء وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا قطع دابر
استيصالهم عن آخرهم لان الدابر الذي يدبر القوم ويأتي خلفهم فاذا انتهى القطع الى ذلك لم
يبق احدا وفي قوله بآياتنا دلالة على انه كانت لهود عليه السلام معجزات ولكن لم تذكر لنا
خصوصها وما كانوا مؤمنين تعريض لمن آمن منهم وتنبيه على ان الفارق بين من
نجا وبين من هلك هو الايمان وان النجاة مترتبة عليه كما ان الهلاك مسبب عن التكذيب كأنه قيل
قطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا ولم يكونوا ممن آمن والى ثمود بمنع الصرف اسم القبيلة
وقرئ ثمود بالصرف بتأويل الحي او باعتبار الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر اخاهم صالحا
قد سبق وجه الاستئناف قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة معجزة
ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي حيث جاءتكم من ربكم لتصديقي في دعوى النبوة
هذه ناقة الله استئناف لبيانها واضافة الناقة الى الله تعالى للتعظيم ولانها وجدت
معجزة من عند الله تعالى من غير اسباب ووسائط معهودة فاضيفت اليه لكم آية نصب
على الحال من ناقة الله والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هي له آية وهم ثمود فان
دعوته عليه السلام كانت مخصوصة بمعجزتهم كانت لاجلهم وهم انما كانت معجزة
لهم خاصة لانهم عاينوها وسائر الناس اخبروا عنها فقدوهم اذ بعد ظهور المعجزة الاخبار
المتواترة كافية بعد الشاهدين وهو حال من آية او ناقة بدل من هذه او عطف بيان
والخبر لكم والعامل فيها معنى الاستقرار فذروها تأكل في ارض الله اي الناقة
ناقة الله والارض ارض الله فذروها تأكل فيها من العشب فليست الارض ارضكم ولا
ما فيها من النبات نباتكم ولا تمسوها بسوء قد سبق في المس امرار اليد على معنى
الاصابة وهو تأثير الحاسة وان سوء العذاب اقطعه فلا وجه لما قيل نهي عن المس
الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة في الامر وازاحة
للعذر فيأخذكم عذاب اليم جواب للنهي واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد
عاد ولم يقل من عاد لما بينهما خلائف ثم خلائف عاد بالذات وبوأكم نزلكم المباءة
المنزل في الارض تتخذون من سهولها اي السهل ما ليس فيه مشقة على النفس من عمل او ارض
قصورا القصر هو الدار الكبير لسور يكون فيه مقصورة قيل كانوا يسكنون السهولة
في الصيف والجبال في الشتاء وتنحتون الجبال بيوتا اي من الجبال فحذف الجار
واوصل الفعل اليه دل على ذلك قوله في سورة الحجر وتنحتون من الجبال والنحت النجر
والنشر في الشيء الصلب كالحجر والشجر فاذكروا ما مر من الذكر الثاني وهذا هو الذكر

القلبي آلاء الله انواع نعمة من التمكين في الارض والتسخير حتى بنوا القصور وتنحتوا
المنازل والدور مع طول الامال وتبليغ الاجال والمراد الامر بالشكر على تلك النعمة بطريق الكناية
وفيها ايماء الى انها من النعم الجسام التي لا مانع عن القيام بشكرها الا الغفلة عنها ولا تعثوا
في الارض مفسدين قد سبق تفسيره في سورة البقرة قال الملأ الذين استكبروا اي
عن متابعة صالح عليه السلام لان الاستكبار طلب الكبر فوق القدر حتى يودي صاحبه الى
انكار ما دعي اليه من الحق انفة من اتباع الداعي الى الحق من قومه للذين استضعفوا لمن
آمن منهم بدل من الذين استضعفوا بتكرير العامل بدل البعض من الكل سواء كان الضمير
للذين آمنوا او لقومه لان من المستضعفين من لم يؤمن واما اثر اختلاف المرجعين من حيث
انه على الاول لا يكون الاستضعاف مقصورا عليهم بحكم دلالة اللفظ بخلاف الثاني اتعلمون
ان صالحا مرسل من ربه كلام قالوه على سبيل الاستهزاء والسخرية كما يقول المجسم اتعلمون
ان الله فوق العرش ولهذا لم يقولوا نعم بل اجابوا عما نقل عنهم في قولهم قالوا انا بما
ارسل به مؤمنون ايذانا بان ارساله اظهر من ان يشك فيه عاقل او يخفى على احد ويحتاج
الى السؤال عنه لغاية وضوحه وانارة برهانه وانما الكلام في وجوب الايمان به فنخبركم انا به
مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون كان الجواب المطابق انا بما
ارسل به كافرون الا انهم لما عدلوا عن الظاهر بان جعلوا الارسال مسلما معلوما كان
جواب الكفرة ايضا معدولا به عن الظاهر اي ليس ما جعلتموه معلوما مسلما من ذلك
القبيل وايضا لم يريدوا ان يتفوهوا باثبات الرسالة له فعقروا الناقة اسند الفعل
الى الجميع لانهم امروا صاحبهم فتعاطى فعقر على ما ياتي التفصيل في سورة القمر ومن
غفل عن هذا زعم ان الاسناد اليهم للملابسة والعقر الجرح الذي ياتي على اصل النفس
من عقر الحوض وهو اصله وعتوا عن امر ربهم متمردين بلغهم صالح عليه السلام بقوله
فذروها تاكل في الارض وعتوا الاستخفاف به على وجه التهاون به والاستكبار عن قبوله
وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا من العذاب والابهام لقلة الاهتمام ذريعة الى التحقير
في امثال هذا المقام والوعد يذكر في الخير والشر ويعرف بالقرينة عند الاطلاق ان
كنت من المرسلين استعجلوا بالعذاب اظهارا للجزم في تكذيبهم فاخذتهم الرجفة
الزلزلة المحركة فاصبحوا في دارهم في بلدهم ولذلك وحد جاثمين باركين على ركبهم
غير قادرين على الحركة لقوله تعالى في سورة الذاريات فما استطاعوا من قيام ثم صاروا
كهشيم المحتظر وهو مذكور في سورة القمر فتولى صالح عليه السلام عنهم وقال يا قوم
لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية والظاهر
انه كان يتولى عنهم حين راى العلامات قبل نزول العذاب فتولى ذاهبا عنهم منكرا الاصرار

بهم ولوطا اي وارسلنا لوطا اذ قال لقومه وقت قوله لهم اتاتون الفاحشة
من اتى المراة اذا غشيها انكار وتوبيخ لهم وتقريع على تلك الغفلة المتمادية في القبح
واللام في الفاحشة للجنس كانها الفاحشة على الحقيقة وما عداها ليس من جنسها
نظرا الى الفحش التفاوت بينهما في ذلك المعنى ما سبقكم بها من احد من العالمين الباء
للتعدية ومن الاولى زائدة لتاكيد النفي والاستغراق والثانية للتبعيض اي
ما عملها احد قبلكم قط وهو جملة استئنافية مقررة للانكار موبخة لهم اولا باتيان الفاحشة
ثم باختراعها فانه اسوأ وافحش لعدم المجال للاعتذار بالتقليد اينكم لتاتون
الرجال بيان لقوله اتاتون الفاحشة والهمزة مثلها في الانكار والاستقباح
كررت لتاكيد الانكار تفصيلا واجمالا وقرئ ان ابلغ في الانكار وقرئ انكم على
الاخبار المستانف وفي التقييد بقوله شهوة وهي مطالبة النفس بفعل
ما فيه اللذة زيادة استقباح لانه وصف بالبهيمة الصرفة ولا ذم اعظم منه اي لا حامل
لكم عليه مجرد الشهوة لا طلب النسل وبقاء النوع الذي هو مقبول ومصدر في
موقع الحال او متشهين تابعين للشهوة من دون النساء نصب حال من الرجال
منفردين والمعنى تطؤون الرجال لمجرد الشهوة البهيمية ولكم عنها بدل ففيه تذكير
لتجاوزهم المعتاد المطبوع المشروع واظهار لعدم الضرورة الداعية الى ذلك
الفعل القبيح وفي ذكر الرجال دون الذكور المقابل للنساء زيادة تقبيح لتسفيههم
التسفيه باظهار انهم يفعلونه بامثالهم في الرجولية وذلك لا يخلو عن الايماء
الى انهم يفعلونه كرها لان مقتضى الرجولية الامتناع عنه بل انتم قوم مسرفون
انكر عليهم مخالفة العقل ثم اضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بحالهم التي هي ام
الرذائل وموجب ارتكاب جميع القبائح اي فليست هذه غريبة عن عادتهم حتى تنكر
عليهم وهي انهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحد في كل شيء فمن ثم اسرفوا في باب الشهوة
ايضا وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم اي وما جاؤوا بما هو جواب
له عما كلمهم به وتفتح لهم فيه من انكار الفاحشة واستعظامها لغاية دعارتهم وخبثهم
ولكنهم قابلوا نصيحته ووعظه بالامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم وهي
من القرى وهو من الجمع سميت بها لما فيه الابنية لانها يجتمع الناس في الاقامة الامصار بالعرف
عبارة عن مجتمع الناس في منازل متجاوزة بقرب ضيعة ياوي اليها الاكرة انهم اناس
يتطهرون استئناف بطريق الاستهزاء كانه قيل لهم لم تخرجونهم من قريتكم فقالوا
انا قوم ملوثون وهم اناس يبالغون في التنزه منها فلا وجه لاختلاط الطاهرين بالخبائث
وهذا غاية السخرية وهذا ليس بجواب عن انكاره وتوبيخه لكنهم قالوا تفجرا منه عقيب

انكار وفي اطلاق الجواب عليه اشارة الى انهم كانوا ملتزمين مبهوتين حيث لم يقدروا
على ان يتكلموا في معرض الجواب بشيء سوى هذا وهذا قريب من اسلوب الشاعر
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ولما كان مآل المعنى
انهم لم يقدروا على الجواب وكان المسلوك الى الطريقة المذكورة للمبالغة في عدم قدرتهم
عليه اندفع وهم المنافاة بينه وبين قوله تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب
الله وبين قوله لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين لان المنقول فيهما ايضا ليس بجواب
حقيقة وان كان مذكورا في معرض الجواب والله اعلم بالصواب فانجيناه الفاء
فصيحة والمحذوف هنا مذكور في موضع اخر والمراد من الانجاء اخراجه من بينهم قبل
نزول العذاب واهله اي اهل بيته لا من اتبعه في الدين الا امراته فانها كانت
تسر الكفر كانت من الغابرين من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب
الذكور وامطرنا عليهم يقال في العذاب امطرنا وفي الرحمة مطرت وتعديته
بعلى لما فيه من معنى النزول مطرا نوعا من المطر عجيبا غير معهود اذا كان الممطر
عليهم الحجارة على ما بين في موضع اخر فانظر كيف كان عاقبة المجرمين من قوم نوح
وهود وصالح ولوط عليهم السلام والمراد نظر التفكر ونظر البصر فمن بقيت له اثار ديار
ومساكن وفيه اتعاظ وازدجار وان سلك هذه الامة ذلك المسلك الفظيع والى مدين
اخاهم شعيبا اي ارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام وشعيب بن
ميكيل بن يشجب بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه قال يا قوم
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد سبق تفسيره قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة شاهدة
بنبوتي ولم يذكر في القران فان ما ذكر فيه وفي التفاسير متاخر عن هذه المقاولة
فاوفوا الكيل والميزان اي آلة الكيل لا المقول والميزان لانه بمعنى الوزن بل المقول في سورة
هود عليه السلام والمكيال يجوز ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد والميلاد والمراد الايفاء
في الكيل والوزن او يراد الكيل ووزن الميزان على الاضمار واطلاق الكيل على المكيال كالعيش
على المعاش هذا ما عند القوم والذي عندي ولعله ادق وبالقبول احق وقد سبق في تفسير
سورة الانعام ان المراد بايفاء الكيل والميزان ايفاء ما يكال ويوزن فنسب الى الفعل مجازا
او الى الالة للملابسة كانوا اهل بخس المكيال والموازين فامرهم بالايفاء ولا تبخسوا الناس
اشياءهم ولا تنقصوا حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم لانهم كانوا يبخسون الجليل والحقير
والقليل والكثير وكانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه ولا تفسدوا في الارض
بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلح فيها الانبياء عليهم السلام بالايمان والعدل
ذلكم اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه خير لكم مطلقا ان كنتم مؤمنين

بزعمكم لان نتيجة الايمان العدالة او خير لكم في الانسانية وحسن الاحدوثة او فيما تطلبون
من التكسب والتربح وزيادة المال لان الناس اذا عرفوا منكم الامانة والعدالة رغبوا في
مناجحتكم ان كنتم مصدقين فيما اقول لكم ولا تقعدوا بكل صراط توعدون لا تقتدوا
بالشيطان في قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا بكل منهج من مناهج الدين
وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا وطريق الحق وان كان واحدا
لكن يتشعب الى عقائد ومعارف حقة وفضائل واخلاق جميلة وحدود واحكام كثيرة فكانوا
اذا راوا احدا يسلك طريقا منها اوعدوه وصدوه وقيل كانوا يقعدون
بالمراصد ويقولون لمن يريد انه كذاب لا يفتننك عن دينك كما كان يفعل قريش بمكة ويوعدون
من آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق ومحل توعدون وما عطف عليه النصب على الحال
اي لا تقعدوا موعدين وصادين وباغيها عوجا ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب
ومفعول توعدون وتصدون من آمن بالله على سبيل تبغونها اي تطلبون لسبيل الله عوجا
تصفون للناس بالعوج فانها معوجة وغير مستقيم ولا تسلكوها او بالقاء الشبه وقيل الضمير
المذكور راجع الى كل صراط اي توعدون من آمن به وتصدون عنه فوضع الظاهر
الذي هو سبيل الله موضع الضمير تقبيحا لما كانوا عليه ودلالة على عظم ما يصدون عنه
وتبغونها عوجا تهكم بهم اي تطلبون ما هو محال واذكروا اذ كنتم قليلا عددا او عددا
فكثركم بالبركة في النسل او المال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من قوم نوح
وهود وصالح ولوط عليهم السلام وكانوا قريبي العهد مما اصاب المؤتفكة والمراد من النظر
الاعتبار بهم وان كان طائفة منكم من الطوائف صفة غالبة اقيمت مقام الموصوف ماخوذ
من الاجتماع على الطواف آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا الطلقة هنا ايماء الى
ان عدم الايمان بما ارسل به نبي يستلزم عدم الايمان بما ارسل به ساير الانبياء عليهم السلام
لان كلا منهم يصدق الاخرين فاصبروا الصبر حبس النفس عما تنازع اليه من الجزع
حتى يحكم الله بيننا اي فتربصوا وانتظروا حتى يحكم الله بين الفريقين بنصر المحقين على
المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين لان حكمه حق وعدل
لا يخاف حيف ولا ميل والحكم المنع من الخروج عن الحق قال الملا الذين استكبروا من قومه
لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك اي آمنوا بما ارسلت به تابعين لك من قريتنا
او لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم من القرية واما عودكم الى
الكفر والعود من الرجوع الى الحالة التي كان عليها لما تشركوا شعيبا عليه السلام في الاخراج
مع الذين آمنوا معه شركوه في العود تغليبا للجماعة على الواحد وان لم يكن عليه السلام
في ملتهم قط لان الانبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم الكفر مطلقا ولذلك اجرى شعيب عليه

السلام جواب على التغليب ويجوز أن يكون قولهم على زعمهم وقوله عليه السلام على المشاكلة ويجوز
أن يكون العود بمعنى الصيرورة كما في قوله تعالى حتى عاد كالعرجون القديم أي صار وفي بلغ من إلي
لدلالته عليه بمعنى الاستقرار والتمكن كأنهم لم يرضوا بأن يتظاهروا أنهم من أهل ملتهم قال
أولو كنا كارهين الواو للحال والهمزة للاستفهام الإنكاري أن نعود فيها ونحن كارهون
لها أو تعيدونا فيها على كراهتنا إياها قد افترينا اختار مقيدا بالشرط وهو بمعنى المستقبل
لأنه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة أو دخل عليه قد لتقريبه من الحال أي قد افترينا
الآن إن هممنا بالعود في ملتكم إذ وفقنا الله تعالى للنجاة منها بالتوحيد لأعلمنا أن لا شريك
له فإن زعمنا أنه له ندا فلا افترا أعظم من افترائنا وقد سبق معنى الافترا ووجه
تقييده بقوله على الله كذبا إن عدنا في ملتكم شرط جوابه محذوف دل عليه قد
افترينا وهو استيناف في معنى التعجب كأنهم قالوا ما أكذبنا على الله تعالى إن عدنا لأنا
تحققنا التوحيد وتبعناه فادعا الند مع اعتقاد التوحيد افتراء في غاية القبح وقيل
جواب قسم على تقدير حذف اللام لقد افترينا على هذا التقدير بعد إذ نجانا الله منها
أي حفظنا عنها فإن النجاة الحقيقية إنما تكون بعد الابتلاء ولا ابتلاء هنا فلا بد من المصير
إلى أقرب المجاز وما يكون لنا وما يصح لنا أن نعود فيها إلا وقت أن يشاء الله
ربنا عودنا هذا الذي يقتضيه السياق وتقدير لخذلان من خذلان التقدير
وسع ربنا كل شيء علما لم يقل قدرة أو إرادة لأن الإخبار عن سعة قدرته وإرادته
لكل شيء إنما يناسب المقام إذا كان سياق الكلام للإشعار بوقوع المشيئة وأما إذا
كان سياقه للإشعار بعدم وقوعه فلا يناسب ذلك إنما يناسب الإخبار عن سعة علمه
وحكمته وفائدة هذا الإشعار حسم طمعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون وفي زيادة
ربنا مع تمام الكلام بدونه نوع تأييد للإشعار المذكور وفضل تأكيد للحسم المذبور من
حيث أن الرب في الأصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا على الله
خاصة توكلنا في أن يثبتنا على الإيمان ويحفظنا عن شرور العدوان ربنا افتح
افتح بيننا وبين قومنا أي احكم بيننا بالحق والفتاحة الحكومة والفتاح القاضي
أو أظهر أمرنا بينفتح ما بيننا وينكشف ويتميز المحق من المبطل بإنزال العذاب عليه
وإنجاء المحق من فتح المشكل إذا بينه وأنت خير الفاتحين على المعنيين قال
الملأ الذين كفروا من قومه أي قال بعضهم لبعض لئن اتبعتم شعيبا فيما
أمركم به ونهاكم عنه في معاملاتكم إنكم إذا أي حينئذ وهو اسم زمان
لخاسرون الأموال وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام فأخذتهم
الرجفة الزلزلة الحادثة من الصيحة المذكورة في سورة هود فأصبحوا في

دارهم جاثمين قد سبق تفسيره الذين كذبوا شعيبا مبتدأ كأن لم يغنوا فيها
خبره وكذا ما بعده أي كأن لم يقيموا فيها يقال غني بالمكان إذا أقام به والمغاني المنازل
الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين بالغ في تقرير هلاكهم بوجوه الاستيناف
وإيراد الموصول كأنه قال الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالاستيصال أحقاء به
لتكذيبهم وبقوله كأن لم يغنوا فيها أي ما بقي أثر منهم كأن لم يكونوا قط وبالتكرير على الوجه
الأول وكونهما اسمين وتعريف الخاسرين بلام الماهية وبإطلاقه أي الخاسرين في
الدين وبتوسطهم في الثانية أي هم الأخصاء بالخسران المطلق لا الذين صدقوه واتبعوه
كما زعموا فإنهم الرابحون فيهما كل ذلك ردا لمقالة الملأ فيما بينهم وتسفيها لرأيهم واستهزاء
بنصح بعضهم لبعض فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم
كلام قاله بعد هلاكهم تأسفا وتحزنا عليهم ثم أنكر على نفسه التأسف وشدة حزنه عليهم
فقال فكيف آسى على قوم كافرين ليسوا بأهل للحزن عليهم لاستحقاقهم ما حل بهم بكفرهم
أو قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم أي لقد أعذرت لكم وبالغت في الإبلاغ وبذلت
وسعي في النصح لكم والتحذير عما نزل بكم فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم أي فلا آسف
عليكم بعد التي واللتيا لكفركم وكونكم غير مستحقين لذلك وما أرسلنا في قرية من
نبي تعديته بإلى وإنما أتى بفي اعتبارا لمعنى الاستقرار فإنه يدل على الاستمرار
في أمر الإبشار والإنذار وعند ذلك يظهر استحقاقهم بالأخذ الآتي ذكره إلا أخذنا
أهلها هو استثناء مفرغ من الأحوال بالبأساء بالبؤس والفقر والضراء الضر
والمرض لاستكبارهم عن اتباع النبي وتعززهم والشدة والبلاء تلين القلوب القاسية
الأبية وتذلل النفوس الطاغية القوية لعلهم يتضرعون لكي يتذللوا ويضعوا
نخوان العز والكبر والنخوة ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة لفظة ثم للدلالة
على امتداد تلك الحالة ويؤيده ما في عبارة المكان من الإشعار بالتمكن أوردنا مكان
الحالة السيئة الحالة الحسنة مبدلين أحدهما بالأخرى إكمالا لأمر الابتلاء
قال تعالى ونبلوهم بالحسنات والسيئات والحكمة فيه أن النفوس الجافية
الغليظة تنقهر وتنكسر بالبلاء والشدة والنفوس اللطيفة تنقاد وتطيع
بالسعة والنعمة حتى عفوا كثروا عددا بالنمو في أنفسهم وأموالهم من عفى
النبات إذا كثر ومنه قوله عليه السلام واعفوا اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء
والسراء بطرا وأشرا بالنعمة وكفرانا للنعمة واعتقادا أن هذه عادة الدهر تضيق تارة
وتوسع أخرى تتعاقب فيه المحنة كما عليه حال آبائنا فلم يروا ذلك ابتلاء من الله تعالى
فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون لما لم يتنبهوا عن غفلتهم بإحدى الحالين فلم

يبتق لا ان اخذناهم اشد الاخذ بالعذاب وهو الاخذ فجاءة من غير شعور ولانه اعظم حسرة
ولو ان اهل القرى اللام للعهد والاشارة الى القرى المدلول عليها بقوله وما ارسلنا في قرية
آمنوا وصدقوا بدل كفرهم وتكذيبهم واتقوا بدل عصيانهم لفتحنا عليهم بركات
من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير في كل شيء ومن جهة ولبشرناه لهم وقيل المراد
المطر والنبات ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بما كانوا يكسبون بسوء كسبهم المعاد
من التكذيب والطغيان افامن اهل القرى الفاء للعطف على فاخذناهم وكذا الواو
في اوامن وقوله ولو ان اهل القرى اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه والهمزة للانكار اي
بعد اخذنا اياهم امن اهل هذه القرى ان ياتيهم باسنا بياتا البيات ان كان بمعنى
البيتوتة فظرف اي وقت بيات وان كان بمعنى تبييت فحال اي مبيتا او مبيتين او
مصدر لان التبييت نوع من الاتيان كانه قال ان يبيتهم باسنا تبييتا وهم نائمون
حال من ضميرهم البارز والمستتر في بياتا اوامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى نصب
على المصدر والضحى بين البكرة والضحوة وهم يلعبون مشتغلون افامنوا مكر الله
تكرير للتاكيد وتقرير للجملتين على سبيل التعميم باستعارة لطيفة وهي استعارة المكر لاخذ
بغتة بلا شعور منهم استدراجا فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون اي الذين كان
استدراجه واخذه على هذا الوجه فلا يامن مكر الله الا الذين خسروا انفسهم بالكفر
وترك النظر والاعتبار وفي تكرير مكر الله دون يامن مكره تهويل وتربية للمهابة اولم
يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم اي اولم
يهد ويبين للذين يخلفون من مضى قبلهم في ديارهم ويرثون ارضهم هذا الشان وهو
انا لو نشاء اصبناهم كما اصبنا من قبلهم واهلكنا الوارثين كما اهلكنا الموروثين اي ولم يبين لهم
ذلك قرئ يهد بالياء على ان قوله نشاء فاعله وبالنون على انه مفعوله وان مخففة من
المثقلة معملة في ضمير الشان او تعدية فعل الهداية باللام الى المفعول الاول لما
فيها من معنى التبيين ونطبع على قلوبهم عطف على ما دل عليه اولم يهد اي
يغفلون عن الهداية ونطبع او كلام مبتدا عطف الجملة على الجملة اي ونحن نطبع
ولا يستقيم عطفه على اصبناهم بمعنى وطبعنا لانه في سياق لو يؤدي الى نفي
الطبع والقوم مطبوع على قلوبهم واما عطفه على يرثون فيلزمه الفصل بين ابعاض
الصلة بالاجنبي لان المعطوف على الصلة ولا تعلق لقوله ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم
بشيء من الصلة فهم لا يسمعون سماع تفهم واعتبار تلك القرى اي قرى
الامم المار ذكرهم نقص عليك من انبائها حال لها كقوله هذا بعلي شيخا او خبر ان
او القرى صفة تلك ونقص خبر ومن للتبعيض اي نقص عليك بعض انبائها ولهم

انباء

انباء غيرها لم نقصها عليك ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا
عند مجيء الرسل بالبينات بما كذبوا من قبل ولا حين مجيء الرسل استمروا على التكذيب
مع تكرار المواعظ وتتابع البينات ولم تكن قلوبهم حتى ماتوا وتاكيد النفي باللام للدلالة
على ان الايمان كان منافيا لحالهم في تصميمهم على الكفر طول عمرهم وشدة شكيمتهم
في عنادهم كذلك مثل ذلك الطبع العظيم يطبع الله على قلوب الكافرين
فلا تلين شكيمتهم بالايات والنذر وفيه ايذان بان سبب الطبع كفرهم الاصلي وما
وجدنا لاكثرهم اي لاكثر الامم المذكورين لان الاقل منهم امنوا او
للناس على الاطلاق والجملة اعتراضية من عهد اراد بنفي العهد نفي لذعابه
على سبيل المبالغة يقال ما له عهد لمن ينكث العهد والمراد من العهد اما ميثاق العهد
او ميثاق الفطرة على الايمان والتقوى واما قولهم عند الضر والمخافة لئن
انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين او عهدهم مع الانبياء عليهم السلام كقولهم لئن
كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك وان وجدنا اكثرهم لفاسقين اي علمناهم من وجدت
زيدا ذا الحفاظ لدخول ان المخففة واللام الفارقة فيه وذلك لا يجوز الا في المبتدا
والخبر والافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفي واللام بمعنى الا ثم بعثنا
البعث الارسال وهو في الاصل النقل باعتماد يوجب الاسراع الى الشيء من بعدهم
الضمير للرسل او للامم موسى باياتنا بمعجزاتنا الى فرعون وملائه اي الاشراف
من قومه وفرعون كان لقبا لمن ملك مصر من العمالقة فظلموا بها الظلم وضع
الشيء في غير موضعه وتعديته بالباء لتضمنه معنى الجحد والمراد من ظلمهم اختيارهم
الكفر على الايمان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين النظر تحديق القلب
الى المعنى لادراكه فكانه قيل فانظر بعين القلب كيف كان عاقبتهم بسبب فسادهم
وموضع كيف نصب لانه خبر كان وتقديره انظر اي شيء كان اخر من الذين
افسدوا وقال موسى يا فرعون خطاب له باحسن ما يدعي به واجها له كما
عرفت انه من الالقاب الشريفة المخصوصة بملوك العمالقة ففيه ايماء
بالامر الوارد في قوله تعالى فقولا له قولا لينا اني رسول من رب العالمين لم
يقل اليك لعدم اختصاص رسالته عليه السلام ولما كان فرعون قد ادعى الربوبية
فاتحه موسى عليه السلام بما ينبه على انه مبطل في الوصف الذي ادعاه حقيق
على ان لا اقول جواب لتكذيبه اياه في دعوى الرسالة المفهوم من قوله فظلموا
بها وقرئ علي بالتشديد اي واجب علي وعلى قراءة التخفيف معنى حقيق جدير
وخليق الا انه ضمن معنى المجبول ولذلك عدي بعلى اي مجبول على ذلك جدير به

وبه وفيه اشارة الى ان من هو في مقام الرسالة يكون في غاية العصمة عن وصمة الكذب
حتى لو قصده لا يقدر عليه على الله الا الحق انما قال على الله لان في الرسالة
تحميل العهدة على المرسل الذي نقل عنه الرسالة قد جئتكم ببينة من ربكم اي
بما يبين اني رسول من رب العالمين ادعى الرسالة ثم اردفها بما يدل على صحتها ولما
قرر رسالته فرع عليها تبليغ الحكم بقوله فارسل اي فاطلق معي بني اسرائيل
اي يرجعوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطنهم ومولد ابائهم وكان قد استعبدهم
واستخدمهم في الاعمال تغليبا منذ توفي يوسف عليه السلام وانقرضت الاسباط
قال ان كنت جئت باية من عند الله ارسلك فأت بها فاظهرها واحضرها عندي
ليثبت بها صدقك ان كنت من الصادقين في الدعوى اصل القى من اللقاء الذي
هو الاتصال فالقى عصاه ازال اتصالها بما كان وعصاه عود يابس واصله الانساع
يلبسه يقال عصا اذا امتنع ومنه العصى لمن عصى فاذا هي اذا للمفاجاة والفا
للتعقيب ثعبان حية عظيمة يقال انثعب الماء اذا جرى باتساع والثعب وهو
المجرى الواسع ومنه الثعبان لانه يجري باتساع لعظمه مبين ابان عن
نفسه انه ثعبان حقيقة لا شي يشبه الثعبان كما يكون الاشيا المزورة بالشعوذة
والسحر ونزع يده اي اخرجها من جيبه لقوله تعالى وادخل يدك في
جيبك تخرج بيضاء والنزع اخراج الشي مما كان متصلا به وملابسا له فاذا هي
بيضاء لها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق في قوله للناظرين دلالة
على ان بياضها كان شيئا يجمع النظارة على النظر اليه بخروجه عن العادة وقيل
بيضاء للنظار لانها كانت بيضاء حقيقة ويرده قوله تعالى في موضع اخر تخرج
بيضاء من غير سوء لانه صريح في نقل بياضها لانه مظنة السوء عند ذلك
قال الملأ من قوم فرعون وفي موضع اخر قال للملأ حوله وذلك انه قاله هو
واشراف قومه على سبيل التشاور فامروه فحكى عنه تارة وعنهم اخرى وفي عبارة
الملأ نوع اشارة الى هذا من حيث ان الملأ جماعة يجتمعون ان هذا الساحر عليم
فائق على علم السحر وهو لطيف الحيلة في اظهار الاعجوبة توهم خرق العادة خفاء
سببه يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره بان يلقي العداوة والفرقة بينكم ويستميل
بعضكم ليحارب به بعضكم فيخرجكم من بلادكم فماذا تامرون ماذا مفعول
ثان لتامرون على سبيل التوسع فيه بان حذف منه حرف الجر والمفعول الاول
محذوف اي باي شي تامرون من امرته فامرني بكذا اذا شاورته فاشار عليك برأي
تحير عند غلبة سلطان المعجزة فنسي دعوى الالوهية ومرتبة كونه آمرا وناهيا

حتى

حتى خاطبهم خطاب الاذلاء المقهورين المامورين قالوا ارجه من الارجاء وهو
التاخير اي اخر امره وهذا يدل على انهم من فرعون بقتله على ما دل عليه قوله تعالى وقال
فرعون ذروني اقتل موسى فقالوا اخر قتله واغلبه بالحجة لئلا يدخل على الناس الشبهة
توهموا انهم بالتاخير وتقديم التدبير وبذل الجد والتشهير يغيرون شيئا من التقدير
واخاه وارسل في المدائن حاشرين الحشر السوق من جهات مختلفة الى مكان واحد
واخاه يعني هارون وكان معه على ما ذكر في موضع اخر وتعديته ارسل بالى وانما الى
بفي لتضمنه معنى الاستنفار ليفيد الاهتمام في امر الحشر ولان المقصود اتيان مهرة
السحر ومن هم في الطبقة العليا من ذلك الجنس وهو لا يكون الا بالتبليغ والتفحص
فلا بد من مكث في مظانهم من المداين ياتوك بكل ساحر عليم مثله في عمل السحر وعلمه
وقرئ سحار وهو ابلغ لان اعتبار المبالغة اولى وفي دخول كلمة على على المفرد دلالة على
كل واحد منهم منفردا عن الاخرين مطلوب بالاتيان مقصود اصالة وبالذات
وجاء السحرة فرعون اي فارسل الحاشرين وجاء السحرة فالواو فصيحة كالفاء في قوله
فجمع السحرة قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين استيناف على سائل سال ما قالوا
اذ جاؤه فاجيب بقوله قالوا ان لنا استفهاما والقراءة بالاخبار اوقع للدلالة على ايجابهم
به اجرا عظيما كانهم قالوا لابد لنا من اجر كثير وفي مثل هذا التنكير فائدة التعظيم والتكثير
قولهم ان له لابلا وان له لغنما والاجر الجزاء بالخير فان الجزاء قد يكون بالخير والشر بحسب
ما يقتضيه العمل والغلبة ابطال المقاومة بالقوة قال نعم مجيبا لهم عما سالوه
الواو للعطف كانه قال نعم لكم ذلك وانكم اذا لمن المقربين الى مراتب الجلالة التي تكون
فيها الخاصة ولا يتخطى اليها العامة تحقيقا منيتهم وزاد على ذلك ما لم يتصوروه مع المبالغة
بان واللام اي لا نقتصر على الثواب العظيم وان لكم مع الثواب ما يقل معه الثواب وهو
التقريب والتعظيم تصريحا لهم قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين
الالقاء ارسال المعتمد الى جهة السفل وشدة الامساك واما للتخيير والتقدير اما ان تلقي
انت اولا واما ان نلقي نحن اولا دليله ما في موضع اخر واما ان نكون اول من القى اظهروا الاتجلد
وقالوا ان بدات انت وبدانا فلا خوف علينا ولا حذار وقيل بل احترموا وببركة ذلك اسلموا
ولكن كانت رغبتهم في ان يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ما فيه رجحان طرفهم الى الالقاء
من الجملة الاسمية والتوكيد بتوسيط الضمير وتعريف الخبر قال القوا لما
كان رموه بالتخيير كرمهم موسى عليه السلام ووسع لهم ما ترغبوا فيه اظهارا للفضيلة
وتحقيرا لهم وازدراء بشانهم وثقة بالله تعالى وما خصه من التاييد السماوي وان
المعجزة لم يغلبها سحر ابدا فلما القوا سحروا اعين الناس خيلوا اليهم ما الحقيقة بخلافه

وازدهر بالحيل والشعوذة ما لا وجود له ومن هنا ظهر ان السحر لا يقلب عينا وانما هو من
باب التخييل واسترهبوهم اي ارهبوهم ارهابا شديدا كانهم يستدعوا رهبتهم وقيل
استفعل هنا بمعنى افعل كابل واستبل والرهبة الخوف مع الفزع وجاؤا بسحر عظيم
وصفه بالعظيم لعدم امام الحيلة فيه وشدة التمويه بحيث وجس موسى في نفسه خيفة
واوحينا الى موسى ان الق عصاك ان مصدرية ويجوز ان يكون المفسرة لان في الوحي معنى
القول فاذا هي اذا المفاجاة والفاء فصيحة اي فالقاها فاذا هي تلقف تبتلع كالتلقمة
تناولا بفيها بسرعة منها ويويده قراءة تلقم اي تبتلع كاللقمة ما يافكون الافك قلب الشي
عن وجهه وما موصولة اي ما يافكون او مصدرية اي افكهم تسمية للمافوك افكا فوقع الحق
الوقوع ظهور الشي بوجوده نازلا الى مستقره والحق كون الشي في موضعه اللائق فتضمنه
الحكمة وبطل ما كانوا يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك اي عند المجمع
وانقلبوا صاغرين اي رجعوا الى المدينة اي رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والضمير
لفرعون وقومه وانما قال والقي السحرة ساجدين دون وخروا سجدا للمبالغة كانهم
القاهم ملق لشدة خرورهم لان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك وقد
وفقهم الله تعالى لذلك ودبر الامر ليبكت فرعون وقومه بالذي ارادوا به كسر موسى عليه
السلام قالوا امنا برب العالمين لما استشعروا ان يتوهم انهم ارادوا فرعون تداركوا بقولهم
رب موسى وهارون بان ابدلوا منه قال فرعون امنتم استفهامية على سبيل الانكار والتوبيخ
اي افعلتم هذا الفعل الشنيع وقرئ بالاخبار وهو ايضا تقريع وتشنيع بدلالة ما بعده
به اي بموسى عليه السلام لا بالله تعالى لان قوله في سورة الشعراء انه لكبيركم الذي علمكم السحر
لا ينتظم قبل ان اذن لكم فيه ايذان بوهن امره حيث جعل ذنبهم مفارقة الاذن دون
نفس الايمان به ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة اي صنيعكم هذا لحيلة احتلتموها انتم
وموسى في مصر قبل ان تخرجوا الى الميعاد وتواطاتم عليها لتخرجوا منها اهلها القبط
وتخلص لكم ولبني اسرائيل فالهموها على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الايمان فسوف تعلمون عاقبة
ما فعلتم وعيد مجمل مفصله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا وذلك للتشديد
في العذاب والتغليظ فان الانسان لا يتعيش بيد واحدة ورجل واحدة اذا كانت من جانب
واحد بخلاف ما اذا كانت من جانبين ولهذا يقطع رجل السارق في المرة الثانية من خلاف
واذا كان القطع من وفاق يياس من الانتفاع في الحياة الباقية فيكون الموت بعده خصوصا
اذا كان متراخيا الا تجديدا فاراد فرعون ان يضمن وعيده الشديد بتجديد العذاب
بالقتل بعد ما ازال الم القطع وعاد لذة الحياة ما دل عليه كلمة ثم في قوله ثم لاصلبنكم
اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من قطع وصلب قالوا انا الى ربنا
منقلبون انا لا نبالي بوعيدك لانقلابنا الى ربنا ورحمته كانهم استطابوه شغفا

الي

الى لقاء الله او انا جميعا وانك وايانا منقلبون اليه فيحكم بيننا وما تنقم منا النقمة
الاخذ بالعقوبة وتعديته بمن لتضمنه معنى تنال وعلى هذا يكون قوله الا ان امنا
بايات ربنا لما جاءتنا مفعولا من اجله استثناء مفرغا اي ما تنال منا اخذا ايانا بالعقو
بة من الاشيا الا ان امنا وهذا ما اشار اليه عطا رضي الله عنه في تفسيره حيث قال
اي ما لنا عندك ذنب تعذبنا عليه الا ان امنا ثم فزعوا الى الله تعالى بقولهم ربنا
افرغ علينا صبرا اي على وعيد فرعون لعلمهم ان الصبر مطهرة لهم استعارة
بالكناية شبه الصبر بالماء فاورد الافراغ اي افض علينا من الصبر ما يغمرنا ويفيض
عنا كما يفرغ الماء افراغا والتنوين للتعظيم اي صبرا اي صبر صبرا واسعا كثيرا
وما يطهرنا من اوضار الاثام كما يطهر الماء من الاقذار وتوفنا مسلمين ثابتين على
الاسلام الى الممات قيل انه فعل بهم ما اوعدهم وقيل لم يقدر عليه لقوله تعالى انتما
ومن اتبعكما الغالبون وفيه نظر لان المراد منه غلبتهما قبل غلبتهما فلا ينافيا ول السحرة
وقال الملا من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض بتغيير الناس عليك
ودعوتهم الى مخالفتك ويذرك عطف على ليفسدوا في الارض بدوا اولا بالعلة
العامة ثم اتبعوه بالخاصة قدحوا بذلك زند تغيظه على موسى وقومه ليكون ذلك
ابقى عليهم منازلهم اذ هم الاشراف وبترك موسى عليه السلام وقومه بمصر يذهب
ملكهم وشرفهم وانما نسبوا الفساد الى الجميع والترك الى موسى عليه السلام خاصة لان
الترك المذكور راجع الى امر الدين وقومه تابعون له فيه فذكر تركه كاف بخلاف الفساد
لانه من جهة الدنيا والملك وهم مستقلون فيه او جواب للاستفهام بالواو على معنى
ايكون منك ترك موسى وقومه ويكون تركه اياك والهتك وقرئ بالرفع عطفا
على اتذر او يذرك جوابا للاستفهام كقوله فاصدق واكن والهتك قيل كان
يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه
ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ والاهتك اي عبادتك قال سنقتل ابناءهم
ونستحيي نساءهم سنعيد عليهم ما كنا محناهم به ليعلموا وانا فوقهم قاهرون اي انا
على ما كنا عليه من القهر والغلبة عليهم وان لا اثر لغلبة موسى في ملكنا وان لا يتوهم
العامة انه هو المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده قال موسى
لقومه لما جزع قوم موسى عليه السلام من قول فرعون سنقتل ابناءهم وتحيروا
سلاهم بقوله استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده
ذكرهم ما وعدهم الله تعالى من اهلاك القبط وتوريثهم ارضهم وديارهم فاللام في
الارض للعهد والاصح ان تكون للجنس فيتناول المعهود وهو ارض مصر تناولا اوليا

وعلق الايراث بالمشيئة فاجمل ثم بين بقوله والعاقبة للمتقين للبشارة بعد الابهام
لان العاقبة التي تستاهل ان تسمى عاقبة اي العاقبة المحمودة كان ما عداها ليست
بعاقبة مخصوصة بالمتقين منكم ومن القبط اشعار بانهم هم المتقون والعاقبة لهم
وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان قالوا اي بنو اسرائيل اوذينا من
بقتل الابناء والاستعباد والامتهان بالخدمة وانواع التعذيب والاذى صبرا لا يبلغ
بصاحبه ان ياتي على نفسه من قبل ان تاتينا بالرسالة والاتيان بالنظم البهي
وما يقابله وهو الذهاب ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم
في الارض تصريح بما رمز اليه من البشارة وهو اهلاك فرعون وقومه واستخلافهم
في الارض فينظر كيف تعملون شكرا او كفرانا طاعة او معصية فيجازيكم حسبه
ولقد اخذنا آل فرعون آثر عبارة الآل على عبارة القوم لانتظامها الاتباع حقيقة
ولا نكتة للتنبيه على ان اخذهم بذلك لاتباعهم فرعون فيفهم منه سلامة من آمن
من قومه ودخول فرعون في الحكم المذكور بطريق الدلالة بالسنين بالجدوب لقلة
الامطار والمياه والنبات السنة غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به
فصارت كالدابة والنجم ثم اشتقوا منها فقالوا اسنت القوم اذا قحطوا وجمعت
سنين ونقص من الثمرات قال ابن عباس رضي الله عنه اما السنون فكانت
لباديتهم واما نقص الثمرات فكانت في امصارهم لعلهم يذكرون لكي ينتبهوا على
ذلك لشؤم كفرهم ومعاصيهم او يتعظوا فتلين قلوبهم وترق بالشدائد فيفزعوا
الى الله ويتضرعوا فاذا جاءتهم الفاء فصيحة لترتيب مدخولها على مقدر يدل
عليه سياق الكلام ولحاقه من عدم تنبههم لما ذكر وتفصيل ذلك الحسنة
الخصب والرخاء والسعة قالوا لنا هذه اي لكرامتنا خاصة واستحقاقنا لها
وان تصبهم سيئة جدب وضيق يطيروا بموسى ومن معه وقالوا هذا بشؤم
ولولا مكانهم فينا لما اصابنا التطير التشاؤم واصله التفاؤل بالطير ومنه الطائر
الذي هو سبب الخير والشر فقلب التطير على الشر واصل يطيروا يتطيروا وانما
عرف الحسنة بلام العهد الذهني مع ان الدالة على الوقوع لكثرته واتساعه ونكر السيئة
مع حرف الشك وصيغة المضارع لقلتها وندور وقوعها وتجددها يناسب الايقاظ
والاتعاظ والحسنة لا يخلو عنها احد والسيئة لا يقع منها شيء وهذا اغراق في وصفهم
بالقساوة والجفوة والغباوة بان الشدائد التي ترقق القلوب وتذلل الفحول
وتلين العرائك وتكسر الشكائم لم تؤثر فيهم ولم يزدادوا فيها الا انهماكا في الغي
وعتوا في الكفر وكذلك بولغ في انكار التطير لموسى عليه السلام ومن معه باسنا

الشر

الشر والخير الى الله تعالى على القصر بانما وتصدير الجملة بحرف التنبيه حيث قال
الا انما طائرهم سبب خيرهم وشرهم عند الله اي كل بقضائه ومشيئته
وهو الذي ابهما شاء اصابهم وليس بشؤم احد الا بشؤمه والتاكيد بقوله ولكن
اكثرهم لا يعلمون انما يصيبهم من الله تعالى او من شؤم اعمالهم وقالوا
مهما اصله ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة للتاكيد ثم قلبت الفها هاء
لئلا يتوهم التكرير وهو مبالغة في التعميم ومحلها الرفع على الابتداء او النصب بفعل يفسره
ما تاتنا به اي اي شيء تحضرنا تاتنا به من آية بيان لما وانما سموها آية استهزاء ولذلك
قالوا لتسحرنا بها اي لتسحر بها اعيننا والضميران لما الاول باعتبار اللفظ والثاني
باعتبار المعنى وعدلوا في الجزاء عن ان نؤمن الى الجملة الاسمية مع تاكيد النفي بالباء وتحقيق
الجزاء بزيادة ما حيث قالوا فما نحن لك بمؤمنين اي فلا نشتغل بايرادها فما نحن بمصدقين
لك انها من عند الله تعالى وهذا منهم غاية الضلالة والفساد ان كذبوه بما لم يات به
بعد واظهروا انهم مصرون على كفرهم ابدا غير منقادين للحق وان ظهر وبدا فارسلنا
عليهم الطوفان قال ابن عباس رضي الله عنه الطوفان الماء المغرق وقال جماعة هو المطر
المتتابع المضر وهو في اللغة ما طاف بالقوم وغلبهم من ماء او مرض وغيرهما والجراد والقمل
اي كبار القردان والضفادع جمع ضفدع والدم روي انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة
شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر احدهم ان يخرج من داره ودخل الماء بيوتهم حتى
قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بني اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخلها قطرة وركد
الماء على وجه ارضهم فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف
عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الزرع ما لم يعهد مثله فلم يؤمنوا فبعث
الله عليهم الجراد فاكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم اخذت تاكل الابواب والسقوف
والثياب ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منها شيء ففزعوا الى موسى عليه السلام ووعدوه
التوبة فرفع عنهم ثم لم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه الجراد وكان يقع
في اطعمتهم ويدخل في اثوابهم وجلودهم ويمصها ففزعوا اليه عليه السلام فرفع عنهم
فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام
الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي وافواههم عند
التكلم ففزعوا اليه عليه السلام وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله تعالى
عنهم فنقضوا العهد ثم ارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي
مع السبطي على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي السبطي ماء ويمص الماء في السبطي فيصير دما
في فيه آيات نصب على الحال مفصلات مميزات بعضها عن بعض بين كل اثنين

فصل ومدة لبثها مثل في كل واحدة حتى لنا مثل كان اذا انتهم اية منها اقامت عليهم اسبوعا ثم
تقلع عنهم شهرا ثم تاتيهم اخرى تاكيدا للحجة عليهم كانه يقول قد قالوا مهما تاتنا به من اية
لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين لكنا تابعنا لهم الايات ولم نقطع البراهين بما ظهروا من الجهالة
فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين فتقاطعوا عن الانقياد والتحقق والايمان بموسى عليه السلام
وكانوا قد اعتادوا الاثام والاجرام واكتساب انفسهم العذاب اللازم ولما وقع عليهم
الرجز اي الطاعون فمات من القبط سبعون الفا وقيل هو العذاب المفصل وفيه
المناسب حينئذ تصديرا للكلام بكلما قالوا يا موسى ادع لنا ربك فيه انه غاية عنادهم
حيث قالوا ربك دون ربنا اظهارا للاصرار على الانكار في مقام العجز والاضطرار بما عهد
عندك اي بما امل وقيل اليه تعم جميع الرسايل من الله تعالى الى نبيه عليه السلام من
طاعة منه ونعمة من الله تعالى وهو صلة الادع اي ادع لنا ربك يكشف عنا العذاب
بحق ما عندك من عند الله او بمعنى الحال اي مستوسلا اليه بعهده عندك او قسم جوابه
لنؤمنن اي بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ويجوز ان تكون
موصولة اي بالذي عهد اليك ان تدعوه فيجيبك وفي اسناد الكشف اليه عليه السلام
حيلة عن اسناده الى الله لعدم اقرارهم به ولنرسلن معك بني اسرائيل انما اراد قوله
معك لانه عليه السلام كان طالبا لارسالهم معه حيث قال ان ارسل معنا بني اسرائيل
فلما كشفنا عنهم الرجز الفاء فصيحة عاطفة على مقدر كانه قيل فدعا موسى ربه
فكشف عنهم الرجز الى اجل الى حين من الزمان هم بالغوه فيهلكون فيه وهو وقت
الغرق ولا يقال ان منهم من مات قبل الغرق ومنهم من بقي بمصر لان سياق الكلام يدفعه
على ما ستقف عليه بلوغ في وصفه الاجل بالجملة الاسمية مع تجريد الخبر عن شائبة الحدث
اشارة الى ضرورة بلوغهم الحد المقدر لهم ولزومه اذا هم ينكثون جواب لما اي لما كشفنا
عنهم الرجز فاجاؤا بالنكث وبادروه من غير توقف وتامل فانتقمنا منهم اي اخللنا منهم
النقمة فاغرقناهم الفاء تفسيرية كما في قولك رزق زيدا المال فمنع المعروف فلم يحسن
الى الفقراء في اليم وهو البحر الذي لا يدرك قعره وقيل لجة البحر ومعظم مائه وهذا نص
في ان الناكثين كلهم هلكوا بالغرق بانهم بسبب انهم كذبوا باياتنا والايات هي المعجزات
التي ظهرت على يد موسى عليه السلام وكانوا عنها اي عن اياتنا غافلين غفلتهم عن
جهة دلالتها على صدق موسى في دعوى الرسالة غفلة عن تلك الايات الى الحقيقة انها
بدون الدلالة المذكورة لا تنبغي ايات وهذه الغفلة هي سبب التكذيب واورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون بالاستبعاد وهم بنو اسرائيل مشارق الارض
بعني الشام ومغاربها ملكهم الله تعالى بعد الفراعنة والعمالقة نواحيها الشرقية

والغربية

والغربية وتصرفوا فيها كيف شاؤا وصيغة الجمع للمبالغة في وسعتها من جهة الخصب والبركة
التي باركنا فيها بالخصب وسعة العيش وهذا ظاهر في ان المراد ارض الشام لا ارض
مصر ولان القوم المستضعفين لم يعودوا الى ديار مصر بل اقاموا في الارض المقدسة
وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل تحققت عدته الحسنى بالتمكين في الارض وتقرارت
بالانجاز وهي قوله ونريد ان نمن الى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك لانها
كانت مواعيد بما صبروا بسبب صبرهم وكفى به حاثا على الصبر ودمرنا ما كان
خربنا ما كان يصنع فرعون وقومه من القصور والعمارات وما كانوا يعرشون
من الجنات او ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان واصل التعريش الرفع وجاوزنا
ببني اسرائيل البحر اي البحر الذي غرق فيه فرعون وهو بحر قلزم لم يقل وجاوز بنو اسرائيل
البحر تنبيها على ان جوازه كان خارقا للعادة خارجا عن طوق البشر ثم ان جاوز به ابلغ من اجاز
كما ان ذهب به ابلغ من اذهبه ذكره ما اخذ نوه بعدا هلاك عدوهم وانجائهم من الامور المتبعة
عقيب ما راوا من الايات العظام والنعم الجسام وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
مما راى منهم بالمدينة وايقاظا للمؤمنين لئلا يغفلوا عن سياسة نفوسهم ومحاسبتها ومراقبة
احوالهم ومراقبتها فاتوا على قوم مروا عليهم يعكفون يقيمون على اصنام على
عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل وانما قال لهم تنبيها على غاية
حماقتهم حيث عبدوا ما يملكونه قالوا يا موسى اجعل لنا الها صنما نعكف عليه كما لهم
الهة اصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولم كالهتهم لان منشأ ميلهم غير
مقصودة انما مقصودهم ان يكون لهم ايضا اله قال موسى عليه السلام انكم
قوم تجهلون تعجب من قولهم بعدما راوا الاية العظمى والمعجزة الكبرى واكد
جهلهم بالاطلاق وتكرير النسبة ونقويتها بان وايراد الفعل المضارع الدال على التجدد
الدايم اشعارا بان ذلك منهم كالطبع والغريزة لا ينتقلون عنه في حال ان هؤلاء
اي عبدة تلك التماثيل متبر مكسر مدمر ما هم فيه اي يتبر الله الذي هم
عليه على يدي ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا وباطل مضمحل ما كانوا يعملون
من عبادتها بالغ في تحذيرهم وتنفيرهم عما طلبوا اليه بايراد هؤلاء اسما لان وتقديم
الخبر في الجملتين بعده وايقاع كانوا اي ان هؤلاء الذين عبدوا الاصنام هم المغبونون
المغرضون برسنهم وعبادتهم لها للتبيير وانه لا يعدوهم البتة وانهم لهم ضربة لازب
وهبا ما هم فيه وما عملوا من شيء من عبادتها فيما سلف من الزمان الا وهو باطل
مضمحل وان كان في زعمهم انه تقرب الى الله تعالى ثم انكر عليهم ما طلبوا وتعجب من
طلبهم عبادة غير الله تعالى مع كونهم مغمورين في نعمته بالهمزة وتقديم المفعول نقال

قال أغير الله أي غير المستحق للعبادة أبغيكم أطلب لكم إلها معبودا وهو
فضلكم على العالمين وهو الذي فعل بكم ما فعل دون غيره من الاختصاص بالنعمة التي لم
ينعم بها على أحد من العالمين ونبه بهذا على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله تعالى
إياهم من أمثالهم بما لا يستحقونه تفضلا بأن قصدوا أن يشركوا به أخس شيء من مخلوقاته
والمراد من العالمين عالمي زمانهم وانتصب غير مفعولا لأبغيكم وإلها تمييز عن غير أو حال
أو على الحال وإلها المفعول فكان غير صفة فلما تقدم انتصب حالا ثم ذكر نعمة الإنجاء وما
يتبعه وإذ أنجيناكم من آل فرعون واذكروا صنيعه معكم في هذا الوقت يسومونكم
يبغونكم استئناف لبيان ما أنجاهم أو حال من المخاطبين أو من آل فرعون أو منهما سوء
العذاب شدته يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم بدل منه مبين والمعنى مبين فيما
وفي ذلكم إشارة إلى الإنجاء أو العذاب بلاء نعمة أو محنة من ربكم عظيم وزيادة
قوله من ربكم ترجح المعنى الأول وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ذا القعدة وأتممناها
الضمير للمواعدة المفهومة من واعدنا بعشر من ذي الحجة وحذفت الهاء من عشر
لأن المعدود مؤنث فتم ميقات ربه الميقات وقت قدر فيه عمل من الأعمال وفي عبارة
ربه إشارة إلى أنه لمصلحة عليه السلام وتربيته أربعين ليلة مفعول به لتم
لأن معناه بلغ ويجوز أن يكون تمييزا منقولا من الفاعل وأصله فتم أربعون ميقات
ربه أي كملت ثم أسند التمام لميقات وانتصب أربعون على التمييز ودلت الآية
على أن التاريخ بالليالي دون الأيام وهذا لأن الليالي أوائل الشهور روي أنه عليه
الصلاة والسلام وعد بني إسرائيل بمصر أن يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من
الله تعالى فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك سأل ربه فصام ثلاثين فلما أتم
أنكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأمره
الله تعالى أن يزيد عليها عشرا وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي خليفتي
فيهم وأصلح ما يجب منهم ولا تتبع سبيل المفسدين أي لا تتبع المفسدين في
سبيلهم كقوله لا يهدي كيد الخائنين أي لا يهدي الخائنين في كيدهم وهذا النوع
بديع لم ينتبه إليه الناظرون في كلام الله تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي
وقتناه وحددناه واللام للاختصاص أي اختص مجيئه لميقاتنا وكلمه ربه بغير
واسطة كما يكلم الملائكة روي أنه عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة
وذلك لأن الله تعالى ليس في جهة وكلامه ليس من جنس كلام المحدثين والعدول
عن الظاهر وهو وكلمناه إلى ما ذكر كالعدول عن ميقاتنا إلى ميقات ربه والنكتة
مشتركة بينهما قال رب أرني أنظر إليك أرني نفسك بأن تتجلى لي فأنظر

إليك

إليك وأراك وهو دليل على أن رؤيته تعالى جائزة في الجملة لأن طلب المستحيل على الأنبياء
عليهم السلام محال خصوصا ما يتعلق بمعرفة الله تعالى ويقتضي الجهل به ورده بقوله لن
تراني ليس لامتناع رؤيته تعالى في نفس الأمر وإلا لقال لن أرى بل لقصور الطالب
عن رؤيته لبقية الحجاب فهي موقوفة على ارتفاعه وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين
قالوا أرنا الله جهرة ليس بشيء لأن حقه عليه السلام حينئذ أن يجهلهم ويزيل شبههم
كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا إلها والاستدلال على استحالتها ودعوى الضرورة فيه
مكابرة أو جهالة بحقيقة الرؤية قال لن تراني لن تطيق أن تراني ولكن انظر
إلى الجبل استدراك يريد أن يبين به أنه لا يطيقه فإن الجبل مع شدته وصلابته
إذا لم يستقر فالآدمي مع ضعف بنيته أولى أن لا يستقر وهذا تسكين لقلب موسى عليه
الصلاة والسلام وتخفيف عنه ثقل أعباء المنع ولا يذهب على من نظر بعين الإنصاف
وتجنب عن التعصب والاعتساف أنه ليس بجواب من سأل محالا وقد قال الله تعالى
لنوح عليه السلام لا تسألني ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين فلو سأل
موسى عليه السلام محالا لكان في الجواب زجر ما فإن استقر مكانه فسوف تراني بعد
رفع الموانع من البين علق رؤيته بالاستقرار وهو أمر ممكن في نفس الأمر فيفهم منه أنه
ممكن في نفس الأمر فيفهم من جهته كما دل عليه قوله تعالى ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا
وحيا أو من وراء حجاب حيث قال ما كان لبشر ولم يقل ما كان له تعالى أي بالتعليق
ثم التسويف مبالغة في تعذر المطلب أما التعليق فلبيان أنه على تقدير التحمل لا بد من
ارتفاع موانع زوالها تدريجي يقتضي مهلة ومدة فلما تجلى ربه للجبل أي ظهر له ظهور
المرئي للرائي بأن خلق الله فيه تعالى حياة وحسا وهذا المعنى هو المروي عن ابن عباس
وهو الموافق لمساق الكلام المطابق لأصل السنة والجماعة من صرفه عن الظاهر فقد
دس فيه مذهب الاعتزال جعله دكا الدك والدق أخوان كالشك والشق وإنما قال
دكا مبالغة كرجل عدل والمجاز عقلي فمن فسره بالمدكوك على أنه مصدر بمعنى مفعول والمجاز
لغوي فقد أخرجه إلى شيء مغسول على طريقة كلام عامي مرذول فإن قلت أليس صدق
الكلام صحة المرام يقتضي معنى المدكوك قلت لا نزاع فيه إنما الخلاف في طريق إفادته
وكيفية إرادته من عبارة الدك وقرئ دكاء أي أرضا مستوية وقرئ دكا أي قطعا
جمع دكا نابت أدك وخر سقط موسى صعقا مغشيا عليه كحال من يصيبه
الصعقة لأجل هول ما رأى من تلاشي الجبل وإلا لكان حق النظم العطف بالفاء ولما عطف بالواو
علم أنه لا ترتب على التجلي للجبل فلما أفاق أي من غشيته قال سبحانك تبت إليك قال
الإمام أبو نصر خرج هذا الكلام منه عليه السلام مخرج العادة عند رؤية الأفزاع حسب

ما يجري على ألسنة الأنام عند الإخطار لا عن ذنب يتذكرونه فيتوبون عنه ونظير هذا
التسبيح ما في قول عيسى عليه السلام سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ونظير ذكر
التوبة من غير ذنب ما في قول النبي عليه الصلاة والسلام في كل يوم مائة مرة أستغفر الله
وأتوب إليه وأنا أول المؤمنين أي بما أخبرت به في حق الرؤية من أنه لا يطيقها هذه البنية
للبشر وإنما أخفى عليه السلام إلى ذلك الوقت أنه لا يعطي الخلق رؤيته في الدنيا مع جوازها
ليوجد منه عليه السلام سؤال الرؤية بناء على معرفة جوازها ليتحقق جواز الرؤية بسؤاله
عليه السلام ذلك فيكون حجة قاطعة لأهل الحق على المنكرين له من أهل البدعة قال يا موسى
إني اصطفيتك اخترتك على الناس الموجودين في زمانك وهارون عليه السلام وإن
كان نبيا وأكبر منه سنا لكنه كان وزيرا له مأمورا باتباعه لا كليما ولا صاحب شرع برسالاتي
قرئ على الجمع أن الذي أرسل به ضروب وعلى الإفراد على أن محل الرسالة محل المصدر
الذي هو الإرسال وبكلامي يعني أسفار التوراة وإنما أخره لأن الرسالة أسبق
زمانا أو للانتقال من الشريف إلى الأشرف فخذ ما آتيتك أعطيتك من الرسالة والحكمة
وكن من الشاكرين من المعروفين بالشكر وهذا أبلغ من الأمر بالشكر على النعم بوجوه روي
أن سؤال الرؤية كان يوم عرفة وأعطي التوراة يوم النحر وكتبنا له في الألواح من كل شيء
لفظ كل ههنا للتكثير والتفخيم لا للإحاطة والتعميم كما في قوله تعالى وأوتيت من كل شيء
والألواح جمع لوح وهي الصحيفة المهيأة للكتابة فيها وإنما قال له لأن الوقوف بالمكتوب
فيها على تفصيل كل شيء كان مخصوصا به عليه السلام موعظة تحذيرا لما فرح
عن التقبيح وتبصيرا لمواقع الخوف والحذر وهي مفعول له لا البدل من الجار والمجرور
لأن المعنى الذي ذكرنا مقصودا بالإفادة في المقام وتفصيلا لكل شيء من المصالح
الدينية والدنيوية فخذها عطف على كتبنا على إرادة القول أي فقلنا خذها
والضمير للألواح بقوة بجد وعزيمة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها بواجباتها
فإنها أحسن من غيرها أو مما هو واجب وندب فإنه أحسن من المباح سأريكم من رؤية
العين ولهذا تعدت إلى اثنين دار الفاسقين الذين أهلكهم الله بفسقهم فينتظم
دار فرعون وقومه ودار العمالقة ومنازل عاد وثمود موعظة لطيفة تجري مجرى
الوعيد على ترك الطاعة أي وأمر قومك يأخذوا بأحسنها ويطيعوا ولا يهملوها وبقوله
سأريكم دار من فسق مغفرة لهلاكهم ليعتبروا وقرئ سأوريكم أي سأبين لكم من أوريت
الزند وهي لغة فاشية بالحجاز وقرئ سأورثكم على وفق قوله تعالى وأورثنا القوم
سأصرف عن آياتي في الآفاق حتى لا يتفكروا في خلقها ولا يعتبروا بها وفي نفس
الأمر حتى لا يروا فناءها ويعجبوا بها الذين يتكبرون يتعظمون عن الانقياد للأنبياء

عليهم السلام

عليهم السلام طلبا للعلو والرياسة وإنما قال في الأرض إشارة إلى كونهم من العالم السفلي
الذي لا يليق الترفع بشأن من كان منها تمهيد لقوله بغير الحق أي بدون الاستحقاق
حال من فاعل يتكبرون أو صلة أي يتكبرون بما ليس بحق أي بباطل وفيه إنذار للمخاطبين
من عاقبة المتكبرين الذين طبعوا على قلوبهم بسبب شآمة التكبر فلا يتفكروا في آيات
الله وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها إذ لا يعتبرون بها غفلة وانهماكا فيما يشغلهم عنها
من شهواتهم وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا لاستيلاء الشيطنة عليهم
وقرئ الرشاد وثلاثتها لغة وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا أراهم الله تعالى
السبيلين قال الله تعالى وهديناه النجدين وراهما فآثروا الغي على الرشد وقال تعالى
فاستحبوا الغي على الهدى ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين أي ذلك الصرف
بسبب تكذيبهم بآياتنا وغفلتهم عنها أو نصب على المصدر أي سأصرفهم ذلك الصرف
بسببهما ويجوز أن يكون قوله وكانوا عنها غافلين استئنافا إخبارا منه عنهم أي من
شأنهم أنهم كانوا غافلين عن الآيات وتدبيرها فأورثهم الغفلة التكذيب هذا
ما قيل والوجه عندي هو أن يكون ذلك إشارة إلى التكبر لأن سبب الصرف قد
علم من قوله الذين يتكبرون لما تقرر في الأصول أن ترتب الحكم على الموصول يدل
على علية الصلة له إنما المحتاج إلى البيان سبب ذلك التكبر فالكلام على ما ذكرنا
يكون على أحسن وجوه الانتظام حيث أشار فيه أولا إلى أن سبب الصرف هو التكبر
عن الانقياد بالأنبياء عليهم السلام ثم يصرح بأن سبب التكبر تكذيب المعجزات الدالة على صدقهم
ثم دعوى النبوة وإعراضهم عن النظر فيها ولا بد من صرف القول المذكور عن ظاهره وتأويله
بالوجه المذكور كيلا يكون مظنة الاعتذار من جهتهم والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة من باب
إضافة المصدر إلى المفعول أي ولقائهم الآخرة من باب إضافة المصدر إلى المفعول به أي
ولقائهم الآخرة أي إلى الظرف أي ولقاء ما وعد الله في الآخرة حبطت أي بطلت ولا
أعمالهم فلا ينتفعون بها واحتمال عموم الأعمال للسيئات أيضا قد اندفع بقوله هل يجزون
إلا ما كانوا يعملون استفهام بمعنى النفي أي لا يجزون إلا جزاء ما عملوا من الكفر والمعاصي و
اتخذ قوم موسى من بعده من بعد مفارقته عليه السلام إياهم إلى الطور للميقات من
حليهم الذي استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر وإضافتها إليهم للملابسة لأنها
كانت في أيديهم وأما ما قيل على أنهم ملكوها بعد المهلكين فلا صحة له لفظا ولا معنى أما الأول
فلأن التدافع بين الوجهين يأبى عن عبارة العلاوة وأما الثاني فلأن المهلكين هم الرجال
والحلي كانت لنسائهم وقيل هذا الحلي ما أخذه بنو إسرائيل من قوم فرعون بعد الغرق وعلى
هذا يصح الوجه الثاني والحلي بضم الحاء جمع حلي كثدي وثدي وهو اسم ما يتزين به من الذهب

والفضة وقرئ من حليهم بكسرها بالاتباع كدلي وقرئ بالافراد عجلا لما كان المتبادر
منه ان يكون عجلا حقيقة ابدل عنه قوله جسدا لا روح فيه لم يقل بدنا لان الراس وسائر
الاطراف خارج عنه له خوار صوت البقر قيل ان السامري لما صاغ العجل القى في
فيه من تراب اثر فرس جبريل فصار حيا وقيل صاغ بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفه
ويصوت ولنسبة الاتخاذ اليهم لانهم رضوا بفعله بل لان المراد اتخاذهم الها على ما دل
عليه التشنيع الاتي ذكره وانما حذف قوله الها لدلالة مساق الكلام عليه وفيه ايهام ان ما
صنعوا امر منكر مع قطع النظر عن عبادته وقرئ جوار اي صياح الم يروا انه لا يكلمهم
ولا يهديهم سبيلا تفريع على فرط اضلالهم بالنظر اي الم يروا حين اتخذوه الها انه
لا يقدر على التكلم ولا على الارشاد وكاد المعتبر حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى والقدر
ولما كان الارشاد الى السبيل ممكنا بالاشارة كان نفي الثاني ابلغ فاخر على طريقة الترقي
اتخذوه تكرير للذم اي قدموا عليه من التفظيع وكانوا ظالمين اي قوما عادتهم وضع
الاشيا على غير مواضعها فلم يكن هذا بدعا منهم ولا اول مناكيرهم ولما سقط في ايديهم
كناية عن اشتداد ندمهم وتحسرهم لان من شان النادم الشديد التحسر ان يعض يده
غما فيصير يده مسقوطا فيها لان فاه وقع فيه بلا اختيار وقرئ سقط على البنا للفاعل
لمرض اي وقع العض فيها لان فاه وقع في يده وقال الزجاج انه تشبيه بما يحصل في النفس
وتصوير للمعقول في القلب بمعنا سقط الندم في انفسهم كما يقال حصل في يده مكروه
وراوا وعلموا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا وقرئ ربنا بالنصب على الندا
انقطاع الى الله تعالى واعتراف بعظم ما اقدموا عليه ولما كان ذنبهم اعظم الذنوب بداوا
بالرحمة التي وسعت كل شي من نتائجها غفران الذنب ويغفر لنا بالتجاوز عن الخطيئة
لنكونن من الخاسرين المغبونين في الدنيا والاخرة ولما رجع موسى الى قومه غضبان
صفة مبالغة اسفا شديد الحزن على ما كان منهم في غيبته عليه السلام قال بئسما
خلفتموني اي قمتم مقامي وكنتم خلفا حيث لم يمنعوا من عبدة العجل والخطاب لهارون
عليه السلام والمومنين معه اي بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله
تعالى والخطاب لعبدة العجل من بعدي من ذهابي عنكم او من بعد ما رايتم مني من التوحيد
والدعوة الى عبادة الله تعالى والكف عن عبادة غيره ومن حق الخلفا ان يسيروا سيرة
المستخلف ما نكرة موصوفة مفسرة للمستكن في بئس منصوبة المحل خلفتموني صفة والمخصوص
بالذم محذوف اي بئس خلافة خلفتموها من بعدي خلافتكم اعجلتم امر ربكم اتركتمو
غير تام وكان فيها كل شي وبقي سبع كان فيها المواعظ والاحكام وياباه قوله واخذ الالواح
لان الظاهر ان الماخوذ من الملقى بعينه والقى الالواح طرحها من شدة الغضب

وفرط

وفرط التضجر حمية للدين قيل ان التوراة كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها
انكسرت فرفعت ستة اسباعها اشتهار ما انكار يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام الا
انه ضمن معنى سبق فعدي تعديته يعني لم تنتظروا وعد ربكم الذي وعدنيه من
الاربعين فتركتم الميعاد غير تام لقوله تعالى في موضع اخر الم يعدكم ربكم وعدا حسنا
وروي انهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها اربعين ثم اخذوا ما اخذوا بعدها قال لهم
السامري ان موسى عليه الصلاة والسلام لم يرجع وانه قد مات فتغيروا وما غيرت
الامم من بعد موت انبيائهم عليهم السلام واخذ براس اخيه ولحيته على ما نص
عليه في موضع اخر يجره اليه لفرط ما وهمه من الامر الذي استفزه ظنا بانه
انه قصر في الكف قال ابن ام في ذكر الام مع انهما كانا اخوان لاب وام استعطاف
واسترحام لتذكيره انهما من بطن واحد بلا شبهة فيه وان مراعاة حقها احق واوجب فانه
اعظم لانها هي التي قاست المخاوف والشدائد لاجله وقرئ بكسر الميم وطرح يا الاضافة
اكتفاء بالكسرة وبالفتح لكونها اخف ولتشبيهها بخمسة عشر ان القوم استضعفوني
اي لم يهابوني ولم يستجيبوا لي وكادوا يقتلونني اي بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني
وقاربوا قتلي قاله ازاحة لتوهم التقصير في حقه فلا تشمت بي الاعدا فلا تفعل ما هو
مثلهم من الاستهانة بي وما يشمتون بي لاجله والشماتة فرحة العدو بمصاب عدوه ولا
تجعلني مع القوم الظالمين معدودا من عدادهم بالمواخذة او نسبة التقصير قال رب
اغفر لي ما صنعت باخي ولاخي ضم اليه اخاه في الاستغفار لعسى فرط في حسن الخلافة
ترضية له ودفعا للشماتة عنه وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام علينا وانت ارحم
الراحمين ارحم بنا منا على انفسنا والواو للعطف على مقدر كانه قيل انت الغفور وانت
ارحم الراحمين ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب هو ما امرهم به من قتل انفسهم وانما
قال من ربهم اشارة الى ما في ضمنه من اثر الرحمة حيث كان فيه قبول توبتهم ولهذا
قدمه على قوله وذلة اخراجا لها عن حيز التبعية في الحياة الدنيا هي خروجهم عن
ديارهم وقيل الجزية وكذلك مثل ذلك الجزا نجزي المفترين على الله سبحانه
والافرية اعظم من فريتهم هذا الهكم واله موسى ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم
والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات
وعبادة العجل ثم للدلالة على التمادي لا يضر بعد ما تاب عنها وآمنوا اي اخلصوا الايمان
لان اصل الايمان قد ذكر فيما سبق ان ربك من بعدها من بعد تلك العظائم لغفور
لها وان كبرت كعبادة العجل وكثرت كجرائم بني اسرائيل رحيم بالامهال وترك
الاستعجال في الاخذ بالنكال نكان من عبارة ثم تمهيد لهذا وتكرير من بعدها مع ان اللام

مبالغة في شمول غفرانه وسعة رحمته عظم جرمهم اولا ثم عقبها بعظيم مغفرته ورحمته
تعظيما لا كتعظيمها بل ازيد وازيد ليعلم ان الذنوب وان جلت فان عفوه وغفرانه
وكرمه واحسانه اذا تاب صاحبها واخلص اجل واعظم وفيه تحريض على التوبة وحث
على الاخلاص ولما سكت عن موسى الغضب ممنه معنى نا التعدي بعن اي زال عن
موسى الغضب ساكنا وهو كلام في غاية البلاغة لانه شبه لتنبيه الغضب لشخص
كان المغري عليه على ما فعل بقوله له قل لقومك كذا والق الالواح وخذ براس اخيك
على طريقة الاستعارة بالكناية تكون السكون على حقيقته غير مجاز عن السكون
البلغ وقال الزجاج مصدر سكت الغضب سكت ومصدر سكت الرجل سكوت وهذا
يقتضي انه فعل على حدة وليس من سكوت الناس ويؤيده قول يونس بن حبيب تقول
العرب سال الوادي يومين ثم سكت هو الله تعالى واخره بالاعتذار وقومه بتوبتهم
وفيه اشارة الى حسن انها لي لله تعالى العبد اذا تغير عن حاله وغلب عليه ما لا يليق
واذا كان اولوا العزم من الرسل يغلبه ما نصرفه عن الاختيار فكيف الظن بمن دونه
اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها النسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وفي
المكتوبة اي فيما نسخ فيها بمعنى كتب والنسخ النقل فيقتضي نقل مكتوب من اصل اخر
وقد يطلق على الكتابة وان لم يكن نقل من اخر ويجوز ان يكون المعنى وفيما النسخ بنوا
بنوا اسرائيل من الالواح والواقي وفي نسختها للحال هدى بيان للحق ورحمة
وارشاد الى الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون يخضعون رهبتهم بالله تعالى
والرهبة خوف معه تحرز واضطراب واللام في لربهم دخلت جابرة للضعف العارض
للفعل بسبب تاخره عن المفعول واختار موسى قومه اي اختار موسى بحذف الجار
واوصل الفعل اليه وفيه ايهام وتنزيل جل القوم منزلة كلهم سبعين رجلا القوم
لا يكون الا رجالا فقائدة قوله رجلا دفع احتمال التغليب لميقاتنا روي انه تعالى
امره عليه السلام بان ياتيه في سبعين من بني اسرائيل فاختار من كل سبط من الاسباط
الاثني عشر ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد منكم مثل
اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام
فدخل موسى عليه السلام بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه تعالى يكلم موسى عليه السلام
يامره وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه عليه السلام فقالوا له لن نؤمن لك حتى نرى
الله جهرة فاخذتهم الرجفة فصعقوا منها فلما اخذتهم الرجفة الاهتزاز والتقلقل
للهول العظيم وقيل هي رجفة الجبل قال موسى عليه السلام رب لو شئت اهلكتهم
من قبل واياي تمنى هلاكهم وهلاكه قبل ان يرى ما راى كما قال لتبتلي ببلية لو شاء الله

لاهلكني قبل هذا او استرحم الله تعالى فقال انك قدرت ان تهلكنا بسبب اخر كاقدام
فرعون علينا والاغراق بالبحر وغيرهما فترحمت وانجيتنا فان ترحمت مرة اخرى
لم يبعد من عميم احسانك اتهلكنا جميعا بما فعل السفهاء منا من التجاسر
عن طلب الرؤية وكان القائل بعضهم سفه وقيل المراد به عبادة العجل واختيار
موسى عليه السلام السبعين انما كان لميقات التوبة فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا
حتى كانت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعى وكشفها
الله تعالى عنهم ان هي الا فتنتك ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك فطمعوا في رؤيتك
او احدثت في العجل خوارا فضلوا به والضمير للفتنة تضل بها بالفتنة من تشاء
ضلالة بالتجاوز عن حده او اتباع المخايل وتهدي من تشاء هدايته فيقوى بها ايمانه
وكذا كل ابتلاء انت ولينا مولانا القائم بامرنا فاغفر لنا مغفرة ما فارقنا وارحمنا
بدفع العذاب عنا لما كان هو واخوه عليه السلام من المعصومين من الذنوب فحين سال
المغفرة له ولاخيه لم يؤكد المغفرة بل قال وانت ارحم الراحمين ولما كان تدارج قومه
في قوله انت ولينا وفي سؤال المغفرة والرحمة وكان قومه اصحاب الذنوب اكد استعطا
ربه تعالى في غفران تلك الذنوب فقال وانت خير الغافرين تغفر الذنب الكبير
بالعذر اليسير ثم تجود بالعطا الجزيل الكثير واكتب لنا اي اثبت لنا الكتب يستعمل
في كل ما يخلد في هذه الدنيا زيادة هذه لتنزيل شان الدنيا عن شان الاخرة حسنة
عافية وحياة طيبة وحسن سيرة وتوفيقا للطاعة وفي الاخرة اي فيها حسنة
ايضا وهي الجنة وما فيها انا هدنا اليك تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ
هدنا اليك بكسر الهاء من هاده يهيده اذا حركه واماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل
وللمفعول بمعنى ملنا انفسنا او املنا اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول
منه على لغة من يقول عود المريض قال ان عذابي اصيب به من اشاء تعذيبه بمقتضى عدلي
ورحمتي وسعت كل شيء لا يخلو منها مسلم ولا كافر ولا شيء من الاشيا ولا اختصاص لرحمة
الاخرة بالمسلم على ما بيناه في سورة الفاتحة فساكتبها فالضمير للرحمة للذين يتقون
الكفر والمعاصي ويؤتون الزكاة خصها بالذكر لا لانافتها لانها اخو الصلاة التي هي عماد
الدين بل لانها كانت اشق عليهم لحبهم الدنيا والذين هم باياتنا بجميع اياتنا يؤمنون
لا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون اما جر صفة للذين يتقون او بدل منه بدل الكل
على ان المراد من امن منهم محمد عليه السلام او البعض ونصب على المدح او رفع عليه
اي هم الذين يتبعون خبره يامرهم الرسول النبي الامي وصفه بالرسالة باعتبار تبليغ
الاحكام من الله تعالى وقدمه لانه الاهم حيث وصف به الملك ثم بالنبوة باعتبار انبائه

عن الله تعالى وصفاته واخباره عن الغيوب واحوال الاخرة وفيها جهة عموم اذا اعتبر الرسالة
في بني ادم فلو اعتبر هذه الجهة يكون تقديم الرسالة فبالنظر الى انه ارسله الله تعالى الى
الخلق بانباهم عنه تعالى ثم بكونه اميا تنبيها على ان كمال علمه مع انه لم يقرا شيئا ولم يكتب املا
ليس الا اختصاصا من عنده تعالى واصطفا من لدنه واعجازا والامي الذي هو على صفة
امة العرب قال عليه السلام انا امة امية لا نكتب ولا نحسب كانه نسب الى اللام فان الولد
يولد من امه غير كاتب ولا قاري ولا حاسب الذي يجدونه اي يجدون اسمه ونعته
مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ورفع لذكره واشارة بانه مذكور في كتب الله تعالى
اخبر عنه الانبيا السابقون واقروا بنبوته وزيادة قوله عندهم لافادة انه وجد في الكتابين
المذكورين حال كونهما محفوظين فلا احتمال لان يكون ذلك ملحقا من خارج يامرهم
بالمعروف وينهاهم عن المنكر المعروف ما عرف بالشرع من جهة حسنه والمنكر
ما عرف به من جهة قبحه ويحل لهم الطيبات التي حرمت عليهم كالشحوم وغيرها
ويحرم عليهم الخبايث كالخمر ولحم الخنزير ونحوهما ولشبه الحل والحرمة اليه عليه السلام
لانه مظهرهما والاختلاف في اداة التعدية لما في الثاني من معنى التكليف دون الاول
ويضع ويحط عنهم اصارهم وقرئ اصرهم لانه جنس فيصلح للجمع والاغلال التي
كانت عليهم الاصر والاغلال استعارتان لطيفتان للثقل الذي كان عليهم من التكاليف
الشاقة المانعة عن حركاتهم بمقتضى القوى والقيود التي تمنعهم عن اختيارهم والاصر
في الثقل الذي ياصر صاحبه اي يحبسه عن الحركة اي يخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف
الشاقة كاشتراط قتل النفس في صحة التوبة وقطع الاعضا الخاطئة والقيود الصعبة
كقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنايم وتحريم العروق في
اللحم وتحريم السبت وانما تعيين القصاص في العمد والخطا فقد مر ما فيه فتذكر
ولا خفي في ان ما اريد بالاغلال والاغلال والصق منه فلذلك ذكرها هنا بالاضافة
اليهم دون الاغلال فالذين امنوا به اي بمحمد عليه السلام تكرير لتاكيد مدحهم وتعظيم
بالصفات المذكورة واعلام بانها هي الموجبة لانحصار الفلاح فيهم والفا للترتيب
على ما تقدم وعزروه منعوه من العدو حتى لا يقوى عليه وقرئ عزروه بالتشديد
اي عظموه بالتقوية ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اي مع نبوته اي القران
وانما سمي نورا لانه باعجازه ظاهر امره ومظهر غيره ولانه كاشف الحقايق مظهرها
ويجوز ان يكون متعلقا باتبعوا اي واتبعوا القران مع اتباع النبي فيكون اشارة الى
اتباع السنة اولئك هم المفلحون الاشارة باولئك الى الموصوفين بالصفات المذكورة
والى ان استحقاقهم للفلاح انما هو بسببها وتوسيطهم وتعريف الفلاح وقد مر ما يتعلق

بما

بما غير مرة ومضمون الاية جواز الدعا موسى عليه السلام متضمن لتوبيخ بني اسرايل
على ما صدر منهم من انواع الكفر والمعاصي والتعريض بهم في تكذيبهم بايات الله
العظام التي اجراها على يد موسى عليه السلام بقوله والذين هم باياتنا يومنون وترغيبهم
في الاخلاص والعمل الصالح ببيان حال عقابهم الذين يتبعون الرسول المبعوث في اخر الزمان
وتحريضهم على التصديق بما في التوراة والانجيل من نعته ليوطنوا انفسهم على الايمان به
طمعا في الرحمة التي خصصها بهم في قوله فساكتبها فيحشروا معهم وهم عبد الله بن سلام واضرابهم
قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم الخطاب عام لكل نبي مبعوث الى قومه خاصة ورسولنا
عليه الصلاة والسلام الى الناس كافة بل الى الانس والجن عامة جميعا حال من اليكم
الذي له ملك السموات والارض صفة لله او مدح لنصبه ولا يمنعه الفصل بما هو في حكم
المتقدم اذ نصب المدح او رفع عليه او مبتدا خبره لا اله الا هو وهو على الوجوه الاول
بيان للجملة التي هي الصلة لان من ملك العالم كله لا يكون غيره الها وكذلك يحيي ويميت بيان
لما قبله لانه لا اختصاص به بالالوهية اذ لا يقدر على الاحيا والاماتة غيره فامنوا
بالله ورسوله النبي الامي لما ذكر انه رسول امرهم بالايمان به عليه السلام والتفت عن التكلم
الى الغيبة تعظيما له بتكرار ذكر الرسول واعادة صفات المدح وتنبيها على ان الذي وجب
الايمان به واتباعه هو الموصوف بهذه الصفات لاجلها كاينا من كان وايقاظا للسامع
لئلا يغفل عنه فيتمكن ونفعه في نفسه الذين يومن بالله وكلماته اي ما انزل الله عليه
وعلى جميع الرسل من كتبه ووحيه وقرئ كلمته اي جنس ما تكلم به او القران او عيسى عليه السلام
تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يومن به عليه السلام لم يعتبر ايمانه وقيل كلمته التي
وجدتها الكل وهي قوله كن واتبعوه لعلكم تهتدون جعل رجا الاهتدا اثر الامرين تنبيها
على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد في خطط الضلالة ومن قوم موسى
يعني بني اسرايل امة التنكير للتكثير يهدون بالحق يرشدون الناس محقين او بكلمة
الحق وبه يعدلون والحكم بين الناس وهم الثابتون في الايمان القايمون بالحق
من اهل زمانه اتبع ذكرهم عبدة العجل كما هو عادة القران في الجمع بين السعدا والاشقيا
في الذكر تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل وفيه دفع ما اوهم تخصيص
الرحمة في جواب دعا موسى عليه السلام بالذين يتبعون الرسول في اخر الزمان ان غيرهم كلهم
اهل الضلالة وقيل هم مومنوا اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين راهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليلة المعراج فامنوا به وقطعناهم اثنتي عشرة مفعولان على تضمين قطعنا معنى
صيرنا او حال وتانيثه على تاويل القطعة او الفرقة اسباطا بدل منه ولذلك جمع او
تمييز وجمع لانه اراد اثنتي عشرة قبيلة كل قبيلة اسباطا بدل منه ولذلك جمع او تمييز

وبيت

وجمع لانه اراد اثنتي عشرة قبيلة كل قبيلة اسباط لا سبط فوضع اسباط موضع قبيلة للدلالة
على ان كل واحدة منها اسباط تحقيقا لعلي هذا اسباط قائم مقام المفرد اممًا بدل من اثنتي
عشرة او من اسباط او نعت لها وفيه اشارة الى ان كل واحدة من الاسباط كانت امة كثيرة
العدد يؤم كل واحدة منهم خلاف ما يؤمه الاخرى لا تكاد تأتلف وتتفق والباقي من تفسيره
في سورة البقرة واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه في التيه ان اضرب بعصاك الحجر
فانبجست منه اثنتا عشرة عينا اي فضرب فانبجست وحذفه للتقصير للفظ وتكثير
المعنى وهو ابلغ وجوه الايجاز وذلك ان فيه اشعارا بان الانفجار مسبب عن الانجار مرتب
عليه وان الضرب لا تأثير له فيه بذاته وان موسى عليه السلام لم يتوقف في الامتثال
فالدلالة عليه في قوله فضرب محذوفا كان او مذكورا والانبجاس خروج الماء الجاري بقلة
والانفجار خروجه بكثرة وكان الابتداء بقلة ثم تكثر للاتساع قد علم كل اناس كل سبط
اسم جمع وكرها ونا لا جمع تكسير وجمع اناس اصله كسر الهمزة كشعب وشعاب فابدلت
الكسرة ضمة مشربهم وظللنا عليهم الغمام ليقيهم الحر وانزلنا عليهم المن والسلوى
كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون
قد مر تفسيره في سورة البقرة واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية باضمار اذكروا والقرية
بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة
مثل ما في سورة البقرة غير ان هناك ادخلوا وهنا اسكنوا والسكنى يتعقب الدخول فامروا
هناك بالمبتدا وهنا بما تسبب عنه وهناك فكلوا بالفاء وهنا بالواو وذلك لان الدخول
حالة منقضية فحسن ذكر فاء التعقيب بعده والسكنى حالة تدوم فالاكل فيها [illegible]
السكنى المذكور هنا فانها حالة استقرار بدا طمينان فليس الاكل فيها كالاكل عند الدخول
وانما تقديم الحطة على الدخول وتأخيرها عنه فلا تفاوت فيه لان الواو للجمع لا للترتيب
واما قوله واذ قيل مقام واذ قلنا على حذف الفاعل للعلم وانما انزلنا وارسلنا ويفسقون
ويظلمون فمن واد واحد نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين وعدنا الغفران والزيادة
عليه بالاثابة وانما اخرج الثاني مخرج الاستئناف للدلالة على انه تفضل محض ليس في
مقابلة ما امروا به ومبناه العفو لعن الواو والمطابقة بينها في سورة البقرة الدالة على التسبب
في المقابلة المذكورة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء
بما كانوا يظلمون مر تفسيره في سورة البقرة واسألهم المراد من سؤالهم التقريع بقديم
كفرهم واعتدائهم حدود الله تعالى والتقرير والاعلام بان هذا من العلوم التي لا تعلم
الا بالتعليم او بالوحي ولم يتعلم عليه السلام قط فهو حجة لانه معجزة عن القرية عن
خبرها او حال اهلها وهي ايلة التي كانت حاضرة البحر قريبة منه على شاطئه بين مدين

والطور

والطور وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية اذ يعدون في السبت
اذ يتجاوزون حد الله تعالى في تعظيم السبت بالاصطياد واذ ظرف لكانت او حاضرة او
للمضاف المحذوف ولا يجوز ان يكون بدلا منه بدل الاشتمال لان اذ من الظروف التي
لا تتصرف ولا يدخل عليها حرف جر وجعلها بدلا يجوز دخول عن عليها لان البدل على نية
تكرير العامل وانما يتصرف فيها بان اضيف اليها بعض الظروف الزمانية نحو يوم اذ كان
كذا وقرئ يعدون واصله يعتدون ادغمت التاء في الدال ونقلت حركتها الى العين
ويعدون من الاعداد اي يعدون الات الصيد فيها لتعظيم السبت او يوم السبت
وقد نهوا عنه وامروا ان لا يشتغلوا فيه بغير العبادة اذ تأتيهم حيتانهم ظرف
ليعدون واحتمال الابدال قدم وجه بطلانه يوم سبتهم شرعا يوم تعظيمهم للسبت
مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتهم بالتجرد للعبادة وقيل اسم اليوم والاضافة
لاختصاصهم باحكام فيه ويرجح الاول قراءة يوم اسباتهم وقوله ويوم لا يسبتون
لا تأتيهم وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون
في السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا اذا دنا
واشرف وقيل اي مقبلا اليهم مصطفا كما تقول اشرعت الرماح اذا مدت مصطفة
والحيتان جمع حوت واكثر ما يستعمل العرب الحوت في معنى السمكة واختلف في اطلاق
اسم السمكة على ما سوى الحوت في الحيوانات البحرية والذي نص عليه الشافعي في الام
والمختصر انها تطلق على الجميع قال صاحب الروضة وهو الصحيح كذلك مثل ذلك
البلاء الشديد والظاهر ان الاشارة الى ابتلائهم باتيان الحيتان يوم السبت وعدم اتيانها
في سائر الايام نبلوهم بما كانوا يفسقون بسبب استمرارهم على الفسق واذ قالت
عطف على اذ قبلها امة منهم جماعة من اهل القرية من صلحائهم الذين بالغوا في
وعظهم وبذلوا المجهود في نهيهم حتى ملوا ويئسوا من قبولهم وتفرسوا من حالهم ان الوعظ
لا يؤثر فيهم فتركهم لاخرين منهم لم يتركوا موعظتهم لم تعظون قوما الله مهلكهم اي قد
اشرفوا على ان يهلكهم الله تعالى مستأصلهم او معذبهم عذابا شديدا غير مستأصل قالوا
معذرة الى ربكم اي معذرتنا معذرة الى الله تعالى لئلا ننسب الى تقصير في النهي عن المنكر
وقرئ معذرة بالنصب اي نعظهم معذرة على انه مفعول له او نعتذر معذرة على
المصدر ولعلهم يتقون ولطمعنا في ان يتقوا بعض الاتقاء فلما نسوا تركوا ما
ذكروا به ما ذكرهم به الصلحاء وجعل الترك نسيانا مبالغة اذ اقوى احوال الترك
ان ينسى المتروك انجينا الذين ينهون عن السوء هي عامة في المعاصي ويدخل فيها
صيد الحوت دخولا اوليا واخذنا الذين ظلموا بالارتكاب للمنكر وفيه تنبيه على ان

العلة للاخذي الظلم بعذاب بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقرئ بئس
كحذر وبيس كطير على تسكين العين للتخفيف ونقل حركتها الى الباء ككبد في كبد وقرئ بيس على
قلب الهمزة ياء كما قلبت في ذيب او على انه فعل الذم وصف به جعل اسما وقرئ بيس كريس على قلب همزة
بئس ياء وادغام الياء فيها وبيس على تخفيف بئس كهين في هين بما كانوا يفسقون بسبب استمرارهم
على الفسق فلما عتوا عما نهوا عنه طغوا وتكبروا عن ترك ما نهوا عنه وزادوا طغيانا وتمردا
قلنا لهم على طريقة الامر التكويني كونوا قردة اي مسخناهم دفعة خاسئين اذلاء
متبعدين على الناس وقد مر ما يتعلق بهذا في سورة البقرة والظاهر من المعنى ان الله تعالى
عذبهم اولا بعذاب شديد فلم ينتهوا وعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل لما عتوا تكرير وتقرير
لقوله فلما نسوا والعذاب الشديد هو المسخ وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم واذ تاذن
ربك تاذن عزم وهو تفعل من الايذان وهو الاعلام لان العازم على الامر يوذن نفسه
بها ويحدثها ومثله في الفعل بمعنى الافعال توعد بمعنى اوعد واجري مجرى القسم كعلم
الله وشهد الله ولذلك اجيب بما يجاب به القسم وهو ليبعثن عليهم اي عزم ربك واوجب
على نفسه ليسلطن على اليهود الى يوم القيامة من يسومهم يكلفهم سوء العذاب
بعث الله اليهم بعد سليمان عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبا
نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس الى ان بعث
محمد صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم لا الى اخر الدهر بل الى نزول عيسى عليه السلام لانه
بعد نزوله يضع عنهم الجزية ما ورد في الحديث المرفوع وعند ذلك ينقلب تكليف
الجزية الى شدة وهو تكليف الاسلام بالقتل وسوء العذاب ينتظمها ويجوز ان يكون المراد
يوم القيامة وقت ظهور بعض شرائطها فلا حاجة الى تعميم سوء العذاب والله اعلم
بالصواب ان ربك لسريع العقاب لا يحتاج الى اعداد الالات واحضار الاسباب
وانه لغفور رحيم لمن تاب واناب وقطعناهم في الارض وفرقناهم في اقطارها بحيث لا يخلو
قطر منهم تتميما لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة بالاجتماع امما مفعول ثان او حال
منهم الصالحون الذين امنوا بالمدينة ونظراؤهم والصالحون فاعل للظرف لاعتماده على
الموصوف او مبتدا ومنهم خبره والجملة صفة لامما ومنهم دون ذلك دون صفة لمبتدا
محذوف ناس من دون ذلك الوصف منحطون عن درجة الصلاح وهم الفسقة والكفرة
وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون عما كانوا عليه
بالانتهاء فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف بدل سوء وهو مصدر
نعت به ولذلك يستوي فيه الواحد والكثير وقيل جمع قال ثعلب الناس كلهم
يقولون خلف صدق للصالح وخلف سوء للطالح وكانه فاعل عن قول حسان في المدح

لنا القدم

لنا القدم الاولى اليك وخلفنا لاولنا في طاعة تابع
والمراد بالذين كانوا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب التورية من اسلافهم
يقرؤونها ويقفون على ما فيها ولا يعملون بها وفي عبارة ورثوا اشارة الى انها وصلت اليهم بالاستحقاق
منهم كما يصل المال المورث من المورث الصالح الى الوارث ياخذون عرض هذا الادنى
اي حطام هذا الشيء الادنى وهو ما ياخذونه من الرشى في الاحكام على تحريف الكلم للتسهيل على
العامة والادنى من الدنو بمعنى القرب لان الشيء الحقير سهل التناول قريب الماخذ واما
من الدناءة بمعنى الخسة والمراد به الدنيا ويستمتع به منها واشارة بهذا المزيد التحقير والجملة
حال من ضمير ورثوا او صفة بعد صفة ويقولون سيغفر لنا اي اذا عوتبوا على ذلك
اعتذروا بما يرجونه من سعة رحمة الله تعالى ويقولون لا يواخذنا الله بما اخذنا ويتجاوز
عنا وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسندا الى الجار والمجرور او الى مصدر ياخذون وان
ياتهم عرض مثله ياخذوه حال من الضمير في يقولون اي يرجون المغفرة جازمين بها وهم
مصرون على ذنوبهم ولا يتوبون عنها الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب اي العهد الذي في
التوراة ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اي بان لا يقولوا
اي لا يفتروا على الله وهو القطع بالمغفرة مع الاصرار على الذنب وهو خلاف ميثاق الكتاب
ويجوز ان يكون مفسرة ولا يقولوا نهيا كانه قيل الم يقل لهم ان لا يقولوا الى اخره وان
فسر الميثاق بما بين فيه وهو ان من ارتكب ذنبا عظيما لا يغفر الا بالتوبة كان ان لا يقولوا
نهيا كانه قيل الم يقل لهم ان لا يقولوا الى اخره وان فسر الميثاق بما بين فيه وهو ان من ارتكب
ذنبا عظيما لا يغفر الا بالتوبة كان ان لا يقولوا مفعولا له اي لئلا يقولوا ودرسوا ما فيه الظاهر
انه عطف على ورثوا وقوله الم يوخذ اعتراض وحال بتقدير قد وقيل عطف على الم يوخذ من حيث المعنى
لانه تقرير له كانه قيل اخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه ومعنى الهمزة في الم يوخذ
تقريع وتوبيخ على اخذ الرشوة والقطع بالمغفرة ولهذا فتح تعليم بوجوه اولها انه خلاف ميثاق
الكتاب الثاني انه افتراء على الله تعالى الثالث التاكيد بقوله ودرسوا ما فيه اي من اشتراط التوبة
من غفران الذنب الرابع قوله والدار الاخرة خير اي من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون
الرشى وهو تعريض بانهم يستحلون الدنيا على الاخرة ويستبدلونها ثم التاكيد بقوله افلا يعقلون
اي ياخذون العرض الحقير فلا يعقلون ان الدار الاخرة خير فلا يبيعون الشريف الباقي
بالخسيس الفاني وقرئ تعقلون بالتاء على الالتفات وفي الابهام بقوله ان لا يقولوا تنبيه على
عظيم ما يرتكبونه والذين يمسكون الكتاب واقاموا الصلاة وتخصيصها بالذكر لانها عماد الدين
وام العبادات والجملة عطف على الذين يتقون افلا يعقلون اعتراض بينهما انا لا نضيع اجر
المصلحين اعتراض اخر او مبتدا خبره انا لا نضيع اجر المصلحين اي منهم او على وضع الظاهر موضع

الضمير تنبيهاً على ان الاصلاح كالمانع من التضييع وايماء الى انهم مفسدون بما يفعلون واذ نتقنا
الجبل اي قلعناه من الاصل ورفعناه فوقهم يقال نتقت الدابة صاحبها حين تعدو به اي
حركته ودفعته او استئناف للتعليل الخبر المحذوف كانه قيل توفيهم اجورهم انا لا نضيع
اجر المحسنين كانه ظلة في موضع الحال من الجبل والظلة كل ما ظل من سقيفة او سحاب
وقرئ بالطاء المهملة من اطل اذا اشرف وظنوا انه واقع بهم ساقط عليهم وذلك انهم
ابوا ان يقبلوا احكام التوراة لثقلها فرفع الله تعالى الطور فوقهم وقيل ان قبلتم ما فيها
والا ليقعن عليكم وهذا لا يقتضي تيقنهم بوقوع الجبل بهم وكذا عدم ثبوت الجبل في الجو لا يتيقن
لانه جري على العادة واما على تقدير خرقه فلا يتيقنه وعدم وقوع المتعلق لا يصلح
وجهاً لاطلاق الظن على الاعتقاد الجازم لعدم الفرق بينهما في عدم الاقتضاء لوقوعه فالوجه
ان يكون الظن هنا على حقيقته خذوا على اضمار القول اي وقلنا خذوا او قائلين خذوا
ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزم على احتمال تكاليفه ومشاقه وهو حال من الواو
واذكروا ما فيه بالعمل به ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون ما انتم عليه من قبائح الاعمال
ورذائل الاخلاق واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم اي اخرج من اصلابهم نسلهم
اي ما يتولد قرناً بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض والضمير لآدم عليه
السلام وبنيه لا لبنيه خاصة ولا يلزم اخراج اولاده من حين الارادة واما عيسى عليه
السلام فخارج من ظهر جده بواسطة امه واشهدهم على انفسهم الست بربكم اي نصب
لهم دلائل ربوبيته وركب على عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل
لهم الست بربكم وترك تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة
التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا بلى في سؤال النفي اثبات فكان اقراراً والاقرار
بدون الاعتقاد لا يكون شهادة ولهذا رد الله تعالى قول المنافقين قالوا نشهد انك لرسول
الله والتصديق ثبت بمقتضى قولهم شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا
غافلين لم ننبه عليه او تقولوا عطف على ان يقولوا وقرئ كلاهما بالياء بناء على
ما عليه اول الكلام من الغيبة انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم
فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذراً
افتهلكنا بما فعل المبطلون اي تعذبنا بتلبس آبائنا المبطلين الشرك وجعلهم اياه
سنة لنا تهلكنا بما فعلوه وكذلك ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الآيات
قطعاً لعذرهم ولعلهم يرجعون اي نميز بعضها عن بعض ليتمكنوا عن الاستدلال
بها ويرجعوا عن التقليد واتباع الباطل والواو للعطف لمقدر تنبيهاً عليه وقيل لما
خلق الله تعالى آدم عليه السلام اخرج من ظهره ذرية كالذر واحياهم وجعل لهم العقل

والنقل

والنقل والمهم ذلك الخبر رواه عمر رضي الله عنه والمقصود من ايراد هذا الكلام هنا
الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعد ما الزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية
ومنعهم من التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال واتل عليهم اي على اليهود نبأ
الذي آتيناه آياتنا هو احد علماء بني اسرائيل وقيل من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء اي
اوتي علم كتب الله تعالى فانسلخ منها بان كفر وخرج عن حكمها فاتبعه الشيطان خطوا
اي جعله تابعاً له وقيل استتبعه او اتبعه بمعنى فادركه ولحقه وصار قريناً له فكان
من الغاوين فصار من الضالين وقيل هو امية بن ابي الصلت كان قد قرأ الكتب
وعلم ان الله مرسل في ذلك الزمان رسولاً وتوقع ان يكون فلما بعث محمد صلى الله عليه
وسلم حسده وكفر به لنسبة ايتاء الآيات الى الله تعالى وخروجه عن حكمها اليه
اشعاراً بان الكمال انما يكون بحسب استعداد العبد فاعطاه الله اسباب الكمال ولكنه
بحسب استعداده الى الجهة السفلية خرج عن حكمها فتسبب الشيطان فاغواه
فشقي بها ولو علق رفعه بمشيئة الله تعالى واستدرك عنه بفعل العبد تنبيهاً على ان المشيئة
سبب لفعله الموجب لرفعه وان عدمه دليل عدمها لاستلزام انتفاء المسبب وان السبب
الحقيقي هو المشيئة وان الاسباب والوسائط في حصول المسبب اذا تعلقت المشيئة به كذلك
ولو شئنا لرفعناه بها الى منازل الابرار من العلماء لان مراد الله تعالى لا يتخلف ولكن حكمته
اقتضت ان يتبع ارادته اختيار العبد واشير الى هذا حيث قال في موقع ولكن لم نشأ ولكنه
اخلد الى الارض فذكر فعل العبد لا فعله مال الى الدنيا او الى السفالة واتبع هواه
في ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى آيات الله تعالى ووضع قوله اخلد الى
الارض فحططناه من مقابلة لرفعناه فوضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه ابلغ
حط واذله مبالغة اي صفته كصفة الكلب الذي مثل في الخسة في اخس احواله واذلها
وهو دوام اللهث سواء حمل عليه وهيج او ترك ولم يهج على ما ذكر بقوله وان تحمل عليه يلهث
دائماً لضعف قلبه وحرارته بخلاف سائر الحيوانات فانه يلهث عند التحريك والازعاج
ولا يلهث عند التوديع والاجمام واللهث هو ادلاع اللسان من النفس الشديد الذي يلحق الانسان
وغيره من شدة الاعياء وهو في الكلاب طبع وقد يكون من العطش محل الجملة الشرطية النصب
على الحال اي كمثل الكلب لاهثاً في الحالين والمراد به التمثيل ان الاستعداد الخبيث لا يكون
من موجبات الترقي واسباب الكمال والسعادة بل يزيده نقصاً وانحطاطاً وشقاوة كما لم
ينفعه الآيات بل زادته رجساً الى رجسه ووجه التمثيل ان ايتاء الآيات واسباب السعادات
كالتوديع والاجمام وضلاله واستعداده كلهث الكلب وطبيعته ولهذا قيل معناه ان
وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا يعني

ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث

لا اختصاص للتمثيل المذكور بالذي ورد في حقه بل يعمه وامثاله من المكذبين باياتنا كما لا اختصاص
للاحكام النازلة باسباب نزولها ومن هنا يتضح وجه التفريع في قوله فاقصص القصص
المذكور المشتملة على التمثيلات المشبهة لمن حاله كحالهم لعلهم يتفكرون فيه فيتعظون
ويحذرون مثل عاقبته ساء مثلا القوم الذين كذبوا باياتنا ساء بمعنى بئس واصلها
التعدي تقول ساءني الشيء يسوءني ثم لما استعملت استعمال بئس بنيت على فعل وجرت عليها
احكام بئس ومثلا تمييز للضمير المستكن في ساء فاعلا وهو مفسر لهذا التمييز فاحتيج
الى تقدير مضاف اما في التمييز اي ساء اصحاب مثل القوم واما في المخصوص ساء مثلا مثل
مثل القوم وهذه الجملة تاكيد للجملة السابقة وانفسهم كانوا يظلمون بعد قيام الحجة
وعلمهم فيها اما معطوف على كذبوا فيكون في حيز الصلة اعتراضا للبيان اي وما ظلموا بالتكذيب
الا انفسهم لان وباله لا يتعدى الا اليها ولهذا التخصيص قدم المفعول وهذا الاخير احسن
من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون لما تقدم ذكر المهتدين والضالين
اخبر تعالى انه المتصرف فيهم بما شاء من هداية وضلال وفيه تصريح بان الاهتداء مخصوص بمن
يهدي الله تعالى وتنزيل للهداية التي لم يترتب عليها الاهتداء منزلة العدم واما اختصاص
هدايته تعالى ببعض دون بعض واستلزامها للاهتداء فيرده قوله تعالى واما ثمود فهديناهم
فاستحبوا العمى على الهدى وفي الافراد في الاول والجمع في الثاني اعتبار باللفظ في الاول والمعنى
في الثاني والتعبير عن لفظ الضالين تنبيه على ان المهتدين كنفس واحدة لاتحاد طريقهم
بخلاف الضالين فان لهم طرقا لا تنحصر وان اجتماعهم لا يجدي نفعا في دفع الخسران اللازم
اضلالهم وفي الاقتصار في الاخبار عمن هداه تعالى بالمهتدين تعظيم لشان الاهتداء وبيان
انه في نفسه كمال تام لو لم يكن غيره لكفى نفعا جليلا وربحا وافيا لانه المستلزم للفوز الاكبر
والعنوان لجميع الكمالات ولقد ذرانا خلقنا لجهنم لمصلحته فانه يظهر جلال
الله تعالى وقهره فلا يناسب الحكمة تعطيله وفيه تنبيه على سبب خلقه تعالى من لا حظ له
من الاهتداء كثيرا من الجن والانس قدم الجن على الانس لان الكلام في مقام التحقير
والاذلال وهم المطبوع على قلوبهم الذي علم الله تعالى انه لا ينجع فيهم الدعوة الا الحق
والايات لهم قلوب لا يفقهون بها اذ لا يلقون اذهانهم الى النظر في الدلايل ولا الاذهان
الى النظر في الدلايل ولا اذانهم في طلب الحق ومعرفته ولهم اعين لا يبصرون بها اي
لا ينظرون بها نظر اعتبار الى ما خلق الله تعالى ولهم اذان لا يسمعون بها ايات الله تعالى
اسماع تدبر وتامل فكانه لا ادراك لقلوبهم ومشاعرهم جعلها مساوية الفهم والادراك
ثم شبههم بالانعام في عدم الفقه والاعتبار الفهم اوان مشاعرهم لا تتوجه الا الى اللذات
الحسية وامور المعاش لا تطمح ابصارهم ولا تلتفت بصائرهم الى امور المعاد اولئك كالانعام

بل هم اضل لانها مع عدم الفعل تجتنب المضار وتجلب اسباب المسار بخلاف الكفار فانهم
على عكس هذا كيف وهم يصرون على الكفر والانكار والاصرار يوردهم الاصرار في هذه
الدار ودار القرار اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة بسبب كونهم اضل من
الانعام وهو الغفلة عما اعد الله تعالى لاوليائه من الثواب ولاعدائه من العقاب وفي
الاية تعريض من اليهود ببيان ما هو صورة حالهم ولله الاسماء الحسنى التي هي احسن
الاسماء لدلالتها على المعاني التي هي اشرف المعاني فادعوه بها لا بغيرها ولا تدعوا
غيره بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الذين يميلون في اسمائه
عن الحق الى الباطل فيسمونه بما لا توقيف فيه او بما يوهم فيه معنى فاسدا كقول اهل
البدو يا ابا المكارم يا ابيض الوجه والذين يزيفون في اسمائه فيطلقونها على غيره تعالى
كقولهم ما نعرف الرحمن الا رحمان اليمامة فلا تبالوا بانكارهم واتركوهم والحادهم
او ذروهم والحادهم في اطلاقها على اصنامهم لتسميتهم الهة واشتقاقهم اسمائها منها
كاللات من الله والعزى من العزيز فلا توافقوهم فيها واعرضوا عنهم فان الله تعالى
مجازيهم كما قال سيجزون ما كانوا يعملون والتركيب على هذا الوجه ادل وقرئ
يلحدون بالفتح يقال لحد والحد اذا مال عن القصد ولما قال ذرانا لجهنم كثيرا كالضالين
الغافلين والملحدين نفاه بما دل انه خلق للجنة كثيرا وهو قوله وممن خلقنا امة
يهدون بالحق وبه يعدلون في الحكم اي في كل قرن طايفة بهذه الصفة لقوله
عليه السلام لا يزال طايفة بهذه الصفة من امتي على الحق الى ان ياتي الله ففيه دلالة
على صحة الاجماع والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم اي بايات الله التي تضمنها القران
لقوله تعالى فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم الاستدناء الى الهلاك قليلا
قليلا يقال درج الكتاب اذا طواه شيئا بعد شيء قال الخليل اي سنطوي عمرهم في اغترار
منهم وهو من الدرج بمعنى اللف ومنه ادرج الميت في اكفانه وقيل هو من الدرجة فهو
في الاصل التقريب من المقصود درجة درجة بالاصعاد والاهباط ثم اتسع فاطلق على
التقريب منه قليلا قليلا ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه والفرق بين المعنيين
واضح وان اشتمله على ذكر المعنى الثاني وقال ومنه درج الكتاب من حيث لا يعلمون
انه استدراج حيث جدد لهم النعمة كلما جددوا ما يستحقون به من النقمة فاغتروا به
حتى اذا فرحوا اخذناهم بغتة واملي لهم امهلهم وادخر عذابهم من الملي تقبله
الى ان يقال مضى عليه من الدهر ملاوة بفتح الميم وضمها وكسرها اي قطعة منه
عطف على سنستدرجهم اذ لا حاجة الى ادخاله في حكم السين فان الاملا يلزمه الاستدراج
المذكور لزوما بينا فتاكيده يغني عن تاكيد هذا لمن قال عطف على سنستدرجهم

ثم قال وهذا داخل في حكم السين فنفذ اخطاه مرتين وانما لم يقل نملي لهم على وفق لنستدرجهم
للفرق بينهما فان الاستدراج بالتدبير العادي الذي يتوسط فيه المدبرات اثر او الاملاء
بالتقدير الالهي الذي لا دخل فيه لاحد ان كيدي الكيد الاخذ على خفا فاطلاقه هنا
على الحقيقة لا على التشبيه كما يزعمه من قال وانما سماه كيدا لانه على صورته ولا يعتبر
فيه اظهار خلاف ما ابطنه وبه يفارق المكر فانه يشارك الكيد في الاخذ المذكور ويمتاز
عنه باشتماله القيد المذكور متين شديد لا قوي اصله من المتن وهو اللحم
الغليظ الذي على جانب الصلب وهما متنان اولم يتفكروا الاستفهام للتعجب والواو
للعطف على محذوف تقديره اولم يعلموا او يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا صلى الله عليه
وسلم من جنة اي جنون من مس الجن وكانوا يقولون عليه السلام فيه شاعر مجنون
بالغ في نفي الجنون عنه عليه السلام بنفي الجنة منكرا قاصدا بتنكيرها التقليل اذ ليس به
شيء من الجنة وبزيادة من الدالة على نفي ما ينسب اليها ايضا فان لم يكن منها حقيقة وفي
تقديم بصاحبكم تعريض لهم وفي عبارة الصاحب ونسبته اليهم اشارة الى انه لو كان به عليه
السلام تلك الحال لما خفيت عليكم لما بينكما من المصاحبة والمخالطة ان هو الا نذير مبين عن
قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم باس الله تعالى
فقال قائلهم ان صاحبكم هذا المجنون بات يصوت الى الصباح فنزلت فالمعنى ما هو عليه
السلام في تلك الا منذر مبين موضح انذاره باعلى صوت اولم ينظروا نظر استدلال
في ملكوت السموات والارض فيما يدلان عليه من عظيم ملكه او فيما يملك به السموات
والارض من ملكوتها فان الملكوت الملك العظيم والملائكة اي جنس الملائكة المدبرة لهما بامره
تعالى ثم انه لم يقتصر على الحث على النظر في الملكوت بل نبه على ان كل فرد من الموجودات
محل للنظر والاعتبار والاستدلال على وجود الصانع ووحدانيته كما قيل وفي كل شيء له
اية تدل على انه واحد فقال وما خلق الله من شيء وفيما خلق الله تعالى من كل ما يقع
عليه اسم الشيء مما لا يمكن حصره ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدانية فاطرها وعظم
شان مالكها ومدبرها فيعلمون صحة ما يدعوهم اليه وفي امكان اقتراب اجلهم فلعلهم يموتون
عن قريب فيسارعون الى النظر فيما يهديهم الى الحق ويبادرون من العمل الى ما ينجيهم من العذاب
قبل مفاوضة الاجل وحلول العقاب على ما ذكره بقوله وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم
عطف على ملكوت وان مخففة من الثقيلة اصله انه والضمير فيها وفي يكون ضمير الشان
والحديث اي وفي ان الشان عسى ان يكون قد اقترب الاجل فباي حديث بعده
اي بعد القرآن يؤمنون متعلق بعسى ان يكون اي لعل اجلهم قد اقترب فما بالهم
لا يبادرون الى الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوحه ولزوم الحجة

عليهم

عليهم وقبل فواته ما امنوا الا لكونهم مطبوعا على قلوبهم لما ارشدهم الى الاستدلال وحرضهم
على النظر في امكان قرب الاجل انكر عليهم التثبط عن الايمان ثم قرر معنى الانكار وما
وما يلزمه وعلل ذلك بقوله من يضلل الله فلا هادي له نفيا عاما ان يكون هاديا
لمن اضله الله تعالى فيتضمن الياس من ايمانهم والمقت لهم ويذرهم بالرفع اعتراض للبيان
وهو يذرهم وقرئ ونذرهم بالياء لقوله من يضلل الله وقرئ به وبالجزم عطفا على
محل فلا هادي له كانه قيل لا يهده احد غيره ويذرهم في طغيانهم يعمهون
حال من هم يسالونك عن الساعة اي عن يوم القيامة لقوله تعالى يسال ايان يوم
القيامة وهو من الاسماء الغالبة واطلاقها على ذلك اليوم اما لوقوعها بغتة او لسرعة
حسابها او لانها على طولها كساعة عند الله تعالى وقيل اصلها ساعة قيام الناس لاصاخة
لبيك الله فلما غلبت تعينت فاستغنت عن الاضافة وعلى هذا لا حاجة الى وجه التسمية
ايان مرساها ايان بمعنى متى وقيل اشتقاقه من اي واي من اوبت راجع او الى الكل
ويمكن ان يكون تركيبها من اي مع الان فركبتا لان معناه اي وقت مرساها مصدر اي
ارساؤها او اسم زمان والارساء الاثبات من الرسو وهو ثبات جسم ثقيل وقرئ ومنه
رساء الجبل ولا اثقل من الساعة كان النبي عليه الصلاة والسلام يدعوهم الى الايمان والطاعة
وينهاهم عن الكفر والمعصية ويحذرهم قيام الساعة فقالوا متى هي قل انما علمها
عند ربي استاثره به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لما كان السؤال عن
الساعة يوما ما خصص من حيث الوقت فقيل لا يجليها لوقتها الا هو اي لا يبينها ولا
يكشف امرها الناس واللام للتاقيت كما في اقم الصلاة لدلوك الشمس والمعنى ان الخفاء
بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها ولا يظهرها الا في ذلك الوقت الذي تقع فيه بغتة بنفس
الوقوع لا بالاخبار عنها ليكون ادعى الى الطاعة وانهى عن المعصية كاخفاء الاجل الخاص
الذي هو وقت الموت ثقلت في السموات والارض اي شقت وكبرت على اهلها من
الملائكة والثقلين لشدة هولها وعظمها كانه اشارة الى حكم اخفائها اي لا يطيقون حمل اخبارها
او ثقل اخفاؤها عليهم لان ما خفي امره ثقل على النفوس لا تاتيكم الا بغتة فجاة على غفلة
منكم كما قال تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون وقد ورد في الحديث
ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في
السوق والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسالونك اي عن الساعة كانك حفي عنها حفي
فعيل من حفي عن الشيء اذا بالغ في المسيلة عن الشيء استحكم علمه والنفس ولهذا عدي بعن
اي كانك بليغ في السؤال عنها حتى احكمت علمها وقرئ حفي بها اي عليم بليغ في العلم بها قل انما
علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون كرره بتكرير يسالونك لما نيط به من زيادة قوله

كانك حفي عنها التاكيد والمبالغة قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا جلب نفع ودفع ضرر
اظهار العبودية وتبرا مما يختص بالربوبية من علم الغيب اي كسائر المماليك والعبيد لا املك
لنفسي شيئا الا ما شاء الله من ذلك فيلهمني اياه ويوفقني له ولو كنت اعلم الغيب
لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ولو كنت اعلم لخالفت حالي ما هي عليه من استكثار
الخير باختلاف المنافع والاستخلاص عن الشر باجتناب المضار حتى لا يمسني شيء فيه طبع البشر
وفيه دلالة على انه لا تاثير للقدرة والا لما امكن التغيير بالتبديل على تقدير العلم باسباب
النفع والضر فتدبر فانه موضع النظر عن ابن عباس رضي الله عنه قال اهل مكة الا يخبرك
ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فنشتري ونربح وبالارض التي تريد ان تجدب فنرتحل
عنها الى ما اخصب فنزلت ان انا الا نذير وبشير الا عبد ارسلت نذيرا وبشيرا
لقوم يؤمنون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوف للتعميم لقوله تعالى ان انذر
الناس وبشر الذين امنوا هو الذي خلقكم من نفس واحدة هو ادم عليه السلام وجعل
منها من جنسها لقوله وجعل لكم من انفسكم ازواجا زوجها حوى ليسكن اليها ليطمئن
الشيء الى جنسه فيأنس بها ويطمئن اليها وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليبين ان المراد منها
ادم عليه السلام ويوكد معنى الانس والميل لان الذكر بالانثى انس واليها اميل وليناسب قوله
فلما تغشاها التغشي كناية عن الجماع حملت حملا الحمل بالفتح على ما كان في بطن او بالكسر
على ما كان على ظهر خفيفا لكونه نطفة او خف عليها ثم تلوثه ما تلقى الحبالى
غالبا من الكرب والغثي والاذى ذليله والقوم مختص بالرجال والبشارة عبارة مختص
بهم ودلالة تعم النساء حيث علقت بالايمان فان ترتب الامر الموصوف يدل على علية
الموصف له وفيه تحريض للكفار على الايمان الى فمرت به فقامت وقعدت اي ترددت
به لخفته كما لن تحمل او استمرت كما قرأه ابن عباس رضي الله عنه اي لم تزلق ولم تسقط
ولم يخدج وقري فمرت اي فشكت فيما اصابها هل حمل او مرض او غيرهما وقري
فارت به اي جاءت وذهبت وتصرفت كما تقول مارت الريح مورا فلما اثقلت صارت
ذا ثقل بكبر الولد في بطنها اي حان وقت وضعه وقري اثقلت على البنا للمفعول اي
اثقلها الحمل دعوا الله الضمير لادم عليه السلام وحوى رضي الله عنهما ربهما
مالك امرهما ومتعلق الدعا محذوف يدل عليه جملة جواب القسم لئن اتيتنا صالحا
اي دعوا الله الضمير لادم عليه السلام وحوى رضي الله عنهما ورغبا اليه ان يؤتيهما
ولدا سويا قد صلح بدنه وكملت خلقته لنكونن من الشاكرين لك على نعمائك ويدخل
فيه دخولا اوليا الشكر على هذه النعمة المجددة فلما اتاهما صالحا جعلا اي جعل اولادهما
له شركا فيما اتاهما اي الى اولادهما سموا عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف

واقامة

واقامة المضاف اليه مقامه ويدل عليه قوله فتعالى الله عما يشركون وكون الخطاب
لادم عليه السلام يأباه قوله وجعل منها زوجها ليسكن اليها وقري شركا اي شركة
بان اشركا فيه غيره او ذوي شرك ايشركون الاستفهام بمعنى التوبيخ
ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون هم ضمير الاصنام جيء به على تسميتهم اياها الهة
لا يستطيعون لهم اي لعبدتهم نصرا ولا انفسهم ينصرون يرفعون عنها
ما يعتريها وان تدعوهم اي المشركين الى الهدى الى الاسلام
لا يتبعوكم وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اي ان تدعوهم الى ان
يهدوكم لا يتبعوكم بالتخفيف سواء عليكم ادعوتموهم قد مر ما يتعلق به في سورة
البقرة ام انتم صامتون انما لم يقل ام صمتم لان المراد ان يقال سواء عليكم
احدثتم الدعا ام انتم على ما انتم عليه من عادة الصمت عن عادتهم فانهم جماد وهو
حسب حالهم لانهم اذا وهمهم امر دعوا الله دون الاصنام كقوله واذا مس الناس
ضر دعوا ربهم وفيه مبالغة في عدم افادة الدعا من حيث هو سوي تداوم الثبات
على الصمات ان الذين تدعون من دون الله تعبدونهم وتسمونهم الهة
عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين في انها قادر على النفع والضرر
وقيل ذلك استهزاء بهم اي قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء فان ثبت ذلك فهم عباد امثالكم
لا تفاضل بينكم ثم ابطل ان يكونوا احياء عقلاء مثالكم فقال باثبات انهم اعجز منهم الهم
ارجل يمشون بها ويأباه الفصل بقوله فادعوهم الى اخره فان انتظامه مع سياق الكلام
والتامه للمقام على الوجه الاول كما لا يخفى على ذوي الافهام وقري ان الذين بتخفيف
ان ونصب عبادا على انها نافية عملت عمل ما الحجازية فرفعت الاسم ونصبت الخبر وفيه خلاف
اجازه الكسائي واكثر الكوفيين ومنها البصريين ابن السراج والفارسي وابن جني ومنعه الفرا
واكثر البصريين واختلف النقل عن سيبويه والصحيح انه لغة ثبتت في النظم والنثر ام لهم
ايد يبطشون بها قري بكسر الطاء وضمها وهما لغتان والبطش الاخذ بالقوة والقدرة على
الاستئصال وهذه الزيادة يكون الاخذ من خواص اليدين بين الاعضا كما ان البطش لما فيه
الزيادة على مطلق الحركة يكون من خواص الرجل واعادة اداة الاستفسار على وجه الانكار
دون اداة الجمع للاشعار باستقلال انتفا كل منهما في الابطال والاثبات المذكورين ام
لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها ام منقطعة فتفيد بل والهمزة وهو اضراب
على معنى الانتقال لا على معنى الابطال وانما هو تقرير على نفي كل واحدة من هذه الجملة ونوجه
النفي الى الوصف لانهم كانوا يصورون هذه الاعضا للاصنام قل ادعوا شركاءكم من باب
وضع الظاهر موضع المضمر للتهكم بعد اثبات عجزهم اي استعينوا بهم على ايصال الضمير الي

ثم كيدوني اي بالغوا فيما تقدرون عليه من مكروهي انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فلا تمهلون اني لا ابالي بكم وهذا غاية الوثوق على ولاية الله تعالى وحفظه ولما كان عدم الاهمال لشرّتنا عليه صدّره باداة التعقيب ان وليي الله الذي نزل الكتاب انما يتولى وحافظي الله تعالى الذي اكرمني بانزال القرآن علي وهو يتولى الصالحين من عباده والذين تدعون من دونه اي من دون الله تعالى لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون اي انهم عاجزون عن نصرة انفسهم فضلا عن نصرة غيرهم اعاد بيان عجزهم لان الاول للتفريع والثاني للتتميم التعليل لعدم مبالاتهم فلا تكرار وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا لانها جماد لا تحس وليس هذا موضع اشتباه بخلاف امر النظر فانهم صوروها بصورة من ينظر الى من يواجهه ولهذا قال وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون والحال انه لا قدرة فيهم على الابصار فليس ما تراه على الحقيقة انما تكرار القول على هذا وترددت الايات فيه لان امر الاصنام وتعظيمها كان متمكنا من نفوس العرب في ذلك الزمان ومستوليا على عقولهم فاطنبت القول في ذلك لطفا من الله تعالى بهم خذ العفو اي السهل وما تيسر من افعال الناس واخلاقهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم من التكاليف من العفو الذي ضد الجهد ابو الفضل من صدقاتهم وما يسهل عليهم وتيسر لهم وذلك قبل وجوب وأمر بالعرف بالمعروف المستحسن من الافعال والاقوال والاحوال واعرض عن الجاهلين ولا تكافي السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم واغض عن المذنبين وهذه الاية جامعة لمكارم الاخلاق وروي انه عليه السلام سأل جبريل عن معنى الاية قال اعط من حرمك وصل من قطعك واعف عمن ظلمك واحسن الى من اساء اليك وقيل لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رب كيف والغضب فنزل قوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ اما كلمتان ان التي هي للشرط وما التي هي صلة زائدة والنون للتاكيد والنزغ الازعاج بالتحريك الى الشر اي ان عرض لك الشيطان بافساد شيء من هذه الاخلاق التي امرتك بها فاستعذ بالله فاعتصم بالله من الشيطان الرجيم انه سميع لكلامك عليم بمرامك كناية عن الاستجابة ان الذين اتقوا ان المؤمنين المتقين الله اذا مسهم طائف من الشيطان اذا ألم بهم وسوسة قيل كأنه طافت بهم ودارت حولهم فلم يقدر ان يؤثر فيهم ومسماه العقول عن دلالة المس على التاثير وقرئ طيف والطيف والطائف مما ألم بالانسان من عوارض الشيطان وقرئ طيف بالتشديد ايضا قال الزجاج طاف الخيال يطيف اذا ألم به وطاف عليهم يطوف اذا دار ومن جعل هذا من الطوف لوادي قال طيف اصله طيّف بالتشديد

ثم

تخفف كالهين والهين والمراد من الشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره تذكروا ما امر الله به ونهى فاذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطا ومكايد الشيطان فيحترزون عنها ولا يتبعونه فيها والاية تقرير لما تقدم وما فيه من وجوه الاستعاذة عند نزغ الشيطان وبيان ان المتقين عادتهم اذا اصابهم ادنى نزغ والمام بوسوسة ان يستعيذوا ويتذكروا قبل ان يصير خاطرا وجالت فيه النفس بالفكر واخوانهم يمدونهم اي واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين في الغي بالتزيين والحمل عليه وقرئ ويمدونهم من امد وعادتهم كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم وهذا اشد من الاول ولهذا عطف عليه بثم المستعارة للتراخي في الرتبة ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين والضمير المضاف اليه للجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له والاول اوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا واذا لم تاتهم باية من القرآن او مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها هلا جمعتها افتراء وتقولا من عند نفسك لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى او هلا اخذتها مقترحة من جباه اذا جمعه او من جباه اليه فاجتباه اي اخذه قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي لست بمختلق للايات او لست بمقترح لها هذا بصائر من ربكم هذا القرآن بصائر للقلوب بها يبصر الحق ويدرك الصواب وهدى ورحمة لقوم يؤمنون قد سبق تفسيره لما ذكر من ان القرآن بصائر وهدى ورحمة امر باستماعه اذا شرع في قراءته وبالانصات وهو السكوت مع الاصغاء اليه لان ما اشتمل على تلك الاوصاف حري بان يصغى اليه حتى تحصل منه للمنصت المستمع هذه النتايج العظيمة فيستبصر من العمى ويهتدي من الضلال ويرحم بها وقيل واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا نزلت في الصلاة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة القرآن والانصات له واطلاق الامر يقتضي وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلاة وفيه اشكال اذ حينئذ يلزم الجمع بين معنيي الامر ويمكن ان يقال انه جائز عند اختلاف المحل على ما ذهب اليه العراقيون من اصحابنا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في المكتوبة وقرأ اصحابه رضي الله عنهم خلفه فنزلت هذه الاية ومن هنا اتضح وجه احتجاج من لا يرى القراءة على الماموم بها واما قول من قال انها في الخطبة فضعيف لان الاية مكية والخطبة لم تكن الا بعد الهجرة بقي ههنا دقيقة ينبغي لا بد من التنبيه لها وهي ان الانصات مقدمة الاستماع فحقه ان يتقدم في الذكر وانما اخرهما لشأنه واخراجا عن حيز الاتباع الى حد الاستقلال وتنبيها على انه المقصود

بالذات وما مأمور به اصالة حتى لو كان في مجلس القراءة نائيا عن القارئ فحقه ان ينصت وان لم يتيسر له الاستماع تعظيما لشأن القرآن واحرازا لاحدى الفضيلتين ولو قدم الانصات لتبادر الى الفهم ان الامر به لمصلحة فلا يجب بدونها واذكر ربك في نفسك عام في جميع الاذكار من القراءة والدعاء والتهليل والتسبيح وغيرها لان الاخفاء في النفس ادخل في الاخلاص والخشوع تضرعا باللسان وخيفة بالقلب مفعول من اجله اي للتضرع وخيفة او مصدران منصوبان على الحال اي متضرعا وخائفا ودون الجهر معطوف على قوله في نفسك وذكرا دون الجهر ولهذا جعل قوله من القول بيانا للجهر بالغدو والآصال باوقات الغدو اي الغدوات لمقارنة الآصال وهي جمع كاليمين والايمان وقيل جمعه الاصل وجمع الاصل الآصال وقرئ بالايصال من آصل اذا دخل في الاصيل وهما عبارة عن الليل والنهار والمراد به الذكر على الدوام لما امر الله تعالى بالذكر اكد ذلك بالنهي عن ضده فقال ولا تكن من الغافلين عن ذكر الغافلين خاطبه عليه السلام والمراد نهي امته عنها على ابلغ وجه اي لا تقتدوا بالغافلين لكن بالملائكة الذين لا يغفلون ولذلك قوله تعالى ان الذين عند ربك هم الملائكة المقربون وعند بيان قرب الكرامة دون المكان فان الله تعالى عن ذلك لا يستكبرون عن عبادته كما ان الاستكبار مقدمة العصيان كذلك عدمه مقدمة الطاعة ثم ذكر الطاعة القلبية وهو التنزيه والتطهير عن جميع ما لا يليق بذاته المقدسة بقوله ويسبحونه والطاعة القالبية وهي الحالة التي يكون العبد فيها اقرب الى الله تعالى بقوله وله يسجدون • وتقديم له للاختصاص اي يخصونه بالعبادة لا يشركون به وهو تعريض لمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته

سورة الانفال مدنية ست وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يسألونك عن الانفال جمع نفل وهو الغنيمة واصل الزيادة ومنه نوافل العبادات وانما سميت الغنيمة نفلا لانها زيادة على القيام بالجهاد وحماية الحوزة والدعاء الى الله تعالى وعبارة عن نصحه وان السؤال سؤال الافتاء فالمطلوب بيان حكمها وقرئ بدون عن فيكون السؤال سؤال الاستعطاء وما يستطرحه الامام لمن يقتحم خطرا زائدا على سهمه يسمى نفلا ايضا فالمعنى يسألك المقتحمين للخطر ما شرطت لهم وقرئ علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن قل الانفال لله والرسول

اي

اي حكمها مختص بالله ورسوله بامر الله تعالى ورسوله عليه السلام يقسمها على حكمه وتمثيل الرسول صلى الله عليه وسلم امره تعالى فيها فيقسمها على حسب امره ليس فيها حكم وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنائم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم او الانصار وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان له غناء ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها فنزلت وعلى هذا يكون ما شرع بالسنة منسوخا بالكتاب قبل العمل به فلا متمسك فيه للشافعي على انه لا يلزم الامام ان يفي بما وعد وعن ابن عباس ان هذه الاية نزلت اولا ان الانفال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نزلت واعلموا انما غنمتم من شيء الاية فقسم الله تعالى ذلك الخمس لرسوله ولمن سمي فيها ويوافق هذا ما روي عن سعد ابن ابي وقاص رضي الله عنه انه قال نزلت في هذه الاية وذلك انه لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت سعيد بن العاص واخذت سيفه فاتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك فاطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله تعالى من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وعلى هذا يكون المعنى الانفال للرسول ويكون ذكر الله لتمهيد التعظيم شأنه عليه السلام والتنبيه على انه عليه السلام يتصرف فيها على ما يرتضيه الله تعالى وتقتضيه الحكمة فاتقوا الله في الاختلاف والتخاصم وكونوا متحابين في الله واصلحوا بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله تعالى وتفضل به عليكم وتسليم امره الى الله والرسول ذات بينكم ذات البين هي الاحوال التي تقع بين الناس اي ما بينكم من الاحوال ولما كانت ملابسة للبين قيل لها ذات البين بالاضافة كقوله عليم بذات الصدور اي مضمراتها وما فيها من السرائر واطيعوا الله ورسوله في تفويض امركم اليهما والتسليم لحكمهما ان كنتم مؤمنين ايمانا يعتد به فقد جعل التقوى وطاعة الله ورسوله واصلاح ذات البين من لوازم الايمان وشرائطه ايذانا بان حال الايمان موقوف عليها حتى ان فقدت كان كلا ايمان كما تقول لابن كنت من الرجال فاوف بعهدك تنبيها الى لزوم الوفاء للرجولية فاللام في قوله انما المؤمنون اشارة اليهم والمراد الكاملون في الايمان والدليل عليه قوله اولئك هم المؤمنون حقا كان غيرهم ليسوا بمؤمنين حقيقة الذين اذا ذكروا الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاما وتهيبا من جلاله فلا يخالفونه في امره وقيل هو الرجل الذي يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنه خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة

فيه وقرئ فرقت اي خافت • واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا اي يقينا وطمانينة نفس
فان للايمان مراتب في القوة والضعف ورسوخ اليقين انما هو بتظاهر الادلة وقيل
لزيادة المؤمن به ويلزمه تخصيص الايات بالتي تليت اولا وقيل العمل موجبها على قول من يقول
بدخول العمل في الايمان ويلزمه تخصيصها بالتي يتعلق بالاعمال زيادة على تخصيص الاول
فتامل • وعلى ربهم يتوكلون • في تقديم الجار والمجرور على الفعل اشارة الى ان المؤمن
بالايمان الكامل حقهم ان لا يفوضوا امورهم الا اليه ويسلموا تسليما • الذين يقيمون
الصلاة ومما رزقناهم ينفقون • تقدم تفسيره في سورة البقرة • اولئك هم المؤمنون
فتجمع في الاية بين اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل وبين اعمال الجوارح من
من الصلاة والزكاة لان الظاهر عنوان الباطن والباطن اساس للظاهر وكان الثلاثة
الاول اصول الاعمال القالبية وعيارها فهي مستتبعة لسايرها • حقا مصدر مؤكد
لما تقدم اي حق ذلك حقا او صفة مصدر محذوف اي ايمانا حقا • لهم درجات عند ربهم
كرامة وعلو منزلة • ومغفرة • لما فرط منهم • ورزق كريم اعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده
ولا ينتهي امده • لما تقدمت ثلاث صفات قلبية وقالبية ومالية يترتب عليها ثلاثة اشيا
تقوبلت الاعمال القلبية بالدرجات والقالبية بالغفران والمالية بالرزق الكريم قوله
عند ربهم متعلق بالمعطوفين كمن قبل في قوله تعالى لم تكن امنت من قبل او كسبت وتقدم بيانه
في تفسير سورة الانعام • كما اخرجك ربك • في محل الرفع خبر مبتدا محذوف اي هذه
الحال كحال اخراجك للحراب في كراهتهم اياها او في محل النصب صفة لمصدر الفعل المقدر
في قوله لله والرسول اي الانفال ثبت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك
ربك • من بيتك • بالمدينة او المدينة نفسها لانها في اختصاصها به من حيث انها مسكنه
ومهاجره كاختصاص البيت بصاحبه مع كراهتهم اياه • بالحق • صفة المصدر اي
اخراجا ملتبسا بالحق والصواب • وان فريقا من المؤمنين لكارهون • حال اي اخرجك
في حال كراهتهم وفيه دلالة على ان كراهة الاخراج انما كانت من بعضهم وسبب اخراجه
ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة وفيها اربعون راكبا فاخبر جبرائيل
رسول الله عليه الصلاة والسلام فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم
فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجا النجا على كل
صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا فخرج ابو جهل بجميع اهل
مكة وهو النفير في المثل السائر لا في العير ولا في النفير فقيل ان العير اخذت طريق الساحل
ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى تنحر الجزور وتشرب الخمور
ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا اعضضنا فمضى بهم

الي

الى بدر وهو ما كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم بوادي دفران فنزل جبريل عليه السلام بالوعد باحدى الطائفتين اما
العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه رضي الله عنهم فقال بعضهم هلا ذكرت لنا
القتال حتى نتاهب له انا خرجنا للعير وهم المراد من الفريق المذكور وتمام القصة يطلب
من كتب السير • يجادلونك في الحق • يحتمل ان يكون في موضع الحال من الضمير في
لكارهون ويحتمل ان يكون استئنافا اخبارا عنهم بالجدال بقولهم ما كان خروجنا الا للعير
ولو عرفنا لاستعددنا للقتال والحق هنا نصرة دين الاسلام بالجهاد • بعدما تبين
اي بعد تبينه باعلام الرسول صلى الله عليه وسلم انهم ينصرون وهذا ابلغ في الانكار
لجدالهم • كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون • حال من ضمير لكارهون شبه حالهم
في شدة فزعهم وفرط رعبهم لقلة عددهم بحال من يساق بالذل والصغار الى القتل
المتيقن وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها • واذ يعدكم الله احدى الطائفتين • على
اضمار اذكر واحدى ثاني مفعولي يعد وقد ابدل عنها • انها لكم • بدل الاشتمال • وتودون
ان غير ذات الشوكة تكون لكم • هي العير لانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا وكانوا يكرهون
النفير لشوكتهم بكثرة العدد وقوة العدد والشوكة الحدة استعيرت للاصل من واحد
الشوك فعيلت في كل قوة وحدة ومنه شائك السلاح • ويريد الله ان يحق الحق • اي
يثبته ويعليه • بكلماته • باياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة او بامر الملائكة بالنزول
لنصرتهم وبما قضى وقدر من قتلهم واسرهم وقرئ بكلمته اي بامره • ويقطع دابر الكافرين
يستاصلهم والدابر الاخر من دبر اذا ادبر واذا قطع اخرهم لم يبق منهم احد والمعنى انكم
تتمنون اي تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد معالي الامور يريد اعلاء الدين واظهار
الحق وما فيه فوز الدين وهو من معالي الامور • ليحق الحق ويبطل الباطل • متعلق بمحذوف
اي فعل ذلك ويجوز ان يكون متعلقا بيقطع ويجب ان يقدر الفعل مؤخرا ليفيد
معنى الاختصاص وانه ما فعل الا لذلك لان الاول لبيان المراد وما بينه وبين مراده
من التفاوت والثاني لبيان الداعي الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصره
علينا • ولو كره المجرمون • ذلك والجملة في موضع الحال • اذ تستغيثون ربكم • بدل
من اذ يعدكم او نصب باضمار اذكر ويجوز ان يكون متعلقا لقوله ليحق الحق واستغاثتهم
انهم لما علموا انه لا بد من القتال اخذوا يدعون الله اي يقولون رب انصرنا على عدوك
يا غياث المستغيثين اغثنا • فاستجاب لكم اني ممدكم • اصله باني ممدكم فحذف الجار وسلط
عليه استجاب وقرئ اني بالكسر اجراء للاستجابة مجرى القول • بالف من الملائكة مردفين
بكسر الدال من اردفه اذا اتبعه اي متبعين بعضهم بعضا المؤمنين يحفظونهم او انفسهم

هم

اَوْ يتقدمونهم انفسهم اوْ مَنْ اردفته اذا جئت بعده اي متبعين بعضهم بعضًا اوْ متبعين
المؤمنين وقرئ بفتح الدال المعنى متبعين اي كانوا مقدمة الجيش ومتبعين كانوا
كانوا ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الرا وضمها وتشديد الدال واصله مرتدفين بمعنى
مترادفين فادغمت الراي في التا فالتقا ساكنان فحركت الرا بالكسر على الاصل او بالضم
على الاتباع وقرئ بالاف فيوافق ما في سورة العمران ووجه القراة على التوحيد
اذا لم يفسر الارداف والارتداف باتباع ملائكة اخرين اذ المراد بالالف الذي كانوا
على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم والباقي اتباع لهم اوْ من قاتل منهم
واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل عليها والظاهرين قوله وما جعله الله
اي الامداد الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم فيزول ما بها
من الوجل لقلتكم وعدم عددكم انهم لم يكونوا نازلين للقتال والا لما افاد ان يقول ان
الضمير في جعله لقوله اني ممدكم فلا ينافي ان يكون نزولهم للقتال والله اعلم بحقيقة
الحال وقوله ولتطمئن عطف على بشرى من جهة المعنى والمراد به مطلق الحديث
المذلول عليه ضمنًا على الاتساع كما في قوله تسمع بالمعيدي خير من ان تراه فالمعنى الا
لبشارتكم ولطمانينة قلوبكم وما النصر الا من عند الله لا من الملائكة ولا من القائل
او وما النصر بالملائكة وسائر الاسباب الا من عند الله والمنصور من نصره الله تعالى
ان الله عزيز منيع لا يغالب حكيم في افعاله وافعاله اذ يغشاكم النعاس
بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او منصوب بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل
او بما جعله او باضمار اذكر وقرئ بالتخفيف من غشيته الشيء اذا غشيته اياه والفاعل
هو الله تعالى وقرئ يغشاكم بفتح اليا ورفع النعاس من غشي والنعاس ابتداء حال النوم
قبل الاستغراق امنة مفعول له من جهة المعنى فان قوله يغشاكم النعاس يتضمن معنى
تنعسون ويغشاكم لمعناه والامنة فعل لفاعله منه صفة لانه اي امنًا لكم حاصلًا
منه تعالى ويجوز ان يراد بها الايمان فيافق فعل المغشي وان يجعل على القراة الاخيرة
فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه او لانه من كان من خوفه ان يغشيهم لشدة الخوف
فلما غشيهم فكانه حصلت له امنة من الله تعالى لولاها لما غشاهم كقوله يهاب النوم
ان يغشى عيونًا تهابك فهو نفار شرود والمعنى تنعسون في وقت كان مابكم من الخوف
ما يمنع من الخوف فتعسستم لامنكم وقرئ امنة كرحمة وهي لغة فيه وينزل من السما
ماء ليطهركم به من الحدث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان اي الجنابة
فانها من تخييله او وسوسته اليهم وتخويفهم من العطش والجنابة وذلك ان الشيطان
تمثل لهم وكان المشركون سبقوهم الى الماء ونزل المؤمنون في كثيب احمر تسوخ
فيه الاقدام على غير ماء فناموا فاحتلم اكثرهم فقال لهم يا اصحاب محمد تزعمون انكم

عليكم

على الحق

على الحق وانتم تصلون محدثين مجنبين وقد عطشتم ولو كنتم على الحق ما غلبكم هؤلاء على الما
وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا ما احبوا
وساقوا بقيتكم الى مكة فاستغفوا فانزل الله المطر فمطروا ليلًا حتى جرى الوادي فاتخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب
واغتسلوا وتوضئوا وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى تثبت فيه الاقدام
وزالت وسوسة الشيطان وليربط على قلوبكم اي يشدها او يقويها بالسكون
وحسن الظن وزوال الاضطراب والارتياب ويثبت به الاقدام اي مواقف
الالتقا للقتال والضمير في به للربط فان القلب اذا قوي باليقين والوثوق بالله
تعالى تثبت القدم في المعركة وحينئذ يكون الثبوت من لوازم الربط ويظهر
وجه عدم الفصل بينهما باعادة اداة التعليل كعدم الفصل بين التطهير والاذهاب
المذكورين قبل هذا وقيل للمطر فانه به يتلبد المطر ولا يسوخ القدم فيه ويرد
عليه انه حينئذ لا يكون الثبوت من لوازم الربط فحقه ان يعاد فيه اداة التعليل
اذ يوحي ربك الى الملائكة بدل ثالث او متعلق بيثبت اني معكم اعينكم في تثبيت المؤمنين وهو
مفعول يوحي وقرئ اني بالكسر اجرا للوحي مجرى القول فثبتوا الذين امنوا بالبشارة او
بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم فيكون قوله سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب
كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا اذ لا اعانة كالقا الرعب السيل الوادي اذا ملأه او يقطع
القلب من ترغيب السنام وهو تقطيعه فاضربوا فوق الاعناق اعاليها الى المذابح او
الرؤس والهامات واضربوا منهم كل بنان اصابع اي الاطراف اي جزوا رقابهم
واقطعوا اطرافهم وزاد هنا عبارة كل للتعدد في الاطراف والمراد استبعابهم بالقطع امر
الملائكة بان يقتلوهم او يجرحوهم على وجه لا يستمعون على قصد اسرهم وفيه دلالة على انهم
قاتلوا ومن انكره قال قوله سالقي الى قوله كل بنان تلقين لهم معنى تثبيتهم كانه قال
الله تعالى لهم قولوا للمؤمنين هذا وتغيير للخطاب بان يكون فثبتوا الذين امنوا خطاب
للملائكة والباقي خطاب للمؤمنين ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله اشارة الى ان ما اصاب
الكفار من القتل والعقاب بسبب مشاقتهم لله تعالى وللرسول عليه السلام ولكل احد
وهو ابلغ لدلالته على فظاعة الامر والمشاقة مشتقة من الشق لان كل واحد من المتعاديين
في شق خلاف شق الاخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم وكلاهما الجانب ومن
يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب تقرير للتعليل ووعيد لهم بما اعد لهم
في الاخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا اي ذلك في الدنيا بسبب المشاقة ومن يشاقق فلا يقتصر
به على هذا فان الله شديد عقاب في الاخرة والخطاب في قوله ذلكم على طريقة الالتفات

اي ذلكم العقاب والعقاب ذلكم ولهو رفع الابتداء والخبر او نصب بفعل يفسره قوله ذوقوه
والفاء عاطفة اي ذوقوا ذلكم فذوقوه او باشروا فتبلوا عليكم وان للكافرين عذاب عطف على
قوله ذلكم رفعا ونصبا ويجوز ان يكون مفعولا معه على ان الواو بمعنى مع اي ذوقوا هذا العذاب
العاجل مع العذاب الاجل الذي لكم في الاخرة ووضع الظاهر فيه موضع المضمر للدلالة على ان
الكفر سبب العذاب الاجل او الجمع بينهما وقرئ وان بالكسر على الاستئناف والا وجه له لان عليكم
من اسما الافعال واسما الافعال لا تضمر وهذه الجملة تاكيد وتقرير لما سبق لان الاولى دالة على
استحقاقهم العذاب العاجل مع العذاب الاجل ولما كان عذاب الدنيا بالنسبة الى عذاب الاخرة
يسيرا سمي ما اصابهم فيه ذوقا لان الذوق يعرف به الطعم وهو يسير ولما كانت النار اعدادها
للكفار على ما يظن به قوله تعالى اعدت للكافرين صح تقديم الجار والمجرور المفيد لاختصاص
عذابها العدد لهم يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا حال من الذين كفروا والزحف
الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كانه يزحف اي يدب من زحف الصبي اذا دب على استه قليلا قليلا
فلا تولوهم الادبار كناية عن الفرار ولا يلزمه الانهزام على ما افصح عنه الاستثنا الاتي
ذكره اي اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير وانتم قليل فلا تفروا فضلا ان تداركوهم من العدو
والعدد ان تساويتم ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال وهو الكر بعد الفر لتغرير
العدو وهو من خدع الحرب ومكايدها يخيل العدو انه منهزم ثم يعطف عليه او متحيزا
متحيزا الى فئة الى جماعة اخرى من المسلمين على القرب منه ليستعين بهم سوى الفئة التي
هو فيها وبعضهم لا يعتبر القرب لما روي ابن عمر رضي الله عنهما انه خرجت سرية وانا فيهم
ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال
بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل للاستثناء
من الموليين الا رجلا متحرفا او متحيزا متفعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز
يقال حاز الشي اي ضمه وجمعه والحيز مجتمع القوم فيتفعل من الحوز والتحيز الانضمام اليهم
والدخول في جملتهم وهو تفيعل من الحيز والفئة الجماعة المنقطعة عن غيرها من الفاء وهو
قطع الراس بالسيف وان جعل زحفا حالا من المؤمنين يكون اشعارا لهم بما سيكون منهم يوم حنين
وحين تقدمه نهي حين تولوا مدبرين وهم اثنا عشر الفا ومن يولهم يومئذ امارة عليه
فقد باء بغضب من الله اي استوجبه ومأواه جهنم هذا اذا لم يزد العدد على الضعف
لقوله تعالى الان خفف الله عنكم الاية وقيل هذه الاية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه
في الحرب وبئس المصير هي اي جهنم فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم
وامداده الملائكة والقاء الرعب في قلوبهم وتقوية قلوبكم وهذا كالتعليل لما تقدم من النهي عن
الانهزام بسبب كثرة العدو روي انه لما التقى الجمعان يوم بدر تناول الرسول صلى الله عليه

وسلم

سوا

وسلم كفا من الحصى فرمى بها وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا
وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول القائل قتلت
واسرت فنزلت الاية صيانة لهم عن الاعجاب وتنبيها على ان الله تعالى هو الذي هيأ
لهم هذه الاسباب وكذا الحال في الخطاب الاتي ذكره وقيل الفاء جواب شرط محذوف وتقديره
ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم واياه عطف قوله وما رميت
انت تلك الرمية العجيبة يا محمد اذ رميت لانك لو رميتها لما كادت تاثيرها على تاثير رمي
البشر ولكن الله رمى حيث اثرت ذلك الاثر العظيم اثبت الرمية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان اثرها الذي لا يقدر عليه البشر
فعل الله تعالى فكان الله فاعلها وعلى الحقيقة لا الرسول والفعل قد يطلق ويراد به
مسماه وقد يطلق ويراد به كماله والمقصود منه اي غايته مجازا وليبلي المؤمنين
ولينعم عليهم منه بلاء حسنا انعاما جميلا اي وللانعام على المؤمنين ذلك الانعام
العظيم بالنصرة والغنيمة ومشاهدة الايات وما فعل الا ذلك ان الله سميع لدعائهم
واستغاثتهم عليم باحوالهم ونياتهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع
اي المقصود ذلكم او الامر ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين معطوف على ذلكم اي
اي المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وقرئ ان الله بالفتح اي ولان الله
معين المؤمنين كان ذلك ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل
التهكم وذلك انهم حين ارادوا ان ينفروا تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى
الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وان تنتهوا عن الكفر وعداوة رسول الله صلى
الله عليه وسلم فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين وان تعودوا
لمحاربته نعد لنصرته عليكم ولن تغني ولن تدفع عنكم فئتكم جماعتكم
شيئا من الاغنا ولو كثرت فئتكم وان الله مع المؤمنين كذا قالوا ويشكل هذا
يوم احد فانهم عادوا والمحاربة وكانت الغلبة لهم وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى
ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التثاقل في القتال والرغبة عما يستاثره
الرسول فهو خير لكم وان تعودوا الى التثاقل فعد بالانكار ولن تغني عنكم كثرتكم حينئذ
ان لم يكن الله معكم بالنصر والله مع الكاملين ايمانا ويؤيده هذا حسن الالتيام مع قوله
يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه اي ولا تتولوا عن الرسول فان
المراد الامر بطاعته عليه السلام والنهي عن الاعراض عنه وذكر الله تمهيد لاختصاص الرسول
عليه الصلاة والسلام به تعالى كقوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وفيه تنبيه على
ان طاعة الله وطاعة الرسول شيء واحد من يطع الرسول فقد اطاع الله ويجوز ان يرجع الضمير

فى عنه الى الامر بالطاعة اي لا تتولوا عن هذا الامر وانتم تسمعون اي تسمعونه او تسمعون
القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة والمنافقين
ادعوا السماع وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فكانهم غير سامعين اصلا والمعنى
انكم تصدقون القرآن والنبوة فاذا توليتم عن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم
في بعض الامور كقسمة الغنائم كان تصديقكم كلا تصديق واشبه سماعكم سماع من
لا يؤمن ان شر الدواب عند الله شر من يدب على وجه الارض او شر البهائم الصم
البكم الذين لا يعقلون وقد مر تفسيره في سورة البقرة جعلهم كالبهائم في عدم
انتفاعهم بالمشاعر والجوارح لم جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا به عنها وفضلوا به
عليها ولو علم الله فيهم خيرا اي شيئا من الخير لاسمعهم سماع تفهم او لا يسمعهم لانه
لا يجدي فيهم نفعا لقوله ولو اسمعهم لتولوا اي لم ينتفعوا به تقريرا وتاكيدا له فهو من
قبيل العطف على ما قبله باعتبار المعنى التولي قد يكون للتردد والتدبر فقوله وهم معرضون
تاسيس لا تاكيد يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم وحد الضمير لان
دعوة الله تعالى تسمع من الرسول صلى الله عليه وسلم وقصد التمهيد باعادة الفعل
لما يحييكم من العلوم الدينية فانها حياة للقلب والجهل موته الجاهل ميت وان لم يدفن
بيته قبره وثوبه كفن وقيل الجهاد الكفار لانهم لو تركوه لغلبوهم وقتلوهم فهو لسبب
حياتهم كقوله ولكم في القصاص حياة وقيل الشهادة لقوله بل احياء عند ربهم والمراد
بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض واعلموا ان الله يحول
بين المرء وقلبه تحذير عن تاخير الاستجابة وزيادة اعلموا لمزيد التاكيد اي ان
القلوب بيد الله يقلبها حيث يشاء فعجلوا بالاستجابة قبل ان يحدث الله تعالى في
قلوبكم ما يشغلها عنها ويمنعكم الامتثال بالامر وقرئ بين المر بتشديد الراء على
حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد
فيه وانه اليه تحشرون فيجازيكم على النقير والقطمير من اعمالكم واحوالكم
قالبية كانت او قلبية وفيه زيادة تحذير عن التقصير بالتاخير وفيه زيادة
تحذير عن التقصير بالتاخير واشير الى هذا في قوله عليه السلام عجلوا بالصلاة قبل
الفوت وعجلوا بالتوبة قبل الموت واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
اراد بالفتنة الظلم الفاحش بقرينة قوله الذين ظلموا والتنكير الدال على التكثير لا
جواب الامر اي ان اصابتكم لا تصيبن الظالمين منكم خاصة بل تعم الصالح والطالح
ثم تكون للظالم عقوبة ولغيره كفارة والنون لتضمنه معنى النهي والتاكيد بها للمبالغة
في النهي ومن للتبعيض ونهي بعد امر كانه قيل واحذروا ذنبا او عقابا ثم قيل لا تتعرضوا

للظلم

للظلم فيصيب العقاب او وبال الذنب من ظلم منكم خاصة او صفة لفتنة على ارادة القول
اي فتنة مقولا عندها لا تصيبن لقوله جاءوا بمذق هل رايت الذئب قط ومن على هذين
الوجهين للتبيين وبعضد الاخيرين تنبيه على ان الظلم منكم اقبح منه من غيركم قال ابن
عباس رضي الله عنه في نزول الامر بالمعروف عند غلبة المنكر فيصيب الفسقة بفسقهم
وغير الفسقة بتركهم الامر بالمعروف عند غلبة المنكر فيصيب الفسقة بفسقهم
وغير الفسقة بتركهم الامر بالمعروف وهذه الفرقة ايضا وان كانوا مذنبين لكنهم ليسوا
من الذين ظلموا اي باشروا الظلم واعلموا ان الله شديد العقاب وعيد شديد وفي
زيادة اعلموا مزيد تهديد واذكروا واخطروا ببالكم اول حالكم اذ انتم قليل قليل
في اول الاسلام قبل ان يكملوا اربعين وقيل قبل الهجرة والخطاب للمهاجرين مستضعفون
في الارض مقهورون في ارض مكة ام بقلة قليل مع ما فيه حسن الازدواج بقليل نفاديا
عن اطلاقه على من هو عزيز بعزة الاسلام وقيل الخطاب لعامة العرب لانهم كانوا مغلوبين
لاهل فارس والروم تخافون ان يتخطفكم الناس لان الناس كانوا جميعا لهم اعداء
والتخطف الاخذ والانتزاع بسرعة فآواكم الى المدينة وجعل لكم ماوى تتحصنون به
عن اعدائكم وايدكم بنصره على الكفار بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر
وعلى تقدير ان يكون الخطاب لقريش فآواكم الى الحرم وقويكم قوله تعالى اولم يروا انا
جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم ورزقكم من الطيبات الغنائم لعلكم تشكرون
ارادة ان تشكروا هذه النعم وعلى المعنى الاخير يكون المراد من الطيبات الثمرات لقوله
تعالى وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول الخون
النقص كما ان اصل الوفا التمام ومنه تخونه اذا انتقصه ثم استعمل في مقابلة الامانة
والوفا لانك اذا خنت الرجل ادخلت عليه النقصان ذكر الله تعالى للتمهيد وخيانتهم
للرسول صلى الله عليه وسلم بان يضمروا خلاف ما يظهروا او بالغلول في الغنائم روي
انها نزلت في ابي لبابة رضي الله عنه وقصته مذكورة في كتب التفاسير وتخونوا اماناتكم
فيما بينكم اي لا يصدر منكم خلاف ما هو من حكم الايمان جزم داخل في حكم النهي او نصب باضمار
ان كقوله وتكتموا الحق وانتم تعلمون انكم تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح
واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة جعل الاموال والاولاد فتنة لانها سبب الوقوع في
الفتنة وهي الاثم والعذاب او محنة وبلاء فلا يحملنكم حبه على الخيانة كابي لبابة رضي الله
عنه وعليكم ان تحافظوا فيهم على حدود الله تعالى وهي من جملة ما نزل فيه وان الله
عنده اجر عظيم ان تؤثروا حب الله تعالى على حبهم وتزهدوا في الدنيا وتحرصوا على حب المال
والولد وفي قوله عنده تشريف للاجر المذكور وبيان انه مصون عن الضياع يا ايها الذين

امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا هداية ونورا في قلوبكم وتوفيقا وشرحا للصدور كم تفرقون
به بين الحق والباطل او نصرا بفرق بين الحق والمبطل باعزاز الاسلام واهله واذلال الكفر وحزبه
ومنه قوله تعالى يوم الفرقان وظهورا ينتشر امركم وينتشر صيتكم في اقطار الارض من قولهم بت
افعل كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم سياتكم صغاير ذنوبكم اراد بالكفارة
الازالة ولذلك قال عنكم وهي الحسنات لقوله ان الحسنات يذهبن السيئات ويغفر لكم
ذنوبكم كبايرها والغفران الستر ضمنه معنى الرحمة ولذلك قال لكم وعبر به عن العفو والتجاوز
عنها ولذلك بالاستغفار والشفاعة والله ذو الفضل العظيم باللطف الوافي في الدنيا
والاحسان الباقي في دار القرار لما عرفت ان العبد اعطى جزاء حسناته بازالة سياته فكان ما وصل
اليه من الفضل والاحسان فضلا من الله تعالى ووعده على التقوى ايضا فتفضل فاطلاق الاجر
على ما وعده في مقابلته بطريق الاستعارة واذ يمكر بك الذين كفروا ذكره عليه السلام
مكر قريش حين كان بمكة ليشكر نعمة الله عليه في نجاته من مكرهم وتسليطه عليهم اي واذكر
وقت مكرهم بك وتفصيله مذكور في كتب التفاسير ليثبتوك ليسجنوك او يوثقوك
او يثخنوك بالجرح والضرب من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ
ليبيتوك من البيات او يقتلوك او يخرجوك من مكة ويمكرون باخفاء المكايد
له ويمكر الله باخفاء ما اعد لهم حتى ياتيهم بغتة او برد مكرهم عليهم او بمعاملة الماكرين
معهم حيث اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا والله خير
الماكرين اذ مكره انفذ من مكر غيره وابلغ تاثيرا وقيل اسناد المكر الى الله تعالى للمزاوجة
والمشاكلة ولا يجوز اطلاقه عليه ابتداء لما فيه من ايهام الذم وكان هذا القايل غافل عن قوله
تعالى افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو
نشاء لقلنا مثل هذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم لو استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاءوا
وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سورة مع انفتهم
وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب البيان قيل النضر بن الحارث وكان يسوسهم بالليل
والفهم فكان اذا قال تولاه قاله كثير منهم واتبعوه عليه كما يفعل الناس اقتداء بعلمائهم ان
هذا الا اساطير الاولين ما سطره الاولون من القصص وقد سبق ما يتعلق بالاساطير واذ
قالوا اي واذكر اذ قالوا هذا ايضا من كلام ذلك القايل ابلغ في الجحود ويروى انه لما قال النضر
ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي عليه الصلاة والسلام ويلك انه كتاب الله تعالى اللهم
ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء اي ان كان القران حقا منزلا
فامطر الحجارة علينا خاصة لنا على انكاره والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام بكونه
باطلا اغراقا في الانكار واظهارا للجراة فيه جحدا للقران ولا بان جعله مثل كلامه وسماه اساطير

الاولين

الاولين وبالغ في الجحود وبشبهه جعلها كالدليل على بطلانه زاعما انه برهان وهو انه لو كان
حقا لاستحق منكره العقاب لكنا لم نعاقب بانكاره فلم يكن حقا وقرئ الحق بالرفع على
ان هو هو المبتدا الافضل وفائدة التعريف ان كان هو الحق الذي يدعيه رسول
الله صلى الله عليه وسلم من انه كلام منزل عليه لانه لم ينكروا كونه مطابقا للواقع كالاساطير
وفائدة التقييد بكونه من السماء مع ان الامطار لا تكون الا منها كونها حجارة مسومة للعذاب
وهي السجيل فوضعت حجارة من السماء موضعه ولهذا قال او ايتنا بعذاب اليم
اي بنوع من عذاب اليم اشارة الى ان السجيل نوع اليم من العذاب وما كان الله اي
ليس في عادته تعالى ليعذبهم وانت فيهم بيان لسبب امهالهم والتوقف عن اجابة
دعائهم واللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم حال كون النبي صلى الله عليه وسلم
غير جاير في الحكمة لان حكمة الله تعالى جارية في خلقه بان لا يستاصل قوما بالعذاب ما دام
نبيهم بين اظهرهم وفيه اشعار بانهم مرصدون للعذاب اذا هاجر عنهم لدلالة قوله
وما لهم الى اخره على اثبات التعذيب كانه قال وما كان الله ليعذبهم وانت ولم يعذبهم
اذا فارقتهم وما كان معذبهم لما كانت كينونته عليه السلام فيهم سببا لانتفاء
تعذيبهم اكد خبر كان باللام على راي الكوفيين او جعل خبر كان لارادة النفي على راي
البصريين وانتفاء الارادة للعذاب ابلغ من انتفاء العذاب ولما كان استغفارهم
دون تلك الكينونة الشريفة لم يؤكد باللام فشتان ما بين استغفارهم دون تلك الكينونة
الشريفة لم يؤكد باللام وكينونته عليه السلام وهم يستغفرون حال لقوله وانت
فيهم والمراد باستغفارهم اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك
او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم
واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك
وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام وحالهم ذلك ومن صدهم
عنه الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الى الهجرة واما احصارهم عام الحديبية
فقد كان قبل قتل النضر وتطرابه لكن انتظامه مع ما سيق الكلام له في هذا المقام
وما كانوا اولياءه مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن
ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون
الذين لا يعبدون فيه غيره اي ما استحقوا ولاية البيت وما حظ لهم منها لانها مخصوصة
بالمتقين من المسلمين ليس كل مسلم يصلح لذلك فكيف بالمشركين من اعداء الدين ولكن اكثرهم
لا يعلمون ان لا ولاية لهم عليه نبه بالاكثر على ان فيهم من يعلم ذلك ولكن يعاند لما ينفي
عنهم ان يكونوا من ولاة البيت ذكر من فعلهم القبيح ما يؤكد ذلك وان من كانت صلاته

ما يذكر لانا هذا ان يكون اولياءه كما ذكر بقوله وما كان صلاتهم عند البيت من جملة موانع
استحقاقهم للولاية وموجب استحقاقهم للعذاب كما ذكر بقوله وهم يصدون والمراد بصلاتهم
ما يضعونه موضعها ويسمونه صلاة وفيه من التهكم ما لا يخفى وقرئ صلاتهم بالنصب على انه
الخبر المقدم الا مكاء صفيرا فعالا من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا وتصدية
تصفيقا تفعلة من الصد او من الصدد على ابدال احد حرفي التضعيف بالتاء يعني انهم يضعون
الصفير والتصفيق موضع الصلاة ولهذا اورد قوله فذوقوا العذاب بفاء السببية
اي بسبب هذا الكفر ذوقوا وباله في الدنيا والمراد عذاب القتل والاسر يوم بدر والظاهر
والظاهر ان تكون اللام للعهد والمعهود ما ذكر في قوله او ائتنا بعذاب اليم ووصفهم المكا
والتصدية موضع الصلاة انهم كانوا يطوفون بالبيت عراة والرجال والنساء وهم مشبكون
بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرأ رسول الله
صلى الله عليه وسلم في صلاته يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا بما كنتم تكفرون
اي بصيغة المضارع وزاد عليها عبارة كنتم للدلالة على الاستمرار التجددي والمراد
ما كانوا يفعلونه عند البيت من المكاء والتصدية مكان الصلاة ولا يجوز ان يكون المراد
من العذاب عذاب الاخرة لان الفاء يأباه وذلك لان السببية للعذاب مطلقا قد استفيدت
من الباء والفاء انما تفيد اذا كان ذلك العذاب المسبب بما ذكر معجلا ان الذين كفروا
ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله عن دينه واتباع رسوله نزلت في المطعمين
يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر وقيل
في ابي سفيان استأجر ليوم احد الفين من الاحابيش سوى من استجاش من العرب وانفق
عليهم اربعين اوقية وقيل في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش ببدر قالوا الكل من
له تجارة في العير اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا فسينفقونها
فائدة تكرار ذكر الانفاق ان مساق الاول لبيان الغرض منه والثاني لبيان عاقبته وما له
امره وان غرضهم لا يحصل منه ويعقب الخيبة هذا ما قالوه ويأباه زيادة السين في
الثاني وترتيبه بالفاء على الاول وكذا يأبى هذا الاخير عن حمل الاول على ما كان في يوم بدر
والثاني على ما كان في يوم احد فالوجه ان يحمل الاول على عزمهم على الانفاق والثاني على وقوعه
عن قريب متفرعا على ذلك العزم ثم تكون عليهم حسرة لاستلزام انفاقهم الاموال
ندامة وسرعة انقلابه اليها كان وانتهاء نصير ندامة مبالغة والحسرة غم لما انكشف
عن فوت استدراك الخطيئة وذلك الغم يسمى ندامة واصلها الكشف من قولهم حسر
عن ذراعيه والحاسر ضد الدارع ثم يغلبون ثم لا يبقى حالهم على الندامة والحسرة
بفقد الاموال وفقدان الغرض حتى يصير اخر الاموال المغلوبية التي بمحضها الحالة

التي قصدوها فيرجعون خائبا وان كانت الحرب بينهم وبين المومنين قبل ذلك سجالا وبقي
ثم في الموضعين غاية تبعدهما بين غرضهم في الانفاق وبين ما يحصل منه ويقع بعده والذين
كفروا اي الذين ثبتوا على الكفر منهم اذ اسلم بعضهم وحسن اسلامه الى جهنم خاصة
يحشرون يجمعون بالسوق من جهات متعددة وفائدة تقديم الجار والمجرور دفع وهم
القرار في محل آخر ليميز الله الخبيث من الطيب اي الفريق الكافر من الفريق
المؤمن ويجعل الخبيث اي الكافر بعضه على بعض فيركمه جميعا اي يجمعهم
ويضمهم حتى يتراكموا كقوله كادوا يكونون عليه لبدا اي لفرط ازدحامهم او المال الخبيث
الذي انفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من المال الطيب الذي
انفقه المسلمون في نصرته فيجمع الخبيث الذي انفقه المشركون فيجعله في جهنم
من جملة ما يعذبون به كمال الكافرين واللام في قوله ليميز على الاول متعلق بيحشرون
او يغلبون وعلى الثاني بتكون وقرئ ليميز من التمييز وهذا ابلغ من الميز فيجعله
في جهنم جعل الكفار في الانضمام والازدحام والاجتماع في النار رشيا مركوما كالحطب
متركب بعضه على بعض مجموع يلقى في جهنم مبالغة اولئك اشارة الى الفريق الخبيث
على الاول والى الذين كفروا على الثاني ومن قال او الى المنفقين فكانه غفل عن ان منهم
من اسلم وحسن اسلامه هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم
واموالهم قل للذين كفروا لمن بقي من كفار قريش بعد من قتل منهم ببدر واللام للتبليغ
ان ينتهوا من معاداة الرسول صلى الله عليه وسلم وقتاله بالدخول في الاسلام يغفر
لهم ما قد سلف من ذنوبهم لان الاسلام يجب ما قبله وقرئ بالتاء والكاف على الخطاب وان
يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة الاولين في انتقامنا منهم واهلاكهم بتكذيب انبيائهم
عليهم السلام وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة الى ان لا يوجد فيهم شرك ويكون الدين كله
لله ان تضمحل الاديان الباطلة كلها ويبقى فيهم دين الاسلام فان انتهوا عما يجب الانتها
عنه والفاء للترتيب على ما تقدم فان الله بما يعملون بصير تعليل لما تضمنه الجواب من عدم
التقصير في المجازاة تقديره فيجازيهم على الامتثال ولا يضيع نقيرا وقطميرا من الترك
والاعمال وقرئ تعملون بالتاء على معنى تعليقه فان انتهوا على الغيبة للتغليب اي انه بصير
بعملكم وعملهم فينبئكم جميعا ويجازي كلا بحسب عمله ومن وهم ان اثباتهم للتسبب فقد وهم
وان تولوا عن الامتثال فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم ومتولي اموركم فلا تبالوا بمعاداتهم
وثقوا بولايته تعالى وفي زيادة اعلموا لتضمنه الدلالة على تنزيلهم منزلة الجاهل لنكتة خطابية
تناسب المقام وتزيد في البلاغة درجة الكلام فتزيد تهييجا لهم على ذلك نعم المولى هو
لا يضيع من تولاه ونعم النصير ولا يغلب من ينصره واعلموا انما غنمتم اي الذي حزتموه

من الكفار قهرا ● من شيء ● اي من اقل ما يقع عليه اسم الشيء حتى المخيط والخيط وتصوير الكلام
بقوله اعلموا الزيادة للاهتمام ● فان لله خمسه ● تحلتنا لفا في حيزان لتضمن العموم الذي دل
عليه ما معنى الشرط وان الله في موضع رفع على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره فالحكم ان
لله خمسة والجمهور على ان ما ذكر الله تعالى لتمهيد لذكر الرسول وما عطف عليه تعظيما
وتخصيصا للمعطوفين به كما في قوله تعالى ورسوله احق ان يرضوه وان كان المراد قسم
الخمس على الخمسة المعطوفين ● وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
كانه قال فان لله خمسه يصرف الى هولاء الاخصين به تفضيلا لهم على غيرهم وليس المراد
من قوله واعلموا مجرد العلم والا لم يكن للتقييد بقوله ● ان كنتم امنتم بالله ● فايدة لان
مجرد العلم يستوي فيه المومن والكافر بل العلم المستلزم للعمل فان المقصود بالذات
من العلم العمل اذا امر به من العمل والعلم مقصود بالغرض وهو متعلق بمحذوف دل عليه
واعلموا اي اجعلوا الخمس لله واجبا للتقريب اليه فاقطعوا اطماعكم عنه واصرفوا الى من
عين من المخصوصين به واقنعوا بالاخماس الاربعة والحكم بعد باق الا ان سهم الرسول صلى
الله عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه من مصالح المسلمين كما كان يفعله الشيخان وقيل
الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة الباقية وعند ابي حنيفة رحمه سقط سهمه عليه
السلام بوفاته وسهم ذوي القربى لانهم استحقوه بالنصرة والمظاهرة حينئذ وصار الكل
مصروفا الى الثلاثة الباقية وعند مالك يفوض الى راي الامام يصرفه الى ما يراه
اهم ● وما انزلنا على عبدنا ● محمد من الايات والملائكة والنصر معطوف على بالله وقرئ عُبُدنا
بتضمين اي الرسول والمومنين ● يوم الفرقان ● يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل
يوم التقى الجمعان ● المسلمون والكفار واليوم الاول يعني الوقعة والثاني يعني الوقت
والله على كل شيء قدير ● ختم بصفة القدرة لانه تعالى اقدر المومنين على قلتهم على الكافرين
على كثرتهم ذلك اليوم ● اذ انتم ● بدل من يوم التقى الجمعان ● بالعدوة الدنيا يعني القربى من
المدينة والعدوة بالحركات الثلاث شط الوادي وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهم
بالعدوة القصوى ● البعدى تانيث الاقصى وكان قياسه قلب الواو كالدنيا والعليا وكذا
كل فعلى من بنات الواو وتفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا
من القصيا ● والركب ● اي العير وقوادها ● اسفل منكم ● في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل
نصب على الظرف وهو مرفوع المحل لانه خبر مبتدأ والجملة حال من الظرف قبله وفائدة التقييد
به وتعيين مراكز الفريقين بيان الحالة الدال على شوكة الكفار وعدم غلبتهم واستظهارهم بالركب
وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا جهدهم وضعف
شان المسلمين والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وان ظفرهم بالعدو وغلبتهم في مثل هذه الحالة

ليس

ليس الا بتاييد الله تعالى ونصره ليعلموا ان الحول والقدرة والقوة لله تعالى وان الفتح
كان صنعا الهيا من خوارق العادات فيزدادوا ايمانا وثقة وذلك ان مراكز المومنين كان
ارضا رخوة تسوخ فيها الاقدام ولا يمشي الا بتعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة القصوى
وتقويه قوله تعالى ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولو تواعدتم انتم وهم القتال
ثم علمتم حالهم في القوة والكثرة والشوكة وتمهيد العدة وحالكم في القلة والضعف
وعدم اسباب الظفر لاختلفتم انتم تهيبا عنهم ويأسا من الظفر عليهم وظنا لمغلوبيته
ولكن دبر الله تعالى ذلك حيث وعد احدى الطايفتين فيهم واخرجكم راغبين في العير
واخرجهم ليمنعوا عيرهم وسبب الاسباب وجمع بينكم وبينهم في هذه الحالة ليقضي الله امرا
كان مفعولا حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليايه وقهر اعدايه ليهلك من هلك عن بينة
ويحيى من حي عن بينة بدل منه او متعلق بقوله مفعولا استعير الهلاك للكفر والحياة
للاسلام كما يستعار الموت والحياة للجهل والعلم ليكون كفر من كفر عن وضوح بينة حتى لا يبقى
له عند الله تعالى معذرة ويصدر اسلام من اسلم ايضا عن يقين بانه دين الحق الذي يجب الدخول
فيه والتدين به وذلك ان وقعة بدر كانت من الايات الواضحة التي من كفر بعدها
كان مكابرا لنفسه مغالطا لها وقرئ وحيي باظهار التضعيف لموافقة مستقبله
وان الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان من امن وثوابه والجمع بين الوصفين
لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله في منامك قليلا بدل ثان
من يوم الفرقان او نصب باضمار اذكر او بقوله عليم اي سميع باحاديث نفوسكم في
كراهة القتال عليم بتدبير اموركم وتسوية مصالحكم اذ يريكهم الله في منامك قليلا اراهم
الله تعالى اياه في رؤياه قليلا فاخبر به اصحابه فثبتهم ذلك وشجعهم على عدوهم ولو اراكهم
كثيرا لفشلتم الفشل ضعف من الرجل لم يقل لفشلت لانه عليه السلام كان معصوما
من النقايص فاسند الفشل اليه عليه السلام على طريقة التغليب رعاية لجانب الكلام
في المقام ولتنازعتم في الامر امر القتال وتفرقت اراؤكم بين الفرار والتنازع
الاختلاف الذي تحاول كل واحد منهما نزع صاحبه مما هو عليه ولكن الله سلم
انعم بالسلامة من الفشل والتنازع وعصمكم منها انه عليم بذات الصدور بما
سيكون فيها من الجبن والجراة والصبر والجزع وما يغير احوالها واذ يريكموهم اذ التقيتم
في اعينكم قليلا حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال
اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول وفيه نظر والضميران مفعولا
ترى وقليلا نصب على الحال ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه
اكلة جزور وقللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم

تعده حتى راوهم مثلهم ليفاجيهم الكثرة ويكثر جدهم وشوكتهم وذلك من عظايم ايات تلك
الوقعة وليس هذا التفاوت في الابصار مع تساوي الشروط الا بخرق العادة ليقضي الله
امرا كان مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر الاكتفاء على الوجه
المحكي وههنا اعزاز الاسلام باهله واذلال الكفر وحزبه والى الله ترجع الامور فلا راد
لقضائه ولا تغيير لتقديره يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم اي اذا حاربتم فان اللقاء
مما غلب في القتال فئة الانقطاع معتبر في مفهوم الفئة اصلها من فاوت راسه بالسيف
اذا قطعته والجماعة المنقطعة عن المؤمنين كفارا بغاة ومن لم يقف على هذه الدقيقة الانيف
قال ولم يصفهم لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار فاثبتوا واذكروا الله كثيرا في مواطن
الحرب داعين له تعالى مستظهرين بذكره ومترقبين لنصره لعلكم تفلحون تظفرون
بالنصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان المؤمن يجب ان يداوم على ذكر الله تعالى خصوصا عند
الشدايد لتجتمع همته ولا يتوزع باله ويتشجع قلبه ويطمئن بالتوجه نحوه ويستمد منه
فيتاكد بعونه ويستظهر بقوته وحوله واطيعوا الله ورسوله باتفاق الكلمة
ولا تنازعوا باختلافها تنازعكم باحد فتفشلوا نصب باضمار ان وجزم في حكم
النهي وقرى وتذهب ريحكم بالتاء والنصب عطفا على الاول وباليا والجزم على التا
اي يذهب دولتكم على ان الريح سعادة للدولة شبهت في تمشي امرها ونفاذها بالريح في جريها
وهبوبها يقال هبت رياح اذا دولت اليه الدولة ومنه قول علي رضي الله عنه ولا خير في ود
امرى يتلون اذا الريح مالت مال حيث تميل وقيل ذهاب الريح على الظاهر فانه لم يكن نصر قط
الا بريح يبعثها الله تعالى كما قال عليه الصلاة والسلام نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور
واصبروا ان الله مع الصابرين بالكلاءة والنصر ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم
يعني قريشا حين خرجوا لحماية العير بطرا البطر سوء احتمال الغنى ومن اثاره الفخر
والاشر ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة نزلت في ابي جهل واصحابه حين خرجوا
من مكة لنصرة العير بالقينات والمعازف واما قيل فذلك انهم لما بلغوا جحفة وافاهم رسول
ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب منه
الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كاس المنايا
وناحت عليهم النوايح فلا يصلح وجها لخروجهم من مكة بطرين ومرائين نصب
على الحال او المفعول لهما وقوله ويصدون عن سبيل الله عطف عليهما حالين مطلقا
او مفعولا لهما على تاويل المصدر اي صدا عن سبيل الله والله بما تعملون محيط اي عالم به
فيجازيكم عليه وعيد وتهديد لمن بغى من الكفار واذ زين لهم الشيطان منصوب باذكر
اعمالهم التي عملوها في معاداة الرسول عليه الصلاة والسلام وقال لا غالب لكم خبر لا غالب

اي

اي كاين لكم او صفته ولكم صلته يعني لا غالب اياكم والا لكان منصوبا كقولك لا ضاربا زيدا
عندنا اليوم من الناس واني جار لكم الجار هو المجير الذي يعطي الخايف الامان رضي الله
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المشركين تخوفوا من بني بكر بن كنانة اذ كانوا قتلوا منهم
قتيلا فلم يامنوا يوم خروجهم الى بدر ان ياتوهم من ورايهم فتصور لهم ابليس بصورة سراقة
بن مالك وهو من بني بكر وقال انا جار لكم من بني بكر فركنوا الى قوله وساروا وهو معهم حتى
التقى المسلمون والكفار اسلمهم سر مسلم تترايهم ولما نكص على عقبيه اخذ الحارث
بن هشام بيده فقال اعلى هذه الحالة تخذلنا فقال اني ارى ما لا ترون قال الحارث
والله ما نرى الا جعاميس يثرب قال اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله قال الحارث فهلا كان
هذا امس تدفع في صدر الحارث وانطلق فانهزم الناس فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس سراقة
بن مالك فقال بلغني انكم تقولون اني هزمت الناس فوالله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم
فقالوا اما اتيتنا يوم كذا فحلف لهم فلما اسلموا علموا ان ذلك كان الشيطان وذهب بعضهم الى ان
التزيين في هذه الاية وما بعده من الاقوال هو بالوسوسة والمحادثة في النفوس ولا يخفى
ضعفه فان قوله واني جار لكم ليس مما يلقى بالوسوسة وكذا النكوص على عقبيه وما بعده من
من الاقوال وليس مما يلقى بها فلما تراءت الفئتان تراءت تفاعلت من الرؤية اي كل
من الفريقين الاخرى وهذه الحالة قبل الالتقاء نكص الشيطان اي رجع القهقرى
خوفا مما يرى وزيادة قوله على عقبيه لبيان انه انهزم على اسوء حال وقال اني بريء
منكم اي رجعت عما كنت ضمنت لكم من الامان اني ارى ما لا ترون تعليل لتبرئته
قاله حين راى امداد المسلمين بالملائكة كانه يقول اني كنت مجيركم من الناس وممنيا لكم الغلبة
عليهم واري ما ليس من جنسكم جاء لمحاربتكم اني اخاف الله اي اخاف عقابه على ايدي من اراهم
ولا ترونهم انتم قاله قتادة وابن الكلبي ان هذه معذرة كاذبة ولم تلحقه قط مخافة وقال
الزجاج وغيره بل خاف مما راى من الامر وهوله ان يومه الذي انظر اليه والله شديد
العقاب لا يرد عقابه بشيء ولا يبقى وهو الظاهر من كلامه اذ على تقدير كونه مستانفا
يكون تقريرا لمعذرته ولا يقتضيه المقام فيكون فضلة في الكلام اذ يقول المنافقون
بالمدينة والذين في قلوبهم مرض وليسوا ثابتي الاقدام في الاسلام بل كانوا على حرف
وعن الحسن هم المشركون ويحتمل ان يكون صفة للمنافقين والواو للجمع بين الصفتين اي
الجامعون بين النفاق والشك كقولهم هو الغيث والليث غر هؤلاء اي المسلمين دينهم
حيث وثقوا وتعرضوا لما لا يدي لهم به فخرجوا وهم ثلثماية وبضعة عشر الى زهاء الالف
ومن يتوكل على الله جواب لهم فان الله عزيز غالب لا يذل من استجار به وان قل
ويتسلط بتاييده على الكثير القوي حكيم يفعل بحكمته ما يستبعده العقل ويعجز عن ادراكه

ولو ترى ولو رأيت فان لو ترد المضارع ماضيا كما يرد ان الماضي مضارعا اذ يتوفى الذين
كفروا يبذر اذ ظرف ترى والمفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة او حالهم حينئذ
والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة تتوفى بالتاء والاصل في القراءتين التوفي منهما
انكن فلا وجه لما قيل ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله تعالى وهو مبتدا خبره يضربون
وجوههم والجملة حال من الذين كفروا واستغني فيه بالضمير عن الواو وهو على ما ذكرنا
حال منهم او من الملائكة او منهما لاشتماله على الضميرين وادبارهم ظهورهم واستاههم
وتخصيصهما بالضرب لكون الخزي والنكال في ضربهما اشد ويجوز ان يكون المراد تعميم الضرب
لما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا عذاب الحريق ويقولون ذوقوا عذاب النار فان الحريق
اسم النار وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار منها ذلك الضرب
والعذاب بما قدمت ايديكم بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك ويحتمل
ان يكون من كلامهم وان يكون من كلام الله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد جملة حالية
لتقرير ما فيهم عما سبق من ان ما يفعل بهم انما يفعل جزاء لما كسبوه فيكون عدلا محضا ولو قيل
ليس بظالم لكان ابلغ والعدول عنه الى صيغة المبالغة للتنبيه على ان شأن الله يقتضي
ان يكون كل وصف يثبت له بالغا الى الحد الكامل ومن لم يتنبه لهذه الدقيقة لا ينفعه زعم
انه لاجل العبيد ولم يدر ان ما يقال ان الله ليس بظالم اصلا ونفي مبالغة الظلم لا يستلزم
نفي اصله بل ربما يوجب اثباته بدليل الخطاب ورجوع النفي الى التقييد لا يندفع بما ذكر
اذ المعنى حينئذ نفي ظلمه تعالى عن الكل ولا يلزمه نفيه عن كل واحد فان رفع الايجاب الكلي
لا ينافي الايجاب الجزئي وقيل ان الله تعالى عطف على ما قدمت اي ذلك العذاب بسببين بسبب
ما كسبوا وبسبب ان الله تعالى ليس بظلام لان تعذيب الكفار من العدل يرد عليه ان
سلمنا ذلك لكن ترك العذاب من مستحقه ليس بظلم بل فضل فلا ينتهض نفي الظلم سببا
للتعذيب وقيل ان العطف المذكور للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه
اذ لولاه لامكنه ان يعذبهم بغير ذنوبهم وفيه ان الحاجة الى ما ذكر لانحصار السببية
فيما كسبوا بحيث لا يكون التعذيب بسبب اخر محتملا وذلك غير مستفاد من الكلام وليس
يقتضيه المقام كدأب آل فرعون الكاف في محل الرفع اي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون
والدأب العادة والعمل الذي دأبوا فيه اي واظبوا عليه والذين من قبلهم من قبل آل
فرعون كفروا بآيات الله تفسير لدأبهم فأخذهم الله بذنوبهم كما اخذ هؤلاء ان
الله قوي لا يغلبه شيء شديد العقاب لا يطاق عقابه ولا يرده شيء ذلك اشارة
الى ما حل بهم بان الله بسبب ان الله تعالى لم يك مغيرا مبدلا نعمة انعمها على قوم
بالنقمة حتى يغيروا يبدلوا ما بانفسهم ما بهم من الحال الى حال السوء منها كما بدلت

قريش

قريش حالهم في صلة الرحم وعدم التعرض للآيات والرسل وان كانوا كفرة لان الكفر
لا يمنع النعمة الدنيوية لقوله تعالى ومن كفر فامتعه قليلا معاداة الرسول صلى الله
عليه وسلم ومن تابعه وايذائهم والسعي في قتلهم والاستهزاء بالآيات الى غير ذلك مما احدثوه
بعد المبعث فبدل الله تعالى ما انعم به عليهم من الامهال وحسن الحال في العاجل وعاجلهم
بالعذاب اي سنة الله تعالى جارية بان يغير نعمته على من انعم عليهم عند تغييرهم حالهم
فالسبب مفهوم ما ذكر لا منطوقه واصل يك يكون فلما دخلها الجزم صار فالتقى ساكنان فحذفت
الواو وبقي لم يكن ثم لما كثر استعماله حذفوا النون تخفيفا فاذا تحركت اثبتوها قالوا لم يكن الرجل
الرجل كذا قال الجوهري والذي ذكره ليس بحتم فان النون قد تثبت عند السكون كما
في قوله تعالى وان مبينه وقوله لم اكن لا نجد وان الله سميع لاقوالهم عليم بافعالهم
واحوالهم كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم تكرير للتأكيد وفي تغيير
تفسير زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق كما في لفظ الرب المضاف اليهم من
الاشعار بكونه منعما عليهم وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ والثاني لتشبيه التغيير
في النعمة بسبب تغييرهم ما بانفسهم وفيه ان لا مساعدة كيف وقضية التغيير من تتمة
التشبيه الاول للتخصيص المذكور لا من جهة المقام ولا من جهة نظم الكلام فاهلكناهم
اي عاجلا بذنوبهم على العموم لا للدلالة على السببية المطلقة والسببية للعذاب
العاجل انما يستفاد من الفاء واغرقنا آل فرعون على الخصوص وفيه بيان الاخذ بالذنوب
وفي قوله وكل كانوا ظالمين اشارة الى سبب الاخذ ظلمهم وفيه تقرير لقوله وان
الله ليس بظلام للعبيد اي المشبهون الذين هم قبيلة قريش والمشبه بهم الذين هم آل فرعون
والذين من قبلهم كلهم كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي فنسبة شدة ظلمهم لعقابهم
فما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون ان شر الدواب عند الله الذين كفروا اي
اصروا على الكفر ورسخوا فيه لان مجرد الكفر لا يصح الاخبار عنهم بعدم الايمان فهم
لا يؤمنون فلا يتوقع منهم الايمان لكونهم مطبوعا على قلوبهم معنى الفاء السببية والتنبيه
على ان كفرهم في الرسوخ بحيث يوجب انتفاء صدور الايمان منهم الذين عاهدت منهم
بدل من الذين كفروا او بدل الكل او بدل البعض للبيان او التخصيص وهم يهود قريظة
عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا
نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالئوا عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم
وانما قال منهم لتضمين المعاهدة معنى اخذ الميثاق والمراد من المرة في قوله ثم ينقضون عهدهم
في كل مرة مرة المعاهدة والمحاربة وانما كانوا شر الدواب لان نقض العهد خروج عن
المروءة والانسانية فخالفوا مقتضى فطرتهم بالكفر ونقض العهد الاول الفطري فانحطوا

عما جبلوا عليه ثم اصروا على ذلك ثم نكثوا العهد الظاهر فكانوا شر الدواب لكونهما على ما جبلت
عليه وهم لا يتقون عاقبة الغدر ولا يبالون بما فيها في الدنيا والاخرة من العار والنار
فاما تثقفنهم في الحرب فاما تصادفنهم وتظفرن بهم فشرد بهم ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم لادراك بسرعة فشرد
بهم من خلفهم اي نكل بهم نكالا يكون سببا لشرود من وراءهم خوفا منك والتشريد
التفريق على اضطراب وقرئ فشرذ بالذال المعجمة وكانه مقلوب من شذر وقرئ
من خلفهم والمعنى واحد فانه اذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد في الورا لعلهم
لعل المشردين يذكرون يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين خيانة
بامارات تلوح لك الخيانة نقض عهد فيما امن عليه فانبذ اليهم النبذ القاء الحبل
الى من لا يعلمه بما يوجب انه حرب على سواء اي مستويا حال من النابذ والمنبوذ اليهم
اي الق اليهم الخبر انك نقضت العهد الذي بينك وبينهم لتكونوا انتم وهم في العلم بالنقض
على سواء او مستوين فيه ولا تحاربهم قبل الاعلام فانه خيانة ان الله لا يحب الخائنين
تعليل للامر بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستيناف
ولا تحسبن خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله الذين كفروا سبقوا مفعولاه
وقرئ ولا يحسبن بياء الغيبة والفاعل ضمير يعود على الرسول صلى الله عليه وسلم
او على السامع والمفعول الاول الذين والثاني سبقوا وهذه القراءة لم ينفرد بها حمزة كما توهم
بل وافقه ابن عامر وعاصم في رواية حفص عنه وقيل اصله ان سبقوا فحذفت ان كما
في قوله ومن اياته يريكم البرق ودليله قراءة ابن مسعود انهم سبقوا انهم لا يعجزون
تعليل للنهي اي لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن
ادراكهم وقرئ انهم بالكسر على انه تعليل على سبيل الاستيناف والمراد الازاحة لما
يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو وعن الزهري انها نزلت فيمن افلت يوم بدر من
المشركين واعدوا ايها المؤمنون لهم لناقضي العهد وايقاظ العدو وعن
الزهري والكفار ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عقبة بن
عامر رضي الله عنه سمعت انه عليه الصلاة والسلام يقول على المنبر الا ان الرمي
قالها ثلاثا والمراد قواها ومن رباط الخيل الرباط اسم من العقد يقال ربطه
يربطه ربطا ورباطا وصار اسما للمربوط الا انه لا يستعمل الا في الخيل فالاضافة
باعتبار عموم المفهوم الاصلي ويحتمل ان يكون جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط
الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على قوة كعطف جبرائيل وميكائيل على الملائكة
عليهم السلام ترهبون الارهاب ازعاج النفس بالخوف به اي بما استطعتم
او بالاعداد عدو الله وعدوكم يعني كفار مكة واخرين من دونهم من غيرهم

من

من الكفرة وقيل هم اليهود وقيل المنافقون لا تعلمونهم لا تعرفونهم باعيانهم
الله يعلمهم يعرفهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم جزاؤه على عبارة يوف اليكم
جزاؤه وفي عبارة يوف تعديته بان ما تنفقوا بقوله من شيء اشارة الى انه وان كان
قليلا فجزاؤه جليل وانتم لا تظلمون بتضييع العمل قيل او نقص الثواب ومبناه
على استحقاق العبد بالعمل للثواب وقد عرفت ما فيه من تفسير والله ذو الفضل العظيم
وان جنحوا مالوا ومنه الجناح وتعديته باللام والى للسلم للصلح والاستسلام
فاجنح لها وعاهد معهم وتانيث الضمير لحمل السلم نقيضها وهو الحرب وتوكل على الله
ولا تخف في ابطانهم خداعا فان الله يعصمك منه ويحيقه بهم انه هو السميع لاقوالهم
العليم بافعالهم واحوالهم والاية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل
عامة نسختها اية السيف وان يريدوا ان يخدعوك بالصلح فان حسبك الله
حسبك بمعنى محسبك وكافيك وقال جرير

اني وجدت من المكارم حسبكم ... ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا

هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين اي بجماعة من المؤمنين وانفاق كلمتهم على ما دل
عليه قوله والف اي واوقع التاليف بين قلوبهم حتى صاروا كنفس واحدة بعد
ما كان فيهم من العصبية والضغينة اي ادنى شيء والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف
فيهم قلبان كما بينه بقوله لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم اي تناهى
عداوتهم الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض من الاموال لا يقدر على
الالفة والاصلاح ولكن الله الف بينهم بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب
يقلبها كيف يشاء انه عزيز تام القدرة والغلبة لا يعصى عليه ما يريده حكيم
يعلم انه كيف ينبغي ان يفعل ما يريده وقيل الاية في الاوس والخزرج وكان بينهم من
الحروب والوقائع ما اهلك ساداتهم ورؤساءهم ولم يكن لبغضائهم امد ومنتهى وبينهما
التجاور الذي يهيج الضغائن ويبيد التحاسد وكان كل من الطائفتين يتجنب ما اثرته
الاخرى ويكره ما احبته فانساهم الله تعالى ذلك كله حتى اتفقوا على الاسلام والطاعة
وتصادقوا وتصافوا وتحابوا وصاروا انصارا وذلك من المعجزات الباهرة يا ايها
النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين اي كفاك الله تعالى وكفى اتباعك من
المؤمنين ناصرا او كفاك الله تعالى وكفى المؤمنين على ان من تبعك في محل النصب على
المفعول معه كقوله حسبك وزيدا درهم او الرفع على اسم الله نزلت في البيداء في غزوة
بدر وقيل نزلت عند اسلام عمر رضي الله تعالى عنه يا ايها النبي حرض المؤمنين على
القتال التحريض المبالغة في الحث على الامر من الحرض وهو ان ينكر المرض حتى يشفي

على الموت وقرئ حرص بالصاد المهملة من الحرص ان يكن منكم عشرون صابرون على القتال
يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة صابرة عليه يغلبوا الفا من الذين كفروا تكرارا لمعنى الواحد
بالاعداد المتناسبة في المقاومة من المؤمنين على عشرة امثالهم من الكفار الصبر حتى يودهم
بعونه ونصره ثم قال بانهم قوم لا يفقهون اي بسبب ان الكفار قوم جهلة لا يقاتلون لله
ولا يثبتون ثبات المؤمنين الذين يبتغون بالقتال رضا الله تعالى وثوابه فلا يستحقون النصرة
والمعونة لكون دواعيهم منبعثة من الهوى والشبطة فاستحقوا الهوان والخذلان لتوليهم
الشيطان الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا كان في اول الامر لخواص اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم زيادة استبصار وقوة قلب حتى حمزة رضي الله عنه ركبا ابا جهل في
ثلثماية راكب فلما اختلط بهم سائر الناس وفيهم من يكون به الاهل والولد والمال وانه يضعف
القلب عن مقاومة الكثير من الكفار خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين فان يكن منكم مائة
صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله بتقديره وتيسيره والله
مع الصابرين بالنصرة والمعونة فكيف لا يغلبوا اختتمت الاية به مبالغة في شدة المطلوبية
وكونه اهم اثبت في اول جملتي التخفيف وحذف من الثانية لدلالة عليه ما كان لنبي اي
ما صح له وما استقام وقرئ للنبي على العهد ان تكون له اسرى وقرئ يكون بالياء وقرئ
اسارى حتى يثخن في الارض اي يضعف الكفر ويذله باشاعة القتل ويعز الاسلام ثم
يجوز له الاسر بعد ذلك ولهذا لما كثر المسلمون وضرب الاسلام بجرانه نزل فاما منا بعد واما فداء
من الثخانة المرض والثقل واصله الثخانة وقرئ يثخن التشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا
حطامها باخذكم الفدا والله يريد الاخرة لكم اي ثواب الاخرة او بسبب نيله بسبب نيله من
قمع اعدائه وقرئ يجر الاخرة او بسبب نيله على اضمار المضاف كقوله اكل امرئ تحسبين امرأ
ونار توقد بالليل نارا والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال
ويخصه بها كما امر بالاثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين
المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي انه عليه الصلاة والسلام اتي يوم بدر
بسبعين اسيرا وفيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشارهم فيهم فقال ابو بكر رضي الله
عنه قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر
رضي الله عنه اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفدا مكني من فلان لنسيب
له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد
من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور
رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير

اصحا

اصحابه رضي الله عنهم فاخذوا الفدا فنزلت فدخل عمر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاذا هو وابو بكر رضي الله عنهما يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت والا
تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفدا ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة
لشجرة قريبة وفيه انهم ما اخذوا الفدا الا بعد تخيير صاحب الشرع فلا يستحقون العذاب
وفيما ذكرنا يفصح عن استحقاقهم اياه ثم ان المذكور في سبب النزول صريح في انه عليه السلام
استشار بعض اصحابه رضي الله عنهم واخذ برأي ابي بكر رضي الله عنه في القضية المذكورة فلا دلالة
في الاية المذكورة على ان الانبياء عليهم السلام يجتهدون وانه قد يكون خطأ ولكن لا يقرون
عليه لولا كتاب حكم وقضا من الله سبق اثباته في اللوح اي لا اعذب قوما الا بعد
النهي ولم يكن نهاكم فيما صنعتم او ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم قال الحسن ان الله تعالى
اطعم هذه الامة الغنيمة وانهم اخذوا الفدا من اسارى بدر قبل ان يؤمروا به فعاتب الله
تعالى عليهم ثم احله لهم وان لا يعذب اهل بدر لمسكم اصابكم تناثر منه البشرة فيما
اخذتم بسبب ما اخذتم من الفدا عذاب عظيم لما نزلت هذه الاية مسكوا عن مد ايديهم
الى شيء من الغنائم فكلوا او في عموم ما غنمتم تدخل الفدية لانها من جملة الغنائم واذا كان تقدير
الكلام ما ذكر لا يكون فيه متمسك لمن زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة حلالا حال
من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفائدته ازاحة ما وقع في نفوسهم بسبب العتاب
ولذلك وصفه بقوله طيبا لبيان انه لا تبعة فيه فان الحلال قد يكون مكروها فاذا وصف
بالطيب لا يبقى هذا الاحتمال واما الاباحة فلا تجامعها الكراهة فالمباح اخص من الحلال ومن
هنا تبين ان حق المقدر ان يكون الحلال دون المحل ويجوز ان تكون الفائدة ما وقع في
نفوسهم بسبب حرمة الغنائم على الاولين وفيه انه عليه السلام بعدما رخص فيهما وخير بين
القتل والفدا لا وجه لان يبقى في نفوسهم احتمال الحرمة خصوصا بعدما اقدموا على
اخذ الفدا وعملوا بموجب الرخصة واتقوا الله في الاقوال على ما لم يعهد اليكم فيه حكم
ان الله غفور غفر لكم ذنبكم رحيم اباح لكم ما اخذتم ولا يخفى لطف موقع هذا الكلام
وحسن انطباقه لمقتضى المقام فان في الامر بالاتقا ما يسبق الى الاوهام من بقاء التبعة وشيء
من الاثام فيما صدر عنهم من الاقدام والالتزام يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من ملككم
كان ايديكم قابضة عليهم من الاسرى وقرئ من الاسارى امر النبي صلى الله عليه
وسلم باستمالة الاسارى الذين اخذ منهم الفدا ترغيبا لهم في الاسلام ان يعلم الله في قلوبكم
خيرا اخلاصا في الايمان وصدقا في النية يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفدا اما
في الدنيا اخلافا واما في الاخرة اثابة روي انها نزلت في العباس رضي الله عنه كلفه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدي نفسه وابني اخويه عقيل بن ابي طالب

في

ونوفل ابن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال اين الذهب الذي دفعته
الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فهو لك ولعبد
الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال وما يدريك فقال اخبرني ربي فاشهد انك صادق
وان لا اله الا الله وانك رسول الله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد
الليل قال العباس رضي الله عنه فابدلني خيرا من ذلك ان لي عشرون عبيدا ان ادناهم
ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة
من ربكم يعني الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا يعني الاسرى
خيانتك نقض ما عاهدوك فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه الماخوذ بالعقل
من قبل فامكن منهم فامكنك منهم اي فاقدرك عليهم يعني اهل بدر وهم مع صناديدهم
وروسائهم فكيف تعدد ظهارهم بالقتل ان اعادوا الخيانة فيمكنك منهم والله عليم
بالاحوال حكيم في الافعال ان الذين امنوا وهاجروا وهم المهاجرون هاجروا اوطانهم
حبا لله ورسوله وجاهدوا باموالهم بان صرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها في المحاويج
وانفسهم في سبيل الله بمباشرة القتال والذين اووا اي اووا المهاجرين الى ديارهم
ونصروا نصروهم على اعدائهم وهم الانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى
نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقيل بالنصرة والمظاهرة والذين امنوا في ذكر
امنوا هنا دون الثاني لان قوله اووا يغني عنه بخلاف قوله ولم يهاجروا بل يوهم خلافه
ما لكم من ولايتهم من شيء اي من توليهم في الميراث حتى يهاجروا وقرئ ولايتهم بالكسر
تشبيها للتولي بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كانه بتوليه صاحبه يزاول عملا وان استنصروكم
في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق
عهد فانه لا يجوز ان ينقض عهدهم بنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير تحذير عن تعدي
حد الشرع في الموالاة وتركها والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ظاهره اثبات الموالاة
بين الكفار والمراد نهي المسلمين عن موالاتهم وموارثتهم لان الموالاة بين الكفار والمراد نهي
المسلمين عن موالاتهم وموارثتهم لان الموالاة بينهم مرتبة على التناسب في الكفر كثرتها بين
المؤمنين على التناسب في الايمان فالمفهوم عدم الموالاة حيث لا مناسبة فيلزم انتفاء موالاة
المؤمنين والكافرين في التوارث ووجوب مصادمتهم ومباعدتهم وان كانوا الاقارب الا
تفعلوه ان لم تمتثلوا ما امرتكم به ولم تتركوا موالاة الكفار ولم تفضلوا نسبة الايمان على
نسبة القرابة واخوة الاسلام على اتصال اللحمة ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار
ولم تجعلوا القرابة دينية فقط تكن فتنة تحصل فتنة في الارض عظيمة هي ضعف
الاسلام وقوة الكفر وفساد كبير في الدين لان المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على الكفر

ثم

ثم يبقى الدين وازداد الفساد وقوي وكبر كثيرا اكتفى بالتنكير في توصيف الفتنة بالتكبير
للتنبيه على انه لا يفي به التعبير والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا
ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان القسمين الاولين
المتواصلين هم الكاملون في الايمان الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد
وبذل المال ونصرة الحق واثنى عليهم ووعد لهم الموعد الكريم مخصوصا بهم ولمن لحقهم حيث
قال لهم مغفرة ورزق كريم اي مغفرة عظيمة ونوع من الرزق لا تبعة ولا منة فيه والتخصيص
مستفاد من تقديم الجار والمجرور والاية الاولى للامر بالتواصل بينهم والموالاة لبيان فضلهم
فلا تكرار والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم من جملتكم ايها المهاجرون
والانصار اي حكم اللاحقين بهم المنتسبين بسمتهم حكم السابقين الى الهجرة وكمال الايمان والموعد
ترغيبا لهم وتكريما واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في التوارث من الاجانب في كتاب الله
في حكمه او في اللوح او في القران وهو اية المواريث واستدل بها على توريث ذوي الارحام
ان الله بكل شيء عليم فيعلم الحكمة في التوريث بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا ثم بنسبة القرابة ثانيا

سورة براءة مدنية مائة وعشرون وسبع ايات

براءة
ي اخر ما نزلت ولها اسماء اخر منها سورة التوبة وعن حذيفة رضي الله عنه انكم تسمونها
سورة التوبة وانما هي سورة العذاب والله ما تركت احدا الا نالت منه قيل كان النبي عليه
الصلاة والسلام اذا انزلت عليه اية او سورة يبين موضعها وتوفي ولم يبين موضع هذه
السورة وكانت قصتها تشابه قصة الانفال وتناسبها لان في الانفال ذكر العهود وفي
وفي براءة نبذها فقرن بينهما واما انها لم تضم اليها فلان الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا
في انهما سورة واحدة وهي سابعة السبع الطوال او سورتان فتركت بينهما فرجة ولم يكتب
بسم الله رعاية للاحتمالين ومن قال انها نزلت التسمية بينهما لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله
امان فكانه غافل على انها توقيفية اذ لا مدخل للراي في اثباتها وتركها براءة مبتدا موصوف
بقوله من الله ورسوله اي هذه براءة وحينئذ لا حاجة الى تقدير حاصله بتقدير
واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين والعهد العقد الذي يتقدم
به لتوثيق الامر واظهارها كما ذكر في صورة الاخبار وهو امر في الحقيقة للمبالغة في جهاده
عليه الصلاة والسلام الى الامتثال الى الاوامر الواردة وذكر الله تعالى لمبتدا كما في قوله تعالى
لا تقدموا بين يدي الله ورسوله تعظيما لشانه عليه الصلاة والسلام واشعارا بان انه
من الله تعالى بمكان يوجب اجلاله وانما نسب البراءة الى الرسول عليه الصلاة والسلام والمعاهدة
الى المسلمين لشركتهم في الثانية دون الاولى من المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فانهم
نكثوا العهد الا ناسا منهم من بني ضمرة فامر الله تعالى المسلمين بنبذ العهد الى الناكثين منهم

فسيحوا السير السير على مهل والجري على انبساط ولا يخفى حسن موقعه هنا وفيه تلوين الخطاب
من سورة الخبر الى الامر الظاهر ونقله من مخاطب الى اخر بلا تخلل بينهما باداة النداء وهذا جائز
عند عدم الاشتباه كما في قوله يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك فلا حاجة الى تقدير
القول ولا بعد في ترتيب الثاني على الاول كما في قوله الحماسة

لا تعتبي وبحان فنبري محرم عليكم ولكن ابشري ام عامري

وانما زيد قوله في الارض تعميما للاذن وان لا يفعلوا ان السيح لا يكون الا في الارض اربعة
اشهر امهلهم اربعة اشهر ليسيروا فيها على مهل ايما شاءوا وهي الاشهر الحرم المرادة بقوله
تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم على ما ياتي بيانه باذن الله تعالى وقيل هي شوال وذو القعدة
وذو الحجة والمحرم لانها نزلت على ما ياتي بيانه في شوال سنة تسع من الهجرة وكانت صيانة
الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها واجبة موافقها النزول وقيل عشرون من ذي الحجة والمحرم
وصفر وربيع الاول وعشرين ربيع الاخر لان التبليغ كان يوم النحر وكانت حرما لانهم امنوا
فيها وحرم قتلهم وقتالهم او على التغليب لان ذي الحجة والمحرم منها ويرد عليه انه لا دلالة في
كون التبليغ العام على رؤس الانام يوم النحر على ما ذكر اذ يجوز ان يكون النزول قبله وتحصل
فائدة التبليغ بالاعلان والاستعانة روي انه لما ضرب لهم مدة قالوا نسيح في المدة اما ان ثم
نحتال فنمتنع فنزل قوله واعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم تهديد وزيادة
اغلوا للتشديد وان الله مخزي الكافرين الاخزا الاذلال بما فيه الفضيحة والعار اي
تذلهم بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب في الاخرة ووضع الظاهر موضع المضمر في الموصفين
اما في الاول فلتفخيم امر الخزي واما في الثاني فلدلالته على ان الكفر هو الموجب له وكذا في وبشر
الذين كفروا واذان من الله ورسوله الاذان فعال بمعنى الافعال كالان والعطا بمعنى الايمان والاعطا
قيل معناه النداء بالامر الذي يسمع بالاذن ورفعه كرفع براءة على الوجهين والرا عاطفة للجملة
على الجملة الى الناس لما كانت البراءة مخصوصة بالمعاهدين والايذان بها للعموم علق الاخبار
بالبراءة بالمعاهدين والاخبار الايذان بذلك بالناس يوم الحج الاكبر يوم العيد لان فيه
تمام الحج ومعظم افعاله ولان التبليغ كان فيه ولما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقف يوم النحر في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وتوصيفه بالاكبر لان العمرة حج اصغر
لان المراد من الحج افعاله وما يقع فيه اكبرها في الاعمال ولانه ظهر فيه عز المسلمين وذل
الكافرين واما الموافقة لاعياد سائر الملل فلا ينبغي ان يعتبر بها في تعظيم حجنا ثم ان التوصيف
المذكور قد ورد في حجة الوداع ايضا ولا موافقة ثمة ان الله اي بان الله حذفت الباء
هي صلة الاذان تخفيفا وقرئ ان الله بالكسر اجرا للاذان مجرى القول بريء من المشركين
في افعالهم واقوالهم واحوالهم ويندرج فيها عود ذمم ابدا عاجلا واجلا ورسوله عطف على

مستكن

مستكن في بريء من غير تاكيد للفصل او على محل ان المكسورة واسمها بلا فصل اداته وقرئ بالنصب
على اسم ان او على الواو بمعنى مع ويجوز ان يكون مبتدا محذوف الخبر اي ورسوله كذلك فان
تبتم تفريع على ما فهم مما تقدم من كون الشرك واثاره سببا للبراءة وفي هذا التفريع
غنى عن ذكر متعلق التوبة فهو اي فالتوب خير لكم في الدنيا والاخرة وان توليتم
اي اعرضتم عما دعيتم اليه فاعلموا انكم قد مر ان تمام اعلموا في مثل هذا المقام للتهديد
في الوعيد انكم غير معجزي الله لا تفوتونه طلبا وتتخلصون منه مهربا وبشر الذين كفروا
الانذار بالبشارة عام لكل من يقف عليها وفيه الخطاب بعذاب اليم في الاخرة الا الذين عاهدتم
استدراك من قوله براءة من الله ورسوله الى اخره بحسب المفهوم كانه قيل لا تمهلوا الناكثين للعهد
غير اربعة اشهر لكن الذين عاهدتم ولم ينقضوا عهدهم لا تجعلوهم في حكم الناكثين الذين لا رخصة
في امهالهم عن المدة المذكورة ولا يضره تخلل الفاصل اعني قوله واذان من الله الى اخره لانه
ليس باجنبي بالكلية لكونه امرا بالاعلام معنى كانه قيل واعلموا ان الله بريء منهم
قيل استثناء من المشركين ورد بانه يلزم تخلل الفاصل الاجنبي مع منافاته لعموم المشركين
في قوله ان الله بريء من المشركين والعدول في قوله من المشركين من المضمر الى الظاهر
لطول العهد والتنبيه على ان الشرك اذا قارنه الوفاء بالعهد لا يؤثر في النبذ ولا يخفى
ما فيه من التعميم التفخيم لشان الوفاء به ثم لم ينقصوكم شيئا من شرائط العهد وفي
عبارة ثم اشارة الى انهم لم يفعلوا ذلك مع تمادي العهد ولم يظاهروا اي ولم يعاونوا عليكم
احدا من اعدائكم فاتموا تفريع على ما تقدم وبيان للمراد من عدم جعلهم في حكم الناكثين
ولما قال اليهم تضمينا لمعنى الارسال اي اتموا عهدهم الى مدتهم مرسلين اليهم يعني
امر الاتمام وذلك لما اعتبر الاعلام في قرينة السابق ذكره كان المناسبة اعتباره ههنا
ايضا وفيه دفع وفيهم حكم النبذ ايضا واما تضمين ادوا ففيه التزام للجمع بين معنيين ما احد
مغن عن الاخر عهدهم الى مدتهم المدة زمان طويل الفسحة واشتقاقه من مددت
له في الاجل المهملة والمراد منتهاها بقرينة الى التي لانتهاء الغاية فلا حاجة الى تقدير
المضاف ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان قضية التقوى اتمام العهد
والتسوية بين الوفاء والغادر في ان النبذ مخالفة التقوى وان كان الاول مشركا وفيه
تتميم لما قصد بقوله من المشركين من التفخيم لشان الوفاء بالعهد فاذا انسلخ الانسلاخ
انفصال الشيء عما يلابسه ملابسة التحام من سلخ الشاة واذا كان الانفصال عما يلابسه
ملابسة مجاورة او التصاق دون التحام يقال تخلع ولا يقال انسلخ ثم ان الخلع والسلخ
مشتركان في التعلق بما يحتوي الشيء وبه يفارقان النزع فانه يتعلق بما يحتوي الشيء
مثلا يقال نزعت المسمار ولا يقال خلعته ولا سلخته وانما يقال خلعته لاخر الشهر يوم

السلخ استعارة لعبارة السلخ لازالة النور الاشهر الحرم وهي تسعة اشهر لبني كنانة
واربعة اشهر لساير المعاهدين المذكورة في قوله فسيحوا في الارض اربعة اشهر لساير المعاهدين
ومن قال التي ابيح للناكثين اي يسيحوا فيها فكانه غفل عن عموم الحكم لبني كنانة وقيل رجب
وذي القعدة وذي الحجة والمحرم وياباه ترتيب الكلام على ما تقدم بالفاء واما رده بانه يخالف
الاجماع لانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما تركت بعد ما ينسخها فليس بتمام لان
ناسخ الكتاب لا يلزم ان يكون من الكتاب وعلى تقدير لزومه كما هو مذهب الشافعي وحينئذ
يحتمل ان يكون ناسخه من الكتاب منسوخ التلاوة فاقتلوا المشركين الناكثين عهدهم
حيث وجدتموهم في حل وحرم ولما كان التعريف في الموضعين للعهد لم يكن لمسئلة جواز
قتال المشركين في الاشهر الحرم تعلق بهذا المقام كما سبق في بعض الاوهام وخذوهم
الاخذ الاسر ومنه الاخيذ للاسير وليس اسرهم للاسترقاق لانه لا يجوز في حق المشرك
ولهذا امر بالحبس والمراد منه الامهال في تخييرهم بين السيف والاسلام هذا في حق
الحاضر والذي في حق الغايب ما ذكر بقوله واقعدوا لهم واحصروهم اي
واحبسوهم ويجوز ان يكون المراد من الحصر المنع من التبسط في البلاد ويدخل فيه
دخولا اوليا منعهم من المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد اي مواضع الغرة
قال النابغة

اعاذل ان الجهل من لذة الفتى وان المنايا للنفوس لمرصد

وقيل اي كل ممر ومجتاز يرصدونهم كيلا ينبسطوا في البلاد وعلى يكون من قبيل
التاكيد والتاسيس خير منه وانتصابه على الظرف فان تابوا اي من المعاصي
ويدخل فيها دخولا اوليا الرجوع عن الكفر التي متضمنه للايمان ثم فرق به اقامة
الصلاة واتوا الزكاة تنبيها على مكانهما من الشرع ويجوز ان يكون من قبيل الاكتفا
بذكرهما اي العبادات البدنية والمالية وذلك يتضمن التصديق بنبوة نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم وهو المقصود الاصلي لمضمون الكلام المذكور منطوق كلمتي
الشهادة فخلوا سبيلهم تامين لهم فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشيء من
ذلك ولا دلالة فيه على ان تارك الصلاة ومانع الزكاة لا تخلى سبيله لما عرفت ان
الشرط التزامهما كما في قوله تعالى حتى يعطوا الجزية ان الله تعليل لما تقدم اي لان
الله غفور يغفر لهم ما قد سلف رحيم لا يكلفهم الشاق ولا يخفى حسن
التظاهر مع الشاق لتضمنه الاشارة الى وجه الاكتفا بالالتزام لما امر به وان
احد فاعل فعل مضمر يفسره ما بعده لوجود حرف الشرط وانما قال احد لعدم
الرخصة لاجارة الجماعة لانها مظنة الفساد ولا يتوقف عليها تمام المصلحة من المشركين

لم يقل منهم

لم يقل منهم لعدم اختصاص الحكم بهم على ما ياتي بيانه استجارك اسالك ان تؤمنه وتكون
جارا له ليسمع كلام الله تعالى ويتبين ما تدعو فاجره فاجلسه الى ذلك حتى يسمع كلام
الله ويتدبره فيعلم انه معجز من عند الله وذلك يقتضي مهلة ولذلك قال ثم ابلغه
مامنه يعني ان لم يؤمن وطلب الرجوع الى موضع امنه والتعبير عن الفهم بالسمع لانهم من
اهل اللسان فيفهمون المعنى كما يسمعون اللفظ ذلك الحكم بانهم بسبب انهم قوم
لا يعلمون اشارة الى لطف المعاملة معهم في الاجارة وتبليغ المامن اي لا يعلمون حقيقة
ما تدعو اليه فلا بد من الامان زمانا حتى يسمعوا ويفهموا الحق ويذعنون ويجوز ان
يكون لا يعلمون منزلا منزلة اللازم اي ليسوا من اهل العلم والمعرفة وهذا الحكم عام ثابت
ابدا كيف يكون للمشركين استفهام على جهة التعجب والاستبعاد وموضعه الى الانكار
على الوجه الابلغ عهد عند الله يامنون به من عند الله في الاخرة وعند رسوله
يامنون به عذاب الدنيا من القتل والاخذ وتكرار عند للتنبيه على اختلاف المراد وفيه سد
لباب التمهيد قيل انكار واستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثون مع غرة صدورهم اولان
يفي الله ورسوله بالعهد وهم ينكثون ولا يذهب عليك ان ما ذكر معنى قولنا كيف يكون لله
ورسوله عهد عند المشركين لا معنى ما قاله تعالى كيف حال عن اسم يكون مقدمة للاستفهام
وللمشركين خبره وعند الله صفة للعهد او ظرف ليكون او كيف خبر مقدم وللمشركين
متعلقة للحال او عند الله خبر الا الذين عاهدتم نصب على الاستثنا او جر على البدل او رفع
على انه كلام مستدرك بمعنى لكن الذين عاهدتم عند المسجد الحرام لم ينقضوا قبله
فما استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم عليه والفاء الاولى على الوجهين الاولين
عاطفة الجملة على مقدر فتربصوا امرهم فما استقاموا لكم وعلى الثالث فا الجزا لتضمن
الموصول معنى الشرط وما شرطية وجزاء الشرط فاستقيموا او مصدرية على معنى فاستقيموا
لهم ما استقاموا لكم والفاء الثانية مكررة للتاكيد ان الله يحب المتقين تعليل
للامر بالاستقامة واشعار بان المحافظة على العهد من لوازم التقوى كيف اعادة
الاستبعاد المذكور على وجه الاختصار وعلى طريقة الاقتصار على ذكر اول الكلام عند
الفهام التمام بمعونة المقام واما التنبيه على العلة فحاصل بدون اعادة كيف والمعنى كيف
يكون لهم عهد عند الله وعند رسوله ولا عهد لله ولرسوله عندهم وقد عبر عن هذا
على طريقة اقامة دليل الشيء مقامه بقوله كيف وان يظهروا عليكم اي وحالهم
انهم ان يظهروا بكم اصل الظهور العلو بالغلبة لا يرقبوا اي لا يراعوا فيكم اصل
الارتقاب بالبصر ومنه الرقيب ثم قيل لكل شيء حافظ على كل شيء وراعاه راقبه وارتقبه
الا خلفا وقيل قرابة ولا ذمة عهدا او حقا يعاب على اغفاله يرضونكم بافواههم

مستانف لبيان حالهم المنافية للثبات على العهد وتقرير عدم مراعاتهم للحلف والقرابة
او الارضا بالافواه عبارة عن معاذيرهم الكاذبة ومواعيدهم الباطلة وانما ذكر الافواه
لان للظاهر وتابى قلوبهم عن ارضائه حقيقة لما فيها من العزائم على خلاف ما قالوا
وانما قال واكثرهم فاسقون لما في بعضهم من التفاوت عن الغدر والتعفف
عما لا يجر الى حدوثة السوء وتوصيفهم بالفسق مع الشرك اشد منه الرفع شان الايمان في
المدح فلا حاجة الى التكلف وصرف الفسق ظاهره اشتروا بايات الله ثمنا قليلا استبدال
لبيان فسقهم وقد مر تفسيره في سورة البقرة فصدوا اي اعرضوا من صد عنه
يصد صدودا او منعوا من صده عنه يصده صدا عن سبيله الا دبا لسبيل الدين
الحق والاضافة الى الله تعالى للتشريف انهم ساء ما كانوا يعملون المخصوص بالذم محذوف
وما دل عليه قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة تفسير لما يعملون لا تكرير واوليك
هم المعتدون المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة والواو للعطف من جهة المعنى
على ما تقدم من جملة الاستنافية فان تابوا اي بعد هذا كله ان رجعوا عن الكفر الى
الايمان وان اقاموا الصلاة واتوا الزكاة قد مر تفسيره فاخوانكم فهم
اخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الايات اعتراض للتحريض
على تدبرها فصل من الايات وقيل ما بين من احكام المشركين المعاهدين والتائبين
والحث على المحافظة عليه لقوم يعلمون اشعار بان العالم من تامل تفصيلها
والواو للعطف على مقدر اي تنزل القران او نفصل الايات وان نكثوا ايمانهم
النكث النقض واصله فيما يفتل ثم يحل فهي في الايمان والعهود مستعارة وانما
قال من بعد عهدهم اظهار القبح حال الناكثين حيث عاهدوا ثم اكدوا عهدهم
بالايمان وافراد العهد وجمع الايمان لان الاول يكون بالنيابة فمن مقدم جماعة يكون
عهدا لهم دون الثاني فلا بد من صدور اليمين من كل واحد منهم وطعنوا الطعن
من الاعتماد بالعيب واصله الاعتماد بالرمح في دينكم تصريح التكذيب وتقبيح الاحكام
اي اظهر والنقض المذكور بالقول ولا بد من اظهاره في باحة القتال وتخصيص الاظهار
الاذي بالذكر ليعلم الحكم في الاظهار الاعلى وهو ما يكون بالفعل بالطريق الاولى ولما
كان ذكر الطعن في صدد بيان ان نقض العهد انما يبيح القتل والقتال اذا كان ظاهرا
قولا او فعلا لم يكن في الاية دلالة على الذي اذا طعن في الدين ينكث عهده ويباح
قتله فقاتلوا ايمة الكفر وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان سياق
الكلام في رؤسايهم بناء على ان المعاهدة انما تكون بهم بحسب العادة نقوله من بعد
عهدهم تمهيد له وذلك ان تقول ان الجزا فقاتلوهم ولما كان فقتلهم مسبوقا بمقابلة

مقدمهم

مقدميهم ورفع مذانقه رؤسايهم من البين نزلتها منزلة الجزا على طريقة الكناية بذكر
الملزوم وقرى ايمة بالتخفيف الهمزتين والافصح جعل الثانية بين بين واما التصريح
بالياء فلحن صريح انهم لا ايمان لهم تعليل على طريقة تنزيل الشي الخالي عن التاثير
منزلة العدم اي لا اثر لعهودهم في المنع عن قتلهم بعد النكث فلا دلالة فيه على ان يمين
الكافر ليس بيمين وقرى لا ايمان بالكسر يعني ان المانع عن قتلهم احد الامرين العهد
وقد نقضوه والايمان ولا وجود له لعلهم ينتهون متعلق بقوله فقاتلوا اي
ليكن غرضكم في قتالهم انتهاؤهم عما هم عليه من الكفر والغدر وسائر العظايم
لا ايصال الاذية بهم كما هو طريق المؤذين الا تقاتلون معنى الهمزة الداخلة على
نفي القتال الانكار والتوبيخ فتفيد المبالغة في الحث والتحريض عليه وتعديد
الصفات الموجبة له من نكث الايمان والهم باخراجه عليه السلام والبدا بالقتال
تقوية وتاكيد لذلك قوما نكثوا ايمانهم التي حلفوها مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا
باخراج الرسول حين تشاوروا بمكة في امره حتى اذن الله تعالى له عليه السلام
في الهجرة وهم بدؤكم اول مرة بالمعاداة والمقاتلة لانه عليه السلام بداهم
بالدعوة وتحداهم بالكتاب والزمهم الحجة فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى
المقاتلة وهم البادون بالقتال اتخشونهم اتتركون قتالهم خشية ان ينالكم
منه مكروه والخشية انزعاج النفس لتوقع ما لا يؤمن من الضرر وادخال الهمزة
انكار للخشية واثبات الحسنانها للايمان على ما صرح به بعده بقوله فالله احق
ان تخشوه ان كنتم مؤمنين لان الايمان يستلزم تخصيص الخشية بالله
تعالى وعدم المبالاة بغيره وفيه جمع بين التقريع والتشجيع وهو ابلغ في التحريك
ولما بالغ في التوبيخ مع ترك القتال وبين موجباته قدر لهم الامر به صريحا ووعد
لهم النصر والغلبة وتعذيب الكفار بايديهم ليلون اوقع في نفوسهم واشد تبيينا لقلوبهم
وتقوية لعزايمهم نفقا قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم قتلا ويخزهم اسرا والخزي
يستحي منه وينصركم عليهم النصر المعونة بدفع الضرر وتعديته بعلى لتضمينه
معنى التغليب ويشف الشفا ملايمة النفس بما يزيل عنها الاذى صدور
قوم مؤمنين وهم خزاعة ووجه تخصيصهم انهم الذين نقض فيهم العهد وبالتهم
الحرب وكان فيهم مؤمنين كثير الغيظ ويذهب غيظ قلوبهم بما لقوا منه
من المكروه والغيظ امرهم بالقتال ووعد عليه هذه الاشيا وانجز ما وعد فكان
الاخبار بذلك من المعجزات ويتوب الله على من يشا كلام مبتدا واخبار بان

بعض اهل مكة يتوب ويقبل الله تعالى توبته لصدقها وكان ذلك ايضا منفصلا
عما قبله لفظا ولكنه متصل به ومعنى اي من فوائد القتال ان يتوب بسببه بعض
ما تاتل فيه وقرئ ويتوب الله بالنصب على اضمار ان دخول التوبة في جملة ما اجيب
به الامر من حيث المعنى والله العدول عن الضمير للتفخيم عليم حكيم لا يكون عليه خفا
ام حسبتم ام منقطعة بتضمن اضرابا عن اللفظ الاول لا عن معناه والاستفهاما ما
فهي تسد مسدين بل والف الاستفهام والاستفهام هنا للتوبيخ لهم على حسبانهم ان تتركوا
بحالهم اي اخطاتم في ظنكم انكم تتركون على ما انتم عليه دون اختبار وامتحان فانكم
لا تتركون حتى يتميز المخلص الذين جاهدوا منكم في سبيل الله توجهه ولم يتخذون بطانة
من الذين يضادون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يوالونهم ويفشون اليهم
اسرارهم من غيرهم ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ان النفي العلم مع التوقع
والمراد به المبالغة في نفي العلوم على الطريق البرهاني لانه لو وقع لكان معلوما
له فلما لم يعلم لزم عدم وقوعه اي لم يتميز المخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم
وما في لما من معنى التوقع تنبيه على ان تبيين ذلك متوقع ولم يتخذوا عطف على
جاهدوا داخل في الصلة من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة بطانة من
الولوج وهو الدخول وليجك صديقك الذي تطالعه على ما في داخل قلبك والله
خبير بما تعملون فيعلم المجاهدين المخلصين قبل وقوعه فهو كالشرح لما يقع في الوهم
من الشبهة في قوله ولما يعلم الله ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا مسجد الله
شيئا منها فضلا عن المسجد الحرام او المراد هو وانما جمع لانه قبلة المساجد كلها وامامها
فعامره كعامر الجميع وقرئ بالتوحيد في الموضعين بالتوحيد يوافق المعنيين لان تعريفه يحتمل
العهد والجنس شاهدين على انفسهم بالكفر حال من الواو وفيه اشارة الى حالهم
المنافية الى ما استبعد لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله تعالى وعبادة
غيره اولئك حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها من العمارة والحجابة والسقاية
وفك العناة لان الكفر الطارئ يهدم الاعمال فكيف بالمقارن وفي النار هم خالدون
لكفرهم دون العصاة من المؤمنين انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر
واقام الصلاة واتى الزكاة اي لا يستقيم ولا يصح عمارة مساجد الله تعالى الا لمن
امن وجمع بين الكمالات العلمية والعملية والايمان باليوم الاخر المتضمن التصديق
بالمعاد الجسماني لا يكون الا بطريق السمع فهو بهذا الاعتبار يشمل الايمان بنبينا عليه
الصلاة والسلام ولان المعاد الجسماني لم يذكر في غير القران من الكتب السماوية هذا
هو الوجه لعدم ذكر الايمان به واما قوله واقام الصلاة واتى الزكاة فلا يغني

عنه

عنه لانها لا يجوز ان يوجد اسمها من سائر الشرائع والعمارة تتناول رم ما استرم منها
وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتمهيد الفرش واقام الصلاة وادامة الذكر وتلاوة
القران ودراسة العلوم وصيانتها عما لم تبن له كحديث الدنيا وسائر الفضول ولم
يخش الا الله المراد من الخشية هو الرهبة والهيبة والانقياد اللازمة من تصور
عظمة الله تعالى لا الانفعال الجبلي الذي هو الخوف فانه ليس بارادي واما هذه فانه
من لوازم التقوى لان عظم الخالق في قلب المؤمن يصغر المخلوق في عينه فلا خشية
له من غيره فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين في ذكره بصيغة التوقع قطع الاطماع
المشركين في الاهتداء وهم دائرين عسى ولعل فكيف يطمع فيه المشركين باعمالهم المبنية
في الافتخار والرياء والمباهاة والتقرب الى العزى واللات ومنع للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم
ويتكلوا اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد
في سبيل الله العمارة والسقاية مصدران والحدث لا يشبه الجثة فلا بد من مضمر يدل
عليه بقرينة الفعل محذوف لا محالة تقديره اجعلتم سقاية اهل الحاج وعمارة المسجد الحرام
كمن امن ويعضده قراءة سقاة الحاج وعمرة المسجد او سقاية الحاج كايمان من امن
والمعنى انكار ان يشبه المشركين واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة وقوله
لا يستوون عند الله تقرير لذلك وتاكيد له وبين عدم تساويهم بقوله والله
لا يهدي القوم الظالمين اي الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول عليه
الصلاة والسلام منهمكون في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم
للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين وانما
قال لا يهدي تنزيلا للهداية الواقعة في حقهم منزلة العدم لعدم ترتب الاثر عليها
الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله
من اهل السقاية والعمارة عندكم او ممن ليس كذلك فيندرج فيه اهلها اندراجا
اوليا لكونهم مشركين واولئك هم الفائزون المختصون بالفوز دونكم او دون من
عداهم والفوز بلوغ البغية اما في نيل مرغوب او نجاة عن مكروه والمراد هنا الفوز
الكامل المنتظم لهما يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها في الجنات
نعيم النعيم لين العيش ورغده مقيم دائم وتنكير المبشر به للتعظيم وكونه
فوق وصف الواصف وتعريف المعرف وفي اسناد البشارة الى ربهم زيادة تعظيم
للمبشر به وتكريم للمبشر وبيان كون الرحمة منه تعالى مع كرينه معلوما لا يخلو
عن قصد التعظيم لها وانما اطلق الرضوان لتنتظم نوعيه المذكورين في قوله تعالى
رضي الله عنهم ورضوا عنه خالدين فيها اكد الخلود بالتابيد لانه قد يستعمل للمكث

الطويل إن الله عنده أجر عظيم يستحقرون دونه الاجور الدنيوية يا ايها الذين آمنوا
لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء عن ابن عباس رضي الله عنه هي في المهاجرين خاصة
كان قبل فتح مكة من امن لم يتم ايمانه الا بان يهاجر ويصارم اقرباءه الكفرة ويقطع
موالاتهم ولم يذكر الابناء في هذه الاية اذ الاغلب في البشر ان الابناء هم اتبع للاباء
والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله
ان استحبوا الكفر اي اختاروه واثروه على الايمان فعديته بعلى
لتضمنه معنى الاختيار والايثار ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون
لوضعهم الموالاة غير موضعها على خلاف امر الله تعالى لما ورد التشديد في
امر المهاجرة قالوا يا رسول الله اذا نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا اباءنا
وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضايعين
فنزلت قل ان كان اباؤكم وابناؤكم ذكر الابناء في هذه الاية لما جلبت ذكرهم المحبة
والابناء صدر في المحبة واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم اقرباؤكم ماخوذ من العشرة
وقيل من العشيرة فانها جماعة ترجع الى عقد واحد كعقد العشر واموال اقترفتموها
اكتسبتموها واصل الاقتراف اقتطاع الشيء من مكانه الى غيره وتجارة تخشون كسادها
يعني اشتريتموه طلبا للربح تخافون وقوفها وخسرانها بفوت وقت نفاقها
ومساكن ترضونها منازل تعجبكم الاقامة فيها احب اليكم اراد الحب الاختياري
دون الطبيعي فانه لا يدخل تحت التكليف والتحفظ عنه من الله ورسوله وجهاد
في سبيله فيه دلالة ظاهرة على ان سياق الكلام في الحض على الهجرة فتربصوا
جواب ووعيد والتربص التوقف على الانتظار حتى ياتي الله بامره بعقوبة عاجلة
او اجلة وفي العدول عن حتى ياتي الله بامره الى ذكر تفخيم الامر والله لا يهدي
القوم الفاسقين فيه تنزيل الوجود الهداية في حقهم منزلة العدم لعدم الاثر في
الاية تشديد عظيم وقلما يتخلص عنه لقد نصركم الله في مواطن كثيرة المواطن
في موضع الاقامة ومواطن الحرب مواقعها وهي المراد هنا ويوم حنين عطف
على محل مواطن كثيرة اي وفي مواطن يوم حنين ليتناسب الامكنة والازمنة فيقع حرف
النسق موقعه ويجوز ان يراد بالموطن الوقت كقتل الحسين اذ اعجبتكم كثرتكم بدل
من يوم حنين ولا يمنع ابداله منه عطفه على محل في مواطن اذ لا يقتضي اشتراكهما فيما
اضيف اليه المعطوف فلا يلزم ان يكون اعجابها اياهم في جميع المواطن وحنين واد بين مكة
والطائف قيل انهزم المسلمون يومئذ وهم اثنا عشر الفا وبقي رسول الله صلى الله عليه
وسلم مركزه ليس معه الا عمه العباس وابن عمه ابو سفيان رضي الله عنهما وليس الاسد

كما قيل

كما قيل فان الثابتين معه عليه السلام كانوا عشرة رجال وقد افتخر العباس رضي الله عنه
في قوله

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة ... وقد فر من فر منهم واقشعوا
وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه ... بما مسه في الله لا يتوجع

وذلك العاشر ايمن ابن ام ايمن رضي الله عنه قال البراء بن عازب رضي
عنه لقد رايته عليه السلام وانه على بغلة بيضاء وان ابا سفيان اخذ بلجامها والنبي
عليه السلام وانه على يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب او لقوله نسب
المسلمين عامة واخره نسب عمه وابن عمه خاصة فان في ذكر جده اشعارا بان من
كان من نسله حقه القرار دون الفرار وهذه اية غاية الشجاعة حيث لم يخف
امته ونسيه في تلك الحالة ولم يخف الكفار على نفسه فلم تغن عنكم اي الكثرة
شيئا قليلا من الاغناء او من امر العدو وضاقت عليكم الارض بما رحبت برحبها
اي من الخوف كما قال الشاعر

وكانت بلاد الله وهي عريضة ... على الخائف المطلوب كفة حابل

والرحب بالضم السعة وبالفتح الواسع الجار والمجرور في محل الحال اي ملتبسة برحبها
ومعنى ضيق الارض عليهم مع سعتها انهم لا يجدون فيها مجيئا ولا مهربا يرضونهم لفرط
الرعب فكانما ضاقت عليهم ولا يثبتون فيها كمن لا تسعه مكانه ثم وليتم الكفار
ظهوركم مدبرين منهزمين والادبار الذهاب الى خلاف الاقبال ثم انزل
الله سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا
وقيل الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقع الهرب وتكرير
على تنبيه على اختلاف الحال وانزل جنودا لم تروها باعينكم والجنود الجموع التي
تصلح للحرب والمراد ههنا الملائكة وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر
والسبي وذلك جزاء الكافرين اي ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا ثم يتوب
الله من بعد ذلك الجريمة العظيمة على من يشاء بالتوفيق على الاسلام وهم ناس
منهم والله غفور يتجاوز عنهم رحيم يتفضل عليهم يا ايها الذين امنوا انما
المشركون نجس مصدر والافصح ان يجعل نجس خبرا على انهم النجاسة بعينها والمعنى
انه يجتنب على النجاسة الا انه بولغ في وصفهم بها فجعلوا عينها للتنفير وبيان وجوب
تبعيدهم عن المسجد وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم وهو تخفيف نجس نعتا
والتزاما للرجس وعلى هذه القراءة لا بد من تقدير موصوف كجنس فضرب فلا
يقربوا المسجد الحرام الفاء للسببية اي فلا يقربوه بسبب انهم عين النجاسة

والنهي عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وهو مذهب عطا والمراد
من نهيهم ان يقربوه نهي المسلمين عن تمكينهم منه ولهذا صدر الكلام بالخطاب
لهم فلا دلالة فيه على ان الكفار مخاطبون بالفروع وقيل المراد المنع عن الحج والعمرة
وعليه ابو حنيفة رحمه الله ويؤيده قوله بعد عامهم هذا فانه لولا هذه الارادة
لكان مقتضى التفريع المذكور انتظام النهي لبقية ايام هذا العام ايضا والاية
في سنة عشر وقيل الى سنة تسع وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله
من عطايه او تفضله بوجه آخر وقد انجز وعده بان فتح عليهم باب اخذ الجزية
من اهل الذمة واخذ الغنيمة من اهل الحرب ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا
لهم ان شاء قيده بالمشية لا لينسيه على انه متفضل في ذلك لان قوله من
فضله صريح فيه بل لتنقطع الآمال اليه وتنبيه على وجه اختلاف الاحوال والاعوام
والاقوام ان الله عليم بمصالح العباد حكيم فيما حكم واراد قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله ولا باليوم الآخر اي لا يؤمنون بهما على وجه يصح ويقبل على ما مر بيانه في اوايل
سورة البقرة ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله لم يقل ورسوله لانه عليه الصلاة
والسلام لم يحرم شيئا الا بالوحي على المذهب الصحيح فليس المعنى ما حرم الله بالكتاب
ورسوله بالسنة لما في هذا التوزيع من ايهام استقلاله عليه السلام في التحريم ولا
يدينون دين الحق الثابت الذي هو ناسخ ساير الاديان ومبطلها من الذين اوتوا
الكتاب بيان للذين لا يؤمنون تاكيد للحجة الذي لا بد من تقديمها على القتل لانهم كانوا
يجدونه عليه السلام في التوراة والانجيل فلا دلالة فيه من جهة المفهوم على اختصاص
قبول الجزية باهل الكتاب كما لا دلالة على اختصاص وجوب القتال بهم لمن سبق في
الاية السابقة قتال النصارى ولو قال قاتلوا اهل الكتاب لكفى وانما اطنب بذكر
هذه الاوصاف الذميمة تحريضا للمؤمنين على قتالهم لانها صفات توجب البراءة
منهم والعداوة لهم حتى يعطوا الجزية اي الى ان يقبلوها وهي عطية عقوبة
جزاء الكفر على قطعة رسول الله صلى الله عليه وسلم على اهل الذمة وهي على وزن
جلسة وقعدة لنوع من الجزاء وقيل من جزى يجزي اذا ما اسدى اليه وكانهم اعطوها
جزاء ما منحوا من الامن ومن هذا المعنى قول الشاعر يجزيك او يثني عليك وان من
اثنى عليك بما فعلت فكمن جزى مدة وجوب القتال الى هذه الغاية وهذا حكم اهل الكتاب
بالنص وحكم المجوس كذلك بالخبر وهو قوله عليه السلام سنوا بالمجوس سنة اهل الكتاب
غير ناكحي نسايهم ولا آكلي ذبايحهم ولا يجوز هذا في مشركي العرب لقوله عليه السلام لا يقبل
منهم الا الاسلام او السيف ويجوز في اليهود والاتراك والديلم عندنا خلافا للشافعي

رحمه الله وعند مالك رحمه وعند يؤخذ من كل كافر الا المرتد عن يد حال من الضمير
واليد مجاز عن القوة والقدرة والمراد قدرة المعطي وفايدته الاشارة الى انه لا جزية
على الفقير العاجز عن الكسب وان كان بنيته بنية الحراب وهذه الاشارة من مقتضيات
المقام فلا وجه لتفويتها بحمل القيد المذكور على معنى آخر كمعنى الانعام عليهم ومعنى الطاعة
والانقياد ومعنى التسليم بنفسه على هذين المعنيين الاخيرين من لوازم القيد الآتي ذكره
فلا حاجة لافادته الى زيادة قيد آخر ومن هنا تبين انه لا وجه لان يكون المراد من القدرة
على تقدير الحمل عليها قدرة الآخذ واما معنى نقدا مسلمة عن يد على انه حال من الجزية
فلا يناسب المقام لما عرفت ان الغاية حقيقة عن التقبل والالتزام دون الاعطا بالفعل
وهم صاغرون الصغار الذل والنكال الذي قد رصاحبه وهم اذ لا يأتون لادا الجزية
مشاة لا ركبانا ويؤدون قياما والآخذ قاعد ويده تحت يد الآخذ ويؤخذ بتلبيبه
عند الاخذ ويحرك ويقال لاد الجزية يا يهودي او نصراني والجزية على ثلاث مراتب
المعتمل في السنة اثني عشر درهما وعلى وسط الحال اربعة وعشرون درهما وعلى
كامل الحال ثمانية واربعون درهما ولذلك وظفها عمر رضي الله عنه وهذه الجزية اغناه
تعالى عن العيلة وهو وجه اتصال هذه الاية الاولى وقالت اليهود انما قال بعضهم من
متقدميهم او ممن كان بالمدينة عزير ابن الله مبتدا وخبر وسقط التنوين لمنع الصرف
للعجمة والعلمية ومن نونه من القرا جعله عربيا او لان ابن صفة له وعلى هذا يكون الخبر
متروكا غير ملفوظ ولا ملحوظ ونص النقل على هذا من كلامهم لتجريد الانكار للتوصيف
المذكور وفيه ايها التبعيد لكلامهم عن خبر التمام وتمهيد للمقصود من زيادة قوله بافواههم
على احد الوجهين الآتي ذكرهما وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم ذلك
قولهم بافواههم يعني انهم يذكرونه صريحا لا انه بينهم بطريق الاسناد لا من بعضهم الى عالمهم
فهو لرفع التجوز في المسند فانه اهم من دفع التجوز في الاسناد ونسبة القول الى
الافواه دون الالسن لان البنية الاولى احمل واشمل فان من الاقوال ما لا حاجة الى التلفظ
به اي اللسان ويجوز ان يكون المراد قول لا حقيقة له ولا معنى كالمهملات الملفوظة التي تخرج
من الافواه ولا معنى له في القلوب يضاهون قول الذين كفروا تقديره يضاهي قولهم
قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا هذا ما قالوا
وعندي انه على طريقة لا يهدي كيد الخائنين اي لا يهديهم في الكيد فالمعنى يضاهونهم
في القول والمضاهاة المشابهة وقرئ بالهمز امراة ضهيا وهي التي ضاهات الرجال
في انها لا تحيض من قبل من قبلهم والمراد المشركون الذين قالوا الملايكة بنات الله
قاتلهم الله دعا عليهم بالاهلاك فان من قاتله هلك وبعضهم التعجب من الشناعة لانه

كلمة لا تفاد بها إلا في موضع التعجب من شناعة فعل قوم او قولهم ولهذا تعجب بعده
من اعتقادهم وتلفظهم بالكلمة الشنعا بقوله انى يؤفكون اي يصرفون عن الحق الى
الباطل من دون الله اتخذوا علماء اليهود وعباد النصاري كالارباب حيث احلوا لهم
الحرام فاستحلوه وحرموا عليهم الحرام فحرموه فقوله اربابا كقوله نارا في قوله حتى اذا جعله
نارا قال ابن السكيت الحبر بالكسر المداد والراهب مأخوذ من الرهبة وهو الذي حمله
خوف الله تعالى على ان يخلص له النية دون الناس والمسيح ابن مريم اي اتخذ
ربا معبودا والرب هنا على الحقيقة ولهذا فصله عما قبله مخرجا له عن زمرتهم مفردا
له بالاخبار عنه وانما ذكر بنسبته الى امه اظهارا لعدم صلاحيته للربوبية وفي التعبير
عنه بلقبه المشعر بالربوبية نوع تمهيد لذلك المقصود ولا يخفى ما فيه من النعي عليهم
وما امروا اي وما امر المتخذون قيل يجوز ان يكون المعنى وما امر المتخذون اربابا
فيكون كالبرهان على بطلان الاتخاذ وكان هذا القائل غافل ان الرب في غير المسيح عليه
السلام لم يتخذ على الحقيقة الا ليعبدوا الها واحدا وهو الله تعالى ولا حاجة الى صرف
العبادة عن معناها الى معنى الطاعة حتى يحتاج الى ان يقال طاعة الرسول وسائر من
امر الله تعالى بطاعته فهو طاعة الله تعالى في الحقيقة لا اله الا هو صفة ثانية
او استيناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون تنزيه له عن الاشراك به
يريدون ان يطفئوا الاطفا اذهاب نور النار ثم استعمل في اذهاب كل نور وفي سورة الصف
يريدون ليطفئوا اي يقوموا لذلك الامر والنحويون عن زيادة امر القيام له شايع تكذلك
عكسه شايع والقيام للامر عبارة عن الاهتمام لشانه نور الله بافواههم اطفاء نور الله
بافواههم تهكم بهم في ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم في القران هذا سحر مثلت حالهم
بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفيه ويجوز ان المراد من نور الله القران او دين الاسلام
والحجج الدالة على حقيقته ويكون المراد من افواههم اقوالهم التي لا صحة لها فانها لا تتجاوز عن
الافواه الى فهم السامع وعلى هذا يكون الاطفا ترشيحا لاستعارة النور ويابى الله الا ان يتم
نوره باعزاز الاسلام واعلاء كلمة التوحيد وانما جاز الاستثنا المفرغ من الكلام الموجب
لان قوله يابى الله اوقع موقع لا يريد الله الا ترى كيف قابل قوله يريدون ان يطفئوا
نور الله بقوله يابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون اتمام نور الله ابى الا اتمامه
هو الذي ارسل رسوله اي محمد عليه السلام بالهدى بالقران كما في قوله ذلك الكتاب
لا ريب فيه هدى للمتقين او دين الحق او الرسول ودين الحق الاسلام ليظهره اي دين
الحق او الرسول على الدين كله كالبيان لقوله ويابى الله الا ان يتم نوره وكذلك كرر قوله
ولو كره المشركون بوضع المشركين موضع الكافرين للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول

عليه

عليه السلام الى الشرك بالله تعالى والتعريف في الدين للجنس والظهور على الجنس انما يكون
بالظهور على جميع افراده وجميع افراده وقت ارساله عليه السلام انما سائر الاديان وظهور الدين
على الدين انما يكون بنسخه وابطاله وعلى تقدير رجوع الضمير الى الرسول عليه السلام يكون المراد
ظهوره عليه السلام على اهل سائر الاديان على تقدير المضاف يا ايها الذين امنوا المراد بهذه الاية
بيان نقايص المذكورة فيها وفي ضمنه نهي المؤمنين عن تلك النقايص لما ذكر الله تعالى انهم اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ذكر ما هو عليه كثير منهم تنقيصا من شانهم وتحقيرا
وان مثل هؤلاء لا ينبغي تعظيمهم فضلا عن اتخاذهم اربابا ان كثيرا من الاحبار والرهبان
ليأكلون اموال الناس بالباطل باخذهم لها بالرشوة والتخفيف في الشرايع ويصدون صد
يستعمل واقفا ومتجاوزا فالمعنى يصدون غيرهم عن سبيل الله اي عن دين الاسلام وشريعة
محمد عليه افضل الصلاة والسلام ويصدون عنه في اكلهم الاموال بالباطل لا تتوهموا في كثير
من الاحبار والرهبان صلاحا ولا تغتروا بظاهر امرهم وسلوكهم فان ذلك كله مصايد
للطامع واستجلاب للرياسة ومكايد للصد عن سبيل الله والجر الى الضلالة قال عبد الله
بن المبارك رحمه الله وهل افسد الناس الا الملوك واحبار سوء ورهبانها والذين يكنزون
الذهب والفضة اي يجمعونها ويحفظونها في الاوعية ومنه قولهم رجل مكتنز اي مجتمع
اللحم وليس من شرطه الدفن ولكن كثر في حفظة المال ان يدفنوه حتى تعورف اسم
الكنز في المدفون وانما خصا بالذكر لانهما قانون التمول واثمان الاشيا فالاحتياج اليهما فيما بين
الناس اكثر فلا يجوز كنزهما ومنع الناس عن فوايدهما والذين مبتدا اسم موصول ضمن معنى اسم
الشرط فلذلك دخلت الفا في خبره في قوله فبشرهم ويجوز والذين معطوفا على الضمير في قوله
ليأكلون والفصل يقوم مقام التاكيد وان يكون محل الموصول منصوبا عطفا على اسم
ان في قوله ان كثيرا وهو اما اشارة الى الكثير من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع
خصلتين مذمومتين فيهم اخذ الرشى وكنز الاموال والضن بها عن الانفاق في سبيل الله الخير
واما تسوية للمسلمين الكانزين غير المنفقين بالمرتشين من اهل الكتاب باقترانهم بهم
في استحقاق البشارة بالعذاب الاليم تغليظا ونفيا عن الكنز وبعثا عن الانفاق ويدل
على هذا انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم فعلم ان المراد بترك الانفاق
في سبيل الله منع الزكاة وقوله عليه السلام ما ادي زكاته فليس بكنز وان كان باطنا وما
بلغ ان يزكى فلم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا معناه ليس بكنز وعد عليه فان الوعيد على
الانفاق فيما امر الله تعالى ان ينفق عنه على ما فهم من قوله ولا ينفقونها في سبيل الله
والضمير للفضة وحدها احالة للحكم في قرينها على الدلالة وانما لم يعكس مع ما فيه اعتبار
جانب التذكير رعاية لجهة القربة وعلى هذه الطريقة في قوله تعالى ومن يكسب خطيئة

او لما ثم يرم به برباً ايضاً واما قوله عليه الصلاة والسلام من ترك صفرا او بيضا
كوي بها ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد حقها لقوله عليه السلام اورده الشيخان عن ابي
هريرة رضي الله عنه ما من صاحب ذهب او فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم
القيامة صفحت له صفائح من نار فتكوى بها جبينه وجنبه وظهره فبشرهم
بعذاب اليم ما لكي بهما يوم يحمى عليها اصله تحمى النار عليها اي توقد النار
ذات حمى وحر شديد من قوله نار حامية فحذفت النار لقوله في نار جهنم واسند
الفعل الى الجار والمجرور فلزم تذكيره كما يقال رفعت القضية الى فلان وفي جعل
الاحماء للنار مع الابهام باسناد الفعل الى الظرف ثم التفصيل وجعل نار جهنم مكان الاحماء
من المبالغة ما ليس في قولك تحمى بالنار واما الاكتفاء بضمير الفضة فقد مر وجهه
فتكوى بها الكي الصاق الشيء الحار بالعضو جباههم وجنوبهم وظهورهم انما خصصت
هذه المواضع بالكي لان في الجبهة اشنع وفي الجنب والظهر اوجع لوصول الحر الى الجوف
بخلاف اليد والرجل وقيل لان الغني المانع للزكاة اذا رأى الفقير انقبض وجهه
واذا ضمه واياه مجلس ازور عنه تعارضه بجنبه واذا امله قام وولاه ظهره هذا
ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم توبيخ لهم وتهكم بهم اي كنزتموه لتنتفع به
نفوسكم وتستلذ بها فكانت عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون ان عدة
الشهور مبلغ عددها عند الله ظرف عدة لانها مصدر اثنا عشر شهرا شهور
السنة شمسية كانت او قمرية كذلك الا ان المراد هنا الشهور القمرية في كتاب الله
في اللوح المحفوظ اي فيما اثبته واوجبه في حكمه صفة لاثني عشر اي مثبتا فيه
يوم خلق السموات والارض اي امر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله الاجرام والازمنة
متعلق بما فيها من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا منها اربعة حرم واحد
فرد وهو رجب وثلاثة سرد وهو ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ذلك اي تحريم الاشهر
الاربعة الدين القيم دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وكانت العرب ورثوه
منهما فلا تظلموا فيهن لما كانت جمع الحرم للقلة عاد الضمير عليها بالنون تقول
العرب الجذوع انكسرن لانه جمع كثرة والاجذاع انكسرت لانه جمع قلة انفسكم
بهتك حرمتها وعن عطاء ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا
وما نسخت والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيهن منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصي
فيهن فانه اعظم وزرا لارتكابها في الحرم وحال الاحرام وفيه نظر لان غزاة هوازن
وحنين كانا في شوال فلا تأييد فيه واما محاصرة الطائف فقيل انه عليه السلام
حاصرهم بقية الشهر المذكور فلما دخل ذو القعدة انصرف عنه واتى الجعرانة واحرم
منها وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة جميعا في كف بمعنى منع لانهم كفوا

ان

ان يخرج منهم احد باجتماعهم وقع موقع الحال واعلموا اي كونوا على ثقة ويقين ان الله
مع المتقين بشارة لهم وضمان بالنصر وبيان ان تقواه سبب لنصره انما النسيء
مصدر نسأه اذا اخره اي تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر وذلك انهم كانوا اصحاب
حروب وغارات فاذا جاء الشهر وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا آخر
وذلك انهم كانوا اصحاب حروب وغارات رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد
العدد وذلك قوله تعالى ليواطئوا عدة ما حرم الله وهي الاربعة وربما زادوا
في عدد الشهور فيجعلونها ثلاثة عشر ليتسع لهم الوقت وذلك قوله تعالى ان عدة
الشهور عند الله اثنا عشر شهرا اي من غير زيادة زادوها زيادة في الكفر لانهم
لما احلوا ما حرم الله تعالى وحرموا ما احله زادوا كفرا على كفرهم يضل به الذين كفروا
ضلالا زائدا يحلونه عاما الضمير للنسء الدال عليه النسيء ويحرمونه عاما
اي اذا احلوا شهرا منها عاما رجعوا فحرموه في العام القابل والجملتان تفسير للضلال
او في موضع الحال ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة
واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله اي ليوافقوا
عدة الاربعة بمواطأة العدة وحدها من غير مراعاة وقت زين لهم سوء اعمالهم خذلهم
الله واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا والله لا يهدي على طريقة تنزيل وجود
ما لا يترتب عليه اثره منزلة العدم القوم الكافرين من باب وضع الظاهر
موضع المضمر للدلالة على ان كفرهم مانع من قبول الهداية وترتب الاثر يا ايها الذين
امنوا ما لكم هو حرف استفهام بمعنى التوبيخ اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله النفر
التنقل بسرعة من مكان الى مكان لامر يحدث وسبيل طريق رضا الله اثاقلتم الى
الى الارض تباطأتم وتقاعدتم وقرئ أاثاقلتم على الاستفهام ومعناه الانكار والتوبيخ
ضمنه معنى الميل والاخلاد فعدي بالى اي ملتم الى الدنيا ولذاتها او ملتم الى الاقامة بارضكم
ودياركم وكرهتم مشاق السفر والجهاد وعملوا العامل في اذا اذا لم تستفهم به واذا استفهم
به منع الاستفهام عمله فيما قبله فالعامل ح ما دل عليه او معنى الفعل في ما لكم ويعمل حالا
في الحال اذا قيل ما لك قائما كما قيل ما تصنعون وما ذكر عبارة عن تخلفهم عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وتركهم الغزو واختيارهم سكنى ديارهم والتزام تخلفهم وظلالهم وذلك
غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطائف في وقت عسرة وقحط مع بعد المشقة
وكثرة العدو فشق عليهم ارضيتم بالحيوة الدنيا فتمتعتم بها وغرورها من الاخرة
بدل الاخرة ونعيمها فما متاع الحياة الدنيا فما التمتع بها في الاخرة في جنب الاخرة
الا قليل مستحقر الا تنفروا الى ما استنفرتم اليه يعذبكم عذابا اليما ويستبدل

قوماً غيركم اظهار لسخط عظيم على ترك النفر للتأمل حيث اوعدهم عليه بعذاب مطلق
متناول لعذاب الدنيا والآخرة ونكره ووصفه بالاليم وانه يهلكهم ويستبدل قوماً خيراً
منهم واطوع كاهل اليمن وابناء فارس ولا تضروه شيئاً اي انه غني في نصرة دينه وفي
كل امر لا يقدح تثاقلهم فيها شيئاً وقيل الضمير للرسول عليه السلام اي ولا تضروه
لان الله تعالى وعده بالعصمة والنصرة ووعده حق والله على كل شيء قدير فيقدر
على التبديل وتغيير الاسباب والنصر كما قال الا تنصروه فقد نصره الله اي ان لم تنصروه
سينصره الله كما نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد فدل بقوله فقد نصره الله في الماضي
على انه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت واقامه مقامه اي فقد حكم الله
تعالى بنصره واوجبه على نفسه حتى نصره في ذلك الوقت فلم يكن ليخذله في غيره ابداً
اذ اخرجه الذين كفروا اسناد مجازي لانهم الكفرة باخراجه او قتله سبب الاذن الله
تعالى له بالخروج فكانهم اخرجوه ثاني اثنين نصب على الحال وهما رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه ولا يخفى ما في التعبير المذكور من التعظيم لصديق رضي
الله عنه اذ المعنى احد اثنين والعدول الى ما ذكر للاشعار بانه عليه السلام كان ثانياً له
في دخولهما الغار وقد كان كذلك اذ هما بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد بزمان
الاخراج زمان متسع في الغار هو النقب العظيم في الجبل وهو جبل بمكة يقال له ثور
ماخوذ من غار يغور اي دخل في عمق اذ يقول بدل ثان او ظرف لثاني لصاحبه وهو
ابو بكر رضي الله عنه لا تحزن الحزن الغم الذي يغلظ على النفس ومنه الحزن الارض
الغليظة ان الله معنا بالحفظ والعون فانزل الله سكينته امنته التي
تسكن عنده القلوب والفاء للتعقيب بلا مهل وفيه نوع دلالة على ان توكله عليه السلام
على الله تعالى سبباً للنزول المذكور عليه اي على ابي بكر رضي الله عنه فانه هو الخائف
المحتاج الى الامن فاما النبي عليه الصلاة والسلام فقد كان امناً ساكناً بما وعد
له من النصر وايده بجنود لم تروها عطف على قوله فقد نصره الله والمراد من الجنود
الملائكة عليهم السلام والتأييد بهم كان في حرب بدر وحنين وجعل كلمة الذين كفروا
اي دعوتهم الى الكفر السفلى وكلمة الله اي دعوته الى الاسلام هي العليا
وتغيير الاسلوب للدلالة على ان الاولى بالتغيير والتبديل بخلاف الثانية فانها المستمرة
الثابتة وقرئ كلمة الله بالنصب عطفاً على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من زيادة
ما قدمناه من الاشعار بان كلمة الله تعالى غالبة في نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات
لتفوقه والاعتبار ولذلك وسط الفصل والله عزيز في انتقامه حكيم في
تدبيره واحكامه انفروا خفافاً وثقالاً الخفة والثقل مستعاران لمن يمكنه

بصعوبة

بصعوبة وربما ذلك في تفسيرهما في المعاني فلا وجه لتخصيص بعضها دون بعض بالارادة
بل هي معاني متفقة والتحقيق ان الناس امروا اجملة وتلك المعاني للاقوال انما هي على
وجه المثال للثقل والخفة وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذكراً لكل
ما يكون من الجهاد وانفعه عند الله تعالى وقدمت الاموال في الذكر لانها اول
مصرف وقت التجهيز فرتب الامر كما هو بنفسه ذلكم خير لكم من الجهاد باحدهما
ومن قال من تركه فلم يصب ان كنتم تعلمون الخير علمتم انه الخير لو كان عرضاً
العرض خلاف النقد وقد عبر به عن الغنيمة لانه الغالب فيها اي لو كان ما دعوا
اليه غنماً قريباً سهل المأخذ وسفراً قاصداً متوسطاً سمي قصداً لانه
مما يقصد لاتبعوك فيما قصدت اليه ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة
التي تقطع بمشقة وهي القطعة من الارض التي يشق ركوبها على صاحبها وسيحلفون
بالله اي المتخلفون عند رجوعك من غزوة تبوك متعذرين لو استطعنا
لو كان لنا استطاعة الخروج من جهة البدن والمال والشرطية محكية على ان
الحلف من جنس القول فلا حاجة الى التقدير لان التعدية باعتبار التضمين من خارج
بحايين تجوازها باعتبار ما في ضمنه بالطريق الاولى لخرجنا معكم ساد مسد
جواب القسم والشرط وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيهاً لها بواو الضمير
في قوله اشتروا الضلالة يهلكون انفسهم بدل من سيحلفون لان الحلف
الكاذب ايقاع النفس في العذاب او حال بمعنى مهلكين والاخبار بهذا قبل وقوعه وقد
كان من المعجزات والله يعلم انهم لكاذبون في ذلك لانهم كانوا مستطيعين للخروج
عفا الله عنك الاخبار عن العفو مقصود بالافادة فلا يكون كناية عن الخطا نعم يفهم من الخطا
بطريق الاقتضا هذا من لطيف المعاتبة ولو لم يفتتح باب المخاطبة بالعفو لما كان عليه
السلام يتحمل بقوله لما اذنت لهم ولا يخفى ما في تقديم العفو على ذكر ما يوهم العتاب
من تعظيم شأنه عليه السلام والتنبيه على لطف مكانه ومن لم يتنبه لذلك قال انه كناية
عن الجناية ومعناه اخطأت وبئس ما فعلت ثم انه لو يرد ان الاذن المذكور من قبيل الخطا
في الاجتهاد فهو مظنة الثواب لا العتاب والله اعلم بالصواب والاذن رفع التبعة في الفعل
حتى يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار متعلق لما تقدم باعتبار المفهوم لا باعتبار المنطوق
فانه استفهام انكاري في معنى هلا توقفت فحاصل المعنى لم اذنت على الفور فرجع الانكار
الى كيفية الاذن لا الى نفسه وتعلم الكاذبين فيه قيل اثنا فعلهما رسول الله صلى الله
عليه وسلم تبيين لم يؤمر بهما اخذه الفداء واذنه للمنافقين فعاتبه الله تعالى عليهما
وكان هذا القائل غافل عن ثالثهما وهو تحريمه عليه السلام ما احل الله تعالى ابتغاء لمرضاة

ازواجه ثم ان العتاب ليس على الاذن لما عرفت انه بالاجتهاد والخطاء فيه لا يتعلق به العتاب
بل على عدم التوقف على نزول الوحي في بيان شانهم على ما نبهت عليه انفا لا يستأذنك
الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي ليس من عادة
المؤمنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا فضلا ان يستاذنوك في التخلف عنه وكان
الخلص من المهاجرين والانصار يقولون لا نستاذن رسول الله ولنجاهدن معه
باموالنا وانفسنا او كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى
ووعد لهم بثوابه انما يستاذنك في التخلف الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر
تخصيص الايمان بالله واليوم الاخر بالذكر في الموضعين اشعارا بان الباعث على الجهاد
وبذل النفس والمال لله تعالى هو الايمان بهما والوازع عنه عدمه وارتابت قلوبهم فهم
في ريبهم يترددون يتحيرون ولو ارادوا الخروج اي معك للغزو لاعدوا له
اي الخروج عدة العدة ما يعد للامر ويهيأ له وقرئ عده بكسر العين اي جماعة
من الالات ولكن كره الله انبعاثهم انطلاقهم للخروج استدراك عن مفهوم قوله
ولو ارادوا الخروج وتنزيل العلة الشيء منزلته فان المعنى تثبطوا عنه لان الله كره انبعاثهم
هذا ما قيل في توجيه ما ذكروا فيه وقوع لكن بين المتفقين من جهة المعنى فالوجه ان يكون
ذلك من قبيل حذف الجملة من الكلام لدلالة الباقي عليه كقوله تعالى ولقد اتينا
داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الاية وذلك انه لما احتمل ان يتوهم ان عدم خروجهم
للغزو لعدم تنبيههم له قبله حتى يتهيؤا له تدورك دفعه بما ذكر بمحذوف الصدر فكانه
قيل هذا من تقصير نعتهم للخروج ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم التثبيط التوقيف
على الامر التزهيد فيه وقيل اقعدوا تمثيل لالقاء الله تعالى في قلوبهم ووسوسة
الشيطان بالامر بالقعود عنه او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول عليه
عليه السلام وقوله مع القاعدين ذم لهم والحاق بالذين شانهم القعود ولزوم البيت
العجز عن القيام بمصالح الغزو من النساء والصبيان والذي لو خرجوا فيكم لم يقل
معكم لان اضرارهم على تقدير خروجهم مختلطين معهم لا منفردين عنهم ما زادوكم
شيئا الا خبالا الخبال الفساد في الاشياء المؤتلفة الملتحمة والزيادة لما كانت
باعتبار اعم العام الذي وقع منه الاستثناء لم يلزم ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا
فيهم زادوه ولاوضعوا خلالكم الايضاع تهييج المركوب على الاسراع اي لسعوا
بينكم بالنميمة وافساد ذات البين وهو مجاز يفيد المبالغة في السعي بالنمائم لان
الراكب اسرع من الماشي وبقوله حذف المفعول لما في التعميم من زيادة المبالغة
بتعذر السامع كلما شاء من المراكب كانه قيل لاوضعوا اكلها وجد وامن الركائب

يبغونكم الفتنة حال من ضمير اوضعوا او يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف
فيما بينكم والرعب في قلوبكم وفيكم سماعون لهم اي نمامون يستمعون حديثكم
فينقلون اليهم او ضعفة يطيعون لهم يسمعون ما يأمرونهم به والله عليم بالظالمين
فيعلم ضمائرهم وما يتأتى منهم وعيد لهم من باب وضع الظاهر موضع المضمر للتسجيل
عليهم بالظلم للوعيد لقد ابتغوا الفتنة بالسعي في تشتيت امرك وتفريق اصحابك
من قبل يعني يوم احد حين انصرف عبد الله بن ابي بمن معه وقلبوا لك الامور
ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الاراء في ابطال حتى جاء الحق النصر والتاييد
الالهي وظهر امر الله وحسن دينه وهم كارهون اي غلب امر الله وشرعه على
رغم منهم والايتان لتسلية الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين على تخلفهم
وبيان ما ثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة
اعتذارهم تذكرا لما فوت الرسول عليه الصلاة والسلام بالمبادرة الى الاذن ومنهم
من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة وهي المعصية
والاثم فاني ان لم تاذن لي وتخلفت بغير اذنك اثمت اي لا يمكنني الخروج معك ولا بد
لي من التخلف اذنت او لم تاذن ولا تلقني في الهلكة فاني ان خرجت معك هلك مالي
وعيالي اذ لا كافل لهم او لا تفتني ببنات الاصفر لما روي ان جد بن قيس قال قد علمت
الانصار اني مستهتر ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولا تفتني بهن ولكني اعينك
بمال ثالث فاتركني الا في الفتنة سقطوا تقديم الظرف بعد حرف التنبيه ايذان
بعظم ما وقعوا فيه وتخصيص له اي ما الفتنة الا التي وقعوا فيها وهي التخلف لا ما احترزوا
عنه وما وقعوا الا فيما زعموا انهم محترزون عنه وعبارة سقطوا اشارة الى انهم وقعوا
فيه عن غفلة وعدم تدارك وان جهنم لمحيطة بالكافرين وعيد لهم من باب
وضع الظاهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالكفر والاشارة الى سبب الاحاطة
بهم والمراد احاطة اسبابها بهم فوضع المسبب موضع السبب اشعارا بشدة ايجابه لقوله
تعالى انما ياكلون في بطونهم نارا ان تصبك في بعض غزواتك حسنة ظفر وغنيمة
تسؤهم وان تصبك في بعضها مصيبة من افة في النفس او الاهل او المال واصلها
الصوب وهي الجري الى الشيء ومنه صوب الاناء اذا امليته والاصابة وقوع الشيء
بما قصد به والصواب اصابة الحق يقولوا قد اخذنا امرنا الذي نحن متسمون به
من التيقظ والعمل بالحزم من قبل ما وقع اي يتحمون رايهم بانصرافهم ويستحمدون رايهم
في التخلف ويتولوا عن مقام التحدث بذلك الى اهليهم او عن الرسول عليه الصلاة
والسلام وهم فرحون مسرورون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا امر الله

نبينا عليه الصلاة والسلام ان يرد على المنافقين بان يعلمهم ان الشيء الذي يعتقدونه
مصيبة ليس كما اعتقدوه بل الجميع مما لسنه الله تعالى للمؤمنين فاما ان يكون ظفرا او سرور
في الدنيا واما ان يكون ذخرا للاخرة يرشد الى هذا قوله هو مولانا الذي يتولانا
فانه تاكيد ما سبق من الاختصاص واما ما قيل ان المعنى الا ما كتب الله في اللوح
وجف به القلم فلا يتغير بموافقتكم ولا مخالفتكم ولا يناسب المقام لانه لا يصلح ردا
لهم ثم ان ما ذكر على وفق ما قاله الجمهور وقرئ هل يصيبنا بتشديد اليا وهو
تفعيل من فعيل لا يفعل من فعل لانه من بنات الواو لقولهم صاب السهم يصوب
وعلى الله لا على غيره فليتوكل المؤمنون لان حقهم ان لا يتوكلوا الا عليه جمعه بين
الحرفين عطف الجملة على الجملة لتقدم العلة للاختصاص كان الواو للعطف والفا
لافادة السبب والتوكل تفويض الامر الى الله تعالى والرضا بتدبيره والثقة بحسن
اختياره قل هل تربصون بنا التربص التمسك بما ينتظر به مجيء حينه الا احدى
الحسنيين احدى العاقبتين اللتين كل واحد منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة
ونحن نتربص بكم احدى السوئيين ان يصيبكم الله بعذاب من عنده اي قارعة من
السما كما نزلت على عاد وثمود او بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا بنا على
ما ذكرنا من عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا طوعا او كرها
نصب على الحال اي طايعين او كارهين لن يتقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او
كرها وفايدته المبالغة في تساوي الانفاقين في عدم القبول كانهم امروا ليمتحنوا
فينفقوا في الحالين وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب جد بن قيس واعينك بمال
ونفي التقبل يحتمل ان لا يتقبل منهم وهو جواب الرسول عليه الصلاة والسلام ولا
ياخذ منهم وان لا يتقبل الله تعالى منهم ولا يثيب عليها وكرها يحتمل لا لزام الاكراه
فيفيد التساوي والكراهة من المنفقين فلا يرجح احدهما ولعمري انهم لا ينفقون الا
كراهة كما اخبر عنهم في الاية التي بعدها واما الطوع فهو على سبيل الفرض لمساواة
الكره في عدم القبول او ان يعطوا من غير التزام واكراه وفي انفسهم الكراهة
انكم كنتم قوما فاسقين تعليل الرد انفاقهم على سبيل الاستيناف اذ الفسق
هنا هو التمرد والعتو في الكفر فيوجب رد كل عمل وفيه تنفير للسامعين عن الفسق
وما بعده بيان تقريره وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم لا يخفى ما في هذا
التقييد من حسن التصور لقبول النفقة بصورة امر مرغوب مطلوب كانهم
طلبوه بالطبع فان كرام العرب مجبولون على حب الانفاق وسعيهم اياه مما بهم
من الكفر والنفاق الا انهم كفروا بالله وبرسوله اي وما منعهم قبول نفقاتهم

الا كفرهم واعادة الجار للتنبيه على ان كفرهم به عليه الصلاة والسلام اصالة
لا تبعا لكفرهم بالله تعالى ولا ياتون الصلاة الا وهم كسالى متثاقلين
ذمهم على الكسل في الصلاة وعلى النفاق الذي يبعث على الكسل في فقد الايمان
الذي يبعث على النشاط ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يرجعون
بفعلها ثوابا ولا يخافون بتركها عقابا فلا تعجبك اموالهم الاعجاب بالشيء
ان يسر به سرور متعجب من حسنه راغب فيه والتفريع على ما تقدم باعتبار كون
المال مرغوبا يؤدي الى كراهة الانفاق التي في سياق الكلام في ذمها ولا اولادهم
مستحسنا اياها متعجبا منها فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال انما يريد الله
ليعذبهم بها في الحياة الدنيا اي بسبب ما يكابدون منها من كلف الجمع والحفظ
وما ينوبهم من الشدائد والمصائب وافات النهب والسبي وما كلفهم الله تعالى
من الانفاق في سبيل الخير على كراهتهم اياه مفعول يريد محذوف تقديره
يريد ايتاهم من الاموال والاولاد وتزهق انفسهم الزهوق الخروج
بصعوبة وشدة وهم كافرون في حالة كفرهم متحسرين لاهين بالتمتع
بها عن النظر في العاقبة متعاملين بالتعلق بها وجدتها متعذبين بفراقها لما
قطع رجاهم عن جميع منافع الاخرة بين ان الاشيا التي يظنونها من باب منافع
الدنيا جعلها الله تعالى اسبابا لتعذيبهم في الدنيا والاخرة ويحلفون بالله
عطف على مقدر تقديره ينافقون ويحلفون بالله انهم لمنكم لمن جملة المسلمين
منصوب بيحلفون لتضمنه معنى القول وما هم منكم لكفرهم الباطن ولكنهم
قوم يفرقون اي يخافونكم على انفسهم ان اظهروا لكم ما في قلوبهم ولهذا
يحلفون انهم منكم قال تعالى اتخذوا ايمانهم جنة والفرق في الاصل انزعاج
النفس بتوقع الضرر فلا يستعمل الا في الخوف الشديد لو يجدون ملجأ
حصنا يلجؤون اليه او مغارات جمع مغارة من غار يغير وقال ابن عباس
رضي الله عنه المغارات الغيران والسراديب وهي المواضع التي يستتر فيها
او مدخلا مفتعل من الدخول اي مسلكا يندسّ بالدخول فيه لولوا
وجوههم اليه اي لاقبلوا نحوه والضمير لاحد الثلاثة وهم
يجمحون يسرعون اسراعا لا يرده شي من جمح الفرس اذا لم يرده
اللجام ومنهم من يلمزك يعيبك قال الزجاج اللمز التعييب مسارة
والهمز التعييب مجاهرة في الصدقات في قسمتها وفي هنا لمعنى الها
التسبيبية كما في قوله تعالى لمتنني فيه فان اعطوا منها رضوا وذكروا

الجميل وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون اذا للمفاجاة نائبة مناب الفا الجزائية
وما احسن مجيء جواب هذين الشرطين لان الاول لا يلزم ان يقارنه ولا انه يعقبه
بل قد يجوز ان يتاخر نحو ان اسلمت دخلت الجنة واما جواب الشرط الثاني فانما جاء
بالفا الفجائية ليدل على انه اذا لم يعطوا فاجاهم سخطهم ولم يمكن تاخيره لما جبلوا عليه
من محبة الدنيا والشره في تحصيلها ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله ذكره
الله تعالى للتنبيه على ان اعطاه عليه الصلاة والسلام بامره تعالى فهو المعطي
في الحقيقة قال عليه الصلاة والسلام الله المعطي وانا القاسم ومفعول رضوا
محذوف اي رضوا ما اعطاهم الرسول عليه الصلاة والسلام وطابت به نفسهم وان
قل بهم نصيبهم وليس المعنى رضوا عن الرسول عليه الصلاة والسلام لانهم منافقون
لان رضاهم وسخطهم لم يكن الا لاجل الدنيا وقالوا عطف على رضوا في خبر الشرط
والجواب تقديره لكان خيرا لهم حسبنا الله اي كافينا ورازقنا من حيث يشا
فيعطينا لكفايتنا وان تاخرت سيؤتينا الله من صدقة اخرى وانما قال
من فضله لان ما اتاه الله تعالى فضل منه سوا يكسبه العبد او بدونه ورسوله
اي ويؤتينا رسوله عليه الصلاة والسلام بامره انا الى الله اي الى رضايه
تعالى راغبون لا رغبة لنا في زخارف الدنيا فتقديم الجار والمجرور للتخصيص
انما الصدقات للفقرا قصر جنس الصدقات المشتملة على الانواع المختلفة الثمانية
عليها بصيغة الجمع على الاصناف المعدودة تصويبا لما فعله الرسول عليه الصلاة
والسلام ورغما لانوف المنافقين وردعا لهم عن اللمز وحسما لاطماعهم باثبات
استحقاق غيرهم لها دونهم وانهم ليسوا منها في شيء فما لهم والطمع والظلم فيها
وفيمن قاسمها فايرادها استطراد ساق اليه الكلام في شانهم ورد ابطالهم وظهور ما
اضمروا من معاداة الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين من فلتات لسانهم
ولهذا توسطت بين ذكر المنافقين مكايدهم انما هي لهم لا لغيرهم وهو دليل
على ان اللام في قسمة الزكاة لا في الغنايم والقصر المذكور يفيد اختصاصها بالاصناف
الثمانية وعدم تجاوزها على غيرهم لا ايجاب شمولهم لهم وقسمها على جميعهم فيحتمل
استيعاب الجمع والصرف الى بعضهم فابو حنيفة اختار الثاني وعن عمر وابن عباس
وحذيفة وكثير من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين رحمهم الله جواز صرفها
الى واحد منهم والشافعي اختار وجوب الصرف الى كل واحد منهم والتسوية بينهم
في قضية الاشتراك والمساكين المسكين من له مال او كسب ولكن لا يكفيه والفقير
من ليس له واحد منهما ولهذا قدمه وروي انه عليه الصلاة والسلام سال المسكنة

ونعوذ من الفقر

ونعوذ من الفقر والعاملين السعاة في جمع الصدقات وقبضها وانما قال عليها
لتضمين معنى القيام كانه قيل القايمين على مصالحها وكل من يعمل معهم من اعوان
لا يستغنى عنه فهو منهم لان يحشر الناس عليهم والمؤلفة قلوبهم وهم اصناف
ثلاثة صنف كان النبي عليه الصلاة والسلام يتالفهم ليسلموا وصنف يعطيهم
لدفع شرهم وصنف كانوا اسلموا وفي اسلامهم ضعف فيزيدهم بذلك تقريرا على الاسلام
كل ذلك كان جهادا منه عليه الصلاة والسلام لاعلا كلمة الله تعالى لان الجهاد يكون تارة
بالسنان وتارة بالبيان وتارة بالاحسان واختلف في انقطاع هذا الصنف لعزة
الاسلام وظهوره وفي الرقاب اي وللصرف في الرقاب بان يعان المكاتب بشيء منها
على اداء النجوم وقيل بان يبتاع الرقاب فيعتق وقيل بان يفدي الاسارى والعدول
من اللام الى في للدلالة على ان الاستحقاق في الجهة لا للرقاب او للايذان بانهم احق بها
واقوى استحقاقا لان في للظرفية ايهم مواضعها التي يوضع فيها لما فيها من الفك
والانقاذ من الرق والعزم وحفظ بيضة الاسلام والتخليص من الاشراف على الهلاك
والغارمين الذين تدينوا لانفسهم من غير معصية اذا لم يكن له وفاء او لاصلاح
ذات بين بتحمل الحمالات وان كانوا اغنيا لقوله عليه الصلاة والسلام لا تحل الصدقة
الا لخمسة لغاز في سبيل الله او لغارم او رجل اشتراها بماله او رجل له جار مسكين
تصدق على المسكين فاهدى المسكين للغني او لعامل عليها وفي سبيل الله اي وللصرف
في الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتاع الكراع والسلاح وقيل في بناء القنطرة والمصانع
واعادة الجاه لانه نوع اخر وابن السبيل اخره على سبيل الله مع انه من قبيل ما سبق
رعاية لظاهر الكلام فان ابن السبيل يناسبه ان يذكر بعد السبيل والمراد منه
المسافر المنقطع من ماله وابن السبيل يناسبه ان يذكر بعد السبيل والمراد منه المسافر
كالعلم فلذلك لم يجمع فريضة من الله مصدر مؤكد لان معنى قوله تعالى انما الصدقات
للفقرا فرض الله الصدقات لهم او حال من الضمير في قوله للفقرا وقرئ فريضة
اي تلك فريضة والله عليم بمواضع الاستحقاق حكيم يضع الاشيا في مواضعها
ومنهم اي من المنافقين الذين يؤذون النبي اي جماعة منهم ذموه عليه الصلاة
والسلام وبلغه ذلك فاشتغلت قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم انما هو اذن سامعة فقد
سمع كلام المبلغ فيتاذى ونحن بالله فنعتذر فليسمع عذرنا ايضا فيرضى وهذا ما ذكره
تعالى بقوله ويقولون هو اذن الاذن من قيل له شيء سمعه وحدث بشيء سمعه
لا ينكره فان الاذن هو جارحة السماع لذلك اي ليس فيه وراء الاستماع تمييز الحق
من الباطل ارادوا به ذمه عليه الصلاة والسلام فما ذكر من قبيل التشبيه والعرض

المبالغة في الذم واما اطلاق العين في الجاسوس فمن قبيل المجاز العقلي كاطلاق العدل على
العادل والغرض منه المبالغة والمدح فاين هذا من ذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم
يستمع الى كلام من يحدث بشيء مكرمة في حسن خلقه فظن اوليك انه لسلامة قلبه وغفلته
ولقد احسن من قال عابد الجهال لما هو اية علامة كرمه وعلامة حسن شيمه قال عليه الصلاة
والسلام المومن غر كريم فطن والمنافق جب لئيم قل اذن خير لكم مطبوع منه
ولا يبين الاية نحو خاتم فضة ومختص بذلك المعنى اراد الوصف الخيرية كانه قيل هو
اذن او اذن في الخير وفيما يجب سماعه وقبوله لا في كل شيء على الوجه الذي ذمتموه به
والدليل عليه قراة ورحمة بالجر اي هو اذن خير ورحمة السمع غيرهما ولا بقلبه وقرى
اذن خير لكم برفعهما منونين اي خبر صفة له او خبران او كل منهما خبر لمبتدا محذوف
اي هو اذن هو خير لكم او على هذه القراة معناه ان كان كما تقولون فهو خير لكم لانه
يقبل معاذيركم ولا يكافيكم على سوء خلتكم ثم فسره بقوله يومن بالله اي يصدقه
لما قام عنده من الادلة ويومن للمومنين اي يسلم لهم ما يقولون ولاختلاف في المعنى
ورحمة اي وهو رحمة اريد المبالغة في رحمة لهم فسلك مسلك رجل عدل للذين امنوا
اي اظهروا الايمان منكم حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على انه عليه السلام
ليس يقبل قولهم جهلا بحالهم بل يقبل رحما لهم ورفقا بهم وقرى ورحمة بالنصب تعليلا
على ما تقدم من جهة المعنى فان اذنا خير لكم في معنى ياذن لكم رحمة والذين يوذون
رسول الله لهم عذاب اليم اظهار ذكر رسول الله عليه الصلاة والسلام تعظيم وايذان
بان ابتدا الذي هذا شانه يوجب استيجابهم العذاب الاليم يحلفون بالله لكم
خطاب للمومنين ليرضوكم اي يحلفون على معاذيرهم عند الاعتذار اليكم في التخلف
عن الجهاد والتكلم بالمطاعن والايذاء لتعذروهم وترضون عنهم والله ورسوله احق
ان يرضوه ذكر الله تعالى حق بالارضا بالطاعة والموافقة ان كانوا مومنين
كما يزعمون لان الايمان يقتضي انتفاء مرضاة الله ولو بسخط من سواه الم يعلموا
استفهام بمعنى التوبيخ انه اي الشان من يحادد الله ورسوله المحادة
مفاعلة من الحد كالمشافهة من الشفة لان المتخالفين كل منهما في حد وذكر الله تعالى
هنا ايضا تمهيد فان له نار جهنم خالدا فيها على حذف الخبر اي فحق ان له او على تكرير
ان للتاكيد وقيل يجوز ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد
الله ورسوله يهلك فيكون فان له نار جهنم في موضع نصب وهذا الذي قدره لا يصح لانهم
نصوا على انه اذا حذف الجواب لدلالة الكلام عليه كان فعل الشرط ماضيا في اللفظ او
مضارعا مجزوما بلم من كلامهم انت ظالم ان فعلت ولا يجوز ان تفعل وهنا حذف جواب

الشرط

الشرط وفعل الشرط ليس ماضيا للفظ ولا مضارعا مقرونا بلم وذلك ان جاء في كلامهم
فمخصوص بالضرورة وايضا فيجوز الكلام تاما دون تقدير هذا الجواب ذلك الهلاك
الدايم الخزي العظيم الخزي الهوان بما يستحيى من مثله يحذر المنافقون خبر
عن حذرهم وقيل هو بمعنى الامر اي ليحذر المنافقون ان تنزل عليهم على المنافقين
والنازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انهم مقرو ومحتج بهم عليهم سورة تنبيهم
تخبرهم بما في قلوبهم لم يكن ذلك الاخبار لاعلام المخبر به بل لاعلام انه لا يخفى
على الله تعالى ولا تخفيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه هتك استارهم
واظهار اسرارهم للمومنين ولا يخفى ما في هذا المعنى من شدة الالتيام بين اجزاء الكلام
واعتبار لطف يناسب المقام بلا التزام لانتشار الضماير ثم ان ما ذكر على تقدير الامر
ظاهر واما على تقدير الخبر فنقول الكنية ما كان يطلع الله رسوله عليه الصلاة
والسلام كانوا يحذرون ذلك وخبث باطنهم وشدة كفرهم كانوا يوذونه عليه الصلاة
والسلام ويستهزءون به وذلك قوله تعالى قل استهزءوا صيغة امر للتهديد
ودليله ان الله مخرج من الكمون الى البروز ما كنتم تحذرون اي ما تحذرونه
من نزول السورة في اظهار اسراركم وهتك استارهم او من اظهار مساويكم ولئن سالتهم
ليقولن روي ان ركبا لمنافقين مروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة
تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات
هيهات فاخبر الله تعالى به نبيه عليه الصلاة والسلام فدعاهم فقال قلتم كذا كذا
فقالوا لا والله ما كنا في شيء من امرك وامر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه
الركب ليقصر بعض السفر فنزلت فما ذكر من السوال والجواب كان مع بعضهم الا
انه اسند الى الكل لاتحادهم في المنشا انما كنا نخوض ونلعب الخوض في الاصل دخول
القدم فيما كان مايعا من الماء والطين ثم كثر حتى صار في كل دخول فيه اذى وتلوث
قل ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزءون تقرير للاستهزاء وتوبيخ لهم على استهزائهم
بمن يجب تعظيمه ولا يصح الاستهزاء به ايلاء المستهزئ به حرف الاستفهام وانما يصح بعد وقوع
الاستهزاء فلم يعبا باعتذارهم للعلم بكذبهم في ذلك وذكر الله تمهيد لتعظيم اياته ونبيه
على ان استهزاءهما راجع الى الله تعالى لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاركم فانها معلومة
الكذب لا ينفعكم بعد ظهور اسراركم قد كفرتم بالاستهزاء والايذاء بعد ايمانكم
بعد اظهار الايمان ان يعف عن طايفة منكم لتوبتهم واخلاصهم او لاجتنابهم عما كانوا
يفعلونه من الايذاء والاستهزاء تعذب طايفة بانهم كانوا مجرمين بكونهم مجرمين مصرين
على النفاق وما كانوا عليه المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اي جنس واحد كابعاض

النبي الواحد غير مماثل لحلف المؤمنين تعريض بانهم ليسوا من المؤمنين وتكذيب لهم في حلفهم
بالله انهم لمنكم وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه ببيان منافاة حالهم لحال المؤمنين يامرون
بالمنكر الكفر والمعاصي وينهون عن المعروف اي الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم
قبض اليد عبارة عن الشح اي يمتنعون عن الانفاق في سبيل الله نسوا الله فنسيهم
النسيان في الاول كناية عن الترك والمراد ترك طاعته وفي الثاني مجازا عنه مرتبا
على الكناية والمراد ترك رحمتهم وانما يعبر بالنسيان عن الترك مبالغة اذ ابلغ وجوه
الترك هو الذي يقترن به النسيان ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد
والخروج عن دايرة الخير والمبالغة في ذمهم بالفسق وجعله غاية في التمرد والعتو
والفارق الاعظم بينهم وبين المسلمين تنفير للمسلمين عنه وعد الله المنافقين والمنافقات
التفصيل بين الجنسين للاهتمام لشانهم لان الكلام في ذمهم والكفار اي بقرينة المقابلة
وهي لا تخلو من الدلالة على انهم جنس اخر نار جهنم خالدين فيها حال عن معنى وعد فانه
كناية عن وقوع العذاب كانه قيل يعذبهم الله بنار جهنم خالدين فيها هي حسبهم اشارة
الى عظم عذابها وانه لا مزيد عليه اي حسبهم عقابا وعذابا اذ لا شيء ابلغ منه ولعنهم الله
وطردهم واهانهم مع التعذيب وقرنهم بالشياطين الملاعين في التبعيد فيه بيان لعذابهم
الروحاني ولهم عذاب اي ولهم نوع من العذاب سوى الصلا بالنار مقيم دائم
بعذاب النار كالذين اي انتم مثل الذين من قبلكم او فعلتم مثل الذين من قبلكم
كانوا اشد منكم قوة منعة وبطشا واكثر اموالا واولادا اي كانوا اشد منكم واقدر
فاذا كنتم في سوء المعاملة مثلهم وفي القوة والمنعة دونهم فاجوزكم ان يصيبكم من العقوبة
مثل ما اصابهم ومن وهم انه بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم فقد وهم
فاستمتعوا بخلاقهم الخلاق النصيب مما الخلق بمعنى التقدير وهو ما خلق للانسان
اي قدر له من خير كما سمي نصيبا لانه نصيب له واثبت وتقديمه على التشبيه الذي
بقوله فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم تمهيد لذمهم بذم
الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا واشتغالهم وطلبا للفلاح وتحصيل
اللذات الباقية ليتفكروا في حالهم وسماجة فعلهم في نفسهم ثم يتيقظوا او يتفطنوا
لقبح ما هم فيه لتشبههم واقتفائهم اثارهم والاستمتاع طلب المتعة وهي فعل ما فيه اللذة
من الماكل والمشارب والمناكح وخضتم اي دخلتم في الباطل كالذي خاضوا الذي
اسم ناقص يعبر به عن الواحد والجمع اولئك الذين رضوا من اخرتهم بدنياهم
حبطت بطلت اعمالهم في الدنيا والاخرة اما في الاخرة فلانه لا ثواب لهم
ولا نجاة من العذاب واما في الدنيا فلانهم قصدوا بذلك توهين الاسلام وهزامه

وعلوا انفسهم فابطل الله تعالى كيدهم وخيب املهم واولئك هم الخاسرون ذهبت
اموالهم فيما ضرهم ولا ينفعهم ولو ذهبت فيما يضرهم ولا ينفعهم كان خسرانا كيف وقد
ذهبت فيما يضرهم ولا ينفعهم اشارة الى الاولين والمستمتعين ليعلم المشبهون بهم ان
استمتاعهم وتلهيهم سبب لحبط اعمالهم في الدنيا والاخرة وخسرانهم المطلق
ثم تدعوا الم ياتهم نبا الذين من قبلهم الاستفهام للتقرير والتحذير والنبا
الخبر الذي له شان قوم نوح اغرقوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود
اهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم هلك نمرود ببعوض وكذا اصحابه واصحاب
مدين اهلكوا بالرجفة على ما صرح به في سورة الاعراف والذين هلكوا بالنار يوم
الظلة هم اصحاب الايكة من قوم شعيب عليه السلام لم يقل وقوم شعيب لان كلهم
امنوا له عليه السلام ولمثل هذا عدل فيما سبق عن قوم هود وقوم صالح عليهما السلام
الى عاد وثمود والمؤتفكات الايتفاك الانقلاب والمراد كل من اهلك من المكذبين
المتمردين كما يقال انقلبت عليه الدنيا ويدخل فيهم دخولا اوليا قوم لوط عليه السلام
ولو اريد بها قومه عليه السلام خاصة لكان حقها ان تذكر قبل اصحاب مدين اتتهم
رسلهم بالبينات الضمير لكلها تقدم ذكره من الامم فما كان الله ليظلمهم اي لم يكن من
عادته العقوبة بلا جرم ولما تبين هذا مما تقدم صدره باداة التفريع ونحو كما
يكون باعتبار الوجود يكون باعتبار الظهور ولكن كانوا انفسهم يظلمون بايقاعها
فيما يوجب العقوبة وتقديم المفعول يفيد التخصيص والمؤمنون والمؤمنات
بعضهم اولياء بعض ذكر في مقابلة المنافقون والمنافقات والمراد المخلصون
والمخلصات وفي العبارة المذكورة اشارة الى ان حق الايمان الاخلاص والمعنى
ان ذكورهم واناثهم يتوالون على الدين ديانة صدق ويتعاونون حتى ان الرجل
يخرج الى الجهاد وامراته تهيئ اسبابه وتخرج النساء مع الرجال ايضا فيداوين
الجرحى ويعالجن المرضى ويصلحن الطعام ويحملن الماء وغير ذلك من المهمات واختيار
كلمة التبعيض ثمة لشدة الارتباط فيما بينهم ووقوع اتفاقهم على الكفر والنفاق
وايثار عبارة الولاية ههنا للاشارة الى ان حق الاخوة الايمانية والموالاة في
المصالح الدينية يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر التعريف في الموضعين
للجنس ويقيمون الصلاة فهم يذكرون الله تعالى ويؤتون الزكاة ولا يقبضون
ايديهم والتعريفان هنا للعهد ولو حمل الجنس نظرا الى المدح في النوافل بلغ اذ من يقيم
النافلة احرى باقامة الفرض لكان له وجه ويطيعون الله ورسوله في الاوامر والنواهي
اولئك سيرحمهم الله السين مؤكدة للوعد مفيدة لوقوع الرحمة لا محالة هذا انما يحسن علي

النظر والذي هو بحسب دقيقه انها مدخلة في الوعد مهملة لتكون النفوس تتنعم برجا
وفضله تعالى عظيم نجاز ان الله عزيز اي قوي غالب قادر على قهر اعدايه واعزاز
اوليايه بجميع الوجوه حكيم يضع الاشيا مواضعها فيخص النقمة بالمنافقين والكفار
والرحمة باعدايهم على حسب استحقاقهم فليتعذبوا كلا الامرين وهو من نقمة ووعيد المنافقين
على وجه يتضمن وعد المؤمنين وعد الله المؤمنين والمؤمنات ففيه انتقال من
التضمين والاشارة الى التصريح اهتماما بالامر البشارة جنات اي السكون والقرار
فيها تجري من تحتها الانهار لما كان الموعود قرارهم فيها صح ان يكون قوله خالدين
فيها حالا عنه بلا تاويل ومساكن طيبة تطيبها النفس ويطيب فيها العيش وفي
الحديث انها قصور من اللولو والزبرجد والياقوت الاحمر في جنات عدن مقام
مقيم لما روي ابو الدردا رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن دار الله
التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون
والشهدا هذا لا ينافي تعميم الوعد لساير المؤمنين لان الموعود لهم ما في حوله من
الجنان قال ابن مسعود رضي الله عنه عدن بطنان الجنة وسرتها ولا يجوز ان يراد
به معناه اللغوي وهو الاقامة والخلود لما ثبت من التكرار في اعتبار معنى واحد
وعدهم اولا بالرحمة المطلقة اجمالا ثم فصلها وفسرها بما هو اهم الاماكن التي
يعرفونها من جنات تجري من تحتها الانهار ونكرها للتعظيم لتميل اليها طباعهم
اول ما يقرع اسماعهم ثم زاد عليها دفع وهم ما ينغص به العيش وهو زوال الملك
النعمة ثم وصفها بانه محفوف بطيب العيش معرا عن شوايب الكدورات التي
لا يخلو من شي منها اماكن الدنيا واما زيادة قوله في جنات عدن فلدفع وهم
ان تكون تلك المساكن خارجة عن الجنات ويكون سكون المؤمنين فيها قبل الدخول
في الجنة ثم وعدهم بما هو اكبر مما تقدم ذكره فقال ورضوان من الله اكبر
افرده بالذكر وتنوينه تعظيما في شانه اي وشي من رضوان الله تعالى اكبر من
ذلك لانه رضاه تعالى سبب كل فوز وسعادة وموجب كل تقريب وكرامة روي
ان الله يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا
ما لم يعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شي افضل
من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اشارة الى جميع ما وعدهم
وقيل الى الرضوان خاصة لتعظيمه وفيه اخراج ما عدا الرضوان المذكور عن حد الفوز
العظيم ويأباه ما ياتي من قوله تعالى اعد لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ذلك الفوز العظيم فانه صريح في دخوله في هذا الفوز المذكور هو الفوز العظيم لا ما يعد

الناس في الدنيا فوزا لانه يفنى ويتغير دونه وينتقص ويتكدر بخلافه يا ايها
النبي جاهد الكفار الجاحدين بالقتل والسبي والمنافقين بالزام الحجة
واقامة الحدود وتقديم الكفار لان جهادهم اهم واتم لكونه باللسان
اولا وبالسنان ثانيا وجهاد المنافقين بالثاني فقط واغلظ عليهم في
الجهادين قال عطا نسخت هذه الاية كل شي من العفو والصفح وماويهم
جهنم عطفه بالواو دلالة على ان المذكور بعد ما اعد لهم فاضمر بعضه
ثم عطف عليه ما ذكر ولا يخفى ما فيه من التهويل وبيس المصير يحلفون
بالله ما قالوا روي انه اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك شهرين
ينزل عليه القران ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد ان كان ما يقول
محمد حق لاخواننا لنحن شر من الحمير فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته ولقد
قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا هي كل كلمة ترجع
الى الطعن في الدين او في رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك عند مرجعه
من تبوك وما نقموا اي ما انكروا اي ما وجدوا ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم
الله استثنا مفرغ من اعم المفاعيل والعلل وعلى الاخير يكون الكلام على طريقة
قول النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتايب اي ما
نقموا الا ما حقه ان يشكر وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا
بالغنايم ورسوله من فضله الضمير لله تعالى وتوسيط ذكر الرسول صلى الله
عليه وسلم لانه الواسطة في حصول الفضل المذكور منه تعالى لهم فان يتوبوا
يك خيرا لهم الضمير في يك للتوب وهذا احسان من الله تعالى ورفق بهم حيث
فتح لهم باب التوبة بعد ارتكاب الجرايم العظيمة وهذا الامر الذي حمل الجلاس
على التوبة وان يتولوا بالاصرار على النفاق يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا
بالقتل وفي الاخرة بالنار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير ينجيهم من العذاب
باللطف او بالعنف وانما افرد الارض بالذكر تخصيصا لما هو المحتمل للنفي وهذا
ابلغ من ذكر السماء معها والتصريح بنفي الولي والنصير فيه ايضا ومنهم اي من المنافقين
من عاهد الله لين اتانا من فضله لنصدقن قال الضحاك هم نبتل بن الحارث
وجد بن قيس ومعتب بن قشير وثعلبة بن حاطب وفيهم نزلت الاية وروي
انه قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال يا ثعلبة قليل يؤدي شكره

خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل
ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود فضاقت بها المدينة فنزل واديا
وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله
حتى لا يسعه فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين
لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة واقرآه
كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه الفرايض فقال ما هذه الا جزية
ما هي الا اخت جزية وقال ارجعا حتى ارى رايي فلما رجعا قال لهما رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فجاء ثعلبة بالصدقة فقال
عليه الصلاة والسلام ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب على راسه فقال
عليه السلام هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجاء بها الى ابي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها وهلك في زمن خلافته ولنكونن من الصالحين
قال ابن عباس رضي الله عنه يريد الحج ليلائم المعطوف عليه اعني لنصدقن اشارة
الى الزكاة فيحسن ترتيبهما على ايتاء المال المشار اليه بقوله لئن آتانا من فضله ومن
هنا قالوا الصلاح في المال بحيث الصدقة النفقة في الحج والغزو فلما آتاهم من
فضله بخلوا به منعوا حق الله تعالى منه وتولوا عن طاعة الله تعالى وهم
معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض عنها فاعقبهم اي فجعلهم ذلك من
البخل والتولي نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان السبب فيه والظاهر
ان الضمير لله تعالى اي فجعله عاقبة فعلهم نفاقا ثابتا في قلوبهم الى يوم يلقونه
بما اخلفوا الله ما وعدوه دل على موتهم على النفاق ولذلك لم يقبل الخلفا زكاة
ثعلبة والضمير لله ويوم لقايه وقت الجزا وابتداؤه من وقت الموت او لفعلهم
والاعمال تتجسم وتحصل لملاقاة حقيقة على ما ورد في الاحاديث الصحيحة
وانما لم يقل الا ان يموتوا تنبيها على ان يوم الجزا ابتداؤه من وقت الموت
ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته وبما كانوا
يكذبون وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد متضمن الكذب بجوز استعارة اسمية
له فيه وعيد بالعذاب وتهديد بالعقاب ثم عقبه تاكيدا للوعيد بقوله الم
يعلموا اي المنافقين وقرئ بالتاء الفوقانية على الالتفات ان الله يعلم
سرهم ونجواهم ما اسروه من النفاق والعزم على اخلاف الوعد وما يتناجون
به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها وان
الله علام الغيوب فلا يخفى عليه شيء من ذلك الذين يلمزون محله النصب

او الرفع على المدح او على البدل من الضمير في سرهم ونجواهم واللمز قدم تفسيره
المطوعين المتطوعين من المومنين في الصدقات روي ان النبي عليه الصلاة
والسلام حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه باربعة
الاف درهم فبارك له الرسول عليه الصلاة والسلام فيما اعطاه وفيما امسكه
وتصدق عاصم بن عدي بماية وسق تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع تمر
فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون
وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا ريا وما تصدق ابو عقيل الا ليذكر
مع الاكابر او ليذكر بنفسه ليعطى من الصدقات والله غني عن صاعه فنزلت
والذين لا يجدون الا جهدهم وقرئ بالضم وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه
وحمل على نفسه المشقة وقيل هو بالضم الطاقة وبالفتح المشقة فيسخرون منهم اي
يهزؤن بهم سخر الله منهم قد مر بيانه في تفسير الله يستهزئ بهم من سورة البقرة
ولهم عذاب اليم تنكير العذاب للتعظيم ومعلوم ان العذاب لا يخلو عن الم فالتوصيف
انما يفيد اذا قصد به المبالغة وتقديم الجار والمجرور لمحافظة الفاصلة استغفر لهم
او لا تستغفر لهم اراد الخبر عن تسوية الاستغفار وتركه في امتناع الغفران كما نص
عليه في قوله فلن يغفر الله لهم وقال لهذه الاية وتركه ان يتخير فيعلم يقينا انه
لا تفاوت في الحالين عدم الغفران ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله
لهم سال عبد الله بن ابي وكان رجلا مخلصا ان يستغفر لابيه في مرضه ففعل فنزلت
سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عليه الصلاة
والسلام فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون حدا يخالفه
حكم ما وراءه فبين له ان المراد التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة
والسبعين والسبعماية ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على جملة ما هو الاصول
لسوار العدد فكانها باسره ذلك اشارة الى امتناع الغفران وعدم تاثير
الاستغفار في حقهم بانهم كفروا بالله ورسوله يعني ان ذلك لعدم قبولهم
له بسبب كفرهم وتمردهم في الفسق والعصيان لا لمنعي ولا لتقصيرك والله لا يهدي
قد مر انه من قبيل تنزيل الموجود منزلة المعدوم لعدم اثره القوم الفاسقين
المتمردين في كفرهم وهذا كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن
الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقطع ولا يهتدي والتنبيه
على عذر الرسول عليه السلام في استغفاره وهو عدم ياسه عليه الصلاة والسلام
عن ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلال والممنوع هو الاستغفار بعد العلم

بقوله ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد
ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم فرح المخلفون الذين يخرجوا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم إلى غزوة تبوك المخلف المتروك خلف من مضى والفرح انشراح
الصدر بلذة عاجلة بمقعدهم أي بقعودهم عن الغزو في المدينة عند خروجه عليه
الصلاة والسلام خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم نصب على الظرف أي خلفه
يقال أقام خلاف الحي أي بعده ارتحالهم ويعضده قراءة أبي حيوة خلف رسول الله
صلى الله عليه وسلم أو على المصدر أي خالفوا رسول الله خلافا نحو قوله تعالى فضرب
الرقاب ضربا قيل هو بمعنى المخالفة لأنهم خالفوه عليه الصلاة والسلام وحينئذ
يكون حالا أو مفعولا له أي مخالفين له أي للمخالفة وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم إيثارا
للموجود الفاني على الموعود الباقي وأنفسهم تحرجا للدعة على طاعة الله تعالى في سبيل الله
أي في طريق القراة والإضافة إلى الله للتشريف والتنبيه على أن الغزو المحمود ما كان
خالصا لله تعالى وفي ذكرها لهم هذه في معرض القدح تعريض بحال الباذلين أموالهم
وأنفسهم في سبيل الله تعالى المحتملين للمشاق لوجه تعالى المدح وقالوا حذف المفعول
له للتعميم أي قالوا لكل من لا قوة له وقدروا على إغوائه وإضلاله لا تنفروا في الحر
في وقته أي لا تخرجوا للغزو فإنه وقع في شدة الحر لا يؤمن معها قلة المياه وهلاك الظهر
والضعف عن المشي فعاب الله تعالى هذا من قولهم وعددهم عليه بالنار لقوله قل نار
جهنم أيقنت عليهم الحجة بأن قيل لهم فإذا كنتم تجزعون من حر القيظ فنار جهنم أشد
حرا فأحرى أن تجزعوا منها وذكره في سياق الوعيد لهم الدلالة على أن حالهم هذه موجبة
للتعذيب بنار جهنم لو كانوا يفقهون الفقه الفهم بالفطنة أي لو كان لهم فهم
وفطنة لما دعتوا في طاعة الله تعالى لما فيها من التعب وهو سبب الرغبة فيها لأن الأجرة
للعمل بقدر المشقة فيه قال عليه السلام أفضل الأعمال أحمزها وأما ما قيل استجهال
لهم لأن من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك المتصون في مشقة الأبد كان
من كل جاهل فلا يناسبه إيثار بقوم يفقهون على ما يعلمون فليضحكوا قليلا وليبكوا
كثيرا الفاء للتسبيب والضحك حال تفتح وانبساط يظهر في وجه الإنسان عن تعجب
مع فرح والبكاء حال يظهر في الوجه عن غم مع جري الدموع على الخد والأمر في الموضعين
للتكوين ونجيبه على صيغة المضارع لأن كون تلك الحال في الاستقبال وقيل إخبار
عما يؤول إليه حالهم في الدنيا والآخرة أخرجه على صيغة الأمر للدلالة على أنه حتم واجب
ويبناه على أن يكون الإخراج المذكور أقوى من إبقاء الإخبار على صيغته ولا يخفى
ضعفه كيف وما عليه الجمهور وهو المشهور أن إخراج الأمر على صيغة الإخبار أقوى

من

من إبقائه على حاله ويجوز أن يكون المراد من الضحك والبكاء فرط السرور والغم ومن
القلة العدم ومن الكثرة الأبد جزاء بما كانوا يكسبون من أنواع المعاصي ويندرج
فيه معصيتهم السالفة ذكرها اندراجا أوليا ففيه تقرير وتعيين لما دل عليه الفاء
للسببية والكسب اجتلاب الحظ بما هي له من الأسباب فلا ينتظم ترك الواجب والمفهوم
إنما يعتبر إذا لم يعارضه منطوق نص آخر والجمع بين كان وصيغة المضارع للدلالة على
الاستمرار والتجددي واعتبارها بناسب الإخبار عن الجزاء الدائر فإن رجعك الله
إلى طائفة منهم الفاء للتفريع على ما تقدم ورجع متعد من الرجوع بمعنى الرد والطائفة
الجماعة التي من شأنها أن تطوف ولهذا لا يقال في جماعة الحجارة طائفة والمراد بالجماعة
المتخلفون وإنما قال منهم لأن كلهم لم يكونوا منافقين أو لأن فيهم من تاب أو
مات كأن فقفول الرسول صلى الله عليه وعليه وسلم إلى الطيبة تطييب الخاطر
وحسن الاختيار وأما وصوله إلى زمرة المنافقين فقد كان بكراهة واضطرار
فأوثر صيغة المتعدي على اللازم للإشعار بهذه الدقيقة الأنيقة فاستأذنوك
الاستئذان طلب الإذن وهو رفع التبعة في الفعل والترك وأصله أن يكون بقول
يسمع بالأذن والفاء فصيحة عاطفة على مقدر تقديره ثم أردت الخروج في الأمل
الانتقال عن محيط فقل جواب شرط لن تخرجوا معي نهي عن خروجهم
معه عليه الصلاة والسلام إلى الغزو أخرجه على صيغة الإخبار للدلالة على وقوع
الامتثال عنهم بالاضطرار وعدم قدرتهم على المخالفة أبدا الأبد الزمان
المستقبل غير المتناهي إلى الحد ونظيره في الماضي قط ولن تقاتلوا معي عدوا الأول
لإسقاطهم عن ديوان القراة خاصة وهذا لإسقاطهم عن ديوان المجاهدين مطلقا
إنكم رضيتم بالقعود تعليل للنهي المذكور وكأن إسقاطهم من الديوان المذكور لقا
عقوبة لهم على التخلف مطلقا والإشارة إلى هذا بعبارة الرضا أول مرة هي
الخرجة إلى غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين من النساء والصبيان وسائر
من لا يليق بالجهاد من أصحاب الأعذار ولا تصل على أحد منهم مات هذه فضيحة
لهم قبل الوفاة وما ذكر قبلها أخرى في حال الحيوة قال قتادة رضي الله تعالى
عنه دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن أبي سلول في مرض موته
وكان دعاه فسأل أن يصلي عليه ويقوم على قبره وكفنه بقميصه ففعل ذلك فنزلت
الآية وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال لما توفي عبد الله بن أبي سلول ودعاه
ليصلي عليه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أتصلي على عدو الله القائل
يوم كذا كذا والقائل يوم كذا كذا وعددت أيامه الخبيثة فتبسم رسول الله صلى الله

عليه وسلم وصلى عليه ثم مشى معه وقام على حفرته حتى دفن وانصرف فوالله ما لبث
الا يسيرا حتى نزلت ولا تصل على احد منهم مات الاية فما صلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعدها على منافق ولا قام على قبره انما قال مات والمراد الاستقبال لانه كائن
لا محالة وقوله ابدا منصوب على تصل وبه صارت الاية محكمة لا بمات كما توهمه
من قال فان احيا الكافر للتعذيب دون التمتع فكانه لم يحي ولم يبد انه على التقدير
المذكور ايضا لا حاجة الى التوجيه المذكور بل لا وجه له لان الحياة في البرزخ لا تنافي
استمرار الموت الواقع في الدنيا ولا تقم على قبره القبر حفرة يدفن فيها الميت والمراد
من القيام عليه معناه الحقيقي وهو نوع اكرام وقيل اريد به الاشتغال باسباب دفنه
ومواراته وعلى هذا مراد بالقبر معناه التصدري ويندرج فيه التكوين فلا ينتهي
ما قيل كانما لم يمنعه من التكفين في قميصه ونهي عن الصلاة عليه لان الضنة بالقميص كانت
مخلة بالكرم ولانه كان مكافاة لالباسه العباس رضي الله عنه قميصه حين اسر
على ان ما ذكر لا يصلح تعليلا لعدم النهي عنه لما عرفت ان نزول الاية المذكورة بعد
الصلاة والتكفين فيكون النهي على تقدير وروده على العود الى مثل ذلك وفي بعض
الروايات انه قيل له عليه الصلاة والسلام يا رسول الله الملبس عدو الله قميصك
قال عليه الصلاة والسلام اني لارجو ان يسلم بقميصي الف من بني الخزرج وكان ذلك
انهم كفروا بالله ورسوله تعليل للنهي على سبيل الاستئناف وماتوا وهم فاسقون
اي كفروا واصروا عليه حتى ماتوا على الفسق اي الخروج عن الطاعة قال الامام
ابو منصور رحمه الله تعالى الكفار والمنافقين فاسقين في آيات تعالى وان كان
اسم الكافر والمنافق ابلغ في الذم من اسم الفاسق لان اسم الفاسق يانفه
كل ذي دين فانه خروج عما تدين به فاخبر الله تعالى انهم مع تدينهم بالباطل
فاسقون في معاملاتهم خارجون عن دياناتهم مستوجبون للمذمة بتلك الجهة ولا
تعجبك اموالهم واولادهم قد مر تفسيره ومعنى التكرير المبالغة في التاكيد
والتقرير والامر حقيق به فان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والقلوب
مرتبطة بهما والنفوس مجتمعة منقطعة عليهما وانما عطف ههنا بالواو دون
الفاء لعدم صحة التفريع على ما تقدم بخلاف ما سبق فان للتفريع ثمة وجها
على ما بين هناك انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا لا يحسبن ان تمكن اهل
النفاق في تقييد مرادهم وتكثير اموالهم واولادهم اسداء معروف من الله
تعالى اليهم واسباغ انعام من لدنه عليهم انما ذلك مكر بهم واستدراج لهم امهال
لا اهمال والله قدير متعال وتزهق انفسهم وهم كافرون يعذبون بالنار

في

في دار القرار ابدا واذا انزلت سورة بتمامها على الحقيقة او بعضها على المجاز
لانه علم للمجموع المعين بخلاف القران والكتاب فانه يقع كل منهما على الكل والبعض
على الحقيقة ان امنوا بالله ان هي المفسرة وجاهدوا مع رسوله اي جاهدوا
الكفار متابعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم استاذنك اولوا الطول منهم
ذوو الفضل والسعة من طال عليه طولا وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين
قعدوا عن الجهاد لعذر رضوا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء جمع خالفة
وقيل معناه الخساس من قولهم فلان خالفة قومه اذا كان دونهم في اسباب
الفضل هذا تعييرهم وذم وطبع على قلوبهم اي ختم عليها اما عطفه على ما تقدم
بالواو دون الفاء للتنبيه على ان الطبع المذكور ليس اثر الرضا المذكور بل الامر بالعكس
فهم لا يفقهون فضيلة في الجهاد من السعادة الباقية على ما في تقدمه من الشقاوة
الزائلة وعلى هذا يظهر وجه ايثار لا يفقهون على لا يعلمون وايضا فيه تنبيه على
ان اثر الطبع ازالة الفطنة لا ازالة الفهم راسا حتى ينافي بقاء التكليف لكن
الرسول استدل على ما تقدم من جهة المعنى فان قوله تعالى رضوا اي في
معنى لم يجاهدوا اصلا والذين امنوا اي المخلصين من المؤمنين وانما قال معه
افادة لمعنى التبعية له عليه الصلاة والسلام جاهدوا باموالهم وانفسهم
اي ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم واخلص نيته
كقوله تعالى فان استكبروا فالذين عند ربك لا يستكبرون خرج ههنا ما قدمه
تعريضا واولئك لهم الخيرات اما اتى بالواو عطفا على مضمر كانه قيل
فاولئك لهم النصرة والغلبة والمراد من الخيرات انواع الغنائم فانه جمع
خيرة تخفيف خيرة وهو المستحسن من كل شيء وكثر استعمالها في النساء ومنه
قوله تعالى فيهن خيرات حسان ولهذا قيل اريد ههنا الحور واولئك هم
المفلحون الذين ادركوا بغيتهم في الاخرة والحصر في المواضع الثلاث
اما في اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار بيان وجه ادراكهم البغية
خالدين فيها ذلك الفوز العظيم قد مر ما يتعلق به من التفسير وجاء
المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم يقال اعذرت الى فلان تكلفت العذر
تعذر لي اي قيل قبل عذري واعتذرت اليه اي اتيت العذر الصحيح على
امري وعذرت بالتشديد اي اتيت ما هو ما هو في صورة العذر ولا عذر
لي فيه حقيقة والاية قرئت بالتخفيف وهي قراءة ابن عباس رضي الله عنه
وبالتشديد وهو قراءة سائر الناس فبالتخفيف من اعذر وبالتشديد

من اعتذر على ادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين اخبارا عن قوم اتوا
بالعذر الصحيح فيعذروا بالتشديد من عذر اخبارا عن اعراب تكلفوا العذر ولا
عذر لهم فلم يعذروا وفي الاية ذم لهم وجملته ان نزول السورة في الجهاد صار
الناس على اصناف منافقوا اهل المدينة وقد ذكرهم في قوله استاذنك اولو
الطول منهم والمخلصون وذكرهم في قوله تعالى والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا
باموالهم وانفسهم واعراب اهل البادية ممن لهم عذر حقيقة او لا عذر لهم
وذكرهم الله تعالى في هذه الاية على القرائتين واخرون من الاعراب تخلفوا
من غير استيذان وذكرهم في قوله تعالى وقعد الذين كذبوا الله ورسوله في
ادعاء الايمان ودليله قراءة ابي رضي الله عنه كذبوا الله بالتشديد سيصيب
الذين كفروا منهم من الاعراب وانما قال الذين كفروا لان من اعتذر لكسله
لا يكفر عذاب اليم في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالنار وقوم اخرون من
ضعفاء المسلمين لم يكن لهم عدة فجاؤا واستعانوا وذكرهم في قوله تعالى ليس
على الضعفاء الذين لا قوة لهم بسبب كبر سن او زمانة او عرج او عمى او غير
ذلك ولا على المرضى الذين بهم علة يرجى زوالها الا انه لا طاقة به في الحال
ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم حرج اثم في التاخر اذا نصحوا
لله ورسوله النصح لله تعالى ولرسوله عليه الصلاة والسلام للايمان بهما
وطاعتهما في السر والعلن والقيام بما يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح
قولا وفعلا كما يفعل الناصح ان ينصحه ويندرج فيه اندراجا اوليا قيل
ان لا ينشطوا غيرهم من الموسرين والاصحاء عن الخروج ولم يوهموهم ان قعودهم
كان لجواز التخلف لكل من اراده بل يبينوا سبب تخلفهم ويحرضوا القادرين
عليه ويقوموا باسبابهم عند خروجهم واسباب من خلفوهم بالمعونة ما على
المحسنين من سبيل ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع الظاهر
موضع المضمر وللدلالة على انهم وصفوا بصفة ثنا في الصفات فيفيد المدح
والتعليل والله غفور رحيم للمسيء فكيف للمحسن ولا على الذين اذا
ما اتوك لتحملهم عطف على الضعفاء ولا حرج ايضا على الاصحاء الذين لا يستطيعون
المشي ويحتاجون الى المراكب وحاولوا ان يسئلوك ان نعطيهم مراكب لتحملهم عليها
يقال حمل الامير فلانا اذا اعطاه مركبا قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف
في اتوك باضمار قد كقوله او جاؤكم حصرت صدورهم اي اذا ما اتوك قائلا
لا اجد تولوا جواب اذا ويجوز ان يكون جوابا لسؤال مقدر كانه قيل فما حالهم

اذا

جواب

اذا جاءهم الرسول قيل تولوا او يكون اذا قلت واعينهم تفيض الفيض هو السيلان
من الامتلاء من الدمع من للبيان كما في قولك افديك من رجل وقيل محل الجار والمجرور
النصب على التمييز ورد بان التمييز الذي اصله فاعل لا يجوز جره بمن واصل الكلام تفيض
دمعها فعدل الى ما ذكر ليكون ابلغ لان العين كلها دمع فياض حزنا مفعول له او مصدر
لفعل دل عليه ما قبله الا يجدوا اي لئلا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض ما ينفقون
في مغزاهم فيه دلالة على انهم مندرجون تحت قوله ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون
حرج ويجوز ان يكون قوله ولا على الذين معطوفا على المحسنين عطف الخاص على العام ويحسن
هذا قوله انما السبيل معرفا بالالف واللام ادعاء على النكرة وكلمة انما ليست للحصر
بل هي للمبالغة فيما يريد تقريره كما في قولك انما السياج عشرة على الذين السبيل قد يوصل
بعلى وبالى غير ان وصلها بعلى يقتضي صفة التوصل اليه وقلة منعته فلذلك حسنت
في هذه الاية يستاذنوك وهم اغنياء وهم واجدون للاهبة رضوا بان يكونوا مع الخوالف
وطبع الله على قلوبهم استيناف كانه قيل ما لهم استاذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بان يكونوا
بالضعة والدناءة والانتظام في سلك الخوالف ايثارا للدعة وفي ذكره سبب بيان الاستئذان
مع الغنى حتى غلوا وجهلوا عاقبتهم فهم لا يعلمون بغيته وقد انحصر المعذورون في التخلف
في ثلاثة اقسام الذين فقدوا الاستطاعة البدنية والذين فقدوا الاستطاعة المالية والذين
استعملوه فلم يجدوا ما يحملهم عليه يعتذرون اليكم في التخلف خطاب للصحابة رضي الله عنهم
اذا رجعتم اليهم من هذا السفر قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لن نؤمن لكم علة
للنهي عن الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصدق فيما يعتذر فلا يعتذر فاذا لم يصدق يترك
الاعتذار قد نبانا الله من اخباركم علة لانتفاء التصديق اي اعلمنا بالوحي الى نبيه
عليه الصلاة والسلام بعض اخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد وسيرى
الله عملكم رؤية العمل في مثل هذا يكون كناية عن فعل الرائي ما يستحقه العامل بسببه
اي سيرى الله تعالى اتتيبون اليه وتتوبون ام تثبتون على الكفر وتصرون عليه ففيه
وعيد بالاساءة في الدنيا ووعد بالاحسان فيها وتقديم عملكم على قوله ورسوله
للفصل على الرؤيتين تنبيها على ان الثاني على حقيقته والمراد موجبها ومن الفصاحة على تقدير
الثبات على الكفر ولا يخفى انه في غاية الايجاز والفصاحة ثم ان في غاية التسويف اشارة
الى ان الامهال لتدارك الانابة وفي الكلام استيناف على لطف وجه وانما قلنا انما ذكر من الوعد
في الدنيا لان قوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة وعد ووعيد في الاخرة وفيه تدارك
لما عسى ان يذهب اليه الوهم من قوله وسيرى الله الى ما لا يليق بشانه تعالى من الحاجة
الى الرؤية وسبق علمه ببعض الاشياء بالغفلة عنه ولهذا وضع عالم الغيب والشهادة موضع

الضمير أي لا يخفى عليه خافية مما في قلوبكم ولا نادرة مما يظهر على ألسنتكم وجوارحكم فيجازيكم
به فينبئكم على ... بما كنتم تعملون تشهيراً لحالهم وتقريراً لوبالهم وتذكيراً
لما ذهب عن خيالهم وبالهم على ما افصح عنه في موضع آخر بقوله فينبئهم بما عملوا أحصاه الله
ونسوه فيتمنون عنده المسارعة بهم الى النار لما يلحقهم به من الخزي والعار سيحلفون بالله
لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم لما ذكر انه يصدر منهم الاعتذار اخبر انهم سيؤكدون
ذلك الاعتذار الكاذب بالحلف بالله وان سبب الحلف طلبهم ان تعرضوا عنهم اعراض صفح
فلا تلوموهم ولا توبخوهم فأعرضوا عنهم أي فأجيبوهم الى طلبهم وفي تعليل الاعراض
عنهم بقوله انهم رجس دلالة على انه اعراض مقت أي مستقذرون لما انطووا عليه
من النفاق فيجب مباعدتهم واجتنابهم كما في الآية الاخرى رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه
وهذا اولى مما قيل لا ينفع فيهم التأنيب فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء
ارجاس لا يقبل التطهير ومأواهم جهنم يفيد هذا المعنى أي انهم ارجاس من اهل النار
لا يجدي فيهم التوبيخ والافادة خير من الاعادة اللهم الا ان يقال ان تعليل اخبارهم
جهنم عتاباً وتوبيخاً فلا يتكلفون في عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون مصدر مؤكد
مفعول له او حال من جهنم يحلفون لكم حذف ههنا المحلوف به واثبت فيما تقدم
اكتفاء بذكره مرة كما في قوله تعالى اذا اقسموا ليصرمنها وقوله تعالى واقسموا بالله
لترضوا عنهم أي غرضهم من الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم في دنياهم فان ترضوا
عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين أي فان رضاكم لا ينفعهم اذا كان الله
تعالى ساخطاً عليهم لان سخطه تعالى يوجب لهم عقوبة الدنيا والآخرة ورضاكم لا يستلزم
رضاه والعدول عن المضمر الى الظاهر للتسجيل عليهم بالفسق وللدلالة على ان سخطه
تعالى عليهم سبب عن فسقهم فلا يحصل رضاه ما داموا فاسقين وعلى ان الحكم عام وان كان
سبب الورود خاصاً فان العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب والمراد نهيهم عن الرضا
عنهم والاغترار بمعاذيرهم لما ذكر حلفهم فيما سبق لاجل الاعراض جاء الامر بالاعراض
ههنا لانه متنوع بحسب الاغراض فيكون على مقتضى الحكمة وكذلك الرضا وقد ذكر
ههنا الحلف لاجل الرضا وابرز النهي عنه في صورة الشرطية اخراجاً له مخرج المتردد
فيه لانه من الامور القلبية بخلاف الاعراض فانه محسوس مشاهد وجعل جوابه
انتفاء رضى الله تعالى عنهم فصار رضى المؤمنين ابعد شيء من الوقوع لان اللائق
بهم لان اللائق بهم لا يرضون عمن لا يرضى الله عنهم الاعراب سكان البوادي
اشد كفراً ونفاقاً من اهل الحضر لانهم كانوا في البوادي ولا محالة ان خوفهم منا
اقل من خوف منافقي المدينة فالسنتهم لذلك اطلق ونفاقهم اشد اناله لقساوة

قلوبهم

قلوبهم واجدر ان لا يعلموا واحق بان لا يعلموا لبعدهم عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وغيبتهم عن مجالسته وقلة ما يرد عليهم من مواعظ القرآن حدود ما انزل
الله على رسوله من الاوامر والنواهي كقوله تعالى تلك حدود الله فلا تعتدوها
وقوله تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها والله عليم يعلم حال كل واحد من
اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقاباً وثواباً ذكر العلم
بعد العمل ابلغ وعد ووعيد والحكم للبشارة والتهديد ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق
رياء وتقية واصل الغرم الدين ومنه قوله تعالى ان عذابها كان غراماً ويتربص
بكم الدوائر الدائرة في الاصل مصدر سمي به كالعافية او اسم فاعل من دار يدور وسمي
به عقبة الزمان لا تخلص عنه فهي تحيط الشخص كما تحيط الدائرة ويحتمل ان يؤخذ
من دوائر الزمان أي ينتظر بكم ما يأتي به الايام وتدور به من النوائب لينقلب الامر
عليكم فيتخلصوا من الانفاق عليهم دائرة السوء دعاء عليهم بنحو ما يتربصون به كقوله تعالى
وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم والسوء بالفتح مصدر للدائرة اضيف
اليه كقولك رجل سوء لان من دارت اليه ذمها بالسوء وقرئ السين قيل بالفتح
المصدر وبالضم الاسم وقال ابو علي معنى الدائرة يقتضي معنى السوء فانما هي اضافة
بيانية وتأكيد كما قالوا شمس النهار ولحيا رأسه ولا يقال رجل سوء الا بفتح السين
ولهذا لم يختلف القراء في فتح السين في قوله تعالى ما كان ابوك امرأ سوء والله
سميع لما يظهرونه عند الانفاق عليم بما يضمرونه من النفاق ومن الاعراب
من يؤمن بالله واليوم الآخر لما ذكر من يتخذ ما ينفق مغرماً ذكر مقابله وهو من يتخذ
ما ينفق مغنماً وذكر ههنا الاصل الذي يترتب عليه ما ينفق لما يظهر ثوابه الا
في الآخرة وقد اكتفى ثمة بذكر نتيجة الكفر وهو اتخاذ ما ينفق مغرماً والتربص
بالمؤمنين الدوائر ويتخذ أي يجعل مقصداً ما ينفق قربات عند الله سبب
قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ عند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول
لسبب صلواته لانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين ويدعو لهم ولذلك
سن للمصدق ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما
قال عليه السلام اللهم صل على آل ابي اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره
اقيم المسبب مقام السبب في الموضعين لقوة الاستلزام وشدة الشوق الى اللازم
الا انها قربة لهم شهادة من الله تعالى بصحة ما اعتقدوه على ابلغ الوجوه من التأ
بالاستئناف والا وان المفيد للتحقيق وثبات الامر وتمكنه وتنكير قربة للتعظيم
والضمير لنفقتهم سيدخلهم الله في رحمته تصديق لرجائهم بها في السين من

تحقيق الوعد باحاطة الرحمة عليهم وما اقوى دلالة هذا الكلام على رضى الله تعالى عن المتصد
قين وان الصدقة من الله تعالى بمكان اذا اخلصت لبه من صاحبها ان الله غفور رحيم
لتقرير ما وعد لهم والسابقون الاولون من المهاجرين الذين صلوا الى القبلتين والذين
الذين شهدوا بدرا والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل البيعة
الثانية وكانوا سبعين والذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ
بالرفع عطفا على السابقون والذين اتبعوهم اللاحقون بالسابقين من القبلتين والذين
اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة باحسان باخلاص قال تعالى بلى من اسلم وجهه
لله وهو محسن رضي الله عنهم لطاعتهم واعمالهم ورضوا عنه لافاضته عليهم نعمه
الدينية والدنيوية واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار وقرئ من تحتها
خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وقد مر تفسيره وممن حولكم اي حول بلدتكم
وهي المدينة من الاعراب منافقون وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار ومن
اهل المدينة عطف على ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته مردوا على النفاق اي تدربوا
فيه ومرنوا عليه وتمهروا فيه وهو يستعمل في الشر لا في الخير ونظيره في حذف الموصوف
واقامة الصفة مقامه قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا وعلى الاول صفة للمنافقين
فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدأ لبيان مردهم وتمردهم على النفاق لا تعلمهم
لا تعرفهم باعيانهم بيان لقوله مردوا على النفاق اي بلغوا منها ثم فيه الى ان خفي حالهم
عليك مع كمال فطنتك وصدق فراستك لفرط تمودهم في توقي مواضع التهم نحن نعلمهم
تاكيد للبيان لا لافادة تقديم الضمير التخصيص اي لا يعلمهم الا الله ونحن ولا يطلع على
سرهم غيره لشدة ابطانهم الكفر واظهارهم الاخلاص وحمل مردوا على الاستيناف ابلغ
والنسب لهذه المبالغة سنعذبهم موجب علمه مرتين بالفضيحة والقتل او باحدهما
وعذاب القبر او باخذ الزكاة ونهك الابدان ويحتمل ان يراد بها الواجب بل يكون المع
على التكثير كقوله ثم ارجع البصر كرتين اي مرة بعد مرة ثم يردون الى عذاب عظيم
الى عذاب النار في دار القرار وآخرون اعترفوا بذنوبهم اي لم يعتذروا بالمعاذير
الكاذبة من تخلفهم واعترفوا بتقصيرهم وتخلفهم نادمين وهم طائفة من المتخلفين
اوثقوا انفسهم على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكر
انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم وقال وانا لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم
خلطوا عملا صالحا هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب وآخر سيئا هو التخلف
وموافقة اهل النفاق والواو في الخلط ابلغ من الباء لدلالتها على كون كل منهما مخلوطا

ومخلوطا به

ومخلوطا به بخلاف الباء لافادتها ان يكون احدهما مخلوطا به ويجوز ان تكون بمعنى الباء
لافادتها ان يكون احدهما مخلوطا والاخر مخلوطا به ويجوز ان تكون بمعنى الباء والمفعول
محذوف دعما بدل من قولهم بعت الشاة شاة ودرهما عسى الله ان يتوب عليهم اي يقبل
توبتهم وهي مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم قال الكلبي عسى من الله تعالى واجب
اذ هو اطماع واطماع الكريم ايجاب ان الله غفور رحيم يتجاوز عن التائب ويتفضل
عليه قال بعض العلماء المسيء منا اي يخاف واذا خاف لم يخلصه من ذلك الا الاشياء الانكار
والقرار والمسيء في حق الله تعالى لا ينجيه الا الاقرار قال قائل
اقرر بذنبك ثم اطلب تجاوزه … واعلم ان جحود الذنب ذنبان خذ من اموالهم
صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق
بها وطهرنا فقال عليه السلام ما امرت ان اخذ من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم
من الذنوب او حب المال المؤدي بهم الى مثله صفة الصدقة والتاء للخطاب او
لغيبة المؤنث وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وقرئ تطهرهم بالجزم جوابا للامر
ولم يقرأ وتزكيهم الا باثبات الياء والتزكية مبالغة في التطهير او زيادة فيه او
للانماء والبركة في المال بها بالصدقة وصل عليهم اي واعطف عليهم وترحم بالدعاء
والاستغفار لهم ان صلواتك سكن لهم تسكن اليها نفوسهم وتطمئن قلوبهم بان الله
تعالى قبل توبتهم وجمعها لتعدد المدعو لهم والله سميع يسمع اعترافهم بذنوبهم
عليم بما في ضمائرهم من الغم والندم وصدق التوبة الم يعلموا الضمير اما للمتوب
عليهم والمراد ان يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد
التحضيض ان الله هو يقبل التوبة اذا صحت لا رسوله ولا غيره عن عباده
تعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ الصدقات اذا صدرت عن
خلوص النية واخذها مجاز عن قبولها وقبولها كناية عن اعطاء الثواب في مقابلته
كما هو شأن الكريم وان الله هو التواب الرحيم وان من شأنه قبول توبة التائبين
مرة بعد اخرى والتفضل عليهم بالتجاوز دائما وقع بين التوبتين والفاء للعطف على
مقدر كأنه قيل ان الله هو البر الكريم تعليل للكناية المذكورة وحذف اداة
التعليل مع ان قياس تقديمه على ما ذكر في تعليل قبول التوبة للتقريب بين التعليل
والمعلل بهما امكن فتأمل وقل اعملوا ما شئتم ظاهره امر وباطنه وعد
ووعيد والخطاب للجميع فسيرى الله عملكم خيرا كان او شرا وقد مر بيانه ورسوله
والمؤمنون في الخبر لو ان رجلا عمل في صخرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله الى الناس كائنا
ما كان وستردون الى عالم الغيب والشهادة قد مر بيانه واما في ههنا بدل ثم حرف

التقريب لان كل آت قريب ولان الرد عند الموت في كل آن والمقام مقام التحذير فلا يناسبه
اداة التسويف فينبئكم بما كنتم تعملون وعد في حق المحسن ووعيد في حق المسيء
وآخرون من المتخلفين مرجون قرئ بالهمز من ارجأته وبغير الهمز من ارجيته
ومعناه مؤخرون اي موقوف امرهم لامر الله اي الى امر الله تعالى في شأنهم اما يعذبهم
ان اصروا ولم يتوبوا واما يتوب عليهم ان تابوا والترديد لنا ولدفع توهم ان يكون
له تعالى فالله عليم باعمالهم ونياتهم حكيم فيما يفعل بهم ويدخل
فيه امر التاخير دخولا اوليا وقرئ غفور رحيم والمراد بهم هؤلاء كعب بن مالك
وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه رضي الله
عنهم ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما رأوا ذلك اخلصوا نياتهم وصحت توبتهم فرحمهم
الله تعالى والذين اتخذوا مسجدا عطف على آخرون او نصب على الذم او خبر مبتدا
مبتدا محذوف تقديره وهم الذين او مبتدا محذوف الخبر واتخذ هنا متعدي
لواحد كما في قوله اتخذت بيتا اي عملته ضرارا اي مضارة مفعول لاجله لما ذكر
طرائق ذميمة لاصناف المنافقين اقوالا وافعالا ذكر ان منهم من بالغ في الشر
حتى بنى بيتا يجمع المنافقين يتربصون ما شاؤا فيه من الشر وسموه مسجدا وكفرا
وتقوية للكفر الذي يضمرونه روي ان بني عمرو بن عوف لما بنى مسجد قبا سألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو
عمرو بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه عامر الراهب اذا قدم من الشام
وتفريقا بين المؤمنين المجتمعين على الصلاة في مسجد قبا لانهم ارادوا ان ينفردوا
عنه وتختلف كلمتهم وارصادا وترقبا لمن حارب الله لاجل من حارب يعني
الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك
الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله عليه السلام الى يوم حنين انهزم مع هوازن وهرب
الى الشام ليأتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات
بقنسرين وحيدا ورسوله ذكر الله تعالى تمهيد لتعظيم امر محاربته عليه السلام
من قبل متعلق بحارب او باتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف لما روي
انه بني قبل غزوة تبوك فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيه فقال انا
على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه فلما كر عليه فنزلت فدعا
بجماعة منهم الوحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم فاهدموه واحرقوه واتخذوا
مكانه كناسة وليحلفن ان اردنا الا الحسنى وهي الصلاة والزكاة والتوسعة على
المصلين فانهم قد قالوا لما اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما اتوا ببنيانه انا قد

بنينا

بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية والله يشهد انهم لكاذبون في
حلفهم لا تقم فيه ابدا اراد القيام للصلاة كما في قوله عليه السلام من قام رمضان
وقامه لمسجد اسس على التقوى يعني مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم اسس لاحياء دين
الله واظهار شريعته التي لا يقوم بها الا من يتقي الله تعالى قال ابو سعيد الخدري وابي بن
كعب رضي الله عنه قال النبي عليه السلام وهو مسجدي هذا من اول يوم من ايام وجوده
وقيل مسجد قبا لانه هو الاوفق للقصة الاولى والوجه لانه لا يعارض مع الخبر ولانه اوفق
لقوله احق ان تقوم فيه اولى بان تصلي فيه فيه رجال التنكير للتعظيم يحبون ان
ان يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله تعالى وقيل من الجنابة
فلا ينامون عليها استيناف تعليلي يتضمن الاشارة الى ان صلاح جماعة من اسباب ترجيح
الصلاة في مسجدهم والله يحب المطهرين رضي الله عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب
حبيبه روي انه عليه السلام قال يا معشر الانصار ان الله اثنى عليكم بالطهور فماذا
تفعلون عند الغائط قالوا نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا رجال
يحبون ان يتطهروا افمن اسس بنيانه بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان على
قاعدة محكمة هي التقوى من الله تعالى وطلب مرضاته بالطاعة خير ام من اسس بنيانه
على شفا جرف هار على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها الشفا الحرف والشفير
وجرف الوادي جانبه الذي يحفر اصله السيل وتحفر بالماء فيبقى ذاهبا من الحرف
وهو انقلاع الشيء من اصله والهار الهائر وهو المتصدع الذي اشفى على الهدم والسقوط
لما استعار الجرف الهائر لما يقابل التقوى بقاعدة قوية على طريقة الاستعارة بالكناية
ولهذا نكر التقوى للتعظيم ووصفها بكونها من الله تعالى رشح الاستعارة بقوله فانهار
به في نار جهنم فان الجرف الهائر سهل الانهيار لخوره وقلة ثباته واستمساكه وهو
تقوية لشرعه اذ للباطل الى هوى صاحبه في قعر جهنم كانه بنى على جرف واد من اودية
جهنم انحرف اصله السيل ويفهم منه انه تاسيس الذي يقابله على امر يحفظ على النار
ويوصله الى الرضوان الذي ادنى مقتضياته الجنة ولذلك عطف الرضوان على التقوى
وجعلا كانهما امران متلازمان ونكر التقوى اشعارا بان تلازمهما بحيث محله ما يلزم احدهما
يلزم الاخر ولا ترى ابلغ من هذا الكلام والاول على ما هو المقصود منه وانما لم يقل
فوقع في نار جهنم لانه ما دام حيا امكنه ان يخلص فيتخلص ولا يقع فيهما والله لا يهدي
القوم الظالمين اي لا يهديهم من حيث هم ظالمون الى ما فيه من صلاح ونجاة وقد
مر ان نفي الهداية مثل هذا على طريقة تنزيل ما لا اثر له منزلة العدم والا فالله هادي
الكل الى مصالحهم لا يزال بنيانهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول وقيل هو جمع واحده

بنيانه وحينئذ لا يكون بمعنى الذي والاخبار بقوله ريبة في قلوبهم عن المضاف المحذوف
اي بناء بنيانهم الذي بنوه سبب ريبة فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه رسول الله صلى الله
عليه وسلم رسخ ذلك في قلوبهم وازداد وانفاقاً بحيث لا يزول وسم قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم
قطعاً بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهذا التقطيع تصوير لامتناع زوال الشك
عن القلوب مع بقائها وان زواله لا يكون لا بزوالها وهو في غاية المبالغة والاستثناء من
اعم الازمنة اي وقت ان يقطع وهو في محل النصب على الظرف ويجوز ان يكون المراد
حقيقة التقطيع بالقتل وفي النار وفي القبور وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة
تتقطع بها قلوبهم ندماً واسفاً على تفريطهم وقرئ بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى
تتقطع وقرئ يقطع بالياء ويقطع بالتخفيف وتقطع على خطاب الرسول عليه السلام
او كل مخاطب وقرئ ولو قطعت على البناء للمفعول والله عليم بضمائر العباد حكيم
في التمييز بين اهل الصلاح واهل الفساد فيدخل في الاول بنائهم وفي الثاني الامر لولاية
في حقهم دخولاً اولياً ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة
استعارة لاستهزاء لاثابتهم الجنة بذل الاموال والانفس في سبيل الله ولم يقل بالجنة
مدحاً لهم باعتبار انهم بذلوا انفسهم واموالهم بمجرد الوعد وفيه كما لثقتهم بوعده
تعالى وايضاً تمام الاستعارة المذكورة به اذ لا بد لها من قرينة مانعة من ارادة
الحقيقة ولو قيل بالجنة لم يوجد تلك القرينة لان الجنة صالحة لان تكون احد
العوضين بخلاف الوعد بها يقاتلون في سبيل الله استئناف لبيان الاشتراء
لا لبيان ما لاجله الشراء وقيل خبر بمعنى الامر فيقوله تجاهدون في سبيل الله باموالكم
وانفسكم اظهاراً للاهتمام بالمأمور به كانهم سارعوا الى الامتثال فاخبر عنهم فعلى هذا
يكون الاشتراء تمهيداً فيقتلون ويقتلون تفصيل للمقاتلة وبيان لاحرازهم
فضيلتي الجهاد وقرئ بتقديم البناء للمفعول وتثنيته على اسناد فعل البعض الى
الكل وفيه دلالة على ثبوت قلوبهم وجراءتهم على العزم حيث لم ينكسروا بان قتل
بعضهم كما قال الله تعالى وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا وقيل
توجيه ان الواو لا توجب الترتيب وهو لا يجري لان تقديم ما حقه التاخير لا يكون
الاسلامة ما حقه الامن وعداً عليه مصدر مؤكد لما دل عليه قوله بان لهم الجنة
حقاً صفته في التوراة والانجيل والقرآن اوحي به الى انبيائه عليهم السلام
واثبته في كتبهم ومن اوفى بعهده من الله مبالغة في انجاز الوعد وتقرير
لكونه حقاً فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح فانكم
تبيعون فانياً بباق وتاخذون ثمناً من مشتري بمبيع هو ملكه وحقه حالهم على سبيل

الالتفات تشريفاً لهم فاستبشر تفعل جا فيه استفعل بمعنى تفعل وليس هذا من معنى
الطلب في شيء كعجب واستعجب وذلك التبرع هو الفوز العظيم لانه الوصول
الى الحظ الاغبط من حط الذنوب ودخول الجنة بلا حساب التائبون رفع على
المدح اي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون والدليل عليه قراءة
التائبين الى قوله والحافظين نصباً على المدح او جراً صفة للمؤمنين ويجوز
ان يكون مبتدا خبره محذوف اي التائبون الموصوفون بهذه الصفات
من اهل الجنة وان لم يجاهدوا كقوله وكلا وعد الله الحسنى او خبره العابدون وما
بعده خبر بعد خبر اي التائبون من الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الصفات
العابدون الذين عبدوا الله وحده مخلصين له الدين الحامدون لنعمائه ولما
يأتيهم من السراء والضراء السائحون الصائمون لقوله عليه السلام سياحة
امتي الصيام شبه بها من حيث انه يعوق عن الشهوات او انه رياضة نفسانية يتوصل بها
الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت والسائرون للجهاد وطلب العلم الراكعون
الساجدون في الصلوات الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن
المنكر عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على انهما بمنزلة خصلة واحدة
كانه قال والجامعون بحدود بينهما في قوله والحافظون لحدود الله فيما بينه وعينه
من الحقائق والشرائع لانه من تمام تلك الخصلة فان من لم يوافق حاله مقاله لا يجدي
امره نفعاً ولا يفيد نهيه ردعاً ومن لم ينتبه لهذا قال انه للتنبيه على ان ما قبله مفصل
للفضائل وهذا مجملها وليت شعري ما وجه الدلالة في العاطف على هذا وقيل انه للايذان
بان التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر
معطوف عليه ولذلك يسمى واو الثمانية وقف باذن تعالى على ما فيه في موضعه وبشر
المؤمنين يعني بهم هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم
اشعار بان الايمان هو الباعث على هذه الخصال وان الكامل في الايمان من كان على الصفات
المذكورة وحذف المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم بما يجل عن الوصف واحاطة
الافهام والتعبير عنه بالكلام ما كان فائدة دخول كان المبالغة في نفي الفعل الداخلة
هي عليه بتعديد جهة نفيه عموماً باعتبار الكون وخصوصاً باعتبار الاستغفار ما كان
للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ان يطلبوا المغفرة لهم ولو كانوا اولي
قربى روي انه عليه الصلاة والسلام قال لابي طالب لما حضرته الوفاة قل كلمة احاج بها
عند الله فابى فقال عليه الصلاة والسلام لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه وفيه ان
موت ابي طالب قبل الهجرة وهذه آخر ما نزلت بالمدينة لا يقال ما ذكرنا يتم لو كان

نزول الآية عقيب قول أبي طالب وليس بلازم لجواز أن يكون النبي عليه السلام يستغفر
إلى وقت نزول الآية لأنا نقول الظاهر من قول الراوي فنزلت إنما هو التعقيب بلا تراخ
وإنما قال للمشركين دون الكافرين لأن منهم من هو معذور كالذي لم تبلغه الدعوة
فلا نهي عن الاستغفار لهم وذكر الحلبي أن النبي صلى الله عليه وسلم زار قبر أمه في
ألف فارس وهو يريد أن يستغفر لها فلما قام عند قبرها فإذا هو بجبريل عليه
السلام فوضع يده على صدره وتلا هذه الآية فبكى النبي عليه السلام وبكى المسلمون
فما رئي يوماً أشد باكياً من يومئذ من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم لأنهم ماتوا
على الشرك خاصة بما به وبنزول الوحي فيه فلا يختص النهي بالذي ماتوا على الشرك وإنما
قال من بعد ما تبين لعدم المنع عن الاستغفار قبل ذلك طلب التوفيق للإيمان اقتضاء
ومن قال بحجية المفهوم اتخذه دليلاً على جواز الاستغفار للأحياء من الكفار مطلقاً
ولما ورد النهي عن الاستغفار للمشركين قال الناس إذ إبراهيم عليه السلام استغفر لأبيه
لأن المشرك فنزلت هذه الآية وما كان استغفار إبراهيم لأبيه يعني بعد موته على
على الشرك لأن الاستغفار له قبل الموت لا يصلح مستمسكاً للقائل المذكور وذلك ظاهر
فلا ينطبق سبب النزول إلا عن موعدة وعدها إياه ووفى أباه أي وعدها إبراهيم
عليه الصلاة والسلام بقوله سلام عليك سأستغفر لك ربي فأنجز وعده فإن إنجاز الوعد
واجب ولم يكن موته على الشرك ظاهراً عنده عليه السلام كما هو الظاهر من قوله تعالى
فلما تبين له أنه عدو لله وهذا التبين عنده عليه السلام كان يوم الجزاء على ما ورد في
الحديث الصحيح تبرأ منه ولم يطلب مغفرته بعد ذلك إن إبراهيم استئناف
لبيان ما حمله عليه السلام على الاستغفار لأبيه لأواه فعال من أوه وهو الذي يكثر التأوه
إلى الترحم والتعطف ولفرط تأوهه كان يتعطف لأبيه المشرك حليم صبور على
الأذى ولذلك كان يحلم عن أبيه ويتحمل أذاه ويستغفر له مع شكاسة خلقه وما كان
الله قد مر وجه زيادة كان في مثل هذا المقام ليضل قوماً ليخلق فيهم الضلال ومن
قال ليسميهم ضلالاً فقد دس فيه مذهب الاعتزال بعد إذ هداهم للإسلام حتى
يبين لهم بالنهي عبارة أو دلالة ما يتقون ما يجب اتقاؤه أي ليس من شأنه تعالى
تكليف الغافل المهتدي للإسلام إذا قدم على بعض محظورات الشرع إنما يكون ضالاً إذا كان
إقدامه عليه بعد بيان عذر الرسول صلى الله عليه وسلم في الإقدام على استغفار أمه وفيه
دليل على أن تكليف الغافل غير واقع في شرائع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إن الله
بكل شيء عليم فيعلم حاجة الغافل إلى البيان فيعذره فهو تتميم للبيان المذكور إن الله
له خاصة ملك السموات والأرض لا شريك له يحيي ويميت يهدي ويضل وما

لكم

وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم من الاستغفار للمشركين ولو كانوا أولي
قربى وأشار بقوله تبرأ منه إلى وجوب التبري وأنه الهادي والمضل منهم بعد ما بين حالهم
بين أن الملك والحول والقوة كلها لله تعالى ولا ولاية ولا نصرة لهم إلا منه ليتولوه ويتوجهوا
إليه بتبرئهم ويتبرؤوا عما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما يأتون ويذرون سواه
لقد تاب الله على النبي قال ابن عباس رضي الله عنهما هو العفو عن إذنه للمنافقين بالتخلف
عنه والمهاجرين والأنصار قيل هو في حق زلات سبقت منهم يوم أحد وحنين قال
تعالى إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفى عنهم ففيه بعثة للمؤمنين على التوبة
والمعنى ما من أحد إلا وهو محتاج إلى التوبة حتى النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرون
والأنصار رضه لقوله وتوبوا إلى الله جميعاً إذ لا أحد إلا وله مستنقص ما هو فيه بالنسبة إليها
فالترقي منه إليها توبة من تلك النقيصة وفيه بيان لفضلها وشرفها بأنها مقام الأنبياء
عليهم السلام والصالحين رحمهم الله تعالى قال ابن عباس رضه كانت السورة تدعى الفاضحة
فلما نزلت هذه الآية سميت بها سورة التوبة الذين اتبعوه أي اتبعوا أمره عليه السلام
في ساعة العسرة في وقتها فإن الساعة في اللغة بمعنى مطلق الزمان والعسرة الضيق
والشدة والعدم وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد
والزاد حتى قيل إن الرجلين يقتسمان تمرة والماء حتى نحروا الإبل واعتصروا فرثها وفي شدة
زمان من شدة زمان من حرارة القيظ من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق أي بعد ما قاربوا
من الميل عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة وإنما أسند زيغهم إلى القلب
إظهاراً لكونه بمعنى الميل القلبي لا بمعنى الانحراف القالبي منهم أي من المؤمنين له عليه
السلام وفي كان ضمير الشأن أو ضمير القوم والعائد عليه الضمير في منهم لم يقل إنما عن بل
قال كاد تزيغ ولم يقل قلوبهم بل قال قلوب فريق منهم تنبيهاً على شركة كلهم في القرار على قدم
الثبات في مثل تلك الحال وإنما زحلهم عن الباقين بقوة الثبات وفيه إشارة إلى جهة استحقاقهم
لأن يتوب الله تعالى عليهم وما في قوله منهم من الإبهام الإيهام أنهم ليسوا من المهاجرين والأنصار لعدم
انحصار المتبعين له عليه السلام فيهما ما لا يخفى من التعظيم لشأنهما والترفيع لمكانهما عن مظنة
التشنيع ثم تاب عليهم على الفريق الذي كاد تزيغ قلوبهم لكيدودتهم وعلى قراءة عبد الله من بعد
ما زاغت لزيغهم وما تقدم في حق زلات سبقت من المهاجرين والأنصار في يوم أحد وحنين لا يغني
عن هذا فلا تكرير وفي عبارة التراخي إشارة إلى تأخر عفوهم إلى تحلل لكفر بينه وبين جرمهم
إنه بهم استئناف تعليلي رؤوف رحيم الجمع بين الاسمين للمبالغة والتأكيد وعلى الثلاثة
الذين هم الذين تقدم منهم وآخرون مرجون معطوف على قوله والأنصار خلفوا أخروا
وترك أمرهم لم يقبل منهم معذرة ولا ردت عليهم فكأنهم خلفوا عن المعتذرين حتى إذا ضاقت

عليهم الارض بما رحبت برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة وضاقت
عليهم الارض انفسهم قلوبهم من فرط حيرة الوحشة والغم بحيث لا يسعها انس ولا سرور
وظنوا وعلموا ان لا ملجأ من الله من سخطه الا اليه بالتوبة والاستغفار جاء هذا
الجمل في كنف اذ في غاية الحسن والترتيب حيث ذكر اولا ما هو كناية عن ضيق المحل وثانيا
ما هو كناية عن ضيق الحال والاول لا يغني عن الثاني لانه قد يضيق المحل ويكون النفس
منشرحة وثالثا ما هو كناية عن اليأس والانقطاع الى الله تعالى وحتى اذ كلمة غاية تقديره
وخلفوا الى هذه الغاية ثم تاب عليهم وفقهم للتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم
ليصيروا من جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم
بقرينة الاستيناف للتعليل بقوله ان الله هو التواب لمن تاب ولو عاد في يوم الف مرة
الرحيم المتفضل عليهم باصناف النعم وهم المستحقون بانواع النقم يا ايها الذين آمنوا
اتقوا الله فيما لا يرضاه وكونوا مع الصادقين الذين صدقوا في دين الله تعالى نية وقولا
وعملا او في ايمانهم ومعاهدتهم الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام وعلى الطاعة او في
توبتهم واقامتهم فيكون المراد هؤلاء الثلاثة واضرابهم وقرئ من الصادقين ونسبة
القرائين الى المعاني المذكورة على السوا ما كان لاهل المدينة اي ما صح وما جاز لهم
ومن حولهم من الاعراب كمزينة واشجع وجهينة وغفار ان يتخلفوا عن رسول الله
معاتبة للمؤمنين من اهل يثرب وقبائل العرب المجاورة لها على التخلف على رسول الله صلى
الله عليه وسلم في غزوة ويفهم منها الامر على ابلغ وجه بملازمته عليه السلام اينما توجه
عاديا وبذل النفوس دونه ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه اي لا ولا ان يرغبوا عطفا
على الاول ورغبا اذا تعدى بفي او الباء يفيد معنى الطلب واذا تعدى بعن يفيد معنى الترك
والاعراض وما المعنى ولا يرضوا ان يكونوا في خفض ودعة ورسول الله صلى الله عليه
وسلم في شدة ونصب روي ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت
له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر وقال ظل ظليل ورطب
يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته
واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له وفي
ونحو لا يرغبوا يجوز النصب والجزم ذلك اشارة الى وجوب متابعة عليه السلام المدلول
عليه بقوله ما كان لهم ان يتخلفوا بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظما عطش ولا نصب
تعب ولا مخمصة مجاعة مفعلة من خموص البطن وهو ضمره وكنى بذلك عن حالة الجوع
لانه ملازم لها والتنكير في الثلاثة للتقليل في سبيل في طريق الجهاد ولا يطأون
موطئا باقدامهم او رواحل خيولهم ولا ينالون من عدو لم يقل منهم اخراجا للمالين منهم

والغيظ وهو انقباض الطبع لما يرى مما يسوء به المنتظم نيلا شيئا من قتل او جرح او ضرب
واسر او تشريد او اخذ مال الا كتب لهم به عمل صالح اي حصل لهم بكل واحد من هذه الاشياء
حسنة مقبولة فان كتابته كناية عن حصوله وذلك مما يوجب المتابعة وانما قال به مع ذكر
الاشيا جميعا لانه لما ادخل بين كل شيء منها لا مكررا صار كل واحد منها مفردا بالذكر مقصودا
بالوعد ولهذا قالوا من حلف لا ياكل خبزا ولحما حنث بكل واحد منهما ولو قال لا ياكل
خبزا ولحما لم يحنث ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم فيه ايذان بان الجهاد
احسان وان الاحسان موجب للاجر فيكون تعليلا لكتبها كونه احسانا بالنسبة الى
المؤمنين فلما فيه من صيانة حوزة الاسلام عن استيلاء الكفار واما بالنسبة الى
الكفار فلانه سعي في اصلاحهم وارشادهم باقصى ما يمكن كضرب المداوي للمجنون
لشرب الدواء النافع ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة او علاقة سوط ولا
كبيرة مثل ما انفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة وتقديم النفقة الصغيرة
مع ان حقها التاخير للاهتمام لشانها لانها مظنة التحقير وعدم الالتفات بها ولا يقطعون
واديا في ذهابهم ومجيئهم والوادي كل منفرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى
اذا سال فشاع بمعنى الارض الا كتب لهم اثبت لهم ذلك ليجزيهم الله به احسن
ما كانوا يعملون احسن مصدر او مفعول ثان اي اجر احسن اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم
فيلحق ما دونه شكرا لسعيهم ولو نيا لاجرهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة اللام
لتاكيد النفي اي وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو او طلب علم كما لا يستقيم لهم
ان يثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش وهو تمهيد لوجوب التفقه في طلب العلم لانه فهم
منه انه لو امكن نفر الكل ولم يؤد الى مفسدة لوجب وهذا الوجوب النفقة على كل مسلم
لقوله عليه السلام طلب العلم فريضة على كل مسلم فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة
اي فاذا لم يمكن نفير الكل لمنافاته المصلحة فهلا نفر من كل فرقة كثيرة منهم كقبيلة
واهل بلدة طائفة قليلة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم
يحذرون اي الفقاهة وليتحشموا مشاق تحصيلها وليجعلوا غرضهم في ذلك ونهاية
سعيهم انذار قومهم وارشادهم ارادة ان يحذروا الله تعالى في اجتناب معاصيه وامتثال
اوامره وتخصيص الانذار بالذكر وجعله وحده غرض المنفعة لا يكون نفقها الا عنه
وان كان العمل به اقدم واهم لانه اشرف واعلى لان النفقة لا يكون نفقها الا عند
العمل به فمن لم يعمل بما علم فليس بفقيه ولا شك ان التكميل بعد الكمال فكان العمل داخلا
في النفقة وبعد الكمال بالعلم والعمل لا يكون الغرض منه الا التكميل وفيه دليل على
ان التفقه في الدين والتذكير من فروض الكفاية وان خبر الاحاد حجة لعموم كل فرقة

فلو كانت فرقة في قرية لوجب خروج بعضهم للنفقه وانذارهم ولوجب عمل الباقين باخبارهم
وان لم يتواتر فانه غير ممكن فيه وفي الاية وجه اخر وهو ان المؤمنين بعد ما سمعوا
ما انزل الله تعالى في المتخلفين من غزوة تبوك لما بقوا في الجهاد فكان اذا بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم جيشا نفروا عن اخرهم وانقطعوا جميعا عن استماع الوحي والتفقه
فامروا ان ينفر ان ينفر من كل فرقة ليتفقه الباقون في الدين فلا ينقطع التفقه
الذي هو الغرض من البعثة والجهاد الاكبر فان الجدال بالحجة اعظم اثرا من الجلاد بالسيف
ولينذروا قومهم واليهم للفرقة والباقين وفي رجعوا ولعلهم للطائفة النافرين وفيه
لتشتت الضماير وهو وان لم يكن مخلا بالفصاحة عند انتظام المعنى وانسياق الذهن
اليه لكن عدمه اولى فالراجح هو الوجه الاول يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم
يقربون منكم من الكفار امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب قيل كان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا غزا انما يجاوز كفارا ويقاتل الابعد ليكون اية لنبوته
انه لا يبالي ولا يخاف من تركه فنزلت الاية تعليما للمؤمنين امر الحرب كما علمهم ذلك في
ايات اخر من الامر باخذ الحذر واعداد ما استطاعوا من قوة وقيل ان الذين يلونكم من
الاعداء يوم نزول هذه الاية هم الروم الذين بهم ختم رسول الله صلى الله عليه وسلم
غزوه الى تبوك وليجدوا فيكم غلظة خشونة وصبرا على القتال وقري غلظة بالحركات
الثلاث واعلموا قد مر وجه زيادة اعلموا في مثل هذا المقام ان الله مع المتقين
ينصر من اتقاه وهو يبشرهم بالنصر واذا ما انزلت سورة فمنهم فمن المنافقين
من يقول لبعضهم ايكم زادته هذه السورة ايمانا انكارا واستهزاء بالمؤمنين
وقري ايكم بالنصب على اضمار يفسره زادته واما الذين امنوا اي فاما
المخلصون والفاء لترتيب الاخبار عنهم وعن مقابليهم على التنويع والتفصيل على
ما تقدم فزادتهم ايمانا بزيادة اليقين الحاصل من تدبر السورة وانضمامها
وبما فيها الى ايمانهم وهم يستبشرون وهم يفرحون بنزولها لزيادة كمالهم
وارتفاع درجاتهم بها حتى يتبين ذلك في وجوههم وبشرتهم واما الذين في قلوبهم
مرض كفر فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا مضموما الى الكفر بغيرها وماتوا
وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه انزل القرآن لقوم شفا
ولقوم شقاء اولا يرون يعني المنافقين وانما فتحت الواو لانها عاطفة دخل عليها
الف الاستفهام للتوبيخ فالكلام مستانف من وجه متصل من وجه وقري بتاء الخطاب
يعني المؤمنين والاستفهام حينئذ للتعجب اي تعجبا منهم كيف قست قلوبهم وعميت ابصارهم
عما يتتابع عليهم من انواع المحن واصناف الفتن انهم يفتنون يبتلون بانواع البليات

او بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعاينون ما يظهر عليه من الايات في كل عام
المعاد منا ليس على عمومه بل مخصص بقرينة المقام مرة او مرتين فينال هذه الفتنة
بهتك استارهم واظهار اسرارهم ثم لا يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون
ولا يتعظون بما يصيبهم حتى ينتهون عما هم عليه وزيادة هؤلاء غيرهم يتعظون
باعتبارهم ان سنة الله تعالى ان لا يخلي ازمانها بالتكليف من دلايل التعريف والتحريك
لهم في كل وقت بنوع من البيان والتعريك في كل اوان بضرب من الامتحان فمنهم من
لا يزداد بايضاح البرهان الا زيادة الخذلان والحجبة عن فوايد التبيان واذا ما
انزلت سورة ذكر فيما سبق ما يحدث منهم من الفعل والقول على سبيل الاستهزا
وذكر ههنا ما يحدث منهم من الفعل استهزا نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون
انكارا لها او سخرية او غيظا لما فيها من عيوبهم هل يريكم احد من المسلمين يريدون الانصراف
سرا الا اتقاء صبرهم على الاستماع لغلبة الضحك وترامقوا ليتثبتوا ويروون في تدبير
الخروج والانسلال لغلبة الغيظ فان لم يرهم احد قاموا وان راهم احد اقاموا بقاما
ثم انصرفوا عن حضرته عليه السلام مخافة الفضيحة على التقديرين صرف الله قلوبهم
الظاهر انه خبر لكان الكلام في معرض ذكر فعله بهم على سبيل المجازاة لهم في فعلهم كقوله
فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم ومن بلاغة القران وبديع نظمه انه اذا كان القول في تعداد
الذنب بدا في ترتيبه من الجهة التي هي عن الذنب كما في المثالين المذكورين ليكون هذا
اشد تعريضا للذنب عليهم واذا كان في تعداد نعمه تعالى بدا في ترتيبه بالجهة اي
هي عنه تعالى كما في قوله ثم تاب عليهم ليتوبوا ليكون ذلك منبها على تلقي النعمة من عنده
بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء افهامهم او عدم تدبرهم لقد جاءكم رسول
مخاطبة للعرب على جهة تعديد النعمة عليهم في ذلك اذ نشا من مكانهم بلسانهم وبما
يفهمونه من الاغراض والفصاحة ولشرفوا به غابر الايام على سائر الانام وقري
من انفسكم اي اشرفكم ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة بقوله عزيز عليه ما عنتم
اي شديد شاق عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه من سوء العاقبة والوقوع في العذاب
حريص عليكم على ايمانكم وصلاح شانكم بالمؤمنين خاصة نفيه تعميم من وجه
وتخصيص من وجه رؤف رحيم الرافة اشد الرحمة والرحمة اعم منها لان الرحمة
تستعمل في كل نفع من المطر والسعة والعافية وغيرها فكان المعنى في الرؤف الشفيق
العطوف وفي الرحيم النافع الفضل فلكل منهما وجه تقدم على الاخر وقيل قدم الرافة
على الرحمة لان الرافة انما تكون باعتبار الحفظ والصيانة عن الافات والنقايص التي يستحق
بها الثواب والرحمة باعتبار افاضة الكمالات والسعادات التي يستحق الثواب فالاولى

من باب التزكية والثانية من باب التحلية الابعد التزكية ونسبتها الى الاولى نسبة حريص
الى عزيز فان تولوا فقل اي اعرضوا عن الايمان بك فقل لهم وفيه تلوين الخطاب ووجه
التفريع ان مقتضى الرافة والرحمة ان لا يدعو عليهم ولا يجازيهم بالفعل الذي يوذيهم بالفعل
اي فاقتصر واعلى القول الجامع للترغيب والترهيب حسبي الله فاستعن بالله تعالى
وفوض اليه امرك فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا اله الا هو كالدليل على التسليم
والتوكل عليه عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم
الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي يتنزل منه الاحكام والمقادير عن ابي رحمه
اخرما نزل هاتان الايتان وقال البراء بن عازب رحمه اخر سورة انزلت كاملة براءة ومن
قال وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القرآن على الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا
سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة فكا
نبي ما قدمه من قوله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت على سورة الانعام جملة
واحدة شيعها سبعون الف ملك الحديث والله اعلم بالصواب

سورة يونس عليه الصلاة والسلام مائة وتسع ايات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر قرئ بفتح الراء على التفخيم وبكسرها على الامالة وقرئ بين الفتح والكسر والاصل
ترك الامالة لان الفها ليست منقلبة من الياء ومن اما لقصد التنبيه على انها اسم لاحرف
تلك ايات الكتاب الحكيم تلك اشارة الى ما تضمنه السورة او القرآن والكتاب احدهما
والاول ابلغ من حيث ان البعض اذا استقل بوصف الكمال فالكل اولى والحكيم دون الحكمة
وصف به الكتاب لاشتماله عليها ويجوز ان يكون من وصف به الكتاب لاشتماله عليها ويجوز
ان يكون من قبيل توصيف الكلام بصفة المبالغة كشعر شاعر للمبالغة كانه في نفسه حكيم
لكثرة حكمته وان يكون على تشبيه الكتاب بالحكيم الناطق بحكمته فيكون استعارة مكنية واثبات
الحكمة قرينة اكان للناس عجبا الهمزة لانكار تعجب الكفار من الايجاد ولتعجيبا للناس
من تعجيبهم لكونه في غير المحل وعجبا خبر كان قدم على اسمه وهو ان اوحينا لكون الكفار
الانكار والتعجب راجعين اليه وقرئ عجب فجعل اسما مع كونه نكرة لتخصيصه لتعلق
للناس عليه لانه في المعنى صفة له انقلبت حالا بالتقدم والاستفهام وخصوصا الانكار
في حكم النفي وان اوحينا خبر على عكس ما تقدم لا على القلب لانه خلاف الاصل لانه لا يخل
بالبلاغة لان القلب المقبول هو المشتمل على لطيفة اواعتبر كان تامة وعجب فاعل لها
والمعنى حدث للناس عجب لان اوحينا وانما ما قيل ان وحينا بدل من عجبا فلا يساعده
المعنى اللام في الناس متعلقة بعجبا على طريق البيان المعنى ان هذا التعجب لهم كالى هيت لك

يعني هذا الخطاب لك اي انهم جعلوه اعجوبة يتعجبون منها ونصبوه لهم علما في انكارهم
واستهزائهم به ولو قيل عند الناس لم يفد المعنى والتعبير عنهم باسم الجنس للتحقير كما قوله
ومن الناس من يقول كذا فكانه قصد مقابلتهم فيما قصدوه بقولهم الى رجل منهم
تعجبوا ان رجلا من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان
الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وذلك من فرط حماقتهم وقصور
نظرهم عن معرفة الاوصاف التي بها اختاره الله تعالى للرسالة فان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يكن لينقص من عظمائهم في النسب والشرف وكل ما يعتني في الرياسة من كرم
الخصال الا المال وخفة الحال اعون شيء في هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء عليهم
السلام قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه تعالى بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة
الانعام فمن خلط بين الوجهين لم يصب كما لا يخفى على ذوي الافهام ان انذر الناس
ان هي المفسرة لان في الايحا معنى القول وجوز ان تكون مخففة من الثقيلة على ان الاصل
انه انذروا انذروا المعنى ان الشان قولنا انذر الناس وموقعه النصب باوحينا وفيه
حذف الاسم والخبر وفي الاول خلاف الكوفيين فالاولى ان تكون مصدرية مقدرين
بانذار الناس وذكر الناس للتعميم للفريقين كانه قال ان انذر الناس وذكر الناس
للتعميم للفريقين كانه قال ان انذر الناس مومنا كان او كافرا وبشر الذين امنوا
خاصة لان المبشر به مشروطا بالايمان بالبشارة به ينقلب انذارا في حق الكفار لا للانذار
كما ذهب اليه من قال عمم الانذار اذ قلنا من احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه لان تبليغ
الانذار ولو بانسان الخبر الى كل من في عصره للنبي وسعه عليه السلام واطلاق المومنين
للتعميم لمن امن من الثقلين وبذلك ينحز القصور السابق الى الوهم من تخصيص الانذار
باحدهما لاصالته في امر البعثة لان المفهوم انما يعتبر اذا لم يعارضه المنطوق وهذا
مفقود ههنا لان العبارة وان كانت ساكتة عن المفهوم لكن الدلالة ناطقة به بقرينة
ما في قرينته من التعميم وانما قدم الانذار على التبشير لانه اهم ولان التخلية انم
ان لهم في محل النصب ببشر على حذف الباء قدم صدق سميت السابقة والسعادة
الجميلة قدما لان السعي والسبق انما يكون بالقدم كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد
واضافتها الى الصدق للدلالة على زيادة فضل وانها محققة او ان صاحبها قدمها بصدق
القول والنية ويجوز ان يراد به المنزلة الرفيعة معنوية او صورية فيكون قوله في مقعد
صدق عند مليك مقتدر ويعضده قوله عند ربهم ومن قال اي سابقة وفضل
ومنزلة ورفعة لم يصب في الجميع بين وجهي المجاز بل بين وجوهه قال الكافرون ان
هذا فيه دلالة على انهم يقولونه عند حضرته صلى الله عليه وسلم لساحر مبين وقرئ

ان يوحي

من باب التركية والثانية من باب التحلية الابعد التركية ونسبتها الى الاولى نسبة حريض
الى عزيز فان تولوا فقل اي اعرضوا عن الايمان بك فقل لهم وفيه تلوين الخطاب ووجه
التفريع ان مقتضى الرافة والرحمة ان لا يدعو عليهم ولا يجازيهم بالفعل الذي يوذيهم بالفعل
اي فاقتصر واعلى القول الجامع للترغيب والترهيب حسبي الله فاستعن بالله تعالى
وفوض اليه امرك فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا اله الا هو كالدليل على التسليم
والتوكل عليه عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم
الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي ينزل منه الاحكام والمقادير عن ابي

Surah Yunus

الانكار والتعجب راجعين اليه وقرئ عجب فجعل اسما مع كونه نكرة لتخصيصه لتقدم
للناس عليه لانه في المعنى صفة له انقلبت حالا بالتقدم والاستفهام وخصوصا الانكار
في حكم النفي وان اوحينا خبر على عكس ما تقدم لا على القلب لانه خلاف الاصل لانه لا يخل
بالبلاغة لان القلب المقبول هو المشتمل على لطيفة اعتبر كان تامة وعجب فاعل لها
والمعنى حدث للناس عجب لان اوحينا وانما قيل ان اوحينا بدل من عجبا فلا يساعده
المعنى اللام في الناس متعلقة بعجبا على طريق البيان المعنى ان هذا العجب لهم كما في هيت لك

بمعنى هذا الخطاب لك اي انهم جعلوه اعجوبة يتعجبون منها ونصبوه لهم علما في انكارهم
واستهزائهم به ولو قيل عند الناس لم يفد المعنى والتعبير عنهم باسم الجنس للتحقير كما قولهم
ومن الناس من يقول كذا فكانه قصد مقابلتهم فيما قصدوه بقولهم الى رجل منهم
تعجبوا الى رجل من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان
الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وذلك من فرط حماقتهم وقصور
نظرهم عن معرفة الاوصاف التي بها اختاره الله تعالى للرسالة فان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يكن ينقص من عظمائهم في النسب والشرف وكل ما يعتنى في الرياسة من كرم
الخصال الا المال وخفة الحال اعون شيء في هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء عليهم
السلام قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه تعالى بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة
الانعام فمن خلط بين الوجهين لم يصب كما لا يخفى على ذوي الافهام ان انذر الناس
ان هي المفسرة لان في الايحاء معنى القول وجوز ان تكون مخففة من الثقيلة على ان الاصل
انه انذروا المعنى ان الشان قولنا انذر الناس وموقعه النصب باوحينا وفيه
حذف الاسم والخبر وفي الاول خلاف الكوفيين فالاولى ان تكون مصدرية مقدرة
بانذار الناس وذكر الناس للتعميم للفريقين كانه قال ان انذر الناس وذكر الناس
للتعميم للفريقين كانه قال ان انذر الناس مؤمنا كان او كافرا وبشر الذين آمنوا
خاصة لان المبشر به مشروطا بالايمان بالبشارة به تنقلب انذارا في حق الكفار لا للانذار
كما ذهب اليه من قال عمم الانذار اذ قلنا من احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه لان تبليغ
الانذار ولو بانسال المخبر الى كل من في عصره للنبي وسعه عليه السلام واطلاق المومنين
للتعميم لمن آمن من الثقلين وبذلك يتحرر القصور السابق الى الوهم من تخصيص الانذار
باحدهما لاصالته في امر البعثة لان المفهوم انما يعتبر اذا لم يعارضه المنطوق وهذا
مفقود هاهنا لان العبارة وان كانت ساكتة عن المفهوم لكن الدلالة ناطقة به بقرينة
ما في قرينته من التعميم وانما قدم الانذار على التبشير لانه اهم ولان التخلية اهم
ان لهم في محل النصب ببشر على حذف الباء قدم صدق سميت السابقة والسعادة
الجميلة قدما لان السعي والسبق انما يكون بالقدم كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد
واضافها الى الصدق للدلالة على زيادة فضل وانها محققة او ان صاحبها قدمنا لها بصدق
القول والنية ويجوز ان يراد به المنزلة الرفيعة معنوية او صورية فيكون قوله في مقعد
صدق عند مليك مقتدر ويعضده قوله عند ربهم ومن قال اي سابقة وفضلا
ومنزلة ورفعة لم يصب في الجمع بين وجهي المجاز بل بين وجوهه قال الكافرون ان
هذا فيه دلالة على انهم يقولونه عند حضرته صلى الله عليه وسلم لساحر مبين وقرئ

ان اوحي

للسحر والاشارة الى القرآن وما اتى به من الخوارق للعادات وكيفما كان ففيه اعتراف
بعجزهم عن المعارضة وتعجب تسليم لاعجازه معنى وان كانوا يطلقون عليه لفظ السحر
عنادا ومكابرة لان التعجب ولائم التكلم بما هو معلوم الانتفاء قطعا حتى عند نفس المعارض
ذاب العاجز المفحم ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى
على العرش يدل على عظم شانه وكمال سلطانه بالقدرة على خلق اصول الممكنات
كلها مع سعتها وبسطها في وقت يسير وعلى عظم ملكه بالاستواء على العرش ثم قررها واكدها
بقوله يدبر الامر لان تدبير امر الخلائق بتهيئة اسبابها وترتيبها على النظام الحكمي مما
بين امر العظمة ويقرره والتدبير النظر في ادبار الامور ليقع على ما ينبغي من الوجه الاتم
الاصوب ثم زاد في تقرير معنى العظمة والكبر والعز والجلال بقوله ما من شفيع الا من بعد
اذنه كقوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وفيه
اثبات الشفاعة لمن اذن له كما ان الرد على من زعم ان الهتهم تشفع لهم عند الله تعالى فلانهم
لانهم يدعون ان الله تعالى ياذن لهم في الشفاعة ولا دلالة في الآية على عدم الاذن لهم
ذلكم الله اشارة الى المعلوم الموصوف بتلك العظمة والكبريا الموجبة لاستحقاق العبا
اي ذلكم الموصوف بما وصف هو ربكم لا غير اذ لا يشاركه احد في شي من ذلك فاعبدوه
وحدوه ولا تشركوا به شيئا من اشرف الموجودات فضلا عن الجماد افلا تذكرون
ابعد النظر في تفرده تعالى في هذه الاوصاف الموجب لتخصيصه بالعبادة لا تتذكرون
تتنبهون له بادنى تفكر على خطاء ما انتم فيه اليه لا الى غيره مرجعكم جميعا بالبعث
من القبور يوم النشور وظاهره اخبار عن المال وباطنه انذار لما هم فيه من سوء الحال
وامر على وجه الارشاد بالاستعداد ليوم التناد وعد الله مصدر مؤكد لنفسه
لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله تعالى حقا مصدر آخر مؤكد لغيره وهو ما دل
عليه وعد الله انه يبدأ الخلق ثم يعيده بعد بدئه وهلاكه استئناف كالدليل لما
تقدم وذلك انه تعالى لما اخبر عن وقوع الحشر والنشر ذكر بعد ما يدل كونه في نفسه
ممكن الوقوع بقوله انه يبدأ الخلق لان امكان الوجود اولا يدل على امكانه ثانيا
ثم ذكر ما يدل على وقوعه بقوله يعيده وقيل هو كالتعليل بقوله اليه مرجعكم جميعا
لانه لما كان المقصود من الابدا والاعادة مجازاة المكلفين على اعمالهم وجب ان يكون
مرجع الجميع اليه ويؤيده قراءة انه بالفتح اي لانه وبعد حذف اللام يكون منصوبا
بالظرف اعني اليه ويجوز ان يكون من غير اعتبار اللام منصوبا بوعد المحذوف مفعولا
به باعتبار المعطوف اعني ثم يعيده لان الموعود هو الاعادة لا البداء ومرفوعا
بحق المحذوف وقرئ وعد الله على لفظ الفعل وحق انه يبدأ الخلق كقولك حق ان

زيد انطلق

زيد انطلق وقرئ الخلق من بدا ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط متعلق
بيجزي اي بعدله او بعدالتهم اي بان عدلوا بايمانهم وعلمهم ولم يظلموا بالشرك لان
الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلته قوله بما كانوا يكفرون والذين كفروا لهم
شراب من حميم من ماء حار يتغلى قد انتهى حره وفي جهنم وعذاب اليم بسبب كفرهم
كما قال ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط للمبالغة في استحقاقهم للعقا
ولصدق العذاب بهم وجعل ثواب الايمان والعمل الصالح عوض ذلك عقاب الكفر
للتنبيه على ان المقصود بالذات بالابدا والاعادة هو الاثابة وان الله تعالى هو الذي
يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما العقاب فانه
واقع بالعرض كانه ما ساقه الى الكفرة سوى سوء اعتقادهم وشؤم اعمالهم هو
الذي جعل الشمس ضياء ان كان جعل بمعنى صير يكون ضياء مفعولا ثانيا وان كان بمعنى
خلق يكون حالا والضياء مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن
الواو وقرئ بهمزتين على القلب بتقديم اللام على العين والقمر نورا جعل نفس الشمس
ضياء وعين القمر نورا للمبالغة ولما كانت الشمس اعظم جرما خصت بالضياء لانه
هو الذي له سطوع ولمعان وهو اقوى من النور وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور
فكانه قصد بما ذكر التنبيه على ان نور الشمس ذاتي ونور القمر عرضي مستفاد منها
وقدره وقدر القمر منازل اي سيره منازل او قدره ذا منازل كقوله والقمر
قدرناه منازل والمراد بالمنازل البروج اذ بها وبقطعها عدد الشهور والسنين وخصوص
القمر بها لان المعتبر في الشرع السنة القمرية والشهر الهلالي وبهما يتعلق احكام
الشرع ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب اي حساب الاوقات
من الاشهر والايام والليالي في معاملاتكم وعباداتكم ما خلق الله ذلك اشارة الى
ما ذكر الا بالحق حال مستثناة من اعم الاحوال اي ما خلقه بحال الا ملتبسا بالحق
مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة الى الصواب يفصل الآيات يبين العلامات التي
يستدل بها الى الحق لقوم يعلمون خصهم بذلك لانهم المنتفعون بها ان في اختلاف
الليل والنهار اختلافهما تعاقبهما وكون احدهما يخلف الاخر وتفاوتهما وكون احدهما
يزيد لنقصان الاخر وما خلق الله في السموات والارض من انواع الكائنات لآيات
على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لقوم يتقون خصهم بذلك
لان الباعث على النظر والتدبر لا يكون الا تقوى الله والحذر عن العاقبة فهم
الذين يعلمونها آيات ينتفعون بها دون غيرهم ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يخافون
لا يخافونه لانكارهم البعث لانه لا ينتظم مع تعليل قرينه بل لاعتمادهم على شفعائهم

واستعمال الرجاء في معنى الخوف شايع كما في قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا وقال الهذلي
اذا لسعته النحل لم يرج لسعها والمراد من لقاء الله تعالى حضور الحساب عنده تعالى وما
يترتب عليه من اصابة المكروه وهذا صريح في عدم تاثير التحذير والترهيب فيهم
ورضوا بالحياة الدنيا من الاخرة لغفلتكم عنها ولا تمشية لهذا التعليل في حق المنكر
لها ضرورة ان الانكار لا سيما بجامع الغفلة ووصفهم هذا كناية عن ان الترغيب لا يجدي
نفعا في حقهم ولما احتمل ان يقال لم لا يجوز ان تزال غفلتهم بالتنبيه والاستدلال رفعه
بقوله واطمأنوا بها اي سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فانظر الى حسن انتظام هذا
المقام ومن قال في تفسير الوصف الاول لا يتوقعونه لانكارهم البعث وذهولهم
بالمحسوسات عما وراءها انما يناسب فكما اخطأ في التعليل لم يصب في العلل لانه اخل بالترتيب
ثم ان قولهم وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها انما يناسب تفسير الرجاء بالامل على
ما هو حقيقته وحمل اللقاء على نيل الثواب على ان عبارة الذهول لا اقتضاء به سبق العلم
لا يناسب المقام والذين هم عن آياتنا غافلون لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها
والواو بين الموصولين للجمع بين الوصفين المتغايرين والتنبيه على ان الوعيد له او
للذين هما الفرقة القايمة من احوال الاخرة واهواها الراضية بالحياة الدنيا
والتي لها هم حسب العاجل عن التامل في الاجل والاعداد له اولئك مأواهم النار
بما كانوا يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم بسبب ايمانهم الى سلوك السبيل المؤدي الى الجنة
ولذلك تجري من تحتهم الانهار بيانا وتفسيرا له او يهديهم في الاخرة بسبب نور ايمانهم
الى الجنة كقوله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم او لما يؤدون
في الجنة وعلى هذا يكون تجري خبرا ثانيا لان او حالا من الضمير المطلوب في يهديهم ويجعل
التمسك سبب العادة نفس الوصول اليها كان هدايتهم الى الطريق وهدايتهم الى المقصد لسهولة
الاداء اليه في جنات النعيم متعلق بتجري ويهدي او خبرا وحالا من الضمير المذكور
او من الانهار ولا يخفى على من انصف وبالتجنب عن التعسف انصف ان الجمع بين الايمان
والعمل الصالح ظاهر في ان السبب في مقام الترغيب في اكتساب اسباب حسن اللقاء
واجتناب اسباب سوء الجزاء ثم التصريح لسببية الايمان المضاف الى الذين آمنوا
وعملوا الصالحات كالتنصيص على ان ذلك الايمان المقرون بالعمل الصالح لا مطلق
الايمان غاية الامر انه ذكر لاصالته وزيادة شرفه فلا يكون ذكره مستدركا
ولذا الاعلى استقلال وبهذا التفصيل اندفع ما قيل ومفهوم الترتيب وان دل
على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال

الايمان بالسببية واما العمل كالتتمة والرديف قيل ولا مخالفة لما ذكر من اهل السنة
والجماعة لان العصاة غير مهديين واما ان كل من لم يكن مهديا فهو خالد في النار فهو
ممنوع ودعوى ذلك غاية المكابرة ولا وجه له لان الكلام في الهداية لسبيل الا ما
الى سلوك السبيل المؤدي الى الجنة وعصاة المؤمنين مهديون لهذه الهداية والاخلاق
في ان يكون مهديا بهذه الهداية لا يدخل الجنة فالصواب ان الجواب عن تمسك المخالف
بهذه الاية انها معارضة بمثل قوله تعالى وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت
للذين آمنوا بالله ورسوله كان فيه دلالة على ان الايمان وحده كاف في استحقاقها
اعداد له والاصل في النصوص التوفيق وهو هاهنا بحمل النعيم على ما هو اسم خاص لاحد
الجنان السبع على ما مر تفصيله في سورة البقرة والمراد من الجنات المضافة
اليه ما فيه من البساتين ونظيره قوله تعالى فلهم جنات المأوى فيجوز ان تكون
الهداية الى جنة النعيم مشروطة بالعمل الصالح ويكون الايمان وحده كافيا
في الهداية الى مطلق الجنة دعواهم فيها اي دعاؤهم سبحانك اللهم
انا نسبحك تسبيحا وتحيتهم فيها اي تحية بعضهم لبعض وتحية الملائكة اياهم سلام
وآخر دعواهم اي دعاؤهم وهو خاتمة دعائهم ان الحمد لله رب العالمين اي ان يقولوا
ذلك وان هي المخففة من الثقيلة ان الحمد لله والضمير للشان وقرئ ان الحمد لله
بالتشديد ونصب الحمد يعني ان اهل الجنة مستغنون عن طلب النوال لحصول ما يشتهون
في الحال امنوا عن احتمال الانقطاع والزوال فلا جرم دعاؤهم اولا واخرا مقصور على
التمجيد والتحميد ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير واصله ولو يعجل الله للناس الشر
تعجيله لهم الخير حين استعجلوه بالخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله الخير وحذف
منه لدلالة السياق عليه ايجازا وذلك الوضع للاشعار بسرعة اجابته تعالى لهم بالخير
كان استعجالهم به نفس تعجيله له وان المراد تاثير اشد الذي استعجلوه لقولهم فامطر
علينا حجارة من السماء لقضي اليهم اجلهم اي ولو يعجل الله لاهل مكة الشر الذي دعوا
به واستعجلوه كما يعجل لهم الخير ويجيبهم اليه لما قاموا لعقوبتنا بل هلكوا واهينوا لان تركيبهم
في الدنيا لا يحتمل ذلك وقرئ لقضى على البناء للفاعل وهو الله تعالى ويؤيده قراءة لقضينا
وهذه الاية متصلة بقوله ان الذين لا يرجون لقاءنا دالة على استحقاقهم العذاب وانه تعالى
انما يؤجله استدراجا وجيء الناس بدل ضميرهم تعظيما للامر بدل ثم قيل فنذر الناس
لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون مصرحا باسمهم وذكر المؤمنين انما وقع في البين تتميما
ومقابلة فليس باجنبي ومن هنا ظهر انه لا حاجة الى ان يجعل فنذر جواب شرط محذوف
واذا مس الانسان الضر دعانا لان الله في جميع احواله لا يفتر عنه في حال ما من الاحوال

من لا

لجنبه في موضع الحال للعطف الحالين عليه اي دعانا مضطجعا او قاعدا او قائما فالترديد
للتعميم بجميع الاحوال او بجميع اصناف الضرر ملقى لجنبه عاجزا عن القعود وقاعدا لا يقدر
على القيام او قائما لا يقدر على النقلة اي لا يستغني عن الدعاء في نوع من انواعه فلما
كشفنا عنه ضره مر مضى على طريقته الاولى في الذهول والغفلة عنا ونسي الجهد او
مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه كان لم يدعنا اصله كانه لم فحذف ضمير الشان
كما في قوله ونحو مشرق كانه ثدياه حقان الى ضر مسه الى كشف ضر لذلك
اي مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون عملهم من الاعراض عن الذكر
والدعاء والانهماك في الشهوات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم الخطاب لاهل
مكة لما ظلموا بالتكذيب وجاءتهم رسلهم بالبينات الواو للحال ولا حاجة الى تقدير
لانها لم تدخل على وجاءتهم رسلهم بالبينات وحده بل على جملة ذلك القول والتي يليها كانه
قيل لما ظلموا وقصتهم هذه وتقدم نظيرها في اول سورة البقرة او عطف على ظلموا
لان معناه احداث التكذيب ومعنى هذا الاصرار عليه بحيث لا فائدة في امهاله
وما كانوا ليؤمنوا وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم واللام لتاكيد
النفي واما علمه تعالى بانهم يموتون على الكفر فلا تاثير له في عدم ايمانهم لان العلم تابع
للمعلوم فلا يؤثر فيه ويجوز ان يكون عطفا على ظلموا ويكون ظلموا موخرا عن جاءتهم رسلهم
بالبينات معنى وان قدم عليه لفظا للاهتمام كما قدم ورفع ابويه على العرش وخروا
له سجدا لذلك والمعنى ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم للرسل وعدم الفائدة في امهالهم
بعد ان الزموا الحجة ببعثة الرسل ويجوز ان يكون وجاءتهم رسلهم بالبينات اعتراضا
لتقرير ما تخلل التوكيد [?] كذلك مثل ذلك الجزاء بالاهلاك على وجه الاستئصال نجزي
القوم المجرمين اراد المجرمين الجرم المعهود من تكذيب الرسل والاصرار عليه وانما
قال نجزي القوم لان الكلام في عذاب الاستئصال ومن لم ينتبه له قال في تفسير
نجزي كل مجرم والمقصود وعيد لاهل مكة وتهديد لهم ومبناه على اندراجهم فيه
اندراجا اوليا وهذا ابلغ من الخطاب لهم ومن لم ينتبه له جوز ان يكون المعنى نجزيكم
على وضع المظهر موضع المضمر ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم من بعد
القرون التي اهلكناهم حمل تحقيق لننظر كيف تعملون اتعملون خيرا او
شرا فنعاملكم على حسب اعمالكم استعير ثم للتراخي في الرتبة فلا يغني عنه قوله من بعدهم
وكيف في محل النصب بتعملون مستعار للمعنى اي شي فيكون نصبه على المفعولية
او يكون نصبه على الحالية اي لننظر على اي حال تعملون على حال الخير ام على حال الشر ولا
يجوز انتصابه بننظر لان الاستفهام لا يتقدم عليه عامله وفائدة الدلالة على ان

المعتبر

المعتبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها ولهذا يحسن الفعل تارة
ويقبح اخرى والنظر على حقيقته لان الكلام على طريقة الاستعارة التمثيلية كقوله
تعالى وقدمنا الى ما عملوا على ما نبهت عليه انفا ومن لم يتنبه لذلك قال هو مستعار
للعلم المحقق الذي هو بالعلم بالشي موجودا ويلزمه لا التزامه بان يكون علمه تعالى
بالحوادث حادثا ولا صحة له لانه صفة كمال لا يجوز خلوه تعالى عنه ومثله
الغفول عن ان من ليس بزماني علمه بالحوادث على مرور الزمان وحصول تلك الحوادث
في اوقاتها كما هو شان علم من هو زماني واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون
لا يخافون لقاءنا يعني المستهزئين من المشركين ذكره ابن عباس رضي الله عنهما
ائت بقران غير هذا بكتاب اخر ليس فيه ما يغيظنا من ذم الهتنا والوعيد على عبادتها
نتبعك او بدله بان تجعل مكان اية تفيد ذلك اية اخرى وانما اقترحوا ذلك
مكرا وطمعا في اجابته اليه فيلزموه ويستهزءوا منه ولما كان الاتيان بقران
غير هذا مقدورا للانسان لم يحتج الى نفيه ونفى ما هو مقدور له وان كان غير
جائز في حقه صلى الله عليه وسلم فقيل له قل ما يكون لي ما يصح لي ان ابدله
من تلقاء نفسي من قبل نفسي مصدر استعمل ظرفا هذا ما يحسب جليل النظر
والذي هو بحسب دقيقه ان نفي التالي للاول دلالة فلا اقتصار في النفي ولا اكتفاء
ببعض الجواب والله اعلم بالصواب ان اتبع الا ما يوحى الي تعليل لقوله ما يكون لي
لان المتبع لغيره في امر ثم الوحي لا يستبد بالتصرف فيه بوجه وجاء به لتنقيض بنتيجه [?]
بقران اخر وردا لما عرضوا به في هذا السؤال من ان القران كلامه صلى الله عليه
وسلم ومفتراه ولذلك قيد التبديل عذاب يوم عظيم فيه ايماء بانهم استوجبوا
العذاب بهذا الاقتراح قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا ادراكم به
ولا اعلمكم به على لساني اي ان تلاوته ليست الا بمشيئة الله تعالى ما تلوته عليكم ولا
علمكم الله على لساني غيري والمعنى انه الحق الذي لا محيص عنه لو لم ارسل به لارسل به
غيري وقرئ ولا ادراكم على لغة من يقول اعطاته وارضاته في اعطيته وارضيته
ويعضده قراءة ابن عباس رضي الله عنهما ولا انذرتكم به وقرئ ولا ادرأتكم به بالهمز
على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة لانهما في واد واحد وعلى من درأته
جعلته من درأته اذا دفعته واذا رأته جعلته دارئا ولا جعلتكم بسببه خصما
تدرؤونني بالجدال وتكذبونني فقد لبثت فيكم عمرا طويلا مقدار اربعين سنة
من قبله من قبل هذا القران لا اتلوه ولا اعلم شيئا وفيه تعريض لكونه من
اعلام الله تعالى ومشيئته فان من عاش بينهم وعاش فيهم هذه المدة لم يتعلم شيئا

وكم يجالس قط عالما ولم يمارس علما ولم ينشئ خطبة ولا قريضا ثم اتى بكلام بدت فصاحته
فصاحة كل بليغ وعلا نظمه كل منظوم ومنثور خارقا للعادة اعجز معارضة البلغاء عن
آخرهم محتو على فنون العلم والحكم ناطق بغيوب لا يعلمها الا الله مشتمل على اصول الاحكام
وفروعها كما يعرب عن قاصص الاولين واحاديث الاخرين على ما هي عليه علم انه
من علم الله تعالى افلا تعقلون تستعملون عقولكم بالتامل فيه فتعلمون انه
من الله تعالى لا من مثلي ولا تتهموني بالافتراء على الله فمن اظلم ممن افترى على الله
كذبا او كذب باياته كناية منه عليه السلام ومنهم اي من اظلم مني ان افتريت على
الله كذبا ومنكم بتكذيبكم بايات الله تعالى وقد سبق في تفسير سورة البقرة
وجه هذه الطريقة الاستفهامية في مقام المبالغة واما ما قيل تظليم للمشركين
بافترائهم على الله في قولهم انه ذو شريك وذو ولد فيأباه التصديق بالفاء الدالة
على ترتيب الكلام على ما سبق والمراد بقوله كذبا مع ان الافتراء لا يكون الا كذلك
اظهار لما فيه من حيثية القبح انه لا يفلح المجرمون لا يظفرون بمطلوب ولا
يصلون الى مامول ولا يأمنون من محذور ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم
ولا ينفعهم اي الاوثان لانها جمادات لا تضرهم ان تركوا عبادتها ولا ينفعهم ان
عبدوها وخاص من خواص المعبود ان يكون قادرا على النفع والضر مثيبا على الطاعة
معاقبا ويقولون هؤلاء الاوثان شفعاؤنا عند الله تشفع لنا في الاخرة
وعن النضر بن الحرث اذا كان يوم القيامة شفعت في اللات والعزى ومبنى ادعى
هذا قوله ان يكون بعث وكانهم كانوا شاكين فيه فقد اتى بشيء عجاب كما لا يخفى عن
ذوي الالباب قل اتنبئون الله اتخبرونه بما لا يعلم اي بما لا وجود له اصلا
وهو ان له شريكا انبأوهم الله تعالى بكفرهم وتقريع لهم باخبارهم علام الغيوب
بما ادعوه من المحال الذي هو وجود الشركا وشفاعتهم عند الله تعالى واعلام بعلمه
واستحالته بان ما يتعلق عليه به لم يكن شيئا اصلا لان علمه تعالى محيط بجميع الاشيا
ولا حاجة في تحشية هذا الكلام الى تفسير الشيء بما يعلمه ويخبر عنه في السموات ولا في
الارض حالان من العايد المحذوف مؤكدة للنفي لان ما لم يوجد فيهما
فهو منتف لعدم صحته بل لما جرى به العرف من انه يقال ليس عندنا تاكيدا للنفي ليس
هذا في السما ولا في الارض فلا حاجة الى الالتزام يكون النمايا ودعوى ان الاكثر
كذلك في اعتقاد المخاطبين سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن الشركا
الذين يشركونهم به وما كان الناس الا امة واحدة موحدين على الفطرة من
غير اختلاف بينهم وذلك في عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل وقيل

بعد

بعد الطوفان حين لم يذر من الكافرين ديارا ومبنى هذا على عموم اية الطوفان وتمامه
موقوف على ان يكون نوح صلى الله عليه وسلم مبعوثا لكافة الانام حتى يلزم الكفر لمن لا
يتبعه لا يخفى ما فيه الكلام فاختلفوا باتباع الهوى فبعث الله النبيين مبشرين
ومنذرين على ما مر في سورة البقرة لمن وهم ان اختلافهم ببعثة الرسل فقد وهم
ان اختلافهم مخالف لنص القران ولولا كلمة سبقت من ربك قضاء جرى في الاول
بتاخير الفصل والحكم بينهم الى يوم القيامة لمجال التروي والعمل في دار التكليف لقضي
بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون بتمييز الحق عن الباطل بابقاء المحق واهلاك المبطل
عدل عن صيغة الماضي الى صيغة المضارع حكاية للحال الماضية وقصدا الى الاستمرار
ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه اراد من الايات التي كانوا يقترحونها غير
مكترثين بما نزل عليه عليه السلام من الايات العظام المتكاثرة التي لم ينزل مثلها
على احد من الانبيا عليهم الصلاة والسلام قبله خصوصا القران المعجز الباقي
على وجه الزمان وغير معتدين به عنادا ومكابرة بل جعلوا نزوله كلا نزل وكانه
لم ينزل عليه اية قط حتى قالوا لولا انزل عليه اية بتنكير اية للتحقير اي اية ما واحدة وشي
من جنس الاية وذلك لفرط عنادهم وتماديهم في التمرد وانهماكهم في الغي فقل انما
الغيب لله اي الى لا اعلم المانع من انزالها من مفاسد تصرف عنه لا ينتظم مع قوله
فانتظروا نزولها اقترحتموه اني معكم من المنتظرين ما يفعل بكم من العذاب
بجحودكم الايات العظام واقتراحكم غيرها تعنتا واذا اذقنا الناس رحمة خصب
وامن وصحة من بعد ضراء من القحط والشدة والمرض مستهم خالطتهم
حتى احسوا بسوء اثرها اذا لهم مكر في اياتنا قد سبق في تفسير سورة الاعراف بيان
مكر بيان معنى من المكر وما به يفارق الكيد واذا الاولى شرطية والثانية للمفاجأة
وقعت جوابا للشرط قيل سلط الله تعالى القحط على اهل مكة سبع سنين حتى
كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يقدحون في ايات الله تعالى ويمكرون برسوله
صلى الله عليه وسلم قل الله اسرع مكرا انما قال اسرع مكرا يعني منكم لان معنى المفاجاة
تدل على السرعة فصل عليها اي فاجوا في وقت اذاقة الرحمة المكر وسارعوا اليه
قبل ان ينفضوا من رؤسهم غبار الضراء ومعناه انه قد دبر عقابكم وهو موقعه
بكم قبل ان تدبروا كيدكم في اطفاء نور الاسلام والمكر من الله تعالى جزاء مكرهم فاخذهم
بغتة بعد الاستدراج ان رسلنا يكتبون ما تمكرون اعلام بان ما دبروا في
اخفايه من مقدمات المكر لم يخف على الحفظة فضلا عن ان يخفى على الله تعالى
وايقاد بالانتقام وتحقيق له وقرئ يمكرون ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم في

البر ممكنكم من السير فيه بان جعل لكم الارض ذلولا تمشون في مناكبها وقرئ
وقرئ ينشركم من النشر والبحر ولما كان السير فيه اغرب والى ظهور آثار القدرة
والرحمة اقرب خصه بالتفصيل فقال حتى اذا كنتم في الفلك اي في السفن وحتى
على قراءة الثانية لبيان انه غاية للتيسير مضمون الجملة الشرطية والالتفات وجرين
بهم اي بمن فيها للمبالغة في جري الفلك بمرادهم كان ركوبها ووقوعهم في النسبة
معا للسرعة الجزئية في تقبيح حالهم بمنزلة ما اذا اعرض المتكلم عن المخاطب وحكى لغيره
سوء صنيعه وقلة حيائه كانه يذكر لغيرهم حالهم لتعجبهم منها ويستدعي منهم موضعه
والتقبيح ذلك ان تقول في وجه الالتفات ان قوله هو الذي يسيركم في البر
والبحر مؤمنون وكفار والخطاب شامل لحسن خطابهم بذلك ليستديم الصالح الشكر
والعمل الصالح بتذكر هذه النعمة ثم رجع فلما ذكرت حالة آل الامر في آخرها الى ان المتلبس
بها هو باغ في الارض بغير الحق عدل عن الخطاب الى الغيبة حتى لا يكون الخطاب المؤمنون
مخاطبون بصدور مثل هذه الحكاية بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها
بتلك الريح جاءتها جواب اذا والضمير للريح الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات
عصف شديدة الهبوب وجوز ان يكون الضمير للفلك ولا يلائمه قوله وجاءهم
الموج لما فيه من تخصيص مجيء الريح بالسفينة من جهات متقابلة يستدعي ان يكون
الضمير للريح الطيبة حتى يفيد معنى التقابل والتدافع بين الريح فيحصل المبالغة
في النجاح للبحر واضطراب امواجها المقصودة في قوله من كل مكان كان عبارة كل
في هذا المقام للمبالغة والتفخيم والتعميم لا للاحاطة ومن غفل عنه قيد المكان بقوله
بمجيء الموج منه وظنوا انهم احيط بهم سدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به
العدو ومثل في الهلاك فاستعمل مكانه دعوا الله بدل من ظنوا بدل الاشتمال
لان دعاهم من لوازم ظنهم مخلصين له الدين موحدين بلا اشراك لصفاء الفطرة
بزوال المانع من شدة الخوف لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين مفعول دعوا
لانه من جملة القول فلا حاجة الى تقدير واللام في لئن موطئة للقسم فلما انجاهم
اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض فاجاؤا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا
عليه بغير الحق احتراز من البغي بالحق كتخريب المسلمين ديار الكفار وقلع اشجارهم
واحراق زروعهم فانه افساد بحق يا ايها الناس تلوين الخطاب في اثناء الكلام والتفات
آخر لشدة الاعتناء بترك البغي والمبالغة في النهي والتنفير عنه انما بغيكم على
انفسكم بغيكم مبتدأ على انفسكم صلته متاع الحياة الدنيا خبره اي بغيكم على
من هو من جنسكم ونسلكم بغي بعضكم على بعض منفعة الحياة لا تبقى ويبقى عقابها او على انفسكم

خبر اي

خبر اي انما بغيكم وبال على انفسكم تتمتعون متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم في القيامة
فننبئكم بما كنتم تعملون قد سبق تفسيره في سورة البقرة انما مثل الحياة الدنيا حالها
العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه
من السماء فاختلط به نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا
لتكاثفه مما يأكل الناس والانعام من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت
الارض زخرفها استعير لتلك البهجة والنضارة والالوان المختلفة لفظ الزخرف
وهو الذهب لما كان من الاشياء البهية المنظر السارة للنفوس وازينت
باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة وازينت اصله تزينت فادغم
وقد قرئ على الاصل وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت اي صارت
ذات زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون
من حصدها وتحصيل ريعها والانتفاع بها اتاها امرنا باتلاف زرعها وافساده
ببعض العاهات بعد امنهم من فواتها ليلا او نهارا فجعلناها اي جعلنا زرعها
على تقدير حذف المضاف للمبالغة حصيدا مقطوعا مستأصلا شبيها بالحصيد
كأن لم تغن اي كأن لم ينبت ذلك الزرع ولا حاجة هنا الى تقدير المضاف وقرئ
بالياء على الاصل بغنا بالمكان غني مثل عمي وبقي اذا اقام وقرئ كأن لم تتغن
بالامس فيما قبله مثل في الوقت القريب الماضي كأنه قيل كأن لم تغن آنفا
لما قدر ان البغي متاع الحياة الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها مع بهجتها ور
على حال نبات الارض النابت بماء المطر في سرعة جفافها وذهابه حطاما بعدما اخضر
وتضاعف قبل انتفاع الناس به لتنفير العقلاء عنه والممثل به مضمون الحكاية
لا الماء وان وليه حرف التشبيه المركب لانه من التشبيه المركب وقوله اذا اخذت
الارض زخرفها وازينت مبالغة في نفسه بين الارض وبهجتها في اثناء التمثيل
بتشبيهها في جعلها اخذت زخرفها بالعروس اذا اخذت الثياب الفاخرة من
كل لون فاكتستها وتزينت بانواع الزين والحلي على طريق الاستعارة بالكناية كذلك
نفصل الآيات نبينها ونميز بعضها عن بعض لقوم يتفكرون انما خصها لهم
لانهم المنتفعون بها والله يدعو الى دار السلام الجنة اضافها الى اسمه تعالى
تعظيما لها او دار السلامة من النقص والآفة السلامة اهلها من كل مكروه وقيل دار
السلام لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم ويهدي من يشاء هدايته بالتوفيق
الى صراط مستقيم طريقها وهو الاسلام والتقوى ولما كان الدعاء عاما لم يتقيد
بالمشيئة بخلاف الهداية فانها خاصة تتقيد بها وفيه ايذان الامر غير الارادة

فان المصر على الضلالة لم يرد الله ان يرشده للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى
وزيادة عليها وهي التفضل لقوله تعالى ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم
والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة الرضوان وقيل الحسنى
الجنة والزيادة هو اللقاء ومن غلاة اصحاب الضلالة من قال زعمت المشبهة والمجبرة ان
الزيادة النظر الى وجه الله تعالى وجاءت بحديث مرفوع اذا دخل اهل الجنة الجنة
نودوا ان يا اهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم الله شيئا هو
احب اليهم منه قوله مرفوع صح بالقاف عنده ومعنى مرقوع مفترى واما عند اهل
الحق فقد صح بالفاء رواه ابو بكر الصديق وابو موسى الاشعري وحذيفة وابن
عباس رضي الله عنهم وعكرمة وقتادة والضحاك وابن ابي ليلى والسدي ومقاتل
اورده مسلم في صحيحه عن صهيب واورده البخاري في صحيحه بلا اسناد وصححه
احمد بن حنبل والترمذي وابن ماجة فالحديث متفق على صحته وذلك التعصب
طعن في الحديث الصحيح والخبر الحجة الصريح ترويجا لاعتقاده الفاسد وتصحيحا
لمذهبه الباطل وصحفا المرفوع فجعله مرقوعا ليرقع به مذهبه المخروق فهيهات
ان يرقع الخرق على الراقع والحق الواقع ما له من دافع ولا يرهق وجوههم ولا يغشاها
قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار ولا يلحقهم ما يوجب
ذلك من حزن وسوء حال وكسوف بال اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
دائمون لا زوال فيها ولا انقطاع لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا
السيئات عطف على الذين احسنوا كقولهم في الدار زيد والحجرة عمرو وجاز العطف
على عاملين مختلفين لتقدم المجرور ولو مبتدأ اخبره جزاء سيئة بمثلها هو العدل
وترهقهم ذلة اذ كان لهم بما يعقدهم منه رحمة ما لهم من الله من عاصم
اي من سخط الله تعالى وعقابه او من جهة الله تعالى ومن عنده كما يكون للمؤمنين
كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل لفرط سوادها وظلمتها مظلما حال
من الليل والعامل فيها اغشيت لان العامل فيها في قطعها ومن الليل صفة له
والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل في ومن الليل وقرى قطعا
بالسكون من قوله بقطع من الليل فيكون مظلما صفة لقطعا او حالا منه لاختصاصه
بالوصف ويعضده قراءة كانما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون ولا متمسك فيه للوعيدية لان سياق الكلام في
الكفار لقوله تعالى ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة
الفجرة وقوله تعالى فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم واما

التعليل باشتمال السيئات على الشرك والكفر وفيه تخصيص الحكم المذكور بالمشركين
ولا وجه له والتعليل يتناول الذين احسنوا اصحاب الكبيرة من المؤمنين فلا يتناولهم
تسميه فليس بقوي لان كونهم من المحسنين على الاطلاق غير ظاهر ويوم نحشرهم
جميعا يعني الفريقين ثم نقول للذين اشركوا مكانكم اي الزموا مكانكم حتى تنظروا
ما يفعل بكم انتم تاكيد للضمير المرفوع المنتقل اليه مكانكم من عامله لسده مسد
الزموا وشركاؤكم عطف عليه وقرى شركاءكم بالنصب على المفعول معه فزيلنا
بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم في الدنيا فتباعد ما بينهم بعد الجمع في المحشر وتبرأ شركاؤهم
منهم ومن عبادتهم لقوله اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا ضلوا عنا وتبرأناه ترتيبه
قبل قوله وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون الفاء الواصلة بلا تراخ على ما ينقد
وانما تجاوز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم فانهم عبدوا في الحقيقة اهواءهم لانها الامرة
بالاشراك لا ما اشركوا به والمراد من الشركاء الملائكة والعزير والمسيح ومن عبدوهم
من اولي العقل وقيل الاصنام ينطقها الله تعالى فيكلمهم بذلك كان الشفاعة التي يتوقعون
منها وقيل الشياطين ويرده قوله فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم العالم بكنه الحال ان كنا
عن عبادتكم لغافلين لا عبادتكم كانت باغوائهم ان هي المخففة من الثقيلة واللام
هي الفارقة هنالك في ذلك المقام تبلوا كل نفس ما اسلفت تختبر ما قدمت من العمل
اي تعاين ضره ونفعه وقرى تتلو من التلاوة اي تقرأ ما في صحيفتها من الخير
والشر او من التلو اي تتبع لا عملها هو الذي يقربها الى الجنة والنار وقرى نبلو بالنون
ونصب كل اي نصيب كل نفس بالبلاء وهو العذاب بسبب ما قدمت من الشر فيكون
ما اسلفت ناصبا لها بنزع الخافض ونختبرها باختبار ما اسلفت اي نفعل بها فعلها في الصلاح والفساد
والقبول والرد فيكون ما بدلا من كل نفس بدل الاشتمال وردوا الى الله الى
جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق ربهم ومتولي امورهم الحق لا الباطل الذي
اتخذوه مولى او مولاهم على الحقيقة لا الذي ليس لولايته حقيقة او العدل الذي لا يظلم
احدا وقرى الحق بالنصب على المدح كقولك الحمد لله اهل الحمد او على المصدر المؤكد
كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون
من ان الهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها الهة قل من يرزقكم من السماء والارض
منهما جميعا فان الارزاق انما تحصل باسباب سماوية وارضية معا او كل واحد منهما
توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف اي من اهل السماء والارض ام من يملك
السمع والابصار اي من يستطيع خلقهما وتسويتهما او حفظهما وكلاءتهما من الآفات
مع كثرتهما وسرعة تاذيهما وبطلانهما من ادنى شيء ولما كان الوصول الى الرزق بواسطتهما

كان خلقهما وحفظهما من تمام التزيين ولهذا قال أمّن ولم يقل ومن كما قال ومن يخرج
الحي من الميت ويخرج الميت من الحي أي ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه
ومن يدبر ومن يدبر الأمر ومن يلي تدبير أمر العالم تعميم بعد التخصيص لبعضها
على أن تفاصيل الرزق والنعم وأسباب الإيجاد والربوبية أكثر من أن تحصى كأنه قال
وبالجملة من يدبر أمر العالم كله فسيقولون الله إذ لا يقدرون أن ينسبوه إلى غيره مكابرة
لفرط وضوحه بالسين للتأكيد والفاء الجزائية للترتيب على شرط محذوف تقديره إن سألتهم
عن ذلك فسيقولون الله البتة فقل تفريع على الشرطية المذكورة أفلا تتقون
الله في شرككم به ما لا يشارك في شيء من ذلك الهمزة للاستفهام الإنكاري
والفاء لترتيب الإنكار على الاعتراف المذكور وهي مقدمة معنى وإن أخرت لفظا
لصدارة الهمزة فذلكم الله إشارة من هذه أفعاله مقدرته ربكم الحق الثابت
ربوبيته إلى الواجب وجوده لأنه الذي أنشأكم وأحياكم ورزقكم ودبر أموركم
فماذا بعد الحق إلا الضلال استفهام إنكاري أي ليس بعد الحق الذي هو التوحيد
وتخصيص العبادة به تعالى إلا الضلال فأنى تصرفون من الحق إلى الضلال ومن
التوحيد إلى الشرك كذلك مثل ذلك الحق أي كما حقت الربوبية لله تعالى
كما حق وثبت أنه الحق ليس بعده إلا الضلال وأنهم مصروفون عن الحق حقت كلمة ربك
حكمه على الذين فسقوا وتمردوا في الكفر وخرجوا عن حد الاستصلاح أنهم
لا يؤمنون مفعول كلمة لأنها في معنى الحكم أي حكمه بأنهم لا يؤمنون أو بدل منها
أي حق وثبت أنهم لا يؤمنون أو تعليل على أن الكلمة كلمة العذاب وعدته أي لأنهم
لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده إلزام بإبداء الخلق
وإعادته وإن لم يكونوا معترفين بها لشبهها على وضوح برهانها ولا لذا على أن من
أنكرها كان مكابرا رادا للظاهر البين الذي اعترف بصحته العقلاء وكان عندهم
من المسلمات وتقادموا إلى عبيهم وعنادهم وشدة مكابرتهم بأمر النبي صلى الله عليه
وسلم بأن ينوب عنهم في الجواب في قوله قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده أي يدعهم
لجاجهم أن ينطقوا بكلمة الحق فكلم عنهم فأنى تؤفكون تصرفون عن قصد
السبيل قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق بنصب الحجج وإرسال الرسل والتمكين والإقدار
على النظر والتوفيق للتفكر والتدبير إلى الحق وإلهام الحق والصواب وهدى
كما يعدى بإلى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على أن المنتهى غاية الهداية
وأنها لم يتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدي بها ما أسند إلى الله تعالى قل
الله يهدي للحق دون غيره أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن

يهدي

يهدي أفمن يهدي هذه الهداية أحق بالاتباع أم الذي لا يهتدي بنفسه إلا أن يهديه
الله تعالى وهذا حال أشرف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام وقيل
من لا يهتدي من الأوثان إلى مكان فينقل إليه إلا أن يهدى إلا أن ينقل وقرئ
لا يهدي بفتح الهاء وكسرها وتشديد الدال والأصل يهتدي فأدغم وقرئ
إلا أن يهدي من هداه للمبالغة ومنه جاء يهتدي لمطاوعته كقولهم قطعته
فتقطع فما لكم كيف تحكمون بالباطل إذ تزعمون أنهم أنداد لله تعالى وما
يتبع أكثرهم في معتقداتهم إلا ظنا غير مستند إلى خيالات واهية فاسدة
كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بأدنى مشاركة موهومة فاسدة
والمراد بالأكثر من ينتمي إلى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف إن الظن لا يغني
في معرفة الله من الحق أي العلم والاعتقاد الحق شيئا مفعول به ومن
الحق حال منه أو نصب على المصدر أي لا يغني بدل الحق شيئا من الإغناء وقيل
وما يتبع أكثرهم في اتخاذ الأصنام آلهة وأنها شفعاء إلا ظنا وفيه دليل على أن تحصيل
العلم في الأصول واجب والتقليد والاكتفاء بالظن غير جائز إن الله عليم بما
يفعلون وعيد لهم على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الآباء دون البرهان
وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله وما صح أن يكون مثل هذا القرآن
في الإعجاز افتراء من الخلق ولكن تصديق الذي بين يديه ولكن كان تصديق
ما تقدمه من الكتب المنزلة الصادقة وتصديقها الصادق وهو لكونه
معجزا دليل على صدقها وشاهد لصحتها تصديق حتى كان المقدر وعلة الفعل محذوف
تقديره لكن أنزل الله تصديق الذي وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق الذي
وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق الذي وتفصيل الكتاب وتبيين
ما كتب وفرض من الأحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم وقرئ وتفصيل
بالرفع عطفا على تصديق على قراءة الرفع لا ريب فيه خبر ثالث داخل في حكم
الاستدراك أي منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين ويجوز أن يكون من رب
العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا كقولك زيد لا شك
فيه كريم أو بالفعل المعلل بهما أو حالا من الكتاب أو الضمير في فيه لأنه مفعول في
المعنى ومساق الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان
على كونه من عند الله أم يقولون بل يقولون افتراه محمد ومعنى الهمزة إنكار
لقولهم واستبعاد لدعوى الافتراء مع كونه حجة عليهم بالإعجاز قل فأتوا بسورة
مثله أي إن كان افتراء كما زعمتم فأتوا بسورة مفتراة مثله في البلاغة وحسن

النظم فانتم مثلي في البلاغة والفصاحة بل اشد تمرنا بها مني وادعوا من استطعتم
وذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به من دون الله من خلقه اي
لا تدعوا الله فانه وحده قادر على ذلك وادعوا غيره ان كنتم صادقين انه
افتراه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن بما لم يحيطوا بعلمه بالقرآن
في اول وهلة سماع قبل ان يفهموه ويعلموا معانيه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما
من ذكر البعث والجزاء وما يخالف دينهم لفرط انفتهم بما الفوه وتعودوا به من
دينهم ونفورهم عما يخالفه ولما ياتهم تاويله ولم يقفوا على تاويل ما فيه من الاخبار
بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق ام كذب يعني ان القرآن معجز من جهة اللفظ
والمعنى ثم انهم فاجوا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع في
لما انه قد ظهر لهم بالاخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدي فزادوا قواهم في معارضته
فتضاءلت دونها او لما يشاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا
عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك مثل ذلك التكذيب كذب الذين من قبلهم
ابناءهم قبل النظر في معجزاتهم تقليدا وتحديه عنادا او حسدا فانظر كيف كان
عاقبة الظالمين وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم من يؤمن به من
يشك فيه ولا يصدق او ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر ولا يؤمن به وربك
اعلم بالمفسدين المعاندين والمصرين وان كذبوك وان اصروا وواظبوا على تكذيبك
بعد الزام الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم فتبرا منهم وخلهم فقد اعذرت وقل جزاء
عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون
لا تؤاخذون بعملي ولا اؤاخذكم بعملكم قيل ولما فيه من ايهام الاعراض والتخلية سبيلهم
قيل انه منسوخة باية السيف ولا وجه له لان النسخ انما يصار اليه عند قيام المنافاة
قطعا والايهام لا يعزل عنه ومنهم من يستمعون اليك اذا قرات القرآن وعلمت الشرائع
ولكن لا يقبلون ولا يعون كالاصم الذي لا يسمع اصلا افانت تسمع الصم تقدر
التبليغ تقدر على اسماع الصم ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم الى صممهم عدم
تعقلهم ومنهم من ينظر اليك ويعاين دلائل صدقك وسوق ولكن لا يصدقون
افانت تهدي العمي انت تقدر اظهارها بالمعجزات ودلائل النبوة تقدر على هدايتهم
ولو كانوا لا يبصرون ولو انضم الى عماهم عدم بصيرتهم افانت انكارا ان يكون هو
الذي يقدر على اسماع الاصم الذي لا يعقل وهداية الاعمى الذي لا بصيرة له
وفيه تنبيه على ان حقيقة الاسماع هو فهم المعنى وحقيقة الابصار هو الاستدلال
والاعتبار وهما انما يكونان بالعقل والبصيرة لا بالحاستين ولذلك لا يوصف الاولى

البهائم

بالبهائم ويجد من الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدرك البصير الاحمق واته لا يقدر
على موهبة العقل والبصيرة والتوفيق المفهم والاستبصار الا الله تعالى وحده
فاذا لم يهب ولم يوفق فمحال ان يقدر على ذلك وفي تشبيههم بالصم والعمي ان
فائدة السمع والبصر الفهم والاستبصار فاذا لم يحصل فكانهما لم يكونا وفي ضم سلب
العقل والبصيرة والعمى انهم على التناسب من ان يفهموا او يستبصروا وانما سلب العقل
في الاول وسلب البصيرة في الثاني فلان المبصر بدون العقل يتوصل الى اهتداء الطرق
والسلوك فيها الا ترى ان البهائم تبصر الطرق وتسلك فيها وتتقي بها المهالك
ولا عقل لها بخلاف السمع فانه لا ينتفع بها بدون العقل فتظاهر البصر بدون
العقل تبصر الاشيا وتظاهر السمع بدون العقل لا تعرف الاشيا والايه
كالتعليل للامر بالتبري منهم والاعراض عنهم ان الله لا يظلم الناس شيئا بالخلا
شيء من اسباب كمالهم ووسائل اهتدائهم كنقص حواسهم وسلب عقولهم وبصائرهم
واهمالهم سدى بلا تنبيه ببعثة الرسول وانزال الكتب ولكن الناس انفسهم
يظلمون بترك استعمال مشاعرهم وعدم التفكر والتفهم بعقولهم والنظر والاعتبار
ببصائرهم والذهول عن الوحي والانذار بالانهماك في شهواتهم او لا يظلمهم بالتعذيب
لكفرهم وعنادهم يوم القيامة فانه عدل ولكن الناس انفسهم يظلمون باقتراف
اسبابه واستيجابه فعلى هذا الوجه هو وعيد لهم وعلى الاول تنبيه على ان كونهم
بمنزلة الصم والعمي من عدم استعمالهم آلات الاهتداء فيما خلقت له لان اسباب
الهداية مفقودة وعلى الوجهين تذييل لما سبقه ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا
الا ساعة استقصار زمنهم لمدة لبثهم في الدنيا او في البرزخ لهول ما يرون وفي
بيانها بقوله من النهار تاكيد للاستقصار لان النهار لكونه زمان الاشتغال
بالاشتغال لا يدرك طول ساعته بخلاف الليل والجملة التشبيهية في موقع الحال
اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة ليوم والعائد محذوف اي كان
لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كان لم يتعارفوا الا قليلا
وذلك اول ما حشروا ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم ذهولا لقوله
كان لم يلبثوا لان طول مدة اللبث يوجب التناكر والتعارف انما يبقى مع قلتها قد
خسر الذين كذبوا بلقاء الله استيناف للشهادة من الله تعالى بخسرانهم في تجارتهم
وبيعهم الايمان بالكفر وما كانوا مهتدين اي الى طريق التجارة وفيه معنى
التعجيب كانه قيل ما اخسرهم ووضع الذين كذبوا موضع ضميرهم اشعارا بان سبب
الخسران انما هو تكذيبهم بلقاء الله تعالى وعدم اهتدائهم لاستعمال ما اولوا من

من المشاعر والعقول والبصائر بتحصيل المعارف واكتسابهم بها عقائد فاسدة وجهالات
تؤديهم الى الخسارة والهلاك والعذاب ﴿واما نرينك بعض الذي نعدهم﴾
من العذاب في حياتك كما اراه يوم بدر ﴿او نتوفينك﴾ قبل ان نريك ﴿فالينا مرجعهم﴾
فنريكه في الاخرة فقيل هو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك
ولا حاجة الى التقدير لجواب المذكور لان قوله فالينا مرجعهم صالح ان يكون جوابا
للشرط وما عطف عليه وعلى هذا يكون المعنى نعلى كلا التقديرين نعذبهم في الاخرة
والذي نريكه في الدنيا لا يكون سببا لتخفيف عذابهم في الاخرة وهذا هو المناسب
للمقام فلا وجه للعدول عنه بالارتكاب المحذوف في الكلام ﴿ثم الله شهيد على ما يفعلون﴾
اي بعد رجوعهم الينا الله معاقبهم على افعالهم حين تنطق جلودهم والسنتهم
شاهدة عليهم والمراد من الشهادة مقتضاها ونتيجتها اي العقاب لان شهادة
الذي احاط علمه بجميع افعالهم السيئة الخفية فضلا عن الظاهر توجب العقاب الشديد
لانه محص كل سوء والالتفات من التكلم الى الغيبة واظهار اسم الله تعالى وايقاع
ثم وايراد الجملة الاسمية للتنبيه على ان المعاقب هو الله تعالى الذي لا يخفى عليه
خافية وتربية المهابة والتهديد والتهويل بان مضمون الوعيد في غاية
البعد من تصورهم عند الرجوع ودوام العقاب وفيه انواع من المبالغات
في تشديد الوعيد وتاكيده وقرئ بالفتح اي هنالك ﴿ولكل امة﴾ من الامم
الماضية ﴿رسول﴾ بعث اليهم ليدعوهم الى الحق ﴿فاذا جاء رسولهم﴾ بالبينات
فكذبوه ﴿قضي بينهم بالقسط﴾ فانجي الرسول ومن امن بها واهلك المكذبون
وذاك لالزام الحجة كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴿وهم لا يظلمون﴾
بالعقاب في الاخرة فعذاب اليم في الدنيا لا يكون مكفرا في حق الكافر وعلى هذا هو
تاسيس لا تاكيد لما قبله فالعاطف لصاحب المختصر بخلاف ما قيل معناه لكل امة
يوم القيامة رسول تنسب اليه فاذا جاءهم رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر
والايمان قضي بينهم بانجاء المؤمنين وعقاب الكافر لقوله وجيء بالنبيين والشهداء
وقضي بينهم كانه حينئذ يتعين التاكيد فالعاطف يكون وفاقا بين الشيئين وكذا
﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ استعجال من المكذبين لما وعدوا من العذاب استبعادا
وانكارا واستهزاء ﴿ان كنتم صادقين﴾ خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين به ﴿قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا﴾ فكيف املك لكم فاستعجل اليكم
العذاب وتقديم الضر لان ما فيه الكلام من جنسه ﴿الا ما شاء الله﴾ استثناء
منقطع اي الا ما شاء الله من ذلك كائن ﴿لكل امة اجل﴾ مضروب لهلاكهم عند الله

تعالى

تعالى وحد محدود من الزمان ﴿اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾
اذا جاء وقته المحدود فلا تستعجلون فسيجيء وقته وقد سبق ما يتعلق به في
تفسير سورة الاعراف ﴿قل ارايتم ان اتاكم عذابه﴾ الذي تستعجلون به ﴿بياتا﴾ نصب
على الظرف اي وقت بياتكم وغفلتكم بالنوم ﴿او نهارا﴾ اي في وقت اشتغالكم
بطلب المعاش والكسب او اللهو وجواب الشرط محذوف اي ندمتم على الاستعجال
او عرفتم الخطأ فيه وقوله ﴿ماذا يستعجل منه المجرمون﴾ متعلق بارايتم اي
اخبروني ماذا تستعجلون والشرطية اعتراض والاولى ان يكون ماذا جواب
الشرط كقولك ان اتيتكم ماذا تطعمني والشرطية اعتراض متعلق بارايتم ومعناه
ان العذاب كله مكروه موجب للنفار يجب ان يستبعد منه الا ان يستعجل فاي
شيء تستعجلون منه على ان الضمير منه للعذاب وقيل لله تعالى ويجوز ان يكون
معنى الاستفهام في ماذا هو التعجب من العذاب مع الانكار اي اي شيء شديد
هائل تستعجلون منه ومن في هذا الوجه يجوز ان تكون للبيان ووضع المجرمون
موضع ضمير المخاطبين على طريقة الالتفات تقوية لما في الاستفهام من معنى
الانكار والتعجب ودلالة على موجب ترك الاستعجال الذي هو الاجرام فان المجرم
من حقه ان يخاف التعذيب ويستبعد منه وان ابطأ فضلا ان يستعجله ويجوز
ان يكون ﴿اثم اذا ما وقع امنتم به﴾ جواب الشرط وماذا يستعجل اعتراضا اي
اخبروني ان اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول
الهمزة على ثم لانكار تاخير الايمان الى وقت لا ينفع وهو وقت العذاب وادخالها
على المعطوف لانه مصب الانكار والاستبعاد وانما جاء بحرف التراخي بدل الواو
دلالة على الاستبعاد ثم زيد اداة الشرط دلالة على استقلاله بالاستبعاد وعلى
ان الاول كالتمهيد له وجيء باذا المؤكدة بما ترشيحا لمعنى الوقوع والتحقيق وزيادة
التجهيل وانهم لم يؤمنوا الا بعد ان لا ينفعهم البتة ﴿الآن﴾ على ارادة القول اي
قيل لهم اامنوا بعد وقوع العذاب الآن امنتم به ﴿وقد كنتم به تستعجلون﴾ تكذيبا
وانكارا ﴿ثم قيل للذين ظلموا﴾ عطف على قيل المقدر قبل الآن ﴿ذوقوا عذاب الخلد﴾
المؤلم على الدوام ﴿هل تجزون الا بما كنتم تكسبون﴾ من الكفر والمعاصي ﴿ويستنبئونك﴾
ويستخبرونك ﴿احق هو﴾ الضمير للعذاب الموعود احق خبر والضمير مبتدا او الضمير
مبتدا مرتفع به ساد مسد الخبر كقولهم اقائم زيد والجملة في محل النصب بيستنبئونك
والهمزة للاستفهام على سبيل الانكار والاستهزاء وقرئ الحق هو على ان اللام للجنس كانه
قيل اهو الحق لا الباطل وهو الذي تسمونه الحق وهو اقوى في الاستهزاء لتضمنه معنى

التعريض فانه باطل قل اي وربي انه لحق ان العذاب لكائن واي من حروف
الايجاب بمعنى نعم وتخصيصها بالقسم كما ان هل بمعنى قد تختص بالاستفهام فيقولون اي
والله ولا ينطقون به وحده وما انتم بمعجزين فايتين العذاب اي هو لاحق بكم لا محاله
ولو ان لكل نفس ظلمت بفعل ما يستحق به العذاب ما في الارض اي ما في الدنيا اليوم
ليوم من خزائنها واموالها وجميع منافعها لافتدت به لجعلته فدية لها من العذاب
من قولهم افتداه بمعنى فداه ولفظ كل لتعميم الحكم لكل واحد من النفوس الظالمة واسروا
الندامة لما راوا العذاب حين رؤيتهم العذاب لانهم بهتوا لما عاينوه مما لم يخطر ببالهم
ولم يحتسبوه وسلبت شدته وفظاعته وقواهم فلم يطيقوا اظهار الجزع والبكا للدهش
والحيرة لا للتجلد اذ ليس هناك فامتلات قلوبهم ندما وقيل اسر رؤساؤهم الندامة
من اتباعهم الذين اضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل اسروا الندامة اخلصوها
وجعلوها سرهم اي ملوا بواطنهم بحيث لم يكن فيها شي اخر ومنه قولهم سر الشي لخالصه
لانها ونضرها وعلى هذا يكون فيه تهكم وقيل اظهروها من قولهم اسر الشي اذا اظهره
وهو من الاضداد وقضي بينهم بالقسط اي بين الظالمين والمظلومين لدلالة ذكر
الظلم وهم لا يظلمون اي ليس تكريرا لان الاول قضاء حكومة والثاني مجازاتهم
على الشرك وسائر المعاصي الا ان لله ما في السموات والارض تقرير لمقدرته
تعالى على الاثابة والعقاب الا ان وعد الله حق ما وعده من الثواب والعذاب كائن
لا خلف فيه اتي بكلمتي التنبيه والتحقيق وجمع بينهما في جملتي الاختصاص بالملك وانجاز
الوعد وتقريرا لما وعده وتنبيها على ان ما ذكر حق واجب الوقوع لا محالة ولكن اكثرهم
لا يعلمون لانهم كلهم في الغفلة هو يحيي ويميت في الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى
ايضا لان القادر لذاته لا تزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحياة والموت
قابلة لهما واليه ترجعون بالبعث بعد الموت تحذير وترهيب والخطاب وترغيب
فيخاف ويرجا يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى
ورحمة للمؤمنين اي كتاب جامع لهذه الفوائد من الحكمة العملية المبينة لمحاسن الاعمال
وقبايحها والتحريض على الاولى والتحذير عن الثانية والحكمة النظرية من المعارف
للحقايق التي هي شفاء لما في الصدور من الامراض العقلية كالجهل والشك والنفاق
والشرك والهداية الى الحق والتوحيد والرحمة لمن امن به بانزاله عليهم ما ينجيهم من ظلمات
الكفر الى نور الهدى والايمان ومن دركات النيران الى درجات الجنان وتنكير موعظة
وما عطف عليها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته متعلق بفعل محذوف يفسره
ما بعده تقديره بفضل الله وبرحمته يعني بانزاله القران والهداية الى الايمان فليفرحوا

فبذلك فليفرحوا او يفسر لنوعه وما يناسبه نحو بفضل الله وبرحمته فليعتنوا
فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وذلك اشارة الى الفضل والرحمة بتاويل ما ذكر وتقديمه
للتاكيد والبيان بعد الابهام وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما
من فوائد الدنيا وكذا تكرير الفاء للتاكيد وهو جواب شرط مقدر تقديره ان كانوا
يفرحون بشي فليخصوهما بالفرح فانه مفروح به احق منهما ويجوز ان يكون الفاء
للربط بما قبلها والدلالة على ان مجي الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح
ويجوز ان يتعلق بفضل الله وبرحمته قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته وذلك
اشارة الى مصدر جاء اي فبمجيئها فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض
وهو القياس وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرفوعا ولما امر صلى الله
عليه وسلم لانه ادل على الامر بالفرح واشد تصريحا هو راجع الى ذلك هو خير
مما يجمعون من حطام الدنيا المشرفة الزوال وقرئ تجمعون بالتاء على الخطاب
ومن لم يذق حسن هذا الاستيناف في مقام التعليل ولم يدر انه اقوى الوصلين قال
على معنى فبذلك فليفرحوا المؤمنون فهو خير مما يجمعون فاوهم ان حق المقام لو وصل
بالفاء التعليلية ولا يخفى ما فيه من سوء الادب قل ارايتم ما انزل الله لكم من
رزق جعل منزلا لانه مقدر في السماء متيسر باسباب من المطر والشمس والقمر
والانبات والانضاج والتلوين وما في محل النصب بانزل او بارايتم لانه بمعنى
اخبروني ولكم دل على المراد بالرزق ما حل وكذلك وبخهم على التبعيض بقوله
فجعلتم منه حراما وحلالا من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وما جعلوا
لله من الحرث والانعام وانما قدم حراما لانه منصب الانكار في اسناد التحريم
والتحليل اليهم اشارة الى انهم هم المقصودون توبيخا وتمهيدا لاثبات القسم من المفصل
في قوله قل الله اذن لكم ام على الله تفترون اي اخبروني الله اذن لكم في التحريم
والتحليل تفعلون ذلك باذنه ام تكذبون على الله في نسبته اليه على ان ام متصلة
وتكرير قل بين ارايتم وما يتعلق به للتاكيد والاستفهام للتبكيت والاشارة الى ان نسبة
ذلك الى الله تعالى تقليد وقول بلا حجة فلزم الاقرار كان الاصل الله اذن لكم ام غيره
فعدل الى المنزل دلالة على ان الثابت هو الشق الثاني وهم لم ينسبوه الى الله تعالى فهم
مفترون عليه لا على غيره وفيه زجر وتهديد عظيم وان جعلت ام منقطعة بمعنى بل
والهمزة والاستفهام للانكار ومعنى بل اضرب عن ان يكون ذلك باذن الله تعالى
ومعنى الهمزة تقرير للافترا وتوبيخ عليه وتقديم على الله تنبيه لتخصيصه تعالى
بالافترا عليه فانه نهاية في قبح الكذب وفي العدول عن الضمير الى الاسم المظهر تفخيما

زيادة اظهار لقبح الافترا وما ظن الذين يفترون على الله الكذب في ابهام متعلق الظن
بحذفه والسوال عنه وعيد ابلغ وتهديد عظيم اي اي شي ظنهم يوم القيامة
وهو يوم الجزا يحسبون انهم لا يجازون على الافترا وتحريا ظن على لفظ الفعل على المحقق
الوقوع واقعا ونصب ما على المصدر اي اي ظن ظنوا فيه ان الله لذو فضل على
الناس على كلهم بما انعم عليهم من العقل والحواس وساق اليهم الرزق وهداهم الى
الحق بارسال الرسل وانزال الكتب واخر عنهم العذاب من غير سابقة صنع منهم
يستوجبون به ذلك ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة العظيمة لجهلهم
بمواقعها وما تكون في شان الشان الامر واصله القصد وعينه الهمزة من شانت
شانه اذا قصدت تخففت وما تتلوا منه راجع الى الشان لان تلاوة القران معظم
من شون النبي صلى الله عليه وسلم او لان القراة تكون لشان فيكون التقدير من
اجله ومفعول تتلو من قران من تبعيضية او مزيدة لتاكيد النفي او للقران
واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله ولا تعملون من عمل من لتاكيد النفي اي
اي عمل كان ولا تعملون تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو راسهم ومقدمهم وحيث
خص ذكر ما فيه فخامة وحيث عم ذكر ما يتناول الخطير والحقير للمناسبة الا كنا عليكم
شهودا رقبا مطلعين عليه استثنا مفرغ من اعم الاحوال على تقدير قد كنا واعم
الاوقات اي وقت كنا اذ تفيضون فيه وقت اندفاعكم فيه ظرف لشهودا وعلى
الثاني جاز كونه بدلا من الوقت المقدر وما يعزب عن ربك قرئ يعزب بكسر
الزاي وضمها والعزوب معناه البعد والغيبة يقال عزب اذا انفرد عن اهله
من مثقال ذرة موازن نملة صغيرة او هبا في الارض ولا في السما عبر بقطري
العالم عن كلية المراد احاطة علمه بجميع ما في الوجود نفي عنه بما ذكر على معتقد
العامة فان التنزيل وارد على لسانهم وهم ينكرون وجود ممكن ليس بحيز وقدم
الارض على السماء ههنا بخلاف ما في سورة سبا لان الكلام هنا في شون اهل الارض
وشهادته عليها رعاية للملايمة ولما قالوا في الجمع بينهما كالتثنية ولا اصغر من ذلك
ولا اكبر الا في كتاب مبين جملة براسها ولا لنفي الجنس واصغر مبني على الفتح اسمها
وفي كتاب خبرها ولا اكبر عطف عليه بالنصب ولا مزيدة للتاكيد او مفتوحة
صلة ومنها مرفوعين على ان الاول مبتدا خبره في كتاب والثاني عطف عليه ومن جعل
رفعهما عطفا على محل من مثقال او فتحهما على لفظ مثقال لكونهما من غير منصرفين
مفتوحين في موضع الجر جعل الا في كتاب استثنا منقطعا بمعنى لكن في كتاب بين
والمراد من الكتاب اللوح المحفوظ تنصيص موكد لقوله لا يعزب عنه كافة

قيل

قيل كيف يعزب وهو في كتاب مبين على ان الايصال له ايضا وجه لان الاشيا اذا قرر
الكتاب المبين بعلم الله تعالى كما مر في سورة الانعام ويكون المعنى لا يغيب الا في
علمه ومعلوم ان غيبة الشي في العلم عين كشفه فهو من باب الا ما قد سلف وان
فسر باللوح فلا باس ايضا لانه محل صور معلوماته تعالى وكان مقتضى البلاغة
بحسب جليل النظر تقديم الاكبر على الاصغر ليكون الكلام على طريقة الترقي
واما عكس الترتيب سوقا له على مقتضاها بحسب دقيق النظر ليكون في كل واحد
من جزء الكلام نوع من الاهتمام وذلك انه حينيذ يكون في الجز الاول منه
اهتمام التقديم وفي الثاني اهتمام التصريح بعد العلم بالالتزام الا ان اوليا الله
الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم في الحال لخوف محذور
ولا هم يحزنون من وقوع مكروه من فوات نافع وحصول ضار الذين امنوا
وكانوا يتقون نصب او رفع على الابتدا والخبر لهم البشرى في الحيوة الدنيا
وفي الاخرة بيان لتوليه تعالى اياهم والبشرى في الدنيا ما بشر الله تعالى
به المومنين المتقين في غير موضع من كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم
وما يريهم في الرويا الصادقة وما منح لهم بالمكاشفة وبشرى الملايكة عند النزع
واما البشرى في الاخرة فتلقي الملايكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة
لا تبديل لكلمات الله ولا تغيير لاقواله واحكامه ولا اخلاف لمواعيده ذلك
اشارة الى تخصيص البشارة بهم في الدارين هو الفوز العظيم لانه نيل جميع ما يرجى
والامن من كل ما يخشى هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم
شانه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله ولا يحزنك قولهم
تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وقرئ ولا يحزنك من احزنه
ان العزة لله جميعا استيناف للتعليل كانه قيل ما لي لا احزن فقيل ان العزة
الى اخره اي الغلبة والقدرة كلها لله تعالى لا يملك احد غيره شيا منها فهو يغلبهم
وينصرك عليهم وقرئ ان العزة بالفتح اي لان العزة تصريحا بالتعليل ومنه
اخبارا عن اهل العزة هو السميع لاقوالهم العليم بعزماتهم فيكافيهم عليها
الا ان لله من في السموات ومن في الارض تمهيدا لما بعده من امتناع ان يكون الجماد
له ندا لانه تخصيص للعقلا بملكيته بتقديم لله وايراد من مع التاكيد بتصدير
الجملة بحرف التنبيه والتحقيق والعقلا من الملايكة والثقلين اذا كانوا تحت يده
عبيدا مملوكين مع كونهم اشرف المخلوقات ولا يصح كونهم شركا فكيف يصح ان
يكون الجماد له ندا فهو كالدليل على بطلان اعتقاد المشركين وما يتبع الذين

يدعون من دون الله شركا ما نافية وشركا مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف
اي ما يتبع الذين يدعون من دون الله شركا حقيقة وان سموها شركا فحذف احدهما
لدلالة الباقي عليه ويجوز ان يكون شركا مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف
دل عليه ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون ظنهم انهم شركا وان جعلت ما
استفهامية فهي مفعول يتبع وشركا مفعول يدعون وان جعلت موصولة فمنصوبة
المحل عطفا على من وقرئ تدعون بالتاء وان يتبع الذين يدعون شركا من الملائكة
والنبيين اي انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله
اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان وما
بعده عن خطابهم لبيان سندهم ومنشا رايهم وان هم الا يخرصون اي يكذبون
فيما ينسبون الى الله تعالى او يحزرون ويقدرون انها شركا تقديرا باطلا هو
الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على انه تعالى هو المنفرد
بكمال قدرته وعظيم نعمته التي لا يمكنهم ان يعيشوا بدونها ليدلهم على انه المتوحد
باستحقاق العبادة فيخصصوها به وجعل متعد الى مفعول واحد بمعنى خلق ومبصرا
حال ويجوز ان يكون متعديا الى مفعولين والثاني لكم ولتسكنوا اي جعله محلا
لسكونكم وقيل مظلما والنهار مبصرا عطفا على المفعولين ذكر علة خلق الليل وهي
لتسكنوا فيه وتستريحوا من تعب التردد في طلب المعاش وما يكدحون منه في النهار
وحذفها من النهار وذكر وصف النهار وحذفه من الليل وكل من المحذوفين يدل عليه
المذكور في مقابلته والتقدير جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا والنهار مبصرا لتتحركوا
فيه في مكاسبكم وتهتدوا الى مآربكم واسناد الابصار الى النهار مجازي على طريقة
ليله قائم ونهاره صائم واما عدل عن قوله لتبصروا فيه مناسبا لتسكنوا فيه للدلالة
انه مع كونه ظرفا للابصار سببه له بخلاف سائر الظروف ان في ذلك لآيات
لقوم يسمعون سماع اعتبار وادكار قالوا اتخذ الله ولدا اي تبناه سبحانه
تنزيه له تعالى عن التبني وتعجيب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة التنزه عنه
فانه سبب عن الحاجة له ما في السموات وما في الارض تقرير لغناه ان عندكم
من سلطان بهذا نفي لمعارض الذي اقامه تحقيقا لبطلان قولهم ومبالغة
في تجهيلهم اي ما عندكم من حجة لهذا القول مع الحجة دالة على خلافه والباء في
هذا متعلق بسلطان او بقوله ان عندكم بمعنى الظرفية اي ما عندكم في
هذا القول حجة كقولك ما عندكم بارضكم اتقولون على الله ما لا تعلمون
لما نفى البرهان عنهم جعلهم جاهلين وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه

فهو

فهو جهل وان العقائد لا بد ان تكون برهانية لا تقليدية والهمزة للتوبيخ
والتقريع لهم على اختلاقهم وجهلهم قل ان الذين يفترون على الله الكذب بنسبة
الولد والشريك اليه تعالى لا يفلحون لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة
متاع خبر مبتدا محذوف والتنكير للتقليل تقديره افتراؤهم متاع
قليل او منفعة يسيرة في الدنيا اي يتمتعون به في الدنيا رياستهم في الكفر او حياتهم
وتقلبهم فيها متاع هو مبتدا خبره محذوف اي لهم تمتع في الدنيا ثم الينا مرجعهم
بالبعث بعد الموت فيلاقون الشقاء المؤبد ثم نذيقهم العذاب الشديد
في جهنم بما كانوا يكفرون بسبب استمرارهم على الكفر واتل عليهم نبا نوح
خبره مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم شق وثقل ومنه
قوله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين مقامي مكاني اي كوني ووجودي
ومنه فعلت كذا لمكان فلان او اقامتي ومكثي بين اظهركم مدة طويلة او قيامي على
الدعوة لا عندنا التذكير لان قوله وتذكيري يغني عنه والتاسيس خير من
التاكيد بآيات الله فعلى الله توكلت اي خضعت لله بالتوكل عليه والوثوق به
جواب الشرط فلا ابالي وقيل جواب الشرط فاجمعوا امركم وما تقدم اعتراض
بين الشرط فلا ابالي وقيل جواب الشرط وجوابه كما تقول ان كنت انكرت على شيئا
فان الله حسبي فاعمل ما تريد واجمعوا امري بالوصل من الجمع وبالقطع من الاجماع
وهو العزم في الاسناد الجمع والاجماع الى الشركا تهكم به وشركاكم كما في قوله
تعالى قل ادعوا شركاكم ثم كيدون وشركاكم معطوف على امركم على حذف
مضاف تقديره وامر شركائكم او منصوب بفعل محذوف تقديره او وادعوا
شركاكم وقد قرئ به وقيل اجمعوا بمعنى اعدوا ويقع على المعطوفين جميعا وقال
الزجاج هو مفعول معه والواو بمعنى مع اي مع شركائكم ولا يساعده قراءة
الوصل لما قال الحريري في درة الغواص لا يقال اجتمع فلان مع فلان وانما
يقال اجتمع فلان وفلان وقرئ بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز بلا
تاكيد للفصل ثم لا يكن امركم في قصدي عليكم غمة مستورا عليكم وبل
مكشوفا مجاهرا به من غمه اذا ستره او لا يكون امركم اي ما تكونون فيه من
شدة الحال والكرامة وثقل مقامي فيكم وشتمه عليكم غما وكربا عليكم
الغم والغمة والكرب والكربة بمعنى وصفته اي تقعوا في هلاكي وتدبيره
لئلا يكون غمكم بسبب مصاحبتي وحالكم مع غصة عليكم ثم اقضوا ادوا
الي ذلك الامر الذي تريدون بي بعناد واقطعه وتصحيحه الى قوله وقضينا

اليه ذلك الامر وادوا الي ما هو حق عليكم من وجود اهلاكي كما يقضي الرجل غريمه
انضوا بالفاء اي ثم انتهوا الي بشركم وبوم من قضى الجمل الى الفضا اي اصحر وابه
الي وابرزوا الي ولا تنظرون ولا تمهلون فان توليتم اي اعرضتم عن تذكيري
فما سالتكم من اجر يوجب اعراضكم عنه لثقله عليكم واتهامكم اياي لاجله من
طمع في اموالكم ان اجري في نصيحتكم ووعظكم الا على الله هو الذي يثيبني عليه اي
ما نصحتكم الا لوجه الله تعالى لا لغرض من اغراض الدنيا وامرت ان اكون من المسلمين
المنقادين لامر الله وقضية الاسلام ان لا ابي طلبت على تعليم الدين شيئا من الدنيا ولا ابتغي
بالدعوة والموعظة الا لوجه الله تعالى رضي الله تعالى عن ابي حنيفة رضي الله عنه ما امن
النظر اذ الوبذر الاجارة في الاجارة على الطاعات والمراد الزام الحجة لهم وتبرئة
ساحته عما يوجب الاعراض فكذبوه فاصروا على تكذيبه تجردا وعنادا بعد طول مدة الدعوة
والزام الحجة فنجيناه يعني من الغرق وذلك عليه قوله ومن معه في الفلك من الانسان
والحيوان وانما قال ومن دون وما تغليبا للعقلاء على غيرهم للتنبيه على ان نجاة
غيرهم كان تبعا لهم وجعلناهم خلائف من الهالكين واغرقنا الذين كذبوا باياتنا
بالطوفان والجعل متوخر عن الاغراق وان قدم لفظا للاهتمام به فانظر كيف كان
عاقبة المنذرين تعظيم لما نزل بهم من العذاب وتهديد لمن كذب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتسلية له والعدول عن مقتضى ظاهر السياق وهو المكذبين الى المنذرين للتنبيه
على ان التكذيب انما يستوجب نزول العذاب اذا كان بعد الانذار فاعتبر هذا اللفظ
ودق لطف هذا الاعتبار ثم بعثنا البعث اعم من الارسال فان كل شيء امرته فقد
بعثته ومنه قوله من بعثنا من مرقدنا والذي تبليغ الرسالة الى قوم وهو فيهم الما
يناسبه عبارة البعث دون الارسال من بعده من بعد نوح صلى الله عليه وسلم
رسلا التنكير للتكثير الى قومهم الى اقوامهم كل رسول الى قومه لا انه لم يجمع لانه
في الاصل مصدر فجاؤهم بالبينات بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا
ليؤمنوا عبارة كان الدالة على الاستمرار مقدمة على اداة النفي في الاعتبار اي انه لم
يؤمنوا بهم واصروا على الانكار وفي زيادة لام الجحود تاكيد لهذا المعنى ودلالة على ايمانهم
في حين الامتناع بما كذبوا به من قبل بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه من قبل بعثة
الرسول اي ما تفاوت حالهم قبل البعثة وبعده لاعتيادهم بالفساد وانكار الحق كذلك
مثل ذلك الطبع المحكم نطبع على قلوب المعتدين لان الاعتداء هو الافراط في التجافي
عن الحق يوجب الخذلان حتى يصير دينا وطبعا فالكلام على الحقيقة دون الكناية ثم بعثنا
من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل موسى وهارون الى فرعون وملائه خص اشرافهم

بالذكر اكتفاء بذكرهم عن الكل باياتنا بالايات التسع اضافها الى نفسه تنبيها على خروجها
عن حيز استطاعة العبد وتعلق كسبه بها وكونها من خوارق العادات فاستكبروا
عن قبول الحق واتباع من ارسل اليهم والاستكبار طلب الكبر من غير استحقاق واعظم
الكبر استهانة العبيد برسالة ربهم بتكذيبها بالبينات وكانوا قوما مجرمين ظاهر
او فايق في نسبه واضح من بين فنونه والدليل على الغرق بين المذكورين من النظم
ايقاع الحق موضع ضمير الايات واسناد المجيء اليه وقولهم ان هذا لسحر مبين لما مر في
صدر السورة دلالته على الاعتراف وتناهي العجز قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم
تعيبونه وتطعنون فيه من قولهم فلان يخاف مقالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم
فيستغني عن المفعول وقيل حذف مقول القول لدلالة ما قبله عليه وهو انه لسحر
والهمزة للتوبيخ والتقريع ولا يجوز ان يكون اسحر هذا بتوا القول بل هو استئنافا
انكار ما قالوه الا ان يكون الاستفهام بانكار ما قالوه للتقرير والمحكي مفهوم قوله
وهذا على الوجه الاول اشارة وضوح حقيته وكونه مما انا في الحس لا بالطل سعاوم
الحقيقة بحيث لا يشك فيه مشاركيه في ذلك وعلى الثاني تحقير واستبعاد لكونه
موجبا للفلاح ولا يفلح الساحرون من تمام كلام موسى عليه السلام للدلالة على انه
ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة لان العالم بانه لا يفلح الساحر
لا يسحر او من تمام قولهم ان جعل اسحر هذا محكيا كانهم قالوا اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح
ولا يفلح الساحرون وبابي قوله ايتوني بكل ساحر عليم لانه مظنة لطلب الفوز بهم وصيغة
الجمع للدلالة على اجتماعهم لا يجدي نفعا في طلبهم الفوز قالوا اجئتنا لتلفتنا
لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما وجدنا عليه اباءنا من عبادة الاصنام وتكون لكما
الكبرياء في الارض الملك فيها لان الملوك يوصفون بالكبر ويجوز ان يكون يقصد به مهما
لانهما يريدان ان يتكبرا ويتجبرا في الارض بقصد استتباع الناس وما نحن لكما بمؤمنين
مصدقين فيما جئتما به وقال فرعون ايتوني بكل ساحر عليم وقرئ بكل سحار
عليم حاذق فيه فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا استطالة عليهم وعدم مبالاة
بهم وفي ايهام ما انتم ملقون تحقيرا له وتقليلا واعلاما بانه لا شيء يلتفت اليه
فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين
ما موصولة مبتدا خبره السحر اي الذي جئتم به السحر الذي جئتنا به من ايات الله تعالى
وقرئ السحر على الاستفهام على ان ما استفهامية مبتدا تقديره اي شيء جئتم به والسحر
بدل فما او خبر مبتدا محذوف تقديره اهو السحر او مبتدا خبره محذوف تقديره السحر
هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده تقديره اي شيء اتيتم اسناد ونحو

لاحقيقة له ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره ولو كره المجرمون فما
آمن لموسى في اول امره الا ذرية من قومه الا طائفة من ذراري قومه اي
اولاد من بني اسرائيل دعا اباءهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون وقومه واجابته طائفة
من ابنائهم وبناتهم وقيل الضمير من قومه لفرعون والذرية طائفة من شبان قومه
او من آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة الخازن وماشطة ولا يناسبه
قوله على خوف من فرعون فان حق الكلام اظهار اسم فرعون ثمة واظهاره ههنا
وملائهم الضمير يرجع الى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال مضر وربيعة او لانه
واصحاب يأتمرون له فعلى هذا يكون من باب قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء
لا يجوز ان يكون جمعه على ما هو المعتاد من ضمير العظماء لان يكون عند قصد التعظيم
ولا يساعده المقام الى الذرية او قومه اي على خوف من فرعون عليهم وعلى انفسهم
بدليل قوله ان يفتنهم اي يعذبهم فرعون وهو بدل منه او مفعول خوف وعلى الوجه
الاول افراده بالضمير يحتاج الى التاويل بان يقال الخوف من الملأ كان بسببه وانما
على خوف للدلالة على شدة خوفهم كيلا يتقيد مع افادة على ان المصحوب ليس كالمذكور
وان فرعون لعال في الارض لغالب قاهر فيها استئناف لبيان المسبب في كون اولئك
المؤمنين خائفين فالمناسب ان يكون من الاسراف في قوله وانه لمن المسرفين متجاوزة
عن الحد المعتاد في التعذيب والقتل المخالفة في امر من الامور وقال موسى
لما رأى تخوف المؤمنين منه يا قوم ان كنتم آمنتم بالله صدقتم به تعالى وباياته
وفي ايراد ان ايماء الى ان حالهم حال المصدق بالله الصادق في الايمان الواثق به تعالى
فعليه توكلوا خصصوه بالتفويض اليه والتوبة في القصة من فرعون ثم شرط في
حصول التوكل وصحة الاسلام بقوله ان كنتم مؤمنين كما شرط في وجوبه الايمان
لان من قضية الايمان وجوب التوكل على الله تعالى ولا يصح التوكل الا مع تسليم
نفوسهم له تعالى خالصة سالمة ليس للشيطان فيها حصة ولا تخالطه فيه كقولك ان اتاك
زيد فاحسن اليه ان قدرت فقالوا على الله توكلنا لانهم كانوا مخلصين ولذلك قبل
توكلهم فاجاب دعاءهم ونجاهم واهلك من كانوا يخافون عذابه وبلاءه وجعلهم
خلفاء في ارضه ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين موضع فتنة لهم اي عذاب
يعذبوننا به او يفتنونا عن ديننا يقولون لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا ونجنا
برحمتك من القوم الكافرين ومن مجاهدة استعبادهم وسوء مجاورتهم وانما قدموا
التوكل على الدعاء لان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا لتجاب دعوته واوحينا الى موسى
واخيه ان تبوءا اي اتخذا مباءة اي مرجعا يرجع اليه لقومكما بمصر بيوتا تسكنون

فيها

فيها وترجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك البيوت قبلة
مصلى واقيموا الصلاة فيها قال ابن عباس رضي الله عنهما ان فرعون لما اتاه موسى
صلى الله عليه وسلم بالرسالة امر بمساجد بني اسرائيل فكسرت كلها وكانت مساجدهم ظاهرة
فامرهما الله تعالى ان يجعلاها لقومهما في جوف البيوت ولا يظهروها وبشر المؤمنين
بالنصرة في الدنيا او الجنة في العقبى وانما ثني الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ
المعابد مما يتعاطاه رؤس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلاة
مما ينبغي ان يفعله كل واحد ثم وحد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشرع
وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة ما يتزين به من لباس وحلي
وفرش وغير ذلك واموالا صنوفا من الاموال في الحياة الدنيا عن
ابن عباس رضي الله عنهما كانت لهم من لدن فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها
معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت ربنا ليضلوا عن سبيلك دعا عليهم
بما هو نتيجة بلفظ الامر للاباء عن قبولهم الدعوة والهداية وتحقق اصرارهم على الكفر
كقوله لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت ويحتمل ان تكون للعلة
لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال لما جعلوها سببا للضلال فكانهم
اوتوها للضلال فيكون ربنا تكريرا للاول تاكيدا وتنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم
وكفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس على اموالهم اهلكها والطمس المحق وقال
ابن عباس رضي الله عنهما بلغنا ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة
كهيئة الدراهم والدنانير واشدد على قلوبهم اشدد على القلوب الاستيثاق
منها واقسها حتى لا يدخلها الايمان اي والجم قلبهم حتى لا ينشرح لقبول الحق
فلا يؤمنوا جواب للدعاء الذي هو اشدد او دعاء بلفظ النهي وقيل ان جعلت اللام
في ليضلوا للعاقبة او التعليل فهو عطف عليه وقوله ربنا اطمس واشدد دعاء معترض بين
المعطوف والمعطوف عليه واعترض عليه بان الاعتراض بالدعاء لا يكون له حسن
موقع ولهذا عيب على النابغة قوله لعل زيادة الا بالله فاعل حتى يروا العذاب الاليم
اي ليروا ذلك ويحتمل الغاية او يروا العذاب الاليم وكان كذلك وقال قد
اجيبت دعوتكما يعني موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام لانه كان يؤمن
فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان
طلبتكما كائن في وقته روي انه مكث بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل
الذين لا يعلمون طريق الجهلة في الاستعجال فان الامور مقدرة معلقة
باوقاتها او عدم الوثوق بوعد الله تعالى قال الزجاج قوله ولا تتبعان موضعه

الجزم والتقدير ولا تتبعا الا ان النون المشددة دخلت على النهي مؤكدة وكسرت لالتقاء
الساكنين النون التي قبلها فاختير لها الكسرة لانها بعد الالف تشبه نون التثنية
واستضعفه ابن الحاجب وحمل على انه نفي بمعنى النهي لجواز العطف والواو للحال
ونقل المضارع المنفي لا تمنع من دخوله الواو وعليه اي انتفيا غير متبعين وهذا
اشد ملائمة وقرئ ولا تتبعان بتخفيف النون وتتبعان من تبع وجاوزنا
ببني اسرائيل البحر حتى بلغوا الشط فظهر لهم وقرئ جوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل
كضعف وضاعف فاتبعهم فرعون وجنوده اي طلبوا لحاقهم فقربوا منهم
واما الادراك فلم يحصل بغيا وعدوا باغين وعادين او للبغي والعدو حتى
اذا ادركه الغرق الغرق بالفتح القرب من الهلاك بغمرة الماء والغرق وتسكينها
الهلاك فيها قال آمنت انه قرئ بالفتح على حذف الباء التي هي صلة الايمان
وبالكسر على الاستيناف وبدل من آمنت وتفسيره لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل
وانا من المسلمين على الاول تكرير للمعنى الواحد بعبارتين مختلفتين وعلى الثاني بثلاث
عبارات شغفا على القبول لكن لما لم يبق وقت التكليف لم يقبل ولو بقي وقته لكفت
مرة واحدة كان مؤمنا ضرورة حصول التصديق القلبي ولم يكن مسلما لان
الاسلام تسليم النفس الى الله تعالى فاذا آمن في وقت خرجت نفسه اليه تعالى
اذ ليس نفسه في يده حينئذ فسلمها ولذلك وبخه بالعصيان المقابل للاذعان دون
الكفر المقابل للتصديق حيث الآن اي اتؤمن الآن وقد يئست من نفسك ولم
يبق لك اختيار وقد عصيت قبل قبل ذلك مدة عمرك وكنت من المفسدين
الضالين المضلين عن الايمان روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لما اغرق الله تعالى فرعون قال آمنت الى قوله بنو
اسرائيل قال جبريل فلو رأيتني يا محمد وانا آخذ من حال البحر فادسه في فيه
مخافة ان تدركه الرحمة اراد الرحمة في الدنيا كما ادرك قوم يونس صلى الله
عليه وسلم فنجوا من العذاب فليس فيه ما يدل على كراهة ايمان الكافر والرضى
بكفره لان الرضى بالشيء لا يستلزم الرضى بسببه الا ترى ان المريض يشرب الدواء
المستبشع كارها اياه راضيا بما يترتب عليه من منفعة الشفاء فمن وهم ان في قوله مخافة
ان تدركه الرحمة خللا لتاني احداهما ان الايمان يصح بالقلب كايمان الاخرس فحال
البحر لا يمنعه والاخرى ان من كره ايمان الكافر واحب بقاءه على الكفر فهو كافر
لان الرضى بالكفر كفر ونعم نبها على ذلك انه من زيادات الباهتين لله تعالى وملائكته
فقد وهم ثم انه على تقدير زيادته لا بهت فيه لله تعالى فاليوم ننجيك

ننقذك عما وقع فيه قومك من قعر البحر وتجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من الارض
ليراك بنو اسرائيل ببدنك في موضع الحال اي بدرعك وكانت له درع من ذهب
يعرف بها وقرئ بابدانك اي بدروعك كانه كان مظاهرا بينها او بخروجه من الماء
وظهوره على وجهه مع ما عليه من جسمه تفصيل اية اخرى وقيل اي ببدنك
عاريا عن الروح وكاملا سويا او عريانا من غير لباس اياه البدن لانها تقتضي وجود شيء
آخر غير البدن ولم يبق غير جسده على انه فرق بين البدن والجسد فان الاطراف
خارج عن الاول داخل في الثاني فحق المقام حينئذ ان يذكر الجسد بدل البدن
لتكون لمن خلفك آية لمن يأتي بعدك من السبطي والقبطي علامة اذ كان في نفوسهم
من عظمته ما خيل اليهم انه لا يموت حتى روي ان بني اسرائيل لم يصدقوا موسى صلى
الله عليه وسلم في اخبار بغرقه حتى عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل او
لمن يأتي بعدك من القرون اذا سمعوا ممن شاهدك عبرة ونكالا من الطغيان او
حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشأن وكبرياء الملك والسلطان
فهو بعيد عن مظان الربوبية وقرئ ننجيك بالحاء من التنحية وهي التبعيد بيد
على انه تنبيه البد لمن خلفك بالقاف اي بعدك عن الرحمة بما كسبت يداك من الكفر
لتكون من خالقك آية لخلقه فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على
انه قصد للكشف تزويرك واماطة الشبهة عن امرك دال على كمال قدرته وعلمه
وارادته وهذا الوجه محتمل على المشهورة ايضا ومن قال في تفسيره على القراءة
الاخيرة اي نلقيك بناحية الساحل فقد غفل ان من قرأه بالحاء قرأ بيدك
بالياء فوقع فيما وقع وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها
ولا يعتبرون ولقد بوأنا نزلنا بني اسرائيل مبوأ صدق منزلا خاصا مرضيا
وهو مصر والشام ورزقناهم من الطيبات من اسباب المعيشة المستطابة
فما اختلفوا اي كانوا على ملة واحدة وطريقة مع موسى صلى الله عليه وسلم في اول
حاله حتى جاءهم العلم بنزول التوراة فاختلفوا وهذا ذمهم من جهة ان العلم
سببا للاتفاق فصار عندهم سببا للاختلاف حتى تشعبوا شيعا بعدما قرأوا التوراة
وفي ترتيب ذلك الاختلاف الذي لا يخلو عن نوع كفران على انعامه تعالى عليهم
المنازل البهية والمطاعم الشهية والعلم بالاحكام تاكيد للذم لتنزيلهم الكفر
منزلة الشكر وقيل المراد من اختلافهم الاختلاف في امر محمد صلى الله عليه وسلم من
بعد ما علموا صدقه بنعوته وظاهر معجزاته ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة
فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق من المبطل ويجزي كلا منهم على استحقاقه وينزله

منزلة استيجابه على حكم وعده ووعيده فان كنت في شك مما انزلنا اليك كلام مبني
على الفرض والتقدير مؤكد بما هو وارد على سبيل التهييج وزيادة التثبيت فلا يستلزم وقوع
الترتيب والارتياب والتكذيب ولا امكانها اذ كل ذلك من باب فرض المحال وبناء الكلام عليه
اي من هو اكمل الناس يقينا واشرفهم رتبة واعز خلق الله تعالى عليه شك ولو كان موصوفا
بهذه الصفات الجليلة التي وصفوا بها لوقع في الخسران المطلق وكما دل على زيادة التثبيت
والعصمة له دل على سوء حال الشاكين فيه من بني اسرائيل فاسئل الذين يقرءون الكتاب
من قبلك من بني اسرائيل الذين آتيناهم الكتاب من قبلك فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو
ما انزلنا اليك والمراد اثبات نبوته صلى الله عليه وسلم بشهادة الاحبار وذلك انه لما ذكر
بني اسرائيل ووصفهم بالعلم اراد ان يقرر عليهم صحة نبوته عليه السلام وصدق القرآن
بشهادة علمائهم وكتابهم او وصف الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة نبوته صلى الله عليه وسلم
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا اشك ولا اسأل بل اشهد انه الحق وهذا الاقرار يبين
وجه تصديق الكلام باداة الترتيب على ما قبله وقيل الخطاب لكل من يسمع اي ان كنت في شك
ايها السامع مما انزلنا على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على ان كل من خالجته شبهة في الدين ينبغي
مراجعة العلماء لقد جاءك الحق من ربك اي ثبت عندك بالبراهين القاطعة والمعجزات الواضحة
فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين فاثبت على ما انت
عليه من الجزم واليقين وانتفاء المرية والتكذيب وقد مر انه من باب التهييج والالهاب كقوله
فلا تكونن ظهيرا للكافرين ان الذين حقت عليهم ثبتت عليهم كلمة ربك حكمه بانهم يموتون
على الكفر ويخلدون في العذاب لا يؤمنون اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه ولو جاءتهم
كل آية لانتفاء تعلق ارادته تعالى بايمانهم فانه لا بد منه في وجود كل ممكن حتى يروا العذاب
الاليم وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع لفرعون فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت
قرية واحدة من القرى التي اهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب وضيق الخناق ولم
تؤخر اليه كما اخر فرعون فنفعها ايمانها بان يقبله الله تعالى منها لوقوعه في وقت الاختيار
ويكشف عنها العذاب الا قوم يونس استثناء من القرى لان المراد اهاليها وهو
متصل والجملة في معنى النفي لتضمن التخصيص معناه كانه قيل ما آمنت قرية من القرى
الهالكة فنفعها ايمانها الا قوم يونس وانتصابه على الاستثناء والدليل عليه قراءته بالرفع
على البدل او منقطع اي امارات العذاب ولم يؤخر الى حلوله لما آمنوا كشفنا عنهم
عذاب الخزي في الحياة الدنيا والخزي الهوان الذي يفضح صاحبه ومتعناهم
الى حين الى وقت انقضاء آجالهم ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم حتى لا يشذ
احد منهم جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه وفيه دلالة على ان من شاء الله

تعالى

لما سلف له من النعمة ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وغنى بعد
سقم وغنى بعد عدم وفي ذكر الاذاقة مع النعماء والمس مع الضراء اشارة الى ان النعمة يجد
الانسان ذوقها ويتلذذ بها بخلاف الضراء فان المس مبتدأ الوصول ففيه دلالة
على قلة صبرهم كانهم لمجرد اثره ما جزعوا وكفروا النعمة الطويلة الزمان ليقولن
ذهب السيئات عني اي البليات التي ساءتني انه لفرح اشر بطر فخور على الناس
بما اذاقه الله تعالى من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر الا الذين صبروا
على الضراء وعملوا الصالحات شكرا لآلائه سابقها ولاحقها فان في قوله صبروا
دلالة على هذا لان الايمان نصف صبر ونصف شكر اي المؤمنين الذين عادتهم الصبر
عند زوال النعمة ووقوع الضراء والشكر عند النعماء والاستثناء من الانسان واللام للاستغراق
الجنس كما في قوله تعالى ان الانسان لفي خسر ومن خص الانسان بالكافر لسبق ذكرهم جعل
الاستثناء منقطعا اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير ثواب عظيم فلعلك
تارك بعض ما يوحى اليك هذا على النهي اي لا تترك بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف
رأي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به وهو كما يقول الآخر لعلك تريد ان تفعل كذا
وهو نهاه عنه ولما كان منشأ هذا النهي عن الصبر على اذى المشركين واستهزائهم
صح ترتيبه على كلام متضمن الحث والتحريض على الصبر ومن وهم وضائق به صدرك
وعارض لك احيانا ضيق صدرك وانما اختار ضائق على ضيق لان ضيقه ابلغ وهو
يناسب لفظ تارك ان يقولوا اي بان يقولوا وقيل الضمير في به مبهم وان
يقولوا تفسيره اي بضيق صدرك بسبب قولهم هذا لولا انزل عليه كنز ينفقه في
استتباع الناس كالملوك او جاء معه ملك يصدقه انما انت نذير ما عليك الا الانذار
وما عليك ان يقبلوا ولا يردوه بضيق صدرك بردهم وتهاونهم به والله على كل
شيء وكيل فتوكل اليه امرك فانه حافظ عليهم ما يقولون ويفعلون وفاعل بهم ما يجب
ان يفعل بهم ام يقولون افتراه ام منقطعة والضمير في افتراه لما يوحى
قل فاتوا بعشر سور مثله في البلاغة تنزلا وهذا قوله تعالى فليأتوا بحديث مثله ولو
على كل القرآن في ذلك الوقت فلما ظهر عجزهم عنه تحداهم بعشر سور فلما عجزوا عنه
ايضا سهل عليهم وتحداهم بسورة واحدة كما هو عادة المعارضين وتوحيد المثل
لان المراد المماثلة في حسن جهة البلاغة والاختلاف بين السور فيها فيما هو مثل
لاحدهما مثل لسائرها وفيه تنبيه على ان المراد المماثلة في حسن البيان لا في البديع
والمعاني مفتريات من باب المساهلة وارخاء العنان لما قالوا افتراه من عنده امر
بان امرهم بان يقاودهم على دعواهم ويقول هبوا اني افتريته فأتوا انتم بكلام مثله في

حسن النظم والبيان مفترى من عندكم فانتم فصحاء مثلي وادعوا من استطعتم
من دون الله تعالى الى المعاونة على المعارضة ان كنتم صادقين في انه مفترى
فان لم يستجيبوا لكم اي لك وللمؤمنين باتيان مثله كانهم ايضا كانوا يتحدونه
وكان امر الرسول صلى الله عليه وسلم متناولا لهم من حيث انه يجب عليهم اتباعه
في كل امر الا ما خصه الدليل وللتنبيه على ان التحدي مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة
يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه الامر الاتي ويجوز ان يكون الجمع في الخطاب
لتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون الخطاب للمشركين والضمير في لم
يستجيبوا لمن في من استطعتم اي فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى
المظاهرة على معارضته لعلمهم انهم عاجزون عن ذلك فاعلموا انما انزل ملتبسا
بعلم الله اي بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق وان لا اله الا هو واعلموا عند
عجز الكل ان لا اله الا الله وحده القادر على ما لا يقدر عليه احد وان الشرك
به ظلم وان ما يعبدونه ليس من الالوهية في شيء فهل انتم مسلمون بعد هذه الحجة القاطعة
ويجوز ان يكون الخطاب للمسلمين ومعناه واثبتوا على العلم بالتوحيد وزيدوا يقينا فهل انتم
دائمون على الاسلام مخلصون لله تعالى بازدياد اليقين وثبات القدم والطمانينة وفي تغيير
مقتضى الاستفهام بهل والعدول عن الفعل الى الجملة وسبك مسلمون من تسلمون ايذان
بطلب دوام الاسلام وقوة الثبات في الدين وانتم مطالبون بذلك لزوال العذر ووضوح
الدليل وقوته على خطاب المشركين وقيام موجب التوحيد يقتضي استحالة الشرك والمواظبة
على الاسلام مخلصون لله تعالى بازدياد اليقين وثبات القدم والطمانينة وفي تغيير مقتضى
الاستفهام بهل والعدول عن الفعل الى الجملة وسبك مسلمون من تسلمون ايذان بطلب دوام
الاسلام وقوة الثبات في الدين وانتم مطالبون بذلك لزوال العذر ووضوح الدليل
وقوته وعلى خطاب المشركين وقيام موجب التوحيد يقتضي استحالة الشرك والمواظبة
على الاسلام فابعدها لكم عن ذلك وفيه تهديد بليغ واقناط من ان يجيرهم من باس الله
تعالى شركاؤهم لان دليل التوحيد دال على نفي القدرة والالوهية عن الغير وعلى
الاذعان له من كان يريد الحياة الدنيا باحسانه وبره وزيادة كان للدلالة على
استمرار تلك الحال ولا بد منه في ترتيب ما ياتي ذكره وزينتها الزينة تحسين الشيء
بغيره من لبسه وحليته وغير ذلك نوف اليهم اعمالهم وقري يوف بالياء اي يوف
الله تعالى ويوف على البناء للمفعول ويوفي بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض جزاء
اعمالهم من الصحة والامن وسعة الرزق وكثرة الاولاد والتوبة تادية الحق على
تمام فيها في الحياة الدنيا وهم فيها اي في حق الاعمال ولا يجوز عود الضمير الى

الحياة

الحياة الدنيا لانه من الاعادة بدون الافادة لا يبخسون البخس نقصان الحق ظلما
يعني لا ظلم في ايفاء جزاء اعمالهم في هذه الدار دون ابقائه الى دار القرار فما ذكر ليس
الا تاكيدا في عامة الكفرة وغيرهم اولئك الذين ليس لهم في الاخرة ان لوحظ فيهم
تمام يقابل العمل يكون الكلام على طريقة بشر قاتل الزنبور بالنار الا النار وما
فيها من انواع العذاب والا فالاقتصار على ذكر النار من قبيل الاكتفاء عن الشيء بذكر
منبعه وذلك لانهم استوفوا ما يقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت عليهم اوزار
العزائم السيئة وحبط ما صنعوا فيها في مصلحة الاخرة من وجوه البر المشروع من
التكليف لانه خلاف مقتضى الطبع وهوى النفس ولهذا عبر عنه بالصنع وانما قال
حبط لانه ليس باطلا في حد نفسه كقرينه الاتي ذكره الا انه لا يجدي في الاخرة
لانه لم يقارن شرط القبول وهو الايمان وباطل في نفسه ما كانوا يعملون
ما اعتادوه واعملوه من مصالح الحيوة الدنيا واسباب زينتها وللدلالة على الاستمرار
التجددي جمع بين كان وصيغة المضارع كما في قوله من كان يريد الحيوة الدنيا
ومجموع الجملتين علة لما قبلها وقري بطل على الفعل وباطلا على انه مفعول يعملون وما ابهامية
او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام افمن كان على بينة من ربه كمن
كان يريد الحياة الدنيا في المنزلة والرتبة يعني ان بين هؤلاء الكاملين المحققين وبين
اولئك المنافقين المقصرين بونا بعيدا وتفاوتا عظيما فالهمزة لانكار المماثلة
بينهما والفاء لتفريع هذا الانكار وترتيبه على ما تقدم من بيان مساواة حال تلك
الناقصين فهي متقدمة معنى وان اخرت عن الهمزة لفظا لاقتضائها الصدارة
في الكلام ومن ذهب الى ان الفاء عاطفة للتعقيب مستدعية ما يعطف عليه
فالتقدير من كان يريد الحياة الدنيا فمن كان على بينة من ربه والخبر محذوف لدلالة
الفاء عليه اي يعيبونهم ويقربونهم والاستفهام للانكار وهذا التعقيب فقد تكلف واما
من اختار التقدير الاول وزعم ان الهمزة لانكار التعقيب فلم يكن على بصيرة حيث
خلط بين الوجهين فخبط ويتلوه اي يتبع ذلك البرهان الذي يتضمن الدليل
العقلي لكونه معجزا شاهد منه عيسى صلى الله عليه وسلم حيث بشر ببعثته نبينا
وهذه البشارة منه شهادة بحقيقة دين الاسلام والتنكير للتعظيم وكذا قوله منه
اي من الله تعالى ومن قبله اي من قبل ذلك الشاهد كتاب موسى يعني التوراة
فانه ايضا يتلوه في التصديق وقري كتاب بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه والضمير
في قوله للقرآن الذي عبر عنه بالبينة فالمعنى ان الشاهد هو المذكور يتبع الكتابين
القرآن والتوراة اماما كتابا يؤتم به في الدين تذوق فيه ورحمة تامة

على المنزل اليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين اولئك اشارة الى من كان على بينة
يؤمنون به بالقران ومن يكفر به من الاحزاب من اصناف الكفار مشركا كان
او كتابيا فالنار موعده يردها لا محالة لانه تعالى لا يخلف الميعاد فلا تك في
مرية منه من القران وقيل من الموعد وقوله انه الحق من ربك ظاهر في الاول
وقرئ مرية بضم الميم وهما لغتان وتذكر في اول سورة البقرة الفرق بينهما وبين
الريب والشك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون بكون من عند الله تعالى لقلة نظرهم
وقصور تدبرهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان اسند اليه ما لم ينزله او
نفى عنه ما انزله وتقدم ما يتعلق به في تفسير سورة الانعام اولئك يعرضون
على ربهم يحبسون في الموقف وتعرض اعمالهم ويقول الاشهاد من الملائكة والنبيين
جمع شاهد وشهيد كاصحاب واشراف وانما وصفهم لذلك لانهم يختصون بهذا العرض
لان العرض عام في كل العباد كما قال الله تعالى وعرضوا على ربك صفا بل اراد به انهم
يعرضون فيفتضحون بقول الاشهاد عند عرضهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم بنسبة
الولد والشريك اليه ونفي ما انزله عنه الا لعنة الله على الظالمين من قول الاشهاد
او قول الله تعالى وفيه تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ الذين يصدون عن سبيل الله
عن دينه ويبغونها عوجا يصفونها بالاعوجاج او يبغون اهلها او يبغوا بالارتداد
والاعوجاج الانحراف والميل المؤدي الى الفساد تقول بغيتك خيرا او شرا اي طلبت
لك وهم بالاخرة كافرون والحال انهم كافرون بالاخرة وتكريرهم لتاكيد كفرهم
واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين اي ما كانوا معجزين الله تعالى في الدنيا ان
يعاقبهم ومعنى معجزين مغلبين لا يقدر عليهم وانما قال في الارض لان تصرف ابن ادم
وتنقله انما هو فيها وهي قصاراه لا يستطيع التجاوز عنها وما كان لهم من دون الله
اثبت ذكر الله هنا واسقطه فيما سبق وكان مقتضى الظاهر اثباته ثمة والاكتفاء
بالضمير هنا وانما عدل اليهما دفع اخترازا عن اضافة المعجزات اليه تعالى صريحا من اولياء
يمنعونهم من العقاب ولكنه اخرهم الى هذا اليوم لتضاعف عذابهم فقوله يضاعف
لهم العذاب استيناف في مقام التدارك بالجواب للسؤال عن وجه تاخير العقاب
والله اعلم بالصواب ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم كراهة استماع الحق كانهم
لا يقدرون على استماعه وما كانوا يبصرون لفرط تعاميهم كراهة ايمان وكانه
العلة المضاعفة للعذاب اولئك الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الاوثان
بعبادة الله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها او خسروا ما
بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم مذهب الخليل

وسيبويه

وسيبويه انه ركب من لا وجرم وبني والمعنى حق وما بعده رفع به على الفاعلية
وقال الكسائي معناه لا صد ولا منع فيكون جرم اسم لا وهو
مبني على الفتح انهم في الاخرة هم الاخسرون لما كان خسران
النفس اعظم الخسران على كل خاسر من سواهم ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات واخبتوا الى ربهم اطمانوا اليه بالخشوع من الخبت وهو الارض
المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون مثل الفريقين
الكافر والمؤمن وقدم الكافر اعتبارا للسياق كالاعمى والاصم والبصير والسميع
شبه فريق الكافرين في عدم انتفاعهم بالمشاعر بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالسميع
والبصير والتشبيه بحسب جليل النظر من قبيل المفرد وبحسب دقيقه من قبيل المركب
لانه ابلغ والتعبير بالمثل انسب وذلك ان المقام يحتمل تشبيه الفريقين بالجامع بين العمى
والصمم والجامع بين السمع والبصر على ان الواو في والاصم والبصير للجمع بين الصفتين
كما في قوله الصابح والغانم والايب وتشبيه احدهما بكل واحد من الاعمى
والاصم والاخر بكل واحد من السميع والبصير فيكون لكل منهما تشبيهان كما في قوله

كان قلوب الطير رطبا ويابسا … لدى وكرها العناب والحشف البالي وهو

من باب اللف والطباق والوجه هو الاول لانه تقسيم الكفار الى مشبه بالاول ومشبه
بالثاني وكذلك المؤمنون غير مقصود في الاية بخلاف البيت المذكور المراد تشبيه حال
هؤلاء الكفرة الغاوين الموصوفين بالتصام عن ايات الله تعالى بحال من خلق اعمى
واصم لا ينفعه اشارة ولا عبارة وحال هؤلاء الذين امنوا وعملوا الصالحات فانتفعوا
باسماعهم وابصارهم اهتداء الى الجنة والكف عما كانوا خابطين فيه من ضلال
الكفر والرحبة بحال من هو بصير سميع يستضيء بالانوار في الظلام ويستضيء
مغانم الانذار والابشار فوزا بالمرام هل يستويان اي الفريقان والاستفهام
انكاري مثلا صفة او تشبيها افلا تذكرون بالتامل فيما ضربناه من
المثل فالفاء لترتيب الاستفهام التقريري على ما تقدم وتاخرها لفظا لرعاية
ما للاستفهام من حق الصدارة في الكلام ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير
قرئ اني بالكسر على ارادة القول او قائلا اني وبالفتح فتقديره باني
اي ارسلناه ملتبسا بهذا الكلام افصل به الياء فتح والمعنى على الكسر كما فتح
ان في قولك اي زيدا كالاسد اذا اتصل به الكاف فقيل كان زيدا كالاسد
اذا اتصل به الكاف فقيل كان زيدا كالاسد والمعنى نحاله مبين ابين
لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص عنه ان لا تعبدوا الا الله بدل من

ان لكم على قراءة الفتح وعلى قراءة الكسران مفسرة متعلقة بنذيرا او بارسلنا
ويجوز ان يكون المعنى بان لا تعبدوا الا الله على انها صلة ارسلنا كانه قيل ارسلناه
بنهيهم عن الاشراك قايلا اني نذير   اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم وصف
اليوم باليم من الاسناد المجازي لوقوع الالم فيه كقوله نهاره صايم   فقال
الملاء الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا ارادوا به نفي رسالته
بطريق البرهان بناء على زعمهم ان الرسول يجب ان يكون ملكا واما ما قيل اي لا نرى
لك علينا تفضلا بالنبوة ووجوب الطاعات نفى قوله وما نرى لكم علينا من فضل
فقوله مثلنا لتحقيق البشرية وقوله   وما نراك اتبعك الا الذين هم
اراذلنا   استدلال بانهم ضعفا العقول لا يتبعهم لتجوزوا ان لا يكون الرسول
بشيرا والاراذل جمع الارذل وهو بمعنى الاخس فانه بالغلبة صار كالاسم كالاكبر
والارذل جمع رذل   بادي الراي   قرى بالهمزة من بدا يبدا بدا اذا ابتدا
الى اول الراي وبغير الهمزة من بدا يبدو اذا ظهر اي ظاهر الراي نصب على الظرف
والعامل اتبعك اي اتبعوك وقت حدوث ظاهر رايهم لحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه   وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا
ظاهرا من الحيوة الدنيا كان الاحظ بها اشرف والمحروم منها ارذل
وما نرى لكم   اي لك ولمتبعيك فغلب المخاطب على الغايبين   علينا
من فضل   التنكير للتقليل فهذا القول منهم تسجيل بان دعوى
النبوة باطلة لادخاله عليه السلام الارذل في سلك اسلوب يدل على انهم انقص
البشر فضلا عن الارتقا الى درجة التفضيل   بل نظنكم كاذبين   اياك في
دعوى النبوة باطلة لادخاله عليه السلام الارذل في سلك على اسلوب يدل
على انهم انقص البشر فضلا عن الارتقا الى التفضيل بصدقك وكانهم اظهروا الاحتراز
عن الجراف والانتصار على قدر الحاجة ولهذا اعدلوا عن دعوى اليقين الى دعوى
الظن الكافي في ايجاب العاقل الموجبه   قال يا قوم ارايتم   اخبروني ان
كنت على بينة من ربي   اي حجة شاهدة بصحة دعواي   واتاني رحمة من عنده
هي النبوة   فعميت عليكم   خفيت عليكم البينة لان خفاها يوجب خفا النبوة
او النبوة بعد ظهور البينة او كل واحدة منهما او قدر عميت بعد البينة لحذف
للاختصار والاكتفا بذكره مرة كقوله بين ذراعي وجبهة الاسد ويجوز ان
يراد بالبينة الرحمة مع النبوة   وقرى فعميت بالتشديد اي اخفيت
وتخفي لنعماها اي ان الفعل لله تعالى   انلزمكموها   انكرهكم على الاهتداء

بها

درجه

بها جواب ارايتم ساد مسد جواب الشرط واذا اجتمع ضميران وليس احدهما مرفوعا وقدم
الاعرف جاز في الثاني الاتصال كما وقع ههنا والانفصال كما لو قيل انلزمكم اياها
وانتم لها كارهون   لا تختارونها ولا تتاملون فيها   ويا قوم لا اسالكم عليه
الضمير راجع الى قوله لهم اني لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله وهذا اي الرجوع الى
القول اولى من الرجوع الى المدلول لان الاجر في مقابلة الشغل بالقول المشتمل على الانذار
هو المقابل بالاجر   مالا   جعلا حتى يتفاوت الحال بسبب كون المستجيب فقيرا او غنيا
ففيه الجواب عن قولهم ما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا   ان اجري الا على الله
بالتزامه تفضلا لا بالايجاب شرعا او عقلا   وما انا بطارد الذين امنوا
جواب لهم حين سالوه طردهم ليؤمنوا به نفقة من ان يكونوا معهم ولما لوح
اليهم ما شككهم في امرهم وترددوا في علته قال   انهم ملاقوا ربهم   اي
فايزون بلقاء ربهم وقربه فكيف اطردهم ويجوز ان يكون جوابا عن قولهم اتبعوك
بادي الراي بمعنى انا لا نعمل لعمل بظاهر ما ارى فاكتفي بظاهر ايمانهم او احال باطنهم الى الله
تعالى لانهم ملاقوه فيجازيهم على سرايرهم   ولكني اراكم قوما تجهلون   استدراك
عما تقدم من قولهم ما نراك اي لا حقيقة الى رايتم لكنكم ما رايتم بيننا شيا ولكني
اراكم قوما تجهلون ما لا ينبغي ان يخفى على الرجال من ان الناس لا يتفاضلون بالاحساب
والانساب والاموال بل باتباعنا الكمال من الاعمال والاحوال وبما قررناه تبين وجه
ادراج قوله قوما في الكلام وادماج دقيقة انيقة في اثناء تقريب المرام
ويا قوم   تلطف نوح عليه السلام بندائه اياهم بقوله يا قوم
استدراجا لهم في قبول كلامه كما تلطف مومن ال فرعون بقوله يا قوم
يا قوم   من ينصرني من الله   بدفع انتقامه   ان طردتهم   وهم بتلك المثابة
من القرب والكرامة عند الله تعالى   افلا تذكرون   لتعرفوا ان توقيف
الايمان على طردهم ليس بصواب   ولا اقول لكم عندي خزاين الله   خزاين رزقه
ونعمه اي كما لا اسالكم مالا فكذلك لا ادعي اني املك مالا ادفعه لاتباعي فلا غرض
لي في المال لا اخذا ولا دفعا   ولا اعلم الغيب   حتى اصل الى ما اريده لنفسي ولاتباعي
عطف على لا اقول لا على عندي خزاين الله وانما لم يات فيه بنفي القول
للفرق الدقيق بينه وبين ما اتى فيه لنفسه وقد مر بيانه في تفسير سورة
الانعام واما فايدة تكرار لا انك اذا اكدت به لا ازال احتمال المعية في النفي فقد
اذنت انك في الكلام محق باق على اليقين بعيد عن السهو والتجوز   ولا اقول
اني ملك   بعبادته جواب عن قولهم ما انت الا بشر مثلنا وباشارته جواب

عن طعنهم فيه عليه السلام لمخالطته للفقراء اي لا انعاظم عليكم
بل طريقي الخضوع والتواضع ومن كان شانه وطريقه كذلك لا يستنكف
عن مخالطة الفقراء والمساكين ولا يطلب مجالسة الاغنياء والسلاطين فلما كانت
طريقتي توجب مخالطة الفقراء لي فكيف جعلتم ذلك عيبا علي ثم اكد هذا بقوله
ولا اقول للذين تزدري اعينكم اي في شان من استرذلتموه لفقرهم الازدراء
افتعال من زرى عليه اذا عاب واذدري به فضربه وازدريته اي احتقرته
واسناد الازدراء الى الاعين مجاز للمبالغة والتنبيه على انهم استحقروهم بادي
الرؤية من غير روية بل بما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم من غير
تامل في معتقدهم وكمالاتهم لن يؤتيهم الله خيرا عسى ان يكون ما اعد
الله لهم في الاخرة او في الدنيا والاخرة خيرا مما اتاكم من الغنى الله اعلم بما في
انفسهم من الايقان وعدمه اني اذا ان فعلت او قلت شيئا من ذلك
لمن الظالمين انفسهم بطرد من امرت بقبوله قالوا يا نوح قد جادلتنا
اي خاصمتنا يقال جادله اذا خاصمه ليرجعه عما عليه واصله الجدل وهو الفتل
فاكثرت جدالنا فاطلته او اتيت بانواعه فاتنا بما تعدنا
من العذاب المعجل ان كنت من الصادقين في الوعيد فان مناظرتك لا تؤثر
فينا ولا تفيد قال انما ياتيكم به الله ان شاء اي ليس الاتيان
به الي انما هو الى الذي عصيتموه وكفرتم به يفعله ان شاء كما شاء عاجلا او اجلا
وما انتم بمعجزين بدفع العذاب او الهرب عنه ولا ينفعكم نصحي النصح
امحاض ارادة الخير في الدلالة ونقيضه الغش وقيل هو اعلام موضع الغش
ليتقى والرشد ليبتغى اذ اردت ان انصح لكم شرط ودليل جواب له والجملة
دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم ان اردت ان انصح لكم مع
وقوع النصح استظهارا في الحجة لانهم ذهبوا الى انه ليس ينفع نفعا لو كان نصحا
ما نفع من لا يقبله وقيل دلالة على ان ارادة الله تعالى يصح تعلقها بالاغواء وان
خلاف مراده تعالى غير واقع هو ربكم خالقكم ومنشئكم في الدنيا الى وقت اهلاككم
واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتراه قال مقاتل
هذا الكلام في شان محمد صلى الله عليه وسلم اعترض في قصة نوح عليه السلام
وهذا اظهر وانسب بالسياق لانه كالتقرير لقوله ام يقولون افتراه دلالة على
كمال العناد وان مثله بعد الاتيان بالقصة على هذا الاسلوب المعجز لا ينبغي
ان ينسب الى افترائه فجاز زيادة انكار على انكار كانه قيل بل انعم هذا البيان

ايضا

ايضا يقولون افتراه وهو نظير اعتراض قوله وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم بين
قصة ابراهيم عليه السلام على احد الوجهين قل ان افتريته فعلي اجرامي اي ان ثبت
افترائي فعلي عقوبة اجرامي وكان حقي حينئذ ان تعرضوا عني وتعاونوني وانا
بريء مما تجرمون اي ولم يثبت ذلك بل هو فرض محال وانا بريء من افترائكم اي
نسبتكم اياي الى الافتراء وانما عدل الى المنزل على طريقة المشاكلة او ما حالكونهم مجرمين
وان المسئلة معكوسة واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن
هذا الاستثناء من اللفظ للمبالغة في التحريم فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اقنطه
الله تعالى في ايمانهم على وجه ابلغ ثم نهاه ان يغتم بما اتوا عليه من تكذيبه
التكذيب والاستهزاء والابتئاس حزن في استكانة واصنع الفلك باعيننا متلبسا
باعيننا ولما كان العين هي الجارحة التي بها يحفظ الشيء عبر بكثرتها عن المبالغة في
الحفظ والرعاية عن الاختلال والزيغ عن صنعته وعن مزاحمة العدو له
وكيده في المنع ومن عمله على طريقة التمثيل ووحينا اليك كيف تصنعها
ولا تخاطبني في الذين ظلموا نهي عن التكلم فيهم مبالغة في النهي عن الدعاء
في استدفاع العذاب عنهم انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل
الى كفه ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملا
من قومه سخروا منه من عمل السفينة وكان يعملها في برية بعيدة من الماء
اوان عزته فكانوا يتضاحكون منه ويقولون يا نوح صرت نجارا بعد
ما كنت نبيا والسخر الاستجهال مع الاستهزاء او مصدره سخري بضم
السين والمصدر من السخرة سخري بكسرها قال ان تسخروا منا فيه
تنزيل المحقق منزلة المشكوك تمهيدا لما قصدوه من تجهيلهم فيما تعلوه
فانا نسخر منكم كما تسخرون المراد من سخريته عليه السلام مجرد
الاستجهال واطلاق السخرية عليه بطريق المشاكلة اي انا نستجهلكم
في استجهالكم ايانا على ظاهر الحال وجهلا بحقيقة الامر كما هو عادة الجهال
والسخرية بهذا المعنى منه عليه السلام في الحال ومن قال اذا اخذكم الغرق
في الدنيا والحرق في الاخرة فقد حملها على الحقيقة وكانه لم يدر
ان الاستهزاء لا يناسبه عليه السلام فسوف تعلمون تهديد
بليغ من ياتيه عذاب يخزيه يعني من ياتيه اياهم ويعذاب يخزيه
الغرق في الدنيا ويحل عليه حلول الدين اللازم الذي لا انفكاك
له عنه في الاخرة عذاب مقيم دائم هو عذاب النار حتى اذا جاء امرنا

غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام وفار التنور كما يفور القدر بالغليان اي نبع الماء وارتفع من الارض لشدة الارتفاع والتنور تنور الخبز ابتداء منه بلا نبوع على خرق العادة قلنا احمل فيها الضمير للسفينة وكانت ذات بطون والمحمولون كانوا في بطونها على طبقاتهم وهذا قال فيها دون عليها من كل من كل نوع منه زوجين الزوج واحد له شكل فالذكر زوج وقد يطلق الزوج على مجموعهما ولدفع هذا الاحتمال قال اثنين وانما لم يحمل من كل نوع اثنين اخراجا للفعل عن حيز الامر بالجمل بعدم الحاجة اليه وقرئ من كل زوجين بالاضافة على معنى احمل اثنين من كل زوجين واهلك عطف على زوجين او اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين ولما كان القول السابق ضارا لهم قال عليه دون فيه استثنا من المعنى اللازم للامر وكانه قيل انهم لا يغرقون الا من سبق عليه القول يعني ابنه كنعان وامرأته واعلة فانهما كانا كافرين فاندفع السؤال بانه لا يخلو من ان يكون المستثنى معلوما لنوح عليه السلام فلا وجه لقوله رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق اولا فيلزم استثنا المجهول من الذين امر عليه السلام بحملهم على السفينة ولا اولا وجه له ومن امن اي والذين امنوا من غيرهم وافردهم بالذكر مع انهم من امنوا المصلحة الاستثنا المذكور المتضمن للاشارة الى ان الانتساب اليه عليه السلام لا يجدي نفعا في دفع العذاب المذكور وانما المنجي عنه هو الاتباع له عليه السلام وما امن معه الا قليل اختلفوا في عدده ولا فائدة في تعيينه وكلمة مع ههنا كالتي في قوله واسلمت مع سليمان وقال اي وقال نوح عليه السلام لمن امن معه اركبوا فيها والركوب العلو على ظهر الشيء وهو يتعدى بنفسه فيقال ركبت السفينة وزيادة في لانه عليه السلام امرهم ان يكونوا في جوفها لا على فوقها بسم الله متعلق باركبوا حالا من ضمير الفاعل اي اركبوا مسمين الله تعالى او قائلين بسم الله مجريها ومرسيها نصب على الظرف اي وقت ارسائها واجرائها لانهما اسما زمان او مصدران كالاجراء والارساء بحذف الوقت كقولهم خفوق النجم ويجوز ان يكونا اسمي مكان

وانتصابهما بما في اسم الله من معنى الفعل وارادة القول ويجوز ان يكون بسم الله مجريها ومرسيها جملة من مبتدا وخبر في موضع الحال من ضمير الفلك اي اركبوا فيه مجراه ومرساه بسم الله بمعنى التقدير كقوله ادخلوها خالدين او جملة مقتضبة على ان نوحا عليه السلام امرهم بالركوب فيها ثم اخبرهم بان اجراها وارساها باسم الله تعالى فيكونان كلامين له عليه السلام يروى انه اذا اراد ان تجري قال بسم الله جرت واذا اراد ان ترسو فقال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجريها وارسيها اي بقدرته وامره وقرئ مجريها ومرسيها بفتح الميم من جرى ورسى مصدرين او زمانين او مكانين وقرئ مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل مجروري المحل صفتين لله تعالى ان ربي لغفور رحيم لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم وهي تجري بهم متعلق المحذوف دل عليه اركبوا اي فركبوا مسمين وهي تجري بهم والباء بهم كالتي في قولك دخلت عليه بثياب السفر والجري مر سريع والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار تلك الحالة العجيبة في موج جمع موجة وهي قطعة عظيمة ترتفع عن جملة الماء الكثير عند اضطرابه كالجبال شبه كل موجة بجبل في تراكمها وارتفاعها وفي قوله في موج رد لما قيل ان الماء طابق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجري في جوفه اذ حينئذ لا مجال للموج والحمل على انه في ابتداء الحال يأباه المقام لانه مقام المبالغة في بيان تلك الاهوال فلا حاجة للاكتفاء بذكر اوائلها ونادى نوح ابنه كنعان وقرئ ابنها وابنه بفتح الهاء اكتفاء بالفتحة عن الالف والضمير لامرأته على انه كان ربيبه وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف وكان في معزل العزل موضع منقطع عن غيره وكان كنعان في ناحية منفصلة عن موضعه عليه السلام يا بني قرئ بكسر الباء اقتصارا عليه من ياء الاضافة وبالفتح اقتصارا عليه بالالف المبدلة من ياء الاضافة في قولك او سقطتا لالتقاء الالف والياء لالتقاء الساكنين لان الراء بعده ساكنة اركب اي اركب السفينة معنا مسلمين وقرئ بادغام الباء في الميم لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين فتهلكوا حالة كانت ملتبسة عليه عليه السلام لانه كان ينافقه ولهذا سعى في خلاصه بعد العلم بان الكفار كلهم مغرقون واما السؤال بانه كيف ساغ له الامر بركوبه في

السفينة بعد العلم بانه من جملة المستثنى من اهله المامور بحملهم فقد مر وجه
اندافعه قال ساوي الى جبل عظيم يعصمني من الماء يمنعني بارتفاعه قال
لا عاصم اليوم من امر الله انما قال اليوم لان في ساير الايام يوجد عاصم من امر
الله على ما نطق به قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه
من امر الله والمراد من امر الله الافات الواقعة على خلاف العادة الا من رحم
الله اي الا الله الذي قد رحمنا بان امننا من الغرق وفي العدول من الضمير الى
الموصول زيادة تفخيم وتحقيق لرحمته وان رحمته هي المعتصم لا الجبل وقيل
لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة الا من رحمه الله وحال بينهما الموج بين نوح
عليه السلام وبين ابنه لا بين ابنه والجبل لمكان التفريع في قوله فكان
من المغرقين اذ لا دخل للحيلولة بينه وبين الجبل في صيرورته من المهلكين
بالماء لما مر انه ليس بعاصم وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي البلع
الازدراد والمراد به نشف الماء على طريقة الاستعارة لا غور الماء في الارض
لان فعل الارض هو النشف دون الغور فانه فعل الماء بطبعه والاقلاع
اذهاب الشيء من اصله حتى لا يبقى له اثر يقال اقلعت السماء اذا ذهب مطرها
حتى لا يبقى منها شيء شبهت السماء والارض في سرعة انقيادهما لامره بهما وانفعا
لهما بفعله فيهما بلا توقف وقبول ما يريد منهما مع تعلق الارادة بغير اشاع
بالمامور المطيع للامر المطاع القادر على ما شاء الذي اذا امر سارع الى الامتثال
من غير ريب وبادر الى الطاعة بلا لبث خشية وهيبة من عظمته وجلاله فنودي
بما ينادي به العاقل المميز المطرب افنا له وامرنا بما يؤمر به المدرك
المتفطن لما امر به تنبيها على كمال قدرته ونفاذ امره ومشيته في الكل
وغيض الماء من غاضه اذا نقصه وقضي الامر وانجز ما وعد من هلاك
الكافرين وانجاء المؤمنين واستوت واستقرت السفينة على الجودي
جبل بالموصل وقيل بعدا للقوم الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا اذا صار
بعيدا بحيث لا يرجى عوده استعير للهلاك وخص بدعاء السوء وايراد الاخبار
على الفعل المبني للمفعول للدلالة على عظمة الفاعل وجلالة قدره وعلو شانه
وانه لا يمكن ان تكون تلك الافعال والاثار الا لله الواحد القهار القادر على
ما يشاء ويختار وانه متعين عند العقل بدليل ابين من اللفظ ويستحيل ان
يشاركه فيها غيره ولا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء
اقلعي ولا ان يقضي ذلك الامر العظيم الهايل سواه ولا ان تستقر السفينة

بعد اضطرارها الا بامره وتقديره ولان يهلك الظلمة ذلك الهلاك القطيع
الا بقهره وتدبيره وقد جمعت الاية من فخامة المعنى وجزالة اللفظ وحسن
النظم ورصافة التركيب ووضوح الدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالي
من الاخلال ما تاهت الافهام في مجاريه واستقلت الالباب من كثرة النكات
ولطايف المعاني التي تجري به بدايع الطباق والجناس التي فيه لانها وان كانت
تحسن ظاهر الكلام وتزين ديباجة النظام لكنها بالنسبة الى اللطايف المعنوية
كالقشر من اللباب وكالزردي من صفو الشراب ونادى نوح ربه
اريد النداء في نفسه ولا دلالة في عطف قوله فقال على تقدير الارادة
فانه من قبيل عطف المفصل على المجمل بل نقول لا وجه لتقديرها لان الاخبار
عنها خالٍ عن فايدة الخبر ولازمها رب ان ابني من اهلي الذي وعدتني انجائهم
بالركوب في السفينة وان وعدك الحق وان كل وعد تعده لا يتطرق اليه
الخلف وانت احكم الحاكمين لانك اعلمهم واعدلهم فلا يشوب حكمك ذلل
ولا خلل فترجع وهذا ابني قد حرم عن الركوب في السفينة ومر بي السبب
فيه حتى اكون على علم فيسكن قلبي ومبنى هذا على زعمه ان ابنه ليس بكافر لما انه
كان ينافقه على ما تقدم بيانه وهذا النداء منه عليه السلام وان كان بعد
مكالمته مع ابنه لكن قوله ساوي الى جبل الخ لا يدل على كفره لجواز ان يكون قد
ظن ان الصعود على الجبل الشامخ يجري مجرى ركوب السفينة وانه يصونه
عن الغرق وبعد اخبار ابيه انه لا عاصم اليوم من امر الله حال الموج بينه
وبين ابنه فلم يبق له مجال الركوب وانما قلت انه بعد المكالمة لانه لو كان قبله
لما ساغ له عليه السلام ان يقول يا بني اركب معنا اذ حينئذ يكون معلوما له
عليه السلام انه من الذين نهي عن حملهم في السفينة قال يا نوح انه ليس من اهلك
لانقطاع الولاية بين الكافرين والمؤمنين واشار اليه بقوله انه عمل
غير صالح فانه تعليل لنفي كونه من اهله وابدل فاسد بغير صالح تصريحا
بالمنافاة بين وصفيهما الموجبة لانتفاء القرابة بينهما وتنفيا لما اوجب النجاة
لمن نجا من اهله وايماء الى ان من نجا من اهله انما نجا بالصلاح لا بقرابته وقرئ
انه عمل غير صالح اي عمل عملا غير صالح وجعل ذاته نفس العمل للمبالغة في ذمه
واصله ذو عمل فاسد فحذف ذو فلا تسألن قرئ بتشديد النون من غير
ياء وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء ما ليس لك به علم اي لا تطلب مني ما لا تعلم
اصواب هو ام ليس بصواب حتى يتبين لك وجه كونه صوابا وانما نهاه عن ذلك

لتضمن كلامه بتذكير الوعد بنجاة اهله استجارة في حق ولده وهذا لانه عليه
السلام لم يكن حينئذ عالما باهلاك ابنه ولا دلالة على هلاكه في حيلولة الموج بينهما
واما ظاهر كلامه عليه السلام وهو سؤال استفسار عن المانع لكونه محمولا
في السفينة مع كونه من اهله الذين ورد البشارة في حقهم بذلك فلا يناسبه
النهي عنه خصوصا مع التقييد بقوله ما ليس لك به علم فانه باعث للاستفسار
دون الانتهاء عنه اني اعظك الوعظ الزجر عن القبيح بما يدعو الى الجميل
على وجه الترغيب والترهيب ان تكون من الجاهلين انما سماه جهلا
ونهاه عنه لانه لما استثنى عند الوعد بقوله الا من سبق عليه القول
فقد نبه ان من اهله من يهلك فكان الواجب عليه ان يوطن نفسه
على ان من اهله من يستوجب العذاب وقد دل ظاهر حال ابنه انه منهم
فلا رخصة في حقه بسؤال الاستجارة قبل ان يتبين حاله فعوتب على ذلك واما
سؤال الاستفسار وان كان يلتمسه ايضا هذا القول لكن المقيد المقدم ذكره
لا يتحمله على ما نبهت عليه انفا واما ما قيل ان استثناء من سبق عليه القول من
اهله قد دله على الحال واستغناه عن السؤال لكن شغله حب الولد عنه حتى
اشتبه عليه الامر فنساه على ان يكون الاستثناء المذكور من لفظ اهله وقد
عرفت ما فيه من الاشكال فانه يبعد علمه عليه السلام ان ابنه مستثنى من الذين
امر بحملهم في السفينة يكون قوله يا بني اركب معنا عصيانا والاعتذار بما ذكر
لا يجدي نفعا قال رب اني اعوذ بك العياذ الاعتصام بما يمنع من الشر
ان اسالك اي اطلب منك ما ليس لي به علم بحاله لاحتمال الخطا وهذا توبة
منه عليه السلام عن ان يعود الى مثله في المستقبل تادبا بتاديب الله تعالى والا
تغفر لي ما فرطني وترحمني بالتفضل علي بقبول توبتي اكن من الخاسرين
انما لا اطلب المغفرة والرحمة بهذه الطريقة الكنائية ابلغ واكد من قوله اللهم
اغفر لي وارحمني لما فيه من قطع الرجاء من غيره تعالى واخبارا انه لا يملك احد ذلك
غيره بخلاف ما صرح فيه بالطلب قيل يا نوح اهبط اي انزل من الجبل الى قرار
الارض فالهبوط نزول من اعلى مكان الى ما دونه بسلام منا اي تحية كما قال سلام
على نوح في العالمين وقيل سلامة من الافات وبركات عليك جمع بركة وهو
ثبوت الخير بتمامه وهي في حقه عليه السلام بتكثير ذريته واتباعه وسائر
المنافع لما كان الطوفان عاما فعندما خرج نوح عليه السلام من السفينة علم انه
ليس في الارض ما ينتفع به من النبات والحيوان فكان كالخائف في انه كيف

يعيش

يعيش وكيف يدفع جميع الحاجات عن نفسه من الماكول والمشروب فازال الله
تعالى ذلك الخوف عنه بالبشارة بحصول السلامة عن الافات وسعة الرزق
والنعمات وعلى امم ممن معك من لابتداء الغاية الى امم ناشئة ممن معك
في السفينة الى اخر الدهر ويجوز ان يكون للبيان ويراد الامم الذين كانوا معه
في السفينة لانهم كانوا امما في السفينة لانهم كانوا معه جماعة او لان الامم يتشعب
منه وامم مبتدا سنمتعهم صفة له والخبر محذوف دل عليه ممن معك اي وممن
معك امم سنمتعهم ولما خص انما ناشئة ممن معه بالسلام والبركات وهم المومنون
اشار الى ان منهم امما متمتعين في الدنيا معذبين في الاخرة وهم الكافرون وقيل هم
قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام والعذاب المذكور في قوله ثم
يمسهم منا عذاب اليم ما نزل بهم تلك اشارة الى قصة نوح عليه السلام ومحلها
الرفع بالابتداء وخبره من انباء الغيب اي بعضها نوحيها اليك خبر ثان
والضمير لها اي موحاة اليك وحال من الانباء او هو الخبر ومن الانباء متعلق به
او حال من لها ما كنت تعلمها انت ولا قومك خبر اخر اي مجهولة عندك وعند
وعند قومك من قبل هذا ايحائنا اليك او حال من الهاء في نوحيها او الكاف في
اليك اي جاهلا انت وقومك بها والفائدة في قوله ولا قومك ان قومك مع كثرتهم
لم يسمعوا عن علم القصص والاخبار واستاذهم فلم يكن تعلمك منهم ولم تخالط غيرهم
فاعلمت الا بالوحي فاصبر على اداء الرسالة واذى قومك كما صبر نوح عليه السلام
وتوقع في العاقبة لك ولمن تبعك ما قيض لك ولقومه ان العاقبة بالظفر
في الدنيا والفوز في الاخرة للمتقين عن الكفر والمعاصي والى عاد اخاهم
واحدا منهم عطف على نوحا الى قومه هودا عطف بيان قال يا قوم اعبدوا
الله اي لا تعبدوا غيره دل عليه تعقيبه بقوله ما لكم من اله غيره وذلك
يدل على ان المقصود من هذا منعهم عن عبادة الاصنام وغيره صفة لاله قرئ
بالرفع حملا على محله وبالجر على لفظه ان انتم الا مفترون على الله تعالى في قولكم انه
امرنا بعبادة الاصنام وانما قيل لاتخاذ الاصنام شركا وجعلها شفعاء فيما عدم
الفرق بين الكذب والافتراء ويا قوم لا اسالكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي
فطرني فما من رسول الا خاطب قومه بهذا القول ازاحة للتهمة وتمحيضا
للنصيحة فانها ما دامت مشوبة بالمطامع لا تنجع افلا تعقلون فتميزون بين الحق
والباطل وتعلمون ان من لا غرض له في النصيحة لا ترد نصيحته ويا قوم استغفروا
ربكم ثم توبوا اليه انما قدم الاستغفار على التوبة لانه طلب المغفرة التي هو الغرض

ثم بين ما به يتوصل اليها من التوبة فعبارة ثم ههنا كالتي في قوله هو الذي خلقكم من نفس
واحدة ثم جعل منها زوجها يرسل السماء عليكم مدرارا المدرار كثير الدرور والمراد من السماء
المطر ويزدكم قوة الى قوتكم ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بذلك لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات
قيل حبس عنهم القطر وعقمت نساؤهم ثلاث سنين والمراد كثرة الاولاد ولا تتولوا
ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على اجرامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة
بحجة تدل على صحة دعواك قالوا ذلك عنادا وجحودا مع كثرة معجزاته كقول قريش
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انزل عليه اية من ربه مع فوت اياته الحصر
وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك حال من الضمير في تاركي اي صادرين عن قولك
الجملة الاسمية وسبيل اسم الفاعل من ترك وزيادة البا في الخبر في قولهم وما نحن لك بمؤمنين
اي ما يصح من امثالنا ونور العقل والكياسة ان يصدقوا مثلك افناطه عليه السلام
من الاجابة والتصديق على وجه المبالغة والتاكيد ان نقول الا اعتراك مقول القول
والا لغو لان الاستثنا مفرغ اي ما نقول الا قولنا اعتراك هو من اعتراه قصده هواه وهو القضا وا...
والمراد الاصابة بطريق الكناية بعض الهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عنها
ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات والقوم كانوا حمقا تائهين قال اني اشهد الله
واشهدوا اني بريء مما تشركون ما مصدرية او موصولة واشهاده تعالى كلام جار
على اصله حجة كيول به مما ذكره من البراءة عن شركهم وشركائهم واما اشهاده اياهم على البراءة
فلا اذ لا يقول احد لمن يعاديه اشهدك اني بريء الا وهو يريد عدم المبالاة والاستهانة
بعداوته واذا كان لذلك لزم التخالف بين الصنفين خبرا اثباتا ابانة وطلبا جاز ما استهانة
من دونه اي انتم تجعلونها شركاء ولم يجعلها هو شركاء ولم ينزل بذلك سلطانا لما
واجهوه بكلمتهم الجمعا وبهتوا بتخييل الالهة وسموا التوحيد الذي دعاهم اليه والاشارة الذي نصحهم
برخيا وخطلا لم يعتدوا بالبينات وحرفوه الهتهم وايسوه من الايمان بما جاء به اجابهم بالبراءة
عن الهتهم وقابلهم بعدم المبالاة بهم وبالهتهم ثقة بالله واكد البراءة ووثقها بشهادة
الله واشهاده العباد على مجرى العادة وبالغ في ذلك ان قال اني اشهد الله وخالف
بين اشهاد الله واشهادهم بان ثبت في الاول واكد اخباره تنبيها للتوحيد واحكاما
لمعاقدة وعدل عن الخبر الى الامر في الثاني قلة مبالاة بهم وبدينهم والهتهم
واستهانة بما زعموا واعتقدوا من عقوبتهم ثقة بالله تعالى وقوة اعتماده
عليه وصحة توكل وزاد على ذلك ان امرهم بالاجتماع على الكيد في اهلاكه
والاحتشاد فيه وعدم الانظار والتوقف بقوله فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون
كقول نوح عليه السلام ثم اقضوا الي ولا تنظرون وذلك من اعظم المعجزات فانه

كان

تعالى بانه يؤمن لا محاله افانت تكره الناس على ما لم يشا الله منهم يعني انما يقدر على
اكراههم واضطرارهم الى الايمان الا هو لا انت وايلاء الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان
الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الشان في المكره من هو وما هو الا الله وحده لا يشاركه
فيه احد لانه هو القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وذلك
غير مستطاع للبشر وهذا السياق يمسك من حمل المشيئة المذكورة على المشيئة الملجئة
حتى يكونوا مؤمنين ترتيب الاكراه على المشيئة مستحيل يعني اذا لم يشا الله تعالى ايمانهم لم
تقدر عليه انت ولا غيرك بالاكراه فضلا عن مجرد المشيئة والتحريض روي انه صلى
الله عليه وسلم كان شديد الحرص على ايمان قومه فلذلك قدره بقوله وما كان
لنفس ان تؤمن الا باذن الله اي بارادته وتوفيقه وتيسيره فلا تجهد نفسك في
هداها فانه الى الله ويجعل الرجس العذاب وقرئ الرجز بالزاي على الذين لا يعقلون
لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والبينات فيؤمنوا ورد في مقابلة الايمان عدم العقل
وفي مقابلة الاذن له الرجس لان الايمان انما يكون بصحة العقل والنظر في الدلائل
العقلية والسمعية والاصرار على الكفر المقابل للايمان سبب عن عدم العقل كقوله
صم بكم عمي فهم لا يعقلون فاوما الى العاقل هو المؤمن ومن لم يوفقه الله تعالى للايمان
لعدم عقله لزمه كغيره الموجب للعذاب فرتب الكفر الذي هو الرجس على ملزومه
الذي هو عدم العقل للجمع بين التهديد والتوبيخ قل انظروا تفكروا ماذا
في السموات والارض من عجائب الصنع الدالة على توحيده وكمال حكمته وقدرته
وماذا استفهام علق فعل النظر عن العمل وما تغني الايات نافية واستفهام
في محل النصب بتغني والنذر عن قوم لا يؤمنون في علم الله تعالى وحكمته
فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقائعهم ونزول باس الله تعالى
بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها قل فانتظروا اني معكم
من المنتظرين كذلك او فانتظروا هلاكي اني معكم من المنتظرين لهلاككم
ثم ننجي رسلنا عطف على محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك
الامم ثم ننجي رسلنا والذين امنوا معهم على حكاية الحال الماضية كذلك مثل
ذلك الانجا حقا علينا اعتراض اي حق ذلك علينا او بدل من ذلك ننجي المؤمنين
منكم ونهلك المشركين قل يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ان كنتم في شك
من ديني وصحته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله
الذي يتوفاكم فهذا ديني اعتقادا وعملا فاعرضوا على العقل الصحيح وانظروا
فيه بعين الانصاف لتعلموا صحته وهو اني لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه

لكن اعبد خالقكم الذي يوجدكم ثم يتوفاكم وانما خص التوفي بالذكر للتهديد ولانه حقيق
بان يخاف ويتقى فيعبد لا الجماد الذي لا يقدر على شيء وامرت ان اكون من المؤمنين
بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وحذف الجار من ان اجتمع فيه الوجهان القياس
وهو ان حذفه بعد فعل وان اقم وجهك للدين استقم عليه ولا تلتفت الى غيره
عطف على ان اكون وجاز مع كون الفعل انشاء لان حق ان هذه ان تكون مع الفعل
في تاويل المصدر والامر والخبر في تضمن المصدر سوا حنيفا حال من الدين او الوجه
ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك اي لا يقدر
على نفع ولا ضر فان فعلت اي فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا
يضرك فكنى عنه بالفعل ايجازا فانك اذا من الظالمين لان الشرك من اعظم
الظلم لقوله ان الشرك لظلم عظيم وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو
وان يردك بخير فلا راد لفضله لما اشار اليه علة النهي بايراد ما اتى لغير العقلا
وسلب النفع والضر عن اصنامهم واثبات الظلم لمن عبدها اتبعه بايراد العلة الموجبة
لتخصيص العبادة بالله تعالى وهو انه هو الضار النافع الذي ان اصابك بضر
لم يقدر على كشفه الا هو وحده دون كل قادر غيره فضلا عن الجماد الذي لا حياة
له وان ارادك بخير لم يرد احد ما اراده بك من فضله واحسانه فكيف بالاوثان
ليدل على انه هو الحقيق بالعبادة دون ما عداه وفي ذكر المس في الضر والارادة
مع الخير تلازمهما ايما الى المراد بالذات هو الخير ولهذا لا يخلو احد منه وان الضر
انما مسهم لا بالقصد الاول وفي موضع الفضل موضع الضمير دلالة على انه من باب
الامتنان والتفضل لا باستحقاق منا واستيجاب كالشر واكد ذلك بقوله يصيب
به بالخير من يشاء من عباده وتقديم الضمير للتهديد والايما الى ان عبادة
الغير توجب المس بالضرر وتعرض للعقاب لكونه ظلما ورجح جانب الترغيب فيه على
جانب الترهيب لان المقصود الحث على الالتجا اليه تعالى وحده والاعتصام به ولا شك
ان داعي اللطف انس والنفوس الكريمة اليه اميل فاوثر الى الاول لفظ المس على
ملاصقة الظاهر دون قيود ثم في عدم التصريح بالارادة زيادة لطف
وكذلك في قوله ولا كاشف له الا هو وما فيه شرانه يكشفه لا محالة ان يستبد
به وفي الثاني لفظ الارادة فجعل المخاطب مرادا والخير تابعا له وفيه ابلغ اللطف ثم
في اطلاق الارادة وما فيه من شمول الظاهر والباطن زيادة تقوية له ثم انه طيب
مسامعه اولا بكونه خبرا موثرا وثانيا بكونه فضلا ولهذا لم يكرر الرجا بالتعقيب
والاستثنا وصفى مورده عن شوب الاقذا وما قيل ولم يستثن يعني في الثاني

لان مراد الله تعالى لا يمكن رده انما يصلح وجها لعدم الاستثنا فيه على طريقة ما في قرينه
وطريقة غير منحصر في ذلك الوجه ومن لم يتنبه لكون كل واحد من لفظي المس والارادة
احسن لمقامه من الاخر قال كانه اراد ان يذكر الامرين جميعا الارادة والاصابة في كل
واحد من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب منهما فاوجز
الكلام بان ذكر المس وهو الاصابة في احدهما والارادة في الاخر ليدل بما ذكر على ما ترك
ثم انه لم يصب في عدم الفرق بين المس والاصابة وقد اوضحنا الفرق بينهما والكلام
في تفسير سورة البقرة وهو الغفور الرحيم تحريض وبعث على التوبة من الشرك
اي لا ييئسوا من غفرانه وتوبوا اليه من عصيانه وتعرضوا لرحمته بتوحيده
وتخصيصه بالعبادة قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق اي الرسول بالدين المبين والقران
المبين من ربكم فلم يبق لكم عذر ولا على الله تعالى حجة فمن اهتدى فانما يهتدي
لنفسه فمن اختار الهدى واتباع الحق فما ينفع الا نفسه ومن ضل فانما
يضل عليها ومن اثر الضلال فما وبال ذلك الا عليها وفيه حث على ايثار الهدى
والاعراض عن الضلال وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكل الى امركم وانما انا
بشير ونذير واتبع ودم على ما انت عليه من اتباع ما يوحى اليك بالامتثال
والتبليغ واصبر على مشقة دعوتهم واحتمال اذاهم حتى يحكم الله لك بالنصرة
عليهم والغلبة وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطا في حكمه لاطلاعه على السرائر
اطلاعه على الظواهر

سورة هود عليه السلام مائة وثلاث وعشرون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب خبر مبتدا محذوف او خبر الر احكمت اياته صفة له اي احكمت
من جهة اللفظ والمعنى والنظم عن تطرق الخلل فصارت في غاية الاحكام ثم فصلت
اي بينت بعضها عن بعض في النزول لكيلا يختل امر الاستدلال على الاحكام فالتراخي على
الحقيقة وقيل المراد ايات السورة وليس فيها منسوخ فمعنى احكامها منعها من النسخ
او احكمت بالحجج والدلائل وجعلت حكيمة منقولة من حكم اذا صار حكيما لانها مشتملة
على امهات الحكم النظرية والعملية ومعنى فصلت انها فصلت بالفوائد من العقائد
والاحكام والمواعظ والاخبار وجعلت فصولا اية اية او فصل فيها ما يحتاج اليه
العباد اي بين ولخص فالتراخي رتبي وقرئ فصلت في الثلاثي المجرد اي فرقت بين
الحق والباطل وقرئ احكمت اياته ثم فصلت على البناء للمتكلم من لدن حكيم
خبير في تعلقه باحكمت ثم فصلت طباق حسن لان معناه احكمها حكيم وفصلها

وبينها خبير بالاشيا واحوالها فصار على كل ما ينبغي اعتبار ما ظهر امره وما خفي ألا تعبدوا
الا الله مفعول له اي لان لا تعبدوا الا الله او نهي او مفسرة لان في تفصيل الآيات
معنى القول او امر لان فيه معنى الامر اي امركم ألا تعبدوا الا الله ويجوز ان يكون
كلاما مبتدأ منقطعا عما قبله على لسان النبي صلى الله عليه وسلم تقديرا للاغراء
منه على تخصيص الله تعالى بالعبادة او امرا به ويدل عليه قوله انني لكم منه من
من جهته نذير وبشير اي فلا تعبدوا الا الله او الزموا ترك عبادة غير الله تعالى
على ان مصدرية ولا نافية وانما قدم نذير على بشير لان الانذار اعم واهم وان استغفروا
ربكم عطف على ان لا تعبدوا ثم توبوا اليه اي استغفروا من الكفر والمعصية ثم
توبوا اليه بالطاعة فالتراخي على الحقيقة ويجوز ان التراخي في الرتبة لان التخلية
افضل من التحلية والاستغفار ينتظم الندم على ما سلف واحسان العمل في المؤتنف
حتى يكون راجعا بجملته الى ربه ولهذا قدم ذكر الاستغفار على التوبة اي اطلبوا
مغفرة ربكم بالاسلام والندم على سالف الاجرام والثبات على الطاعة في باقي الايام
وارجعوا الى الله تعالى بالاخلاص والاستسلام على الثبات والدوا الدوام يمتعكم
متاعا حسنا في خفض عيش وسعة وامن ودعة الى اجل مسمى معين عند
الله تعالى هو آخر اعماركم المقدرة او لا يهلككم بعذاب الاستئصال ويؤت كل
ذي فضل في العمل والطاعة فضله جزاء فضله في الآخرة او كل ذي فضل في
الدين فضله في الثواب والدرجات فان الدرجات تتفاضل في الجنة بحسب تفاضل
الاعمال وان تولوا وان تتولوا وقرئ تولوا من ولي فاني اخاف عليكم عذاب
يوم كبير اي يوم القيامة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل الى الله مرجعكم
رجوعكم في ذلك اليوم جميعا وهو على كل شيء قدير بيان لكبر ذلك
اليوم لان مرجعهم الى من هو قادر على كل شيء لا الى عاجز فهو قادر على اشد ما يريده من
العذاب ولا يمكنهم التفصي منه الا انهم يثنون صدورهم يثنون عن الحق وينحرفون
عنه لان من ازور عن الشيء ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه كما ان من توجه اليه
استقبله بصدره او يعطفون صدورهم على الكفر وعداوة رسول الله صلى
الله عليه وسلم اي يضمرونها وقرئ تثنوني صدورهم بالتاء والياء من اثنوني
افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهي بناء مبالغة وقرئ تثنون بالتاء والياء
واصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش وضعف من الكلأ اي تطلع صدورهم
للشيء كما يتثنى الهش من النبات او تضعف قلوبهم وايمانهم ويثنئن من اثنان
افعال منه ثم همز كما همز ابياضت في ابياض وتثنوي بوزن ترعوي ليستخفوا

منه

منه اي يريدون ليستخفوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازوارهم
لان ثني الصدور يعني الاعراض اظهار للنفاق فلا يصح تعليله بالاستخفاء ونظير
يريدون لعود المعنى الى اضمار الاضمار في قوله تعالى فقلنا اضربوه ببعضها
كذلك يحيي الله الموتى اي فضربوه فحيي كذلك يحيي الله الموتى فالمعنى يظهرون
النفاق ويريدون مع ذلك ان يستخفوا هذا على الوجه الاول من التفسير واما على
الثاني فلا حاجة الى الاضمار الا حين يستغشون ثيابهم يغطونها يريدون
الاستخفاء ايضا كراهة استماع كلام الله تعالى كقول نوح صلى الله عليه وسلم
جعلوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم اي الا حين يريدون في اظهار
نفاقهم ويفعلون ما هو دال عليه من ثني الصدر كما قال ابن عباس رضي الله
عنهما انها نزلت في الاخنس بن شريق وكان يظهر لرسول الله صلى الله عليه
وسلم المحبة وله منطق حلو وحسن سياق للحديث بحيث كان يعجب رسول الله
صلى الله عليه وسلم مجالسته ومحادثته وهو يضمر خلاف ما يظهر وقيل نزلت
في المنافقين جميعا وكون النفاق في المدينة غير مسلم بل ظهوره والآية دالة على
ثلاث طوائف كانت فيهما يعلم ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون بافواههم
اراد التسوية بينهما ولهذا عدل عن اسلوب الترقي الظاهر الى خلافه اي يستوي
في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما يظهرونه انه عليم بذات الصدور
بسرائرها وضمائرها تعليل على سبيل الاستئناف للتلويح المذكور في قوله يعلم الخ والاول
للتنبيه على جهلهم وفساد اعتقادهم في الاستخفاء وثني الصدور وما من دابة في
الارض الا على الله رزقها اسباب معاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتي
بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه ويعلم مستقرها ومستودعها
اماكنها في الحياة والممات او الاصلاب والارحام او مساكنها من الارض حين وجدت وموضعها
من المواد والمقار حين كانت بالقوة كل كل واحد من الدواب واحوالها في كتاب
مبين مثبت في اللوح المحفوظ بيان وتقرير لكونه تعالى عالما بجميع المعلومات والآية
التي بعدها بيان لكونه قادرا على كل شيء وتقرير لما سبق من التوحيد والوعد والوعيد
وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام مر تفسيره في سورة الاعراف ووجه الجمع
في الاولى والافراد في الثانية مر في سورة الانعام وكان عرشه على الماء عرشه عبارة
عن قيوميته تعالى والماء اشارة الى صفة الحياة اذ من الماء كل شيء حي وفيه على بيان بناء الاول
على الثانية اي وكان حيا قيوما فلا دلالة فيه على امكان الخلاء على ان الماء اول حادث بعد
العرش من اجرام هذا العالم وليت شعري من اين الدلالة على تاخر خلق الماء عن خلق العرش

ليبلوكم علة للخلق اي خلق ذلك ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان جملة
ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما يحتاج اليه اعمالكم ودلايل وامارات تستدلون
بها وتستنبطون منها ولما كان الابتلا اي الاختبار احد طرق العلم واشهرها واعمها استعير
للعلم لانه ملابس له كالنظر في قوله فانظر ماذا يرجعون واما قال ايكم احسن عملا وهم
المتقون وهم المتقون وفي المخاطبين من عمله قبيح واقبح لامرين احدهما ان المقصود
من الخلق بالقصد الاول وبالذات هو الايمان والعمل الصالح ونظره تعالى الى ما هو احسن
من ذلك لا لقبيح ولا لاقبح والثاني التحريض والحث على حسن العمل والترغيب وهو
اعم من الاعمال البدنية كالطاعات والخيرات والقلبية كالاعتقادات والنيات فكانه
قال ليظهر من هو على خلافه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ليبلوكم ايكم احسن
عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وفيه تعظيم للمحسنين المتقين وتشريف
لهم واشارة الى انهم من الله تعالى بمكان ولئن ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت
للجزاء على ما انكشف منكم بالابتلا ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين اشارة
الى القول بالبعث اي انه باطل كالسحر الظاهر البطلان في الخديعة او الى القرآن لانه
ناطق بالبعث فاذا جعلوه ظاهر البطلان كالسحر لزم بطلان ما فيه من البعث وغيره من الوعد
والوعيد وقري الا ساحر اشارة الى الرسول صلى الله عليه وسلم اي كاذب مبطل كالساحر
وقري انكم بفتح الهمزة على تضمين قلت معنى توقعوا بعثكم ولا تجزموا بانكاره لعدوه من
قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في انكاره واللام في لئن توطية للقسم في الايات الاربع والجزا
له ساد مسد جواب الشرط ولئن اخرنا عنهم العذاب الموعود الى امة معدودة الى
جملة من الاوقات قليلة ليقولن ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع الا يوم ياتيهم كيوم
بدر ليس مصروفا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه فيستدل به دليل على جواز تقدم
خبرها عليها اذ المعمول على جواز تقدم العامل وايضا الظرف والمجرور يتسع فيهما
ما لا يتسع في غيرهما ويقعان حيث لا يقع العامل فيه وكان ما ذكر استعجالا منهم للعذاب
على وجه التكذيب والاستهزا ولذلك قال وحاق بهم اي احاط بهم ما كانوا به يستهزءون
واضعا يستهزءون موضع يستعجلون كانه محض الاستهزا ولكون عذابهم محقق الوقوع
عما قريب اورد حاق موضع يحيق على عادة كلام الله تعالى كانه قد وقع مبالغة في التهديد
ولئن اذقنا الانسان منا رحمة نعمة من صحة او من خصب وجدة بحيث يجد ذوقها
ولذتها ثم نزعناها سلبناها منه وفي عبارة النزع اشارة الى ما في السلب المذكور
من شدة الالم انه ليؤس شديد الياس من عود مثلها اليه قاطع رجاءه من فضل الله
تعالى وسعة رحمته غير صابر ولا مسترجع ولا مسلم لقضائه كفور عظيم الكفران

عقلا

ذكرت او ان يكون ان بمعنى عل اي لعلكم مبعوثون بمعنى

جواز تقدم

بدل

فانه كان رجلا واحدا فانه كان بين الجم الغفير والعدد والوفير من الاقويا الغلاظ
الشداد وخاطبهم بما يخاطب ونحقرهم والهتهم بما حقرهم وشجعهم على نفسه فلم يقدروا
على اضراره ولم يجسروا على بطشه وما ذاك الا بعصمة الله تعالى اياه وحسن كلايته
ولذلك عقبه بقوله اني توكلت على الله ربي وربكم تقريرا له اي انكم اجتمعتم
وتعاونتم انتم والهتكم على وبذلتم وسعكم في قصدي بالسوء نصروني ولم تقدروا
على اهلاكي فاني توكلت على مالكي ومالككم لم يملكم اصابتي بما يرده ثم برهن على ذلك
بقوله ما من دابة في الارض الا هو اخذ بناصيتها اي الا هو مالكها ومتصرف فيها على
مقتضى مشيئته وهي في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطنته والاخذ بالنواصي
تمثيل لذلك حتى صار الاخذ بالناصية عرفا في القدرة على التصرف وكانت العرب
تجز ناصية الاسير الممنون عليه علامة انه قد قدر عليه ومن على ناصيته ان ربي
على صراط مستقيم على طريق الحق والعدل في ربوبيته لا يسلط على من توكل عليه
ظالما ولا يضيع عنده معتصم به ولا يغلب احد احدا الا باذنه وفي قوله ان ربي
من غير عادة ربكم كما في الاول نكتة سرية بعد الاختصار على المعنى عن الحشو ما يدل
على زيادة اختصاصه به وانه رب الكل استحقاقا وبريته دونهم تشريفا فان تولوا
اي فان تتولوا وجواب الشرط ماض صريح فلذلك جاء بالفاء وقد فقد ابلغتكم
ما ارسلت به اليكم اي فان تعرضوا والحجة عليكم لما اني ما فرطت في الابلاغ وادا
ما ارسلت به اليكم وانتم ما اردتم الا التكذيب الرسالة به اليكم وانتم اردتم الا
تكذيب الرسالة ومكافاة الرسول بالعداوة ويستخلف ربي قوما غيركم كلام مستانف
بالوعيد لهم اي ويهلككم ويأتي باقوام اخرين يخلفكم في دياركم واموالكم ولا تضرونه
شيئا من الضرر بتوليكم لاستحالة ذلك عليه وقري يستخلف بالجزم وكذلك ولا
تضروه بحذف النون عطفا على محل فقد ابلغتكم اي ان تتولوا عن يفقد ربي يستخلف
قوما غيركم ولا تضروا الا انفسكم ان ربي على كل شيء حفيظ رقيب مهيمن
يحفظ اعمالكم ويواخذكم بها او حافظ على الاشياء كلها والكل محتاج الى حفظه من الفساد
ومن كان كذلك لا يمكن ان يضره شيء ولما جاء امرنا في التعبير بمجي الامر عن
نزول عذابا لاستيصال على عاد ما لا يخفى من الدلالة على العظمة والجلال في جانب الامر
وسرعة الامتثال في جانب المامور نجينا هودا والذين امنوا معه قيل كانوا اربعة
الاف برحمة منا من سوء معاصي العاصين فانه لو لم يتداركهم الرحمة من
الرحمن لما نجوا من العذاب النازل على ما دل عليه قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن
الذين ظلموا منكم خاصة ونجيناهم من عذاب غليظ الغلظة كناية عن الشدة

والثاني انجا

والتنكير في عذاب ورحمة للتعظيم خبرا لان الايمان الذي وفقوا له صار سبب
انجائهم لو اخبر بان ذلك الانجا كان من عذاب يد لا لدفع كمال الامتنان وتصريحا على
الايمان وهما متغايران فالاولى انجاء الدنيا الآخرة والاول وفق لمقتضى المقام وعلى
الوجه الاول ايضا لا تكرير ومن غفل عن هذا قال تكرير البيان ما نجاهم عنه
وتلك عاد الاشارة الى مصارعهم وآثارهم حثا على الاعتبار بهم واحضارهم كانهم
مشاهدون بما يعاين من الآثار وفي الاتيان باسم الاشارة وبما يدل عليه على البعد تهويل
وتفخيم لما نزل بهم لا تعظيم لشانهم او تحقير جحدوا بآيات ربهم استئناف لبيان
الوصف الذي استوجبوا به العذاب وانما قال وعصوا رسله ولم يرسل اليهم غير هود
السلام لان الانبيا كلهم دعوا الى التوحيد والاسلام متوافقين وصدق بعضهم بعضا فاذا عصوا
واحدا منهم فقد عصوا كلهم واتبعوا امر كل جبار عنيد اي رؤسائهم وكبرائهم الطاغين
وعنيد من عند عندا وعندا وعنودا اذا طغى واتباع امرهم طاعتهم اي عصوا من دعاهم
الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرديهم واتبعوا في هذه الدنيا لعنة
ويوم القيامة لما اتبعوا الجبابرة الطغاة جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم على وجوههم
في عذاب الله الا ان عادا كفروا ربهم جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به وانما عدي الذات
حملا له على نقيضه الا بعدا لعاد دعا عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين
لما نزل عليهم بسبب ما حكي عنهم وتكرير حرف التنبيه مع اسمهم في الموضعين وايراد حرف التحقيق
مع وصفهم الموجب للهلاك والعذاب تهويل وتفظيع لامرهم وحث على الحذر من مثل حالهم
والاعتبار بهم واما الى انهم في التعين والاستحقاق لما نزل بهم بسبب كفرهم كالعلم حتى صار وامثاله
مشهورا قوم هود عطف بيان لعاد وفائدته التمييز بينهم وبين عاد الثانية وايماء الى
ان استيهالهم بغاية البعد بالهلاك بسبب ما جرى بينهم وبين هود عليه السلام
والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد مر تفسيره
هو انشاكم من الارض اي لم ينشئكم منها الا هو وذلك لانشا بخلق آدم عليه السلام
او بخلق مواد النطف التي خلقوا منها من التراب واستعمركم فيها وعمركم فيها
واستبقاكم من العمر او اقدركم على العمارة وامركم بها وقيل عمارها هو من العمري
بمعنى اعمركم فيها او ورثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم وتسكنونها
مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه قد مر تفسيره فالفا
فصيحة عاطفة على مقدر معناه وقابلتم الاحسان بالعصيان ان ربي قريب اي
الى الرحمة مجيب لداعيه استئناف للترغيب في الامتثال لما امر به قالوا يا صالح قد
كنت فينا فيما بيننا مرجوا قبل هذا اي كنا نشاهد منك مخايل الرشد والامارات

الصلاح

الصلاح فرجونا ان تكون فينا سيدا او مستشارا ومرشدا في التدابير ومقدما ومقدما
فيما بيننا فلما تكلمت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا
حكاية حال ماضية وانا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد والتبري من
الاوثان مريب اسم فاعل من متعد نقله اذا اوقعه في ريبة وهي
قلق النفس وانتفاء الطمانينة او من لازم نقل اراب الرجل اذا كان ذا ريبة
والاسناد الى الشك مجازي على كلا الوجهين قال يا قوم ارايتم ان كنت على
بينة انى بحرف الشك باعتبار المخاطبين الجاحدين اي قدروا اني على برهان
من ربي واتاني منه رحمة نبوة فمن ينصرني من الله فمن يمنعني من عذاب
الله والعدول من الضمير الى الاسم الظاهر للتفخيم ان عصيته في تبليغ الرسالة
والمنع من الاشراك به على هذا التقدير فما تزيدونني اذا باستتباعكم اياي
غير تخسير غير ان تخسروني بابطال اعمالي والتعرض لعذابه او فما تزيدونني
بما تقولون لي غير ان اخسركم فانسبكم الى الخسران ويا قوم هذه ناقة
الله الاضافة للتعظيم لكم آية حال والعامل فيها ما في اسم الاشارة من
معنى الفعل ولكم حال من آية لتقدمها عليها ولو تاخرت عنها كانت صفة لها
فذروها تاكل في ارض الله ترع نباتها وتشرب ماءها وانما اضاف الارض اليه
تعالى اظهارا لوجه التقريب يعني ان الارض ارض الله والناقة ناقته فذروها
تاكل في ارض صاحبها ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب عاجل لا يتراخى
عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلاثة ايام فعقروها العقر قطع العضو
الذي له تاثير في النفس فقال تمتعوا اي تلذذوا بما تريدون من
اسباب العيش في داركم في بلدكم تقول العرب للذين في حوالي مكة نحن من
عرب الدار اي من عرب البلد وقيل في دنياكم ثلاثة ايام قبل
عقروها يوم الاربعاء وهلكوا يوم السبت ذلك وعد غير مكذوب اي
غير مكذوب فيه واتسع في الظرف بحذف حرف الجر واجرائه مجرى
المفعول به كقوله يوم مشهود او وعد غير كذب على ان المكذوب مصدر
كالمجهود والمعقول وكالمصدوق بمعنى الصدق ويجوز ان يكون من باب
الاسناد المجازي كانه قيل للوعد نفي بك فاذا اوفى به فقد صدق ولم
يكذب فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا قد مر
تفسيره ومن خزي يومئذ متعلق بمحذوف اي ونجيناهم
من خزي على وفق ما تقدم في قصة هود عليه السلام والمراد من الخزي هلاكهم

بالذل والفضيحة وقرئ ومن خزي بالتنوين وبنصب يومئذ على الظرف
معمولا لخزي وقرئ بالاضافة وفتح الميم والتنوين وبنصب يومئذ
على الظرف معمولا لخزي في اذ تنوين عوض من الجملة المحذوفة المتقدمة
بالذكر اي ومن فضيحة يوم اذ جاء الامر وحل بهم ان ربك هو القوي
العزيز القادر على كل شيء الغالب عليه واخذ الذين ظلموا الصيحة
في دارهم جاثمين قد سبق في تفسير سورة الاعراف كان لم يغنوا فيها
اي كانهم لم يوجدوا فيها والمغنى المقام الذي يقيم به الحي الا ان ثمود كفروا
ربهم قرئ ثمود بفتح الدال من غير تنوين وقرئ بالتنوين وبخفض الدال
في قوله الا بعدا لثمود اي لنسبا الى الحي وللاب الاكبر ولقد جاءت
اللام لتاكيد الخبر وقد للتوقع لان السامع بقصص الانبياء عليهم السلام
يتوقع قصة بعد قصة رسلنا ابراهيم الى الملائكة بالبشرى اي بالبشارة
بالولد وقيل بهلاك قوم لوط ويأباه في والذاريات من قوله وبشروه بغلام
عليم ثم بعده قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا سلاما سلمنا
عليك سلاما ويجوز نصبه بما في قالوا من معنى ذكروا قال سلام اي
عليكم سلام او سلام عليكم حياهم باحسن من تحيتهم والتنكير لدلالته على
التعظيم ابلغ من التنوين وقرئ سلم بمعنى السلام كحرج وحرام وقيل
المراد به الصلح فما لبث فما مكث اذا كان عنده طعام معد للاضياف
كل يوم والفاء للتفريع على ما ظهر من المسالمة انهم جاءوا بالخير دون الشر ان
جاء بعجل اما في محل الجر على تقدير فما لبث في المجيء به او فما تاخر عن المجيء
به او النصب على حذف حرف الجر او الرفع على الفاعلية اي فما لبث مجيئه
والعجل ولد البقرة سمي به لتعجيل امره بقرب ميلاده ولا يخفى لطف
موقعه بعد ما فهم من قوله فما لبث من معنى العجل حنيذ والحنيذ هو
الذي يقطر دسمه من حنذت الفرس اذا القيت عليه الجل حتى يقطر عرقا
ويدل عليه قوله تعالى في موضع اخر بعجل سمين وقيل المشوي بالرضف
في اخدود وفيه اذ لاعتبار وفيه لا يتم اظهار في المقام مما يعد هجنة في الكلام
فلما راى ايديهم لا تصل اليه روي انهم كانوا ينكتون بعواد كانت في ايديهم في
اللحم ولا تصل ايديهم اليه وعلى هذا يظهر وجه الاتيان بالفاء الفصيحة والعدول
عن لا يمدون اليه ايديهم ومن وهم ان المذكور كناية عن الترك فقد وهم
نكرهم هذا صريح في ان انكاره عليه السلام اياهم كان بعدما راى انهم لم يمدوا

ايديهم الى الطعام والظاهر من قوله قال سلام قوم منكرون انه كان قبل ذلك
في سورة الحجر والتوفيق انه نكرهم بعينه حين راهم ونكرهم بقلبه بعدما راى منهم
امارة الخلاف قال ابو العالية يقال نكره بقلبه وانكره بعينه واوجس
منهم خيفة الايجاس الاحساس وذلك لانهم كانوا اذا نزل بهم ضيف ولم ياكل
من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير وقيل وحس بمعنى اضمر ويرده قوله تعالى في سورة
الحجر قال انا منكم وجلون وكذا يرده ما قيل وانما قالوا لا تخف لانهم راوا اثر الخوف
والتغير في وجهه او عرفوه بتعريف الله تعالى او علموا ان علمه بانهم ملائكة
موجب للخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب فان مبنى هذا ايضا الغفول عن
انه عليه السلام افصح عن خوفه باوضح عبارة قالوا له عليه السلام
لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط يعني بالعذاب على ما افصح عنه في موضع اخر
بقوله لنرسل عليهم حجارة وقيل انما يقال بهذا لمن عرفهم ولم يعرف فيما
اسلوا مبناه ايضا الغفول عن التفصيل الواقع في سورة الحجر فان هذا القول منهم
بعد البشارة له عليه السلام بالغلام واستفساره بقوله فما خطبكم ايها المرسلون
وكذا مبنى ما قيل هنا انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد ايدينا لانا لا ناكل
مبناه الغفول عما ذكر وامراته قائمة يعني في الخدمة بسمع تسمع تحاورهم لاجل
رؤسهم كما قيل لانه مردود بقوله في موضع اخر فاقبلت امراته في صرة فضحكت
سرورا بالامن وهلاك اهل الفساد ويقال لاصابة رايها فانها كانت تقول لابراهيم
عليهم السلام اضمم اليك لوطا فاني اعلم ان العذاب ينزل بهذا القوم ويرد عليه
انه حينئذ على تقدير ان يكون المعنى فضحكت من اصابة رايها يخرج الكلام مخرج
الالغاز واما ما قيل ان ضحكت بمعنى حاضت ورد بان التعجب بعده يبعده اذ لا تعجب
من الولادة في زمن الحيض ولو خاله في سياق التعجب يأباه اللفظ والمعنى
فبشرناها باسحق هذه البشارة ايضا على لسان الملائكة والفاء للتعقيب اي
لبشرناها بالولد وبولده للولد عقيب ما اوجب سرورها والاسمان يحتمل
وقوعهما في البشارة بعينه ويحتمل وقوعهما في الحكاية ومن وراء اسحاق
يعقوب رفع بالابتداء خبره الظرف اي ومن بعد اسحق يعقوب مولود وقرئ
بالنصب بفعل دل عليه بشرناها اي ووهبنا له من وراء اسحاق يعقوب
قالت يا ويلتا يا عجبا واصله في الشر ثم اطلق في كل امر فظيع والالف فيها
مبدلة من ياء الاضافة وقرئ بالياء على الاصل االد وانا عجوز اي مسنة
قيل كانت في تسع وتسعين ولم يدخلها الهاء لانها للانثى خاصة وهذا بعلي زوجي

واصله القايم بالامر شيخا حال والعامل فيه معنى الاشارة في هذا وقرئ شيخ
على انه خبر مبتدا لهذا وبعلي بدل منه او خبر بعد خبر ان هذا لشيء عجيب يعني
الولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة ولما انكرت الملايكة تعجبها
بقولهم قالوا اتعجبين من امر الله لانها كانت في بيت الايات والمعجزات وخوارق
العادات وكان حقها ان لا بل تستوقر وتشكر نعمة الله تعالى وتحمده وتمجده
ولا يتعجب منه لاعتيادها بامثالها ولهذا قال الملايكة رحمة الله وبركاته
عليكم اهل البيت كلام مستانف علل به انكار التعجب كانه قيل ليس هذا بمكان
التعجب فان الله تعالى خصكم من بين الناس بامثال هذه الكرامات واكرمكم بها اهل
البيت النبوة والبركات والاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء كانوا فيهم كثيرا انه
حميد فاعل ما يستوجب به الحمد مجيد كريم يستحق التمجيد والثنا بكثرة الاحسان
والانعام على عباده فلما ذهب عن ابراهيم الروع الافزاع بما اوجس في الخيفة
واطمان قلبه بعرفانهم وعرفان سبب مجيئهم والفا للترتيب بعض ما يتعلق بابراهيم
عليه السلام من الكلام على بعض وقد تخلل بينهما ما يتعلق بامراته وله ايضا مدخل
في ذهاب روعه عليه السلام وجاءته البشرى بدل الروع يجادلنا في قوم لوط
يجادل رسلنا في شانهم ومجادلته اياهم قوله فيها لوطا وجواب لما محذوف ويجادلنا كلام
مستانف وقيل دال عليه تقديره اجترا على خطابنا او وقوع لجادلنا ونحو ذلك
وقيل الجواب يجادلنا على حكاية الحال الماضية وقيل لما يرد المضارع الى معنى
الماضي كما يرد الماضي الى المستقبل معنى وقيل معناه اخذ يجادلنا او اقبل يجادلنا
او ما في معناهما ان ابراهيم لحليم متحمل جهل السفها غير عجول على الانتقام
ممن اسا اليه اواه كثير التاوه من الذنوب والتاسف منيب رجاع الى الله
تعالى بما يحب ويرضى والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو الرافة
والرحمة دعته اليه ربهم اعلم بهم وبما يستوجبونه انه قد جاء امر ربك اي
قضاؤه وحكمه وانهم اتيهم عذاب غير مردود مصروف بجدال ولا دعاء ولا غير
ذلك لابرامه تعالى فلا فايدة في جدالك ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم اساء واغتم
لمجيئهم لانهم جاؤا في صورة غلمان حسان فحسبهم اناسا فخاف عليهم خبث قومه وعجز
عن مدافعتهم وضاق بهم ذرعا كناية عن شدة الانقباض عن مدافعة
المكروه كانه ضاق مكانهم صدره وقال هذا يوم عصيب شديد من قولك
عصبه اذا شده وجاءه قومه يهرعون يسرعون اليه كانما يدفعون
دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا

يعملون

يعملون السيئات الفواحش فتمرنوا عليها ولم يستحيوا منها فلذلك جاؤا يهرعون
اليه مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي فتزوجوهن فدى بهن اضيافه كرما
وفتوة وحمية وكان اذ ذاك تزويج المسلمات من الكفار جائزا ومن زاد على هذا قوله
وكانوا يخطبونهن قبل ذلك ولا يجيبهم اليهن لخبثهم وعدم كفاءتهم فكانه لم يتامل
في قولهم لقد علمت ما لنا في بناتك من حق فانه ظاهر في عدم رغبتهم فيهن وقيل
المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبي ابو امته من حيث الشفقة والتربية وفي
ابن مسعود رضي الله عنه وازواجه امهاتهم وهو اب لهم فيا باه قوله لقد علمت
ما لنا في بناتك من حق واما ما قيل قاله عليه السلام مبالغة في تناهي خبث ما يريدونه
حتى ان ذلك اهون منه او اظهارا لشدة استقباحه من ذلك كي يرقوا له فلا يناسب
شانه عليه السلام ولا يلايمه قوله هن اطهر لكم اراد المبالغة في الطهارة
لا تفضيلهن فيها على من امرونه كقوله عليه السلام الله اعلى واجل في مقابلة قول
ابي سفيان اعل هبل وقرئ اطهر بالنصب على تقدير حذف اهؤلاء اطهر لكم وقوله
بناتي هن جملة معترضة تعليلا للامر وكونهن اولى قدمت للاهتمام كانه قيل خذوا
هؤلاء العفايف اطهر لكم ان بناتي هن وانتم تعلمون طهارتي وطهارة بناتي هن
ويجوز ان يكون هؤلاء مبتدا وبناتي خبر وهن تاكيد للمستكن في بناتي لانه
وصف مشتق واطهر حال فاتقوا الله في ركوب الفاحشة ولا تخزون
من الخزي وهو الهوان او من الخزاية وهو الخجالة في ضيفي لسببهم فان
التعدي لضيف الرجل اخزاء له وترتبه على المحذوف لا على المذكور على ما افصح
عنه في موضع اخر حيث قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون
وقد علم منه ان المراد من الخزي معنى اخر غير الفضاحة اليس منكم رجل رشيد
يهدي الى الحق ويرعوي عن القبيح فيرشد اصحابه اليه ويمنعهم عنه والمراد هنا
ولذلك قال منكم دون فيكم لعمومه الاجنبي وكلامه لا يؤثر تاثير كلام الذي منهم
قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق من حاجة بالغوا في النفي بتنكير حق وزيادة
من كما بالغوا في النفي باثبات علمه له على ابلغ وجه واكده وانك لتعلم ما نريد
من اتيان الذكران قال لو ان لي بكم قوة لما كان فيه معنى الفعل ان عطف عليه
قوله او اوي الى ركن شديد اي لو قويت عليكم بنفسي او اويت الى قوي استند
اليه واتمنع به فيحميني منكم شبه القوي العزيز الذي يحمي من ياوي اليه ويحميه
بالركن من الجبل في شدته ومنعته وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم وقرئ
او اوي بالنصب باضمار ان كانه قال لو ان لي بكم قوة او اويا فلما راو الملايكة ما يلا

لوطا عليه السلام من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصل الينا ولا احتمال ان
يضروه عليه السلام لعدم حصول بغيتهم دفعه بقوله لن يصلوا اليك فهو استئناف
في غاية الجزالة ومن لم يتنبه له قال لن يصلوا اليك فهو استئناف الى اضرارك باضرارنا
ثم انه لم يدر ان حق الكلام حينئذ لو صح من السري ترتبه على المحذوف المذكور في موضع
آخر بقوله واتيناك بالحق وانا لصادقون بقطع من الليل بطائفة منه ولا
يلتفت منكم احد ولا يتخلف ولا ينظر الى ورائه والنهي عام له عليه السلام ولاهله
والمخصوص به انما هو بتبليغه اليهم ومن وهم انه في اللفظ لاحد وفي المعنى للوط
عليه السلام فقد وهم الا امرأتك بالنصب استثناء من قوله فاسر باهلك
ويدل عليه قراءة فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك قيل وذلك انما يصح على
تاويل الالتفات بالتخلف لا بالنظر الى الخلف لئلا يناقض قراءة من قرأ بالرفع بدلا
من احد والا لزم على القراءتين ان يكون امرأته مسريا بها وغير مسري بها وفيه
نظر لان الاستثناء من الاهل يقتضي ان لا يكون لوط عليه السلام مامورا بالاسراء بها
ولا يمتنع انها سرت بنفسها ويكفي لصحة الاستثناء من هذا المقدار كيف ولم ينه عن الحمل
ولكنه امر باخراج غيرها وبهذا اندفع ايضا ما قيل انه اما ان اسري بها فالاستثناء
من قوله احد متعين والا فمتعين من قوله فاسر باهلك والقصة واحدة فاحد التاويلين
باطل قطعا والقراءتان الثابتتان قطعا لا يجب حملهما على ما يوجب بطلان مقتضى
احدهما واما ما قيل في اخراجها مع اهله روايتان روي انه اخرجها معهم وامر ان
لا يلتفت منهم احد الا هي فلما سمعت هذا العذاب التفتت له وقالت يا قوماه
فادركها حجر فقتلها وروي انه امر بان يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر
بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين فاعترض عليه بانه لا يجوز لان القواطع
حملها على المعاني المتناقضة واجيب بان معناه اختلاف القراءتين جالب وسبب
لاختلاف الروايتين كما تقول السلاح للغزو اي اداة وصالح له ولم يرد ان اختلاف
القراءتين لاجل اختلاف الروايتين فقد حصل ويرد عليه انه حينئذ يرد عليه
تغلب الرواية ودراية لاتخاذها من ظاهر القراءة وايضا فيه التزام باستلزام
اختلاف القراءتين امرا محذورا وهو الجمع بين المتنافيين والاولى جعل الاستثناء
في القراءتين من قوله ولا يلتفت منكم احد كما في قوله ما فعلوه الا قليل والا قليلا
ولا بعد ان يكون اكثر القراء على غير الافصح قال النصب اخف وان كان البدل
افصح انه مصيبها ما اصابهم استئناف علل بها استثناؤها من اهله ولا يلزم من
ذلك امرها بالالتفات بل عدم نفيها عنه استصلاحا ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا

على

على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح كانه علة الامر بالاسراء اليس الصبح بقريب
جواب لاستعجال لوط عليه السلام واستبطائه العذاب وانما جعل الصبح ميقاتا
لهلاكهم لان النفوس فيه اودع والراحة فيه اجمع فيكون العذاب وانما جعل
الصبح ميقاتا فيه اقطع فلما جاء امرنا وقت امرنا واما الامر نفسه
فقد ورد قبل هذا واما المامور به فنفس ما ذكر في قوله جعلنا عاليها
سافلها جواب لما وانما عدل عن الظاهر وهو جعلوا الملائكة المامورون
واسند الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر وامطرنا عليها على المدن حجارة
روي ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء ثم
قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم والتنكير في حجارة للتعظيم من سجيل
من طين متحجر لقوله حجارة من طين كلمة معربة من سنك كل وقيل هو من اسجله اذا
ارسله لانها ترسل على الظالمين لقوله لنرسل عليهم حجارة وقيل مما كتب الله ان
يعذب فيه من السجل وسجل لفلان منضود في الارسال يرسل بعضها اثر بعض
كقطار الامطار او نضد بعضه على بعض والصقه او نضد معد لعذابهم
مسومة معلمة للعذاب او بسيما تتميز به من حجارة الارض او باسم من يرمى
به عند ربك في خزائنه التي لا يتصرف فيها الا هو وما هي من الظالمين
ببعيد لاستحقاقهم لذلك وفيه وعيد لاهل مكة وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه سال جبريل عليه السلام عن هذا فقال يعني ظالمي امتك وقيل
الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي امتك يمرون بها في سيرهم قوله ببعيد
لشيء بعيد كذا قيل ولا حاجة الى التاويل لانه على زنة المصدر كالزفير والصهيل
والمصادر يستوي في الوصف بها المؤنث والمذكر والى مدين اخاهم شعيبا
قد مر نظائره ومدين اخاهم شعيبا قد مر نظائره ومدين مدينة بناها مدين
ابن ابراهيم عليه السلام فسميت باسمه والمراد اهلها واولاده قال يا قوم
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد سبق تفسيره ولا تنقصوا المكيال والميزان
امرهم بالتوحيد اولا لانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي
للعدل المخل بحكمة التعارض اني اراكم بخير بسعة وثروة تغنيكم عن التطفيف
او بنعمة حقها ان تتقابل بالشكر لا بما تفعلون او بخير فلا تزيلوه عنكم بما تفعلون
او بخير فلا تزيلوه عنكم بما تفعلون وهو على الوجوه علة للنهي واني اخاف عليكم
عذاب يوم محيط لا يشذ منه احد او مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد
عذاب يوم القيامة او عذاب الاستئصال وتوصيف اليوم بالاحاطة من باب

الاسناد المجازي وهو ابلغ من وصف العذاب بها لانه مشتمل على حوادث مع اشتمالها
على العذاب فاذا كان مهلكا فاذا اشتمل عليه الحوادث كان مجتمعا على المعذب في اهلاكه
ويا قوم اوفوا المكيال والميزان امر بالايفاء بعد النهي عن ضده قصدا الى
تقبيح المنهي وتعييبه لان التصريح بالمنهي عنه توبيخ للمنهي وتعيير له سكروه ويرجعوا
الى القبول فاذا ورد الامر بعده مصرحا به كان اوقع في نفسه واسرع الى القبول
والامتثال لانه ترغيب وحث بعد ترهيب وزجر عن ضده فكان ابلغ بالقسط
بالعدل والتسوية من غير زيادة ونقصان وانما قيدهما به قصرا على ما هو الواجب
وتنبيها على ان المطلوب من الايفاء القسط ولهذا قد يكون الفضل محرما كما في
الربويات ولا تبخسوا الناس اشياءهم تعميم بعد تخصيص لان نقص الحقوق
مطلقا اعم من النقص في الكيل والوزن وكذا ولا تعثوا في الارض لانه
التمادي في انواع الفساد وذروتهم في النهي مما غلب عليهم الى سائر القبائح
ويجوز ان يراد بالعثي البخس مبالغة وتعريضا بانه شر انواع الفساد وانما قال
مفسدين اخراجا لما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر بقية الله ما يبقى
عليكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون بالتطفيف
ولنقص الحقوق ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا وانما قيد به لظهور
فائدتها معه وان كان مع الكفر نجاة عن تبعتها وذلك لان حصول الثواب
بها مشروط بالايمان ولا يظهر على الكافر نجاة عن تبعتها وذلك لان حصول
الثواب بها مشروط بالايمان البخس لانغماره في غمرات الكفر وفي ذلك تعظيم للايمان
وتنبيه على جلالة قدره وايماء الى ان لا فائدة للحسنات بدونه او ان كنتم مصدقين
لي في نصحي اياكم وقيل البقية الطاعة اي ما تبقى لكم عند الله تعالى من الطاعات
خير مما يفنى كقوله تعالى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا واضافتها
الى الله تعالى تعظيم لها وتشريف نسبتها اليه وقرئ تقية الله بالتاء وهي
تقواه التي تكف عن المعاصي والقبائح وما انا عليكم بحفيظ تقديم الظرف
وايلاؤه حرف النفي وعيد بليغ اي والله حفيظ عليكم ومجازيكم بها لانا انما اريد ان ابلغ
وقد انذرت وبلغت ونصحت واعذرت قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك ان نترك
ما يعبد اباؤنا من الاصنام اجابوا به بعد امرهم بعبادة الله تعالى وترك
عبادة الاوثان وبايفاء الحقوق على طريقة السخرية والاستهزاء حيث اسندوا
الامر الى الصلوة اشعارا بان المامور مما لا يامر به العقلاء لانه امر وسوسة وجنون
لا امر فطنة وعقل واما تخصيصهم الصلاة بالاسناد اليها لانه عليه السلام كان [illegible]

وكانوا

وكانوا يقولون له ما تستفيد بهذا فيقول انها تامر بالمحاسن وتنهى عن المساوي
كما عرفه الله تعالى عباده بقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فقالوا له على
وجه التهكم به اصلواتك تامرك الخ ففيه استهزاء من وجه اخر واما جمعها فلانه
عليه الصلاة والسلام كان كثير الصلاة وكانوا اذا راوه يصلي يتغامزون ويضحكون
استبعادا منهم ان يفعل مثل ذلك الافعال ففي ابنائها على صيغة الجمع اشارة الى نوع
اخر من الاستهزاء له ثم انهم جعلوه عليه السلام مامورا بفعل الغير يكفي الابلاغ
مرة او مرتين وهو عليه السلام قد واظب على ذلك فنزلوه منزلة المامور بان
الترك الواجب على الغير وهذا ايضا نوع من الاستهزاء منهم مبناه على عبارة فيه
ولهذا غفل عنه الناظرون في هذا المقام حتى ذهبوا الى تقدير المضاف اي
تامرك بتكليف ان نترك فاذهبوا حسن الكلام ولطف الاعتبار المناسب للمقام
او ان نفعل في اموالنا ما نشاء عطف على ما اي وان نترك فعلنا ما نشاء في
اموالنا والعطف باو دون الواو للاشعار بان الامر بواحد منهما على سبيل البدل
يكفي في السفه والنسبة الى الضلال فكيف اذا امر بهما معا ولا يخفى ما فيه من
الدلالة على انهم كانوا اية في الجهالة قد بلغوا غاية الضلالة وقرئ بالتاء في نفعل
وتشاء على ان العطف على ان نترك انك لانت الحليم الرشيد تهكم به بهم وبفعله
لانهم ارادوا وصفه بغاية السفه والغي على ما يقتضيه السباق والسياق فعكسوا
تهكما كقول خزنة جهنم ذق انك انت العزيز الكريم واما ما قيل عللوا انكار ما سمعوه
منه واستبعاده بانه موسوم بالحكمة والرشد المانعين على المبادرة الى امثال ذلك
فيأباه في سباق الكلام من الاقدام على السخرية والاستهزاء من وجوه شتى قال
يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي اشارة الى ما اتاه من العلم والنبوة
ورزقني منه رزقا حسنا اشارة الى ما اتاه من المال الحلال والتقييد بحسنا للاحتراز
عن الرزق القبيح وفيه اشارة الى الحرام رزق وجواب الشرط محذوف تقديره فهل
يسع مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه
واخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من الاقدام على تغيير المالوف
والنهي عن دين الاباء ولا يخفى ما فيه من حسن المراجعة ولطف الاستنزال والرفق
الاستدعاء ولذلك قال فيه عليه السلام ذاك خطيب الانبياء والضمير في منه لله تعالى
اي من عنده وباعانته بلا كد مني في تحصيله فقد ادمج فيه الجواب عن قولهم
او ان نفعل في اموالنا ما نشاء على القراءة بالتاء فيهما وما اريد ان اخالفكم
الى ما انهاكم عنه وما اريد ان اقصد الى ما انهاكم عنه من المعاصي والملاذ لاستبد بها

دونكم فلو كان صوابا لما آثرته ولم أعرض عنه فضلا عن أن أنهى عنه يقال خالفني إلى كذا
إذا قصده وأنت مول عنه وخالفني عنه إذا ولى عنه وأنت قاصده إن أريد إلا الإصلاح
ما استطعت أي ما أريد إلا أن أصلحكم بموعظتي ونصيحتي ما أمكنني فلو وجدت الصلاح
فيما أنتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الأجوبة الثلاثة على هذا النسق شأن وهو
التنبيه على أن العاقل يجب عليه أن يراعي فيما يباشره أحد ثلاثة حقوق أولها
وأعلاها حق الله تعالى وثانيها حق نفسه وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضي أن
آمركم بما أمرتكم به وأنهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقع موقع الظرف
أي مدة استطاعتي أو خبرية بدل من الإصلاح أي إلا المقدار الذي استطعت منه
أو على تقدير حذف المضاف أي إلا الإصلاح إصلاح ما استطعت أو مفعول أي إلا
أن أصلح ما استطعت إصلاحه من فاسدكم وضعفه أن إعمال المصدر المعرف قليل وما
توفيقي إلا بالله أي وما توفيقي لإصابة الحق الصواب فيما آتي وما أذر إلا بتأييد
الله تعالى ومعونته عليه توكلت لا على غيره فإنه القادر على ما يشاء دون
غيره فإن من عداه عاجز ساقط عن درجة الاعتبار في الوجود فضلا عن القدرة
وإليه أنيب لا إلى غيره وفي الآية طلب التوفيق من الله تعالى لإصابة الحق فيما هو
بصدده على أبلغ وجه وحسم لأطماعهم وعدم المبالاة بهم ومعاداتهم بتوكله على
الله تعالى وتهديد الكفار بإيابهم إليه تعالى للجزاء ويا قوم لا يجرمنكم
لا يكسبنكم شقاقي معاداتي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح من الغرق
أو قوم هود من الريح أو قوم صالح من الرجفة وأن بصلتها ثاني مفعولي
جرم فإنه مثل كسب في معناه وتعديته إلى مفعول واحد وإلى مفعولين وقرئ
لا يجرمنكم بضم الياء من أجرمته إذا جعلته جارما وهو مفعول واحد كما يقال
أكسبه المال من كسبت والأول أفصح فإن أجرم أقل دورانا على ألسنة الفصحاء وقرئ
مثل بالفتح لإضافته إلى المبني وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا أو مكانا فإنهم أقرب
الهالكين منهم أو ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمعاصي وما يستحق به العقاب فحالكم
حالهم وإفراد البعيد وقد مر وجهه فتذكر واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه
قد سبق ما يتعلق به أيضا إن ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود بعباده
يفعل بهم من اللطف والإحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وعد على التوبة
بعد الوعيد على الإصرار لشمول الدعوة وأخذ الحبل بطرفيه قالوا يا شعيب ما نفقه
الفقه فهم الكلام على ما تضمن من المعنى وفي نفسه دون نفي الفهم دلالة على أنهم
لم ينزلوا قصوره في أداء الكلام كما سبق إلى بعض الأوهام حيث قال في وجه ما ذكر

انه

أنه عليه السلام كان ألثغ وإنما قالوا ذلك استهانة بكلامه حيث كنوا بعدم
فقههم ما قاله عن عدم دلالته على معنى صحيح فنزلوه منزلة الهذيان
والتخليط وفي التقييد بقوله كثيرا إظهار التنزه عن المكابرة وهذا
أبلغ في المبالغة عن الكلام الخالي من ذلك القيد ومن هذا القبيل قولهم في وصف
سيف الشجاع يقطر دما دون يسيل فقيل كانوا يفهمونه ولكنهم لم يقبلوه فكأنهم
لم يفقهوه فلا يذهب عليك أن هذا التنزيل إنما يناسب اعتباره إذ لو كان في الحكاية
دون المحكي وإنا لنراك فينا ضعيفا لا قوة لك ولا عزة فيما بيننا وفي قوله
فينا نوع تقوية لما أرادوه من إثبات العجز له عن المدافعة كأنهم يقولون إنك لست
بخارج عنا حتى لا تصل إليك أيدينا ولا قوة في نفسك فلا مانع ولا دافع لا من جهة
شأنك ولا من جهة مكانك ولذلك قللوا قومه حيث جعلوهم رهطا فالرهط من
الثلاثة إلى العشرة وقيل إلى السبعة وإنما قالوا ولولا رهطك لرجمناك احتراما
لهم لكونهم على ملتهم لا خوفا منهم ولرفع هذا الوهم عبروا عنهم بالرهط دون
العشيرة والقبيلة ونحو ذلك والرجم الرمي بالحجارة والمراد قتله به يعني قتلناك
شر قتلة بأصعب وجه وهذا دين السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب
والتهديد وما أنت علينا بعزيز أي لست علينا بممتنع فلا نقدر على رجمك وهذا
هو المناسب لسياق الكلام وعلى هذا لا مفهوم فيه ومن فهم منه المفهوم قال كأنه
قيل وما أنت علينا بعزيز رهطك هم الأعزة علينا فقد حمل العزة على الكرامة
على ما صرح به حيث قال أي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك عن الرجم فقد غفل
عن أن المناسب حينئذ أن يقولوا عندنا بدل علينا ومنطوق قولهم ولولا رهطك
لرجمناك أغنى عن اعتبار المفهوم المذكور لما عرفت أن معناها ولولا حرمة رهطك
وعزتهم عندنا لرجمناك فاعتباره بعد طلوع الصباح وإيلاء الضمير حرف النفي لتقوية
الحكم وتأكيده كما في قوله تعالى وما هم بمؤمنين وتقديم علينا للمحافظة الفاصلة
وزيادة الباء في بعزيز لتأكيد النفي وتنكيره للتقليل أي ليس لك علينا شيء من جنس
العزة وأما ما قيل وقد دل إيلاء الضمير حرف النفي على أن الكلام واقع في الفاعل
لا في الفعل كأنه قيل وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزة علينا ولذلك قال
في جوابهم أرهطي أعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب
فيرد عليه أنه لا دلالة في مفهوم قوله وما أنت علينا بعزيز على أن رهطه هم
الأعزة المراد لا دلالة على أنهم هم العزيزون لأن المفهوم تابع للمنطوق والمنفي عنه
بطريق المنطوق إنما هو أصل العزة لا زيادتها ثم إن قوله ولو قيل وما عززت

الى اخره فقد ما مر ما به يظهر انه ليس بصواب قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله
لما كان نبيا مبعوثا من عند الله تعالى كانت الاستهانة به استهانة بالله تعالى لقوله من
يطع الرسول فقد اطاع الله فجعل كونه رهطه اعز عليهم منه كونهم اعز من الله لان
امره امر الله ويحتمل الانكار للتوبيخ على ان المعنى ارهطي اعز عليكم من الله في نظركم
واعتباركم والانكار للابطال على ان المعنى ثم اعز عليكم منه تعالى في الواقع وعلى الاول
يدخل قوله واتخذتموه وراءكم ظهريا ايضا في حيز الاستشهاد والاتخاذ اخذ
الشيء لامر يستمر في المستانف كاتخاذ البيت واتخاذ الركوب فدلالته على المعنى
المقصود اولى من دلالة الجعل عليه والظهري منسوب الى الظهر كالانسي منسوب
الى الانس والكسرة في مثل هذا من تغييرات النسب والكناية عن الترك وعدم الاعتداد
به فقد تمت بقوله واتخذتموه وراءكم وزيد بنسبته الى الظهر المبالغة واما
لمعنى الاعراض عنه بالكلية ان ربي بما تعملون محيط قد احاط باعمالكم علما فلا يخفى
عليه منها شيء فهو مجازيكم عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون
سبق مثله في سورة الانعام والفاء في فسوف ثمة للتصريح بان الاصرار والتمكن
فيما هم عليه سبب لذلك وحذف ههنا للاستيناف كانه قيل فما ذا يكون اذا عملنا
على مكانتنا وعملت انت فقال سوف تعلمون وهو ابلغ من الوصل بالفاء من ياتيه
عذاب يخزيه ومن هو كاذب قياس الكلام ومن هو صادق بدل قوله ومن هو كاذب
وليكونا قسمين ينصرف الاول اليهم والثاني اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا اجري
الكلام على مقتضى زعمهم فقال ومن هو كاذب اي على زعمكم ودعواكم اذا اراد سوف
تعلمون من المعذب ومن الكاذب مني ومنكم لانهم كذبوه واوعدوه وارتقبوا وانتظروا
ما اقول اني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الفاعل كالصريم او المراقب كالعشير
والمترائب كالرضيع ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا انما
ذكر ساق في قصة عاد وقصة مدين بالواو وساق في قصة ثمود ولوط بالفاء لانه لم يسبق
فيهما وعد يقتضي التسبيب فحقهما ان يعطفا بحرف الجمع عطف قصة على قصة واما
واما في قصة ثمود ولوط فقد سبق وعد يقتضي التسبيب وهو قوله في الاولى ذلك
وعد غير مكذوب وفي الثانية ان موعدهم الصبح فجيء بما كما تقول وعدته فلما جاء
الميعاد كان كيت وكيت واخذت الذين ظلموا الصيحة صاح بهم جبريل عليه السلام
صيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين فهلكوا بحيث لم يبرح كان لم يغنوا فيها كان
لم يقيموا فيها في ديارهم مترددين في تصرفاتهم الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود انما
شبههم بثمود في هلاكهم لانهم ايضا اهلكوا بالصيحة الا ان صيحتهم كانت من تحتهم

وصيحة

وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير
لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر المكسور ولقد ارسلنا
موسى باياتنا وسلطان مبين له على صدق نبوته يجوز ان يكون المراد بالايات
المعجزات وسلطان مبين هو العصا وافرادها بالذكر لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما
واحد اي ولقد ارسلنا بالجامع بين كونهما ايات وكونهما سلطانا له على صحة دعواه
والفرق بينهما ان الايات تعم الامارات والدلايل القاطعة والسلطان يختص
القاطع والمبين ما فيه جلاء ومن وهم ان المراد من الايات التورية فقد وهم
وسها فيهم ان قوله الى فرعون وملايه ياباه لان التورية نزولها انما كان بعد
هلاك فرعون وملايه فاتبعوا امر فرعون بالكفر لموسى وفيما اتبعوا موسى
الهادي الى الحق المؤيد بالمعجزات الباهرة واتبعوا طريقة فرعون البين الضلال
والطغيان لفرط جهلهم وعباوتهم فانه ادعى ما لا يخفى على من له ادنى تمييز وكمال
احالته وهو الالهية مع كونه بشرا حادثا مثلهم وما امر فرعون برشيد
مرشد او بذي رشد انما هو على صريح ضلال لا رشد فيه يقدم قومه يوم القيامة
يقدمهم الى النار كما كان يقدمهم في الدنيا الى الضلال يقال قدمه بمعنى تقدمه
ومنه قادمة الرحل كما يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش تفسير
وبيان لعدم كون امر فرعون برشيد بصواب حميد العاقبة وعدل الى الماضي
فيما عطف عليه فقيل فاوردهم النار مبالغة في تحقق وقوعه وشبه في
جرهم الى النار بالفارط الذي يتقدم الواردة واتباعه بالواردة الحراص على الماء وترك
النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها موردا ثم قال وبئس الورد المورود اي بئس المورد
الذي وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد واتبعوا
في هذه اي في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة اي يلعنون في الدنيا والاخرة
بئس الرفد المرفود المخصوص بالذم محذوف اي رفدهم والرفد هو العطية
واصله الذي يعين به على المطلوب فالفائدة وترادفت عليهم لعنتان من الله تعالى
لعنة في الدنيا ولعنة في الاخرة وكل شيء جعلته عونا لشيء فقد رفدته به
ذلك مبتدا من انباء القرى خبره اي ذلك النبأ بعض انباء القرى المهلكة
نقصه عليك خبر بعد خبر اي مقصوص عليك منها قائم وحصيد جملة
مستانفة لا محل لها اي بعضها باق على امكنتها كالزرع القائم على ساقه وبعضها باد الاثر
كالزرع الحصيد وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب الشرك
والمعاصي التي اهلكوا بها فما اغنت عنهم الهتهم فما قدرت ان تدفع عنهم باس الله تعالى

الهتهم التي يدعون حكاية حال ماضية اي التي كانوا يعبدونها من دون الله
من اصنامهم التي اعتقدوها الهة معبودة من شيء غنا قليلا لما جاء امر ربك
حين جاء عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب تخسير وكذلك ومثل
ذلك الاخذ اخذ ربك وقرئ اخذ ربك بالفعل ويكون محل الكاف النصب
على المصدر اذا اخذ القرى اي اهلكها وقرئ اذ لان المعنى على الماضي وهي
ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة لاهلها لكنها اقيمت مقامها اجريت
عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا بظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره
من وخامة العاقبة ان اخذه اليم شديد من باب الاسناد المجازي لان الاخذ
مولم كقوله ضرب وجيع ومعناه صعب على الماخوذ حتى كان الاخذ متالم من
صعوبته ولا يخفى ما فيه من المبالغة في التهديد والتحذير ان في ذلك
اي فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصه الله تعالى لاية لعبرة لمن خاف
عذاب الاخرة لانه ينظر الى ما نزل بهم بسبب ذنوبهم فيعتبر به حال الاخرة
ويعلم من شدته شدة العذاب الموعود وعظمه فينزجر واما الذي ينكر الاخرة
ولا يخطر بباله اهوالها فلا حظ له من ذلك الاعتبار ذلك اشارة الى يوم
القيامة لدلالة عذاب الاخرة عليه يوم مجموع له الناس للحساب والجزا
والناس فاعل مجموع كانه قيل يوم يجمع له الناس والعدول عن لفظ الفعل الى
لفظ اسم المفعول للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه موصوف به صفة
لازمة لا محالة وانه اثبت لاسناد الجمع الى الناس لانه يفيد انهم لا ينفكون عن
عن الموصوف الذي هو ظرف لهم وهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وذلك
يوم مشهود اي مشهود فيه فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به اي يشهد
فيه الخلائق الموقف لا يغيب عن احد والمراد بالمشهود الذي شاهدوه كما يقال
لفلان مجلس مشهود وطعام محضور يريدون الكثرة ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه
لفات الغرض وهو التعظيم لليوم وتمييزه فان سائر الايام كذلك والتهويل الحاصل
من عدم ذكر المشهود وما نؤخره الى اليوم الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة
معهودة قليلة على حذف المضاف وارادة مدة التاجيل كلها بالاجل لا منتهاها فانه
غير معدود يوم ياتي وقرئ بكسر التاء والاكتفاء بالكسرة عن الياء والفاعل
هو الله تعالى كقوله او ياتي ربك ويؤيده قراءة وما يؤخره بالياء وقوله
باذنه او اليوم كقوله الا ان تاتيهم الساعة والمراد من اتيان اليوم اتيان اهواله
وشدائده فلا يلزم ان يكون ظرفا لنفسه والعامل في الظرف لا تكلم او الانتهاء

المحذوف

المحذوف اي ينتهي الاجل يوم ياتي فلا حاجة الى تقدير اذكر لا تكلم نفس لا تتكلم بما
ينفع وينجي من جواب او شفاعة الا باذنه الا باذن الله تعالى كقوله الا من اذن له
الرحمن وهذا في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في
موقف اخر وقوله نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم في موقف اخر ولما كان القول
بتعدد المواقف مما لا بد منه توفيقا بين الايات المذكورة فلا حاجة الى الممنوع عنه
بالاعذار الباطلة والماذون فيه بالجوابات الحقة بل لا وجه له لان الشفاعة ايضا
ماذون فيها وليست من جنس الجواب فمنهم الضمير للناس المذكور او لاهل الموقف المدلول
عليه بقوله لا تكلم الناس شقي وجبت له النار بمقتضى الوعيد تفصيل لما فهم
من قوله لا تكلم نفس الا باذنه انقسامهم الى قسمين اجمالا او تقديم الشقي على السعيد
لانه المفهوم اولا في مرتبة الاجمال وسعيد وجبت له الجنة بمقتضى الوعد
والاصل ومنهم سعيد فحذف منهم اختصارا والتنكير فيهما للنوعية فاما الذين
شقوا ففي النار شرع في تفصيل احوال الصنفين المذكورين بعد تفصيلهما
لهم فيها تقديم الظرفين للتخصيص زفير وشهيق الزفير اخراج النفس
والشهيق رده واستعمالهما في اول الشهيق واخره وهما من اصوات المكروبين ففيه
تشبيه حالهم بحال من استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه للدلالة
على شدة كربهم وغمهم خالدين فيها ما دامت السموات والارض انتصاب خالدين على
انه حال مقدرة وما مصدرية ظرفية اي مدة دوام السموات والارض والمراد بهذا
التوقيت التابيد على طريقة العرب في قولهم ما اقام ثبير وما لاح كوكب وغير
ذلك مما يذكرونه في مقام المبالغة في نفي الانقطاع ولا يسبق الى الفهم منها الا التابيد
لا تعليق مدتها بمدة بقائهما ويجوز ان يراد التعليق على ان المراد من السموات والارض
سماوات الاخرة وارضها فانه لا بد لاهلها من مقله ومظلة ولا يلزم في التعليق بهما
علمنا بكيفيتهما بل يكفي تعقل ابديتهم بين مقلة ومظلة وهو معلوم من النصوص كقوله
يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله تعالى واورثنا الارض نتبوا من الجنة
حيث نشا وليس فيه تشبيه ما يعرف بما لا يعرف كما توهم الا ما شاء ربك استثنا
من الخلود في عذاب النار لان الكفار ينقلون من حر النار الى برد الزمهرير ولا يرد بان النار
عبارة عن دار العقاب غير وارد لانا لا ننكر استعمال النار فيها تغليبا اما دعوى
الغلبة حتى يهجر الاصل فكلا الا يرى الى قوله تعالى نارا تلظى نارا وقودها الناس والحجارة
وكم وكم واما قيل لان بعضهم وهو فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كان لصحة
الاستثنا لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثنا الثاني

فانهم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم فان التابيد من مبدا معين ينتقض باعتبار الابتداء كما
ينتقض باعتبار الانتهاء وفيه ان موجب ذلك اندراج الفساق في القسمين فيفوت
ما قصد بالتنكير من التنويع والتمييز بينهما بحيث لا يندرج احدهما في حكم الاخر والتقابل
المتعارف بينهما المفهوم من قوله عليه الصلاة والسلام السعيد سعيد في بطن امه
يابى عن الجمع بينهما باعتبارين ثم ان الزفير والشهيق من خواص الكفار على ما ذكر يلزم
تشريك الفساق معهم فيهما واما ما ذكره ثانيا ففيه انه لا دلالة في اللفظ على المبدا
المعين ولو سلم فالاستثناء يقتضي اخراجا عن حكم الخلود وهو لا محالة بعد الدخول
ولا يجوز ان يكون الاستثناء من قوله لهم فيها زفير وشهيق لان حق النظم حينئذ ان يقدم
قوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض على قوله لهم فيها زفير وشهيق ان
ربك فعال لما يريد فلا يتجه الاعتراض عليه في تخصيصه بعض اوقات الشقاء
باحد نوعي العذاب وبعضها بنوعه الاخر واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين
فيها ما دامت السموات والارض وقرئ سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله
بمعنى اسعده الا ما شاء ربك قال الزجاج هذا من باب حتى يلج الجمل في سم الخياط ولا
يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقيل اهل الجنة ينعمون الى ما هو اعلى من الجنة
كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله تعالى ولقائه ورد بان ما ذكر يحصل
وهم في الجنة فينافي الاستثناء عطاء نصب على المصدر المؤكد اي اعطوا عطاء
والحال من الجنة غير مجذوذ غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع تنبيه
على ان المراد بالاستثناء ههنا ليس الانقطاع وقوله في الاشقياء ان ربك فعال
لما يريد في مقابلة هذا القول في السعداء يرجح حمل الاستثناء الى ما هو اغلظ من عذاب
من عقوبات يقتضيها سخط الله وما يعلمها الا هو فلا تك في مرية المرية التردد
الحاصل مع الشك لما قص عليه السلام قصص عبدة الاوثان وما حل بهم من انواع
العذاب والنقمة اقبل عليه مسليا بقوله هذا اي لا تك في تردد بعدما انزل اليك
في سوء عاقبة قومك ولا بالعبادتهم الاوثان مما يعبد هؤلاء من عبادة هؤلاء
المشركين في انها ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة
عبادتهم او من حال ما يعبدون في انه يضر ولا ينفع ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل
استئناف لتعليل النهي عن المرية اي ان حالهم في الشرك مثل حال ابائهم من غير
تفاوت وقد بلغنا لك ما نزل باباءهم بسببه فينزلن عليهم مثله لان التماثل في
الاسباب يقتضي التماثل في المسببات ومعنى يعبد كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه
وانا لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب كما وفينا اباءهم ايضا هم او من الرزق

فيكون

فيكون عذرا لتاخير العذاب مع قيام موجبه غير منقوص نصب حالا لا عن تقييد
له لدفع احتمال ان يكون منقوصا في حد نفسه عما يستحقونه وتوفيته لا يدفع هذا
الاحتمال ومن لم يتنبه لهذا قال انه لتقييد التوفية فانك تقول وفيته حقه ولا تريد
به وفاء بعضه ولو مجازا واما من قال بجواز ان توفي وهو ناقص وتوفي وهو كامل الا ترى
تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا فلم يصب في التصوير
لان اوله بمعزل عما فيه الكلام واخره ليس بتام كما لا يخفى على ذوي الافهام ولقد
اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فامن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء
في القران ولولا كلمة سبقت من ربك اي قضاء سبق بتاخيرهم الى يوم القيامة
لقضي بينهم بين قوم موسى عليه السلام او بين قومك وميز بين المحق والمبطل
وانهم وان كفار قومك لفي شك منه من القران مريب موقع في الريبة
والقلق وهذه الاية من جملة التسلية له عليه السلام وان كلا التنوين عوض عن
المضاف اليه اي جميع المختلفين فيه المؤمنين والكافرين وقرئ بالتخفيف على اعمال
المخففة اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام الاولى موطئة للقسم
والثانية للتاكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرئ بالتشديد على ان اصله
لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن
الذين يوفينهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ لما بالتنوين اي جميعا وقرئ وان كل لما
على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به انه بما يعملون خبير فلا يفوت شيء منه
وان خفي فاستقم كما امرت لما بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة وبالغ في
الوعد والوعيد امر نبيه عليه السلام بالاستقامة كما امر به في العقائد والاعمال
من وظائف العبادات والتبليغ كما انزل اليه وبيان الشرائع جامعا بين التنزيه
والتشبيه في التوحيد محترزا عن الافراط والتفريط في الاعمال محتاطا في التبليغ
والتشريع والفاء للسببية اي اذا كان جزاء الكل عليه لا عليك فاستقم انت فيما
امرت والكاف في محل النصب صفة للمصدر اي استقامة مثل الاستقامة التي
امرت بها ومن تاب معك عطف على المستتر في فاستقم وحسن من غير تاكيد للفصل
فليستقم من تاب معك من الكفر وامن في اتباعه في العقائد والاعمال سالكا سبيل
الامرين دون ما هو مخصوص به عليه السلام واما في هذه الضميمة من تبليغ ذلك
الامر المسير الى غاية العسر قال النبي عليه السلام شيبتني سورة هود لاخص هذه
السورة بالذكر الا فالامر بالاستقامة وارد في سورة الشعرا ولا تطغوا ولا تخرجوا
عما حد لكم تتعدوا انه بما تعملون بصير فهو مجازيكم به وهو في معنى التعليل للامر

والنهي دل في الاية دليل وجوبا بتاع النصوص من غير تصرف وانحراف بمجرد الراي واما
التصرف بمقتضى الاجتهاد فيما يحتاج اليه فليس منهي عنه بل هما مور به على ما ورده النصوص
والتصرف بالقياس والاستحسان من المجتهدين من هذا القبيل ولا تركنوا الى الذين
ظلموا الركون الميل اليسير اي ولا تميلوا ميلا ما الى من وجد منه ظلم ولم يقل الى
الظالمين للمبالغة في النهي كانه قيل لا يوجد منكم ادنى ميل الى من صدر منه وتنا
ما فضلا عن الميل الكثير الى الذين عادتهم الظلم فكيف بالظلم وبينا ولا مصاحبتهم ومداهنتهم
في اعمالهم والانحطاط الى هواهم والتزي بزيهم ومد العين الى زهرتهم وتعظيمهم
وانما قال الى الذين ظلموا دون الى الذين ظلم لان كونهم جماعة مظنة الرخصة في مداهنتهم
فالنهي عنه لكونهم ابلغ والاية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه فتمسكم
النار بالركون اليهم وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم للتثبيت على الاستقامة التي
هي العدل وابعادهم بالنار مع سلب الولاية والنصرة عنهم عند ادنى انحراف منهم عن
جادة العدل الى من وجد منه ضدها مع كونه صلى الله عليه وسلم احب الخلايق
اليه زيادة تاكيد في المبالغة فان الميل الى احد طرفي الافراط والتفريط ظلم في نفسه
سوا كان على نفس الظالم او غيره وما لكم من دون الله من اوليا من انصار يمنعونكم
من عذابه حال من قوله فتمسكم النار وانما اتى بصيغة الجمع لمكان لكم والا فنفي المفرد
ابلغ ثم لا تنصرون هو ايضا اذا سبق حكمه بتعذيبكم فلا يبقى ومعنى ثم استبعاد نصرهم
لهم بعد الحكم باستحقاقهم العذاب واقم الصلاة طرفي النهار غدوة وعشية وانتصابه
على الظرفية لاضافته الى الوقت وزلفا من الليل وساعات منه قريبة من النهار
فانه من زلفه اذا قربه وهو جمع زلفة عطف على طرفي النهار وان فسر بقرني الوقت
ان تعطف على الصلاة اي واقم صلوات تتقرب بها الى الله تعالى في بعض الليل وصلوة
الغدوة الفجر وصلاة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف
المغرب والعشا وقري زلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات يذهبن السيئات
يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة لما بينهما ما اجتنب الكبائر او يمنعن السيئات
بمعنى يزلن استعداد ارتكابها كقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ذلك اشارة
الى قوله فاستقم وما بعده ذكرى للذاكرين عظة للمتقين واصبر كرر التذكير لعظم
بعد ما جاء بما هو خاتمة للتذكير بالصبر بعد ما جاء بما هو خاتمة التذكير للدلالة على
الصبر وزينته والتنبيه على علو شانه ومكانته كانه قال وعليك بما هو اهم بما ذكر
به واخص بالتوصية في بابه وهو الصبر على امتثال ما امرت به والانتهاء عما نهيت عنه
فلا يتم شي الا به فان الله لا يضيع اجر المحسنين تعميم كالتعليل البرهان للاوامر

علكم

والنواهي

والنواهي المذكورة من قوله فاستقم الى قوله فاصبروا انما عدل عن الضمير ايما الى
ان الصلوة والصبر احسان الا انه لا يعتد بهما دون الاخلاص به فلولا كان
لولا هنا للتحضيض ضمنها معنى التوجع والتاسف الذي ينبغي ان يقع من البشر
على هذه الامم الذي لم يهتد من القرون من قبلكم اولوا بقية اولو فضل
وانما سمي بقية لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة
والفضل ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا وقوله عليه الصلاة
والسلام في العباس رضي الله عنه هذا بقية ابائي ويجوز ان يكون مصدرا
كالبقية اي ذو بقا على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده ان قري بقية
وهي المرة بقا بقيه اذا راقبه ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم
اي ولكن قليلا ممن انجينا من القرون نهوا عن الفساد واكثرهم تاركون للنهي و
من للبيان لا للتبعيض لان النجاة انما هي للناهين وحدهم لقوله وانجينا الذين
ينهون عن السوء ولا يجوز ان يكون الاستثناء متصلا على الظاهر لفساد المعنى لانه
يكون تخصيصا لا ولوا بقية على النهي عن الفساد الا القليل من الناجين منهم ولكن ان
استثني من النفي اللازم للتحضيض جاز كونه متصلا كانه قيل لما كان
من القرون اولوا بقية ينهون عن الفساد الا قليلا وكان الافصح ان يرفع على
البدل واتبع الذين ظلموا تركوا النهي عن المنكرات ما اترفوا ما انعموا فيه
من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما ورا ذلك وكانوا
مجرمين كافرين كانه اراد ان يبين ما كان السبب لاستيصال الامم السالفة
وهو فشو الظلم منهم واتباعهم للهوى مع الكفر واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام
اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اترفوا
اي اتبعوا ما اترفوا فيه وعادتهم التمادي في الاجرام او على اتبع وقري واتبع
واتبعوا جزاء ما اترفوا فتكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضده
تقدم الانجا وما كان ربك ليهلك القرى اللام لتاكيد النفي بظلم حال من
الفاعل والتنكير للتعظيم والاشارة الى ان اهلاك المصلحين ظلم عظيم ولذلك
اكد النفي باللام وكذا ان فسر الظلم بالشرك والبا للسببية اي لا يهلكم
بسبب ظلم لا ظلم اعظم منه واهلها مصلحون حال لكونهم مصلحين ما بينهم
بالعدالة لكمال رافته ورحمته بالعباد ومساهلته في حقه ومن
ثمة قدم الفقها عند تزاحم الحقوق حقوق العباد اي وما صح ان يهلك
ربك القرى ظالما لها فانه يتنزه عن الظلم او بسبب شرك اهلها ما لم

يضموا الى الشرك افسادا فيما بينهم ولذلك قيل الملك يبقى مع الكفر
ولا يبقى مع الظلم ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة على
ملة الاسلام كلهم وهو دليل على ان الامر لا يستلزم الارادة وانه تعالى
قادر على ايقاع ما اراده من الخصوص المذكور واما ان كل ما اراده يجب
وقوعه فلا دلالة فيما ذكر عليه ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم
على الباطل كما ترى الا من رحم ربك الا قوما هداهم الله تعالى من فضله فاتفقوا
على دين الحق وملة التوحيد ولذلك خلقهم الضمير للقوم والاشارة الى الاختلاف
واللام للعاقبة اي ولما هم عليه من الاختلاف خلقهم ليتميز المحق من المبطل ويترتب
الثواب والعقاب على العقايد والاعمال وتمت كلمة ربك وعيده او قوله
للملئكة لاملان جهنم من الجنة والناس اي من عصاتهم اجمعين لا من
احدهما ففيه رفع احتمال ان يكون الاملاء من احدهما والاضافة اليهما كما في قوله تعالى
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمراد استيعاب الصنفين لا استيعاب افرادهما
وكلا مفعول نقص في نقص عليك والتنوين بدل من المضاف اليه اي
كل نبا وقوله من انباء الرسل بيان كلا اي نخبرك به ما نثبت به فوادك بلاشك
او كلا مصدر اي وكل اقتصاص نقص على معنى وكل نوع واسلوب من انواع القصص
واساليبه نقص عليك وما نثبت به مفعول نقص ومعنى تثبيت فواده عليه السلام تطمين
قلبه وزيادة يقينه والتاسي بهم في الثبات والصبر على تبليغ الرسالة وتحمل الاذي
كقوله واصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وذلك لان المشاركة في الامور الصعبة
تهون ما يلقى الانسان من الاذي والاعلام بما جرى على المكذبين من العقوبات
المستاصلة بانواع العذاب من غرق وريح ورجفة وخسف فيه طمانينة النفس
وتثبيت وجاءك في هذه السورة والانباء المقتصة عليك الحق ما هو
الحق وموعظة وذكرى اشارة الى ساير فوايده العامة وانما قال للمومنين اذ
لا ينتفع بها الا المومن وقل للذين لا يومنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون قد مر
تفسيره في سورة الانعام وانتظروا بنا الدواير انا منتظرون ان ينزل لكم ما نزل على امثالكم ولله
غيب السموات والارض خاصة دون غيره ولا يخفى عليه خافية فيما لا يخفى عليه اعمالكم واليه
خاصة لا الى غيره يرجع الامر كله فلا بد ان يرجع اليه امرك وامرهم فينتقم لك منهم فاعبده
وتوكل عليه فانه كافيك وتقديم العبادة على التوكل للتنبيه على ان التوكل انما يصلح الا بعد تخصيصه
بالعبادة والانسلاخ عن افعال النفس الى المامور به وما ربك بغافل عما تعملون انت وهم
فيجازيك بما تستحق من الثواب ويجازيهم بما يستحقون من العقاب والله اعلم بالصواب

سورة يوسف

سورة يوسف عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك اشارة الى السورة ايات الكتاب القران المبين الظاهر من ابان بمعنى بان والمراد
ظهور اعجازه وهو ههنا بمنزلة قوله لا ريب فيه في قوله ذلك الكتاب لا ريب فيه ويجوز ان يكون
من ابان بمعنى بين اي المبين لما ساله اليهود عن سبب انتقال ال يعقوب عليهم الصلوة والسلام
من الشام الى مصر وعلى هذا تكون تلك اشارة الى ايات السورة وهي المراد بالكتاب انا انزلناه
اراد تعظيم الكتاب المذكور باسناد انزاله الى نفسه قرانا اي حال كونه مقروا وليس فيه اطلاق
اسم الكل على الجزو لان مبناه على كون القران علما وذلك بالغلبة بعد النزول فلا وجه لاعتباره عنده
عربيا اي كسوناه للقراة كسوة العربية وهو كالتعليل لكونه مبنيا على المعنى الاول لعلكم
تعقلون اراده ان تفهموا حقايق معانيه ودقايق مبانيه وما في عباراته من الاسرار والاشارات
اذ هي لغتكم كما انزل التورية على اهلها بلغة العبري والانجيل بلغة السرياني لذلك وفيه اشارة
الى ان حقيقة كلام الله تعالى منزهة في كلاميتها عن كسوة الحروف واللغات ولكن الخلق يحتاجون
في تعقل معانيها اليها نحن زيادة تاكيد نقص دال على معنى الجمع عليك احسن القصص
اي قصصا احسن القصص وهو مصدر بمعنى الاقتصاص ويجوز ان يراد به المفعول كالنقض
وهو في الاصل تتبع الشي ومنه قالت لاخته قصيه اي تتبعي اثره والقاص يتتبع الاثار
فيخبر بها واحسن عايد الى القصص يقال فلان احسن الاقتصاص للحديث اي اجيد السياقة له
او الى القصة فانها اتم القصص المذكورة في القران واشملها لانواع العبر واصناف الحكم
ويجوز ان يكون المعنى لعلكم تعقلون انه منزل من الله تعالى وذلك ان الدليل عليه اعجازه بغاية
بلاغته ونهاية فصاحته وبلوغه اليهما بكونه على لسان العرب لانه افصح الالسنة وابلغها
وعلى هذا يكون تمهيدا لما ذكر بقوله بما اوحينا اليك بواسطة جبرائيل عليه السلام وانما
وانما اسقط الواسطة تشريفا للموحي والموحى اليه هذا يجوز ان يكون مفعول نقص على ان
احسن نصب على المصدر والاشارة المتضمنة للتقريب تؤكد المقصود المذكور القران نعت لهذا
او بدل منه او عطف بيان واجاز الزجاج الرفع على اضمار مبتدا كان سايلا سال عما اوحي
فقيل هو هذا القران واجاز الفرا الخفض على التكرير وهو عند البصريين على البدل من ما
وبهذين التقريرين يجوز ان يكون موصولا والعايد محذوف والباء بمعنى في وعلى هذا يجوز ان
يكون نصب هذا القران على الاختصاص او بيانا للمحذوف والمراد بالقراة السورة وان كنت
ان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة من قبله الضمير راجع الى ما اوحينا والمعنى وان
الشان كنت من قبل ايحاينا اليك لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك وهو تعليل
لكونه موحيا كني بالغفلة عن عدم العلم بالكلية اجلالا لشانه عليه السلام فان فيه التصريح
بكونه من الجاهلين ما لا يخفى ومن الغافلين عما في هذا الكلام من الاحترام من قال في تفسيره

اي من الجاهلين اذ قال بدل من احسن القصص بدل الاشتمال على انه مفعول ونصب باضمار
اذكر يوسف اسم عبراني اذ لو كان عربيا لصرف لخلوه عن سبب اخر سوى التعريف وقرئ بفتح
السين وكسرها على التلعب به لا على انه مضارع بني للمفعول او الفاعل من اسف لان القراءة المشهورة
شهدت بعجمته لابيه يعقوب عليه الصلوة والسلام يا ابت اصله يا ابي عوضت تاء التانيث
عن الياء لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبت في الوقف هاء وقرئ بالفتح لانها حركة اصلها ولم
تسكن كاصلها لانها حرف نزل منزلة الاسم فوجب تحريكها ككاف الخطاب ولانه كان يا ابتا فحذف
الالف واكتفي بالفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض عنه وقرئ
بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المونثة بالتاء من غير اعتبار التعويض كقولك يا ثبة اني رايت
من الرؤيا لا من الرؤية لانها لو كانت في اليقظة لكانت اية عظيمة ليعقوب عليه الصلوة والسلام
ولما خفيت على الناس لانه لا يجوز ان يكون ارهاصا ليوسف عليه السلام والكرامة لا يلزمها
ان يطلع عليها صاحبها واما اطلاع الناس عليه فانما يلزم ان لو كان سجودهم مجتمعون في الارض
ولا دلالة عليه فيما ذكر بل لان قوله لا تقصص رؤياك وقوله هذا تاويل رؤياي صريحان فيه
احد عشر وقرئ بسكون الشين لاجتماع ست فتحات وروي بسكون العين لطول الاسم وكثرة
الحركات كوكبا نصب على التمييز والشمس والقمر انما اخرهما عن الكواكب ليعطفهما عليها بيانا
لتفضلهما واستبدادهما بالزيادة على ساير الطوالع رايتهم لي ساجدين استيناف لبيان حالهم
التي راها عليها وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم ويجوز ان يكون الاول لبيان
مشاهدتهم في المنام على وجه التفصيل والثاني لبيان مشاهدتهم جملة مجتمعين في السجود
فالاعادة للافادة وتقديم الظرف للاهتمام والعناية لما هو الاهم وفي ضمنه رعاية الفاصلة
قال يا بني تصغير ابن للشفقة او لصغر السن لا تقصص رؤياك الرؤيا في المنام والرؤية
بالعين والراي في القلب والرؤيا كالرؤية غير ان احدهما مختصة بما يكون في النوم والاخرى بما
يكون في اليقظة وفرق بينهما بحرف التانيث كالقربى والقربة على اخوتك فيكيدوا لك
منصوب باضمار ان جوابا للنهي والمعنى ان قصصتها عليهم كادوك نحو احتال ليفيد معنى
الفعلين مبالغة تاكيدا في التحذير ولذلك اكد بالمصدر والكيد الاخذ على خفا وانما اتي باللام
ولم يقل فيكيدوك كما قيل فيكيدوني لانه ضمن معنى فعل يتعدى باللام لانهم يعلمون تاويلها
فيحتالون في هلاكك كيدا منكرا بعيدا عن فهمك وهو معنى تنكيرها وابهامها والمقصود
زيادة مبالغة في التخويف ولذلك استانف قوله ان الشيطان للانسان عدو مبين على تقدير
سؤال كان يوسف عليه السلام استبعد وقوع الكيد في حقه من اخوته فازال استبعاده ببيان
منشائه يعني ان الشيطان ظاهر العداوة للانسان بما فعل بادم وحوى عليهما السلام فهو
يحمل على الكيد والمكر وكل شر ليورط من يحمله فلا يومن ان يحملهم على مثله وكذلك محله النصب

على المصدر ومثل ذلك الاجتبا الذي اجتباك للرؤيا يجتبيك يصطفيك عن ساير المخلوقات
فضلا عن اقربائك لما هو اعظم منها واصل الاجتبا الجمع على طريق الاصطفا ثم استانف بقوله
ويعلمك لئلا يكون داخلا في حكم التشبيه وهو يعلمك من تاويل الاحاديث اي تعبير الرؤيا
لانها احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس والشيطان ان كانت كاذبة وانما سمي
التعبير تاويلا لانه يؤول ما رآه الى ما ذكره وكان يوسف عليه الصلوة والسلام اعبر الناس للرؤيا
واصحهم عبارة لها ويجوز ان يراد بتاويل الاحاديث تبيين معاني كتب الله تعالى وسنن الانبيا
عليهم الصلوة والسلام وما غمض واشتبه على الناس من اغراضها ومقاصدها وسميت احاديث
لانه يحدث بها عن الله تعالى ورسله عليهم السلام والاحاديث مبني على واحده المستعمل
وهو الحديث كانهم جمعوا احديثا على احدثة ثم جمعوا الجمع على احاديث كقطيع واقطعة
واقاطيع والقول بانه اسم جمع للحديث مردود بانه لم يات اسم جمع على هذا الوزن واما
اباطيل فجمع لا واحد له كعباديد وشماطيط ويتم نعمته عليك بالنبوة او بوصل نعمة
الدنيا بنعمة الاخرة وعلى آل يعقوب سائر بنيه قيل استدل على شرفهم ونبوتهم بضوء
الكواكب ونسله كما اتمها على ابويك من قبل تذكير لكونه من حفدة الانبياء الكرام
عليهم السلام وتلويح الى معنى الولد سر ابيه ليطمئن قلبه بما اخبر به ومن هنا ظهر وجه
رجحان اضافة الابوين اليه دون يعقوب عليه السلام وفي اضافتهما الى يعقوب عليه السلام
تغليب اسحق على ابراهيم عليهما السلام بخلاف ما اذا اضيفا الى يوسف عليه السلام والمراد
بالابوين الجد وابو الجد لانهما في الاصالة في حكم الاب ومن ثمة يقولون ابن فلان لمن بينه
وبين فلان عدة آبا واتمام النعمة في حقهما بالنبوة ورفع الدرجات في الاخرة وقيل على ابراهيم
عليه السلام بالخلة والانجا من النار وعلى اسحق عليه السلام بالانجا من الذبح والفدا بذبح عظيم
ان ربك عليم يعلم من يستحق الاجتبا حكيم يفعل الاشيا على ما ينبغي فلا يتم نعمته
الا على من يستحقه لقد كان في يوسف واخوته اي في قصصهم آيات دلايل على قدرة الله
تعالى وحكمته للسايلين للطالبين لها او دلايل على نبوته عليه السلام للذين سالوه من
عنها فاخبرهم بالصحة من غير سماع من احد ولا قراءة كتاب وانما جمع للعدد الاعجاز لفظا
ومعنى والمراد باخوته عليه السلام بنو علاته العشرة اذ قالوا ليوسف واخوه بنيامين
وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين واشاروا بهذه الاضافة الى ان
سبب فضيلته عند ابيهم اختصاصه بيوسف عليه السلام فذكرهم زيادة محبة ابيهم له
ليس حسدا منهم عليه بل حسدا على يوسف عليه السلام لانها ايضا ترجع الى زيادة محبته له ولهذا
خصوا التفضل وفايدة لام الابتدا في يوسف تحقيق مضمون الجملة وتاكيده اي زيادة محبته
لهما امر محقق لا شبهة فيه احب الى ابينا منا انما وحد احب مع كونهما اثنين لان افعل من كذا

لايغير عن صيغة الواحد المذكور لان تمامه بمن ولايثني الاسم ولايجمع ولايونث قبل تمامه
ولابد في المعرف باللام من المطابقة وفي المضاف جاز الامران وتحن عصبة اي يفضلهما
في المحبة علينا والحاصل انا جماعة كفاة اقويا نقوم بمصالحه ومنافعه وهما صغيران لا
كفاية لهما ولا منفعة فنحن احق بزيادة المحبة منهما والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا
سموا بذلك لانهم جماعة تعصب بهم الامور وتستكفى النوايب ان ابانا لفي ضلال مبين
لفي ذهاب عن وجه الصواب في رايه هذا بايثاره شيئين من الضعفا على عشرة من الاقويا مع استوا
في الانتساب في الاسناد بزيادة حرف التاكيد وفي المسند بوصف الضلال بالظهور وجعله
له ظرفا له عليه السلام وذلك لتاثرهم عن التفضيل المذكور روي انه كان عليه السلام احب
الى ابيه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما راى الرؤيا تضاعفت له المحبة بحيث
لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له اقتلوا يوسف من جملة المحكي
بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الا من قال لا تقتلوا او اطرحوه ارضا منكورة
مجهولة بعيدة عن العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها نصب نصب الظروف المبهمة
والمعتبر فيها ان لا يكون محدودا ومحصورا بالاقطار ولا ينافيه التقييد بنوع
من القيود يخل جزم لانه جواب الامر ومعناه يخلص ويصفو لكم وجه ابيكم فيقبل
عليكم بكليته لا يلتفت عنكم الى غيركم وذكر الوجه لتصوير اقباله لانه من اقبل على الشي يكون
وجهه في جانبه ويجوز ان يكون المراد بالوجه الذات كما في قوله ويبقى وجه ربك لانه اذا صفت
محبته لهم يكون لهم وحده غير مشترك فيه وتكونوا جزم عطفا على يخل او نصب باضمار ان والواو
بمعنى مع من بعده من بعد يوسف او من بعد قتله او طرحه او الفراغ من امره قوما
صالحين تايبين الى الله تعالى مما جنيتم عليه وذوي صلاح في امر دنياكم لانتظامه بخلو وجه
ابيكم لكم او بصلاح ما بينكم وبين ابيكم بعذر تمهدونه له قال قايل منهم ابهمه سترا على
القائلين بقتله عليه السلام حذرا عن سوء الظن من السامعين بخصوصهم وهم انبيا عليهم
السلام ومن لم يتنبه لهذا قال انه يهودا كان هذا القايل احسنهم رايا حيث انكر كلا من الامرين
الذين عزموا على فعل واحد منهما لما راى في احدهما افراطا وفي الاخر تفريطا نظرا الى غرضهم لقد
قدرتهم على تبعيد يوسف عليه السلام في يوم واحد عن ديارهم لا تقتلوا يوسف فان القتل
عظيم والغرض يحصل بدونه ولم يصرح بالنهي عن المنكر الاخر احالة له على ما اختاره عليه
كانه قال مقصودكم الذي يتم به غرضكم هو هذا والقوه في غيابة الجب الغيابة ما غاب
عن عين الناظر واظلم والجب الذي لم يطو انما سمي جبا لانه ليس فيه جب الارض اي قطعها
وغيابته اسفله الذي يغيب ما وقع فيه وقعره وقرئ غيابات على الجمع كانه لتلك الجب غيابات
يلتقطه الالتقاط اخذ الشي من حيث لا يحتسب لا الاخذ مطلقا ولهذا احسن موقعه ههنا

وفي قوله تعالى فالتقطه ال فرعون بعض السيارة اي بعض المسافرين فيذهب به الى
ناحية بعيدة فتستريحوا منه والسيارة جمع سيار وكثير السير في الارض وانما اختار صيغة
المبالغة لانها المناسب لما قصد من الاذهاب الى ديار بعيدة وفيما ذكر قرينة على انه اشارة
بقوله في غيابة الجب الى بير قد عرفوها في ديارهم ولذلك عرفها وقرئ تلتقطه بالتا الفوقانية
على المعنى لان بعض السيارة سيارة ان كنتم فاعلين ما يفرق بينه وبين ابيه فهذا هو
الراي لان هذا القدر يكفي ولما كان اول هذا القايل على نظر الشفقة اتى في اخره ما يناسبه حيث
قال ان كنتم قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف لما تخافنا عليه وانا له لناصحون
ونحن نشفق عليه ونريد له الخير وما وجدنا في حقه الا النصح والمحبة ارادوا استنزاله عن
رايه في حفظه منهم لما احس بالحسد ارسله معنا غدا في الصحراء وفي لفظ ارسله دليل على ان
يعقوب عليه السلام كان يمسك يوسف ويصحبه دايما نرتع الرتع الاتساع في الملاذ بالذهاب
في جهاته من اليمين والشمال وقيل اصل الرتع التصرف في الشهوات يقال رتع فلان في ماله
اذا اصرف في شهواته ونلعب المراد من اللعب ههنا الاستباق والانتضال ويتدربون بذلك
لقتال العدو وانما سموه لعبا لانه بصورة اللعب ولم يريدوا به اللهو بدليل قولهم انا ذهبنا نستبق
ولو كان مرادهم اللهو لما اقرهم عليه يعقوب عليه السلام لصغره وما يعبر عنه باللعب
يناسب اسناده الى الصغير خاف يعقوب عليه السلام على يوسف عليه السلام الضيعة من
جهة الجوع فامنوه عن ذلك بقولهم ونلعب لانه ليس في اللعب مشقة ولا شدة وخاف عليه الضيعة
بتركهم حفظه فامنوه عن ذلك ايضا بقولهم وانا له لحافظون ان يناله مكروه قال اني
ليحزنني ان تذهبوا به ذهابكم به لقلة صبري عنه وشدة مفارقته علي واخاف ان ياكله الذيب
واخاف عليه عدوة الذيب وكان الارض مذابه الحزن الم القلب بفوت المحبوب والخوف انزعاج النفس
لنزول المكروه كانه يقول لا اصبر عن رؤيته ولا طاقة لي بفرقته هذا اذا كانت الحالة حالة السلامة
فكيف ومع هذا المخاف ان ياكله الذيب وقيل راى في المنام ان الذيب قد شد على يوسف عليه
السلام فكان يحذره فقال ذلك وقد لقنهم العلة وقرئ الذيب بالهمزة على الاصل وقيل اشتقاقه
من تذايبت الريح اذا اهبت من كل جهة لانه يخبط في مشيته ويضطرب وقال الاصمعي ان اشتقاق تذايب
من الذيب لان الذيب يفعله في عدوه وهذا اظهر لفظا ومعنى وانتم عنه غافلون لاشتغالكم
بالرتع واللعب وقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن اكله الذيب اعتذرهم يعقوب عليه السلام
بشيئين احدهما عاجل في الحال وهو ما يلحقه من الحزن بمفارقته وكان لا يصبر عنه والثاني خوفه
عليه من الذيب ان يغفلوا عنه برتعهم ولعبهم وعدل اخوة يوسف عليهم السلام عن الاول لقصر
مدة الحزن وايهامهم انهم يرجعون به اليه عن قريب واجابوا عن الثاني لانه سبب قوي في منعه
عن الذهاب به واللام موطئة للقسم والقسم محذوف تقديره والله لئن اكله الذيب والواو

في ونحن عصبة اي فرقة مجتمعة مقتدرة على الوفع للمحال انا اذا لخاسرون جواب للقسم
مجزي عن جزاء الشرط مغبونون ضعفا لاغنا بهم او مستحقون ان يدعى عليهم بالخسار والدمار
ويقال اخسرهم الله حين اكل بعضهم الذيب وقيل ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا
اذن وخسرناها فلما ذهبوا به متصل بمحذوف تقديره فاذن له وارسله معهم فالفاء فصيحة
واجمعوا ان يجعلوه اي عزموا عليه ولا يقال الجمع الا اذا قويت الدواعي الى الفعل من غير
صارف ومنه الاجماع وكانه ماخوذ من اجتماع الدواعي ولما لم يكن مرادهم من القائه في آلة
البير اهلاكه كان التعبير عنه بالجعل فيها افصح في غيابة الجب قيل هو بير على ثلاثة فراسخ من
منزل يعقوب ولا يخالفه القول بانها كانت بين مصر ومدين لان مدين ايضا من ارض الاردن
بجوار كنعان واما القول بانها بير بيت المقدس فلا صحة له لانهم جاوا الى منزلهم عشاء ذلك اليوم
وبينه وبين بيت المقدس مراحل وقرئ في غيابات وهي لا توجد في التي تطو ومنه ظهر وجه
ايثار الجب على البير وجواب لما محذوف للمبالغة مع الايجاز اي فعلوا به من الاذى والاهانة
ما لا يمكن وصفه او لا يحتمل سماعه وتفصيله مذكور في كتب التفاسير واوحينا اليه يعني
في البير فهو معطوف على محذوف تقديره والقوه في غيابة الجب فالواو فصيحة قيل اوحي اليه في
الصغر كما اوحي الى عيسى ويحيى عليهما السلام وقيل كان اذ ذاك مدركا لتنبئنهم بامرهم هذا
بالتوبيخ وذلك قوله عليه السلام هل علمتم ما فعلتم بيوسف وفيه تبشير بحسن حاله في المال
وعما يول اليه امره من علو شان ورفعة مكان ايناسا له وتطييبا لقلبه وهم لا يشعرون
انك يوسف لطول العهد المغير للهيات والاشكال وبعد الحال عن اوهامهم ما دل عليه قوله فعرفهم
وهم له منكرون ومن وهم انه اشارة الى هذا القول فقد وهم وما فهم فيه من التوبيخ فالقول ما
قالت حذام ويويده الاشارة الى الامر المذكور بهذا المتضمنها الدلالة على ما فيه من القباحة
الفاحشة وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم بقول العرب لمن يتوعده بمجازاة سوء لانبئنك
ولاعرفنك يعني لاجازينك وهذا شايع في سائر الالسنة وهم لا يشعرون على هذه القراءة متعلق
باوحينا اي انسناه بالوحي وهم لا يشعرون ذلك وجاوا اباهم عشاء وقرئ عشيا وهو تصغير
عشي وعشا بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكا وفيه ضعف لان قدمه ما يكون في ذلك
النوم لا يعشو منه الانسان والعشا من اخر النهار الى نصف الليل ومنه اشتق الاعشى لانه يمشي
ببصر ضعيف اي جاوا ليلا وذلك ليكونوا اقدر على الاعتذار في الظلمة ولهذا قيل لا تطلب الحاجة
بالليل فان الحيا في العينين ولا تعتذر بالنهار من ذنب فتتلجلج في الاعتذار يبكون حال
معناه متباكين دون باكين لان البكا جريان الدمع من العين عند حال الحزن ولا حزن بهم لانهم اظهروا
صورة البكا ليوهموا انهم صادقين روي انه عليه السلام لما سمع صوت تباكيهم فزع وقال ما لكم
يا بني واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي نتسابق في العدو او الرمي والافتعال

والتفاعل

والتفاعل تشتركان كالانتضال والتناضل والارتما والترامي وتركنا يوسف عند متاعنا
اي تركناه عند الرحل ليحفظه فاكله الذيب الفاء للتعقيب بلا تراخ ولا يندس اعتباره في الايما
من عدم التدارك وما انت بمومن لنا قد مر ان الايمان اذا كان بمعنى التسليم يتعدى باللام
واذا كان بمعنى التصديق يتعدى بالذات او بالباء وتقديم انت وايلاؤه حرف النفي لادعائهم
انه غير مصدق لنا لانا مشتهرون بالصدق موثوق بقولنا عند الكل وما انت فلسوء ظنك بنا وفرط
محبتك ليوسف فلا تسلم لنا ولذلك اكد بزيادة الباء والتقييد بقوله ولو كنا صادقين
اي ولو كنا عندك من اهل الصدق والثقة فكيف وانت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا وانما حذف
الظرف لان ذكره مقدما يفسد المعنى لافادته الاختصاص الذي لا يناسب المقام وذكره موخرا
يفسد اللفظ لانه حينئذ يفوت محافظة روس الآي ويضيع رعاية الفواصل وهي من شرايط حسن
نظام الكلام وفضل الفصل وجاوا على قميصه بدم في محل النصب من الدم ومنع تقدمها على
صاحبها المجرور في غير الظرف وجوز نصبه على الظرف بمعنى فوق واورد عليه بان العامل فيه
حينئذ جاوا وليس فوق القميص ظرفا لهم بخلاف فوق الجمال في قولك جاوا على جماله باحمال ومبنا
على ان تكون الباء للمصاحبة كما في ذهب الله بنورهم واما اذا كان للتعدية كما في ولو جينا بمثله
مددا فلا يلزم المحذور المذكور ولا وجه للحمل على الاول سبق الاخبار عن مجيئهم كذب وصف
بالمصدر مبالغة او مصدر اريد به المفعول اي مكذوب فيه كالثقة يراد بها الموثوق وتقدير
ذي في مثل هذا المقام ينزل الكلام عن منزلة البلاغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو اي جاوا
كاذبين وكدب بالدال غير معجمة اي كدر وطري روي انه عليه السلام لما راى قميصه غير ممزق
قال ما رايت ذيبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك قال بل سولت لكم انفسكم
كذا قالوا والذي عندي ان امارة الكذب قلة الدم المفهومة من التنكير ومن التعبير بكونه على
القميص بكونه على القميص ولو كانت الامارة عدم تمزق القميص لكان هو بالتعرض احق بل اضراب
عن مقدر يقتضيه الكلام ويدل عليه سياق الكلام وبه تمام الانتظام فهو كالفا الفصيحة والتسويل
تحسين الشي وتزيينه وتحبيبه الى الانسان ليفعله او يقوله امرا اي امرا منكرا لا يحتمل التعبير
والتوصيف فصبر اي فحقي صبر كقوله فعدة من ايام اخر اي فعليه جميل في الحديث
المرفوع الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه ولا حاجة الى تخصيص الشكوى بالتي تكون الى غير الله تعالى
اذ ليس في كلامه عليه السلام وعد بالصبر الجميل والله المستعان على ما تصفون اي المطلوب
منه العون على كشف ما التبس من امركم هذا هو المناسب لقوله فصبر جميل عسى الله ان ياتيني بهم
جميعا لا ما قيل على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف عليه السلام كما لا يخفي وهذه الجريمة كانت
قبل استنبائهم ان صح وجاءت سيارة اي رفقة يسيرون وفي صيغة المبالغة دلالة السباق
واللحاق والظاهر من قولهم يلتقطه بعض السيارة انها كانت قريبة من الطريق العام قبل كان ذلك

بعد ثلاث من القائه فيها فارسلوا اي الى البير واردهم هو الذي يصير الى الماء ليستقي منه
فادلى دلوه تقول ادليت الدلو اذا ارسلتها لتملأ فتدلى بها يوسف عليه السلام فلما خرج فاذا
هو غلام احسن ما يكون قال يا بشراي هذا غلام بشر اصحابه بانه وجد عبدا ومعنى النداء
التنبيه اي انتبهوا لفرحتي وسروري وقيل نادى رجلا اسمه بشرى ويرده قراءة بشراي فانه
لو كان اسما علما لم يكن مضافا الى ياء المتكلم واسروه اي الوارد واصحابه عن سائر الرفقة
بضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة والبضاعة ما بضع من المال اي قطع منه
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الضمير لاخوة يوسف عليه السلام وانهم قالوا للرفقة هذا
غلام لنا ابق منا فاشتروه منهم وسكت يوسف عليه السلام مخافة ان يقتلوه
ولا يخفى ما فيه من الاخلال لحسن نظم المقال والاشكال من جهة ان التعبير المذكور لا يناسب الحال
والله عليم بما يعملون وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم وشروه باعوه بثمن
التنكير للتقليل بخس زيف ناقص العيار دراهم بدل من ثمن معدودة لانهم كانوا يزنون
ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها وفيه تصريح بما قصد بالتنكير وتنبيه على انه لم يقصد به
المبالغة في القلة وكانوا فيه في يوسف عليه السلام من الزاهدين الزهد خلاف الرغبة
يقال زهد في الشيء وعن الشيء لانهم كانوا التقطوه والملتقط للشيء متهاون به خائف من انتزاعه
مستعجل في بيعه وفيه متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول
كانه قيل وكانوا زهدوا فيه فحذف لدلالة من الزاهدين عليه وقال الذي اشتراه منهم وهو
العزيز الذي كان على خزائن مصر وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف
عليه السلام فمات في حياته روي انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله
ثلث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله العلم والحكمة وهو ابن
ثلاث وثلثين سنة ومبناه الغفلة عن لبثه في السجن بضع سنين وكون السجن في منزل العزيز
يأباه قوله تعالى ودخل معه السجن فتيان وانما قال من مصر تنبيها على انه غير المشتري
الاول لامرأته راعيل او زليخا واللام متعلقة بقال لا باشتراه اكرمي مثواه اي اجعلي
مكان اقامته حسنا مرضيا والاكرام الاحسان على جهة الاعظام ويلزمه الارض وانما اضافه
الى مثواه دون نفسه مبالغة في احسان تعهده لان من اكرم غيره لاجله كان اعظم منزلة
ممن يكرم في نفسه عسى ان ينفعنا نفع مملوك مقبل لمالكه او نتخذه ولدا فينتفع بنا
قد تفرس فيه الرشد فقال ذلك ولا دلالة فيه على انه كان عقيما لا يولد له وكذلك اي مثل
ذلك التمكين من قلب العزيز حتى عطف عليه وامر امرأته باكرام مثواه مكنا ليوسف في الارض
مكنا له في ارض مصر اي جعلنا له منزلة فيها كناية عن حكومته فيها ولنعلمه من تأويل
الاحاديث عطف على علة محذوفة اي مكنا له في الارض ليتصرف فيها بالعدل والحكمة ولنعلمه

بعض

بعض تأويل الاحاديث وهو تأويل الرؤيا فيعبرها ويعرف الحوادث قبل وقوعها فيتدبر
الامور عليها كما دبر الامر لسني مصر او علة معللها محذوف اي ولنعلمه فعلنا ذلك والله
غالب على امره لا يمنعه مانع ولا ينازعه منازع فيما يشاء ويريد هذا على عمومه ويدخل فيه
امر يوسف عليه السلام دخولا اوليا فان اخوته ارادوا به ما ارادوا ولم يكن الا ما اراد الله تعالى
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيده او حسن كلاءته وعصمته وخفايا لطفه وعنايته
ولما بلغ اشده الاشد منتهى اشتداد الجسم والقوة وكمال البنية وهو سن الوقوف ما بين الثلثين
الى الاربعين يؤيده قوله تعالى حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة آتيناه حكما حكمة وهو
العمل المؤيد بالعلم وعلما بتأويل الاحاديث او حكما بين الناس وفقها وكذلك نجزي
المحسنين تنبيه على ان الله تعالى آتاه الحكم والعلم لاستحقاقه اياه باحسانه في العمل واتقائه
في عنفوان الامر وراودته التي هو في بيتها عن نفسه المراودة المطالبة من راد يرود اذا
ذهب وجاء لطلب الشيء ومنه الرائد ويجوز ان يكون من الرود وهو التمهل والرفق فالمراودة هي
المطالبة على الرفق والتمهل وهي مفاعلة من واحد نحو داويت المريض وتعديته بعن لتضمنه
معنى المخادعة اي فعلت ما يفعل المخادع بصاحبه من الاحتيال في اخراج ما في يده وهو يحفظه
ويكره اخراجه فعن للمجاوزة اي راودته ان يجاوز عنها نفسه لا ان يقف عندها بان لا يطاوعها
وانما قال التي هو في بيتها ولم يصرح باسمها ولا بامرأة العزيز سترا على الحرم والعرب تضيف البيوت
الى النساء فتقول ربة البيت قال الشاعر يا ربة البيت قومي غير صاغرة وفي ذكرها بالموصول توصل
الى زيادة تقرير معنى الخبر ليفيد براءة يوسف عليه السلام فان كونه في بيتها يقرر معنى المراودة
وغلقت الابواب قيل كانت سبعة والتغليق للاطباق بما يعسر فتحه والتشديد للتعدية لان
غلقت الابواب غلقا لغة ردية متروكة ذكره الجوهري فمن وهم انه للتكثير او للمبالغة للاستيثاق
فقد وهم وقالت هيت لك اسم فعل معناه بادر واقبل واللام للبيان اي لك اقول هذا
وقرئ هيت على لفظ الفعل بمعنى تهيأت واللام صلته قال معاذ الله مصدر اي اعوذ
بالله معاذا انه ربي ان الشان سيدي ومالكي احسن مثواي حين امرك بالاحسان
الي فكيف اخونه في اهله نوع من الايجاز البليغ حيث اكتفى بذكر المقتضي والتقدير في مثل هذا
والذهاب الى نوع من المجاز من ضيق الفطن كما لا يخفى على ارباب الفطن انه لا يفلح الظالمون
ويدخل فيهم الذي يجازي الحسن بالسيء دخولا اوليا وايثار صيغة الجمع لبيان ان جمعهم
لا يفلح ولقد همت به اي بمخالطته لان الهم لا يتعلق بالاعيان وهم بها اي بمخالطتها
ولو قيل لقد هما بالمخالطة لكان اخصر وكان انباؤه عن المقدر في الجواب اظهر الا انه فصل بين
الهمين بذكر كل على حياله دلالة على افتراقهما حكما ثم مدحا وذما فالجمع بينهما ابطال لما هو
المقصود من الكلام وهو التنبيه على انهما وان كانا مشتركين في الميل المخصوص الا ان احدهما

ميل عن شهوة تبعها العقل فازدادت تسلطا وصارت عزيمة قاهرة والثاني ميل عن شهوة قاهرة
ردعها العقل فاضمحلت في الآخرة واذا كانا كذلك فاللف بينهما عن طباق المقام بمراحل
ولا خلاف في ان همها كان معصية لانها كانت مصرة واما همه فمن قبيل ما يخطر في النفس
ولا يثبت في الصدر وهو الذي رفع الله فيه المؤاخذة عن الخلق اذ لا قدرة للمكلف على دفعه
فلا زلة فيه مع ان لزلة الانبياء حكما زيادة الوجل وشدة الحياء بالخجل والتخلي عن عجب العمل
والتلذذ بنعمة العفو بعد الامل وكونهم ائمة في الرجاء لاهل لولا ان رأى برهان ربه
ان رأى في موضع رفع والجواب محذوف لعلم السامع به اي لولا رؤية برهان ربه لامضى ما
هم به ولا يجوز ان يجعل وهم بها جواب لولا فانها في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها
وظاهره يدل على انه شاهد امرا صرفه عما قصده حتى قيل انه رأى جبريل عليه السلام وقيل
تمثل له يعقوب عليه السلام عاضا على انامله وقيل نحو ذلك وهذا الذي ذكروه غير صحيح
لان ذلك يقتضي الالجاء وزوال التكليف ولو كان كذلك لما استحق يوسف عليه السلام مدحا
وثوابا على امتناعه عما هم وقد مدحه بقوله انه من عبادنا المخلصين فالوجه ان تكون الرؤية
بمعنى العلم والبرهان ما دل الله تعالى ليوسف عليه السلام على تحريم ما هم به وكذلك اي
مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء
الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته وقرئ بالكسر اي الذين
اخلصوا دينهم لله تعالى واستبقا الباب اي تسابقا اليه هو للخروج والهرب منها وهي
لمنعه منه واصل استبق ان يتعدى بالى فحذف الجار واوصل الفعل ولقد حسن موقعه حيث
كان في التعبير عن المراد ايضا سابقة الى المقصود وانما وحد الباب هنا لان بيان تعدده
فضلة في هذا المقام وذلك ان المسابقة الى احد الابواب المتداخلة بقصد الفرار والخروج من
الدار يستلزم المسابقة الى سائرها وليس الامر في الاغلاق كذلك ولذلك احتيج ثمة اي
الجمع ومن لم يتنبه لهذا قال ما قال بخلاف ما سبق والاستباق الى الباب ينتظم الاستباق
الى الكل وقيل تعديته بالذات باعتبار تضمين التسابق معنى التبادر اي تبادر الباب طالبين
السبق فسبقها يوسف عليه السلام على ما دل عليه قوله وقدت قميصه من دبر عطف
على محذوف تقديره فادركته وقدت والقد الشق طولا قيل ادركته قبل ان يخرج فقبضت في
اعلاه قميصه فتخرق القميص من عند طوقه ونزل التخريق الى اسفل القميص ففي قوله قدت دون
خرقت بيان انها جذبته من اعلاه القميص دون اسفله ولولا ذلك كان المتبادر الى الفهم خلاف
ما هو الواقع وهو الجذب من الذيل فالقيد المعتبر في القد اصاب الحد والفيا سيدها
اي صادف بعلها تقول المرأة لبعلها سيدي لدى الباب مخصوص الحصول ولا يتضمن معنى
الاستحفاظ بخلاف عند فانه قد يتضمنه ويستعمل في الغيبة ايضا ولهذا ذكر عند في قوله عندنا عنا

دون

دون لدى فكل منهما صادف محله قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب
اليم ما نافية اي ليس جزاؤه الا السجن والتعذيب او استفهامية اي اي شيء جزاؤه الا
السجن او التعذيب كقولك من في الدار الا زيد ما عينت يوسف عليه السلام بل عممت حيث قالت
من اراد اي كل من اراد باهلك سوءا فما جزاؤه الا السجن او التعذيب ليكون ابلغ فيما هو مرادها
من تخويف يوسف عليه السلام وانما كان ابلغ لانه كالدليل على استيجابه للعقاب قالت لبعلها
لما راها على تلك الهيئة المريبة ايهاما انها فرت منه تبرئة لساحتها واغراء له بيوسف عليه
السلام وهي مغتاظة عليه اذ لم يواتها فارادت تخويفه عسى ان تقضي وطرها خوفا من
مكرها حين لم يقض حاجتها احبالها كقولها ولئن لم يفعل ما امره ليسجنن فجمعت بين كيدين
وقيل العذاب الاليم الضرب بالسياط والترديد بينه وبين السجن يدل على عظم موقع السجن
من ذوي الاقدار حيث قرنته بالعذاب الاليم ولما اغرت بيوسف عليه السلام واظهرت تهمته
احتاج الى ازالة التهمة عن نفسه ولذلك قال هي راودتني عن نفسي طالبتني بالمواتاة
اي بضمير الغيبة اذ كان غلب عليه الحيا ان يشير اليها ويعينها بالاشارة لان في المواجهة بالقبيح
ما ليس في الغيبة ولما تعارض قولاهما عند العزيز وكان رجلا فيه اناة ونصفة طلب الشاهد
فالواو في قوله وشهد شاهد من اهلها عاطفة على مقدر قيل كان ابن عم او خالا لها صبيا
في المهد وما قيل انه كان رجلا حكيما يرده ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه تكلم اربعة
وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى رواه الحاكم من حديث ابي
رواه الحاكم من حديث ابي هريرة رضي الله عنه وقال صحيح من شرط الشيخين وانما القى الله تعالى
الشهادة على لسان اهلها ليكون الزم للحجة عليها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو
من الكاذبين من قبيل السامى واحد في الكلام لنفسه الاخر عند القائه بتنزيله المحتمل منزلة
الظاهر لان الشق بالجذب في هذا الشق ايضا محتمل ومن غفل عن هذا قال لانه يدل على انه قصدها
فدفعت عن نفسها فقدت قميصه او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد من قدامه وان كان
قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت قميصه
فقدته حكيت الشرطية بعد فعل الشهادة لانها نوع من القول فلا حاجة الى ارادة القول من الحاد ج
قيل استعارة الشهادة للشرطية المذكورة لادائها مؤدى الشهادة في اثبات قول يوسف عليه السلام
بها وابطال قولها ومبناه الغفول عن ان القول المذكور معطوف على مقدر به ينتظم امر الشهادة
على الحقيقة وجواب الشرط فصدقت وفكذبت وهو على اضمار قد والجمع بين الاستقبال
والماضي المحقق في الشرط والجزاء على تاويل ان تعلم انه كان قميصه قد كقولك لمن يمتن عليك
باحسانه ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل ان تمتن علي باحسانك امتن عليك باحساني
السابق وقرئ من قبل ومن دبر لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتحة كانهما جعلا علمين

المجمعتين فسنما القرف وبسكون العين فلما راى قميصه قد من دبر وعلم صدقه وكذبها
قال انه اي ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا وان هذا الامر من كيدكن من حيلتكن
ايتها النسوة فالخطاب لها ولجواريها اولها ولساير النساء الطف واعلق بالقلب واشد
تاثيرا في النفس وعن بعض العلما اني اخاف من النسا اكثر مما اخاف من الشيطان لانهن يواجهن
الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة يوسف حذف حرف النداء لقربه وكمال فطنته وسرعة
فهمه للحديث لذكائه وقيل فيه تقريب له وتلطيف بمحله وفيه نظر لان الاسم الظاهر على ما بين
في كتب المعاني في طريق الغيبة اعرض عن هذا اي عن هذا الامر اراد بالاعراض عنه كتمه وعدم
التحدث به ثم اقبل عليها فقال واستغفري ثم ذكر سبب الاستغفار بقوله لذنبك ثم
اكد ذلك بقوله انك كنت من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين فان النسيان في
النسوان غالب وقال نسوة النسوة اسم مفرد لجميع المراة وتانيثه غير حقيقي كتانيث اللمة
ولذلك لم يلحق فعله تاء التانيث وضم النون لغة فيه في المدينة ظرف لقال اي اشعن
الحكاية في مصر وليفهم منه كونهن فيها بخلاف ما اذا كان صفة للنسوة فانه لا يفهم منه
معنى الاشاعة فيها فالوجه كونه ظرفا دون صفة امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه
تطلب موافقة غلامها اياها والعزيز بلسان العرب للملك والفتى الغلام وعرفه في المملوك
وفي الحديث لا يقل احدكم عبدي وامتي وليقل فتاي وفتاتي واصله فتي لقولهم فتيان والفتوة
شاذة يعنين انهن اشعن حب راعيل ليوسف عليه السلام وصرحوا باضافتها الى العزيز مبالغة
في التشنيع لان النفوس اميل لسماع اخبار ذوي الاخطار وما يجري لهم واختير صيغة المضارع
لدلالتها على انه صار ذلك سجية لها تخادعه دايما عن نفسه ثم نبهن على علة ديمومية
المراودة وهي كونها والهة في حبه بقولهن قد شغفها حبا اي خرق حبه الشغاف وهو حجاب
القلب حتى وصل الى الفؤاد وانتصب حبا على التمييز المنقول من الفاعل وفيه مبالغة
بليغة في التعشق بذكر الشغاف والابهام والتبيين كانه من شدة استيلاء حبه على قلبها
قد شق شغاف قلبها وتمكن في حبة قلبها وسويدائه وقرئ قد شعفها من شعف البعير اذا
هناه فاحرقه بالقطران ثم نقمن عليها ذلك فقلن انا لنراها في ضلال في ضلال عن الرشد
وبعد عن الصواب مبين واضح للناس فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وانما سماه
مكرا لانه اخفينه كما يخفي الماكر مكره لما عرفت ان سياق الكلام يفصح عن الاشاعة بل لانه
قلن ذلك ليرين يوسف عليه السلام ارسلت اليهن تدعوهن واعتدت لهن متكأ
اي تسوت وهيات لهن ما يتكئن عليه من النمارق والوسايد وقيل متكا مجلس طعام وشراب
لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب كعادة المترفين ولذلك نهي ان ياكل الرجل متكئا
والاول يناسب المقام لما فيه من مقابلة المكر بالمكر كانها قصدت بقعودهن متكئات والسكاكين

في ايديهن ان يقطعن ايديهن على ايديهن فيقطعنها اذا بهتن وشغلن عن انفسهن من الدهش
والحيرة عند رؤيته لان المتكي اذا دهش مال عن متكاه فوقعت يده على يده وقرئ متكا مفعلا
من تكا يتكا اذا اتكا ومتكا وهو الاترج او ما يقطع من متك الشيء بمعنى بتكه اذا قطعه وآتت
كل واحدة منهن سكينا اي واعطت سكينا يعالج به ما يحتاج الى قطعه مما قدم من اللحوم
والفواكه وقالت ليوسف اخرج عليهن وذلك في حال ما كن يعالجن بالسكين فلما رأينه
عطف على محذوف تقديره فخرج فلما رأينه وحذفه ههنا كحذف فضرب في قوله تعالى اضرب
بعصاك الحجر فانفجرت وفيه دلالة على سرعة امتثاله لامرها اذا كان بالمعروف اكبرنه اعظمنه
واعجبن من ذلك الجمال الباهر للعقول المدهش للقلوب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه
رايت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما
يرى نور الشمس من الماء عليها وقيل معنى اكبرن حضن يقال اكبرت المراة اذا حاضت واصله دخلت
في الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر الى حد الكبر والهاء هاء السكت او ضمير المصدر
او ضمير يوسف عليه السلام على حذف اللام وايصال الفعل اي حضن له من شدة الشبق ومنه
قول ابي الطيب • خف الله واستر ذا الجمال ببرقع • فان لحت حاضت في الخدور العواتق •
وقطعن ايديهن اي جرحنها بالسكاكين لفرط الدهش والتضعيف للتكثير كان الجرح قد
وقع مرارا في اليد الواحدة وصاحبتها لا تشعر به لما دهلت بما راعها من جمال يوسف عليه السلام
فكانها غابت عن حسها فاثرت رؤيته عليه السلام فيهن ولم تؤثر فيهن في امراة العزيز لطول
الصحبة والاعتياد والتغير صفة اهل وقلن حاش لله تنزيها له تعالى من صفات
العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله وحاش حاشا خففت بحذف الالف وهي كلمة تفيد معنى
التبرية والتنزيه ومن زاد على هذا في باب الاستثناء فقد خبط لما عرفت من انه يفيد المعنى المذكور
في غير مقام الاستثناء وانه في ذلك الباب لا يفيد الا معنى الاستثناء اذ لا فرق في قولك قام
القوم الا زيدا وقولك قام القوم حاشا زيد ثم انه مثل بقوله اساء القوم حاشا زيد ولم
يدر ان معنى التنزيه انما استفيد لدلالة الكلام على تبرئة زيد من الاساءة لان حاشا في مقام
الاستثناء يقتضي ذلك قطعا الا ترى انه لو ذكر بدل اساء فعلا اخر لا يفيد المعنى المذكور
واللام للبيان كما في قولك سقيا لك وقرئ حاش الله بغير لام اي براءة الله وحاشا الله بالتنوين
على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف
عليه السلام اي صار في ناحية الله مما يتوهم ما هذا بشرا لان مثل هذا الجمال غير معهود
للبشر واعمال ما بمعنى ليس لغة اهل الحجاز لمشاركتها في نفي الحال وقرئ بشر على لغة تميم واما
قراة بشري اي بعبد مشترى بمعنى مشتري حاصل بشرى فلا يطابق قوله ان هذا الا ملك
كريم لان هذه الشارة الرائعة بالحسن والهيبة في الجمال لا تكون الا للملك وقد ركز في الطباع

ان لا احسن من الملك ولا اقبح من الشيطان وشبه كل منهما في الحسن والقبح بهما اولان الجمع بين
الجمال الرايع والعصمة البالغة لا تكون الا للملائكة قالت فذلكن الذي لمتنني فيه اي بسببه
واللوم الوصف بالقبح على وجه التوبيخ والتشنيع وذا اسم اشارة واللام لبعد المشار اليه
والكن خطاب لتلك النسوة والمعنى ان هذا الذي صدر منكن من الاكبار وتقطيع الايدي فيه
ونفي البشرية عنه واثبات الملكية له ذلك البعد الكنعاني الذي لمتنني بسبب الافتتان به قبل ان
تتصورنه حق تصوره ولو تصورتنه بما عاينتن لعذرتنني او فهذا الذي لمتنني به وانما قيل ذلك
وهو حاضر تعظيما له ورفعا المنزلته في الحسن واستبعادا لمحله والغرض ان تثبت له استحقاق ان يحب
ويفتتن به ولقد راودته عن نفسه الاخبار عن المراودة المذكورة مؤكد بقد واللام يدل
على انه لم يخبر عنها قبل هذا فما قيل في تفسير فلما سمعت بمكرهن وانما سماه مكرا لانها استكتمتهن
سرا فافشينه عليها فليس بذلك فاستعصم فامتنع طالبا للعصمة اقرت لهن حين عرفت
انهن عذرنها كي يعاونها على الانة عريكته الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ
والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة ونحوه استجمع الراي واستفحل الخطب
وهذا بيان لما كان من يوسف عليه السلام لا مزيد عليه وبرهان لا شيء انور منه على طهارته وعصمته
وفي الفاء التعقيبية دلالة على انه ما صدر من يوسف عليه السلام بين المراودة والاستعصام فعل
يفصله عنها فمن هنا تبين ان الواقع من جانبه عليه السلام هم غير اختياري فما زيد على ذلك
وذكر في التفاسير والقصص مردود بنص الكتاب فافهم والله الهادي الى الصواب ولئن لم يفعل
ما آمره اي ما امر به فحذف الجار كما في قوله امرتك الخير اي امري ومعناه موجب امري ومقتضاه
فيكون الضمير له عليه السلام واللام في لئن موذنة بقسم محذوف وجوابه ليسجنن وجاء
النون المشددة لانها اكد من المخففة ثم عطف عليه وليكونن بالنون المخففة لان الصغار
اخف من السجن وقرئ بالنون المشددة والاول اولى معنى لما تقدم ولفظا لان النون كتبت في
المصحف الفا على حكم الوقف وذلك لا يكون الا في الخفيفة من الصاغرين من الاذلاء من صغر
بكسر الغين يصغر صغارا واما الصغير فمن صغر بالضم يصغر صغرا قال رب السجن وقرئ
بالفتح على المصدر احب الي مما يدعونني اليه من ركوب المعصية وهي محبة الاختيار
والايثار لا محبة النفس فانها تهوى ما تدعون اليه دليله قوله اصب اليهن ودلت الاية على ان
النسوة راودنه عن نفسه ولذلك قال اذ راودتن يوسف عن نفسه ويجوز ان يكون اسناد الدعوة
والمراودة اليهن لانهن نصحن له وزين له مطاوعتها وقلن له اياك والقاء نفسك في السجن والصغار
وقيل انما ابتلي يوسف عليه السلام بالسجن لانه تجلد على الله وتصبر بقوله رب السجن احب الي مما
يدعونني اليه وكان حقه ان يسأل العافية ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان
سأل الصبر والا تصرف عني وان لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك الي وتحسينه عندي

بالتثبت على العصمة اصب اليهن اميل الى اجابتهن والى انفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي والصبوة
الميل الى الهوى ومنها الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها وقرئ اصب من
الصبابة واكن من الجاهلين من الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا يجدي بعلمه فهو
ومن لا يعلم سواء او من السفهاء لان الحكيم لا يفعل القبيح فاستجاب له ربه فاجاب الله تعالى
دعاءه الذي ضمنه قوله والا تصرف عني فان فيه معنى طلب الصرف والدعا باللطف فصرف
عنه كيدهن بتثبيته على العصمة تفسير للاستجابة انه هو السميع لدعوات الملتجئين اليه
العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا ظهر لهم للعزيز واهله من بعد ما راوا الايات
هي الشواهد على براءته كشهادة الصبي وقد القميص واما قطع النساء ايديهن فليس منها كما لا
يخفى وفاعل بدا مضمر لدلالة ما يفسره عليه ليسجننه والمعنى بدا لهم بدا اي ظهر لهم راي
هو ليسجننه وهو جواب قسم محذوف والقسم وجوابه معمول لقول محذوف تقديره قائلين
وما كان ذلك الا باستنزال المراة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطواعة لها حتى
انساه ذلك بعد ما عاين من الايات وعمل برايها في سجنه والحاق الصغار به كما اوعدته وتسخره
لها وقرئ لتسجننه بالتاء على الخطاب خاطب بعضهم العزيز وما يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم
حتى حين اي زمان كانها اقترحت ان يسجن زمانا حتى يبصر ما يكون منه او يحسب الناس انه المجرم
فلبث في السجن بضع سنين وقرئ عتى بلغة هذيل ودخل معه السجن فتيان اي عبدان للملك قال
الزجاج كانوا يسمون المملوك فتى شيخا كان او شابا والواو للعطف على المحذوف تقديره امضوا رايهم
في سجنه فسجنوه ودخل معه اي في صحبته السجن فان مع حقيقة فيها فلا تصرف عنها الى المجاز الا
لصارف كما في قوله تعالى واسلمت مع سليمان والمعنى انه عليه السلام دخل السجن واتفق حينئذ
دخل آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما قصدا ان يسماه قال احدهما وهو
الشرابي اني اراني اي اري في المنام وهي حكاية حال ماضية استحضارا للصورة عند السامع
اظهارا للاهتمام بتاويلها اعصر خمرا وفي قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عنبا واطلاق
الخمر على العنب مجاز من باب تسمية الشيء بما سيؤول اليه ونكتة المجاز بيان ان عصره كان
للتخمير لا لامر آخر على وجه الايجاز وقال الاخر وهو الخباز اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل
الطير تنهش منه نبئنا بتاويله شبه الاخبار بما يقع من الامور المغيبة بتفسير المشكل والافصاح
عن معناه لابهامه فسماه التاويل والضمير لما قصا عليه جاريا مجرى اسم الاشارة كانه قيل نبئنا
بتاويل ذلك انا نراك من المحسنين الذين يحسنون تعبير الرؤيا قالا ذلك لانهما راياه يعبر
رؤيا بعض اهل السجن او المحسنين الى بعض اهل السجن فاحسن الينا بتاويل ذلك ان كنت تعرفه
قال لا ياتيكما طعام ترزقانه فلما استعبراه اراد ان يجعل ذلك ذريعة الى دعوتهما الى التوحيد
فقدم ذلك مقدمة باعثة اياهما على القبول وهي الاخبار عن المغيبات كما هو طريقة الانبياء عليهم

الصلوة والسلام في انتهاز الفرصة في الدعوة الى الحق تعالي فقال تعالي من عند اهلكما او اصدقا ئكما
ما تحتاجان اليه من الطعام في السجن الا نباتكما بتاويله اي ببيان ماهيته وكيفيته قبل
ان ياتيكما فجعل نبئهما كل يوم بما يجي اليهما من الطعام من صفته كيت وكيت فيكون كالخبر ويجوز
ان يكون الضمير في نباتكما بتاويله راجعا الي ما استعبراه عنه اي سانبئكم بتاويل ما قصصتما
علي قبل ان ياتيكما وصفة الطعام الذي ترزقانه فكانهما قالا له عليه السلام كيف تعلم ذلك
وهو غيب فقال ذلكما اشارة الي التاويل اي ذلك والاخبار بالمغيبات مما علمني ربي
بالالهام والوحي اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله تعليل لما قبله وتشويق لهما الي الايمان
اي لاني تركت ملة قوم استمرا علي دينهم وهم اهل مصر وكانوا مشركين وليس هو تركا بعد الكون
فيها بل هو الامتناع عنها اصلا وهم بالاخرة هم كافرون لما اراد ان يحبب اليهما الايمان
والتوحيد ويكره اليهما الكفر والفسوق فقال هذه الكرامة لاني منعت عن ملة قوم ليسوا من
الايمان بالله في شي ولا من الايمان بالاخرة وعدل عن الجملة الاسمية الي الجملة الفعلية وكرر هم
وقدم الاخرة لانهم للدلالة علي انهم قوم عادتهم الكفر فهو لهم كالطبيعة لا امر عارض وانهم
خصوصا كافرون بالاخرة وان غيرهم مؤمنون وهم الذين علي ملة ابراهيم عليه السلام وتخصيص
كفرهم بالاخرة والجزافات علي التوحيد والمعاد هما اساس الدين وللتعريض بان ما هم عليه
من الظلم والكبائر لا يرتكبه الا من هو كافر بالاخرة واتبعت ملة اباي فيه اطلاق الاب
علي الجد وقد مر وجهه ابراهيم واسحق ويعقوب اي واتبعوا ملة اباي الانبياء عليهم
الصلوة والسلام ويجوز ان يكون اعني قوله اني تركت الي اخره كلاما مبتدأ لتمهيد الدعوة بعد اظهار
المعجزة واثباتا انه من بيت النبوة او الشرف والكرامة ليقوي رغبتهما في قبول كلامه واتباعه
ووثوقهما به ولهذا يجوز للعالم الخامل ان يضيف نفسه ليعرف فيقتبس منه ويهتدي بهداه
ما كان اي ما صح لنا معاشر الانبياء ان نشرك بالله من شي اي شي كان وتعميم مفعول
نشرك وتاكيد النفي بزيادة لتكون كالبرهان علي امتناع اشراك الاصنام به تعالي علي ابلغ الوجوه
وانه اذا لم يجز اشراك شي ما به ولو كان اشرف الاشيا فكيف باخسها وهي الجمادات ذلك
التوحيد من فضل الله علينا بالوحي والاختصاص بالنبوة وعلي الناس بارسالنا اليهم لنهديهم
اليهم ونعلمهم ونزكيهم ولكن اكثر الناس المرسل اليهم لا يشكرون فضل الله تعالي عليهم ولا
يعرفون نعمة الهداية فكيف يشكرونها او من فضل الله تعالي علينا وعليهم نصب الادلة وانزال
الايات ولكن اكثر الناس لا ينظرون في الادلة اتباعا لاهوائهم ولا يستدلون بها ولا ينتبهون
لذلك الفضل فلا يشكرون تلك النعمة السنية يا صاحبي السجن ناداهما باسم الصحبة
في المكان الشاق الذي تخلص فيه المودة وتمحض فيه النصيحة والمعني يا صاحبي فيه فاضافهما
اليه علي الاتساع كما في قوله يا سارق الليلة اهل الدار ثم اورد الدليل علي بطلان ملة قومهما

بقوله

بقوله االرباب متكاثرة في العدد متفرقون بتفريق الغير المقهورون تحت قدرته
خير ام الله الواحد القهار الغالب الذي لا يعاد له ولا يقاومه غيره مثل ضرب لعبادة الله تعالي
وحده وعبادة الاصنام وبما قدمناه تبين وجه اصابة التوصيف بالقهار محزه وكان الظاهر
مقابلة الله تعالي بالالهة وانما عدل عنه للتنبيه علي ان التعدد ينافي الالوهية ثم استطرد
بعد هذا الاستفهام اي الاخبار عن حقيقة ما تعبدون فقال ما تعبدون من دونه اي ما تعبدون
شيا من دون الله تعالي والخطاب لهما علي دينهما الا اسماء سميتموها الا اسماء بلا مسميات
احدثتموها انتم واباؤكم اي سميتم اشياء ليس فيها معني الالوهية الهة فعبدتموها باعتبار
تلك الاسماء الخالية من المسميات ما انزل الله بها بتسميتها من سلطان من حجة تدل علي
تحقق مسمياتها ان الحكم في امر العبادة والدين الا لله لانه المستحق للعبادة بالذات من حيث
انه الواجب لذاته الموجد للكل والمالك للامر ثم بين ما حكم به فقال امر علي لسان انبيائه عليهم السلام
الا تعبدوا الا اياه الذي دلت عليه الحجج ذلك اي تخصيصه تعالي بالعبادة هو الدين القيم
الثابت الذي دلت عليه البراهين عقلا ونقلا ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخبطون في جهالاتهم
تدرج في الدعوة فبدا بتقبيح ملتهم في اعينهم بابطالها اولا ثم بتحسين ملة التوحيد وتزيينها لهم
وبيان انه من فضل الله تعالي تنفيرا وترغيبا ثم بين رجحان التوحيد علي اتخاذ الالهة بالتمثيل
ثم ابطل الشرك بانه لا حجة له اصلا عقلا ولا نقلا وانه عبادة العدم المحض ثم صرح بان الحق هو
التوحيد وذلك هو الدين الثابت بالبرهان العقلي والسلطان النقلي الذي لا ياتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه ومن لا يعرف ذلك فهو الجاهل مطلقا يا صاحبي السجن لما القي اليهما
ما كان اهم وهو امر الدين رجاء ايمانهما ناداهما ثانيا لتجتمع انفسهما لسماع الجواب اما احدكما
يريد الشرابي انما لم يعينه صريحا ابهاما للامر المخوف مهما امكن واحترازا عن المخاطبة بالقبيح والتصدي
باما للشروع في تفصيل ما قصده من الجواب عما استفتياه فيسقي ربه سيده ومولي رقبته اي
يسقي ما يروونه به خمرا كما كان يسقي قبله اي يعود الي مكانه قيل سقي واسقي لغتان بمعني واحد
والذي عليه اكثر اهل اللغة ان معني سقاه ناوله فشرب وصب الماء في حلقه ومعني اسقاه جعل
له سقيا والذي عليه الاكثر قال تعالي واسقيناكم ماء فراتا واما الاخر يريد الخباز فيصلب فتاكل
الطير من راسه قضي الامر الذي فيه تستفتيان انما تستفتيان فيه مما يؤول اليه امركما
وهو ما اتهما فيه وسجنا لاجله وفزع عنه وهما ظنا ان ما راياه في معني ما نزل بهما فاستفتياه
فيه ما عاقبته وقيل جحدا وقالا كذبنا ما راينا شيا وتحالمنا التجربة فقال ان ذلك كاين سواء كان
ذلك منكما حلما او تحالما والاستفتا طلب الفتيا والفتيا جواب بحكم المفتي وهو غير الجواب بعلته
وزمان الاستفتا لا ينقضي ما لم يقض المفتي الوطر في الفتيا ولهذا قال تستفتيان دون استفتيتما
وقال يوسف عليه السلام للذي ظن انه ناج منهما الظان هو ايضا عليه السلام ان كان

تاويله عن اجتهاد والشرابي ان كان عن وحي الا ان يكون الظن بمعنى اليقين كما في قوله اني ظننت
اني ملاق حسابيه والنجاة الخلاص عن الورطة بسلامة اذكرني عند ربك اذكر حالي عند
الملك عسى ان يخلصني فانساه الضمير للشرابي الشيطان الانساء حقيقة من الله تعالى
وانما نسب الى الشيطان لانه كان بوسوسته اليه من الاشغال المانعة عن التذكير والفا للسببية
فان توصيته له عليه السلام المتضمنة للاستعانة من غير الله تعالى كان سببا للانساء الذي ترتب
عليه مكثه في السجن مدة مديدة ذكر ربه اي ذكر يوسف عليه السلام للملك والاضافة لادنى
ملابسة ومن جوز ان يكون المعنى انسى يوسف عليه السلام ذكر الله تعالى حتى استعان بغيره لم
يدر ان حق الفاء حينئذ ان تدخل قال ويذكر جملته بعد اختها ولا تاييد لما ذكره في قوله عليه السلام
رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس انما تاييده لما
ذكرناه فلبث في السجن بضع سنين البضع ما بين الثلاث الى التسع من البضع وهو القطع
واكثر الاقاويل على انه عليه السلام لبث فيه سبع سنين وقال الملك اني ارى حكاية حال فلذلك
جاء بلفظ المضارع سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف لما دنى فرجه عليه السلام راى ملك
مصر في المنام سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل
السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات وسبعا اخر يابسات قد
ادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص عن
حال البقرات وسمان جمع سمين وسمينة ككرام صفة اجريت على المميز دون المميز بنوع من الجنس
والعجف غاية الهزال والعجاف جمع عجفا وقياسه عجف لان فعلا وافعل جمع فعل لكنه حمل على
اسمان ومن عادة العرب حمل النقيض على النقيض كحمل النظير على النظير وانما اجريت
عجاف على سبع للاستغناء عن التمييز بالمميز الاول الذي هو الجنس والتمييز انما يكون بالجنس
فلو جعل عجاف تمييزا بدون ذكر الجنس لم يجز كما لا يجوز ثلثة غلاظ واربعة ضخام لعدم دلالتها
على الجنس فاذا اجريت على السبع بالوصف بالنوع بعد تمييزه بالجنس تقديرا فرجع الى الاول واخر
عطف على سبع يابسات منصوب المحل صفته على قياس عجاف في الاول يا ايها الملأ خطاب
للاعيان والاشراف من العلما والصلحا يا ايها الملا وافتوني في رؤياي عبروها ان
كنتم للرؤيا اراد الجنس فلذلك عدل عن الضمير واللام للبيان او لتقوية العامل لان العامل
اذا تاخر عن معموله ضعف تاثيره فقوي باللام كاسم الفاعل ويجوز ان يكون للرؤيا خبر كان
كما تقول فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا فيه وتعبرون حالا او خبرا وان تضمن
تعبرون معنى فعل تعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا والعبور المجاوزة
وعبرت الرؤيا جاوزتها اي جاوزت صورها المتخيلة المرئية الى الصورة الكائنة في نفس الامر التي
انتقلت المخيلة منها الى المرئية وكذا اولتها اي ذكرت مآلها او ما ترجع هي اليه من الصورة الواقعة

في نفس الامر وعبرت اثبت عند اهل اللغة وعبّرت بالتشديد للمبالغة كقطّعت وقطعت قالوا
اضغاث احلام هذه اضغاث احلام او امثال هذه اضغاث احلام اي تخاليطها جمع ضغث وهو
ما جمع من اخلاط النبات وحزم شبه بها ما تجمعه المتخيلة من احاديث النفس ووسواس الشيطان
فاستعير للرؤيا الكاذبة والاحلام جمع حلم بالضم وهو رؤيا كاذبة لا حقيقة لها وفي الخبر الرؤيا
من الله والحلم من الشيطان اخرجه من جنس الرؤيا لعدم ترتب اثره عليه والاضافة بمعنى من اي
اضغاث من احلام وانما جمع ولم يكن الا حلما واحدا لتضمنه اشيا مختلفة وقيل للمبالغة في الوصف
بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز لمن لا يركب الا فرسا واحدا فزيد في
الوصف وعلى تقدير امثال يكون الجمع على ظاهره وما نحن بتاويل الاحلام بتاويل المنامات
الباطلة بعالمين لما اجابوا بقولهم اضغاث احلام عن سؤال التعبير واسقطوا احتماله
بقي احتمال السؤال بطلب التاويل لانه اوسع دائرة من التعبير فتداركوه باظهار العجز عن تاويل
الاباطيل وفيه دليل على انهم نزلوا ما رآه لتضمنه الاشيا منزلة الاحلام والا لكان حقهم ان
يقولوا وما نحن بتاويل الحلم بعالمين وقال الذي نجا منهما من صاحبي السجن وهو الشرابي
وادكر جملة حالية وادكر بالدال وهو فصيح وعن الحسن واذكر بالذال المعجمة اي تذكر
بعد امة بعد جماعة من الزمان طويلة حين استفتى الملك في رؤياه واعضل على الملا تاويلها
وقرئ امة بكسر الهمزة وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة من القتل وقرئ بعد امه
بالها اي بعد نسيان انا انبئكم بتاويله عمن عنده علمه فارسلون الي لاساله عنه
فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال يوسف فحذف ايجازا ايها الصديق ناداه بالصديق
وهو المبالغ في الصدق لانه عرف صدقه في تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه واخبر حاله في
السجن افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات
اي في رؤيا ذلك لعلي ارجع الى الناس الى الملك ومن عنده وانما بنى الكلام على الظن لانه
تادب بصحبة يوسف عليه السلام فلم يجزم بالرجوع اليهم فربما اخترم دونه ولا في علمهم
فربما لم يعلموا وقيل لم يكن السجن في المدينة لعلهم يعلمون فضلك ومنزلتك فيخلصونك
من محنتك قال تزرعون خبر في معنى الامر كقوله تؤمنون بالله واليوم الآخر و
تجاهدون اخراج الامر في صورة الخبر للمبالغة في ايجاب المامور في الاعتناء بشانه فيجعل كانه قد
يوجد فيخبر عنه والدليل على انه في معنى الامر قوله فذروه سبع سنين دأبا بسكون الهمزة
وتحريكها مصدر دأب في العمل اذا واظب اي على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى
دائبين او المصدر باضمار فعله اي تدأبون دأبا وتكون الجملة حالا فما حصدتم فذروه
في سنبله الا قليلا مما تاكلون في تلك السنين نصيحة خارجة عن التعبير واشارة باي نافع
بحسب طعام مصر وحنطتها التي لا تبقى عامين الا بحيلة ابقائها في السنبل ثم ياتي من بعد

ذلك سبع شداد اي سبع سنين شداد فحذف المميز لدلالة قوله سبع سنين عليه يأكلن ما قدمتم
لهن اي اسند الاكل اليهن على سبيل المجاز من حيث انه يؤكل فيها كما قال والنهار مبصرا تطبيقا
بين المعبر والمعبر به الا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذور الزراعة ثم يأتي من بعد ذلك
عام لم يقل سنة لغلبتها في عام القحط فيه يغاث الناس يمطرون فيه من الغيث ويغاثون
من القحط من الغوث ففي الاول بني من الثلاثي وفي الثاني من الرباعي تقول غاثنا الله من الغيث
واغاثنا من الغوث والمغيث المطر الذي يجيء في وقت الحاجة وباعتبار هذا القيد فيه حسن موقعه
في قولهم الغيث لا يخلو عن الغوث والغوث الذي يأتي على شدة حاجة يبغي المضرة وفيه
يعصرون ما يعصر كالعنب والقصب والزيتون والسمسم لكثرة ما يعصر من الفواكه وغيرها
وقيل يحلبون الضرع وقرئ تعصرون بالتاء على تغليب المستفتي وقرئ على بناء المفعول من عصره
اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبني للفاعل ايضا منه اي يغيثهم الله او يغيث بعضهم بعضا او من
اعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض او بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها
بعد ان اول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة
وابتلاع العجاف السمان باكل ما جمع في السنين المخصبة في السنين المجدبة نصحهم وهداهم
الى التدبير فيها ثم بشرهم بان العام الثامن يجيء خصبا وذلك اما بالوحي واما بالعلم بان انتهاء
الجدب الى الخصب وان الالسنة الالهية جارية بالتوسيع على العباد بعد التضييق عليهم وقال
الملك بعد ما جاءه بالتعبير ائتوني به اي بالمعبر ففي الكلام حذف فلما جاءه الرسول
يوسف عليه السلام ليخرجه من السجن قال يوسف عليه السلام ارجع الى ربك انما تأنى
وتثبت في اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما قذف به وفيه دليل على ان
السعي في دفع التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو
كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة ومن زاد على ما ذكر قوله ويعلم انه سجن ظلما
فلا يقدر الحاسد ان يتوصل الى تقبيح امره لم يصب لان التعجيل اعون على دفع الوهم فان في التأني
مخافة الآفة وحال السؤال لا يختلف بكونه في داخل السجن وخارجه ولذلك قال عليه السلام
لاسرعت الاجابة وفي بعض الروايات ما اخبرتهم بعني عن تعبير الرؤيا حتى اشترط ان يخرجوني
وانما قال فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ولم يقل فاسأله ان يفتش عن
حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال لان الانسان اذا سأل عن شيء جد فيه واجتهد في تحقيقه
بخلاف ما اذا التمس منه شيء وانما لم يتعرض لامرأة العزيز صريحا وقصدا مع ما صنعت به كرما
ومراعاة للادب وانما قلنا صريحا وقصدا لان التعرض للمقطعات ايديهن يستلزم التعرض لها
والسؤال عن بالها ان ربي بكيدهن عليم حين قلن لي اطع مولاتك تعظيما لكيدهن بانه كيد
بعيد الغور لا يعلم كنهه الا الله تعالى واستشهادا بعلم الله تعالى عليه وعلى انه بريء مما اتهم به

وايعادا لهن بان الله تعالى عليم بكيدهن فيجازيهن عليه قال اي الملك مخاطبا لهن بعد
احضارهن ففي الكلام حذف ما خطبكن ما شأنكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه
لعظمه اذ راودتن يوسف عن نفسه هل وجدتن منه ميلا الى ما دعوتنه اليه قلن حاش لله
تعجبا من عفته وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها ما علمنا عليه من سوء
بالغن في نفي المكروه عنه عليه السلام بالتنكير وزيادة من وانما قلن عليه لان مرادهن نفي
ما يسوءه لا ما يسوء الغير قالت امرأة العزيز فصله عما قبله ولم يقل وقالت لان مبنى
الوصل على دخولها في الخطاب بقوله ما خطبكن وليست بداخلة فيه الآن حصحص الحق
ثبت واستقر من حصحص البعير اذا القى مباركه ليناخ او ظهر من حص شعره اذا استأصله
بحيث ظهر بشرة رأسه لما سمعت مقالتهن في براءة يوسف عليه السلام اقرت باعظم ما اقررن به
اذ كانت هي اقوى سبب فيما جرى من المراودة ومن سجنه ولا بينة اجلى من اعترافهن على انفسهن
وشهادتهن له بالبراءة والنزاهة وهي خصومة والفضل ما شهدت به الاعداء انا راودته
عن نفسه وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي ذلك ليعلم من كلام يوسف
عليه السلام لما جاءه الرسول واخبره بكلامهن فحذف ما حذف لدلالة الكلام عليه كقوله تعالى قال
الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم ثم قال فماذا تأمرون وهو من
كلام فرعون يستشيرهم بذلك مخاطبا اياهم اي ذلك التثبت ليعلم العزيز اني لم اخنه
بالغيب بظهر الغيب في حرمه وهو حال من الفاعل او المفعول اي لم اخنه وانا غائب عنه
وهو غائب عني او ظهرن اي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة وان الله اي وليعلم
ان الله لا يهدي كيد الخائنين اي لا يهدي الخائن في كيده كقوله ولا تتبع سبيل المفسدين
اي لا تتبع المفسدين في سبيلهم وقوله يضاهون قول الذين كفروا اي يضاهون الذين كفروا في
قولهم وهذه طريقة دقيقة لا يسلكها الا من له سليقة وفيه تعريض بامرأة العزيز في خيانتها
امانة زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله وما ابرئ نفسي خفيا لتزكيته نفسه
وهضما لها واحترازا من اعجابها بامانتها وعصمتها واقرارا بان ذلك بتوفيق الله تعالى وعصمته
وتسديده وعصمته لامانة اي ما ابرئ نفسي من الزلل ولا ازكيها ولا اشهد لها بالبراءة وهو
اعني نفي التبرئة والتنزيه اما مختصة بهذه الواقعة وارادة الهم المذكور الذي هو ميل النفس
لا القصد الاختياري واما عامة في جميع الاحوال ان النفس لامارة بالسوء تعليل وتأكيد
بعد التلويح والمراد بالنفس الجنس اي هذا الجنس كله دائم الامر بالسوء حامل عليه بما فيه من
الشهوات باعث للقوى والجوارح عليه الا ما رحم ربي الا ما عصمه الله تعالى برحمته نصب
على الظرف من اعم الاوقات اي الا وقت رحمة ربي وعصمته او على الاستثناء المنصل اي الا البعض
الذي رحمه ربي بالعصمة واللام في النفس للاستغراق حتى يصح الاستثناء ويصح ان يكون استثناء

الجزء

منقطعا اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف السوء كقوله ولا هم ينقذون الا رحمة وقيل هو من كلام
امراة العزيز اي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف اني لم اخنه اي لم اكذب عليه في حال الغيبة وجيت
بالصدق فيما سئلت عنه وما ابري نفسي مع ذلك من الخيانة فاني قد خنته حين قذفته وقلت ما
جزا من اراد باهلك سوءا فهو اعتذار منها عما سلف ان كل نفس لامارة بالسوء الا نفسا رحمها الله تعالى
بالعصمة كنفس يوسف عليه السلام وفيه تكلف صرف الخيانة عن معناها الى معنى الكذب ٥
ان ربي لغفور رحيم يغفر لهم النفوس ويرحم من يشاء بالعصمة او يغفر للمستغفر لذنبه
المعترف على نفسه ويرحمه وقال الملك ايتوني به لما اخبر النساء بما اخبرت قال ملك مصر ايتوني
به استخلصه لنفسي اجعله خالصا لنفسي لما ظهر عنده من علمه وصلاحه فلما كلمه
معطوف على محذوف تقديره فاتوا به فاستنطقه اي الملك فالفاعل لكلم ضمير يوسف عليه السلام
فلما كلم يوسف الملك وراى حسن منطقه بما صدق الخبر الخبر قيل كان الملك يعرف سبعين لسانا
فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه قال انك اليوم لدينا مكين اي ذو مكانة ومنزلة
امين مؤتمن على كل شيء قيل توفي العزيز في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوج منه زوجته
فوجدها عذراء وولد له منها افرائيم وميشا قال اجعلني على خزاين الارض ولني امرها
والارض ارض مصر لما وصفه الملك بالتمكين عنده والامانة طلب من الاعمال ما يناسب هذين
الوصفين اني حفيظ لها احفظ ما تستحفظنيه عليم بوجوه التصرف وصف نفسه
بالامانة والكفاءة اللتين هما طلبا الملوك ممن يولونه وانما قال ذلك ليتوصل به الى امضاء
احكام الله تعالى واقامة الحق وبسط العدل والتمكين مما لاجله تبعث الانبياء عليهم السلام
ولعلمه ان احدا غيره لا يضطلع لذلك ولا يقوم مقامه فيه فطلب التولية ابتغاء وجه الله تعالى
لا لحب الملك والدنيا وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولي من
يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى اقامة الحق الا باستظهاره وعن مجاهد انه قد اسلم على يده
عليه السلام وكذلك اي ومثل ذلك التمكين الظاهر مكنا ليوسف في الارض ارض
مصر يتبوء منها حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى لدخولها بجملتها تحت مملكته وسلطانه
نصيب برحمتنا بعطائنا من نشاء في الدنيا والاخرة ولا نضيع اجر المحسنين
بل نوفي اجور احسانهم عاجلة وآجلة ولا ننقص من اجورهم في الاخرة بسبب ما اعطيناهم من
الملك والغنى شيئا ولهذا قال ولاجر الاخرة خير لانه الدايم الذي لا يفنى للذين امنوا
قال سفيان بن عيينة رحمه الله المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والاخرة والفاجر يعجل له الخير
في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق وتلا هذه الاية وفيها شهادة من الله تعالى ليوسف عليه
السلام بالاحسان واشارة الى ان حالها في الاخرة خير من الحالة العظيمة في الدنيا وايذان
بان الاحسان هو الذي لا يضيع الله تعالى اجره وكانوا يتقون اي وداوموا على التقوى

من باب وضع الظاهر موضع الضمير تنويها بذكر الايمان والتقوى وتبيينا لهيئة الاحسان
واصله بانه هو الايمان والتقوى اي العلم والعمل وايماء الى ان اجر الاخرة انما يستحق بهما وان
غير المؤمن المتقي اعني عن المشرك لا نصيب له في الاخرة وجاء اخوة يوسف من كنعان من ارض
فلسطين من نواحي الشام الى مصر ليمتاروا منها فتوصلوا الى يوسف عليه السلام للميرة روي انه
اصاب بلاد الشام وارض كنعان نحو ما اصاب ارض مصر فارسلهم يعقوب عليه السلام ليمتاروا
واحتبس بنيامين عنده فدخلوا عليه فعرفهم لانه فارقهم وهم رجال ملتحون وراى زيهم
قريبا مما كان قبل وهم له منكرون لانهم فارقوه في سن الحداثة غير ملتح ولحسبانهم انه ملك
ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حاله التي فارقوه عليها وتبدل زيه ولما نابهم من
التهيب والاستعظام مما ينكر له المعروف ولما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر
ركائبهم بما جاؤوا له من الميرة وقرئ بجهازهم بالكسر والجهاز بالفتح والكسر عدة السفر من الزاد
وما يحتاج اليه المسافرون وقيل هو فاخر المتاع الذي يحمل من بلدة الى اخرى ومنه جهاز العروس
قال ايتوني باخ لكم من ابيكم لا بد من مقدمة تقتضي هذا الامر روي انهم لما دخلوا عليه قال
من انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من انبياء الله
اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب احدنا الى البرية فهلك قال فكم انتم ههنا
قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا عند ابينا يتسلى به عن الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا
يعرفنا ههنا من يشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وايتوني باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم
فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يوسف عليه السلام يعطي لكل نفر حملا فسالوا حملا زايدا
لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان ياتوه به ليعلم صدقهم ثم ذكر ما يحرضهم على الاتيان
باخيهم بقوله الا ترون اني اوفي الكيل اتمه وانا خير المنزلين للضيف اي المضيفين
يعني في قطره وفي زمانه وكان قد احسن انزالهم وضيافتهم يونسهم بذلك ويستميلهم ثم
توعدهم ان لم ياتوا به بحرمانهم من الميرة في المستقبل بقوله فان لم تاتوني به فلا كيل لكم
عندي ولا تقربون يحتمل ان يكون نهيا وان يكون نفيا مستقبلا ومعناه النهي وحذف النون
وهو مرفوع كما حذفت في قوله فبم تبشرون وان يكون نفيا داخلا في الجزاء معطوفا على محل فلا
كيل لكم عندي فيكون مجزوما تلطف في استحضار بنيامين بالترغيب والترهيب قالوا سنراود
عنه اباه سنخادع عنه ونحتال حتى ننتزعه من يده ثم اكدوا ذلك الوعد بقولهم وانا لفاعلون
ذلك لا محالة لا نتوانى فيه ولا نقصر او لقادرون على ذلك وقال لفتيانه لغلمانه الكيالين
جمع فتى وقرئ لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فانه وكل
بكل رحل واحدا يعني فيه يجعل فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما
فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من ان ياخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون

عندابيه مايرجعون به والرحل آلة السفر من وعاء ومركب لعلهم يعرفونها لعلهم
يعرفون حق ردها او لكي يعرفوها اذا انقلبوا الي اهلهم وفتحوا اوعيتهم لعلهم
يرجعون لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الي الرجوع فلما رجعوا الي ابيهم قالوا يا ابانا
منع منا الكيل حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب باخينا بنيامين فارسل معنا اخانا نكتل
ما يحتاج اليه من الطعام لوجود الشرط ورفع المانع وقرئ يكتل بالياء اي يكتل اخونا
فيضم اكتياله الي اكتيالنا ويجوز ان يكون لمعني يكن سببا للاكتيال على الاسناد المجازي
لان امتناعه بعدم ذهابهم به فاذا ارسل معهم كان هو سببا لاكتيالهم فكانه هو المكتال
وانا له لحافظون عن ان يناله مكروه قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل
استفهام بمعني النفي وهذا تقرير وتوقيف وتالم من فراقه بنيامين ولم يصرح بمنعه من ارساله
لما راي في ذلك من المصلحة وشبه هذا الايتمان في ابنه هذا بايتمانه اياهم في حق يوسف عليه
السلام كانه يقول قد قلتم فيه وانا له لحافظون كما قلتم في هذا فاخاف ان تكيدوا له كما كدتم
لذلك لكنه لم يخف عليه كما خاف على يوسف عليه السلام واستسلم لله تعالي فقال فالله خير
حافظا فانوكل عليه واعتمد على حفظه وكلاءته دونهم ورضي بدفعه اليهم وقرئ حفظا
وانتصابه وكذا انتصاب حافظا على التمييز وكون حافظا حالا ليس بجيد لان فيه تقييد خيرا
بهذه الحالة وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع على مصيبتين
ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم اي وضعت في رحالهم وقرئ ردت بالكسر
على ان كسرة الدال المدغمة نقلت الي الراء كما قيل في وبيع قالوا يا ابانا ما نبغي ما استفهامية
اي اي شيء نطلب وراء هذا هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا ورد علينا متاعنا او نافية
اي ما نبغي في القول وما نزيد على ما وصفنا لك من احسان الملك وروي ما تبغي بالتاء على الخطاب
اي اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان والشاهد على صدقنا هذه بضاعتنا ردت الينا
جملة استينافية وقعت بيانا لقولهم ما نبغي ونمير اهلنا عطف على محذوف اي هذه بضاعتنا
ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا اذا فسر البغي بالطلب واذا فسر بالكذب والتزيد في القول
جاز ان يعطف نمير على ما نبغي ويجوز ان يكون كلاما مبتدا اي وينبغي ان نمير اهلنا كقولك
سعيت في حاجة فلان ويجب علي ان اسعي له ونحفظ اخانا عن المخاوف في الذهاب والاياب
ونزداد كيل بعير اي وسق بعير باستصحاب اخينا الزيادة وسقه على اوساق اباعرنا فما نبغي
وراء هذه المباغي ذلك اي الذي جئنا به كيل مكيل يسير لا يكفينا فلا بد ان
نرجع اليه ونضاعفه او ذلك الزائد لاخينا مكيل قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه
او ذلك الذي يمير ويكال لنا شيء يسير نزيد عليه ما يكال لاخينا وقيل هو من كلام يعقوب عليه
اي ذلك المزداد وهو حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد لذلك ليعلم ويا باه تاخير

قال عنه فان حقه حينئذ ان يقدم عليه قال لن ارسله معكم البتة بعد ما رايت منكم ما رايته
حتي توتوني موثقا من الله ما اوثق من عند الله يعني الحلف بالله تعالي وانما جعله موثقا من الله
تعالي لان الحلف بالله مما يؤكد به العهد وقد اذن الله تعالي فيه فهو اذن من الله تعالي لتاتنني به
جواب القسم لا معني حتي توتوني موثقا حتي تحلفوا الي الا ان يحاط بكم الا ان تهلكوا او الا ان تغلبوا
فلن تطيقوا الاتيان به مفعول له وقوله لتاتنني به في تاويل النفي اي لا تتركنه لعلة من الا لعلة
الاحاطة بكم لانه استثناء مفرغ من اعم العلل فلا يكون الا في النفي كقولك اقسمت بالله الا فعلت
اي ما اطلب منك الا فعلك او ظرف مستثنى من اعم الظروف اي لا تمنعون من الاتيان به وقتا ما
الا وقت الاحاطة بكم فلما اتوه موثقهم قال الله على ما نقول من طلب الموثق واتيانه وكيل
مطلع رقيب وقال حين انفذ اخاهم معهم يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من
ابواب متفرقة وصاهم بالحذر عن اصابة العين لانهم كانوا جماعة ذوي ابهة واشارة حسنة
مشتهرين بين اهل مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا
لجلالتهم في الصدور وقد عرف كونهم اخوة والعين تتسارع تاثيرا الي مثلهم ولذلك لم يوصهم
بذلك في الكرة الاولي لانهم كانوا حينيذ مجهولين مغمورين بين الناس او كان الداعي له
الي التوصية خوفه على بنيامين وتاثير العين مما لا ينكر وقد ورد في الخبر عن خير البشر العين حق
وفي خبر اخر ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وانه عليه السلام تعوذ الحسنين رضي الله
عنهما فقال اعيذكما بكلمات الله التامة من كل هامة ومن كل عين لامة وقد شهدت به التجربة ولا ينافي
ذلك ان لا مؤثر الا الله تعالي لان حقيقة التاثير واصله ليس الا منه تعالي وان ظهر على مظاهر
الاشيا بحسب جري العادة وليس هذا بمحل الامتحان والابتلاء لانه ليس من خوارق العادات
وما اغني عنكم من الله من شيء مما قضي عليكم بما اشرت به اليكم اي لا انفع وادفع ان اراد الله
ان يفعل بكم شيئا شيئا ولم يرد به الغاء الحذر عن الغاء النفس الي محل الخطر بيان عدم التاثير للتدبير
في تغيير ما في التقدير لانه لا يناسب شان النبي عليه السلام ان يوصي بشيء على وجه الاهتمام ببنيه الكرام
ثم يبطله ويظهر انه من خطرات الاوهام بل اراد دفع ما يخطر بالبال عند سماع مثل هذا المقال من معارضة
التقدير بالتدبير بحسب الظاهر المتبادر الي الافهام بما يرجعه الي ان رخع الحذر لا يغني عن القدر
ومع هذا لا بد للعاقل من الحذر عن مظان خطر الضرر ولذلك امرنا به في قوله تعالي خذوا
حذركم ونهينا عن خلافه في قوله تعالي ولا تلقوا بايديكم الي التهلكة ان الحكم الا لله
اي ليس الفصل بين الامور على ما تقتضيه الا الله تعالي ولما كان في توصيتهم مظنة للتوسل
بالاسباب العادية تداركه بقوله عليه توكلت اي فوضت امري الي الله تعالي يدبره كيف يشاء
وتقديم الصلة لتخصيص التوكل به تعالي وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين حرفي العطف
مع تقديم الصلة واراد بالواو العطف على فعله من تخصيص التوكل بالله تعالي في حفظهم

وبالفا السبب لان فعل الانبيا عليهم السلام سبب لا يقتدي به اي وعليه خاصة اذ خصصته
بالتوكل عليه فليتوكل المتوكلون في جميع امورهم او وعليه ان توكل متوكل فليتوكل كما عليه توكله
ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي من ابواب متفرقة في البلد ما كان تغني عنهم
من الله من شي اي ما كان دخولهم في البلد متفرقين على راي يعقوب عليه السلام مغنيا
عنهم من قضاء الله في حقهم شيا الا حاجة في نفس يعقوب قضاها اي ولكن كان اضطرابا
في قلبه ودغدغة في خاطره ازال ذلك عن نفسه بوصيته واما ما قيل فسرقوا واخذ بنيامين بوجدان
الصواع في رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب عليه السلام فلا يناسب المقام لان مساق
الكلام في عدم تاثير تدبيره فيما وصاهم به وهو الاحتراز عن مظنة الضرر من جهة اصابة
العين بهم لا من جهة اخرى وانه وان يعقوب عليه السلام لذو علم عظيم وفي التنكير
للتعظيم توطية لما في قوله لما علمناه من كمال التفخيم الحاصل من اضافة التعليم لنفسه تعالى
ولكن اكثر الناس لا يعلمون سر ايجاب الحذر مع انه لا يغني شيا من القدر ولما دخلوا
على يوسف اوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين على الطعام او في المنزل الايواء الضم والتصيير
الى مواضع الراحة ومنه الماوي وهو المنزل الذي يصير اليه صاحبه للراحة فيه روي انه اضافهم
فاجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه
معه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات عنده وقال له
اتحب ان اكون معك مكان اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل
فبكى يوسف عليه السلام وقام اليه فعانقه وقال اني اخوك يوسف فلا تبتئس فلا تحزن
افتعال من البوس بما كانوا يعملون بما استمر به عادتهم من الجفا في حقنا وذكري بغير الجهل
عندك تغافل لك فكانه قصد الاشارة الى ما هم بصدد ان يعملوه في حقهم من اسناد السرقة
بقولهم ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل ولذلك اتى بصيغة المضارع وكان ذلك معلوما
له بطريق الوحي فلما جهزهم بجهازهم الفا فصيحة عاطفة على محذوف تقديره ظاهر
وقد مر تفسير الجهاز جعل السقاية المشربة في رحل اخيه قد مر تفسير الرحل قيل كانت
مشربة جعلت صاعا يكال بها وقيل كانت يسقى بها الدواب ويكال فيها وكانت من فضة
وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف جواب لما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن
نادى منادي الاذان الاعلام بقول يسمع بالاذن يقال اذنه اعلمه واذن اكثر الاعلام ومنه المؤذن
لكثرة ذلك منه ايتها العير العير القافلة ومنه المثل لا في العير ولا في النفير وهو في
الاصل اسم ما امتير عليه من الابل والحمير والبغال لانها تعير اي تردد والقول بتخصيصه
بالابل باطل نص عليه الازهري ثم قيل اصحابها كالخيل في قوله عليه السلام يا خيل الله اركبي
انكم لسارقون من قبيل نسبة الفعل الى جماعة كلمتهم واحدة لصدوره عن واحد منهم والسرقة

اخذ الشي

اخذ الشي من حرز في خفية بغير حق قيل لم يامرهم يوسف عليه السلام بذلك ولا علمه وانما كان
امر بجعل السقاية في رحل اخيه بعض خواصه على ما امره الله تعالى به فلما فقدها الموكلون
بها اتهموهم بها قالوا اي اخوة يوسف عليه السلام واقبلوا جملة حالية اي
وقد اقبلوا عليهم اي على طالبي السقاية وفيه تنبيه على ما في قوله ثم اذن مؤذن من
ايجاز الحذف والاقبال مجي الشي الى الجهة المقابلة بوجهه وضده الادبار ماذا تفقدون
وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا ويحتمل ان يكون ماذا استفهاما في موضع
نصب بتفقدون ويحتمل ان يكون ما وحدها استفهاما مبتدا وذا موصولة بمعنى الذي
خبر عن ما وتفقدون صلة لذا والعايد محذوف اي تفقدونه وفقد الشي طلبه عند
غيبته عن الحس بحيث لا يدري اين هو قال الجوهري فقدت الشي افقده فقدا وتفقدته
اي طلبته عند غيبته ولما فيه من معنى الطلب قالوا تفقدون ولو كان معناه الغيبة المجردة
عن الطلب لكان حقهم ان يقولوا ماذا فقدتم قالوا نفقد صواع الملك هو المكيال
وهو السقاية المذكورة سماه اولا باحدى جهتيه واخرا بالثانية وقرئ صاع وصوع بالفتح
والضم والعين والغين وصواغ من الصياغة ولمن جاء به حمل بعير اراد وسق بعير
من طعام جعلا لمن حصله وتمام الكلام في هذا المقام توعيد للمسي ووعد للمحسن من رئيس
تلك الجماعة الا انه اختصر واكتفى بجزئه الثاني مصدرا بالواو الفصيحة الدالة على محذوف هو
جزؤه الاول وحينئذ ينتظم الافراد في وانا به زعيم اي كفيل اؤديه الى من رده مع الجمع في
قوله قالوا نفقد قيل فيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل ويرد عليه
انه لا دلالة فيه على لزوم الضمان وصحة الالتزام بدون اللزوم مما لا حاجة الى الدليل عليه
قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب مما اضيف اليهم والتاء بدل من الواو في قول بعض النحويين
وقال السهيلي انها اصل بنفسها وقد حكي عن العرب دخولها على الرب والرحمن وحياتك قالوا
ترب الكعبة وتالرحمن وتحياتك لقد علمتم ما جينا لنفسد في الارض اي في ارضكم وانما
استشهدوا بعلمهم لاشتهارهم بينهم بالامانة والديانة واختبارهم حالهم في كرتي المجي ومداخلتهم
ولانهم دخلوا مصر وافواه رواحلهم معكومة لئلا يتناولوا زرعا او طعاما لاحد ولانهم ردوا
بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم وما كنا سارقين مرادهم نفي السرقة عن انفسهم فكان
حقهم ان يقولوا وما سرقنا الا انهم ارادوا ان يضمنوا عبارتهم الدلالة على ان الاقدام على
مثل هذه السرقة انما يتيسر ممن هو معتاد بها قالوا فما جزاؤه الضمير للصواع اي فما جزاء
سرقته على حذف المضاف ان كنتم كاذبين في ادعاء البراءة قالوا جزاؤه اي جزاء سرقته
من وجد في رحله اي اخذه واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب عليه السلام فهو جزاؤه
جملة اخرى لتقرير الحكم والزامه او خبر من والفا لتضمنه معنى الشرط او جواب لها على انها

شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه على اقامة الخبر مقام الضمير تفخيما للشان الجزا كانه قيل
جزاؤه من وجد في رحله فهو هو كذلك مثل ذلك الجزا نجزي الظالمين بالسرقة وهذا
كلام من لم يشك انه برآء مما راموا به ولاعتقادهم البراة علقوا الحكم على وجدان الصاع على
سرقه فبدا باوعيتهم اي فبدا من قال وانا به زعيم وقد تقدم انه مقدم بتفتيش اوعيتهم
وقيل يوسف عليه السلام لانهم ردوا الي مصر قبل وعاء اخيه بنيامين نفيا للتهمة ثم
استخرجها اي السقاية وتذكير الضمير فيما سبق لان الخدمة عبروا عنها بالصواع فما دام الكلام
منقولا عن لسانهم ذكر الضمير عايدا اليه من وعاء اخيه وقري بضم الواو وبقلبها همزة
كذلك اي مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف اي علمناه اياه واوحينا به اليه
ما كان اي ما صح لياخذ اخاه بالسرقة في دين الملك ملك مصر لان دينه الضرب
وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق وهو تفسير الكيد وبيان له الا ان يشاء الله
نصب على الظرف والمفعول له اي ما كان لياخذه وقتا من الاوقات الا وقت مشية الله تعالى
او الا بسبب مشية الله تعالى نرفع درجات من نشاء في العلم كما رفعنا درجته عليه السلام
وقري يرفع بالياء ودرجات بالتنوين وفوق كل ذي علم عليم ارفع درجة منه في العلم ارا
المبالغة في عدم انتهاء مراتب العلم ودرجاته لعدم انتهاء المعلومات وعلم الله تعالى ليس بو صف
في المخلوق زايد على ذاته فلا يقال له تعالى ذو علم وبما قررناه ظهر وجه العدول عن العالم
الى ذي علم قالوا ان يسرق يعنون بنيامين فقد سرق اخ له من قبل يعنون يوسف
عليه السلام قيل ورثت عمته من ابيه منطقة ابراهيم عليه السلام وكانت تحضن يوسف
عليه السلام وتحبه فلما شب اراد يعقوب عليه السلام انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه
ثم اظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت احق به في حكمهم وبقي عندها
حتى ماتت فاسرها يوسف في نفسه الضمير لما يفهم من سياق الكلام اي اكن كراهة ذلك
القول في نفسه والفا للعطف على محذوف تقديره وسمع يوسف كلامهم فاسرها وقوله
ولم يبدها لهم تاكيد للسابق وبيان للمراد من اللاحق فانه علم منه انه عليه السلام قال
في نفسه انتم شر مكانا اي شر منزلة في سرقتكم اخاكم من ابيكم والله اعلم بما تصفون
اي يعلم ان الامر ليس كما تصفونه من نسبة السرقة الينا وصيغة افعل للمبالغة لا للتفضيل على
معنى والله اعلم منكم بما تصفون اذ لا علم لهم به فان ما قالوه ناش عن الجهل غير مطابق
للواقع قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا ذكروا له حال ابيهم وهي كونه شيخا
كبير القدر استعطافا له عليه وكانوا قد اخبروه بانه كان له ولد قد هلك وهذا شقيقه يتسلى
به وهو احب اليه منهم فخذ احدنا مكانه بدلا على وجه الاستعباد والاسترقاق انا نراك
من المحسنين الينا وما الانعام الا الاتمام فاتمم احسانك او من المتعودين بالاحسان فلا

تعبر

تغير عادتك قال معاذ الله مصدر يقوم مقام الفعل اي نعوذ بالله معاذا ان ناخذ
من ان ناخذ فاضيف الى المفعول وحذف من الا من وجدنا متاعنا عنده اي ان نظلم فان
اخذ السارق على فتواكم واجب فلين اخذنا غيره انا اذا لظالمون في مذهبكم ودينكم فلم تطلبون
منا ما هو ظلم عندكم كلام ذو وجهين ظاهره ما مر وباطنه اني مامور من عند الله تعالى باخذ
بنيامين فان خالفته كنت ظالما مرتكبا خلاف الوحي عاصيا وانما قال الا من وجدنا متاعنا
عنده اجرا الكلام على مجرى ما قالوه عند بيان الجزا واحترازا عن التصريح باسناد السرقة الى اخيه
والا فالاخصر لفظا والاظهر ان يقول الا من سرق فلما استيأسوا منه يئسوا من يوسف
عليه السلام اي من اجابته اياهم وزيادة السين والتا للمبالغة كما ذكر في استعصم خلصوا
انفردوا واعتزلوا عن الناس خالصين لا يخالطهم غيرهم نجيا ذي نجوى اي فوجا نجيا حال ونفعو
له اي مناجيا او ليناجي بعضهم بعضا وكان تناجيهم في تدبير امرهم والنجي قد يجي بمعنى المناجي
كالعشير بمعنى المعاشر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا وقد يكون بمعنى المصدر بمعنى التناجي
كالنجوى ومنه قيل قوم نجي كما قيل واذ هم نجوى تنزيلا للمصدر منزلة الوصف ويقال هم نجي
كما يقال هم صديق لانه على زنة المصادر قال كبيرهم في السن هو روبيل او رئيسهم وهو
شمعون وكبيرهم في العقل والراي وهو يهودا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا
من الله عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله تعالى موثقا منه لانه باذن منه وتاكيد من جهته
وانما قال عليكم لما في اخذه من التكليف والايجاب ومن قبل اي من قبل هذا ما فرطتم في
يوسف قصرتم في شانه ولم تحفظوا عهد ابيكم فيه وما مزيدة او مصدرية ومحل المصدر
النصب بالعطف على مفعول تعلموا كانه قيل الم تعلموا اخذ ابيكم موثقا وتفريطكم من قبل في
يوسف ولا باس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف واما الرفع على الابتدا وخبره الظرف
وهو من قبل اي وقع من قبل تفريطكم في يوسف فمردود بان قبل اذا كان خبرا او صلة لا يقطع
عن الاضافة حتى لا ينقص او موصولة اي ومن قبل هذا ما فرطتموه في حق يوسف اي ما قدمتموه
من الخيانة العظيمة ومحله النصب او الرفع على الوجهين فلن ابرح الارض فلن افارق
ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الرجوع اليه او يحكم الله لي بالتوفي معهم وهو خير الحاكمين
لانه لا يحكم الا بالحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق على ما شهدنا من ظاهر
الامر وقري سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا بان راينا ان الصواع
استخرج من وعايه وما كنا للغيب لباطن الحال حافظين اعتذار من مواعدتهم اياه بحفظه
اي ليس من شاننا حفظه لامر غايب عنا فانا كنا ضمنا لك حفظه مما يمكننا الحفظ عنه من الافات
في الطريق فاما السرقة فمما لم يمكن لنا الى حفظه منها سبيل هذا هو الظاهر من الكلام المتبادر
الى الافهام المطابق لما يقتضيه المقام فلا حاجة الى صرف الحفظ عن معناه الى العلم كما سبق الي

بعض الاوهام واسئل القرية التي كنا فيها هي مصر اي ارسل الي اهلها فاسئلهم عن كنه
القصة والعير التي اقبلنا فيها قد مر ان العير يطلق علي القافلة وهم كانوا من كنعان
جيران يعقوب عليه السلام وقيل من صنعا وانا لصادقون تاكيد في محل القسم وفي
الكلام اضمار معناه فلما رجعوا الي ابيهم وقالوا ما قال اخوهم قال بل سولت اي زينت
وسهلت لكم انفسكم امرا امرا اردتموه والا فما ادري الملك ان السارق يوخذ بسرقته
لولا فتواكم فصبر جميل قد مر تفسيره عسى الله ان ياتيني بهم جميعا بيوسف واخيه
والكبير المتوقف هناك انه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم في تدبيره ولا يفعل
الا ما تقتضيه الحكمة وتولي عنهم واعرض عنهم كراهة ما اخبروه به وقال يا اسفا
علي يوسف اي يا اسفا تعال فهذا اوانك والاسف اشد الحزن علي الغصب وهو اشد الغضب
ايضا ويجوز ان يكون اجتمع له المعنيان الحزن علي فقد يوسف والغضب علي اخوته او علي نفسه
ببعثه معهم ويناسبه ما في لحاق الكلام من التعرض لهما وانما تاسف علي يوسف عليه السلام
والحادث مصيبة اخويه لان الرزء اشد المصايب وانكاها وهو الاخذ بمجامع قلبه لا ينسه ولانه
كان واثقا بحيوتهما دون حيوته وفي الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه
راجعون الا امة محمد صلي الله عليه وسلم الا يري الي يعقوب عليه السلام حين اصابه ما اصابه
لم يسترجع وقال يا اسفا منادي مضاف الي ياء المتكلم ابدلت الياء الفا وابيضت عيناه
من الحزن لكثرة بكائه من الحزن فان العبرة اذا كثرت محقت سواد العين وغيرته الي
بياض كدر وعلل الابيضاض بالحزن وانما هو من البكاء المتوالي لان ثمرة الحزن تعلل بالاصل
الذي نشا منه البكا والحزن الهم الغليظ علي النفس من الارض الحزن بفتح الحاء اي الغليظة
والظاهر انه عليه السلام كان عمي لقوله فارتد بصيرا وقري من الحزن وفيه دليل علي جواز
التاسف والبكا عند التفجع ومثل ذلك لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه
عند الشدايد ولقد بكا رسول الله صلي الله عليه وسلم علي ولده ابراهيم وقال القلب يجزع
والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون فهو كظيم
مملو من الغيظ علي اولاده ممسك له في قلبه ولا يظهره فعيل بمعني مفعول كقوله وهو مكظوم
من كظم السقا اذا شده علي ثلثة او بمعني فاعل لقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ
اذا اجترعه واصله من كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه والكظم بفتح الظا مجري النفس
قالوا تالله جواب القسم تفتؤ تذكر حذف منه لا وحذفها جايز لانها لا تلتبس بالاثبات
اذ لو كان اثباتا بعد القسم لقيل لتفتان اذ لا بد في الاثبات من اللام والنون فقرينة النفي
خلوه عن علامة الاثبات والمعنى لا تزال واسمها ضمير الخطاب وتذكر خبر تفتا لا تزال تذكر
يوسف تفجعا عليه حتى تكون حرضا مريضا مشفيا علي الهلاك وقيل الحرض الذي

اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
بالكسر كدنف ودنف وقد قري بضمتين كجنب او تكون من الهالكين الهلاك ذهاب الشي
بحيث لا يدري الطالب له اين هو فالميت هالك لهذا المعني ويطلق علي الواله الشي وهو المراد
هنا ولهذا اخر فانه لو اريد المعني الاول لكان حقه التقديم قال انما اشكوا بثي البث اصعب
الهم الذي لا يقدر صاحبه ان يكتمه فيبثه اي ينشره وحزني الي الله اي لا اشكوا الي احد
منكم ولا من غيركم انما اشكوا الي الله تعالي ملتجيا اليه فخلوني وشكايتي وهو معني توليه عنهم
الي الله تعالي واعلم من الله اي اعلم من لطفه ورحمته انه ياتيني بالفرج من حيث لا احتسب
او اعلم من جهة الله تعالي بالوحي ما لا تعلمون من حياة يوسف عليه السلام قيل انه راي
ملك الموت في منامه فساله هل قبضت روح يوسف عليه السلام فقال لا والله هو حي فاطلبه
وقيل علم من منام يوسف عليه السلام انه لا يموت حتي يسجد له ابوه واخوته يا بني اذهبوا
فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما والتحسس الاستقصا والطلب
بالحواس وقري بالجيم من الجس وهو الطلب ومنه الجاسوس امرهم بطلب يوسف بالبصر لعلهم
يرونه او بالاذن لعلهم يسمعون ذكره ولا تياسوا من روح الله ولا تقنطوا من فرجه
وتنفيسه وقري من روح الله اي من جهة رحمة التي يحيي بها العباد انه لا ييئس من روح
الله الا القوم الكافرون بالله تعالى وصفاته فان العارف لا يقنط من رحمة الله تعالي في
شي من الاحوال فلما دخلوا عليه اي علي يوسف عليه السلام بعد ما رجعوا الي مصر
رجعة ثانية قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر الهزال من شدة الجوع وجينا
ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته
وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت بضاعتهم دراهم زيوفا لا توخذ الا بوضيعة وقيل غير ذلك
فاوف لنا الكيل التمسوا منه ايفاء الكيل بعد ما قدموا باعثا للشفقة وموجبا للرحمة وكانهم
صدروه باداة التفريع وتصدق علينا اي بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة او زدنا
علي حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا يلزمه صدقة تمسكنا وتواضعا له ولا دلالة فيه علي عدم
اختصاص حرمة الصدقة لنبينا عليه السلام نزلوا اوضع منزل كانهم قالوا ان لم نستوجب
معاملة البيع والشرا فقد استوجبنا بذل العطا وعلي الله تعالي المكافاة والجزا ان الله يجزي
المتصدقين احسن الجزا والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله صلي الله عليه وسلم في القصر
هذه صدقة تصدق الله عليكم فاقبلوا صدقته لكن اخص عرفا بما يبتغي به ثواب من الله تعالي
قال هل علمتم بيوسف واخيه سوال عن الملزوم وارادة اللازم اي هل تبتم عن ذلك ورجعتم
الي الله تعالي فهو شفقة عليهم ونصح لهم في الدنيا كما هو عادة الانبيا عليهم الصلوة والسلام
لا معاتبة وتثريبا ايثارا لحق الي الله تعالي علي حق نفسه ولذلك قال لا تثريب عليكم اليوم فلا يياس

تقديرا القبح علي ان يكون المعني هل علمتم قبح ما فعلتم لانه لا يخلو عن نوع توبيخ وتثريب
والمراد من فعلهم ناحية افرادهم اياه عنه واذلاله حتي كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز
وذلة اذ انتم جاهلون عاقبته فلذلك اقدمتم عليه وانما قال ذلك اعتذارا من جانبهم
واظهارا للشفقة في حقه حتي لو ثر تنصيحه وتحريضه اياهم علي التوبة وقيل اعطوه كتاب يعقو
عليه السلام في تخليص بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن علي فقد يوسف عليه السلام
واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم فعل الجهال لا لانهم كانوا حينئذ صبيانا
لا يطابق الواقع وبيانا في ما تقدم من قولهم ونحن عصبة بل قالوا ائنك لانت يوسف
استفهام تقرير ولذلك حقق بان واللام ويدل عليه قراءة انك علي الايجاب وهذا كلام
متعجب مستغرب لما سمع فهو يكرر الاستثبات قبل عرفوه بروايته وشمايله حين كلمهم وقيل
تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن راسه فراوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء
فكانت لسارة ويعقوب عليه السلام مثلها قال انا يوسف وانما قال هذا اخي
حين سالوه عن نفسه بيانا لما سالوه عنه اي هذا اخي من ابي وامي تفخيما له وادخالا في قوله
قد من الله علينا اي بالسلامة والكرامة والاجتماع بعد التفرقة والانس بعد الوحشة ثم
ذكر ان سبب من الله تعالي علينا هو التقوي والصبر فقال علي طريقة الاستيناف التعليلي
انه من يتق الله في اموره ويصبر علي بلاياه او علي الطاعات او عن المعاصي فان
الله لا يضيع اجر المحسنين وضع المحسنين موضع هم للتنبيه علي ان المتقي الصابر هو
المحسن والتسجيل عليهم بالاحسان قالوا تالله لقد اثرك الله علينا فضلك علينا
بالتقوي والصبر وسيرة اهل الاحسان وان كنا لخاطئين والحال ان شاننا انا كنا
متعمدين للاثم فلذلك اعزك بالملك قال لا تثريب عليكم اليوم تفعيل من الثرب
وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه ازالة الثرب كما ان التجليد ازالة الجلد فضرب
مثلا للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب بماء الوجه وتثريب اسم لا وعليكم الخبر واليوم منصوب
بالعامل في الخبر اي لا تثريب ولا تعلقه بالتثريب لانه مصدر وقد فصل بينه وبين معموله
ولا يجوز ذلك لان معمول المصدر من تمامه والمعني لا اثربكم اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم
بساير الايام ثم دعا لهم بالمغفرة بقوله يغفر الله لكم ويجوز تعلق الظرف بيغفر اي اشركم
بغفران الله تعالي لكم عاجلا لما تجدد من توبتكم اليوم وندمكم علي خطيئتكم ولما دعا لهم بالمغفرة
اخبر عن الله تعالي بالصفة التي هي سبب الغفران بقوله وهو ارحم الراحمين لانه يغفر
الصغاير والكباير ويتفضل علي التايب فيرجو منه قبول دعايه لهم بالمغفرة وروي ان اخوته
لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشي الي الطعام ونحن نستحي منك لما فرط
منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الي بالعين الاولي ويقولون سبحان من بلغ عبدا

بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عينهم حيث علموا انكم اخوتي واني
من حفدة ابراهيم اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان عليه قيل هو القميص
المتوارث امره جبرائيل عليه السلام ان ارسله اليه فان فيه ريح الجنة لا يقع علي المبتلي
ولا من يسقم الا عوفي فالقوه علي وجه ابي يات بصيرا اي يصير بصيرا كقولك جاء
البناء محكما اي صار محكما ودليله فارتد بصيرا او يات الي وهو بصير ويبصره واتوني
باهلكم اجمعين اي بابي واله جميعا ولا حاجة الي التغليب علي ان يكون المعني وابوي ابي وامي
لان اباهم لما كان شيخا كبيرا عاجزا عن الكسب كان داخلا في اهلهم ولما فصلت العير يقال
فصل من البلد يفصل فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وهو لازم وفصل الشي فصلا فرق
وهو متعد والمعني انفصلت العير من عريش مصر ومن غفل عن التفصيل المذكور قال اهله
فصل نفسه عنه ولما كثر حذف مفعوله فصار كاللازم قال ابوهم لمن حضره اني لاجد ريح
يوسف اوجده الله تعالي ما عبق بقميصه من ريح يوسف عليه السلام حين اقبل به يهودا من
ثمانين فرسخا لولا ان تفندون التفنيد النسبة الي الفند وهو نقصان عقل كامل يحدث
من الهرم يقال شيخ مفند اي قد فسد رايه ولا يقال عجوز مفندة لان المراة لم يكن لها قط راي
اصيل فيدخله التفنيد وجواب لو محذوف اي لولا نسبتكم اياي الي الخرف لصدقتموني ○
قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما بالافراط في يوسف
واكثار ذكره والتوقع للقايه فلما ان جاء البشير وهو يهودا روي انه قال كما احزنته بحمل
قميصه الملطخ بالدم اليه افرحه بحمل هذا اليه القاه طرح البشير القميص علي وجهه
علي وجه يعقوب عليه السلام او طرحه يعقوب عليه السلام نفسه فارتد بصيرا
عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حيوة
يوسف عليه السلام وانزال الفرج وقيل اني اعلم كلام مبتدا والقول لا تياسوا من روح الله او
اني لاجد ريح يوسف قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق المعترف
بذنبه ان يصفح عنه ويسال المغفرة قال سوف استغفر لكم ربي اخره الي ان يستحل لهم من
يوسف عليه السلام او يعلم انه عفي عنهم لان عفو المظلوم شرط المغفرة ويويده ما روي انه
استقبل القبلة قايما يدعو وقام يوسف خلفه يومن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتي
نزل جبرائيل وقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعد ذلك علي النبوة
وهو ان صح فدليل علي نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم واما ما قيل اخره الي السحر او الي
صلوة الليل او الي ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة يا باه سوف لانها في التنفيس من السين وعلي ما
ذكر حق العدة ان يكون بالسين ولما وعدهم بالاستغفار رجاهم بحصوله بقوله انه هو الغفور
يغفر للعاصي الرحيم يرحم العاصي اذا تاب واستغفر فلما دخلوا علي يوسف قيل وجه

يوسف الي ابنه امرا الا ليتجهز اليه بمن معه واستقبله يوسف عليه السلام والملك واهل مصر
باجمعهم وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامراة اوي اليه ابويه
ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الام كتنزيل العم منزلة الاب كقوله واله
ابايك ابراهيم واسمعيل واسحق ولان يعقوب عليه السلام تزوجها بعد امه والرابة
تدعي اما وقال الحسن وابن اسحق كانت امه بالحيوة وعلي هذا لا حاجة الي التاويل وقال
ادخلوا مصر والدخول الاول كان في موضع خارج البلد كان ضرب لهم ضربا او بيتا فدخلوا
عليه فيه ان شاء الله امنين من القحط واصناف المكاره فالمشية متعلقة بالدخول المكيف
بالامن لان القصد الي اتصافهم بالامن في دخولهم ورفع ابويه علي العرش اي رفعهما
علي السرير وخصهما بذلك تكرمة لهما وخروا له سجدا تحية وتكرمة له فان
السجود عندهم كان يجري مجراهما والواو لابويه ولاخوته والرفع يؤخر عن الخرور وان قدم
لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما والواو لا يفيد الترتيب وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله وقيل
الضمير لله وبا باه قوله وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل رايتها ايام الصبا
قد جعلها ربي حقا صدقا اذ لا مطابقة حينئذ بين الرؤيا والواقع وقد احسن بي
حمله علي لطف حمل النظير علي النظير فعداه بالبا والا فاحسن اصله ان يتعدي بالي او باللام
والا فالتضمين لا يناسب المقام لان احدهما يغني عن الاخر فلا فايدة في الجمع بينهما اذ اخرجني
من السجن لم يذكر الجب اكتفاء بدلالة النزغ الاتي ذكره عليه لا صفحا عن ذكر ما تعلق بفعل
اخوته لئلا يكون تثريبا عليهم لانه علي تقدير ان يكون خطابه عليه السلام لابيه بمسمع منهم
ولا دلالة في الكلام عليه وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشي
واهل عمد عد نقلهم من البدو نعمة اخري وفي الحديث عن رسول الله صلي الله عليه وسلم من
يرد الله به خيرا ينقله من البادية الي الحاضرة من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي
اي افسد واغوي نزغ بمعني نخس من نخس الرايض الدابة وحمله علي الجري وانما ذكر هذا القدر
من اخوته لان النعمة اذا جاءت اثر بلاء وشدة كانت احسن موقعا وليت شعري من قال عدم ذكر
الجب للاحتراز عن التثريب عليهم ما يقول في ذكر الفساد الواقع بينه وبينهم والعجب انه قال
في تفسير قوله ما فعلتم بيوسف قبح ما فعلتم به والتثريب فيه اظهر من الجب ان ربي لطيف
لما يشاء اي لطيف التدبير لما يشاء من الامور ما من صعب الا تنفذ فيه مشيته ويتسهل بلطف
تدبيره انه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذي يفعل كل شي علي
وجه تقتضيه الحكمة رب قد اتيتني من الملك بعض الملك وهو ملك مصر ومن قال او
بعض ملك مصر فكانه غفل عن قوله تعالي وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوا منها حيث يشا
وعلمتني من تاويل الاحاديث بعض تاويلها لانه عليه السلام لم يؤت تاويل جميع الكتب

والرؤيا فاطر السموات والارض مبدعها وانتصابه علي الصفة او علي النداء انت وليي
ناصري او متولي امري في الدنيا والاخرة والذي تولاني بالنعمة فيهما توفني مسلما
لما عدد نعم الله تعالي تشوق الي لقاء ربه ولحاقه بصالحي سلفه وراي ان الدنيا كلها فانية فتمني
الموت وقيل لما راي امره علي الكمال علم انه علي الزوال فسال سعادة الانتقال وليس فيه سؤال
التوفي للحال بل سؤال الختم علي الاسلام متي كان فتوفاه الله تعالي طيبا طاهرا ولقد توارث
الفراعنة بعده مصر ولم تزل بنو اسرايل تحت ايديهم علي بقايا دين يوسف واباءه عليهم السلام
الي ان بعث الله موسي عليه السلام والحقني بالصالحين من اباي او علي العموم وفيه
اشكال وهو ان الصلاح اول درجات المومنين ويوسف عليه السلام من اكابر الانبيا عليهم
السلام فكيف يليق به ان يطلب البداية وحله ان النفوس المتقاربة اذا اشرقت بالانوار الالهية
وكانت متناسبة انعكس النور من كل واحدة الي الاخري فيقوي الضوء وتكمل السعادة ومن لم
يتنبه لهذا قال في الرتبة والكرامة قيل المراد منها عند ذكرها علي الاطلاق الانبيا عليهم السلام
لكمال حالهم واستجماع الخير فيهم ذلك اشارة الي ما ذكر من نبا يوسف عليه السلام
والخطاب فيه للرسول صلي الله عليه وسلم وهو مبتدا من انباء الغيب نوحيه اليك خبران
له وان جعلت اسم الاشارة بمعني الموصول فمن انباء الغيب صلته والخبر نوحيه اي الذي من
انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم كالدليل عليها والمعني ان
هذا النبا غيب لم تعرفه الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا علي ما هموا به من ان
يجعلوه في غيابة الجب وهم يمكرون به ويبغون له الغوايل وبابيه ليرسله معهم جملة
حالية وتفصيل ذلك ان اخباره عليه السلام عن هذه القصة لا يكون الا عن مشاهدة او نقل
ولم يخف علي احد من المكذبين انه لم يكن من جملة هذا الخبر ولا امثاله عن قومه فاستغني
عن ذكره لظهوره فكان الشك في انتفاء المشاهدة او وقع من الشك في انه لم يسمعها من احد
ولذكره في غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاذا انتفى المشاهدة
لم يبق الا الوحي ونحوه وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الي موسي الامر وما اكثر الناس
قال ابن عباس رضي الله عنه يريد اهل مكة ولو حرصت وتهالكت علي ايمانهم وبالغت في اظهار
الايات اليهم بمؤمنين لفسادهم وتصميمهم علي الكفر وما تسئلهم عليه اي علي
ما تحدثهم به من اجر من جعل كما تفعله حملة الاخبار ونقلة الاثار ان هو الا ذكر
عظة من الله تعالي للعالمين عامة وكاين وكاي عدد شيت من اية دالة علي
وجود الصانع وتوحيده وكمال قدرته وحكمته في السموات والارض يمرون عليها علي الايات
ويشاهدونها والمراد ما يرون من اثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر والدلايل وهم
عنها معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها فلا غرو ان يعرضوا عن الايات التي ياتيهم

بها وقرئ الارض بالرفع علي انه مبتدا خبره يرون فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب علي
ويطئون الارض وقرئ والارض يمشون عليها اي يترددون فيها فيرون مشاهد الهالكين واثار
من الهالكين اقطارها وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته باتخاذه للولد
الا وهم مشركون بعبادة غيره من الاوثان او باتخاذ الاحبار اربابا او القول باتخاذه للولد او
القول بالنور والظلمة وامثال ذلك جملة حالية اي ايمانهم ملتبس بالشرك وعن ابن عباس
رضي الله عنهما هم الذين يشبهون الله تعالي بخلقه افامنوا استفهام انكار فيه معني التوبيخ
والتهديد والفاء للترتيب علي ما تقدم وهو مقدم في الاعتبار ان تاتيهم غاشية من عذاب
عقوبة تغشاهم وتشملهم او تاتيهم الساعة اي يوم القيمة بغتة فجاة من
غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين لها تاكيد لقوله بغتة قل
هذه سبيلي اي هذه السبيل التي هي الدعوة الي الايمان والتوحيد سبيلي ادعوا الي الله
علي بصيرة اي ادعو الي دينه في حالة كوني علي حجة واضحة غير عميا حال من اليا في سبيلي والعا
معني الاشارة في هذه او بيان وتفسير لسبيلي وعلي بصيرة حال من المستكن في ادعو وانا
تاكيد له ومن اتبعني عطف عليه اي ادعو الي الله انا ويدعو اليه من اتبعني او مرفوع بما في
الظرف من معني الفعل علي الفاعلية اي كاينا او ثابتا علي بصيرة وانا ومن اتبعني او مبتدا وخبره
علي بصيرة والجملة ابتدا اخبار بانه ومن تبعه علي حجة وبرهان لا علي هوي كغيرهم وسبحان الله
وانزهه تنزيها عن الشرك وما انا من المشركين فيه تعريض علي انهم هم المشركون
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء ربك لانزل ملئكة وعن ابن عباس رضي
الله عنهما معناه نفي استنباء النساء يوحي اليهم كما اوحي اليك ويميزوا بذلك عن
غيرهم وقرئ نوحي بالنون من اهل القري لانهم اعلم واحلم من اهل البدو فان فيهم
الجهل والجفا والقسوة ولا دلالة في قوله وجاء بكم من البدو علي ان يعقوب عليه السلام من
اهل البدو وانما دلالته علي انه عليه السلام كان في البدو ساكنا لمصلحة مواشيه افلم
يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والايات
فيحذروا تكذيبك او من المشغوفين بالدنيا المنهمكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الاخرة
اي دار الساعة او الحيوة او الحالة الاخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي حض علي العمل
لدار الاخرة والاستعداد لها افلا يعقلون يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرئ
بالتاء حملا علي قوله قل هذه سبيلي اي قل لهم افلا تعقلون حتي اذا استيئس الرسل
غاية لمحذوف دل عليه الكلام اي وما ارسلنا من قبلك الا رجالا مثلك يبلغون الرسالة ويوضحون
الدلالة فتراخي نصرهم حتي اذا استيئسوا عن النصر وعن ايمان قومهم وظنوا انهم قد
كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون وكذبهم قومهم بوعد الايمان

اي لا يغرن قريشا تماديا امهالهم فان الرسل قبلك قد تطاول عليهم مدة التكذيب وعداوة
الكفار وانتظار النصر حتي استغرقوا القنوط وتوهموا ان لا نصرة لهم في الدنيا وعن ابن عباس
رضي الله عنهما وظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم من النصر وقد كانوا بشرا
وتلا قوله تعالي وزلزلوا حتي يقول الرسول والذين امنوا معه متي نصر الله وقد رواه البخاري
في صحيحه فقيل في تصحيحه فقد اراد بالظن ما يهجس في القلب علي سبيل الوسوسة وحديث النفس
بحكم البشرية لا الظن بمعني الاعتقاد الراجح فانه غير جايز علي احاد المسلمين فكيف بالرسل ويجوز
ان يراد به المبالغة في التراخي والامهال علي سبيل التمثيل وقيل فظن المرسل اليهم ان الرسل قد
كذبوا اي اخلفوا وقيل الضميران للمرسل اي ظن المرسل اليهم انهم قد كذبوا من جهة الرسل اي
كذبتهم الرسل في انهم ينصرون عليهم وقرئ بالتشديد اي وظن الرسل انهم قد كذبهم قومهم
فيما اوعدهم من العذاب والنصرة عليهم وقرئ كذبوا بالتخفيف علي البنا للفاعل اي وظن الرسل
انهم قد كذبوا فيما اوعدوا به قومهم من النصرة عليهم اما علي تاويل ابن عباس رضي الله عنهما
واما علي انهم كذبوا عند قومهم لانهم لم يروا الموعد اثرا قالوا ان الرسل قد كذبوا فيكونوا كاذبين
عند قومهم او وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا جاءهم نصرنا بغتة فنجي علي
لفظ الماضي المبني للمفعول وقرئ فننجي بالتخفيف والتشديد من انجاه ونجاه وقرئ فنجا من نشا
الرسل والمؤمنون وانما ابهم تعظيما لهم وتنبيها علي انهم الذين علم كل احد منهم هم الذين
يستاهلون ان يشاء الله تعالي نجاتهم ولا يشاركهم فيه غيرهم ثم بين ذلك بقوله ولا يرد
باسنا عن القوم المجرمين ايذانا بان العذاب مخصوص بالمجرمين لازم لهم فيلزم نجاة اضدادهم
من الرسل واتباعهم ومفعول شاء محذوف تقديره نشا نجيته لقد كان في قصصهم في
قصص الانبيا عليهم الصلوة والسلام وامهم او في قصة يوسف واخوته عليهم السلام ٥
عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبراة عن شوايب الالف والركون الي الحس ما كان حديثا
يفتري الضمير للقران لقوله ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية وانتصب
تصديق علي انه خبر كان المحذوف وانما جعله نفس التصديق مبالغة في كونه مصدقا لما بين يديه
وتفصيل كل شيء عبارة كل للتفخيم والتكثير لا للاحاطة والتعميم كما في قوله تعالي واتيت
من كل شيء وقوله وفتحنا عليهم ابواب كل شيء ومن لم يتنبه لهذا احتاج الي تخصيص الشيء بالذي
يتعلق بالدين ثم تكلف في بيانه فقال ما من امر ديني الا وله سند من القران بوسط او بغير وسط
ولم يدر ان عبارة التفصيل لا تحتمل هذا التاويل وهدي من الضلال ورحمة
ينال بها خير الدارين وقرئ تصديق وتفصيل وهدي ورحمة كلها بالرفع ولكن هو تصديق
ولكن علي هذه القراة لعطف الجملة لقوم يؤمنون يصدقونه خصهم بالذكر لانهم هم
الذين ينتفعون به كما قال هدي للمتقين

سورة الرعد

بسم الله الرحمن الرحيم المر قد مر في تفسيرها اقاويل وقيل
معناها انا الله اعلم وارى تلك اشارة الى ايات السورة وفيها تعظيم لها ايات الكتاب
اللام للمهية والمراد به السورة اي تلك الايات العظام ايات السورة الكاملة العجيبة في بابها
والذي انزل اليك من ربك يعني القران كله ومحله الرفع على الابتدا وخبره الحق اي هو
الحق الذي لا مزيد عليه لا هذه السورة وحدها وفي ايقاع الموصول مسندا اليه تفخيم المنزل
وفي تعريف الحق انه هو الذي اذا تحققت الحق ومهيته فهو هو لا غير والمراد الاخبار عنه بكمال الحقية
حيث ثبت مر الدهور ولم يتطرق له التحريف والتغيير او ثبت تلاوته وحكمه بخلاف ساير الكتب
الالهية فلا دلالة فيه على ان غير المنزل اليه ليس بحق اصلا فلا حاجة الى تعميمه للمنزل ضمنا بل
لا وجه له بعد التصريح بان المراد منه القران كله على انه لا يجدي نفعا في دفع النقص بحقية ما نزل
الى ساير الانبيا عليهم السلام وذرجه في الذي انزل عليه عليه السلام ضمنا بانه نطق بحسن
اتباعه مما لا يخفي من التعسف وهو بعد لاثبات والذي يودي الى ان يكون نزل قوله اليك خبر
من ذكره والجملة الثانية كالحجة على الجملة الاولى وطريقها طريقة الاعارية في الكلمة من بني عبس
هم كالحلقة المفرغة لا يدري اين طرفها اي كما انها نفت التفاضل اخر باثبات الكمال لكل واحد
دلالة على ان كمال كل لا يحيط به الوصف وهو اجمال بعد التفصيل لهذا الغرض كذلك لما
اثبت لهذه السورة خصوصا الكمال استدرك بان كل المنزل كذلك لا تختص به سورة دون
اخرى للدلالة المذكورة ولكن اكثر الناس لا يومنون اي لا يصدقون بانه منزل
من الله تعالى لاعراضهم عن النظر فيه او اخلالهم بحق التامل في وجوه اعجازه الله الذي
مبتدا وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر والاول اولى لان قوله وهو
الذي مد الارض عطف عليه على سبيل التقابل بين العلويات والسفليات وفي التقابل
تعين الخبرية فكذلك فيه ليتوافقا ولدلالته على ان كونه كذلك هو المقصود بالحكم لا انه
ذريعة الى تحقيق الخبر وتعظيمه كما هو مقتضي الوجه الاخر رفع السموات اي خلقها
مرفوعة لا ان تكون موضوعة فرفعها بغير عمد جمع عماد كاهاب واهب او عمود
كادم وادم وقرى عمد كرسل واصله منع الميل ومنه الاعتماد والاسطوان غير مرادف له
ترونها استيناف للاستشهاد برويتهم السموات كذلك وقيل هي صفة لعمد وفيه
ايهام ان يكون لها عمد غير مرئية ومقتضي المقام نفي العماد اصلا وذكره بصيغة الجمع للتعدد
في السماء وقرى ترونه اي ترون ترفعها بغيره وقيل وهو دليل على وجود الصانع الحكيم
فان ارتفاعها على ساير الاجسام المساوية لها في حقيقة الجسمية الجرمية واختصاصها بما
يقتضي ذلك لا بد وان يكون بمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض
بارادته وعلى هذا المنهاج ساير ما ذكر من الايات ولا يخفي ان مبنى تلك الدلالة على المساواة

المذكورة ولا دليل لا من جهة العقل ولا من جهة النقل ثم استوى على العرش بالحفظ
والتدبير ولفظة ثم مستعارة للتراخي في الرتبة وسخر الشمس والقمر اي ذللهما وجعلهما
طايعين له غير ممتنعين عليه وقصرهما على سنن واحد لمنافع عبيده ومصالح بلاده لما
يوجد بهما من الاثار في الحبوب والثمار كل يجري لاجل مسمى اي كل منهما يجري لمدة
معينة يتم فيها دوره فالقمر يقطع الفلك في شهر والشمس في سنة لا يختلف جري واحد
منهما كما قال تعالى والشمس تجري لمستقر لها والقمر قدرناه منازل وقال والشمس والقمر
بحسبان اي بحساب معلوم لا يختلف وهذا ايضا من جملة التدبيرات لمنافع العباد ومصا
البلاد بخلاف ما قيل يجري لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهي اذا الشمس كورت واذا
النجوم انكدرت فلا يناسب الفصل به بين التسخير والتدبير ثم ان غايتهما المذكورة متحدة
والتعبير بكل يجري صريح في التعدد وما للغاية الى دون اللام يدبر الامر اي يدبر
امر ملكوته وربوبيته في الايجاد والتصريف نحو المراد يفصل الايات اي ياتي بالايات
الدالة على القدرة والتدبير فصلا فصلا للتدبر من كل اية على حدة لعلكم بلقاء ربكم توقنون
فان من تدبر هذه الايات وتفكر فيها ايقن ان من قدر على خلق هذه الاشيا وتدبيرها قدر
على الاعادة والجزا فلا بد من الرجوع اليه بمقتضي وعده والجملتان اما حالان من الضمير
في قوله ثم استوى على العرش وقوله وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى بين تمته
لانه تقرير لمعنى الاستوا وتبيين له واما مفسرتان له وفي تعقيب الاوايل بها للايقان
والتوالي بقوله ان في ذلك لايات لمن يتفكر من فضل لسوابق لافادتها اليقين واللواحق
ذرايع الى حصوله لان التفكر التة والاشارة الى تقدم الثواني بالنسبة اليها مع التاخر بنية
وكل ذلك فايت على تقدير جعل الموصول وصفا لما قرر الدلايل السماوية اردفها بتقرير
الدلايل الارضية فقال وهو الذي مد الارض اي بسطها طولا وعرضا لتثبت فيها
الاقدام ويتقلب عليها الحيوان ولما كان مظنة ان يقال لولا ما فيها من الجبال لكان
الثبات فيها ايسر ومواضع التقلب فيها دفعه ببيان الفايدة في خلقها بقوله وجعل
فيها رواسي من الرسو وهو ثبات الجسم الثقيل وقراره ومنه ارسى السفينة والمرسي كانت
الارض مطوية فثقلها الله بالجبال في احيازها فزال اضطرابها كذا قيل ولما غلب على
الجبال وصفها بالرواسي صارت الصفة تغني عن الموصوف فجمع جمع الاسم كحايط وحوا
وكاهل وكواهل والتحقيق ان فاعل يجمع على فواعل اذا كان لغير الادميين على ما نص
عليه الجوهري حيث قال ان فواعل جمع فاعلة نحو ضاربة وضوارب او جمع فاعل اذا كان
صفة للمونث مثل حايض وحوايض وما كان لغير الادميين مثل جمل بازل وجمال بوازل
وحايط وحوايط واما مذكر ما يعقل فلم يجمع عليه الا فوارس وهوالك ونواكس وبهذا

التفصيل تبين فساد ما قيل رواسي جمع راسية والتاء للتانيث على انها صفة اجبل او للمبالغة
وانهارًا الانهار المجاري الواسعة والمراد ما يجري فيها من المياه وفي ضمها الي الجبال وتعليق
الفعل الواحد بهما ايما الي ان الجبال اسباب لتولدها ولهذا اكثر قران ذكرها بذكرها في القران
ومن كل الثمرات متعلق بجعل في قوله جعل فيها زوجين اثنين الزوجين قد
يكون اسمًا للفرد المقارن لشبهه فاتبعه اثنين ليعلم انه لم يرد به الشفع اي جعل من انواع
الثمرات فيها صنفين متقابلين كالابيض والاسود والحلو والحامض والكبير والصغير واما
ما قيل خلق فيها من جميع انواع الثمرات زوجين زوجين حين مدها ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت
ففيه انه دعوي بلا دليل مع ان الظاهر خلافه فان النوع الناطق المحتاج الي الزوجين خلق
ذكره اولا ففي الثمرات ونحوه واحد في كل ولا كاف في التولد وعبارة كل للتكثير لا للاحاطة
حتي يلزم ان يوجد في الارض صنفان من انواع الثمرات التي في حيز الامكان يغشي الليل النهار
استعارة تبعية فانه شبه اختفاء نور الجو وستره بالظلمة بالتغشية اي يغطي الليل النهار
فيذهب ضوءه ويغشي النهار الليل فيذهب ظلمته فهو مختصر في الذكر مراد في المعني بدلالة
نظايره ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فيها فان تكوينها وتخصيصها بوجه دون وجه
دليل علي وجود قادر مختار وفي الارض عدل عن الضمير الي الظاهر لان المتبادر منه الظرفية
كما في قوله جعل فيها والمراد ان يكون في نفسها كون الجزو في الكل قطع وفي بعض المصاحف
قطعًا علي وجعل وحينئذ يكون الاحتياج الي وجه العدول اظهر متجاورات بقاع
مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة الي سبخة وكريمة الي زهيدة ورخوة الي صلبة
بعضها يصلح للزروع والضرع دون الشجر والثمر وبعضها بالعكس وذلك من الدلايل الناطقة
بانه القادر علي ما يشاء من تخصيص كل واحدة بخاصية تضاد ما للاخري مع اتحادها في الطبيعة
الارضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يحدث من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة
متشاركة في النسب والاوضاع وكذا الكروم والزروع والنخيل الثابتة في قطعة واحدة
من تلك القطع مختلفة الاجناس والانواع متفاوتة الثمرات في الوانها واشكالها وطعومها
والوانها وروايحها متفاضلة فيها وهي تسقي بماء واحد في ارض واحدة وجنات من
اعناب وزرع ونخيل وبساتين فيها انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر
في اصله والفصل به بين نوعي جنس واحد وهو جنس الشجر لما فيه من الفضل حيث كان به قوام
المعاش وقرئ وزرعٌ ونخيلٌ بالرفع عطفا علي جنات وقرئ جنات بالنصب عطفا علي زوجين
وبالخفض عطفا علي كل الثمرات صنوان جمع صنو وهي نخلة ذات ساقين تفرعا من
اصل واحد وغير صنوان ومتفرقات مختلفة الاصول وقرئ بالضم كقنوان جمع قنو
تسقي بماء واحد وقرئ يسقي بالياء علي تاويل ما ذكر واجراء الضمير مجري اسم الاشارة

ونفضل

ونفضل بعضها علي بعض في الاكل قرئ بضم الكاف وسكونها وقرئ نفضل بالنون واليا
علي البناء جميعًا والبنا للفاعل يطابق ليدبر وانما خص التفضيل في الاكل بالذكر مع وجوده
التفاضل في غيره لانه غالب وجوه الانتفاع من الثمرات ان في ذلك لايات لقوم يعقلون
يستعملون عقولهم للتفكر وفيه اشعار بان العاقل اذا لم يستعمل عقله لما خلق له فكانه لا
يعقل وان تعجب يا محمد او يا ايها السامع الموحد من قولهم في انكارهم للبعث فعجب
حقيق بان يتعجب منه قولهم الاعجب لا اعجب منه لان من قدر علي انشاء ما عدّ من العظم
العجيبة كان علي الاعادة اقدر اذ الاعادة اهون من الابدا وايسر فانكارهم اعجوبة من اعجب
الاعاجيب ائذا كنا ترابًا في محل الرفع بدلا من قولهم او في محل النصب بالقول واذا نصب
بما دل عليه قوله ائنا لفي خلق جديد اي لفي صدد ذلك بعد ما كنا ترابًا وهذا ابلغ في
الانكار اولئك المنكرون الذين كفروا بربهم هم المتمادون في الكفر بربهم لانهم كفروا
بقدرته علي البعث واولئك الاغلال في اعناقهم اي المصرون الذين لا يمكنهم النظر والاستبصار
ورفع الروس الي ما دعوا اليه وعلي الاعناق تمثيل كقوله تعالي انا جعلنا في اعناقهم اغلالا ويجوز
ان يكون وعيدًا كما بعده واولئك اصحاب النار في تكرير اولئك تعظيم وتاكيد لتقبيحه وبيان
لاستيجابهم العذاب الابدي لذلك لانهم انكروا ما ثبت بهذه الدلايل الدالة علي قدرة المبدي
علي الاعادة دلالتها علي الابداء بل اقوي فما اقبح انكارهم واشد اصرارهم وما احقهم بالخلود
في النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار فان
عبارته وان كانت مخصوصة بصنف منهم وهم المنكرون للبعث لكن دلالته تعم سائر الاصناف
ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافية وذلك انهم استعجلوا بما هددهم
به من عذاب الدنيا استهزاء وانكارًا وقد خلت من قبلهم المثلات عقوبات امثالهم من
المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يحترزوا حلول مثلها بهم والمثلة بوزن السمرة العقوبة لانها
مثل المعاقب عليه وقرئ المثلات علي انها جمع مثلة كركبة وركبات وهي العقوبة المستاصلة كقطع
الانف والاذن ونحوهما وان ربك لذو مغفرة للناس علي ظلمهم اللام للعهد والمعهود
هم المستعجلون المذكورون والمراد من المغفرة الستر والامهال وعلي ظلمهم في محل النصب علي الحال
اي ظالمين انفسهم فان علي ابلغ من مع وان ربك لشديد العقاب للظالمين فلا يهمل وان كان
يمهل فلا دلالة في الاية علي جواز العفو قبل التوبة لان مبناها علي حمل المغفرة علي التوبة وهو غير
مسلم عند المخالف ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه لعنادهم وعدم اعتدادهم
بالايات المنزلة علي رسول الله صلي الله عليه وسلم ومكابرتهم مقترحين مثل ايات موسي عليه السلام
وعيسي عليه السلام انما انت منذر مرسل للانذار والتخويف من سوء العاقبة كغيرك من الرسل
لا للاتيان بما اقترحوا عليك وما عليك الا الاتيان بما تصح به نبوتك من الايات كلها سوا في ذلك

ولكل قوم هاد نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق بوجوه
الهداية التي تخصهم او قادر على هدايتهم وهو الله تعالى اي ما عليك الا الانذار فلا يهمك
عنادهم وانكارهم للايات المنزلة عليك فليس اليك هدايتهم ولست بقادر عليها انما القادر
على ذلك هو الله تعالى لكنه لا يهدي الا من يشاء من عباده بما يشاء من اياته ثم عقبه بما دل
على كمال قدرته وعلمه وتقديره للاشيا على مقتضى حكمته تنبيها على انه عالم باحوال الانبيا عليهم
السلام والامم قادر على انزال مقترحاتهم ولكن الامر مقدر عنده على ما يجب ان يكون عليه من
حكمته من تخصيص كل شي بما خص به من الايات واما ما قيل اي عالم بهم قادر على هدايتهم لكنه
لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر فمرجعه الى تصحيح مبنى الجبرية الله يعلم ما تحمل كل انثى
اما استيناف لبيان الامتناع من انزال ما اقترحوا عليه واما جملتان الاولى تفسير لهاد اي هو
الله والثانية ابتدا كلام لبيان كون الكل بعلمه وتقديره ويجوز ان يكون جملة قوله الله يعلم
مقررة ويكون من باب اقامة الظاهر مقام المضمر كانه قيل هو يعلم اي ذلك الهادي ما تحمله
كل انثى وحملها انه على اي حال من الاحوال الحاضرة والمترقبة وما تغيض الارحام وما
تزداد وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد وقيل المراد نقصان دم الحيض
وازدياده وغاض جا متعديا ولازما وكذا ازداد قال تعالى وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين
تعين ما ان تكون مصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز فانهما لله تعالى او لما فيها
وكل شي عنده بمقدار بقدر واحد من جهة الكم والكيف والزمان لا يجاوزه ولا ينقص عنه
والمراد من العندية الحضور العلمي اي هو عالم بكمية كل شي وكيفيته ووقت حدوثه فهي له اسبابا
مسوقة اليه تقتضي ذلك وهذه الجملة مقررة لما تقدم وليس في الاتصال كالتي بعدها
ولذلك وصل هذه به وفصل هي عما قبلها عالم الغيب الغايب عن الحس والشهادة
الحاضرة له الكبير العظيم في شانه وسلطانه المتعال المستعلي على كل شي بقدرته
فلا يخرج شي عن حكمه كما لا يعزب عن علمه سوا منكم من اسر القول اي اخفاه ومن جهر به
اظهره لغيره ومن هو اي وسوا من هو مستخف بالليل طالب للخفا في مختبا من الليل
وسارب بارز بالنهار يراه كل راء من سرب سروبا اذا برز على من هو او على مستخف ومن
في معنى الاثنين كما في قول الفرزدق • نكن مثل من يا ذيب يصطحبان • كانه قيل سوا منكم اثنان مستخف
بالليل وسارب بالنهار والنكتة في زيادة هو في الاول انه الدال على كمال العلم فناسب زيادة
تحقيق وهو النكتة ايضا في تقديم اسر واعماله في تصريح القول على جهر واعماله في ضميره وفي
حذف الموصوف من سارب على الوجه الاول له لمن اسر القول وجهر واستخفى وسرب
معقبات ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقبه مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه
لان بعضهم يعقب بعضا على الدوام او لانهم يعقبون ما يفعل ويتكلمون به فيكتبونه والتا

للمبالغة او لانها جماعات ومن وهم ان اصله معتقبات ادغمت التا كقوله وجا المعذرون
اي المعتذرون فقد وهم لما نص عليه التصريفيون من ان التا لا تدغم في القاف ولا القاف
في التا الا من كلمتين ولا من كلمة ثم المعذرون لا يتعين ان يكون اصله المعتذرون وقرئ
معاقيب جمع معقب ومعقبة والياء عوض من حذف احدى القافين في التكسير من بين يديه
ومن خلفه من جوانبه يحفظونه من امر الله اي من الافات التي لا يمكن رفعها باسباب
عادية والانسان ليس في وسعه التحرز عنها فالله تعالى بلطفه عين له حفظة يحفظونه من
هذا النوع من الافات قال النبي صلى الله عليه وسلم وكل بالمومن مائة وستون ملكا يذبون عنه
كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين
وانما خص هذا النوع بالاضافة الى امر الله تعالى وان كان كلها بامره تعالى لعدم ظهور اسبابها
العادية هذا عندي والذي ذكره القوم انه صفة لمعقبات كيحفظونه اي يحفظونه من اجل
امر الله يعني من اجل ان الله تعالى امرهم بحفظه ولا يدل عليه قراءة بامر الله لجواز تعلقه بالتا
اي معقبات بامر الله او يحفظونه من باس الله اذا اذنب بالاستغفار او الاستمهال له عسى ان
يتوب وقيل المراد من المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضا
الله او على التهكم به ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة الى البلاء والنقمة
حتى يغيروا ما بانفسهم من الصلاح والطاعة الى الفساد والمعصية واذا اراد الله
بقوم سوا فلا مرد له فلا رد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه
من وال ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السو ويرفعه بالعنف او باللطف اي لا رافع ولا
دافع ولا شافع ولا نافع اصلا واما الدلالة على ان خلاف مراد الله تعالى محال فالاية ساكتة
عنها هو الذي يريكم البرق خوفا من ضرره وطمعا في نفعه اذا لمع البرق يخاف الصواعق
ويطمع في الغيث كما قال ابو الطيب • فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى • يرجى الحيا منها وتخشى الصواعق
او يخاف عنده المطر من له فيه ضرر فان الغيث لا يخلو عن الغيث ويطمع فيه من له نفع فيه وانتصابهما
على الحالية من المخاطبين اي يريكم خايفين طامعين او من البرق كانه في نفسه من شدة ما يخاف منه
ويطمع فيه عين الخوف والطمع او ذا خوف وذا طمع او مفعول لهما على ان المخاطبين راوون لان
اراءتهم تتضمن رؤيتهم والخوف والطمع من افعالهم حيث انهم فاعلوا الفعل المعلل الذي هو الرؤية
فيرجع المعنى الى معنى قعدت عن الحرب جبنا فيكونان مفعولا لهما او على تقدير حذف المضاف
اي ارادة خوف وطمع بمعنى اخافة واطماعا وينشئ السحاب الغيم المنسحب في الهوا الثقال
جمع ثقيلة وانما وصف به لانه اسم جنس في معنى الجمع ويسبح الرعد عن ابن عباس رضي الله عنه
سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها
السحاب بحمده ملتبسا به ويجوز ان يكون اسناد التسبيح والحمد الى الرعد مجازيا من باب

الاسناد الى سبب فاعليه الفاعل اي يسبح سامعوا الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين
لله تعالى يضجون بسبحان الله والحمد لله ولما كان الرعد باعثا لتسبيحهم وتحميدهم فكانه
سبح وحمد وهذا الوجه اولى لان الرعد في المتعارف يقع على الصوت المخصوص وهو الذي
يقترن بالذكر مع البرق والسحاب والكلام في ارادة الايات الدالة على القدرة الباهرة وايجاد
وتسبيح ملك الرعد لا يلايم ذلك اما حمل الصوت المخصوص للسامعين على التسبيح والتحميد
فشديد الملئكة واذا حمل على الاسناد حقيقة فالوجه ان يكون اعتراضا دلالة على اعتراف
الملك الموكل بالسحاب وسائر الملئكة بكمال قدرته تعالى وجحود الانسان ذلك والملئكة
وتسبح الملئكة من خيفته من خوف الله تعالى واجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل
الصواعق فيصيب بها من يشاء اصابته فيهلكه وهم يجادلون في الله اي والذين
كفروا وكذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلون فيما وصفه به من كمال العلم والقدرة
والتفرد بالالوهية والاعادة والجزاء بعد مشاهدتهم الايات المذكورة بقولهم من يحيي
العظام وهي رميم واتخاذهم الانداد ونسبتهم الولد اليه فالواو لعطف الجملة على الجملة
والمعطوف عليه قوله ويقول الذين كفروا المعطوف على ويستعجلونك والعدول من الفعلية
الى الاسمية وطرح رعاية التناسب للدلالة على انهم ما ازدادوا بعد الايات الا عنادا وازدادوا
رجسا الى رجسهم ويجوز ان تعطف على قوله هو الذي يريكم على المعنى هو الذي يريكم هذه الايات
الكوامل الدالة على القدرة والرحمة وانتم تجادلون فيه وهذا اقرب ماخذا والاول املا
بالفايدة وقيل للحال اي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وهو التشدد في الخصومة من الجدل
وهو الفتل ووجه هذا ان اربد اخا لبيد العامري وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم
مع عامر بن طفيل قاصدين فاخذ عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه
له الرسول صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد الصاعقة
فقتله ورمى عامرا بغدة فمات في بيت سلولية وهو يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت
سلولية فنزلت وهو شديد المحال قوي المكر باعدائه ياتيهم بالهلاك من حيث لا يحتسبون
المحال المماحلة وهو شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا اي تكلف له استعمال الحيلة
واجتهد فيه وقرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول محالا اذا احتال ومنه احول
من ذئب اي اشد حيلة منه ويجاز ان يكون شديد المحال على هذه القراءة مثلا في القوة والقدرة
كما جاء فساعد الله اشد لان المحال جمع محالة وهي الفقارة فيكون معناه شديد الفقار والحيوان
اذا اشتد فقاره كان منعوتا بشدة القوة له دعوة الحق الدعاء الحق فانه الذي يحق ان
يعبد ويدعى الى عبادته دون غيره او له الدعوة المجابة فان من دعاه اجابه ويؤيده ما بعده
والحق على الوجهين ما يقابل الباطل واضافة الدعوة اليه لملابسة بينهما او على تاويل

دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله تعالى وكل دعاء اليه دعوة الحق والجملتان على الوجه
على الوجه الاول وعيد للكفرة على مجادلتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم
وتهديد لهم باجابة دعوته عليه الصلوة والسلام عليهم او بيان ان دعوته عليه السلام
الى التوحيد حق وعلى قصة اربد ونزول الاية فيها فمعناها ان اجابته بالصاعقة واصابة
صاحبه بالغدة محال من الله تعالى ومكر بهما من حيث لا يشعرا وان دعوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم بقوله اللهم اكفنيهما بما شئت دعوة الحق وان دعوتهم لالهتهم ضلال باطل لتخصيص
دعوة الحق به والذين يدعون من دونه اي والالهة الذين يدعون من دون الله
تعالى لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة
كفيه الى الماء ليبلغ فاه من بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغه فاه وما هو ببالغه
لانه جماد لا يشعر بدعائه ولا بعطشه ولا يقدر على اجابته فكذلك الهتهم لانها جمادات كالماء
وقيل شبهوا في عدم جدوى دعاءهم لالهتهم بمن بسط كفيه ناشرا اصابعه الى الماء ليغرفه الى فيه
فلم تمسك كفاه شيئا منه ولم يبلغ حاجته من شربه لان الماء يحصل بالقبض عليه لا بالبسط اليه
فهو على الاول من تشبيه المركب بالمركب للتمثيلي في الاصل ابلغ في معرض التهكم حيث اثبت انها استجا
زيادة في التحسير والتحسير وعلى الثاني من تشبيه المفرد المقيد بمثله كقولك لمن لا يحصل من
سعيه على شيء هو كالراقم على الماء فان المشبه هو الساعي مقيدا بكونه سعيه كذلك والمشبه
به هو الراقم مقيدا بكونه على الماء وكذلك فيما نحن فيه وما دعاء الكافرين الا في ضلال
الا في ضياع لا فايدة له اما ضياع دعائهم لالهتهم فظاهر واما ضياع دعائهم لله تعالى فلانه
لا يجيبهم لكفرهم وبعدهم عن خير الاجابة ولله يسجد من في السموات والارض الظاهر
الظاهر ان السجود على حقيقته وهذا خص بالذكر من المخصوصة بالعقلاء ويشهد له قوله
طوعا وكرها الساجدون له تعالى طوعا هم الملئكة والمؤمنون من الثقلين والساجدون
كرها من ضمه السيف الى الاسلام وانتصابهما على الحال وظلالهم اي ويسجد ظلالهم
والسجود هنا بمعنى الانقياد لامره تعالى وهذا اخره عن قوله طوعا وكرها وانقيادها لتصريفه
تعالى اياه من جانب الى اخر على ما افصح عنه في قوله اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله
عن اليمين والشمائل سجدا لله قال الفراء الظل مصدر يعني في الاصل ثم اطلق على الخيال الذي
يظهر للجرم عند مسامتته للشمس بالغدو والاصال ظرف ليسجد المقدر او حال من الظلال
وقد مر تفسيرهما في سورة الاعراف والمراد بهما تمام النهار قل من رب السموات والارض
اي خالقهما ومتولي امرهما قل الله حكاية لاعترافهم وتاكيد عليهم اي لم يكن لهم بد
من ان يقولوا الله فهم والخصم في الجواب سواء لكونه من البين الذي لا امراء فيه لقوله قل من
رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله فهو قول المناظر لصاحبه اهكذا قولك

واذا اعترف به حكاه تقريرا له واستيثاقا منه ثم يقول فيلزمك كذا وكذا فيبكته بالحجة الغير
اي تلعثموا في الجواب لعلمهم بما يلزمهم من الحجة بناء على اقرارهم فلقنهم فانهم يتلقونه ولا يقدرون
ينكرونه قل افاتخذتم من دونه اولياء فجعلتم ما هو سبب التوحيد من علمكم واقراركم سبب
الشرك فالفاء عاطفة للتسبيب والتفريع دخلت الهمزة عليه لان المنكر الاتخاذ بعد العلم لا العلم
لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون ان يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا عنها ضرا
فكيف يستطيعون انفاع الغير وادفاع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رايهم
في اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم قل هل يستوي الاعمى والبصير تمثيل المشرك
الجاهل الذي لا يهتدي والموحد العالم المهتدي الهادي ام هل تستوي الظلمات والنور
تمثيل للشرك والضلالة والتوحيد والهداية ام جعلوا لله شركاء بل جعلوا والهمزة
للانكار وقوله خلقوا كخلقه صفة للشركاء داخلة في حكم الانكار ومعنى الاضراب ان
تعكيسهم ذلك لما لم يكن عن شبهة فضلا عن حجة كان حكاية ذلك ادخل في ذمهم وفيه طرف
من التهكم فتشابه الخلق عليهم خلق الله وخلقهم اي انهم ما اتخذوا لله تعالى شركاء
خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق فاستحقوا العبادة كما
استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر
عليه الخالق فنبه على مكان الشبهة نافيا ناعيا عليهم ومتهكما بهم وليس من ارخاء العنان
والتدريج في شيء قل الله خالق كل شيء ولا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق
موجبا للعبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله وهو الواحد القهار
المتوحد بالالوهية والربوبية القهار لكل شيء فما سواه مغلوب مقهور له فكيف يستقيم ان
يكون له شريك انزل من السماء من جهتها ماء التنكير للتكثير وباعتباره صح التفريع
في قوله فسالت اودية جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه
واستعمل للماء الجاري فيه وتنكيرها لان المطر على تناوب بين البقاع فتسيل في بعض الاودية
دون بعض وكذا في المثل له ليس قليبا قابلا بل بعض عنها دون بعض بقدرها بمقدارها
الذي علم الله تعالى انه نافع غير ضار او بمقدارها في الصغر والكبر فاحتمل السيل زبدا
احتمل حمل جاء فيه افتعل بمعنى المجرد كاقتدر وقدر وعرف السيل لانه عني به ما فهم من الفعل
والزبد كدر الجوهر السيال وخبثه المميز منه بالحركة والخضخضة والغليان رابيا منتفخا
مرتفعا على وجه الماء ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع عبارة جامعة
لانواع الفلز على وجه التهاون به بحيث لم يذكر الانواع باسمائها بل اجمل بذكر وصفها
في اخس الاحوال واهانتها بالايقاد كما هو عادة الملوك اظهارا للكبرياء زبد مرفوع
بالابتداء وخبره مما توقدون وقرئ يوقدون بالياء اي الناس واضماره للعلم به ومن للابتداء

الغاية او للتبعيض اي منه زبد او بعض زبد وانتصب ابتغاء على انه مفعول له والحلية ما يعمل
للنساء مما تتزين به من الذهب والفضة والمتاع ما يتخذ من الحديد والنحاس وما اشبههما
من الالات التي هي قوام كالاواني والمساحي والات الحرث والحرب وغير ذلك والمقصود منه
بيان منافعها مثله مثل زبد الماء والمماثلة في كونهما يولدان من الاوساخ والاقذار
كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله الحق والباطل مثل الحق والباطل فذلك تبيين وكذلك
يضرب الله الامثال تاكيد له وتعميم فاما الزبد من السيل والفلز المذاب فيذهب
جفاء مجفوا اي مرميا به يقال جفات القدر بزبدها وجفاه السيل رمى به واجفا السيل
وقرئ جفالا والمعنى واحد وانتصابه على واما ما ينفع الناس من الماء وخلاصة
الفلز فيمكث في الارض مدة طويلة ينتفع بها اهلها كذلك يضرب الله الامثال
لايضاح المشتبهات قد مر ما في تكثير الامثال في الكتب الالهية وكلمات الحكماء من الفوايد ولما
ضرب الامثال والاعمى مثلا للباطل واهله والنور والبصير مثلا للحق واهله اكد التمثيل
الاخير وهو قوله ام هل تستوي الظلمات والنور بهذا المثل ان الغرض اثبات الحق وابطال
الباطل فمثل الحق من العلم النازل الى الرسول صلى الله عليه وسلم بالماء والذي ينزل في القلوب
الصافية والفهوم الصايبة بالاودية وقبولها له بقدر استعدادها بسيلانها بقدر سعتها و
بالباطل من الجهالات والشكوك والشبه التي ينفيها العلم بالزبد الذي يرمي به السيل وكذا
شبه الحق من العمل الصالح الصحيح بالفلز الذي ينتفع به الناس باتخاذ الحلي والاواني والامتعة
منه والعمل الفاسد الباطل في اضمحلاله وسرعة زواله بزبده وانتفاء الشكوك والشبه والاعمال
الفاسدة وكونها هباء في الاخرة وبقاء الحق من العلم والعمل وحصول سعادة الدارين بهما
والثواب الابدي والنعيم السرمدي بابتغاء الزوجين واضمحلالها سريعا وبقاء ما ينفع الناس
من الماء بالسقي والحرث وسريانه في عروق الارض اي منابعه ونبوع العيون والقني منه ومن
الفلز بصوغ الحلي والامتعة والات الحرث والحرب منه للذين استجابوا لربهم الحسنى كلام
مستانف بعد ضرب الامثال وتمام الكلام فيه والحسنى منه خبره للذين استجابوا اي للذين
استجابوا المثوبة الحسنى والذين لم يستجيبوا له مبتدا خبره لو مع ما في حيزه اي الجملة الشرطية
والواو عاطفة الجملة على الجملة وقيل اللام في للذين متعلقة بيضرب والحسنى صفة لمصدر استجابوا
اي الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا عطف على الذين استجابوا وقوله لو ان لهم ما في
الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به كلام مبتدا في ذكر ما اعد لغير المستجيبين والمعنى
كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين والكافرين اي هما مثلا للفريقين يعني مثلي سبيلهما ودينهما
اولئك لهم سوء الحساب المناقشة فيه وعن النخعي ان يحاسب المذنب بذنبه كله لا يغفر له منه
شيء ومأواهم مرجعهم بعد الحساب جهنم وبئس المهاد المستقر والمخصوص بالذم محذوف

وفي المهاد تهكم بهم على ما تقدم بيانه في تفسير سورة الاعراف افمن يعلم انما انزل اليك
من ربك الحق فيستجيب كمن هو اعمى عمي القلب لا يستبصر فليستجيب لما ذكر تعالى
مثل المؤمن والكافر وذكر ما للمؤمن والكافر من الثواب والعقاب ذكر استبعاد من يجعلهما سوا
وانكر ذلك متفرعا على ما تقدم متفرعا فالفاء للعطف على التفريع وانما قدمت همزة الاستفهام
وهي مؤخرة معنى لان له صدر الكلام انما يتذكر اولوا الالباب ذوا العقول المبراة عن متابعة
الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد الله مبتدا خبره اولئك لهم عقبى الدار
او صفة لاولي الالباب وحينئذ يكون اولئك لهم الى اخره استئنافا بصفات من استونف عنهم
اي اولئك الموصوفون بتلك الصفات دلالة على انه انما استيجابهم لعقبى الدار انما كان بسبب
تلك الصفات والاول اوجه لان عطف الجملة الثانية وهي قوله والذين ينقضون عهد الله
اولئك لهم اللعنة يشهد بذلك عهد الله ما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا
بلى او ما عهد الله تعالى عليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم
وبين الله تعالى وما بينهم وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص والذين يصلون ما امر الله
به ان يوصل من الارحام والقرابات وموالات قرابات رسول الله صلى الله عليه وسلم وموالاة
المؤمنين كلهم بالاخوة الايمانية ومراعاة حقوقهم بالاحسان والشفقة والنصيحة ويخشون
ربهم ولا يعصونه هيبة وحياء ورهبة ولا يخالفونه في شيء عموما ويخافون سوء الحساب
خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا عما تحبه النفس بالهوى
وعلى ما تكرهه ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه خاصة لا نظرا الى الخلق رياء وسمعة والى
النفس زينة وعجبا جاءت الصلة هنا بلفظ الماضي وفي الموصولين قبله وبالعطف عليهما
لانه قصد بهما الاستصحاب والالتباس دائما وهذه الصلة قصد بها تقدمها على تينك الصلتين
وما عطف عليهما لان حصولهما مترتب على حصول الصبر وتقدمه عليها ولكونه مما لا بد منه
في حصول التكاليف لم تات صلة في القران الا بصيغة الماضي واقاموا الصلوة المفروضة
وانفقوا مما رزقناهم بعضه الذي وجب عليهم انفاقه سرا لمن تمنعه المروة
ان ياخذه وعلانية لمن لا تمنعه قيل ومما رزقناهم سرا وعلانية يتناول النوافل لانها
في السر افضل والفرايض لانها بالجهر افضل نفيا للتهمة ويا باه التخصيص المستفاد من تقدم
الجار والمجرور في الخبر ويدرؤن بالحسنة السيئة يدفعونها بها اي يجاوزون الاساءة
بالاحسان ويتبعون السيئة بالحسنة فتمحوها اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما
ينبغي ان يكون عاقبة وهي الجنة جنات عدن بدل من عقبى الدار والعدن في الاصل
الاقامة ثم صار علما لجنة من الجنات السبع على ما مر تفسيره في سورة البقرة يدخلونها ومن صلح
عطف على الضمير المرفوع في يدخلونها من غير تاكيد للفصل بالضمير المنصوب او مفعول معه

من ابائهم جمع ابوي كل واحد منهم فيتناول اباهم وامهاتهم وازواجهم وذرياتهم
انما جمعوا فيها مع قراباتهم لتتم النعمة بزيادة الانس والجمعية بهم وقيدوا بالصلاح دلالة
على ان مجرد النسب والقرابة لا يكفي في الجمع بينهم قيل لا بد من شرط الصلاح ولا دلالة فيه
انه يلحق بهم من صلح من اهليهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشانهم حتى ان الدرج
تعلو بالشفاعة خصوصا اذا كان ومن صلح مفعولا معه والملئكة يدخلون عليهم من كل باب
من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف سلام عليكم في محل الحال اي قائلين سلام
عليكم بشارة بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بمحذوف والباء للسببية او البدلية
اي هذا الثواب بسبب صبركم او بدل ما احتملتم من الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم ويجوز
ان يتعلق بالظرف اي سلام عليكم بسبب صبركم ولا يجوز ان يتعلق بسلام لان الخبر فاصل
فنعم عقبى الدار المخصوص بالمدح محذوف اي فنعم عقبى الدار الجنة وقرئ فنعم بفتح النون
والاصل نعم فمن كسر النون فلنقل كسرة العين اليها ومن فتحها فلتسكين العين تخفيفا بلا نقل
والذين ينقضون عهد الله يعني مقابلي الاولين من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه
من الاعتراف والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض بالظلم
وتهييج الفتن اولئك لهم اللعنة الابعاد من رحمة الله تعالى ولهم سوء الدار
عذاب النار او سوء عاقبة الدنيا لانها في مقابلة عقبى الدار وانما لم يقل سوء عاقبته تفاديا ان
يجعلها عاقبة حيث جعل العاقبة المطلقة هي الجنة الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
لما كان كثير من الاشقياء فتحت عليهم نعم الدنيا ولذاتها اخبر تعالى انه هو الذي يوسع
لمن يشاء ويضيقه والكفر والايمان لا تعلق لهما بالرزق قد يقدر على المؤمن ليعظم اجره
ويبسط للكافر املاء لازدياد اثامه وفرحوا اي اهل مكة بالحياة بما بسط لهم
في الحياة الدنيا فرح بطر لا فرح سرور بفضل الله تعالى عليهم واغتروا به ولم يشكروا
ما انعم الله تعالى به عليهم ولم يصرفوا فيما يستوجبون به نعيم الاخرة وما الحياة الدنيا
في الاخرة الا متاع في جنب ما اعد لاهلها فيها الا متاع الا شيء نزر حقير يتمتع به ولا يدوم
كعجالة الراكب وزاد الراعي ويقول الذين كفروا مقتضى الظاهر اظهار فاعل فرحوا اذ لم يجر
لكفار مكة ذكر واضمار فاعل يقول لجري ذكره حينئذ فاخرج عن خلاف الظاهر لارادة التمكن في
ذهن السامع بالابهام والتوضيح او للظهور والتعيين في الاول والذم والتسجيل بالكفر في الثاني
لولا انزل عليه اية من ربه عنادا وجحودا للاية المنزلة عليه عليه السلام لعدم اعتدادهم بها
واعتبارهم لها ولهذا امر في الجواب بقوله قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب اقبل الحق
ورجع عن العناد وحقيقته دخل في نوبة الخير وهو كلام جرى مجرى التعجب من قولهم كانه قيل لهم
ما اعظم عنادكم حيث لم تعتدوا بهذه الايات الباهرة التي يؤت نبي مثلها وكفى بالقران وحده

اية ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم من الجحود والتصميم على الكفر فلا سبيل الى اهتدائهم
وان اتى بكل اية ويهدي من يشاء ممن كان على خلاف صفتكم من التصميم وفي تنزيل اليه
من اناب منزلة من يشاء تنبيه على ان مشيئته الهداية مخصوصة بغير المعاند الذين امنوا
بدل من من وتطمئن قلوبهم بذكر الله انسا به او بالقران او بذكر رحمته بعد القلق
من خشيته الا بذكر الله تطمئن القلوب تسكن اليه جملة اعتراضية تفيد كيف لا تطمئن
قلوبهم به ولا اطمئنان للقلب بغيره الذين امنوا وعملوا الصالحات بدل من القلوب
على تقدير المضاف اي قلوب الذين امنوا او مبتدا خبره طوبى لهم وهو فعلى من الطيب كبشرى
وزلفى قلبت ياؤه الصه واوا لضمة ما قبلها كموقن وموسر وقرئ طيبى بكسر الطاء وهي من
المصادر المنصوبة او المعدولة الى الرفع اي طيبا لهم وطيب لهم كقولك سلاما لك وسلام
لك والقراءة في قوله وحسن مآب بالرفع والنصب تدل على محليهما واللام في لهم للبيان مثلها
في سقيا لك وتكون الجملة الدعائية خبرا على التاويل كذلك مثل ذلك الارسال
العظيم الذي له فضل ومزية على سائر الارسالات او مثل ارسال الرسل قبلك ارسلناك
في امة قد خلت من قبلها قد تقدمتهم امم ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها
لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك من الكتاب العظيم وهم يكفرون وحال هؤلاء
انهم يكفرون بالرحمن الشامل الرحمة التي وسعت كل شيء رحمته فكفروا بنعمه وخصوصا
ما انعم به عليهم بارسال مثلك اليهم وانزال هذا القران المعجز المصدق لسائر الكتب الذي
مناط المنافع الدينية والدنيوية وقيل نزلت في مشركي مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن
قالوا وما الرحمن قل هو ربي اي الرحمن خالقي ومتولي امري لا اله الا هو لا مستحق
للعبادة سواه عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب مرجعي ومرجعكم بحكم
بيننا قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال دال على ان اسم الاشارة والموصول فيما تقدم
لتعظيم القران وتفخيم شانه او قطعت به الارض وكلم به الموتى جواب المحذوف اي ولو
ان قرانا سيرت به الجبال عن مقارها وزعزعت او قطعت به الارض حتى تتصدع قطعا
قطعا من خشية الله تعالى او كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القران لكونه غاية في التذكير
والاعجاز ونهاية في التخويف والانذار كقوله لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا
متصدعا من خشية الله وقيل اراد به المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم اي ولو ان قرانا
وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى لما امنوا كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
الاية وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقرانك الجبال عن مكة حتى يتسع
لنا فنتخذ فيها بساتين وقطايع او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام او ابعث من كان فيهم
بن كلاب وغيره من ابائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الجبال قطعها بالسير وقيل الجواب

مقدم

مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى
على المذكر الحقيقي بل لله الامر جميعا اضراب عما تضمنه لو من معنى النفي اي بل لله القدرة
على كل شيء فله القدرة على الاتيان بما اقترحوه من الايات الا انه لم تتعلق ارادته بذلك لعلمه انهم
انهم لا يؤمنون ويزدادون العناد والجحود ويؤيده قوله افلم ييأس الذين امنوا اي ايمانهم
مع ما راوا من مكابرتهم وعنادهم وانكارهم والاكثر على ان المعنى افلم ييأس فلم يعلم لما روي
ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرؤا افلم يتبين وهو تفسير افلم ييأس فكونه
بمعنى افلم يعلم وانما استعمل الياس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم بان المايوس لا يكون وقيل
هي لغة قوم من النخع ولذلك علقه بقوله ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا لان معناه
نفي هداية بعض الناس لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم وتعلقه على الاول بامنوا اي اولم يقنط
عن ايمان هؤلاء الكفرة الذين امنوا بان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا او بمحذوف تقديره افلم
ييأس الذين امنوا عن ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين
كفروا تصيبهم بما صنعوا من الكفر وسوء الاعمال قارعة داهية تقرعهم وتقلعهم او تحل
اي القارعة قريبا من دارهم فيفزعون منها ويضطربون ويتطاير اليهم شرارها
وتتعدى اليهم شرورها حتى ياتي وعد الله اي الموت او القيمة وقيل ولا يزال كفار
مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من العداوة والتكذيب قارعة لان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان لا يزال يبعث بالسرايا فتغير حول مكة وتصيب من مواشيهم او تحل
انت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية حتى ياتي وعد الله هو فتح مكة وكان
قد وعد ذلك ان الله لا يخلف الميعاد لا لعدم القدرة عليه لان ما تعلق به الوعد كان
ممكنا وبتعلقه لم ينقلب ممتنعا لاستحالة الانقلاب وكل ممكن داخل تحت قدرته تعالى
بل لان الخلف لا يليق بشانه تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ووعيد للمستهزئين والمقترحين عليه فامليت للذين كفروا الاملاء
ان يترك ملاوة من الزمان في دعة وامن ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اي عقابي اياهم
استفهام معناه التعجب مما حل بهم والتقرير وفي ضمنه وعيد من في عصره عليه السلام
من الكفار افمن هو قائم على كل نفس افالله الذي هو قائم رقيب على كل نفس بما كسبت
من خير وشر لا يخفى عليه شيء من اعمالهم ولا يفوت عنده من جزائهم والخبر محذوف
تقديره كمن هو ليس كذلك دخلت الهمزة على الفاء لانكار ان يسوا من هو مطلع على سرهم
وعلانيتهم قادر على مجازاتهم بمن هو على خلافه بعد علمهم بما حل بالمنكرين من الاخذ المفاجئ
والبطش الشديد وجعلوا لله شركاء استيناف او عطف على مقدر اي لم يوحدوه وجعلوا
لله شركاء فيه اظهار في موضع الاضمار للتهويل والتوبيخ والتفضيح في معرض الاحتجاج والتبكيت

ويؤيده ما بعده اسلوب بديع ضمن فيه الترقي في الانكار ولا يعني لا عجب من انكارهم لايات
الباهرة مع ظهورها انما العجب كل العجب جعلهم القادر على انزالها المجازي لهم على اعراضهم
عن تدبر معانيها وامثالها بقوارع تترى اخرى غب اخرى فيشاهدونها راي عين بترامي
بهم الى دار البوار واهوالها كمن لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا فضلا عمن تخذ ربا يرجو منه
جلبا او دفعا ادمجا فيه التسلي ثانيا وفي العدول عن صريح الاسم الى قوله افمن
هو قائم تفخيما بواسطة الابهام المضمن في ايراده موصولا مع تحقيق القيام كاين وهم
محققون ما تدهش له الالباب ويقضي من تدبيع ايراده العجب العجاب وفي قوله وجعلوا لله
شركاء بوضعه مقام المضمر الراجع الى من دلالة على ان المتوحد ذاتا واسما جعلوا شركا الاشركا
كذلك ولا يهلك على الله الا هالك وفي حذف الخبر تعظيم للمقالة وتحقيق لمن رتب تلك
الحالة ما لا يخفى من الجزالة **قل سموهم** كان قوله افمن هو قائم كافيا في هدم قاعدة
الاشراك للتفرع السابق والتحقق بالوصف اللاحق وهو ابطاله من طرف الحق فذيله
بابطاله من طرف التبعيض تبليغ على ابلغ وجه اي الزمهم بذلك فانهم ان سموهم قالوا
حجرا او خشبا او نحاسا او نحو ذلك فافتضحوا باشراكهم بمن لا يستحق العبادة الا وحده **ام تنبؤنه**
بل اتنبؤنه **بما لا يعلم في الارض** شركا لا يعلمهم في الارض يعني بما ليس بشيء لان ما لا يعلم
عالم الغيب والشهادة لا وجود له كقوله قل اتنبؤن الله بما لا يعلم في السموات والارض
والهمزة المتضمنة فيها تدل على التوبيخ وتقريرا نهم يريدوا ان ينبؤا عالم السر والخفيا
بما لم يعلم وهذا محال على محال ثم اضرب عن ذلك وقال قد تبين التسمية لذي عينين
وما تلك التسمية الا بظاهر من القول من غير ان يكون تحته طايل وما هو الا مجرد صوت
فارغ **ام بظاهر من القول** اي بل يسمونهم شركاء بمجرد القول روعي فيه انه لا اسما
للشركا فضلا عن المسمى عن الكناية الايمائية ثم بولغ فيه بانه لا يستاهل السؤال عن حالها
لظهور فساده وسلك فيه مسلك الكناية التلويحية من نفي العلم على نفي المعلوم ثم
نبه على عدم الاستيهال والاطلاق لفظ الشركا او الالهة من غير ان يكون لذلك معنى
وحقيقة من الالوهية والمشاركة كقوله ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها
وهذا الاحتجاج واساليبه العجيبة التي ورد عليها منادا على نفسه بلسان طلق ذلق
انه ليس من كلام البشر لمن عرف من نفسه ومن زاد على هذا قوله فتبارك الله احسن الخالقين
فقد اتى بكلمة حق اريد بها باطل يريدون بها من هو عن حلية الانصاف **بل زين للذين**
كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا اباطيل ثم قالوها او اخداعهم للصفقة **وصدوا**
عن السبيل سبيل الحق وقرئ وصدوا بالفتح اي صدوا الناس عن الايمان وقرئ
وصد بالتنوين عطف على مكرهم **ومن يضلل الله** بالخذلان **فما له من هاد** فما له من احد

يقدر على هدايته بوجه من الوجوه **لهم عذاب في الحيوة الدنيا** بالاسر والقتل وساير ما
يصيبهم من المصيبات **ولعذاب الاخرة اشق** لدوامه وشدة ايلامه **وما لهم من الله** من
عذاب الله تعالى في الدارين **من واق** من ساتر يحفظهم عن العذاب ويحميهم فمن الاولى صلة
واق قدمت عليه والثانية مزيدة للتاكيد ولما ذكر ما اعد للكفار في دار القرار ذكر ما اعد
للمؤمنين فيها فقال **مثل الجنة التي وعد المتقون** صفتها في غرابة المثل تقول مثلث الشي اذا
وصفته وقربته الى الفهم وارتفع مثل على الابتدا في مذهب سيبويه والخبر محذوف او حال من
العايد المحذوف من الصلة اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة و **تجري من تحتها الانهار**
تفسير لذلك المثل او حال من العايد المحذوف من الصلة اي في غاية النزهة وقيل هي خبره على
طريقة قولك صفة زيد اسمر او على حذف موصوف اي مثل الجنة جنة حقيقية تجري فعلى هذا
لفظ المثل على حقيقته قصد به تمثيل الغايب بما في الشاهد لم يستعمل للصفة الغريبة من القول
السائر **اكلها دايم** لا ينقطع والاكل ما يوكل فيها **وظلها** اي وظلها كذلك لا ينسخ
كما ينسخ في الدنيا بالشمس **تلك** اي الجنة الموصوفة **عقبى الذين اتقوا** عن الكفر ما لهم
ومنتهى امرهم **وعقبى الكافرين النار** لا غير وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكفار
والذين اتيناهم الكتاب اي من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام واضرابه ومن النصارى
وهم ثمانون رجلا بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلثون بالحبشة **يفرحون بما انزل اليك**
او عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما نزل موافقا لما في كتبهم **ومن الاحزاب** اي من كفارهم
الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف واصحابه والسيد
والعاقب اسقفي نجران واشياعهما **من ينكر بعضه** وهو ما يخالف شرايعهم وما حرفوه منها
دون الاقاصيص وما يوافقها **قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به** شيئا جواب للمنكرين
اي قل لهم انما امرت فيما انزل الي بان نعبد الله ولا نشرك به وهو العمدة في الاسلام ولا سبيل
لكم الى انكاره لانكم قايلون بوجوب عبادته وتوحيده واما ما يخالف بعض شرايعكم من جزئيات
الاحكام فليس اختلاف ذلك ببدع في الكتب الالهية وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستيناف
اليه ادعو لا الى غيره **واليه ماب** مرجعي للجزاء لا الى غيره فلا معنى لانكاركم لان هذا هو
القدر المتفق عليه بين الانبيا كلهم فاما ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف بالاعصار والامم
فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه **وكذلك** اي مثل ذلك الانزال المشتمل على اصول الديانات
المجمع عليها **انزلناه** اصل الكلام انزلناه هذا الانزال الذي تشاهدونه مشتملا على التوحيد
والدعوة اليه فاوثر ذلك تفخيما جي بالمثل زيادة له ولا امر مما اكثر في كتاب الكريم من هذا الاسلوب
حكما يحكم في القضايا والوقايع بما تقتضيه الحكمة **عربيا** مترجما بلسان العرب ليسهل
لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال **ولئن اتبعت اهواءهم** التي يدعونك اليها من الامور

الموافقة لدينهم وخصوصًا القبلة الي قبلتهم بعد ما حولت عنها بعد ما جاءك من العلم
بنسخ ذلك ما لك من الله من ولي ولا واق ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج
للمؤمنين علي الثبات في الدين واللام في لئن موطئة للقسم وما لك جوابه يسد مسد جواب الشرط
ولقد ارسلنا رسلًا من قبلك بشرًا مثلك والتنكير للتكثير وجعلنا لهم فيه تغليب
للاكثر علي الاقل والا فمنهم من لا زوج له ولا ذرية كعيسي عليه السلام ازواجًا وذرية
نساءً واولادًا كما هي لك كانوا يعيبونه عليه السلام بالزواج والولادة كما كانوا يقولون ما لهذا
الرسول يأكل الطعام وكانوا يقترحون عليه الايات وينكرون النسخ فقيل كان الرسل قبله ذوي
ازواج وذريات وما كان لرسول ما صح له وما كان في وسعه ان يأتي باية مما اقترح
عليه قومه ولا مما اقتضاه رأيه الا باذن الله فانه القادر علي ذلك الحكيم الذي لا يفعل
الا ما اقتضته الحكمة لكل اجل كتاب اي ولكل وقت ومدة حكم يكتب علي العباد بحسب ما
يقتضيه استصلاحهم فان الشرائع مصالح الاحوال وصلاح لاحوال العباد والاستعدادات
تختلف في الاوقات والازمان فتختلف الشرائع بحسب ذلك يمحو الله ما يشاء ينسخ ما
يكون الصلاح في نسخه ويثبت بدله ما هو صالح او اصلح منه في وقته لعباده او يتركه غير
منسوخ وقيل يمحو سيات التائب ويثبت بدلها حسنات وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا
يتعلق به الجزاء ويترك ما يتعلق به مثبتًا وقيل يمحو قرنًا ويثبت اخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت
الكائنات وعنده ام الكتاب اي اصل كل كتاب هو اللوح المحفوظ اذ لا كائن الا وهو
مكتوب فيه وإما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك اي وكيف ما دارت الاحوال
ارينك بعض ما وعدناهم من العذاب النازل بهم او توفاك فانما عليك البلاغ اي فما عليك الا
تبليغ الوعيد بالعقوبة لا تعجيلها وعلينا لا عليك الحساب حسابهم اي مراعاة اجلها
المعلوم والايقاع بهم عند الوقت المحتوم ولما نهاه عليه السلام عن الاهتمام بغير التبليغ والتفجع
لتاخر النصر عقبه بالتسلية وطيب نفسه ونفس عنها بذكر طلايع ما وعد بقوله اولم يروا
انا نأتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها نفتح علي المسلمين منها فننقص من
دار الحرب ونزيد في دار الاسلام والله يحكم لا معقب لحكمه اعتراض لا محل له او حال
كانه قيل نافذًا حكمه كما تقول جاء زيد لا عمامة علي راسه اي حاسرًا والمعقب الذي يكر علي الشيء
ويبطله وحقيقته الذي يعقبه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه
بالتقاضي والطلب والمعني لا راد لحكمه ولا مبطل له كانه حكم للاسلام بالظهور والاقبال
وعلي الكفر بالتراجع والادبار وذلك كاين لا يمكن لاحد تغييره وهذا من تباشيره وهو
سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم في الاخرة ويجازيهم باشد العذاب بعد عذاب الدنيا
بالقتل والاجلاء وقد مكر الذين من قبلهم بانبيائهم والمؤمنين منهم فلله المكر جميعًا

جملة تعليلية اقيمت مقام المحذوف وهو المعطوف علي ما ذكر قبلها تقديره ولا عبرة بمكرهم
فلله المكر جميعًا وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم بالنسبة الي مكره كلا مكر لانه قادر علي ايقاع
المراد من الماكرين دونهم فلا مكر الا مكره تعالي يعلم ما تكسب كل نفس فيعد جزاءه تعليل
لاضمحلال كل مكر دون مكره تعالي اذ اعلم كل ما كسبوا واعد لهم جزاءه فياتيهم به بغتة من حيث
لا يعلمون كان المكر كل المكر له تعالي وسيعلم الكافر وحينئذ يعلمهم لمن عقبي الدار
من الفريقين لمن حسن العاقبة والسين لوجوب وقوع ذلك وعلمهم به حال وقوعه واللام في
لمن دلت علي ان المراد بالعقبي المضاف الي الدار العاقبة المحمودة وقرئ وسيعلم الكفار اي اهله
وسيعلم من اعلم اذا اخبره ويقول الذين كفروا لست مرسلًا قيل المراد بهم رؤساء اليهود
قل كفي بالله شهيدًا بيني وبينكم حيث اظهر من الدلائل الواضحة والحجج البينة علي رسالتي
ما يغني عن الشاهد تشهد لها ومن عنده علم الكتاب والذي عنده علم القران وما الف
عليه من النظم المعجز الفائت لقوي البشر والتورية والانجيل من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا
كعبد الله بن سلام واحزابه لانهم يشهدون بنعته عليه السلام في كتبهم وقيل هو الله عز وجل
والكتاب اللوح المحفوظ والمعني كفي بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح المحفوظ
الا هو شهيدًا بيني وبينكم ويؤيده قراءة من قرا ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب علي الاول مرتفع
بالظرف لانه معتمد علي الموصول او مبتدا خبره الظرف وهو متعين علي الثاني وقرئ ومن عنده
علم الكتاب علي الحرف وبناء الفعل للمفعول ورفع الكتاب والله اعلم بالصواب سورة ابراهيم عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب اي هو كتاب انزلناه اليك
حجة علي رسالتك باعجازه لتخرج الناس كافة بدعايتك اياهم الي الدين الحق من الظلمات
من انواع الضلال الي النور الي الهدي باذن ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذي
هو تسهيل الحجاب متعلق بتخرج او حال من فاعله او مفعوله الي صراط العزيز الحميد
بدل من قوله الي النور بتكرير العامل او استيناف كانه قيل الي اي نور فقيل الي صراط العزيز
الحميد واضاف الصراط الي الله لانه مقصده او المبين له وتخصيص الاسمين بالذكر للتنبيه
علي انه لا يذل سالكه ويحمد سابله الله الذي له ما في السموات وما في الارض عطف
بيان للعزيز الحميد لانه يجري مجري الاسماء الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود بالحق وقرئ
بالرفع علي هو الله وويل للكافرين وعيد لمن كفر بالويل وهو نقيض النجاة واصله
النصب لانه مصدر فعدل الي الرفع لافادة معني الثبات كما في سلام عليك واتصاله قوله
من عذاب شديد له بالمعني المذكور باطل ظاهر فلا حاجة الي صرفه للتلفظ بكلمة التكليف
من شدة العذاب الذين يستحبون الحيوة الدنيا علي الاخرة اي علي الحيوة الاخرة والاستحباب
استفعال من المحبة لان المختار للشيء علي غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها من الاخر

وتعديته بعلي لتضمنه معني الايثار والاختيار ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس
عن الايمان وقري ويصدون من اصدّ وهو منقول من صدّ صدودًا اذا تنكب وليس بفصيح
كاوقفه لان في صدّه ووقفه مندوحة عن تكلف التعدية بالهمزة ويبغونها عوجا
اصله ويبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل اي يطلبون لها زيغا واعوجاجا بان يقولوا
لمن يصدونه عنها انها سبيل ناكبة عن الحق غير مستقيمة والموصولة بصلته يحتمل النصب علي
الذم والرفع عليه ولا يحتمل الجر صفة للكافرين لان فيه الفصل بين الصفة والموصوف باجنبي
منها وهو قوله من عذاب شديد لما عرفت ان اتصاله بالويل ويجوز ان يكون مبتدا خبره
اوليك في ضلال بعيد عن طريق اي ضلال فيه بعد لان الضال قد يضل عن الطريق مكانا
قريبا وقد يضل ضلالا بعيدا والافصح ان وصف الضلال بالبعد من باب الاسناد المجازي
لان البعد في الحقيقة للضال المتباعد عن الطريق فوصف به فعله كقولهم جدّ جدّه للمبالغة
وتنكيره للتكثير وفي جعله ظرفا لهم علي تمكنهم فيه تمكين المظروف في الظرف وتصوير الاشتمال
الضلال عليهم اشتمال المحيط علي المحاط فيكون كناية بالغة في اثبات الوصف المذكور لهم
علي الوجه الابلغ وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه بلغة قومه الذين بعث فيهم
كانبياء بني اسرايل او ارسل اليهم كلوط ويونس عليهما السلام فمن قال كان منهم وبعث
فيهم لم يصب وقري بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون علي الجمع
كعمد وعمد ليبين لهم ما يدعوهم فيفقهوه بسهولة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم
فانهم احق برعاية حالهم سواء كان مبعوثا فيهم او مرسلا اليهم ومن قال اي ليفقهوا عنه
ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة علي الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به فكانه غفل عن
ان المحذور المذكور يندفع بترجمته لهم وايضا لغير العرب من الامم ان يحتج بما ذكره علي نبينا
عليه السلام ولا جواب عنه الا بما قلنا ولا دلالة في قوله تعالي ولو جعلناه قرانا اعجميا
لقالوا لولا فصلت اياته علي ان يكون لهم مجال الاحتجاج بالوجه المذكور علي تقدير نزوله
بلغة اخري واما ما قيل ولو نزل علي ما بعث الي امم مختلفة كتب علي السنتهم انتقل ذلك بنوع
الاعجاز ولكن ادي الي اختلاف واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم
المتشعبة منها وما في اتعاب القرايح وكد النفس من القرب المقتضية لجزيل الثواب فمبناه الغفول
عن ان ما ذكر من الفوايد فوايت علي تقدير الترجمة من الرسول عليه السلام وقد عرفت
ان مدار الكلام وتمام المرام عليها علي تقدير عموم الرسالة وخصوص النزول فيضل الله
من يشاء بالخذلان ويهدي من يشاء بالتوفيق وفيه دفع ما سبق الي الوهم من البيان
البالغ في تسهيل الفهم ان يكون ذلك كافيا في تمام امر الهداية فينسد باب الضلالة والفاء
في الترتيب باداة التسبيب اشارة الي ان ما ذكر من الارسال مع كونه علي وجه الكمال كان

في حق قوم سببا للضلال وهو العزيز فلا يغلب علي مشيته الحكيم فلا يهدي ولا يضل
الا لحكمة ولقد ارسلنا موسي باياتنا يعني اليد والعصي وساير معجزاته ان اخرج قومك
من الظلمات الي النور ان مفسرة معناها اي لان في الارسال معني القول اي ارسلناه
وقلنا له اخرج او مصدرية اي ارسلناه بان اخرج لان صيغ الافعال في الدلالة علي المصدر
سوا فيصح وصلها بالامر كوصلها بالخبر وان يوصل بها ان الناصبة وذكرهم بايام بنعمائه
وبلاياه ذكره ابن عباس رضي الله عنه وهو الموافق لقوله تعالي الم تر ان الفلك تجري في البحر
بنعمة ليريكم من اياته ان في ذلك لايات لكل صبار شكور والقران بعضه يفسر البعض علي الا
الدارجة قبلهم ان في ذلك لايات لكل صبار شكور صبار علي بلاء الله تعالي شكور علي نعماه
فانه اذا سمع بما انزل الله تعالي علي الامم من البلاء وافاض عليهم من النعم اعتبر وتنبه علي ما
يجب عليه من الصبر والشكر وقيل لكل مومن لان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر
وانما قدم الصبر علي الشكر لانه اشق منه فهو بالاهتمام احق والعدول عن الصبور مع مناسبته
للشكور لانه في مقام الحث والتحريض بابلغ صيغتي المبالغة اليق واذ قال موسي لقومه
اذكروا نعمت الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون اي اذكروا نعمته وقت انجايه اياكم ويجوز
ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا اريد بها العطية دون الانعام
ويجوز ان يكون بدلا من نعمة بدل اشتمال يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم
ويستحيون نساءكم احوال من ال فرعون او من ضمير المخاطبين وعطف قوله ويذبحون
علي يسومونكم يفيد فايدة زايدة علي جعله تفسيرا له كما في سورة البقرة وهو ان العذاب جنس
يتناول التذبيح والاستعباد والاستعمال بالاعمال الشاقة فجعل التذبيح كانه جنس اخر
برأسه او في غلي جلس العذاب وزاد عليه بزيادة ظاهرة وفي ذلكم بلاء ابتلاء من
ربكم عظيم وانما كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم لان الله تعالي ابتلاهم بتمكينهم
واقدارهم عليه وانهالهم فيه ويجوز ان يكون الاشارة الي الانجاء لان البلاء كما يكون
بالنقمة يكون بالنعمة قال تعالي وبلوناهم بالحسنات والسيئات وهذا انسب بقوله
من ربكم وعلي الاول ان تكون عبارة الرب للاشارة الي ان بلاء المومن للتربية له واذ
تاذن ربكم من جملة ما قال موسي عليه السلام لقومه منصوب المحل بالعطف علي نعمة الله
كانه قيل واذ قال لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تاذن ربكم لئن شكرتم لا علي ارادة
القول علي معني تاذن ربكم فقال لعدم الحاجة الي التقدير بل علي اجراء تاذن مجري قال لانه
ضرب من القول وفي قراءة ابن مسعود واذ قال ربكم لئن شكرتم وتاذن بمعني اذن كتوعد
واوعد غير انه ابلغ لما في التفعل من معني التكلف والمبالغة لئن شكرتم يا بني اسرايل
ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها بالايمان والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الي نعمة

ولين كفرتم غمضتم ما انعمت به عليكم قد صرح الوعد على الشكر بقوله لازيدنكم وعرض
بالوعيد على الكفران حيث قال ان عذابي لشديد اي عسى عذابي ان ينالكم بالكفران
ومن عادة من هو اكرم الاكرمين التصريح بالوعد والتعريض بالوعيد وقال موسى ان تكفروا
يا بني اسرائيل انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني عن شكركم وشكر كل شاكر وما
ضررتم بكفرانكم الا انفسكم حيث حرمتموها مزيدا لانعام وعرضتموها للعذاب الشديد
حميد مستوجب للحمد في ذاته محمود يحمده من في السموات من الملايكة بل كل ذرة من ذرات
المخلوقات الناطقة بنعمه وحمده الم ياتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود
من جملة كلام موسى عليه السلام او ابتدا كلام الله تعالى والهمزة في لم للتقرير والتوبيخ
والذين من قبلهم عطف على قوم نوح وقوله لا يعلمهم الا الله اعتراض او مبتدا خبره
لا يعلمهم والجملة اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله كانه
يقول دع التفصيل فانه لا مطمع في الحصر ولهذا قيل كان ابن مسعود رحمه الله اذا قراها قال
كذب النسابون اي في دعوى علم الانساب لان الله تعالى قد نفى علمها عن الخلق وفيه نظر
لعدم الدلالة فيه على نفي علم بعض الانساب ولم يدعه احد من النسابين جاءتهم
رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به اشاروا
بايديهم الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم اي هذا جوابنا
لا غير اقناطا لهم من التصديق قيل عضوها غيظا وحنقا مما جاءت به الرسل كقوله تعالى
عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها على افواههم ضحكا واستهزاء كمن غلب عليه
الضحك فوضع يده على فيه واسكاتا للانبياء عليهم السلام واشارة عليهم بالسكوت او
ردوها في افواه الانبياء عليهم السلام لذلك او وضعوها على افواههم ولا يذرونهم يتكلمون
او الايدي جمع اليد بمعنى النعمة اي ردوا اياديهم من التوحيد والمعارف والشرايع و
النصايح التي هي اجل النعم في افواههم لانهم اذا لم يقبلوها وكذبوها فكانهم ردوها الى حيث
جاءت منها على طريق التمثيل ولا يذهب عليك ان الاولين لا يطابقان المقام فانه يحكي اول
ما جاءهم بالبينات الى اخر ما ينتهي اليه حالهم وذلك بعد التكرر وايضا الرد ينبئ عن التكرر
ولبس وحاصل الرابع والخامس ما ذكرنا لكن الرد لا يلايم الثالث والخامس والسادس
غير ظاهر الدلالة لما فيه من نوع تعقيد والايدي بهذا المعنى قليلة الاستعمال وذكر الرد
والافواه يلايم الجارحة وانا لفي شك مما تدعوننا اليه التاكيد في انا وانا
للاقناط والمبالغة في الرد والتكذيب والمراد مما ارسلتم به الكتب والشرايع ومما تدعوننا
اليه التوحيد فترددهم في الثاني لا ينافي قطعهم بالاول مريب موقع في الريبة
من راب الرجل اذا صار ذا ريبة من باب الاسناد المجازي وعلى الثاني يكون وصف الشك

وهي

وهي قلق النفس وان لا تطمين الى شي قالت رسلهم افي الله اي في وحدانيته شك وفي
حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تنبيه على ان الله تعالى لا يكون الا واحدا فالشك في
وحدانيته شك في ذاته وشك مرتفع بالظرف وادخلت همزة الانكار عليه مع تقديمه لان
الكلام في المشكوك فيه لا في الشك وهو ثم نبههم على الوصف الذي يقتضي ان لا يقع فيه شك
لا يحتمل الشك لظهور الادلة وشهادة وجود السموات والارض عليه اي انما ندعوكم الى الايمان
بالله ووحدانيته بقوله فاطر السموات والارض وهو صفة ولا يضر الفصل بين الصفة
والموصوف بمثل هذا المبتدا او بدل يدعوكم الى الايمان ببعثه ايانا ليغفر لكم وفيه
دلالة على ان الكافر مواخذ بكفره قبل البعثة وان لم يكن مواخذا بغيره لكفاية العقل الصحيح ناهيا
عنه ليغفر لكم لمصلحتكم لا لمصلحة نفسه من ذنوبكم بعض ذنوبكم • وهو الكفر لما عرفت
انهم لا يواخذون بغيره قبل البعثة ففي قوله يدعوكم ليغفر لكم توطية لهذا البعض على تقدير
تقريرنا معناه وعلى تقدير ان يكون المعنى يدعوكم الى المغفرة على تقدير اقامة المفعول له
مقام المفعول به كما في قولك دعوتك لتنصرني بفوت هذه التوطية وتلك الدلالة وقيل
في وجه التبعيض قطعا ان المغفور قطعا ما فعلوه في حالة الكفر واما ما فعلوه بعد الاسلام
فهو بحاله وباحد هذين الوجهين يظهر السر في زيادة من في خطاب الكفرة دون المومنين في
مواضع من القران وفي الاخير فايدة اخرى وهي ابقاء البعض على الاحتمال لئلا يتكلوا على
على الايمان وحده وهذا معنى حسن واما ما قيل اريد به ان يغفر لهم ما بينهم وبين الله
تعالى لان الاسلام يجبه دون المظالم فلا يصلح وجها للتخصيص لاشتراك الفريقين فيه
والتوجيه بان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة على الايمان وحيث جاءت في خطاب المومنين
مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم منظور فيه
لان تمام التقريب به على تقدير ان يكون معنى قوله مترتبة على الايمان مرتبة عليه وحده وح
نتيجة النقض بقوله تعالى قال يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر
لكم من ذنوبكم ثم ان منشاه ومنشا ما قدمه من دعوى الاطراد في زيادة من في خطاب
الكفرة على الغفول عن قوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ومن قال في
تفسير سورة الانفال ان الحربي اذا اسلم لم يبق عليه تبعة قط ثم جوز هنا ان يكون التبعيض
لاخراج المظالم عن حيز الارادة فقد غفل عما قدمه ويوخركم الى اجل مسمى
قد سماه الله تعالى وبين مقداره وقضى ان يبلغكم اليه ان امنتم والا عاجلكم بالاهلاك
قبل ذلك الوقت قالوا ان انتم ما انتم الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تخصون
بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى بشر لبعث من جنس افضل تريدون ان تصدونا
عما كان يعبد اباؤنا بهذه الدعوى فاتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم

واستحقاقكم بهذه المزية او علي صحة دعواكم وقد جاءت رسلهم بالبينات والحجج فلم يعتدوا
بها مكابرة وعنادا او اقترحوا عليهم غيرها تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن الا
بشر مثلكم تسليم للمماثلة في البشرية ولكن الله يمن علي من يشاء من عباده اثبات
للمزية بمحض الامتنان والعناية لا لفضل لهم يقتضي ذلك تواضعا منهم وهضما لانفسهم
فلا دلالة فيه علي عدم التفاوت بين افراد البشر في الاستعداد والاستحقاق للرسالة وقد
دل عليه قوله تعالي يعلم حيث يجعل رسالاته علي التفاوت فيه ولا ايجاب بحسبه حتي ينافي
الاختيار وما كان ما صح لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله الا بتيسيره اي ليس
لنا الاتيان بما اقترحتموه اي هو امر متعلق بمشيئة الله تعالي فيخص كل نوع من الايات
وعلي الله فليتوكل المومنون تعميم قصدوا به تخصيص انفسهم علي وجه الاولية والاولو
واشعار بان قضية الايمان وجوب التوكل علي الله تعالى فامر المومنون كلهم به والمراد
امرهم انفسهم وفيه نزول عن حقهم وتواضع وهضم لانفسهم حيث تنزلوا الي مراتب احاد
المومنين ومبالغة في وجوبه عليهم كانهم قالوا ومن حقنا ان نتوكل علي الله في الصبر علي
معاندتكم ومعاداتكم فان ذلك حق كل مومن فكيف بالانبياء الا تري الي قولهم وما
لنا الا نتوكل علي الله اي واي عذر لنا في الا نتوكل عليه وقد هدانا سبلنا اي
وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل منا سبيله الذي يجب عليه
سلوكه في الدين حتي عرفه وعلم ان الامر كله بيده ولنصبرن علي ما اذيتمونا جواب
قسم محذوف اكدوا به توكلهم علي الله تعالي فيما يجري عليهم من ايذاء الكفار وعدم
مبالاتهم به علي سبيل الاعتراض وعلي الله فليتوكل المتوكلون تكرير الامر بالتوكل
للتاكيد ووجوب الثبات عليه بعد استحداثه والفا السببية في الموضعين لانه مسبب عن
الايمان وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا حلفوا
ليكونن احد الامرين اما اخراجكم من دياركم واما عودكم في ملتهم وقد مر في تفسير سورة الاعراف
ما تعلق بعاد فاوحي اليهم ربهم الي الرسل عليهم السلام لنهلكن الظالمين
اجرا الايحا مجري القول لانه ضرب منه فلا حاجة الي اضمار القول وقري ليهلكن ولنسكننكم
الارض اي ارضهم وديارهم بالياء اعتبارا للاوحي كقوله اقسم زيد ليخرجن من بعدهم
من بعد اهلاكهم كقوله تعالي واورثنا الارض القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض
ومغاربها وعن النبي صلي الله عليه وسلم من اذي جاره ورثه الله داره ذلك اشارة
الي الوحي به وهو اهلاك الظالمين واسكان المومنين ديارهم اي ذلك الامر حق لمن
خاف مقامي اي موقفي الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيمة لانه موقف الله تعالي
او قيامي عليه وحفظي لاعماله علي انمام المقام وخاف وعيد اي وعيدي بالعذاب

او عذابي الموعود للكفار واستفتحوا وطلبوا الفتح واستنصروا الله علي اعدائهم او
سالوا القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق
وانت خير الفاتحين وهو معطوف علي فاوحي اليهم ربهم وقري واستفتحوا علي لفظ الامر
عطفا علي لنهلكن اي واوحي اليهم ربهم وقال لهم استفتحوا والضمير للانبياء عليهم السلام وقيل
للكفرة وقيل للفريقين فان كلا سالوه ان ينصر المحق ويهلك المبطل وخاب كل جبار عنيد
منهم اي من المستفتحين معطوف علي محذوف تقديره ففتح لهم فافلح المومنون وخاب كل جبار
عات متكبر علي الله تعالي معاند للحق فلم يفلح والخيبة اخلاف ما قدر من المنفعة ومقابله النجاح
وهو ادراك الطلبة والعنيد هو المعاند الا ان فيه مبالغة والعناد الامتناع من الحق مع العلم
به ومعني الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من القبيلتين كان اوقع من ورائه جهنم
اي من بين يديه وهو واقف عليها قال الزجاج والورا ما توارى عنك ولهذا قد يطلق علي الخلف
ومنه قولهم قال الجدار للوتد لم تشقني قال سل من يدقني فان وراي من لا يتركني وقد
يطلق علي القوم كما في قوله اترجو بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفلاة ورائيا
وليس من الاضداد ويسقي معطوف علي محذوف تقديره يدخلها ويسقي من ماء التنكير
للتنويع اي نوع من الماء غير معهود سقيه قال مجاهد وغيره هو ما يسيل من اجساد اهل النار
صديد هو قيح او دم مختلط بمدة تسيل من الجرح عطف بيان لما فابهمه ابهاما ثم بينه بصديد
وخصه من بين انواع العذاب بالذكر ايذانا بانه اشد عذابها وكشدته قال يتجرعه ولا
يكاد يسيغه للمبالغة اي يتكلف جرعه ولا يقارب ان يسيغه فكيف بالاساغة بل يغص
فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب علي الحلق بسهولة وقبول نفس والتجرع تناوله جرعة جرعة
علي الاستمرار ويلزمه التكلف فيه وما جاء في الحديث بانه يشربه محمول علي ذلك وقوله يتجرعه
صفة الماء او حال من الضمير في ويسقي وياتيه الموت اي اسبابه من الشدائد من كل
مكان فيحيط به من جميع الجهات ففيه اطلاق المكان علي الجهة تنصيصا علي ان المراد اسباب
العذاب الجسماني لا اسباب العذاب الروحاني وذلك لان الجهة قد يوسع فيها توسعا شايعا
بخلاف المكان وقيل من كل مكان من جسده حتي من اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت
اي ليس ممن فاته الحس والشعور حتي لا يتالم والتعبير عنه بالميت شايع في كلام الفصحاء وقد
ههنا موقعه لما في ظاهره من الابهام ان موجب ما ذكر من اسباب الموت من جميع الجهات هو
ان يكون ميتا ومن حمل الميت علي حقيقته فقد نزل الكلام عن منزلته والمناسب لارادة الحقيقة
ايراده بصيغة المضارع كما ورد في قوله تعالي لا يموت فيها ولا يحيي ومن ورائه من
بين يديه عذاب غليظ في كل وقت يستقبله اي يتلقي عذابا اغلظ مما كان قبله ففيه
دفع ما يسبق الي الوهم من ان يخفف عذابهم بالاستيعاد كما هو مفهوم في عذاب اهل الدنيا

مثل الذين كفروا بربهم مبتدا خبره محذوف اي فيما يتلي عليهم والمثل مستعار للصفة التي
فيها غرابة اعمالهم كرماد جملة مستانفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من
المثل علي تقدير مثل اعمالهم والخبر كرماد ويجوز ان يكون الخبر هذه الجملة كما ذكر في قوله
مثل الجنة اي صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله
مبذول اي هذا الكلام اشتدت به الريح اي حملته واسرعت في الذهاب به والاشتداد
الاسراع بالحركة علي عظم القوة ومنه اشتد به الوجع لانه اسرع اليه علي قوة الم في يوم عاصف
العصف شدة الريح وصف به زمانه للمبالغة كقوله نهاره صايم وليله قايم شبه مكارمهم
من صلة الارحام وعتق الرقاب وفدا الاساري واكرام الضيفان واغاثة الملهوفين والاجا
وامثالها في هبوطها وكونها هباء منثورا العدم ابتنايها علي اعتقاد صحيح من المعرفة والتوحيد
والايمان بالله تعالي وبرسله عليهم السلام وباليوم الاخر برماد يعصفها الريح العاصف
لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا باعمالهم علي شي التنكير للتقليل
والتعبير بالشي للتحقير اي لا يترتب عليه اثر من الثواب وتخفيف العذاب لحبوطه وهو
وهو فذلكة التمثيل ذلك اشارة الي ضلالهم وهو ابتناء اعمالهم علي الشرك والنفاق
والريا هو الضلال البعيد عن طريق الحق والصواب وعن الثواب والخلاص عن العقاب
الم تر خطاب لكل واحد من الكفرة علي التلوين لقوله تعالي ان يشا يذهبكم او
لكل مخاطب علي العموم وفيه تعجب ان الله خلق السموات والارض بالحق بالحكمة
وما يجب ويحق ان يكون الامر عليه ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد اي من هو
قادر علي خلق السموات والارض فهو قادر علي ان يعيدكم ويخلق مكانكم خلقا اخر ولم يتوقف
الا علي مشيته فان القدرة علي خلاف الاصول وما يتوقف عليه خلقهم ثم تغيير الطبايع
وتكوينهم منها وتصويرهم دليل علي ان اعدامهم وانشا خلق اخر غير ممتنع عليه ولذلك عقبه
بقوله وما ذلك علي الله بعزيز بمتعذر او متعسر بل هو هين عليه يسير لانه قادر
لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شانه كان حقيقا بان يتقي ويخاف
ويرجا ولا يعبد الا هو وحده وبرزوا لله جميعا اي يبرزون له تعالي يوم القيامة
من قبورهم لحساب الله تعالي وحكمه او يظهرون لله تعالي باعمالهم وما كسبوا علي
خلاف ما حسبوا لانهم كانوا يستترون عن العيون عند ارتكاب الفواحش ظنا منهم ان
ذلك خاف علي الله تعالي ولا يخفي علي الله منهم شي في الارض ولا في السماء ولا يبتوا زاعمين متوا
حتي زادت الهبا فاذا لك بروزهم عند انفسهم بعد ما اعتقدوا خلافه كقوله تعالي فكشفنا
عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد لما انهم كانوا خافين عليه فبرزوا في ذلك اليوم اذ لا
يخفي عليه خافية وقتاما وانما ابرز بيرزون في صيغة برزوا للتحقق وقوعه كانه قد وقع واجرعنه

فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف قيل يريد به ضعاف الراي ولا دلالة عليه في الكلام
ولا هو مما يقتضيه المقام وانما كتب بالواو علي لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الي الواو
للذين استكبروا لرؤسايهم الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا لكم تبعا في تكذيب
الرسل والاعراض عن نصايحهم وهو جمع تابع كخدم وخادم او مصدر نعت به للمبالغة واضمار
المضاف في مثل هذا لا يناسب البلاغة والظاهر ان هذه المحاورة كمحاورة فرعون المذكورة في
قوله واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا في النار لا في المحشر
فترتب قوله فقال علي المحذوف لا علي المذكور فهل انتم مغنون عنا استفهام معناه
توبيخهم اياهم وتقريعهم وقد علموا انهم لن يغنوا شيا من عذاب الله من شي من الاولي للبيان
واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض اي بعض شي هو بعض عذاب وتقديره بعض شي كاينا
بعض عذاب الله فيكون الاعراب بحاله والاولي مفعول والثانية مصدر اي بعض الغنا بعض
الاغناء قالوا اي المستكبرون لما بكتهم اتباعهم وعلموا انهم لا يقدرون علي شي من الاغناء
عنهم اجابوهم معتذرين اليهم عما كان منهم لو هدانا الله ووفقنا به لهديناكم ولكن
ضللنا فاضللنا اي اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم
واغنيناه عنكم كما عرضناكم له ولكن سد دوننا سبل الخلاص سواء علينا اجزعنا ام صبرنا
مستويان عند الجزع والصبر وام للتاكيد والتسوية كما في قوله سواء عليهم ءانذرتهم ام لم
تنذرهم ولما كان عتاب الاتباع جزعا عما هم فيه قالوا لهم ما هذا الجزع انا مشتركون في
العذاب كما كنا مشتركين في الضلالة ولا ينفعنا الجزع كما لا ينفعنا الصبر والجزع انزعاج
النفس بورود ما يغم ونقيضه الصبر قال الشاعر فان تصبرا فالصبر فيه معتبة وان تجزعا
فالامر ما تريان ما لنا من محيص منجي ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول علي جهة
الفرار اما اسم مكان كالمبيت والمصيف او مصدر كالمغيث والمشيب وقال الشيطان
خطيبا في الاشقياء من الثقلين لما قضي الامر قطع وفرغ منه وهو الحساب ودخل اهل الجنة
الجنة واهل النار النار ان الله وعدكم وعد الحق وعدا حقا لا خلف فيه فوفي به والجزاء
وهو البعث والجزا ووعدتكم وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كان فالاصنام
تشفع لكم فاخلفتكم جعل تبيين خلاف ما وعد اخلافا فحذف من الجملة الاولي ما اثبت
مقابله في الجملة الثانية ومن الثانية ما اثبت مقابله في الجملة الاولي وهذا من لطايف الايجاز
التي بها يرتقي الكلام الي ذروة الاعجاز وما كان لي عليكم من سلطان من تسلط وقهر
فالجيكم الي الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم الا دعايي اياكم الي الضلالة بوسوستي وتسويلي
وهذا علي طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجميع لان الدعاء ليس من جنس السلطان بل المراد
نفي السلطان علي كل الوجوه كانه قال ان كان مجرد الدعاء سلطانا كان لي عليكم سلطانا

كم

فاستجبتم لي استرغتم اجابتي فلا تلوموني بوسوستي واضلالي وقد قرئ فلا يلوموني
بالياء على طريقة الالتفات كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم ولوموا انفسكم
حيث اغتررتم بمجرد دعائي بلا حجة ودليل فاطعتموني ولم تطيعوا ربكم اذ دعاكم على حجج وبينات
لم يرد انه لا يستحق الملامة بل يقول لومكم انفسكم اولى بكم اذا انتم اهلكتم انفسكم باجابتكم
لي طوعا ولا دلالة فيه على استقلال العبد في افعاله اذ يكفي في استحقاق الملامة ان يكون
لقدرته الكاسبة مدخل فيه ومن قال وهذا دليل على ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة
والسعادة ويحصلهما لنفسه وليس من الله تعالى الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين
ولو كان الامر على ما تزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر
واجبركم عليه فقد خلط في كلامه وخبط في تمشية مرامه فان ما ذكرا ولا يساعد فيه اهل
الحق وما ذكره اهل الباطل لا يساعد الشيطان ايضا وقد شبهت فيما سبق على انه لا دلالة
في كلامه عليه وما ذكره اخيرا انما يتجه على الجبرية لا على اهل الحق القائلين لا جبر ولا تفويض
بل امر بين ذلك ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما انتم بمصرخي بمغيثي منه
وقرئ بكسر الياء وقد طعن ناس فيه ولا ينبغي ان يلتفت اليها لانها قراءة متواترة نقلها السلف
واقتفى اثارهم الخلف وقد نص قطرب على انها لغة بني يربوع اني كفرت بما اشركتموني من قبل
ما مصدرية ومن قبل متعلق باشركتموني اي كفرت اليوم باشراككم اياي بالله من قبل هذا اليوم
في الدنيا كقوله ويوم يكفرون بشرككم او موصولة ومن قبل متعلق بكفرت وما هي كالتي في قوله
سبحان ما سخركن لنا اي كفرت بالذي اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم فيما دعوتكم اليه
من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين ابيت السجود لادم واشرك منقول من
اشركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او
ابتداء كلام من الله تعالى وفي حكاية قول ابليس في ذلك الوقت ايقاظ للسامعين وتنبيه لهم
على ما سيؤول اليه امرهم ليحترزوا عن مكايده ويتعوذوا به تعالى من تسويلاته ويخلصوا
فيخلصوا وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
باذن ربهم متعلق بادخل اي ادخلتهم الملائكة الجنة باذن الله تعالى وامره او بخالدين
وهذا متعين على قراءة وادخل على التكلم وقد مر ما يتعلق بخالدين تحيتهم فيها سلام
اي تحية بعضهم بعضا قال تعالى تحيتهم يوم يلقونه يعني في الجنة سلام واما تحية الملائكة
فلا يناسبها التقييد بقوله فيها لوقوعها من خزنة الجنة وهم من الملائكة قبل الدخول فيها
قال تعالى وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين الم تر كيف ضرب
الله مثلا قد تقدم الكلام فيه في اوايل سورة البقرة كلمة طيبة بدل من كلمة
مثلا كشجرة طيبة صفة لها او خبر محذوف اي هي كشجرة او منصوبة بفعل مقدر اي جعل

كلمة

كلمة طيبة كشجرة طيبة والجملة مفسرة لقوله تعالى ضرب الله مثلا واول مفعول ضرب ومثلا
ثانيهما اجراء لضرب مجرى جعل وقرئ كلمة بالرفع على الابتداء اصلها ثابت في الارض
ضارب بعروقه فيها وفرعها اي اعلاها وراسها او فروعها اي افنانها على الاكتفاء بالجنس
لاكتسابه الاستغراق من الاضافة في السماء اي صاعد في جهة العلو حذف من الجملة
ما اثبت مقابله في الجملة الثانية ومن الثانية ما اثبت مقابله في الاولى وعبارة في ابلغ من
الى اذا اريد المبالغة في الارتفاع وقرئ ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك قيل انه اقوى
لان المخبر عنه بالاضافة هو اصل شجرة واذا اجريت الصفة على الشجرة كان القصد الى ثبوت الشجرة
باصلها فلم يفرقوا بينهما حين كانت جملة واقعة صفتها ولكن على الثاني هو جار على ما هو له فهو اقوى
في اثباته لما هو له وهو ظاهر اذا كان المقصود اثبات الوصف على سبيل القوة كما نحن فيه ۞
تؤتي اكلها تعطي ثمرتها كل حين كل وقت فقد ورد في الخبر عن خير البشر ان المراد من
الشجرة هي النخلة اكلها الطلع والبسر والرطب والتمر فهو دائم لا ينقطع وكذا حال المؤمن لا يخلو
وقتا من الاوقات من خير وعليه السلام لم ينبه لهذا قال كل وقت وقته الله لاثمارها باذن ربهم
بتيسير خالقها ومدبرها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها
زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعاني في صورة مشاهدة وادنا للمعقول من المحسوس ۞
ومثل كلمة خبيثة كشجرة كمثل شجرة خبيثة اي صفتها كصفتها اجتثت استوصلت
والاجتثاث اخذ الجثة بالكلية من فوق الارض لان عروقها قريبة منه ما لها من قرار
استقرار وثبات اختلف العلماء في الكلمة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام
والقران والكلمة الخبيثة بالاشراك بالله تعالى والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق والاولى ان
يفسر كل واحدة بما يعم الكل فيقال الكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعاء الى صلاح والكلمة
الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وقد مر تفسير الشجرة الطيبة وفسرت الشجرة الخبيثة بالحنظلة
يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت اي الذين ثبت عندهم بالحجة وتمكن في قلوبهم واعتقد
اعتقادا يمتنع زواله في الحيوة الدنيا وتثبيتهم به في الدنيا انهم اذا افتتنوا في الدنيا
لم يزولوا كزكرياء ويحيى وجرجيس وشمعون والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفي الاخرة
تثبيتهم فيها انهم اذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف لم يتلعثموا ولم يدهشهم اهوال القيمة وقيل
معناه الثبات عند سؤال القبر وروي فيه الخبر المرفوع ويضل الله الظالمين الذين ظلموا
انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يستثبتون في مواقف الفتن ويفعل الله
ما يشاء من تثبيت بعض بالهداية وازلال الاخرين بالضلال من غير اعتراض عليه الم تر
الم تنظر الى الذين بدلوا نعمة الله اي شكر نعمة الله كفرا بان وضعوا مكانه او بدلوا انفس نعمة الله
تعالى كفرا لانهم لما كفروها وسلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله

واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلي الله عليه وسلم
فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر فصاروا اذلاء مسلوبين النعمة موصوفين
بالكفر واحلوا قومهم الذين تابعوهم بالكفر دار البوار دار الهلاك بحملهم علي الكفر
جهنم عطف بيان لها يصلونها حال منها او من القوم اي داخلين فيها مقاسين لحرها او مفسر
لفعل مقدر ناصب لجهنم وبئس القرار المخصوص بالذم محذوف تقديره وبئس القرار هي اي
جهنم وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله الذي هو التوحيد وقري بفتح الياء
جعل الضلال والاضلال غرضهم عن اتخاذ الانداد علي سبيل التشبيه والتقريب لازمه
ونتيجه كالاكرام الذي هو نتيجة المجي كقولك جئتك لتكرمني فادخل عليه اللام وان لم يكن
غرضا في الحقيقة قل تمتعوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التي
يتمتع بها وفيه تهديد بليغ حيث جعل انهماكم في الشهوات وانهماككم علي الشرك واللذات
كامتثال مامور مطيع لامر آمر مطاع لا يسعه ان يخالفه ولا يملك لنفسه امرا دونه لانغماسهم
في التمتع بها وانجذابهم اليها بحيث لا يعرفون غيره ولا يريدون سواه ولا يرفعون راسا الي ما
عداه فقيل له تمتعوا علي لفظ الامر وفي قوله فان مصيركم الي النار ايذان بان المهدد به
كالمطلوب لهم حيث جعل المهدد عليه المستلزم له كالمطلوب منهم لجدهم فيه فكانه قيل جدوا
ولا تقصروا فيه فانكم ان دمتم عليه فان مطلوبكم حاصل ولا يخفي ما فيه من التهكم مع شدة
الوعيد قل لعبادي الذين امنوا تخصيصهم بالاضافة الي نفسه تنويه لهم وتنبيه علي انهم
القايمون بحقوق العبودية ولهذا رتب اقامتهم الصلوة وانفاقهم علي الامر جوابا له فقال
يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم ايذانا بان فعلهم لا ينفك عن امر الرسول لفرط
مطاوعتهم له وتحقق عبوديتهم لله تعالي وانه كالسبب الموجب لفعلهم ومفعول قل محذوف
دل عليه جوابه اي قل لعبادي اقيموا الصلوة وانفقوا او قول المقول ليقيموا او ينفقوا بمعني ليقيموا
ولينفقوا وانما جاز حذف لام الامر لدلالة الامر عليه سرا وعلانية نصبا علي الحال اي ذوي
سر وعلانية والاحب في الانفاق اخفاء المتطوع به واعلان الواجب من قبل ان ياتي يوم لا
بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره او يفتدي به نفسه ولا خلال ولا
مخالة فيشفع له خليل او من قبل ان ياتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ومخالة وانما ينتفع فيه
بالانفاق لوجه الله تعالي وقري بالفتح فيهما علي النفي العام الله الذي خلق السموات
والارض مبتدا وخبر وانزل من السماء ماء فاخرج به اي بالماء والفاء للتسبب لا الاخراج
بالانزال من الثمرات رزقا لكم تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول
لاخرج ومن الثمرات بيان له حال منه او بالعكس ويجوز ان يكون رزقا نصبا علي المصدر من
اخرج لانه في معني رزق او مفعول وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره بمشيئته الي حيث

توجهتم

توجهتم وسخر لكم الانهار بجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء
تعليم كيفية اتخاذها وقوله بامره يتناول المعطوفين كمن قبل في قوله تعالي لم تكن امنت
من قبل او كسبت وسخر لكم الشمس والقمر دايبين يدابان في سيرهما انارتهما واصلاح
ما يصلحانه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم ذكر
انواع النعم وابرز كلا منها في جملة مستقلة تنويها لشانها وتنبيها علي عظم مكانها واتاكم
من كل ما سالتموه من كل شي سالتموه بلسان الحال والاحتياج ليصلح به معاشكم ومعادكم علي
ان من لابتدا الغاية ويجوز ان يكون السوال علي ظاهره علي ان عبارة كل للتكثير والتفخيم لا
للاحاطة والتعميم كما في قوله تعالي وفتحنا عليهم ابواب كل شي وحمل من علي التبعيض يفضي
الي اخلاء لفظ عن فايدة زايدة لان ما نص في العموم بل يوهم ايتا البعض من كل فرد
يتعلق به السوال ولا وجه له ومن قال في تفسيره ح يعني من كل شي سالتموه شيا فان الموجود
من كل صنف بعض ما قدره الله تعالي فقد اتي في تعليله بما لا يناسب المعلل لان الكلام في ان
المحصول بعض المسئول فكونه بعض المقدور ولا يجدي نفعا في بيانه وقري من كل بالتنوين في
محل النصب بالمفعولية او نافية ومحل ما سالتموه نصب علي الحال اي اتاكم من كل شي غير سايليه
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تستوفوا عدها كما قال من احصاها دخل الجنة
يعني انها غير قابلة للاحصاء لعدم تناهيها فان نعمة النفع وان كانت افرادها متناهية
لدخولها تحت الموجود وكذا نعمة الدفع اي دفع الضرر ما ليا كان او بدنيا لكن نعمة الدفع
غير متناهية ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها
للحرمان باستعمالها لا فيما ينبغي ولا فيما يبتغي به وجه الله تعالي كفار شديد الكفران لها
وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعم يجمع ويمنع واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا
البلد بلدة مكة آمنا ذا امن لمن فيها وقيل الفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا امنا
انه سال ثمة ان يجعله من جملة البلاد ذا الامن اهلها وههنا اراد ان يزيل الخوف عنه ويصيره
ذا امن وذلك لان محط الفايدة هو المفعول الثاني الكاين بمنزلة الخبر واجنبني وبني
بعدني واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منها في جانب وقري وجنبني وهما علي
لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره رب انهن اضللن كثيرا من الناس فلذلك
سالتك ان تعصمني وبني واسناد الاضلال الي الاصنام مجازي لانهن السبب في ضلالهم
كقوله غرتهم الحيوة الدنيا ولما توجه ان يقال تخصيص طلب العصمة عن الضلال بابنايك
تدارك دفع هذا السوال بقوله فمن تبعني في سلوك الصراط المستقيم والدين القويم
فانه مني بمنزلة بعضي فيشمله طلبي للعصمة فكانه قال ولا اخص طلب العصمة بهم
فانه من تبعني فانه في حكمهم بحكم ان النبي ابو امته فالفا التعليلية للعطف علي محذوف يقتضيه المقام

ويستدعي تقريره انتظام الكلام فانظر الى حسن نظم هذا المقال ولطف طلب الانهال لسائر
الاشياع وعامة الاول بقوله ومن عصاني فيه طباق معنوي لان تبعيته طاعة فانك
غفور تستر عليه ذنبه رحيم تمهله فلا تعاجله بالعذاب وهذا على وفق ما اخبر به تعالى
بقوله ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم فلا دلالة فيه على ان الله تعالى يغفر الشرك كما زعمه
من قال في تفسيره يقدر ان يغفره ويرحمه ابتداء وبعد التوفيق للتوبة دليل على ان كل ذنب
فلله ان يغفره حتى الشرك ان الوعد فرق بينه وبين غيره ثم انه لم يدر انه بالترديد المذكور
قد هدم مبني تلك الدلالة ربنا كرر النداء رغبة في الاجابة واظهار التذلل واتى
بضمير الجماعة لانه تقدم ذكره وذكر بنيه اني اسكنت من ذريتي بعض اولادي
وهم اسمعيل عليه السلام واولاده فان اسكانه متضمن لاسكانهم بواد غير ذي زرع
يعني وادي مكة شرفها الله تعالى لانها حجرية لا تنبت والوادي سفح الجبل ومن ذلك
قيل للانهار العظام اودية لان حافاتها كالجبال لها والزرع كل نبات يتفرش من غير ساق
عند بيتك المحرم هو الكعبة شرفها الله تعالى والاضافة اليه تعالى للتشريف وتوصيفه
بالمحرم لانه تعالى حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه قوله بواد
غير ذي زرع اخبار عن صرف توكله وصدق تفويضه وقوله عند بيتك بيان انه راى الرفق
في الجوار لا في الميار ربنا ليقيموا الصلوة اللام بمعنى كي متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم
بهذا الوادي البلقع الا ليقيموا الصلوة عند بيتك المحرم وقيل هي لام الامر والمراد هو الدعاء
لهم باقامة الصلوة كانه لما اسكنهم هناك طلب منهم اقامة الصلوة وسال الله تعالى ان
يوفقهم لها وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصود بالذات من اسكانهم ثمة والمقصود
من الدعاء توفيقهم لها فاجعل افئدة ذوي افئدة من الناس هو من التبعيض
قيل ولو لم يقل من لازدحموا عليها فارس والروم والترك والهند ولابتداء الغاية كقولك
القلب مني سقيم اي قلبي وقرئ آفدة وهي اما مقلوب افئدة وهي كادر في ادؤر واما اسم
فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة يعجلون نحوهم وقرئ افدة اما تانيث افد بوزن
حسن واما تخفيف افئدة بطرح الهمزة وان كان الوجه اخراجها بين بين تهوي اليهم
تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا واصل الهوي ان يكون من علو ويلزمه السرعة وقرئ يهوى
اذا احب ضمن معنى نزع فعدي تعديتها وارزقهم من الثمرات مع سكناهم في واد لا نبات
فيه لعلهم يشكرون فاجاب الله تعالى دعوته وجعله حرما امنا تجبى اليه ثمرات كل شيء
ويجلب اليه من كل ناحية حتى يجتمع فيه البواكير والفواكه الربيعية والصيفية والخريفية
في يوم واحد ربنا كرره تضرعا والتجاء الى الله تعالى واظهارا للافتقار اليه واستلذاذا
وذوقا من مناجاته انك تعلم ما نخفي وما نعلن قدم ما نخفي على ما نعلن تعاديا عن سلو

الترقي لان مبناه على التفاوت في علمهما وهو منتف في حق الخالق اي تعلم السر كما تعلم العلن
لا تفاوت بينهما فانت اعلم باحوالنا ومصالحنا ومفاسدنا فلا حاجة بنا الى السؤال ولكنا
ندعوك اظهارا للتعبد والتذلل والتخشع لك وامتثالا لامرك وافتقارا اليك والى رحمتك
واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من البكا والدعا وما يخفى
على الله من شيء الظاهر انه من كلام ابراهيم عليه السلام على طريقة الالتفات تاكيدا لقوله
وتبيينا له بالبرهان وتعظيما لله تعالى باظهار اسمه وتقرير الحكم كانه قال وكيف لا تعلم وانت
الله والله هو العالم بالغيب كله لا تخفى عليه خافية ومن للاستغراق وان جعل من كلام الله
تعالى كان تصديقا منه لابراهيم عليه السلام على طريقة الاعتراض بين حكاية قوله كقوله
وكذلك يفعلون في الارض ولا في السما عبر عن العالم بقطريه الحمد لله الذي وهب
لي على الكبر في موضع الحال اي وهب لي وانا كبير يعني كانت الهبة في حال الشيخوخة بعد
استمرار اليأس عليها فللدلالة على ان هبة الولد له لم تكن في ابتداء دخوله في سن الشيخوخة بل
كانت بعد استمراره برهة من الزمان عليها اتى بلفظ على روي عن سعيد بن جبير رضي الله
عنه انه قال لم يولد لابراهيم عليه السلام الا بعد مائة وسبع عشرة سنة وتقييد الهبة بحال
الكبر استعظام للنعمة واظهار للقدرة وشكر لما هو فيه من المنة فان الظفر بالحاجة عند وقوع
الياس اعظم واحلى ولانها كانت في ذلك آية لنبيه عليه السلام اسمعيل واسحق كان اسمعيل
عليه السلام اكبر من اسحاق عليه السلام فلهذا قدمه عليه ان ربي لسميع الدعا لمجيبه
من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده كان عليه السلام قد
دعا ربه وساله الولد فقال رب هب لي من الصالحين فهو من تتمة الشكر حمد الله تعالى على موهبة
الولد ورأى المنة عليه في قبول دعائه السابق فوقع قوله الحمد لله وتذييله موقع الاعتراض
تاكيدا لما قدمه من الطلب بتذكير ما عهد من الاجابة يتوسل اليه تعالى بسابق نعمه في شانه والسميع
من ابنية المبالغة مضاف الى مفعوله معملا عمل فعله كقولهم هذا ضراب اخاه ويجوز ان يكون
من اضافة الصفة الى فاعلها على ان يجعل دعاء الله سميعا مجازا عقليا رب اجعلني مقيم الصلوة
معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني اي بعض ذريتي
وانما بعضها لانه عليه السلام علم باعلام الله تعالى اياه ان في ذريته كفارا وذلك قوله تعالى
لا ينال عهدي الظالمين ربنا تكرير للمنادى فلا يمنع عطف قوله وتقبل دعاء
واستجب دعائي او وتقبل عبادتي ربنا اغفر لي ولوالدي ولابوي وقد تقدم عذره
استغفاره لهما وقرئ ولولدي يعني اسمعيل واسحق عليهما السلام وللمؤمنين دعا
بالمغفرة لجميع المؤمنين وندخل في هذا الامر فهو قدوة لنا ونحن نذكره في الصلوة بامر الله تعالى
اجابة لدعائه واجعل لي لسان صدق في الآخرين يوم يقوم الحساب اي يثبت مستعار

من قيام القايم علي الرجل كقولهم قامت الحرب علي ساق او مسند الي الحساب اسنادا مجازيا
وهو لاهله لا علي حذف المضاف فانه يكون الاسناد حقيقيا والكلام نازلا عن منزلته
فمن يقوم اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه قيامهم مجازا اوفقط خلط بين الاسنادين
وخبط ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم والمراد النهي عن لازم الحساب المذكور بطريق الكناية اي لا تحزن بما عملوا فانه
تعالي مطلع علي احوالهم واعمالهم لا يخفي عليه شيء من ذلك فان تاخير العذاب عنهم
للتشديد عليهم في العقبي فهو امهال لا اهمال او لكل احد ممن يستعجل العذاب او يتوهم
اهمالهم بانه يجب ان يعلم انه تعالي رقيب عليهم فيتسلي الاول ولا يظلم الثاني ولا يتحرى
ان ظلم فانه المجازي والمنتقم المنتصف من الظالم للمظلوم ولهذا قال ابن عيينة انه تسلية
للمظلوم وتهديد للظالم انما يؤخرهم اضاف التاخير اليهم والمؤخر عذابهم علي سبيل
المجاز ايماء الي انهم من شدة العذاب في ذلك يكونون بحيث يظن من رآهم انهم عذاب مجسم
ليوم تشخص فيه الابصار اي تبقي مفتوحة لا تنطبق لعظم هول ذلك اليوم ولا اختصاص
لتلك الحالة بهم ولهذا اطلق الابصار ولم يضفها اليهم كما اضافها اليهم في قرانها وهذا
ابلغ في التهويل فمن وهم ان المعني تشخص ابصارهم فقد وهم ثم انه لم يصب في تفسير
الشخوص بعدم القرار قال الجوهري يقال شخص بصره فهو شاخص اذا فتح عينيه وجعل
لا يطرف مهطعين يقال هطع الرجل اذا اقبل ببصره علي الشي لا يقطع عنه وبه
فسره ابن عباس رضي الله عنه حيث المهطع الدايم النظر لا يطرف وهو المناسب لسياق الكلام
ولحاقه بخلاف تفسيره بالمسرع كما لا يخفي مقنعي رؤسهم اقناع الراس رفعها
اي رافعيها حتي لا يبصروا مواضع اقدامهم لا يرتد اليهم طرفهم اي تبقي اعينهم
ممدودة نحو الهول لا تطرف اي لا تتحرك اجفانهم ولا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الي انفسهم
ولا يخفي ان هذا يغني عن الاضافة اليهم في وصفها بالشخوص وانما وحد الطرف لانه في الاصل
مصدر وافئدتهم هواء خلا وصفا للقلوب بالهواء مبالغة في الخلو عن الفهم والعقل
لفرط الحيرة والدهشة كانها نفس الخلا ومنه يقال للاحمق والجبان قلبه هواء اي لا راي
فيه ولا قوة فالتجوز فيه عقلي كما رجل عدل لا لغوي كما زعمه من فسره بالخالية فاخلي عن
تلك المبالغة ونزل الكلام عن المنزلة العالية وقيل معناه منخرقة لا تعي شيا للخوف والفزع
الذي دخلها فهي كهواء الجو في الانخراق وبطلان الامساك وانذر الناس خطاب للرسول
صلى الله عليه وسلم يوم ياتيهم العذاب يعني يوم القيمة او وقت الموت فانه اول وقت عذابهم
وهو مفعول ثان لانذر فيقول الذين ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا الي اجل قريب
ردنا الي الدنيا وامهلنا الي امد وحد من الزمان قريب او اخر اجالنا مقدار ما نتدارك ما فرطنا

فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك فقوله نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب الامر ونظيره
لولا اخرتني الي اجل قريب فاصدق واكون من الصالحين اولم تكونوا اقسمتم من قبل على
ارادة القول وجواب القسم ما لكم من زوال واقسامهم علي انتفاء الزوال عن الدنيا
اما لغاية الغفلة والجهل والانهماك وغلبة البطر والاشر واما بلسان الحال حيث بنوا مشيدا
واملوا بعيدا كانهم اقسموا علي انهم خالدون فيها وانما قيل ما لكم علي المطابقة لاقسمتم ولو
حكي قول المقسمين لقيل ما لنا من زوال اي اقسمتم انكم لا تزالون عن الدنيا وقيل معناه لا
تنتقلون الي دار اخري كقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت اي
اقسمتم علي انكار البعث وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي كعاد
وثمود سابقين بينهم واصل سكن ان يتعدي بفي كقر وغني واقام وقد تستعمل بمعني التبوء والتوطن
فيجري مجراه كقوله اسكن انت وزوجك والسكني سكون خاص فتركه علي الاصل وتجوز ان يكون
بمعني السكون اي لبثتم فيها واقمتم وتبين لكم كيف فعلنا بهم بمشاهدة اثار ما نزل
بهم في مساكنهم وتواتر اخبارهم فلم تعتبروا ولم ترتدعوا ولا تجدتوا انفسكم بما الفوا من
عذاب الله وضربنا لكم الامثال اي صفات ما فعلوا وفعل بهم التي صارت امثالا
سائرة بين الناس في غاية الغرابة مضروبة لكل ظالم وبينا انهم مثلهم في الكفر واستحقاق
العذاب وقد مكروا مكرهم الذي استفرغوا فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير
الباطل وهو المكر المخصوص بهم ليس لاحد مكر في قوته وعند الله مكرهم الذي
يمكرهم به وهو العذاب الذي ياتيهم بغتة من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون لاستحقاقهم
ذلك بمكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال زوال الجبال مثل لتعاظم مكرهم
وشدته اي وان كان مكرهم لشدته وعظمه مستويا معدا لزوال الجبال منه كانوا اذا
عظموا الشي وصفوه بمثله قال الشاعر • لما اتي خبر الزبير تضعضعت • سور المدينة
والجبال الخشع • اي وان عظم مكرهم فعند الله المكر الذي يبطله والمكر الاول مضاف
الي الفاعل والثاني مضاف الي المفعول ويجوز ان يكون الثاني ايضا مضافا الي الفاعل
اي وعند الله مكرهم الذي يمكرون الرسل به يعني مكتوب عنده فهو مجازيهم عليه بمكر
هو اعظم منه وان كان مكرهم مما يضرب به المثل في العظم وقيل ان في وان كان مكرهم
نافية واللام لتاكيد النفي كقوله وما كان الله ليعذبهم وقيل مخففة من الثقيلة والمعني
انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال تمكنا وثباتا من ايات الله تعالى وشرائعه وقرئ بالفتح
والرفع والنصب علي لغة من يفتح لام كي وقرئ وان كان مكرهم والجمهور علي انها ان
الشرطية وجواب الشرط محذوف دل عليه وعند الله مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده
رسله مثله قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف رسله وعده

فقدم المفعول الثاني ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد
واذا لم يخلف وعد احدا كيف يخلف رسله ان الله عزيز غالب لا يماكر قادر
لا يدافع ذو انتقام لاوليايه من اعدايه الخطاب لرسول الله صلي الله عليه وسلم
والمراد بالنهي عن الحسبان المذكور الامر بضده علي ابلغ وجه وهو الجزم بنصر المومنين
وقهر اعداء الدين اي فكن علي ثقة ويقين بالانجاز لما وعدناك من الاعزاز للاسلام
واهله والاذل للكفر والانتقام من اهله يوم تبدل الارض غير الارض بدل من
يوم ياتيهم العذاب او ظرف للانتقام ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل
فيما بعده والسموات عطف علي الارض وتقديره والسموات غير السموات
اي تبدل الارض المعهودة ارضا اخري والسموات المشهودة سموات اخري والتبديل هو
التغيير اما في الذات كقولك بدلت الدراهم بالدنانير ومنه قوله بدلناهم جلودا غيرها
واما في الصفات كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وجعلتها خاتما بتغيير شكلها ومنه
قوله تعالي فاوليك يبدل الله سياتهم حسنات والاية تحتملهما فعن علي رضي الله عنه
تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس رضي الله عنهما هي تلك
الارض وانما تغير صفاتها وانشد وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار
التي كنت تعلم ويدل عليه ما روي ابو هريرة رضي الله عنه انه عليه الصلوة والسلام
تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا تري فيها عوجا ولا امتا
واعلم انه لا يلزم علي الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء علي الحقيقة ولا
يبعد علي الثاني ان يجعل الله تعالي الارض جهنم والسموات الجنة علي ما شعر به قوله
تعالي كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وقوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وبرزوا
من اجداثهم لله الواحد القهار لما كان البروز مسوقا للوعيد كان الوصفان
المذكوران ترشيحين له ببيان شدة الامر في ذلك اليوم لله الواحد القهار لان الامر
والملك اذا كان لواحد لا يشارك فيه قهار لا يعاز ولا يغالب لا مستغاث لاحد ولا
مستجار كان الامر في غاية الصعوبة وتري المجرمين يومئذ مقرنين بعضهم
من بعض لاشتراكهم في العقايد والاعمال واذا النفوس زوجت او مع الشياطين
الذين حملوهم علي الاجرام او قرنت ايديهم وارجلهم الي رقابهم بالاغلال ويجوز ان
يكون تمثيلا لمواخذتهم بما اقترحت ايديهم وارجلهم الي رقابهم فكان ايديهم غلت الي
رقابهم في الاصفاد متعلق بمقرنين او حال من ضميره قال الراغب الصفد والصفاد
الغل وجمعه اصفاد وفي الصحاح الصفاد ما يصفد به من قيد وقد وغل اي يوثق
وقول الشاعر • فدلا في صفاد ابعض ساعة • بعظم ساق ظاهر في صفاد • او احد

بعضها

فكانه نوع من الغل يجمع فيه الرجل واليد ويشدان علي العنق سرابيلهم اي قمصهم
جمع سربال من قطران فيه ثلاث لغات فتح القاف مع كسر الطاء وسكونها وكسر
القاف مع سكون الطاء وهو ما يحلب من شجر الابهل يطبخ ويهنا به الابل الجربا فيحرق الجرب
والجلد بحدته وهو اسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة وقري من قطر آن والقطر النحاس او
الصفر المذاب والان المتناهي حره يطلي به جلود اهل النار حتي يكون طلاؤه لهم كالقميص
فيجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه وسرعة اشتعال النار بهم علي ان التفاوت
بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بانفسهم من ظلمة
الهيات الردية والملكات الفاسدة الموحشة فتجلب اليها انواعا من الاذي والالم والعذاب
والجملة حال ثانية او حال من الضمير في مقرنين وانما جي بها الجملة اسمية لان السرابيل
القطران الجامعة بين الانواع الاربعة المذكورة اقطع من الصفد واما يغشي فلتجديد
الاستحضار المقصود في قوله وتري لان الثاني اهول والاول في بيان حالهم في الموقف
الي ان يكب بهم في النار والاخيرين لبيان حالهم بعد دخولها وكان الاول حرك من السامع
ان يقول واذا كان هذا شانهم وهم في الموقف فكيف بهم وهم في جهنم خالدون فاجيب
بقوله سرابيلهم من قطران واوثر الفعل المضارع في قوله وتغشي وجوههم النار
لاستحضار الحال وتجدد الغشيان حالا فحالا وانما تغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الي
الحق ولم يستعملوا مشاعرهم التي خلقت لها في تدبر الحق كما تطلع علي افيدتهم لانها خالية
عن المعرفة مملوة من الجهالات ليجزي الله كل نفس اما ان يتعلق بمحذوف تقديره
يفعل ذلك بهم ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت او بقوله وبرزوا اي ليجزي الله كل
نفس مجرمة او مطيعة ما كسبت واقتفي بذكر عقاب المجرمين ليستدل به علي عقاب المطيعين
ان الله سريع الحساب لانه لا يشغله فيه تامل وتتبع لا يمنعه حساب عن حساب
حتي يستريح بعضهم عند الاشتغال بمحاسبة الاخرين فيتاخر عنهم العذاب وبهذا
التفصيل تبين وجه اصابة التذييل المذكور محزه هذا اشارة الي السورة او الي
ما وصفه من قوله فلا تحسبن الله الي قوله سريع الحساب اي هذا الكلام او الكتاب بلاغ
كفاية للناس في الموعظة والتذكير والاشارة الي جميع ما في السورة من العظة
والتذكير اولي يكون كالفذلكة وخاتمة علي منوال الفاتحة ولينذروا به عطف علي
محذوف اي لينصحوا ولينذروا بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا انما
هو اله واحد بالنظر والتامل فيما فيه من الايات الدالة علي التوحيد والمنبهة علي ما
يدل عليه وليذكر اولوا الالباب فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم
قيل ان الفوايد الثلاث التي ذكرها لهذا البلاغ هي الغاية والحكمة في انزال الكتب وهي

تكميل الرسل للناس واستكمالهم القوة النظرية التي غايتها في كمال التوحيد واستصلاح
القوة العملية الذي هو التدرع بلباس التقوي جعلنا الله تعالي من الفايزين تم الكلام والحمد لله
علي التمام

سورة الحجر مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك ايات الكتاب وقران مبين
الاشارة الي ايات السورة والكتاب والقران السورة وهذا ابلغ علي ما قدمنا بيانه في تفسير
سورة البقرة واللام في الكتاب للماهية والتنكير في القران للتفخيم اي تلك ايات الكتاب
الكامل في كونه كتابا وقران اي قران مبين يبين الرشد من الغي بيانا غريبا يعني الجامع للكامل
والغرابة في البيان والبلاغة ولما كان في التعريف نوع من الفخامة وفي التنكير نوع اخر
وكان الغرض الجمع عرف الكتاب ونكر القران ههنا وعكس في سورة النمل وقدم المعرف في
الموضعين لزيادة التنويه ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين منقادين لحكم هذا
الكتاب وهذا التمني حين يخرج الله تعالي عصاة المومنين من النار وروي فيه حديث مرفوع
وقيل اذا عاينوا احوالهم وحال المسلمين عند البعث للحساب او عند الموت اذا راوا العذاب
وقيل في كل الاحوال التي يخطر بالبال ظهور بطلان ما كانوا عليه من الضلال وهذا الت
لما قصد بربما معني التكثير علي وجه ابلغ وقولهم لو كانوا مسلمين حكاية ودادتهم علي لفظ
الغيبة كقولك حلف بالله ليفعلن وحق ربما ان تدخل علي الماضي لانشا تحقق التقليل
لكن لما كان الغرض من الماضي تحقق وقوعه والمترقب في اخبار الله تعالي بمنزلة الماضي
في تحقق وقوعه اجري مجراه ومعني التقليل فيه وارد علي طريق العرب وقولهم في مواقع النصح
وارتكاب المخاطب ما لا يشك في استتباعه للتندم لعلك ستندم وربما ندم الانسان علي
ما فعل وليس مرادهم الشك والتقليل بل المراد ان الندم لو كان مشكوكا فيه او قليل الوقوع
عما تفعل لكان حقا عليك ان لا تفعل لان قضية العقل التحرز عن الغم المظنون والقليل
فكيف واستتباع فعلك الغم والندم الكثير المحقق اي لو كانوا يودون الاسلام مرة
واحدة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة وقري ربما بالفتح والتخفيف
وبتا التانيث ودونها وما كافة تكفه عن العمل فيجوز دخوله علي الفعل وقيل نكرة موصوفة
كقوله ربما نكره ذرهم اتركهم ياكلوا تخصيصه بالذكر مع انذار في قوله ويتمتعوا
وتقديمه عليه للتنبيه علي ان حظهم من الحيوة الدنيا حظ البهايم ياكلون ويشربون والا
علي ياكلوا لان الاكل يستتبع الشرب عادة فذكره يغني عن ذكره ويتمتعوا بدنياهم وينهمكوا
في شهواتهم ويلههم الامل ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار وجريان امورهم واحوالهم
علي وفق هواهم عن الاستعداد للمعاد فسوف يعلمون وخامة عاقبتهم وسوء صنيعهم اذا
عاينوا جزاه فيه تهديد ووعيد وتحذير عن ايثار التنعيم وطول الامل والزام الحجة لان الامر
لا يكون الا عند تكرار الانذار وثبوت الجحود وكذلك ما رتب عليه واقناط الرسول عليه السلام

عن ايمانهم وايذان بانهم من اهل الخذلان لا يقبلون النصح ولا يجدي فيهم الانذار وما
اهلكنا من قرية اهلاكها كفاية عن اخلايها من اهلها بافنايهم وهي ابلغ من المجاز في القرية
واما تقدير المضاف فلا حاجة اليه بل لا وجه له عند ارباب البلاغة الا ولها كتاب معلوم
اجل مكتوب في اللوح معلوم عند الله موقت ولهذا قال ما تسبق من امة اجلها اي كتابها
اي لا يتقدم امة ومن موكدة وما يستاخرون اي عنه فحذف للعلم به ووحد تسبق
بالنظر الظاهر كلمة امة وجمع في قوله يستاخرون بالواو والنون للمعني الكلام متصل بقوله فسوف
يعلمون اي العذاب نازل بهم في الوقت الذي جعلناه اجلا له اخرناها اليه لما كان في علمنا ايمان
من يخرج من اصلابهم فاذا بلغ الكتاب اجله وجبت كلمة العذاب علي الكافرين ولم يتاخر عنهم
وجملة المستثني واقعة حالا من قرية لانها في معني العموم قريبة من المعرفة اذ المراد
قرية من القري وهذه الواو هي التي تعطي ان الحالة التي بعدها في اللفظ هي قبلها
المعني قوله تعالي حتي اذا جاوها وفتحت ابوابها ومن حملها علي الصفة تكون القرية نكرة ثم
قال والقياس ان لا تتوسط الواو بين الصفة والموصوف وانما جي بها للتاكيد صدق الصفة
فقد تعسف لان الواو انما جي بها لئلا يشتبه الحال بالصفة لتقدم الحال علي النكرة الا تري
الي قولهم جاني رجل وعليه درع كيف التزموا فيه الاتيان بالواو ورفعها للاشتباه المذكور
فكذا ههنا ثم ان فيما اختاره فصل بين الصفة والموصوف بالا وهو غير جايز نص عليه الاخفش
وابو علي الفارسي وقالوا يعني مشركي مكة علي وجه الاستهزا يا ايها الذي نزل عليه
الذكر نداء للرسول صلي الله عليه وسلم علي سبيل التهكم الا تري الي ما نوي له وهو قولهم
انك لمجنون والتنكيس في الكلام للاستهزا والتهكم طريق واسع ونظيره قول فرعون
ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون تعنون ان ادعاه لنزول الذكر عليه قول المجانين والمراد
من الذكر القران لوما تاتينا اي هلا تاتينا ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع
الشي لوجود غيره والتحضيض والفرق بينهما ان التحضيضية لا يليها الا الفعل ظاهرا
او مضمرا والامتناعية لا يليها الا الاسما لفظا او تقديرا عند البصريين بالملايكة
لتصديق قولك ويشهدوا لك ويعضدوك علي الانذار كقولهم لولا انزل اليه ملك فيكون معه
نذيرا او ليعاقبونا علي تكذيبنا اياك كما اتي الامم المكذبة من قبل ان كنت من الصادقين
ان كنت صادقا في دعواك او كنت من جملة تلك الرسل الصادقين في دعواهم ما ننزل
الملايكة بالنون وهو يناسب ما تقدم وما تاخر من الفاظ التعظيم وقري بالتا والبنا
للمفعول ورفع الملايكة وقري تنزل بمعني تتنزل الا بالحق متعلق بفعل قبله او بمحذوف
علي انه حال من الفاعل او المفعول او ملتبسين بالحق او نعت لمصدر محذوف اي الا تنزيلا
ملتبسا بالحق اي بالحكمة والصواب ولا حكمة في ان تاتيكم بصور تشاهدونها ويشهدون

بصدقه فانه لا يزيدكم الا لبسا كقوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون
ولا في معاجلتكم بالعقاب فان منكم ومن ذراريكم من سبق له حكمنا بالايمان وقيل الحق الوحي
وقيل العذاب وما كانوا اذا منظرين جواب لهم وجزاء الشرط مقدر اي ولو نزلنا الملئكة
ما كانوا منظرين انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم ولهذا اكد بان والضمير
وبنا الفعل عليه وقرره بقوله وانا له لحافظون اي من الطعن والتحريف والزيادة
والنقصان بان جعلناه مباينا لكلام البشر لا يخفي علي اهل البلاغة اعجازه وتعين نظمه لو غير
بخلاف الكتب المتقدمة فانه تعالي لم يتول حفظها واستحفظها الربانيين والاحبار ولم يجعل
لفظها ونظمها معجزا لا يمكن تغييرها فاختلفوا فيما بينهم وحرفوا وغيروا وقيل الضمير لرسول
الله صلي الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك من الناس ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين
اي ارسلنا رسلا ومن قبلك يجوز ان يتعلق بارسلنا وان يتعلق بالمحذوف علي انه نعت له والشيع
جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة علي طريق ومذهب من شاعه اذا اتبعه واصله الشياع وهو
الحطب الصغار توقد بها الكبار والمعني نبانا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم •
وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي صلي الله
عليه وسلم قيل وما ياتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا تدخل علي مضارع الا وهو في موضع
الحال ولا علي ماض الا وهو قريب من الحال ورد عليه بان ما يكثر دخولها علي المضارع مرادا به
الحال ويدخل عليه مرادا به الاستقبال كقوله تعالي قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي
وانشد شاهدا به قول ابي ذويب • اودي بني واودعوني حسرة • عند الرقاد وعبرة لا تقلع
وقول الاعشي في مدح رسول الله صلي الله عليه وسلم نافلات ما بعثت نوالها وليس عطاء
اليوم مانعه غدا وقوله الا كانوا يجوز ان يكون صفة لرسول الله صلي الله عليه وسلم فيه
وجهان الجر باعتبار اللفظ والرفع باعتبار المحل واذا كانت حالا فهي حال مقدرة كذلك
مثل ذلك السلك نسلكه في قلوب المجرمين • والسلك ادخال الشي في الشي كالخيط في المخيط
والرمح في المطعون والضمير للذكر اي ندخله في قلوبهم مكذبا مستهزا به غير مقبول كالضمير
الاخير في قوله تعالي لا يؤمنون به وهو حال من هذا الضمير او بيان للجملة المتضمنة
له حال من المجرمين او منهما ولا ينافي كونها مفسرة للمعني الاول بل يقويه وتعاقب الضماير وان لم
يستلزم توافقها في المرجوع اليه لكنه مستحسن لا يعدل عنه عند سداد المعني به وقد
خلت سنة الاولين استيناف اي قد مضت طريقهم التي قد سنها الله تعالي في اهلاكهم
حين كذبوا الذكر المنزل اليهم وهو وعيد لاهل مكة علي تكذيبهم فوقع هذا الكلام موقع الفا
في سورة الشعرا اعني قوله حتي يروا العذاب الاليم ولو فتحنا عليهم علي هؤلاء المقترحين
المعاندين بابا من السما فظلوا فيه يعرجون اي يسرنا لهم معراجا يصعدون فيه اليها

طول النهار ويعاينون ما هنالك وذكر الظلول ليكون عروجهم بالنهار مستوضحين لما يعاينون
طوله لقالوا من غلوهم في العناد تشكيكا في الحق انما سكرت ابصارنا حيرت من
السكر ويدل عليه قراة ابن كثير بالتخفيف اي حبست ومنعت من الابصار كما يحبس النهر من الجري
بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك كما قالوا عند ظهور غيره من الايات هذا امر
تخييلي لا حقيقة له قد سكرت ابصارنا بل سحرنا به ومعني انما انهم يبتوا القول بان ذلك ليس
الا بتسكير الابصار وكذلك معني الاضراب في بل وايراد الجملة الاسمية اي قد سحرنا
سحرا ثابتا لا افاقة معه ولقد جعلنا في السماء بروجا هي الاثنا عشر المعروفة المختلفة
الهيات والخواص علي ما دل عليه الرصد والتجربة ومن زاد علي هذا قوله مع بساطتها فقد ادعي
ما دونه اثبات خرط القتاد وزيناها بالاشكال والهيات البهية للناظرين
المعتبرين المستدلين بها علي قدرة مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها الضمير للسما
وكذلك في زيناها اذ لا وجه لتخصيص الزينة بالبروج من كل شيطان فلا يقدر ان
يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف في امرها ويطلع علي احوالها رجيم مرجوم بالنجوم
اي مرمي بها الا من استرق السمع في محل النصب علي الاستثنا المتصل واستراق السمع
اختلاسه سرا شبهت الخطفة اليسيرة التي للشياطين من سكان السموات لبعض الغيب
بما بينهم من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال من اوضاعها وحركاتها بالسرقة في السموات
وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان الشياطين غير محجوبين عن السموات فلما بعث عيسي
عليه السلام منعوا من ثلث سموات فلما بعث محمد صلي الله عليه وسلم منعوا منها جميعا
بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر ويجوز ان يكون
من في محل رفع بالابتدا وخبره فاتبعه اي طلب لحوقه وانما دخلت الفا لان من اما شرطية
واما موصولة مشبهة بالشرطية والاستثنا منقطع وقيل انه بدل من كل شيطان فيكون محله
الجر وفيه ان الكلام موجب فيحتاج الي تاويله بالنفي ولا ضرورة ههنا بخلاف قوله فشربوا
منه الا قليلا فان فيه ضرورة علي قراة الرفع ومن قال فتبعه ولحقه فكانه لم يفرق بين تبعه
واتبعه والفرق قايم يقال اتبعه اتباعا اذا طلب الثاني اللحوق بالاول وتبعه تبعا اذا مر به
فمضي معه وكذلك اتبعه اتباعا بالتشديد ثم ان ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما بعد
قوله منعوا منها جميعا فما منهم من احد يريد استراق السمع الا رمي بشهاب قبس فان اصابه
احرقه وان اخطاه خبله فصار غولا يضل الناس في البوادي صريح في عدم اعتبار اللحوق
في الاتباع شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة واطلاقه علي
الكواكب والسنان بطريق الاستعارة لما فيه من البريق والارض مددناها بسطناها
ليحصل بها الانتفاع لمن حل بها وقيل المد هو البسط الي ما لا يدرك منتهاه ولما كانت هذه

الجملة تقدمها جملة فعلية كان النصب على الاشتغال ارجح من الرفع على الابتدا فلذلك
نصب في الارض والقينا طرحنا وانما قال فيها دون عليها لدفع ما يتبادر الى الفهم
من القا الجبال على الارض من الخارج ببيان ان المراد تكونها فيها على وجه يتظاهر كانها ملقاة
عليها رواسي جبالا ثوابت وقد مر ما يتعلق به في تفسير سورة الرعد وانبتنا فيها
اي في الارض والانبات في الجبال يندرج في الانبات في الارض بدون العكس فلا حاجة الى
الجمع فلا وجه لعود الضمير الى الجبال خاصة من كل شيء لفظ كل للتكثير والتعميم لا للاحاطة
والتعميم وقد مر نظايرها موزون بميزان الحكمة مقدر بقدر تقتضيه او مستحسن
مناسب كقولهم كلام موزون او قدر ووقع في باب النعمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش
قد مر تفسيرها في سورة الاعراف ومن لستم له برازقين نصب على لكم لا على الضمير المجرور
والا لوجب اعادة الجار اي جعلنا لكم فيها ولمن لستم له برازقين هو العيال والخدم والمماليك
والانعام والدواب ممن تظنون انكم رازقوهم ظنا كاذبا والله يرزقكم واياهم او على معايش
اي وجعلنا فيها من لستم له برازقين مما ذكر فان معايشكم وفذلكة الاية الاستدلال
بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معين مختلفة الاجزا في الوضع محدثة فيها انواع النبات
والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته تعالى وتناهي
حكمته والتفرد في الالوهية والامتنان على العباد بما انعم عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه
ثم بالغ في ذلك فقال وان من شيء الا عندنا خزاينه من شيء في محل الرفع مبتدا خبره
عندنا خزاينه ومن زايدة لتاكيد العموم الخزاين جمع الخزانة وهي اسم المكان الذي
يخزن اي يحفظ فيه نفايس الاموال شبه معلوماته الممكنة التي اذا تعلقت الارادة بها
وجدت بقدرته بالاشياء المخزونة في الخزاين فهي استعارة وقيل ضرب مثل لاقتداره على
كل مقدور وايجاده وتكوينه بحسب تلك الارادة اي ما من شيء من الاشياء الممكنة
الا ونحن قادرون على ايجاد اضعاف ما وجد منه وما ننزله اي نكونه ونوجده
في العالم السفلي الا بقدر معلوم اي بمقدار معين وحد عينه الحكمة واقتضته المشية
فان تخصيص كل منهما بصفة دون اخرى وشكل ومقدار ووقت معين دون ما يخالفها
لا بد له من مخصص حكيم وارسلنا الرياح فيه اشارة الى مقتضى طبع الريح الهبوب
وانما يركد بالقسر الالهي لما في هبوبه الزايد عن قدر الحاجة مفسدة عظيمة لواقح حوامل
او ملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوايح بمعنى المطاوح جمع مطيحة كقوله ومختبط
مما تطيح الطوايح الى المطيحات شبه الريح التي جاءت بخير كانشا سحاب ماطر وانبات عشب
وزرع بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم وقرئ وارسلنا الريح على تاويل الجنس
وانزلنا من السماء ماء قد مر تفصيله في سورة البقرة فاسقيناكموه فجعلناه لكم

سقيا وما انتم له بخازنين نفي لما اثبته لنفسه في قوله وان من شيء الا عندنا خزاينه عنهم
كانه قال نحن الخازنون للماء لا انتم اي نحن القادرون على خزنه في السحاب وانزاله وما انتم
عليه بقادرين دلالة باهرة على عظيم قدرته واظهارا لعجزهم وقيل معنى وما انتم له بخازنين
في الغدران والعيون والابار وانا لنحن نحيي ونميت تقديم الضمير للاختصار وتكرير
وتاكيد بان للحصر والتقوية اي لا قدرة على الاحيا والاماتة الا لنا ويجوز ان يراد بالحيوة
ما يعم الحيوان والنبات وبالموت ما يقابله ونحن الوارثون الباقون بعد فنا الخلق
كله استعير الوارث للباقي من وارث الميت كانه يبقى بعد فنايه ولقد علمنا المستقدمين
منكم ولقد علمنا المستاخرين من استقدم ولادة وموتا ومن تاخر من الاولين والاخرين
فيما او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق
وسبق الى الطاعة ومن تاخر لا يخفى علينا من احوالكم شيء فهو بيان لكمال علمه تعالى بعد
الاحتجاج على كمال قدرته وقيل رغب رسول الله عليه وسلم في الصف الاول في الصلوة فازدحموا
عليه فنزلت وروي ان امراة حسنا كانت في المصليات خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستقدم بعض القوم حتى لا يقع نظره عليها واستاخر بعضهم ليبصرها فنزلت وما
تقدم من الوجوه هو المطابق للسابق واللاحق وان ربك هو يحشرهم الحشر جمع
الحيوان من جهات شتى الى مكان اي هو وحده يقدر على حشرهم وحصرهم مع تباعد اطراف
عددهم وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه على ما سبق من الدليل على كمال قدرته
تعالى وعلمه يدل على صحة هذا الحكم كما صرح به في قوله انه حكيم اي باهر الحكمة
متقن في افعاله عليم اي واسع العلم يحيط بكل شيء علما ولقد خلقنا الانسان
من صلصال لما نبه تعالى على منتهى الخلق وهو الحشر يوم القيمة الى ما يستقرون
فيه نبههم على مبدا اصل ادم عليه السلام والصلصال الطين اليابس الذي يصلصل
لشدة يبسه وهو غير مطبوخ فاذا طبخ فهو فخار وقيل اذا سمع في صوته مد عند النقر
فهو صليل واذا سمع ترجيع فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن من حما
صفة صلصال اي كاين من حما ويجوز ان يكون بدلا من صلصال باعادة الجار
والحما طين تغير واسود من طول مجاورة الماء مسنون مصبوب مفرغ من سن الما
اذا صبه اي افرغ صورة انسان كما تفرغ الصور والتماثيل من الجواهر المذابة كانه افرغ
افرغ الحما فصور منه صورة انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره ذلك طورا بعد
طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه والجان ابو الجن كما ان ادم عليه السلام ابو
الانس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان فان تشعب الجنس لما كان من شخص
واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره خلقناه من قبل

من قبل خلق الانسان من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام وهذا باعتبار
الغالب كقوله خلقكم من تراب ولا يمتنع خلق الحيوة في الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في
الجواهر المجردة فضلا عن الاجسام المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري فانها اقبل لها من
الغالب فيها الجزء الارضي ومساق الاية كما هو الدلالة علي كمال قدرة الله تعالي وبيان بدء
خلق الثقلين فهو للتنبيه علي المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول
المواد للجمع والاحياء واذ قال ربك اذكر وقت قوله للملئكة اني خالق بشرا من
صلصال من حماء مسنون انما قال ههنا بشرا لان المراد الجسد الخالي عن الروح والمراد
فيما سبق جنس الانس ولم يقصد خلوه عن الروح فلذلك عبر عنه ثمة بالانسان فاذا سويته
عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحي اي احييته وهو تمثيل لتحصيل
ما يحيي به جثته فيه وما ثمة نفخ ولا منفوخ لكن لما كان ظهور الروح الانساني المخصوص بالله
تعالي فيه انما هو بفيضان القوة الحيوانية علي البخار اللطيف المتولد في القلب الساري منه في
الشرايين اي سائر اعضاء البدن عبر عن احيائه بنفخ الروح فان النفخ انما هو اجراء الريح في
تجويف جسم اخر واضافة الروح الي نفسه لانه صدر منه بلا واسطة فقعوا له فاسقطوا
له ساجدين امر من وقع يقع فسجد الملئكة كلهم تعلقه لامر منجز مذكور في مواضع
اخر وقد قررناه في تفسير سورة الاعراف الا ان ههنا مذكور فالفاء الفصيحة للعطف علي
محذوف تقديره ظاهر لمن وقف علي الامر التخييلي اجمعون اكد بتاكيدين للمبالغة
في التعميم ومنع التخصيص هذا علي قول سيبويه وعن المبرد اكد بالكل للاحاطة وباجمعين
للدلالة علي انهم سجدوا دفعة واحدة ورده الزجاج بان اجمعين معرفة فلا يكون حالا
الا ابليس استثناء متصل وقد سبق وجهه في سورة البقرة والاعراف ابى استئناف
كان سائلا قال هلا سجد فقيل ابي ان يكون مع الساجدين في عبارة مع اشارة الي
ان ابليس كان في حيز التابعين في امر السجود ومع ذلك استكبر ولا يخفي لطف موقع هذه
الاشارة حيث كان الكلام في تقبيح حاله قال يا ابليس ما لك ما لك الا تكون اي
غرضك في الا تكون مع الساجدين لادم قال لم اكن لاسجد اللام لتاكيد
النفي اي لا يصح مني وينا في حالي ان اسجد لبشر جثماني كثيف وانا روحاني لطيف
خلقته من صلصال من حماء مسنون اي خلقته من اخس الاجرام وانا مخلوق من
اشرفها استنقص ادم عليه السلام باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه قال
قال فاخرج منها من السماء او الجنة فانك رجيم مطرود من رحمة الله تعالي اي ملعون
من الرحمة وهو اللعن لان الطرد في الاصل الرجم هو الرجم بالحجارة وجعل الرجم طردا لان من
طرد يرجم بالحجارة وقيل من الشياطين المرجومين بالشهب وهذا ليس جوابا عن الشبهة

علي سبيل التصريح بل جواب علي سبيل التنبيه وذلك ان الذي قاله تعالي نص والذي قاله
ابليس قياس ومن عارض النص بالقياس كان رجيما ملعونا وان عليك اللعنة هذا
الابعاد والطرد الي يوم الدين جعله منتهي امد اللعن لا بمعني انه ينقطع عنده بل
بمعني ان الاغواء الموجب للعن علي لسان المكلفين ينقضي بانقضاء التكليف وقت الجزاء فينقطع
ذلك اللعن ثم يجازي بما ينسي معه اللعن ويستحقر من انواع العذاب والا فاللعن في القيمة
منصوص عليه في مواضع من كلام الله تعالي لقوله ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن
بعضكم بعضا كلما دخلت امة لعنت اختها فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله علي الظالمين وقيل
حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس في التابيد كقوله ما دامت السموات والارض
قال رب فانظرني فاخرني والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه سياق الكلام تقديره فاذا
جعلتني رجيما الي يوم القيمة فانظرني الي يوم يبعثون انما طلب الانظار طلبا للاونها
في العقوبة قيل اراد ان يجد فسحة في الاغواء ونجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجاب
الي الاول دون الثاني وما ذكرنا اهم مستلزم لما ذكر اولا واما ما ذكر ثانيا فمبناه ضعيف علي
ما سنقف عليه قال فانك من المنظرين الفاء للعطف علي محذوف تقديره لا جاجة الي
السؤال فانك من المنظرين الذين اقتضت حكمة التكليف انظارهم فكان فيها تنبيها علي انه لا
اجابة له ولا كرامة من جهة الاسعاف لبعض سؤله الي يوم الوقت المعلوم هذا ويوم الدين
ويبعثون واحد الا انه خولف بين العبارات قضاء لحق البلاغة في الكلام فعبر عنه اولا بيوم
الجزاء لما عرفت وثانيا بيوم البعث لانه المناسب لغرض اللعين وثالثا بيوم الوقت المعلوم
لوقوعه في الكلامين وزيادة الوقت للتنبيه علي ان التاخير الي ذلك اليوم لا يقتضي نجاته
عن الموت لانه زمان ممتد والبعث في بعض اوقاته فيجوز ان يموت في اوله ثم يبعث مع سائر
الخلائق في وقت البعث وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل علي كرامته عند الله تعالي
لانه علي سبيل الاهانة والاذلال قال رب بما اغويتني الباء للسبب وما مصدرية اي
بعد امهلتني لاجتهدن في اغوائهم باي طريق يمكنني بسبب اغوائك اياي بواسطتهم وقيل
الباء للقسم ويرده قوله تعالي في موضع اخر فبعزتك لاغوينهم اجمعين والقصة واحدة وهو
صريح في ان القسم بصفة الذات فمن قال والمعني اقسم بحق اغوائك اياي ثم قال وفي انعقاد
القسم بافعال الله تعالي خلاف فقد اخطا في الاول ولم يصب في الثاني لان الخلاف للفقهاء
ونزاعهم في انه يمين يترتب عليها احكامها من الكفارة وغير ذلك لا في اليمين المتعارف فانه لا
خلاف في ان اسم الحلف في عرف العرب يقع عليه وهو متعارف عندهم ولهذا ورد النهي عن الحلف
بالاباء وعده الاصحاب مكروها فالكلام المذكور لا مساس له لهذا المقام لازينن لهم في الارض
لازينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله اخلد الي الارض وقيل معني تقييد التزيين

بقوله في الارض اني قدرت على تزيين الاكل من الشجرة لادم في السما فلان اقدر على تزيين
المعاصي لذريته في الارض اولى ولاغوينهم ولاحملنهم اجمعين على الغواية
الا عبادك منهم المخلصين اي الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته وطهرهم عن الشوا
وقرئ بكسر اللام اي الذين اخلصوا نفوسهم ودينهم لله تعالى وكان يكفيه ان يقول الا
المخلصين منهم فزاد قوله عبادك اشارة الى وجه خلاصهم عن غوايته وهو اختصاصهم بالله
تعالى من جهة العبودية وتوطية لتوصيفهم بالوصف المذكور قال هذا اشارة الى
ما تضمنه الاستثنا وهو تخلص المخلصين من اغوايه او الاخلاص صراط علي اي تخلصهم
من غوايتك وانتفا سلطانك عليه حق علي ان اراعيه او الاخلاص طريق علي بمعنى يودي
الى الوصول الي والدخول علي مستقيم من غير اعوجاج او هذا الصراط حق علي ان ارا
وهو ان لا يكون لك سلطان على عبادي قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
تفسير للصراط المشار اليه بهذا على طريق الاستيناف وقرئ علي من علو الشرف والمكانة وفي
القول المذكور رد لما اوهم اللعين من انه انما استثنى المخلصين رعاية لشرف تقربهم من الله تعالى
والاضافة عبادي للتشريف يعني ان المخلصين بعبادي المشرفين بالانتساب الي لا قدرة لك
على اغوايهم والاستثنا في قوله الا من اتبعك من الغاوين منقطع اي لكن من اتبعك من
الغاوين فلك عليهم سلطان والواو في قوله وان جهنم لموعدهم اي لموعد المتبعين
للعطف على المحذوف المذكور واما ما قيل انه تكذيب لهم فيما اوهم ان له سلطانا عليهم على من
ليس بمخلص من عباده فان منتهى امره التحريض والتدليس كما قال وما كان لي عليكم من
سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا يخفى بعده لانه ان اريد بالسلطان القدرة على الاغوا
والاضلال فلا وجه للتكذيب له وان اريد به ما اراده في القول المنقول عنه من القدرة القاهرة
فكلامه خلو عن ايهامه ثم ان مبناه على انقطاع الاستثنا مع صحة التناول في المستثنى منه للمستثنى
ولا يخفى ما فيه فان حق الاستثنا على تقدير العموم في المستثنى الاتصال كما ذهب اليه من قال
انه تصديق لابليس فيما استثناه ولا يذهب عليك ان خطابه بالتصديق فيما قاله لا يخلو عن
نوع اجلال له فلا يناسب مقام الاهانة والاذلال اجمعين تاكيد للضمير او حال و
والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة وان جعلته اسم
مكان فانه لا يعمل لها سبعة ابواب بحسب طبقاتها استينافا وخبر ثان ومن قال
يدخلون فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم لم يصب في واحد منهما اما في الثاني
فظاهر لان الابواب مداخل تلك الطبقات لا نفسها واما في الاول فلان مبناه على ان يكون
التعدد في المداخل فقط وليس كذلك قال علي رضي الله تعالى عنه ان الله تعالى وضع الجنان
في الارض ووضع دركات النيران بعضها فوق بعض واسفلها جهنم وفوقها اللظى وفوقها

الحطمة وفوقها سقر وفوقها الجحيم وفوقها السعير وفوقها هاوية ومن وهم عكس الترتيب
فقد وهم لكل باب منهم من الاتباع جزء مقسوم افرز له فاعلاها للموحدين
والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة
للمشركين والسابعة للمنافقين قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهذا صريح
في انها دركات بعضها فوق بعض وبما قررناه ظهر ان تخصيص العدد لان اهلها سبع فرق
لا لانحصار مجامع المهلكات في الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوانية والغضبية
وقرئ جزء بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة وابقاء حركتها على الزاي ثم الوقف عليه بالتشديد
ثم اجرا الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه او المستكن في الظرف لا في مقسوم لان الصفة
لا تعمل فيما تقدم على موصوفها ان المتقين من اتباعه من قال في الكفر والفواحش
فانها غير مكفرة فكانه غفل عن اشتراط كفارة الصغاير بالاجتناب عن الكباير في جنات
قد سبق تفسيره في سورة البقرة ان الجنان سبع وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفا
على حسب تفاوت الاعمال والعمال وعيون يحتمل ان يكون المراد بها الانهار المذكورة
في قوله تعالى فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة
للشاربين وانهار من عسل مصفى وان يكون منابع مغايرة لتلك الانهار ادخلوها
على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخا على انه ماض الادخال بسلام سالمين
او مسلم عليكم اي تسلم عليكم الملايكة امنين من الافات والعاهات والزوال فالامن
عنه انما يعلم من قوله وما هم منها بمخرجين فلا وجه لدرجه درجة في الامن المراد ههنا
ونزعنا ما في صدورهم من غل كان لبعضهم في الدنيا على اخر نزع الله تعالى ذلك من
قلوبهم بعد دخولهم الجنة وطيب نفوسهم روى ابو امامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال ان اهل الجنة يدخلون الجنة بما في صدورهم من الشحنا والغل فاذا تقابلوا
وتوافقوا نزع الله تعالى ذلك عن صدورهم فذلك قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل
فمن وهم ان ذلك النزع في الدنيا فقد وهم وقال علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا
وعثمان وطلحة والزبير منهم والغل الحقد الكامن في القلب من انغل في جوفه وتغلغل فلا
وجه لما قيل من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب اخوانا حال من الضمير المجرور
في صدورهم وجاز ذلك لان المضاف جز المضاف اليه او من فاعل ادخلوها او من الضمير
في امنين او من الضمير في جنات وكذا قوله على سرر متقابلين ويجوز ان يكونا صفتين
لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين ويكون متقابلين حالا من المستتر في على
سرر لا يمسهم فيها نصب استينافا وحال بعد حال من الضمير في متقابلين والنصب
الوهن الذي يلحق من التعب في العمل وما هم منها بمخرجين نص في الخلود وبه تتم النعمة

ولما تم ذكر الموعد والوعيد ذنبه بقوله نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو
العذاب الاليم تقريرا لما ذكر وتمكينا له في النفوس وهو فذلكة لذلك وفي ذكر المغفرة
ايما الي انه لم يرد بالمتقين الذين اجتنبوا الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها وعن ابن عباس
رضي الله تعالي عنه غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة
دون التعذيب والتاكيد بالضمير وتعريف الاسمين ترجيح لجانب الوعد وفي عطف
ونبئهم عن ضيف ابراهيم تحقيق لهما بما يعتبرون به مما نزل بقوم لوط عليه السلام
من العذاب وانجا لوط واهله اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اي نسلم عليك وسلمنا
سلاما او سلمت سلاما قال انا منكم وجلون الوجل اضطراب النفس لتوقع مكروه
وكان ذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت وقيل لامتناعهم من الاكل قالوا لا توجل
وقرئ لا توجل بضم التاء من اوجله اذا اخافه وقرئ لا تاجل ولا تواجل من واجله بمعني وجله
انا نبشرك استيناف في معني التعليل للنهي عن الوجل اي انك في محل الامن والبشارة
فان المبشر لا يخاف منه وقرئ نبشرك بفتح النون والتخفيف من البشر بغلام هو اسحق
عليه السلام لقوله فبشرناه باسحق عليم فادمج فيه الاشارة الي نبوته كما ضمن قوله
بغلام البشارة بكون الولد ذكرا قال ابشرتموني علي ان مسني الكبر مس الكبر كناية
عن تغييره اياه عن الحال التي تطمع في الولد الي حال الياس عنه ومعني الهمزة التعجب والا [نكار]
اي البشارة بالولد مع سن الكبر امر عجيب مستنكر في العادة ولذلك اكده بقوله فبم تبشرون
اي فباي اعجوبة تبشرون فان البشارة بما لا يتصور وقوعه في العادة كلا بشارة او بشارة
بغير شيء وقرئ تبشرون بكسر النون والتشديد علي ادغام نون الجمع والاصل تبشرونني
قالوا بشرناك بالحق اي بما هو محقق الوقوع او باليقين الذي لا لبس فيه ويجوز ان يكون
فبم تبشرون سؤالا عن وجه البشارة وطريقه اي باي طريقة تبشرونني بالولد ولا طريق
الي هذه البشارة في العادة وعلي هذا يكون معني قوله بالحق بطريق هي حق وهو قول الله ووعده
فلا تكن من القانطين من الايسين من ذلك فانه القادر علي ايجاد بشر من غير ابوين فكيف
من شيخ هرم وعجوز عاقر وكان استعجاب ابراهيم عليه السلام باعتبار العادة دون القدرة
ولذلك قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون اي المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون
كمال قدرته وسعة رحمته كقوله تعالي انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون اي لم استبعد
ذلك قنوطا من رحمة الله تعالي واستبعادا من قدرته بل استبعدته استعجابا باعتبار العادة
قرئ يقنط بالحركات الثلاث وقرئ من القنطين من قنط يقنط قال فما خطبكم ايها المرسلون
اي فما الامر الجليل الذي بعثتم له تفريع علي ما علم مما تقدم من ان كل القصد من ارسالهم ليس البشا [رة]
لانهم كانوا ذوي عدد ولو لم يكن المقصود الا البشارة لاكتفي بالواحد كما اكتفي به في بشارة زكريا

ومريم ولانهم بشروه في اثنا ازالة الوجل ولو كان المقصود هي وحدها لابتدوا بها ولان
نزول الملئكة يكون غالبا للعذاب قالوا انا ارسلنا الي قوم مجرمين اريد بهم معينون
يدل عليه قولهم في سورة هود عليه السلام انا ارسلنا الي قوم لوط وانما نكرهها هنا علي
سبيل الاستهانة بهم لانهم ابهموا ولا بينوا فنقل كل منهما في موضع اكتفا بقدر الحاجة
في الاشارة وفي الاشارة في توصيفهم بالمجرمين الي ان ارسالهم بالعذاب غني عن العبارة عنه
بقوله لنرسل عليهم حجارة من طين الواقع في موضع اخر فكانهم قالوا انا ارسلنا بالعذاب
الي قوم مجرمين والمجرم المنقطع عن الحق الي الباطل الا ال لوط استثنا متصل بالضمير
في مجرمين اي قوم اجرموا كلهم الا ال لوط او من قوم علي ان توصيفهم بالاجرام باعتبار الغا [لب]
وعلي كلا التقديرين القوم والارسال شاملان للمجرمين وال لوط المؤمنين به عليه السلام
والمعني انا ارسلنا الي قوم لوط واله ليهلكوا قومه وينجوا اهله الا امراته انا لمنجوهم
اي مما يعذب به القوم اجمعين استيناف للجواب عن سؤال ابراهيم عليه السلا [م]
وهو مذكور في موضع اخر بقوله قالوا ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه
واهله الا امراته وهذا القدر من الاختلاف في اسلوب الكلام لا يضر اذا كان المراد نقل
خلاصة المعني وحاصل المرام الا امراته استثنا من الضمير المجرور في منجوهم او من ال
لوط علي ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا الا امراته قدرنا انها لمن الغابرين انها كسرت
من اجل اللام في خبرها ولولاها لفتحت وهي متعلقة لما قبلها لان فعل التقدير يعلق
اجراء له مجري القول لان التقدير بمعني القضا قول ومجري العلم اما لكونه بمعناه او ما كونه
مرتبا عليه واما لتضمينه معني العلم فلا يجدي نفعا البقا معني الفعلين واصل التقدير
جعل الشيء علي مقدار غيره والغابر الباقي والمراد البقا في العقوبة وهذه الجملة ذكرت
من كلام الله تعالي ذكرت تقديرا للاستثنا الواقع في كلام الملئكة لان قوله تعالي
فانجيناه واهله الا امراته قدرناها من الغابرين صريح فيه والقصة واحدة فلا مساغ لان
يكون من كلام الملئكة لان قوله تعالي فانجيناه واهله الا امراته فالذين سعوا في توجيه
اسنادهم الي انفسهم بما لا يخلو عن نوع تعسف لم يكن سعيهم مشكورا فلما جا ال لوط المرسلون
الفا فصيحة للعطف علي محذوف تقديره ظاهر لقرينة المقام قال انكم قوم منكرون
تنكركم نفسي واخاف ان تطرقوني بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما
جئناك بما تنكرنا لاجله وتخلفه بل جئناك بما يسرك ويشفيك من اعدائك وهو العذاب الذي
توعدهم بنزوله فيجادلونك فيه تكذيبا لك وهو قوله في سورة هود عليه السلام قال
لو ان لي بكم قوة او اوي الي ركن شديد قالوا يا لوط انا رسل ربك لا يمكن توفيقه لهذا
المقام له الا بقوله عليه السلام ههنا علي تصوير الحال والتعبير عنها وحمل ما نقل عنهم

علي ما نقل مآل المعني وحاصل الكلام وآتيناك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون
فيما اخبرناك به فاسر باهلك فاذهب بهم في الليل قري فاسر بقطع الهمزة ووصلها
من سري واسري وقرئ فسر باهلك من السير بقطع من الليل بطايفة من الليل وقيل
من اخره قال افتحي وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم واتبع ادبارهم وكن
علي اثرهم تذودهم لئلا يتخلف منهم احد فيصيبه العذاب ولتكون مطلعا عليهم وعلي
احوالهم فلا يشتغل قلبك بمن خلفك ولا يصدر من احدهم هفوة في تلك الحالة الهولة
احتشاما منك ولا يلتفت منكم احد فيري ما بهم من العذاب ويرق لهم او يري
ما لا يطيقه من الهول فيبقي علي ما كان دهشا فيهلك او ينصرف فيصيبه العذاب
وقيل نهوا عن الالتفات الي الاوطان والالتفات تحسرا عليها ليوطنوا نفوسهم علي
المهاجرة ويجوز ان يكون النهي عن الكناية الالتفات كناية عن الامر بتوا السير واتصاله
وترك التواني والتوقف فان الملتفت لابد له من ذني وقفة وتوان وامضوا حيث تؤمرون
الي حيث امركم الله تعالي بالمضي وهو الشام او مصر عدي امضوا الي حيث بنفسه لانه ظرف
مبهم في الامكنة وكذا تؤمرون الي ضميره المحذوف علي الاتساع وقضينا اليه ضمن قضينا
معني اوحينا فعدي بالي كانه قيل واوحينا اليه مقضيا مبتوتا ذلك الامر مبهم
ان دابر هؤلاء مقطوع ومحله النصب علي البدل منه اي يستاصلون عن اخرهم حتي لا يبقي
منهم احد وفي ابهامه والاشارة اليه بذلك ثم تفخيم للامر وتعظيم له وقرئ ان بالكسر علي
الاستيناف كان قايلا قال ما ذلك الامر فقال ان دابر مصبحين داخلين في الصبح
حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع وانما جمع حملا علي المعني فان دابر هؤلاء في معني
مدبري هؤلاء وجاء اهل المدينة سدوم يستبشرون باضياف لوط عليه السلام
طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفي الضيف في الاصل مصدر اضاف يضيف اذا اتي انسانا
لطلب القري وهو اسم يقع علي الواحد والجمع والمذكر والمونث واطلاق الضيف علي الملائكة
لكونهم في صورته فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسي الي ضيفه فقد اسي اليه
يقال فضحه يفضحه فضحا وفضيحة اذا اظهر من امره ما يلزمه العار واتقوا الله في ركوب
الفاحشة ولا تخزون ولا تذلوني بسببهم من الخزي وهو الهوان ولا تخجلوني فيهم من الخزاية
وهي الخجالة وهذا القول منه عليه السلام صريح في ان اهل المدينة والمقاولة معهم في شان
الاضياف قبل العلم بانهم ملايكة ارسلوا للنصر فما في قوله وجا اهل المدينة يستبشرون
اخبار عن مجيئهم عقيب نزول الملايكة في بيت لوط قبل محاورته معهم وعلمه بانهم الملايكة وما في
قوله فلما جا ال لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون اخبار عن محاورته عليه السلام مع الملايكة
بعد تمام مقاولته مع اهل المدينة ولا دلالة في الواو علي الترتيب قالوا اولم ننهك

الهمزة للاستفهام الانكاري والواو للعطف علي محذوف تقديره المنقل لك لا تجر احدا
بالانزال في بيتك ولم ننهك عن العالمين اي عن المنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون
لكل واحد وكان لوط عليه السلام يمنعهم عنه بقدر وسعه قال هؤلاء بناتي فيه وجوه
قد مر بيانها في تفسير سورة هود عليه السلام ان كنتم فاعلين شك في قبولهم
لقوله كانه قال ان فعلتم ما اقول لكم وما اظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء
الشهوة ففيما احل الله تعالي دون ما حرم لعمرك قسم بحياة المخاطب وهو نبينا
صلي الله عليه وسلم وقيل لوط عليه السلام قالت الملائكة له ذلك واللام لام الابتداء وعمرك
مبتدا خبره محذوف تقديره لعمرك قسمي والعمر بالفتح لغة في العمر يختص به القسم ايثارا
للاخف فيه لانه كثير الدور علي السنتهم وهو متي اقترن بلام الابتداء يلزمه حذف الخبر لسد
جواب القسم مسده انهم لفي سكرتهم اي غوايتهم او شدة غلمتهم التي اذهبت تمييزهم
بين الخطا الذي هم عليه وبين الصواب الذي يشار به اليهم يعمهون يتحيرون
فكيف يقبلون النصح فاخذتهم الصيحة اللام للجنس والمراد به الفرد الكامن في معناه
وهو صيحة جبرئيل عليه السلام فان اسم الجنس لا يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع
المعاني المقصودة منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان والصيحة صوت
يخرج من الفم بشدة واخذتهم الصيحة قهرها اياهم وتمكنها منهم ومنه الاخيذ بمعني الاسير
مشرقين داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس يقال شرقت الشمس شروقا اذا طلعت
واشرق الرجل اذا دخل في شروق الشمس كان ابتدا العذاب حين اصبحوا وتمامه حين اشرقوا
فلا منافاة بينه وبين قوله ان موعدهم الصبح فجعلنا عاليها عالي المدينة او عالي قراهم
سافلها منقلبة عليهم وامطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر عليه كتاب
من السجل لقوله حجارة من طين مسومة اي معلمة بكتاب قيل قذفوا بالحجارة اولا ثم قلبوا وقيل
التقليب كان للحاضرين والامطار لمن شذ منهم ان في ذلك لآيات للمتوسمين للمتفرسين
اي للناظرين المتثبتين في نظرهم حتي يعرفوا حقيقة الشي بسمته يقال توسمت في فلان كذا اذا عرفت
وسمه فيه وانها وان المدينة او القري لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون
اثارها لم تندرس بعد وهو تنبيه لقريش المارين به وتهديد لهم كقوله وانكم لتمرون عليهم
مصبحين ان في ذلك لاية للمومنين بالله ورسوله ولام الاختصاص لان الانتفاع بها
مخصوص بهم وان كان ان هي المخففة واللام فارقة اصحاب الايكة قوم ممن بعث اليه
شعيب عليه السلام كانوا يسكنون الغيضة والايكة الشجرة الملتفة واحدة الايك لظالمين
لانهم كذبوا شعيب عليه السلام فاهلكوا بالظلة فانتقمنا منهم في عبارة الانتقام دلالة علي
علي انهم اهلكوا بعذاب شديد وانهما يعني مدينة لوط عليه السلام او قراها والايكة

تفسيره

الهمزة

وقيل ومدين فانه عليه السلام كان مبعوثا اليهما فدل ذكر الاية على مدين فاتى بضميرها
لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم لما يوتم به فسمي به الطريق واللوح ومطمر
البنا لانها مما يوتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود كذبوا صالحا عليه
السلام ومن كذب واحدا من الرسل فقد كذب الجميع لان سايرهم يصدقونه فلا حاجة
الي التاويل بحمل المرسلين على صالح عليه السلام ومن معه من المومنين والحجر واد بين مدين
والشام كانوا يسكنونها واتيناهم اياتنا فكانوا عنها معرضين يعني ايات الكتاب
المنزل علي نبيهم او معجزاته وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا امنين من الانهدام ونقب
اللصوص وتخريب الاعدا لوثاقتها او من عذاب الله تعالى لفرط غفلتهم وحسبانهم ان الجبال
تحميهم منه فاخذتهم الصيحة مصبحين اتاهم صيحة من السماء فاخذتهم زلزلتها
وهو المذكور في سورة الاعراف فما اغني عنهم ما كانوا يكسبون من بنا البيوت المحكمة
والاموال والعدد وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا
ملتبسا بالحق بالعدل والحكمة لا ملتبسا بالباطل والعبث فيهملون على فسادهم وظلمهم
ولا يواخذون بالعذاب فانه ينافي الحكمة والعدل وان الساعة لاتية فينتقم الله لك
فيها ممن كذبك فاصفح الصفح الجميل اي فاصفح عنهم ولا تعجل بالانتقام منهم
وعاملهم بالخلق الجميل معاملة الصفوح الحليم وقيل هي منسوخة باية السيف ان
ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم العليم بحالك
وحالهم فلا يخفي عليه ما بينك وبينهم فهو يحكم بينكم ويجازيكم على اعمالكم او علي اعمالكم
او هو الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم فامر اليوم بالصفح لعلمه بانه اصلح الي ان يكون
السيف اصلح ولقد اتيناك سبعا سبع ايات وهي الفاتحة على ما نص عليه النبي
صلي الله عليه وسلم وقد بيناه في تفسيرها وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعها الانفال
والتوبة فانهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية ورد بان هذه السورة
قد نزلت وما نزل من السبع الطوال شي والصرف عن الظاهر يا باه مقام الامتنان
من المثاني بيان للسبع من التثنية وهو التكرير او من الثنا لاشتمالها على ما هو ثنا على
الله تعالى الواحدة مثناة اي موضع التثنية او الثنا تنكير سبعا للتعظيم والابهام الذي
فيه والتوضيح بقوله من المثاني التمكين في نفوس السامعين وقوله والقران العظيم
من باب عطف الكل على البعض المعطوف عليه كانه المقصود بالذكر والاصل لساير الابعاض ص
والمراد من الكل مجموع ما نزل وقت نزول هذه الاية لا القران حتي يلزم المحذور المذكور
انفا لا تمدن عينيك لا تطمحن ببصرك طموح راغب الناظر انما يكون مادا عينيه
الي الشي اذا ادام اليه وادامة النظر الي الشي يدل على استحسانه والرغبة فيه ٧

الىما

الي ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار فان ما اوتيته من القران العظيم اعظم
منها لانه كمال المطلوب بالذات موصل الي دوام جوامع اللذات وما اوتوا فهو مستحقر
بالنسبة اليه اقل من لا شي فلا تحزن عليهم انهم لن يومنوا فيتقوي بهم الاسلام
او انهم متمتعون به دون المومنين واخفض جناحك للمومنين لمن معك من فقراء
المومنين وضعفايهم خفض الجناح مجاز مرسل عن التلطف والرفق مرتب على الكناية واصله
ان الطاير اذا ضم الفرخ اليه بسط جناحه ثم قبضه على فرخه وقل اني انا النذير المبين
انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تومنوا وانما وصفه بالمبين لان انذاره
عليه السلام ابين من انذار ساير الانبيا عليهم السلام لانه عليه السلام من امارات الساعة
فهو منذر بلسان الحال كما انه منذر بلسان المقال وقد نبه عليه السلام علي هذا المعني حيث
قال انا النذير العريان كما انزلنا على المقتسمين في محل النصب صفة مصدر لاتيناك
لانه في معني انزلنا عليك كانه قال ولقد انزلنا عليك سبعا من المثاني والقران العظيم
كما انزلنا علي اهل الكتاب المقتسمين الذى اقتسموا القران الي حق وباطل حيث قالوا
عنادا بعضه حق موافق للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او اقتسموه الي شعر وسحر
وكهانة واساطير الاولين فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلي الله عليه وسلم وقوله ولا تمدن
الي اخره اعتراضا ممدا لها او صفة مفعول للنذير اقيم مقامه اي انذر قريشا عذابا مثل ما
انزلنا من العذاب علي المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة للتنفير عن الرسول والصد
عن الدين الذين جعلوا القران عضين اجزا جمع عضة بمعني جزو واصلها عضوة
فعلة من عضي الشاة اذا جعلها اعضا وقيل هي فعلة من عضهه اذا بهته وعن عكرمة
العضهة بلسان قريش السحر ويقولون للساحرة العاضهة ولعن رسول الله صلي الله عليه وسلم
العاضهة والمستعضهة ونقصانها على الاول واو وعلي الثاني هاء وانما جمع جمع السلامة
جبرا لما حذف منه كقولهم قلون وثبون والموصول بصلته صفة للمقتسمين او مبتدا خبره
فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون من التقسيم او النسبة الي السحر فيجازيهم
عليه وقيل عام اي عن كل ما عملوا من المعاصي فيتنا ولها وهو وعيد لهم وقيل يسالهم سوال
تقريع فاصدع بما تومر فاجهر به واظهره وقيل فرق بين الحق والباطل به والصدع
في الاصل شق في الاجسام الصلبة كالزجاج والحديد ويلزمه الابانة والتمييز وما موصولة اي
بالذي تومر به فحذف الجار كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به او مصدرية كقول ابي طالب
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة وهو مصدر من الفعل المبني للمفعول فيه خلاف والصحيح
انه لا يجوز ورد بان الخلاف انما هو في المصدر المصرح به واما الحرف المصدري فليس محل
النزاع واعرض عن المشركين اي لا تلتفت الي ما يقولون فالاعراض كناية عن عدم الالتفات

انا كفيناك اى نكفيك وذكره على صيغة الماضي للدلالة على قربه المستهزئين باهلا
وتدميرهم وهم كانوا خمسة نفر من اشراف قريش وقصتهم مذكورة في كتب التفاسير والسير
الذين يجعلون مع الله الها اخر صفة المستهزئين فسوف يعلمون ما ينزل بهم عاجلا
واجلا ولقد نعلم انك يضيق صدرك ضيق الصدر كناية عن انقباض النفس كما ان انبساطه
انشراحه كناية عن انبساطه بما يقولون من اقاويل الطاغين فيك وفيما انزل عليك في
المستهزئين فيك فسبح بحمد ربك فنزه ربك عن العجز عن الانتقام منهم وقمعهم وتفر
على ما تقدم باعتبار انه كناية عن الوعد بازالة ما هو السبب لضيق الصدر عليه السلام
ومن لم يقف على هذا فسره بقوله فنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق واما ما قيل
فافزع الى الله والفزع الى الله فيما نابك هو الذكر الدايم وكثرة السجود يكفيك ويكشف الغم
عنك فلم يصب محزه لان التوسل بما ذكر انما هو معنى قوله وكن من الساجدين اي من
المصلين وعنه عليه السلام انه كان اذا احزنه امر فزع الى الصلوة واعبد ربك ودم على
عبادة من خلقك ورباك حتى ياتيك اليقين اي الموت فانه متيقن اللحوق لكل جسم ذي
حياة ولا تخل بالعبادة ما دمت حيا وفيه اشارة وبشارة اما الاشارة فالى انه عليه السلام
يموت كما مات ساير الانبيا والمرسلين كما في قوله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله
الرسل واما البشارة فبامنه عليه السلام عن العاهات المانعة للتكليف بالعبادة الى ان
قضى نحبه تم الكلام والحمد لله على التمام

سورة النحل مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

اتى امر الله اي دنى وقرب يقال لمن طلب الاغاثة وقرب حصولها جاءك الغوث والمراد من
امر الله ما اوعدهم من قيام الساعة واهلاك الله تعالى اياهم وعلى هذا وجه اصابة الفاء
في قوله فلا تستعجلوه محزها ظاهر بخلاف ما اذا كان المعنى ان الامر الموعود بمنزلة الاتي
المحقق من حيث انه واجب الوقوع والاستعجال طلب الشي قبل حينه كانوا يستعجلون ما اوعدهم
الله تعالى استهزاء وتكذيبا فنزلت ولما كان المستعجل المستهزي معجزا له تعالى عن القدرة ما
اوعد وفيه تشبيه بالمخلوق قال سبحانه وتعالى عما يشركون اي تنزه ان يحوم العجز
حول سرادق كبريائه وجل عن ان يكون له شريك في المعبودية فيدفع ما اراده بهم كانوا يقولون ان
صح ما قلت يا محمد فالاصنام تخلصنا منه فنزلت وقرى تشركون بالتاء على وفق فلا تستعجلوه وبالياء
على تلوين الخطاب واما ما قيل الخطاب للمومنين او لهم ولغيرهم لما روي انه نزلت اتى امر الله فوثب
النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه فياباه التصدير بالفا
ينزل الملئكة بالروح استعار الروح للوحي او للقران لانه يحيي القلوب الميتة بالجهل حياة
الجسد بالروح وذكره عقيب ما وعد به اشارة الى طريق العلم به وازاحة لاستبعادهم اختصاصه
عليه السلام بالعلم به وقرى ينزل من انزل وتنزل بمعنى تتنزل وينزل بالمضارع المبني للمفعول من

التنزيل من امره بامره او من اجل امره على من يشاء من عباده ان ينحل رسولا ان انذروا
بان انذروا والانذار الاعلام ويختص بما فيه تخويف ولتلك الخصوصية مناسبة للمقام
من حيث ان الشرك ذا يرامرهم بين الاسلام والسيف فابلاغ امر التوحيد اعلام يتضمن التخويف
بالقتل ويجوز ان يكون ان مفسرة لان الوحي بمعنى القول او مصدرية في موضع الجر بدلا من
الروح او مخففة من الثقيلة انه لا اله الا انا ان الشان لا اله الا انا وخوفوا اهل
الشرك بانه لا اله الا انا فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود والاية تدل على ان
نزول الوحي بواسطة الملك وان حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو اقصى كمالات القوة
العلمية وان النبوة عطائية والتي بعدها دليل وحدانيته تعالى من حيث تدل على انه تعالى هو
الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم
التمانع خلق السموات والارض بالحق اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة
قدرها وخصصها بحكمته تعالى عما يشركون موجد للعالم كله وكل ما سواه مفتقر اليه
فهو المتعالي عن رتبة الكل والتحقيق ان قوله تعالى اتى امر الله تنبيه وايقاظ ليكون ما يرد
بعده ممكنا في نفس حاضرة ملقية اليه وهو تمهيد لما يرد من دلايل التوحيد وقوله ينزل الملائكة
بالروح تفصيل لما اجمله في قوله سبحانه وتعالى ايقاظا ولانه بني عليهم ما هم فيه من الشرك
ثم اردفه بدلايل السمع والعقل وقدم السمع لان صاحبه هو القايم بتحرير العقلي وتهذيبه
ايضا فليس النظر الى دليل السمع بل الى من قام به من الملئكة والرسل عليهم السلام خلق الانسان
من نطفة جماد لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الشكل والوضع فاذا هو عطفه على
ما تقدم باعتبار ان المراد من خلق الانسان ايجاده وتربيته الى ان يبلغ حد النطق والادراك
فاذا اتى التعقيب والمفاجاة اصابتا المحز خصيم منطيق مجادل عن نفسه في الخصام مبين
للحجة على خصمه مميز للحق عن الباطل فهو صفة مدح اي نقله من تلك الحالة الخسيسة الى تلك الحالة
الشريفة وهي حالة النطق والابانة وتوسيم التعقيب بذكر ما امتن عليه به في قوام معيشته وقيل
معناه مكافح لخالقه قايل من يحيي العظام وهي رميم فهو صفة ذم ويا باه التوصيف بالابانة ولا
يساعده سباق الكلام ولحاقه ومساقه فانه للدلالة على محال والانعام ذكرا ولا ما هو اكثر
منفعة والزم لمن انزل القران بلغتهم وقد تقدم شرح الانعام في تفسير سورة الانعام وانتصابها
بمضمر يفسره قوله خلقها ولكم في قوله لكم فيها دفء خبر مقدم لدفء وفيها حال منه والجملة
بيان لما خلق له او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق لاجله ودفء مبتدا خبره فيها
والجملة مع ما بعدها تفصيل لما خلق له والدفء ما يدفا به اي يسخن فيقي البرد ومنافع نسلها
ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول غرضها ومنها تاكلون اي تاكلون ما يوكل منها
من اللحوم والشحوم والالبان وتقدم الظرف للاختصاص اشارة الى ان الاصل المعتد به في اكل اللحم

انما هو منها واما الاكل من غيرها فكغير المعتد به وكالجاري مجرى التفكه فجعله لمجرد محافظة
الفاصلة تنزيل المنزل عن منزلته الفاصلة ولكم فيها جمال زينة حين تريحون
تردونها من مراعيها الى مراوحها بالعشي وحين تسرحون تخرجونها بالغداة الى
المرعى فان الافنية تتزين بها وتجاوب لرغا والثغا فيانس اهلها ويفرح اربابها ويجليهم في اعين
الناظرين اليها وتكسبهم الجاه والحرمة وتقديم الاراحة على السرح لان الجمال فيها اظهر اذا اقبلت
ملاى البطون حافلة الضروع اذا اوت الى الحظاير حاضرة الى اهلها يانسون بها مبتهجين وقرى
حينا على ان تريحون وتسرحون كلاهما وصف لحين اي تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم
احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه اي ليس من شانكم بلوغه بانفسكم على اقدامكم
الا بشق الانفس لا بجهد ولا مشقة لو لم يكن للابل فضلا ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم فكيف
اذا فضلت اثقالكم من ان تحملوها او لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس وقرى بشق الانفس بكسر
الشين وفتحها وهما لغتان في المعنى المذكور وقيل بينهما فرق وهو ان المفتوح مصدر شق
الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع واما الشق بالكسر فهو النصب كانه
يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد ان ربكم لرؤف رحيم يرؤف بكم بتيسير مصالحكم
ومعايشكم ويرحمكم بخلق هذه المنافع والحوامل والخيل والبغال والحمير عطف على
الانعام وواحد الخيل خايل كضاين وواحد ضان وقيل لا واحد له لتركبوها ذكر منفعة
الركوب عبارة واحال بيان منفعة الحمل على الدلالة وعكس فيما تقدم اعتبارا في كل منهما
بالاصالة. وزينة انتصب بالعطف على محل لتركبوها على انها مفعول له وخولف بينهما
لان الركوب فعل المخاطبين ففقد شرط نصبه واما الزينة ففعل الخالق ولانه لا يابى عن
نظم الثاني في سلك الاول بل لان الاول مقصود بالذات والثاني بالعرض وقرى زينة بغير
واو فجاز ان يكون حالا عن احد الضميرين فيها وان يكون علة لتركبوها واستدل به حرمة
لحومهن ان المقام مقام امتنان بعد المنافع والكلام مشتمل لنوعي المقصود استيفالها فلو
كان اكلها حلالا لكان احق بالتعرض من الزينة واما اكل لحم الحمار وان كان حلالا او قيد الا
انه في معرض الامتنان به لا يليق بالتحريم ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات المحتاج
اليها احتياجا ضروريا او غير ضروري اجمل غيرها مما لا يعلم كنهه وتفاصيله اي فيكم ولكم
على سبيل الامتنان او ما لم تحصوه وما لم يكن لكم به علم لكثرته دلالة على مزيد قدرته وحكمته
ويدخل فيه ما خلق في الجنة والنار مما لا يبلغه وهم احد ولا خطر على قلبه وغير النظم الى المضارع
استحضارا لا يجاد ما لم يخطر به علما من الاشيا النافعة له والدلالة على قدرته تذكير النعمة
وتعجيبا وتقريرا الدلايل القدرة وتعجيزا لما يشركون به من الالهة وعلى الله قصد السبيل
اي عليه تعالى رحمة وفضلا هداية الطريق المستقيم الموصل الى الحق وعليه الطريق المستقيم

اي اليه من يسلكه لا محالة كما تقول هذا الطريق على موضع كذا اذا انجرت اليه والقصد مصدر
بمعنى اسم الفاعل يقال سبيل قصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك والمراد
بالسبيل الجنس لاضافة القصد اليها ولقوله ومنها جاير لا يوصل الى الحق لسوء استعداد
صاحبه وقرى ومنكم جاير اي عن القصد وتغيير الاسلوب للدلالة على انه ليس على الله تعالى
الهداية الى الطريق الجاير عن القصد والاستقامة اي لا يوصل الى الله تعالى سالكها او
لان المقصود بيان سبيله وذكر قسيمه انما جاء بالعرض ولو شاء لهداكم اجمعين
ولو شاء هدايتكم اجمعين الى قصد السبيل لهداكم اليه هداية مستلزمة للاهتدا
وهو الذي انزل من السماء من السحاب او من جانب السماء لما استدل على وجود الصانع
الحكيم باحوال الحيوان اتبعه بذكر الاستدلال عليه بعجايب احوال النبات ماء تنكيره لانه
على خلاف الماء المعهود بحيث لا يسيل بل ينزل قطرات غير متداركة لكم متعلق بانزل او خبر
لشراب في قوله منه شراب اي مشروب ومنه على الاول خبر الشراب وعلى الثاني تبعيضية
متعلقة به وفي الحصر المشروب المستفاد من تقديم منه دلالة على ان مياه الارض منه ومنه
شجر ومنه تكونه والمراد بالشجر ما ترعاه المواشي وقيل كل ما نبت على الارض يطلق عليه
الشجر قال الشاعر يعلفها اللحم اذا عز الشجر فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية
اذا رعت فهي سايمة واسامها صاحبها واصلها من السومة التي هي العلامة لانها تؤثر
بالرعي علامات في الارض ينبت لكم به الزرع وقرى بالنون على التفخيم والزيتون
والنخيل والاعناب تقديم لانه الاصل في الغذا وتخصيص الاجناس الثلاثة من الثمرات
وتعقيبها الاظهار فضلها وانافتها على سايرها ولعل تقديم ما يسام من الكلا لصيرورته
غذا حيوانيا هو اشرف الاغذية اسرع ما يكون اي اللبن واللحم ومن كل الثمرات اي وبعض
كلها لان كل ما يمكن من الثمرات لا يكون في الارض ان في ذلك لاية لدلالة واضحة
لقوم يتفكرون ينظرون فيستدلون بها على وجود الصانع وحكمته وقدرته ولما كان
الاستدلال بانبات الماء وهو واحد وان كثرت انواع النبات قال هنا الاية على صيغة الافراد
وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم بان هياها لمنافعكم مسخرات بامره
نصب على الحال اي نفعكم بها حال كونها مسخرات بامره التكويني او على المصدر وجمع للتنويع
جمع مسخر بمعنى تسخير اي سخرها انواعا من التسخير كانه قيل سخرها تسخيرات وقرى برفع الشمس
والقمر والنجوم على الابتدا والخبر مسخرات بالرفع وبرفع والنجوم وحده ونصب ما قبلها ومسخرات
خبر يعني انها مسخرات حقيقة لله تعالى وانما قيل انها سخرت لكم باعتبار ان فايدة تسخيرها
عايدة اليكم ومن وهم ان معنى مسخرات لما خلقن له فقد وهم اذ حينئذ يكون اعادة بلا افادة
ان في ذلك لايات اتي هنا بصيغة الجمع لان وجه الدلالة في السماويات متعدد ٥

لقوم يعقلون ذكر العقل لان الاحتياج الي ذكر العقل الصرف في الاستدلال بما يشاهد
من احوال النبات وتغيراته واختلاف اشكاله والوانه واما احوال العلويات فلا بد فيها
من مزيد عقل ومعرفة بالعلم الطبيعي والهيئة والهندسة ومن زعم ان وجه الدلالة
هنا مع تعدده اظهر من وجهها ثمة مع وحدته فقد كابر مقتضي النقل الصريح وما ذرا
لكم في الارض من انواع الحيوان والنبات والمعادن في موضع النصب بفعل محذوف اي
وخلق وانبت كذا قال ابو البقا استبعد تسلط سخر علي ذلك اذ حينئذ يلغو قوله لكم فقد فعلا
لا ابقا ومن لم يتنبه لهذا قال اي وسخر ما خلق لكم فيها مختلفا الوانه اصنافه فانها تتخالف
باللون غالبا ان في ذلك لاية لقوم يذكرون اي يعتبرون فان اختلافها في الطبايع
والهيئات والمناظر ليس الا بصنع قادر حكيم وافرد اية لانه عبر عنه بمفرد ووصفه بمفرد
وهو الذي سخر لكم البحر بان مكنكم من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص وغير
ذلك لتاكلوا منه لحما طريا هو الحوت وانما عبر عنه باللحم وهو ما يوكل من الحيوان تنبيها
علي جهة فضله وامتيازه عن ساير الحيوانات الماكولة فانها لا تكون لحما الا بعد الذبح والسلخ
ولا يخفي لطف موقع هذا التنبيه والتمهيد السابق بقوله منه حيث تضمن الاشعار بانهم
يتناولونه كله من البحر مبالغة في تهيئته للاكل في مقام الامتنان طريا بالذكر اشارة الي انه
في معرض ان يسارع اليه في تخصيص كله الفساد لكمال لطافته فيسارع الي اكله فكانه قيل
لتاكلوا منه لحما في غاية اللطافة وهذا من لطف الكنايات التي قلما يتنبه لها ولا بد من الحمل
عليها اذ علي تقدير ابقايه علي ظاهره بيانا للواقع خاليا عن فايدة الخبر ولازمها وروي ان ابا
حنيفة رضي الله عنه لما قال لو حلف لا ياكل اللحم فاكل السمك لا يحنث لان لحم السمك ليس بلحم
سمع سفيان الثوري قوله فانكر عليه محتجا بهذه الاية فبعث اليه ابو حنيفة رجلا ساله
عمن حلف لا يصلي علي البساط فصلي علي الارض هل يحنث ام لا فقال سفيان لا يحنث فقال الرجل
اليس الله تعالي قال والله جعل لكم الارض بساطا فعرف سفيان ان ذلك تلقين ابي حنيفة وقيل
في وجه قوله ان مبني الايمان علي العادة وعادة الناس اذا ذكروا اللحم علي الاطلاق ان لا يفهم
منه السمك واذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجا بالسمك كان حقيقا بالانكار
وهذا معارض بانه اذا قال لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بلحم العصفور استحق الانكار
ايضا مع انه يحنث من حلف لا ياكل اللحم وتستخرجوا منه حلية كاللؤلؤ والمرجان فان الحلية
اسم لما يتحلي به وزيادة حرف للتنفيس علي ان اخراجها بمشقة يقتضي المهلة تلبسونها يلبسها
النسا فهو من قبيل اسناد الفعل البعض الي الجملة كقرينه السابق وتري الفلك مواخر فيه
جواري فيه تجري بخير ومنها مع صوت من المخر وهو شق الما بصوت ولتبتغوا عطفا علي محذوف
تقديره لتركبوا فيها ولتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون

ولتشكروا الله تعالي علي هذه النعمة الجليلة حيث تقطع بها المسافة البعيدة في المدة القليلة
مع ما فيها من الاحمال والاثقال بلا مونة الرفع والوضع في اثناء السفر كما هو المعتاد في مسافة
البر هذا الوجه بتخصيص هذه النعمة بتعقيب التشكر واما جعل الفلك سببا للانتفاع وتحصيل
المعاش فلا يناسب المقام الامتنان بالاحسان مما يناسب مقام اظهار القدرة والقي في الارض
رواسي عطف علي محذوف تقديره والارض مددناها والقينا فيها رواسي ولما حذف المعطوف
عليه عدل عن الضمير الي الظاهر وقد مر تفسيره في سورة الحجر ان تميد بكم كراهة ان تميد
بكم اي تتحرك وتميد والميد الاضطراب وذلك ان الارض لو بقيت علي بساطتها كانت كرة مجيبة
للتحرك باذني سبب ومتحركة كالفلك فلما خلقت الجبال راسخة فيها تفاوتت جوانبها وتوجهت
الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة والميل من جانب الي جانب وانهارا
اي وجعل فيها انهارا لان القي فيه معناه وسبلا لعلكم تهتدون لتهتدوا بها في اسفاركم
الي مقاصدكم وانما قال لعلكم لانه لا بد من الاستدلال في بعض المواضع للاهتدا الي المقاصد
وعلامات ومعالم تستدل بها السابلة في النهار من الجبال والانهار ونحو ذلك وبالنجم
المراد الجنس او الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدي ونحوها قراءة بضمتين وضم
وسكون علي الجمع هم يهتدون بالليل في البراري والبحار وتقديم النجم وتوسيط الضمير
للتخصيص كانما واخراج الكلام عن الخطاب الي الغيبة للدلالة علي ان هؤلاء المنكرين من قريش خاصة
بالنجم هم خصوصا يهتدون لانهم كانوا كثيري الاسفار للتجارة مشتهرين بانهم اعلم الناس
بالاهتدا بالنجوم في مسايرهم فكان الاعتبار بذلك الزم لهم والشكر لله به اوجب عليهم فلذلك
خصصوا افمن يخلق كمن لا يخلق الهمزة للانكار عليهم دخلت علي فا التعقيب اي ابعد
هذه الدلايل المتكاثرة الواضحة الدالة علي كمال قدرة الله تعالي وحكمته وانفراده بخلق ما
عدد من مبدعاته تقولون بمساواة الخالق المطلق لما لا يخلق شيا واورد من الجمادات التي هي
الاصنام اما للمشاكلة واما بناء علي اعتقادهم وتسميتهم الهة وعبادتهم لها وفيه ضرب من التهكم
واما لان المراد كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بالجماد للمبالغة وكان حق الكلام ان يقال فمن
لا يخلق كمن يخلق لانه الزام لعبدة الاوثان لكنه عكس تفظيعا لشانهم لانهم لما سموها باسمه
وعبدوها كعبادته وسووا بينه وبينها فقد جعلوا الله تعالي من جنس هذه المخلوقات وشبيها بها
فانكر ذلك عليهم وحذف مفعول يخلق لان المراد نفس صدور الفعل منه اي ويكون شبيها بغير
الخالق او للتعميم اي افمن يخلق كل شي كمن لا يخلق شيا او لان ما عدد من المخلوقات دل عليه
اي افمن يخلق ما عدد من الاشيا العظيمة العجيبة كمن لا يخلق شيا افلا تذكرون بعد
هذه التنبيهات فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه ووضوحه كالبديهي المغفول عنه وان
تعدوا نعمت الله لا تحصوها لا تبلغ طاقتكم ضبط عددها فضلا ان تطيقوا القيام بشكرها

اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على انفراده باستحقاق العبادة تنبيها على ان وراها من
النعم ما لا ينحصر وان القيام بحق عبادته وشكره غير مقدور لاحد ان الله لغفور
حيث يغفر تقصيركم في اداء شكرها ويتجاوز عنه رحيم لا يقطعها عنكم لتفريطكم
ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها وفيه اشعار بانه تعالى ما كلفكم حق الشكر لعدم الامكان
وتجاوز عن الممكن الى السهل الميسور وفي قوله والله يعلم ما تسرون وما تعلنون
ما يشعر بانهم قصروا في هذا الميسور ايضا فاستحقوا العقاب اي يعلم ما تسرون من عقايدكم
وعزايمكم وما تعلنون من اقوالكم واعمالكم وهو وعيد على شركهم باعتبار العلم والعمل
وتقصيرهم في الشكر والعبادة وتقديم ما تسرون لان الوعيد من جهة العقايد والعزايم
اهم والذين يدعون من دون الله والالهة الذين يدعوهم الكفار من دونه تعالى
او يعبدونهم لا يخلقون شيا لما نفى المساواة والمشابهة بين من يخلق ومن لا يخلق
بين انهم لا يخلقون شيا لينتج انهم لا يساوونه ولا يماثلونه ثم اثبت لهم صفات تنافي الالوهية
تاكيدا لذلك فقال وهم يخلقون اي وهم ممكنات مفتقرة الى التخليق فكيف تكون
الهة والاله يجب ان يكون واجب الوجود غنيا عن الكل اموات هم اموات ولما احتمل
ان يكون المعنى اموات فيما بعد على طريقة انك ميت وانهم ميتون دفعه بقوله غير احياء
ويجوز ان يكون المعنى جمادات لا يعرض لها حياة كما يعرض لبعض الاموات كالنطف التي يحييها
الله تعالى ويجعلها حيوانات وكاجساد الموتى التي يبعثها الله تعالى وذلك اعرق في كونها
امواتا ويجوز ان يكون المعنى اموات حالا او مالا غير احياء بالذات ليتناول كل معبود والاله
حقه ان يكون حيا بالذات لا يعتريه الممات وما يشعرون ايان يبعثون اي لا يشعرون
متى يبعث عبدتهم فكيف يجازونهم فان المعبود يجب ان يعلم عبادة العابد ووقت بعثه وجزائه
حتى يقدر على جزائه بعد موته فان البعث والجزاء من لوازم التكليف والعبادة وفيه تهكم
بهم وبالهتهم فانها جمادات لا شعور لها بشي فكيف بما لا يشعر به حي غير الله تعالى ٥
الهكم اله واحد تلخيص للنتيجة وتكرير للمطلوب بعد اقامة الحجة عليه على ابلغ الوجوه
فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة تعكيس للمقصود من النتيجة وبيان لموجب
انكارهم اي انه قد ثبت وتحقق بالبراهين المذكورة ان الالوهية تمتنع ان يكون الله وحده
وانه لا شريك له فيها فانتج لهم ذلك اصرارهم واستمرارهم على شركهم وانكار قلوبهم للوحدانية
وذلك لعدم ايمانهم بالاخرة فان الذي لا يؤمن بها لا ينظر في الدلايل ولا يتاملها بخلاف المومن
وهم مستكبرون وهم قوم عادتهم الاستكبار عن التوحيد وعن الاقرار لما رسخ في قلوبهم من تقليد
اباءهم لا جرم قد سبق تفسيره في سورة هود ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم
على ذلك وعيد على ما ذكر على ابلغ وجه وهو في موضع الرفع على الفاعلية لان جرم فعل ومصدر ٥

يدكم

انه لا يحب المستكبرين

ع

انه لا يحب المستكبرين تعليل للوعيد اي لا يحب كل مستكبر فكيف بالذي استكبر عن توحيده او اتباع
رسوله وفي اطلاق المستكبرين تعميم برهاني واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم القايل بعضهم على
التهكم او الوافدون عليهم او المسلمون قالوا اساطير الاولين ماذا منصوب بانزل اي اي
شي انزل ربكم وتقدير الجواب هو ما يدعون نزوله اساطير الاولين او مرفوع بالابتدا اي اي شي
انزله ربكم وتقدير الجواب هو اساطير الاولين على التحرير والتهكم والمجيبون المقتسمون مداخل مكة
ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة متعلق بقالوا
على التعليل في نفس الامر لا الغرض واللام لام العاقبة اي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار
ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار
ضلال من ضل وهو وزر الاضلال فان ضلاله ان حصل بامرين ضلاله هذا فيتحامل الوزر
بغير علم حال من المفعول اي يضلونهم على جهلهم وفايدة التقييد به الدلالة على ان جهلهم
ليس بعذر اذ كان عليهم ان يبحثوا وينظروا فيعرفوا بهم من يقلدونهم ويميزوا بين المحق والمبطل
الا ساء ما يزرون بئس شيا يزرونه فعلهم قد مكر الذين من قبلهم اي سووا منصوبات ليمكروا
بها رسل الله فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتاها امره من جهة العمد التي بنوا عليها بان ضعفت
فخر عليهم السقف قال ابن الاعرابي العرب تقول خر علينا سقف ووقع علينا حايط اذا يهلكه وان لم
يكن عليه فجاء بقوله من فوقهم ليخرج به هذا عن الذي من كلام العرب اي عليهم وقع وكانوا
تحته فهلكوا واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون تمثيل اي قد ربطوا
حيلا ليمكروا بها رسل الله فجعل الله تعالى هلاكهم في تلك المماكر والحيل واستيصالهم بها كحال قوم
بنوا بنيانا واحكموا قواعده فاتى الله تعالى بنيانهم من جهة الاساس فسقط عليهم السقف وهلكوا
ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم قيل يعذبهم بالنار لقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وياباه قوله
ويقول اين شركاي لانه قيل دخولهم في النار اضاف الى نفسه الشركا وحكاية لاضافتهم توبيخا لهم وتهكما
بهم الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون المومنين في شانهم وقري بكسر النون بمعنى تشاقونني فان
مشاقة المومنين كمشاقة الله تعالى قال الذين اوتوا العلم اي الانبيا والعلما الذين كانوا يدعو
الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم ان الخزي اليوم متعلق بظرفيه والسوء الذلة والعذاب

ب

على الكافرين تقريرا لما كانوا عليه يعظونهم به وتحقيقا لما وعدوهم او اظهارا للشماتة بهم
وحكى الله تعالى قولهم ليكون لطفا لمن سمعه وقيل المراد من القايل المليكة ويأباه قوله الذين
تتوفاهم الملايكة يحتمل الجر صفة للكافرين فتكون داخلا تحت القول والنصب والرفع على الذم ظالمي
انفسهم بان عرضوها على العذاب المخلد نصب على الحال فالقوا السلم فسالموا واخبتوا ونزلوا
عما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والتكبر والتعاظم قيل حين عاينوا الموت ويأباه السباق واللحاق
ما كنا نعمل من سوء من كفر وعدوان اي قايلين ذلك ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان المراد به القول

الدال على الاستسلام لما جحدوا ما كانوا عليه من الكفر والعدوان رد عليهم اولوا العلم بقولهم
بلي ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو مجازيكم عليه وهذا ايضا من باب الشماتة وكذلك فادخلوا
ابواب جهنم اي كل صنف بابه المعد له وقيل ابوابها اصناف عذابها خالدين فيها فلبئس
مثوي المتكبرين هي اي جهنم والوصف بالتكبر للايذان باستحقاق صاحبه النار ومن
لم يجوز الكذب يومئذ اول قولهم ذلك ما انا لم يكن في زعمنا عاملين سوا ولا يناسبه الرد المذكور
كما لا يخفي وقيل للذين اتقوا يعني المومنين عطف علي قيل لهم في قوله واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم
ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اي انزل خيرا وانما نصب الاول ورفع الثاني فرقا بين جواب الجاحد وجواب
المقر اي ان المتقين لم يتلعثموا واطبقوا الجواب علي السوال بينا مكشوفا والمشركون عدلوا بالجواب
عن السوال فقالوا هو اساطير الاولين وليس من الانزال في شي للذين احسنوا في هذه الدنيا
كلام مدح الله تعالي به القايلين خيرا وجعل قولهم ذلك من جملة احسانهم وحمدهم عليه ووعدهم
به فهو كلام مبتدا لا محل له من الاعراب ويجوز ان يكون بما بعده بدلا من خيرا علي انه من كلام المتقين
اي قالوا خيرا ثم فسروا الخير بهذه الجملة بمعني انزل هذا الكلام بعد ما ابهموه وسموه خيرا
حسنة مكافاة باحسانهم في الدنيا وهي العصمة والتوفيق والنجاة من العذاب المعجل ولدار الاخرة
ولثوابهم في الاخرة خير مما لهم في الدنيا ولنعم دار المتقين اللام للقسم ونعم كلمة مدح اذ لا خوف
فيها ولا حزن ونعيمها مقيم وملكها دايم وصاحبها فيها خالد وحذف المخصوص بالمدح وهو دار الاخرة
لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون المخصوص يدخلونها
تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاوون تقديم لهم للتخصيص اي لهم دون غيرهم وعموم ما
مع تقديم فيها يفيد ان الانسان لا يجد جميع ما يشا من المشتهيات الا في الجنة كذلك يجزي الله المتقين
فذلكة للتاكيد مع تعظيم الجزا وفيه تقوية للوجه الاول الذين تتوفاهم الملايكة طيبين طاهرين
من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم او فرحين ببشارة الملايكة اياهم بالجنة
او طيبين بقبض ارواحهم لقوة ايمانهم وتوجه نفوسهم بالكلية الي عالم القدس يقولون سلام عليكم
لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون بسبب ثباتكم علي الاعمال الصالحة وانما قال
ادخلوا الجنة لان القبر روضة من رياض الجنة في حقهم ومن غفل عن هذا ذهب الي ما ذهب وارتكب
ما يخل بحسن الانتظام في الكلام هل ينظرون اي الكفار المار ذكرهم الا ان تاتيهم الملايكة
لقبض ارواحهم او ياتي امر ربك العذاب المستاصل الواقع فجاة وقد سبق وجه التعبير عن مثله
بامر الله تعالي وتفسير الامر بالملايكة يا باه كلمة لان انتظارها يجامع انتظار اتيان الملايكة كذلك مثل
ذلك الفعل الشنيع القبيح من الشرك والتكذيب من قال هنا فاصابهم ما اصابهم فكانه غافل عن الاخبار
عنه بعد هذا صريحا في نظم القران يابي عن اعتباره هنا تقديرا فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله
بتدميرهم او تعذيبهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بما استوجبوا به ذلك فاصابهم سيات ما

جزا سيات اعمالهم لا علي حذف المضاف بل علي تسمية الجزا باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون
واحاط بهم جزاوه والحيق لا يستعمل الا في الشر وقال الذين اشركوا لو شا الله ما عبدنا من دونه من
شي نحن ولا اباونا ولا حرمنا من دونه من شي من البحاير والسوايب وغيرهما مما احل الله تعالي
وانما قالوا ذلك عنادا او تعنتا والزاما للموحدين بنا علي زعمهم وقولهم ما شا الله يجب وما لم يشا
يمتنع ومنعا للبعثة وانكارا للتكليف لعدم الفايدة فيهما وانكارا لقبح ما انكر عليهم من الشرك
والتحريم ونحوهما متمسكين بانها لو كانت مستقبحة لما شا الله صدورها عنهم ولشا خلافه ملجيا
اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم كذلك فعل الذين من قبلهم اي مثل ذلك الفعل
الشنيع من الاستهزا بالرسل وانكار البعثة والتكليف والجدال بالباطل فعل اسلافهم ولما فهم
منه ان انذار الرسل وارشادهم لم يجدي نفعا في حق الضالين المعاندين اتجه السوال بان يقال
فما بال المرسلين حيث لم يتموا مصلحة الارشاد اجاب عنه بما حذف واقيم تعليله مقامه لاستلزام
العلة للمعلول قوله فهل علي الرسل الا البلاغ المبين اي لا باس فيه فهل عليهم الا البلاغ
الموضح للحق اي عليهم الهداية ولكن الله سبب الاسباب بحكمته وجعل تبليغ الرسل من اسباب الهداية
لمن شا هدايته فليس عليهم السلام الا ما كلفهم من التبليغ والابانة ليهلك من هلك عن بينة ويحيي
من حي عن بينة ثم بين ان بعثة الرسل والدعوة الي الحق والتكليف امر جرت به السنة الالهية كلها
سببا للهدي من اراد اهتداه وازديادا ضلال من اراد ضلاله كالغذا الصالح الذي ينفع من اعتدل
مزاجه ويضر من انحرف مزاجه بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا التنكير للتعظيم ان اعبدوا الله
ان يجوز ان تكون تفسيرية لان البعث يتضمن معني القول وان تكون مصدرية اي بعثناه بان
اعبدوا واجتنبوا الطاغوت قد سبق تفسيره في سورة البقرة فمنهم من هدي الله
ووفقهم للايمان بارشادهم ومنهم من حقت عليه الضلالة تغيير الاسلوب بالعدول عن
قوله ومنهم من اضله للتنبيه علي ان الثاني لسوء استعدادهم علي ما افصح عنه قوله تعالي ما اصابك
من حسنة فمن الله وما اصابك من سيية فمن نفسك ومن لم ينتبه لذلك قال اذ لم يوفقهم ولم يهدهم
فسيروا في الارض ترتبه علي موجب ما تقدم من نزول العذاب عليهم فكانه قال اخبر عنه واحوالهم
في معرفة ذلك علي السير في الارض ولا اختصاص للامر المذكور بقريش فانظروا العطف بالفا
للدلالة علي ان الغرض من الامر بالسير هو النظر المذكور اي سيروا في الارض لهذا الامر واجعلوه غاية
لسيركم والفا لبيان ترتب احد الامرين علي الاخر يكون الاول وسيلة للثاني لا للتعقيب السير بالنظر
فتدبر كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون ان تحرص الخطاب
لرسول الله صلي الله عليه وسلم علي هداهم فان الله لا يهدي من يضل من حقه ان يضل اقيم مقام
لاستلزام العلة للمعلول اي فهون علي نفسك ولا تتعبها وسل عنهم فان هداهم ممتنع وقري لا يهدي
للبنا للمفعول وهو ابلغ وما لهم من ناصرين ينصرونهم اذا خذلهم الله تعالي ويدفعون العذاب عنهم

اذا عذبهم وانما نفي الجمع لان الاجتماع مظنة زيادة القوة والقدرة على النصرة واقسموا
بالله جهد ايمانهم مستعار من جهد نفسه اذا ابلغ طاقتها واقصى وسعها للمبالغة في اليمين
وبلوغ غاية غلظتها واقصى وكادتها وهو في حكم الحال لان اصله واقسموا بالله يجهدون ايمانهم
فحذف الفعل ووضع المصدر مكانه مضافا الى المفعول لا يبعث الله من يموت اراد به نفي قدرة
تعالى على بعث الموتى والجملة عطف على وقال الذين اشركوا تصريحا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا
البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فساده للايذان بانهما كفرتان عظيمتان حقيقتان بان
تحكيا وتدونا ليتعجب منهما ويعتبر بهما وقد رد الله تعالى عليهم ابلغ رد فقال بلى يبعثهم الله
وعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله تعالى عليه صفة لوعدا حقا
صفة اخرى له اي وعدا ثابتا عليه الوفاء به حقا لامتناع الخلف في وعده ولكون البعث مقتضى
حكمته ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون اما وعدم حق عليه انجازه بمقتضى حكمته
وعدم العلم به لا يستلزم العلم بالعدم فضلا عن العلم بالامتناع فما قيل في التعليل لقصور نظرهم
في المالوفات يتوهمون امتناعه من قصور النظر ليبين لهم تعليل لما دل عليه بلى ان يبعثهم الله
ليبين لهم والضمير لمن يموت عام للناس كلهم الذي يختلفون فيه وهو الحق وليعلم الذين
كفروا انهم كانوا كاذبين في قولهم لا يبعث الله من يموت وهو اشارة الى السبب الداعي الى البعث
المقتضي له من حيث الحكمة وهو المميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب
ثم قال انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون قولنا مبتدا ان نقول خبره واذا مجردة
الظرفية اي وقت اردنا له او شرطية محذوف الجواب لدلالة الجملة الاسمية عليه اي اذا اردنا
وجود شيء فليس الا ان نقول له احدث فيحدث عقيب ذلك بلا توقف تمثيل لبيان امكان البعث وسهولته
على الله تعالى وهو ان كلما تعلق به ارادته من الاشياء يمتنع عليه ولا يتوقف بل يكون كمأمور مطيع
امر آمر مطاع فلم يلبث ان تمثيل المبعوث احد الاشياء الممكنة فكيف يمتنع عليه ولا قول وقرئ فيكون
بالنصب عطفا على نقول او جوابا للامر والذين هاجروا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
رضي الله عنهم المهاجرون ودل عليه قوله في الله على ان الهجرة اذا لم تكن لله تعالى لم يكن لها موقع
وكانت بمنزلة الانتقال من بلد الى بلد وقوله تعالى من بعد ما ظلموا على انهم كانوا مظلومين
في ايدي الكفار او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لنبوئنهم في الدنيا
حسنة مباءة الحسنة اي تبوءة الحسنة ولاجر الاخرة اكبر مما يعجل لهم في الدنيا لو كانوا يعلمون
الضمير للمهاجرين اي لو كانوا يعلمون لزادوا في اجتهادهم وصبرهم على الكفار او للكفار اي لو كانوا
يعلمون ان الله تعالى يجمع لهؤلاء المهاجرين خيري الدنيا والاخرة لرغبوا في دينهم الذين صبروا على اذى
الكفار ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين الى الله
تعالى مفوضين وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون

رسوله بشرا اي جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحى اليه واكو
لا يلزم ان يكون بواسطة الملك فضلا ان يكون على لسانه والحكم في ذلك قد ذكرته في سورة
الانعام فاسئلوا اهل الذكر اهل الكتاب وعلماء الاخبار ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون
جوابه محذوف دل عليه ما قبله في الاية دليل على انه تعالى لم يرسل ملكا ولا امراة ولا صبيا
للدعوة العامة ولا ينافيه نبوة عيسى عليه السلام وهو في المهد لانها اخص من الرسالة وعلى
وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر بالمعجزات والكتب متعلق بلا
تعلمون على الشرط للتبكيت والالزام من حيث الاعتراف بعدم العلم وسبيل الجاهل سؤال من
يعلم لا للانكار ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا داخلا تحت الاستثناء اي وما ارسلنا الا رجالا
اي رجالا متلبسين بالبينات او يوحى على المفعول او الحال عن الفاعل من القائم مقام فاعله
على ان قوله فاسئلوا اعتراض ويجوز ان يتعلق بارسلنا مضمرا كانه قيل بم ارسلوا فقيل
بالبينات والزبر فهو على هذا كلام آخر مستانف وانزلنا اليك الذكر اي القران وانما سمي
ذكرا لانه تذكير وتنبيه للغافلين لتبين للناس ما نزل اليهم في الذكر بتوسط نزوله عليك
من الاحكام والمواعيد والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود او يرشد الى ما دل عليه كالقياس
ودليل العقل ولعلهم يتفكرون وارادة ان يتنبهوا فيتنبهوا للحقائق والواو للعطف
على محذوف تقديره ارادة ان يصغوا اليه افامن الذين مكروا السيئات اي المكرات
السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء عليهم السلام او الذين مكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وراموا صد اصحابه رضي الله عنهم عن الايمان ودخول الهمزة على فاء التعقيب لانكار امنهم
بعد اطلاعهم على عاقبة المكذبين والبينات التي نزلت على الرسول عليه السلام ان يخسف
الله بهم الارض كما خسف بقارون او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون اي في حال
غفلتهم نائمين ولا يلزم ان يكون من جانب السماء ولا ان يكون بغتة ولهذا جمع بينهما في قوله
من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون او ياخذهم الاخذ هنا كناية عن الاهلاك كما
في قوله وكلا اخذنا بذنبه في تقلبهم في تصرفاتهم في امورهم وهذا ايضا زمان غفلتهم عن تطرق
الافات لتوغلهم في تحصيل المهمات الا ان لهم فيه شعورا وهذا تفسير ما اجمله الضحاك بقوله
بالليل والنهار فما هم بمعجزين بفائتين للدلالة على شدة الاخذ بحيث لا ينفلت الماخوذ ولو آنا
ويتم به الكلام المذكور آنفا او ياخذهم على تخوف على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا
فياتيهم العذاب وهم متخوفون وهو خلاف الاتيان والاخذ المذكور سابقا لانه اخذ على تخوف
فيكون الغرض التعميم وقيل هو من تخوفته اذا انتقصته اي ياخذهم على نقص منهم شيئا بعد شيء في انفسهم
واموالهم حتى يهلكوا فان ربكم لرؤوف رحيم لا يعاجلكم بالعقوبة مع استحقاقكم بها وهذا
كالتعليل للاخذ على التخوف لانه فيه مهلة وامتداد وقت فيمكن فيه التلافي اولم يروا الى ما خلق

استفهام انكار اي قد رأوا امثال هذه الصنايع فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته
وقهره فيخافوا منه وانما قال من شيء لان المخلوقات على نوعين ما خلق من شيء والظل من خواص
ما في عالم الخلق وبهذا اندفع ما قيل ان بيان ما قيل بشيء بيان المبهم بما هو ابهم فانهم يتفيؤا ظلاله
الفيء نفعل من فاء يفيء اي رجع واختلف في الفيء فقيل هو مطلق الظل سواء كان مطلقا قبل الزوال
او بعده وهو الموافق لمعنى الاية وقيل الفيء هو الذي بعد الزوال عن اليمين والشمايل اي الجوانب
كلها استعير اليمين والشمال من جنبي الانسان لجانبي الشيء ثم المراد بالشمايل الشمال والخلف
والقدام على طريقة التغليب لان الظل يفيء من الجهات كلها سجدا لله وهم داخرون حالان من
الضمير في ظلاله باعتبار المعنى لانه يرجع الى ما وحد باعتبار اللفظ وجمع داخرون بالواو
لتغليب العقلاء على سائر ما خلق الله تعالى ولان السجود والدخور من اوصاف العقلاء ويجوز ان
يكونا حالين من الظلال او الاول منها والثاني من الضمير وهذا اولى لما فيه من وصف الظلال
بالسجود ووصف اصحابها بالدخور الذي هو ابلغ لانه انقياد فهري مع صفة المنقاد فيكمل حسن
المعنى بتصوير سجود ذي الظل وتقارنهما في الوجود يظهر وجه تغيير الاسلوب في الحال الثاني
واستعير السجود والدخور للانقياد والاستسلام والتسخير لما يريد من المخلوقات ومن ظلالها
سواء كان بالاضطرار او الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير
اذا طاطا راسه ليركب والمعنى والله اعلم يرجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف
مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب منقادة لما قدرها من التفيؤ على الارض
ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام في نفسها ايضا داخرة اي صاغرة منقادة لافعال الله
تعالى فيها ولله خاصة يسجد ينقاد لارادته وقدرته انقيادا لا يعم الاختياري والاضطراري
ومن ذكر بدل الاول ما يكون طوعا وبدل الثاني ما يكون طبعا لم يصب في واحد منهما ما في
السموات وما في الارض من دابة بيان لما في الارض لان الدابة ما يدب في الارض ولا يلزم
ان يكون على وجهها والسكوت عن بيان ما في السموات للاشعار بكثرة ما فيها اجناسا وانواعا
ومن رام تعميم البيان زاعما ان الدبيب هي الحركة الجسمانية سواء كانت في جرم سماوي او ارضي
فقد غفل عما في قوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء من الدلالة على اختصاص الدابة بما في الارض
لان ما في السماء لا يخلق بطريق التولد والملائكة خصت بالذكر معطوفة على ما في السموات
للتعظيم عطف جبريل على الملائكة اي والملائكة خصوصا من الساجدين لانهم اطوع خلق واعبدهم
وهم لا يستكبرون عن عبادته جملة استيناف وتقديم هم للتخصيص يخافون ربهم
خوفا خلال وهيبة وتعظيم حال من ضمير لا يستكبرون او بيان لنفي الاستكبار وتاكيد له من
خاف الله تعالى لم يستكبر عن عبادته من فوقهم حال من ربهم مجاز بمعنى العلو والقهر اي عاليا
لهم قاهرا ويفعلون ما يؤمرون خوفا له وعلما بعظمته ونفاذ سلطانه وقدرته ودليل فيه

على ان الملايكة مكلفون بالتكليف الشرعي الذي يترتب عليه الثواب والعقاب وقال الله
لا تتخذوا الهين اثنين الوصف باثنين وان دلت التثنية عليه للدلالة على ان مساق النهي
هو العدد لا الالهية وان الاثنينية تنافي الالهية كما وصف اله بواحد في قوله انما هو اله واحد
دلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية وانها لازمة للالهية فاياي فارهبون
التفات من الغيبة الى التكلم ايقاعا للرهبة في القلوب وتمكينا لها في النفوس ومبالغة في الترهيب
وتصريحا بالمقصود ولذلك قدم المفعول مع فاء السببية وكرر الفعل اي ان كنتم ترهبون شيئا
فاياي فارهبون دون غيري فانا ذلك الاله الواحد القاهر لكل شيء وله ما في السموات والارض
التفات اخر للتعظيم ثم وجوب التخصيص لرهبة به ووجوب الانقياد له في قوله ولله يسجد اي
له ما فيهما خلقا وملكا فكيف لا ينقادون له ولا يخصونه بالرهبة وتقديم الظرف تاكيد وتقوية
لمعنى الاختصاص الذي فيه اللام وكذا في قوله وله الدين واصبا اي الطاعة والانقياد
واصبا واجبا ثابتا او وله الجزاء دائما سرمدا لا ينقطع وهو تاكيد وتقرير اخر وتعليل لوجوب الانقياد
والرهبة اعني على الوجه الثاني وكذا افغير الله تتقون تاكيد اخر بتقديم المفعول مع الهمزة
الانكارية داخلة على الفاء التعقيبية اي ابعد العلم بالتوحيد وتخصيص الكل به خلقا وملكا
تخصون غيره بالاتقاء وفيه توبيخ بليغ وما بكم اي واي شيء اتصل واستقر بكم من نعمة
فمن الله او الذي اتصل بكم هو من الله وما شرطية او موصولة متضمنة لمعنى الشرط باعتبار
الاخبار او العلم لان استقرار النعمة بهم سبب للاخبار او العلم فانه من الله لا لحصوله منه
ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون الجوار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة اي فما تتضرعون
في كشفه الا اليه وفرق بين حصول النعمة ووقوع الضر بعموم ما وايراد الباء الالصاقية في الجملة
الاسمية اي وكل ما استقر بكم من النعم المستمرة فهو من الله يجب عليكم شكره لان الانسان لا
يخلو في حال ما من نعم كثيرة وبايراد ثم المفيد معنى التراخي والمس الذي هو ادنى اصابة وجنس
الضر الذي يكفي في اطلاقه اقل ما يطلق عليه الاسم في الجملة الاسمية اي ثم اذا تجدد لكم
اصابة ادنى شيء من جنس الضر بعد زمان طويل لا تجارون الا اليه وانما جاء باذا دون ان لان
وقوع هذا القدر من الضر في بعض الاحايين محقق ثم اذا كشف الضر عنكم ثم مستعار
لاستبعاد الشرك بعد كشف الضر عنه تخصيصه تعالى بالتضرع اليه في كشفه والعلم بحصول جميع
النعم منه اذا فريق منكم بربهم يشركون اذا فجائية والخطاب عام والفريق هم الكفرة او خاص
بالمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض اي اذا فريق وهم انتم بربهم يشركون او للتبعيض على ان
منهم من اعتبر وازدجر كقوله فمنهم مقتصد ليكفروا بما اتيناهم من نعمة الكشف عنهم بيان
لرسوخ الكفران فيهم وغلبته على طباعهم حتى كانهم جعلوا غرضهم من الشرك كفران النعمة فتمتعوا
وقرئ فيمتعوا بالياء للبناء المفعول عطفا على ليكفروا على ان اللام للتعليل ويجوز ان يكون لام الامر

الوارد للتهديد والفا للجواب فسوف تعلمون تخلية لهم ووعيد بليغ ويكون ليكفروا ايضا
واردا على سبيل الخذلان والتخلية ويجعلون لما لا يعلمون اي لالهتهم التي لا يعلمون حقيقتها
فيعتقدون انها تضر وتنفع وتشفع لهم عند الله تعالى وهي جمادات لا تضر ولا تنفع على ان
العايد الى محذوف او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به او لالهتهم التي لا
علم لها لانها جمادات فيكون الضمير نصيبا مما رزقناهم من انعامهم وزروعهم تقربا به
اليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات الله
سبحانه تنزيه له عن قولهم وتعجيب منه ولهم ما يشتهون نصب عطفا على البنات اي ويجعلون
لانفسهم ما يشتهون من البنين اي يختارون او رفع على الابتدا ولهم خبره وسبحانه اعتراض
واذا بشر احدهم بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه صار او دام النهار كله مسودا
من الكابة واسودادا لوجه كناية عن الاغتمام والتشويش وهو كظيم مملو غيظا اي على المراة
يتوارى من القوم اي يستخفي منهم من سوء ما بشر به من اجل سوء المبشر به ايمسكه محدثا
نفسه متفكرا في ان يتركه على هون ذل ام يدسه ام يخفيه في التراب اي يئده وتذكير
الضمير للفظ ما وقرى بالتانيث فيهما الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون لمن تنزه عن الولد
ما هذا محله عندهم ولانفسهم من هو على ضد هذا الوصف للذين لا يؤمنون بالاخرة مثل
السوء صفة السوء من الحاجة الى الولد ليقوم مقامهم وارادة الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث
ووادهن خشية الاملاق الشاهد على انفسهم بالشح البالغ ولله المثل الاعلى من الغنى المطلق والجود
الذاتي والوجود الكامل والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو العزيز بكمال القوة والقدرة على
بطشهم واخذهم بذنوبهم الحكيم الذي يؤخرهم الى اجل مسمى تقتضيه الحكمة ولو يؤاخذ الله
الناس بظلمهم بسبب كفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض وجاز اضمارها من غير ذكر
لدلالة الدابة عليها لما عرفت انها ما يدب فيها من دابة لان غير الانسان من الدواب انما خلق لاجله
لقوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا ولو اخذ الظالم بظلمه لانقطع نسل الانسان اذ ما من شخص
الا وفي ابائه ظالم فلا دلالة في الاية على ان يكون الناس كلهم ظالمين لما عرفت ان المراد من الظلم المضاف
اليهم ما صدر عن بعضهم ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى سماه لاعمارهم او لعذابهم كي يتوالدوا
فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون قد سبق تفسيره في سورة الاعراف
ويجعلون لله ما يكرهون اي ما يكرهون لانفسهم من البنات والشركا في الرياسة والاستخفاف
بالرسل وارذال الاموال وتصف السنتهم مع ذلك الكذب وهو ان لهم الحسنى اي
عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى بدل من الكذب او على اسقاط الحرف اي بانهم
وقرى الكذب بضمتين جمع كذوب صفة للالسنة لا جرم قد سبق تفسيره في سورة هود • ان
ان لهم النار رد لكلامهم • واثبات لضده وانهم مفرطون بالفتح مخففا ومشددا بمعنى مقدمون

الى النار اي معجلون من افرطت فلانا خلفي اذا قدمته وقيل منسيون متروكون وقرى بالكسر
مخففا من الافراط في المعاصي ومشددا من التفريط في الطاعات وما يجب عليهم تالله لقد
ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما كان يناله من الغم بسبب جهالات القوم ووعيد لاهل مكة فهو وليهم اليوم حكاية الحال
الماضية التي كانت يزين لهم اعمالهم فيها واليوم عبارة عن ذلك الوقت اراد استحضار صورة
التزيين في وقته للسامعين عسى ان يعتبروا بها فيحترزوا عن مثلها ويحجوا عن ولاية اللعين
والولي بمعنى القرين والذي يتولونه او حكاية الحال الاتية وهي حال كونهم معذبين في النار والفائدة
الاستحضار المذكور في اذهان المخاطبين والولي بالمعنى المذكور او بمعنى الناصر اي فهو ناصرهم
اليوم لا ناصر غيره فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ولهم عذاب اليم في النار وما انزلنا
عليك الكتاب الا لتبين لهم للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحوال المعاد
من البعث والجزا واحكام الافعال من التحليل والتحريم ونحوها وهدى ورحمة لقوم يؤمنون
نصب على محل لتبين نصبا على التعليل لكونهما فعلي فاعل الانزال المعلل بهما بخلاف التبيين لمجيه
فيه باللام لفقدان شرط نصبه والله انزل من السماء ماء قد سبق وجه تنكير الماء فاحيا به الارض
انبت فيها انواع النبات بعد موتها بعد يبسها والتعقيب الذي دل عليه الفا لا ينافي المهلة
الواقعة بين المعطوفين لان ذلك انما يكون على حسب ما تقتضيه الناس متعقبا والاحيا بعد
الانزال بعده متعقبا لا متراخيا الا ترى ان صحة قولك تزوج زيد فولد له اذا لم يكن الا مهلة
الحمل ان في ذلك لاية لقوم يسمعون اراد بالسمع القبول كما في سمع الله لمن حمده اي لقوم
يتاملون فيها ويعقلون وجه دلالتها ويقبلون مدلولها وانما خص كونها اية لهم لان غيرهم
لا ينتفعون بها وهذا التخصيص كالتخصيص في قوله وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وبما قررناه
تبين وجه العدول عن يبصرون الى يسمعون وان لكم في الانعام لعبرة دلالة على قدرة الله
تعالى وحكمته والتنكير للتفخيم نسقيكم استيناف لبيان العبرة مما في بطونه ذكر الضمير
ووحده هنا للفظ وانثه في سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفرد
المبنية على افعال ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها او لو
اوله على المعنى فان المراد به الجنس من بين فرث ودم لبنا الفرث فضالة ما يبقى من العلف
في الكرش وكثف ما يبقى من الاكل في الامعا من الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية
ابتدائية لان الاسقا يبتدا من مادة بين الفرث الذي هو من الفضول المحضة والدم الذي من الامور
المحضة فهو بالنسبة الى الفرث اصل لانه لا بد منه في بقاء النسل وبالنسبة الى بقا الدم فضل لانه
لا حاجة اليه في بقا الشخص وعلى هذا يجوز ان يكون من الثانية تبعيضية لان تلك المادة غير منحصرة
في اللبن فان الدم الذي يصير غذا الجنين منها وكذا مادة المني وح يكون المقول المذكور حالا اي كائنا

من بين فرث ودم فانما قدم على لبنا وهو صفة له في المعنى لانه موضع العبرة فهو معنى به جدير
بالتقديم لكونه حاصلا من نجس وهو في معرض ان ينقلب اليه لانه ان لم يشق يخرج من مخرج فضلة
الهضم الرابع وذلك ان العلف ينهضم فتنجذب صفاوته الى الكبد ويتولد منه الدم ويبقى الفرث
في الكرش ويتسفل ويتوزع على الاعضا لتغذوها ويفضل من غذايه قسط صالح يتحدر
الى الضرع الذي هو لحم غددي رخو ابيض فينقلب الدم بانصبابه اليه الى اللبن هذا هو القول الصحيح
في تولد اللبن فمن وهم ان محله بين الفرث والدم فقد وهم خالصا مصفى عما يصحبه من الاجزا
الكثيفة بتضييق مخرجه ولهذا صار سايغا للشاربين سهل المرور في حلقهم واما ما قيل انه
لا يستصحب لون الدم ولا رايحة الفرث فمبناه الوهم الفاسد المذكور انفا والا فاين موضع تولد
اللبن من محل الفرث ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق بما في الاسقا من معنى الاطعام اي
نطعمكم منها فينتظم الماكول منها والمشروب المتخذ من عصيرها ولا حاجة الى تقدير تتخذون
وتعلقه بنسقيكم يودي الى اخراج التمر والزبيب من الرزق الحسن ولا وجه له تتخذون منه سكرا
استيناف لبيان الاطعام وتذكير الضمير باعتبار جنس التمر ولما كان اللبن لا يحتاج الى معالجة
من اخبر عن نفسه تعالى بقوله نسقيكم ولما كان السكر والرزق الحسن يحتاج الى معالجة قال
تتخذون وانما قال منه لان منه ما لا يوكل لا محالة والسكر مصدر سمي به الخمر وقيل السكر النبيذ
ورزقا حسنا كالتمر والزبيب والدبس والخل ونحوها وفي عطفه على سكرا تعريض بكراهة الخمر
فانه ليس بحسن ورمز الى ان السكر وان كان حسنا فهو مما يحسن اجتنابه وهذا على ما قالوا ان الاية
نازلة قبل تحريم الخمر وقيل لما ميز السكر من الرزق الحسن قال اكثر الصحابة رضي الله عنهم لو كانت
فيها لم تميز عن الرزق الحسن فامتنعوا عن شربها ونزول الاية قبل تحريمها لا ينافي كونها جامعة
بين العتاب والمنة فان المنافي لاباحتها هو العتاب في الاخرة لا العتاب في الدنيا الذي مرجعه
النهي الارشادي ان في ذلك لاية لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالنظر والتامل في
الايات ولما قال في بدء الكلام لعبرة ناسب ختمه بيعقلون لانه لا يعتبر الا ذو العقول واوحى
ربك الى النحل الايحاء الى النحل الهامها وابداعها علما دل عليه حذاقتها في صنعتها وتدبير امرها
وترتيب مراتب عسلها ان اتخذي من الجبال بيوتا بان اتخذي ويجوز ان يكون ان مفسرة
لان في الايحاء معنى القول وتانيث الضمير لان النحل جمع نحلة ومن الشجر ومما يعرشون
ما يعرش الناس ويرفعونه من سقوف البيوت وانما ذكر بحرف التبعيض لانها لا تتخذ في كل جبل
وكل شجر وكلما يعرشون ولا في كل مكان منها ولبس المراد من بيتها ما تبنيه لتعسل فيه كما توهم من
قال سمي ما تبنيه لتعسل فيه بيتا تشبيها بالذي بناه الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة
القسمة التي لا يقوى عليها حذاق المهندسين الا بالات رقيقة وانظار دقيقة ولعل ذكره للتنبيه
على ذلك بل ما تتخذ من الجبال وكواها وفي متجوف الاشجار وفيما يعرش ابن ادم من السقوف

ثم كلي فيه ارشاد الى العمل فانها تسوي اولا ثم تاخذ في الجرس للعسل من كل الثمرات
كل للتكثير كما في قوله واوتيت من كل شيء ومن لابتدا الغاية فاسلكي سبل ربك التي الهمك
راجعة الى بيوتك لا تضلين فيها فانها ربما ابعدت في طلب بغيتها الى مواضع بينها وبين بيوتها
فراسخ ذللا جمع ذلول وهو حال من السبل اي مذللة ذللها الله تعالى وسهلها لك
يخرج من بطونها التفات من خطاب النحل الى الغيبة تصريفا للخطاب الى الناس لان الغرض
الامتنان بالنعمة الجسيمة الجامعة بين الغذاية والدوائية واللذة والشفا عليهم والاعتبار
بحالها العجيبة ولطف صفتها التي تبهر العقول والاستدلال بها على قدرة الصانع وكمال علمه
وحكمته شراب يعني العسل لانه مما يشرب وفيه دلالة على ما هو المختار عند المحققين
من ان النحل تاكل الازهار والاوراق العطرة فيستحيل في بطنها ثم تقي ادخارا للشتا ومن
زعم ان العسل نباتي محض وقال انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق
والازهار وتضعها في بيوتها ادخارا لزمه ان يجعل البطون مستعارة لافواه النحل ويكون الاكل
ترشيحا لها مختلف الوانه ابيض واحمر واصفر وازرق بحسب لون النور او سن النحل
فيه شفاء للناس لانه في الاغذية الدوائية وقل معجون لم يقع فيه وانما نكر شفا لان فيه
شفا ما لبعض الامراض لا لكلها او لتعظيم الشفا الذي فيه ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون
فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم
قطعا انه لا بد من قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه والله خلقكم ثم يتوفاكم باجال
مختلفة ومنكم من يرد يعاد عطف على محذوف تقديره ومنكم من تعجل وفاته ومنكم من
يرد الى ارذل العمر اخسه يعني الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان العقل والقوة
لكيلا يعلم بعد علم شيا الى حالة شبيهة بحالة الطفولية في النسيان وسوء الفهم كي مصدرية
ناصبة بنفسها الفعل بعدها وهي ومنصوبها في تاويل المصدر مجرورة باللام التعليلية
المتعلقة بيرد ان الله عليم بمقادير اعمارهم قدير يميت الشاب القوي ويبقي الشيخ
الضعيف وفيه دليل على ان تفاوت اجال الناس بتقدير قادر حكيم واما انه لا دخل فيه
للاستعداد واقتضا الطبع وسوء التدبير فلا دلالة عليه والله فضل بعضكم على بعض
في الرزق تقديم اسم الله تعالى للتخصيص اي الله تعالى فضل دون غيره بان جعلكم متفاوتين
في الرزق فما الذين فضلوا اي جعل رزقهم افضل من رزق غيرهم برادي رزقهم
معطي رزقهم على ما ملكت ايمانهم على مماليكهم فهم فيه سواء اي هم اخوانهم وامثالهم
فحقهم ان يساووهم في ذلك فان الله رزقهم فيسووهم بانفسهم في الماكل والملبس فالجملة
لازمة للمنفية ومقررة لها ويجوز ان تكون واقعة موقع الجواب كانه قيل فما الذين فضلوا
برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فيستووا في الرزق على انه رد وانكار للمشركين لانهم فيما

يشركون بالله تعالى بعض مخلوقاته في الالوهية ولا يرضون ان يشاركهم عبيدهم فيما
انعم الله تعالى عليهم فيساووهم فيه افبنعمة الله يجحدون اي تلك التسوية شكر نعمة
الله فاذا لم تسووهم بانفسكم في ذلك فذلك هو كفران النعمة او فما المفضلون في الرزق
برادي رزقهم على مماليكهم فان رزقهم ما ياكلونه بل نحن نرزق المماليك كما نرزق الموالي
فهم ان الموالي والمماليك سوا في رزق الله فلا يحسبن الموالي انهم يرزقونكم فانه رزق اجريته
اليهم افبنعمة الله يجحدون حيث ينسبون رزق مماليكهم الى انفسهم لا الى الله ويجحدون انه
من عند الله والنافي بنعمة الله لحمل الجحود على الكفر حمل النظير على النظير وعلى الوجه الاول فما الذي
فضله جملة توبيخية والهمزة الداخلة على الفا التبعيضية وتقديم بنعمة تقريري للتوبيخ والانكار
لفعلهم اي ابعد علمهم بان الله هو الرزاق ووضوح دلايل ذلك بنعمة خاصة يكفرون جاحدين
لها وعلى الوجه الثاني التوبيخ والانكار انما يكون في الجملة الاخيرة بالاصالة لا فيما قبلها
والله جعل لكم من انفسكم ازواجا اي من جنسكم لتانسوا بها ولتكون اولادكم منهن امثالكم
وجعل لكم من ازواجكم لم يقل منها لاحتمال العود الى الانفس بنين وحفدة جمع حافد
وهو الذي يسرع في الخدمة والطاعة قيل المراد منهم البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين
وقيل هم البنات وفيه اي في التعبير عنهن بالحفدة دون البنين والبنات تنصيص على وجه
الامتنان بالبنات وهو انهن يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات من حيث
انهن وصلة بالاجانب نعمة جليلة وقيل هم الربايب ويح يظهر وجه الاحتياج الى قوله من
ازواجكم واما الحمل على اولاد الاولاد فيابياه تخصيص البنين بالذكر فانه يرجح حقه التعميم اولا
اولا ابينا ورزقكم من الطيبات بعضها لان كلها انما يكون في الجنة والمراد الاطعمة
الشهية افبالباطل يؤمنون وهو ان الاصنام تنفعهم او ان من الطيبات ما يحرم عليهم
كالبحاير والسوايب وبنعمة الله هم يكفرون حيث اضافوها الى غيره تعالى وحرموا ما
احله لهم واقحامهم بين قوله بنعمة الله ويكفرون التقوية المعاضدة للتوبيخ والانكار بالهمزة
الواردة على التعقيب اي ابعد وضوح دلايل بطلان ما يعتقدونه يؤمنون بذلك الباطل
ويجوز ان يكون الايهام للتخصيص مبالغة وكذلك تقديم الباطل وبنعمة الله على ما تعلقتا
به ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا من مطر ونبات
وهو مفعول رزقا ان كان بمعنى المصدر وبدل منه ان كان بمعنى المرزوق ويجوز ان يكون
مصدرا ليملك للتاكيد اي ما لا يملك رزقا ما شيئا من الملك من السموات والارض صلة
للرزق ان كان مصدرا او صفة له ان كان اسما والتنكير في رزقا وشيئا للتحقير والتقليل
وفي ابدال شيئا من رزق تعليل اخر وفي ايراد ما دون من تحقير اخر وفي التقييد بقوله في السموات والا
مبالغة في نفي ملك الرزق عنها اي ما لا يملك لهم رزقا ما في جهة من جهات العالم ولا في مكان

رض

وفطر

وقطر منه ولا يستطيعون والضمير لما انه في معنى الالهة وهو من الافعال التي لا يقدر لها
مفعول ويحتمل مطلقة كالفعل اللازم والمراد نفي الاستطاعة المطلقة اي لا يملكون ان يرزقوا
ولا استطاعة لهم اصلا لانهم موات وان قدر المفعول لدلالة القرينة وهي مفعول الملك عليه
فالمراد بالجمع بين نفي الاستطاعة والملك جميعا التوكيد او نفي الوقوع وامكانه اي لا يملكون
الرزق ولا يمكنهم ان يملكوه ويجوز ان يكون الضمير للكفار اي ولا يستطيع هؤلاء الكفرة مع
انهم احيا متصرفون عقلا شيئا من الرزق فكيف بالجماد الذي لا حراك به ولا حس فلا
تضربوا لله الامثال نهي عن الاشراك بالله في التشبيه على طريق التمثيل لان من يضرب
المثل مشبه حالا بحال وقصة بقصة فجعل ضرب المثل مثلا للاشراك للتشبيه فكانه قيل ولا تشركوا
بالله وعدل الى المنزل دلالة على التعميم في النهي عن التشبيه وصفا وذاتا وفي وصف الامثال
لمن لا مثال له اصلا نعي عظيم عليهم بسوء فعلهم وفيه ادماج ان الاسماء توقيفية لدلالة الفا
وعدم ذكر ضرب المثل منهم سابقا ان الله يعلم تعليل للنهي عن الشرك ووعيد عليه اي انه
يعلم قبح ما تفعلون وكنهه وعظمه فهو معاقبكم عليه بما يوازيه في العظم وانتم لا تعلمون
كنه ذلك وكنه عقابه فلذلك اجترأتم عليه ويجوز ان يراد بقوله فلا تضربوا الخ ظاهره
وهو النهي عن ضرب الامثال لله ويكون معنى التعليل ان الله وحده يعلم كيف يضرب المثل
له وانتم لا تعلمون ذلك وكانه اريد المبالغة في ان لا يلحدوا في اسمائه تعالى وصفاته فانه
اذا لم يجز ضرب المثل والاستعارة يلغى فيها شبه ما والاطلاق بتلك العلاقة كاف فعدم
الاطلاق جواز الاسما من غير سبق تعلم منه تعالى واثبات الصفات اولى واولى وعلمهم كيف
يضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء
عبدا بدل من مثلا ومن رزقناه منا رزقا حسنا من موصوفة عطف على عبدا او موصولة
فهو ينفق منه سرا وجهرا مثل ما اشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف مطلقا ومثل ذاته
تعالى بالحر الذي رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء وقيد العبد عن المملوك
ليمتاز عن الحر فان العبد قد يطلق على الحر باعتبار انه عبد الله تعالى وبقوله لا يقدر على شيء
ليخرج عنه المكاتب والماذون فانهما يقدران على شيء ولا دلالة فيه على ان المملوك لا يملك لانه
لم يجعل قسيما للمالك الا بعد التقييد بقوله لا يقدر على شيء والاصل في القيود الاحتراز بل المخالف
كمالك على ما قيل ان يتمسك به بناء على هذا الاصل هل يستوون اي هل تستوي الاحرار والعبيد
فاذا كان هذان لا يستويان عندكم مع كونهما من جنس واحد ومشتركين في الانسانية فكيف
تشركون بالله تعالى وتسوون به من هو مخلوق له ومقهور بقدرته الحمد لله كل الحمد
له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم كلها بل اكثرهم لا يعلمون فيضيفون
نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها وكلمة بل رد لما زعموه من استحقاق الاصنام للعبادة والشكر

وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ اَحَدُهُمَا اَبْكَمُ اي لانفع فيه من جهة القول وقد سبق بيان معنى ابكم والفرق بينه وبين الخرس لا يقدر على شئ فلا نفع فيه من جهة الفعل ايضا وهو كل على مولاه مع ذلك هو ثقل وعيال على من يلي امره يقوله اينما يوجهه حيث ما يرسله مولاه في امر لا يات بخير بنجح ونفع والتنكير للتقليل هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل ومن هو منطيق فهيم ذو كفاة ورشد يامر الناس بالعدل لكونه جامع الفضايل كلها وهو على صراط وهو في نفسه على طريق مستقيم وذي قويم اي كامل مكمل كرر التمثيل لزيادة الكشف والايضاح ونصوص امتناع الاشتراك والتشبيه في الصورتين المحسوستين ليتمكن في نفس السامعين واحتج في كل واحد من المثلين بامتناع الاشتراك والتسوية بين الاصنام التي هي اخس المخلوقات واعجز وبين الله تعالى الواجب بذاته الخالق القادر على الاطلاق ولله غيب السموات والارض اي يختص به تعالى علم ما غاب فيهما عن العباد وقيل يوم القيمة فان علمه غايب عن اهل السموات والارض وعلى هذا يكون العدول عن الضمير في قوله وما امر الساعة اي امر قيامها في سرعة وقوعه الى الاسم الظاهر لما فيه من التفويت للخبر الا كلمح البصر الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها تمثيل لامر اي الوقوع غير زماني باقل ما يمكن ان يدرك من الزمان ولهذا قال او هو اقرب اي اسرع واقصر زمانا بان يكون في مقدار نصف تلك الحركة او في ان ابتدا تلك الحركة لان الله تعالى يحيي الخلايق دفعة واحدة وما هو دفعي الوجود يكون حدوثه في آن واو بمعنى بل ان الله على كل شئ قدير يقدر على ان يقيم الساعة ويبعث الخلايق في اسرع وقت كما قدر على احيايهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم بيان لعجزنا في الابتدا يعني لم تكونوا قادرين بانفسكم على الخروج فانا اخرجتكم كما ان قوله لا تعلمون شيا بيان لجهلنا فيه في موضع الحال اي غير عالمين وفيه دلالة على ان حركة الجنين غير ارادية وجعل لكم السمع والابصار خصهما بالذكر والمراد جميع الحواس لانهما اشرفهما والاعتبار والاستدلال بدركهما اكثر كما خص الصلوة والزكاة في مواضع من القران بالذكر والمراد جميع الحيوانات لانهما اصلها وتقديم السمع لانه اعم نفعا واتم حيث يحصل به العلوم النقلية التي لا يتطرق فيها الغلط والافيدة اي انعم عليكم بهذه الالات والقوى لتدركوا بالحواس المشاعر الجزئيات وتنبهوا بالافيدة لكلياتها فيحصل لكم العلوم البديهية وتقتدروا على اكتساب النظريات بها والافيدة من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة اذا لم يرد في السماع غيرها لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا نعمه الظاهرة والباطنة بالعمل بتلك العلوم فترثوا العلوم الكشفية كقوله عليه السلام من عمل بما علم ورثه علم ما لم يعلم فتكملوا وتستعدوا وانما ذكر آلة العلم في مقام الامتنان والحث على الشكر دون آلة القدرة تعظيما للعلم وتنبيها على ان المقصود من خلق بني آدم بل من ايجاد العالم هو العلم علم من قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون

اي ليعرفون وقوله صلى الله عليه وسلم كنت كنزا فاحببت ان اعرف الحديث الم يروا الى الطير جمع طاير مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة وهيئها من الاسباب الموافقة لذلك في جو السماء في الهواء المرتفع من الارض وفي اضافته الى السما اظهارا لجهة لطافته تقوية لمعنى التسخير ما يمسكهن فيه الا الله فان ثقل اجسادها يقتضي السقوط ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها يمسكها فلا ممسك الا الله تعالى بقدرته ان في ذلك لايات تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو في الهوا بحيث يمكن الطيران فيها وامساكها مع ما فيها من الثقل في الهوا مع غاية لطافته على خلاف طبعها لقوم يؤمنون خصهم بتلك الايات لانهم هم المنتفعون بها والله جعل لكم من بيوتكم التي تبنونها من الحجر والمدر سكنا فعل بمعنى مفعول وهو ما يسكن فيه او اليه من مسكن او ما لف وانما اعاده لان الامتنان هنا بنوع اخر من النعم من جلود الانعام بيوتا التنكير للتنويع اي نوعا غريبا منها وهي القباب المتخذة من الادم ولا حاجة الى ان يتكلف في تعميمها المتخذة من الوبر والصوف والشعر لاندراجها فيما ياتي بعيد هذا تستخفونها تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها يوم ظعنكم الظعن بفتح العين وتسكينها الارتحال ويوم اقامتكم وقت نزولكم واقامتكم في مسايركم لم تثقل عليكم ضربها ونقضها او يوم قراركم في منازلكم والاول اولى ان ظهور المنة في خفتها في السفر اتم واظهر ومن اصوافها واوبارها واشعارها الصوف للضان والوبر للابل والشعر للمعز لانه اكثر استعمالا في السفر والحضر اثاثا اي امتعة وثيابا تصلح للحضر والسفر منها ما يلبس ومنها ما يفرش ومنها ما ينصب كاخبية الشعر واللبود ومتاعا المتاع ما ينتفع به ويتجر فيه الى حين الى ان تبلى وتفنى او الى ان تقضوا منه اوطاركم والتنوين للتعظيم والاشارة الى انها تبقى مدة مديدة او للابهام لانه غير معين اي مدة ما من الزمان غير معلومة والله جعل لكم شرع في الامتنان بنعمة خالصة عن شوب الكسب ولهذا اعاد الاسناد الى الاسم اسم الله تعالى مما خلق في السماء كالسحاب المظلم على ما ذكر في قوله تعالى وظللنا عليكم الغمام او في الارض كالجبل والشجر ظلالا ما يستظل به لما كانت بلاد العرب غالبا عليها الحر المفرط امتن عليهم بما يتقون من حر الشمس وفيه نوع تمهيد لتخصيص الحر بالذكر فيما سياتي وجعل لكم من الجبال اكنانا مواضع تكنون بها من الكهوف والغيران اذ الانسان اما مقيم او مسافر والمسافر غني يستصحب معه ما يستظل به ويكن به او فقير لا يقدر عليه فامتن على الاول بقوله جعل لكم من بيوتكم سكنا وعلى الثاني بقوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا وعلى الثالث بقوله وجعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم سرابيل من القطن والكتان والصوف جمع سربال قال الزجاج كلما البسته فهو سربال تقيكم الحر اقتصر عليه لكون البرد في بلادهم يسيرا محتملا او اكتفى باحد الضدين عن الاخر وتخصيصه بالذكر لما اشير اليه من

وجعل لكم

اي ليعرفون

كون وقيانه الجراهم عندهم وسرابيل تقيكم باسكم يعني الدروع والجواشن كذلك
كاتمام هذه النعم التي تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون تنظرون في نعمه الفايضة
عليكم فتؤمنون به وتنقادون له وقرئ تسلمون بفتح التاء من السلامة اي تشكرون نعمه فتسلم
من نقمه او تسلم قلوبكم من الشرك او تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا يحتمل ان يكون
ماضيا على الالتفات اي فان اعرضوا عن الاسلام ويحتمل ان يكون مضارعا اي فان تتولوا وحذف
التاء فيكون جاريا على الخطاب السابق فانما عليك البلاغ المبين اي فلا يضرك فانما عليك
البلاغ بسبب العذر وكونه معذورا كناية عن عدم التقصير من جهة الرسالة يعرفون نعمة الله
يعرفون المشركون نعمة الله من التي عددناها وغيرها حيث يعترفون بها وانها من الله تعالى
ثم ينكرونها بعبادة غير المنعم بها وبقولهم هي من الله لكن بشفاعة الهتنا او بنسبتها الى من
اجراها الله تعالى على يديه وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات ثم انكروها
عنادا وثم لاستبعاد الانكار بعد المعرفة واكثرهم الكافرون الجاحدون عنادا وانما
قال اكثرهم لان فيهم من لم يكن معاندا بل جاهلا لم يعرف الحق لنقصان عقله او تفريطه
في النظر او لانهم من لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف وعلى هذا يكون الكافر على اطلاقه
وعلى كلا التقديرين لا مساغ لحمل الاكثر على معنى الكل ويوم نبعث من كل امة شهيدا يشهد لهم
وعليهم بالايمان والكفر وهو نبيهم ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار اذ لا اعتذار لهم
قد دل بانتفاء الاذن على انتفاء العذر ثم مستعار لغاية البعد بين بليتهم بشهادة الرسل عليهم
وبين بليتهم بانتفاء الاذن بالكلام لما فيها من الاقناط الكلي عن العفو والغفران بالمنع من
الاعتذار والادلاء بحجة او شبهة ولا هم يستعتبون الاستعتاب طلب الرضا وازالة
الغضب من العتبى وهو الرضا اي لا يطلب منهم ارضا الرب لان الاخرة دار الجزاء لا دار العمل
ويوم منصوب بمحذوف اي ويوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه او كان مما لا يدخل تحت الوصف
او واذكر يوم نبعث وكذا واذا راى الذين ظلموا العذاب اي حاق بهم ما حاق او شق عليهم
ونحو ذلك . فلا يخفف عنهم اي العذاب ولا هم ينظرون اي يمهلون واذا راى الذين
اشركوا شركاءهم اوثانهم التي دعوها شركا او الشياطين الذين شاركوهم بالكفر بالحمل عليه
قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بكونهم
مخطئين في ذلك او التماس بتشطير عذابهم فالقوا اليهم القول اي اجابوهم بقولهم
انكم لكاذبون في انا شركا الله او في دعوى عبادتنا ولا يمتنع انطاق الله تعالى الاصنام به
وفي انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه كقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لي والقوا والقى الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد
الاستكبار في الدنيا وضل عنهم ضاع عنهم وبطل ما كانوا يفترون من انهم شركاء الله تعالى

وانهم

وانهم يشفعون لهم وينصرونهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
منعوا عن الاسلام وحملوا على الكفر زدناهم عذابا فوق العذاب المستحق بكفرهم بما
كانوا يفسدون بكونهم مفسدين ويوم نبعث من كل امة شهيدا يعني نبيهم من انفسهم
من جنسهم ومن وهم ان نبي كل امة كان منهم فقد وهم وهذا القيد لم يذكر فيما سبق لدلالة
من عليه وجيناك يا محمد شهيدا تشهد على صدق هؤلاء الشهداء بعلمك
بعقايدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم واما كونه عليه السلام شهيدا على هؤلاء الامة
فقد علم مما تقدم ونزلنا عليك الكتاب استئناف او حال باضمار قد تبيانا بيانا بليغا
لكل شيء عبارة كل للتكثير والتفخيم لا للاحاطة والتعميم كما في قوله تدمر كل شيء وما قيل
من امور الدين على التفصيل والاجمال بالاحالة الى السنة والقياس فيأباه ما في التبيان
من المبالغة في البيان ثم ان قوله من امور الدين تخصيص لا يساعده الكلام ولا يقتضيه
المقام وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين متعلق ببشرى ومن حيث المعنى متعلق بهدى
ورحمة ايضا لقوله تعالى هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ان الله يامر
بالعدل اعتقادا بالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب بين محض
الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر المتوسط بين المداهنة والعنف في الامور الدينية وخلقا كالتواضع المتوسط
بين الضعة والتكبر والجود المتوسط بين البخل والتبذير والقناعة المتوسط بين الحرص و
القعود عن طلب الضروري من المعاش ولما كانت مراعاة العدالة في غاية الصعوبة شفعه بقوله
والاحسان ليتدارك به ما فات من العدالة احتياطا فان العدل هو القيام بالواجب
في كل شيء والاحسان هو الندب والانحراف عن سمت العدالة الذي هو الطريق المستقيم الى
احد الجانبين قد يكون الى جانب التفريط احسن وقد يكون الى جانب الافراط فالاحسان هو الاتيان
بالحسن والمحافظة على جانبه كالميل الى التنزيه في الاعتقاد والتطوع بالنوافل في الاعمال
باعتبار الكمية والزيادة في الاخلاص بالاخفا باعتبار الكيفية والميل الى الصلابة التي هي الحمية
الدينية في الشجاعة والى العفو بالصفح دون الانتقام فيما يتعلق بحق نفسه فيها والى الافراط
في الجود والى التفريط في كلما سواه من خصال العفة وهذا نهي عن الافراط في متابعة الشهوة وهي
الفحشا وايتاء ذي القربى واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد التعميم
للاهتمام تنبيها على فضل هذه الخصلة من بين خصال العدل والاحسان وكذا الرذايل الثلاث
المذكورة بعدها فان النهي عنها داخل في الامر بالعدل وخصصت بالذكر والنهي عنها بالانفراد
للتنبيه على قبحها وكونها في غاية الرذالة الا ترى ان البغي هو الظلم المنافي لصريح العدل فلا
يفيد ذكره الا التاكيد والمبالغة في التحذير وينهى عن الفحشاء عن الافراط في متابعة القوة

الشهوانية كالزنا والحرص والمنكر اي ما ينكر شرعا او عقلا من افراط القوة الغضبية
والبغي اي الاستعلاء والتجبر على الناس والاستيلاء وهو من تسلط القوة الوهمية على العاقلة
الذي يتولد منه الشيطنة فتارة يغلب الغضب ويحدث الاستكبار وتارة يميل الى الافراط في آ
الحكمة فيحدث الجربزة والمكر والنفرعن وتارة تغلب الشهوة فتورث النهب وسلب الاموال وغصب
حقوق الناس وكلها ينافي العدالة ولا يوجد من الانسان شر الا وهو داخل في هذه الاقسام
الثلثة بتوسط احدى هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه ولم يكن في
القران الا هذه الاية لكفى به تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ولا مرما عقب قوله
ونزلنا عليك الكتاب يعظكم بالامر والنهي والميز بين الخير والشر حال من فاعل يامركم ومن
مفعول او منها جميعا او خبر ثان لان لعلكم تذكرون تتعظون تتعظون واوفوا بعهد الله
هي البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام في قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون
الله اذا عاهدتم اي اثبتوا على ما عاهدتم الله عليه وبايعتم به رسوله بالايمان التي تحلفون
ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها اي لا تنكثوها بالحنث بعد احكام عقدها على انفسكم
بذكر الله تعالى وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا ورقيبا لان الكفيل شاهد لحال المكفو
به رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون في نقض الايمان والعهود وفيه وعيد ولا تكونوا
كالتي نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت اي نقضت
غزلها بعد ما ابرمته واحكمته انكاثا طاقات نكث فتلها جمع نكث وهو ما نقض فتله
وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثاني لنقضت لتضمنه معنى صيرت ولا يجوز انتصا
على المصدرية لان النكث اسم لا مصدر والمراد تشبيه الناقض بمن هذا شانه وهي ريطة
بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت خرقا تفعل ذلك تتخذون ايمانكم دخلا بينكم
حال من الضمير في ولا تكونوا دخلا ثاني مفعولي تتخذ اي تتخذونها دخلا اي مفسدة وغدرا
واصله ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان تكون بسبب ان تكون امة اي جماعة قريش
امة هي اربى ازيد عددا واوفر مالا من امة اي جماعة المؤمنين انما يبلوكم الله به
الضمير لقوله ان تكون لانه في معنى المصدر اي انما يختبركم بكونهم اربى لينظر اتوفون بعهد الله
وما عقدتم على انفسكم من ايمان البيعة لرسول الله وتتمسكون به ام تغترون بكثرتهم
وثروتهم وتخافون من قلة المؤمنين وفقرهم فتنقضون كانت قريش ذا ارا وشوكة وقوة
في اعادي حلفائهم غدروا وخالفوا اعدائهم لنهي المؤمنين عن عادتهم في الغدر وليبينن
يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب اندارو عيد
عن مخالفة ملة الاسلام ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن
يضل من يشاء بالخذلان ويهدي من يشاء بالتوفيق ولتسالن عما كنتم تعملون

سؤال

سؤال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي وتكرير له تاكيدا عليهم
واظهارا لعظم المنهي عنه ومبالغة في قبحه ولهذا وحد قدم ونكر في قوله فتزل قدم
والمراد فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها تنبيها على ان زلل قدم واحد
عظيمة من عظائم الذنوب فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء العذاب في الدنيا بما
صددتم عن سبيل الله بسبب صدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة
وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم في الاخرة ولا تشتروا بعهد الله ثمنا
قليلا قد سبق تفسيره والمراد هنا من الثمن القليل ما يعده قريش لضعفاء المسلمين ويشرطون
لهم على ارتدادهم انما عند الله من نصركم وتغنيكم في الدنيا والثواب الجزيل في الاخرة هو
خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون اي كنتم من اهل العلم والتمييز ما عندكم
من اعراض الدنيا ينفد وينقص وما عند الله من الثواب الموعود المدخر في خزائنه
لكم باق لا يزول وهو تعليل للحكم السابق ودليل على ان نعيم الجنة باق ولنجزين الذين
صبروا اجرهم على اذى الكفار ومشاق التكاليف ومرارة الفاقة باحسن ما كانوا يعملون
مما يرجح فعله على تركه مما فعلوه كالواجبات والمندوبات ومما يرجح تركه على فعله مما تركوه كالحرام
والمكروهات والتعبير بالعمل عن الكل للتنبيه على ان الترك انما يثاب عليه اذا قارنه عمل
القلب وهو النية والقصد الى الامتثال بالانتهاء عما نهي عنه وفي عبارة الصبر نوع اشارة
اليه في الاية دلالة على ان المباح حسن وانه لا يثاب عليه وعبارة كان للدلالة على ان المباح لا
يستحق الاجر وان وجد لا استمرار عليه فكيف ان وجد نادرا من عمل صالحا من ذكر او انثى
بين من الابهامية وكونه ظاهرا في الذكور لم يبين فبشر بها التعميم الموعد وانما قال وهو مؤمن
اذ لا اعتداد باعمال الكفرة لا في استحقاق الثواب ولا في تخفيف العقاب لانها تجعل هباء
منثورا بدلالة نص الكتاب هذا ما عندي والله اعلم بالصواب ثم العمل الصالح لا يكون الا كمومن
فزيادة القيد المذكور لبيان ان المعنى عمل صالحا في الحال وهو مؤمن في المال لان اعتبار صفاء
الحال بوفاء المال والامور بخواتيمها فلنحيينه حياة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا لانه
المومن الصالح ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة
وتوقع الاجر العظيم في الاخرة والفاجر بالعكس فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا فلا
يدعه الحرص وخوف العواقب ان يتهنا بعيشه وانما قلنا انه في الدنيا لدلالة قوله ولنجزينهم
اجرهم باحسن ما كانوا يعملون يعني في الاخرة عليه وليس بتكرار لان الاول في حق الذين
عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحفظوا عهودهم والثاني في حق كل من امن وعمل صالحا
فاذا قرات القران اذا اردت قراءته واطلاق الفعل على ارادته من قبيل اطلاق المسبب على السبب
مجاز الملابسته له ولزومه اياه غالبا ودليل المجاز السنة المستفيضة واما الفاء فلا دلالة فيها

عليه انماد لانها على تاخير المعني المراد بمدخولها عن المرا المعني المراد بقرات واجماعهم على صحة
هذا المجاز قد دل على ان وجود القرينة المانعة عن ارادة الحقيقة ليس بشرط فيها فاستعذ
بالله من الشيطان الرجيم فاسئل الله تعالي ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك في
القراة والجمهور على انه للاستحباب ولا دلالة فيه على ان المصلي يستعيذ في كل ركعة بناء على
ان الحكم المترتب على الشرط يتكرر بتكرره لان ما يقع في خلال الصلوة من القراآت في حكم قراة
واحدة ولهذا لا تستحب الحمدلة والبسملة عند الشروع لكل فعل من افعال الصلوة قيل تعقيبه
لذكر العمل الصالح والوعد عليه ايذان بان الاستعاذة عند القراة من هذا القبيل ولا يذهب
عليك ان الامر الاستحبابي اغنى عن هذا الايذان والاولي ان يقال استعيذ بالله ليوافق
القران ويقرب منه اعوذ بالله كذا قالوا ويرده ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال
قرات على رسول الله صلي الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالله العليم من الشيطان الرجيم فقال قل
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبرائيل عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له
سلطان تسلط وولاية على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون فانهم لا يطيعون اوامره
ولا يقبلون وساوسه الا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة ولما ذكرها
عقبها بسلب سلطانه لئلا يتوهم ان له سلطنة عليهم انما سلطانه على الذين يتولونه علي
من يتولاه ويطيعه دون غيره والذين هم به بالله تعالي او بسبب الشيطان مشركون لانه
هو الذي حملهم على الاشراك بالله واذا بدلنا اية مكان اية نسخنا اية باية فجعلنا الناسخة
مكان المنسوخة لفظا او حكما والله اعلم بما ينزل في شان المصالح فان الشرع صلاح حال
العباد بحسب المعاش والمعاد وما يكون مصلحة في وقت يصير مفسدة في وقت اخر وبالعكس
والله اعلم بمصالح الجمهور منهم فينزل في كل وقت ما هو صلاح ذلك الوقت وينسخ به مكان
صلاح ذلك الوقت الماضي وقد تغير في الوقت الاتي الي المفسدة فوجدوا مدخلا للطعن لجهلهم
بحكمة النسخ قالوا اي الكفرة انما انت مفتر متقول على الله تامر بشي ثم يبدو لك
فتنهي عنه نسبوا اليه عليه السلام الافترا بانواع من المبالغة وهي التغليظ وهي جواب الحصر
والخطاب واسم الحصر الدال على الثبوت والاستمرار به وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل
اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا بل اكثرهم
لا يعلمون بل اضراب عن الافترا الذي نسبوه اليه وما بعده تاكيد للاعتراض والتوبيخ
بانهم جاهلون بحكمة الاحكام لا يميزون بين الصواب والخطا ولعلما قال اكثرهم لان منهم من
يعلمها لكن ينكرها عنادا قل نزله روح القدس جبرائيل اي الروح المطهر من الالواث
البشرية واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كاضافة حاتم الي الجود في قولهم حاتم الجود للمبالغة
في ذلك الوصف كانه طبع منه وفي ينزل ونزله من معني التدريج في الانزال على حسب المصالح

مايشعر بان التبديل انما هو لرعاية المصالح التي فاتت لو انزل دفعة من ربك الحق ملتبسا
بالحكمة ليثبت الذين امنوا باعتقاد ان الحق من ربهم فانهم اذا لم يتشوش اعتقادهم
بالنسخ وتيقنوا انه مقتضى حكمته وعلموا ان الناسخ هو الذي فيه صلاح الحال دون النسخ
ثبتت اقدامهم ورسخت عقايدهم واطمانت قلوبهم وهدي وبشري للمسلمين المنقادين
لحكمه وهما مفعول لهما معطوفا على محل ليثبت اي تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض
لحصول اضداد هذه الخصال لمن سواهم من الكفار ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر
ارادوا جبرا الرومي وقيل غيره لسان الذي يلحدون لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن
الاستقامة اليه يقال لحد والحد اذا مال عن القصد ومنه اللحد اعجمي غير بين وهذا
وهذا القران لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستانفتان رد القولهم
وابطالا لطعنهم وتقريره ان القران معجز بلفظه كما هو معجز بمعناه فان علمتم ان بشرا يعلمه
معناه فكيف يعلمه هذا الكلام الذي يدين له كل كلام عربي في البيان والفصاحة وهو عجمي
وطعنهم في القران بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على عجزهم ان الذين لا يؤمنون بايات
الله اي الذين يعلمهم الله منهم انهم لا يصدقون انها من عند الله تعالي لا يهديهم الله
الي الحق او الي سبيل النجاة في الدنيا ولهم عذاب اليم في الاخرة هددهم على كفرهم
بالقران بعدما اماط شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال انما يفتري الكذب
الذين لا يؤمنون بايات الله لانهم لا يخافون يردعهم عنه واوليك اشارة الى الذين
كفروا او الي قريش هم الكاذبون بالحقيقة الكاملون في الكذب لان التكذيب بايات
الله هو اعظم الكذب او الذين عادتهم الكذب لا يبالون في كل شي اذ لا يردعهم عنه مروة ولا
دين او الكاذبون في قولهم انما انت مفتر من كفر بالله بعد ايمانه بدل من الذين لا يؤمنون
وما بينهما اعتراض او من اوليك او من الكاذبون او مبتدا خبره محذوف دل عليه قوله
فعليهم غضب او منتصب بالذم او مرتفع على خبر مبتدا مضمر على الذم او من الشرطية محذوفة
الجواب دل عليه قوله الا من اكره على الافترا او كلمة الكفر استثنا متصل لان الكفر لغة
يعم القول والفعل كالايمان وقلبه مطمئن بالايمان لم يتغير عقيدته جملة حالية
ولا دلالة فيه على انحصار الايمان في التصديق القلبي ولكن من شرح بالكفر صدرا
اي وسعه لقبول الكفر مجاز عن الرضا وطيب الخاطر فعليهم غضب التنكير للتعظيم وقوله
من الله لتربيته لان الغضب من العظيم عظيم ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمهم
روي ان قريشا اكرهوا عمارا رضي الله عنه فاعطاهم بلسانه ما ارادوا مكرها ولما اتي رسول
الله صلي الله عليه وسلم وهو يبكي قال ما لك ان عادوا لك فعد لهم وهو دليل على جواز التكلم
بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل التجنب عنه اعزازا للدين ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان

او الوعيد بانهم بسبب انهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة اثروها عليها وان الله
لا يهدي القوم الكافرين وبان الله لا يهدي الى الايمان من حقت عليه الضلالة لعلمه منهم الكفر
هذا هو السبب الحقيقي والاول هو السبب العادي اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم
وابصارهم قد سبق تفسيره في سورة البقرة واولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة
الذين لا احد اغفل منهم لان غاية الغفلة ومنتهاها هي الغفلة عن تدبر العواقب لا جرم
قد سبق تفسيره انهم في الاخرة هم الخاسرون البالغون في الخسران اذ ضيعوا اعمارهم
وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا بالولاية والنصر
من بعد ما فتنوا اي عذبوا كعمار رضي الله عنه وثم مستعار لتباعد حال هؤلاء عن حال
اولئك ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما اصابهم على المشاق ان ربك من بعدها
من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا قبل رحيم بنعم عليهم مجازاة على ما
صنعوا بعد يوم تاتي كل نفس منصوب برحيم او باذكر تجادل عن نفسها عن ذاتها اي
كل شخص يسعى في خلاص نفسه لا يهمه شان غيره كل يقول نفسي والمراد بالمجادلة الاعتذار عنها
بمثل قولهم اضلونا ما كنا مشركين وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت وهم لا يظلمون
لا يعاقبون بغير ذنب واما نقص الاجر فلا احتمال له بعدا لتوفية وضرب الله مثلا قرية
جعل الله تعالى قرية هذه صفتها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فابدلهم
الله بالنعمة نقمة او لمكة خاصة كانت امنة مطمئنة لا يزعج اهلها خوف ياتيها رزقها
اقواتها رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها ولفظ كل للتكثير فكفرت بانعم الله
بنعمه جمع نعمة على الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس واختيار جمع القلة
للتنبيه بالادنى على الاعلى يعني ان كفران النعم القليلة لما اوجب العذاب فكفران النعمة
الكثيرة اولى به فاذاقها الله لباس الجوع والخوف لما تقدم ذكر الامن واتيان الرزق
بلهما بالجوع الناشئ عن انقطاع الرزق بالخوف وقدم الجوع لنفي المتاخر وهو اتيان الرزق
كما في قوله تعالى تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الاذاقة استعيرت
للاصابة وانما اوثرت عليها للدلالة على شدة التاثير التي تفوت لو استعملت الاصابة والعلاقة
المشابهة بين المدرك من اثر الضرر والمدرك من طعم المر والشبع واللباس استعير لما يغشى
الانسان من اثر الجوع والخوف والا لكان لباس الجوع تشبيها على حد لجين الماء وجه تبيين وجه
ايقاع الاذاقة على اللباس اذ المعنى فاذاقهم ما غشيهم من ضرر الجوع والخوف وبهذا التقرير
ظهر وجه ايثار التجريد على الترشيح لان الاذاقة تفيد ما لا يفيد الكسوة من زيادة التاثير
الموجبة لقوة الادراك واما ايثار اللباس على الطعم فللدلالة على الشمول وهذا اولى من
حمل اللباس على انتقاع اللون ورثاثة الهيئة اللازمين للجوع والخوف اذ ح تكون الاصابع

موقعا قرئ والخوف بالنصب عطفا على لباس او على حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه
اي ولباس الخوف بما كانوا يصنعون بصنيعهم الذي استمروا عليه جري ههنا على ما
هو المراد من القرية وفيما تقدم على ظاهر المجاز ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه يعني محمد
عليه السلام والضمير لاهل مكة عاد اليه ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم فاخذهم العذاب
ما اصابهم من الجدب الشديد او ضرب الحديد في حرب بدر وهم ظالمون في حال التباسهم
بالظلم فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا امرهم باكل ما احل لهم وشكر ما انعم عليهم بعد ما
زجرهم عن الكفر وهدد عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية
ومذاهبهم الفاسدة ومعنى الفاء في كلوا التسبب اي اذا نبههم على سوء صنيع اهل القرية
ووخامة عاقبتهم وذكرهم بالتمثيل فاعتبروا واتعظوا وخذوا وابعدوا مما انتم عليه من طريق
الجاهلية كي لا يحل بكم مثل ما حل بهم وجعل هذا الوصف ذريعة الى ما رتب عليه من تعداد نوع
اخر من قبايحهم وقد سبق في تفسير سورة البقرة ما يتعلق بهذا الكلام من وجوه الاعراب
وما في قوله طيبا من الفائدة الزائدة واشكروا نعمة الله اضافة النعمة اليه للتشريف
فان عبادته لا تتم الا بالشكر على نعمه فلا وجه لما قيل ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادته
لان مبناه على اعتبار التخصيص في الشرط المذكور ان كنتم اياه تعبدون وتقديم
المفعول للمحافظة الفاصلة اذ لا دخل لمعنى التخصيص في التعليل انما حرم عليكم الميتة
والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم
قد سبق تفسيره في سورة الانعام والمائدة لما امرهم بتناول ما احل لهم عدد عليهم
محرماته ليعلموا انما عداها حل لهم ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال
ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام كما قالوا في بطون هذه الانعام
خالصة لذكورنا الاية ومقتضى سياق الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات في الاجناس
الاربعة وقت نزول تلك الاية وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل
منه او متعلق بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصف السنتكم فتقولوا هذا
حلال وهذا حرام او مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية بمجرد قول نطق
به السنتكم من غير دليل وفي نصب الكذب بوصف الالسنة نوع من المبالغة بليغ ووجه من
الفصاحة جميل ومبالغة في وصف كلامهم بالكذب عظيمة وهو انه جعل قولهم كانه نفس الكذب
وحقيقته وكانت مجهولة فعرفته السنتهم بوصفها وحليتها وبينته بكلامهم هذا كقولهم
وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر ورد هذا الوجه الاخير بان النحاة نصوا على ان
المصدر المنسبك من ان والفعل لا ينعت لا يقال يعجبني ان تخرج السريع ولا فرق بين هذا
وباقي الحروف المصدرية وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب جمع الكذوب وكذاب

بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم او بمعني الكلم الكواذب لتفتروا على الله الكذب
تعليل لا يتضمن الغرض لما كان المفتري يفتري لتحصيل مطلوب نفي عنهم الفوز بقوله
ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لا يجدي عليهم افتراؤهم شيئا ثم بيّنه بقوله
متاع قليل اي منفعتهم فيما هم من الافعال الجاهلية والتحريم والتحليل منفعة قليلة
تنقطع عن قريب ولهم عذاب اليم في الاخرة وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك
اي في سورة الانعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر من قبل متعلق بقصصنا
او بحرمنا وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون فحرمنا عليهم ببغيهم
وهو قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وفيه تنبيه على الفرق بينهم
وبين غيرهم في التحريم وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة ثم ان ربك للذين عملوا السوء
يعم الافتراء وغيره بجهالة بسببها او ملتبسين بها وتنكيرها للابهام فتشمل عدم العلم بالله
تعالى وصفاته وعقابه وثوابه وعدم التدبر للعواقب بسبب الغفلة اللازمة للانهماك في الشهوة
ومتابعة الهوي في طلب اللذات ثم تابوا قد دل ثم بالتراخي لانها قد تستعار للتراخي في
الرتبة ولهذا زاد قوله من بعد ذلك السوء واصلحوا اي تابوا عنه وندم عليه وعزم
ان لا يعود اليه واصلح العمل في المستانف ان ربك من بعدها من بعد التوبة والاصلاح
فهو تكميل للتوبة لانها شيء اخر ولهذا لم تذكر في قوله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء
بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وانما اعيد ان ربك على سبيل التاكيد
لطول الكلام ووقوع الفصل لغفور لذلك السوء رحيم يثيب على الانابة المستتبعة
للعمل الصالح ان ابراهيم كان امة اي كان وحده امة لحصول الكمالات والفضائل التي
لا تكون الا متفرقة في امة كثيرة مجموعة فيه ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد
وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزائغة بالحجج
الدامغة ولذلك عقبه ذكره بتزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة والتحريم
ما احله الله تعالى اولانه عليه السلام كان وحده مؤمنا وسائر الناس كفارا وقيل هي فعلة
بمعني مفعول كالرحلة والنخبة من امّه اذا قصده واقتدي به فان الناس كانوا يؤمونه للاستفادة
ويقتدون بسيرته لقوله اني جاعلك للناس اماما قانتا لله مطيعا له قائما باوامره حنيفا
مائلا عن كل دين باطل الا مائلا الي دين الاسلام ولم يك من المشركين اي لم يكن منهم
وهذا في سياق النفي ابلغ من لم يشرك والمراد استمرار النفي لا نفي الاستمرار فمفهوم كان مقدم
على مفهوم لم في الاعتبار وانما نفي عنه عليه السلام الشرك على ابلغ وجه تكذيبا لكفار قريش في
زعمهم انه على ملة ابيهم ابراهيم عليه السلام وترغيبا لهم الي التوحيد ودين الاسلام شاكرا
يجوز ان يكون خبرا ثالثا او حالا من احد الضميرين في قانتا وحنيفا لانعمه انما جاء

بلفظ القلة للتنبيه على انه عليه السلام كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة هذا انما
بحسب جليل النظر واما بحسب دقيقه انه للتنبيه على صعوبة مقام الشكر بالاشارة الى عجز
عن الشكر للتكثير من نعمه تعالى فضلا عن الشكر لكلها وذلك انه عليه السلام مع جلالة قدره
لما كان قاصرا الا ان المقام مقام مدحه بما كان فيه من الاوصاف الكاملة فلولا القصور
عنه لكان المذكور على صيغة جمع الكثرة اجتباه اختاره واختصه لنفسه والاجتبا
هو ان ياخذ الشيء بالكلية واصله جمع الماء في الحوض وهو الجابية حال او خبر اخر لكان
وهداه الي صراط مستقيم ارشده الي طريق الحق واتيناه في الدنيا حسنة هو اسم جامع
لكل حالة جميلة فيتناول كل خصلة بعينه المذكورة في النصوص من الرسالة والخلة ولسان
الصدق وغير ذلك والعدول عن الغيبة الي التكلم للالتفات تعظيما لشانه وتفخيما لما
اعطاه وانه في الاخرة لمن الصالحين المستحقين لكل منزلة رفيعة ودرجة عالية في الجنة
لم يقل وجعلناه في الاخرة من الصالحين تنبيها على ان اثر ذلك لا يتأتى الا في امر اخر فتدبر ثم اوحينا
اليك ان اتبع ملة ابراهيم الخطاب لنبينا صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الي ان من اجل
ما اوتي خليل الله صلوات الله عليه واشرف ما اوتي من النعمة والكرامة اتباع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ملته من جهة ان ثم دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة عن سائر النعوت التي اثني
الله تعالى بها عليها وفيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلال محله ما لا يخفي
على الفطن وفي لفظ اوحينا ثم الامر باتباع الملة لا اتباع ابراهيم عليه السلام ما يدل على انه عليه
السلام ليس تابعا له بل هو مستقل بالاخذ عمن اخذ ابراهيم عليه السلام عنه وبهذا البيان اندفع
ما عسي ان يتبادر الي الفهم من انه عليه السلام كان دون ابراهيم عليه السلام ولذلك امر باتباع
واتضح وجه ايثار فبهداهم على فبهم في قوله فبهداهم اقتده والمراد من الاتباع الاتباع في اصول
الدين لا في فروعه لقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والملة ما شرعه الله تعالى لعباده على
لسان انبيائه عليهم السلام من امللت الكتاب اذا امليته حنيفا لما كان التوصيف بالحنيف
في مقام التعليل للامر بالاتباع كان في معني فانه مال عن الاديان الباطلة فعطف عليه قوله
وما كان من المشركين بل كان قدوة الموحدين انما جعل السبت فرض عليهم تعظيمه
والتخلي فيه وترك الصيد السبت مصدر سبتت اليهود اذا اعظمت سبتها على الذين اختلفوا فيه
على نبيهم وذلك ان موسي عليه السلام امرهم ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا وقالوا
نريد يوم السبت الذي فرغ الله تعالى فيه من خلق السموات والارض الا شرذمة منهم قد رضوا
بالجمعة فذلك اختلافهم في السبت فالزمهم وشدد الامر عليهم وذكرهم ههنا لتهديد المشركين كذكر
القرية التي كفرت بانعم الله تعالى وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون
اي يحكم للمتفقين بالثواب وللمبطلين بالعقاب تمييزا بينهم وفصلا لخصومتهم في محل الاختلاف

وهذا ظاهر في ان الاختلاف انما كان بين العاصين والمطيعين ويشهد لذلك ما في سورة
الاعراف من قوله واذ قالت امة منهم الاية فلا وجه لما قيل معناه انما جعل السبت هو المنع على
الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد تارة واحلوا اخرى واحتالوا له الحيل ادع حذف المفعول
للتعميم وفيه الاشارة الى بعثته العامة والتنبيه على فضله عليه السلام على من تقدمه من الرسل
وفيه تاييد للتدارك السالف ذكره الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة
الحكمة وهو الدليل القاطع الموضح للشبهة والموعظة الحسنة بالخطابيات الاقناعية
والعبر النافعة على وجه لا يخفى عليهم انك تناصحهم وتقصد بها ما ينفعهم والاولى لدعوة خواص
الامة الطالبين للحقايق والثانية لدعوة عوامهم وجادلهم وجادل معانديهم بالتي
بالطريق التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واختيار الوجه الايسر والطريق الاشهر
فان ذلك اشد تسكينا لشغبهم وتليينا لعريكتهم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو
اعلم بالمهتدين اي ما عليك الا الدعوة بهذه الطرق واما الهداية والمجازاة فليسا اليك
فان الله اعلم بهم فمن علم هدايته كفاه القدر اليسير من الحكمة ان كان مستعدا لها
والموعظة ان كان قابلا غير منكر والجدال الحسن الرقيق ان كان منكرا منصفا ولا حيلة في
ان كان معاندا فكل امره الى من هو اعلم به فانه يجازيه وانما قدم الضال لان الكلام وارد فيهم
والخطاب داير معهم وذكر مقابله بصيغة الفاعل لان الدوام والثبات يناسب حاله
وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به لما امره عليه السلام بالدعوة وبين له طرقها
اشار اليه والى من شايعه بمراعاة الحق مع الخلق ملازمة طريق العدالة مع من ناصبهم
لان الدعوة لا تخلو عن المناواة والمناصبة من حيث انها ترفع العادات وتبعث على رفع
المالوفات وتقدح في الاديان والمعتقدات وتحكم على اهلها بالكفر والضلالة روي ان
المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة رضي الله
عنه وقد مثل به فقال اما والذي احلف به لين اظفرني الله بهم لامثلن سبعين مكانك فنزلت
فكفر عن يمينه وفيه امر رخصة في المثلة بواحد ثم نسخت المثلة وفيه حث على العفو تعريضا
بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه الاكد بقوله ولين صبرتم لهو اي الصبر
خير للصابرين من الانتقام للمتقين ويجوز ان يرجع الضمير الى صبرهم ويراد بالصابرين
المخاطبون اي ولين صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرين موضع الضمير ثناء من الله تعالى
عليهم بانهم صابرون في الشدايد وفيه ارشاد الى انه ان صبرتم فهو شيمتكم المعروفة وفيه
ترغيب في الصبر بالغ ثم صرح الامر به لرسوله عليه السلام لانه اولى الناس به لزيادة علمه
بالله تعالى ووثوقه فقال واصبر ولما كان الصبر في هذا المقام شديدا شاقا ذكر بعده
ما يفيد سهولته فقال وما صبرك الا بالله الا بتوفيقه ومعونته ولما ذكر هذا السبب

الكلي الاصلي في حصول جميع الطاعات ذكر بعده ما هو سبب الجزاء القريب فقال ولا تحزن عليهم
ولا تكن في ضيق مما يمكرون وذلك لان الاقدام على الانتقام لا يكون عند هيجان الغضب
وهو اما الفوات نفع كان حاصلا في الماضي واليه الاشارة بقوله ولا تحزن عليهم على قتلى
احد اي ولا تحزن بوفات اوليائك لا اصدقا او على اعراض المشركين عنك واما التوقع ضرر في
المستقبل واليه الاشارة بقوله ولا تك في ضيق مما يمكرون في ضيق صدر من مكرهم ان
الله مع الذين اتقوا المعاصي ويدخل اوليا استيفا الزيادة والذين هم محسنون
في اعمالهم بالولاية والفضل ويدخل فيها دخولا اوليا ترك الانتقام فكانه قال ان اردت
ان اكون معك بالفضل والرحمة والتربية فكن من المتقين المحسنين وقيل الاول اشارة الى التعظيم
الى التعظيم لامر الله

سورة الاسرا مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان علم للتسبيح بمعنى التنزيه البليغ وذلك من جهة الاشتقاق من السبح وهو الابعاد
في الارض والنقل الى التفعيل والعدول عن المصدر والى الاسم الموضوع له خاصة والعامل
فيه الفعل الذي من معناه لا من لفظه فعل فالتقدير انزه الله تنزيها فوقع سبحان مكان
تنزيها ولما كان حديث الاسرا مظنة ان يذهب الوهم الى انه تعالى زماني ومكاني صدر
بما هو علم في تبعيده تعالى عما لا يليق بشانه ويجوز ان تكون كلمة سبحان للتعجيب بها يشير
الى عجب امر جرى بينه وبين افضل خلقه الذي اسرى بعبده الاسرا سير الليل خاصة
فقوله ليلا لقطع مجاز السير خفية كما ان قوله يطير بجناحيه بعد قوله ولا طاير لقطع
مجاز السير السريع والتنكير لتقليل مدة الاسرا فانه كما يدل على البعضية في الافراد كذلك
يدل على البعضية في الاجزا دل على ذلك قول الشيخ عبد القاهر في دلايل الاعجاز ان التنكير
في قوله حيوة في قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة للدلالة على ان تلك الحيوة بعض الحيوة المفهوم
بقتله والثاني هو المراد يشهد لذلك قراة من الليل اي بعضه وهذا الاسرا كان جسمانيا ولذلك
كذبت قريش به وفي عبارة العبد اشارة الى ذلك من المسجد الحرام بعينه او من الحرم فانه
مسجد كله الى المسجد الاقصى بيت المقدس سمي اقصى لانه لم يكن وقتيذ مسجد وراءه
الذي باركنا حوله البركة درور الخير وثبوته وهي دينية ودنياوية وكلاهما مراد هنا لانه
مهبط الوحي ومعدن الانبيا عليهم السلام ومحفوف بالانهار والاشجار والالتفات من الغيبة
الى التكلم لتعظيم تلك البركات والايات لنريه من اياتنا كقطعه مسيرة شهر ومشاهدة
بيت المقدس في برهة من الزمان وتمثل الانبيا عليهم الصلوة والسلام له والوقوف على مقاماتهم
واما البراق وسرعة سيره فليسا منها لانه عليه السلام راى الاول قبل السير والثاني قبل الوصول
الى المسجد الاقصى فلا ترتب لرؤيتهما على السير اليه انه هو السميع بلا اذن البصير
بلا بصر دل على ذلك صورة الحصر فلا يحتاج الى قرب المسموع وحضور المبصر فلا يختص بمكان دون مكان

فلم يكن الاسرا الا لاجله بل لاجل عبده بدا بعبارة التنزيه وختم باشارته فتجاوب طرفا الكلام وآتينا
موسى الكتاب التورية وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا يتخذوا قرئ بالياء على لئلا يتخذ
او بالتاء على ان لا تتخذوا كقولك كتبت ان افعل كذا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه اموركم
ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص والندا ان قرئ بالتاء الفوقانية على النهي وعلى
انه احد مفعولي لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف وبدل
من واو تتخذوا وفيه تذكير بانعام الله تعالى عليهم في انجاء ابائهم من الغرق وايماء الى ان ذلك لكونهم
اتباع نوح عليه السلام ثم قال في تعليل تلك الفضيلة الجليلة الثابتة له عليه السلام
انه كان عبدا شكورا وفيه حث للذرية على الاقتداء به وقضينا اصل القضا الاحكام
والاتمام وانما قال الى بني اسرائيل لتضمين معنى الانزال اي اعلمنا اعلاما محكما متمما
منزلا اليهم في التورية وتفسير القضا بالوحي يأباه في الكتاب كما لا يخفى على ذوي الالباب
لتفسدن في الارض جواب قسم محذوف ويجوز ان يجري القضا المبتوت مجرى القسم كانه
قال واقسمنا لتفسدن مرتين اوليهما مخالفة احكام التورية وقتل شعيب عليه السلام
وثانيتهما قتل زكريا ويحيى عليهما السلام ولا وجه لما قيل ان المقتول في الاولى زكريا وفي الثانية
يحيى لان الكرة الاتية ذكرها لم تتخلل بينهما ولتعلن علوا كبيرا هو غلبة المفسدين منهم على المصلحين
افراطا مجاوزا عن القدر والعلو لغة هو الغلبة بحق كان او باطل فاذا جاء وعد اولاهما
اي وقته والوقت بمعنى الموعود وهو العقاب فلا حاجة تقديره بعثنا عليكم هذا البعث
من قبيل تولية بعض الظالمين على بعض وكان على مقتضى الحكمة ولذلك اسنده تعالى الى
نفسه دون الجوس الاتي ذكره فلا وجه لصرفه عن معناه الى معنى التخلية عبادا لنا سنجاريب
وجنوده وقيل بخت نصر وقيل جالوت قطع اضافتهم عن نفسه لعدم استحقاقهم للتشريف
المستفاد منها وايضا ما في التنكير من التهويل يناسب المقام اولي باس ذوي بطش وقوة
في الحرب شديد فجاسوا خلال الديار اي ترددوا وتخللوا بين الدور في طلبكم للقتل والسبي
وقرئ بالحاء وهما اخوان وكان وعدا مفعولا اي لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة
اي الدولة والغلبة عليهم اي على الذين بعثوا عليكم وامددناكم باموال وبنين
وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل ولا يلزم ان يكون من قومه
وقيل جمع نفر وهم المجتمعون لامر ولا يلزم ان يكون للذهاب الى العدو ان احسنتم
احسنتم لانفسكم لان جزاءه لها وان اساتم فلها اي فالاساة واللام للاستحقاق
كما في قوله تعالى لهم عذاب في الحيوة الدنيا ولا وجه للحمل على الاختصاص لان نفع الاحسان
وضرر الاساة قد يتعديان الى الغير على ما دل عليه الاخبار وشهد له الاثار وانما الاثر وا
فانما يصار اليه عند تعذر المعنى الحقيقي فاذا جاء وعد الاخرة وقت موعد المرة الاخرة

وجوابه اذا محذوف دل عليه جواب الاولى اي بعثناهم وانما عطف بالفاء مع انه من تفصيل
المجمل والظاهر فيه العطف بالواو للدلالة على ان مجيء وعد الاخرة لم يتراخ عن كثرتهم
وثروتهم وذلك انهم كلما ازدادوا قوة وعزة ازدادوا اعتداء وطغيانا الى ان تكاملت اسباب
العزة ففاجاهم اخذ الله تعالى على الغرة ليسوءوا وجوهكم بياء الغائبة على الجمع اي
ليسوءوا هؤلاء وجوهكم وانما عدى المساءة الى الوجوه وان كانت عليهم لان اثار الاعراض النفسانية
انما تظهر في الوجه وقرئ بيا الغائبة على الواحد والضمير للقائهم للقراءة السابق ذكرها او
لله تعالى للقراءة بالنون وفتح الواو وليدخلوا المسجد بيت المقدس ويخربوه كما
دخلوه اول مرة وخربوه وليتبروا وليدمروا ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه
او مدة علوهم تتبيرا تفتيتا ومنه التبر لفتات الذهب عسى ربكم ان يرحمكم
وعد من الله تعالى ان يكشف عنهم بعد المرة الاخرة وان عدتم نوبة اخرى عدنا
مرة ثالثة وقد عادوا فبعث الله عليهم نبينا عليه السلام هذا ما لهم في الدنيا ثم ذكر ما لهم
في الاخرة بقوله وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا ضيقا قال القشيري يقال
للذي يفرش حصيرا لحصر بعضه على بعض بالنسج ان هذا القران يهدي للتي للطريقة
التي هي اقوم الطرق ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اي بان
لهم اجرا كبيرا الفسق لا ينافي الايمان ولا العمل الصالح فلا خروج للفسقة باحد
القيدين المذكورين فلا حاجة الى المكابرة بان يقال كان الناس حينئذ اما مؤمن تقي واما مشرك
وانما الفاسق حدث بعد ذلك وان الذين لا يؤمنون بالاخرة عطف ان لهم اجرا
والمعنى انه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم اعتدنا لهم عذابا اليما
في زيادة اعتدنا ههنا انباء عن شدة الغضب في حقهم ويدع الانسان حذف الواو من يدعو
لفظا لاستقبال اللام الساكنة كما في قوله سندع الزبانية وحذف في الخط ايضا لكنها غير
محذوفة معنى بالشر هو دعاؤه على نفسه واهله وماله عند الضجر بما لا يحب ان يستجاب
له دعاءه بالخير مثل دعائه بالخير يعني ان القران يهديهم الى ما فيه السلامة وهم يابون
الا ان يلوذوا بما فيه الندامة ثم ذكر ان ذلك من عدم تنبهه وقلة صبره فقال وكان الانسان
عجولا العجلة طلب الشيء قبل وقته الذي ينبغي ان يقع فيه والسرعة عمل الشيء في اول وقته
وجعلنا الليل والنهار ايتين تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق يترتب عليه احكام
غريبة واثار عجيبة فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة الفاء فصيحة كانه قيل وخالفنا
بين الايتين فجعلنا الاية التي هي الليل ممحوة اي عديم النور والاية التي هي النهار مبصرة اي
مضيئة اصله مبصرة للناس من ابصره فبصر فان الاضاءة لازم الابصار على ان الاضافة في
الايتين لانه للتبيين وقيل اية الليل القمر ومحوه خلوه من النور فانه ما يرى فيه نور الشمس

وَايَة النهار هي الشمس وَابصارها نورها الذي يقع به الابصار لتبتغوا تعليل لجعل
اية النهار مبصرة فضلا رزقا من ربكم والابتغا الطلب والمعنى لتقدروا بابيضاض النهار
على تحصيل اسباب المعاش وفي عبارة الفضل اشارة الى انه لا يجب على الله ان يرزق عباده
وانما ذلك تفضلا ففيه حجة على المعتزلة ولتعلموا عدد السنين والحساب تعليل
لمحو اية الليل اي لتعلموا باختلاف الجديدين عدد السنين وجنس الحساب وما تحتاجون
اليه منه والحساب المتعلق بالاوقات على ان التعريف للعهد بقرينة عدد السنين وبنقص
نور القمر شيا فشيا فان معرفة السنة القمرية المعتبرة عند العرب بذلك وكل شي كلمة
كل للتكثير والتفخيم لا للاحاطة والتعميم كما سبق الى وهم من قال مما تفتقرون اليه في دينكم
ودنياكم فصلناه تفصيلا بيناه بيانا كافيا والمقام مقام الامتنان لا مقام الالحام
والالزام • كما سبق الى بعض الافهام • وكل انسان الزمناه طايره اراد بالطاير حظه
من الخير والشر كانه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشامون بسنوح
الطاير وبروحه استعير لما هو سبب الفرح والترح من قدر الله تعالى وعمل العبد في عنقه
خص العنق بالاضافة اليه من بين ساير الاعضا لان فيه يكون الزاين من القلايد والاطواق
والشاين من الاغلال والاهاق فاستعير لمحل الزام الخير والشر ونخرج له اللام
للاختصاص يوم القيامة يعني وقت الموت فانه القيمة الصغرى قال عليه السلام
من مات فقد قامت قيامته كتابا مصورا بصور اعماله يلقاه منشورا لظهور
تلك الهيات فيه بالفعل مصورة مفصلة لا منطوية كما كانت قبل ذلك عند كونها فيه
بالقوة وهما صفتان للكتاب او الاول صفة والثاني حال من مفعوله وقري يلقاه على
البنا للمفعول من لقيته كذا اقرا كتابك على ارادة القول فيقراوه كان او غير قاري
لان الاعمال هنالك متمثلة بصورها وهياتها يعرفها كل احد لا على سبيل الكتابة بالحروف
فلا يعرفها الامي وهذا وجه ما روي عن قتادة يقرا ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قاريا
كفى بنفسك الباء زايدة للاشارة الى المصوف بذلك الوصف ولزومها اليوم قدم
الظرف لتخصيص الحكم المذكور بذلك الوقت عليك حسيبا حاسبا او كافيا نصب على
التمييز وتعديته بعلى لتضمنه معنى الشهادة وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما
يتولاه الرجال فكانه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا وتقديم الصلة للاشارة الى ان لكل امرئ
منهم يومئذ شان يغنيه عن الالتفات الى غيره من اهتدى فانما يهتدي لنفسه فجزا
اهتدايه لها ومن ضل فانما يضل عليها فوبال ضلاله عليها وان الغير لا ينتفع باهتدايه
ولا ينتقص بضلاله فلا دلالة له فيما ذكر ولا مسحة له ايضا فيما قدمناه في تفسير قوله تعالى ولو
يواخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولا تزر وازرة وزر اخرى من

تفسيره

تفسيره في سورة الانعام وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا الجمهور على ان هذا في
حكم الدنيا خاصة وقال فرقة انه في حكم الدنيا والاخرة ذكره القرطبي وعلى كلا التقديرين
لا دلالة على انه لا وجوب قبل الشرع اما على الاول فظاهر واما على الثاني فلانه لا يلزم
من تعليق مجموع الحكمين على البعثة تعليق كل منهما عليها وانما نفي الكينونة دون البعث لان
المراد الاخبار عن عادته تعالى لا الوعد فعدم العذاب مقطوع به الى وقت البعثة وكلمة حتى
لبيان غاية الامن من العذاب لا لبيان غاية عدم العذاب حتى يتعين العذاب عند البعثة
ولما ذكر تعالى انه لا يعذب احدا حتى يبعث اليه رسولا بين بعد ذلك علة اهلاكهم بعد
البعثة وهي مخالفة امر المبعوث اليهم فقال واذا اردنا ان نهلك قرية اي اذا تعلق
ارادتنا في الازل لاهلاك قرية بما فيها في وقت مخصوص امرنا اي وجهنا الامر
قبل مجي ذلك الوقت مترفيها متنعميها خصهم بالذكر مع عموم الامر للفريقين بدلالة
ان الكلام في بيان استحقاق اهل القرية لعذاب الاستيصال لانهم الروسا المتبوعون
ولانهم مامورون بنوعي العبادة البدني والمالي ففسقوا فوجد الفسق وهو
الخروج عن الطاعة منهم اي من اهل القرية كلهم لما نبهت على ان غير المترفين ايضا مامورون
ولكنه استغنى بذكر المترفين عن ذكرهم كما اكتفى بذكر الملايكة عن ذكر الجن في قوله تعالى
واذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم على ما مر تحقيقه في سورة البقرة وقري امرنا بمعنى كثرنا تقول
العرب امر القوم بكسر الميم اي كثروا وامرهم الله تعالى كثرهم بالفتح فصارت الحركة مما
يصير به الفعل متعديا كما في شترت عين الرجل بكسر التا وشترها الله بفتحها ويويده قراة امرنا
بالمد وامرنا بالتشديد فيها فيه دلالة على ان هلاك نفس القرية ايضا داخلة تحت
فلا مجاز في لفظ القرية كما لا مجاز في الارادة والامر فحق عليها اي على القرية بما فيها
القول هو وعيد الله تعالى الذي قاله رسولهم عليه السلام فدمرناها التدمير
الاهلاك مع طمس الاثر وهدم البنا مع اهلاك اهلها تدميرا ذكر المصدر للمبالغة
في العذاب الواقع بهم وكم اهلكنا كم في موضع نصب باهلكنا من القرون بيان
لكم وتمييز له اي كثيرا من القرون اهلكنا من بعد نوح خصه بالذكر لانه اول من حلت
بقومه عقوبة الاستيصال وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يدرك بواطنها
وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من المعتقدات والنيات فانها
اقدم على الاعمال الظاهرة التي هي متعلقات البصير والعقاب عليها اشد والعفو عنها
اقل من كان يريد العاجلة من استمر على ارادة الدار العاجلة ولم ينقطع عنها دل
على ذلك زيادة كان ههنا دون قسيمه واما اعتبار قصر الارادة عليها بمعونة المقابلة فيرده
عدم صحة اعتباره في المقابل ولا وجه للتخصيص مع الاشتراك في العلة عجلنا له فيها

ما نشاء لمن نريد قيد المعجل والمعجل له بالمشية والارادة على اختلاف العبارة لانه لا يجد كل
مريد ما اراده ولا كل واحد جميع مراده ومدلول الكلام ان حصول المرام موقوف على مشيته تعالى
واما انه لا دخل فيه للهم والارادة فلا دلالة عليه فيه فانه يجوز ان يكون ذلك من الاسباب العادية
الا في خوارق العادات ولمن نريد بدل من له بدل البعض من الكل وقرى يشاء والضمير فيه لله تعالى
ليطابق المشهورة ثم جعلنا صيرنا له جهنم يصليها حال من الضمير في له او من جهنم
مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله تعالى وسعى لها سعيها حق السعي وهو الاتيان
بالاوامر والانتهاء عن المناهي قال الراغب السعي المشي السريع وهو دون العدو ويستعمل للجد في الامر
خيرا كان او شرا وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مومن هو الشرط الاعظم فلا ينفع
السعي الا به فاولئك اشارة الى من اتصف بهذه الاوصاف كان سعيهم مشكورا
من الله تعالى اي مقبولا عنده مثابا عليه كلا من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه
نمد الامداد المواصلة بالشي و هولاء وهولاء بدلان من كلا بدل تفصيل من عطا
متعلق بنمد والعطا بمعنى المعطى وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا عن عباده مومنا
كان او كافرا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في الاعطا وانتصاب كيف بفضلنا
على الحال وللاخرة اكبر درجات من درجات الدنيا ودرجات منصوب على التمييز
واكبر تفضيلا اي التفاوت فيها اكبر ولانه بالاخرة ودرجاتها وبالنار ودركاتها ∴
لا تجعل مع الله الها اخر الخطاب للانسان او للنبي عليه السلام والمراد امته والجعل التصيير
بالعقد فتقعد فتبقى عاجزا فان القعود مما يكنى به عن العجز مذموما مخذولا ∴
جامعا على نفسك الذم من الملئكة والمومنين والخذلان من الله تعالى وقضى ربك امر
امرا مقطوعا به ان لا تعبدوا بان لا تعبدوا الا اياه ويجوز ان تكون مفسرة
ولا ناهية قال القرطبي وفي مصحف عبد الله ووصى ربك وذكر ابو حاتم عن ابن عباس انه ووصى
ربك فالتصقت احد الواوين بالصاد فقرئ وقضى ربك اذ لو كان على القضا ما عصى الله
احد وقال الضحاك مثل ذلك ثم ابى ابو حاتم ان يكون ابن عباس قال ذلك وقال لو قلنا هذا
لطعن الزنادقة في مصحفنا واما التعليل الذي نسبوه اليه فهو مناف لما نقل عن من قال
انه ليس قضا حكم انما هو قضا امر وبالوالدين وبان تحسنوا بالوالدين احسانا
ويجوز ان تتعلق البا بالاحسان وقدم تفسيره في سورة الانعام وجه جواز تقدم صلتها
لمصدر اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما اما هي ان الشرطية زيد عليها ما
تاكيدا لها ولذلك صح دخول النون المؤكدة في الفعل واحدهما فاعل يبلغن وبدل من الالف
الراجع الى الوالدين على قراءة يبلغان وكلاهما عطف على احدهما على الاحتمالين ولا احتمال ان
يكون تاكيد الضمير يبلغان لا لكونه معطوفا على البدل لانه لا يقتضي ان يكون بدل الا فان

ربك

عطف التاكيد على البدل سايغ بل لان فيه دلالة على ان التاكيد ليس مرادا في المقام بل لان فايدة
تاكيد التثنية الشمول والاحاطة ولو قصدت تلك الفايدة لما قيل احدهما فالمانع ذكره لا عطفه
على البدل وانما قيد بقوله عندك لان مراعاة البدل الادب مع طول المصاحبة اشق فكانت
مظنة التقصير فقد ورك به وانما خص حال الكبر لان من بلغها يسو خلقه فكان فيه تقوية لما
ذكرنا من المظنة وايضا هي حالة يحتاجون فيها الى البر لتغير الحال عليهما بالضعف
فلا تقل لهما اراد تعميم النهي لكل منهما لا تقييده بحالة اجتماعهما لعدم تحمل احد التقديرين
اف صوت يدل على التضجر وقيل اسم الفعل الذي هو اتضجر وهو مبني على الكسر لالتقا الساكنين
وتنوينه في قراءة نافع للاتباع والنهي عن هذه اللفظة الدالة على التضجر والتبرم يفصح عن النهي
عن ساير انواع الايذا بطريق الدلالة وقال الاصمعي الاف وسخ الاذن والتف وسخ الاظفار
فكثر استعماله حتى ذكر في كل ما يتاذى به وعلى هذا يكون النهي عن الكل بطريق العبارة ولا تنهرهما
النهر الزجر والغلظة وقل لهما قولا كريما وهو السالم عن كل عيب واخفض لهما جناح الذل
اي قل لهما قولا كريما بدل القول اللئيم وهو اف وافعل بهما الفعل اللطيف بدل الفعل العنيف وهو
النهر نهي عن قول وفعل وامر بقول وفعل بدلا عنهما وفي تقرير الثاني وجهان احدهما ان الطاير
اذا اراد الطيران والارتفاع نشر جناحه فصار خفض الجناح مجازا مرسلا مرتبا على الكناية عن
فعل التواضع والثاني ان الطاير اذا ضم فرخه اليه للتربية خفض له جناحه فخفضه في الاصل كناية
عن حسن التدبير فكانه قيل للولد اكفل والديك بضمهما الى نفسك كما فعلا ذلك بك حال صغرك
يرشدك الى هذا قوله كما ربياني صغيرا ويقوي الاول اضافة الجناح الى الذل بطريق الاستعارة
التخييلية وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد من الرحمة من فرط رحمتك اليهما حيث
افتقرا الى من هو افقر خلق الله اليهما وقل رب ارحمهما وادع الله تعالى ان يرحمهما برحمته الباقية
ولا تكتف برحمتك الفانية والكفر لا يمنع عن ذلك ما داما حيين لان الهداية الى الايمان من جملة
الرحمة بل معظمها وصحة التشبيه في قوله كما ربياني صغيرا باعتبار ان التربية صغيرا لا
تكون الا عن رحمة فذكر تلك التربية ذكر الرحمة اقتضاء فكانه قال كما رحماني وربياني صغيرا او بالعلة
المذكورة نبه على العلة الموجبة للاحسان اليهما واسترحام الله تعالى لهما وهي تربيتهما له صغيرا
وتلك الحالة مما توجب اشفاقا لهما ورحمة اذ هي تذكير بحالة احسانهما له ووقت ان لا يقدر على
الاحسان لنفسه ربكم اعلم بما في نفوسكم من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من
التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا ان تكونوا صالحين قاصدين
الصلاح فانه كان للاوابين الاواب الراجع عن ذنبه بالتوبة غفورا ما فرط منهم
عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج
فيه الجاني على ابويه التائب من جنايته لوروده على اثره وات ذا القربى حقه

رج

لما امر ببر الوالدين امر بصلة القرابة والحق هنا ما يتعين له من صلة الرحم وسد الخلة و
المواساة عند الحاجة بالمال والمعونة بكل وجه والمسكين وابن السبيل قدم تفسيرهما
ولا تبذر تبذيرا اصل التبذير التفريق من القا البذر في الارض وهو تفريق حباته والفرق
بينه وبين الاسراف ان الاسراف تجاوز في الكمية وهو جهل بمقادير الحقوق والتبذير تجاوز
عن موضع الحق فهو جهل بمواقعها وكلاهما مذمومان والثاني ادخل في الذم ويفصح عن الفرق
بينهما قوله ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين قوله انه لا يحب المسرفين اتباعهم
الملازمين لهم فان العرب تسمي الملازم للشيء اخا له فتقول اخا المكارم اذا كان مواظبا
عليها وكان الشيطان لربه كفورا كثير الكفران لنعمه جحودا لحقوقه ودخول كان فيه
اخبار العادة ومذهبه في القديم واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها اي
ان عرضت لك حالة احوجتك الى الاعراض عن هؤلاء المحتاجين كضيق يد انتظار الرزق ترجوه
من الله تعالى فقل لهم قولا ميسورا فلا تدع تعهدهم بالقول الجميل والميسور من يسر
الامر مثل سعد ونحس كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سئل ولم يكن عنده ما يعطيه سكت
انتظار الرزق ياتي من عند الله تعالى كراهية الرد فنزلت هذه الاية فكان بعد ذلك اذا سئل
ولم يكن عنده ما يعطي قال رزقنا الله واياكم من فضله وذلك قوله فقل لهم قولا ميسورا
اي لا تسكت فيكون ذلك ايحاشا لهم ولا تؤيسهم فيكون بلاء لهم ولا يجوز ان يتعلق ابتغاء
رحمة بالجواب لان ما بعد الفا لا يعمل فيما قبلها في غير باب اما وما يلحق بها في المذهب المشهور
الا اذا اريد التعلق المعنوي فيضمن ما يتضمنه ويجعل المذكور جاريا مجرى التفسير
ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح والاسراف
المبذر نهي عنهما امرا بالاقتصاد الذي هو بين التبذير والامساك البليغ واما الكرم فلا
فلا اختصاص له ببذل النوال بل يعم سائر الاحوال فتقعد ملوما فتبقى عاجزا ملوما
يلومك الناس عن الشح وهذا اثر المنهي عنه اولا محسورا منقطعا عن النفقة والتصرف
بسبب التبذير وهذا اثر المنهي ثانيا ولا وجه ان يكون كلاهما مترتبا على الثاني واما الاول
فقد اكتفي فيه بما فهم من تمثيله على اقبح وجه في التصوير ان ربك يبسط الرزق لمن
يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه لمن يشاء لا للعجز ولا للبخل انه كان بعباده خبيرا •
عالما بخفيات امورهم بصيرا بمصالحهم فيوسع لقوم ويضيق لاخرين على مقتضى
علمه وحكمته ويجوز ان يكون المعنى ان البسط والقبض يليق له تعالى العالم بالسرائر
والظواهر واما العباد فحقهم ان يقتصدوا وانه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا
بسنته ولا تفرطوا وعلى كلا التقديرين يكون جاريا مجرى الاستيناف للتعليل ويجوز ان
يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق مخافة فقر وكان هذا نهيا

عن واد البنات وكانوا يفعلونه نحن نرزقهم لا انتم فلا وجه لقتلهم بسبب الرزق
وزيادة قوله واياكم لبيان ان رزق الاباء ايضا على الله تعالى فكيف يتوطن رزق
الغير من يعجز عن رزق نفسه ان قتلهم كان خطا كبيرا لما فيه من قطع التناسل
وانقطاع النوع قرا الجمهور بكسر الخاء وسكون الطاء والهمزة والقصر وقرا ابن عامر خطا
بفتح الخاء والطاء والهمزة والمد وقال النحاس لا اعرف لهذه القراءة وجها وكذلك جعلها ابو
حاتم غلطا وقال ابو علي هي مصدر خاطى يخاطي وان كنا لا نجد خاطى خاطا ولكن وجدنا تخاطا
وهو مطاوع خاطا فدلنا عليه والخطا والخطا مصدر خطي يخطي كالحذر والحذر ويقال
خطي اذا اثم واخطا ضد تعمد والخطا بالكسر لا يكون الا تعمدا والخطا بالفتح قد يكون عمدا
وقد يكون خطا ولا تقربوا الزنا بمباشرة مقدماته وهذا نهي عنه بابلغ وجه •
انه كان فاحشة فعلة ظاهرة في القبح متناهية فيه وساء سبيلا وبئس طريقا
طريقه لانه غصب على الابضاع لانه غير لازم له بل لانه يؤدي الى النار ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله قتلها بان عصمها وحقن دمها بالاسلام او بالعهد الا بالحق
الا بحق يوجب قتلها كالرجم او يبيحه كالقصاص قيل الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنا
بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا وفيه نظر ذكرناه في سورة الانعام ومن قتل مظلوما
غير موجب لقتله ولا مبيح له سواء كان عمدا او خطا فان الظلم غير مشروط بالعمد شهد
بذلك انهم شرطوا الاول في الشهيد دون الثاني فقد جعلنا لوليه هو من له حق
الطلب بدمه شرعا سلطانا تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه فلا
يسرف في القتل نهي عام كانت الجاهلية تفعله من قتل الجماعة بالواحد قرا ابن عامر وحمزة
والكسائي بتاء المخاطبة جزما والخطاب للاولى وقرا الباقون بياء الغائبة جزما والضمير
الى الولي ورجوعه الى القاتل وتوجيه الخطاب اليه يأباه عبارة الاسراف فان حقه النهي
عن القتل مطلقا انه كان منصورا تعليل للنهي على الاستيناف والضمير للولي
لتناسق الضمائر ونصره بتسليط الله تعالى اياه على القاتل وامره الولاة بمعاونته ووجه
التعليل ان الولي اذا اسرف في القتل وتجاوز عن حد المشروع ينقلب عليه الامر ويدخل
تحت القاتل ظلما ولا تقربوا مال اليتيم قدم الكلام في نظيره والنفس مائلة الى المال
والمباشرة دون القتل ولهذا اخص النهي عن القربان بالاولين الا بالتي الا بالطريق
التي هي احسن الطرق حتى يبلغ اشده قدم في سورة الانعام واوفوا بالعهد
عام لما عقده الانسان بينه وبين ربه وبين ادمي في غير معصية ان العهد كان مسئولا
اي مسئولا عنه فحذف الجار واوصل مسئولا الى الضمير كما في قوله ويفعلون ما يؤمرون اي به
وقيل ان العهد يسئل تبكيتا للناقضه فيقال لم نقضت كما تسئل الرحم عن وصلها وقطعها وقيل

ويجوز ان يراد صاحب العهد كان مسئولا وعلي هذا لا يظهر وجه العدول عن الضمير الي
الاسم الظاهر وقيل ان مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفي به وفيه تعسف
لفظا ومعنى اما الاول فظاهر اذ ح يكون المسئول عدم تضييعه لا نفسه واما الثاني
فلا ظهر لانه ح لا يزيد على معنى وفوا بالعهد وقد ذكر في مقام التعليل على الاستيناف
واوفوا الكيل اي لا تبخسوا فيه وفايدة قوله اذا كلتم وقت كيلكم تضمين النهي
عن الكيل بنقصان تام ثم تكميله بعد زمان وزنوا بالقسطاس المستقيم القسطاس
الميزان صغيرا كان او كبيرا وقيل هو القبان لفظ رومي عرب والاجرا على قانون لغة
العرب ليس بشرط في التعريف على ما حققنا في رسالتنا المعمولة فيه والمستقيم السوي
ذلك خير في الدنيا لانه مما توجب المحمدة والرغبة في المعاملة واحسن تاويلا
عاقبة اذ لا يبقى تبعة في الاخرة تفعيل من ال اذا رجع ففيه نفي الدارين ولا تقف ما
ما ليس لك به علم لا تتبع ما لا علم لك به من قول او فعل نهي ان يقول ما لا يعلم وان يعمل
بما يعلم يدخل فيه التقليد على العميان تقول قفوته وقفيته اذا اتبعت اثره ومنه القافة
لتتبعهم الاثار وقافية كل شي اخره ان السمع والبصر والفواد كل اوليك اشارة
الي الثلثة المذكورة ولا اختصاص له بالعقلاء قال الزجاج ووافقه الطبري ان العرب
تعبر عمن يعقل وعما لا يعقل باوليك وانشدوا قول الشاعر والعيش بعد اوليك الايام
وان نظر الي غلبة استعماله في العقلا فنقول لما كانت تلك الاعضا مسئولة عن احوالها
شاهدة على صاحبها اجريت مجرى العقلا كان عنه مسئولا عنه في موضع نصب والضمير
عايد على معنى اوليك اي عن كل واحد مما تقدم ومسئولا فيه ضمير يعود على كل من حيث اللفظ وهذا
الضمير هو المفعول الذي لم يسم فاعله ويجوز ان يكون مسئولا مسندا الي عنه كقوله غير
المغضوب عليهم والجرور بالحرف يلتبس بالمبتدا ومنع تقديم الفاعل وما يقوم مقامه كان
كذلك ولا دلالة في الاية على ان العبد مواخذ بالعزيمة اذ يجوز ان يكون ما يسئل عنه الفوا
الظنون والعقايد ولا تمش في الارض المشي انما يكون في الارض والتقييد به لقطع
المجاز فانه شايع فيه كما في الذهاب مرحا نصب على الحال اي ذات مرح ولا بد من القد
لان المبالغة المستفادة من التوصيف بالمصدر ولا يناسب المقام لان المراد النهي عن
المبالغة فيه وقري مرحا بالكسر والمرح هو الخيلا والكبر وقد دل عليه قوله تعالى ولا تمش
في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور على ان المرح هو المشي المختال الفخور انك
لن تخرق الارض بشدة وطيتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال
كل ذلك كان سيئة قري بالرفع والاضافة اي السيء منه لانه سبق ذكر المامور به والمنهي
عنه فكان الفبيح بعضه وقري منونا غير مضاف على انه خبر كان والاسم ضمير كل والاشارة

الي

الي المنهيات من الخصال المذكورة عند ربك مكروها بدل من سيئة او صفة لها
ولا حاجة الي الحمل على المعنى لانها في حكم الصفات ولا اعتبار بتانيثه ويجوز ان يكون حالا
من المستكن في كان او في الظرف على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما
يقابل المراد ذلك اشارة الي الاحكام المتقدمة مما اوحي اليك ربك من الحكمة
اي من الاشيا الموضوعة المحذوف العايد عليها ولا تجعل مع الله الها اخر كرره
للتنبيه على ان التوحيد مبدا الامر ومنتهاه ورتب عليه ايضا ما هو عايد في الدنيا وثانيا
ما هو نتيجته في العقبى فقال فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا مطرودا
مبعدا على سبيل الاهانة له والتخفيف والاستخفاف به افاصفاكم ربكم بالبنين خطاب
للذين قالوا الملايكة بنات الله تعالى والهمزة للانكار افخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفا
بافضل الاولاد وهم البنون لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه واتخذ من الملايكة اناثا
بناتا لنفسه هذا خلاف المعقول والمعروف والتعبير عن البنات بالاناث لاظهار جهة
خساستهن انكم لتقولون قولا عظيما باضافة الاولاد اليه وهي خاصة بعض الاجسا
لسرعة زوالها ثم بتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بجعل الملايكة الذين هم من
اشراف الخلايق ادونهم ولقد صرفنا كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير فترك الضمير
لانه معلوم في هذا القران في مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القران ابطال اضافة البنات
اليه تعالى لانه مما صرفه وكرر ذكره بتقدير ولقد صرفنا القول في هذا المعنى واوقعنا التصريف
فيه وقري صرفنا بالتخفيف اي وكذلك ليذكروا قري مخففا ومشددا اي كررناه
ليتعظوا او يعتبروا او يطمينوا الي ما يحتج به عليهم وما يزيدهم التصريف المذكور الا نفورا
عن الحق والنفور مقابل الطمانينة قل لو كان معه الهة كما تقولون ايها المشركون
والكاف في موضع نصب اي مثلما وقري باللام على ان الكلام مع الرسول عليه السلام ٥
اذا لابتغوا اي طلبوا متوصلين الي ذي العرش سبيلا اي مغالبته وافساد ملكه
واشير الي ذلك بالتعبير عنه تعالى بذي العرش سبيلا لانهم شركاوه على الغرض الذ
كما يفعل الملوك بعضهم بعضا وهذا على وفق قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا
سبحانه ننزهه تنزيها وتعالى عما يقولون علوا كبيرا متباعدا غاية البعد عن
عما يقولون تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شي الا يسبح بحمد
ينزهه عما هو من اعراض الامكان ولواحق الحدوث بدلالته على الصانع القديم الواجب
لذاته قطعا لسلسلة الحاجة ولكن لا تفقهون ايها القاصرون تسبيحهم
في عبارة يفهمون دلالته على ان تسبيحهم من جنس ما يفهم بدقة النظر لا من جنس ما يدرك
بالة السمع فتعين حمله على معنى الدلالة ولم يبق وجه للحمل على المشترك بينهما وبين اللفظ

انه كان حليما حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على الغفلة والشرك غفورا لمن تاب
واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا يستر
عنهم عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنها قالت لما نزلت تبت يدا ابي لهب اقبلت العوراء ام جميل
بنت حرب وفي يدها فهر والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد في المسجد ومعه ابو بكر رضي الله عنه
فلما راها ابو بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله انها اقبلت واخاف ان تراك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انها لن تراني وقرا قرانا فوقفت على ابي بكر رضي الله عنه ولم تر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومن وهم انه حجاب الفهم كانه ما فهم انه بينهم وبين القران لا بينهم وبينه
عليه السلام مستورا عن اعين الناس اي ليس من جنس الحجب الظاهرة وجعلنا على
قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان وانما لم يقل وجعلنا قلوبهم في اكنة مع انه ابلغ في تصوير المعنى
المقصود للاشعار بانه امر عارضي كسبي لا ذاتي خلقي فان كل مولود يولد على الفطرة السليمة
ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه والضمير لما يدعون اليه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه
قوله وجعلنا على قلوبهم اي منعناهم ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا لم يقل ان يسمعوه اكتفا
بما فهم من قرينة قرينه وهذه حكاية لما كانوا يقولون على ما دل عليه قوله فاعرض اكثرهم فهم
لا يسمعون وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب قوله
فهم لا يسمعون صريح في ان عدم سماعهم بسبب اعراضهم لا لعلة لمانع في اذانهم فقولهم وفي اذانا
وقر اظهار كراهة منهم لا اخبار عن عارضهم ومن غفل عن هذا قال ولما كان القران معجزا من
حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ ولم يدر ان الاول موقوف
على الثاني فالجعل الثاني موقوف على تقدير كونه حقيقة كان في الامرين وايضا مبني ما ذكره
على ان يكون الضمير في يفقهوه للقران ويا باه قوله واذا ذكرت ربك في القران اذ لا وجه
للعدول عن الضمير الى الاسم الظاهر وايضا ما في الاية الاخرى قوله مما تدعونا اليه بدل
ان يفقهوه ظاهر في خلافه وحده واحدا غير مشفوع به الهتهم قال سيبويه وحده اسم موضوع
موضع المصدر وهو اتحاد الموضوع موضع الحال وهو موحده ولوا على ادبارهم نفورا
نافرين من استماع التوحيد على ان النفور جمع نافر كشهود جمع شاهد ويجوز ان يكون مصدرا
على غير المصدر اذ كان قوله ولوا على ادبارهم بمعنى نفروا وهذا دليل على انهم قادرون على
الاستماع لا وقر في اذانهم حقيقة نحن اعلم بما يستمعون به بسببه الداعي الى الاستماع
من الهزء وبالقران ومن اللغو اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وكذلك واذ هم نجوى
يتناجون بالطعن في القران اي نحن اعلم بغرضهم من الاستماع في حالتي الاصغا والاعراض بالتناجي
ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجي اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا
بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا

والمسحور من سحر فاختل عقله به انظر كيف ضربوا لك الامثال في امر الحشر والبعث
بدلالة قوله تعالى وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم وانما قال
هنا الامثال لانه ضربوه بعبارات شتى وصور متعددة وقيل مثلوك بالشاعر والساحر
والكاهن والمجنون ورده انهم ما مثلوه عليه السلام بما ذكر بل قالوا تارة انه ساحر واخرى
انه شاعر الى غير ذلك وايضا لو كان المعنى ما ذكر لقيل فيك لا لك لانه عليه السلام ح يكون
من ضرب فيه الامثال فضلوا عن الحق فلا يستطيعون سبيلا اليه وقالوا
ائذا كنا عظاما بيان لما ضربوه ولولا الفصل بينه وبين المبين بالجمل التفريعية لكان رجعه
التصدير بالفا التفصيلية والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون تقديره انبعث اذا كنا
عظاما والاستفهام للانكار ورفاتا صدره بالواو العاطفة اخراجا له مخرج
الاستقلال في كونه منشا للاستبعاد والرفات الاجزاء المفتتة من كل شي منكسر ولما فيه
من زيادة معنى التفتت اوثر على الحطام ولم يلتفت الى ما فيه من صنعة الجناس ائنا
لمبعوثون خلقا جديدا على الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من
التباعد والمغاياة وخلقا مصدر او حال قل جوابا كونوا حجارة او حديدا رد قوله
كونوا على قولهم كنا كانه قيل كونوا حجارة ولا تكونوا عظاما فانه يقدر على احيائكم اوثر في الحجارة
صيغ الجمع رعاية للمناسبة بكونوا والعدول في الحديد الى صيغة الافراد لما في مفرده من صيغة الجمع
مع الحديد او خلقا مما يكبر في صدوركم اي مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة لكونه ابعد
فان قدرته تعالى لا تقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما
ورفاتا وقد كانت غضيضة موصوفة بالحياة قبل والشي اقبل لما عهد فيه وانما قال في صدوركم
لان اثر الاستعظام البليغ يظهر فيها فان القلب يضطرب عند ذلك لما يعتريه من الخشية
فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة وكنتم ترابا وما هو ابعد منه من الحيوة
فسينغضون اليك رؤسهم يقال نغض راسه اذا حركه كالمتعجب من الشي وكل حركة في ارتجاف
نغض والعدول من التعدية الى التضمنه التوجه والالتفات ويقولون متى هو قل عسى
ان يكون قريبا انتصابه على الخبر او الظرف وان يكون اسم عسى او خبره والاسم مضمرا جابهم
بقرب وقوعه لا لان كل ات قريب بل لانه مضى اكثر الزمان وبقي اقله ولم يجبهم بتعيين وقته
لان ذلك مما استاثره الله تعالى بعلمه ولم يوردوا تلك الاسئلة استرشادا بل عنادا واستهزا
وقد اخرجت اجوبتهم بطريق الجد والتحقيق وعدم المبالاة باستهزائهم وفيه نوع تمهيد للامر
بحسن المجادلة الاتي ذكره يوم يدعوكم بدل من قريبا والدعا النداء الى المحشر بكلام يسمعه
الخلايق قال عليه السلام انكم تدعون يوم القيمة باسمائكم واسماء ابائكم فاحسنوا اسماءكم
فتستجيبون الاستجابة موافقة الداعي فيما دعاه اليه بالفعل لاجل دعائه بحمده

حال منهم اي حامدين لله تعالى على الاحيا او على كمال قدرته عن سعيد بن جبير رضي الله
ينفضون التراب عن رؤسهم قايلين سبحانك اللهم وبحمدك وتظنون ان لبثتم الا قليلا
تظنون معلقة عن العمل فالجملة بعده في موضع نصب وقلما ذكر النحويون في ادوات ان
النافية وانتصاب قليلا على انه نعت لزمان محذوف اي الا زمانا قليلا كقوله قالوا لبثنا
يوما او بعض يوم ويجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف اي لبثا قليلا وقل لعبادي
يعني المومنين يقولوا التي هي احسن الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوا المشركين
ان الشيطان ينزغ بينهم يلقي بينهم الفساد بالوسوسة ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم
المشارة والمشاقة وقدم تفسيره في اخر سورة الاعراف مع تحقيق معنى النزغ ان الشيطان
كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة امر بحسن المجادلة ونبهوا على انه قد يكون من الشيطان
اغرا واغوا وذكر بعدا وته القديمة لهم ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم بالتوفيق للاسلام
او ان يشا يعذبكم بالاماتة على الكفر وكلمة او للدلالة على الانفصال الحقيقي بين الشيئين
والجملة تفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا
بانهم من اهل النار فانه يهيجهم على الشر مع ان ختام امرهم غيب لا يعلمه الا الله وفيه ان الظاهر
عموم النهي للتصريح بما ذكر ولو كان موقولا بمعنى ان عملهم عمل اهل النار فهذه الضميمة
لا تصلح علة له وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم تقسرهم على ما امروا به
وانما قال عليهم دون اليهم افادة لمعنى القسر والالجا وربك اعلم بمن في السموات والارض
فيختار منهم لنبوته وولايته من يليق بهما وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابي طالب
نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالرسالة
وبكونه صاحب شريعة وبكونه من اولي العزم وبكونه ختم الانبيا عليهم الصلوة والسلام
واتينا داود زبورا يعني ان داود عليه السلام وان لم يكن من اولي العزم ولا صاحب
شريعة لكنه من جملة المفضلين بالرسالة حيث اوتي كتابا وقدم ما يتعلق بالزبور من الكلام
في اواخر سورة النسا قل ادعوا الذين زعمتم انها الهة من دونه تعالى كالملئكة
وعزير والمسيح عليه السلام فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر عنكم
كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم اولئك الذين يدعون
اي يدعون الهة يبتغون الى ربهم الوسيلة القربة بالطاعة ايهم اقرب بدل من
يبتغون اي يبتغي من هو اقرب منهم الى الله تعالى الوسيلة فكيف بغير الاقرب ويرجون
رحمته ويخافون عذابه كساير العباد فكيف يزعمون انهم الهة ان عذاب ربك كان محذورا
حقيقا بان يحذره كل احد حتى الملئكة والرسل وان من قرية الا نحن مهلكوها مخربوها
قبل يوم القيمة عن مقاتل وجدت في كتب الضحاك في تفسير هذه الاية اما مكة فتخربها الحبشة

وهلكت المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف
ثم ذكرها بلدا بلدا او معذبوها اي معذبوا اهلها على ان المجاز في الاسناد دون المسند
والا لقيل او معذبوهم عذابا شديدا بالقتل وانواع البلية كان ذلك في الكتاب
في اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالايات المقترحة استعير المنع
للترك للمبالغة ولا يجوز استعارته للصرف لانه ايضا ممتنع في حقه تعالى والبا للتعدية فان
ارسل يتعدى بنفسه وبالبا قال كثير

• لقد كذب الواشون ما بحت عندهم • بسر ولا ارسلتهم برسول •

الا ان كذب بها الاولون الا لتكذيب امثالهم في الطبع من الامم السالفة كعاد وثمود
يعني انها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك الامم واستوجبوا الاستيصال على مقتضى سنتنا
وهو خلاف مقتضى الحكمة لان فيهم من يومن او نره غير مانع من استيصال المعاندين كما
كما وقع في قوم نوح عليه السلام لان فيهم من يلد من يومن ثم ذكر بعض من كذب بالايات
المقترحة فاستوصل بقوله واتينا ثمود الناقة باقتراحهم مبصرة نصب على الحال
وهي قراة الجمهور وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا اي هي مبصرة اضيف الابصار اليها مجازا
لما كان يبصرها الناس وقرئ مبصرة بفتح الصاد اسم مفعول فظلموا بها اي جحدوا بها
وما نرسل بالايات الا تخويفا من نزول العذاب المستاصل فان لم يخافوا نزل واذ قلنا
واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس فهم في قبضة قدرته او احاط بقريش
اي اهلكهم يعني في وقعة بدر وانما التعبير بالماضي لتحقق وقوعه وما جعلنا الرؤيا التي
اريناك ليلة المعراج وكانت رؤية عين الا انها لما كانت بالليل سميت رؤيا كما يقال بات
فلان يفعل كذا اذا فعل ليلا فسمي ما يفعله بيتوتة وان لم يكن نوما فلا متمسك فيه لمن
زعم انها كانت في المنام بل نقول لو كان فيه تمسك به يكون حجة عليه لا له لان رؤيا المنام لا فتنة
فيها وما كان احد ينكرها وقد كانت تلك الرؤيا فتنة على ما نطق به قوله الا فتنة للناس
وهي ارتداد قوم من المسلمين حين اخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم انه هو اسري به والشجرة
الملعونة عطف على الرؤيا وهي شجرة الزقوم واللعن لطاعميها وانما وصفت هي به مجازا للمبالغة
او قيل ذلك لانها في ابعد مكان من الرحمة وهو اصل الجحيم او لانها مكروهة وياباهما قوله
في القران قال ابو جهل ومن معه هذا محمد ومن معه يتوعدكم بنار تحرق الحجارة ويزعم
انها تنبت الشجرة والنار تاكل الشجر وما نعرف الزقوم الا التمر بالزبد ثم امر ابو جهل جارية
له فاحضرت تمرا وزبدا وقال لاصحابه تزقموا فافتتن بهذه المقالة بعض الضعفا وما علموا ان
من قدر ان يحمي وبر السمندر من ان تاكله النار واحشا النعامة من اذى الجمر قدر ان يخلق
في النار شجرة لا تحرقها وقريت بالرفع على الابتدا والخبر محذوف اي والشجرة الملعونة في القران

كذلك ونخوفهم من انواع التخويف فما يزيدهم التخويف الا طغيانا عتوا كبيرا
متجاوزا عن الحد واذ قلنا للملئكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس قد مر تفسيره في
سورة البقرة قال ءاسجد لمن خلقت طينا لمن خلقته من طين فنصب على نزع الخافض
ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو طين انكار وهو تعليل على ما صرح
به في قوله انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين او من الموصول اي اسجد له واصله طين
ويرد عليه انه حينئذ يضيع قوله خلقته قال ارايتك هذا الذي كرمت علي الكاف
للخطاب لا محل له من الاعراب على ما مر تحقيقه في سورة الانعام والذي صفته وهذا مفعول
اول والذي صفته والمفعول الثاني محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرني عن هذا الذي
كرمته علي والاكرام اسم جامع لكل ما يحمد عليه وتعديته بعلى لتضمنه معنى التفضيل لئن
اخرتني الى يوم القيمة كلام مبتدا واللام موطئة للقسم وجوابه لاحتنكن ذريته
لاقودنهم حيث شئت من قولهم حنكت الفرس اذا جعلت في فيه الرسن وكذلك احتنكته •
الا قليلا لا اقدر على ان اقاوم شكيمتهم وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله ان
عبادي ليس لك عليهم من سلطان قال الحسن ظن ذلك لانه وسوس ادم عليه السلام
فلم يجد له عزما قال اذهب لشانك الذي اخترته امر اهانة وعقبه بذكر ما جر سوء فعله
من جزائه وجزاء اتباعه فقال فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاؤك وجزاؤهم
فغلب المخاطب على الغائب جزاء نصب على المصدر باضمار فعله او بما في جزاؤكم
من معنى تجازون او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز واستخفف مثله القطع
بشدة يقال فز الثوب اذا قطعه بشدة تخريق والمعنى استزله بقطعك اياه عن الحق
من استطعت منهم ان تستفزه بصوتك بدعائك الى الفساد واجلب عليهم
الاجلاب السوق بجلبة من السائق وهي الصياح بخيلك ورجلك باعوانك من راكب
وراجل اسم جمع كراجل كركب وصحب جمع راكب وصاحب وقرئ بكسر الجيم وهي لغة كحذر
وندس وشاركهم في الاموال بحملهم على جمعها من غير وجهها وانفاقها في غير حقها
والاولاد بالحث على تحصيلهم بالوجه المحرم والاشتراك فيهم بتسميتهم بعبد العزى ونحوه
والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الالهة
والاتكال على كرامة الاباء وتاخير التوبة بطول الامل وما يعدهم الشيطان الا غرورا
اعتراض لمواعيده الباطلة والغرور ما يغتر به ان عبادي يعني المخلصين والاضافة
للتشريف ليس لك عليهم سلطان على اغوائهم قدرة وكفى بربك وكيلا يتوكلون
به في الاستعاذة منك ربكم الذي يزجي اي هو ربكم والازجاء السوق لكم لمنافعكم
الفلك في البحر لتبتغوا من فضله من رزقه انه كان بكم رحيما حيث سهل لكم ما تعسر

من اسبابه واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون الا اياه ذهب
عن اوهامكم من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانه لا يخطر ببالكم سواه ولا
تدعون لكشفه الا اياه وقيل ضل كل من تعبدونه عن اعانتكم الا اياه وفيه ان هذا المعنى
لا اختصاص له بوقت الخوف فلما نجاكم خلصكم من هول البحر واخرجكم الى البر اعرضتم
عن الاخلاص في العبادة وكان الانسان كفورا كالتعليل للاعراض ولم يخاطبهم
بذلك لطفا بهم أفامنتم الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم
فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض ان يخسف بكم جانب البر الخسف ان تنهار الارض بالشيء
وتعديته بنفسه وبكم حال اي مصحوبا بكم قال الجوهري خسف الله بهم الارض اي غاب به
فيها وجانب البر ناحية الارض وسماه جانبا لانه يصير بعد الخسف جانبا او يرسل عليكم
حاصبا ريحا تحصب اي ترمي بالحصباء ريحا متتابعا ثم لا تجدوا لكم علينا وكيلا
يحفظكم من ذلك وفي عبارة ثم اشارة الى انه تعالى يحفظهم مرة ولا يعود اليه بعد الكفران
والعود الى الشرك ام امنتم ان يعيدكم فيه في البحر لم يقل اليه اذ لا يلزم من العود
الى الشيء التلبس به تارة اخرى بخلق الداعي الى ذلك فيرسل عليكم قاصفا من الريح
لا تمر بشيء الا قصفته اي كسرته بشدة فيغرقكم قرئ بالياء على اسناده الى ضمير الريح
بما كفرتم بسبب كفرانكم نعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به بسبب ما فعلنا بكم تبيعا
مطالبا يتبعنا بانتصار قال الفراء التبيع طالب الثار قال تعالى ولقد كرمنا بني ادم تكريما
مشتركا فيما بينهم بحيث لا يختص ببعض دون اخر وهذا اتى بصيغة الجمع والمراد الكرامة التي
وهذا عبر عنهم بوصف البنوة وعبارته وانه لم يتناول ادم عليه السلام لكون لا لانه متناول
له عليه السلام وذلك ان ترتيب التكريم على وصف البنوة المضافة اليه عليه السلام لا تخلو عن
دلالة على انه عليه السلام منشا التكريم ومبدؤه فلا حاجة الى تاويل بني ادم بنوع الانسان
بل لا وجه له اذ حينئذ تفوت الدلالة على التكريم المشترك ولما ابهم في جهة التكريم للتعظيم
واتى بالتعميم في جانب المكرم حيث ذكره بصيغة الجمع النص في التكثير دون اسم الجنس المحتمل
للتقليل والتكثير فتضمن اول الكلام واخره المبالغة فكان احرى ان يصدر طرف الكلام بحرف التاكيد
مرة بعد اخرى قيل ومن جملة كرامته ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه
بيده وفيه نظر لان القردة مع انها من الحيوانات الخسيسة تشاركه فيما ذكر فلا تصلح كرامة
ولا ان تعد خاصية له وحملناهم في البر والبحر اي حفظناهم فيهما عن التحمل يتضمن الحفظ
عادة لم يخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء او حملناهم على الدواب والسفن من حملته اذا جعلت له
ما يركبه ورزقناهم من الطيبات من فنون المستلذات وفنون النعم ما لم يجعله لغيرهم من
ساير الحيوانات ولما فرغ عن تفصيل بعض وجوه تكريمهم البديع شرع في الاجمال عن الوجوه

النفساني واحمد فيه اشعارا فيه بقصور العبارة عن تفضيله وفضلناهم تفضيلا مشتركا
كذلك على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالشرف والكرامة اتى بالتاكيد ههنا اهتماما لكونه
معنويا بخلاف تلك الاحوال الثلثة ولان الاحكام المذكورة من شواهد هذا الحكم فكان
شبها دانها تاكدت بعضها ببعض فظهر اثر تلك الشهادة في الدعوى ولما كان سياق الكلام
في النعم المشتركة بين افراد الانسان شريفها وخسيسها على ما نبهت عليه انفا ظهر وجه تخصيص
الحكم المذكور بالتكثير فان كل فرد من افراد الانسان غير مفضل على ما عداها وذلك ظاهر
ولا دلالة فيه على عدم تفضيل جنسه على جنس الملئكة لان فيه في تفضيل جنس على جنس اخر
لا حاجة الى تفضيل جميع افراد الاول على جميع افراد الثاني بل يكفي تفضيل فرد من الاول على جميع
افراد الثاني يوم ندعوا نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقيل هو على
الاغراء اي احذروا يوم ندعوا وقرئ يدعو ويدعى ويدعوا على قلب الالف واوا في لغة من
يقول افعوا او يجوز ان يقول هي علامة الجمع كما في اسروا النجوى الذين ظلموا او ضميره وكل
بدل منه والنون محذوف لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر
كما في يدعا كل اناس كل جماعة من الانس الاناس مثل الناس وهو اسم جمع بامامهم
بمن ائتموا به من نبي ادم او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم فانه يرجع
اليه في تعرف الاعمال ويرده ان المدعو الى كتاب الاعمال كل واحد من الانس لا كل جماعة منه
لعدم الاشتراك بين اثنين في كتاب واحد وقيل بامهاتهم جمع ام كخفاف جمع خف والحكمة
في ذلك اجلال عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسنين وان لا يفتضح اولاد الزنا ويرده
ايضا ما اشرنا اليه انفا ان كل امام ليست مما يشترك فيها جماعة من الانس ثم ان ثالث ما ذكر
في الصحيحين من الحديث الدال على ان الناس يدعون في الاخرة باسمائهم واسماء ابائهم
فمن اوتي من المدعوين كتابه بيمينه اي كتاب عمله فاولئك او ردة جمعا
على معنى من وقد حمل على اللفظ اولا فافرد في قوله كتابه وفي قوله بيمينه يقرءون كتابهم
لكمال صحوهم وتوفر عقلهم والذين يؤتون كتابهم بشمالهم فهم لتحيرهم وترددهم
لا يقرءون كتابهم كما اشير اليه في قوله تعالى واما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني
لم اوت كتابيه كذلك لم يذكر القراءة فيه وفي قوله يا ليتني دلالة ظاهرة على انه لا يحبس
السنتهم عن التكلم وتعليق القراءة على اتيان الكتاب باليمين لا يخلوا عن الدلالة على
ما اشير اليه بعدم ذكر القراءة في مقابله ولا يظلمون فتيلا اي لا ينقصون عما
لا يستحقون من الجزاء ادنى شيء وقد مر شرح الفتيل في سورة النساء ومن كان في هذه
اعمى فهو في الاخرة اعمى اي من كان في هذه الدار اعمى عن النظر في ايات الله
وغيره فهو في الاخرة اعمى ولما نزلت هذه الاية جاء عبد الله بن ام مكتوم الى رسول الله

وقال يا رسول الله انا في هذه اعمى افاكون في الاخرة اعمى فانزل الله تعالى فانها لا تعمى الابصار
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور فلا دلالة فيما ذكر على ان من اوتي كتابه بشماله لا يقدر
على القراءة لعدم بصره وقد مر في تفسير قوله تعالى اقرا كتابك ما يقطع عرق الشبهة وقد
جوز ان يكون الثاني بمعنى التفضيل ويعضد ذلك ظاهر ما عطف عليه من قوله واضل
سبيلا ومن ثمة قرا ابو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما لان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت
الفه في حكم الواقعة في وسط الكلام واما الاول فلم يتعلق به شيء فكانت الفه واقعة في الطرف
معرضة للامالة لانه منقوض بالامالة في قوله تعالى بالذي هو ادنى بل لانه اراد ابو عمرو
ان يفرق بينهما لما اختلف معناهما واجتمعا في اية واحدة وانما امال الاول دون الثاني
لما ذكر فانه يصلح للرجحان وانما يصلح للعلية واضل سبيلا منه لبطلان الاستعداد وفقدان
الالة والمهلة وان كادوا ليفتنونك ان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان
الشان قاربوا بمبالغتهم ان يخدعوك فاتنين بالاستنزال عن الذي اوحينا اليك
من الاحكام لتفتري علينا غيره غير ما اوحينا اليك • نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل
في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلوتنا وكل ربوا لنا
فهو لنا وكل ربوا علينا فهو موضوع وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة
وان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني به وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من
استلام الحجر حتى تلم بالهتنا وتمسها بيدك واذا اي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا
وخليلهم برئ من خلة الله تعالى ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت قاربت
تركن اليهم شيئا قليلا جواب يقتضي اذا كان مثبتا امتناعه لوجود ما قبله فمقاربة الشيء
القليل من الركون وهو الميل اليسير لم يقع منه عليه السلام فضلا عن وقوع ذلك الشيء القليل
من الميل اليسير وهذا غاية المبالغة في تنزيهه عليه السلام عن الميل الى هواهم والكون
في صدده ففيه دلالة ظاهرة على ان قوله وان كادوا ليفتنونك بيان قصدهم لا فعله
عليه السلام اذا اي لو قاربت لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات
الضعف بمعنى المضاعف وكان اصل الكلام لاذقناك عذابا ضعيفا في الحيوة وعذابا
ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف واقيمت مقامه فقيل ضعف الحيوة وضعف الممات والمعنى
لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحيوة الدنيا وما نؤخره لهم لما بعد الموت وفي ذكر الكيدودة
تقليل الميل المرة بعد اخرى مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل
بين على ان من كانت درجته ارفع ونعم الله تعالى عليه اسبغ كان وعيد الله تعالى في حقه ابلغ
ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع عنك عذابنا بالغلبة علينا وان كادوا الضمير لاهل
مكة ليستفزونك قدم تفسير الاستفزاز من الارض اي ارض مكة ليخرجوك منها

متعلق بكادوا وإذا اي لو اخرجوك منها لايلبثون خلفك بعدك وقرئ
خلافك وهو لغة فيه اي لم يمهلوا الا قليلا قدر ما ينزل بهم العذاب وما اخرجوه عليه
السلام منها بل خرج بنفسه امتثالا لامر الهجرة نعم ازعجوه عليه السلام لكن التعليق على الاخراج
لا على الازعاج وقيل الضمير لليهود المدينة وللارض ارضها وذلك انهم ارادوا المكر برسول الله
صلى الله عليه وسلم ولكنك تخاف فان كنت نبيا فاخرج اليها فان الله
تعالى سيحميك كما حمى سائر الانبيا عليهم السلام فوقع ذلك في قلبه لما يحب من اسلامهم فرحل
من المدينة مرحلة فانزل الله تعالى هذه الاية وعلى هذا ايضا لم يوجد اخراجه عليه السلام
كما هو الظاهر من قوله واذا لايلبثون خلفك الا قليلا وقرئ لايلبثوا منصوبا باذا
على انه معطوف على قوله ان كادوا لا على خبر كاد فان اذا لا تعمل اذا كان معتمدا ما بعدها
على ما قبلها سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر اي سن الله تعالى
سنة وهو ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة للرسل والاضافة الى الله
لادنى ملابسة دل على ذلك قوله ولا تجد لسنتنا تحويلا تغييرا اقم الصلوة لدلوك
الشمس لزوالها وقيل لغروبها واصله الميل وهو ينتظم المعنيين قال ابن عطية الدلوك
هو الميل في اللغة فاول الدلوك هو الزوال واخره هو الغروب وقال الماوردي من جعل
الدلوك اسما لغروبها فلان الانسان يدلك عينيه براحته لتبينها حالة المغيب ومن جعله
اسما لزوالها فلان الانسان يدلك عينيه لشدة شعاعها عند ذلك واللام للسبب لانها
انما تجب بزوال الشمس الى غسق الليل هو اجتماع الليل وظلمته وهو وقت صلوة العشا
الاخيرة وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبتدا
الوقت ومنتهاه على ان الدلوك هو الغروب واستدل به على امتداد الوقت الى غروب الشمس
وقران الفجر وصلوة الصبح سميت قرانا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا ولكن لادلالة
فيه على ذلك كما لادلالة في تسميتها قنوتا على ان القنوت ركنها وكذا لا دلالة فيه على وجوب
القراة فيها لجواز ان يكون التجوز بها لكونها مندوبة في الصلوة نعم لو كان التجاز في الفجر
بان يكون المراد منه الصلوة في ذلك الوقت لدل الامر باقامتها على الوجوب في عبارة وفي غيرها
دلالة وانتصب قران عطف على الصلوة قاله الفرا وعلى الاغرا اي فعليك بقراة الفجر قاله
الزجاج وعزاه الى البصريين ان قران الفجر كان مشهودا تشهده ملائكة الليل وملائكة
النهار رواه الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال هذا حديث
حسن صحيح والاية جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال والصلوات فقط ان فسر بالغروب
ومن الليل فتهجد من للتبعيض والفا ناسقة على مضمر اي قم فتهجد به اي بالقران والتهجد
التيقظ من النوم لا ترك النوم مطلقا قال الحجاج بن عمرو صاحب النبي صلى الله عليه وسلم ايحسب احدكم

اذا قام

اذا قام في الليل انه قد تهجد ان التهجد الصلوة بعد رقدة ثم الصلوة بعد رقدة كذلك
كانت صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من الهجود يقال تهجد اذا القى الهجود
وهو النوم عن نفسه وهذا الفعل جار مجرى تحوب وتحرج وتحنث وتنجس اذا القى ذلك
عن نفسه نافلة لك زايدة على تلك الفرايض المذكورة في الاية السابقة والزايد حقه ان
يكون من جنس المزيد عليه فالتهجد من الفرايض وانما قال لك لانه ليس بفرض في حق امته
عليه السلام وقد روي عنه ثلث علي فريضة ولامتي تطوع قيام الليل والوتر والسواك
ومن زعم انه تطوع في حقه ايضا فسر النافلة بالزيادة اي زيادة ذلك في الدرجات وذلك
لانه عليه السلام مغفور له فاذا تطوع بما ليس هو عليه كان ذلك زيادة في درجاته وغيره
من الامة تطوعهم كفارات لذنوبهم وتدارك لخلل يقع في الفرايض عسى ان يبعثك
ربك مقاما محمودا مقاما نصب على الظرف على تقدير العامل او تضمينه اذ لا يصلح
للعمل في مثل ذلك الظرف الا فعل فيه معنى الاستقرار ويجوز ان يكون حالا اي ذا
مقام محمود وروى الترمذي رحمه الله عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال المقام المحمود وهو الذي اشفع فيه لامتي وقال هذا حديث حسن فالمقام الموضع
الذي يقوم فيه الانسان للامور الجليلة ومعنى كونه محمودا انه تعالى يقيمه عليه السلام
فيه يشفع فيحمده الخلق وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق
المدخل والمخرج بضم الميم الادخال والاخراج والصدق بمعنى المرضي الحق وقرئ مدخل
ومخرج بفتح الميم بمعنى الدخول والخروج على معنى ادخلني واخرجني فادخل دخولا واخرجني
فاخرج خروجا وقيل المراد ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها امنا وقيل ادخاله الغار
واخراجه سالما وقيل ادخاله المدينة واخراجه من مكة وفيه المناسب وحينئذ تقدم الاخراج
على الادخال وقيل ادخلني فيما امرتني به واخرجني عما نهيتني عنه والظاهر انه عام في جميع
موارده عليه ومصادره دنيويه واخرويه وقيل المراد الادخال في القبر والاخراج منه ليتصل
بقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما واجعل لي من لدنك مر تفسير لدن في ال عمران
سلطانا نصيرا ينصرني على المخالف او ملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بمثل
قوله فان حزب الله هم الغالبون والنصر التمكين من الانتصار من العدو وقل جاء الحق
الاسلام وزهق الباطل اي ذهب الكفر يقال زهق روحه اذا خرج ان الباطل
كان زهوقا اي لم يزل مضمحلا وننزل قرئ بالتخفيف والتشديد من القران
من للتبيين كقوله تعالى من الاوثان قدم على المبهم اهتماما اي كل شي نزل من القران فهو
شفا للمؤمنين يستصلحون به دينهم ويتعظون به في دنياهم فموقعه منهم موقع الشفا من
المرضى وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقران فلا شفاه الله او للتبعيض

وليس معناه انه منقسم الى ما هو شفاء والى ما ليس بشفاء بل المعنى انه ينزل شيئا فشيئا فالمنا
في كل وقت بعضها هو شفاء كله ورحمة للمؤمنين بتفريج الكروب وتطهير العيوب مع
ما تفضل به تعالى من الثواب في تلاوته ولا يزيد الظالمين الا خسارا اي نقصانا
لتكذيبهم وكفرهم قال قتادة ما جالس احد القران الا وقام بزيادة او نقصان واذا
انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله كانه مستغن عنه ونأى
بجانبه تاكيد للاعراض لان الاعراض عن الشيء ان يوليه عرض وجهه والنأي بالجانب اي
يلوي عنه جانبه ويوليه ظهره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين
وقرئ على القلب وبمعنى نهض واذا مسه الشر من مرض وفقر كان يؤسا شديد
الياس من روح الله قل كل يعمل على شاكلته على طريقته التي تشاكله حاله في الهدى
والضلالة يقال طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تتشعب منه ويشهد لذلك قوله
فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اشد مذهبا وابين طريقا ويسئلونك عن الروح
الذي يحيى به بدن الانسان ويدبره قل الروح من امر ربي من الابداعيات الكائنة
بامر كن من غير مادة ومن غير اصل كاعضاء جسده وفيه اشارة الى ان الروح مما لا يمكن معرفة
ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى عليه السلام
في جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته وهذا القدر من البيان لا ينافي الابهام المذكور
فيما روي ان يهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح
فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين
لهم القصتين وابهم امر الروح لان السؤال كان عن حقيقته وهي باقية على ابهامها وقيل
الروح جبريل عليه السلام وقيل خلق اعظم من الملائكة وما اوتيتم من العلم الا قليلا
تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العلوم النظرية من الضروريات المستفادة من
المحسوسات غالبا ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما واكثر الاشياء لا يدركها الحس ولئن
شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك لنذهبن جواب قسم محذوف مغن بنيابته عن جزاء الشرط واللام
الداخلة على ان موطئة للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقران ومحوناه من الصدور والمصاحف
ثم لا تجد لك به علينا وكيلا اي لا تجد بعد الذهاب من يتوكل علينا باسترداده برواعاده
محفوظا مسطورا الا رحمة من ربك لكن نشا ذلك رحمة من ربك فبرده عليك كان رحمته
تتوكل عليه بالرد وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القران محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله
ان فضله كان عليك كبيرا اذ جعلك سيد ولد ادم واعطاك المقام المحمود وانزل عليك الكتاب
وابقاه محفوظا قل لئن اجتمعت الانس والجن لم يذكر الملك معهما لانه لا اقتدار على الاتيان
بمثله لانه مردود بقوله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا بل لان الفعل المذكور

مما لا يليق بشانه ولا يجوز ان ينسب اليه لانهم معصومون لا يفعلون الا ما يؤمرون به
على ان يأتوا بمثل هذا القران في كمال بلاغته وحسن نظمه وجودة تاليفه لا يأتون بمثله
جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولاها لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا
والعدول عن الضمير الى الاسم الظاهر لتفخيم شان ما عجز عنه الثقلان ولما كان الاجتماع على امر
قد يوجد بدون المظاهرة فيما بينهم كاجتماع المجتهدين على حكم شرعي قال ولو كان بعضهم لبعض
ظهيرا ولو تظاهروا على ما اتفقوا عليه من المعارضة باتيان مثله ولا يصلح هذا ان يكون
تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا لان القدرة على الاتيان بمثله اصعب من القدرة على استرداده
عينه ونفي الشيء انما يقرر نفي ما دونه لا نفي ما فوقه ولقد صرفنا للناس في هذا مر تفسيره
في هذه السورة القران من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسن موقعه فابى
اكثر الناس ابى متاول بالنفي اي فلم يرضوا الا كفورا اي الا جحودا وقالوا تعنتا
واقتراحا بعد ما لزمتهم الحجة ببيان اعجاز القران وانضمام غيره من المعجزات لن نؤمن لك
حتى تفجر قرئ بالتخفيف والتشديد لنا من الارض ارض مكة ينبوعا هو عين نبع
ماؤه اي يفور يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر او تكون لك جنة من نخيل وعنب
فتفجر الانهار هذا بالتشديد بالاجماع فان الانهار خلالها وسطها تفجيرا اي
يكون لك بستان يشتمل على ذلك او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يعنون قول الله
تعالى او نسقط عليهم كسفا وهو كقطع لفظا ومعنى وقرئ كسفا بالسكون وهو فعل بمعنى
المفعول كالطحن او مخفف من المفتوح كسد وسدر او تاتي بالله والملائكة قبيلا عيانا
والقبيل بهذا المعنى المناسب للمقام الخالي عن التعسف مذكور في الصحاح او يكون لك
بيت من زخرف من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة او ترقى في السماء في معارجها يقال
رقي في السلم اذا صعد ولن نؤمن لرقيك فاللام للصلة يقال امن له اذا
ازعن له على ما مر في سورة يوسف عليه السلام حتى تنزل علينا كتابا من السماء فيه تصديقك
نقرؤه فلا يحتاج الى نقلك اياه وهذا القول لعدم اعتمادهم النبي صلى الله عليه وسلم في تبليغ
القران قل وقرئ قال اي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان ربي تعجبا من
اقتراحاتهم عليه او تنزيها لله تعالى من ان ياتي او يتحكم عليه هل كنت الا بشرا رسولا كسائر
الرسل بشرا مثلهم وكان الرسل لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله تعالى عليهم من الايات فليس امر الايات
انما هو الى الله تعالى فما بالهم يتخيرون وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى وما منعهم
عن الايمان بعد نزول الوحي ومجيء القران الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا الا قولهم هذا
وكان المانع من اعتقادهم بموجب ما قالوا من ان الله تعالى اجل من ان يكون رسوله من البشر
الا انه عبر عنه بالقول تنزيلا له واخراجا عن حيز الاعتقاد قل في جوابهم لو كان في الارض

ملٰيكة يمشون مطمئنين يتصرفون فيها بالمشي قاطنين فيها وليس لهم قدرة الصعود الى
السما فيستمعون من اهلها ويعلمون ما يجب علمه لنزلنا عليهم من السما ملكا رسولا ليكون
من جنسهم فيفهمون كلامه ويسكنون اليه فاما انتم فبشر فبعثني اليكم بشرا مثلكم لتكون قلوبكم اليه
اسكن وانتم لكلامه افهم فان مقتضي الحكمة ان يكون الرسول من جنس المرسل اليه وملكا حال
من رسولا ويحتمل ان يكون موصوفا به وكذا الحال في بشرا قل جوابا لهم حين قالوا من يشهد
لك انك رسول الله كفي بالله شهيدا بيني وبينكم نصب شهيدا علي التمييز اي حسبي الله تعالى
من الشهدا او علي الحال اي كفي بالله تعالى في حال شهادته والعدول عن بيننا الي ما فيه التكرير
للتاكيد انه كان بعباده خبيرا بخفيات اسرارهم بصيرا مطلعا علي ما يظهر من افعالهم
واقوالهم فيجازيهم عليه وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار ومن يهد
الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد لهم اتي هنا بضمير الجمع تنبيها علي ان نسبة الضالين
الي المهتدين نسبة الجماعة الي الواحد ولذلك قال اوليا مع ان نفي الولي الواحد ابلغ
من دونه يهدونهم ونحشرهم يوم القيمة علي وجوههم مسحوبين عليها او ماشين عليها روي
في الصحيحين انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون علي وجوههم قال ان الذي
امشاهم علي ارجلهم قادر علي ان يمشيهم علي وجوههم عميا وبكما وصما انهم يحشرون علي
هذه الصفة ثم يخلق لهم ذلك قبل دخولهم في النار فابصروا لقوله وراي المجرمون النار
فظنوا انهم مواقعوها وتكلموا لقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا وسمعوا لقوله تعالى سمعوا لها
تغيظا وزفيرا وقيل لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما
يقبل منهم ويرده ان قوله تعالى اليوم نختم علي افواههم صريح في نفي القدرة علي مطلق التكلم
عنهم وان قوله تعالى وتكلمنا ايديهم دل علي ان ذلك في الموقف قبل الانصراف عنه الى النار
وبهذا اندفع احتمال ان يكون ذلك بعد الدخول فيها اي عند المشارفة عليها ماواهم
جهنم كلما خبت سكن لهبها الخبو سكون النار عن الالتهاب وما قيل بان اكلت جلودهم ولحومهم
يرده قوله كلما نضجت جلودهم بدلنا جلودا الاية صريح في النار لا يتجاوز في تعذيبهم عن حد الانضا
الى حد الاحراق والافنا زدناهم سعيرا توقدا وانما قال زدناهم دون زدناها علي انهم
وقودها علي ما نطق به قوله وقودها الناس والحجارة ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا
وقالوا ايذا كنا عظاما ورفاتا اينا لمبعوثون خلقا جديدا قدم تفسيره في هذه السورة
اولم يروا اولم يعلموا اذ ذلك علما يقوم مقام العيان في حق الايقان ان الله الذي
خلق السموات والارض قادر علي ان يخلق مثلهم واذا اقدر علي خلق مثلهم قدر علي اعادتهم
خلقا جديدا وجعل لهم اجلا لا ريب فيه هو الموت او القيمة فابي الظالمون الا كفورا
جحودا قل لو انتم تملكون انتم فاعل بفعل محذوف يفسره ما بعده تقديره لو تملكون انتم

تملك وابدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو انتم لسقوط ما يتصل
به من اللفظ كقوله وان هو لم يحمل علي النفس ضيمها وفيه دلالة علي اختصاص المخاطبين
في الامساك مع الايجاز خزاين رحمة ربي اي خزاين نعمه اذا لامسكتم اي لامسكتموها
خشية الانفاق لاجل خوف الفقر وكان الانسان قتورا مضيقا للنفقة وزيادة
كان لبيان ان الانسان مجبول علي الشح والضنة ومن يوق شح نفسه انما يوق بعصمة الله تعالى
اياه وما ذكر جواب قولهم لن نؤمن لك حتي تفجر لنا من الارض ينبوعا حتي نتوسع في المعيشة
اي لو توسعتم لبخلتم ايضا ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات قدم تفسيره في سورة
الاعراف وليس انفجار الما من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور منها بدلالة ان الخطاب في
قوله تعالى لقد علمت ما انزل هولاء الا رب السموات والارض لفرعون وهذه الايات بعضها
عند هلاكه وبعضها بعده فاسئل بني اسرائيل اي فاسئل علما بني اسرائيل اذ جاءهم اي
جاء اسلافهم والعامل في اذ محذوف تقديره فاسئل عن حديث او عن قصة بني اسرائيل اذ جاء
فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا اي ساحرا قال الفرا وابو عبيدة فوضع المفعول
موضع الفاعل كما تقول هذا ميشوم وميمون اي شايم ويامن ويشهد لذلك قوله تعالى
قال لقد علمت ما انزل هولاء الا رب السموات والارض بصاير فانه ظاهر في رد ان تكون
تلك الايات سحرا وقرا الكسائي علمت بالضم اي قال موسى عليه السلام علمت انا وقرا الباقون
بالفتح اي علمت انت يا فرعون لانه عاند مع علمه لقوله تعالى وجحدوا باياتنا واستيقنتها
انفسهم ولقوله انك لصحة عقلك وسلامة حسك تعلم ان ما جيت به من الايات ليس سحرا
بل هي حجج الله تعالى التي من تاملها استبصر فيها اي تيقن انها من عنده تعالى وانتصب بصاير
علي الحال والعامل فيه محذوف تقديره انزلها بصاير واني لاظنك يا فرعون مثبورا
هلكا وخاسرا وقيل مصروفا عن الخير وكان موسى عليه السلام عالما بذلك بيقين وانما قال
اظن اظهارا للتفريط في تزويرما ادعاه وفايدة دفع وهم المبالغة فيه وصونه عن مظنة
الافراط فاراد فرعون ان يستفزهم ان يخرج موسى عليه السلام وقومه بالنفي و القتل
وقدم في هذه السورة ما يتعلق بمعني الاستفزاز من الارض ارض مصر او الارض مطلقا
فاغرقناه ومن معه جميعا فحاق بهم مكرهم وقلنا من بعده من بعد فرعون لبني اسرائيل
اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم منها هذا علي تقدير دخول موسى عليه السلام ومن معه من
بني اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ظاهر واما علي تقدير عدم ذلك علي ما ذهب اليه بعضهم فلا
بد من تعبير التعريف في الارض بالجنس والمعقول بان الامر المذكور انما كان لاولاد من معه عليه
السلام لا لهم فاذا جاء وعد الدار الاخرة يعني قيام القيمة جينا بكم لفيفا مختلطين
اللفيف ما اجتمع من الناس من قبايل شتي قال الاصمعي اللفيف جمع وليس له واحد وهو مثل الجميع

وبالحق انزلناه وبالحق نزل اي ما انزلنا القران الى سماء الدنيا الا محفوظا عن اعتراء البطلان
وما نزل على الرسول الا كذلك وتكرير الحق باسمه الظاهر للتفخيم وما ارسلناك الا مبشرا
بالثواب للمطيعين ونذيرا بالعقاب للعاصين وليس لك شي ورا ذلك وقرانا فرقناه
نزلناه مفرقا منجما وقري بالتشديد لكثرة نجومه لتقراه على الناس على مكث على تثبت وترسل
فانه ايسر للحفظ وقري بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا على حسب الاسباب وتقتضي
الحكمة قل امنوا به او لا تومنوا يتضمن الاعراض عنهم والاحتقار لهم وعدم الاكتراث بهم
فان ايمانهم بالقران لا يزيده فضلا وامتناعهم عنه لا يورثه نقصا وقوله ان الذين اوتوا العلم
وهم مومنوا اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واخرابه تعليل له اي ان لم تومنوا به فقد امن به من
هو خير منكم من قبله من قبل نزول القران اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا تعظيما
لامر الله تعالى وشكر الانجاز وعده في الامم السابقة ببعثة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
والخرور السقوط بسرعة وانما ذكر الاذقان مبالغة في التحامل على الجبهة والانف حتى كانه يلصق
الذقن بالارض واللام بمعنى على وقيل للاختصاص وفيه ما فيه وانتصاب سجدا على الحال ○
ويقولون اي في سجودهم سبحان ربنا عن خلف الوعد ان كان وعد ربنا لمفعولا
انه كان وعده كاينا لا محالة ويخرون للاذقان كرره لاختلاف الحال والسبب فان الاول
للشكر عند انجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ القران يبكون اي ههنا بالفعل
اشعارا بالتجدد فان منشا البكا وهو التفكر والتذكر مما يتجدد بخلاف منشا السجود •
ويزيدهم سماع القران خشوعا لما يزيدهم علما ويقينا بالله تعالى وقدم تفسير الخشوع
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزلت حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو اخر والمراد التسوية بين اللفظين
بانهما يطلقان على ذات واحد وان اختلفا باعتبار الاطلاق ⁂

• عباراتنا شتى وحسنك واحد • وكل الى ذلك الجمال يشير •

والدعا بمعنى التسمية وهو يتعدى الى المفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير وقيل
وقيل لما نزلت قالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله تعالى في التورية والمعنى انهما
سيان في حسن الاطلاق والافضا الى المقصود ويعضده قوله ايا ما تدعوا فله الاسماء
الحسنى اصله ايا ما تدعوه فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة
على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام والتنوين في ايا عوض
عن المضاف اليه وما صلة لتاكيد ما في اي من الابهام والضمير في له للمسمى ولا تجهر بصلوتك
بقراة صلوتك على حذف المضاف حتى لا تسمع المشركون فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها •
ولا تخافت بها كل المخافتة حتى لا تسمع من خلفك من المومنين والمخافتة خفض الصوت

وابتغ

وابتغ بين ذلك بين الجهر والمخافته سبيلا • وسطا فان خير الامور اوسطها وقيل
معناه لا تجهر بصلوتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا
والجهر ليلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا فيه رد لمن قال عزير ابن الله ولمن قال
المسيح ابن الله ولمن قال الملئكة بنات الله ولم يكن له شريك في الملك في الالوهية
وفيه رد للثنوية القايلين بتعدد الاله ولم يكن له ولي من الذل من اليهود لانهم
اذل الناس وفيه رد لقولهم نحن ابنا الله واحباؤه وقال الحسين بن الفضل يعني لم يذل
فيحتاج الى ولي وناصر يجيره من الذل لعزته وكبريائه وهذا قول حسن يعضده قوله
وكبره تكبيرا التكبير ابلغ لفظة للعرب في معنى التعظيم والاجلال وانما اكد بالمصدر
تحقيقا له وابلاغا معناه ولما كان اتخاذ الولي قد يكون للانتصار والاعتزاز به ولحرمانها
من الذل وقد يكون بالتفضل والرحمة لمن والى من عباده الصالحين كان النفي لمن ينتفي
به من اجل المذلة له اذا كان مورد الولاية يحتمل هذين الوجهين فنفى الجهة التي لاجله
النقص بخلاف الولد والشريك فانهما نفي على الاطلاق لعدم احتمالهما الوجهين في شانه
تعالى وانما رتب الحمد على وصفه بنفي الولد والشريك والذل لان من هذا وصفه هو
الذي يقدر على ابلا كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد وهذه السورة الكريمة ابتدئت
بتنزيه الله تعالى واختتمت به والحمد لله على التمام بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب في ترتيب استحقاق الحمد على انزال القران تنبيه
على عظم شانه من بين النعم الجسام وذلك بهدايته الى ما فيه كمال العباد ودعوته اليها
به انتظام صلاح المعاش والفلاح في المعاد ولم يجعل له عوجا من تمام الصلة على انه
عطف بيان اذ المعنى انزل على عبده الكتاب الكامل في بابه قال ابن السكيت كل ما ينتصب
كالحايط والعود يقال فيه عوج بالفتح والعوج بالكسر ما كان في ارض او دين او معاش
وتنكيره لتعميم النفي في انواع الانحراف عن سنن الاستقامة والاعتدال فانتفى عليه من
جهة الاختلال في الترتيب والاختلاف في النظم والتنافي في المعنى قيما على الكتب
السابقة بالتعبير والتقرير او بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل لغيره بعد وصفه بالكمال
وقيل المراد ثبات الاستقامة والاعتدال فانتفى عليه السوال عن فايدة الجمع بينه وبين
نفي العوج فان مفهوم احدهما غير ما فهم من الاخر واجيب بان فايدة التاكيد ورب مستقيم
شهد له بالاستقامة لا يخلو عن ادنى عوج عند التتبع والتصفح ويرد عليه بعد الاغماض عن
انما ذكر فيما شهد له العباد ان ذلك انما يصح ذكر النفي عقيب الاثبات دون العكس وبعد
التيا والتيان التاسيس خير من التاكيد والافادة اولى من الاعادة وانتصابه على الحال
من الكتاب لا من الضمير في له لما فيه من الركاكة التي يجب تنزيه كلام الله تعالى عنها ولا حاجة

الي تقدير مضمر لان مبناه ان يتعين عطف ولم يجعل على انزل وقد عرف فساده تقدم تمام ذلك
المبني لينذر الطلق لعمومه الجنس وعدم اختصاصه باحد الفريقين على ما افصح عنه قوله
تعالى ان انذر الناس وبشر الذين امنوا في اطلاقه هنا دفع وهم الاختصاص السابق الي
الفهم من قوله وينذر الذين قالوا باسا عذابا شديدا من لدنه تقدم الكلام عليه
في سورة هود عليه السلام ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم بان لهم وان
تضمن يبشر معنى يبين لم يحتج الي الباء اجرا حسنا ثوابا جميلا في الجنة واما نفس الجنة ففي
التبشير بها يكفي الايمان ولا حاجة الي العمل الصالح عند اهل الحق ماكثين فيه في اجر
اي في محله ابدا لا الي غاية وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا خصهم بالانذار بعد ما
عم الجميع لغاية فحش صنيعهم وترتبه على القول شعارا بانهم استحقوا الانذار به مع قطع النظر
عن الاعتقاد وابهم المنذر به ليذهب الوهم كل مذهب وفيه ما لا يخفى من التهويل ما لهم به
اي بما قالوا من علم شي من العلم لاستحالة المعلوم والجملة في موضع الحال اي قالوا جاهلين
به ولا لابائهم اي قلدوا فيه اباءهم وهم مثلهم في الجهل كبرت كلمة عظمت مقالتهم هذه
في الافتراء على الله تعالى قراه الجمهور بالنصب على التمييز وقري بالرفع على الفاعلية والاول اولى
وابلغ لما فيه من الابهام والتبيين وفيه معنى التعجب ومرجعه الي تعظيم الامر في قلوب السامعين
كانه قيل ما اكبرها كلمة تخرج من افواههم صفة للكلمة ووصفها بذلك مع ان العلم الضروري
حاصل بان شان جنسها ذلك فلا له من فايدة وهي الاشعار بانه لا ينبغي ان يتصف بهذه الكلمة بقصد
قلبي لوضوح بطلانها فكانه قيل تخرج بنفسها بلا اخراج منهم وفيه تاييد لقوله ما لهم به من علم
ان يقولون الا كذبا الا قولا كذبا فلعلك باخع نفسك لعل للترجي في المحبوب والاشفاق
في المحذور والبخوع الاهلاك من شدة الوجد على اثارهم عبر عن ادبارهم وتباعدهم عن
التصديق بالقران على وجه فصيح شبهه اياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا وما تداخله من الوجد
والاسف بمن فارقه احبته فهو يتساقط حسرات على اثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم فاستعارة
تمثيلية وقري على الاضافة وهو للاستقبال ان قري ان لم يؤمنوا بالكسر للمضي ان قري
بالفتح بمعنى لان لا يؤمنوا فلا يجوز اعمال باخع الا ان جعل حكاية حال ماضية لتصوير تلك الحالة
في ذهن السامع واستحضارها بهذا الحديث اي القران اسفا مفعول له اي لفرط الحزن
ويجوز ان يكون حالا انا جعلنا ما على الارض من الزخارف يرشدك الي هذا قوله تعالى قوله
تعالى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت زينة لها مفعول ثان لجعلنا بمعنى صيرنا ويحتمل
الحال على انه بمعنى وجدنا لنبلوهم ايهم احسن عملا في تعاطيه وحسن العمل الزهد فيها وترك
الاغترار بها ثم زهد في الميل بقوله وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ترابا لا نبات فيه
والجرز الارض التي قطع نباتها من الجرز بمعنى القطع فيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وفقرا المؤمنين عما احتوت ايدي المترفين من زينتها ام حسبت بل احسبت ان اصحاب
الكهف والرقيم الكهف النقب المتسع في الجبل وما لم يتسع منها فهو غار ذكره القرطبي والرقيم
اسم الجبل او الوادي او القرية او الكلب ولوح رقمت فيه اسماؤهم وجعلت على باب الكهف وقيل الرقيم
اصحاب الغار الذي انطبق عليهم فذكر كل واحد منهم اصلح عمله وفي هذا خبر معروف اخرج في الصحيحين
وقال قوم اخبر الله تعالى عن اصحاب الكهف ولم يخبر عن اصحاب الرقيم بشي كانوا في بقائهم احياء
مدة مديدة بلا غذا من اياتنا عجبا اي احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا
فليس كذلك بل كل اياتنا ما هو اعجب منهم وقال القشيري ازال موضع الاعجوبة من وصفهم حيث
اضافه الي نفسه بقوله من اياتنا وتقليب العادة من الله تعالى ليس بمستبدع اذ اوى الفتية
الي الكهف حين التجاوا اليه وروي انهم كانوا شبانا من اولاد الاشراف اراد دقيانوس ملكهم
على الشرك فابوا وهربوا الي الكهف فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة من خزاين رحمتك الموجبة
للمغفرة والرزق والامن وهيئ لنا من امرنا الذي فيه من مفارقة الكفار رشدا نصير
بسببه مهتدين واجعل امرنا كله هدى والرشد اصابة الطريق الموذي الي البغية وكذا الرشد
والرشاد واصل التهيئة احداث هيئة الشي فضربنا على اذانهم اي منعناهم ان يسمعوا فلم
يضطرب هذا كقول العرب ضرب الامير على يد الرعية اذا منعهم عن الفساد وضرب السيد على يد عبده
الماذون اذا منعه من التصرف وتخصيص الاذان بالذكر لان النوم قلما ينقطع الا من جهتها
ولا يستحكم الا مع تعطلها اشير الي ذلك في قوله عليه السلام ذاك رجل بال الشيطان في اذنه
والذاهبون الي ان المعنى ضربنا عليها حجابا من ان تسمع ذاهلون على ان الحجاب لا يناسبه السمع
ولذلك ادخل السمع في قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة تحت الختم
دون التغشية على ما اعترفوا به وذكروه في تفسيره في الكهف سنين عددا قال الزجاج تعد
عددا لكثرتها لان القليل يعرف مقداره من غير عد فاذا كثر عد واما قولهم دراهم معدودة
فهو على القلة لانهم كانوا يعدون القليل ويزنون الكثير ثم بعثناهم اي من نومهم يقال
احيي او اقيم من نومه مبعوث لانه كان ممنوعا من الانبعاث والتصرف لنعلم عبارة عن
خروج ذلك الشي الي الوجود ومشاهدته وعاهذا على نحو كلام العرب والا فقد كان الله تعالى
علم ذكره القرطبي فلا حاجة الي اثبات التعليقين لعلمه تعالى حالي واستقبالي اي الحزبين المختلفين
منهم او من غيرهم في مدة لبثهم احصى لما لبثوا امدا ضبط امد الزمان لبثهم والامد الغاية وما
في معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتدا واحصى خبره فهو فعل ماض وامدا مفعول له ولما
لبثوا حال منه او مفعول وقيل انه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وامدا تمييز وقيل احصى
اسم تفضيل من الاحصا بحذف الزوايد كقولهم احصى للمال وافلس من ابن المذلق ورد عليه بان
بنا اسم التفضيل من الاحصا بحذف الزوايد الثلاثي المجرد شاذ فلا يقاس عليه ولان امدا لا ينصب

بافعل لانه لا يعمل ولا يلبثوا العدم سدادا المعني عليه فان زعمت نصبه باضمار فعل يدل عليه
احصي كما في قوله واضرب منا السيوف القوانسا فقد ابعدت المتناول وهو قريب حيث ابيت
ان يكون احصي فعلا ثم رجعت مضطرا الي تقديره ولكنه مردود اما اولا فلان دعوي الشذوذ مذهب ابي
علي وعند سيبويه هو قياسي وبه اخذ الزجاج وعلى اختيار ابن عصفور ان الهمزة اذا كانت لغير
النقل كاشكل الامر واظلم الليل يجوز ان يقال ما اشكل هذه المسئلة وما اظلم هذه الليلة والهمزة
في احصي ليست للنقل واما ثانيا فلان قوله ان افعل لا يعمل ليس بصحيح لانه يعمل في التمييز ومن
زعم ان احصي اسم تفضيل لم يجعله مفعولا به بل جعله تمييزا ومثله بما يقال زيد اقطع الناس سيفا
واما ثالثا فلانه يجوز ان يكون نصب امدا على نزع الخافض تقديره لما لبثوا من امد على ان
الامد بمعني المدة ولعل هذا مراد الطبري حيث ذهب الي ان نصب امدا بلبثوا واما رابعا فلان اسم
التفضيل ينصب المفعول به في مذهب الكوفيين فلا اضطرار الي تقدير فعل وانما ذلك على تقدير
ثبوت نزول القران على مذهب البصريين نحن نقص عليك نبأهم النبأ الخبر ذو شان بالحق
بالصدق انهم فتية جمع فتي كصبي وصبية امنوا بربهم الرب السيد الناظر في مصالح عبيده
وللاشعار بذلك عدل عن امنوا بنا وزدناهم هدي بالتثبت وربطنا على قلوبهم من المجاز
ربط الله على قلبه صبره ومنه رابط الجاش لما كان الخوف والقلق يزعج القلوب عن مقارها الا تري
الي قوله تعالى وبلغت القلوب الحناجر قيل في مقابلته ربط على قلبه اذا تمكن وثبت وهو تمثيل
والعدول عن التعدية الي على من باب يجرح في عراقيبها للمبالغة اذ قاموا على قدم الصدق ومجاز
يقال قام الي امر كذا اذا عزم عليه بغاية الجد فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من
دونه الها لم يقل ربا لان جهة توجههم تعالى الالوهية لا الربوبية لقد قلنا اذا شططا
والله لقد قلنا اذا قولا شططا والشطط الخروج عن الحد لغلوه فيه يقال شط منزل فلان اذا جاوز
القدر ويقال شط في البعد مصدر وصف به للمبالغة هؤلاء مبتدا قومنا عطف بيانه
اتخذوا من دونه الهة خبره وهو خبر في معني انكار لولا يأتون لولا حرف تحضيض بمعني هلا
مصحوبة الانكار عليهم على الوهيتهم بسلطان بين بحجة بالغة ظاهرة فيه دليل على فساد التقليد
في اصول الدين فمن اظلم ممن افتري على الله كذبا بنسبة الشريك اليه تعالى واذ اعتزلتموهم
خطاب من بعضهم لبعض والاعتزال يشمل الجسماني والقلبي من مفارقة قومهم ومعتقداتهم وما
يعبدون الا الله عطف على الضمير المنصوب سواء كان موصولا او مصدرية والاستثناء متصل ان كانوا
يعبدون الله تعالى مع الهتهم ومنقطع ان لم يعرفوه تعالى ويجوز ان تكون ما نافية على انه اخبار من الله
عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه تحقيقا لمضمون الجملة فاووا الي الكهف ينشر لكم ربكم
يبسط الرزق لكم ويوسع عليكم من رحمته في الدارين ويهيئ لكم من امركم مرفقا ما ترتفقون
اي ما تنتفعون قالوا ذلك ثقة بفضل الله تعالى وقوة في رجائهم وقرئ مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء

قال الجوهري

قال الجوهري من قرا مرفقا جعله مثل مقطع ومن قرا مرفقا جعله اسما مثل مسجد ويجوز مرفقا اي رفقا
مثل مطلع ولم يقرأ به وتري الشمس اذا طلعت الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولكل احد والمعني
انك لو رايتهم لرايتهم كذا لان المخاطب رآهم على التحقيق تزاور عن كهفهم تتنحي وتميل فلا يقع شعاعها
فتؤذيهم وامثله تتزاور فادغمت التاء في الزاي وقرئ بحذفها وقرئ تزور كتحمر وتزوار كتحمار
وكلها من الزور بمعني الميل ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين واذا
غربت تقرضهم تعني يمين الكهف وشماله وهم في فجوة منهم اي وهم في متسع داخل الكهف بحيث
لا يراهم من كان ببابه وينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الكهف وهذا ايضا من تتمة ما ذكر
وذلك لان باب الكهف في مقابلة بنات النعش واقرب المشارق والمغارب الي محاذاته مشرق
راس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن
وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جانبه ويحلل عفونته ويعدل
هواه ولا يقع عليهم فيؤذي اجسامهم ويبلي ثيابهم ومبناه الغفول عما في تقرضهم من الدلالة على
دخول الشمس في الكهف عند غروبها ثم ان ما ذكره من حكم مقابلة لبنات النعش يختلف
باختلاف الاقاليم طولا وعرضا ثم ان قوله ولا يقع عليهم فيؤذي اجسامهم ويبلي ثيابهم اخرا
لما وقع في شانهم من خوارق العادات عن حدها ببيان اسبابها العادية على ان ما ذكره
لا يصلح سببا كافيا ذلك من ايات الله قالوا ذلك ليس اشارة الي الايواء ولا الي
التزاور والقرض بل الي حفظ الله تعالى اياهم في ذلك الكهف تلك المدة الطويلة من تبرا
عن اختياره في احيائه وصدقه رجوعه الى الله تعالى في اخواله ولم يستعن بغير الله من اشكاله
اواه الي الكهف افضاله وكفاه جميع اشغاله وهيا له محلا تبقيا فيه من برد ظلاله بكمال اقباله
من يهد الله بالتوفيق فهو المهتدي للذي اصاب الفلاح ثناء عليهم بانهم جاهدوا
في الله تعالى واسلموا له وجوههم فلطف بهم وارشدهم الي نيل تلك الكرامة ومن يضلل الا الاضلال
من الله تعالى بخلق فعل الضلال عندنا وعند المعتزلة مؤول بالخذلان فلن تجد له وليا
مرشدا من يليه ويرشده والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل احد كما في السابق واللاحق
وتحسبهم ايقاظا لانفتاح اعينهم وتنفسهم واما تقلبهم فانما يقع احيانا فلا يصلح سببا
لحسبان كل من يراهم والايقاظ جمع يقظ ويقظ بضم القاف وكسرها وهو اليقظان وهم رقود
نيام ونقلبهم اضاف التقليب الي نفسه لانه بتخليقه خاليا عن الاسباب العادية وشرائطها
ذات اليمين وذات الشمال قال ابن عباس رضي الله عنه ولم يقلبوا لاكلتهم الارض وذات منصوب
على الظرف لما مر ان حقيقتها الجهة وقرئ ويقلبهم والضمير لله تعالى وتقلبهم على المصدر منصوب
بفعل يدل عليه وتحسبهم اي وتري تقلبهم وكلبهم اكثر المفسرين على انه كلب حقيقة وكان لصيد
احدهم او زرعه او غنمه ذكره القرطبي فلا تأييد في قراءة وكالبهم اي صاحب كلبهم لما قيل انه كلب

زاع مروابه فتبعهم وتبعهم الكلب بل التأبيد لخلاف اذ الظاهر منها ان يكون الكالب من الفتية
وقالت فرقة لم يكن كلبا حقيقة وانما كان احدهم وكان قد قعد عند باب الكهف طليعة لهم كما سمي
النجم التابع للجوزا كلبا وقد حكى ابو عمرو المطرزي انه قرى وكالبهم وحمل على هذا الرجل ان تبسط
الذراعين واللصوق بالارض مع رفع الوجه للتطلع هيئة الريبة المستخفي بنفسه ويحتمل ان يراد بالكلب
الكلب باسط ذراعيه اعمل اسم الفاعل وهو بمعنى المضي لانها حكاية حال ماضية ولم يقصد
الاخبار عن فعل الكلب وعند الكسائي وهشام وابي جعفر من البصريين كونه بمعنى المضي
غير مانع عن العمل والذراع من طرف المرفق الى طرف الاصبع الوسطى بالوصيد بالباب ولم
يكن للكهف باب فالمراد منه موضع الباب ولذلك قال ابو رق فم الشعب لو اطلعت عليهم
اي لو شاهدتهم اصله الاشراف على الشيء ناظرا اليه ويكنى به عن المشاهدة الكاملة والخطاب
لمن في وترى الشمس وقرا ابن كثير بالتشديد للمبالغة وقرى بضم الواو لوليت منهم لاعرضت
بوجهك عنهم وانصبت فرارا على المصدر اما لفررت محذوفة واما لوليت لانه بمعنى لفررت
او على العلة او على الحال ولملئت منهم رعبا خوفا يملأ صدرك لما البسهم الله تعالى من الهيبة
وقيل لطول اظفارهم وشعورهم واجرامهم وقيل لوحشة مكانهم ويأباه قوله منهم والصحيح في امرهم
ما قال ابن عطية ان الله تعالى حفظ لهم الحالة التي ناموا عليها ليكون لهم ولغيرهم فيهم اية ولم
ينكر الناهض الى المدينة الا معالم الارض والبناء ولو كانت في نفسه حالة ينكرها لكانت عليه اهم
وايضا لما قال بعضهم لبعض لبثنا يوما او بعض يوم وقيل لانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم
وبالجملة كان الناس محجوبين عنهم بالرعب لئلا يصلوا اليهم وقرى لمليت بالتشديد للمبالغة ورعبا
مفعول ثان او تمييز وقرى بضم العين وكذلك بعثناهم البعث التحريك عن سكون اي ايقظناهم
من نومهم على ما كانوا عليه من هيئاتهم لم يتغير شيء من ابدانهم وثيابهم ليتسالوا بينهم ليسال
بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله تعالى
ويزدادوا يقينا ويشكروا ما انعم الله به عليهم ويستبصروا امر من البعث قال قائل منهم كم لبثتم
قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قال الحسن دخلوا الكهف في اول النهار فنظروا حين استيقظوا
فاذا هو اخر النهار ثم راوا من الشمس بقية فقالوا او بعض يوم وكان كذلك ولم يوصفوا فيه بالكذب
ولم يؤاخذوا به قالوا ربكم اعلم بما لبثتم انكارا عليهم من بعضهم استدل ابن عباس رضي الله عنه
بهذه الاية على ان الصحيح من الاقوال في عددهم انهم سبعة بناء على ان اقل الجمع ثلثة قيل انهم دخلوا الكهف
وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا انهم في يومهم فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا ذلك
وفيه نظر قدمه وجهه ولما اخذهم ما ياخذ من نام طويلا من الحاجة الى الطعام قالوا فابعثوا
احدكم كانهم قالوا فيما بينكم ودعوا علم ذلك الى الله تعالى بورقكم قرى بكسر الراء وسكونها وبالتثقيل
وادغام القاف في الكاف وبالتخفيف مكسورة الراء ومدغما وغير مدغم ورد الادغام لالتقاء الساكنين

على غير حده والورق الفضة المضروبة نص عليه في الصحاح والقاموس كانوا قد استصحبوها حين
خرجوا ادرايهم لنفقتهم وكانت حاضرة عندهم فلهذا اشاروا اليها بقولهم هذه الى المدينة هي
طرسوس فلينظر ايها الضمير للمدينة والمراد اهلها بطريق الاستخدام ازكى طعاما اكثر بركة
قال ابن عباس وعلي رضي الله عنهم انه الارز فانه يزداد بالطبخ وهو من تدبير قليل البضاعة وفي
تفسير القرطبي قيل انهم امروه ان يشتري ما يظن انه طعام اثنين او ثلثة لئلا يطلع عليهم ثم اذا طبخ
كفى جماعة ولهذا قيل ذلك الطعام الارز فلياتكم برزق منه وليتلطف اي وليتكلف في استعمال
دقائق التدبير في دخول المدينة وشراء الطعام فلا يعلم به في ذهابه وايابه ولا يشعرن بكم احدا
ولا يفعلن ما يؤدي الى الشعور بكم وضمير انهم عايد على ما دل عليه المعنى من اهل تلك المدينة
ان يظهروا عليكم ان يطلعوا عليكم او ان يظفروا بكم يرجموكم يقتلوكم برمي الحجارة او يعيدوكم
في ملتهم يصيروكم فيها وانما لم يقل اليها لانه لا يلزم من العود الى الشيء التلبس به وقيل العود على
معناه الشايع لانهم كانوا على دينهم ثم امنوا ولن تفلحوا اذا ابدا ولن تفوزوا بخير ابدا ان
ارتددتم وكذلك اعثرنا عليهم المفعول محذوف تقديره اعثرنا هم عليهم اي كما انمناهم وبعثناهم
ليزدادوا بصيرة اطلعناهم عليهم واصله ان من عثر برجله على شيء وهو غافل نظر اليه حتى يعلمه فاستعير
العثور للاطلاع ليعلموا اي ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله بالبعث والموعود
الذي هو البعث حق لان نومهم وانتباههم بعد المدة المتطاولة كحال من يموت ثم يبعث
وان الساعة لاريب فيها وان القيمة لاريب في امكانها فان من توفى نفوسهم وامسكها ثلثمائة سنين
حافظا ابدانهم عن التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها قادر ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى ان
يحشر ابدانها فيردها عليهم اذ يتنازعون ظرف لاعثرنا بينهم امرهم امر الفتية حين اماتهم
الله تعالى ثانيا فقال بعضهم ماتوا وقال اخرون ناموا نومهم اول مرة فقالوا ابنوا عليهم
اي على باب كهفهم بنيانا لئلا يتطرق اليهم الناس والدواب ولا يتعرض لهم السباع ربهم اعلم بهم
باحوالهم انهم ماتوا او ناموا قال لم يقل وقالوا لانه لم يذكر في موضع المنازعة الذين غلبوا
على امرهم اي قال عظماؤهم بعد الاتفاق على البناء عليهم لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه ويتبرك
في مكانهم سيقولون الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل
الكتاب والمؤمنين ثلثة رابعهم كلبهم هم ثلثة رجال رابعهم كلبهم اي جعلهم اربعة بانضمامه اليهم
قيل هو قول اليهود ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قاله النصارى وانما لم يذكر بالسين اكتفاء
بعطفه على ما هو فيه رجما بالغيب يرمون رميا بالخبر الخفي الذي لا اطلاع لهم عليه ويقولون
سبعة وثامنهم كلبهم قال المسلمون باخبار الرسول عليه السلام عن وحي جبريل على ابائه اخراج هذا
القول عن حيز الرجم بالغيب واما اتباعه قل ربي اعلم بعدتهم فلا دخل له في الاتباع المذكور ولا دلالة
في قوله ما يعلمهم الا قليل ان ذلك القليل من جنس الانس حتى يمشي ان يقال اثبت العلم بهم لطائفة

بعد ما حصر اقوال الطوايف في الثلثة المذكورة فان عدم ايراد الرابع في نحو هذا المحل دليل العدم
مع ان الاصل ينفيه ثم رد الاولين بالاتباع المذكور ليتعين الثالث وانما التمسك بالواو بان يقال
انها دخلت على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا عن المعرفة لتاكيد لصوق الصفة
بالموصوف والدليل على ان اتصافه امر ثابت فضعيف لانها من المحكي لا من الحكاية فلا تدل الا على
ان الثبوت عند القايل لا عند الله تعالى نعم لو قيل انها تدل على تصديق القايلين بانهم سبعة لانها
عاطفة على كلام المصدق تقديره نعم وثامنهم كلبهم كما اذا قال قايل زيد شاعر وقيل وفقيه ايضا
اي نعم وفقيه ايضا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انتوضا بما افضلت الحمر قال وبما افضلت السباع
وقال جماعة ومنهم الامام ابو منصور الماتريدي لما بين الله تعالى ذلك لاهل الكتاب ولا لنبيه
عليه السلام ولو كان علمه به يغنيه عن السوال عنهم فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا غير متعمق فيه
فلا تجادل اهل الكتاب في شان اهل الكهف الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما
اوحى الله اليك من غير تجهيل لهم ولا تعنيف بهم بالرد عليهم ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تستفتهم
من جهتهم قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة روي انه عليه السلام سال نصارى نجران عنهم فنهي
عن السوال ذكره القرطبي ولا تقولن لشيء لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل ذلك الشيء فيما
قال فاعل بالتنوين دون الاضافة لمكان قوله غدا ومبنى ذلك على قاعدة ذكرناها في تفسير اني
جاعل في الارض خليفة الا ان يشاء الله الا بان يشاء الله اي الا ملتبسا بمشيته قائلا
ان شاء الله وهذا نهي تاديب من الله تعالى لنبيه عليه السلام حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح
وعن اصحاب الكهف وذي القرنين فسالوه فقال ايتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطا عليه الوحي
حتى شق عليه وكذبته قريش فقوله غدا بمعناه الحقيقي لا بمعنى ما يستقبل من الزمان وعدم
اختصاص الحكم به من جهة دلالة النص لا من جهة عبارته واذكر ربك اي مشية ربك وقل
ان شاء الله اذا نسيت اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس رضي الله عنه
ولو بعد سنة ما لم يحنث قال القرطبي هذا في تدارك التبرك بالاستثناء والتخلص عن الاثم واما
الاستثناء المفيد حكما فلا يصح الا متصلا ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار
اذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه وقل عسى ان يهدين ربي يدلني لاقرب من هذا
لاقرب رشدا واظهر دلالة على اني نبي من نبا اصحاب الكهف وقد فعل ذلك من حيث اتاه من قصص الانبيا
والاخبار بالغيوب ما هو اعظم من ذلك وادل والظاهر ان يكون المعنى اذا نسيت شيا فاذكر ربك
وذكر ربك عند نسيانه ان تقول عسى ربي ان يهديني شيا اخر بدل هذا المنسي اقرب منه رشدا وادنى
خيرا ومنفعة منه ولعل النسيان كان خيرة لقوله تعالى او ننسها نات بخير منها ولبثوا في كهفهم
يريد لبثهم فيه احياء مضروبا على اذانهم ثلثماية سنين قرا حمزة والكسائي بالاضافة على وضع الجمع
موضع الواحد ويحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد وان الاصل في العدد الاضافة

ع

ج

رشدا

الى الجمع

الى الجمع فقد تدافع طرفا كلامه لان مبنى قوله على وضع الجمع موضع الواحد هو ان يكون الاصل
الاضافة الى الواحد وقرا الجمهور بتنوين ماية ونصب سنين على انه عطف بيان وحمله على البدلية
ضعيف لانه يلزم ان لا يكون العدد مقصودا وازدادوا تسعا قيل انهم لبثوا ثلثماية سنة
شمسية بحساب الامم ولما كان الاخبار ههنا للعرب ذكر التسع اذ المفهوم عندهم من السنين القمرية
فهذه الزيادة هي ما بين الحسابين فهو بيان لما اجمله تعالى قبل وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب
فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عددهم فقال بعضهم ثلثماية وقال بعضهم ثلثماية وتسع
سنين ويعضده قراة ابن مسعود رضي الله وقالوا لبثوا قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض
ما غاب فيها وخفي من احوال اهلها وانه هو وحده العالم به ابصر به واسمع امران معناهما انشا
التعجب والها في به لله ومحله الرفع على الفاعلية عند سيبويه لان اصله عنده صار ذا بصر كاغد
البعير ثم نقل الى التعجب وغير الى صيغة الامر لانها انشا والتعجب انشا فبرز الضمير لان الغايب يستتر
في امر المخاطب وزيد البا فيه لتاكيد التعجب ولخلوه عن الضمير لم تختلف صيغته بحسب اختلاف
المخاطب افرادا وتثنية وجمعا وعند الاخفش منصوب على المفعولية والفاعل ضمير المخاطب
وهو كل احد والهمزة للتعدية والبا مزيدة وعند بعضهم الهمزة للصيرورة والبا للتعدية والاتيان
بصيغة التعجب للدلالة على ان امره تعالى في الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين
اذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي ما لهم لاهل السموات
والارض من دونه من ولي من متول لامورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم
ولا يجعل له فيه مدخلا وقرئ بالتاء والجزم على النهي واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك من
القران ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل لا مبدل لكلماته اي لا يقدر احد غيره على
تبديلها ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجا تعدل اليه ان هممت به واصبر نفسك واحبسها
وثبتها مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه قدم تفسيره في سورة الانعام
ولا تعد عيناك عنهم اي لا تصرف عيناك النظر عنهم الى غيرهم من عدوته عن الامر صرفته وانما
تصرف العين ليس الا النظر لظهوره قيل ولا يجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن
لتضمينه معنى نبا وفيه ان عدا بمعنى جاوز يتعدى بنفسه وبعن قال الجوهري عداه
جاوزه وما لي عن فلان معدى اي لا تجاوز الى غيره ثم ان معنى الصرف امس بالمقام من
معنى التجاوز وقرئ ولا تعد ولا تعد من اعداه وعداه تريد زينة الحيوة الدنيا حال
من الكاف على المشهورة ومن الضمير المستتر في الفعل على غيرها والعامل على الاول ايضا الفعل
السابق لما سبق في قوله فاتبع ملة ابراهيم حنيفا ويجوز ان يكون حالا من الفاعل وتوحيد
الضمير لانها عضو واحد في الحقيقة او لاتحاد الاحساس وللاكتفا باحدهما عن الاخر
واستبشاع اسناد الارادة الى العين مندفع بانها كناية عن ارادة صاحبها كما يقال يستلذه

رض

العين

او السمع وانما المستلذ الشخص ولا تطع من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا
عن ذكرنا وقرئ اغفلنا قلبه باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين عن
ذكرنا اياه بالمؤاخذة واتبع هواه قيل نزلت في امية ابن خلف وذلك انه دعا النبي صلى الله
عليه وسلم الى تبعيد الفقرا وتقريب صناديد قريش وكان امره فرطا اي مجاوزا فيه الحد وكذا
الجوهري وقل الحق من ربكم الحق خبر مبتدا محذوف ومن ربكم حال مؤكدة او خبر بعد خبر
اي جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ما شئتم فمن شا فليؤمن ومن شاء
فليكفر ليس هذا بترخيص وتخيير بين الايمان والكفر وانما هو وعيد وتهديد بلفظ
الامر والتخيير لانه لما مكن من اختيار ايهما شا فكانه مخير مامور بان يتخير ما شا من النجدين
قيل هو لا يقتضي استقلال العبد بفعله فانه وان كانت بمشيئته فمشيئته ليست بمشيئته
وكانه زعم ان الامر بالايمان والكفر يكون من امر بجعلهما وايجادهما حتى قال ما قال والحق
ان العبد مامور بالكسب فقط وماذا بعد الحق الا الضلال انا اعتدنا هيانا
للظالمين نارا احاط بهم سرادقها هو ما يمتد فوق صحن الدار ذكره الجوهري فارسي معرب
اصله سراطاق لا سراره كما توهم وما في حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه على ما اخرجه
الترمذي وقال فيه حسن صحيح من قوله عليه السلام لسرادق النار اربع جدر يعضد ما ذكرنا
ويرد ما قيل انه الحجرة التي تكون حول الفسطاط وما قيل انه الحائط وان يستغيثوا من العطش
يغاثوا بماء كالمهل اي يواتوا بما كالمهل وانما قال يغاثوا على طريقة تحية بينهم ضرب وجيع
تهكما والمهل هو ما غليظ كدردي الزيت ذكره ابن عباس رضي الله عنه ويوافقه ما في حديث
الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هو كعكر الزيت يشوي الوجوه من فرط حرارته
اذا قدم ليشرب وهو صفة ثانية لماء او حال منه لانه قد وصف فحسن مجي الحال منه او من المهل
او الضمير في الكاف بئس الشراب المخصوص بالذم محذوف تقديره بئس الشراب هو
اي الما الذي يغاثون به وساءت النار مرتفقا متكا واصله الاتكا على المرفق
وهذا لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا اتكا الا ان يكون كناية
عن عدم النوم كما في قوله نام الخلي وبت الليل مرتفقا ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
انا لا نضيع اجر من احسن عملا التنكير للتعليل اوليك لهم جنات عدن اقامة
او هو وسط الجنان وانما جي بلفظ الجمع لسعتها بحيث كان كل بقعة منها صالحة لان تكون جنة
ويجوز ان يراد بالجنات سائر الجنان واضافتها الى عدن لانه معظمها والجملة خبران وما
بينهما اعتراض وهو ايضا خبر على قيام من احسن موضع الضمير لان من احسن عملا والذين
امنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد واما التعليل بان من احسن عملا على
الحقيقة لا يحسن اطلاقه الا على الذين امنوا وعملوا الصالحات فيأباه التعليل المستفاد

من التنكير

من التنكير في عملا او على ان الضمير مستغنى عنه في قولك نعم الرجل زيد واما اخذه على
ان المعنى من احسن عملا منهم فيؤذن تنوع الذين امنوا وعملوا الصالحات الى من احسن
عملا والى من لم يحسنه ولا وجه له او الخبر هو اوليك كلام مستانف لبيان الاجر المبهم
ويجوز ان يكون الثاني بدلا عن الاول فلا يحتاج الاول الى الخبر كما في قول الشاعر ∴

ان الخليفة ان الله سربله • سربال ملك به ترجى الخواتيم ∴

تجري من تحتها الانهار قدم تفسيره في سورة البقرة يحلون يجعل لهم حليا
بني التحلية للمفعول اشعارا بانهم يكرمون بذلك ولا يتعاطونه بانفسهم فيها من اساور
من ذهب من الاولى للابتدا والثانية للتبيين صفة لاساور وتنكيرها لابهام امر حسنها
في الحسن وهو جمع اسورة والاسورة جمع سوار بالكسر وهو زينة تلبس في الزند من
اليد وقال ابو عمرو واحدها اساور سوار بالضم وهو بمعنى السوار لا جمعه ويلبسون
اسند فعل اللبس اليهم لان الانسان يتعاطى ذلك بنفسه خصوصا اذا كان بادي العورة
ثيابا خضرا وقد روي في ذلك انها تزيد في ضوء البصر لانها احسن الالوان و
واكثرها طراوة من سندس ما رق من الديباج واستبرق ما غلظ منه معرب
فارسية استبرك جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين
متكئين فيها على الارائك جمع اريكة وهي السرير في الحجال لخص الاتكا لانه هيئة المتنعم
نعم الثواب الجنة ونعيمها وحسنت مرتفقا متكا واضرب لهم للكافرين والمؤمنين
مثلا رجلين حال رجلين مفروضين او موجودين جعلنا لاحدهما وهو الكافر
جنتين بساتين من اعناب من كروم والجملة بتمامها بيان التمثيل او صفة الرجلين
وحففناهما بنخل اي جعلنه مطيفا بهما وهو مما يوثره الدهاقين ان يجعلوها مؤزرة
بالاشجار المثمرة وجعلنا بينهما زرعا جعلناها ارضا جامعة للاقوات والفواكه
ووصف العمارة بانها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينها مع الشكل
الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين اتت اكلها ثمرها وافرد الضمير لافراد كلتا ولو
قيل اتتا على المعنى لجاز والاختيار هو الاول ولم تظلم منه اي لم تنقص من اكلها شيئا
يعهد في سائر البساتين وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما
وكان له ثمر اي انواع المال من ثمر ماله اذا كثره قراه الجمهور بضم الثا والميم وقرا ابو
عمرو بضم الاول وتسكين الثاني وقرا عاصم بفتحهما اما الضم فقد قال الكسائي هو جمع جمع
يقال ثمرة وثمار كالحمار والحمر ثم يخفف كما في الكتب يقال كتب وكتب وقال غيره يجوز ان يكون
بالضم جمعا للثمر كالخشب والخشب وبالسكون ايضا كالاسد والاسد واما على الفتح
فهو جمع ثمرة كالشجر جمع شجرة فقال لصاحبه والظاهر منهما انهما ليسا باخوين وهو يحاوره

اي يراجعه في الكلام ويحاوره من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا اولادا دلّ
علي ذلك قول صاحبه ان ترني انا اقل منك مالا وولدا والمراد الذكور لانهم ينفرون معه دون
الاناث ودخل جنته بصاحبه ليريه ما فيها ويعجبه ويفاخره بما ملك من المال دونه وافراد
الجنة تجريدا للكلام لما سبق له من الغرض وصونا له عما يخيل امرا اخر والغرض هٰهنا بيان
ما قاله عند دخول جنته والتعرض لتعددها فضلة في ذلك وهذا كما تقول
اذا رايت لباسا طويلا على امراة قصيرة اللباس طويل واللابس قصيرة ولو قلت واللابسة
قصيرة جئت بما هو لكنة وفضول قول لان الكلام لم يقع في ذكورة الكلام اللابس وانوثة
وانما وقع في غرض وراء ما وهو ظالم لنفسه بتعريضها لسخط الله تعالى بعجبه وكفره
وهو افحش الظلم قال ما اظن ان تبيد ان تهلك هذه الجنة ابدا وهذا
لاغتراره بانتظام احواله واطراح النظر في عواقب امثاله وما اظن الساعة قائمة
كائنة ولئن رددت الى ربي اقسام لاعتقاده انه تعالى انما اولاه لاستيهاله له واستحقاقه
اياه على انه ان رد الى ربه على سبيل الفرض لاجدن خيرا منها من جنته وقرئ منهما اي من
الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية وانتصابه على التمييز قال له
صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب اراد خلق اصله هو ادم عليه السلام
او اصل مادته وذلك ان ماء الرجل يتولد من اغذية حاصلة من تراب فنبهه اولا على ما تولد منه
بالواسطة ثم على ما تولد منه بالذات فقال ثم من نطفة فانها مادته القريبة ثم
سواك رجلا جعلك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال سويا قيل عدلك ويرده قوله تعالى
فسواك فعدلك جعل كفره بالبعث كفرا بالله تعالى لان منشاه الشك في قدرته تعالى ولذلك
رتب الانكار على خلقه اياه من التراب لا ينكر اعادته منه فالانكار للثاني لا يجامع الاعتراف بالاول
لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا استدراك من قوله اكفرت لانه استفهام انكار
وتوبيخ فهو في الحقيقة اخبار عن كفره واصل لكنا لكن انا فحذفت الهمزة فتلاقت النونان
فكان الادغام وقرئ بالالف في الوصل لتعويضها من الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف
وقرئ لكن انا على الوصل وهو ضمير الشان والله بدله وربي خبره والجملة خبر انا
وقرئ لكن هو الله ربي ولكن انا لا اله الا الله ربي ولولا اذ دخلت جنتك قلت
وهلا قلت عند دخولها ما شاء الله ما موصولة مرفوعة المحل على انه خبر مبتدأ محذوف
تقديره الامر ما شاء الله او مبتدأ خبره محذوف تقديره ما شاء الله كائن او شرطية منصوبة
الموضع والجزاء محذوف بمعنى اي شيء شاء الله كان اقرارا بانها وما فيها بمشيئة الله تعالى
ان شاء ابقاها وان شاء ابادها لا قوة الا بالله وقلت لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز
على نفسك والقدرة لله تعالى وان ما تيسر لك من تعميرها وتدبير امرها فبمعونته واقداره

ان ترني

ان ترني انا اقل منك مالا وولدا من رفع اقل جعله خبرا وجعل انا مبتدا والجملة مفعولا
ثانيا لترني ومن نصبه جعل انا فصلا او تاكيدا للمفعول الاول فعسى ربي ان يؤتيني
خيرا من جنتك في الدنيا والاخرة لايماني وهو جواب الشرط ويرسل عليها على
جنتك لكفرك حسبانا من السماء مرامي واحدها حسبانة قاله الاخفش وابو عبيدة
وقال ابن الاعرابي الصواعق فتصبح دل على اتيان الحسبان بالليل صعيدا زلقا
ارضا املس جميع ما عليها من النبات كالراس اذا حلق لا يبقى عليه شعر مصدر بمعنى
المفعول من زلق راسه زلقا اذا حلقه او يصبح عطف على يرسل على تنويع ما ترتب
اي فترسل سماوية او ارضية ماؤها غورا غائرا مصدر بمعنى الفاعل يقال غار الماء
غورا اذا سفل في الارض فلن تستطيع له للماء الغائر طلبا اي لن تقدر على
طلبه لعدم بقاء الاثر واحيط بثمره الواو فصيحة عاطفة على مقدر هو تحقق ظنه
وثمر اموال له واحاطته عبارة اهلاكه بالكلية واصله من احاط به العدو فان قوما
احاط بهم العدو قلما ينجو شخص ثم استعمل في كل اهلاك فاصبح يقلب كفيه كناية عن
الندم والتحسير فان النادم يقلب ظهر البطن فكانه قيل يندم على ما انفق فيها في
عمارتها فهو متعلق بيقلب ويجوز ان يكون حالا اي متحسرا على ما انفق فيها وهي خاوية
ساقطة على عروشها بان سقط عروشها على الارض وسقط كرومها فوقها ويقول
عطف على يقلب او حال من ضميره يا ليتني لم اشرك بربي احدا تذكر موعظة اخيه فعلم
انه اتي من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله تعالى امواله ويحتمل
ان يكون توبة عن الشرك وندما على ما سبق منه ولم تكن له فئة قدمها يتعلق بالشعار
فئة في ال عمران لما افتخر بعزه ونفره اخبر تعالى انه لم تكن له فئة يجدونه نفعا وحمل ينصرونه
على المعنى دون اللفظ او يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او رد المهلك واما الاتيان
بمثله فليس من النصر لانه المعونة بالقهر والغلبة لا مطلق المعونة من دون الله اي
هو القادر وحده على ذلك وما كان منتصرا قادرا على الانتصار بنفسه هنالك
في ذلك المقام وتلك الحال الولاية لله الحق النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره تقرير
لقوله ولم يكن له فئة ينصرونه من دون الله وقرئ بالكسر ومعناه السلطان والملك اي
هنالك السلطان والملك لله تعالى لا يغلب ولا يمتنع عنه وفي مثل تلك الحالة الشديدة
يتولى الله تعالى ويؤمن به كل مضطر فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا كان
عن اضطرار وجزع مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز ان يكون المعنى هنالك
الولاية لله ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من اعدائهم
يعني انه نصر فيما فعل بالكافر صاحبه المؤمن وصدقه قوله فعسى ربي الاية وقيل هنالك

اشارة الي الاخرة اي تلك الدار الولاية لله تعالي كقوله لمن الملك اليوم ويعضده قوله
هو خير ثوابا وخير عقبا وقري بالرفع والجر صفة للولاية ولله وقري بالنصب علي المصدر
المؤكد وقري عقبا بالسكون وبالضم وقري عقبي علي فعلي وكلها بمعني العاقبة واضرب لهم
ومثل لهم من قولهم هذه الاشيا علي ضرب واحد اي مثال مثل الحيوة الدنيا صفتها الغريبة
في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس كما هو كما انزلناه من
السماء فاختلط به نبات الارض اي بالما والبا للسببية اي فالتف بسببه وخالط بعضه
من كثرته وتكاثفه ويجوز ان يكون للتعدية اي نجع في النبات حتي اورق وخو هذه البا ان تدخل
في اقل المخلوطين وسلك هنا مسلك القلب للمبالغة في كثرة الما فاصبح اي امر الله تعالي
فاصبح علي ما افصح عنه في سورة يونس عليه السلام فالفا فصيحة نكتتها الاشعار بسرعة
الزوال هشيما متكسرا من اليبس متفتتا تذروه الرياح تفرقه وقري تذريه والتشبيه
تمثيلي شبه الهيئة المنتزعة من احوال الدنيا بالهيئة المنتزعة من احوال النبات الا ان يلاحظ
التشبيه بالما لا يخلو عن نوع اشعار بتشبيه الدنيا بالما في ان قليله يروي وكثيره يردي كما ورد
في الخبر قال عليه الصلوة والسلام ذر الدنيا وخذ منها كالما فان القليل منها يكفي والكثير منها
يطغي وكان الله علي كل شي من الانشا والافنا مقتدرا قادرا المال والبنون
زينة الحيوة الدنيا لان في المال جمالا ونفعا وفي البنون قوة ودفعا والباقيات الصالحات
الاعمال الخيرات التي تبقي ثمرتها للانسان ابد الاباد من اي نوع كان من انواع القول والعمل
وقيل هي النيات والاعمال لان بها يقبل العمل ويرفع خير عند ربك من المال والبنين
ثوابا عايدة وخير املا اذ ينال بها صاحبها في الاخرة ما كان يامل بها في الدنيا
ويوم اي اذكر يوم نسير الجبال من سيرت وقري نسير من سيرنا وتسير من سارت اي
تسير في الجو كما تسير السحاب كما قال في اية اخري وهي تمر مر السحاب وهذا بعد كونها كالعهن
المنفوش ومن ذهب عليه انها تسير سير السحاب ذهب الي ان يكون المعني يذهب بها بان تجعل
هبا منثورا فذهب عن صوب الصواب وتري الارض بارزة ظاهرة ليس عليها ما يسترها من
جبل ولا شجر ولا نبات وقري تري علي بنا المفعول وحشرناهم الحشر السوق من جهات مختلفة
الي مكان واحد ومجيه ماضيا بعد نسير وتري لتحقيق الحشر وقيل للدلالة علي ان حشرهم
قبل التسيير ورؤيتها بارزة ليعاينوا ويشاهدوا ما وعد لهم كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك ولا
حاجة فيه الي جعل الواو للحال باضمار قد بل لا وجه له ويرده ما دل علي ان ذلك قبل الحشر من
الايات كقوله تعالي فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة
فلم نغادر منهم احدا بالنون والبا يقال غادره اذا تركه ومنه الغدر لانه ترك الوفا والغدير
ما غادره السيل وعرضوا علي ربك شبهت حالهم بحال الجند المعروضين علي السلطان ولا

حاجة الي ما قيل لا ليعرفهم بل ليامر فيهم انما الحاجة اليه اذا شبهت حاله بحال السلطان المحتاج
اليه جدا صفا مفرد نزل منزلة الجمع اي مصفوفا لما ورد في الحديث الصحيح يجمع الله الاولين
والاخرين في صعيد واحد صفوفا ومن غفل عن هذا قال مصطفين لا يحجب احد احدا لقد جيتمونا
معمول لقول محذوف تقديره وقلنا وهو حال ولا يجوز ان يكون عاملا في يوم يسير لما عرفت انه
قبل الحشر وهذا القول بعده كما خلقناكم نعت لمصدر محذوف اي مجيا مثل مجي خلقكم
اول مرة اي حفاة عراة غرلا كما ورد في الحديث وقيل عراة لا شي معكم من المال والولد لقوله تعالي
ولقد جيتمونا فرادي كما خلقناكم اول مرة بل للاضراب بمعني الانتقال من كلام الي كلام ليس
بمعني الابطال زعمتم ان لن ان مخففة من الثقيلة وفصل بينها وبين الفعل بحرف النفي كما فصل
في قوله ان لن نجمع عظامه نجعل لكم موعدا مكان وعد او زمان وعد لانجاز ما وعدتم علي
السنة الانبيا عليهم الصلوة والسلام من البعث والنشور ووضع الكتاب صحايف الاعمال
في الميزان وفي ايدي العباد واحد اريد به الجمع لانه الجنس وتري المجرمين مشفقين الاشفاق
الخوف من وقوع المكروه مع تجويزه ان لا يقع مما فيه من السيات ويقولون الواو
للحال يا ويلتنا هذه لفظة من وقع في شدة والويل الهلاك والندا لمن بحضرتهم كانهم قالوا
يا من بحضرتنا انظر هلكتنا ما لهذا الكتاب ما استفهامية مبتدا ولهذا في موضع الخبر تقديره
اي شي لهذا الكتاب تعجيب لشانه لا يغادر جملة حالية صغيرة سيئة صغيرة قدمها
لانها ادخل في التعجب ولا كبيرة يعني لا يترك شيا من المعاصي الا احصاها الاحصا
هنا كناية عن الضبط والحفظ واسناده الي الكتاب مجاز ووجدوا ما عملوا من خير وشر
حاضرا بوجوده في الخارج علي ما دل عليه قوله تعالي يومئذ الناس اشتاتا ليروا اعمالهم لا بوجوده
في الكتابة لانه اعادة للمعني السابق ولا يظلم ربك احدا باحصار ما لم يعملوا ولا بعدم احصا
بعض ما عملوا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس لما بين حال المغرور بالدنيا
وكان السبب تسويل الشيطان نبههم اولا في زخارفها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم
من العداوة القديمة كان من الجن استيناف للتعليل كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان من
الجن ففسق عن امر ربه خرج عن امره تعالي بترك السجود والفا للتسبيب ومن قال هذا الكلام
المعترض تعهد من الله تعالي بصيانة الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم فقد سها حيث ساء
في عبارة التعهد افتتخذونه الهمزة للانكار والتعجب والفا للعطف علي مقدر تقديره اتعلمون
انه عدو لله تعالي وعدو لابيكم فتتخذونه وذريته اوليا من دوني تستبدلونهم بي قال الشعبي
سالني رجل فقال هل لابليس زوجة فقلت ان ذلك عرس لم اشهده ثم ذكرت قوله افتتخذونه
وذريته فعلمت ان لا تكون ذرية الا من زوجة فقلت نعم وهم لكم عدو لم يقل اعدا في مقابلة اوليا
ابنا عن اتحادهم في امر العداوة وشدة اتفاقهم علي ذلك بيس للظالمين بدلا من الله تعالي ابليس

ما اشهدتهم وقرئ اشهدناهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم اي لا اشهدت
بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم نفي احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض
واحضار بعضهم خلق بعض توطية لنفي الاعتضاد الذي ذكره بقوله وما كنت متخذ المضلين عضدا
اي اعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال واستبعادا للاعتضاد بهم فاذا لم
يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركا لي في العبادة وقيل الضمير للمشركين والمعني ما
اشهدتهم خلق ذلك اي لم استعن بهم وبرايهم وما اوقفتهم علي اسرار ملكي فلا فضيلة لهم دون
غيرهم حتي امنوا اتبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت الي قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي
لي ان اعتضد بالمضلين لديني ويعضده قراءة وما كنت متخذ علي خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم
ويجوز ان يقال فيه رد لارباب التنجيم واصحاب الهيئة والمتحرين في علم الطب وقرئ متخذ المضلين
علي الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد من عضده اذا قواه والاصل
فيه عضد اليد ثم وضع موضع العون والتقوية لان اليد قوامها العضد وانما اوقع الواحد موقع
الجمع لانه في سياق النفي ابلغ ويوم يقول اي للكفار وقرئ بالنون نادوا شركائي في
عبادتكم الذين زعمتم انهم شفعاكم ليمنعوكم من عذابي فدعوهم فنادوهم للاغاثة
فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم وجعلنا بينهم بين الداعين والمدعوين موبقا حاجزا كقوله
فزيلنا بينهم قال ابن الاعرابي كل شي حاجز بين شيئين فهو موبق وجعلنا تواصلهم في الدنيا مهلكا
في الاخرة قال الفراء وبق يبق وبوقا ووبق يوبق وبوقا اذا هلك والموبق اسم مكان او مصدر
ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها راوها من مكان بعيد فظنوا انها تاخذهم في
الحال وفي الخبر ان الكافر ليري جهنم ويظن انها مواقعته من مسيرة اربعين سنة والمواقعة ملابسة
الشي بشدة ومنه وقايع الحروب ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او مكانا ينصرفون اليه
ولقد صرفنا للناس في هذا القران من كل مثل من كل نوع من انواع المعاني الغريبة وتصريفه
تنقيله في وجوه البيان علي تمكين الافهام وكان الانسان اكثر شي جدلا اكثر الاشيا التي
ياتي منها الجدال والجدل شدة الفتل عن المذهب بطريق الحجاج ولا يلزم ان يكون بالباطل و
لذلك احتيج الي التقييد به في قوله ويجادل الذين كفروا بالباطل وانتصابه علي التمييز وما
منع الناس ان يؤمنوا من الايمان اذ جاءهم الهدى الرسول او القران ان يستغفروا ربهم
ومن الاستغفار الاستغفار عن الذنوب الا تقديرا وطلب ان تاتيهم سنة الاولين
وهو الاستيصال فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او ياتيهم العذاب عذاب الاخرة
قبلا بكسر القاف وفتح الباء عيانا وقرئ بضمتيها وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعني ضروب
وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة وانتصابه علي الحال من احد المفعولين وما نرسل المرسلين
الا مبشرين ومنذرين بالثواب والعقاب للمطيعين والعاصين ويجادل الذين كفروا بالباطل

باقتراح

باقتراح الايات بعد ظهور المعجزات وانكار كون البشر رسولا من الله تعالى ليدحضوا به
ليزيلوا بالجدال الحق عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها واتخذوا اياتي
يعني القران وما انذروا والذي انذروه من العقاب وانذارهم هزوا استهزاء
وقرئ بالسكون وهو ما يستهزأ به ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه بالقران فاعرض عنها
فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ونسي عاقبة ما قدمت يداه اي لم يتذكر ما يترتب علي ما
فعله من العذاب والتعبير عن عدم التذكير بالنسيان للمبالغة وانما حسن التجوز عن الجملة
باليدين لان المسند مما يكسب وهما الته انا جعلنا مرتبط بقوله ويجادل الذين كفروا وعلي
انه تعليل لاعراضهم علي ما كانوا عليه وما بينهما من قوله ومن اظلم الخ جملة معترضة في تقبيحها
لم
علي قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا قد تفسيره في سورة بني اسرايل وان تدعهم
الي الهدي فلن يهتدوا فلا يكون منهم اهتدا البتة لشدة تصميمهم اذا ابدا مدة التكليف
كلها واذا جزا وجواب للرسول صلى الله عليه وسلم علي تقدير قوله ما لي لا ادعوهم فانه حرصه عليه
السلام يدل عليه وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة ثم استشهد
علي ذلك باهمال اهل مكة مع افراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله لو يواخذهم
بما كسبوا لعجل لهم العذاب في الدنيا بل لهم موعد وهو يوم بدر او يوم القيمة لن
١
يجدوا من دونه موئلا منجا ولا ملجا يقال وال اذا نجا ووال اليه اذا التجا اليه وتلك القرى
يريد قرى الاولين من ثمود وعاد وقوم لوط واضرابهم اشار لهم اليها ليعتبروا وتلك مبتدا والقرى
صفة او عطف بيان والخبر اهلكناهم ويجوز ان يكون القرى الخبر واهلكناهم جملة حالية
كقوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية وان يكون تلك القرى نصبا باضمار اهلكنا علي شريطة التفسير
والقرى مجاز عن اهلها وذلك خير من تقدير المضاف ولا بد من احدهما ليكون مرجع الضمير لما
ظلموا مثل ظلم اهل مكة وفيه اشعار بعلة الاهلاك تحذيرا منها وبهذا استدل ابن عصفور علي
حرفية لما فانها ليست بمعني حين لان الظرف لا دلالة فيه علي العلة وانما ترك مفعول ظلموا تنزيلا
له منزلة اللازم ليذهب الوهم كل مذهب وجعلنا وضربنا لمهلكهم المهلك بضم الميم وفتح
اللام الاهلاك موعدا وقتا معلوما لا يستاخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر وقرئ بفتح الميم
واللام مفتوحة او مكسورة لهلاكهم واذ قال موسى مقدر باذكر لفتاه هو يوشع بن نون
ابن اخت موسى عليه السلام وانما قال فتاه لانه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان ياخذ منه العلم والعرب
تسمي التلميذ فتي وان كان شيخا لا ابرح لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر
حتي ابلغ مجمع البحرين من حيث انها غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له ويجوز ان يكون الخبر حتي
ابلغ علي ان يكون اصل الكلام لا يبرح مسيري فيقلب الضمير والفعل بحذف المضاف واقامة المضاف
اليه مقامه وان يكون المعني لا ابرح ما انا عليه يعني الزم المسير والطلب ولا اتركه ولا افارقه كما تقول

لا ابرح المكان فلا يستدعي الخبر ومجمع البحرين ملتقاهما وهما الكر والرس بارمنية قاله السدي
وقيل بحر فارس والروم ويرد عليه انهما لا يلتقيان ولا يقرب احدهما من الاخر وفي التيسير كان البحر
الذي يعملون فيه اصحاب السفينة ما بين بحر فارس الي بحر الروم واذا لا اتصال بينهما فلا صحة
لهذا الكلام ايضا ولعل فارس محرف من فاس وهي بالمغرب حاضرة البحر من اجل المدن القديمة
ويعضده ما قاله محمد بن كعب ان مجمع البحرين عند طنجة وما قاله ابي بن كعب انها بافريقية وقول
الخضر لموسي عليهما السلام حين سلم عليه واني بارضك السلام تدل علي ان ملاقاتهما لم تكن بين فارس
والروم لان تلك الارض ارض بني اسرائيل وهي منشا السلام ومعدن الاسلام وقري مجمع بكسر
الميم قال الجوهري الموضع مجمع والمجمع كمطلع ومطلع او امضي حقبا والحقب الدهر وقيل ثمانون
سنة وقيل تسعون اي اسير زمانا طويلا والمعني حتي يقع بلوغ المجمع او امضي الحقب وروي في الصحيحين
ان موسي قام خطيبا في بني اسرائيل فسئل اي الناس اعلم فقال انا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه
فاوحي الله اليه ان لي عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك فقال موسي عليه السلام يا رب وكيف لي
قال تاخذ معك حوتا فتجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثمة فاخذ حوتا فجعله في مكتل ثم
انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتي اتيا الصخرة ووضعا رؤسهما فناما واضطرب الحوت
في المكتل فخرج منه فسقط في البحر قيل اضطراب الحوت كان بعد ما استيقظ يوشع عليه السلام من
عين الحيوة فانتضح الما عليه فعاش ووثب في الما فلما بلغا مجمع بينهما اي مجمع البحرين
وبين ظرفا ضيفا اليه علي الاتساع نسيا حوتهما تفقد امره وما يكون منه امارة علي الظفر
بالمطلوب ولا وجه لما قيل نسي موسي عليه السلام ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع عليه السلام
ان يذكر له ما راي من حيوته ووقوعه في البحر لان هذا النسيان كان قبل ذلك علي ما دل عليه
قوله فاتخذ سبيله في البحر الفا فصيحة تفصح عن مقدر يدل علي حيوة الحوت وسقوطه
في البحر علي ما نقل فيما سبق سربا اي جعل في البحر كالسرب وهو النفق الذي يدخل فيه فيسلك
منه الي موضع وفي الحديث المار ذكره وامسك الله عن الحوت جرية الما فصار عليه مثل الطاق واما
السارب في قوله تعالي وسارب بالنهار فبمعزل عن هذا لانه بمعني الظاهر صرح به الجوهري ودل
عليه مقابلته بقوله مستخف بالليل ونصبه علي المفعول الثاني وفي البحر حال منه او من السبيل
ويجوز تعلقه باتخذ فلما جاوزا مجمع البحرين وفي الحديث المذكور فانطلقا بقية يومهما وليلتهما
حتي اذا كان من الغد قال موسي لفتاه اتنا غداءنا ما نتغذي به لقد لقينا من سفرنا
قيل لم ينصب موسي عليه السلام في سفر غيره ويؤيده التقييد بقوله هذا في الحديث المذكور انه
عليه السلام لم ينصب حتي جاوز الموعد نصبا تعبا وعنا قيل عنا به هنا الجوع ولا يخفي ان
الفعل وتعديته انما يناسبان الاول ووجه الارتباط بين الكلامين ان القعود للتغذي يتضمن
الاستراحة فكانه قال اتنا غداءنا حتي نتغذي ونستريح زمانا قال له فتاه ارايت اعلمت

ما دهاني اذ اوينا الي الصخرة اي قمنا عندها فاني نسيت الحوت يعني امره ذكر في معرض
الاعتذار لما جري من الحوت من المعاهدة وذلك علي ما ذكر في صحيح البخاري ان موسي عليه السلام
قال له لا اكلفك الا ان تخبرني بحيث يفارقك الحوت فقال ما كلفت كثيرا وما انسانيه الا الشيطان
ان اذكره بدل من الضمير اي ما انساني ذكره الا الشيطان وفي مصحف عبد الله وما انسانيه
ان اذكر له الا الشيطان اي وسوسني وشغلني بغيره حتي نسيت والحال وان كان لغرابتها اجل من
ذلك الا انه لما اعتاد بمشاهدة امثالها عليه السلام والفها قل اهتمامه بها فهو اعتذار عن
نسيانه واتخذ سبيله في البحر عجبا اتخاذا عجبا والمفعول الثاني الظرف وانما كان عجبا لخروجه
من المكتل وحياته بعد كونه مشويا او ماكولا بعضه منه وامساك جرية الما عليه وقيل سبيلا عجبا
وفيه ان اكثر العجايب ليس بحال السبيل وايضا لو كان المعني ذلك لقيل واتخذ سبيله في البحر
عجبا وهو من كلام يوشع عليه السلام وقيل قال موسي عليه السلام في جوابه عجبا اي تعجبا وقيل
الفعل لموسي عليه السلام اي اتخذ موسي عليه السلام سبيل الحوت في البحر ويردهما تاخيره قال عنه
قال ذلك الاشارة الي فقد الحوت لما مر في الحديث انه قيل له فحيثما فقدت الحوت فهو ثم ما
كنا نبغي تقديره نبغيه اي نطلبه لانه امارة المطلوب فارتدا علي اثارهما اي علي طريقهما
الذي جاءا منه قصصا اتباعا لذلك الاثر فانتصب علي المصدرية باضمار يقصان علي ما صح
عند النبي صلي الله عليه وسلم في الحديث المار ذكره حيث قال في تفسيره فرجعا يقصان اثارهما حتي
انتهيا الي الصخرة فاذا رجل مسجي ثوبا فسلم عليه موسي فقال الخضر واني بارضك السلام فقال
انا موسي قال موسي بني اسرائيل قال نعم اتيتك لتعلمني مما علمت رشدا فوجدا عبدا من عبادنا
هذه الاضافة تشريف واختصاص وهو الخضر اسمه بما شهد بذلك الحديث المذكور واتفق عليه
الجمهور وروي الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
انما سمي الخضر خضرا لانه جلس علي فروة بيضا فاهتزت تحته خضرا والفروة هنا وجه الارض
قاله الخطابي اتيناه رحمة من عندنا الرحمة هنا الوحي والنبوة كما في قوله اهم يقسمون
رحمة ربك وعلمناه من لدنا يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وقدم ما يتعلق بالبدن في العبارات
علما هو علم الغيوب قال له موسي هل اتبعك علي ان تعلمني علي هذه المصلحة بدا بالاستفهام
والاستيذان ووصف نفسه بالاتباع ومدحه بالعلم وهذا غاية التواضع من موسي عليه السلام
وتعليم لمن طلب العلم من غيره ولا يناسبه تقدير الشرط علي حتي ان يكون معي علي شرط ان تعلمني
مما علمت رشدا علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقري بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو
مفعول تعلمني او مصدر في موضع الحال وذو الحال الضمير في اتبعك ومفعول علمت العايد المحذوف
وكلاهما منقولان من علم الذي له مفعول واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك وكون موسي عليه السلام
صاحب شريعة لا ينافي ان يتعلم من غيره ما لا حاجة اليه في شريعته قال انك لن تستطيع معي صبرا

اراد نفي الصبر معه الا انه بالغ فيه حيث نفى استطاعته على ابلغ وجه واكده كانه لا يصح ولا
يستقيم دل على ذلك قوله وكيف تصبر والصبر تجرع مرارة حبس النفس ومنعها عما تنازع
اليه على ما لم تحط به خبرا اي ان صبرك على ما لا خبرة لك به مستبعد وهذا كالتعليل للنفي السا
ومجيئه بالواو شايع وفيه تدارك لما عسى ان يتوهم انه نسب اليه عليه السلام عدم التثبت قيل
فيه ابدا له حيث لا يمكنه الصبر لما يرى من المناكير لان الانبيا عليهم السلام لا يجوز لهم السكوت
عند ذلك وفيه ان ثانيهما ليس بمنكر شرعا ولا عقلا وايضا قد عرفت ان المنفي نفس الصبر معه لا استطا
وخبرا تمييز او مصدر على غير المصدر لان لم تحط بمعنى لم تخبره والخبير بالامور هو العالم بخفاياها
وبخبر منها قال ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير منكر عليك وتعليق الوعد بالمشيئة
للاستثنا ولا بد منه صونا للوعد عن الخلف فانه لا يجوز خصوصا في حق الانبيا عليهم السلام
ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا وغير عاص كقوله تعالى صافات ويقبضن اي وقابضات او
على ستجدني فلا محل له من الاعراب وقيل فيه انه يكون مقيدا بالمشيئة ولا بد منه كيلا يلزم الخلف
المذموم حيث وعد ان لا يعصيه في امر وقد امره بترك السؤال ولم يطعه فيه وانما قلنا فلا محل له من
الاعراب مع انه مفعول القول على هذا الوجه لانه لا تاثير للعامل في المعنى وانما اثره في مجرد اللفظ
والجملة هناك ليست واقعة موقع المفرد ليكتسي حكمه محلا وهذا تواضع اخر من موسى عليه السلام
بعد تمتع كان من الخضر عليه السلام ثم تحكم عليه بوجه اخر على ما افصح عنه قوله قال فان اتبعتني
فلا تسئلني عن شيء انكرته مني ولم تعلم وجه صحته حتى احدث لك منه ذكرا حتى ابتدئك ببيانه
وهذا من الخضر عليه السلام تاديب وارشاد ولو صبر وداب لراي العجب لكنه اكثر من الاعتراض
فتعين الفراق والاعراض فانطلقا اي انطلق الخضر وموسى عليهما السلام واما يوشع
فقد صرفه موسى عليه السلام ورده الى بني اسرائيل وفي الحديث السابق فانطلقا يمشيان على سا
البحر وفي الحديث المذكور فمرت سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوا بغير نول حتى اذا
ركبا في السفينة ركب سعد وانما قال في السفينة اظهارا لما في ركوبها خاصة من بين المراكب
من معنى الدخول خرقها قال عليه السلام في الحديث المذكور فلما ركبا في السفينة لم يفجا الا
والخضر قد قلع لوحا من الواح السفينة بالقدوم قال ابو العالية وكان عبدا لا يراه الا من اراد الله
تعالى ان يريه ولو رآه القوم لمنعوه من خرق السفينة قال اخرقتها لتغرق اهلها اي افعلت
هذا وغرضك اغراق اهلها وقرئ بالتشديد للتكثير وقرئ بالياء ورفع اهلها اي فعلته كي يغرق اهلها
وقيل انها لام العاقبة والاول اولى في مقام الانكار لقد جئت شيئا امرا منكرا ماخوذ من الامر
لان الفاسد الذي يحتاج ان يؤمر بتركه ومنه امر القوم اذا كثروا اي احتاجوا الى من يامرهم وينهاهم
ومنه الامر من الامور اي الشيء الذي من شانه ان يؤمر فيه ومن هذا لم يقل كل شيء امرا ومن هنا ظهر وجه
ايثار شيئا على امرا مع ما فيه من صنعة الجناس ولو كان الامر هنا بمعنى العظيم ولو كان الامر كما قيل وعجب

بق

عنه

جل

لم ير الخضر حين خرق السفينة غير موسى عليه السلام صح

حسن التناسب لفظا ومعنى وقيل امرا امر العدم المانع من جهة المعنى قال الم اقل انك
لن تستطيع معي صبرا ظاهره تذكير للقول السابق وباطنه تقرير لصعوبة الصبر معه واشارة الى
منكر ارتكبه موسى عليه السلام وهو عدم محافظته فكانه قصد المعارضة بالمثل ولهذا ضمن كلامه
الاعتذار عن ذلك على ما افصح عنه قوله قال لا تؤاخذني بما نسيت اي بسبب نسياني و
المحافظة على ترك التحفظ لا على النسيان لانه غير مقدور وصيغة النهي كقرينتها قد تجيء
للالتماس وهو المناسب للمقام ولا ترهقني الارهاق ادراك الشيء بما يغشاه ومنه غلام
مراهق اذا قارب ان يغشاه حال البلوغ من امري هو اتباعه اياه عسرا اي ولا تغشني
عسرا من امري يعني ولا تعسر علي متابعتك بالمؤاخذة على ما صدر بسبب النسيان وليسرها علي
بالاغضا وعسرا مفعول ثان لترهق وقرئ بضمتين فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما وفي
الحديث السابق ذكره ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل اذ ابصر الخضر غلاما
يلعب مع الصبيان فاخذ الخضر براسه بيده فاقتلعه بيده فقتله فما قيل كان قتله بفتل
عنقه او مما قيل بضرب راسه بالحائط مردود بنص الحديث الصحيح وكذا ما قيل اضجعه فذبحه
والفا هنا للدلالة على عدم تراخي القتل عن لقا الغلام بخلاف خرق السفينة فانه لم يتعقب الركوب
كذلك فلم يذكر الفا ثمة ولما كان قتل معصوم حقيقة او ظاهرا على اختلاف في صغره لم يتمالك
ان يعترض ولا دلالة في ذلك لدلالة الفا على عدم التروي والاستكشاف قال اقتلت
نفسا زاكية وقرئ زكية قال الكسائي هما لغتان مثل قاسية وقسية وقال ابو عمرو الزاكية
التي لم تذنب قط والزكية التي اذنبت ثم تابت ولذلك اختار الاول وهذا على ما قاله الجمهور
انه كان صغيرا غير بالغ وقال الحسن الكلبي كان بالغا يقطع الطريق ويعضده بغير نفس
من غير ان قتلت نفسا يفهم منه انه لو كان من قتل نفسا لم يكن به باس والظاهر منه كبر الغلام
لان الصغير لا يقاد ولا تنبيه على ان القتل لا يباح الا حدا او قصاصا كيف ولا صحة للحصر على
ما نبهت عليه في تفسير سورة الانعام لقد جئت شيئا نكرا منكرا وقرئ بضمتين اختلفوا ايما
ابلغ امرا او نكرا فقيل القتل هذا واقع وهناك مترقب فنكرا ابلغ وقيل هذا اهلاك واحد وذاك
اهلاك جماعة فامرا ابلغ وقال ابن عطية وعندي ان امرا اقطع واهول من حيث هو متوقع عظيم ونكرا
ابين في الفساد لان مكروهه قد وقع ومن غفل عن هذا قال ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها
جزا واعتراض موسى عليه السلام مستانفا وفي الثانية جعل قتل من جملة الشرط واعتراضه جزا
لان القتل انجح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام فالوجه في التغيير ما
عرفته من ان تعقيب القتل للفا دون الخرق للركوب اقتضى ذلك قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا
في زيادة لك مكافحة بالعتاب وزجر واغلاظ ليس في الاول لان مواقعة السؤال ثانية بعدم التقد
الى ترك السؤال والاعتذار بالنسيان اقطع واقطع في مخالفة ما كان اخذ على نفسه من الصبر وعدم

العصيان قال ان سالتك عن شيء بعدها بعد هذه المرة او هذه المسئلة فلا تصاحبني
وان طلبت صحبتك وقرئ فلا تصحبني قال الكسائي معناه فلا تتركني اصحبك قد بلغت من
لدني عذرا اي بلغت من قبلي مبلغا تعذر به في ترك مصاحبتي وعن النبي صلى الله عليه وسلم
رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك ولو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرئ لدني
بتخفيف النون وضم الدال وبالتخفيف والسكون وفتح اللام وبضم اللام وسكون الدال وقرئ
عذرا بضمتين فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية بجزيرة الاندلس روي ذلك عن ابي هريرة
رضي الله عنه وقيل بالجزيرة الخضراء وقيل انها برقة واما ما قيل انها انطاكيه واما ما قيل انها
بصرة فمبنيان على ان يكون احد البحرين بحر فارس وقد عرفت ما فيه وقيل انها ماجروان ارمينية
وذلك على ما قيل ان البحرين نهر الكر والرس استطعما الاستطعام سؤال الطعام والمراد
هنا بقرينة اخر الكلام سؤال الضيافة والقرى اهلها كرر ذلك الاهل تقطيعا لهم ولان المراد
من الاهل الاول البعض كما هو المتبادر المعتاد والمراد منه في الثاني الكل فكان المناسب عادته
باسم الظاهر لان الظاهر من الضمير عوده على ما ذكر اولا بعينه وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لئام فطافا في المجالس فاستطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما وقرئ ان يضيفوهما يقال
ضافه اذا كان له ضيفا واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفه هذا حقيقة الكلام ثم شاع الضيافة
كناية عن القرى والاطعام المقتضي وبهذا انطبق المقام فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض
الانقضاض السقوط بسرعة وانقض انفعل مطاوع قضضته وقيل افعل من النقض كاحمر من
الحمرة وقرئ ان ينقض وان ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت السن اذا انشقت طولا والارادة
استعارة للمشارفة كالهم والعزم ذكر في الحديث المار ذكره انه قال بيده اي اشار اليه بها فاقامه
وهو الاشبه بسائر افعاله قال لو شئت لتخذت افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من
الاخذ عند البصريين وقرئ لاتخذت اي لاخذت واختلفوا في اظهار الدال وادغامها
عليه اجرا كان الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لزمتهما الحاجة الى اخر كسب المرء وهي
المسئلة فلم يجدا مواسيا فلما اقام الجدار لم يتمالك موسى عليه السلام لما راى من الحرمان
ومساس الحاجة ان قال ذلك وبما قررناه تبين وجه تقديم استطعما على منهما من اهل القرية وابائهم
عن التضييف قال هذا فراق بيني وبينك اي هذا الاعتراض الاخير سبب فراقنا بحكم ما
شرطت على نفسك واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقرئ على الاصل
وتكريره بالاضافة الى احدهما مرة والى الاخر اخرى مع كفاية بيننا لمعنى التاكيد قاله سيبويه وقال
ابن عباس رضي الله عنه كان قول موسى عليه السلام في السفينة والغلام لله تعالى فلم يكن سببا
للفراق وكان قوله في الجدار لنفسه في طلب شيء من الدنيا فكان سببا له سانبئك بتاويل ما لم
تستطع عليه صبرا ساخبرك ما في باطن ما لم تقدر ان تصبر عليه لكونه منكرا او غير منا[illegible]

[ايله]

للحال بحسب الظاهر والسين للتاكيد اما السفينة فكانت لمساكين لقوم ضعفاء لعارض منهم
البدنية كالزمن والخرس والعمى او لعجزهم عن دفع الظلم وهذا كما تقول لرجل غني وقع في وهلة او
خطب مسكين رحمة لحاله وشفقة عليه فلا دلالة فيه على ان المسكين يطلق على من يملك ما لا اذا
لم يكفه يعملون في البحر قدم ما يتعلق بتعيين البحر فاردت ان اعيبها اجعلها ذات عيب
تفريع على كون السفينة للمساكين وقوله وكان وراءهم كالتعليل للتفريع ومجيئه بالواو كثير في
القران منها قوله تعالى وكان الانسان كفورا فعلى هذا نظم الكلام في غاية الحسن ومن لم يتنبه
لهذا تكلف في توجيهه وكان وراءهم امامهم وقد قرئ به او خلفهم وكان رجوعهم اليه ملك
يأخذ كل سفينة صحيحة صالحة وقد قرئ بكل منهما غصبا من صاحبها واما الغلام فكان ابواه
فيه تغليب مؤمنين فخشينا ان يرهقهما ان يغشاهما طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه
ويلحق بهما شرا او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديا
بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الايمان او بممالاته اياهما على طغيانه وكفره
حبا وانما خشي ذلك لان الله تعالى اعلمه وقرئ فخاف ربك ان كره كراهة من خاف سوء عاقبته قيل ويجوز
ان يكون قوله فخشينا حكاية قوله تعالى ولا يلايمه فاردنا ان يبدلهما ربهما ان يرزقهما بدله
ولدا خيرا منه زكوة طهارة من الذنوب والاخلاق الردية واقرب رحما الرحم والرحمة مصدران
كالكثر والكثرة اي رحمة وعطفا على والديه وقرئ رحما بالتخفيف وانتصابه على التمييز وافعل
هنا ليس للتفضيل لان ذلك الكافر لا زكوة فيه والمناسب للمقام ان لا يكون فيه رحما ايضا على ان
التفضيل بين التمييزين بحمل احدهما على التفضيل دون الاخر لا يخلو عن نوع خلل في حسن النظم واما
الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة هي القرية المذكورة قبلها وكان تحته كنز لهما هو
كل مال مدخر وعن قتادة احل الكنز لمن قبلنا وحرمت الغنيمة ولا دلالة فيه على انه كان للاب الصالح
حتى يحتاج الى الاعتذار بان الكنز المذموم ما لا تؤدى زكوته وكان ابوهما صالحا اعتداد بصلاح
ابيهما وحفظ لحقه فيهما قيل كان بينهما وبين الاب الصالح سبعة اباء فاراد ربك ان يبلغا اشدهما
قوتهما قال الجوهري هو ما بين ثماني عشرة الى ثلاثين والمراد الادراك الى قوة الراي لا الى الحلم
ويستخرجا كنزهما يعني اراد الله تعالى بقاء ذلك المال مدفونا محفوظا عن ايدي التقلب الى زمان
بلوغهما مبلغ الرجال الكاملين في الراي القادرين على استخراج الكنوز سالما عن تعدي الغير فان
الصبيان والرجال العاجزين عن التدبير لا يقدرون على ذلك اسند الارادة اولا الى نفسه لانه هو
المباشر للتعييب وثانيا الى الله تعالى لان التبديل بمباشرته اهلاك الغلام وخلق الله تعالى البدل
وثالثا الى الله تعالى وحده لانه لا مدخل له اصلا في بلوغ الغلامين اشدهما ولان الاول شر والثالث
خير والثاني ممتزج وذلك ان تقول في اضافة الفعل الى نفسه على صيغة الانفراد نوع قصور في مراعاة
ادب الكلام فلا يلتزم الا لعلة وهي موجودة في الاول ومفقودة في الثاني ولا مجال للاضافة

[ح]
[نفسه والى م]

الى نفسه في الثالثة وتلك لعله صون لجناب العزة اي يعزى اليه ما هو شر ظاهر رحمة من ربك
نعمة منه وهي المال الحاصل بالسهولة الواصل الى صاحبه بلا كلفة الكسب وانتصابه على الحال وقيل
مفعول له على ان الرحمة بمعناها الشايع او مصدر منصوب باراد ربك لانه بمعنى رحمهما واما
تعلقه بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك فلا يلائمه قوله وما فعلته اي ما فعلته
ما رايته عن امري عن رايي انما هو بامر الله تعالى ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا اصله تستطع
فحذف تخفيفا ويسئلونك اليهود امتحانا او مشركوا مكة عن ذي القرنين اسكندر ملك
اليونان المقدوني وتلقبه بذي القرنين لما روي مرفوعا انه ملك قرني الدنيا شرقها وغربها
قال الشاعر وهو التبع اليماني

قد كان ذو القرنين جدي مسلما • ملكا تدين له الملوك وتسجد
بلغ المشارق والمغارب يبتغي • اسباب امر من حكيم مرشد

وما قيل انه اسكندر الرومي ملك فارس والروم مردود بانه تلميذ ارسطو ومذهبه مذهب الفلاسفة
وذو القرنين هذا لا شبهة في اسلامه وولايته وانما الخلاف في نبوته قال القرطبي والظاهر من
علم الاخبار ان اسكندر اثنان احدهما كان على عهد ابراهيم عليه السلام وهو الذي قضى لحبر
تحاكموا اليه في بئر السبع بالشام والاخر كان قريبا من عهد عيسى عليه السلام قل في جوابهم
سأتلو عليكم منه من ذي القرنين ذكرا خبرا انا مكنا له في الارض اي اعطيناه التمكين
فيها وزيادة اللام للاختصاص واتيناه من كل شيء من مهمات الملك سببا اصل السبب
الحبل ثم توسع فيه حتى صار يطلق على ما يتوصل به الى الغرض فاتبع سببا الفاء فصيحة تقدير
الكلام اراد بلوغ المغرب فاتبع طريقا يوصله اليه حتى بلغ وقرئ بقطع الالف مخففة التاء
حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة اي كثيرة الحماة وهي الطينة السوداء من
حمئت البئر حما بالتحريك اذا كثرت حماتها وقرئ حامية اي حارة من الحماة فخففت الهمزة وقلبت
ياء لانكسار ما قبلها ويأبى عنه ذلك ما جرى بين ابن عباس ومعاوية رضي الله عنه وتفصيله على ما
ذكره القرطبي ان ابن عباس رضي الله عنه قال اقرانيها ابي كما اقراه رسول الله صلى الله عليه وسلم
في عين حمئة وقال معاوية رضي الله عنه هي حامية فقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه وانا
مع امير المؤمنين فجعلوا كعبا بينهم حكما فقالوا يا كعب كيف تجدها في التورية فقال اجدها تغرب في
عين سوداء فوافق ابن عباس رضي الله عنه فانه على تقدير التوفيق بين القراءتين على احد الوجهين المذكورين
لما تمشى الخلاف المذكور وفيه تجهيل لهؤلاء الاعلام وما ذكره القفال انه ليس المراد انه انتهى الى الشمس
غربا وشرقا وصل جرمها لانها تدور مع السماء حول الارض من غير ان تلتصق بالارض وهي اعظم من
ان تدخل في عين من عيونها بل هي اكبر منها اضعافا مضاعفة مبناه على اصول فلسفية لا تعويل عليها
ومنهم من تمحل وقال لعله بلغ ساحل المحيط فراها كذلك اذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال

وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب ويرد عليه ان الوجدان يدل على الوجود ولو كان المعنى على ما ذكر
لقيل رآها ثم ان في اطلاق العين على البحر المحيط ما لا يخفى على ذي بصيرة ووجد عندها عند
تلك العين قوما كانوا كفارا فخيره من قال انه كان نبيا تمسك بهذا الخطاب ومن انكره قال كان
الخطاب على لسان نبي في عهده واحتمال الالهام لا يجدي لان الدعوة الى الحق لا تكون الا لنبي او
نائبه قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب بالقتل على الكفر واما ان تتخذ فيهم لم يقل لهم دلالة على
الثبوت والاستقرار حسنا اتخاذ الحسنى فيهم دعوتهم الى الله تعالى وتوحيده وما قيل خيره الله
تعالى بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل يأباه قوله اما من ظلم الخ لانه دل على ان اول الدعوة
وقد كان في التخيير بلفظ اما ان تتخذ فيهم حسنا واضمار بلفظ متعلق التعذيب مع اظهار متعلق الحسنى
ايماء الى ترجيح الشق الثاني فتنبيه له واثر ما هو حق بالايثار اما من ظلم اما من دعوته فظلم نفسه بعدم
قبول الدعوة والاستمرار على الكفر فسوف نعذبه اي بحرف التسويف اشعارا بما يتخلل بين اخبار
عدم قبول الدعوة وتعذيبهم بالقتل من الامهال بتكرار الدعوة اظهارا لاصرارهم على الكفر وبنون
العظمة في نعذبه على عادة الملوك في قولهم نحن فعلنا ثم يرد الى ربه كان خطابه لاتباعه فانه لما
خيره بين الامرين المذكورين علم بذلك اتباعه ثم فصل مخاطبا لهم لا لربه تعالى والا لقال ثم
ترد اليك فيعذبه في الاخرة عذابا نكرا عذابا منكرا لم يعهد مثله واما من امن وعمل
صالحا مما يقتضيه الايمان فله في الدارين جزاء الحسنى جزاء الفعلة الحسنى وقرئ منونا
منصوبا على الحال اي فله المثوبة الحسنى مجزيا بها اجرا وعلى المصدر لفعله المقدر حالا اي يجزى
بها جزاء او على التمييز وقرئ منصوبا غير منون على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا
على انه المبتدأ والخبر وسنقول له من امرنا مما نامر به يسرا قولا ذا يسر وقرئ بضمتين قيل
ويجوز ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير اي ليكن شانك معهم اما التعذيب واما الاحسان
فالاول لمن اصر على الكفر والثاني لمن تاب ويأباه تصدير الجواب باما التفصيلية لانه يستدعي
سبق الاجمال وعلى ما ذكر لا اجمال في الكلام السابق ثم اتبع سببا ثم اتبع طريقا اخر وهو الذي
يوصله الى المشرق بقطع الالف مخففة التاء حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعني الموضع الذي تطلع
الشمس عليه اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام قال الجوهري والمطلع موضع طلوعها
فلا حاجة الى اضمار مضاف وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا اي حجابا يستترون به
عند طلوعها قيل لا جبل فيها ولا شجر ولا ماوى ولا لهم ثوب يسترهم فاذا طلعت عليهم الشمس دخلوا في
الاسراب وقيل في النهر فاذا ارتفعت عنهم خرجوا الى معايشهم كذلك اي امر ذي القرنين كذلك
اي كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة الملك او لم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا
لكم من الجبال والحصون والابنية والاكنان من كل جنس والثياب من كل صنف وقد احطنا بما لديه
من العدد والعدد خبرا تكثيرا لذلك يعني ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الا العليم اللطيف

الجيش ثم اتبع سببا ثم اتبع طريقا اخر هو المعترض بين المشرق والمغرب اخذ من الجنوب الى الشمال
حتى اذا بلغ بين السدين هما على ما ذكره وهب جبلان منيعان في السما املسان يزلق عليهما كل شي وانما
سميا سدين لسدهما فجاج الارض وكانت بينهما فجوة يلج فيها ياجوج وماجوج وهذا المكان في منقطع
ارض الترك وما قيل انهما جبلا ارمينية واذربيجان وهم وقرئ بين السدين بالضم قال الكسائي هما
لغتان كالمكث والمكث وقال ابو عمرو السد بالفتح الحاجز بينك وبين الشي وبالضم الغشاوة في العين
ولهذا قال من قال ما كان من صنعة بني ادم فهو بالفتح وما كان من صنعة الله تعالى فهو بالضم وانتصب
بين على انه مفعول به لانه من الظروف المتصرفة لا يكادون يفقهون قولا لا يفقهون الا بجهد ومشقة
فان زيادة كاد قد تكون لافادة هذا المعنى كما في لا يكاد يبين وذلك لقلة فطنتهم وقرئ يفقهون
اي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه الا بمشقة واما غرابة اللغة فلا تصلح علة لهذا لغرابة لغتهم او
لتلعثمهم قالوا ياذا القرنين دل هذا الخطاب على انه لقب تعظيم وهو في المعنى الذي ذكرناه فيما سبق
دون غيره من المعاني المذكورة في التفاسير وقدرة ذي القرنين على فهم قولهم وتفهيمهم من جملة الاسباب
التي اتاه الله تعالى ان ياجوج وماجوج اسمان لقبيلتين من ولد يافث ممنوعا الصرف ولا دلالة
فيه على عجمتهما لوجود العلتين الاخريين التانيث والعلمية وقرئنا مهموزين قال الاخفش من همز جعل الالف
من الاصل كانه من اجيج النار ومن لم يهمز جعل الالف زائدة وقال ياجوج من يجج وماجوج من مجج وقال
ان همزة ياجوج فهو من اجة النار وان لم يهمز فيمكن ان يكون خففت الهمزة فقلبت الفا مثل راس واما ماجوج
فهو مفعول من اج وان لم يهمز فيجوز ان يكون خففت الهمزة وان يكون فاعولا من مج مفسدون في الارض
بالقتل والتخريب والاتلاف قيل كانوا يخرجون الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه
وقيل كانوا ياكلون الناس فهل نجعل لك استفهام على حسن الادب خرجا جعلا نخرجه من اموالنا
وقرئ خراجا قال اهل اللغة الخرج ما يخرج من المال والخراج ما يخرج من الارض وقيل كلاهما واحد كالنول
والنوال على ان تجعل بيننا وبينهم سدا يمنعهم عن الخروج علينا وقرئ سدا بالفتح والضم قال
القرطبي قال الخليل وسيبويه الضم هو الاسم والفتح المصدر وقال عكرمة وابو عمرو وابو عبيدة ما كان
بخلق الله تعالى ولم يشارك فيه احد فهو بالضم وما كان من صنع البشر فهو بالفتح ويلزم اهل هذه
المقالة ان يقرؤا ههنا بالفتح وفيما سبق بالضم وهي قراءة حمزة والكسائي انتهى والعجب ان الكسائي ينكر
الفرق بينهما معنى فحقه ان لا يخصص احدهما بموضع والاخر بموضع اخر وابو عمرو يعترف بالفرق ومقتضاه
التخصيص المذكور فكل منهما اخذ ما هو حق صاحبه قال ما مكني فيه ربي ما جعلني فيه مكينا
من كثرة المال والملك خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة لي اليه وقرئ مكنني على الاصل
فاعينوني بقوة اراد معاونتهم بعمل اليد وقوة البدن والتخصيص بقوة العمل من ضعف الفطنة
فكانه قال اذا رفعت عنكم مؤنة المعونة بالمال فاعينوني بخدمة بلا اجرة وهذا من تاييد الله تعالى له
حيث اثر ما هو ايسر في حقهم وانفع في حقه واسرع في قضاء الحاجة اجعل بينكم وبينهم ردما الردم السد

المتراكب من قولهم ثوب مردم اذا كان رقاع فوق رقاع اتوني زبر الحديد الزبر بفتح البا وضمها
جمع زبرة وهي القطعة العظيمة ولا يلزم ان تكون من الحديد دل عليه قوله فتقطعوا امرهم بينهم
زبرا ولذلك قيد بالاضافة الى الحديد واعطاؤها من قبيل تحصيل الالة بالخدمة لانها مما يحصل
بمجرد العمل فلا ينافي رده الخرج فلا حاجة الى صرف لايتا عن معناه الى معنى المناولة ولا دلالة
على ذلك في قراءة ائتوني والبا محذوف وقد حذفها في امرتك الخير لانه ينافي معنى الاعطا غاية لا بقيه
حتى اذا ساوى بين الصدفين في الكلام محذوف تقديره فاتوه بما طلب حتى اذا ساوى بعو
البنا بين الصدفين والصدف منقطع الجبل المرتفع ذكره الجوهري وقرئ بالضمتين وبالضم
والسكون وبالفتح والسكون وبفتح الاول وضم الثاني والكل بمعنى واحد قال انفخوا
اي على زبر الحديد بالاكيار حتى اذا جعله نارا اي جعل النفخ ما نفخ فيه كالنار بالاحما
قال اتوني فيه القرانان للتنازع في اتوني المتقدمة افرغ عليه قطرا نحاسا مذابا من
القطر لانه اذا اذيب يقطر كما يقطر الما منصوب بافرغ وتقديره اتوني قطرا افرغ عليه قطرا
فحذف الاول لدلالة الثاني عليه اذ لو اعمل الاول لقيل افرغه اذ لا يضمر في الثاني على الفصيح
فما اسطاعوا حذف التا تخفيفا لقربها من الطا وقرئ بالادغام على غير حدها اذ لا يصح ان
لا يكون قبل الادغام متحرك او حرف مد ولين ولذلك قال ابو علي هي غير جائزة وقرئ بقلب
السين صادا ان يظهروه ان يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه وما استطاعوا له
نقبا لصلابته وثخانته قال هذا اشارة الى السد رحمة من ربي على عباده فاذا
جاء وعد ربي اي فاذا دنا مجي يوم القيمة وشارف ان ياتي تفريع على ما ذكر يعني لما كان
وجوده رحمة تنعدم عند انتها زمان الرحمة بانقضا المستحقين جعله دكا مدكوكا منبسطا
مستويا بالارض وكلما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الادك المنبسط السنام وقرئ
دكا بالمد اي ارضا مستوية وكان وعد ربي حقا كائنا لا محالة وهو اخر القصة وتركنا
جعلنا بعضهم بعض الخلق يومئذ يموج يضطرب في بعض فيختلطون انسهم وجنهم
حيارى ونفخ في الصور هذه النفخة نفخة الانشا لا نفخة الافنا دل على ذلك الفا التعقيبية
في قوله فجمعناهم جمعا للحساب والجزا وما هو لقيام الساعة انما هو نفخة الافنا وعرضنا
جهنم يومئذ للكافرين وابرزناها لهم عرضا اشارة تنكيره الى خروجه عن حد التعريف
والبيان الذين كانت اعينهم في غطا عن ذكري عن اياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم
وكانوا لا يستطيعون سمعا استماعا لذكري وكلامي لفرط صممهم عن الحق وهذا ابلغ من اثبات
الصمم لهم لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح افحسب الذين كفروا افظن الذين كفروا وقرا
ابن مسعود معطوف على قوله كانت وكانوا دلالة على ان الحسبان ناشئ عن التعامي والتصامي وادخل
عليه همزة الانكار ذما على ذم وقطعا له عن المعطوف عليها لفظا لا معنى للايذان بالاستقلال

الموكد للذم وقوله الذين كفروا من وضع الظاهر مقام المضمر زيادة للذم ان يتخذوا عبادي يعني من عبد من الملئكة والمسيح وعزير عليهما السلام من دوني اولياء يعني انهم لا يكونون اولياء كما حكي عنهم سبحانك انت ولينا من دونهم وقري افحسب الذين كفروا اي افكافيهم ومحسبهم ان يتخذوهم اوليا على الابتدا والخبر وعلى الفعل والفاعل لان النعت اذا اعتمد الهمزة ساوى الفعل في العمل انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا استيناف لبيان خطا حسبانهم وفي جعل جهنم نزلا لهم وهو ما يقوم لنزول الضعيف تهكم بهم وتنبيه على ان لهم وراها من العذاب ما يستعذب ويستلذ جهنم بالنسبة اليه قل هل انبئكم بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز وجمع لتنوع اعمالهم الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا ضاع وبطل لكفرهم وانكارهم الحشر قيل هم خوارج اهل حروراء وقيل هم الرهبان اصحاب الصوامع ويردها قوله تعالى بعد ذلك اوليك الذين كفروا الخ اذ ليس منهما من يكفر بلقاء الله تعالى والبعث والنشر ومحله الرفع على الخبر المحذوف فانه جواب السوال والجر على الوصف او على البدل والنصب على الذم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا لعجبهم واعتقادهم انهم على الحق اوليك الذين كفروا بايات ربهم بدلالة المنصوبة على التوحيد والنبوة او بالقران ولقايه بالبعث على ما هو عليه او لقاء عذابه فحبطت اعمالهم بكفرهم فلا ينتفعون بها الا بنيل الثواب ولا بتخفيف العذاب فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا نضع لهم ميزانا توزن اعمالهم لانحباطها وقيل فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا او يرد عليه ان تخرج ان يعطف بالواو احد الفرعين على الاخر لان منشا الازدراء بهم كفرهم بايات الله تعالى ولقايه لا حبوط اعمالهم ذلك اي الامر ذلك وقوله جزاوهم جهنم جملة مبينة له ويجوز ان يكون ذلك مبتدا والجملة خبره والعايد محذوف اي جزاوهم به او جزاوهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا واتخذوا اياتي ورسلي هزوا اي بسبب ذلك وتقدم تفسير الهزو ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم فيما سبق من حكم الله ووعده جنات الفردوس نزلا قدم معنى النزل وما فيه من التنبيه والفردوس الذي يجمع محاسن كل بستان قاله الزجاج ومروي مرفوعا انه وسط الجنة واعلاها خالدين فيها نصبه على الحال ولما كان ما ذكر في سابق تقديره تعالى لم يحتج هاهنا الى تقرير لا يبغون عنها حولا اي لا يطلبون عنها التحول اذ لا مزيد عليها حتى تنازعهم اليه انفسهم بل فيه جميع ما تشتهي انفسهم وهذه غاية الوصف والتحول التنقل من موضع الى موضع والاسم الحول ذكره الجوهري وفيه تاكيد الخلود لانهم اذا لم يريدوا الانتقال عنها لا ينقلون لعدم الاكراه فيها قل لو كان البحر مدادا هو في الاصل الجاري شيا بعد شي على اتصال وصار اسما لكل ما يمد به الشي على العموم والمراد هنا الحبر وهو اسم خاص لما في المحبرة لكلمات ربي لكلمات علمه وحكمته لنفد البحر لنفد جنس البحر اي لم يبق منه شي لتناهيه قبل ان تنفد قري بالتاء والياء كلمات ربي لعدم تناهيها وفي نفاده قبل نفادها لا يلزم تحقق نفادها بعد نفاده ولذلك يقع الطلاق واحدا اذا قال لغير المدخول بها انت طالق واحدة قبل واحدة ولو جينا بمثله بمثل البحر

الوجود مددا لنفد ايضا والكلمات غير نافدة ضرورة اذ كل ما يدخل تحت الوجود متناه المقدار فلا بد من نفاده بخلاف ما لا نهاية له فانه يستحيل نفاده ومددا تمييز وهو مثل المداد وقري مددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمد الكاتب فيكتب به وقري بمثله مدادا وسبب نزولها ان اليهود قالوا في كتابكم ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله تعالى قل انما انا بشر مثلكم في العجز على كلماته الا انى فارقكم بنزول الوحي علي وبعض الاحاطة بسببه يوحى الي انما الهكم اله واحد نبه على الوحدانية لانهم كانوا كفارا بقولهم عزير ابن الله ثم خص على ما فيه النجاة بقوله فمن كان يرجو لقاء ربه الرجا توقع الخير في المستقبل وهو الطمع ايضا لكنه يستعمل في الامور المحمودة وفرقوا بين الرجا والاغترار بان الرجا يكون لمن مهد اسباب المرجو والاغترار لمن اخل بها والمراد من لقاء الله تعالى لقاء كرامته وتقدير المضاف على ان يكون الكلام حسن لقاء ربه لا يغني عن هذا التجوز فليعمل عملا صالحا لا يقال لولا الرجا ولا يشرك بعبادة ربه احدا قال ابن جبير لا يرائي في عمله ولا ينبغي لا وجه ربه خالصا لا يخلط به غيره روي ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اعمل العمل لله تعالى فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله تعالى لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له عليه السلام وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الريا والاية جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما الاخلاص في التوحيد والاخلاص في الطاعة وقري تشرك بالتاء التفاتا من الغيبة الى الخطاب ثم عاد الالتفات من الخطاب الى الغيبة

سورة مريم عليها السلام مكية

كهيعص قد سبق القول فيه ذكر رحمت ربك خبر محذوف اي هذا المتلو ذكرا وخبره محذوف اي فيما يتلى عليك ذكر وقري ذكر مشددا على الماضي من التذكير ونصب رحمة اي هذا المتلو ذكر رحمة ربك وذكر على الامر وهذا صحيح في عدم اتصاله بما قبله فالوجه ان يعرب الباقون موافقا لهذا لان الاصل في القراات التوافق عبده مفعول الرحمة او الذكر على ان الرحمة فاعله على الاتساع كقولك ذكرني جود زيد زكريا بدل منه او عطف بيان اذ ظرف للرحمة للدلالة على ان وقت ندائه هو وقت رحمة ربه لم يتخلف عنه نادى ربه النداء قد يستعمل في مطلق الخطاب كما في قوله فناداها من تحتها فلا ينافي قوله نداء خفيا بين الصفة والموصوف اي دعاء سرا لان الاسرار والجهر عند الله سيان وعندنا الاسرار ابعد عن الريا واقرب الى الصفا [illegible] لئلا يلام على طلب الولد في اوان الكبر فانه كان حينئذ متجاوزا الى حد الكبر على ما دل عليه قوله وقد بلغت من الكبر عتيا قال رب اني استيناف لتفسير النداء وهن العظم مني الوهن الضعف وقري بالحركات الثلاث وتخصيص العظم لانه دعامة البدن واصل بنائه فتطرق الضعف اليه موجب لتطرقه الى كل البدن ولانه اصلب ما فيه فاذا وهن كان ما وراه اوهن وتوحيده لان المراد به الجنس ولو جمع لكان قصدا الى معنى اخر وهو انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها وذلك ليس مقصودا بحسب المساق وما يزداد على المقصود بعد كثرة

وفصولا ولما اقتضى المقام تعريف الحقيقة في العظم دون الراس احتيج الى زيادة قوله مني هنا دون قوله
واشتعل الراس شيبا اي استولى الضعف على الباطن والظاهر وذكر هذا يزيد الدعا تاكيدا لما فيه من
الاتكال على حول الله تعالى والتبري عن الاسباب الظاهرة شبه الشيب بشواظ النار في بياضه
وانارته فقط بل فيهما وفي ان النار كما تشتعل في الجسم وتسري فيه حتى تحيله الى غير لونه الاول فشبه
انتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل ماخذ باشتعال النار في سرعة التهابها وتعذر تلافيه ولابد
في التشبيه الثاني من اعتبار معنى السرعة في وجه الشبه اذ به يعلم كون الشيب في وقته فيتم الكناية عن المعنى
المراد وهو الدخول في سن الشيخوخة فان الشيب قد ياخذ من الراس كل ماخذ من قبل ذلك الا انه يكون
على تدريج وتمهل ثم اخرج الاول مخرج الاستعارة التصريحية واصل الكلام اشتعل الشيب في الراس
لا اشتعل شيب الشعر في الراس لان الشيب مخالطة الشعر الابيض بالاسود فنزل تلك المرتبة الى ما هو
ابلغ منهما من جهات احدها اسناد الاشتعال الى الراس لافادة شمول الاشتعال وثانيها الاجمال
والتفصيل في طريق التمييز وثالثها تنكير شيبا لافادة التعظيم واكتفي بالام عن الاضافة لاعتمادا
على علم المخاطب والاهما ذكر مني فيما سبق مني بل اعتمادا على ان المتبادر من العطف على المقيد اعتبار
التقييد فيه ولم اكن بدعائك رب شقيا اي كنت مستجاب الدعوة قبل اليوم سعيدا غير شقي فيه
يقال سعد فلان بحاجته اذا ظفر بها وشقي اذا خاب ولم ينلها معنى انه تعالى عوده بالاجابة واطمعه
فيها ومن حق الكريم ان لا يخيب من اطمعه فما ذكر تذكير لعادات تفضله تعالى في اجابة ادعيته وتوسل به
وذلك نعم الوسيلة وتحسين الظن بالاجابة فان له تاثيرا فيها قال تعالى انا عند ظن عبدي بي واني
خفت الموالي الموالي ابن العم والعصبة وجمعه موالي من وراي قال ابو عبيدة اي من جهة الموت
الذي هو قدامي قال الشاعر

ايرجو بنو مروان سمعي وطاعتي ● وقومي تميم والفلاة وراي

كانه لم يرى فيهم من الخلال ما يصلحون به للقيام مقامه في الدين وقري خفت وتعلق الظرف به ظاهر يعني
انهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقوي واعتضاد وكانت امراتي عاقرا العاقر التي لا تلد لكبر
سنها وفي عبارة كانت دلالة على انها استمرت مدة على تلك الحالة والظاهر من تقديم هذا القول انه اراد
الولد منها وقد مر وجه ذلك في سورة ال عمران ويناسب هذا ان يكون المراد من يعقوب بامراته فهب
لي من لدنك اخترعا منك بلا سبب لاني وامراتي لا نصلح للولادة وليا ابنا يلي امرك بعدي يرثني ويرث
وقري برفعهما صفة لوليا اي هب لي وارثا من العلم ومن ال يعقوب النبوة ومعنى وراثة النبوة انه يصلح
لان يوحى اليه ولم يرد ان نفس النبوة تورث وبجزمها على انه جواب للدعا ورد ابو عبيدة قراة الجزم وقال لانه
معناه ان وهبت ورث وكيف يخبر الله تعالى بهذا وهو اعلم به من ال يعقوب يعقوب بن ماثان اخو عمران
ابو مريم وقري يرثني وارث ال يعقوب على الحال من احد الضميرين واو يرث بالتصغير لا للصغر لانه لا يناسب
المقام بل للمدح كقول حباب بن المنذر انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب وارث من ال يعقوب على انه فاعل يرثني

وهذا يسمى التجريد لانه جرد عن المذكور اولا مع انه المراد واجعله رب رضيا مرضيا في اخلاقه وافعاله
او راضيا عنك وبحكمك يا زكريا اي فاستجبنا دعاه وقلنا يا زكريا دل على ذلك قوله في سورة الانبيا
فاستجبنا له ووهبنا له يحيى انا نبشرك كانت البشارة بواسطة الملك على ما نص عليه في سورة ال عمران
بغلام فيه بشارة بثلثة امور الولد وكونه ذكرا وبلوغه الحلم واختلف في بقائه بعد ابيه والظاهر من قوله تعالى
فاستجبنا له انه بقي بعده اسمه يحيى تولى الله تعالى تسميته تشريفا له لم نجعل له من قبل سميا لم يسم
بيحيى احد قبله وفيه دلالة على ان في التخصيص باسم مستحسن نوع تشريف للمسمى وقد سبق معنى يحيى وبيان
اشتقاقه قال زكريا رب انى يكون لي غلام استفهام تعجبي يدل على التصديق بوقوع المخبر به والاعتراف
بكمال قدرته عليه لان التعجب مما ينشا من استغراب المقارن للتصديق فيتضمن الاستعظام انه يولد لهما على هذه الحا
او بعد الاحالة فاندفع ما قيل لم استبعد واستعجب واجيب بانه ليجاب بما اجيب به فيزداد المومنون ايقانا
ويرتدع المبطلون وليت شعري من المراد من الموقنين والمبطلين وقد كان دعاوه مخفيا عن الغير ثم انه عليه السلام
فهم من البشارة المذكورة انه يرى بلوغ يحيى عليه السلام اوان الحلم فازداد به التعجب ولهذا قال انى يكون
لي غلام دون انى يكون لي ولد من امراته التي طلب الولد منها ولهذا قال وكانت امراتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا
هو اليبس والجسادة في المفاصل والعظام كالعود اليابس من اجل الكبر والطعن في السن العالية قال
الملك المبلغ للبشارة له كذلك قال ربك هو علي هين اي بان ارد عليك قوة الجماع وافتق رحم امراتك للعلوق
وقري وهو علي هين على العطف على محذوف اي افعله وهو علي هين وقد خلقتك اراد خلق مادته
لا خلق صورته لانه عن شي فلا يناسب السياق والسياق ولهذا قال من قبل اي من قبل خلقك بشرا
ولم تك شيئا بل كنت لاشيا صرفا وليس فيه تعرض للخلافية المشهورة قال رب اجعل لي اية علامة اعلم بها
انه علق لازيد في الشكر ودعا السلامة قال ايتك الا تكلم الناس علامتك ان تمنع من كلام الناس
دون ذكر الله ثلاث ليال دل ذكر الليالي هنا والايام في سورة ال عمران على ان المنع من كلام الناس ثلثة
ثلثة ايام ولياليهن للتجرد للذكر والشكر سويا حال كونك سوي الخلق سليم الجوارح ما بك خرس ولا بكم فخرج
مشرفا على قومه من المحراب اي المسجد وكانوا ينتظرون فتحه ليصلوا فيه بامره على العادة فاوحى فاشار
اليهم لقوله الا رمزا ان سبحوا ان هي المفسرة بكرة وعشيا طرفي النهار يا يحيى على تقدير القول
خذ الكتاب التورية بقوة بجد اخذه قبوله وكون اخذه بقوة العمل به كما هو حقه واتيناه الحكم يعني
الحكمة وفهم التورية صبيا فلما دعاه الصبيان الى اللعب فقال ما للعب خلقنا وحنانا شفقة ورحمة
للناس وانما قال من لدنا مع ان الكل من عند الله تعالى الدلالة على ان شفقته عليه السلام كانت زايدة
على ما في جبلة الناس خارجة عن المعتاد وزكاة وطهارة من الذنوب فلم يعهد بذنب وكان تقيا
مستمرا على الطاعة والتجنب عن المعاصي وبرا بوالديه اي محسنا اليهما في الغاية ولم يكن جبارا عصيا
الجبار الذي يعاقب على كل غضب نفسه لا على استحقاق الجاني قال تعالى واذا بطشتم بطشتم والعصي
المبالغ في العصيان وهو مخالفة الامر كان ظاهر المبالغة في النفي دون المنفي والعدول عنه للاشعار

بان شان النفوس القوية البلوغ الى الغاية في كل صفة يتصف بها محمودة كانت او مذمومة
وسلام عليه تحية من الله تعالى يوم ولد اي هنا بصيغة الماضي وفي قوله ويوم يموت
بصيغة المضارع لان مساق الكلام يتعدد دلالته وقبل موته ويوم يبعث مطلق البعث يعم ما في
القبر الا انه لا يطلق عليه الحي فقوله حيا لتعيين بعث الاخرة او حشر ما يكون الخلق في ثلثة
مواطن يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث في القبور فجاات فجاة اعظم منها ويحيى عليه السلام
يحيى بالسلام في هذه المواطن العظام واذكر في الكتاب اي القران مريم يعني قصتها
اذ ظرف لمضاف مقدر وقيل اذ بمعنى ان المصدرية وتقديره واذكر مريم انتباذها على ان انتبا
بدل من مريم واما ما قيل انه بدل من قصة مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها
او بدل الكل لان المراد من الظرف الامر الواقع فيه فلا يرد عليه ان الزمان اذا لم يكن خبرا عن
الجثة ولا حالا منها ولا وصفا لها لا يكون بدلا منها انتبذت انفردت وقعدت نبذة اي
ناحية وهذا اذا جلس قريبا منك حتى لو نبذت اليه شيا وصل اليه ولذلك احتاجت الى ضرب الستر
بينها وبينهم ويرشد الى هذا قوله من دونهم من اهلها مكانا انتصابه على تضمين الانتبا
معنى الاتيان او على الاتساع شرقيا شرقي بيت المقدس او شرقي دارها ولذلك اتخذ النصا
المشرق قبلة فاتخذت من دونهم حجابا اي سترا تستتر به عن اهلها بدلالة قوله من دونهم
قيل قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض فاحتجبت بشي يسترها فارسلنا اليها روحنا
اي جبريل عليه السلام والاضافة للتشريف فتمثل لها اي تصور لمريم بشرا سويا معتدل
الخلق حسن الصورة وانما مثل كذلك لا لتستانس بكلامه وتهيج شهوتها فتنحدر نطفتها الى
رحمها اذ ح لا يكون مثل كمثل ادم عليه السلام في الخلق بلا واسطة نطفة بل ليبتلا تقر عفتها وتسمع
كلامه وتبتلي به فتظهر عفتها ولما رات رجلا حسن الصورة قد دخل عليها في الخلوة ظنت انه يريد
بسوء وعلمت انها لا تقدر على دفع ذلك بنفسها فاستعاذت بالله قالت اني اعوذ بالرحمن منك
استيناف على تقدير سوال وفي ذكر الرحمن تذكير ليوم الجزا فانه تعالى رحيم الدنيا ورحمن الاخرة
ان كنت تقيا تتقي الله وتخشى فلا تقربني بحذف الجزا لدلالة الحال عليه وهذا كقول القايل
ان كنت مومنا فلا تظلمني اي ينبغي ان يكون ايمانك مانعا لك من الظلم قال جبريل عليه
السلام انما انا رسول ربك في عبارة الرسول اشارة الى ان توسطه في الخبر دون الاثر واتى
بالرب مضافا اليها لنوع من الدلالة في اول الكلام على ان الرسول لايصال النعمة والاحسان
الخاص بها من بين العباد ولما كان مفهوم الخبر باعتبار هذا المعطي مظنة الاتساع اكد بانما
لاهب لك حكاية لقول الله تعالى ح لعلي ذلك قراة ليهب بالياء ويناسبه وصفا لرسالة وفي عبارة
الهبة اشارة الى ان ما اعطيها يصل اليها بسهولة غلاما قدم ما فيه من وجوه البشارة زكيا
طاهرا من الادناس او ناميا على الخير والبركة قالت اني كيف يكون لي غلام ولد ولم يمسسني بشر

جعل المس هنا بطريق المقابلة عن النكاح الحلال ولم اك بغيا فاجرة تبغي الرجال اي تطلب
الشهوة من اي رجل كان ولا يكون الولد عادة الا من احد هذين والبغي فعول فقلبت الواو
ياء وادغمت وكسرت الغين اتباعا ولذا لم تلحق التاء التانيث او فعيل ولم تلحقها الها لانه بمعنى مفعو
وان كانت بمعنى فاعلة فهو قد يشبه به ملحقه جديد قال كذلك الامر كذلك من خلق غلام
منك بغير اب قال ربك هو علي هين اي اعطا الولد بلا اب سهل ولنجعله تعليل معلله
محذوف اي وجعلنا ذلك لنجعله اية للناس علامة لهم وبرهانا على كمال قدرتنا ورحمة
منا على العباد يهتدون بارشاده وكان خلقه امرا مقضيا تعلق به قضا الله في الازل
فلما اطمانت الى قوله دنى منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها فحملته اي الموهوب
فانتبذت به اي فاعتزلت وهو في بطنها والجار والمجرور في موضع الحال مكانا قصيا بعيدا
من اهلها فاجاءها جا بها ذكره الجوهري وقيل الجاها وهو منقول من جاء الا ان استعماله
قد تغير بعد النقل الى معنى الالجا ونظيره اتى حيث لم يستعمل الا بمعنى الاعطا وفيه نظر فال
الجوهري واتاه اي اتى به ومنه قوله تعالى اتنا غداءنا اي ايتنا به المخاض وقرئ بالكسر وكلاهما
مصدر مخضت المراة اذا تحرك الولد في بطنها للخروج الى جذع النخلة كانها طلبت شيا تستند اليه
وتتعلق به كما تتعلق الحامل لشدة وجع الطلق والجذع ساق النخلة اليابسة الذي لا سعف عليه ولا ثمر
لعله تعالى الهمها ذلك ليريها من اياته ما يسكن روعتها ويطعمها الرطب الذي هو طعام النفسا
والتعريف للجنس ولا مساغ للعهد لان شرطه ان يكون معروفا عند المخاطب وهو مفقود هنا قالت
يا ليتني مت قبل هذا اي ليس تمني الموت لما عرضها شدة وجع الطلق اذ لا حاجة حينئذ الى قوله
وكنت نسيا منسيا بل لانها خافت ان يقع قومها بسببها في البهتان والنسبة الى الزنا وتمني الموت
من جهة الدين جائز وقرئ نسيا بالفتح وهما لغتان كالوتر والوتر وهو الشي المتروك لا يذكر كانه
منسي وقيل ما شانه ان ينسى ولا يطلب كالذبح بما يذبح وقيل هو بالفتح مصدر وبالكسر اسم للمنسي
المتروك كالقشر والقشر فناداها كانت المناداة مخاطبة لها بعضد قراة فخاطبها من تحتها
وهو جبريل عليه السلام لانه كان في مكان منخفض عنها او كان منها بمنزلة القابلة او عيسى عليه السلام
السلام لانه خاطبها من تحت ذيلها وقرئ من بالكسر والفاعل مضمر وهو عيسى او جبريل عليه السلام
على ان لها في تحتها للنخلة الا تحزني اي لا تحزني او بان لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا
جدولا هكذا روي مرفوعا قال ابن عباس رضي الله عنه كان ذلك نهرا قد انقطع ماوه فاجراه الله تعالى
لمريم والنهر يسمى سريا لان الماء يسري فيه فان قلت ما تقول في قول الحسن سيدا من السري ويعني عيسى
عليه السلام قلت ليس بقول الحسن لانه مخالف للتفسير المرفوع وفي المثل اذا جاء نهر الله بطل
نهر معقل وهزي اليك الهز تحريك مخصوص تتبعه الحركتان المتدافعتان الى جهتين متقابلتين وتعدية
بالى لتضمنه معنى المد والتوطية لما قصد بقوله عليك فان الهز اذا لم يكن بالمد لا يكون سقوط الثمر على الجانب

وَالبا في قوله بجذع النخلة تساقط في تساقط تسع قرات بادغام التا وتتساقط بالفك وتسا
بطرح الثانية ويساقط باليا وادغام التا ويساقط ويسقط وتسقط باليا والتا من اسقط ويسقط
وتسقط من سقط بالتا للنخلة واليا للجذع او للنهر رطبا تمييز او مفعول جنيا اي مجنيا
وهو الطري بعبارة البالغ نهاية النضج فكلي من الجني واشربي من السري وقري عينا
بالولد الرضي وعينا تمييز اي طيبي نفسا بعيسى عليه السلام وارفضي عنك ما احزنك وقرئ
بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه من العرفان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك
يقال قرة العين وسخنها للمحبوب والمكروه او من القرار فان العين اذا رات ما يسر النفس سكنت
اليه عن النظر الى غيره فاما اصله ان ما فضمت الشرطية الى ما وادغمت فيها ترين من
البشر احدا اي فان رايت ادميا يسالك عن حالك فقولي اني نذرت للرحمن صوما وامسا
عن الكلام للناس اي صمتا وقد قرئ به وكانوا يصومون عن الكلام كما يصومون عن الطعام
وقيل صياما حقيقة وكان صومهم فيه الصمت وانما امرت به لان عيسى عليه السلام يكفيها الكلام
بما يبري ساحتها ولئلا تجادل السفها وانما اخبرتهم بانها نذرت الصوم بالاشارة وقد تسمى الاشارة
كلاما وقولا ويجوز ان يكون اخبارها به قوله فلن اكلم اليوم انسيا قبل دخول اليوم اي لا اكلم
ادميا وانما اكلم الملئكة وذلك ان العدول من احدا الى انسيا ليفيد بدلالة المفهوم هذه الدقيقة
ويدمج فيه معنى كراهة اخرى وهي رفعة منزلتها فاتت به بعيسى عليه السلام البا للتعدية كما في
ذهب به لا بمعنى مع قومها بعد ما طهرت من نفاسها تحمله حال منها فلما راوه معها
قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا بديعا منكرا والفري القطع كانه يقطع العادة يا اخت هرون
كان اخاها من ابيها ومن افضل بني اسرائل ما كان ابوك عمران امرا سوء زانيا وما كانت
امك حنة بغيا زانية تقرير لما جات به انه فري وتنبيه على ان الفواحش من اولاد الصالحين افحش
فاشارت اليه اي الى عيسى عليه السلام اي كلموه يجبكم قالوا كيف نكلم من كان في المهد
المعهود صبيا حال معناه انه كان من اهل المهد وان لم يكن في تلك الحالة في المهد كما يقال صبي رضيع
وان كان لا يرضع حالة الاخبار عنه ولهذا زيد لفظة كان للتاكيد قال اني عبد الله لما سكتت
بامر الله لسانها الناطق انطق الله الساكت اتاني الكتاب الانجيل وجعلني نبيا عن
الحسن انه كان في المهد نبيا وكلامه معجزة وقيل معناه ان ذلك سبق في قضائه او جعل الاتي لا محالة
كانه وجد وجعلني مباركا اينما كنت نفاعا حيث كنت او معلما للخير واوصاني بالصلوة والزكوة
لما كان الامر بهما موجلا عبر عنه بالتوصية فان الوصية التقدم في الامر الذي يكون بعد ما وقت له
ما دمت حيا اي مدة حياتي وبرا بوالدتي اي بارا بها وقرئ بالكسر على انه مصدر وصف
به منصوب بفعل دل عليه اوصاني اي وكلفني برا ويويده القراة بالكسر والجر عطفا على الصلوة
ولم يجعلني جبارا قدم تفسيره شقيا عاصيا والسلام على التعريف للجنس وفيه تعريض

بفتح

بفتح على اعدائه كقوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض بان العذاب على من كذب
وتولى يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا قد سبق بيانه ذلك عيسى اي الذي تقدم
نعته هو عيسى لا ما يصفه النصارى او اليهود وهو تكذيب للفريقين فيما يصفانه على الوجه
الابلغ والطريق البرهاني حيث جعله موصوفا باضداد ما يصفانه به ثم عكس الحكم ابن مريم
نعت او خبر ثان اي لا نسبة فيه من جهة الاب ففيه رد لليهود في زعمهم انه ابن يوسف النجار
قول الحق خبر محذوف المبتدا اي هو قول الحق الذي لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير
للكلام السابق صفة عيسى عليه السلام او بدله او خبر اخر ومعناه كلمة الله لا نفسه ولا ابنه
ولا ثالثه ففيه رد لفرق النصارى وقد سبق وجه كونه كلمة الله في سورة ال عمران وقيل
ولد وقرئ بالنصب على المدح او على المصدر اي قول قول الحق وقرئ قال الحق وهو بمعنى القول
الذي فيه يمترون في امره يختلفون من المرية فقال اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى
ما سبق تفصيله وقرئ بالتا على الخطاب ما كان لله اي ليس من شانه ان يتخذ من
ولد جي بمن لتاكيد النفي سبحانه نزه ذاته عن اتخاذ الولد اذا قضى امرا فانما يقول له
كن فيكون تبكيت للنصارى بعد تكذيبهم بان من اذا اراد شيئا اوجده بكن كان منزها من شبه
الخلق والحاجة في اتخاذ الولد باحبال الاناث وقرئ فيكون بالنصب على الجواب وان الله ربي
وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم سبق تفسيره في سورة ال عمران وقرئ بالفتح على
ولان او على العطف على الصلوة فاختلف الاحزاب الحزب الفرقة المنفردة برايها وهم
اربع فرق نسطورية ويعقوبية واسرائيلية وملكانية من بينهم من بين اصحاب عيسى عليه السلام
او من بين قومه او من بين الناس وذلك ان النصارى اختلفوا في عيسى عليه السلام حين رفع
ثم اتفقوا على ان يرجعوا الى قول اربعة كانوا عندهم اعلم اهل زمانهم وهم يعقوب ونسطور واسرائيل
وملكا فقال يعقوب هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السما وقال نسطور كان ابن الله اظهره
ما شاء ثم رفعه اليه وقال اسرائيل الله اله وهو اله وامه اله وهم الاسرائيل ملوك النصارى
وقال الرابع كذبوا كان عبدا مخلوقا نبيا فتبع كل واحد منهم قوم فويل للذين كفروا من الاحزاب اذ
الواحد منهم على الحق من مشهد يوم عظيم اي من شهودهم هول يوم القيمة على ان الميم من اليوم
الواقعة اسمع بهم وابصر الجمهور على انه لفظ امر ومعناه التعجب والله تعالى لا يوصف به ولكن المراد
اسماعهم وابصارهم جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صما عميا في الدنيا وبهم مرفوع المحل على الفاعلية كاكرم
بزيد معناه انه كريم جدا يوم ياتوننا اي يوم القيمة لكن الظالمون اقيم الظاهر مقام الضمير
اشعارا بانهم ظلموا انفسهم حيث تركوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم اليوم في الدنيا في ضلال
مبين تسجيل على تركهم ذلك بانه ضلال بين وانذرهم يوم الحسرة يوم القيمة لانه يتحسر الناس
فيه المسي على اسائته والمحسن على قلة احسانه اذ بدل من يوم الحسرة او ظرف للحسرة وهو مصدر

قضي الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الي الجنة والنار وهم في غفلة هنا عن الاهتمام
لذلك المقام وهم لا يؤمنون لا يصدقون به متعلق بقوله في ضلال مبين وما بينهما اعتراض
وبانذرهم اي انذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون متضمنة للتعليل انا نحن نرث الارض
ومن عليها اي ننفرد بالملك والبقاء عند تعميم الهلك والفنا وذكر من لتغليب العقلا وهذا يدل علي
فنا الارض ايضا قوله نحن نرث مبتدا وخبر والجملة في محل الرفع خبران ولا يجوز ان يكون نحن
فصلا لان نرث نكرة والفصل لا يقع الا بين معرفتين او قريبتين من المعرفة والينا يرجعون
اي يردون ويجازون وفاقا في محل الرفع بالعطف علي نرث وعلي الجملة الاسمية واذكر في الكتاب
ابراهيم انه كان صديقا ملازما كثير الصدق لكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالي واياته
وفوي التصديق ويجوز ان تكون المبالغة من جهة الكيف نبيا استنباه الله تعالي
اذ قال بدل من ابراهيم وما بينهما اعتراض او متعلق بكان او بصديقا نبيا والمراد بذكر
الرسول اياه وقصته في الكتاب ان يتلو ذلك علي الناس ويبلغه اياهم كقوله واتل عليهم نبا ابراهيم
والا فالله عز وجل هو ذاكره وموردة في تنزيله لابيه يا ابت التاعوض عن يا الاضافة ولذلك
لا يقال يا ابتي وانما تذكر للاستعطاف ولذلك كررها لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر المفعول
فيهما غير منوي ولا يغني عنك شيا يحتمل ان يكون شيا في موضع المصدر اي شيا من الاغنا
وان يكون مفعولا به من قولك اغني عني وجهك اي بعد دعاه الي الهدي وبين ضلاله واحتج
عليه ابلغ احتجاج وارشده برفق وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي تدعو
الي العبادة ما يستخف به العقل الصحيح ويابي الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي غاية التعظيم
ولا يحق الا لمن له الاستغنا التام والانعام العام ونبه علي ان العاقل ينبغي ان يفعل ما يفعله
لغرض صحيح والشي لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا علي النفع والضر ولكن ممكن لا يستنكف
العقل القويم عن عبادته وان كان اشرف الخلق لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة
فكيف اذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه الي ان يتبعه ليهديه الحق القويم والصراط المستقيم
لما لم يكن محفوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر السوي فقال يا ابت اني قد جاني من العلم ما لم
ياتك فاتبعني اهدك صراطا سويا ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفايق بل جعل نفسه
كرفيق له في مسير يكون اعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بانه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر
لانه في الحقيقة عبادة الشيطان من حيث انه الامر به فقال يا ابت لا تعبد الشيطان استهجن ذلك
وبين وجه الضر فيه بان الشيطان مستعص علي رب المولي النعم كلها بقوله ان الشيطان كان للرحمن عصيا
ومعلوم ان المطاوع للعاصي عاص وكل عاص حقيق بان تسترد منه النعم وينتقم ولذلك عقبه
بتخويفه سو عاقبته وما يجز بره الله فقال يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون
للشيطان وليا قرينا في جهنم لان الولييين لا يكادان يفترقان في محبوب او مكروه مجعل موليا

فهذه

في هذه الحالة لما قلنا وان كانا متباغضين يومئذ كما قال تعالي الاخلاء بعضهم يومئذ لبعضهم
لبعض عدو الا المتقين وانما قال يمسك دون يصيبك ليعلم ان العذاب جسماني والتنكير
فيه للتعظيم وقصد التقليل من عبارة المس لا يناسب المقام ولا يساعده الكلام اما الاول فلان
المقام مقام التخويف فلا يناسبه التخفيف واما الثاني فلان المس اتصال الشي بالبشرة بحيث تتاثر
الحاسة وانما قال من الرحمن لان العذاب من مظنة الرحمة اقطع واشنع وانما قال اخاف رعاية
لمقتضي شفقة النبوة قال اراغب الرغبة اجتلاب الشي لما فيه من المنفعة وتعديته بفي
واذا تعدي بعن يفيد ضده انت عن الهتي يا ابراهيم قابل استعطافه ولطفه في
الارشاد بالفظاظة قدم الخبر علي المبتدا لانه كان اهم عنده وصدره بالهمزة لانكار نفس الرغبة
علي ضرب من التعجب كانه مما لا يرغب عنها عاقل وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت
بيا بني ولا تاخير فيه لتاخيره بل لو قدم لكان اشنع واوقع لان المقام مقام العنف دون
اللطف ثم هدده فقال لئن لم تنته عن مقالتك فيها لارجمنك لاقتلنك بالرجام
او لاضربنك بها حتي تتباعد او لاشتمنك واهجرني عطف علي محذوف يدل عليه لارجمنك
تقديره فاحذرني فالواو فصيحة مليا زمانا طويلا من الملاوة او مليا بالذهاب عني
قال سلام عليك توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة اي لا اجيبك بمكروه ولا اقول
لك بعد ما يؤذيك ولكن ساستغفر لك ربي وعده بطلب المغفرة له من الله تعالي فلعله
يوفقك للتوبة والايمان فان حقيقة الاستغفار للكافر استدعا التوفيق لما يوجب الايمان
ويرد عليه انه لو كان كذلك لما كان وعده مستثني عن القدوة الحسنة بقوله تعالي الا قول
ابراهيم لابيه لاستغفرن لك انه كان بي حفيا بليغا في البر واللطف واعتزلكم اراد
بالاعتزال المهاجرة وما تدعون من دون الله اي وما تعبدون من اصنامكم وادعو ربي
واعبد الله وحده ثم قال تواضعا وهضما للنفس وتنبيها علي ان الاجابة والاثابة تفضل غير واجب
وان ملاك الامر خاتمته وهو غيب وتعريض بشقاوتهم بدعا الهتهم عسي ان لا اكون بدعا
ربي شقيا خايبا ضايع السعي مثلكم في دعا الهتكم فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله
بالهجرة الي الشام وهبنا له اسحق ولدا ويعقوب نافلة اول ما وهب له اسمعيل عليه
السلام علي ما مر في تفسير قوله تعالي الحمد لله الذي وهب لي علي الكبر اسمعيل واسحق وانما
خص اسحق بالذكر لانه شجرة الانبيا عليهم السلام ولانه اراد ان يكون اسمعيل عليه السلام
بفضله علي الانفراد وكلا اي وكل واحد منهما جعلنا نبيا اي لما ترك الكفار الفجار
لوجهه عوضه اولادا ابرارا وجعلنا لهم لسان صدق ثنا حسنا وهو الصلوة علي ابراهيم
وعلي ال ابراهيم في الصلوات الي قيام الساعة استجابة لدعوته واجعل لي لسان صدق في الاخرين
عبر باللسان عما يوجد به كما عبر باليد عما يطلق بها وهو العطية ووصفه بالصدق لانه شاهن

الغفران وهو

ووهبنا لهم من رحمتنا
النبوة والاموال والاولاد

لاكذب فيه عليا رفيعا مشهورا واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا قرئ بالفتح
اي اخلصه الله واصطفاه وبالكسر اي اخلص هو العبادة لله فهو مخلص بما له من السعا
باصل الفطرة ومخلص فيما عليه من العبادة بصدق الهمة وكان رسولا نبيا ارسله الله الى
الخلق فانبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع انه اخص في بني ادم واعلى واكرم وقدم تفصيله
في تفسير سورة الاعراف وناديناه من جانب الطور هو جبل بين مصر ومدين الايمن
من ناحيته اليمنى من اليمين والمعنى انه اقبل من مدين الى مصر نودي من الشجرة وكانت في جانب
الجبل على يمين موسى عليه السلام بان تمثل له الكلام من تلك الجهة او جانبه الميمون من اليمن
وقربناه تقريب منزلة ومكانة دون منزل ومكان نجيا مناجيا كنديم بمعنى منادم حال
من احد الضميرين وقيل مرتفعا من النجو وهو الارتفاع لما روي انه رفع الى السموات حتى سمع
صرير القلم ووهبنا له من رحمتنا من اجل رحمتنا اخاه مفعول هرون عطف بيان
او بدل نبيا حال منه اي وهبنا له نبوة اخيه والا فهرون كان اكبر منه سنا واذكر في
الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد ذكره بذلك لشهرته واتصافه باشيا من هذا الباب
لم تعهد من غيره وكان رسولا نبيا بعث بشرع ابيه الى قوم دون قوم ابيه وهم جرهم فكان
صاحب شريعة بالنظر اليهم لاختصاص شرع ابيه بحسب دعوته لقومه وكان يامر اهله
اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل على نفسه ومن هو اقرب الناس اليه بالتكميل وقيل اهله امته
فان الاهل يطلق على القوم كما في قوله تعالى فانتبذت من اهلها بالصلوة والزكوة وانما
خصتا بالذكر لانهما اما العبادات البدنية والمالية وكان عند ربه مرضيا لاستقامة اقواله
وافعاله واذكر في الكتاب ادريس هو اخنوخ اول مرسل بعد ادم عليه السلام واول من خط
بالقلم وخاط اللباس ونظر في علم النجوم والحساب واتخذ الموازين والمكاييل والاسلحة وقاتل
بني قابيل واشتقاقه من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون معناه في تلك اللغة قريبا
من ذلك فلقب به لكثرة درسه اذ روي انه عليه السلام انزل عليه ثلثون صحيفة انه كان صديقا
نبيا ورفعناه مكانا عليا هو شرف الزلفى عند الله تعالى وقيل معناه رفعته الملئكة الى السما الرابعة
او السادسة وعن الحسن الى الجنة اولئك اشارة الى المذكورين في السورة من زكريا الى ادريس
الذين انعم الله عليهم بانواع النعم الدينية والدنيوية من النبيين من التبعيض لان المذكو
ليسوا مطلق المنعم عليهم بل الذين وقعوا خبرا عن اولئك وهم بعض الانبيا من ذرية ادم
بدل منه باعادة الجار وممن حملنا مع نوح اي ومن ذرية من حملنا مع نوح خصوصا وهم
من عدا ادريس عليه السلام فان ابراهيم كان من ذرية من حمل مع نوح عليه السلام والا قيل و
ذريته نوح ومن ذرية ابرهيم الباقون واسرائيل اي ومن ذرية اسرائيل وكان منهم
موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى على ان اولاد البنات من الذرية وممن هدينا ومن

جملة من هديناه الى الحق واجتبينا من الانام للنبوة والكرامة اذا تتلى عليهم ايات
الرحمن اي اذا تليت عليهم كتب الله المنزلة وهو كلام مستانف ان جعلت الذين خبرا لاولئك
لبيان خشيتهم من الله تعالى واخباتهم له مع ما لهم من علو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس
والزلفى من الله تعالى وان جعلته صفته له كان خبرا وقرئ بالياء لوجود الفاصل مع ان
التانيث غير حقيقي خروا سجدا سقطوا على وجوههم ساجدين رغبة وبكيا باكين رهبة
جمع باك كسجود وقعود في جمع ساجد وقاعد فخلف من بعدهم خلف فعقبهم وجا بعدهم
عقب سوء يقال خلف صدق بفتح اللام وخلف سوء بالسكون اضاعوا الصلوة بتركها
وقيل بتاخيرها عن وقتها ولا يناسبه الا من تاب وامن لانه صريح في حق الكفار واتبعوا الشهوات
ملاذ النفوس وعن علي رضي الله عنه من بنا المشيد وركوب المنظور ولبس المشهور •
فسوف يلقون غيا شرا كل شر عند العرب فهو غي وكل خير رشاد الا من تاب رجع عن
الكفر وامن وعمل صالحا بعد ايمانه فاولئك يدخلون الجنة وقرئ على البنا للمفعول
من ادخل دخول الجنة غير مشروط بالعمل الصالح وانما ذكر ذلك لقوله ولا يظلمون اي
ولا ينقصون شيا من جزا اعمالهم ولا ينقصونه بل يضاعف لهم ويجوز ان ينتصب شيا على
المصدر وفيه بيان ان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم جنات بدل من الجنة
بدل البعض لاشتمالها عليها او منصوب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف
عدن معرفة لانه علم بمعنى العدن وهو الاقامة او علم لارض الجنة لكونها مكان اقامة ولذلك
صح وصف ما اضيف اليه بقوله التي وعد الرحمن عباده اي عباده التائبين المؤمنين
الذين يعملون الصالحات لما سبق ذكرهم ولانه اضافهم وهو للاختصاص وهؤلاء اهل الاختصاص
انه ضمير الشان او ضمير الرحمن كان وعده اي موعده وهو الجنة ماتيا اي هم
ياتونها لا يسمعون فيها لغوا اللغو الشي الساقط الذي لا يعتد به من الكلام وغيره
ولذلك قيل لما لا يعتد به في الدية من اولاد الابل لغو وللساقط الذي لا يعتد به من الايمان
اليمين اللغو الا سلاما لكن يسمعون سلاما من الملئكة او من بعضهم او لا يسمعون فيها
الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة فهو استثناء منقطع عند الجمهور وقيل متصل
على تنزيل غير المحتمل منزلة المحتمل مبالغة في نفي اللغو يعني مظنة سماع اللغو في حقهم
على تقدير ان السلام لغو وذلك محال والمعلق على المحال محال كقوله •
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتايب •
ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا لما كان اعدل احوال المطاعم وانعدها من الضرر هو الغدا
والعشاء فهم جل جلاله اعتدال احوال اهل الجنة في ماكلهم وضرب لهم البكرة والعشي مثلا والا
فلا بكرة ولا عشية ثمة ويجوز ان يراد معنى كلها دايم اي ذلك لهم غير منقطع وهذا كما يقول الرجل

انا امسي واصبح في فكرك وبنو فلان يغدو والى وتروح اي لا ينقطع تلك الجنة التي نورث
من عبادنا اي نجعلها ميراث اعمالهم يعني ثمرتها وعاقبتها او نبقي الجنة على المتقي
كما نبقي مال الموروث على استعارة الايراث في الابقاء فان الوراثة اقوى سبب للتمليك والاستحقاق
من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد ولا اسقاط وقيل يورثون زيادة في
كرامتهم التي كانت لاهل النار لو امنوا لان الكفر موت حكما من كان تقيا عن الكفر
وما نتنزل الا بامر ربك حكاية قول جبريل عليه السلام حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما تاخر الوحي اياما فقال المشركون لعل ربك نسيك يا جبريل ما منعك ان تزورنا اكثر مما
تزورنا فنزل والتنزل على معنيين يعني النزول على مهل ومعنى النزول على الاطلاق والاولى
اليق هنا يعني ان نزولها في الاحايين وقتا عقيب وقت ليس الا بامر الله وما يتنزل بالياء
والضمير للوحي له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما نحن فيه من الاماكن والاحايين
لا ننتقل من مكان الى مكان او لا ننزل في زمان دون زمان الا باذنه وما كان ربك نسيا اي تاركا
لك فان ما كان ذلك لحكمة وقدم وجه ايثار صيغة المبالغة في تفسير قوله عصيا رب
السموات والارض وما بينهما بيان لامتناع خبر النسيان وهو خبر محذوف او بدل من
ربك فاعبده واصطبر لعبادته خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم مرتب على ما تقدم اي
لما عرفت ربك بانه لا ينبغي له ان ينساك فاثبت لاجل عبادته واصبر على مشاقها ولا تضطرب
بابطا الوحي وهزء الكفرة وانما عدي باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد عليه
من الشدائد والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك فالعبادة ما اصطبر لها الا ما اصطبر عليها
هل تعلم له سميا والاستفهام على سبيل الانكار وذلك كناية عن نفي استحقاق الغير بالعبادة
وهو تقرير للامر اذا صح ان لا احد غيره يستحق العبادة لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال
بعبادته والاصطبار على مشاقها ويقول الانسان يعني ابي بن خلف فانه فت عظما وقال
ابعث بعد ان صرنا كذا فنزل ولا وجه لارادة الجنس باسره اذ لا يحسن اسناد قول او فعل صدر
عن بعض الى الكل الا اذا صدر عنه بمظاهرتهم او رضي منهم كما في قول الفرزدق

نسيف بني عبس وقد ضربوا به	بنا بيد ورقا عن راس خالد

ايذا ما مت لسوف اخرج حيا من الارض وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار من قبل ان ما
بعد الموت هو وقت كون الحيوة منكرة ومنه جاء انكارهم وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به لان ما
بعد لام الابتدا لا يعمل فيما قبله وهذه اللام اذا دخلت على المضارع تعطي معنى الحال وتؤكد مضمون
الجملة فلما جامعت حرف الاستقبال خلصت للتوكيد واضمحل الحال وما في ايذا ما للتوكيد ايضا فكانه
قال احقا انا سنخرج من القبور احياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الانكار والاستبعاد
اولا يذكر الانسان عطف على محذوف تقديره اينكر قدرتنا على الاعادة ولا يذكروا انما الظاهر الفاعل

اشعارا

اشعارا بان المنشا العدم تذكره فان النسيان كاللازم للانسان قيل اول الناس اول الناسي
او على يقول وتوسيط الهمزة مع ان الاصل ان يتقدمها للانكار اي نجمع بين هذين الامرين
القريبين وللاشعار بان المنكر بالذات هو المعطوف وان المعطوف عليه انما نشا منه فانه لو تذكر
او تامل انا خلقناه اراد خلق مادته ولذلك قال من قبل اي خلقنا مادته قبل خلقه
ولم يك شيئا بل كان عدما صرفا لم يقل ذلك فانه اعجب من جمع المواد وايجاد مثل ما كان فيها
من الاعراض وقرئ يذكر من الذكر الذي يراد به التفكر وقرئ يتذكر على الاصل فوربك اقسم
بالله تعالى مضافا الى نبيه عليه السلام تحقيقا للامر وتفخيما لشان الرسول عليه السلام
لنحشرنهم اي المنكرين للبعث لا بد من هذا التخصيص لان لحاق الكلام لا يحتمل التعميم والشياطين
مفعول معه لما روي على وفق قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له
قرين انهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم كل كافر مع شيطانه في سلسلة ثم
لنحضرنهم حول جهنم جثيا جمع الجاثي وهو الذي يبرك على ركبته يعني انهم يساقون جثاة
من الموقف الى شاطي جهنم فقوله جثيا حال من ضمير يحضرون من معنى السوق ثم لننزعن
النزع اخراج الشي مما كان متصلا به او ملابسا له من كل شيعة الشيعة الجماعة المتعاونة
على امر من الامور ايهم اشد على الرحمن عتيا تمييز واصله المصدر جراة او تمردا اي بدا
بالاكبر جرما فالاكبر وايهم مبني على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه
اعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة واذا حذف صدر صلته زال نقصه فعاد الى حقه منصوب
المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا واشد خبر مبتدا محذوف ومرفوع عند غيره اما بالابتدا على
انه استفهامي وخبره اشد والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعن من كل شيعة الذين يقال فيهم
ايهم اشد وتعلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم او مستانفة والفعل واقع على كل
من شيعة واما بشيعة لانها بمعنى تشيع وعلى للبيان او تعلق بافعل وكذا الباء في قوله ثم لنحن
اعلم بالذين كني بالعلم عن ايقاع المعلوم اي نحن نبدا بتعذيب الاحق فالاحق وفيمن هذه كما
الدالة على انه تعالى في ذلك النزع لا يضع شيئا في غير موضعه هم اولى بها هم احق بالنار
صليا تمييزا اي دخولا والباء تتعلق باولى اي الذي اولى بالقتلة او صليهم اولى بالنار ويجوز ان
يراد بهم وباشدهم عتيا رؤسا الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم وان منكم وما
منكم تلوين للكلام عن الغيبة الى الخطاب للانتقال من احوال الخاصة الى احوال العامة الا واردها
اي وان منكم احد الا داخلها الورود في اللغة الوصول لا ان المراد هنا الدخول بطريق الكناية كما
في قوله تعالى فاوردهم النار وقوله لو كان هؤلاء الهة ما وردوها لقوله عليه السلام الورود
الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المومنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم وتقول
النار للمومن جز يا مومن فان نورك اطفا لهبي وهو الظاهر من قوله ثم حيث قال ونذر ولم يقل ندخل

ولا ينافيه قوله تعالى ان الذين سبقت الاية لان معناه انهم مبعدون عن النار من عذابها
وهم كذلك فانهم يمرون والنار خامدة على ما ورد في الخبر ولذلك لا يسمعون حسيسها وفايدة
ادخالهم النار تشديد الحسرة على الكفار كان ورودهم على ربك حتما مقضيا الحتم
القطع بالامر وذلك حكم من الله قاطع والمقضي الذي قضي بانه يكون ولما كان المتبادر الى
الوهم من قوله كان على ربك حتما الوجوب على الله زيد قوله مقضيا دفعا لذلك الوهم بما فيه
من الدلالة على ان ما ذكر اثر قضايه تعالى فيكون الكلام المذكور مستعارا للمعنى اللازم الناشي
عن القضا المبرم فلا وجوب ولا ايجاب لا من ذاته تعالى ولا من غيره ثم ننجي الذين اتقوا
الكفر فيساقون الى الجنة ونذر الظالمين وندع الكافرين فيها جثيا جاثين على الركب
للتخاصم كما قال تعالى ان ذلك لحق تخاصم اهل النار وقال اذ يتحاجون في النار فلا دلالة فيه على
ان المراد بالجثو الورود الجثو حواليها واذا تتلى عليهم اياتنا بينات مرتلات الالفاظ مبينات
المعاني في نفسها او ببيانات الرسول او واضحات الاعجاز قال الذين كفروا للذين امنوا لاجلهم
او معهم اي الفريقين نحن وانتم خير مقاما بالفتح مقام القيام والمراد المكان والمسكن
وبالضم وهو موضع الاقامة والمنزل واحسن نديا مجلسا يجتمع القوم فيه للمشاورة ومعنى
الاية ان الله تعالى يقول اذا انزلنا اية فيها دلايل وبراهين اعرضوا عن التدبر فيها الى الافتخار
والثروة والمال وحسن المنزل والحال غافلين عن وخامة المآل وقال الله تعالى منبها على ذلك
وكم اهلكنا قبلهم من قرن كم مفعول اهلكنا ومن تبيين لابهامها اي كثيرا من القرون اهلكنا
وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم هم احسن في موضع الصفة لقرن وجمع اعتبارا بمعناه وقيل
في محل النصب صفة لكم الا ترى انك لو تركت هم كان احسن نصبا على الوصفية ويرد عليه انهم نصوا
على ان كم الخبرية والاستفهامية لا توصف ولا يوصف بها اثاثا تمييز للنسبة وهو متاع البيت
وقيل هو ما جد من الفرش والخرثي ما رث ورئيا منظرا وفعل بمعنى مفعول من رايت كالطحن
وقرئ وريا بغير همزة مشددا على قلب الهمزة وادغامها او على انه من الري الذي هو النعمة وقرئ
ريا على القلب بحذف الهمزة وزيا من الزي قال المطرزي والزي الهيئة فعل من زوى اذا جمع لانه
لا يقال لفلان زي حسن الا اذا استجمع ما يستحسن من لبسة حسنة وهيئة مستحسنة لما كان كلامهم
اي الفريقين خير مقاما كلام المفحم المغلوب الذي لا يجد ما يصلح للجواب فينتقل الى امر اخر يدعي
به الفضل والغلبة نقضهم ورد كلامهم تهديدا بقوله وكم اهلكنا ثم بين ان تمتعهم في الدنيا استدراج
لا يدل على الفضل فيهم والرفعة وانما الفضل هو السعادة في الاخرة بقوله تعالى قل من كان
في الضلالة وهو سجل على القايلين ذلك القول بالضلالة وتتميم وبيان ان تمادي غايتهم الى
ذلك القول هو غاية التعمق في الضلالة والحيرة والاستغراق فيها فليمدد له الرحمن مدا
جواب من لانها شرطية وهذا الامر بمعنى الخبر اي من كفر يمد له الرحمن يعني يمهله ويملي له في العمر

ليزداد طغيانا وضلالا لقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما وانما اخرج على لفظ الامر ايذانا بان
امهاله مما ينبغي ان يفعل كالمامور به استدراجا وقطعا للمعاذير حتى اذا راوا ما يوعدون
هي متصلة بقوله خير مقاما وما بينهما اعتراض اي لا يزالون يقولون هذا القول الى ان يشاهدوا
الموعود راي عين اما العذاب في الدنيا وهو تعذيب المسلمين اياهم بالقتل والاسر واما الساعة
اي القيمة والمراد ما ينالهم من الخزي والنكال فيها وتمامًا بدلا من ما يوعدون فسيعلمون من هو
شر مكانا اي من الفريقين واضعف جندا اعوانا وانصارا اي فحينئذ يعلمون قطعا
ان الامر على عكس ما قدروه وانهم شر منزلا واضعف جندا لا خير مقاما واحسن نديا وان المؤمنين
على خلاف صفتهم وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى وجاز ان يتصل بما يليها والمعنى
ان الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم لا ينفكون عنها الا ان يعاينون نصرة الله المؤمنين
او يشاهدوا اهوال الساعة ويزيد الله الذين اهتدوا هدى عطف على فليمدد لانه في معنى
الخبر كانه قيل من كان في الضلالة يزيده الله في ضلالته ويزيد المهتدين اي المؤمنين ثباتا على
الاهتداء او على الشرطية المحكية بعد القول كانه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحيوة الدنيا
ليس لفضله اراد ان يبين ان قصور حظ المؤمن فيها ليس لنقصه بل لانه تعالى اراد به ما هو
خير وعوضه والباقيات الصالحات اي الطاعات التي تبقى عايدتها ابد الاباد وكل
القيد في جوف الفرا خير عند ربك ثوابا عايدة من النعم الفانية التي يفتخرون بها كيف
وما لهم النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة والعذاب الدايم كما اشار اليه بقوله وخير مردا
مرجعا وعاقبة وفي التفضيل تهكم بالكفار لانهم قالوا للمؤمنين اي الفريقين خير مقاما
واحسن نديا افرايت الذي كفر باياتنا لما كانت روية الاشياء طريقا الى العلم بها وصحة الخبر
عنها استعملوا ارايت في معنى اخبر والفاء للتعقيب والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث
اولئك وقال لاوتين جواب قسم مضمر مالا وولدا وقرئ ولدا وهو جمع ولد كاسد
في اسد او بمعنى الولد كالعرب في العرب اطلع الغيب من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى
اعلاه الهمزة للاستفهام وهمزة الوصل محذوفة وقرئ اي انظر في اللوح المحفوظ فراى فيه منيته
ام اتخذ عند الرحمن عهدا موثقا ان يؤتيه ذلك روي ان خباب بن الارت صاغ للعاص بن
الوايل حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان في الجنة ذهبا وفضة فانا
افضيك ثمة فاني اوتى مالا وولدا حينئذ وفيه ان قوله وولدا لا يناسب المقام وسياق الكلام
كلا ردع وتنبيه على الخطا اي هو مخطئ فيما تصور لنفسه فليرتدع عنه سنكتب ما يقول
سنظهر له انا كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين اني لم تلدني لئيمة
اي لان نفس الكتبة لا تتاخر لقوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقيل هذا
على طريقة قول المتوعد للجاني سوف انتقم منك يعني انه لا يخل بالانتصار وان تطاول به الزمان

هدوا

مين

ن

الا ان حرف التنفيس جرد هنا للوعيد ونمد له من العذاب مدا زيدت من العذاب كما يزيد
في الافترا والاجترا من المدد يقال مده وامده يعني مددا بالمصدر لفرط غضبه تعالى ونرثه
بموته ما يقول يعني المال والولد اشتمال من الها في نرثه ويأتينا يوم القيمة فردا
لا يصحبه مال ولا ولد لكان له في الدنيا فضلا ان يؤتي له زائدا واتخذوا من دون الله
الهة ليكونوا لهم عزا ليتعززوا لهم بان يكونوا لهم شفعا عند الله ووحد عزا لانه بمعنى
المصدر كلا ليس الامر كما ظنوا سيكفرون بعبادتهم الضمير للالهة اي سيجحدون
عبادتهم ويقولون والله ما عبدتمونا لقوله تعالى اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا او
للمشركين اي ينكرون ان يكونوا قد عبدوها كقوله والله ربنا ما كنا مشركين ويكونون
عليهم ضدا خصما لان الله تعالى ينطقهم فيقولون يا رب عذب هؤلاء الذين عبدونا من دونك
والضد يقع على الواحد والجمع في مقابلة لهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل والهوان يكونون
عليهم ولا لما قصدوه من العز على معنى انها تكون معونة في عذابهم بان توقد بها نيرانهم او
جعل الواو للكفرة اي ويكونون كافرين لهم بعد ان كانوا يعبدونها وتوحيده لوحدة المعنى
الذي به مضادتهم فانهم بذلك كالشيء الواحد ونظيره قوله عليه السلام وهم يد واحدة
على من سواهم وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نونا في الوقف او على معنى كل هذا الراي
كلا وكلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم الم تر انا
ارسلنا الشياطين على الكافرين الارسال التخلية وتعديته بعلى لتضمين معنى التسليط
اي خلينا لهم مسلطين عليهم بالاغواء ولذلك قال لابليس واستفزز من استطعت منهم
بصوتك تؤزهم ازا اغراء بازعاج واصل الاز الحركة مع صوت متصل من ازيز القدر و
غليانها والمعنى تهيجهم الشياطين وتسوقهم الى المعاصي بتهيج ومساق الكلام ظاهر في الا
استدراجا ولذلك اتى باداة التفريع في قوله فلا تعجل اي تطلب العذاب قبل حينه ولذلك
عليهم ولما كان قوله انما نعد لهم انفاسهم ليستوفوا اجالهم في مقام التعليل كما ذكرنا كان
المناسب ان يكون انما نمهلهم لا نهملهم وما قيل اي لا تعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام محصورة
وانفاس معدودة بعيد عن سياق الكلام وسباق المقام عدا فلا يزدادون عليها ولا ينقصون
عنها يوم نحشر المتقين الحشر الجمع من جهات متعددة ونصب يوم بلا يملكون او بمضمر
اي يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يوصف الى الرحمن لاختيار هذا الاسم في
هذه السورة شان ولعله لان مساق الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها
والكافرين بها وفدا الوفد جمع وافد كركب وراكب حال من المتقين ونسوق المجرمين
الكافرين سوق الانعام لانهم كانوا اضل منها الى جهنم وردا عطاشا لان من يرد الماء لا
يرده الا لعطش وحقيقة الورد المسير الى الماء فسمي به الواردون ذكر المتقون بانهم يجمعون الى

الذي

الذي غمرهم برحمته كما يفد الوفود على الملوك تبجيلا لهم والكافرون بانهم يساقون الى النار
كانهم نعم عطاش يساقون الى الماء استخفافا بهم لا يملكون الشفاعة الضمير فيه للعباد
المدلول عليهم بذكر المجرمين والمتقين لانحصارهم فيها الا من اتخذ عند الرحمن عهدا اذنا
فيها لقوله لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن من قولهم اذن الامير لفلان بكذا اذا امره بفعله
ومحله الرفع على البدل من ضمير يملكون او النصب على تقدير المضاف اي الا شفاعة من اتخذ او على
على الاستثنا وقيل الضمير للمجرمين اي لا يملكون ان يشفع لهم الا من اتخذ عند الله عهدا بالاسلام
ليستعد به ان يشفع له وقالوا اتخذ الرحمن ولدا اي النصارى واليهود ومن زعم ان الملئكة
بنات الله ولا وجه لاسناد هذا القول الى الكل مع الانكار عن بعضهم ووقوع المشاجرة فيه فيما
بينهم لكونه مقولا فيما بينهم على ان في هذا الاسناد نوع شين المسلمين وهم برآء عنه لقد جئتم
شيا ادا على الالتفات للمبالغة في الذم والتسجيل عليهم بالجراة على الله تعالى والتعرض لسخطه
والتنبيه على عظم ما قالوا والاد بالفتح والكسر العجب وقيل العظيم المنكر من الادة وهي الشدة
تكاد السموات تقرب يتفطرن وبالنون الانفطار من فطر اذا شقه والتفطر من فطره اذا
شققه مرة بعد اخرى فهذا ابلغ منه من عظم هذا القول وتنشق الارض وتخر الجبال تسقط
هدا اي مهدودة او تهد هدا او مفعول لها لانها تهد والهد الهدم بشدة صوت وهو تقرير
لكونه ادا اي بلغت هذه الكلمة من فظاعتها وعظمها وهدمها لاركان الدين وقواعده مبلغا
لو تصور تاثيرها بصورة محسوسة لم تحتمل مثله هذه الاجرام العظيمة التي هي قوام العالم و
وتفتتت من شدتها او كادت هذه الاجرام تضمحل وتخرب العالم لشدة غضب الله تعالى على من
تفوه بها فهو له وهدما لاركان العالم عليه استعظاما لها وتهويلا من فظاعتها ان دعوا
للرحمن ولدا اما منصوب بتقدير حذف اللام وافضا الفعل اليه لتعليل الكيدودة او الهد
الى هذا لان دعوا علل الخرور بالهد والهد بدعا الولد للرحمن او مجرور بدل من الضمير في منه
اي من ان دعوا او على اضمار لام التعليل او مرفوع على انه فاعل هدا اي هدها دعا الولد او
خبر مبتدا محذوف اي سبب ذلك ان دعوا وهو من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين او
من دعا بمعنى نسب الذي مضارعه ادعى بمعنى انتسب وما ينبغي ما يتاتى للرحمن ان
يتخذ ولدا قيل لا يليق به اتخاذ الولد ولا يطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل ويرد عليه
ان المحال فبالتعليل المذكور لا يتم التقريب وفائدة تخصيص الرحمن بالذكر وتكريره مرة بعد اخرى
انه اسم مختص بالواجب بالذات باعتبار افاضة الوجود واصول النعم على الكل كما قيل فلينكشف
عن بصرك غطاؤه فانت وجميع ما في عندك عطاؤه فكل ما عداه نعمة او منعم عليه فلا يجانس من هو
مبدي النعم والولد يجب ان يجانس الوالد فلا يكون له ولد فمن نسب اليه الولد فقد شبهه بخلقه واخرجه
عن استحقاق اسم الرحمن وهذا اقتصر على المفعول الثاني على تفسير دعوا بسموا للدلالة على العموم

والاحاطة بكل ما جعل ولذا الاستحالة مناسبة بشي ما خلقه له ان كل من من نكرة موصوفة
صفتها في السموات والارض الا وخبر كل اتي الرحمن ووحد اتي واتيه حملا على لفظ كل وهو اسم
فاعل من اتي وهو مستقبل اي ياتيه ويلتجي اليه عبدا حال اي خاضعا ذليلا منقادا والمعني
ما كل من في العالم من الثقلين والملك الا وهو ياتي الله تعالى يوم القيمة مقرا بالعبودية وهي
والنبوة متنافيان حتى لو ملك الاب ابنه يعتق عليه وهذا التصريح لما علم مما تقدم التزاما لقد
احصاهم الاحصا الحصر والضبط اي احاط بهم علمه وعدهم عدا اي علم تفاصيلهم واعدادهم
فكانه عدهم باشخاصهم فرادي والله منزه عن الحاجة الى العد وكلهم اتيه يوم القيمة فردا منفردا
سوا العابد والمعبود ليس مع المعبود ممن يعبده احد يخدمه وينفعه ولا مع العابد احد يشفع له
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا سيحدث لهم في قلوب الناس مودة
من غير ان يتعرضوا للاسباب التي تكتسب بها مودة بل اصطناعا من الله تعالى لعباده الخاصة
قال قتادة ما اقبل العبد على الله تعالى الا اقبل الله بقلوب العباد اليه وللفظ الرحمن ههنا
خصوصية تظهر بالتامل في قوله صلى الله عليه وسلم ان قلوب بني ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن
يقلبها كيف يشا والسين اما لان السورة مكية وكانوا ممنوعين ح بين الكفرة فوعدهم الله ذلك
اذا دجا الاسلام او لان الموعودة في القيمة حين يعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع ما في
صدورهم من الغل فانما يسرناه سهلناه منزلا بلسانك اي بلغتك وهو اللسان العربي
المبين والفا للسببية لان ما قبلها دلت على ان منفعة الكفرة اياهم لا يضرهم وسيحدث بدله الحب
فقال له لا تخف وبلغ ما انزل اليك مبشرا ونذيرا لتبشر به المتقين الصائرين الى التقوى
وتنذر به قوما لدا اللد جمع الالد وهو شديد الخصومة في الباطل الاخذ في كل لديد اي
شق وجانب لفرط اللجاج والمرا وكم اهلكنا قبلهم من قرن تخويف لهم وانذار وتجسير للرسول
عليه السلام على انذارهم هل تحس منهم من احد من حسه اذا شعر به ومنه الحس والمحسوس
اي هل تراهم احدا او تسمع لهم ركزا الركز الصوت الخفي واصل التركيب الخفا ومنه ركز
الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون اي قد ذهبوا وبادوا فلا عين لهم ولا
اثر فكذا هولا اذا اعرضوا عن تدبر ما انزل اليك فعاقبتهم الهلاك فليهن عليك امرهم ○

سورة طه مكية

بسم الله الرحمن الرحيم طه روي عن مجاهد والحسن
والضحاك وعطا وغيرهم ان معناه يا رجل فان صح فطا والا فالحق ما هو المذكور في سورة البقرة
وقيل طه على انه امر للرسول عليه السلام بان يطا الارض بقدميه فانه كان يقوم في تهجده على
احدى رجليه فان اصله طا فقلبت همزته الفا وعلى هذا يحتمل ان يكون اصل طه طا ها والالف
مبدلة عن الهمزة والها كناية عن الارض ويمنع هذا الوجه والتفسير بان هذا كتبها على صورة الحروف
الا ان يقال اكتفي بشطري الكلمتين وعبر عنهما ما انزلنا عليك القران ان جعلت طه

تعديد الاسما بالحروف فهو ابتدا كلام وان جعلتها اسما للسورة او القران احتمل ان تكون خبرا
عنها وهي في موضع المبتدا والقران ظاهر اوقع موقع المضمر تفخيما وان يكون جوابا لها وقسما وان
جعلتها ندا فهو منادي وان جعلتها جملة فعلية او اسمية باضمار مبتدا او طايفة من الحروف محكية
فهو استيناف لتشقي لتتعب بفرط تاسفك على كفر قومك وتحسرك على ان يومنوا وما عليك
ان لا يومنوا اذا لم تفرط في اداء الرسالة او بكثرة تهجدك وطول قيامك اي ما بعثت لتنهك نفسك
وتذيقها المشقة الفادحة فان لها حقا عليك وان بعثت بالحنيفية السمحا السهلة والشقا شايع في
معنى التعب ومنه اشقي من رايض المهر وسيد القوم اشقاهم وفيه اشعار بان القران انما انزل عليك
لتسعد وهو الوسيلة الى نيل كل فوز وسعادة فلا تجعله موجب الشقاوة وقيل رد وتكذيب للكفرة
فانهم لما راوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقي بترك ديننا وان القران انزل عليك لتشقي به
الا تذكرة نصب على الاستثنا المنقطع اي لكن ليكون تذكرة او على الحال اي الا مذكرا
او على المفعول له اي الا لتتذكر وانما جي باللام في لتشقي لانه ليس لفاعل الفعل المعلل فانتفي
شرط انتصابه وانتصب هذه لوجود الشرط لا على البدل من محل لتشقي لاختلاف الجنسين الا ان
يجعل التذكير نوعا من الشقا اي ما انزلناه لتفرط في الرياضة والتهجد او تتعب بالتاسف والتحسر
على ايمانهم انما انزلناه لتحمل مشاق التبليغ ومتاعب التذكير ومقاولة العتاة الجاحدين ومقاتلة
اعدا الدين وساير تكاليف النبوة لمن يخشي لمن يتصف بالخشية ويلين قلبه ويرق ويعلم
الله انه ينتفع تنزيلا بدل من تذكرة اذا جعلت حالا لا مفعولا له لفظا او معني اذ الشي لا يعلل
بنفسه ولا بنوعه ونصب على المصدر باضمار نزل او بانزلنا لان معنى ما انزلناه الا تذكرة انزلنا
تذكرة او على المدح والاختصاص او على انه مفعول به ليخشي اي تذكرة لمن يخشي تنزيلا من الله
وقري بالرفع اي هو تنزيل ممن خلق الارض والسموات العلي صلة لتنزيلا او صفة له اي
تنزيلا كاينا من الله تعالى والعلى جمع العليا تانيث الاعلى فخم شان المنزل اولا باسناد الانزال
الى الواحد المتعالي ثم بتنكير تنزيلا للتعظيم والابهام والتوضيح حيث لم يوصف ثم بالالتفات
من التكلم الى الغيبة لايقاظ السامع والتنبيه على عظم شانه بتفنن الكلام ثم باجرا الصفات
العظام العجيبة على منزله وايراد الموصول ذريعة الى ذلك ثم بوصف السموات بالعلى الدالة على
علو قدر خالقها ثم باجرا صفات العظمة والتمجيد فاكد الفخامة بوجوه كثيرة وطرق مختلفة ورتب
صفاته ترتيبا انيقا فبدا اولا بايجاده لاصول العالم وقدم الارض لانها اقرب الى الحس واظهر
نفعا واحتياجا اليها ثم اشار الى وجه احداث الكاينات وتدبير امرها بذكر استوائه على العرش
واجرا الاحكام وانزال الاسباب منه على الترتيب الذي اقتضته حكمته وتعلقت به مشيته تعالى
الرحمن رفع على المدح اي هو الرحمن او بدل من فاعل خلق على العرش استوى خبر مبتدا محذوف
على الاول يجوز ان يكون خبرا بعد خبر استوى كناية عن الملك لان العرش سرير الملك ○

ومكان التمكن من ملك فاجريت هذه العبارة مجرى ملك واستعملت في موضعه واشتهر اكالمترادفين
المتساويين في افادة ان المعنى المراد مع قصور العظمة وتخيل الابهة والسلطنة والتمكن في
ملكه وان لم يقعد قط على السرير له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى
ما تحت السبع الارضين فان الثرى الطبقة الترابية من الارض واخر طبقاتها وهذه الجملة تجري
مجرى البيان من الاولى لان مودى الاولى كونه ملكا مطاعا قادرا او قوله له ما في السموات
تفصيل لذلك وتقرير له ولما كان ذكر ما دل على ملكه وكمال قدرته واراد ان تعقبه بما دل على كمال
علمه واحاطته بخفايا الامور وجلاياها على السوا ليلايم تلك الصفات فيه واثبتا للجميع على العلم
فقال وان تجهر بالقول ترفع صوتك به سوا كان ذكرا او دعاء او غيرهما وحذف جواب
الشرط اي فاعلم انه تعالى غني عن جهرك واقيم تعليله مقامه وهو فانه يعلم السر واخفى
اي ما اسررته الى غيرك وما هو اخفى منه اي ما اخطرته ببالك واضمرته في نفسك او السر ما
اضمرته في نفسك وما هو اخفى منه ما لم يخطر ببالك من الغيب المستاتر هذا ما قالوا وعندي
ان علم السر واخفى كناية عن استغنائه عن الجهر بالقول ولا حذف ولا اقامة فهو تعليم
للعباد ان الجهر لهضم النفس بالتضرع والجوار واستبعادها عن مظان القرب باستعمالها
لا لاعلام الله بذلك واسماعه ونهي وتنزيه عما يوذن بالبرايا ثم لما عدد الصفات الكمالية
ووصفه بما لا يمكن ان يوصف به غيره من صفات الالوهية والربوبية افصح عن التوحيد
وصرح بانه المنفرد بها المتوحد بمقتضياتها فقال الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى
اي هو واحد بذاته وان افترقت عبارات صفاته ردا لقولهم انك الهة حين سمعوا اسماءه
تعالى والحسنى تانيث الاحسن وفضلها على سائر الاسما في الحسن لدلالتها على معان هي
اشرف المعاني وافضلها وهل اتاك استفهام من تقرير يحث على الاصغا لما يلقى اليه
حديث موسى فهي خطابه بقصة موسى عليه السلام ليقتدي به في تحمل اعبا النبوة والصبر
على مقاساة الشدائد في تبليغ الرسالة فان هذه السورة من اول ما نزل وهذه القصة
مرجحة لكون التذكرة نصبا على الاستثنا المتصل اذ راى نارا اذ ظرف للحديث ولا ذكر
او لمضمر دل عليه فقال اي حين راى نارا كان كيت وكيت لاهله امكثوا البثوا
مكانكم اني انست نارا ابصرت ابصارا بينا لا شبهة فيه ومنه الانس لظهورهم وقيل
هو وجدان ما يونس به ولما كان الايناس محققا اتى بكلمة ان حققه لم يوطنوا انفسهم عليه
بخلاف الاتيان بقبس ووجدان الهدى على النار فان كلا منهما مترقب متوقع فبني الامر
فيهما على الرجا والطمع وجا بلعل ولم يقطع ليلا يعد ما لا يستيقن الوفا به لعلي اتيكم
منها بقبس القبس النار المقتبسة في راس عود او فتيلة ونحوهما وقيل جمرة ويرده قوله
في موضع اخر بشهاب قبس او اجد على النار معنى الاستعلا على النار ان اهلها مشرفون

عليها عند الاصطلا بها قياما وقعودا او مستعلون المكان القريب منها هدى اي
هديا ما لانه اذا وجد الهادي فقد وجد الهدى اي الطريق وانما جا بها ولانه بنى الرجا على
انه ان لم يظفر بحاجته جميعا لم يعدم واحدا منها فلما اتاها اي النار وجد نارا بيضا
تتقد في شجرة خضرا نودي يا موسى هو تكليم الله تعالى اياه وقد نودي بني المحذوف وحذف
الفاعل للتعظيم اني انا ربك قرئ بالفتح اي نودي باني ومن كسره اجرى الندا مجرى
القول لانه ضرب منه وتكرير الضمير لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة
قيل لما نودي يا موسى قال من المتكلم وقال الله انا ربك فوسوس اليه الشيطان لعلك
تسمع كلام الشيطان فقال انا عرفت انه كلام الله تعالى باني اسمعه من جميع الجهات واسمعه
بجميع اعضائي قوله اسمعه من جميع الجهات يرده قوله وناديناه من جانب الطور الايمن فانه
صريح في سماعه الندا من جهة واحدة لا من جهة واحدة جميع الجهات فاخلع الخلع نزع
الملبوس يقال خلع ثوبه عن بدنه وخلع نعله عن رجله وقد ينزع المسمار عن موضعه ولا
يكون خلعا لانه غير ملبوس امر نعليك امر بخلعهما تعظيما لحضرة القدس فان من الخضوع تواضعا
لله تعالى وتادبا ولهذا كان السلف يطوفون بالبيت حافين والتعليل بقوله انك بالواد
المقدس دال على ان ذلك احترام للبقعة وتعظيم لقدسها وتفريع الامر بخلع النعلين على
الندا لكنه لا يخلو عن الاشعار في بركة تلك البقعة مدخل لورود ذلك الندا العظيم الشان
فيها وقيل لنجاستهما فانهما كانا من جلد حمار ميت غير مدبوغ وقيل لينال بركة الواد المقدس
وتمس قدماه تربته والوادي سفح الجبل ويقال للمجرى المعظم من مجاري الما واد والمقدس المطهر
طوى علم للوادي فيكون بدلا او عطف بيان وقرئ منونا لوحظ فيه معنى المكان وغير منون
لوحظ فيه معنى البقعة وقيل هو من الطي نحو ثني ومبني بمعنى مرتين اي قدس مرة بعد مرة اي نودي
ندائين وانا اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرئ انا ان واسمها واخترناك جملة في موضع
الخبر فاستمع لما يوحى اللام متعلقة باستمع او باخترتك وما موصولة اي للذي يوحى
اليك او مصدرية اي للوحي وقوله انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني بدل مما يوحى
عظم امر التوحيد وفخم شانه بالابهام في قوله لما يوحى والتوضيح بقوله انني انا الله بابدال
الدال على ان الوحي مقصور على تعميم التوحيد الذي هو نهاية العلم المستلزم لتخصيص العبادة
بالله الذي هو كمال العمل وبالتاكيد بان وتوسط الضمير وتكرير معناه بالتهليل والاتيان بفاء
السببية واقم الصلوة عطف الامر باقامة الصلوة على الامر بالعبادة وتخصيصها بالذكر من
بين سائر العبادات تنبيه على فضلها وشرفها وانافتها على الجميع كعطف جبريل على ميكائيل الملائكة
ولذلك علل افرادها بالذكر لذكري فانها توجب شغل القلب واللسان بذكر الله تعالى
فمعنى لذكري لتذكرني وقيل لان ذكرتها في الكتب وامرت بها او لا ذكرك بالمدح والثنا

واجعل لك لسان صدق او لذكري خاصة غير مشوب بذكر غيري او رياء او عوض او غرض
اخر وهو الاخلاص او لتكون لي ذاكرا غير ناس او لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة
او لذكر صلوتي لما روي انه عليه السلام قال من نام عن صلوة او نسيها فليقضها اذا ذكرها
فان الله تعالى يقول اقم الصلوة لذكري على حذف مضاف او على ان ذكر الصلوة ذكر الله تعالى
في الحقيقة ان الساعة آتية يعني ان القيمة كائنة لا محالة اكاد اخفيها قربه تعالى
من اخفائها مجاز عما اقتضته الحكمة من الاخبار بوقوعها للانذار وقطع الاعذار مع كتمان
وقتها ليكونوا على وجل في كل وقت فان اظهارها فيه نوع من الاخفاء ويجوز ان يكون من اخفاء
اذا ازال خفاءه اي اكاد اظهرها وقربه تعالى من اظهارها مجاز عن اظهار بعض شرائطها
كبعثة خاتم الانبياء عليه السلام وانشقاق القمر ويؤيده قراءة ابي الدرداء رضي الله عنه
اخفيها بالفتح من خفاه اذا اظهره قيل انه من الاضداد والحق انه ما روي عن ابي علي انه من باب
السلب لتجزى متعلقة بآتية وما بينهما اعتراض او باخفيها على المعنى الاخير كل نفس
يعني من النفوس الساعية بقرينة قوله بما تسعى السعي كناية عن الكسب فلا يصدنك
الصد الصرف عن الخير خاصة عنها عن التصديق بالساعة او عن الصلوة من لا
يؤمن بها والمراد من نهي الكافر عن صد موسى عليه السلام نهيه عن الانصداد عنها بصده
وهذا كقولك لا اريك هنا في النهي عن السبب للنهي عن المسبب مبالغة وفيه تنبيه على
انه عليه السلام لو خلي وفطرته السليمة لكان مصدقا بها غير معرض عنها او بعثه عليه
السلام على الصلابة في الدين وشدة الشكيمة فيه وتهييجه عليها فان صد الكافر اياه
مسبب عن ضعف عقيدته ولين شكيمته فهي عن المسبب للنهي عن السبب اي ينبغي لك ان
تكون صلبا في الدين راسخا في الاعتقاد دونه بقوله واتبع هواه على ان سلوك طريق
العقل واتباع الحجة يوجب التصديق بالبعث والساعة فانكارها والتكذيب بها انما
يكون لغلبة الهوى واتباعه والهوى ميل النفس الى شيء باريحية تلحق فيه وهوا الحق
ممدود وهوى النفس مقصور فتردى جواب النهي وان مقدرة بعد فاء الجواب وتردى
علامة النصب فيه فتحة مقدرة في الالف معناه فتهلك وما تلك استفهام ضمن
معنى الاستيقاظ لما يريه فيه من الآيات العجيبة الدالة على القدرة الباهرة قيل الحكمة في هذا
السؤال تبسطه فقد كانت الهيبة قبضته ولو ترك على ما كان عليه لعله كان لا يبقى بل تلا
ولما باسط الحق بسماع كلامه اخذته اريحية السماع فاجاب عما سئل وسلك مسلك الاطناب
بيمينك حال من تلك والعامل فيها معنى الاشارة كما في قوله هذا بعلي شيخا وجاز ان
يكون تلك اسما موصولا صلته بيمينك قيل انما لم يقل بيدك لانه كان في يساره خاتم فلو اجمل
نعني في الجواب للاشتباه يا موسى تكرير لزيادة التنبيه والاستيناس قال هي عصاي

شي

قري

وقرئ عصي على لغة هذيل اتوكأ عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على رأس
القطيع والتوكؤ على الشيء التحامل عليه في المشي والعكوف ومنه الاتكاء واتكأت بمعنى
واحد واهش بها اخبط الورق وقرئ اهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا كان
ينكسر لهشاشته على غنمي لياكله وعن عكرمة اهس بالسين من الهس وهو زجر الغنم
اي انحي عليها زاجرا لها قدم في الجواب مصلحة نفسه ثم ثنى بمصلحة ماشيته ولي فيها
مارب اخرى المارب الحاجات عاملها وان كانت جمعا معاملة الواحدة المؤنثة في قوله
اخرى ولم يقل اخر رعيا للفواصل وهو جائز في غيرها فكان فيها اوجز واحسن وقيل
فهم موسى عليه السلام من سؤال رب العزة انه سيحدث في العصا امرا عظيما فذكر ماهيتها
وفصل بعض منافعها وخواصها فلما استطال الكلام استشعر سوء الادب فاجمل وقيل
انما اجمل ليسأله عن تلك المارب فتكون زيادة في اكرامه والغرض من ذكر ماهيتها
ومنافعها انها ليست الا عصا تنفع منافعها كسائر العيدان ليكون جوابه مطابقا لما
فهمه من كلام رب العزة حتى اذا وجدها على خلاف حقيقتها وخواصها مما ذكر من الامور
الخارقة للعادة ظهر انها معجزات باهرة وآيات ظاهرة خصه الله تعالى بها واكرمه
قال القها يا موسى انما امره بالقائها لانه اضافها الى نفسه بقوله عصاي فاراد
ان يقطعها عنه فالقاها طرحها على الارض وقدم في سورة الاعراف بيان اصل
الالقاء فاذا هي اي صارت في الحال حية تسعى الحية اسم الجنس يقع على الكبير
والصغير والذكر والانثى والسعي المشي بسرعة وخفة حركة قيل لما القاها انقلبت
حية صفرا بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها جانا تارة نظرا الى المبدا
وثعبانا مرة باعتبار المنتهى وحية اخرى بالاسم الذي يعم الحالين وكان هذا القائل غا
عن عبارة كان في قوله تعالى كانها جان لانها صريحة في التشبيه وعدم كونها جانا
حقيقة وتربية الخارق بعد اخراجه من سلطانه وتدبيره ليعلم انه بمحض صنع الله لا دخل
فيه لفعل العبد قال خذها تناولها بيدك ولا تخف الخوف انزعاج النفس
بتوقع الضرر لما راى موسى عليه السلام ذلك الامر العجيب الهائل ملكه من الفزع والنفار
ما يملك البشر عند الاهوال والمخاوف فهرب منها كما اخبر بقوله ولى مدبرا ولم يعقب
فامره الله تعالى بالاقبال على اخذها ونهاه عن ان يخاف منها ولما قال ربه لا تخف بلغ
من الامن وطمانينة النفس ان ادخل يده في فمها واخذ بلحيتها كانه ضمن صيغة التكليف
صيغة التكوين وقد حققنا في تفسير سورة البقرة ان النهي كالامر يتنوع الى التكليفي
والتكويني وحكمة انقلابها وقت مناجاته ذعره منها في ذلك الوقت سنعيدها
الاعادة رد الشيء ثانية الى مكانه اول مرة سيرتها الاولى هيئتها وحالتها المتقدمة

فل

والسيرة فعلة من السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع
فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة وقيل سيرتها الاولى فيجوز ان ينتصب على الظرف
اي في طريقتها الاولى حال ما كانت عصا او على نزع الخافض او على المفعول به ان جعل
اعاد منقولا من عاده بمعنى عاد اليه فيتعدى الى مفعولين او بتضمين فعلها اي سنعيدها
سايرة سيرتها الاولى واضمم يدك الى جناحك يعني بعد ادخالهما في جيبك على ما
افصح عنه في موضع اخر يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر لجنبتيه وجناحا الانسان
جنباه استعير من جناحي الطاير وسميا جناحين لانهما يجنحهما عند الطيران اي عليهما والجنب
فيه جنوح الاضلاع قيل والمراد اي جنبك تحت العضد دل على ذلك قوله ● تخرج ويرده
قوله تعالى وادخل يدك في جيبك لانه صريح في ان المراد الدخول في الجيب والخروج منه بيضا
مشرقة مشعشعة قيل كان موسى عليه السلام ادم فاخرج يده بيضا لها شعاع كشعاع
الشمس تغشي البصر من غير سوء متعلق ببيضا كانه قال ابيضت من غير سوء السوء
الرداة والقبح في كل شيء اي من غير ان تستقبح لما كان خروج الشي عن خلقته وشان حوهم
مما يستقبح ويستقذر اخبر انه لم يكن كذلك واما الكناية به عن البرص فيا باها المقام
لانه غير محتمل في مقام الاعجاز والكرامة فلا وجه للاحتراز عنه اية اخرى معجزة ثانية
وقوله بيضا واية حالان معا من ضمير تخرج ويجوز ان يكون الثاني حالا من ضمير الاول
فيكونان من الاحوال المتداخلة او مفعولا نصب بمضمر نحو خذ حذف لدلالة الكلام
عليه لنريك من اياتنا الكبرى متعلق بالمحذوف المذكور او بما دل عليه الاية
او القصة دللنا بها او فعلنا ذلك لنريك والكبرى صفة لاياتنا او مفعول ثان لنريك
ومن اياتنا حال اي لنريك الكبرى من اياتنا اذهب الى فرعون امر بالذهاب
بهاتين الايتين الى فرعون ودعوته انه طغى جاوز حد العبودية الى دعوى الربوبية
تعليل لوجوب الذهاب اليه وتحذير له من بطشه وتنبيه على صعوبة ما ابتلي به ليتلقاه
بجميل الصبر وحسن الثبات ولهذا التجا اليه في طلب التيسير والتاييد وتفسيح الصدر
والتشجيع فقال قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري على الابهام بايراد لي بعد
الفعلين والتوضيح بذكر الصدر والامر للتاكيد والمبالغة في طلب الشرح والتيسير
واحلل عقدة من لساني كان في لسانه رتة لما روي ان فرعون حمله يوما فاخذ بلحيته وكا
نت
مرصعة بالجواهر جاذبا ببعض ما فيها من اليواقيت فغضب فرعون وامر بقتله فقالت اسية
رضي الله عنها انه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة ووضعها
في فيه فاحترق لسانه فصار لكنة منها ولعل ذلك امتاز موسى عليه السلام باللحية من بين اهل
الجنة على ما ورد في حديث جابر رضي الله عنه وهو انه عليه السلام قال اهل الجنة مرد الا موسى بن
عمران

فان له لحية الى سرته ولما كانت تلك العقدة عارضة لانها حادثة كان المناسب لحالها التنكير
حيث لم تكن من جنس ما هو المعهود وكان قطع اضافتها الى اللسان المنبئة عن الاتصال
الخلقي ايضا كان لذلك وقيل انما نكرت لانه لم يطلب الفصاحة الكاملة وانما طلب حل بعضها
ارادة ان يفهم عنه فهما جيدا لان تمام التبليغ لا يتيسر الا بذلك ولهذا علل بقوله يفقهوا قولي
فان التبليغ انما يحسن من البليغ ومن لساني صفة للعقدة كانه قيل عقدة من عقد لساني
او صلة لاحلل واختلف في زوال العقدة بكمالها فقيل بقي بعضها لقوله واخي هرون هو
افصح مني لسانا وقيل زالت لقوله قد اوتيت سؤلك وفي كل من الاحتجاجين نظر اما الاول
فلان شهادة قوله هو افصح مني لسانا عليه لا له لان فيه دلالة على ان موسى عليه السلام
كان فصيحا غايته ان فصاحة اخيه كانت اكثر وبقية اللكنة تنافي الفصاحة اللغوية المرادة
ههنا بدلالة قوله لسانا واما في الثاني فلما مر انه لم يطلب حل عقدة لسانه مطلقا بل طلب
حل عقدة تمنع الافهام فلا دلالة فيه حصول مسئوله على زوال العقدة نعم قوله ولا يكاد
يبين يدل على الاول فتامل واجعل لي وزيرا ظهيرا اعتمد عليه من الوزر وهو الثقل
لانه يتحمل من الملك اوزاره ومؤنته او من الوزر وهو الملجا لان الملك يعتصم برايه ويلتجا
اليه اموره او معينا من الموازرة وهي المعاونة فوزيرا مفعول اول لاجعل والثاني ●
من اهلي اولي ووزيرا مفعولاه وقوله هرون بدل من وزير بيان لانه لا يخالف متبوعه
في التعريف والتنكير وقوله اخي عطف بيان لا بدل كما ذكره لان ابدال الشي من اقل منه
فاسد لا يتصور نص عليه الشيخ في دلايل الاعجاز او وزيرا وهرون مفعولاه وقدم ثانيهما
على اولهما عنايته بامر الوزارة اشدد به ازري قو به ظهري والشد جمع يتمسك به المجموع
ومثله الربط والعقد والازر الظهر يقال ازرني فلان على امري اي كان لي ظهرا او شد المئزر
لانه يشد على الظهر وكذا الازار واشركه في امري الاشراك الجمع بين الشيئين او اكثر في
معنى على انه لم يجعل جاعل وقد الله بين موسى وهرون في النبوة وقوي به ازره كما دعا
وقرى على لفظ الخبر جوابا للامر ولمن قراهما على لفظ الامر الدعا ان يقف على هرون ويجعل
اخي مرفوعا على الابتدا والجملة خبرا كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا فان التعاون يهيج
الرغبات ويودي الى تكاثر الخير قدم التسبيح وهو تنزيه الله تعالى عما لا يجوز وصفه به على
الذكر وهو ثناؤه تعالى بما لا يليق به لان التخلية قبل التحلية انك كنت بنا بصيرا عالما
باحوالنا وان التعاون مما يصلحنا وان هرون نعم العون لي فيما امرتني به والشاد لعضدي
بانه اكبر مني سنا وافصح لسانا قال قد اوتيت سؤلك يا موسى السؤل المطلوب فعل
بمعنى مفعول كالخبز والاكل اي اعطيت ما سالته وذلك من المنة عليه ثم ذكره بتقدم
منة عليه ليعظم اجتباه وتقوي بصيرته بقوله ولقد مننا عليك مرة اخرى ء

المنة نعمة تقطع لصاحبها عن غيره باختصاصها به يقال من عليه اذا انعم عليه نعمة يقطعه اياها
واصله القطع ومنه قوله لهم اجر غير ممنون والمرة الكرة الواحدة من المر واخرى تانيث آخر بمعنى
غير اي منة غير هذه المنة اذ اوحينا الى امك قال الجمهور هو وحي الهام وقيل وحي اعلام
اما ببعث ملك اليها لا على النبوة كما بعث الى مريم او باراءة ذلك في المنام او على لسان نبي في
وقتها كقوله واذ اوحيت الى الحواريين ما يوحى ما لا سبيل الى العلم به الا بالوحي او ما
ينبغي ان يوحى لا محالة ولا يخل به لعظم شانه وفرط الاعتنا به ان اقذفيه في التابوت
بان اقذفيه او اي اقذفيه لان الوحي بمعنى القول والقذف هو الرمي البعيد المستلزم لصلابة
المرمي به واستعير هنا لمعنى الالقا فاقذفيه في اليم اليم اسم للبحر العذب والمراد به
هنا النيل فليلقه اليم بالساحل ساحل البحر شاطئه سمي بذلك لان الما يسحله اي
يقشره فهو فاعل بمعنى ذي كذا ولما وجب وقوع ما تعلقت به ارادته تعالى وهو القا البحر
اياه بالساحل ذكر بلفظ الامر تشبيها للبحر بالمامور المميز المطيع الممتثل لما يرد عليه من
امر آمر مطاع على طريق الاستعارة بالكناية واخرج الجواب بقوله ياخذه عدو لي وعدو له
مخرج جواب الامر مجزوما وكرر عدو للمبالغة او لان الاول باعتبار الواقع والثاني باعتبار
المتوقع والاحسن نظما ان ترجع الضماير كلها الى موسى عليه السلام لا لما قيل ان في رجوع
البعض الى التابوت تنافر النظم الذي ينافي الاعجاز لانه كيف ولو كان فيه ما يخل بحسن
النظم لما وقع في قوله تعالى فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ثم ان اوجب
ذلك عدم الحسن بل عدم الصحة لا عدم بل لان المحدث عنه موسى عليه السلام لا التابوت
وانما ذكر التابوت على سبيل الوعا والفضلة فالملقى والماخوذ هو موسى عليه السلام
في التابوت فلا حاجة الى شرط الضماير والظاهر ان البحر القاه بالساحل فالتقطه منه
آل فرعون روي انه فتح التابوت فاذا صبي اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا
كما قال والقيت عليك محبة مني مني صفة لمحبة اي محبة كائنة مني قد زرعتها في القلوب
فلذلك احبك فرعون او متعلق بالقيت اي احببتك ومن احبه الله احبته القلوب وعلى
هذا يراد المعنى المذكور اولا بطريق الكناية او بطريق الاشارة وتنكير محبة للتعظيم او الابهام
واليقين ولتصنع عطف على علة مقدرة مثل ليتعطف عليك ونحوه او علة لمحذوف معطوف
على الجملة السابقة اي ولتصنع فعلت ذلك قال الخليل يقال صنعت الفرس وهو فرس صنيع
وهو الذي احسن اهله القيام عليه وسيف صنيع الذي قد احسن صقله على عيني بمراى
مني اي لتربى كما اريد ومجازه ان من صنع لانسان شيا وهو ينظر اليه صنعه له كما يحبه ولا يتهيا
له خلافه وقيل على عيني اي على حفظي اذ تمشي اختك ظرف لالقيت او تصنع او بدل من اذ
اوحينا على ان اذ عبارة عن الوقت المتسع فتقول للذين يطلبون مرضعة يقبل ثديها وكان

لا يقبل ثدي امراة على ما ذكر في سورة القصص فالفا فصيحة لترتيب المذكور على المقدر
هل ادلكم على من يكفله على من يضمه الى نفسه فيربيه واراد بذلك المرضعة وانما ذكر للفظ
من فرجعناك فرددناك الى امك وفا بقولنا انا رادوه اليك وياتي التفصيل في
سورة القصص وهذه الفا ايضا فصيحة كي تقر عينها برؤيتك قدم تفسيره في سورة
مريم ولا تحزن على فرقتك قيل وانت على فراقها ولا يحتمله مساق الكلام في سورة القصص
ويأباه من قوله ولتعلم ان وعد الله حق وقتلت نفسا هي نفس القبطي الذي استغاث
عليه السبطي فنجيناك من الغم الذي نالك بسبب قتله خوفا من عقاب الله واقتصاص
فرعون بالمغفرة والامن منه بالهجرة الى مدين وفتناك فتونا مصدر على فعول في
المتعدي كالثبور والشكور والكفور او جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بتا التانيث
كحجور وبدور في جمع حجرة وبدرة والفتنة المحنة وكل ما يبتلي الله تعالى به عباده من نعمة
او نقمة فهو فتنة لقوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة واكثر استعمالها في العرف فيما
يشق على الانسان اي اختبرناك بضروب من الاختبار وسال سعيد بن جبير رضي الله عنه
ابن عباس رضي الله عنهما فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان
فهذه فتنة يا ابن جبير والقته امه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا واجر نفسه
عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه
فتنة يا ابن جبير والمعنى انا عاملناك معاملة المختبر حتى خلصت للاصطفا بالرسالة فكل
هذا من اكبر نعمه فلبثت سنين في اهل مدين وهي مدينة شعيب عليه السلام وعن
وهب انه لبث عنده ثمانيا وعشرين سنة عشر منها مهر ابنته واقام عنده ثماني عشرة سنة
بعدها حتى ولد له اولادا والفا للتفصيل بعض ما اجمل من انواع الفتنة ثم جئت على قدر
قدرته وعينته وهو ما سبق في قضائي ان اكلمك واستنبئك في كل وقت قد وقته لذلك
فما جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستاخر وقيل هو الوقت الذي يوحى فيه الى
الانبياء عليهم السلام وهو راس اربعين سنة قال الشاعر

نال الخلافة اذ كانت له قدرا • كما اتى ربه موسى على قدر •

يا موسى تكرير عقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه على انه المقصود واصطنعتك لنفسي
اصطفيتك لمحبتي وخصصتك بي مثلها له فيما خوله من الكرامة بمن قربه الملك واستخلصه
لنفسه لمحاسن فيه اذهب انت واخوك امر اولا موسى عليه السلام وحده بالذهاب
فلما ذهب سال ان يشرك هرون عليه السلام امره امرهما معا اجابة لدعوته على حسب وعده
وضمن كلامه التنبيه على اصالته حيث غلب على هرون في الخطاب ولم يقل اذهبا واخوك
معطوف على ضمير مستكن في اذهب المؤكد بانت قيل اوحي الى هرون وهو بمصر ان يتلقاه

وقيل سمع بمقبله فاستقبله بآياتي بمعجزاتي ولا تنيا اي ولا تفترا او تقصرا والوني الفتور في ذكري اي لا تنسياني حيث ما تقلبتما او في تبليغ الرسالة فان الذكر يطلق على عبادة والتبليغ من اجل العبادات او في تبليغ ذكري والدعوة الي اذهبا الى فرعون تاكيد لقوله اذهب انت واخوك بالتكرير اظهارا للاعتنا بدعوة اللعين اليه وفيه ابهام وتوضيح ونبه على سبب الذهاب اليه بالرسالة من عنده بقوله انه طغى اي تجاوز الحد في الفساد ودعواه الربوبية فقولا له قولا لينا نحو قوله هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى لانه دعوة في صورة العرض والمشورة والاستفهام حذرا ان يحمله التجبر على ان يسطو عليكما او احتراما له لحق التربية وقيل لينا كنياه اولقباه لا بد من هذه الزيادة كيلا يرده قوله وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين فانه لو كان مامورا بالتكنية خاصة لما خالف بالتلقيب لعله يتذكر او يخشى متعلق باذهبا او قولا اي على رجا الوجوه للايقاظ والخشية وقوله لعل ليس لحق حاله عليه تعالى لكن امرهما بالدعا على الرجا فانه اذا كان الداعي راجيا فهو احرص على الدعا وذلك ابلغ في الزام الحجة وقيل يتذكر المحقق ويخشى المتوهم اي يتذكر ان تحقق صدقكما فيذعن للحق وان لم يتحقق توهم ان يكون الامر كما تصفانه والاحسن ان يقال يتذكر المبدا او يخشى المعاد اي يتذكر حال نشاته صغيرا عاجزا عن تدبير نفسه وانه حدث بعد ان لم يكن موجودا فيرجع عن دعوى القدرة والربوبية او يخشى عقاب الله تعالى في دعوا ذلك قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا فرط سبق وتقدم ومنه الفارط الذي يتقدم الوارد وفرس فرط تسبق الخيل وقرئ يفرط من افرطه اذا حمله على العجلة ويفرط من الافراط اي نخاف ان يعجل علينا بما يحول بيننا وبين تمام الدعوة واظهار المعجزة او ان يحمله حامل من استكباره وجبروته اوخوفه على الملك او شيطان جني او انسي من قومه القبط المتمردين على المعاجلة بما ذكر او ان يفرط فيه وانما قلنا ولم يحول ولم نقل بالعقوبة كما قيل لانه مردود بقوله سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما فانه مذكور قبل قولهما هذا بدلالة قوله سنشد وقد دل على انهما محفوظان من عقوبته او ان يطغى اي يتجاوز الحد بالتخطي الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لعتوه وجراته عليك وقساوة قلبه وفي اطلاق الطغيان مع تقييد قسيمه بقوله علينا بطريق الرمز من حسن الادب والتحاشي عن التفوه بالعظيمة ما لا يخفى وانما اخره لان من امر بشي يحاول دفعه باعذار فلا بد وان يختمه كلام بما هو الاقوى قال لا تخافا انني معكما المعية ههنا بالنصرة والعون اسمع وارى ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فاجازيه واكفيكما شره والافصح ان لا يقدر مفعولا لقوله اسمع وارى فيكون مبالغة في الحفظ اي انني حافظ ناصر سميع بصير واذا كان الحافظ قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ وحقت النصرة وثبت الدفع عن المحفوظ فاتياه فقولا انا رسولا ربك خطابا بقولهما ربك اعلاما له انه مربوب مملوك اذ كان هو

يدعي الربوبية والمالكية فارسل معنا بني اسرائيل اي اطلقهم عن الاستعباد كما يقال ارسلت الصيد ولا تمنعهم عن اتباعنا ولا تعذبهم بتكليف المشاق كانت بنو اسرائيل تحت ملك فرعون والقبط يعذبونهم بتكليف الاعمال الصعبة وتعقيب دعوى الرسالة باطلاق بني اسرائيل لما فيه من ازالة المانع عن دعوتهم واتباعهم وهي اهم من دعوة القبط فلا دلالة فيه على ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان على ان الظاهر مما تقدم في سورة يونس عليه السلام انه ما امن لموسى عليه السلام في مبدا امره او اولاد من قومه • قد جئناك باية من ربك جملة مبينة لقوله انا رسولا ربك لان الرسالة لا تثبت الا بالمجيء بالمعجزة وانما وحد الاية الا ومعه اثنان لان المراد اثبات الدعوى بالبينة لا بيان تعدد الحجة ووحدتها فكانه قال قد جئناك بحجة وبرهان على ما ادعينا من الرسالة كقولهم له قد جئتكم ببينة من ربكم والسلام اي سلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة والافصح ان يكون السلام بمعنى الجنس اي جنس السلام وما ينساهل ان يسمى سلاما والسلامة من العذاب على من اتبع الهدى على المهتدين والذي يقابله وهو توبيخ خزنة النار او الخزي والعذاب على الضالين المكذبين انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى اوحي مبني للمفعول الذي لم يسم فاعله مصدر بسبك من ان وما بعدها تقديره اوحي الينا لكينونة العذاب على من كذب وتولى وتغيير النظم باستيناف الكلام والتوكيد والتصريح بالوعيد لان التهديد في مبدا الدعوة اتم وانجع قال فمن ربكما في الكلام حذف وايجاز يشعر بانهما من فرط طاعتهما وسارعهما الى الامتثال لا ينفك فعلهما عن الامر كاللازم البين فلا حاجة الى ذكره وهو فاتياه وقالا اما امرا به ثم ان الفا فصيحة تفصح عن محذوف بعد قال تقديره سمعت قولكما فمن ربكما يا موسى انما خاطب الاثنين وخص موسى عليه السلام بالندا لانه الاصل في الرسالة والدعوة وهرون عليه السلام فاراد ان يفحمه فاستدعى كلامه دون كلام هرون لمكره ودهايه واشعر بذلك قوله ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فاجاب باشفى جواب وابلغه واخصره لفظا واجمعه معنى حيث قال قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه اي اعطى كل شيء من الانواع والاعضا صورته وشكله الذي يوافق ما وجد اليه من المنفعة كشكل الانسان والفرس والعين والاذن او اعطى خليقته كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به فقدم ثاني المفعولين لان المقصود بيانه وقيل اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة وقرئ خلقه على الفعل الماضي صفة للمضاف اليه او المضاف على شذوذ والمفعول الثاني محذوف اي اعطى كل شيء ما يصلحه لم يخله من عطائه مما يليق به ثم هدى ثم عرفه كيف يرتفق بما اعطي وكيف يتوصل به الى كماله الصوري والمعنوي طبعا او اختيارا انعمه بما مضى انه الموجد لكل شيء على وفق حكمته المفيض على الكل كل ما سبيله ويليق به من الاسباب والالات الهادي له الى مصالحه واستعمال الاية في تحصيل كمالاته

فهو الخالق القادر الحكيم المنعم على الاطلاق المعني بالذات وجميع ما عداه مخلوق مربوب
منعم عليه مفتقر فلذلك بهت الذي كفر وافحم عن الاعتراض عليه فصرف الكلام عنه وشرع
في سؤال اخر على سبيل الروغان عن الاعتراف بما قاله موسى وما اجاب به والحيرة والمغالطة
قال فما بال القرون الاولى ما تقدم وخلا الفائدة على ان السؤال مبني على قول موسى
عليه السلام بانه غيب لا يعلمه الا الله لا على الا الحصر معنى الحفظ المستفاد من عبارة عند
في كتاب مثبت في اللوح المحفوظ ولما كان الاثبات في اللوح مظنة الحاجة الى الحفظ في الكتبة
دفعه بقوله لا يضل ربي ولا ينسى ولقد نبه على هذا من قال لا ينسى ما علم فيذكر في
الكتاب ولكن ليعلم الملائكة ان معمول الخلق يوافق معلومه ومن لم يتنبه لهذا قال ويجوز ان
يكون تمثيلا لاستحكام علمه وتمكنه بما استحفظه العالم وقيده بالكتاب ويؤيده لا يضل
ربي ولا ينسى لا يضل من ضللت الشيء اذا اخطاته في مكان فلم تهتد له وقرئ يضل من اضله
اذا ضيعه والعرب تقول لكل ما ذهب على الانسان مما ليس بحيوان ضله بغير الف فاما اذا
كان منه فيقولون اضله بالالف والاصل في الاول ضل عنه ولا ينسى من نسيه اذا ذهبت عنه
بحيث لا يخطر بباله ومما يحال الان على العالم بالذات قيل ويجوز ان يكون سؤاله دخلا على
احاطة قدرة الله تعالى بالاشيا كلها وتخصيصه كلها بالصور والخواص المختلفة بان
ذلك يستدعي علمه بتفاصيلها وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرة عددهم وتمادي مددهم
وتباعد اطرافهم كيف احاط علمه بهم وباجزائهم واحوالهم فيكون مع الجواب ان علمه تعالى محيط
بذلك كله وانه مثبت عنده لا يضل ولا ينسى ويرد عليه انه يأباه تخصيص القرون الاولى
من بين الكائنات فانه لو اخذها بجملتها لكان اظهر واقوى في تمشية ما اراده الذي
جعل لكم الارض صفة لربي او خبر مبتدا محذوف او منصوب على المدح وهو افصح مهدا
اي كالمهد وهو ما يمهد للصبي سمي مصدر سمي به اي مهدها لكم او مهدا تتمهدونها وقرئ
مهادا وهو اسم ما يمهد كالفراش لما يفرش او جمع مهد وسلك لكم فيها سبلا سلك
من السلك بمعنى الادخال اي جعل لكم سبلا بين الجبال والاودية والبراري تسلكونها
لحوائجكم وتقلبكم في البلاد لتبلغوا منافعها وانما اعيد لكم لان معناه فيما تقدم لانتفاعكم وها
لاجلكم فانه غير الانسان فلذلك خص بالذكر لا يشاركه في الانتفاع بالطرق بخلاف الانتفاع
بتمهيد الارض لان المقصود الاصل انتفاع الانسان فلذلك خص بالذكر وانزلنا من
السماء ماء فاخرجنا به انزاله تعالى واخراجه عبارة عن ارادته النزول والخروج لاستحا
مزاولة العمل في شانه تعالى فالفا للتعقيب فان ثانية الارادتين لا تتراخى عن الاولى
وان تراخى ثاني المرادين عن الاول فتامل والعدول عن لفظ الغيبة الى صيغة التكلم عن الحكاية
لكلام الله تعالى للتنبيه على انه مطاع تنقاد الاشيا لامره وتذعن لمشيئته وحكم لا يمتنع عليه

له

مبني التكلم على الحكاية على ظهور اختصاص القدرة على ذلك بالله تعالى ازواجا اصنافا
سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض من نبات بيان وصفة لازواجا وكذلك
شتى صفة لازواج ويجوز ان يكون صفة للنبات لانه في الاصل مصدر فاستوى فيه
الواحد والجمع يقال شت الامر شتا وشتاتا وهو شتيت وشت وهم اشتات وشتى فاشتاتا جمع
شت وشتى جمع شتيت ذكره المرزوقي اي متفرقات في الصور والاغراض بالاختلاف في الطعم
والشكل واللون والنفع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم ولذلك قال كلوا وارعوا
انعامكم ومن حكمته ونعمته على العباد ان ما يفضل من ارزاقهم ولا يصلح لهم يكون علفا
لانعامهم وصيغة الامر للاباحة وهو حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اي اخرجنا
اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا والمعنى اذنين في الانتفاع بها فان تاكلوا بعضها وتعلفوا
بعضها ان في ذلك في الذكر لايات دلالات لاولي النهى لذوي العقول
واحدها نهية لانه ينهى عن المحظور او ينتهي في الامور منها من الارض خلقناكم فانها
خلقة اول ابائكم او من الاغذية المتولدة من الارض خلقناكم وفيها نعيدكم بالموت وتفتيت
الاجزاء ومنها نخرجكم بالبعث وجمع الاجزاء على الصورة السابقة تارة مرة اخرى ولقد
اريناه بصرناه او عرفناه صحتها كلها تاكيد لشمول الافراد المعهودة والمعلومة من
بعض الايات النازلة سابقا والتعريف بالاضافة يجري مجرى التعريف بلام العهد قيل
هي تسع ايات المختصة بموسى عليه السلام العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل
والضفادع والدم ونتق الجبل من الايات التي جاء بها موسى عليه السلام لبني اسرائيل بعد
هلاك فرعون ثم فلق البحر ليس مما كذب فرعون بعده فكذب وابى كذبها جميعا لفرط
عناده وابى الايمان والطاعة لفرط عتوه او ابى ان يقبل شيئا منها قال اجئتنا لتخرجنا من
ارضنا بسحرك يا موسى تعلل من فرط الدهش والحيرة بالسحر والا فكيف يخفى عليه ان
ساحرا لا يقدر على اخراج ذي سلطان مثله من ارضه وذكره علة المجيء وهو اخراجهم والقاها
في مسامع قومه ليصيروا مستعصبين له اذ الاخراج من الوطن مما يشق فلناتينك جواب
لقسم مثله محذوف بسحر مثله مثل سحرك او ذلك على سبيل الشبهة الطاغية في النبوة
فان المعجز انما يتميز عن السحر بكونه مما يتعذر معارضته دون السحر فادعى القدرة على ايتاء
مثله ووعد به فاجعل بيننا وبينك موعدا هو مصدر بمعنى الوعد لان الاخلاف
لا يلائم الزمان والمكان ويؤيده قراءة الحسن بنصب يوم الزينة اي انجاز وعدكم يوم الزينة
لا نخلفه بالرفع على الوصف للموعد وبالجزم على جواب الامر نحن ولا انت معطوف على
الضمير المستكن في نخلفه المؤكد بنحن ويجوز ان يكون الموعد اسم مكان ويرجع الضمير في نخلفه
الى ما تضمنه من معنى الوعد وعلى التقديرين انما يطابق الجواب السؤال معنى لا لفظا لانه اخبر

عن الموعد بيوم الزينة فلا يطابق المكان والمصدر لكن يوم الزينة لا بد فيه من مكان معين
مشهور بين الناس يجتمعون فيه للتعييد وهو هنا مستلزم للمكان المعلوم بذكره والمعنى
وعدكم وعد يوم الزينة مكانا منصوب بفعل دل عليه موعدا لا به لانه مصدر موصوف
لان في الظرف الاتساع فيكفي في العمل فيه رايحة الفعل وان كانت ضعيفة بل لانه يلزم
الفصل بينه وبين معموله بالوصف وهو غير سايغ لان المنصوب بالمصدر من تتمته ولا يوصف
الشي الا بعد تمامه هذا على قراءة الرفع واما على قراءة الجزم فلا مانع عن النصب بموعدا ويجوز
ان يكون بدلا من موعدا على تقدير مضاف اليه اي مكان موعد مكانا وعلى هذا التقدير انما
تكون المطابقة معنى سوى منصفا تستوي فيه المسافة الينا واليك وهو في النعت
كقولهم قوم عدى في الشذوذ وقرئ بالضم قال موعدكم يوم الزينة كان لهم في كل
عام يوم كانوا يتزينون فيه ويتخذون فيه سوقا وانما وعدهم ذلك اليوم ليكون ظهور الحق وزهوق
الباطل على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك في الاقطار فتقوى الرغبات في دين الحق ويكل حد
الباطل وان يحشر الناس اي يجمع وقرئ على بنا الفاعل بالتا على خطاب فرعون والبا
والضمير لليوم او لفرعون والغيبة للعادة التي تخاطب بها الملوك او خاطب القوم في
قوله موعدكم وجعل يحشر لفرعون ومحله الرفع عطفا على يوم او الجزم عطفا على الزينة
ضحى اخر الى ذلك الوقت ليكونا بعد عن الريبة وابين لكشف الحق فتولى فرعون
فاعرض عن موسى عليه السلام على هذا الوعد فجمع كيده ما يكاد به يعني السحرة والاتهم
ثم اتى الموعد اخبر عن اتيانه مصدرا باداة التراخي وترك الاخبار عن اتيان موسى عليه
السلام اشعارا بانه لا حاجة في اتيانه عليه السلام على قوة وغلبة انما المساهلة والتراخي
في جانب فرعون لانه على ضعف قلب وفتور عزم قال لهم موسى ويلكم ويل كلمة تقال
لمن يستحق الهلكة لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا اياته سحرا فيسحتكم بعذاب
منصوب باضمار ان وهو جواب للنهي وقرئ بكسر الحا وضم اليا وبفتحها والسحت لغة اهل
الحجاز والاسحات لغة اهل نجد وبني تميم يقال سحت الله واسحته اذا استاصله واهلكه
وفيه دلالة على عظم الافترا وانه يترتب عليه عذاب الاستيصال وقد خاب من افترى
الخيبة انقطاع الرجا بالامتناع على الطالب مما امل والافترا اقتطاع الخبر الباطل بادخاله في
جملة الحق واصله القطع من فراه يفريه فريا فتنازعوا امرهم بينهم التنازع محاولة كل واحد
من المختلفين نزع الشي عن صاحبه وامرهم مفعول تنازعوا فتعدى بمفعول واحد ولو حذف
لتعدى الى اثنين تقول نازعت زيدا الحديث اي اختلفوا فيما بينهم اي السحرة وقيل فرعون وقومه
في امر موسى حين سمعوا كلامه فقال بعضهم ليس هذا من كلام السحرة واسروا النجوى اي
تشاوروا في السر خفية من فرعون ان يتبين فيهم ضعفا وقالوا ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان

من السما فله امر والنجوى يكون مصدرا واسما ثم لفقوا هذا القول اعني قالوا ان هذان
لساحران يعني موسى وهرون عليهما السلام كانهم تشاوروا في تلفيقه حذرا ان يغلبا فيتبعهما
الناس وهذان اسم ان هذا لغة بلحارث بن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية واعربوا المثنى
تقديرا وقيل اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما
بعدها مبتدا وخبر ويرد عليهما ان اللام لا تدخل خبر المبتدا وقيل اصله ان هذان لهما ساحران
فحذف الضمير ويرد عليه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرئ ان هذين وهو ظاهر ولكنه
مخالف للامام وقرئ ان هذان على انها هي المخففة واللام هي الفارقة والنافية واللام بمعنى
الا يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما نسبوه الى هرون ايضا لانه شريكه في امر الدعوة
ويذهبا بطريقتكم المثلى بمذهبكم الذي هو افضل المذاهب باظهار مذهبه واعلاء دينه
لقوله تعالى اني اخاف ان يبدل دينكم وقيل ارادوا اهل طريقتكم المثلى وهم بنو اسرائيل فانهم
كانوا ارباب علم فيما بينهم فهو اشارة الى ما قال موسى عليه السلام ارسل معنا بني اسرائيل
وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم الذين هم قدوة لغيرهم فاجمعوا كيدكم بقطع الهمزة من اجمع
فازمعوه واجعلوه مجمعا عليه لا يختلف فيه واحد منكم كالمسئلة المجمع عليها وقرئ فاجمعوا بهمزة
الوصل من جمع ويعضده قوله فجمع كيده ثم ائتوا صفا مصطفين لانه اهيب في صدور الرائين
قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصى واقبلوا عليه اقبالة واحدة وقد افلح اليوم
من استعلى اي ظفر وفاز ببغيته من طلب العلو في امره وسعى سعيه اعتراض للتحريض والترغيب
قالوا بعد ما اتوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى قد سبق في سورة
الاعراف تفسيره قال بل القوا مقابلة ادب بادب مع زيادة وهي الاسعاف اي ما لوا
اليه بالتعريض وتغيير النظم الى صيغة الامر الموجب غالبا مع كلمة الاضراب ليستنفدوا وسعهم
وطوقهم في ابراز مكايد السحر ودقايقه فيظهر الله تعالى قدرته وسلطانه ويقذف بالحق على
الباطل فيدمغه ويسلط المعجزة على السحر فتمحقه فكانت اية بينة للناظرين وعبرة مقنعة
للمعتبرين فاذا حبالهم وعصيهم اذا للمفاجاة وهي المجردة الظرفية ناصبها فعل المفاجاة
ولا يقع بعدها الا الجملة الاسمية والمفاجاة تمثيل لسرعة التخييل اي ففاجا موسى عليه السلام
وقت تخييل حبالهم وعصيهم او تخييل الله اياه او تخييل السعي اليه على اختلاف القراات يخيل اليه
وقرئ تخيل بالتا على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ
بها والبنا للفاعل وايقاعها على انها تسعى يعني انها مخيلة سعيها وبالبا على ان الفاعل هو الله
تعالى للابتلا والمحنة وتخيل بفتح التا بمعنى تتخيل وطريقه طريق تخيل من سحرهم من اجل سحرهم
انها تسعى انما قال تخيل لانها لم تكن تسعى حقيقة وانما تحركت لما قيل انهم لطخوا الحبال بالزيبق ثم
جعلوه في داخل العصي فلما حميت بالشمس طلب الزيبق الصعود فتحركت العصي والحبال فظن انها

فاوجس الايجاس من الهاجس الذي يخطر بالبال في نفسه خيفة موسي فعرض له خوف
عظيم من مفاجاة ما فاجا علي مقتضي الجبلة البشرية لا من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه
لان الخوف منه ليس مما يحاط في كتمانه فلا يظهر وجه الاطناب بزيادة الاضمار قلنا لا تخف
ما توهمت صيغة الامر النهي للتشجيع وتقوية القلب لا للنهي عن الخوف المذكور لانه ليس امرا اختيا[ريا]
انك انت الاعلي تعليل لما قصد بصيغة النهي وتقرير لغلبته موكدا بالاستيناف وحرف التحقيق
وتكرير الضمير ولفظ العلو الدال علي الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل ولام التعريف والاعلي
لمجرد الزيادة لا بمعني العالي كقول الشاعر

تمني اناس ان اموت وان امت • فتلك طريق لست فيها باوحد

اي بوحيد لانه لم يكن السحرة علو حتي يكون هو اعلي منهم والق عطف علي محذوف دل عليه
سياق الكلام ثبت في مقام الاقدام والق فالواو فصيحة ما ابهم هنا وعين في سورة الا[عراف]
حيث قال والق عصاك ومن غفل عنه ظن ان الابهام للتحقير او للتعظيم وانما قال • في يمينك
ولم يقل في يدك لما في لفظ اليمين من معني اليمن والبركة تلقف ما صنعوا اي تاخذ ما زوروه
بفيها ابتلاعا واصله تتلقف فحذف احدي التائين وتا المضارعة تحتمل التانيث والخطاب
علي اسناد الفعل الي المسبب وقري بالرفع علي الاستيناف والحال وبالجزم والتخفيف علي انه من
لقفه بمعني تلقفه وبتشديد القاف انما صنعوا اي الذي زوروا وافتعلوا كيد ساحر
بالرفع علي انما موصولة والنصب علي انها كافة وهو مفعول صنعوا وقري سحر بمعني ذي سحر او
باطلاق السحر علي الساحر مبالغة او باضافة الكيد الي السحر للبيان كقولهم علم فقه وانما وحد
الساحر لان المراد به الجنس والتنكير للتحقير لا لتنكير المضاف لان المقصود من تنكيره حاصل
بالاضافة ولا يفلح الساحر اي لا فلاح لهذا الجنس وقال في موضع اخر ولا يفلح الساحرون
اي لا يغني جمعهم ولا تجدي كثرتهم وله ايضا وجه حيث اتي بسحر فالقي السحرة اقتصر
ههنا علي حاشيتي القصة اكتفا بما هو المقصود وقد اتي بنوع تفصيل في سورة الاعراف فالقا[ء] فصيح
سجدا لله توبة عما صنعوا وتعظيما لما راوا قال الاخفش من سرعة ما سجدوا كانهم القوا فما اعجب
امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم
الفرق بين الالقاين روي انهم راوا الجنة ومنازلهم في السجود فرفعوا رؤسهم ثم قالوا امنا
برب هرون وموسي قدم موسي عليه السلام في الاعراف لاصالته في الرسالة والدعوة واخر هنا
لا لكبر سن هرون عليه السلام لانه لا يعارض وجه تقديم موسي عليه السلام المناسب للمقام رعاية
ولا لان فرعون ربي موسي عليه السلام في صغره فلو قدم لتوهم ان المراد فرعون وذكر هرون علي الاستتبا[ع]
لان المقام لا يحتمله كيف وقد سجدوا لما راوا من موسي عليه السلام وايضا تقديمه في موضع اخر صح[يح]
فانه ليس في الترتيب نكتة معنوية بل المحافظة الفاصلة والواو لا توجب الترتيب قال امنتم له

اي بالله لدعوته ولاجله وقري علي الاستفهام للانكار قبل ان اذن لكم في الايمان له انه لكبيركم
لعظيمكم في فنكم الذي علمكم السحر وانتم تواطاتم علي ما فعلتم فلاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف قد سبق تفسيره في سورة الاعراف ولاصلبنكم في جذوع النخل شبه تمكن المصلوب في
الجذع بتمكن المظروف في الظرف فاستعير في لتصوير الاستقرار وخص النخل لطول جذوعها والمراد
تشهير العقوبة ولتعلمن اينا اشد عذابا انا علي ايمانكم برب موسي عليه السلام او علي ترك الايمان به
وقيل يريد نفسه وموسي عليه السلام لقوله امنتم له تعاجيز منه وفخر باقتداره وقهره وتوضيع واستضعاف
لموسي عليه السلام واستهزاء به لانه لم يكن من التعذيب في شي قط قيل اللام مع الايمان في كتاب الله
لغير الله والحق انها للتعليل ليست بصلة للايمان ولا دلالة في قوله تعالي يومن بالله ويومن للمومنين
علي ذلك اذ معناه ويصدق عنه الايمان لاجل المومنين وموافقتهم ودعوتهم والا لقيل يومن بالله
وبالمومنين وابقي ادوم عذابا وعقابا قالوا لن نوثرك لن نختارك علي ما جانا من موسي
عليه السلام به من البينات المعجزات الواضحات والذي فطرنا عطف علي ما جانا او قسم
فاقض ما انت قاض ما انت قاضيه اي صانعه او حاكمه انما تقضي هذه الحيوة الدنيا
نصب علي الظرف وقري تقضي للبنا للمفعول ورفع الحيوة كقولهم صيم يوم الجمعة بالاسناد الي
الظرف كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده من الاستيناف اي تصنع ما تهواه او تحكم ما تراه
في الحيوة الدنيا السريعة الزوال ونحن نطلب بالايمان الغفران والثواب السرمدي فهو علينا هين
انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا من الكفر والمعاصي وما اكرهتنا عليه من السحر من تعلمه
قيل ان روس السحرة كانوا اثنين وسبعين اثنان من القبط والباقون من السبط وكان
فرعون اكرههم علي تعلم السحر وقيل من العمل به في معارضة المعجزة لما روي انهم قالوا لفرعون
ارنا موسي نايما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر لان الساحر اذا نام بطل سحره
فابي الا ان يعارضوه ويرده قوله تعالي ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين فانه ظاهر في الرضا
وقوله تعالي قالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فان الظاهر منه عدم علمهم بشان موسي عليه السلام
والله خير وابقي جزاء او خير ثوابا وابقي عذابا انه من يات ربه مجرما بالموت علي الكفر
والعصيان فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح بالموت ولا يحيي حيوة ينتفع بها وهو كالمثل
فيما هو من شدة الحال التي يتمني فيها الموت ومن ياته مومنا بان مات علي ايمانه قد عمل الصالحات
في الدنيا بعد الايمان فاولئك لهم الدرجات العلي جمع العليا المنازل الرفيعة واما ايثار الجمع
هنا والافراد في مقابله فللاشارة الي ما ذكر في موضعه من ان كلا من الكفرة يعذب منفردا عن الاخر
زيادة في عذابهم بالم الوحشة وان المومنين يتنعمون علي سرر متقابلين زيادة في لذاتهم بسرور
الانس جنات عدن بدل من الدرجات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها حال
والعامل فيها معني الاشارة او الاستقرار وذلك جزاء من تزكي تطهر من الكفر وادناس الذنوب

والايات الثلاث الاخيرة يحتمل ان تكون من كلام السحرة وان تكون ابتدا كلام من الله تعالي
ولقد اوحينا الي موسي ان اسر بعبادي لما اراد الله تعالي اهلاك فرعون وقومه امر موسي عليه
ان يخرج بهم من مصر ليلا وياخذ بهم طريق البحر فمعني فاضرب لهم فاجعل لهم من قولهم ضرب له
في ماله سهما او فاتخذ من ضرب اللبن اذا عمله والاضافة في عبادي للتشريف طريقا في البحر يبسا
يابسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا كالعدم والعدم ولذلك وصف به المونث فقيل شاة
يبس او وصف علي فعل كصعب وجلد او جمع يابس كصاحب وصحب وصف به الواحد مبالغة لتعدده
معني فانه جعل لكل سبط منهم طريقا لا تخاف دركا حال من الضمير في اضرب اي امنا من ان
يدرككم العدو او صفة ثانية للطريق والعايد محذوف اي لا يخاف فيه والدرك اسم من الادراك
وقري لا تخف علي جواب الامر ولا تخشي استينافا اي فانت لا تخشي بمعني ومن شانك انك لا
تخشي او عطف عليه والالف فيه للاطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا او حال بالواو والمعني لا
تخشي الغرق فاتبعهم فرعون بجنوده فاتبعهم بمعني فاتبعهم يويده القراة به اي فادركهم
مع جنوده اي كادان يلحقهم قال ابن السكيت يقال اتبعت القوم اذا كانوا قد سبقوك فلحقتهم فهو
من المتعدي الي مفعول واحد لا الي مفعولين كما توهم من قال فاتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده وانما
ما قيل الباء زيدة والمعني فاتبعهم فرعون جنوده فنشاه الغفول عن قوله تعالي فاتبعهم فرعون
وجنوده ثم ان فيه ايهام عدم اتباع فرعون بنفسه فغشيهم الضمير له ولجنوده معا من
اليم ما غشيهم الابهام للتعظيم والمبالغة في التهويل مع الايجاز اي ما لا يمكن وصفه ولا يعلم
كنهه الا الله وقري فغشاهم من التغشية وهي التغطية والفاعل ما غشيهم واضل فرعون قومه
عدل بهم عن سبيل الرشاد وما هدي اي ما هديهم الي الحق وكان رد القوله واهديكم الي الرشاد
وليس هذا من باب التهكم يا بني اسرائيل خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك فرعون
وقومه علي اضمار قلنا او للذين كانوا في عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم امتنانا عليهم بما فعل بابائهم
قد انجيناكم من عدوكم فرعون وواعدناكم بايتاء الكتاب جانب الطور وذلك انه تعالي
وعد موسي عليه السلام ان ياتي هذا المكان ويختار سبعين رجلا يحضرون معه لنزول التورية
وانما نسب اليهم الموعد لانه كانت اليهم ونفعها اليهم والبهم رجعت منافعها التي قام بها شرعهم ودينهم
الايمن نصب لانه صفة جانب وقري بالجر لا علي الجوار لانه شاذ بل علي انه نعت للطور لما فيه من
اليمن ونزلنا عليكم المن والسلوي فيه وقلنا لكم كلوا اذن لمطلق التصرف وتخصيص
الاكل بالذكر لشرفه الحاجة اليه من طيبات حلالات او لذايذ ما رزقناكم ولا تطغوا فيه
اي في اكله بالتعدي الي ما لا يحل اكله والاخلال بشكره او بالتلهي والاسراف والبطر والمنع عن
المستحق فيحل بالكسر بمعني الوجوب من حل الدين اذا وجب اداوه وبالضم بمعني النزول
عليكم غضبي عذابي وعقوبتي ولذلك وصف بالنزول صريحا او كناية ومن يحلل عليه غضبي

فقد هوي سقط سقوطا لا نهوض بعده اي هلك واصله ان يسقط من جبل ونحوه ويهلك
وقيل وقع في الهاوية واني لغفار لمن تاب عن الكفر وامن بما يجب التصديق به وعمل
صالحا ثم اهتدي ثم مستعار للتراخي لان المراد بالاهتدا الاستقامة والثبات علي الهدي
المذكور من التوبة والايمان والعمل الصالح وما اعجلك العجلة طلب الشي وتحريه قبل اوانه
وهي من مقتضي الشهوات فلذلك صارت مذمومة في عامة القران حتي قيل العجلة من عمل الشيطان
عن قومك يا موسي اي اي شي عجلك عنهم وذلك ان موسي عليه السلام قد مضي مع النقبا الي الطور
علي الموعد المضروب فلما دني منه تقدمهم شوقا الي مكالمة ربه وتنجيز موعده بنا علي اجتهاده وظنه
انه اقرب الي الله تعالي فالقوم الذين عجل عنهم هم النقبا والمفتون هم الذين خلفهم مع هرون عليه السلام
وهو سوال عن سبب العجلة عن قومه علي سبيل الانكار لانها ذليلة في نفسها مقتضية لاهمال القوم
وايهام التعاظم عليهم فلذلك اجاب عن الامرين وقدم جواب الامر الثاني الذي هو اغفال القوم
بما فيه بسط العذر وتمهيد العلة لانه اهم هذا ما قالوا وعندي ان تعديته العجل بعن لتضمين معني
الانقطاع والانفصال كانه قيل ما الحامل علي انفصالك من قومك مستعجلا فكان اصل السوال
في المعني عن الانفصال عن قومه وان كان في اللفظ عن العجلة فقدم جوابه اعتبارا للمعني كما
هو الاصل قال هم اولاء علي اثري اي علي خلفي ما تقدمتهم الا بخطي يسيرة لا يعتد بها عادة
وقري بالكسر والضم والاثر بالضم بمعني الاثر غريب وبمعني فرند السيف مروي وجاز ان يكون
مجازا منه وعجلت اليك رب لترضي فان المسارعة الي امتثال الامر تستوجب الرضا يعني
ان العجلة وان كانت مذمومة فالذي دعاني اليها وهو طلب رضاك منك محمود قال فانا قد
فتنا ابتلينا قومك يعني بعبادة العجل من بعدك من بعد خروجك من بينهم فغي فيه زيادة
من تعيين ان المراد من هذا القوم غير المراد من الاول فالفا للترتيب مدخولة علي مدلول ما تقدم
من بيان زيادة حرصه عليه السلام علي المناجاة وكمال شوقه للمكالمة مع ربه وما يلزمها من الغفلة
عن حال قومه فكانه قال لا تتوغل فيما كنت فيه ولا تغفل عما وراءك فانا قد فتناهم واضلهم
السامري بدعايته اياهم الي عبادة العجل بعد ذهاب موسي الي الميقات وقد مر التفصيل في
سورة الاعراف وهو منسوب الي قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل غير ذلك وقري
واضلهم اي اشدهم ضلالا لانه كان ضالا مضلا فرجع موسي بعدما استوفي الاربعين واخذ
التورية الي قومه غضبان عليهم اسفا حزينا بما فعلوا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا
حسنا وعدهم الله ان يعطيهم التورية فيها هدي ونور ولا وعد احسن من ذلك افطال
عليكم العهد اي الزمان يعني زمان مفارقته لهم ام اردتم ان يحل
عليكم غضب من ربكم اي اردتم ان تفعلوا فعلا يستوجب الغضب فاخلفتم موعدي
وعدوه ان يقيموا علي امره وما تركهم عليه من الثبات علي الايمان فاخلفوا موعده باتخاذ العجل

قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا اي بان ملكنا ملكنا امرنا اي ملكنا امرنا وخلينا وراينا لما
اخلفناه ولكنا غلبنا من جهة السامري وكيده وقرئ بالفتح وبالضم والكل في الاصل لغات من
ملكت الشيء ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم اثقالا من حلي القبط واراد بالاوزار انها اثام
وتبعات لانهم قد استعاروها من مضى بعلة ان غدا لنا عيد فقال السامري انما حبس موسى عليه
السلام لشوم حرمتها لانهم كانوا معهم في حكم المستامنين في دار الحرب على ان الغنايم لم تكن تحل حينئذ
فاحرقوها فخبا السامري في حفرة النار قالب عجل فانصاغت عجلا فقذفناها في نار السامري الذي
اوقدها في الحفرة وامرهم ان يطرحوا فيها الحلي وكذلك القى السامري اي ما معه من الحلي في النار
او ما معه من التراب الذي اخذه من اثر حافر فرس جبرائيل ويعضده هذا العدول عن القذف المعتبر
في مفهومه صلابة المرمي والبعد والكاف تتعلق بما القي اي مثل ما قذفناها مثل القائنا
فاخرج لهم السامري من حفرة النار عجلا خلقه الله من الحلي التي سبكتها النار ابتلاء لا يقال
لم خلق الله تعالى العجل من الحلي حتى صار فتنة لبني اسرائيل وضلالا لان الله تعالى تعبدنا بالبحث
عن علل احكامه لا عن علل افعاله وختم ذلك بقوله لا يسئل عما يفعل جسدا بدل من عجلا
للتنبيه على انه لم يكن ذا روح ولذلك وصفه بقوله له خوار صوت العجل فانه لو كان ذا روح
لكان الخوار من شانه فلا يجدي توصيفه به كما يجدي توصيف الانسان بالضاحك فقالوا
اي السامري ومن تابعه وافتتن به اول مرة هذا الهكم واله موسى فنسي اي فنسيه موسى
وذهب يطلبه عند الطور او فنسي السامري اي ترك ما كان عليه من الايمان الظاهر افلا
يرون افلا يعلمون ان لا يرجع اي انه لا يرجع اليهم قولا فان مخففة من الثقيلة وقرئ
بالنصب على انها الناصبة للفعل وفعل الروية حينئذ من روية البصر على المبالغة في ظهوره اذ ذكر
تنزيله منزلة المبصر ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا اي لا يقدر على اضرارهم ولا على انفاعهم
ولقد قال لهم هرون من قبل من قبل رجوع موسى عليه السلام وقيل من قبل قول السامري
كانهم اول ما وقعت عليه ابصارهم حين طلع من الحفرة وافتتنوا به فبادرهم هرون قبل ان ينطق
السامري فقال يا قوم انما فتنتم به بالعجل وان ربكم الرحمن لا غير فاتبعوني واطيعوا امري
في الثبات على الدين الحق واياه قالوا لن نبرح عليه على العجل وعبادته عاكفين حتى يرجع
الينا موسى فان الظاهر من هذا الجواب ان يكون المراد من قبل رجوعه عليه السلام قال يا
هرون اي قال له موسى لما رجع ما منعك اذ رايتهم ضلوا بعبادة العجل ان لا تتبعني
اي ان تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر عن الكفر والمعاصي والمقاتلة مع من كفر بمن امن او ان
تلحق بي من اطاعك ولا مزيدة كما في قوله ما منعك الا تسجد ويجوز ان يكون المعنى ما صرفك
الى ان لا تتبعني اي دعاك افعصيت امري بالصلابة في الدين والمحاماة عليه ثم اخذ بشعر راسه
ولحيته بشماله غضبا وانكارا عليه لان الغيرة في الله تعالى ملكته قال يا ابن ام كان اخاه

لابيه

لابيه وامه عند الجمهور لكنه ذكر الام استعطافا وترقيقا لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اي بشعرها
ثم ذكر عذره ولما كان النهي المذكور متضمنا لدعوى عدم العصيان والاستحقاق بموجبه اورد
العذر في صورة التعليل فقال اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل لو قاتلت او فارقت
بعضهم ببعض ولم ترقب ولم تحفظ قولي اخلفني في قومي واصلح لان الاصلاح كان
في حفظ الدهماء والمداراة بهم الى ان ترجع اليهم فتدرك الامر برايك ثم اقبل على السامري قال
له منكرا عليه فما خطبك يا سامري سؤال القصة فلذلك اجاب ببيانها ولما كان السؤال عن
المطلوب لما انتظم الجواب والفاء للترتيب مدخوله على مدلول ما تقدم من ظهور ان غرض هرون
عليه السلام فيما فعله كان اصلاحا كانه قال علم خطب هذا فما خطبك قال بصرت بما لم يبصروا
وقرئ بالتاء على الخطاب اي علمت ما لم يعلموه وان الرسول الذي جاءك روحاني محض لا يمس اثره شيئا
الا احياه او رايت ما لم تروه وهو ان جبرئيل جاءك على فرس الحيوة قيل انما عرفه قيل لان امه القته حين
ولدته خوفا من فرعون وكان جبرئيل عليه السلام يغذوه حتى يستقل فكان يرى منه ذلك
فقبضت قبضة من اثر الرسول من تربة موطئه وقرا ابن مسعود رضي الله عنه من اثر فرس الرسول
ولعله سماه الرسول لانه لم يعرف انه جبرئيل عليه السلام او اراد ان ينبه على الوقت وهو حين
ارسل اليه ليذهب به الى الطور والقبضة المرة من القبض واطلق على المقبوض وقرئ قبضة
بالضم وهي اسم المقبوض وقرئ قبصة بالصاد المهملة والاول للاخذ بجميع الكف والثاني للاخذ
باطراف الاصابع فنبذتها في الحلي المذاب او في جوف العجل فظهر فيه اثر الحيوة والنبذ طرح
الشيء عن اليد خاصة وكذلك سولت لي نفسي ان افعله ففعلته اتباعا لهواي وهو اعتراف
منه بالخطا قال له موسى فاذهب من بيننا فان لك عقوبة عن فعلك في الحياة
ما عشت ان تقول لمن اراد مخالطتك جاهلا بحالك لا مساس اي لا يمسني احد ولا
امسه وذلك انه منع عن مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته وكل ما
تعاون به الناس بعضهم بعضا واذا ماس احدا حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه
وكان يصيح في الناس لا مساس وعاد في الناس وحش من الوحش النافر وقرئ لا مساس كفجار
وهو علم للمسة وان لك موعدا في الاخرة لن تخلفه لن يخلفك الله موعده ينجزه لك في الاخرة
بعد ما عاقبك بذلك في الدنيا وقرئ بالنون وقرئ بكسر اللام من اخلفت الموعد اذا وجدته
خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله تعالى وانظر الى الهك الذي ظلت اصله ظللت فحذف
اللام الاولى تخفيفا عليه اي عبادته عاكفا مقيما لنحرقنه بالنار دل عليه قراءة لنحرقنه
من الاحراق وقرئ بالتخفيف اي لنبردنه بالمبرد وهو طريق تحريقه بالنار فانها لا تعمل في الذهب
بالتفريق الا بهذا الطريق ثم لننسفنه لنذرينه رمادا من نسف الطعام اذا ذراه لتطير منه
قشوره في اليم نسفا فلا يصادف منه شيء والمقصود اظهار غباوة المفتونين به انما الهكم

المستحق لعبادتكم الله الذي لا اله الا هو اذ لا احد يماثله او يدانيه في خواص الالوهية
وسع كل شيء علما وسع علمه كل ما من شانه ان يعلم وقرئ بالتشديد فصار علما احد مفعوليه وذلك
ان وسع يتعدى الى مفعول واحد هو كل شيء وعلما نصب على التمييز وهو في المعنى فاعل فلما ثقل
الى التعدية اليه فصار ما كان فاعلا مفعولا كذلك مثل ذلك الاقتصاص العجيب اي اقتصاص
قصة موسى عليه السلام وفرعون والسامري والكاف في محل النصب على المصدر نقص عليك
من انبا ما قد سبق من الامم السالفة واحوالهم تكثيرا للمعجزات وتذكيرا للمستبصرين والنبا
الخبر العجيب الشان وقد اتيناك من لدنا ذكرا كتابا مشتملا على هذه القصص والاخبار
حقيقا بالتفكر والاعتبار والتنكير فيه للتعظيم وتقديم من لدنا للتخصيص اي ذكرا لا يمكن ان
يؤتى الا من عندنا وهو مقو للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا جليلا من بين الناس ولا يساعده قوله
من اعرض عنه عن هذا الذكر الذي هو القران الجامع لوجوه السعادة فانه يحمل يوم القيمة وزرا
عقوبة ثقيلة على المعاقب بالحمل الفادح الحامل بصعوبة احتمالها وكونها تنقض ظهره او يسمى جزاء
الوزر وهو الاثم وزرا خالدين حال من الضمير في يحمل وانما حمل على المعنى ووحد في فانه حملا
على لفظ من فيه في الوزر او في حمله وساء لهم يوم القيمة حملا ساء في حكم بئس وفيه ضمير
مبهم يفسره حملا وهو تمييز واللام في لهم للبيان كما في هيت لك والمخصوص بالذم محذوف لدلالة
الوزر السابق عليه تقديره وساء حملا وزرهم يوم ينفخ قرئ بالنون على اسناد النفخ الى الآمر
تعظيما له او للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة على ان فيه ضمير الله تعالى او ضمير اسرافيل عليه السلام
وان لم يجر ذكره لانه المشهور بذلك في الصور وقرئ في الصور وقد سبق بيان ذلك ونحشر
المجرمين يومئذ زرقا اي عميا كما قال ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وهذا لان حدقة
من يذهب نور بصره تزرق وقيل زرق عيونهم من شدة العطش وقيل اي تشوه خلقتهم فتسود
وجوههم وتزرق اعينهم يتخافتون بينهم يخفضون اصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول
فالخفت خفض الصوت واخفاؤه ان لبثتم اي في الدنيا الا عشرا لا حاجة الى تاويل في
عشرا لما نقل عن ائمة النحو اذا كان المعدود مذكرا وحذفته فلك فيه وجهان يستقصرون
مدة لبثهم فيها اما لتقضيها او لان المتقضي وان طال قصير بالانتها واما لاستطالتهم مدة
الاخرة فان الابد السرمدي يستقصر مدة الدنيا ويستحقر لبث اهلها فيها بالنسبة اليه ولهذا
استرجح قول من هو اشد منه مقالا واستقصارا منهم وقيل في القبر لقوله ويوم تقوم الساعة
يقسم المجرمون الخ نحن اعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة سيرة او اشد
رايا ان لبثتم الا يوما وجه رجحانه انه ابلغ في الطريقة المذكورة انفا ويسئلونك عن الجبال
فقل ينسفها ربي نسفا اي عن مآل امرها وقد سال عنه رجل من ثقيف بعد النزول فقل ذكر
هنا الفا في الجواب ولم يذكر في ساير السوالات ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى ويسئلونك عن اليتامى

قل اصلاح لهم خير وعن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير وعن الساعة ايان مرساها قل انما علمها وعن
الروح قل الروح وعن ذي القرنين قل سأتلو لان الجواب فيها عن السؤالات واقعة قبل النزول هنا
وعن سؤال العلم الله تعالى وقوعه واخبر عنه ولم يقع بعد ولذلك اجاب بالفاء الفصيحة فكان المعنى
اذا سالوك فقل ينسفها ربي نسفا قال الخليل يقلعها فيذرها فيترك الجبال او الضمير للارض
للعلم بها لقوله ما ترك على ظهرها ولو كان المعنى كما قالوا يجعلها كالرمل ثم يرسل الرياح عليها
فيفرقها ويذريها كما يذرى الحب لكان حق يذرها ان تصدر بالواو الفصيحة قاعا صفصفا
القاع الارض المستوية والارض الملسا فقوله لا ترى فيها عوجا مؤكد للاول وقوله ولا امتا
مؤكد للثاني فان الامت النتو اليسير ولاختصاص العوج بالكسر بالمعاني قال ابن السكيت وكلما
ينتصب كالحائط والعود قيل عوج بالفتح والعوج بالكسر ما كان في ارض ودين فمعاش يومئذ
ظرف ليتبعون مضاف الى وقت النسف اي يوم اذ نسفت وبدل ثان من يوم القيمة يتبعون الداعي
داعي الله تعالى الى المحشر وقيل هو اسرافيل عليه السلام يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس
فيقبلون من كل اوب الى صوته لا عوج له في مدعوه اي لا يعوج له مدعو ولا يعدلون عنه
بل يستوون اليه من غير انحراف عن سمت صوته وخشعت الاصوات للرحمن هيبة واجلالا او الخشوع
كالخضوع من صفات النفس لا ان مظهر الاول منهما الصوت ومظهر الثاني العلو فيسند كل
منهما الى مظهره فلا تسمع الا همسا صوتا خفيا وقيل هو من همس الابل وهو صوت اخفافها
اذا مشت اي لا تسمع الا خفق الاقدام ونقلها الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن
من مرفوع المحل بدل من الشفاعة على تقدير حذف المضاف اي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من
اذن له الرحمن وتنفع على هذا من جملة الافعال التي جعل مفاعيلها نسيا منسيا واجريت مجرى الفعل
اللازم للمبالغة في التعميم كقولهم فلان يعطي ويمنع او منصوب المحل على المفعولية والاستثناء مفرغ
ومعنى اذن له على هذا الاذن لاجله اي اذن للشافع واذن يحتمل ان يكون من الاذن ومن الاذن
بفتح الهمزة ورضي له قولا اي ورضي لمكانه عند الله في الشفاعة او رضي لاجله قول الشافع
في شانه او قوله لاجله وفي شانه يعلم ما بين ايديهم ما تقدمهم من الاحوال وما خلفهم وما
يستقبلونه او على العكس ولا يحيطون به علما الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما وعنت
الوجوه للحي القيوم ذلت وخضعت وخص الوجوه لان اثار الذل انما يظهر اولا فيها وظاهرها
يقتضي العموم ويجوز ان يكون التعريف باللام بدلا عن التعريف بالاضافة على ان المراد وجوه
المجرمين ويؤيده وقد خاب من حمل ظلما يحتمل الحال والاستيناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم
والاعتراض ولا يأباه كونه في مقابلة قوله وهو مؤمن لان التقابل المعنوي كاف فان الاعتراض
كالاستيناف لا يتقاعد عن الحال ومن يعمل من الصالحات بعض الطاعات وهو مؤمن
اذ الايمان شرط قبولها فلا يخاف وقرئ فلا يخف على النهي ظلما منع ثواب يستحقه بالوعد

قل اصلاح

والظلم ان ياخذ من صاحبه فوق حقه ولا هضما ولا كسرا منه بنقصان وجزاء ظلم وهضم لانه
لم يغيره ولم يهضم حقه وكذلك انزلناه قرانا عطف على كذلك نقص ومثل ذلك الانزال هو
من انباء الاولين او مثل انزال هذه الايات المتضمنة للوعيد انزالا عظيما انزلنا القران كله عربيا
بلسان العرب وصرفنا فيه من الوعيد كررنا القول فيه من انواع الوعيد صارفين له من نوع
الى اخر لعلهم يتقون لكي يتقوا المعاصي فتصير التقوى لهم ملكة او يحدث لهم ذكرا عظة
واعتبارا اسند التقوى اليهم واحداث الذكر والايقاظ للقران مع كلمة الترجي بعد ذكر تصريف
الوعيد في القران لان التكرار يفيد ملكة التقوى لهم غالبا فيكون في صورة المرجو المترجح فيه غالبا
التقوى والا فلا اقل من احداث العظة فيهم حين سماعه فيثبطون عنها فتعالى الله ارتفع عن
فنون الظنون واوهام الافهام وتنزه عن مضاهات الانام ومشابهة الامثال فلا يشابه كلامه
كلامهم كما لا تماثل ذاته ذواتهم استعظام له تعالى ولما نزل وصرف على عباده من الوعيد الملك
النافذ امره ونهيه بان يرجى وعده ويخشى عقابه ووعيده الحق العدل في حكمه وملكوته او
المستحق الملك بذاته او الثابت في ذاته وصفاته لما ذكر القران وانزاله قال استطرادا ولا تعجل
بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي اي تان فيه ريثما يسمعك
جبريل عليه السلام ويفهمك ثم ابدا بالتحفظ لقوله لا تحرك به لسانك لتعجل به وقيل لا تبلغ ما كان
مجملا حتى ياتيك بيانه وقل رب زدني علما واسال الله تعالى زيادة العلم بدل الاستعجال
فان ما اوحي اليك تناله لا محالة ولقد عهدنا الى ادم يقال عزم عليه وعهد اليه اذا امره
واوصى اليه عطف قصة ادم عليه السلام على قوله وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على ان اساس
امر بني ادم على العصيان وعرقهم راسخ في النسيان فلم مزيد حاجة الى تكرار الوعيد وصرفه واللام
جواب قسم محذوف من قبل هذا الزمان فنسي العهد ولم يعن به حتى غفل عنه واغتر
بقول الشيطان وترك ما وصي به اليه من الاحتراز عن الشجرة وقرئ فنسي مشددا مبنيا للمفعول
اي نساه الشيطان ولم نجد له عزما تصميم راي وثباتا على ما عهد اذ لو كان ذا عزيمة وجد
لم يقبل وسوسة الشيطان ولم يغتر بقوله والوجود كان بمعنى العلم فمفعولاه له عزما وان كان
بمعنى المصادفة فعزما مفعوله وله متعلق به او حال واذ قلنا اي اذكر وقت قولنا للملائكة
اسجدوا لادم وابى ابليس وتحذيرنا اياه من كيده حتى يتبين لك انه نسي ولم يكن ذا عزيمة وثبات
ومن هنا تبين ان ما قيل ان المعنى ولم نجد له عزما على الذنب لانه اخطا ولم يتعمد لانه لا يناسب سياق
الكلام فسجدوا الا ابليس قد سبق القول فيه ابى جملة مستانفة على تقدير سؤال سائل
كانه قيل لم يسجد فقيل ابى اي اظهر الاباء وتثبط ويرشدك الى هذا ما في سورة ص من قوله استكبر
بدل ابى فقلنا يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك اعاد الجار للدلالة على ان عداوته
ايضا لها اصالة لا تبعا لزوجها فلا يخرجنكما من الجنة نهي عن كونهما بحيث يوثر فيهما وسوسة

الشيطان ويتسبب لاخراجهما فهو مبالغة في النهي عن قبولها مع الاشعار بعلة النهي فتشقى
افرده باسناد الشقاء اليه بعد اشتراكهما في الخروج اكتفاء لاستلزام شقائه شقاءها لانه القيم
عليها والمحافظ لها مع الايجاز والمراعاة على الفاصلة ويجوز ان يكون المراد بالشقاء التعب في
طلب المعاش وذلك وظيفة الرجل وحده ويعضده قوله ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى
وانك لا تظمؤا فيها ولا تضحى فانه بيان وتذكير لما له في الجنة من اسباب الكفاية واقطاب الكفاف
التي هي الشبع والري والكسوة والكن مستغنيا عن اكتسابها والسعي في تحصيل اعواض ما عسى
ينقطع ويزول منها بذكر نقايضها ليطرق سمعه باصناف الشقوة المحذر منها وانما عدل عن الاصل لما
في الذكر الى المنزل تنبيها على الاولين اصلان وان الاخيرين متممان على الترتيب فالامتنان
على هذا الوجه اظهر ولهذا افرق بين القرينين فقيل ولا ان لك وثانيا انك وقرئ وانك بالفتح
عطفا على ان لا تجوع وان لم يجز دخول ان على ان لان الواو ليس حكمها حكم ان لانها نائبة
عن كل عامل لا عن خصوص ان للتعليل بامتناع اجتماع حرفين يعملان عملا واحدا ولذلك
لم توضع للتحقيق خاصة للتعليل بامتناع اجتماع الحرفين لمعنى واحد على انها وان كانت نائبة
الا انها ليست في قوة المنوب عنه فلذلك عومل معها ما لا يعامل هو كقولك ليس زيد قائما
ولا قاعدا ولا يجوز ان تقول ليس قاعدا فوسوس اليه الشيطان فوسوس منهيا اليه
وسوسته قال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد اضافها الى الخلد وهو الخلود موهما
ان كل من اكل منها خلد فهو سبب الخلود بزعمه وملك لا يبلى لا يخلق ولا يضعف فاكلا
منها فبدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قد سبق القول فيه وعصى
العصيان وقوع الفعل والترك على خلاف الامر والنهي وقد يكون عمدا فيكون ذنبا وقد
يكون خطاء فيكون زلة ادم ربه بعدم الانتهاء بالنهي فغوى عن الرشد حيث اغتر بقول
العدو او عن المطلوب وهو الخلد والملك الباقي وفي النعي عليه بالغي مع صغر زلته تعظيم لها
وتشديد عليه في العتاب وتغليظ لعلو مرتبته وعدم مناسبة الزلة لمقامه وزجر بليغ وموعظة
كافة لاولاده ثم اجتباه ربه اصطفاه بالتوفيق للتوبة والقبول بعدها والتقريب من
جبى الى كذا فاجتبيته ونحوه جليت على العروس فاجتليتها فاصل الكلمة الجمع فتاب عليه
فقبل توبته لما تاب وهدى اي الثبات على التوبة قال اهبطا منها جميعا الخطاب
لادم وحوى لا له ولابليس لانه خرج منها قبل هذا لقوله تعالى فاخرج منها فانك رجيم بعضكم
لبعض عدو قد سبق القول فيه فاما ياتينكم مني هدى من الكتاب والرسول فمن
تبع هداي فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة ومن اعرض عن ذكري عن الهدى
الذاكر لي فان له معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر و
المونث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك ان المعرض عن ذكره حريص على الدنيا متهالك عليها

لايزال همه مصروفا الى الازدياد منها يجمع ويمنع ويطمح على ما في ايدي الناس فيطمع ويغلب
عليه الشح فيضيق عيشه بخلاف الذاكر المتوجه اليه التابع للهدى المتوكل عليه في امره فانه يعلم
ان رزقه على الله فيتسع بما في يده وينفق ويعيش عيشا رافغا كما قال تعالى فلنحيينه حيوة طيبة
على انه تعالى قد يضيق بشوم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة
وباوا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله وقال ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا
لفتحنا عليهم بركات من الارض ونحشره وقرى بالجزم عطفا على محل فان له معيشة فانه جواب
للشرط يوم القيمة اعمى عن ابن عباس رضي الله عنهما اعمى البصر وهو كقوله ونحشرهم
يوم القيمة على وجوههم عميا وهو الوجه المناسب للسؤال قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت
بصيرا في الدنيا قال كذلك اي ذلك فعلت انت والكاف مقحم انحا تما كاللام لايكادون
يتركونه في لغة العرب وغيرهم ثم فسره فقال اتتك اياتنا واضحة نيرة فنسيتها فعميت
عنها وتركتها غير منظور اليها وكذلك ومثل تركك اياها اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب
وكذلك نجزي من اسرف بالانهماك والشهوات والاعراض عن الايات ولم يؤمن بايات ربه
بل كذبها وخالفها ولعذاب الاخرة اشد وابقى اي وللحشر على العمى الذي لا يزول
ابدا اشد من ضيق العيش المنقضي او ولتركنا اياه في العمى الذي لا يزول ابدا اشد وابقى
من تركه لاياتنا افلم يهد لهم مسند الى الله او الرسول او ما دل عليه كم اهلكنا قبلهم
من القرون اي اهلاكنا اياهم او الجملة بمضمونها والفعل على الاولين معلق يجري مجرى
اعلم ويدل عليه القراءة بالنون يمشون في مساكنهم كانه عن مشاهدتهم اثار هلاكهم
ان في ذلك لايات لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن التغافل والتعامي ولولا كلمة
سبقت من ربك الكلمة السابقة بتاخير عذاب هذه الامة الى الاخرة لكان لزاما لكان
مثل ما نزل بعاد وثمود من عذابنا لازما لهؤلاء الكفرة واللزام اما مصدر وصف به او فعال
بمعنى مفعل اسم الة اللزوم يسمى به اللازم لفرط لزومه واجل مسمى عطف على كلمة او
على الضمير المستكن في كان وهو ضمير ذلك المشار به الى الاهلاك اي ولولا قضاء سابق وعد
بتاخير عذاب هذه الامة الى يوم القيمة او يوم بدر واجل مسمى لاعمارهم لكان والفصل
للدلالة على استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ولولا هذه العدة لكان الاخذ العاجل واجل
مسمى لازمين لهم كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى عن الاخذ العاجل
فاصبر على ما يقولون الفاء للسببية لشرط مقدر اي اذا لم نعذبهم ولم نهلكهم لما ذكر فاصبر
وسبح تقييد التسبيح بالاوقات المخصوصة قرينة لكونه مجازا لمعنى الصلوة والا فلا وجه
للتخصيص بها وقوله بحمد ربك حال اي وصل وانت حامد لربك على هدايته وتوفيقه
قبل طلوع الشمس اي الفجر وقبل غروبها اي الظهر والعصر لانهما في النصف الاخير

جزام

من النهار

من النهار ومن اناء الليل ومن ساعاته جمع انى بالكسر والقصر واناء بالفتح والمد
فسبح اي المغرب والعشا وصلوة التهجد وانما قدم الزمان فيه لاختصاصه بمزيد
الفضل لان الميل فيه الى الاستراحة اقوى فكانت العبادة فيه على النفس اشد
واشق فكان الثواب اكثر ولان القلب فيه اجمع والفراغ الى الله تعالى والخلوة به
ايسر واكثر ولهذا قال الله تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطا واقوم قيلا واطراف
النهار تكرير لصلاتي الصبح والمغرب لمزيتهما لكونهما تختلف الملائكة وبجمعهم معناه
تعمد اناء الليل واناء النهار مختصا لها بصلاتك وفي جمع الاطراف مجاوبة الاناء الامن من
الالباس لعلك ترضى اي سبح هذه الاوقات طمعا ورجاء ان تنال عند الله ما ترضى
به نفسك وقرى بالبناء للمفعول اي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك اي نظر
عينيك الى ما متعنا به مد النظر تطويله مستمرا بحيث لا يكاد يرده استحسانا للمنظور
وتمنيا ان يكون للناظر ازواجا اصنافا منهم من الكفرة ويجوز ان يكون حالا من
الضمير في به والمفعول منهم اي الى الذي متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم زهرة الحيوة
الدنيا الزهرة الزينة والبهجة وقرى بفتح الهاء وهي لغة فيها كالجهرة في الجهرة او جمع
زاهر كالجهرة في جمع جاهر نصب على الذم او على الاختصاص اي اعني ذا اخص او على المفعول الثاني
لما دل عليه متعنا او على تضمينه معنى اعطينا واما نصبه على البدل من محل الجار والمجرور واي
به او من ازواجا على تقدير مضاف اي ذوي زهرة فضعيف لانه لا يقال مررت بزيد
اخاك ولان الابدال من الضمير العائد الى الموصول ونحوه مما اختلف في جوازه وعلى قراءة الفتح
نعت على انه جمع زاهر وجاز ان يكون حالا والاضافة لفظية لان الاصل زاهرين الحيوة الدنيا
وصف لهم بانهم زاهروا الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد لنفتنهم لنبلوهم
ونختبرهم فيه او لنعذبهم في الاخرة بسببه ورزق ربك ما ادخر لك في الاخرة او ما رزقك
من الهدى خير مما متعناهم به في الدنيا وابقى لانه لا ينقطع ابدا وامر اهلك بالصلوة
امره بان يامر اهل بيته او التابعين له من امته بالصلوة بعد ما امره بها وبالصبر ليتوافقوا
في الاستعانة على خصاصتهم بها لقوله تعالى استعينوا بالصبر والصلوة ولا يهتموا بامر
الرزق والمعاش ولا يلتفتوا الى ارباب الثروة والرياسة واصطبر عليها وداوم عليها
لا نسالك رزقا اي لا نكلفك ان ترزق نفسك نحن نرزقك فتفرغ بالك لامر
الاخرة لان من كان في عمل الله كان الله في عمله والحكم في الموضعين عام في صورة
الخطاب الخاص والعاقبة المحمودة للتقوى مخصوصة لها ويلزم هذا ان يكون
حسن العاقبة لاهلها خاصة فلا حاجة الى التقدير وقالوا لولا ياتينا باية من ربه
هلا ياتينا محمد باية دالة على صحة نبوته بناء على عادتهم في اقتراح الايات وانكار ما جا

منها وعدم الاعتداد بها تعنتا وعنادا وتنكير آية يأبى عن حملها
على آية معهودة اقترحها فالزمهم بالقرآن الذي هو آخر المعجزات
واعظمها حيث قال أولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى وذلك انه
برهان ما في جميع الكتب المنزلة من حيث انه معجز بلفظه دونها
فهو بالنسبة اليها حجة على صحتها لاشتماله على ما فيها وتصديقه
اياها مع اعجازه ولما كان برهانا على صحة نبوته للدلالة على انه مختص
بنوع من العلم اعلى قدرا واشرف من جميع العلوم وهو خلاصة ما في الكتب
الالهية من العقايد والاحكام مع كونه اميا لم يتعلم شيئا وبنوع من تركيب
الكلام لم يكن احد يعارضه في الفصاحة والبلاغة عند التحدي به ولو انا
اهلكناهم بعذاب من قبله من قبل محمد عليه السلام او من قبل البينة
وتذكير الضمير لانها في معنى البرهان والدليل او من قبل اتيانها او
اتيانه بها لقالوا ربنا لولا هلا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل
ان نذل بالقتل والسبي والجزية في الدنيا ونخزى بالعذاب ودخول
النار في الآخرة قل كل كل واحد منا ومنكم متربص منتظر لما يؤول
اليه امرنا وامركم في العاقبة فتربصوا فانتظروا وقرى فتمتعوا فستعلمون
من اصحاب الصراط السوي المستقيم وقرى السواء اي الوسط والسوي والسوء
اي الشر والسوي وهو تصغيره ومن اهتدى الى النعيم المقيم ومن في الموضعين
للاستفهام ومحل الاولى الرفع بالابتدا والثانية عطف عليها عطف الجملة على الجملة ويجوز
ان تكون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العايد فتكون معطوفة على محل الجملة
الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط على
ان المراد به النبي عليه الصلاة والسلام

سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام مائة واحدى عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم اي دنا وقت اظهار ما للعبد وما عليه ليجازى بهما والحساب
اخراج الكمية من مبلغ العدد والاقتراب بالنسبة الى ما مضى او عند الله اذ لا نسبة للاتيان
بالقرب والبعد اليه تعالى او لان مبداه الموت وهو كناية عن ظهور بعض اماراته
ويناسبه وهم في غفلة تنكيرها للتعظيم اي وهم مستغرقون في غفلة عظيمة
لا يعرفون كنهها وهذا من قبيل نسبة فعل الاكثر الى الكل فلا ينافي كون تعريف
الناس للجنس كما في قوله ويقول الانسان أئذا ما مت لسوف الآية واللام صلة

لاقترب للناس حسابهم ونحوه في التاكيد تكرير الظرف كقولهم فيك زيد راغب فيك
معرضون عن اسباب التنبيه كلما كرر عليهم التنبيه وجدد لهم
التذكير وقرعت لهم العصا واحدث لهم ذكر من الآيات
التي تتلى وقتا بعد وقت ما تنبهوا بواحد من تلك الاذكار وما استيقظوا
مرة من تلك المرار الا استمعوه مستسخرين لاهين يلعبون بقوله
ما يأتيهم من ذكر تقرير لتماديهم في الاعراض والغفلة بان الله تعالى يجدد لهم
الذكر ويكرر على اسماعهم المواعظ ليتعظوا فما يزيدهم استماع ذلك الا لعبا واستسخارا
وتلهيا راسخا في قلوبهم وجدا وعزيمة في اللهو يعني انهم وان فطنوا انهم في قلة جدوى
فطنتهم وتمادي ذهولهم وغفلتهم عن التامل والتبصر كان الذهول ترك في قلوبهم
لا فطنة لهم اصلا قوله في غفلة معرضون خبران او الظرف حال من المستكن
في معرضون خبران او الظرف حال من المستكن في معرضون من ربهم صفة
لذكر او صلة ليأتيهم محدث لم يرد به حدوث نفسه بمعنى مسبوقيته بالعدم
وان كان صحيحا لان الكلام اللفظي حادث عند الجمهور ولا حدوث تنزيله كما زعمه
الحنابلة المنكرون حدوثه لان كلا منهما لا يناسب المقام ولا يلايم مساق الكلام بل
المراد تجدد الذكر وقتا بعد وقت ولما عرفت انه اشد تاثيرا في التذكير وقرى
بالرفع على المحل الا استمعوه وهم يلعبون حال من الواو وكذلك لاهية قلوبهم
اي استمعوه جامعين بين الاستهزاء والتلهي فهما حالان مترادفان وهي من لهيت عن
الشيء لهيا ولهيانا اذا سلوت عنه وتركت ذكره واضربت عنه ويعدى بعن ومن
عند الاصمعي وهو في الحديث من باب علم اي من لهي عني يلهى اذا ذهل وغفل ويجوز ان
يكون حالا من واو يلعبون فالحالان متداخلان وقرئت بالرفع على انه خبر آخر فالحال
واحدة وفي قوله واسروا النجوى مبالغة لان النجوى لا تكون الا خفية اي
اي بالغوا في اخفائها الذين ظلموا بدل من واو واسروا وفايدة الابدال الاشعار
بانهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما اسروا به او منصوب على الذم او مرفوع بالابتدا
خبره اسروا النجوى قدم عليه وفايدة التقديم الاهتمام ببيان اسرارهم النجوى
بالتسجيل عليه بانه ظلم لان الاصل وهم اسروا النجوى فوضع المظهر موضع
المضمر وقدم الاسرار ليفهم منه ان الاسرار هو الظلم ثم بين ان النجوى ما هو بقوله
هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون ليتمكن من نفس
السامعين بالابهام والتبيين ويتحقق عندهم ان ذلك هو الظلم الفاحش بالدليل
الواضح لتسميتهم المعجز سحرا مبينا وادعائهم ان كونه سحرا مشاهدين واعتقادهم

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون الا ملكا وان من ادعى الرسالة من
البشر فهو ساحر وانكارهم ان يحضروا السحر الذي لا شك فيه وانما اسروا تشاوراً في
استنباط ما يهدم امره ويظهر للناس فساده تثبيطاً عنه وعادة المتشاورين الكتمان
وما ذكر كله في محل النصب بدلاً من النجوى او مفعولاً لقالوا مضمراً قل وقرئ
قال اخباراً عن الرسول وحكاية لقوله ربي يعلم القول في السماء والارض هو اكد
من قوله يعلم السر لانه عام يشتمل السر والجهر كانه قال يعلم السر
كله وغيره كما ان قوله يعلم السر اكد من قوله يعلم سركم لعمومه فمن ثم
ولم يقل في مقابلة اسروا النجوى يعلم السر ليؤكد ما لطريق البرهاني ثم
قرر ذلك وبين بقوله وهو السميع العليم اي مطلقاً دون غيره فكيف
يخفى عليه ما يسرون بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر
بل الاولى اضراب عن تجاوزهم في شان الرسول عليه السلام وما ظهر عليه من الآيات
الى تقاولهم في امر القرآن والثانية لاضرابهم عن كونه اباطيل خيلت اليه
وخلطت عليه الى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه والثالثة لاضرابهم
منه الى انه كلام شعري يخيل الى السامع معان لا حقيقة لها ويرغبه فيها
ثم انهم تفننوا في مدارج الاضراب واعتبروا في كل نحو منه نوعاً من
الاضراب من الاعتبار واللطيف قيل اضربوا عن قولهم هو سحر الى
قوله اضغاث احلام اي تخاليط رؤيا ثم الى انه كلام افتراء ثم الى انه قول
شاعر على عادة كل مبطل في التلجلج والتزلزل في التحير والعلثمة وذلك
يدل على فساد قولهم وبطلانه ولا يذهب عليك ان حق النظم حينئذ قالوا
بل لا بل قالوا واما ما قيل يجوز ان يكون الكل من الله تعالى تنزيلاً لاقوالهم
في درج الفساد لان كونه شعراً ابعد من كونه مفترى لانه مشحون بالحقائق
والحكم ليس فيه ما يناسب قول الشعراء وهو من كونه احلاماً لانه مشتمل
على مغيبات طابقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الاحلام وهو من كونه
سحراً لانه يجانسه من حيث انهما من الخوارق فبناه على ان يكون بين الشعر
والحكمة بوناً بعيداً وعلى ان يكون السحر كالمعجزة من خوارق العادات
ولا صحة لواحد منهما اما الاول فظاهر وكان هذا القائل غافل
عن قوله عليه السلام ان من الشعر لحكمة واما الثاني فلان الحق ان السحر
اما تمويه لا حقيقة له او ترتيب لاسباب خفية وعلى كلا التقديرين
ليس فيه شيء من خرق العادة فليأتنا بآية المعجزة عظيمة وصحة التشبيه

في قوله

في قوله كما ارسل الاولون من حيث انه في معنى كما اتى الاولون بالآيات
العظيمة كاليد والعصا واحيا الموتى وابرا الاكمه لان ارسال
الرسل متضمن للاتيان بها هذا اذا كان ما مصدرية واما اذا
كانت موصولة والمعنى كالتي ارسل بها الاولون بالتشبيه على ظاهره
ما آمنت قبلهم من قرية اراد بالقرية اهلها فالايجاز من جهة الحذف
ولذلك قال في التوصيف اهلكناها دون اهلكناهم يريدون هلاكهم
عند انكارهم ما اقترحوا من الآيات لما جاءتهم افهم يؤمنون عند اتيانها
وفي ايلاء الهمزة والتعقيب انكار ايمانهم بعد ما لم يؤمن اولئك لان هؤلاء
اعتى منهم واشد عناداً وتعنتاً فلو اتوا بما يقترحون لكانوا اعتى منهم واشد
كفراً وتنبيه على ان عدم الاتيان بما اقترحوا ابقاء عليهم اذ لو اتوا به لم يؤمنوا
واستوجبوا عذاب الاستيصال كمن قبلهم وما ارسلنا قبلك الا رجالا
يوحى اليهم جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم فان شككتم
فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون انما امرهم بذلك ليخبروهم
ان الرسل كانوا بشراً ولم يكونوا ملائكة والمراد من اهل الذكر
اهل الكتاب وانما احالهم اليهم للالزام فانهم كانوا يشاورونهم
في امر الرسول والرد عليه ويثقون بقولهم وبهذا التقرير تبين ما في
تحرير القاضي من التقصير والخلل فتامل واعلم الاحبار والاحالة
اليهم لان اخبار الغفير يوجب العلم وان كانوا كفاراً وتمام الكلام
في هذا المقام قد سبق تفسيره في سورة النحل وما جعلناهم اي وما
جعلنا كل واحد منهم كونه ثم تخرجكم جسداً الجسد جسم الحيوان
مخصوص به كالبدن بخلاف الجسم والجرم وهو عبارة عن روح وجسد
والروح ما لطف والجسد ما غلظ واصله جمع البنى واشتداده اي
ما جعلناهم جسداً محضاً ليس فيه روح متصرف حتى يخلك
فيحتاج الى البدل بقوله لا ياكلون الطعام تقرير وتاكيد
لذلك المعنى وجواب لقولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام
ولما كان التغذي به من اللوازم التحليل المؤدي الى الفنا كان
قوله وما كانوا خالدين تقريراً وتاكيداً له ونفي
عن الرسل لما اعتقدوا اختصاصه بالملك تحقيقاً لكونهم من جنس
البشر ثم صدقناهم الوعد اي في الوعيد نصب بانتزاع

فانجيناهم مما حل بقومهم ومن نشاء يعني المؤمنين ومن في انجائه
حكمة كمن سيؤمن هو او بعض ذريته ولذلك حميت العرب عن عذاب
الاستيصال واهلكنا المسرفين المجاوزين الحد بالكفر ويفهم منه
دخول بعض الكافرين تحت من نشاء لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم
صيتكم وشرفكم لقوله وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم
او ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق الكتاب القرآن
والخطاب لقريش او لعامة العرب افلا تعقلون فتؤمنوا به والفا
كالتي في افهم يؤمنون وكذا الاستفهام وكم قصمنا واردة عن
غضب شديد لان القصم افظع الكسر كانه كسر بين تلاؤم الاجزاء
بخلاف الفصم بالفاء ولايرادها في صورة التكثير من قرية لما انيبت
القرية مقام اهلها لو تجوز بها عنهم وصفت بصفتهم فقيل كانت
ظالمة وانشأنا بعدها بعد اهلاكها قوما اخرين مكانهم
وللدلالة على تعدي الغضب في شانهم اي اهلاك قريتهم ايضا باخراجها
عن صلاحية الانتفاع بها قال بعدها ولم يقل بعدهم اظهارا للسوق
السابق واعتبارا لما يقتضيه اللاحق فان الضمير في قوله فلما احسوا
لاهل القرية باسنا اي ادركوا بالحس عيانا ومشاهدة شدة
عذابنا في الاستعارة في الاحساس ويجوز ان يكون من قبيل الاستعارة
في الباس اذا هم منها من القرية واذا للمفاجاة يركضون
والركض ضرب الدابة بالرجل اي يهربون مسرعين على الكناية
ويحتمل التمثيل في تشبيههم في الاسراع وشدة العدو بمن يركض الدابة
وان يكونوا لا تركضوا قولا بلسان الحال يشير الى انهم خلقا بان يقال
لهم ذلك وان لم يقل او يقال استهزاء والقايل ملك او من ثمه من المؤمنين
او حديثا يحدث به انفسهم تحسرا وارجعوا الى ما اترفتم فيه من
العيش الرافه والتنعم والاتراف ابطار النعمة والاسم الترفه او ارجعوا
الى وبال ما اترفتم فيه ومساكنكم في النار والتي كانت لكم لعلكم
تسئلون غدا عن اعمالكم او كناية عن العذاب فان السؤال
مقدمته او تهكم وتوبيخ اي ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم
حتى يسالكم من ينفذ به امركم ونهيكم او يسالكم الناس في
انديتكم المعاونة في نوازل الخطوب او يسالكم الوافدون عليكم

ويستمطرون

ويستمطرون سحاب ما في ايديكم ولما اخذهم العذاب ولم يروا وجه النجاة
قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين اعترفوا بالاقتراف حين لا ينفع الاعتراف
فما زالت تلك دعواهم الاشارة الى يا ويلنا لانها دعوى اي فما زالت
تلك الدعوى دعويهم والدعوى والدعوة لان المدلول
يدعو الويل او يقول يا ويله تعال فهذا اوانك والويل الوقوع في
الهلكة وتلك اسم ما زالت دعويهم خبره او بالعكس وتعين
الاول لما هو في نحو ضرب موسى عيسى مما يختلف اصل المعنى باختلاف الاعراب
حتى جعلناهم حصيدا الضمير المنصوب هو الذي كان مبتدا وحصيدا خامدين
كانا خبرين فنصبهما جعل جميعا على المفعولية لا على انها تقتضي ثلاثة
مفاعيل على ان الاخيرين في حكم الواحد اي جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد
والخمود كقولهم هذا حلو حامض اي جامع للطعمين شبهوا في استيصالهم
وسقوطهم بالزرع المحصود في دمارهم وسكونهم بالنار الخامدة وافراد
حصيدا ادل على ان المثل مراد تخرج الكلام على حد الاستعارة الى
حد الاستعارة الى حد التشبيه وما خلقنا السماء والارض ما في جهة
العلو والسفل وما بينهما من العجائب والبدائع ولطائف الصنائع
لاعبين كما يصنع ابناء الدنيا انما خلقناها تسبيبا لما ينتظم به
امور العباد في المعاش والمعاد وتبصرة لاولي الالباب والابصار وتذكرة
لذوي الاعتبار من النظار فليعتبر بها طلاب الكمال ولا يغتروا بزخارف
فيها فانها سريعة الزوال ثم بين بقوله لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه
ان السبب في ترك اتخاذ اللهو هو الحكمة البالغة والا فالقدرة الباهرة
لا تنحسر عن ذلك ان اراد فعله فانه على كل ما يشاء قدير والحكمة
البالغة وان لم تكن منافية لاتخاذ اللهو وهو ما يتلهى به ويندرج فيه
اللعب لكنها منافية لان يفعل فعلا يكون به لاهيا من لدنا اي من
عالم الغيب لا من عالم الشهادة لانه اشنع وابعد عن شان الحكيم
ان كنا فاعلين ذلك ويدل على جوابه الجواب المتقدم وقيل ان
نافية وزيادة كنا للاستمرار النفي لا لنفي الاستمرار لانه لا يناسب
المقام والجملة كالنتيجة للشرطية بل نقذف بالحق على الباطل اضراب
عن اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته من اللعب اي بل من شاننا ان نغلب الحق
الذي من جملته الجد على الباطل الذي من عداد اللهو فيدمغه فيمحقه

وبعضه من دفع الرجل اذا شج شجة ام الدماغ فلا يحيى صاحبها بعدها استعار
القذف الذي هو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمي لايطال الباطل بالحق
تصويرا لابطاله به ومحقه في صورة جرم صلب كالصخرة مثلا قذف
به على جرم رخو جوف فدمغه فضا. لحق البلاغة وقرئ فيدمغه
بالنصب ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف على الحق فاذا هو زاهق
هالك والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز ولكم الويل مما تصفون
مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وهو في موضع الحال
وما مصدرية او موصولة او موصوفة وله من في السموات والارض
خلقا وملكا ومن عنده منزلة ومكانة لا منزلا ومكانا يعني
الملائكة شبهوا في كرامتهم عند الله تعالى وقربهم بالمقربين عند
الملوك من زمرة خواصهم بيانا لشرفهم ويوقف على الارض لان من مبتدا
خبره لا يستكبرون عن عبادته لا يتعظمون عنها ولا يجوز ان يكون معطوفا
على من في السموات والمعنى له في عالم الشهادة ومن في عالم الغيب ولا يستحسرون
لا يعيون منها وانما نفي الاستحسار وهو مبالغة في الحسور للايماء الى ان ما هم
فيه من دوام العبادة والدوب بلا فترة يوجب غاية الحسور وهم لا يحسرون
والا لكان نفي ادنى حسور ابلغ يسبحون الليل والنهار ينزهونه
ويعظمونه دايما لا يفترون حال من الواو في يسبحون وهو استيناف
او حال من ضمير قبله ام اتخذوا آلهة ام هي المنقطعة بمعنى بل
والهمزة للاضراب عما قبلها والانكار لما بعدها وهو اتخاذ آلهة ارضية
وفي قوله من الارض سواء كان صفة للالهة او متعلقا بالفعل على معنى
الابتدا بتجهيل لهم واستركاك لعقولهم وقوله هم ينشرون تهكم
بهم ولوم لهم فانهم وان كانوا لا يصرحون بذلك لكنه يلزمهم بادعاء الالهية
لها فان الاله هو الذي يقدر على كل ممكن والانشار من جملتها وهم منكرون
البعث وانشار الموتى الى الله تعالى القادر على كل شيء ويثبتون الالهية
للاصنام نحتوها فلزمهم حصر الانشار فيهم ولذلك او ردهم المفيد للحصر
مبالغة في التجهيل والتوبيخ والتهكم بالهتهم وهو توبيخ في توبيخ لو كان فيهما آلهة
الا الله صفة لآلهة بمعنى غير الله لتعذر الاستثنا فان آلهة جمع منكور غير
محصور لا يشمل الله حتى يستثنى منه ولدلالته على ان الفساد انما يلزم من وجود
آلهة فيما دونه والمراد لزوم الفساد من وجودها مطلقا سواء كانت معه

اولا

او لا لم الفساد الاتي ذكره لزومه على ما استقف عليه على تقدير مطلق
التعدد في الاله وانما فرض الالهة غير الله تعالى على وفق معتقدهم لزيادة
تجهيلهم في هذا الامر الجليل الشان فكانه ضمن اثبات مطلق التوحيد
ابطال معتقدهم على افحش وجه واشنعه لفسدتا لبطلتا لما يكون بينهما
من التمانع اذ لا يحال للتوافق في المراد ولا يلزم ان يطارد عليه القدر فسبحان
الله رب العرش المحيط بجميع الاجرام الذي هو محل التدابير ومنشا التقادير
عما يصفون عما يصفونه به مما لا يليق بشانه لا يسئل عما يفعل لعلو
سلطنته وكمال علمه وعظمته وتفرده بالالوهية ولما كان الملوك والجبابرة عادة
ان لا يسئلوا عن افعالهم وتدابيرهم في ملكهم ابهة واجلالا مع جواز الخطا عليهم
فلان لا يسال رب الارباب ومالك الملوك خالق الكل وله من استحال له ذلك عليه
وهم يسئلون لانهم مملوكون مستعبدون والضمير للالهة او للعباد ام
اتخذوا من دونه اي من دون الله آلهة كرره استعظاما لكفرهم
واستفظاعا لامرهم وتبكيتا واظهارا لغاية جهلهم وضما لانكار ان يكون لهم
دليل من النقل ولهذا رتب على الاول دليل العقل وعلى الثاني دليل النقل يعني ام
آلهة ينشرون الموتى فاتخذوهم آلهة لما وجدوا فيهم من خواص الالوهية ام
وجدوا في الكتب الالهية المنزلة الامر باشراكهم فاتبعوا الامر قل هاتوا
برهانكم من العقل والنقل فانه لا يصح القول بما لا دليل عليه
فكيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا هذا ذكر اي هذا
الوحي الوارد على الانبيا عليهم السلام كله عظة من معي يعني
امته عليه السلام وذكر من قبلي يعني ام الانبيا الماضين عليهم السلام فانظروا
هل تجدون فيهما الا الامر بالتوحيد والنهي عن الشرك وقرئ ذكر من معي وذكر
من قبلي بالتنوين على ان من منصوب المحل مفعول للذكر وهو الاصل والاضافة
عارضة وقرئ من معي ومن قبلي على من الجارة وادخالها على مع غريب والوجه انه
ظرف نحو قبل وبعد وعند ولدن وما اشبه ذلك فدخلت عليه من كما دخلت
على اخواته بل اكثرهم لا يعلمون الحق ثم معرضون مما هو اصل الشر
والفساد واساس البغي والضلال وهو الجهل وعدم التمييز بين الحق والباطل
فلذلك كانت عادتهم الاعراض عن الحق من التوحيد واتباع الباطل وقرئ الحق
بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وهي جملة موكدة وسطت بين السبب
والمسبب اي كون الجهل المحض سببا للاعراض وهو الحق وتدست على المسبب

لشدة الاهتمام والاعتنا بان سببا لاعراض ليس الا الجهل ويجوز حمل المنصوب على
هذا المعنى كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل ولا يعلمون فعل منزل منزلة اللازم
مجري اللازم لسلب مطلق العلم عنهم راسا وهذا الوجه افصح واغرب وما ارسلنا
من قبلك من رسول الا يوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون تعميم بعد تخصيص
لان ذكر الموجودين بين لظهورهم وهي الكتب الثلاثة والاية مقررة لما سبقها من
اي التوحيد وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات
الله تعالى سبحانه تنزيه له تعالى عن ذلك بل عباد مكرمون اضرب عنه ثم
اثبت انهم عباد والعبودية تنافي الولادة لكنهم مكرمون مقربون لمن ذلك بل
عباد مكرمون من ذلك اخطاوا وزلت اقدامهم لا يسبقونه بالقول
لا يقولون شيئا حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين واصله لا يسبق
قولهم قوله فنسب السبق اليه واليهم وجعل القول اداته ومحله تنبيها على استهجان
السبق المعرض به للقائلين على الله تعالى ما لم يقله وانيب اللام مناب الاضافة
اختصارا وتجافيا عن تكرير الضمير وقري لا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته
اسبقه وهم بامره يعملون اي كما لا يسبقونه بالقول كما لا يسبقونه بالعمل
فلا يعملون الا ما امرهم به يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم كالعلة لما قبله والتمهيد
لما بعده اي انهم بعين الله تعالى يعلم ما قدموا وما اخروا من اعمالهم اي
لا يخفى عليه خافية فلاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم ويحفظون عما لم يؤمروا به
قولا وفعلا ولا يشفعون مهابة منه الا لمن ارتضى لمن ارتضاه واهله
للشفاعة وهم من خشيته مشفقون اي انهم مع ذلك كله قاضون حق الهيبة
والعظمة على حذر ودقية والخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلما
والاشفاق خوف مع الاعتنا فان عدي بمن فمعنى الخوف فيه اظهر وان عدي بعلى
فبالعكس ومن يقل منهم من الملائكة ومن الخلائق اني اله من دونه
فذلك نجزيه جهنم تعداد وصفهم بالكرامة والقرب والاوصاف الجميلة
والافعال المرضية هدد من اشرك منهم على سبيل الفرض والتقدير وانذره
بالوعيد الشديد مع احاطة علمه بانه لا يكون تفظيعا لشان المشركين وتهديدا
لهم تهديد مدعي الربوبية ومبالغة في نفي الولد اذ لو امكن لكان ربا من جنسه
كذلك نجزي الظالمين من ظلم بالاشراك وادعا الربوبية اولم ير
الذين كفروا اولم يعلموا تقريروا الواو للعطف على مقدر اي انكروا قدرتنا
على البعث ولم يعلموا والكفرة وان لم يعلموا لكنهم متمكنون من العلم به ورد الاسفا

من الاخبار ومطالعة الكتب فكانهم علموا وقيل المتطرفات الفتق به عارض مفتقر الى
المؤثر موجب بالذات ابتداء او بوسط وفيه ان اصالة الرتق وعروض الفتق
به عارض مفتقر الى مؤثر موجب بالذات ابتداء او بوسط وفيه ان اصالة الرتق
وعروض الفتق مما لا يستقل في معرفته العقل ان السموات والارض كانتا
دون كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارضين رتقا ذات رتق وهو الانضمام
او مرتوقتين اي كانتا شيئا واحدا وحقيقته متحدة وقري رتقا بفتح التاء على تقدير
شيئا رتقا فعل بمعنى مفعول كالنقض والرفض ففتقناهما بالتنويع والتمييز بالصور
المختلفة وجعلنا من الماء كل شيء حي وخلقنا من الماء كل حيوان لانه اعظم مواده
او لفرط احتياجه اليه وانتفاعه وجوده وبقائه بدونه او صيرنا كل شيء بسبب
من الماء وقري حيا على انه صفة كل او مفعول ثان والظرف لغو افلا يؤمنون
مع ظهور الايات وجعلنا في الارض رواسي ثابتات من رسي اذا ثبت ان
تميد بهم مفعول له اي كراهة ان تميد بهم وقيل لئلا تميد بهم فحذف لا لامن اللبس
وجعلنا فيها اي في الارض او في الرواسي فجاجا جمع فج وهو الطريق الواسع
وانما قدم على سبلا وهو صفة له ليصير حالا مقدرة فيدل على انه حين خلقها
خلقها مستعدة لذلك او ليدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه خلقها ووسعها للسابلة
مع ما يكون فيه من التوكيد واخر في قوله سبلا فجاجا للبيان والتوضيح بعد
الابهام لعلهم يهتدون اي ليهتدوا بها الى مقاصدهم وجعلنا السماء سقفا
محفوظا بقدرتنا من ان يقع على الارض بغير عمد وهم عن اياتها احوالها
الدالة على وجود الصانع وكمال قدرته وحكمته وهو ما يحس منها من الكواكب
وحركاتها واوضاعها وما يعلم من علمي الهيئة والطبيعة معرضون اي هم
قوم عادتهم الاعراض وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كقوله
ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة واستغنا اذا وجد كل والمراد بالفلك الجنس
كقولهم كساهم الامير حلة قال ابن نخن السماء فلكا هو موج مكفوف فيه الكواكب
كلها في لذلك قال يسبحون كما يسبح الانسان في الماء وقيل شبهت حركتها في الاسراع
بسباحة السابح ورده ان حق التشبيه ان يكون المشبه به اقوى من المشبه في وجه
الشبه وعكسه اللازم مردود في الكلام البليغ فكيف في المعجز وانما جمع جمع العقلا
لانهم وصفوا بوصفهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد كانوا يقولون
نتربص به ريب المنون فنزلت والفا في قوله افان مت فهم الخالدون لتعليق
الشرطية بما قبلها من التمهيد والهمزة لانكارها بعد ما تقرر ذلك كل نفس

كل في فلك

ذائقة الموت اي كل نفس حيوان تذوق مرارة مفارقتها جسدها وهو تقرير لما تمهد وبرهان على ما انكره ونبلوكم ونعاملكم معاملة المختبر بالشر والخير بما يجب فيه الصبر من البلاء وما يجب فيه من الشكر وانما قدم الشر لانه السبب بالابتلا فتنة ابتلاء مصدر من غير لفظه والينا ترجعون فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر والجزع والكفر وفيه ايماء الى ان المقصود من هذه الحيوة الدنيا الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب تقريرا لما سبق واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اي ما يتخذونك الا مهزوا به ويقولون اهذا الذي يذكر آلهتكم اي بسوء وانما اطلقه لدلالة الانكار والتعجب المفهومين من قولهم اهذا وهم خاصة بذكر الرحمن اي بذكرك للرحمن بالخير وما يجب ان يذكر به كالتوحيد والثناء عليه بما هو اهله من التسبيح والتمجيد هم كافرون ثم احق ان يتخذوا هزوا لانك محق وهم مبطلون تقديم ذكر الرحمن على الكفر دلالة على تخصيصهم الكفر بذكر الرحمن دون آلهتهم فانهم عاكفون على ثنائهم وتعظيمهم والجملة في محل النصب على الحال اي يتخذونك هزوا وحالهم انهم على شيء هو اصل الهزو والسخرية خلق الانسان من عجل جعل ما طبع عليه بمنزلة ما طبع هو منه مبالغة في فرط استعجاله وقلة ثباته وهو تمهيد لنهيهم عن الاستعجال ومن عجلته استعجال الوعد سأريكم آياتي نقماتي في الدنيا كوقعة بدر وفي الآخرة عذاب النار فلا تستعجلون بالاتيان بها والمفهوم مما تقدم ان الانسان اذا خلق وطبعه يكون على العجلة وهذا ينافي النهي عنها بل يستوجبه ويقولون متى هذا الوعد وقت وعد العذاب او القيامة ان كنتم صادقين يعنون النبي عليه السلام واصحابه رضي الله تعالى عنهم لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ذكر الوجوه لانها اشرف ما في ظاهر الانسان ومحل حواسه وهو احرص على الدفاع عنه من غيره من اعضائه ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون جواب لو محذوف وحين مفعول يعلم اي لو يعلمون الوقت الذي يستخبرون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب يحيط بهم النار من قدام وخلف فلا يقدرون على دفعها من انفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي هونه عليهم او لما استعجلوا مستهزئين او منصوب بمضمر ويعلم مطلق بلا مفعول مجرى اجراء اللازم اي لو كان لهم علم لما كانوا مستعجلين حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم يعلمون انهم كانوا على الباطل وينتفي عنهم هذا الجهل العظيم وانما وضع الظاهر فيه موضع

المضمر

المضمر للدلالة على ما اوجب لهم ذلك بل تأتيهم بغتة فجأة مصدر او حال اضرب عن كف النار عن وجوههم وظهورهم اي لا يكفونها بل تفجأهم فتبهتهم فتغلبهم يقال للمغلوب في المحاجة بهوت وقرئ الفعلان على التذكير والضمير للوعد او للحين وعلى التأنيث يجوز ان يرجع الى العدة او الموعدة او الحين على تأويل الساعة او النار او البغتة فلا يستطيعون ردها فلا يقدرون على دفعها ولا هم ينظرون يمهلون وفيه تذكير لهم بامهالهم في الدنيا ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فحاق فحل وترك بالذين سخروا منهم جزاء ما كانوا به يستهزؤن وعدله عليه السلام بانه يحيق بهم ما يفعلونه به كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا قل من يكلؤكم بالليل والنهار امر رسوله عليه السلام بسؤال المستهزئين عمن يحفظهم دائما وانما قدم الليل لان الحاجة الى الحفظ اظهر واكثر من الرحمن من بأسه ان اراد بكم قيل في ذكر اسم الرحمن تنبيه على ان لا كالئ غير رحمته العامة وان اندفاع البأس عن الناس لا يكون الا بها وعندي ان التنبيه فيه على رحمته العامة ولا منعه عن الغضب فلا تغتروا بها ولا يخفى ان هذا هو الانسب للمقام بل هم عن ذكر ربهم معرضون اضراب عن مقدر اي انهم غير معرضين عن ربهم وليسوا بغافلين عنه حتى لا يجدي السؤال عنهم كيف وهم يتخذون الآلهة ويعبدونها في كل وقت للشفاعة عنده تعالى بل معرضون عن ذكره فالتذكير يناسب حالهم وهذا المعنى مع ظهوره من سياق الكلام ووضوح انطباقه لمقتضى المقام قد خفي على الناظرين فيه حتى قالوا لا يخطرونه ببالهم ان يخافوا بأسه حتى اذا كلؤا منه عرفوا من الكالئ وصلحوا للسؤال عنه ولم يتنبهوا انه حينئذ لا يبقى وجه للامر بالسؤال وايضا حينئذ يضيع عبارة الذكر بل تخل بالمقصود لابهامها الشعور في الجملة ام لهم آلهة تمنعهم تحفظهم مما نفعل العذاب من دوننا اضراب عما تقدم من ذكر الكلاءة الى آلهتهم ومنعهم من العذاب متجاوزة منعه تعالى او من عذاب يكون من عندنا بما في ام من معنى بل والهمزة وهذا الاضراب ليس للابطال ولا للترقي بل للانتقال من الكلام الى آخر قيل والاضراب عن الامر بالسؤال على الترتيب فانه عن المعرض الغافل عن الشيء بعيد وعن المعتقد لنقيضه ابعد وقد عرفت فساد مبناه ثم انه لا ينتظم مع ذلك الاعتبار ما في الاضراب الثاني من زيادة الانكار وبعد التنبه الى التي قوله المعتقد لنقيضه قرينة ما فيها مرتبة لما نبهت عليه آنفا

لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون يجارون يقال صحبك الله
اي حفظك واجارك استيناف بابطال لما ذكروا فان من لا يقدر على نصر نفسه
ولا يحفظه الله كيف ينصر غيره ويحفظه بل متعنا هؤلاء واباءهم حتى طال
عليهم العمر ثم اعرض عن الوهم المتبادر من ظاهرها لهم تعدما انكره
ببيان ان ما هم عليه من الحفظ والكلاءة انما هو منا لا من مانع يمنعهم من اهلاكنا
وانما حفظناهم للاستدراج وهو تمتيعه تعالى اياهم وامهاله ما قدر لهم من الاعمار
حتى حسبوا بسبب طول مدة الامهال انهم لا يزالون كذلك وانهم بسبب ما هم عليه
ثم عقبه بما يدل على انه امل كاذب وغرور باطل وهو قوله تعالى افلا يرون
انا نأتي الارض ارض الكفر ننقصها من اطرافها بتسليط المسلمين عليها وهو
تصوير لما كان الله تعالى يجريه على ايدي المسلمين وفي اضافة اتيانهم بامره الى
نفسه تعظيم لشانهم افهم الغالبون انكار لغلبتهم على الرسول عليه السلام
وعلى المؤمنين بعد هذه المغلوبية المتجددة دائما وفي التعريف تعريض بان
المسلمين هم المعروفون المتعينون بالغلبة دونهم قل انما انذركم بالوحي
بما اوحي الي من قبل الله تعالى لا من قبل نفسي ولا يسمع الصم الدعاء وقرئ
لا تسمع من الاسماع على خطاب الرسول ونصب الصم وبالياء على اسناده ولا يسمع مبنيا
للمفعول من اسمع وفي قراءة يسمع المبني للفاعل التفات وتنويه بذكر الرسول وتعظيم
له وانما سماهم الصم ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على فرط تصامهم وعدم
انتفاعهم بالاسماع وان جعلنا اللام للجنس كان ابلغ لما فيه من معنى البرهان
بالتعميم ونوع من الكناية وهو ابلغ من التصريح اذا ما ينذرون منصوب
بيسمع لا بالدعاء لانه مصدر لا يعمل الا منونا والتقييد به لكون الكلام في
الانذار للمبالغة في انهم لا يتاثرون به وقت الانذار فضلا عن يسمعوه ثم يذهلوا
عنه ولكونه كالقرينة في الكناية كانه امره بقوله لهما انذركم بالوحي
ثم قال ولا يؤثر فيكم فانتم صم ولا يسمع هذا الجنس الدعاء ولئن مستهم
نفحة اصل النفح هبوب رائحة الشيء ويستعمل في كل قلة يقال نفحته الدابة
اذا رمحته رمحا يسيرا ونفحه بعطية اذا رضخه ففيه مبالغة من جهة مادته
الدالة على معنى القلة ومن جهة صيغته اي بناء المرة فانها لاقل ما ينطلق عليه
الاسم ومن جهة تنكيره الدال على التقليل واما المس فهو ادنى من الاصابة لما في
مفهومه من قيد زائد عليها وهو ان يتاثر منه حاسة الملموس فايثاره هنا
على الاصابة للدلالة على ان عذاب الله تعالى وان كان في غاية يتاثر منه من

يصيبه من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين اي ولئن مسهم
ادنى شيء من العذاب الذي ينذرون به لاذعنوا واعترفوا بظلمهم في تصامهم
واعراضهم داعين على انفسهم بالويل ونضع الموازين القسط صفة الموازين
ولم يجمع لانه مصدر وصفت به للمبالغة كانها في نفسها عدل وجاز ان يكون على
حذف المضاف ذوات القسط وقد سبق ما يتعلق بوضع الموازين في سورة
الاعراف وما يدل على انه حقيقة لا تمثيل واللام في ليوم القيمة للوقت
اي في يوم القيامة وقيل معناه لجزاء يوم القيامة او لاهله اي لاجلهم
على الحذف فلا تظلم نفس شيئا ينقص من ثوابه الموعود وزيادة في
عذابه المعهود ويجوز ان يكون معناه شيئا من الظلم وان كان اي ما يعمل
به من النقص والزيادة او الظلم مثقال مقدار حبة من خردل
وقرئ مثقال بالرفع على كان التامة وتانيث ضمير المثقال اتينا بها
جازينا بها من الاتيان فانه بمعنى الاعطاء او من المواتاة فانهم اتوه بالاعمال
واتاهم بالجزاء وكفى بنا حاسبين اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا ولقد
اتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا هذه الثلاثة في التوراة
فهي فرقان بين الحق والباطل وضياء يستضاء به ويتوصل به الى سبيل النجاة
في ظلمات الحيرة والجهالة وذكر اي شرف او وعظ وتنبيه او ذكر ما يحتاج اليه
الناس في مصالح دارهم ودخلت الواو في الصفات كما في قوله وسيدا وحصورا
ونبيا وقرئ ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان ولما انتفع بذلك المتقون
خصهم الله تعالى بقوله للمتقين ومحل الذين جر على الوصفية او نصب على
المدح او رفع عليه يخشون ربهم بالغيب حال من الفاعل او المفعول وهم
من الساعة القيمة واهوالها مشفقون الاشفاق خوف مع اعتناء وفي
تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض وهذا القران ذكر
مبارك كثير خيره انزلناه على محمد عليه السلام افانتم له منكرون
استفهام توبيخ بعد وضوح اعجازه ووفور بركته ولقد اتينا ابراهيم رشده
الاهتداء لوجوه الصلاح واضافته ليدل على انه رشد مثله وان له شانا وقرئ
رشده وهو لغة من قبل من قبل موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام
وكنا به عالمين علمنا انه اهل لما اتيناه او جامع لمحاسن الاوصاف ومكارم
الاخلاق اذ قال لابيه وقومه متعلق باتينا او برشده او بمحذوف اي اذكر
من اوقات رشده وقت قوله ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون تجاهل

تجاهل منه وتغابي لتحقير شانها وتوبيخهم على اجلالها فان التمثال جماد لا يضر ولا ينفع
اصله الصورة المصنوعة شبهة بمخلوق من مخلوقات الله تعالى ومنه مثلت الشي بالشي
اذا شبهته به واللام للتعليل اي لتعظيمها وعاكفون مجري اجرا اللازم غير منوي المفعول
اي فاعلون العكوف لاجلها وهو اللزوم لامر من الامور ولتضمن العكوف معنى العبادة
لزيادة التوبيخ ويعضده ما في جوابه من قولهم لها عابدون قالوا وجدنا اباءنا لها
عابدين جواب عن التوبيخ بانه طريقة اسلافنا اخذناها ولما ضمنوا جوابهم
دعوى سوطريقهم بالاسناد الى الاباء والاجداد رد عليهم حيث قال لقد كنتم انتم
تاكيد للمتصل في كنتم ليصح العطف عليه واباؤكم في ضلال مبين منخرطون في
ضلال ظاهر والتاكيد بالقسم ووصف الضلال بالمبين لافادة وضوح استقرار
المقلدين في ضلال لا يخفى على من له ادنى عقل لعدم تمسك الفريقين بدليل والتقليد
في الاصول غير جائز اصلا وفي الفروع انما يجوز لمن علم في الجملة كون المقلد على الحق
قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين لاستبعادهم تضليله اياهم واباءهم حسبوا
انه انما قال ما قال على وجه المزاح والملاعبة فقالوا الجد تقول ام انت لاعب وانما
غيروا النظم بادخال الهمزة على الجملة الفعلية وقرينتها الجملة الاسمية لتوطينهم
انفسهم على انه من اللاعبين ورسوخ ذلك الاعتقاد عندهم واما القسم الاول
فلم يثبت عندهم فاظهر وانه اذا ثبت شي اختلج في ظنه قال بل ربكم
رب السموات والارض الذي فطرهن اضراب عن كونه لاعبا
باقامة البرهان على ما ادعاه والضمير في فطرهن للسموات والارض
اي انشاهن من غير شي او التماثيل وهو ادخل في تضليلهم والزام الحجة
عليهم فكانهم قيل انه تعالى خالق وهن مخلوقة فانى يعبد المخلوق
ويجحد الخالق وانا على ذلكم المذكور من التوحيد من الشاهدين
اي من المحققين له لان الشاهد هو الذي يحقق الشي وحققه
كانه قال وانا احقق ذلك واثبته بالبرهان لست
مثلكم فاقول ما لا اقدر على اثباته بالحجة واتمسك
بالتقليد كما تمسكتم به وتالله وقرئ بالباء على الاصل والتاء
بدل من الواو المبدلة منها والتاء في القسم تفيد معنى التعجب من المقسم عليه كانه
تعجب من تسهل ذلك الامر الصعب على يده ولهذا عبر عنه بالكيد المشتمل على نوع من
الحيل لاكيدن اصنامكم الكيد الاحتيال في وصول الضرر الى المكيد بعد ان تولوا مدبرين بعد
ذهابكم عنها وعن قتادة انه قال ذلك سرا وقيل سمعه رجل واحد فلما ذهبوا بقي

ابراهيم عليه السلام فكسر الاصنام فالفاء في قوله فجعلهم جذاذا فصيحة والجذاذ فعال
كزجاج بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو القطع او جمع جذاذة كزجاجة وزجاج وقرئ بالكسر
وهو لغة فيه او جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذ جمع جذيذ وجذذا جمع
جذة الا كبيرا لهم للاصنام او للكفار روي انه عليه السلام كسرها كلها بفاس الا كبيرها
فعلق الفاس في عنقه لعلهم اليه يرجعون يسالونه عن كاسرها فيتبين له عجزه وقيل
الى ابراهيم فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم فيحجهم او الى الله اي يرجعون الى توحيده عند تحققهم
عجز الهتهم ويرد عليه انه يكون قوله الا كبيرا لهم اجنبيا في البين قالوا حين راوا ذلك
بعدما رجعوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين لشديد الظلم لجرائته على الالهة الحقيقة
بالاعظام قالوا سمعنا فتى يذكرهم يسمى فهو صفة لفتى مصححة لتعلق السمع به وهو ابلغ في
نسبة الذكر اليه وقيل مفعول ثان لسمع وليس بثبت يقال له ابراهيم صفة اخرى له وابراهيم
فاعل يقال لان المراد به الاسم لا المسمى قالوا فاتوا به على اعين الناس في محل النصب
على الحال اي بمراى منهم ومنظر بمعنى معاينا مشاهدا متمكنا صورته في اعينهم تمكن الراكب على
المركوب لعلهم يشهدون عليه بما فعله اي بما يسمع منه او يحضرون عقوبتنا له قالوا
بعدما احضروه ءانت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم قال ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا
فاسئلوهم ان كانوا ينطقون اسند الفعل الى السبب مجازا اذ الحامل على كسرهم هو لانه
لما غاظه زيادة تعظيمهم لها تسبب لمباشرته اياه والاحسن لا فصح انه من معاريض الكلام
وذلك انه لم يرد ان ينسب الفعل الى الصنم لان اثباته للعاجز والامر دائر بينهما استهزاء به واثبات
للقادر ومما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كذب ابراهيم عليه السلام ثلث كذبات
تسمية للمعاريض بالكذب لما شابهت صورتها صورته ويجوز ان يكون حكاية لما يؤدي اليه
مذهبهم من جوازه كانه قال فلم لا ينكران يفعل هذا واشد منه من يدعي الها وقرئ فعله
كبيرهم بمعنى فلعله اي فلعل الفاعل كبيرهم فرجعوا الى انفسهم وراجعوا الى عقولهم
فقالوا فقال بعضهم لبعض انكم انتم الظالمون بعبادة من لا ينطق ولا يمكنه دفع الضرر
عن نفسه لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين ثم نكسوا النكس جعل الشي اسفله اعلاه
ومنه نكس المريض اذا رجع الى اول حاله وهو عبارة عن اطراقهم رؤسهم خجلا وللمبالغة في
هذا المعنى ضمنه معنى السقوط اي نكسوا ساقطين على رؤسهم وقولهم لقد علمت رمي
عن حيرة ولهذا اتوا بما هو حجة عليهم وقيل انقلبوا الى المجادلة بعدما استقاموا بالمراجعة شبه
عودهم الى الباطل بصيرورة اعلى الشي اسفله ويرد عليه انه يضيع قوله على رؤسهم وقرئ نكسوا
بالتشديد ونكسوا على البنا للفاعل اي نكسوا انفسهم على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون
فكيف تامرنا بسؤالها وهو على ارادة القول كانه امره بالسؤال للتوبيخ والتبكيت وحملوه على الحقيقة

هيم

تجاهلا ثم نزلوا المخاطب منزلة الجاهل بمضمون الخبر فلذلك اكدوه بقد ولام القسم فكانهم
قابلوا توبيخه بنوع من التشنيع قال افتعبدون انكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم بانها جماد
لا تنفع ولا تضر من دون الله ما لا ينفعكم ان عبدتموه شيئا في موضع المصدر اي نفعا
ما ولا يضركم ان لم تعبدوه اف صوتا ذا اصوت به علم ان صاحبه متضجر ضجره مما
راي من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم واصرارهم على الباطل بعد وضوح الحق فتافف
بهم واللام في لكم ولما تعبدون من دون الله لبيان المتافف به اي لكم ولالهتكم هذا التافف
وقيل معناه قبحا ونتنا ثم وبخهم على تمادي جهلهم بقوله افلا تعقلون اي ابعد وضوح
الحق وزهوق الباطل لا تدركون قبح صنيعكم قالوا اخذا في المضارة عند العجز عن المحاجة
حرقوه بالنار فانها اهول ما يعاقب به واقطع وانصروا الهتكم بالانتقام منه
ان كنتم فاعلين فعلا وفيه تنزيل لسائر انواع العذاب منزلة العدم في هذا الباب ولا يخفى
لطف هذا التعبير البليغ على ذوي الالباب قلنا يا نار كوني بردا شبهت النار لمطاوعتها
ارادة الله تعالى وامره بمامور مطيع لا يتوقف في الامتثال عند ورود الامر المطاع وبولغ في ذلك
باقامة كوني ذات برد مقام ابردي ثم حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وسلاما
اي ابردي بردا وسلاما غير ضار وقيل نصبه بفعله اي وسلمنا سلاما عليه روي انهم وضعوه
في المنجنيق مغلولا فرموه في نار عظيمة ولم يحترق منه الا وثاقه وعلى هذا تكون النار على حالها
ولا يناسبه المبالغات المذكورة في امر تدبيره فانها ظاهرة في تحولها من الحرارة الى البرودة
والاشعار في قوله على ابراهيم بعد التحول لانه متعلق بقوله سلاما لا بقوله بردا فالمفهوم
منه اختصاص عدم اضرار البرد به عليه السلام واردوا به كيدا احتيالا في اضراره فجعلناهم
الاخسرين بتصيير سعيهم برهانا قاطعا على انه الحق وانهم على الباطل وموجبا لارتفاع
درجته واستحقاقهم اشد العذاب ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين
من العراق الى الشام وبركاته الدينية العامة بعث اكثر الانبيا عليهم الصلوة والسلام وانتشار
شرايعهم التي هي مبادي الخيرات في جميع العالم وبركاته الدنيوية كثرة النعم والخصب بكثرة الزرع
والماء والشجر والرخص فيه فهي الارض التي بورك فيها مطلقا وباركنا فيها ابلغ من باركناها
لدلالته على الظرفية والاستقرار فكان تلك الارض محيطة لانواع البركات احاطة الظرف بالمظروف
وهي مستقرة فيها لا تزول عنها وروي ان ابراهيم عليه الصلوة والسلام بفلسطين ولوط عليه
الصلوة والسلام بالموتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة
النافلة ولد الولد وهي في الاصل الزيادة والفضل قيل نافلة زيادة على ما سال لانه عليه
السلام سال اسحق فاعطيه واعطي يعقوب زيادة على ما سال وفضلا حال مخصصة ولا باس به
للقرينة وكلا اي والاربعة المذكورون جعلنا صالحين لان الانبيا هم المصلحون

وشرط الاصلاح هو الصلاح وجعلناهم ايمة يقتدون بهم يهدون الناس الى الحق بامرنا
لهم بذلك واوحينا اليهم فعل الخيرات للاهتدا ولا تم القيام بالهداية حتى يشملهم وامتهم فعلها ويتم
كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله ان يفعل الخيرات ثم فعل الخيرات بالاضافة وكذلك قوله واقام
الصلوة وايتاء الزكوة وهو عطف الخاص على العام للتفضيل وحذف تا الاقامة المعوضة باخذي لا
لقيام المضاف اليه مقامه وكانوا لنا عابدين مخصصين بالعبادة ولوطا اتيناه حكما حكمة وهو
فعل ما ينبغي فعله وجوبا او ندبا وقيل نبوة او فصلا بين الخصوم وعلما بما ينبغي علمه للانبيا عليهم السلام
ونجيناه من القرية هي سدوم التي كانت تعمل الخبائث من اللواطة وساير المنكرات التي يا تونها
في ناديهم وصفها بصفة اهلها واسندها اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه على ما دل عليه التعليل
بقوله انهم كانوا قوم سوء فاسقين ونكتة ذلك الاشعار بعلاقة السببية فان للتربة تاثيرا في تغيير
اهلها من السداد الى الفساد ولذلك قال ونجيناه من القرية اي خلصناه من تلك التربة الخبيثة وادخلناه
في رحمتنا اي في اهل رحمتنا او في الجنة انه من الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى وهو كالتعليل
لما تقدم ونوحا اذ نادى اي دعا ربه على قومه بالهلاك من قبل اي من قبل المذكورين فاستجبنا
له ونجيناه واهله من الكرب العظيم هو الطوفان او اذى قومه والكرب الغم المفرط ونصرناه
فانتصر من القوم الذين كذبوا باياتنا فتعديته بمن عدلوله اشارة لما في مفهومه من معنى المنع
ولا بنا ونيل جعلناه منتصرا انهم كانوا قوم سوء تعليل لما تقدم وتمهيد لما تاخر فاغرقناهم
اجمعين عذاب الاستيصال الشدة والغضب وهي لكمال استحقاقهم لهو داود وسليمان نصب باذكر اذ
بدل منها يحكمان في الحرث هو محل الزرع اذ نفشت فيه غنم القوم قال ابن السكيت النفش مصدر
نفشت القطن وغيره والنفش ان تنتشر الابل بالليل لترعى وكنا لحكمهم شاهدين وقري لحكمهما
ففهمناها سليمان الضمير للحكومة او الفتوى روي ان داود عليه السلام حكم بالغنم لصاحب الحرث
فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمه فقال ارى ان تدفع الغنم
الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها واولادها واصوافها والحرث الى ارباب الغنم يقومون عليه حتى يعود
كهيئته يوم افسد ثم يترادان فقال القضا ما قضيت وامضي الحكم بذلك وكان ذلك باجتهاد اخوي في شرعنا
فلا دلالة فيه على انهما حكما بالوحي وكان حكم سليمان عليه السلام وحده بالوحي ولما كان المتبادر الى الوهم
من تخصيص سليمان عليه السلام بتفهيم الحكومة ان لا يكون ما قضاه داود عليه السلام حكما شرعيا
دفعه بقوله وكلا اتينا حكما وعلما فالقول السابق دل على ان الاصوب كان حكم سليمان عليه السلام وهذا
القول دل على انهما جميعا على الصواب وفيه دلالة على ان كل مجتهد مصيب وسخرنا مع داود الجبال يسبحن
حال بمعنى مسبحات او استيناف على تقدير سوال سايل قال كيف سخرهن فقال يسبحن اي يقدسن الله تعالى
ومع متعلقة به او بسخرنا وتمة الكلام يات في سورة سبا باذن الله تعالى والطير عطف على الجبال
اومفعول معه وانما قدم الجبال على الطير وجعلت مثلا في التسبيح لان تسبيحها ادل على القدرة وادخل

في الاعجاز ولخرق للعادة لانها جماد وقرئ بالرفع على الابتدا والخبر وكنا فاعلين قادرين على امثا
لمثله ليس ببدع منا وان كان عجيبا عندكم او فاعلين للانبيا عليهم السلام امثال ذلك وعلمناه صنعة لبوس
اللبوس اللباس والمراد الدرع قال قتادة فكانت صفايح فاول من حلقها وسردها داود عليه السلام
فجمعت الخفة والتحصين لكم متعلق بعلم او صفة للبوس ليحصنكم من باسكم بدل منه بدل الاشتمال
باعادة الجار والضمير لداود عليه السلام او للبوس وقرئ بالتا للصنعة او للبوس على تاويل الدرع
وبالنون لله تعالى فهل انتم شاكرون اصله فهل انتم تشكرون لاقتضا الاستفهام الفعل فعدل
عن الجملة الفعلية الى الاسمية ولم يقل فهل انتم تشكرون لئلا يشم منه رائحة التجدد ويفهم منه طلب
دوام الشكر مع التقريع ولسليمان الريح وسخرنا ها له وانما جي باللام فيه ومع في داود عليه السلام
على تعلقه بسخرنا لان نفع تسخير الريح وهي جريانها بامره مختص به بخلاف تسبيح الجبال بعد اشتراكهما
في تسبيح الجبال خرق العادة عاصفة وصفت الريح هنا بالعصف وهو شدة الهبوب وفي سورة ص
بالرخاوة لكونها في نفسها رخية طيبة كالنسيم وفي فعلها بكرسيه عليه السلام وابعادها به في مدة
يسيرة عاصفة تارة ورخاء اخرى على حسب ارادته تجري بامره بمشيته حال ثانية او بدل من
الاولى او حال من ضميرها الى الارض التي باركنا فيها اي حاملة لكرسيه اليها اي الى الشام
وكان منزله بها وتحمله الريح من نواحي الارض اليها وكنا بكل شي عالمين فنجريه على ما تقتضيه
الحكمة ومن الشياطين من يغوصون له في البحار فيستخرجون نفايسه ومن منصوب المحل
عطف على الريح او مرفوع بالابتدا ومن الشياطين خبره قدم عليه فساغ الابتدا بها وهي نكرة على انها
موصوفة ويعملون عملا دون ذلك ويتجاوزون ذلك الى اعمال اخر على ما فصل في سورة ص
وكنا لهم حافظين ان يزيغوا عن امره او يميلوا الى الفساد الذي هو مقتضى جبلتهم وايوب اذ نادى
نصب باضمار اذكر واذ بدل منه اني مسني اي باني وقرئ بالكسر على اضمار القول وتضمن
الندا معناه الضر بالفتح شايع في كل ضرر وبالضم مختص بما في النفس من مرض وهزال
وانت ارحم الراحمين وصف ربه بغاية الرحمة بعد ما وصف نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن
عرض المطلوب رعاية لحسن السؤال ولطفه وقضا لحق الادب وكان روميا من ولد عيص بن اسحق
عليه السلام استنباه الله تعالى وكثر اهله وماله فابتلاه الله تعالى بهلاك اولاده وذهاب امواله ومرض
في بدنه ثمانية عشرة سنة وقالت امراته لو دعوت الله تعالى فقال لها كم كانت مدة الرخا فقالت ثمانين
سنة فقال انا استحيي من الله تعالى ان ادعوه وبلغت مدة بلائي مدة رخائي فاستجبنا له فكشفنا
ما به من ضر عظيم بالشفا من مرضه واتيناه اهله ومثلهم معهم لما كشف الله تعالى عنه احيي له ابناءه
ومثلهم معهم رحمة على ايوب من عندنا وذكرى للعابدين وتذكرة لغيره من العابدين
ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب في الدنيا والاخرة او رحمنا للعابدين وانا نذكرهم بالاحسان ولا
ننساهم واذا اوقعنا الرحمة والذكر على العابدين ولم نخصص الرحمة بايوب دخل هو فيهم دخولا اوليا

وافادان الرحمة والذكر بالاحسان انما كان بسبب العبادة والصبر فكل عابد مرحوم مذكور بالاحسان
وكان من باب اقامة المظهر مقام المضمر فكان اكد وابلغ لاسباب الرحمة والبرهان واسمعيل وادريس
وذا الكفل هو الياس عليه السلام وقيل يوشع وقيل زكريا سمي بذلك لانه كان ذا الحظ من الله
او لكفالته وقيل كان له ضعف عمل انبيا زمانه وضعف ثوابهم والكفل يجي بمعنى النصيب والكفل والضعف
كل اي كل هولاء من الصابرين على مشاق التكاليف وشدايد النوايب وادخلناهم في رحمتنا قد
سبق تفسيره في قصة لوط عليه السلام في هذه السورة انهم من الصالحين وذا النون وصاحب الحوت هو يونس
عليه السلام اذ ذهب مغاضبا لقومه لكثرة ما قاسا في دعوتهم وشدة شامته لطول ما ذكرهم فلم يذكروا
فهاجر عنهم او اغضبهم بمهاجرته لخوفهم لحوق العذاب بهم عندها وكان عليه ان ينتظر الاذن فلم يصبر
وظن ان المهاجرة اولى لكونها للغضب لله والبغض للكفر واهله فابتلي ببطن الحوت وهو بنا المغالبة
لان المغالب ينفذ سعيه في الفعل او بمعنى مغضبا وقد قرئ به فظن ان لن نقدر عليه من القدر
وهو التضييق لا من القدرة ويعضده انه قرئ مثقلا ويجوز ان يكون نقدر مخففا من القدرة بمعنى
ان لن نعمل قدرتنا فيه فنادى في الظلمات اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت وقيل
ظلمات بطن الحوت والبحر والليل ان لا اله الا انت بانه لا اله الا انت او بمعنى اي سبحانك ان
يعجزك شي اني كنت من الظالمين لنفسي بالمبادرة الى المهاجرة فاستجبنا له ونجيناه من الغم
بان قذفه الحوت الى الساحل والغم غم الالتقام لم يقل فنجيناه كما قال في قصة ايوب عليه السلام فكشفنا
ما به من ضر لانه دعا الخلاص من الضر فالكشف المذكور يترتب على استجابته ويونس عليه السلام لم يدع الخلاص
فلم يوجد وجه الترتيب في استجابته وكذلك ننجي المومنين من غموم دعوا الله تعالى فيها بالاخلاص
وقرئ نجي مثقلا وفي الامام نجي فلذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم ومن شدد الجيم
فوجه صحته مشكل لا يكاد يتمشى وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وحيدا اي ارزقني
ولدا يرثني وانت خير الوارثين استسلام وتفويض بعد السؤال لانه اقتراح وجراءة
على الله تعالى اي الامر اليك فان لم ترزقني فلا باس فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا
له زوجه اي وجعلناها صالحة للولادة بعد عقرها وكان حقه ان يذكر قبل قوله ووهبنا
له يحيى لان ذلك الاصلاح مقدمة هذه الهبة الا انه قدم القول المذكور اهتماما لما هو المقصود
اصالة كما قدم قوله ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا للاهتمام لامر الرفع ولهذا اي التاخير
ما حقه التقديم والترتيب عطف على قوله ووهبنا بالواو دون الفا وقيل في تفسير الاصلاح
المذكور اي حسن خلقها وكانت سيئة الخلق وفيه انه لاح لا يوجد وجه العدول عن اداة الترتيب
انهم كانوا يسارعون في الخيرات المسارعة المبادرة وتعديتها بالى وانما عدل عنها الى في
للدلالة على انهم لا يفترون بتحصيل بعض الخيرات بل يظهرون الجد والرغبة الى تحصيل بعض
اخرمنها وهذه الدلالة بجعل الخيرات ما فيه المسارعة لا ما اليه ويدعوننا رغبا ورهبا

اي طمعًا وخوفا كقوله يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه وهما مصدران في موضع الحال او المفعول
له اي للرغبة فينا والرهبة منا وهو باشارة الي انهم يعلمون ان النفع والضر من الله تعالي تمهيد
لما دل عليه قوله وكانوا لنا خاشعين من ثباتهم واستمرارهم علي تخصيص الخشوع له تعالي
وقد سبق تفسير الخشوع والمعني انهم ما استحقوا الاجابة الي طلباتهم وما ربهم من تخصيصهم
الخشوع له تعالي وثباتهم علي ذلك ونالوا من الله تعالي ما نالوا الا بهذه الخصال والتي
واذكر التي يعني مريم وانما ذكرها بطريق الكناية لان تنويه الشان بالاسما الحق الرجال •
احصنت فرجها الاحصان احراز الشي عن الفساد والفا التفريعية في قوله فنفخنا قد
دلت علي ان المراد حفظها من الحرام فقط لان النكاح مستحب بل سنة قديمة فلا يصلح الاحراز
عنه منشا للفضيلة فيها اي فعلنا النفخ في مريم من روحنا من جهته والمراد من
الروح جبريل عليه السلام فانه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الي جوفها واضافته اليه تعالي
للتشريف وجعلناها وابنها اي حالهما وهي ولادته منا اياه من غير فحل وله لذ وحد
قوله اية والتقدير وجعلناها اية وابنها كذلك وبعضده قراة ايتين للعالمين فان
من تامل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالي ان هذه امتكم الامة الملة والاشارة الي ملة
التوحيد والاسلام اي ان هذه الملة ملتكم التي يجب ان تكونوا عليها امة ملة حال من
معني الاشارة في هذه اي يشار اليها امة واحدة غير مختلفة فيما بين الانبيا عليهم السلام
وقري امتكم بالنصب علي البدل من هذه وامة بالرفع علي الخبر وقري برفعهما علي انهما خبران
او قدر الثاني مبتدا علي هي امة وانا ربكم رب واحد لا اله غيري فاعبدون لا غيري
وتقطعوا امرهم بينهم كان الخطاب السابق عاما للناس كافة فالتفت الي الغيبة لينعي علي
الذين تفرقوا في الدين وكانوا شيعًا تقبيح فعلهم الي غيرهم تمثيلا لاختلافهم فيه وصيرورتهم
فرقا واحزابا شتي اي جعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعًا كما يتوزع الجماعة الشي ويقسمونه
قطعة قطعة كل ثم توعدهم بان كل واحد من تلك الفرق الينا خاصة لا الي غيرنا
راجعون فنجازيهم ومن يعمل من الصالحات وهو مومن بالله ورسوله فلا كفران
لسعيه استعير الكفران لمنع الثواب والحرمان كما استعير الشكر لاعطايه وقيل ان الله شكور
ونفي نفي الجنس للمبالغة فانه ابلغ من ان يقال فلا يكفر سعيه ثم بولغ واكد في عدم تضييع سعيه
بان وتقديم الجار والمجرور فقيل وانا له كاتبون اي لذلك السعي في صحيفة عمله مثبتون
له فلا يضيع بوجه ما وحرام وقري وحرم وهما لغتان كحلال وحل علي قرية اي ممتنع
علي اهل قرية اهلكناها اردنا اهلاكها باستيصال اهلها انهم لا يرجعون رجوعهم
الي التوبة او الحيوة ولا صلة او عدم رجوعهم للجزا وان مع اسمها وخبرها مبتدا خبره حرام
وقري انهم بالكسر علي ان الكلام تم قبله والمبتدا محذوف دلت عليه الاية المتقدمة اي وحرام

على قرية

علي قرية اهلكناها ذلك اي العمل الصالح والايمان والسعي المشكور غير المكفور ثم استونف علي سبيل
التعليل فقيل انهم لا يرجعون عن الكفر وعلي قراة الفتح ايضا لا يبعد هذا الوجه اي لانهم لا يرجعون
حتي هي التي يحكي بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزا اعني اذا وما في خبرها
فتحت ياجوج وماجوج المفتوح حقيقة هو السد المنسوب اليهما وانما اسند اليهما علي التجوز لعلاقة
ظاهرة ونكتة لا يخفي لطف موقعها وحتي متعلقة بحرام او بمحذوف دل عليه الكلام او بلا يرجعون
اي يستمر الامتناع او الهلاك او عدم الرجوع الي قيام الساعة وفتح السد من اماراتها كني به عنه
وهم يعني ياجوج وماجوج من كل حدب مرتفع من الارض ولفظة كل للمبالغة في الكثرة
او المراد الناس كلهم ويعضده قراة ابن عباس رضي الله عنه جدث بالجيم والثا وهو القبر •
ينسلون يسرعون واقترب الوعد الحق اي القيمة فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا
جواب الشرط واذا للمفاجاة سد مسد الفا الجزائية كقوله اذا هم يقنطون فاذا جا الفا معها تظاهرا
علي وصل الجزا بالشرط فتاكد ونوهم الجمع بين البدل والمبدل ساقط لان اذا باقية علي حالها
لم تتمحض بدلا حتي يلزم الامتناع ويجوز ان يكون الضمير بعدها ضمير القصة وابصار الذين
كفروا مبتدا شاخصة خبره وان يكون ضميرا مبهما يفسره ابصار الذين كفروا ياويلنا مقدر
بالقول واقع موقع الحال من الموصول قد كنا في غفلة من هذا اليوم بل كنا ظالمين انفسنا
بعدم الاعتبار بالنذار اضراب عن الاخبار عن استقرارهم في الغفلة وابطال له بالاعتراف بما هو
انكم وما تعبدون من دون الله اراد الاوثان اذ الخطاب لقريش لا للشيطان واعوانه لما سيا[تي]
ان ما تعبدون لا يتناول ذوي العقول ولا دلالة علي ذلك فيما روي انه عليه السلام لما تلا هذه
الاية علي المشركين قال له ابن الزبعري خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود قد عبدوا عزيرا والنصارى
المسيح وبنو مليح الملكة فقال عليه الصلاة والسلام بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك
فانزل الله تعالي ان الذين سبقت لهم منا الحسني ايضا وليس فيه تخصيص تاخر عن الخطاب لان
ما لمن لا يعقل فلا يتناولهم دل علي ذلك ما روي ان النبي صلي الله عليه وسلم قال له ما اجهلك بلغة
قومك اما علمت ان ما لما لا يعقل فعلي هذا يكون قوله تعالي ان الذين سبقت لهم الاية لدفع احتمال
المجاز والتغليب لا لتخصيص العام كما سبق الي بعض الاوهام حصب جهنم ما يرمي به فعل بمعني
مفعول اي يحصب بهم في النار وقري بسكون الصاد وصفا بالمصدر انتم لها واردون استيناف
او بدل من حصب جهنم واللام معوضة من علي للاختصاص والدلالة علي ان ورودهم لاجلها
لو كان هؤلاء الهة ما وردوها لان الورود في النار وان لم يلزمه العذاب علي ما دل عليه قوله
وان منكم الا واردها ليس من شان المعبود المختار وكل اي العابد والمعبود فيها خالدون
انما قرنوا بالهتهم لزيادة تعذيبهم فان ما اصابهم انما اصابهم بسببهم فاذا قرنوا بهم ازداد غمهم وحسرتهم
للقا المودي ولانهم قدروا انتفاعهم في الاخرة بهم واذا وجدوا الامر علي عكس ما قدروا لم يكن شي ابغض

هرب

ري

اليهم منهم ومن هنا انفتح وجه خلودها في النار لهم فيها زفير انين وتنفس شديد وفيه تجوز
من جهة نسبة فعل البعض الي الكل وتغليب من جهة اطلاقهم على مجموع العقلا وغيرهم ولا تاثير
للتغليب في الاول وهم فيها لا يسمعون من الهول وشدة العذاب وذلك بعد حين لما ورد في
بعض الايات من مكالمتهم مع خزنة النار ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الخصلة الحسنى وهي
السعادة القصوى والبشرى بالثواب والتوفيق للطاعة اولئك عنها مبعدون بدخول الجنة
سبقت العناية في البداية فظهرت الولاية في النهاية وفي عبارة مبعدون اشارة الى انهم يردونها
ويقربون منها اولا ولما كان ذلك مظنة ان يتاذوا واعدوا ردهم اياها وقربهم منها دفعه
بقوله لا يسمعون حسيسها صوتها الذي يحس وحركة تلهبها حال من ضمير مبعدون يعني انهم
في حال سلامتهم عنها وعن اثارها المؤذية يردونها ويبعدون عنها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون
الشهوة طلب النفس اللذة اي دايمون في الاستغراق في مشتهياتهم وتقديم الظرف للاختصاص و
محافظة الفاصلة لا يحزنهم الفزع الاكبر اي النفخة الاخيرة لقوله تعالى ويوم ينفخ في الصور
ففزع من في السموات ومن في الارض وتتلقاهم الملئكة اي تستقبلهم مهنئين هذا يومكم
يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول الذي كنتم توعدون توعدونه في الدنيا والعامل في يوم
نطوي السما تتلقاهم او الفزع او لا يحزنهم والطي ضد النشر والمحو من قولك اطو عني هذا الحديث
كطي السجل للكتاب طيا كطي الطومار لاجل الكتابة او لما يكتب او كتب فيه ويؤيده القراءة على الجمع
اي للمعاني الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل ملك يطوي كتب الاعمال اذا رفعت اليه وفيه ان حق التشبيه
ان يكون بالمعهود المعروف وهو ذلك الملك لم يعرف الا من هذا الكلام وقيل كاتب كان لرسول الله
وفيه انه لطيه خصوصية زايدة وتخصيص التشبيه به يقتضي ذلك وقرئ السجل كالدلو والسجل
كالعتل وهما لغتان كما بدانا اول خلق نعيده اول خلق مفعول بدانا ومحل الكاف النصب
على المصدر وما كافة مصدرية اي مثل بدءنا اول خلق نعيده او مفعول بفعل مضمر يفسره
نعيده اي نعيد اول خلق كما بداناه ويجوز ان يكون الكاف منصوبة بفعل مضمر يفسره نعيده
وما موصولة واول خلق نصب على الظرف ببدانا او نصب على الحال من ضمير الموصول المحذوف
المقدر في بدانا اي نعيد مثل الذي بداناه نعيده في اول خلقنا اياه او حال كونه اول الخلق شبهت
الاعادة بالابدا في تعلق القدرة بهما على السوا والمراد اثبات صحة الاعادة بالقياس على الابدا
لشمول الامكان الذاتي المصحح للمقدورية لهما اي كما ان الاول ايجاده عن عدم فنعيده ثانيا عن
عدم وانما وحد خلق ونكر ليفيد تفصيلهم واحدا واحدا والمعنى اول الخلائق كما تقول اول رجل
جاني بمعنى اول الرجال جاني وانما نكرت ووحدت ليفيد تفصيلهم رجلا رجلا وعدا مصدر موكد
لان قوله نعيده عدة للاعادة علينا اي علينا انجازه انا كنا فاعلين عازمين في الازل
على ان نفعل ذلك لا محالة او قادرين على ان نفعل ذلك ولقد كتبنا في الزبور في كتاب داود

عليه السلام من بعد الذكر اي التورية ان الارض الارض الجنة او الارض المقدسة
يرثها عبادي الصالحون عامة المؤمنين وامة محمد صلى الله عليه وسلم ان في هذا اي فيما
ذكر من الاخبار والمواعظ والمواعد لبلاغا لكفاية او لسبب بلوغ الى البغية لقوم عابدين
العبادة دون العادة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين لانه جا بما يسعدهم في الدارين
ويصلحهم ومعادهم ومعاشهم وازدياد كفر بعضهم بسببه انما هو من عند انفسهم وعنادهم لا منه
وقيل كونه رحمة للكفار امنهم به من المسخ والخسف وعذاب الاستيصال وتاخير عقوبتهم قل
انما يوحى الي ما في انما كافة ويجوز ان تكون موصولة بمعنى ان الذي انما الهكم اله واحد لان
المقصود الاصلي من بعثته مقصور على التوحيد فهل انتم مسلمون مخلصون العبادة لله تعالى
مقتضى الوحي المصدق بالحجة والتوحيد مما يصح اثباته بالسمع فان تولوا واعرضوا عن التوحيد
فقل اذنتكم اذن من الاذن اذا علم لكنه شاع استعماله في الانذار اي اعلمتكم ما امرت به او حربي لكم
على سواء نصب على الحال من المخاطبين اي مستوين في الاعلام به او مستوين انا وانتم في العلم بما
اعلمتكم او في المعاداة او صفة مصدر محذوف اي ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم واني على سوا اي عدل
واستقامة راي بالبرهان النير وان ادري وما ادري اقريب ام بعيد ما توعدون ما توعدون
من غلبة المسلمين او من المحشر لكنه كاين لا محالة انه يعلم الجهر من القول اي ما يجهرون به
من الطعن في الاسلام ويعلم ما تكتمون وما تكتمونه من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم
عليه وان ادري لعله فتنة لكم وما ادري لعل تاخير هذا الموعد افتتان لكم وامتحان لينظر
كيف تعملون ومتاع وتمتيع واستدراج الى حين لتكون ذلك حجة عليكم وليقع الموعد به
في وقت قدره فيه بمقتضى حكمته قل رب احكم اقض بيننا وبين اهل مكة بالحق بالعذاب
باستعجال العذاب فعذبوا ببدر وكان مقتضى العدل ذلك وربنا الرحمن كثير الرحمة على خلقه
المستعان المطلوب منه المعونة على ما تصفون ما تصفونه من الحال بان الشوكة تكون لهم
وان راية الاسلام تخفق اياما ثم تسكن فخيب الله تعالى امالهم وكذب ظنونهم ونصر رسوله صلى
الله عليه وسلم والمؤمنين عليهم

سورة الحج مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس اتقوا ربكم امر بني ادم بالتقوى ثم علل امرهم به بفظاعة الساعة حيث قال ان زلزلة
الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا انه لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التورع والتردي
برداء التقوى ويبقوا على انفسهم ويتقوها عن الردى بملازمة التقوى والزلزلة شدة التحريك والازعاج
وان يضاعف زليل الاشيا عن مقارها ومراكزها واضافتها الى الساعة اضافة المصدر الى الفاعل
على التجوز في الاسناد كانها هي التي تزلزل الاشيا او الى الظرف على اجرايه مجرى المفعول به او بتقدير
في كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهذه الزلزلة هي المذكورة في قوله اذا زلزلت الارض زلزالها وعن
الحسن انها تكون يوم القيمة وعن علقمة والشعبي عند طلوع الشمس من مغربها واضافتها الى الساعة

عاج

لانها من اشراطها شيء عظيم لما وصفها بالعظم وابهمها تعظيما بانها شيء لا يكتنه كنه عظمته
اخذ في تصوير هولها بصورة منكرة فليس المراد من قوله يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت
وتضع كل ذات حمل حملها ذهول المرضعة ووضع الجنين بل شدة الهول هذا على قول الاول
والضمير للزلزلة ويوم منتصب بتذهل وقرئ تذهل معروفا ومجهولا اي تذهلها الزلزلة
من الذهول وهو الذهل عن الامر بحيرة ودهشة لا من الذهول لانه بمعنى السلو قال الشاعر •
صحا قلبه يا عز او كاد يذهل • وما مصدرية او موصولة والمرضعة هي التي تكون في حال الارضاع
ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شانها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع واما المعنى على القول
الثاني وعليه الجمهور ان هولها بحيث اذا فوجئت به التي القمت الرضيع ثديها نزعته من فيه
وذهلت عنه دهشة ولقد احسن من قال تذهل المرضعة عن ولدها بغير فطام • وتضع الحامل
ما في بطنها لغير تمام • وترى وتظن الناس سكارى حقيقة لا على التشبيه وما هم بسكارى
في الواقع ولكن عذاب الله شديد اذهل عقولهم لشدته وطير تمييزهم بهوله فجعلهم بحيث لا يفرق
بينهم وبين من يذهب السكر بعقله تمييزه وانما جمع فاعل الرؤية اولا وافرد ثانيا لان الاولى علقت
بالزلزلة فالزلزلة يراها الناس كلهم والثانية علقت بكون الناس على حال السكر فلا بد ان يجعل كل
احد رائيا لاثر السكر على صاحبه وقرئ ترى بالضم ونصب الناس من رايتك قائما والرفع على اسناد
ترى اليهم على تاويل الجماعة وسكارى حال وقرئ سكرى كعطشى اجراء للسكر مجرى العلل ومن الناس
لا يخفى ما في هذا التعبير من التحقير بشانه حيث نزله بمنزلة من احتاج الى الاخبار عنه بانه من جنس
الانس من يجادل يخاصم خصومة شديدة في الله بغير علم نزلت في النضر بن الحارث وكان
جدلا يقول الملائكة بنات الله والقران اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت وهي عامة في كل مجادل
لا يرجع الى العلم ويتبع كل شيطان مريد في جداله وسيرته والمريد المتجرد للفساد كتب عليه
على الشيطان انه الضمير للشان من تولاه اي جعله وليا له وتبعه وقرئ انه بالكسر على حكاية
المكتوب او اضمار القول وتضمين الكتب معناه فانه يضله خبر لمن او جواب له ويهديه الى
عذاب السعير ولا يحصل من ولايته الا الضلال عن طريق الحق والجنة والهداية الى عذاب النار
باغوائه الى ما يؤدي اليه وحمله عليه اي يلزمه ذلك كانه كتب عليه اضلال من يتولاه لانه مجبول عليه
وقرئ فانه بالفتح على انه مبتدا محذوف الخبر اي فحق ان يضله او خبر مبتدا محذوف اي فشانه
ان يضله ولا وجه للعطف لان يجعل الضمير للمجادل ومن تولاه خبران وجاز على هذا ان يكون الضمير
في عليه له ايضا يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث من امكانه وكونه مقدورا وقرئ
من البعث بالتحريك كالحلب والطرد وتنوين ريب للتحقير والتعليل ولذا لمجيء بكلمة الشك اي ان تقع
دليله فان بقي فيكم ادنى ريب فالنظر في بدء خلقكم مزيله فانا خلقناكم من تراب بخلق ادم عليه
الصلوة والسلام منه او من الاغذية المتكون منه ثم من نطفة وهي الماء القليل من النطف

وهو

وهو الصب والمراد المني ثم من علقة قطعة من الدم الجامد ثم من مضغة وهي اللحمة
الصغيرة قدر ما يمضغ مخلقة يقال خلق العود اذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء اذا كانت
ملساء وغير مخلقة كان الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة في التسوية والتعديل فيتبع ذلك تفاوت
الناس في الصورة والقامة والشكل والتمام والنقص اي مسواة وغير مسواة او مصورة وغير مصورة
او تامة وناقصة لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان من قدر على تغييره وتصويره اولا
قدر على ذلك ثانيا بل هذا اهون عند العقل وادخل في المقدورية واطلاق التبيين غير متعد الى
مفعول ايماء الى ان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وحكمته ما لا يدخل تحت الذكر ولا يحيط به الوصف
ونقر نثبت في الارحام ما نشاء ثبوته الى اجل مسمى وهو وقت الوضع وعلم منه حال قرينه المقابل
له بطريق المفهوم ثم نخرجكم منها طفلا حال وحدت لارادة الجنس او لانه مصدر في الاصل
او على تاويل كل واحد وقرئ نقر بالنصب وكذا نخرجكم عطفا على نبين والمعنى انا خلقناكم مدرجين
بين امرين احدهما التبيين والثاني الاقرار في الارحام حتى تولدوا وتنشئوا وتبلغوا حد التكليف فتكلفوا
والغرض في الحقيقة هو الاخير اعني بلوغ الاشد والصلوح للتكليف لكن لما كان الاقرار وما تلاه من
مقدماته صح ادخاله في التعليل وقرئ بالياء رفعا ونصبا ونقر بالضم من قررت الماء اذا صببته
ثم لتبلغوا اشدكم الاشد كمال القوة والعقل والتمييز وهو من الفاظ الجموع التي لم يستعمل
لها واحد وكانها شدة في غير شيء واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع ومنكم من يتوفى عند بلوغ
الاشد او قبله او بعده قبل الهرم وقرئ يتوفى اي يتوفاه الله تعالى ومنكم من يرد الى ارذل العمر
الهرم والخرف لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ليعود كهيئته الاولى في اوان طفوليته سخيف العقل
قليل الفهم والاستغراق المستفاد في ذكر شيئا في سياق النفي للمبالغة في نسيانه ما علمه وانكاره لما عرفه
وترى الارض هامدة ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت
تحركت بالنبات وربت وانتفخت وقرئ ربات اي ارتفعت وانبتت من كل زوج من كل صنف
بهيج البهيج الحسن السار للناظر اليه وهذه دلالة ثانية على البعث كررها الله تعالى لظهورها
وكونها مشاهدة ذلك اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان في اطوار مختلفة وتحويله على احوال
متضادة واحياء الارض بعد موتها وهو مبتدا خبره بان الله هو الحق اي حاصل بسبب ان الله
هو الحق الثابت الوجود في نفسه الذي يتحقق به الاشياء وانه يحيي الموتى وانه يقدر على احياء
والا لما احيى النطفة والارض الميتة وانه على كل شيء قدير لان قدرته لذاته ونسبتها الى الكل
سواء فلما دلت المشاهدة على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على الكل وان الساعة اتية لا ريب
فيها لا ينبغي ان يرتاب فيها لان التغير من مقدمات الانصرام وطلايعه وان الله يبعث
من في القبور اي انه تعالى حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد بالساعة والبعث فلا بد ان يفي
بما وعد ولما كان المراد احياء موتى الانسان عبر عنها بما هو من خصائصهم فمعنى من في القبور

من مات من جنس الانس مطلقا بطريق الكناية ومن الناس من يجادل في الله في صفاته
فيصفه بغير ما هو له نزلت في ابي جهل بغير علم ضروري ولا هدى كسبي فانه غالبا يكون
بتعليم الغير وارشاده ولا كتاب منير اي وحي اي يجادل بتخمين وتقليد لا باحد هذه الثلثة
ثاني عطفه ثني العطف كناية عن الكبر والخيلا بالتبختر او عن الاعراض عن الحق استخفافا
وقرئ بفتح اليا على ان اعراضه عن الهدى المتمكن منه بالاقبال على الجدال الباطل خروج من الهدى
الى الضلالة وانه من حيث هو مراده كالغرض له في الدنيا خزي هو ما اصابه يوم بدر
ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق عذاب النار المحرقة ذلك بما قدمت يداك اشارة
الى الخزي والعذاب وغير النظم بالالتفات الى الخطاب واشير الى بلفظ البعد للتنبيه وتعظيم
الموعد وتهويله والايما الى تفاقم الخطب والى انه سبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي وان الله
ليس بظلام للعبيد عطف على بما اي وبان الله يعني ان العدل هو الذي اقتضى ذلك لا الظلم
ولفظ المبالغة لان قليل الظلم منه مع علمه بقبحه واستغنايه كالكثير منا وللايما الى ان من في
غاية الكمال شانه ان يكون وصفه كذلك ومن الناس من يعبد الله على حرف على طرف من
الدين لا في وسطه فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه كالذي
يكون على طرف الجيش فان احس بالظفر قر والا فر روي انها نزلت في اعاريب قدموا المدينة
وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امراته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته
قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمان وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا
وانقلب وذكر الفتنة في مقابلة الخير للتنبيه على ان الشر لا يصدر عنه تعالى قصدا انما المقصود
خسر الدنيا بذهاب عصمته والاخرة بحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب على الحال
وبالرفع على الفاعلية او على انه خبر مبتدا محذوف وعلى الاول يكون من باب وضع الظاهر
موضع الضمير تنصيصا عليه بالخسران ذلك هو الخسران المبين الظاهر الذي لا يخفى
على احد يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه اي لا يقدر على شي اصلا فان النفع
والضر في التعبير بهما من مجموع الاجسام واعادة كلمة ما للدلالة على استقلال كل من الوصفين
المذكورين في اخراج موصوفه الى معرض الذم ذلك هو الضلال البعيد عن المقصود مستعار
من ضلال من ابعد في التيه فطالت وبعدت مسافة ضلاله يدعو لمن ضره بكونه معبودا
لا يجاب به القتل في الدنيا والعذاب في الاخرة اقرب من نفعه الذي يتوقع بعبادته وهو
الشفاعة والتوسل بها الى الله تعالى وانما قال اقرب ولا اقرب للنفع تهكما واستهزاء بهم واللام
متعلقة بيدعو من حيث انه بمعنى يزعم وزعم قول مع اعتقاد وقيل انها داخلة على الجملة الواقعة
مقولة اجراها مجرى يقول اي يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره به وياباه
ما في عبارة اقرب من معنى التفضيل ويجوز ان تكون مستانفة على ان يدعو تكرير للاول ومن

مبتدا

مبتدا خبره لبئس المولى الناصر ولبئس العشير الحافظ ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من اثابة المومن الصالح وعقاب
الكافر الطالح لا دافع له ولا مانع من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة كلام فيه
اختصار ومعناه ان الله تعالى ناصر رسوله في الدنيا والاخرة فمن كان يظن من حاسديه واعاديه
ان لا يفعل ذلك ويغيظه ما يفعل الله فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فليستفرغ وسعه
في ازالة غيظه الى السماء بيته كما يفعل من بلغ به الغيظ كل مبلغ ثم ليختنق سمي الاختناق قطعا
لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع او فليمدد حبلا الى السما المظلة ويصعد
عليه ثم ليقطع الوحي ان ينزل عليه فلينظر فليتصور في نفسه هل يذهبن كيده هل يذهب
نصر الله الذي يغيظه ان فعل ذلك وسمي فعله كيدا لانه وضعه موضع الكيد حتى اجتهد فلم يقدر
الا عليه او على سبيل الاستهزا لانه لم يكن محسوده انما كاد به نفسه ما يغيظ غيظه او الذي
يغيظه من نصر الله وكذلك مثل ذلك الانزال والاشارة الى مصدر الفعل المذكور بعد
لا انزال اخر يقصد تشبيهه هذا الانزال به فالكاف مقحم اقحاما لا يكادون يتركونه في لغة العرب
وغيرهم انزلناه انزلنا القران كله ايات بينات واضحات والله يهدي ولان
الله يهدي به او يثبت على الهدى من يريد هدايته او ثباته انزله لذلك مبينا ان الذين
امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا يعني عبدة الاوثان
قيل الاديان خمسة اربعة للشيطان وواحد للرحمن والصابئون نوع من النصارى فلا تكون
ستة ان الله يفصل بينهم يوم القيمة في الاحوال والاماكن فلا يجازيهم جزا واحدا ولا يجمعهم
في موطن واحد وبالحكومة بينهم واظهار المحق منهم من المبطل وانما دخلت على كل واحد من طرفي
الجملة لمزيد التاكيد ان الله على كل شي شهيد عالم به مراقب لاحواله فليتيقظ كل امرء معتقده
وقوله وفعله وهو ابلغ وعيد الم تر الم تعلم اعلاما يقوم مقام العيان ان الله يسجد له من في
السموات ومن في الارض استعير السجود للانقياد والمطاوعة لما يريد الله تعالى منها من لا فعال
لانه هيئة من هيئات المكلف ادل منها على الذلة والتسخير ومن بهم اولي العقل وغيرهم للتغليب فيكون
قوله والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب افرادها بالذكر لشهرتها واستبعاد
ذلك منها في العادة وكثير من الناس تخصيص بعد التعميم للايما الى ان من الناس من لا ينقاد
لحكمه ولا يتسخر لامره ولا يلزم عطفه على ساير الساجدين المحذور عنه الجمهور لما فيه من استعمال
اللفظ الواحد مجازا وحقيقة في حالة واحدة اذ يجوز ان يجعل فاعل فعل مضمر دل عليه يسجد
اي ويسجد له كثير من الناس السجود الحقيقي ويجوز ان يكون مبتدا محذوف الخبر مدلولا عليه
بخبر قسيمه اي في حق له الثواب والخبر مذكور على ما سياتي وكثير حق عليه العذاب بكفره
وابائه عن الطاعة ويجوز ان يكون كثير الثاني تكريرا للاول مبالغة في تكثير المحقوقين بان يعطف

له الساجدين بالمعني العام موصوفا بما بعده وقري حق بالفتح وحقا اي حق عليهم العذاب حقا ومن
يهن الله بان حكم عليه بالشقاوة فما له من مكرم يجعله سعيدا وقري بالفتح بمعني الاكرام
ان الله يفعل ما يشا من الاهانة هذان خصمان اي فريقان مختصمان ولذلك قال
اختصموا حملا علي المعني ولو عكس وقال هولا خصمان اختصما جاز والمراد بهما المومنون والكافرون
في ربهم في دينه او في ذاته وصفاته روي ان اهل الكتاب والمومنين تخاصموا فقال اهل الكتاب
نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبيا قبل نبيكم ثم كفرتم به حسدا فنزلت فالذين كفروا فصل
لخصومتهم وهو المراد بقوله تعالي ان الله يفصل بينهم يوم القيمة قطعت لهم ثياب من نار
نيران تحيط بهم احاطة الثياب واختير لفظ الماضي لانه كاين لا محالة يصب خبر ثان وحال
من الضمير في لهم من فوق روسهم الحميم الماء الحار يصهر به حال من الحميم او من الضمير
في هم والصهر الاذابة وقري بالتشديد للتكثير ما في بطونهم من الشحوم والجلود اي
اللحوم اي يوثر لفرط حرارته في باطنهم تاثيره في ظاهرهم فيذاب به ما في باطنهم وظاهرهم
ولهم مقامع من حديد سياط منه جمع مقمعة وحقيقتها ما يقمع به اي يكف بعنف
كلما ارادوا ان يخرجوا منها من النار من غم بدل اشتمال من منها باعادة الجار او الاولي
لابتدا الغاية والثانية بمعني من اجل يعني كلما ارادوا الخروج من النار من اجل غم يلحقهم وارادة
الخروج كناية عن القرب منه كقوله يريد ان ينقض اعيدوا فيها بالمقامع والمراد اعادتهم
الي معظم النار لا انهم يخرجون منها ثم يعودون اليها لقوله تعالي وما هم بخارجين منها ولعوق
فيها دون اليها وذوقوا اي وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق النار البالغة في
الاحراق ثم ذكر جزاء الخصم الاخر بقوله ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات
تجري من تحتها الانهار تغيير النظم في التفصيل بترك العطف واستيناف الكلام وادخال
حرف التاكيد واسناد الادخال الي الله تعالي تعظيم لشان المومنين واجمال الحال لهم يحلون فيها
من حليت المراة اذا البستها الحلي فهي حالية شدد للنقل وقري مخففا مبنيا للفاعل من اساور
صفة مفعول محذوف والاساور جمع اسورة وهي جمع سوار من ذهب بيان له ولولو
عطف علي اساور او ذهب علي انها مرصعة وقري منصوبا علي اضمار فعل اي ويلبسون لولوا
او عطفا علي محل الجار والمجرور ولباسهم فيها حرير تغيير الاسلوب فيه للدلالة علي
ان الحرير لباسهم المعتاد مع رعاية الفاصلة وهدوا الي الطيب من القول انهم الفاعل
ولم يقل هدا انهم الله ايضا لحق التنظيم وابهم القول وجي بالطيب ثم تبين تفخيما لشانه وايماء الي انه
هو الملقب بالطيب دون غيره وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده او كلمة التوحيد
وهدوا الي صراط الحميد كرر هدوا تنبيها علي ان كل واحد منهما امر مرضي بالاصالة تام معتد
به في الهداية اليه واختير اسم الحميد من اسماء الله تعالي للاشارة الي خصوصية القول الي الطيب

اي الى

اي الي طريق المستحق لذاته الحمد وهو الله تعالي تكريما للجنة بنسبتها اليه وان طريقها
طريقه ان الذين كفروا خبر ان محذوف دل عليه جواب الشرط اي ان الذين كفروا اذيقهم
من عذاب اليم ويصدون عن سبيل الله عطف علي كفروا لقوله تعالي في موضع اخر
ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل اي يواظبون علي الصدود وهو الصرف عن الخير خاصة
وليس المراد الحال والاستقبال بل استمرار وجود الصد منهم في جميع الازمان كقولهم
فلان يحسن للفقرا ويكرم الضيفان ولذلك حسن عطفه علي الماضي والمسجد الحرام
عطف علي سبيل الله الذي جعلناه للناس مطلقا من غير فرق بين حاضر وباد فان
اريد بالمسجد الحرام مكة ففيه دليل علي انه لا يجوز بيع ارض مكة ولا اجارتها ولا يعارضها
قوله تعالي الذين اخرجوا من ديارهم لان الاضافة باعتبار انهم يملكون البنا ولا شرا عمر
رضي الله عنه دار السجن فيها لانه اشتري البنا دون الارض وان اريد به البيت فالمعني انه
قبلة لجميع الناس والاول هو الظاهر لقوله سواء العاكف فيه المقيم بمكة والبادي
اي الساكن في البدو اي ليس لاحد ان يمنع احدا عنه قيل كانت بيوت مكة لا يتخذ لها ابواب
السرقة فيهم فقال عمر رضي الله عنه لرجل منهم وهو اول من اتخذ بابا اتخذت بابا لتحتجب به
فقال لا ولكن احرزت المتاع عن السرقة فقال له انه لا يحل لاهل مكة ان ياخذوا اجور بيوتهم
وفي جواز بيع ارض مكة عن ابي حنيفة روايتان قال في الجامع الصغير لا يجوز وروي ابن
زياد عنه انه يجوز للناس مفعول ثان لجعلناه وسوا خبر مقدم والعاكف مبتدا والجملة حال
ومفعول ثان وللناس حال وقري سواء بالنصب علي انه مفعول ثان وحال والعاكف مرفوع
به علي الفاعلية اي مستويا العاكف فيه والبادي وقري العاكف بالجر وقري بالفتح من
الورود علي انه بدل من الناس ومن يرد فيه ترك مفعوله ليتناول كل متناول
وقري بالفتح من الورود بالحاد الالحاد العدول عن القصد واصله الحاد الحافر
بظلم بغير حق وهما حالان مترادفان او الثاني بدل من الاول باعادة الجار او صلة له
او ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الاثام وعلي قراءة فتح اليا في يرد تكون البا في
بالحاد للتعدية اي ومن يرد فيه بالحاد ظالما نذقه من عذاب اليم جواب لمن واذ
بوانا لابراهيم مكان البيت اي واذكر اذ جعلنا لابراهيم مكان البيت اي مرجعا
يرجع اليه للعبادة ولما كان المقصود من تبوية العبادة فسرت بالنهي عن الشرك والامر
بتطهير البيت فان قوله ان لا تشرك بي شيا وطهر بيتي للطايفين والقايمين والركع
السجود مفسرة كانه قيل تعبدنا ابراهيم قلنا له لا تشرك بي شيا وطهر بيتي عن الاوثان
والاقذار ان تطرح حوله للمصلين والطايفين وانما عبر عن الصلوة باركانها للدلالة علي
ان كل واحد منها مستقل باقتضا ذلك كيف وقد اجتمعت وفصل بين الاول والاخيرين بالواو

ع

وجمع بين الاخيرين بخبر واو لان القيام تعظيم لله تعالى والركوع والسجود تذلل له فاتحد
هذان وغايرتا الاول وقيل هي مصدرية موصولة بالنهي ان فعلنا ذلك لئلا تشرك
بعبادتي وتطهر بيتي واذن في الناس ناد فيهم وقرئ اذن من الايذان بالحج بدعوة
والامر به والحج القصد البليغ اي مقصد منيع روي انه عليه الصلوة والسلام صعد جبل
ابي قبيس وقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فاجاب من قدر له ان يحج من الاصلاب والار حام
بلبيك لبيك وعن الحسن انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان يفعل في حجة الوداع
والاول اظهر وجواب الامر يأتوك رجالا جمع راجل كقائم وقيام وعلى كل ضامر
معطوف على حال كانه قال رجالا او ركبانا والضامر البعير المهزول والاطناب المعنوي وزيادة
لفظ كل للمبالغة في تعميم الامر لكل من يقدر على المركب ولو ضعيفا وقدم الرجال على الركبان
اظهار الفضيلة المشاة كما ورد في الحديث يأتين صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع وقرئ
يأتون صفة للرجال والركبان او استيناف فيكون الضمير للناس من كل فج اي طريق
واسع عميق بعيد وانما عبر عن البعد بالعمق لمناسبة الغرض المعتبر في مفهوم الفج وقرئ
معيق والمعنى واحد ليشهدوا ليحضروا متعلق باذن او بيأتوك منافع لهم
دينية ودنيوية وتنكيرها لان المراد نوع منها مختص بهذه العبادة ويذكروا اسم الله
عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين لا ينفك عنه
تنبيها على انه المقصود مما يتقرب به المتقربون الى الله تعالى في ايام معلومات هي عشر
ذي الحجة وايام النحر على ما رزقهم من بهيمة الانعام علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة
تحسينا للكلام بنوع من البلاغة لم توجد في غير هذه العبارة وتبيينا للكناية بالقرينة وتعظيم
المرزوق بالابهام والتوضيح للتحريض على التقرب بها وقد سبق في المائدة ما يتعلق بتفسير
بهيمة الانعام فكلوا منها امر اباحة وازاحة لما عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او ندبا
لما فيه من مواساة الفقراء ومساواتهم واستعمال التواضع وهذا في هدي التطوع والمتعة
والقران لانها دم نسك فاشبه الاضحية دون بقية الهدايا واطعموا البائس الذي
اصابه بؤس اي شدة الفقير المحتاج والامر فيه للوجوب وقد قيل به في الاول ثم ليقضوا
تفثهم ثم ليزيلوا وسخهم اذ رأيتهم كذا قاله نفطويه والمراد قضاء ازالته وقيل قضاء التفث قص
الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد وذلك عند الاحلال ولذلك صدر بكلمة الترا خي
وليوفوا نذورهم مواجب حجهم والعرب تقول لكل من خرج عما وجب عليه وفى بنذره وان
لم ينذر او وما ينذرونه في اعمال البر في حجهم وليطوفوا طواف الزيارة الذي هو ركن
الحج ويقع به تمام التحلل وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق القديم لانه اول بيت وضع
للناس او الكريم ومنه عتاق الخيل لكرائمها وعتاق الرقيق لخروجه من ذل العبودية الى كرم

الحرية

الحرية المعتوق من الغرق لانه رفع زمن الطوفان او من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار
اليه ليهدمه فمنعه الله تعالى واما الحجاج فانه اراد اخراج ابن الزبير رضي الله عنه الذي
تحصن به منه دون التسليط عليه ذلك خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلك وهو وامثا له
للفصل بين كلامين ومن يعظم حرمات الله الحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله
تعالى بهذه الصفة فيجوز ان يكون عاما في جميع احكامه وان يكون خاصا فيما يتعلق بالحج
وقيل حرمات الله البيت الحرام والمشعر الحرام والمسجد الحرام والشهر الحرام فهو اي التعظيم
خير له والتعظيم القيام بمراعاتها مع اعتقاد انها واجبة المراعاة عند ربه يعني في
الاخرة واحلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى الا المتلو عليكم تحريمه وهو ما حرم
منها العارض كالميتة وما اهل به لغير الله فلا تحرموا منها غير ما حرمه الله كالبحيرة والسائبة
وفي عبارة يتلى اشارة الى ان التحريم لا يكون الا من جهة الشارع بنص متلو فاجتنبوا
الرجس من الاوثان صدره بالفاء السببية لانه لما حث على تعظيم حرمات الله لزم وجوب
المحافظة على حدوده واعظمها التوحيد فدخل وجوب الاجتناب من عبادة الاوثان
فيه دخولا اوليا وتسبب منه ومن للبيان اي الرجس الذي هو الاوثان وهو غاية
المبالغة في النهي عن تعظيمها حيث سماها الرجس وعرفه بلام الجنس وامر بالاجتناب
عن عينه وبينه بالاوثان كان جنس الرجس انما هو الاوثان كل ذلك تعبير عن عبادتها
وخصوصا بجعلها الرجس الذي ينفر الانسان بطبعه واجتنبوا قول الزور قرنه
بالشرك في وجوب الاجتناب عنه ولم يعطف بل كرر واجتنبوا تنبيها على اصالة تحريمه
وتعميما لما ذكر فان الشرك يلزمه قول الزور اذ المشرك يدعي الوهية الوثن ويدخل فيه
تحريم البحاير وغيره من مفترياتهم فيكون كالعلة لتحريم الشرك بتحريم لازمه الاعم وقيل
المراد بقول الزور شهادة الزور لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال عدلت شهادة الزور
الاشراك بالله ثلاثا وتلا هذه الاية والاظهر العموم ليتناول الشهادة وسائر الاكاذيب
والزور من الزور وهو الانحراف كما ان الافك من الافك وهو الصرف فان الكذب منحرف
مصروف عن الواقع حنفاء لله مستقيمي الطريقة على امر الله واصل الحنف الاستقامة
وقيل للمائل القدم احنف تفاؤلا او بالاستقامة غير مشركين به غيره في العبادة وهما
حالان من الواو ومن يشرك بالله لما اخذ في التمثيل عدل عن الضمير الى الاسم الظاهر
في التفخيم المناسب لمقام التهويل فكانما خر من السماء لانه سقط منها فتخطفه الطير
الاختطاف الاستلاب بسرعة او تهوي به الريح اي تسقطه والهوي السقوط في
مكان سحيق بعيد شبه حال المشرك في هلاكه هلاكا لا خلاص معه بحال من خر من
السماء فاختطفته الطير فتفرق قطعا في حواصلها او عصفت به الريح فهوت به في بعض المها لك

البعيدة هذا اذا جعلته من باب التشبيه المركب وقيل تمثيل صورة حاله بصورة حال من هلك
على احدى الصورتين وان جعلته من باب التشبيه المفرق شبهنا لفطرة الغالبة للتوحيد
في علو رتبته في السما والمشرك بالساقط والاهوا المردية المورعة افكاره بالطير المختطفة
والشيطان الذي يطيح به في تيه الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي
المتلفة والشرك الذي فيه بالمكان السحيق واو للتخيير كما في قوله او كصيب وللتنويع فان
من المشركين من لا خلاص له اصلا ومنهم من يكن خلاصه بالتوبة لكن على بعد ذلك اي
الامر ذلك ومن يعظم شعائر الله معالم دينه اراد بها الهدايا لانها من معالم الحج
وكفي بسياق الكلام ولحاقه قرينة للتخصيص وتعظيمها اعتقاد كون التقرب بها من معاظم الطا
واختيارها حسانا سمانا غالية الاثمان وترك المكاس في شرايها روي ان عمر رضي الله عنه
اهدي نجيبة طلبت منه بثلثماية دينار جزاؤه محذوف تقديره فهم متعون حقا لدلالة التعليل
القايم مقامه ولهذا ادخل الفا الجزائية عليه والضمير في فانها للتعظيمات من عظموا
شعائر الله من تقوي القلوب ان ناشية منها واللام عوض عن المضاف اليه اي من تقوي
قلوبهم واضافتها اليها للاحتراز عن تقوي المراي لكم فيها منافع كثيرة دينية ودنيوية
من درها ونسلها وظهرها وصوفها والتصديق بفوايدها الي اجل مسمي الي وقت نحرها
ثم محلها الي البيت العتيق ثم موضع حلها نحرها ينتهي الي البيت وقرب اليه وهو الحرم
وثم تحمل التراخي في الرتبة اي لكم فيها منافع دنيوية الي وقت النحر وبعده منافع دينية
اعظم منها ولكل امة اهل دين جعلنا منسكا متعبدا او قربانا يتقربون به
الي الله تعالي وقري بالكسر اي موضع نسك ليذكروا اسم الله علي ما رزقهم علة للجعل
مبنية ان المقصود من المناسك ذكر الله عز اسمه عليها من بهيمة الانعام فيه تنبيه
علي ان القربان لا يكون الا من النعم والهكم اله واحد فله اسلموا الفا في الموضعين
للسببية تقديم له للتخصيص اي لما كان المقصد الاصل من موضع المناسك ذكر الله تعالي
وتوحيد فاعلموا انما الهكم واله جميع الامم اله واحد فله خاصة اخلصوا الذكر دون غيره
واجعلوه له سالما اي خالصا لا تشوبوه بالاشراك البتة وبشر المخبتين المتواضعين
الخاشعين من الخبت وهو المطمئن من الارض الذين اذا ذكر الله وجلت اي خافت
قلوبهم منه هيبة لاشراق اشعة جلاله عليها والصابرين علي ما اصابهم من المحن
والمصايب والمقيمي الصلوة في اوقاتها ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير
والبدن جمع بدنة كخشب وخشبة واصله الضم وقد قري به وانما سميت بها لعظم بدنها
ماخوذ من بدن بدانة وهي الابل خاصة وقد دل عليه الحاق رسول الله صلي الله عليه وسلم
البقرة بالبدنة حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة ولا دلالة فيه علي صيرورة البد

عات

متناولة للجنسين في الشريعة وانتصابه بفعل يفسره جعلناها لكم وقري بالرفع علي
الابتدا كقوله والقمر قدرناه من شعائر الله اي من اعلام الشريعة التي شرعها الله تعالي
واضافتها الي اسمه تعظيم لها لكم فيها خير منافع دينية ودنيوية فاذكروا اسم الله
عليها بان تقولوا عند النحر الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك
صواف حال منها اي قايمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقري صوافن من صفون
الفرس وهو ان تقوم علي ثلاث وطرف سنبك الرابعة لانها تعقل يديها فتقوم علي ثلاث
وصوافنا بالتنوين عوضا عن حرف الاطلاق عند الوقف وصوافي اي لخوالص لوجه الله وصواف
علي لغة من يسكن اليا مطلقا نحو مثل العرب اعط القوس باريها فاذا وجبت جنوبها اي
سقطت علي الارض بعد نحرها قايمة وهو كناية عن موتها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر
اي فاذا ماتت حل لكم الاكل منها والاطعام والقانع الراضي بما عنده وبما يعطي من غير سؤال
من قنعت قنعا وقناعة انه قري القنع وهو الراضي والمعتر المعترض بالسؤال وقيل القانع
السايل من قنعت اليه اذا خضعت وسالته قنوعا والمعتر المعترض بغير سؤال وقري والمعتري
يقال عره وعراه واعتره واعتراه بمعني كذلك مثل ما وصفنا ها قياما معقولة ايديها
سخرناها لكم مع عظمها وفرط قوتها حتي تاخذوها فتعقلوها وتحبسوها صافة قوايمها
ثم تطعنون في لباتها لعلكم تشكرون انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص لن ينال الله
لن يصيب رضي الله ولن يقع منه موقع القبول لحومها المتصدق بها ولا دماؤها
المهراقة عند النحر من حيث انها لحوم ودماء ولكن يناله التقوي منكم ولكن يصيبه
ما يصحبه من تقوي قلوبكم التي تدعوكم الي تعظيم امر الله تعالي والتقرب اليه والاخلاص له
والتحرز عما قيل كان اهل الجاهلية اذا نحروا البدن نضحوا الدما حول البيت ولطخوه بالدم
فلما حج المسلمون ارادوا امثال ذلك فنزلت كذلك سخرها لكم كرر التسخير تذكيرا للنعمة
وتعليلا بقوله لتكبروا الله علي ما هداكم اي لتعرفوه باقداره اياكم وتعلموا انه القا
علي ما لا يقدر عليه غيره فتصفوه بالكبريا وتشكروه علي انعامه عليكم بالهداية الي طريق
تسخيرها وكيفية التقرب بها فتعديته بعلي علي معني تضمين الشكر وبشر المحسنين
المخلصين فيما ياتون به ويذرون وانما ترك المبشر به للاشارة الي انه مما لا تعينه العبارة
ان الله يدفع وقري يدافع اي يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه عن الذين امنوا
حذف المفعول للتعميم ثم علل بقوله ان الله لا يحب كل خوان في امانة الله كفور
لنعمته اي لانه لا يحب اضدادهم وضمنه الايما الي ان عادتهم الواجب دفعهم هم المشركون
والتنصيص عليهم بانهم الخوانون الكفارون والتعريض بان اضدادهم المومنين هم
الامنا الشاكرون وان الله تعالي يحبهم وعلي مقتضي ما ضمنه اتي بصيغة المبالغة والا فمقتضي

در

الظاهر نفي محبته عن كل خاين وكافر بل اثبات بغضه لهما اذن رخص للذين حذف
الماذون فيه لدلالة يقاتلون عليه وقري بفتح التا اي للذين يقاتلهم المشركون
بانهم ظلموا وهم اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم كان المشركون يوذونهم وكانوا ياتونه
من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتي هاجروا
ثم نزلت هذه الاية وهي اول ما نزل في القتال بعد ما نهي عنه صلي الله عليه وسلم في نيف وسبعين
اية بانهم ظلموا وان الله علي نصرهم لقدير وعد لهم وارد علي سنن كلام الملوك المقتدرين
الجبارين وتاكيد لما سبق من الوعيد برفع اذي الكفار فان النصر ليس مطلق العون بل العون
برفع الضرر الذين في محل جر بدل من للذين او نصب باعني او رفع باضمارهم اخرجوا من ديارهم
يعني مكة بغير حق بغير موجب استحقوا به الاخراج الا ان يقولوا ربنا الله ابدال
ان يقولوا من حق تاكيد للمدح بما يشبه الذم علي طريقة قول النابغة ∴

∴ ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ∘ بهن فلول من قراع الكتايب ∴

اي بغير موجب سوي التوحيد الموجب للاعزاز والتمكين والاكرام ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض بتسليط المومنين علي المشركين بالجهاد لهدمت الهدم كناية عن الابطال
والتعطيل علي ابلغ وجه اي لاستولي المشركون علي اهل الملل وعطلوا متعبداتهم صوامع
وبيع وصلوات ومساجد الصوامع جمع صومعة وهي متعبد الرهبانية والبيع جمع بيعة
وهي متعبد النصاري ومصلاهم والصلوات جمع صلوة وهي كنيسة اليهود سميت صلوة
لانها يصلي فيها وقيل كلمة معربة اصلها بالعبرانية صلوتا ومساجد ومساجد المسلمين انما
خص التعبير بالمسجد بمصلاهم لان السجدة من اركان صلوتهم خاصة وانما اخرت عن غيرها
لما في التقديم من القرب من التهديم يذكر فيها لا في المساجد خاصة بل في جميع ما تقدم لانه
كالتعليل لصونها عن التهديم بالرفع المذكور اسم الله كثيرا صفة مصدر محذوف اي ذكرا
كثيرا ولينصرن الله من ينصره اي ينصر دينه ورسله اخبار من الله تعالي عن الغيب ووعد
انجزه بتسليط المهاجرين والانصار علي صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرة الروم
ان الله لقوي علي نصرهم عزيز غالب علي امره وفيه تاكيد لوعد الذين بدل ممن ينصره
او صفة اخري للذين يقاتلون وقوله ولولا دفع الله الخ اعتراض بين الصفتين ان مكناهم في الارض
وبسطنا لهم الدنيا اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر
اي قاموا بامر الدين حق القيام وعن عثمان رضي الله عنه هذا والله ثنا قبل بلا اي ثني عليهم
قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا وفيه دليل علي صحة امر الخلفا الراشدين اذ لم يستجمع ذلك
غيرهم من المهاجرين ولله عاقبة الامور اي مرجعها الي حكمه وتقديره وفيه ايضا تاكيد
لوعد وان يكذبوك تسلية للرسول صلي الله عليه وسلم من تكذيب قومه اياه اي فلست

باوحدي

باوحدي في التكذيب فقد كذبت قبلهم قبل قومك قوم نوح نوحا عليه الصلوة
والسلام وعاد هودا عليه الصلوة والسلام وثمود صالحا عليه الصلوة والسلام
لم يقل فيهما قوم هود وقوم صالح لان الاصل في التعبير هو العلم والعدول في غيرهما الي
التعبير بالامر العام لضرورة فقد العلم وقوم ابراهيم ابراهيم عليه الصلوة والسلام
وقوم لوط لوطا عليه الصلوة والسلام واصحاب مدين شعيبا عليه الصلوة والسلام
ولم يقل هنا قوم شعيب لان المكذبين له من قومه اصحاب مدين خاصة وكذب موسي
غير النظم فيه ولم يقل قوم موسي لان قومه بنوا اسرائيل ولم يكذبوه وانما كذبه القبط
وافرد له الفعل لتعظيمه وبيان ان تكذيبه كان اشنع واياته كانت اعظم واشيع كانه
قيل وكذب موسي مع عظم اياته ووضوح معجزاته فما ظنك بغيره وبني الفعل للمفعول
اتماما للكلام بالتجريد لما سبق له فامليت للكافرين اي فامهلتهم الزاما للحجة
ثم اخذتهم عاقبتهم علي كفرهم فكيف كان نكير انكاري عليهم بتغيير النعمة نقمة
والحيوة هلاكا والعمارة خرابا والبقا استيصالا فكاين من قرية منصوب المحل بفعل
مقدر يفسره اهلكتها او مرفوعه بالابتدا والخبر اهلكتها يعني باهلاك اهلها
وهي ظالمة اي اهلها حال فهي خاوية جملة معطوفة علي اهلكتها فلا محل لها من
الاعراب علي الاول وفي محل الرفع علي الثاني علي عروشها متعلق بخاوية او خبر بعد
خبر والخاوي الساقط من خوي النجم اذا سقط والخاوي من خوي المنزل اذا خلا من اهله
والعرش كل مرتفع مظل من سقف وخيمة او كرم اي ساقطة علي عروشها بان خوت السقوف
علي الارض ثم سقطت جدرانها فوق السقوف او خالية مع بقا عروشها وسلامتها وعلي
الوجه الثاني من الاعراب فهي خاوية وهي قايمة مع عروشها او مايلة مشرفة علي السقوف
الساقطة بان سقطت السقوف علي الارض وبقيت الجدران مشرفة عليها وبير معطلة
معطوف علي قرية اي وكم بير عامرة في البوادي فيها الما عطلت وتركت لا يستقي منها الما
لهلاك اهلها وقري بالتخفيف من اعطله بمعني عطله وقصر مشيد مجصص من
الشيد وهو الجص او مرفوع البنيان من شاد البنا اذا رفعه اخليناه عن ساكنيه حذف
لدلالة معطلة عليه والانسب لهذا ان معني خاوية علي عروشها خالية مع عروشها والاظهر
ان البير والقصر علي العموم اي اهلكنا البادية والحاضرة فخلت القصور عن اربابها
والابار عن واردها افلم يسيروا في الارض حث لهم علي السفر ليعتبروا بما يرون
من مصارع المهلكين وبقا اثارهم وهم وان كانوا قد سافروا لكنهم لم يعتبروا فكانهم لم
يسافروا والعدم الغاية لم فتكون لهم قلوب يعقلون ما يجب ان يعقل من توحيد الله
تعالي وقدرته عند الاعتبار والاستبصار او اذان يسمعون بها ما يجب ان يسمع

من الوحي والتذكير باحوال من شاهدوا اثارهم وانما ذكر الاذان دون البصر من وسا
الطريق الاول فلذلك لم يذكر اصالة فانها الضمير للقصة وفي قراة ابن مسعود رضي
الله عنه فانه علي تاويل الشان ويجوز ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار وفي تعمي راجع
اليه او الظاهر اقيم مقامه لا تعمي الابصار ولكن تعمي القلوب هي ما عميت ابصارهم
عن الابصار بل قلوبهم عن الاعتبار والافتر في قلوبهم باتباع الهوي والتقليد التي في الصدور
تاكيد لنفي التجوز فانه يقال القلب لب كل شي والتنبيه علي ان العمي المتعارف الذي في البصر
لا اعتبار به وليس بعمي في الحقيقة بالنسبة الي عمي القلب فان العمي الحقيقي هو عمي القلب
الذي محله الصدر فهو مقرر لما ذكر ان الامر علي خلاف ما عليه الجمهور من ان العمي انما هو
في البصر حقيقة وفي القلب استعارة قيل لما نزل ومن كان في هذه اعمي قال ابن ام مكتوم
يا رسول الله انا في الدنيا اعمي افاكون في الاخرة اعمي فنزلت ويرد عليه انه حينئذ يكون
المعني لا تعمي الابصار في الاخرة ويرده قوله قال رب لم حشرتني اعمي وقد كنت بصيرا
ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده لا بالاهمال ولا بالامهال لانه المحال في
حق الملك المتعال وحقيقة يستعجلونك اخبار في معني الاستفهام علي سبيل الانكار اي لم
تستعجلون بالعذاب المتوعد به كانهم شاكون في وقوعه ومحال ان يخلف الله وعده فلا بد
من وقوعه وان طال الزمان وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون اي كيف
تستعجلون بعذاب من يوم واحد من ايام عذابه في طول الف سنة من سنيكم لان ايام الشدائد
طوال وكاين من قرية كررت للتهويل وتصويرها لهم في الاملاء وبيان ان الظلمة لا يهملون
غير معذبين امهلوا او لم يمهلوا وانما عطف الاول بالفا لكونه بدلا من قوله فكيف كان
نكيري وبناوها علي السبب واما حكم هذه فحكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو
وهما ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك علي سبيل الاعتراض وبيان ان الاستعجال
انه منكر اذ لا بد من تحقق العذاب فامليت لها كما امهلتكم وهي ظالمة مثلكم اصل
من قرية من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب فرجع الضماير
والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل ثم اخذتها والي الله المصير اي الي حكمي مرجع
الجميع وتقدم الي للاختصاص والمبالغة للوعيد قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير بين
الخطاب عام للمومن والكافر والمنذر به قيام الساعة وانما كان عليه الصلوة والسلام
نذيرا مبينا لان بعثه من اشراطها فقد جاء بالانذار قالا وحالا فقوله انما انا لكم نذير
مبين كقوله صلي الله عليه وسلم انا النذير العريان وقد دل علي ذلك تعقيب الخطاب بالانذار
بتفصيل حال الفريقين عند قيامها بقوله فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة
لذنوبهم عند الحساب لان الحسنات يذهبن السيئات ورزق كريم في الجنة الكريم من

كالنوع

كالنوع ما اجتمع فضايله والذين سعوا في اياتنا في الرد والافساد بالطعن فيه
حيث سموها سحرا وشعرا واساطير وتثبيط الناس عنها يقال سعي في امر كذا اذا اصلحه
او افسده بسعيه معاجزين مسابقين في السعي جادين فيه مشاقين له او سابقين في
زعمهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم من عاجزه فاعجزه اذا سابقه فسبقه لان كل
واحد من المتسابقين في طلب اعجاز الاخر عن اللحاق به واذا سابقه قيل اعجزه وعجزه وقري
معجزين علي انه حال مقدرة اي مثبطين الناس عن الايمان اوليك اصحاب الجحيم
النار الموقدة وقيل اسم دركة من دركاتها وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
قد سبق تفسيرهما وبيان الفرق بينهما بعموم الثاني وخصوص الاول ومن شرط للرسول
شريعة مجددة فكانه نسي ما عهد من الدلالة في قوله تعالي وكان رسولا نبيا علي
ان الرسول لا يلزم ان يكون صاحب شريعة • الا اذا تمني تلا قال الشاعر •
• تمني كتاب الله اول ليلة • تمني داود الزبور علي رسل •
القي الشيطان في امنيته قالوا انه صلي الله عليه وسلم قرا في نادي قومه والنجم فلما بلغ
قوله ومناة الثالثة الاخري سكت فقال الشيطان تلك الغرانيق العلي وان شفاعتهن
لترتجي وقراها متصلا بقراة النبي صلي الله عليه وسلم فوقع عند بعضهم انه عليه السلام
هو الذي تكلم وهذا معني القا اللعين في قراة سيد المرسلين وكان يتكلم في زمن النبي
صلي الله عليه وسلم ويسمع كلامه فقد روي انه نادي يوم احد الا ان محمدا قد قتل وقال
يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم وهذا لا يخل بالوثوق علي القران
لاندفاعه بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهب به ويبطله ويخبر انه من
الشيطان ثم يحكم الله اياته اي يثبتها ويحفظها عن تطرق النقصان ولحوق الزيادة
من الشيطان ولما كان الاحكام بهذا الوجه اعلي رتبة من النسخ المذكور صدره بكلمة ثم
لاحتمال ان يكون هذا الكلام ونظايره كقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
ايضا من زيادة الشيطان لان ظهور الاعجاز عند انضمامه الي ما يبلغ به المجموع مقدار
اقصر سورة من القران دل علي انه من الرحمن لقوله تعالي قل لين اجتمعت الانس والجن علي
ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله فلا دلالة في الاية علي جواز السهو علي الانبيا
وتطرق الوسوسة والله عليم بما اوحي الي نبيه صلي الله عليه وسلم وبقصد الشيطان
حكيم لا يدعه حتي يكشفه ويزيله ثم ذكر ان ذلك ليفتن الله به قوما بقوله ليجعل ما
يلقي الشيطان فتنة محنة وابتلاء للذين في قلوبهم مرض شك وتردد والقاسية
قلوبهم الجازمين بمعتقدهم الباطل مظهرا كان ذلك او مضمرا ومن زعم ان المراد من
الاول المنافق فكانه غافل عن ان المنافق اقسي قلبا من الكافر المجاهر وان الظالمين

المطابق ٣

من باب وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا على الفريقين بالظلم لان القياس ان يقول
بعد ذكرهما وانهم لفي شقاق خلاف بعيد عن الحق ويلزمه البعد عن الرسول والمؤمنين
وليعلم الذين اوتوا العلم الاعتقاد للواقع وهم المؤمنون انه الحق من ربك ان القران
هو الحق النازل من عند الله تعالى فلا يلتبس بما يلقي الشيطان من الباطل ولا يدخل فيه
فيؤمنوا به فيعتقدوا ويطيعوا باحكامه فتخبت فتطمئن له قلوبهم بالخشوع
والخضوع والخشية وان الله لهادي الذين امنوا فيما اشكل عليهم بالتوفيق للنظر
الصحيح والكشف بنور هدايته الى صراط مستقيم هو طريق التاويل لما يتشابه
بالتطبيق على الاصول المحكمة فلا تلحقهم حيرة ولا تعتريهم دهشة شبهة ولا يزال الذين
كفروا في مرية قد سبق في اول سورة البقرة الفرق بين المرية والريب والشك منه من القران
حتى تاتيهم الساعة القيامة والمراد اتيان الموت فانه من طلايعها ولذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته بغتة او ياتيهم عذاب يوم عقيم يوم حرب
يقتلون فيه كيوم بدر وانما وصف يوم الحرب بالعقيم لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصيرن
كالعقر وقيل العقيم الذي لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم ينشئ مطرا ولم يلقح شجرا ۝
الملك يومئذ اي يوم القيمة والتنوين فيه منوب عن الجملة التي دلت عليها الغاية اي يوم
تزول مريتهم لله فلا منازع له فيه يحكم بينهم بالمجازاة والضمير يعم الفريقين لعموم
ما دل عليه تفصيل يوم لقوله فالذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين
كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين الفا في خبر الثاني دون الاول تنبيه
على ان اثابة المؤمنين بالجنات تفضل من الله تعالى وان عقاب الكافرين مسبب من اعمالهم
ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل هم في عذاب كما قال في جنات النعيم وفي تقديم الجار والمجرور
دلالة على ان العذاب المهين مخصوص بهم لا يشاركهم فيه المؤمنون ثم خص قوما من الفريق
الاول بفضيلة فقال والذين هاجروا في سبيل الله خرجوا من ديارهم واوطانهم
مجاهدين ثم قتلوا في الجهاد او ماتوا حتف انوفهم ليرزقنهم الله رزقا حسنا
الرزق الحسن الذي لا يلحقه الم الانقطاع ولا يسبقه تعب الكسب وذلك في البرزخ قبل دخول
الجنة لان الرزق الحسن في الجنة لا اختصاص له بالمجاهدين من المؤمنين وانما سوى بين من
قتل في الجهاد ومن مات حتف انفه في الموعد لاستوايهما في القصد في اصل العمل وان الله
لهو خير الرازقين فانه يرزق بغير حساب ليدخلنهم مدخلا هو الجنة دل هذا على
ما تقدم من الترزيق قبل دخولها بدل من قوله ليرزقنهم الله يرضونه وهذا وصف لها
بكل جميل لان ما وقع الرضا فقد كمل وان الله لعليم باحوال من قضى نحبه مجاهدا وامال
من مات وهو ينتظر مجاهدا حليم بامهال من قاتلهم معاندا روي ان طوايف من اصحا

رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من
الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فانزل الله تعالى هاتين الايتين ۝
ذلك للفصل بين الكلامين اي الامر ذلك فما بعده مستانف ومن عاقب بمثل ما عوقب به
اي لم يزد في القصاص وانما سميت الجناية المبتداة باسم جزايها الذي هو العقاب لما بين السبب
والمسبب من الملابسة فاطلق اسم المسبب على السبب مجازا او للازدواج وليتصور اذا السبب
اليه ثم بغي عليه بالمعاودة الى العقوبة لينصرنه الله اي من جازي بمثل ما فعل
به من الظلم ثم ظلم بعد ذلك فحق على الله تعالى ان ينصره ان الله لعفو رحيم
يستر انواع العيوب وانما وعد المستنصر بهما لانه اتبع هواه في الانتقام واعرض عما ندب الله تعالى
اليه بقوله فمن عفى واصلح فاجره على الله ولمن صبر وغفر ان ذلك من عزم الامور وفيه تعريض
بالحث على العفو فان الله تعالى مع كمال قدرته وتعالي شانه لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك اولى
وتنبيه على انه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك بان الله
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل اي ذلك النصر بسبب ان الله تعالى قادر على النصر
في العالم على وفق مشيته ومقتضى حكمته ومما ذكر من التغليب في الملوين بتغليب احدهما
على الاخرة كناية عن التصرف في الافلاك بالتحريك على وجه عليه مدار امر الكاينات في عالم
الكون والفساد كيف يشا والنصر المذكور من جملة ما تقتضيه الحكمة والله سميع لما يقو
ولا يشغله سمع عن سمع ولو اختلف في النهار الاصوات بفنون اللغات بصير بما يفعلون
ولا يستتر عنه شي بشي في الليالي وان توالت الظلمات ذلك بان الله هو الحق اي ذلك
الوصف بكمال القدرة والعلم بسبب ان الله هو الحق الثابت في نفسه الواجب لذاته تعالى وكل ما
كان كذلك كان مبدي ما سواه عالما بذاته بما عداه والثابت الالوهية لا يصلح لها الا من كان
عالما قادرا وان ما يدعون من دونه الها وقرئ بالتاء على مخاطبة المشركين وبالبناء للمفعول
فتكون الواو لما فانه في معنى الالهة هو الباطل المعدوم في حد ذاته او الباطل الالوهية
وان الله هو العلي اي العالي على كل شي بالقهر والسلطان بدون توهم المكان الكبير
عن ان يساويه فضلا عن ان يكون اعلى منه شانا واكبر سلطانا الم تر ان الله انزل من السما
ما استفهام تقرير ولهذا رفع فتصبح الارض مخضرة عطف على انزل اذ لو نصب جوابا له
لدل على نفي الاخضرار كما في قولك الم تر اني انعمت عليك فتشكر تقصد اثباته والرفع لعطفه
على انزل وتسببه منه مثبتا لبتة كذلك في المثال لانه عطف على انعمت واما النصب فلا وجه
الا التسبب عن الاستفهام ويؤول المعنى في المثال الى ما رايت فما شكرت اي ما رايت لم تشكر
وكذلك في الاية على ان فيها ما نعا اخر وهو ان اصباح الارض مخضرة لا يصح ان يتسبب عما
بعد الاستفهام وانما عدل الماضي ولم يقل اصبحت لاستحضار الحال الماضية والتنبيه على كمال

لون

دسواد

صُنع الصانع بالمشاهدة والدلالة علي بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان وقرئ مخضرة علي
مفعلة اي ذات خضرة كمبقلة ومسبعة ان الله لطيف واصل فضله او علمه الي كل
شئ خبير بمصالح الخلق ومنافعهم له ما في السموات وما في الارض وان الله لهو
الغني في ذاته عن كل شئ وما سواه محتاج الي الغني الحميد المستوجب للحمد بصفاته
وافعاله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض من علينا بتسخيره لنا ما بنا حاجة اليه في
معاشنا من الحيوان وغيره فلا اصلب من الحجارة والحديد وقد ذللهما لنا نأخذ منهما ما نريد
فقوله ما في الارض عام لكن المراد منه ما ينفعنا بقرينة قوله لكم والفلك عطف علي ما
وقرئ بالرفع علي الابتدا تجري في البحر بامره حال منها او خبر ويمسك السماء بيد
القدرة ان تقع علي الارض من ان تقع او كراهة ان تقع الا باذنه الا بمشيئته
وفيه رد لاستمساكها بذاتها واما ما قيل انها مساوية لساير الاجسام في الجسمية فتكون
قابلة للميل الهابط قبول غيرها منظور فيه ان الله بالناس لرؤف رحيم بفتحه عليهم ابواب
المنافع ودفعه عنهم اسباب المضار والرؤف ابلغ من الرحيم وانما قدم عليه محافظة على الفا
وكذا تقديم بالناس عليهما لها وهو الذي احياكم بعد ان كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة
ومضغة ثم يميتكم اذا جاء اجلكم ثم يحييكم في الاخرة ان الانسان لكفور
لجحود لما افاض عليه من النعم لظهورها لكل امة جعلنا منسكا كررها بغير واو للتاكيد
والتتميم وتعليقا لزيادة وجي بالواو في الاولي لانها وقعت مع ما يناسبها من الاي الواردة
في امر المناسك فعطف عليها واما هذه فواقعة مع اجانب من معناها فلم تجد معطفا
هم ناسكوه هم عاملون به فلا ينازعنك سائر ارباب الملل في الامر في امر الدين
والمناسك لانهم جهال واهل عناد او لان امر دينك اظهر من ان يقبل النزاع وقيل انه نهي
لرسول الله صلي الله عليه وسلم عن التعرض لمنازعتهم بالمناظرة المؤدية الي نزاعهم فانها انما تنفع
طالب الحق وهم اهل مراء وعناد اي لا يلتفت اليهم ولا يمكنهم من ان ينازعوا او عن منازعتهم
كما تقول لا يضاربك فلان اي لا تضاربه البتة وهذا انما يجوز في الفعل الذي بين اثنين
وروي انها نزلت في الخزاعيين قالوا للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله
يعنون الميتة وقرئ فلا ينزعنك اي اثبت في دينك ثباتا لا يمكنهم ان يزيلوك عنه والمراد زيادة
التثبيت بما يهيج حميته ويلهب غضبه لله تعالي ولدينه وقال الزجاج هو من باب المغالبة
اي لا يغلبنك في المنازعة من نازعته فنزعته اي غلبته في النزاع وادع الناس الي ربك
الي عبادة ربك انك لعلي هدي مستقيم طريق الحق سوي وان جادلوك فقل الله اعلم
بما تعملون اي وان ابوا الا المجادلة بعد وضوح امر دينك واجتهادك في ترك النزاع فادفعهم
بان الله اعلم بما تعملون من الجدال الباطل والعناد فيجازيكم عليها وهذا وعيد مع رفق الله يحكم

يفصل بينكم بثواب المؤمنين وعقاب الكافرين يوم القيمة كما فصل في الدنيا بالايات
والبينات فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين الخطاب عام وفيه تسلية لرسول الله صلي الله
عليه وسلم بما يلقي منهم ومن تمام التسلية تقرير علمه بمضمون ما ذكره بقوله الم تعلم ان الله يعلم
ما في السماء والارض من الغيب والشهادة ان ذلك في كتاب هو اللوح المحفوظ كتبه
قبل حدوثه وتنكيره لانه ليس من جنس الكتب المتعارفة ولما كان الاثبات في اللوح المحفوظ مظنة
الحاجة في الحفظ الي الكلفة دفعه بقوله ان ذلك اي الاحاطة به واثباته في اللوح المحفوظ
علي الله يسير لعدم الحاجة الي الالة فان علمه تعالي بذاته فلا يخفي عليه شئ فلا يهملك امرهم
ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم ما لم يتمسكوا في جواز عبادته
ببرهان نازل بالوحي من عند الله ولا بعلم ضروري او نظري اي ليس لهم في ذلك مستند لا
من جهة النقل ولا من جهة العقل وانما قدم الوجه النقلي لانه الاصل في امر العبادة وفي العبادة
عنه بما ذكر اشارة الي انه مع انقسامه الي اربعة اقسام مذكورة في علم الاصول مرجعه الي الوحي
واعادة عبارة ما مع عدم الحاجة اليها في افادة المعني المذكور كاداتها في قوله ما لا يضره وما
لا ينفعه وما للظالمين وما للذين ظلموا هذا الظلم الشنيع من نصير يعينهم
بدفع العذاب عنهم ووضع الظاهر موضع المضمر للتسجيل علي المشركين بالظلم واذا تتلي
عليهم اياتنا بينات واضحات الدلالة علي العقايد الحقة تعرف في وجوه الذين كفروا
اي تظهر فيها ظهورا بينا حتي يعرفه كل من يراه المنكر الانكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم
لاباطيل اخذوها تقليدا وهذا منتهي الجهالة وللاشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع
الضمير والامر المنكر الفظيع من اثار الغيظ وما يقصدونه من الشر يكادون يسطون
السطو الوثب والبطش بالذين يتلون عليهم اياتنا هم النبي صلي الله عليه وسلم واصحابه
رضي الله عنهم قل افانبئكم بشر من ذلكم من غيظكم علي التالين وسطوكم عليهم او من
الكراهة والضجر بسبب ما تلي عليكم النار خبر مبتدا محذوف كان قايلا قال ما هو
فقيل النار اي هي النار او مبتدا خبره وعدها الله الذين كفروا وقرئ بالنصب علي الاختصاص
وبالجر علي البدل من شر وعلي هذين الوجهين يحتمل ان تكون الجملة باضمار قد حالا وان تكون
تكون استينافا كما اذا وقعت خبرا وبئس المصير النار يا ايها الناس ضرب مثل
بين لكم حال لا غرابة سمي مثلا علي سبيل الاستعارة لان الامثال انما سيرت لكونها مستغربة
فلهذا نودي الناس بها واكد غرابتها بقوله فاستمعوا له وانهم وبين ان الذين
تدعون اي تدعونهم وقرئ يدعون مبنيا للمفعول من دون الله الهة يعني الاصنام
لن يخلقوا ذبابا الذباب من الذب لانه كلما ذب لاستعداره اب لاستكباره وتخصيصه
لمهانته وضعفه وتاكيد النفي بلن للدلالة على الاستحالة خلق الذباب منهم كانه قال محال

ان يخلقوه ولو اجتمعوا له بجوابه المقدر المدلول عليه بالمذكور في موضع الحال جي بها
للمبالغة اي لايقدرون علي خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف اذا كانوا منفردين
وان يسلبهم الذباب شيا لا يستنقذوه منه اي هذا الخلق الاقل الاذل لو اختطف منهم
شيا فاجتمعوا علي ان يستخلصوه منه لم يقدروا عليه عن ابن عباس رضي الله عنه انهم كانوا
كانوا يطلونها بالزعفران وروسها بالعسل فاذا سلبه الذباب عجز الاصنام عن اخذه والطا
ان المراد جعل امتناع خلقهم ذبابا وانتفا استنقاذهم منه عند سلبه شيا منه مثلا لانتفاء
قدرتهم المستلزم لانتفا الالوهية التي تستلزم الاقتدار علي جميع المقدورات ويستحق بها
العبادة فان ما لا يقدر علي خلق احقر شي منه بل علي الاستنقاذ منه كيف يستحق ان يعبد عبادة
من له كمال القدرة علي ايجاد كل شي وتسخيره وهذا غاية في تجهيلهم واستركاك عقولهم
ضعف الطالب والمطلوب الصنم الطالب للاستنقاذ والذباب المطلوب ان يستنقذ منه
وفي هذا التذييل ايهام التسوية وتحقيق ان الطالب يعني الصنم اضعف لانه قدم عليه
ان هذا الخلق الاذل هو السالب وذلك طالب خاب عن طلبه ولما اجراهم مجري العقلا
باثبات الطلب لهم وبين انهم اضعف من اذل الحيوان فقد نبه به علي مكان جهلهم في ذلك
ما قدروا الله حق قدره ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموه باسمه ما هو ابعد
الاشيا عنه مناسبة واوغل في الاتصاف باضداد صفاته ان الله لقوي قادر علي
خلق الممكنات كلها عزيز غالب علي كل شي ولا يغلبه شي فكيف يشرك به شي سيما هو
احقر الاشيا واعجزها واذلها ولما قرر الوحدانية ونفي الهية الانداد واراد ان ينفي عنها ما
يدعون لها من التوسل بها الي الله تعالي والتقرب اليه بتوسطها الله يصطفي يختار
من الملايكة رسلا يتوسطون بينه وبين الانبيا عليهم الصلوة والسلام بالوحي ومن الناس
رسلا يبلغون رسالاته الي من دونهم ويدعونهم اليه ويشفعون لهم فلا وسيلة غير هذين
الصنفين ولا تقرب الي الله بغيرهما ففيه نفي لما ادعوه من قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا
الي الله زلفي وقولهم الملايكة بنات الله ورد لمذهبهم واعتقادهم ان الرسول لا يكون من
البشر ان الله سميع لاقوال الرسل فيما يقبله العقول بصير باحوال الامم في الرد
والقبول يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما مضي وما غبر لا يخفي عليه منهم خافية
والي الله ترجع الامور واليه مرجع الامور كلها لانه مالكها ومدبرها فلا اعتراض لاحد
علي حكمه وتدبيره واختيار رسله يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم
وافعلوا الخير درج في هذه الاوامر من الاخص الي الاعم فامر بالصلوة المشتملة علي اصناف
الطاعات من القلبيات والقوليات والبدنيات وعبر عنها بالركوع والسجود لانهما اعظم
اركانها ثم بمطلق العبادات كالصوم والزكوة والحج ثم ساير الخيرات كصلة الارحام ومكارم

والاصلاح بين الناس وامثالها وقيل كان الناس في اول الاسلام يركعون بلا سجود و
يسجدون بلا ركوع فامروا بالجمع بينهما في الصلوة لعلكم تفلحون اي افعلوا هذا كله
راجين الفلاح غير متيقنين به متكلين علي اعمالكم وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال
قلت يا رسول الله في سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقراهما وعن عبد الله بن عمر
رضي الله عنهما فضلت سورة الحج بسجدتين وبذلك احتج الشافعي فراي السجدتين فيهما
وابو حنيفة واصحابه لا يرون فيها الا سجدة واحدة لانهم يقولون قرن السجود بالركوع فدل
ذلك علي انها سجدة صلوة لا سجدة تلاوة وجاهدوا في الله في شانه ومن اجله امر بالغزو
او بمجاهدة النفس والهوي وهو الجهاد الاكبر لقوله صلي الله عليه وسلم عند رجوعه من غزوة
تبوك رجعنا من الجهاد الاصغر الي الجهاد الاكبر حق جهاده اصله جهادا حقا اي خالصا
لوجه الله فاضيف الحق الي الجهاد للمبالغة كقولك هو حق عالم ثم اضيف الجهاد الي ضمير الله
اما للملابسة لاختصاصه به من حيث انه مفعول من اجله واما للاتساع في الظرف هو اجتباكم
اختاركم لدينه ونصرته وبنا الفعل علي الضمير للاختصاص المفيد بوجوب الجهاد اي هو
وحده اجتباكم دون غيره والذي اجتباه الله تعالي بنفسه لا بد له من الجهاد الاكبر لقضا
حق القرب والي لا يتركوا الاصغر لقوة يقينه ووثوقه بحفظه وكلايته ولاعلا كلمته واعزاز دينه
ففيه تنبيه علي المقتضي للجهاد وفي قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج ضيق
بتكليف ما يشتد القيام به عليكم علي انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه وضمنه الاشارة
الي الرخصة في اغفال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم بقوله صلي الله عليه وسلم اذا امرتكم
بشي فاتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل امر مخرجا بان رخص لهم في المضا
وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات في حقوقه والاروش والديات في حقوق العباد
فلا ذنب الا وقد جعل لكم منه مخرجا ويرد عليه ان الحرج لا ينتفي بوجود المخرج في الجملة لما
عرفت انه عبارة عن الضيق لا عن عدم المخلص ملة ابيكم نصب علي الاختصاص اي
اعني بالدين ملة ابيكم وعلي الاغرا اي الزموا ملة ابيكم او بمضمون ما تقدم علي المصدر
اي وسع دينكم توسعة ملة ابيكم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ابراهيم
عطف بيان وانما جعله ابا لان كل نبي ابو امته من جهة الحقيقة وهو كان ابا محمد صلي الله
عليه وسلم وابو الاب اب او لان اكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا علي غيرهم هو سماكم
المسلمين من قبل من قبل القران في الكتب المتقدمة وفي هذا اي في القران وقيل
الضمير لابراهيم وهو وان لم يسمهم فيه المسلمين لكن سموا به بسبب تسميتهم اياهم المسلمين
من قبل في قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقوله وفي هذا تقديره وفي هذا بيان تسميته اياكم
مسلمين ويتهد للاول قراة ابي رضي الله عنه سماكم اي هو فضلكم بالاجتبا وسماكم بهذا الاسم

الاكرم ليكون الرسول يوم القيمة • متعلق بتماكم او اجتباكم شهيدا عليكم
بانه بلغكم او بعصيان من عصى وطاعة من اطاع وتكونوا شهدا على الناس بان الرسل
قد بلغتهم فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة اي واذ قد خصكم بهذه الكرامة والشرف
فاعبدوه وتقربوا اليه بانواع الطاعات واعتصموا بالله وثقوا به في مجامع اموركم
هو مولاكم • فلا تطلبوا النصرة والولاية الا منه فنعم المولى ونعم النصير حيث لا منكم
ناصركم بعصيانكم ويعينكم على جلب المسار وتدفع عنكم المضار

سورة المؤمنون مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المؤمنون قد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه
واذا دخلت على الماضي دلت على ثباته والفلاح الظفر بالمطلوب والنجاة عن المهروب
اي فازوا بما طلبوا ونجوا عما هربوا وافلح دخل في الفلاح كابشر دخل في البشارة ويقال
افلحه اذا اوصله الى الفلاح وعليه قراة قد افلح بالبنا للمفعول وقرى قد افلح بالقا حركة
الهمزة على الدال وحذفها وقرى قد افلحوا على الابهام والتفسير او على لغة اكلوني البراغيث
وافلح بضمة اكتفا بها عن الواو ولما كان المؤمنون متوقعين بمثل هذه البشارة من فضل الله
بشروا بما دل على ثبوت ما توقعوه والمؤمن في اللغة المصدق واما في الشريعة فقد اختلف
فيه على اقوال قد سبق تفصيلها في تفسير سورة البقرة الذين هم في صلوتهم خاشعون
الخشوع في الصلوة خشية القلب مع التواضع والباد البصر موضع السجود روي انه صلى الله
عليه وسلم كان يصلي رافعا بصره الى السما فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده والذين هم
عن اللغو معرضون لما بهم من الجد ما يشغلهم عنه اللغو ما لا يعنيك من قول وفعل كاللعب
والهزل وكلما توجب المروة القاه لما ذكر الخشوع اتبعه الاعراض عن اللغو ليجمع بين ما ينبغي
ان يفعل وترك ما ينبغي ان يترك ومما الاصلان اللذان عليهما مدار التكليف وبالغ في اوصاف
المؤمنين بايراد الصلوة جملا اسمية وتقديم صلة الاعراض والتعبير بالاسم دون الفعل
وايراد الاعراض مكان الترك لان اصله ان يكون في عرض غير عرضه ليدل على التجنب والبعد
عنه بالكلية مباشرة وتسببا وميلا وحضورا والتعبير عنه بالاسم دون الفعل وكذلك قوله
والذين هم للزكوة اي للتزكية فاعلون لان الفاعل لا يفعل الا الحدث الذي
هو المصدر ولهذا سمي المفعول المطلق ويمكن ان يفسر بالعين ويقدر مضافا اي لاداء
الزكوة وانما لم يقل مودون لان في زيادة فاعلون دلالة على المراد منه والذين هم
لفروجهم الفرج يشتمل على سوءة الرجل والمراة حافظون من قولهم احفظ على عنان فرسي
بمعنى امسك ولا بد فيه من تضمين النفي ليصح الاستثنا اي يمسكونها لا يطلقونها على احد
الا على ازواجهم او حال اي والذين هم على ازواجهم او متعلق بمحذوف دل عليه فانهم
غير ملومين اي يلامون على كل مباشرة الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين عليه

اوما ملكت ايمانهم اي اماؤهم ولم يقل من اجرا للمماليك مجرى غير العقلا اذ الملك
اصل في غيرهم والحرمة فيهم اولان الاناث لنقصان عقلهن من جنس غيرهم وانما قال ما ملكت
ايمانهم ولم يقل ما ملكوه اظهارا لملك اليمين ومقابلة ملك المتعة الظاهرة من قرينة وانحصار
سببه حل الوطي في الملكين المذكورين لا يتعداهما الى ملك الرقبة فانهما اذا خلا عن ملك
اليمين كما في المكاتبة لا يوجد الحل المذكور فانهم غير ملومين الضمير لحافظون
او لمن دل عليه الاستثنا فان اطلقوا لازواجهم او امائهم فانهم غير ملومين على ذلك
فمن ابتغى ورا ذلك فاولئك هم العادون جعل المستثنى حدا وجب الوقوف عنده وحذف
مفعول الابتغا للتعميم وجا باسم الاشارة اي فاولئك المبتغون ووسط الضمير وعرف
العادون اي من احدث ابتغا ورا ذلك الحد للفسحة والاتساع فيه بعد هذه فاولئك
هم الكاملون في العدوان المتناهون فيه كل ذلك مبالغة في التحذير عن الزنا وافرده
بالذكر بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون لان المباشرة اشهى الملاهي الى
النفس واعظمها خطرا والذين هم لامانتهم وعهدهم راعون قيل لما يؤتمنون
عليه ويعاهدون من جهة الحق او الخلق وفيه انه لا حاجة الى الصرف عن الظاهر فان
العهد وكذا الامانة مما يراعي راعون الراعي القايم على الشي بالحفظ والاصلاح
كراعي الغنم والرعية وقرى لامانتهم على الافراد لانها في الاصل مصدر اولامن الالباس
والذين هم على صلوتهم يحافظون يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها وجا بلفظ
الفعل فيها لما فيها من التجدد والتكرار والفعل المضارع في الجملة الاسمية يدل على دوام
التجدد وقرى بلفظ الجمع هنا ليفيد المواظبة على اعدادها وانواعها ولم يقرا به فيما
سبق لان الكلام هناك في الخشوع وهو مطلوب في جنس الصلوة وفي بد الاوصاف
وختمها تعظيم لشانها واعلا لقدرها اولئك الجامعون • لهذه الصفات هم الوارثون
الاحقا بان يسمون ورثا دون غيرهم الذين يرثون الفردوس اي يصلون اليه
والى ما فيه من النعيم المقيم بلا تعب الكسب ويبقى في ايديهم فان الورث اقوى سبب الملك
حيث لا ينفسخ ولا استرجاع ولا ابطال بردة ولا اسقاط والفردوس هو البستان الجامع الواسع
الجامع لاصناف الثمر وفي اطلاق الوارثين واستجماعهم تقييدهم وما توهي من التفخيم لما
يرثون والتعظيم واستعارة الورث واورد اسم الاشارة اشعارا بانهم استحقوا ذلك
الخطب الجليل من تلك الاعمال والصفات لا بسببيتها له بل بمقتضى وعده وهذا القدر
يكفي في التحريض عليها هم فيها خالدون انث الضمير على تاويل الجنة او الطبقة
فانها اوسط الجنات واعلاها طبقة ومن هنا تبين ان ما قيل انهم يرثون من الكفار
منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار

لا يناسب المقام ولقد خلقنا الانسان من سلالة السلالة صفوة الشي التي تخرج
منه كانها تسل منه كالصفاوة وفعالة بنا بمعني مفعول فيه معني القلة والقلامة والسلالة
ومن هنا للابتدا متعلقة بخلقنا ومن في قوله من طين للبيان صفة لسلالة اي سلالة
هي طين والانسان انسان ادم عليه السلام ثم جعلناه ثم جعلنا نسله علي حذف المضاف
كقوله تعالي وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من ماء مهين او الجنس او الجنس
لانه لما خلق اول فرد منه سلالة من طين واما ما قيل المراد بالطين ادم عليه السلام
لانه خلق منه والسلالة نطفته فلا وجه له لما فيه من اخراجه عليه السلام من الجنس المذكور
حيث جعل مخلوقا من نطفته نطفة بان خلقناه منها في قرار مكين مستقر حصين
يعني الرحم سمي المستقر بالقرار مبالغة كانه نفس القرار ووصف بالمكانة بالمكانة التي
هي صفة المستقر فيه علي الاسناد المجازي تتميما لامر المبالغة ثم خلقنا النطفة علقة
بان احلنا النطفة البيضا علقة حمرا بتدريج بعد زمان فخلقنا العلقة مضغة
فصيرناها قطعة لحم فخلقنا المضغة عظاما بان صلبناها فكسونا العظام
لحما فانبتنا عليها لحما فصار لها كاللباس وقرئ عظما وضعا للواحد موضع الجمع لعدم
اللبس واختلاف العواطف لاختلاف الاستحالات والتكونات في التراخي وعدمه
فثم للاستحالة الزمانية والتكون الاني الا ثم في قوله ثم انشاناه فانها مستعارة
لما بين الخلقين من التفاوت خلقا اخر التنكير للتنويع اي نوعا اخر من الخلق مباينا
الاول بنفخ الروح فيه وجعله حيوانا مباينة ما بعدها اذ كان جمادا فجعله حيا سميعا
بصيرا اذا الاعضا ظاهره وباطنه في كل واحد منها عجايب حكمه وغرايب صنعه ولطايف
قوة لا يفي بها وصف واصف ولا يبلغها شرح شارح واحتج به ابو حنيفة رضي الله عنه علي
ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق اخر فتبارك الله
فتعالي شانه في قدرته وحكمته احسن الخالقين بدل او خبر مبتدا محذوف وليس
بصفة لانه نكرة وان اضيف لان المضاف اليه عوض من المقدر بين تقديرا فحذف المميز
لدلالة الخالقين عليه روي ان عبد الله بن سعد ابي شرح كان يكتب لرسول الله صلي الله
عليه وسلم فنطق بذلك قبل املائه فقال رسول الله ان كان محمد نبيا يوحي اليه فانا نبي
يوحي الي فلحق بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح وهذه رواية غير صحيحة لان السورة مكية
وارتداده كان بالمدينة علي ما اعترف به الراوي ثم انكم بعد ذلك لميتون ٥
لصايرون الي الموت لا محالة ولذلك ذكر النعت الذي للثبوت دون اسم الفاعل وقد
قرئ به ثم انكم يوم القيمة تبعثون للمحاسبة والجزا ومعني التراخي قد علم من النظر
فايراد ذاته ليس لافادته بل لايفاء حق البلاغة ولقد خلقنا فوقكم سبع طرايق

بيا

سموات لان بعضها طوارق فوق بعض مطارقة النعل وكل شي فوق مثله فهو طريقة
واما العرش والكرسي فليسا من الطرايق لعدم المماثلة بينهما وبينها وما كنا عن الخلق
وما كنا عنها وعن حفظها وامساكها ان تقع عليكم غافلين في التعبير عنها بالخلق
فضل مبالغة في تعظيم شانها وزيادة كنا لاستمرار النفي لا لنفي الاستمرار وانزلنا من
السما ما بقدر بتقدير تقتضيه الحكمة او بمقدار ما علمنا من صلاحهم فاسكناه في الارض
فجعلناه ثابتا مستقرا في الارض انهارا وينابيع وانا علي ذهاب به علي الازالة بالا
او التصعيد او التعميق بحيث يتعذر استنباطه لقادرون كما قدرنا علي انزاله
وفي تنكير ذهاب ايماء الي كثرة طرقه وانواعه ومبالغة في الايعاد وتعديته بالبا تاكيد
له دال علي ذهاب هو معه يمنعه من الظهور ليس في الاذهاب ذلك وهو في غاية البلاغة
وزعموا انه لبس في قوله ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين هذه المبالغة
والبلاغة وليس الامر كما زعموا علي ما تقف عليه في موضعه باذن الله سبحانه وتعالي
فانشانا لكم به بالماء جنات من نخيل واعناب لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة
من غير الجنسين المذكورين تتفكهون فيها ومنها ومن الجنات ثمارها وزروعها
تاكلون تغذيا او ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان ياكل من حرفته ويجوز
ان يكون المراد لكم في النخيل والاعناب انواع من الفواكه كالرطب والعنب والتمر والزبيب
والبسر والحصرم والدبس والعصير وغير ذلك ومنها طعام تاكلونه وشجرة عطف
علي جنات وقرئت بالرفع علي الابتدا اي ومما انشا لكم به شجرة تخرج من طور سيناء
جبل موسي عليه السلام اما اسم مركب من مضاف ومضاف اليه كامرئ القيس واما اسم مضاف
الي بقعة اسمها سينا فمن كسر السين منعه الصرف للتعريف والعجمة او التانيث علي تاويل البقعة
لا للالف لان الالف فعلا ليست للتانيث فانها فيعال كديماس من السينا بالمد وهو الرفعة
او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال من السين كعلباء كحربا ومن فتحه من السين منعه
لالف التانيث كصحرا تنبت بالدهن في موضع الحال اي تنبت ملتبسة بالدهن ويجوز
ان تكون البا للتعدية كما في قولك ذهبت بزيد ويؤيده قراة ابن مسعود رضي الله عنه تخرج
الدهن وصبغ للاكلين وقرئ تنبت من الانبات وهو بمعني نبت اصله دخل في النبات
وانما حذف مفعوله اي تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ علي البنا للمفعول وهو
الاول وصبغ للاكلين معطوف علي الدهن جار علي اعرابه عطف احد وصفي الشي
علي الاخر اي تنبت بالشي الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ
فيه الخبز اي يغمس فيه للايتدام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ وانما خص الانواع الثلاثة
بالذكر من بين الثمار لانها اكرم الشجر وافضلها واجمعها للمنافع فان النخل والعنب يجمعات التفكه

فاد

والتغذي والزيتون يجمع الاصطباح والاصطباغ وان لكم في الانعام لعبرة تعتبرون
بها وتستدلون بها نسقيكم مما في بطونها من الالبان على ما نص عليه في سورة النحل
استيناف لبيان العبرة ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تاكلون فتنتفعون باعيانها
وغلتها في البر وعلى الفلك في البحر تحملون في اسفاركم وقد غلب استعمال الانعام
في الابل ولذلك قرنت بالفلك لانها سفاين البر ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم
اعبدوا الله قصته وساير القصص مسوقة لبيان كفران الناس النعم المتلاصقة حتى ابتلوا
بزوالها ما لكم من اله معبود غيره بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة استيناف
تجري مجرى التعليل للامر بالعبادة افلا تتقون افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه ويهلككم
بعذابه برفضكم عبادته بعبادة غيره وكفرانكم نعمه التي لا تحصونها والهمزة الداخلة على
الفا للانكار التعقيب بل التعقيب للانكار فقال الملأ الذين كفروا من قومه قد سبق
في تفسير سورة الاعراف وجه توصيف الملأ بهذا الوصف ما هذا الا بشر مثلكم
كناية على زعمهم عن الرسالة عنه يريد ان يتفضل عليكم اي يطلب الفضل والرفع
عليكم بالرياسة ولو شاء الله ان يرسل رسولا لانزل ملايكة رسلا ما سمعنا
بهذا بكون البشر رسلا او بنوح ونبوته او بما يامرهم من تخصيص الله تعالى بالعبادة ونفي
كل من دونه من الالهة او بمثل هذا الكلام في اباينا الاولين وذلك لكونهم في فترة
متطاولة او لعنادهم وانهماكهم في الغي فتكذبوا في ذلك لان يدفعوا الحق بما امكنهم
الا تري انهم جننوه حيث قالوا ان هو الا رجل به جنة مع علمهم انه ارجح الناس عقلا
الجنة الجنون فتربصوا به حتى حين اي هو مجنون فلا تعجلوا في عقوبته بل دعوه
فاما ان يموت او يرجع عن هذا او تفعلون به ما شئتم قال رب انصرني عليهم
باهلاكهم وبانجاز ما وعدتهم من العذاب بما كذبون بسبب تكذيبهم اياي او بدل
تكذيبهم اياي فاوحينا اليه اي اجبنا دعاه فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا
مبالغة في الحفظ كان معه من الله حفاظ يحفظونه بعيونهم لئلا يفسد عمله ووحينا
وامرنا وتعليمنا كيف تصنع فاذا جاء امرنا عذابنا والمراد من مجيئه مجي طليعته وهو
فوران الما من التنور وانما قال وفار التنور مبالغة اخرج سبب الغرق من موضع الحرق
ليكون ابلغ في الانذار والاعتبار روي انه قيل لنوح عليه السلام اذا رايت الما يفور من
التنور فاركب انت ومن معك في السفينة فلما نبع الما من التنور اخبرته امراته فركب فاسلك
فادخل فيها سلك يجي لازما ومتعديا وجا اسلك بالنقل من اللازم من كل بالتنوين
اي من كل امة زوجين اثنين واثنين تاكيد وبالاضافة اي من كل امتي الذكر والانثى
واحدين مزدوجين واهلك الا من سبق عليه القول منهم اي القول من الله تعالى بهلا

لكفره وانما جي بعلى لان السابق صار كما جي بالامر حيث كان نافعا في قوله ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى منهم اي من اهلك وهذا يابي عن تخصيصه بمن امن ولا تخاطبني في الذين ظلموا
وهذا نهي عن الدعا لهم بالانجا على ابلغ وجه ومن خص الخطاب بالدعا فقد اخل بحق البلاغة
جعل النهي عن الدعا معللا بالظلم فلذلك وضع الموصول مع الصلة موضع الضمير ولم
يقل ولا تخاطبني فيهم ايماء الى العلة ولما لوح الى ان الحكمة تقتضي هلاك الظالم استانف
قوله انهم مغرقون بالتاكيد اي لا محالة لظلمهم بالاشراك والمعاصي ثم بالغ في ذلك
بامره بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم عقب النهي عن الدعا فاذا استويت انت ومن معك
على الفلك فاذا تمكنتم عليها راكبين فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين
امره بالحمد على نجاته ونجاة من معه اشارة الى ان نجاة اتباعه ايضا نعمة جليلة في حقه
وامتنانا بها ايضا ولو قال فقولوا لم يحصل هذا المعنى وايضا كبريا الربوبية يقتضي
ان لا يترقي الى خطاب حضرتها الا نبي مثله وان كلامه يغني عن كلامهم ولا يستاهل
الاجابة الا مثله وقل رب لما نهاه عن الدعا لانجائهم امره بدعاء هو اهم له وانفع
وهو ان ينزل منزلا مباركا انزلني في الارض من الغيبة لا في السفينة لانه عبر عنه
سابقا بعبارة تدل على الصعود وقد حصل الفراغ عنه وعن اظهار الامتنان بما يترتب
عليه من نعمة النجاة منزلا مباركا يبارك لي فيه ويتسبب لزيادة خير الدارين
وقري منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال وانت خير المنزلين ثناء مطابق لمسئلته
امره بان يشفعه فيه مبالغة فيها وتوسلا به الى الاجابة انما امره بالقولين المذكورين
لا بالحمد والدعا تعظيما لطريقهما واظهارا لفضيلة الحمد والدعا بالعبارتين المذكورتين
ان في ذلك فيما فعل بنوح وقومه لايات يستدل بها ويعتبر اولوا الاستبصار
والاعتبار وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية
والمعنى وان الشان والقصة كنا لمبتلين لمختبرين بهذه الايات عبادنا لننظر
من يعتبر ويذكر لقوله ولقد تركناها اية فهل من مدكر وقيل لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم
وليس في الاخبار به كثير فايدة ثم انشانا من بعدهم قرنا اخرين عادا قوم هود
عليه السلام ومجي قصته على اثر قصة نوح عليه السلام في سورة الاعراف وهود والشعرا
فارسلنا فيهم اي بين ظهرانيهم وفي زمرتهم ولم ياتهم من موضع اخر رسولا منهم من
قبيلتهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان مفسرة لارسلنا اي قلنا لهم على
لسان الرسول اعبدوا الله افلا تتقون عذابه وادخال الهمزة على الفا للانكار
عدم التقوي بعد العلم بانه لا اله لهم غيره وفيه تنزيل لهم منزلة العلم به لتمكنهم من العلم
به وتنبيه على ظهور الدلايل على ذلك وقال الملأ من قومه الذين كفروا لما نقض

ارسلنا معني القول عطف عليه قولهم بالواو اي اجتمع في الحصول ذاك الحق وهذا الباطل
وكذبوا بلقاء الاخرة اي بلقاء ما فيها من الحساب والجزا بالبعث واترفناهم ونعمناهم
في الحيوة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد ما هذا الا بشر مثلكم في الصنعة والحال
ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة ولذلك ترك في قصة نوح عليه
السلام لترك قيد الصفة المماثلة وما خبرية وحذف العايد الي الثاني لدلالة ما قبلها عليه
او لشياع حذف المنصوب اي تشربونه ولين اطعتم بشرا مثلكم فيما يامركم به وينهاكم عنه
انكم اذا واقع في جزاء الشرط وجواب الذين قاولوهم من قومهم لخاسرون بالانقياد
لمثلكم ومن حمقهم انهم ابوا اتباع مثلهم وعبدوا اعجز منهم ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا
وعظاما لما كان كونهم ترابا معلوما بطريق العقل وكونهم عظاما مشاهدا معلوما بطريق
الحس فالثاني اشد وقعا في الاستبعاد عند العامة فلذا للتاخير بل نقول لولا مشاهدة العظام
لكان الوهم يعارض العقل في كونه ترابا فهو كالتتميم للاول ولذلك تراه يذكر موخرا في جميع
المواضع انكم مخرجون من العدم الي الوجود تارة اخري وثني انكم للتوكيد وحسن ذلك
لطول الفصل بين الاول والثاني ومخرجون خبر عن الاول واذا المجرد الظرفية ومحذوف الجواب
لدلالة ان مع اسمها وخبرها عليه او انكم مخرجون مبتدا خبره الظرف والجملة خبر ان الاولي
اي انكم اخراجكم اذا متم او مرفوع بفعل مقدر هو جواب الشرط والشرطية خبر اي انكم اذا متم
وقع اخراجكم هيهات هيهات من اسماء الافعال واقع موقع تعدون عليها مضمر
اي بعد التصديق او الوقوع واللام في لما توعدون للبيان كما في هيت لك كانهم لما
صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فما الذي له هذا الاستبعاد قالوا لما توعدون او فاعلها ما
توعدون واللام زايدة اي بعد ما توعدون من البعث وقيل هيهات بمعني البعد وهو
مبتدا خبره لما توعدون وقري بالفتح منونا للتنكير وبالضم علي انه جمع هيهه وغير منون
تشبيها بقبل وبالكسر علي الوجهين وبالسكون علي لفظ الوقف وبابدال التاء هاء ان
هي الا حيوتنا الدنيا اصله ان الحياة الا حيوتنا الدنيا فوضع هي موضع الحيوة لدلالة
الخبر عليها حذرا عن التكرير واشعارا بان يقينها مغن عن التصريح كقوله هي النفس ما
حملتها تتحمل والمعني لا حيوة الا هذه الحيوة لان ان النافية دخلت علي هي التي في معني الجنس
فوازنت لا التي لنفي الجنس نموت ونحيي يموت منا بعض ويحيي يولد بعض وما نحن
بمبعوثين بعد الموت ان هو ما هو الا رجل افتري علي الله فيما يدعيه من ارسالنا
وفيما يعدنا من البعث والمفتري قد يكون صادقا في نفسه ويكون الكذب في نسبته الي المفتري
عليه فقولهم كذبا لدفع هذا الاحتمال وهذا غاية الضلال وما نحن له بمومنين بمصدقين
والتقديم له للمحافظة علي الفاصلة قال رب انصرني عليهم وانتقم لي منهم بما كذبون

له

قد سبق

قد سبق تفسيره فاجاب الله تعالي دعاه حيث قال عما قليل عن قليل ليصبحن وما
زايدة لتوكيد معني القلة او معني شي او زمن وقليل صفته له وجواب القسم المحذوف
ليصبحن نادمين علي ما فعلوه اذا عاينوا ما يحل بهم فاخذتهم الصيحة العقوبة
الهايلة الا صيحة جبريل عليه السلام لما عرفت ان الصيحة صيحة محل القصة قصة هود عليه
السلام بالحق باستحقاقهم ذلك او بالوجه الثابت الذي لا دافع له او بالعدل من الله
او بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي
واسود من الورق والعيدان وهذا التشبيه يناسب حال قوم هود عليه السلام فبعدا
مصدر بعدا اذا هلك وهو من المصادر المنصوبة بالافعال لا يستعمل اظهارها واللام في
للقوم الظالمين لبيان من دعي عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع الضمير للتعليل
ويحتمل الاخبار ثم انشانا من بعدهم قرونا اخرين قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم
عليهم السلام ما تسبق من امة اجلها الوقت الذي عين هلاكها وكتب وما يستاخرون
الاجل ثم ارسلنا رسلنا تترى فعلي والالف للتانيث لان الرسل جماعة وقري تترى
بالتنوين علي انه مصدر بمعني المتواترة وقع حالا والتا بدل من الواو كما في تولج ويبعور اي
متواترين واحد بعد واحد من الوتر وهو الفرد كلما جاء امة رسولها كذبوه اضاف الرسول
مع الارسال الي المرسل ومع المجي الي المرسل اليهم لان مبدا الارسال منه ومنتهي المجي اليهم
فالرسول يلابسهما جميعا فيصح اضافته اليهما فاتبعنا بعضهم فاتبعنا بعض الامم او
القرون بعضا في الاهلاك وجعلناهم احاديث اخبارا يسمر بها ويتعجب منها
والاحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه احاديث الرسول عليه السلام وتكون جمعا للاحدوثة
وهي ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد هنا فبعدا لقوم لا يومنون به
ثم ارسلنا موسى واخاه هرون للاشعار بان ارساله عليه السلام كان تبعا لموسي عليه
السلام تعرض لاخوته له ونزل ذلك الوصف منزلة الاصل حيث جعل اسمه بدلا عنه باياتنا
بالايات التسع وسلطان مبين وحجة ظاهرة واضحة تظهر بطلان المخالف ويجوز ان
يراد به العصا وافردها بالذكر لانها ام الايات واولاها وتعلقت بها معجزات شتي كما ذكر
كانها ليست بعضها لما استبدت به من الفضل ويجوز ان يراد به الايات نفسها لانها ايات
وحجة بينة الي فرعون وملايه لاستخلاص بني اسرائيل من ايديهم علي ما افصح عنه في
سورة الشعراء حيث قال فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين ان ارسل معنا بني اسرائيل
اي خلهم يذهبوا معنا الي الشام فاستكبروا عن تصديقهما في الرسالة المذكورة وعن الايتمار
بامرهما عن المتابعة لانهما عليهما السلام لم يدعواهم اليها دل علي ذلك قولهما خلهم يذهبوا
معنا الي الشام وكانوا قوما عالين متكبرين قالوا انومن انذعن وننقاد

ر

لبشرين مثلنا البشر اسم الجنس كما يطلق على الجمع كقوله اما ترين من البشر احدا يطلق على
الواحد كقوله بشرا سويا وبهذا الاعتبار يثنى ومثل كغير يوصف به الاثنان والجمع والمذكر
والمؤنث كقوله انكم اذا مثلهم ومن الارض مثلهن ويقال ايضا هما مثلاه وهم امثالهم
وقومهما يعني بني اسرائيل لنا عابدون على الحقيقة لانه كان يدعي الالهية فادعى
للناس العبادة فكذبوهما فكانوا من المهلكين بالغرق ولقد اتينا اي بعد اهلاكهم
موسى الكتاب التورية لما كان اباؤه موسى عليه السلام في حكم ابنائه قومه قال لعلهم
يهتدون يعملون بشرايعها ومواعظها فان الاهتدا بالكتب الالهية انما يحصل بالعمل
بما فيها لا بعلمها وجعلنا ابن مريم عبر عنه بكنيته دون اسمه لما فيهما من الاشارة الى وجه
كونه اية وهو ولادته من غير اب وذلك ان الاصل في النسب هو الاب فلا يعدل عنه الا عند
فقده وامه اية بولادتها اياه من غير مسيس فهما معا اية واحدة او وجعلنا ابن مريم
اية بان تكلم في المهد وظهرت منه معجزات اخر وامه اية بان ولدت من غير مسيس فحذف الاولى
لدلالة الثانية عليها واويناهما الى ربوة هي الارض المرتفعة فقيل هي بيت المقدس
وقيل هي غيرها ذات قرار مستقر من ارض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فان ساكنيها
مستقرون فيها لاجلها ومعين المعين الماء الجاري على وجه الارض مفعول من عانه اذا
ادركه بالعين نحو ركبه اذا ادركه بالركبة اي يدرك بالعين لظهوره فميمه على هذا زائدة
او فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد في الشيء ومن الماعون الذي هو المنفعة اي
فميمه اصلية يا ايها الرسل كلوا من الطيبات هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما
لانهم ارسلوا متفرقين في ازمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام بان كل رسول في زمانه نودي لذلك
ووصي به ليعتقد السامع ان امرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان يؤخذ به ويعمل
عليه او خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم لفضله وقيامه مقام الكل في زمانه وكان ياكل من
الغنايم او لعيسى عليه الصلوة والسلام لاتصال الاية بذكره وكان ياكل من غزل امه وهو
الطيب لطيبات والمراد بالطيبات ما حل والامر للتكليف او ما يستطاب ويستلذ والامر
للترفيه والاباحة ومع الاحتمال احتمال لا يتم الاحتجاج به على الرهبانية في رفض الطيبات
بالمعنى الثاني واعملوا صالحا موافقا للشريعة اني بما تعملون عليم فيجازيكم على
اعمالكم وان هذه بالكسر على الاستيناف وبالفتح بمعنى ولان التعليل فاتقون او هو
معطوف على ما قبله اي بما تعملون عليم وان هذه او تقديره واعلموا ان هذه وقرئ بالتخفيف
امتكم ملتكم وطريقتكم امة واحدة في اصول الشرايع والمعتقدات او جماعتكم جماعة واحدة
متفقة في التوحيد والايمان ونصبها على الحال وانا ربكم فاتقون في شق العصا
ومخالفة الكلمة فتقطعوا تقطع بمعنى قطع والضمير لما دل عليه الامة من اربابها او لها

امرهم بينهم ما امروا به من الشرايع والاحكام زبرا جمع زبور اي كتبا مختلفة يعني
جعلوا دينهم اديانا وقيل تفرقوا في دينهم في كل سجل كتابا وعن الحسن قطعوا كتاب الله قطعا
ويؤيده قراءة زبر بفتح البا جمع مستعارة من زبر الحديد ويجوز ان يكون حالا من امرهم
او من الواو كل حزب كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم بما لديهم
من الكتاب والدين او الهوى والراي فرحون معجبون معتقدون انهم على الحق فذرهم
في غمرتهم في جهالتهم شبهها في غلبتها عليهم بالماء الذي يغمر القامة لانهم مغمورون فيها او
شبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا
تسلى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهي عن الاستعجال بعذابهم ايحسبون انما نمدهم به
انما نعطيهم ونجعله لهم من مال وبنين بيان لما وليس خبرا له فانه غير معاب عليه وانما المعاب
عليه اعتقادهم ان في ذلك خيرا لهم فخبره نسارع لهم في الخيرات والعايد من خبر ان الى
اسمها محذوف واي نسارع لهم به والمعنى ان هذا الامداد ليس الا استدراجا لهم الى المعاصي
وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات من المسلمين بل لا يشعرون اي بل هم اشباه البهائم
لا فطنة بهم ولا شعور حتى يتاملوا ويتفكروا في ذلك فيعلموا انه استدراج لا مسارعة في الخير
ان الذين هم من خشية ربهم الخشية خوف يشوبه التعظيم مشفقون قاصرون لحق
الهيبة والعظمة على حذر دوره والاشفاق خوف مع اعتنا والذين هم بايات ربهم
المنصوبة والمنزلة يؤمنون يصدقون مدلولها وتنزلها من عند الله والذين هم
بربهم لا يشركون شركا جليا ولا خفيا والذين يؤتون ما اتوا يعطون ما اعطوه
من الصدقات وقرئ ياتون ما اتوا اي يفعلون ما فعلوه من الطاعات وقلوبهم وجلة
ان لا يقبل منهم وان لا يقع على الوجه اللايق فيؤاخذوا به والوجل اضطراب النفس لتوقع
ما يكره انهم الى ربهم راجعون لان مرجعهم اليه او من ان مرجعهم اليه وهو يعلم ما يخفى
اولئك يسارعون في الخيرات يرغبون فيها اشد الرغبة فيبادرونها او الاخشن طباقا
لما تقدم والاشد وفاقا له ان المعنى انهم يسارعون في نيل الخيرات الدنيوية ويعجلون في الدنيا
المنافع ووجوه الاكرام لانهم اذا سورع لهم فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها لقوله فاتاهم الله
ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة لان فيه اثبات ما نفي عن الكفار للمؤمنين وهم لها سابقون
اي لاجلها فاعلون السبق او سابقون الناس لاجلها اي اياها سابقون اي ينالونها قبل
الاخرة حيث عجلت لهم في الدنيا حال من فاعل يسارعون وعطف على اولئك يسارعون
عطف الجملة على الجملة لها صلة سابقون او علته او خبرهم وسابقون خبر بعد خبر
ولا نكلف نفسا الا وسعها قدر طاقتها يريد التخصيص على ما وصف به الصالحين وتسهيله
على السامعين ولدينا كتاب اي ما عملوه غير ضايع بل مثبت في كتاب اي اللوح او صحيفة الاعمال

ينطق بالحق يبين الصدق لا يوجد فيه ما يخالف الواقع وهم لا يظلمون بزيادة عقاب
او نقصان ثواب وتقديم هم للمحافظة على الفاصلة ثم عاد الى ذكر الكافرين فقال
بل قلوبهم في غمرة في غفلة غامرة لها من هذا من الذي وصف به السابقون
ولهم اعمال خبيثة من دون ذلك متجاوزة عما وصفوا به والاشارة بذلك للتعظيم
هم لها عاملون معتادون فعلها حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب وهو القتل يوم بدر
او الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها
عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله تعالى بالقحط حتى اكلوا الجيف والكلاب والعظام
المحترقة والقد والاولاد اذا هم يجارون فاجؤوا الصراخ بالاستغاثة اي فاجؤوه وهو
جواب الشرط والجملة مبتدا بعد حتى ويجوز ان يكون الجواب لا تجاروا اليوم فانه مقدر
بالقول اي قيل لهم لا تجاروا انكم منا لا تنصرون تعليل للنهي اي لا تجاروا فانه لا ينفعكم
اذ لا تمنعون منا او لا يلحقكم نصر من جهتنا قد كانت اياتي يعني القران تتلى عليكم
اي قد استمر تجدد تلاوته عليكم وقتا بعد وقت فكنتم على اعقابكم تنكصون تعرضون
عنها او عن سماعها وتصديقها على اشنع وجه مستمرين على ذلك والنكوص رجع القهقرى
وهو اقبح مشية لانه لا يرى ما وراءه مستكبرين على المسلمين به بالبيت وبالحرم لانهم
يقولون لا يظهر علينا احد لانا اهل الحرم والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار
بالبيت او باياتي لانها في معنى ومعنى استكبارهم به تكذيبهم به استكبارا على التضمين او
مستكبرين بسببه اي اذا تتلى عليكم حدث بسببه استكباركم او تتعلق الباء بقوله سامرا اي
اي تسمرون بذكر القران وبالطعن فيه وذلك انهم كانوا يجتمعون حول البيت يسمرون
وكانت عامة سمرهم ذكر القران وتسميته سحرا وشعرا والسامر كالحاضر في الاطلاق على الجمع
او بقوله تهجرون وهو من الهجر بالفتح وهو الهذيان وبالضم الفحش وقرئ تهجرون من اهجر
في منطقه اذا افحش ومن هجر هو مبالغة في هجر اذا هذى اي تعرضون عن القران وتهذون
في شانه او تفحشون افلم يدبروا القول القران ليعلموا عند تدبره انه الحق المبين فيصدقوا
به وبمن جاء به او ليعلموا عند تامل اقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين والهمزة للتقرير
والتوبيخ اي ابعد وضوح اياتي المتلوة عليهم لم يتدبروه وام في قوله ام جاءهم ما لم يات
اباءهم الاولين منقطعة اي عدم تدبرهم اجاءهم ما لم يات اباءهم الاقدمين من كتاب ورسول
او امن من عذاب الله تعالى فلم يخافوا كما خاف اباؤهم الاقدمون كاسمعيل واعقابه فالهمزة
هذه للانكار ويجوز ان يكون المراد بالاولين الذين مضوا ممن سبقوهم من الاقربين الذين
قلدوهم فتكون الهمزة للتقرير ايضا ام لم يعرفوا رسولهم اضراب عما ذكروا وانكار بعدم معرفتهم
اياه لانهم عرفوه بالامانة والصدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم الى غير ذلك مما هو

صفات الانبيا فهم له منكرون تفريع على عدم معرفتهم اياه فيدخل تحت الاضراب
والانكار ولا وجه لما قيل لاحد هذه الصور لان الاتي بعده من جملة الوجوه فلا وجه
للفصل بينهما بما ذكر ام يقولون به جنة اضراب وانكار ايضا لقولهم به جنة
لانهم كانوا يعلمون انه ارجحهم عقلا واثقبهم رايا واصوبهم نظرا ويجوز ان تكون الهمزة
للاستفهام وام هي المتصلة ويكون الكلام على طريق المجادلة بالتي هي احسن اي هذه الا
كما يقال للمناظر ان الامر لا يخلو من احد هذه الاقسام لكن الاقسام كلها باطلة الا القسم
الاول وهو عدم التدبر وعبر عنه بقوله بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون
لمخالفته اهواءهم فلذلك لم يتدبروه وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان
استنكافا من توبيخ قومه او لقلة فطنته ولعدم فكرته لا لكراهة الحق ولو اتبع الحق
على سبيل الفرض والتقدير كما تفرض المحالات اهواءهم في الشرك بان كان في الوجود الهة
شتى لفسدت السموات والارض سبق تفسيره في تفسير قوله تعالى لو كان فيهما
الهة الا الله لفسدتا او ولو اتبع الحق الذي قام به السموات والارض اهواءهم
لانقلب باطلا لذهب ما قام به العالم فلا يبقى شيء منه او لو اتبع الحق الذي جاء به محمد
صلى الله عليه وسلم وهو الاسلام اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيمة واهلك العالم من فرط
غضبه ولم يؤخر واما ما قيل معنى ولو كان الله الها يتبع اهواءهم ويامر بالشرك والمعاصي لما
كان الها ولكان شيطانا ففيه ما لا يخفى من الجراة على الله تعالى وسوء ادب فاحش ومن فيهن
خص العقلاء تنبيها على ان وجود الغير تبع لهم بل اتيناهم بذكرهم بالكتاب الذي هو
ذكرهم اي وعظهم او صيتهم وفخرهم او بالذكر الذي كانوا يتمنونه بقولهم لو ان عندنا
ذكرا من الاولين فهم عن ذكرهم معرضون لا يلتفتون اليه وانما اعاد الذكر باسمه تفخيما
وام في ام تسالهم منقطعة خرجا وقرئ خراجا والخرج ما تخرجه الى الامام من زكوة
ارضك والى كل عامل من اجرته وجعله وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه والوجه
ان الخرج اخص من الخراج كقولك خراج القرية وخرج الكردة زادوا اللفظ لزيادة المعنى
ولذلك حسنت القراءة الاولى ام تسالهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فخراج ربك
فالكثير من عطاء الخالق خير ففيه مندوحة لك من عطائهم وهو خير الرازقين
تقرير لخيرية خراجه وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم قد سبق تفسيره في الفاتحة
والتنكير هنا للتعظيم ولما الزمهم الحجة وازاح العلة بحصر الاقسام التي تقتضي الانكار
والاتهام وبين انتفاءها الا عدم التدبر وكراهتهم الحق لمخالفته اهواءهم واقام الدليل على امتناع
موافقته لما هم عليه من التقليد واتباع الهوى لما يلزم ذلك من الفساد الكلي بين ان ما عليه
هو الصراط المستقيم البين استقامته بشهادة العقول السليمة والفطرة الصافية وانه يدعوهم

وانهم لكفرهم عن الصراط المذكور لعادلون وانما عدل في قوله وان الذين لا يؤمنون بالآخرة
عن الصراط لناكبون عن الضمير الي الموصول للتنصيص علي علة عدولهم وليكون كالبرهان
عدولهم لدخولهم في الموصول دخولا اوليا ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر يعني القحط
للجوا في طغيانهم في افراطهم في الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول عليه السلام والمؤمنين
يعمهون اي لعادوا الي ما كانوا عليه من اللجاج في الطغيان وذهب عنهم هذا الابلاس
والتمكن بين يديه يسترحمونه عمههم عن الهدي ثم استشهد علي ذلك بقوله ولقد اخذناهم
بالعذاب اي القتل والاسر يوم بدر فما استكانوا لربهم وما يتضرعون فما خضعوا وما
تذللوا ولم يوجد منهم تضرع استكان استفعل من الكون لان المتذلل ينتقل من كون الي كون كالمستحيل
للمنتقل من حال الي حال او افتعل من السكون اشبعت فتحته حتي اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد
باب الجوع الذي هو اشد من القتل والاسر اذا هم فيه مبلسون الابلاس اليأس من كل
خير وقيل السكوت مع التحير اي فابلسوا ساعتئذ وخضعت رقابهم حتي جاء اعتاهم تستعطفك
دونهم انه لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة عن اهل مكة واخذهم
الله تعالي بالسنين حتي اكلوا العلهز جاء ابو سفين رسول الله صلي الله عليه وسلم انشدك الله
والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلي قال قتلت الاباء بالسيف والابناء بالجوع
فنزلت وهو الذي انشا لكم السمع والابصار والافيدة قليلا ما تشكرون قليلا نصب
علي المصدر وما زايدة للتوكيد بمعني حقا اي شكرا قليلا تشكرون حقا وانما خص السمع
والابصار والافيدة بالذكر في مقام الامتنان لانها اصول المدركات المنتفع بها في المنافع
الدينية والدنيوية ولا يمكن الاستكمال الا بها لانها موقوف علي الاعتبار والاستماع والاتباع
بالنظر والاستدلال فهي اصول النعم الموجبة للشكر ولما كان العمدة في الشكر استعمالها في ما
خلقت لاجله ومقدمتها الاقرار بواهبها ومنشيها قال وهو الذي ذراكم في الارض
خلقكم وبثكم فيها بالتناسل واليه تحشرون تجمعون يوم القيمة بعد تفرقكم وهو الذي
يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار قد سبق تفسيره اي هو المختص باعترافكم بانشاء
الجوارح المذكورة وانشايكم والمختص بالاحياء والاماتة وله خاصة اختلاف الليل والنهار
وهو متوليه لا يقدر علي تصريفها غيره والاختصاص مستفاد من تقديم الضمير والظرف
افلا تعقلون افبعد هذه الدلايل الواضحة لا تعقلون بالنظر والاستدلال واستعمال
المدركات المذكورة ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات كلها وان البعث من جملتها فلا
تنكرونه والالتفات من التكلم الي الغيبة مما لا يخفي فايدته من التعظيم كما مر بهم وفرغ العصا
بالتكرير والافتنان فيه وقري يعقلون بالالتفات ايضا او علي ان الخطاب السابق لتغليب
المؤمنين بل قالوا اي كفار مكة مثل ما قال الاولون كما قال الكفار قبلهم

قالوا

قالوا ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما قد سبق وجه تاخير قوله وعظاما عن قوله وترابا
اينا لمبعوثون تكرار الهمزة للمبالغة في الانكار والاستبعاد والتوكيد بان واللام
لتوجيه الانكار الي الجزم بالبعث واعتقاد تحققه والايقان به كما عليه الرسول والمؤمنون
ويخبرون عنه لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا اي البعث من قبل من قبل مجي محمد
عليه السلام ان هذا الا اساطير الاولين الاساطير جمع اسطورة وهذا البناء لما
يتلهي به كالاعجوبة والاضحوكة والالعوبة وقيل جمع اسطار جمع سطر وهو ما كتبه الاولون
مما لا حقيقة له قل لمن الارض ومن فيها انما قيل من تغليبا للعقلاء او لانه يلزم ان له
غيره من طريق الاولي ان كنتم تعلمون اي ان كنتم من اهل العلم او من العالمين
بذلك زيادة استهانة بهم وتقرير لفرط جهالتهم سيقولون لله لانهم مقرون بانه الخالق
قل اي بعد ما قالوه افلا تذكرون فتعلمون ان من فطر الارض ومن فيها كان
قادرا علي اعادة الخلق وكان حقيقا بان لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية قل من رب
السموات السبع ورب العرش العظيم في توصيفه بالعظيم تصغير للسموات السبع مع
هذه العظمة في جنبه وهذا غاية في التعظيم سيقولون لله لان ذلك ايضا قد تقرر
عند العرب باخبار اهل الكتاب وقري الله بغير لام فيه وفيما بعده علي ما يقتضيه لفظ
السوال محمول علي المعني لان قوله لله معناه لله هذه الاشيا وهذا جواب صحيح قال الشاعر
• اذا قيل من رب الغيات بموقف • ورب الجياد الجرد قيل لخالد •
قل افلا تتقون افلا تخافونه فلا تشركوا به ولا تنكروا قدرته علي بعض مقدوراته
قل من بيده ملكوت كل شي مالكيته ومدبريته قيل الملكوت الملك والواو والتا للمبالغة
فينبي عن عظم الملك وهو يجير وهو يغيث من يشا من اجرت فلانا علي فلان اذا اغثته
منه ومنعته ولا يجار عليه ولا يغيث احد منه احدا وتعديته بعلي لتضمنه معني النصر
ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فاني تسحرون تخدعون فتصرفون عن توحيده
وطاعته مع ظهور الامر وتظاهر الادلة وهذه الاسئلة استهانة بهم وتقرير لفرط جهالتهم
في الامور الدينية حيث جهلوا مثل هذا الجلي الواضح والزام بما لا يمكن لمن له ادني مسكة من
العلم انكاره ولذلك اخبر عن جوابهم قبل ان يجيبوا بقوله سيقولون لله لان العقل الصريح
قد اضطرهم الي الاجابة بما اجاب به فلا يمكن عاقلا ان يجيب بجواب اخر ثم انه روعي في السوال
قضية الترقي فسال عن من له الارض ومن فيها ثم سال عن من له السموات والعرش العظيم
والارض بالنسبة اليه من كل شي ثم سال عن من بيده كل شي فاتي باعم العام وكلمة الاحاطة
واثر الملكوت وهو الملك الواسع وقيل بيده تصويرا وتخيلا وكذلك روعي هذه النكتة في الفواصل
فبدا ولا بعدم التذكر فان اثر النظر يكفي في انحلال عقدهم ثم بعدم الاتقاء وفيه وعيد ثم بالتعجب

لق

انما قال زيادة لانه اصلها حاصل بالسوال
واقادان بهذه الاسولة استهانة بهم
وتقرير لفرط جهالتهم في الامور الدينية
حيث جهلوا مثل هذا الجلي الواضح
منه

الارض

من خدع عقولهم فتجعل الباطل حقا والحق باطلا وانى لها التذكر والخوف ثم اتيناهم بالحق
بالتوحيد واستحالة نسبة الولد والشريك اليه وانهم لكاذبون حيث انكروا ذلك
ودعوا اليه ولدا ومعه شريكا ما اتخذ الله من ولد لتقدسه عن مماثلة احد وما
كان معه من اله يساهمه في الالوهية اذا جواب لمحاجتهم وجزاء لشرط محذوف
لدلالة ما قبله عليه اي لو كان معه الهة كما تقولون لذهب لانفرد كل اله بما خلق
بخلقه الذي خلقه واستبد به ولرايتم امتياز ملك كل واحد عن الاخر ووقع بينهم التحارب
والتغالب ولعلا بعضهم على بعض ولغلب بعضهم بعضا كما هو حال ملوك الدنيا
ممالكهم متمايزة وهم متغالبون وحين لم تروا اثر التمايز الممالك والتغالب فاعلموا انه الواحد
بيده ملكوت كل شيء واما ما قيل فلم يكن بيده ملكوت كل شيء ولم يكن واحد منهم الها مطلقا
واللازم بطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب
واحد فيرد عليه ان الاجماع والاستقراء لا يناسب المقام واما البرهان فانما قام على
وجوب انتهاء سلسلة الموجودات الى واجب بالذات ولا يلزم منه ان لا يتعدد الواجب
ولا يكون في الوجود سلاسل ينتهي بعضها الى واجب وبعضها الى واجب اخر سبحان الله
عما يصفون عما يصفونه من نسبة الولد والشريك اليه لما سبق من الدليل على فساده
وقرئ بالجر عالم الغيب والشهادة خبر مبتدا محذوف وقرئ بالجر على الصفة دليل اخر
على نفي الشريك بناء على توافقهم في انه المتفرد بذلك ولذلك رتب عليه فتعالى الله عما يشركون
بالفاء قل رب اما تريني ما يوعدون ان هي الشرطية وما ونون موكدتان لمعنى الشرط
وجواب الشرط فلا تجعلني اي ان كان لا بد من ان تريني ما تعدهم من العذاب في الدنيا او في
الاخرة رب تكراره بين الشرط والجزاء معترض للتنبيه على فضل الخضوع والجوار فلا
تجعلني في القوم الظالمين اي فلا تجعلني قرينا لهم في العذاب عن الحسن اخبره الله تعالى
ان له في امته نقمة ولم يخبره افي حيوته ام بعد موته فامره ان يدعو بهذا الدعاء وهو اما
لهضم النفس والقيام بحق العبودية مع علمه بانه لا يفعله واما للاعلام بان شوم الظلمة
قد يحيق بمن ورائهم لقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وانا على
ان نريك ما نعدهم لقادرون كانوا يستعجلون العذاب انكارا وعنادا ويضحكون منه
استهزاء فقيل لهم ان الله تعالى قادر على انجاز ما وعد عاجلا لكن يؤخره علما بان بعضهم او بعض
اعقابهم يؤمنون ولا يعذبهم وانت فيهم وقيل قد اراه يوم بدر او يوم فتح مكة ادفع بالتي
هي احسن السيئة حث على تكرمة هي افضل المكارم ما لم يؤد الى ثلم في الدين او ازراء بالمروة
وهو ابلغ من ان يقال بالحسنة السيئة لما فيه من صيغة التفضيل والاجمال والتفصيل بابهام التي
وتبيين الصلة اي رد على الصفح عن الاساءة بمقابلة السيئة بما يمكن من الاحسان حتى اذا اجتمع

الصفح

الصفح والاحسان وبذل الوسع فيه كانت حسنة مضاعفة بازاء السيئة ودفعها بالتي
هي احسن نحن اعلم بما يصفون بما يصفون به من صفات السوء او بوصفهم لك وسوء
ذكرهم وعيدهم وتسلية له عليه السلام والله اعلم بقولهم وفعلهم وهو يجازيهم وقل
رب اعوذ بك امره بالتعوذ من ان يحضروه ويحوموا حوله من همزات الشياطين
تسبحات الشياطين الناس على المعاصي بالوساوس بهمز الراضة للدواب على الشيء بالمهماز
والجمع اما لتعداد الوساوس ولتنوعها او لتنوع المضاف اليه وتعددهم واعوذ بك
ان يحضرون عن ابن عباس رضي الله عنهما عند تلاوة القران وعن عكرمة رضي الله عنه
عند النزع وقيل عند الصلوة والتخصيص باحد مما لانها احرى الاحوال بان يخاف عنده
حتى اذا جاء احدهم الموت يتعلق بيصفون غاية لها اي لا يزالون يذكرونك بسوء الى هذا
الوقت وما بينهما اعتراض للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان ان يزله عن الحكم ويغريه
على الانتصار منهم او بقوله انهم لكاذبون قال تحسرا على تفريطه السابق لما اطلع على
الامر اللاحق رب ارجعون ردوني الى الدنيا والخطاب بلفظ الجمع او لتكرار ارجعني
كما قيل قفا واطرقا وهو يناسب الجوار والتضرع لعلي اعمل صالحا فيما تركت في الايمان
الذي تركته اي لعلي اتي بما تركته من الايمان واعمل فيه صالحا وقيل فيما تركت من المال
او في الموضع الذي تركت وهو الدنيا كلا ردع عن طلب الرجعة واستبعادها انها
كلمة اي طايفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهو قوله رب ارجعون الخ هو قايلها
لا محالة لا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة والندامة عليه او هو قايلها وحده لا يجاب
اليها ولا تسمع منه ومن ورائهم امامهم والضمير للجماعة برزخ البرزخ
الحاجز قال الضحاك هو الحاجز بين الدنيا والاخرة وقيل بينهم وبين الرجوع الى الدنيا وباباه
قوله الى يوم يبعثون لانه لا يصلح غاية لعدم الرجوع المذكور والعلم بانه لا رجعة
يوم البعث الى الدنيا يفيد الاقناط الكلي عن الرجوع الى الدنيا ولكنه لا يصلح امر الغاية
فاذا نفخ في الصور للبعث والنشور والقراءة بفتح الواو وبه وبكسر الصاد يؤيد ايضا
ان الصور جمع الصورة اذ الاصل في القراءة التوافق فلا انساب بينهم يومئذ المنفي
نفع الانساب لا انفسها فان لكل امرئ يومئذ ما اكتسب لا ما انتسب قيل لزوال التعاطف
والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته
وبنيه وفيه نظر ولا يتساءلون عما يفعلون اليوم وليس هذا عقيب النفخة البعث بل
بعد زمان لقوله تعالى من بعثنا من مرقدنا فانه صريح في انهم يتساءلون قال ابن عباس رضي
الله عنهما ذلك عند القيام بالنفخة الثانية والفاء الجزائية لا تدل على التعقب فمن ثقلت
موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم قد سبق

تفسيره في سورة الاعراف في جهنم خالدون بدل من خسروا انفسهم والجملتان
في حكم الصلة فلا محل لها من الاعراب او خبر بعد خبر لاوليك فهو في محل الرفع كالذين
خسروا او خبر مبتدا محذوف تلفح وجوههم النار تحرقها قال الزجاج اللفح كالنفح
الا ان اللفح اشد تاثيرا وهم فيها كالحون من شدة الاحراق والكلوح ان يتقلص الشفتان
ويتشمرا عن الاسنان كما ترى الروس المشوية روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تشويه
النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته
الم تكن اياتي تتلى عليكم على اضمار القول اي يقال لهم الم تكن اياتي تتلى عليكم في الانذار
فكنتم بها تكذبون تعنيف وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب بسببه قالوا ربنا
غلبت علينا شقوتنا ملكتنا من قولك غلبني فلان كذا اذا اخذ منك وامتلكه والشقا
سوء العاقبة وقرئ شقوتنا بفتح الشين وكسرها كالسعادة والكتابة اي غلبت علينا
الاعمال الردية والاحوال القبيحة التي شقينا بها وكنا قوما ضالين عن الحق والصواب
وليس هذا باعتذار بل هو اعتراف منهم بسوء الصنيع ولا صحة لما قيل غلبت علينا ما كتب علينا
من الشقاوة لانه انما يكتب ما يفعل العبد وما يعلم انه يختاره والعلم تابع بالمعلوم لا العكس
فلا يكون مغلوبا ومضطرا في الفعل بسبب التقدير الازلي ربنا اخرجنا منها من النار
فان عدنا الى الكفر والتكذيب فانا ظالمون لانفسنا قال اخسئوا اسكتوا
فيها اي انزجار الكلاب اذا زجرت يقال خسئ الكلب وخسيته لازم ومتعد يا شبههم
بالكلب في الذلة والهوان فطردوا باخسئوا ولا تكلمون في رفع العذاب او ولا تكلمون
اصلا قيل هو اخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعوا
الكلب لا يفهمون ولا يفهمون انه ان الشان وقرئ بالفتح اي لانه كان تعليل
لوجوب انجارهم فريق من عبادي يعني المومنين وقيل هم الصحابة رضي الله عنهم
وقيل اهل الصفة خاصة يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا في تفريع طلب المغفرة
والرحمة على الايمان دلالة على كفايته فيها وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا
هزوا وتشاغلتم ساخرين حتى انسوكم بكثرة تشاغلكم بهم ذكري اي تركتم ان
تذكروني فتخافوني في اوليايي والسخري بالضم والكسر مصدر سخر كالسخر الا ان في ياء
النسب زيادة قوة في المبالغة كما قيل الخصوصية في الخصوص وعن الكسايي والفرا ان المكسور
من الهزء والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية اي تسخروهم واستعبدوهم والاول
مذهب الخليل وسيبويه وكنتم منهم تضحكون استهزاء بهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا
على اذاكم انهم بالفتح ثاني مفعول جزيتهم وبالكسر استيناف كانه لما ابهم الجزا للتعظيم
ولم يبينه اتجه ان يسال سايل كيف جزاهم فقال انهم هم الفايزون مخصوصون

بالفوز

بالفوز بجميع مراداتهم قال اي الله تعالى او المامور بسواله من الملايكة وقرئ على
الامر لمالك او لبعض روسا اهل النار كم لبثتم في الارض عدد في الدنيا احياء
وامواتا في القبور عدد سنين اي كم عدد سنين لبثتم فكم نصب بلبثتم وعدد تمييز
قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصروا مدة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم في النار
او لانها كانت ايام سرورهم وايام السرور قصار او لانها منقضية والمنقضي في حكم
العدم الذي يستحق ان يعبر عنه بالقلة فاسال العادين الذين يتمكنون من
عد ايامها ان اردت تحقيقها فانا لما نحن فيه من العذاب مشغولون من تذكرها واحصايها
او الملايكة الذين يعدون اعمار الناس ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي
الظلمة فانهم يقولون كما نقول وقرئ العاديين اي القدما المعمرين فانهم يستقصرونها فكيف
بمن دونهم قال وقرئ قل ان لبثتم الا قليلا اي ما لبثتم الا زمنا قليلا او لبثا
قليلا لو انكم كنتم تعلمون صدقهم الله تعالى في مقالتهم لسني لبثهم في الدنيا ووبخهم
على غفلتهم التي كانوا عليها افحسبتم توبيخ اخر على تغافلهم وتجهيل مع انكار
انما خلقناكم عبثا حال او عابثين او مفعول له اي ما خلقناكم للعبث وانما خلقناكم لنتعبدكم
ونجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل على البعث وانكم الينا لا ترجعون عطف على انما
خلقناكم ويجوز ان يكون معطوفا على عبثا اي للعبث ولتركم غير مرجوعين وقرئ ترجعون
بفتح التا فتعالى الله من ان يخلق عبثا تعليل لما تقدم الملك الحق الذي يحق
له الملك لان كل شي منه واليه او الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه ومن عداه مملوك
بالذات مالك بالعرض زايل الملك لا اله الا هو وان ما عداه عبيده رب العرش
الذي يحيط بالاجرام الكريم بالجر على انه صفة العرش وانما وصف بالكرم لان الرحمة
والخير والبركة الالهية تنزل منه ويجوز ان يكون توصيفه بالكرم لنسبته الى اكرم الاكرمين
مجازا يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما ومن يدع مع الله الها اخر يعبده افرادا
او اشراكا لا برهان له به صفة اخرى لالها اي لا حجة له عليه لان البرهان عقلي
او نقلي وليس في واحد منهما ما يجوز ان يكون معه اله اخر وهذا وان كان مذكورا في
موضع الصفة فليس للتمييز لان الباطل بمعزل عن ان يكون له دليل ضعيف فضلا عن
برهان وانما جي بها للتاكيد وبنا الحكم بالوعيد عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل
عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه او اعتراض بين الشرط والجزا البيان الملازمة
من احسن الى زيد لا احق بالاحسان منه فالله مثيبه قوله فانما حسابه عند ربه كنا
عما ذكر اي فهو مجاز له بما يستحقه انه اي الشان وقرئ بالفتح اي لانه او لانه على انه خبر
اي حسابه لا يفلح الكافرون من باب وضع الظاهر موضع المضمر اذ اصله حسابه

انه لا يفلح هؤلاء من يدع في معنى الجمع فمعنى حسابه انه لا يفلح حسابهم انهم لا يفلحون
ففيه تقطيعا لشانهم وتفضيحا لسوء حالهم وايماء ان عدم الفلاح لكفرهم وصيغة الجمع
للتنبيه على انه لا يغني اجتماعهم والا فالظاهر ان يؤتى بصيغة الافراد لان الفلاح منتف
عن جنسهم فزواج بين فاتحة السورة وخاتمتها بقوله قد افلح المؤمنون في الفاتحة وانه لا
يفلح الكافرون في الخاتمة ثم علمنا سؤال المغفرة والرحمة بقوله وقل رب اغفر
وارحم وانت خير الراحمين

سورة النور مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة خبر مبتدا محذوف او مبتدا لانه مخصصة بالتنكير الدال على التعظيم كقوله
شر اهر ذا ناب انزلناها صفة او خبر ومن نصبها جعلها مفسرة لناصبها فلا يكون
لها محل الا اذا قدر اتل ونحوه ولا يجوز تقديرونك لان اداة الاغرا لا تحذف وفرضناها
اي فرضنا ما فيها من الاحكام وقرئ بالتشديد للتكثير او للمبالغة وانزلنا فيها
ايات بينات اي دلايل واضحات لعلكم تذكرون لكي تتعظوا الزانية
اي المراة التي مكنت من الزنا فالمكرهة خارجة عن حدها قدمت هنا لانها الاصل في
الزنا وذلك ان حرمة الوطي التي بها يتحقق الزنا منشاؤها خلو المحل عن الملكية وشبهها
كما قدم الزاني في الحكم الاتي الثاني ذكره لاصالته فيه والزاني رفعهما بالابتدا والخبر
فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة والفا لتضمنها معنى الشرط لان اللام بمعنى الذي
وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر والجلد ضرب الجلد وفيه اشارة الى انه
لا يبالغ ليصل الاثر الى اللحم والخطاب لجماعة المسلمين الا انهم لا يمكنهم الاجتماع فينوب
الامام منابهم وعموم الاية يتناول المحصن وغير المحصن ثم خص المحصن منه بحديث الرجم
وشرايط احصان الرجم العقل والبلوغ والاسلام والحرية والدخول بنكاح صحيح وهما
على صفة الاحصان ورجمه عليه السلام يهوديين قد زنيا كان بحكم التوراة ثم نسخ يؤيده
قوله عليه السلام من اشرك بالله فليس بمحصن والتغريب المروي بهذا منسوخ بهذه الاية
كالحبس والاذى في قوله فامسكوهن في البيوت وقوله فاذوهما لان الفا انما تدخل على
الجزا وهو اسم للكافي ولا تاخذكم بهما رافة الرافة الرحمة واخذها كناية
عن تاثيرها في النفس حيث يظهر اثرها في العمل فرجع النهي للمسامحة في اقامة الحد
كما ينبغي في دين الله في طاعته او في حكمه وانما قال بهما ليعلم حكم الرافة باحدهما
بطريق الدلالة ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر فان الايمان يوجب الانقياد
بامر الله تعالى وهذا من باب التهييج والهاب الغضب لله ولدينه وجواب الشرط مضمر
اي فاقيموا الحد ولا تتساهلوا فيه وليشهد عذابهما وليحضر موضع حدهما وتسميته
عذابا دليل على انه عقوبة طايفة فرقة يمكن ان تكون حلقة وهي صفة غالبة

لانها

لانها الجماعة الحافة حول الشي من المؤمنين ليعتبروا وينزجروا فان التفضيح
قد ينكل التعذيب الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة اي لا يميل الا الى نكاح واحدة
منهما والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك اي لا تميل الى نكاح واحد منهما
ومرجعه الى نفي ميلهما عن نكاح غيرهما فالقرينتان على سنن واحد وانما عدل في الثانية عن
الصريح الى الكناية كراهة اسناد النكاح اليها ووجه ما ذكر ان المشاكلة علة الالفة والتضام
والمخالفة سبب للنفرة والافتراق وهو نظير قوله تعالى الخبيثات للخبيثين الاية فالاية
تزهيد في نكاح البغايا اذ جعل الزنا فيها عديل الشرك في القبح وحرم ذلك على المؤمنين
لما فيه من التشبه بالفساق وحضور مواضع التهمة والتسبب لسوء المقالة فيه والغيبة
والطعن في النسب ومجالسة الزواني كم فيها من التعرض لاقتراف المفاسد والاثام فكيف
بمزاوجتهن ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به
والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالذي ورد فيه او منسوخ بقوله تعالى وانكحوا الايامى
منكم فانه يتناول المسافحات ويؤيده انه صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال اوله سفاح
واخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال والذين يرمون المحصنات اي يقذفون الحرائر
العفايف المسلمات المكلفات بالزنا لوصف المقذوفات بالاحصان وذكرهن وانما عدل
عن القذف الى الرمي لان القذف رمي البعيد المستلزم لصلابة المرمي والقيدان المذكوران
اعتبارهما لا يناسب المقام عقيب الزواني واشتراط اربعة شهدا بقوله ثم بكلمة التراخي
دل على انه لا يجب عليه الاتيان بالشهود على الفور ثم لم ياتوا باربعة شهداء
يشهدون على زنا المقذوفة وفي القذف بغير الزنا يكفي فيه الشاهدان وايجاب الحد بقوله
فاجلدوهم ثمانين جلدة لان القذف بغير الزنا لا يوجب الحد بل يوجب التعزير كقذف
غير المحصنة بالزنا ونصب ثمانين نصب المصادر كنصب مائة ونصب جلدة على التمييز ولا
فرق فيه بين الذكر والانثى وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة او لان قذفهن
كان اغلب هذا ما قالوا وانا اقول وان اريد انفس المحصنات كما في قوله تعالى والمحصنات
من النسا فلا تخصيص ولا يشترط اجتماع الشهود عند الاداء ولا شهادة زوج المقذوفة
ولكن يشترط طلب المقذوف لان فيه حقه من حيث دفع العار ولا خلاف فيه لابي حنيفة
رحمه الله وضربه اخف من ضرب الزنا لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده
ويرد عليه النقض بضرب التعزير وفيما اذا كان المقذوف غير محصن فانه اشد من ضرب الزنا
مع قيام العلة المذكورة فيه ولا تقبلوا لهم شهادة نكر شهادة في موضع النفي فتعم
كل شهادة فتتعلق في استيفا الحد او بعضه خلافا للشافعي فيهما ورد شهادته ليس لانه
مفتر والا لما تخلف عنه في قذف غير المحصن بل لانه من تمام الحد واصل الكلام ولا تقبلوا

شهادتهم وانما غير النظم بزيادة اللام لا لفايدة التنكير لانها تحصل بالتعريف الاستغراقي
علي وجه اقوي بل لاظهار وجه كون الرد المذكور من الحد باشعار ان في قبول الشهادة
للشاهد لانه يتضمن الاكرام وضده يتضمن الاهانة لا يقال لحاله قبل الحد اسوء مما بعده لا
انا نريد انه كذلك عند الناس فهم وانا نريد انه كذلك عند الله تعالي فلا يجدي لان المعتبر
في هذا الباب ما عند الناس حتي قيل تقبل شهادة الفاسق الوجيه ابدا اي الي اخر اوقات
اهليتهم للشهادة لا الي اخر عمره ولذلك تقبل شهادة الكافر المحدود في قذف بعد اسلامه
لحدوث اهلية اخري للشهادة بالاسلام ولا خلاف للشافعي رحمه الله هنا وانما خلافه
في انصراف الاستثنا الاتي ذكره واولئك هم الفاسقون كلام مستانف غير داخل
في حيز جزا الشرط لانه حكاية حال الرامين عند الشرع الحاكم بالظاهر لا عند الله العالم بالسر
بعد انقضا الجملة الشرطية وقوله الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا احوالهم
بالاستسلام للحد والاستحلال عن المقذوف استثنا من الفاسقين ويدل عليه تعليل
الاستثنا بقوله فان الله غفور رحيم اي يغفر ذنوبهم ويرحمهم والشافعي جعل
جزا الشرط الجملتين ايضا وجعل الاستثنا متعلقا بالجملة الثانية وحق المستثني عنده ان
يكون مجرورا بدلا من هم في لهم وحقه عندنا ان يكون منصوبا لانه عن موجب تام
والذين يرمون ازواجهم هذا حكم مقذوف الزوجات بالزنا ولم يكن لهم شهداء يشهدون
لهم به الا انفسهم بدل من شهدا او صفة لهم علي ان الا بمعني غير فشهادة احدهم اربع
قري بالرفع علي انه خبر والمبتدا فشهادة احدهم وبالنصب لانه في حكم المصدر بالاضافة الي
المصدر وهو شهادة والعامل فيه المصدر الذي هو شهادة في قوله فشهادة احدهم وعلي
هذا خبره محذوف تقديره فواجب شهادة احدهم اربع شهادات بالله متعلق بشهادات
لقربها وقيل بشهادة لتقدمها انه لمن الصادقين اي فيما رماها به من الزنا واصله
علي انه فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنه باللام تاكيدا والخامسة والشهادة
الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين في الرمي ويدرا عنها العذاب ويدفع
عنها الحبس والحد ان تشهد اربع شهادات بالله انه ان الرامي لمن الكاذبين في الرمي
والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فيه قري الخامسة بالنصب عطفا
علي اربع وبالرفع على الابتدا وما بعدها الخبر وخص الغضب في جانبها لان النسا يستعملن
اللعن كثيرا كما ورد في الحديث فربما يجترين على الاقدام لكثرة جري اللعن على السنتهن وسقوط
وقعه عن قلوبهن فذكر الغضب في جانبهن ليكون رادعا لهن واذا تلاعنا كما بين في النص لا تقع الفر
حتي يفرق القاضي بينهما وعند زفر والشافعي يقع بتلاعنهما الفرقة وتكون الفرقة تطليقة
باينة عند ابي حنيفة ومحمد وعند ابي يوسف وزفر والشافعي رحمهم الله تحريم مؤبد واما ان

حكم لعان الزوج سقوط حد القذف عنه وثبوت حد الزنا عليها فالنص ساكت عنه ولولا فضل
الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم ترك جواب لولا وهو ابلغ لان النفس تذهب في تعدد
جوابه كل مذهب ولقد احسن من قال رب سكوت ابلغ من النطق ان الذين جاؤا بالافك
هو ابلغ ما يكون من الكذب والافترا واصله من الافك وهو صرف القلب لانه قول منصرف
منقلب عن وجهه والمراد ما افك به علي ام المومنين عايشة رضي الله عنها وقصته معروفة
عصبة جماعة قيل من العشرة الي الاربعين ويرده ما في مصحف حفصة رضي الله عنها
عصبة اربعة يقال تعصب القوم اذا اجتمعوا علي هيية يشد بعضهم بعضا ومنه العصبة
لانه يجمعهم التعصب ففي عبارة العصبة هنا حسن موقع ورجحانها عبارة الجماعة من
جهة الدلالة علي الكم والكيف وهو عبد الله بن ابي راس المنافقين ورئيس المتعصبين
وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم منكم من المعدودين
من اهل ملتكم وبهم ظنوا ان الافك وقع من الكفار وفيه اظهار لوجه غرابة ذلك الافك وجراة
عصبة وقوله لا تحسبوه مستانف والخطاب للرسول عليه الصلوة والسلام وابي بكر وعا
وصفوان رضي الله عنهم ومن ساه ذلك من المومنين والمومنات والها للافك شرا لكم
الشر ما زاد ضره علي نفعه والخير ضده بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور
كرامتكم علي الله تعالي في انزال ثماني عشر اية في براتكم وتعظيم شانكم وتهويل الوعيد لمن تكلم
فيكم والثنا علي من ظن بكم خيرا لكل امري منهم ما اكتسب من الاثم لكل امري من العصبة جزا
ما اكتسب من الاثم علي ما اختص به مقدار خوضه فيه وكان بعضهم ضحك وبعضهم تكلم فيه
وبعضهم سكت وليس في عبارة [illegible] اخري اخراج حمنة بنت جحش عن هذا الحكم بل ترك ذكرها
احالة لمعرفة حالها علي الدلالة تنزيلا لشانها وتحقيرا لها والذي تولي كبره معظمه
وقري بالضم وهي لغة فيه اي قرب من اخر عمره ولم يبعد فيه عن المعاصي خصوصا عن مثل
هذه المعصية منهم من الخايضين في الافك وهو ابن ابي فانه بدا به واذاعه عداوة
لرسول الله صلي الله عليه وسلم له عذاب عظيم في الاخرة روي ابو داود عن عايشة
رضي الله عنها قالت لما نزل عذري قام رسول الله صلي الله عليه وسلم فذكر ذلك وتلا القران
فلما نزل من المنبر امر بالرجلين والمراة فضربوا حدهم وهم حسان بن ثابت ومسطح ابن اثاثة
وحمنة بنت جحش قال علماؤنا وانما لم يحد عبد الله بن ابي لان الله قد اعد له في الاخرة عذابا عظيما
ولو حد في الدنيا لكان ذلك كفارة له فيتخلص من عذابه الاخروي فانما حد المسلمون ليكفر
عنهم اثم ما صدر منهم من القذف حتي لا تبقي عليهم تبعة ذلك في الاخرة وقد قال عليه السلام
في الحدود انها كفارة لمن اقيمت عليه ففي قوله تعالي عذاب عظيم اشارة الي عدم وجوب الحد
علي ابن ابي ولذلك لم يحده النبي صلي الله عليه وسلم ثم وبخ الخايضين فيه فقال لولا هلا

اذ سمعتموه اي الافك ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم بالذين منهم والمؤمنون
كنفس واحدة وهو كقوله تعالي ولا تلمزوا انفسكم خيرا عفافا وصلاحا وانما عدل عن الخطاب
الي الغيبة وعن الضمير الي الظاهر ولم يقل ظننتم بانفسكم ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات
وليدل الصريح بلفظ الايمان علي ان الاشتراك فيه يقتضي ان لا يصدق مؤمن علي اخيه ولا
مؤمنة علي اختها قول عايب ولا طعن طاعن ومن الادب الحسن قلّ القايم به وانما جاز الفصل
بين لولا وفعله بالظرف لانه منزل منزلته من حيث انه لا ينفك عنه ولذلك يتسع فيه ما لا
يتسع في غيره وذلك للاهتمام بالظرف والايذان بان لا يخلوه في اول وقت السماع بالاتيان
بالمحضض عليه وقالوا كما يقول المستيقن والمطلع علي حقيقة الحال قرن بالظن التصريح
بالقول ليفيد ان اللايق بالمؤمن ان يبني قوله علي ظن الخير في اول وقت السماع هذا افك
مبين كذب ظاهر لولا جاؤا عليه باربعة شهدا هلا جاؤا علي القذف لو كانوا صادقين
باربعة شهدا فاذ لم ياتوا بالشهدا فاوليك عند الله هم الكاذبون اي في حكمه وشريعته
وفي عبارة عند تعظيم لما في احكام الشرع من العمل بالظاهر ولولا فضل الله عليكم ورحمته
في الدنيا والاخرة لولا هذه لامتناع الشي لوجود غيره اي ولولا اني قضيت عليكم في الدنيا
بضروب النعم التي من جملتها الامهال للتوبة وان اترحم عليكم في الاخرة بالعفو والمغفرة بسبب
توبتكم واستسلامكم للحد لمسكم عاجلا فيما افضتم فيه بسبب ما خضتم فيه يقال
افاض في الحديث وخاض واندفع عذاب عظيم يستحقرون اللوم والحد اذ ظرف
لمسكم او لافضتم تلقونه التلقي كالتلقف والتلقف الا ان في التلقي معني الاستقبال
وفي التلقف حذف في التناول وفي التلقف الاختيار في التناول ذكره الراغب ولا اختصاص
له بالكلام فلذلك قال بالسنتكم اي ان بعضكم كان يقول لبعض هل بلغك حديث عايشة
حتي شاع فيما بينهم وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه وتقولون بافواهكم انما قيد
بالافواه مع ان القول لا يكون الا بالفم لان المراد بيان انهم يقولون كلاما لا يساعده القلب
باذني درجات العلم في قوله ما ليس لكم به علم للتقليل وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة
له فهذه الثلاثة اثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم تلقي الافك بالسنتهم والتحدث به
من غير علم واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم في الوزر ثم اخذ يوبخهم علي
التكلم به وكان الواجب عليهم اذ سمعوه ان لا يتفوهوا به فقال ولولا فهلا اذ سمعتموه
قلتم ما يكون لنا ما ينبغي وما يصح لنا ان نتكلم بهذا قد تقدم فايدة الظرف وجه
الفصل به بين لولا وقلتم سبحانك للتعجب من عظم الامر ومعني التعجب في كلمة التسبيح
ان الاصل ان يسبح الله عند رؤية العجب من صنايعه ثم كثر حتي استعمل في كل متعجب منه او لتنزيهه
من ان يصعب عليه مثله لتنزيه الله تعالي من ان تكون حرمة النبي صلي الله عليه وسلم فاجرة

فان فجورها ينفر عنه ويخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما تقدم وتمهيدا
لما تاخر هذا الاشارة الي قول مخصوص ويجوز ان يكون الي نوعه فان قذف احاد الناس
محرم شرعا فضلا عن تعريض الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما حرمة رسول الله صلي الله
عليه وسلم بهتان عظيم وفي بعض الاخبار ان ام ابي يوسف قالت لابي ايوب الانصاري
رضي الله عنه اما يكفيك ما تقول في عايشة رضي الله عنها فقال ابو ايوب سبحانك هذا بهتان
عظيم فنزلت الاية علي وفق قوله يعظكم الله اي يحذركم الله ان تعودوا لمثله في ان
تعودوا الي مثل ما فعلتم من القول به وسماعه وتلقيه ابدا ما دمتم احياء مكلفين ان
كنتم مؤمنين فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو الايمان الصادر
عن كل قبيح ويبين الله لكم الايات الدالة علي الشرايع ومحاسن الادب كي تتعظوا وتتادبوا
والله عليم بما يامر وينهي حكيم فيه ان الذين يحبون يودون ان تشيع الفاحشة
اي ما قبح جدا والمعني يحبون شيوعها لان عذاب الذين لا يكون الا بعد اشاعتها وليس هذا
من قبيل الكناية لا من قبيل المجاز لان كلا من معني المحبة والاشاعة مقصود بل هي من قبيل الاكتفا
عن ذكر الشي بذكر ما يقتضيه تنبيها علي القوة في المقتضي ويجوز ان يكون المعني تشيعون
الفاحشة محبين شيوعها علي التضمين في الذين امنوا في حق المؤمنين وهم المقذوفون منهم
او فيما بين المؤمنين لهم عذاب اليم في الدنيا بالحد والاخرة بالنار والله يعلم بواطن
الامور وسراير الصدور وانتم لا تعلمون فعاقبوا في الدنيا علي ما دل عليه الظاهر والله
تعالي يعاقب علي السراير من حب الاشاعة وغيره ان لم يتوبوا عنها ولولا فضل الله عليكم ورحمته
لعجل لكم بالعذاب كرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب مع حذف الجواب مبالغة في تعظيم الجريمة
والتوبيخ لهم وان الله رءوف حيث اظهر براة المقذوف واثاب رحيم لجناية القاذف
اذا تاب وهذا لان الرافة لا رقة الرحمة وهي تناسب حال المقذوف يا ايها الذين امنوا
لا تتبعوا الاتباع الاقتدا بالداعي الذاهب في جهة باقتفا اثره في الذهاب في تلك الجهة
فالمتبع في الحقيقة نفس الداعي لا اثره وانما اضيف الاتباع الي الاثر تنزيلا له منزلة الداعي
مبالغة خطوات الشيطان بخطوات الشيطان تعديه لحدود الله تعالي بالوسوسة
وتجاوزه عنها ومن يتبع خطوات الشيطان حذف جزاؤه لظهوره واقيم مقامه
فانه يامر تعليل للجزا المحذوف والجملة الشرطية قايمة مقام تعليل النهي بالفحشاء
ما افرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع في الجملة فهو تعميم بعد التخصيص وفايدته
التنبيه بتقديم الخاص علي اختصاصه بزيادة الاعتنا في شانه من جهة الامر ولولا فضل
الله عليكم ورحمته بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ما زكي
ما طهر من دنسها منكم من احد ابدا ما دام حيا مكلفا ولكن الله يزكي من يشاء

يحمله على التوبة وقبولها والله سميع لمقالاتهم عليم بنياتهم ولا يأتل لا يحلف افتعال
من الالية يرشدك اليه انه قرئ ولا يتأل فانه نزل في ابي بكر رضي الله عنه وقد حلف ان لا
ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين اولو الفضل منكم في الدين
وفيه دليل على فضل ابي بكر رضي الله عنه والسعة في المال ان يؤتوا اولي القربى والمساكين
والمهاجرين في سبيل الله صفات لموصوف واحد اي ناسا جامعين لها لان الكلام فيمن
كان كذلك او لموصوفات اقيمت مقامها فتكون ابلغ في تعليل المقصود وليعفوا عما فرط
منهم وليصفحوا الصفح الاعراض اي وليتجاوزوا عن الجفاء وليعرضوا عن العقوبة الا
تحبون ان يغفر الله لكم هذا غاية تلطف في الخطاب اي فاذا احببتم مغفرة الله فاغفروا
لغيركم والله غفور رحيم اي فتأدبوا بادب الله تعالى واعفوا وارحموا ولما نزل الا
تحبون قال ابو بكر رضي الله عنه بلى يا رب ثم عاد لمسطح الى ما كان وكفر عن يمينه ان الذين
يرمون المحصنات العفايف الغافلات عما قذفن به كناية عن براءتهن منه المؤمنات
بما يجب الايمان به استباحة لعرضهن وطعنا في الرسول عليه السلام والمؤمنين كابن ابي ارد
عايشة رضي الله عنها وحدها وانما جمع لان من قذف واحدا من نسا النبي صلى الله عليه وسلم
فكانه قذفهن واعاد الكلام دفعا لما عسى ان يسبق الى الاوهام من قضية مسطح ان قذفه
عايشة رضي الله عنها مغفور بالجلد والتوبة لعنوا في الدنيا والاخرة يتكلم المؤمنون
في الدنيا بلعنهم والملائكة في الاخرة ولهم عذاب عظيم لعظم ذنوبهم ودل ذلك على معنى
يعذبون وهو العامل في يوم لا العذاب لانه موصوف تشهد عليهم وقرئ بالياء
للتقدم والفصل السنتهم هذا في حق القذفة وقوله تعالى اليوم نختم على افواههم في
حق المشركين فلا منافاة وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يعترفون بها بانطاق
الله تعالى على ما نطق به قوله تعالى قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شي بغير اختيارهم
على ما دل عليه قولهم لم شهدتم علينا وفي ذلك مزيد تهويل العذاب يومئذ يوفيهم الله دينهم
جزاءهم الحق بالنصب وصفا لله على المدح لقراة مجاهد بالرفع وقراة ابي رضي الله عنه يوفيهم
الله الحق دينهم والاصل في القراة التوافق ويعلمون عند ذلك ان الله هو الحق المبين
الثابت الظاهر الالوهية لا يشاركه في ذلك غيره لارتفاع الشكوك وحصول العلم الضروري
ولم يغلظ الله تعالى في القران في شي من المعاصي تغليظه في افك عايشة رضي الله عنها
فاوجز في ذلك وشنع وفصل واجمل واكد وكرر وما ذاك الا لامر الخبيثات من القول
والعمل للخبيثين من الرجال وكذا بقيته وقيل الخبيثات من النسا للخبيثين من الرجال
وكذا بقيته والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات وفيه
تنزيه عايشة رضي الله عنها لما انها زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي طيبة لزوج طيب

وامراة

وامراة المنافق القاذف خبيثة لزوج خبيث اولئك مبرؤون مما يقولون اي فيهم
واولئك اشارة الى الطيبين وانهم مبرؤون مما يقوله الخبيثون من خبيثات الكلم وهو
كلام جار مجرى المثل لعايشة رضي الله عنها وما رميت من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب
ويجوز ان يكون اولئك اشارة الى اهل البيت وانهم مبرؤون مما يقول اهل الافك لهم مغفرة
في المحشر مستانفا او خبر بعد خبر ورزق كريم في الجنة يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا
غير بيوتكم التي تختص بها سكناها سواء سكنتم فيها او لم تسكنوا اي لا تدخلوا بيوتا يسكنها
غيركم وهذا يعم مسكن الام فانه لا يجوز ان يدخل عليها مفاجاة روي ان رجلا قال للنبي صلى
الله عليه وسلم استاذن على امي قال نعم قال لا خادم لها غيري استاذن عليها كلما دخلت قال
اتحب ان تراها عريانة قال لا قال استاذن وهو تاديب بما يرجع الى التحرز عن الاطلاع على
عورة الغير حتى تستانسوا اي تستعلموا من في البيت باي وجه امكن قال تعالى فان
انستم منهم رشدا اي علمتم وفي سنن ابن ماجه عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه قال قلنا
يا رسول الله هذا السلام فما الاستيناس قال يتكلم الرجل بتسبيحة وتكبيرة وتحميدة ويتنحنح ويؤذن
اهل البيت وتسلموا على اهلها بان تقولوا السلام عليكم اادخل وعنه عليه الصلوة والسلام
التسليم ان يقول السلام عليكم اادخل وقيل ان تلاقيا يقدم التسليم والا فالاستيذان ثلث مرات
فان اذن له دخل والا رجع ذلكم اي الاستعلام والتسليم خير لكم من تحية الجاهلية
والدمور وهو الدخول بغير اذن وكان الرجل من اهل الجاهلية اذا دخل بيت غيره يقول
حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما اصاب الرجل مع امراته في لحاف واحد لعلكم تذكرون
متعلق بمحذوف اي انزل اليكم او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتعملوا بما هو اصلح لكم
فان لم تجدوا فيها احدا يأذن لكم وانما قال فان لم تجدوا دون فان لم يكن لكون التفقد
المامور به في ضمن الامر بالاستيناس فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم يعني ان كان لكم فيها
حاجة حتى يؤذن لكم لا لان التصرف في ملك الغير بغير اذنه محظور لانه لا ينتظم ما اذا كان
الداخل معيرا لان المانع من الدمور ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ما يخفيه الناس
عادة والمراد من الاذن ما يعم الاذن دلالة كما عرض حرق او غرق او نحو ذلك واما الذي فيه
منكر فلا يكون خاليا فلا يكون في معرض الاستثنا وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا
هو ازكى لكم الرجوع اطهر لكم عما لا يخلو عنه الالحاح من الكراهة والله بما تعملون عليم
يعلم ما تاتون وما تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه ليس عليكم جناح ان تدخلوا في
ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة كالخانات والرباطات والحوانيت فيها متاع لكم كالاستكنان
من الحر والبرد وايواء الرجال والسلع والجلوس للشراء والبيع وذلك استثناء من الحكم السابق
لشموله البيوت المسكونة وغيرها والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد لمن دخل مدخلا

لفساد او يطلع على عورات قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم لم يذكر ما يغض
البصر عنه ويحفظ الفرج لان ذلك معلوم بالعادة فان من سمعه يعلم ان المراد منه المحرم دون
المحلل فلا حاجة الى الاستثنا وليس كل المحرم مما يجب حفظه عنه فلذلك ادخل حرف التبعيض في الاول
والطلق الثاني ذلك ازكى لهم لما فيه من البعد عن دنس الاثم ان الله خبير بما يصنعون
من اجالة النظر واستعمال ساير الالات ويقصدون بها فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون
وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن انما قدم غض الابصار على حفظ
الفروج لان النظر بريد الزنا ورايد الفجور وبذر الهوى لجموح العين ولا يبدين زينتهن
الزينة ما زينت به المراة من حلي وكحل او خضاب والمنهي اظهارها مواضع الزينة اذ اظهار عينها
مباح فالمراد بها مواضعها مجازا او اظهارها وهي في مواضعها لا لاظهار اعيانها الا ما ظهر
منها اي بلا اظهار منهن كما اذا هبت الريح وكشف عنها الستر والاستثنا عن الحكم السابق
بطريق الاشارة وهو الاستحقاق بالمؤاخذة في دار الجزا بسبب ظهورها وقد مر وجه هذا
النوع من الاستثنا في تفسير قوله الا ما قد سلف من سورة النسا وما ظهر باظهارهن ضرورة
كالمعالجة وتحمل الشهادة ونحو ذلك في حكم ما ظهر بلا اظهار منهن واما جريان العادة والجبلة
على ظهوره فلا عبرة يصلح وجها للاستثنا المذكور وليضربن وليضعن من قولك ضربت
بيدي على الحايط اذا وضعتها عليه بخمرهن جمع خمار على جيوبهن كانت جيوبهن واسعة
تبدوا منهن صدورهن وما حواليها وكن يسدلن الخمر من وراهن فتبقى مكشوفة فامرن ان
يسدلنها من قدامهن حتى يغطينها ولا يبدين زينتهن كرره لبيان من يحل له الابدا ومن
لا يحل له الا لبعولتهن لازواجهن او ابايهن ويدخل فيهم الاجداد او اباء بعولتهن
فقد صاروا محارم ايضا او ابنايهن ويدخل فيهم النوافل او ابنا بعولتهن فقد صاروا
محارم ايضا او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن ويدخل فيهم النوافل وساير المحارم •
كالاعمام والاخوال وغيرهم دلالة او نسايهن اي الحراير المؤمنات فان مطلق هذا اللفظ
للحراير والاضافة لاخراج الكافرات فانهن لا يتحرجن عن وصفهن للرجال او ما ملكت ايمانهن
يعم الاماء والعبيد لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم اتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا
قنعت بها راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ راسها فقال عليه الصلوة والسلام انه ليس
عليك باس انما هو ابوك وغلامك وقال سعيد بن المسيب لا يغرنكم سورة النور فانها في الاماء دون
الذكور ويرد عليه انه يلزم ان يكون في الذكور اطناب مخل واللازم منتف بلا شبهة او التابعين
الذين يتبعون القوم فياكلون معهم ويرتفقون بهم غير بالنصب على الاستثنا او الحال وبالجر
على البدل او على الوصفية اولي الاربة الحاجة اي الى النسا وهم الذين لا يشتهون النساء
فلا يحتاجون اليهن من هذه الجهة وهذا ليس بواقع على الخصي والمجبوب والمخنث لانهم لا يشتهون

ويشتهون او الطفل الذين هو جنس فصلح ان يراد به الجمع بدلالة الوصف لم يظهروا
على عورات النساء لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم الى حد الشهوة من
من الظهور بمعنى الغلبة ولا يضربن اي الارض بارجلهن عند المشي ليعلم ما يخفين من
زينتهن ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال وانما نهي عنه لان سماع هذه الزينة اشد تحريكا
للشهوة من ابدايها فلا دلالة فيه على ان ابدا الزينة نفسه مقصود بالنهي فيما تقدم وتوبوا الى الله
جميعا ايها المؤمنون اذ لا يكاد يخلوا احد منكم • من تفريط سيما في الكف عن الشهوات وقوله لعلكم
تفلحون بيان انه امرهم بالتوبة لينتفعوا بذلك لا ان يكون للحق سبحانه بها تجمل وانكحوا الايامى
منكم الايامى جمع ايم وهو من لا زوج له رجلا كان او امراة بكرا كانت او ثيبا واصله ايايم فقلب
والخطاب للاوليا والسادة والامر للندب لا يقال في الاية دليل على ان تزويج النسا الايامى الى
الاوليا كما ان تزويج العبيد والاما الى الموالي لانا نقول الرجل لا يلي الرجل الايم الا باذنه فكذا
لا يلي على المراة الا باذنها لان الايم ينتظمها ولا فارق من جهة النظم والصالحين تخصيصهم
لان احصان دينهم والاهتمام بشانهم اتم من عبادكم واماءكم اي من غلمانكم وجواريكم
ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله وعد من الله تعالى بالاغنا لقوله صلى الله عليه وسلم اطلبوا الغنا
في هذه الاية ولقوله صلى الله عليه وسلم التمسوا الرزق في النكاح والله واسع ذو سعة لا
ينزوه اغنا الخلق عليم يبسط الرزق وليستعفف وليجتهد في العفة وقمع الشهوة كان المستعفف
طالب من نفسه العفاف الذين لا يجدون نكاحا استطاعة تزوج من المهر والنفقة حتى
يغنيهم الله من فضله انظر كيف رتب هذه الاوامر فامر اولا بما يعصمهم من الفتنة ويبعد من مواقعة
المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين المغني عن الحرام ثم بعفة النفس الامارة
بالسوء عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى ان يقدر عليه والذين يبتغون الكتاب
مما ملكت ايمانكم اي والمماليك الذين يطلبون الكتابة فالذين مرفوع بالابتدا او منصوب بفعل
يفسره فكاتبوهم وهو للندب ودخلت الفا لتضمن معنى الشرط والكتابة والمكاتبة
كالعتاب والمعاتبة وانما سمي ذلك العقد به لان السيد كتب على نفسه عتقه اذا ادى المال
ويجوز ان يكون حالا او مؤجلا منجما وغير منجم لاطلاق الامر وعدم المال لا يستلزم العجز عن
الاداء في الحال لانه قادر على الاستقراض ان علمتم فيهم خيرا قدرة على الكسب وامانة
او ديانة والندبية متعلقة بهذا الشرط كما ان الندبية في انكاح الايامى متعلقة بشرط الصلاح
واتوهم من مال الله الذي اتاكم امر للمسلمين على وجه الوجوب باعانة المكاتبين واعطاءهم
سهمهم من الزكوة لقوله تعالى وفي الرقاب وعند الشافعي معناه حطوا من بدل الكتابة شيئا قل او كثر
ويابا عبارة الايتا لانه تقع على التمليك لا على الحط ولا تكرهوا فتياتكم على البغا يكنى بالفتى والفتاة
عن العبد والامة والبغا الزنا للنسا خاصة وهو مصدر البغي ان اردن تحصنا تعففا عن الزنا

وانما قيد بهذا الشرط لان الاكراه لا يتحقق بدونه لانه على قدر التسليم يكون سببا للترك لا الاكراه بل لانها نزلت في ابن ابي وكانت له جوار يكرههن على البغا وفيه توبيخ بالموالي اي اذا رغبن في التحصن فانتم احق بذلك واشارات على ان ارادة التحصن من الاماء كالشاذ النادر لتبتغوا لابتغايكم فان الفعل هنا منزل منزلة المصدر كما في قوله تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وذلك لان الابتغا المذكور يكون سببا مقدما ولا يكون غاية متاخرة عرض الحيوة الدنيا من اجورهن واولادهن ومن يكرههن حذف جوابه اي فعليه وبال الاكراه لا يتعدى اليهن واقيم تعليل هذا مقامه وهو قوله فان من بعد اكراههن غفور رحيم اي لهن في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه كذلك وانما قال من بعد اكراههن لشرة المعاتبة على المكره فان المكرهة مع قيام العذر اذا كانت بصدد المعاتبة حتى احتاجت الى المغفرة فما حال المكره وللدلالة على ان حد الاكراه الشرعي والمصابرة ان ينتهي اليه فيرتكب ضيق والله يغفر ذلك بلطفه ولقد انزلنا اليكم ايات بينات المراد الايات التي بينت في هذه السورة واوضحت في معاني الاحكام والحدود جعل الفعل لها مجازا او من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين ومثلا من الذين خلوا من قبلكم اي ومثلا من امثال من قبلكم اي وقصة عجيبة مثل ما قصصتم وهي قصة عايشة رضي الله عنها فانها كقصة يوسف ومريم عليهما السلام وموعظة للمتقين اي هم المنتفعون بها وان كانت الموعظة للكل • الله نور السموات والارض بين وضوح الدلالات وجلا البينات وان من ضل عن الحق ليس لخفا الدليل واشتباه السبيل فقال الله هادي اهل السموات والارض اي الى ما بهم الحاجة اليه في مصالح دينهم ودنياهم وهي كلمة مطلقة في هذا المعنى يقال فلان نور البلد اي به يهتدون الى امورهم وعن رايه يصدرون الى مصالحهم مثل نوره اي صفة نوره العجيبة الشان في الاضاة والمراد به دلايلها التي يهتدي بها عباده كمشكوة كصفة مشكوة وهي الكوة في الجدار غير النافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب المصباح في زجاجة في قنديل من زجاج شامي ازهر الزجاجة كانها كوكب دري مضي بضم الدال وتشديد اليا منسوب الى الدر لفرط ضيايه وصفايه وقري بالكسر والهمزة كانه يدرا الظلام بضوئه وقري بالضم والهمزة شبهه في زهرته باحدى الكواكب الدراري كالمشتري والزهرة ونحوهما يوقد بالياء والبنا للمفعول من اوقد وقري بالفوقانية كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقري توقد بحذف التا لاجتماع الزيادتين من شجرة اي ابتدا توقده من شجرة الزيتون يعني روي ذبالتها بزيتها مباركة كثيرة المنافع او لانها تنبت في الارض التي بارك فيها للعالمين لا شرقية زيتونة بدل من شجرة نعتها لا شرقية ولا غربية اي لا نابتة في شرق المعمورة ولا غربها بل في وسطها وهو الشام لان زيتونه اجود او لا في مضحى

تشرق الشمس عليها دايما فتحرقها اي في مقناة ولا خير فيها في مضحى وقيل اي ليس بحيث يقع عليها طول النهار كالتي تكون على قلة او صحرا واضحة فان ثمرتها تكون انضج وزيتها اصفى ويرده ما دل عليه الحديث المذكور من انه لا يصيب فيها لان اشراق الشمس عليها دايما تحرقها يكاد زيتها يضي ولو لم تمسسه نار وصف زيتها بالصفا والوميض وانه لتلالوه يكاد يضي من غير نار نور على نور اي هذا النور الذي شبه به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكوة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم يبق بقية مما يقوي النور وهذا لان المصباح اذا كان في متضايق كالمشكوة كان اجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فان الضو ينتشر فيه والقنديل اعون شي على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاوه وضرب المثل يكون بذهني محسوس معهود لا على غير معاين ولا مشهود يهدي الله لنوره اي لهذا النور الثاقب من يشاء فان الاسباب انما تمشي بمشيته ويضرب الله الامثال للناس تقريبا الى افهامهم وتسهيلا لسبيل ادراكهم والله بكل شي عليم فبين كل شي بما حقه ان يبين به في بيوت متعلق بمشكوة اي كمشكوة في بعض بيوت الله تعالى وهي المساجد او بتوقد او يوقد في بيوت فيكون تقييد المثل به بما يكون تحبيرا ومبالغة فان قناديل المساجد تكون اعظم ولا ينافي جمع البيوت وحدة المشكوة اذ المراد بها ما له هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة او بيسبح اي يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرير فيه توكيد نحو زيد في الدار جالس فيها او بمحذوف اي سبحوا في بيوت والمراد بها المساجد لان الصفة تلايمها اذن الله اي امر ان ترفع بالبنا او التعظيم ويذكر فيها اسمه عام لما يتضمن ذكره حتى المذاكرة في افعاله والمباحثة في احكامه يسبح له فيها بالغدو والاصال قال ابن عباس رضي الله عنه كل تسبيح في القران صلوة اي يصلي فيها بالغداة صلوة الفجر وبالاصال سائر الصلوة ولهذا وحد الغدو وجمع قرينه والاصيل في الاصل الوقت الذي بعد العصر الى المغرب صرح به الجوهري وصدر الافاضل وجمعه اصل واصال فمن قال والاصال جمع اصيل وهي العشي فقد اخطا مرتين وقري والايصال وهو الدخول في الاصيل وقري يسبح بالفتح على اسناده الى احد الظروف الثلاثة ورفع رجال بما يدل عليه يسبح وقري بالتا المكسورة لتانيث الجمع ومفتوحا على اسناده الى اوقات الغدو وانما خص الرجال اذ ليس على النسا والصبيان الحضور في المسجد لا تلهيهم تجارة اي بالسفر ولا بيع اي في الحضر وحملنا انما على هذين ليكون لزيادة افادة لا لمجرد اعادة عن ذكر الله اي خارج الصلوة واقام الصلوة اي عن اقامة الصلوة التا في اقامة عوض عن العين الساقطة للاعلال اذ الاصل اقوام فلما قلبت الواو الفا اجتمع الفان فحذف احدهما لالتقا الساكنين فبقي اقاما فادخلت التا عوضا عن المحذوف فلما اضيفت اقيمت مقام التا فاسقطت وايتا الزكوة يعني انهم يسلكون سبل الكسب ولكن اذا احضر حق الله تعالى او حق عباده بدا به يخافون حال من الضمير في تلهيهم او صفة اخرى

رجال يوما يوم القيمة اي الحامل لهم على اقامة هذه الاشيا خوف القيمة تتقلب فيه القلوب
لبلوغها الي الحناجر والابصار بالشخوص والزرقة او تتقلب القلوب الي الايمان بعد الكفران
والابصار الي العيان بعد انكاره للطغيان لقوله فكشفنا عنك غطاك فبصرك اليوم حديد
ليجزيهم الله متعلق بيسبح او لا تلهيهم او يخافون احسن ما عملوا واذناه المندوب
واحترز بالاحسن عن الحسن وهو المباح اذ لا اجر له ويزيدهم من فضله اي يزيدهم على الثوا
الموعود على العمل تفضلا والله يرزق من يشا بغير حساب ثوابا لا يدخل في حساب الخلق
تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاد المشية وسعة الاحسان والذين كفروا
اعمالهم كسراب اي الذين كفروا حالهم على ضد ذلك فان اعمالهم التي يظنونها
صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيبة في العاقبة كالسراب وهو ما يرى في الفلاة من
لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيسرب على وجه الارض كانه ما يجري بقيعة بمعنى
القاع او جمع قاع وهو المنبسط المستوي من الارض كجيرة في جار يحسبه الظمان ماء
التشبيه في شدة الخيبة عند مسيس الحاجة حتى اذا جاءه اي جا الي ما توهم انه ماء
لم يجده شيا اي لم يجده شيا نافعا يقال هذا ليس بشي يراد به نفي نفعه هذا اذا كان المعنى
اذا جاء السراب واما اذا كان المعنى اذا جاء موضعه فمعنى لم يجده شيا لم يجد في ذلك الموضع
شيا كان يتراي له لانه لا يرى ذلك اذا احضر وكذلك الكافر اذا اقدم يوم القيمة لم يجدها
نافعة او لا يراها لانها صارت هباء منبثا على اعماله التي هي خيرات عنده ووجد الله
اي وجد عقاب الله عنده اي تبطل حسناته ويبقى عقاب سياته معدا له عند
قدومه فوفاه حسابه اي اعطاه جزاء عمله وافيا كاملا ووحد بعد ما تقدم حملا
على كل واحد من الكفار والله سريع الحساب لانه لا يحتاج الي عد وعقد ولا يشغله حساب
عن حساب قوله ووجد الله عطف على ما تقدم من التمثيل على سبيل العطف على المعنى ومن غفل
عن هذا زعم انه من تمثيل فتعسف في توجيهه او كظلمات او هنا كاو في كصيب وما قيل او
للتفريع فان اعمالهم ان كانت صالحة فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات يرده ووجد الله
عنده لان الاعمال الصالحة وان لم تكن نافعة مع الكفر لا تكون في عاقبتها وخامة لجي عميق
كثير الما منسوب الي اللج وهو معظم الما يغشاه يغشى البحر اي من فيه يعلوه ويغطيه موج
هو ما ارتفع من الما من فوقه موج اي من فوق الموج موج اخر من فوقه سحاب اي من
فوق الموج الاعلى سحاب غطى النجوم وحجب انوارها والجملة صفة اخرى ظلمات اي هذه الظلمات
بعضها فوق بعض ظلمة الموج على ظلمة البحر وظلمة الموج على الموج وظلمة السحاب على الموج
اذا اخرج يده وهو اقرب ما يرى اليه لم يكد يراها لم يقرب ان يراها فضلا عن ان يراها والضمير
للواقع في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور

اي من لم يهده الله لم يهتد عن الزجاج في الحديث خلق الله الخلق في ظلمة ثم رش عليه من نوره
ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل الم تر الم تعلم علما يقوم مقام العيان في الايقان
ان الله يسبح له ينزه ذاته عن كل نقص وافة من في السموات ومن في الارض
ومن لاسناد التسبيح فلا حاجة الي التغليب هنا وفي يفعلون او يريد به الملايكة
والثقلين والطير على الاول تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهر
ولذلك قيدها بقوله صافات فان اعطا الاجرام الثقيلة ما به تقوى على الوقوف
في الجو صافة باسطة اجنحتها لما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال القدرة
الصانع ولطف تدبيره كل قد علم الضمير لكل وكذا في صلوته وتسبيحه ولا يبعد
ان يلهم الله الطير دعاه وتسبيحه كما الهمه ساير العلوم الدقيقة التي لا تكاد العقلا
يهتدون اليها والله عليم بما يفعلون من الصلوة والتسبيح وغيرهما ولله
ملك السموات والارض لا شريك له فيه والي الله المصير مرجع الكل واما عدل
عن الضمير تفخيما الم تر ان الله يزجي سحابا معنى يزجي يسوق قليلا قليلا ويستعمل
في سوق الثقيل برفق كالسحاب والابل والسحاب اسم جنس واحده سحابة والمعنى يسوق
سحابة الي سحابة ثم يولف بينه تذكيره للفظ اي يضم بعضه الي بعض ثم يجعله
ركاما متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق المطر يخرج من خلاله من
فتوقه جمع خلل كجبال في جبل وينزل من السماء من الغمام وكل ما علاك فهو سماء
من جبال فيها من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها من بيان للجبال والمفعول محذوف
فيها من برد بردا ويجوز ان يكون من الثانية او الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول
فيصيب به بالبرد من يشاء فيضره في نفسه او في زرعه ويصرفه عن من يشاء
فلا يصيبه يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة
وذلك اقوى دليل على كمال القدرة من حيث انه توليد الضد من الضد وقرى يذهب على
زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الاخر
ان في ذلك فيما تقدم ذكره لعبرة لدلالة على وجود الصانع القادر العليم و
للتنبيه على وضوح الدلالة قال لاولي الابصار دون لاولي البصاير ثم بين دليلا
اخر فقال والله خلق كل دابة حيوان يدب على الارض وقرى خالق بالاضافة قال
الراغب والدبيب مثله صوت حركة المشي ثم قيل دب اذا مشى ويقال لكل ما يمشي دابة
ثم خص الفرس من ماء هو جزء مادته وسبب حيوته على ما اشير اليه في قوله تعالى
وجعلنا من الما كل شي حي وقيل من ماء مخصوص وهو النطفة وتنزيل الغالب منزلة الكل
لجواز ان يراد من الدابة ما يخلق من تولد بقرينة من ماء اي من نطفة كما اريد من الشي

في قوله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء ما به الحيوة بقرينة حي فمنهم من يمشي على بطنه كالحية
والحوت سمي الزحف مشيا استعارة لقيامه مقام المشي وليس هذا من قبيل ذكر المقيد وارادة
المطلق كما اذا ذكر المشفر ويراد به الشفة مطلقا لان خصوصية الزحف مقصودة والمثال كله
البديعة طريقة اخرى لا ابصار اليها عند صحة الاستعارة البيانية ومنهم من يمشي
على رجلين كالانس والطير ومنهم من يمشي على اربع كالنعم والوحش قيل ويندرج
فيه ما له اكثر من اربع كالعناكب فان اعتمادها اذا مشت على اربع ولا يخفى ما فيه من
التعسف وتذكير الضمير لتغليب العقلا والتعبير بمن عن الاوصاف ليوافق التفصيل
الجملة قيل قدم ما هو اعرف بالقدرة وهو الماشي بغير آلة المشي فمن الماشي على رجلين
ثم الماشي على اربع وفيه نظر لان مبناه الغفول عن ان المشي في الاول مستعار من الزحف
يخلق ما يشاء كيف يشاء ان الله على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء لقد انزلنا ايات
مبينات للحقايق بانواع الدلايل والله يهدي من يشاء بالتوفيق للنظر فيها والتدبر
لمعانيها الى صراط مستقيم هو دين الاسلام الذي يوصل الى الجنة والايات لالزام
حجة لما ذكر انزال الايات ذكر ما بعد افتراق الناس الى ثلث فرق فرقة صدقت ظاهرا وكذبت
باطنا وفرقة هم المنافقون وفرقة صدقت ظاهرا وباطنا وهم المخلصون وفرقة كذبت باطنا
وظاهرا وهم الكافرون على هذا الترتيب فبدا بالمنافقين فقال ويقولون امنا بالله وبالرسول
بالسنتهم واطعنا الله والرسول ثم يتولى اي يعرض عنهما فان الاعراض عن الرسول
عليه السلام بعدم الطاعة في اوامره اعراض عنه تعالى فريق منهم من بعد ذلك بعد
قولهم هذا وفايدة ثم الاستبعاد اظهارا لقبح صنيعهم وما اولئك بالمؤمنين الاشارة
الى القايلين باسرهم فيكون اعلاما من الله تعالى بان جميعهم وان امنوا بلسانهم لم يؤمنوا
بقلوبهم لاشتراكهم في فساد الاعتقاد وظهور الاعراض وان كان من بعضهم فالرضا به
من كلهم او الى الفريق المذكور خاصة وانما اتى بالواو دون الفا لان عدم ايمانهم ليس لتوليهم
بل الامر بالعكس والتعريف للدلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون
في الايمان والثابتون عليه ومرجع العهد الى وصف الايمان الخالص ولما فيه من التنصيص
على نفي ذلك الوصف عنهم ولم يقل وما اولئك من المؤمنين لما فيه من احتمال ان يرجع العهد
الى الموصوفين به اذ لا يلزم من كونهم من المعرفين بذلك الوصف ان لا يكون موصوفا به اصلا
واذا دعوا الى الله ورسوله الدعوة الى الرسول صلى الله عليه وسلم وذكر الله تعالى تمهيد
لذكر دعوته عليه السلام واظهار مكانته وليس هذا طريقة الابدال ليحكم بينهم
اي ليحكم الرسول عليه الصلوة والسلام لانه الحاكم ظاهرا وانما لم يقل ليحكم عليهم اشعارا
بان اعراضهم غير مخصوص بصورة الظن بالحكم عليهم بل شامل لصورة الشك فشانهم الاعراض

فيما اذا الا اشتبه الامر حالا وان كان الحكم لهم مآلا ومن غفل عن هذا الاعتبار اللطيف قال
في تفسير قوله تعالى اذا فريق منهم معرضون فاجا فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم
لعلمهم بانك لا تحكم لهم وهو شرح للتولي ومبالغة فيه ولم يدر ان شرحه على وجه ابلغ فيما
ذكر لا فيما ذكره وان يكن لهم الحق اي الحكم في اعتقادهم ياتوا اليه مذعنين طلبا لحقهم
لا رضى بحكم رسولهم قال الزجاج الاذعان الاسراع مع الطاعة فباعتبار ما في الاسراع من معنى
الاتيان يجوز ان يكون الى صلة المذعنين ويكون تقديمه للاختصاص ومحافظة الفاصلة
افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله الحيف الجور بعض الحق عليهم انما قدم صلة
الحيف على قوله ورسوله ايذانا بانه على تقدير وقوعه يكون من الله تعالى شانه عما يقولون
الظالمون ولا يكون فيه دخل للرسول لانه مظهر لا مثبت قسم الامر في صدودهم عن حكومته
اذا لم يعتقدوا ان الحكم لهم بان يكونوا مرضى القلوب منافقين او مرتابين بان راوا منك تهمة
فزالت ثقتهم ويقينهم بك او خايفين الحيف في قضايه ووجه التقسيم ان امتناعهم اما لخلل
فيهم او في الحاكم والثاني اما ان يكون محققا عندهم او متوقعا وكلاهما باطل لان منصب نبوته
وفرط امانته يمنعه فتعين الاول ولذلك اضرب بقوله بل اولئك هم الظالمون عن
القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاول وظلمهم يعم ضلال عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف
يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم وذلك شيء لا يستطيعونه في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
فمن ثمة يابون المحاكمة هذا ما ادى اليه النظر الجليل والذي ادى اليه النظر الدقيق هو انه
اضراب عن نفس التقسيم يعني دع التقسيم فانهم هم الكاملون في الظلم الجامعون لتلك
الاوصاف على الكمال فلذلك صدوا عن حكومتك يدل على ذلك اسم الاشارة والتعريف بلام
الجنس وتوسيط ضمير الفصل والفصل لنفي ذلك عن غيرهم سيما المدعو الى حكومته نزلت في
بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في ارض فجعل اليهودي يجره الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمنافق الى كعب بن الاشرف ويقول ان محمدا يحيف علينا انما كان قول المؤمنين
على عادته تعالى في اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغي بعد انكاره لما لا ينبغي وقرى قول
بالرفع والنصب قوي لان اولى الاسمين بكونه اسما لكان اوغلهما في التعريف اذا دعوا الى الله
ورسوله ليحكم الرسول وقرى على البنا للمفعول واسناده الى ضمير مصدره على معنى ليفعل
بينهم بحكم الله انزل عليه ان يقولوا سمعنا قوله واطعنا امره واولئك هم المفلحون
الفائزون ومن يطع الله ورسوله في الاوامر والنواهي ويخش الله على ما مضى من ذنوبه
ويتقه فيما يستقبل فاولئك هم الفائزون بالنعيم المقيم واقسموا بالله جهد ايمانهم اي
حلف المنافقون وجهد اليمين لانهم بذلوا فيها مجهودهم وجهد يمينه مستعار من جهد نفسه اذا
بلغ اقصى وسعها وذلك اذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها واصل اقسم جهد اليمين

اقسم بجهد اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم المصادر فوضع موضعه مضافا الى المفعول
كقولك فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قال جاهدين لئن امرتهم
بالخروج عن ديارهم واموالهم ليخرجن جواب لاقسموا على الحكاية قل لا تقسموا على الكذب
طاعة معروفة للنبي عليه السلام خير من قسمكم الذي لا تصدقون فيه ولا تصدقون او الذي
يطلب منكم طاعة معروفة للنبي عليه الصلوة والسلام لا اليمين المطاعة النفاقية المنكرة او لتكن
طاعة وقرئ طاعة بالنصب على اطيعوا طاعة ان الله خبير بما تعملون يعلم ما في ضمايركم
ولا يخفى عليه شي من اسراركم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول امر بتبليغ ما خاطبهم الله
تعالى به على الحكاية مبالغة في تبكيتهم فان تولوا فانما عليه على الرسول ما حمل من التبليغ
وعليكم ما حملتم من الامتثال وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين
وقد ادى وانما بقي ما حملتم فان اديتم فلكم والا فعليكم البلاغ بمعنى التبليغ كالادا بمعنى التادية
والمبين الظاهر لكونه مقرونا بالايات والمعجزات ثم ذكر المخلصين وعد الله الذين امنوا منكم
وعملوا الصالحات الخطاب للنبي عليه السلام والامة اوله ولمن معه ومن للبيان ۝
ليستخلفنهم في الارض ليجعلنهم خلفا متصرفين في الارض تصرف الملوك في مما لكهم وهو
جواب قسم مضمر تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او الوعد في تحقيقه منزل منزلة القسم
كما استخلف الذين من قبلهم يعني بني اسرائيل استخلفهم في مصر والشام بعد الجبابرة وليمكنن
لهم دينهم الذي ارتضى لهم وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت وليبدلنهم من بعد خوفهم
من الاعدا امنا منهم بغلبتهم عليهم كان الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم
مكثوا بمكة عشرين سنة خايفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون فيه
حتى انجز الله تعالى وعده فاظهرهم الله تعالى على العرب كلهم وفتح بلاد الشرق والغرب
يعبدونني حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد او استيناف ببيان المقتضي
للاستخلاف والامن ولا يشركون بي شيا حال من الواو اي يعبدونني غير مشركين
ويجوز ان يكون حالا بدلا من الحال الاولى ومن كفر من ارتد وكفر هذه النعمة بعد ذلك
بعد الوعد وبعد حصول الخلافة فاولئك هم الفاسقون الكاملون في فسقهم حيث ارتدوا
وكفروا بعد وضوح مثل هذه الايات وكفروا بتلك النعمة العظيمة واقيموا الصلوة واتوا
الزكوة واطيعوا الرسول في ساير التكاليف الشرعية بالاوامر والنواهي ولا يبعد عطف
ذلك على اطيعوا الله فان الفاصل وعد على المامور به فيكون تكرير الامر بطاعة الرسول للتاكيد
وتعليق الرحمة بها او بالمندرجة هي فيه بقوله لعلكم ترحمون كما علق به الهدى
لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض اي فايتين الله تعالى بان لا يقدر عليهم فيها
فالتا خطاب للنبي عليه السلام وهو الفاعل والمفعولان الذين كفروا معجزين وقرئ باليا

والفاعل النبي عليه السلام تقدم ذكره والمفعولان ما ذكر انفا وماواهم النار عطف
عليه من حيث المعنى كانه قيل الذين كفروا ليسوا معجزين وماواهم النار لان المقصود من النهي
عن الحسبان تحقيق نفي الاعجاز ولبئس المصير الماوى الذي يصيرون اليه يا ايها الذين
امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم رجوع الى تتمة الاحكام السالفة بعد الفراغ عن الايات
الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الاحكام وغيره والوعد عليها والوعيد على الاعراض عنها
والمراد به خطاب الرجال والنسا غلب فيه الرجال لما روي ان غلام اسما بنت ابي مرثد دخل عليها
في وقت كرهته فنزلت فكني عن البلوغ الى حد الرجولية ببلوغ الحلم اي الاحتلام لانه اقوى
دلايله والذين لم يبلغوا الحلم والصبيان الذين لم يبلغوا منكم من الاحرار ثلث مرات
في اليوم والليلة من قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من
الثياب ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب بدلا من ثلث مرات والرفع خبر المحذوف اي من قبل
صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة بيان الحين وهي نصف النهار في اليقظة
فانها وقت وضع الثياب للقيلولة ومن بعد صلوة العشا لانه وقت التجرد من ثياب
اليقظة والالتحاف بثياب النوم ثلث عورات لكم اي هذه ثلث اوقات يختل فيها
ستركم ويجوز ان يكون مبتدا ما بعده خبره وقرئ بالرفع بدلا من ثلث مرات واصل العورة
الخلل ومنها الاعور المختل العين دخل غلام من الانصار على عمر رضي الله عنه وقت الظهيرة
وهو نايم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله عنه وددت ان الله تعالى نهى عن الدخول
في هذه الساعات الا باذن فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم وقد نزلت عليه الاية ثم عذرهم
في ترك الاستيذان وراء هذه المرات بقوله ليس عليكم ولا عليهم جناح وانما نفى الحرج عن
الطرفين لان الحرمة في وقت الحرمة من الطرفين ومن هنا تبين ان الامر بالاستيذان في حق
المماليك والصبيان تضمن الامر بالاحتياط في حق المخاطبين بعدهن بعد هذه الاوقات
في ترك الاستيذان وليس فيه ما ينافي اية الاستيذان فينسخها لانه في الصبيان ومماليك
الدخول وتلك في الاحرار البالغين واما ما قيل هذا مما الناس فيه في غفلة وهو عندهم
كالشريعة المنسوخة فمنشاؤه الغفلة عما حكاه المهدوي عن ابن عباس رضي الله عنهما من ان
ذلك كان واجبا اذ كانوا لا غلق لهم ولا ابواب ولو عاد الحال لعاد الوجوب طوافون عليكم
هم طوافون استيناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستيذان وهو شدة المخالطة وكثرة
المداخلة وفيه وفي الفرق بين الاوقات الثلاث وغيرها بانها عورات دليل على تعليل الاحكام
بعضكم على بعض بعضكم طايف على بعض او يطوف بعضكم على بعض والجملة موكدة لما قبلها
ويجوز ان يكون بدلا منه يعني لا بد لهم من ذلك للخدمة فلو جزم الامر بالاستيذان في كل وقت
لافضى الى الحرج كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم الايات اراد بالايات

علل الاحكام يعني كما بين لكم علة الاستيذان بين العلل في غيره من الاحكام التعليلية عند
الحاجة اليه والله عليم بمصالح عباده حكيم في بيان مراده واذا بلغ الاطفال منكم الحلم
الاحتلام كناية عن بلوغهم حد الرجولية اي اذا بلغوا فارادوا الدخول عليكم فليستاذنوا
في جميع الاوقات كما استاذن الذين من قبلهم الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الكبار من
الاحرار والذين ذكروا من الاحرار او الذين ذكروا من قبلهم في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستاذنوا الاية والمعني ان الاطفال ماذون لهم في الدخول بغير
اذن الا في العورات الثلاث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم بلغوا بالاحتلام او بالسن وجب ان
يمنعوا عن تلك العادة ويحملوا على ان يستاذنوا في جميع الاوقات كالكبار من الاحرار الذين لم يعتادوا
الدخول عليكم الا بالاذن كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم كرره تاكيدا ومبالغة
في الامر بالاستيذان والقواعد من النساء العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل لكبرهن
فقعودهن كناية عن الياس عن التماس النكاح فالتوصيف بقوله اللاتي لا يرجون نكاحا
لا يطمعن فيه لتقرير هذا المعني وتاكيده فليس عليهن جناح انما دخلت الفا في المبتدا
من معني الشرط بسبب اللام ان يضعن في ان يضعن ثيابهن اي الظاهرة كالملحفة
والجلباب الذي فوق الخمار غير متبرجات بزينة اي غير مظهرات بزينة يريد الزينة التي امر
باخفائها في قوله تعالى ولا يبدين زينتهن الاية اي لا يقصدن بوضعها التبرج ولكن التخفف
وحقيقة التبرج التكلف في اظهار ما يخفي من قولهم سفينة بارجة لا غطا الا انه خص بكشف المراة
زينتها ومحاسنها للرجال ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج قال
سعيد بن المسيب كان المسلمون اذا خرجوا الى الغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم وضعوا مفاتيح بيوتهم
عند الاعمى والاعرج وعند اقاربهم وياذنونهم ان ياكلوا من بيوتهم وكانوا يتحرجون عن ذلك
ويقولون نخشي ان لا تكون انفسهم بذلك طيبة فنزلت الاية رخصة لهم ولا على انفسكم ان
تاكلوا من بيوتكم هذا على ظاهره ولم يرد به بيان الحكم فيه بل اظهار التسوية بينه وبين قرابتهم
كقوله تعالى تكلم الناس في المهد وكهلا او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم لم يذكر بيوت الاولاد
احالة لحالها على الدلالة او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم
او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او لان الاذن من هؤلاء ثابت دلالة او ما ملكتم مفاتحه
جمع مفتح وهو ما يفتح به الغلق واريد بملكه كونه في يده وحفظه قال ابن عباس رضي الله عنه
هو وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته ان ياكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته او صديقكم
او بيوت صديقكم وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط كان الرجل من السلف يدخل دار صديقه وهو
غائب ويسال جاريته كيسه فياخذ ما شاء فاذا حضر مولاها اعتقها سرورا بذلك فاما الان
غلب الشح على الناس فلا يوجد صديق حكمه على هذا لانه يوجد ويتخلف عنه الحكم لغلبة الشح وكان

وان يستعففن خير لهن والله سميع عليم

لندرة وجوده عدل عن صيغة الجمع ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا مجتمعين ورد في من
تحرجوا من الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الاكل وزيادة بعضهم على بعض او اشتاتا
متفرقين جمع شت ورد فيمن تحرجوا عن الاكل وحده فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت
فسلموا على انفسكم على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة وهذا كقوله ولا تقتلوا انفسكم اي هو
من جنسكم تحية نصب بسلموا لانه في معنى تسليما نحو قعدت جلوسا من عند الله اي ثابتة
بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صلة للتحية فانها طلب الحيوة وهي من عنده مباركة
لانها دعوة مؤمن لمؤمن بامر الله تعالى يرجي بها زيادة الخير والثواب طيبة تطيب نفس
المستمع وفي حديث انس رضي الله عنه قال عليه الصلوة والسلام من لقيت من امتي احدا فسلمت
عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلوة الضحي فانها صلوة الابرار
الاوابين كذلك يبين الله لكم الايات كرره ثالثا لمزيد التاكيد ثالثا وتفخيم الاحكام المختتمة به
وفصل الاولين بما هو المقتضي لذلك بما هو المقصود منه فقال لعلكم تعقلون اي الحق
والخير في الامور انما المؤمنون الكاملون في الايمان الذين امنوا بالله ورسوله من
صميم قلوبهم واذا كانوا معه على امر جامع كالجمعة والاعياد والحروب والمشاورة في الامور
ووصف الامر بالجميع على سبيل المجاز للمبالغة لم يذهبوا حتى يستاذنوه اي وياذن لهم ولما اراد
ان يريهم عظم الجناية في الذهاب عن مجلسه عليه السلام وجعلها كالتمهيد لذكره اذا كانوا معه
على امر جامع جعل ترك الذهاب بلا اذن ثالث الايمان بالله تعالى والايمان برسوله عليه السلام
وجعلها كالتمهيد لذكره ثم عقبه بما يزيد توكيدا وتشديدا حيث اعاده على اسلوب ابلغ فقال
ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وضمنه شيا اخر وهو انه جعل
الاستيذان كالمصداق للايمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا فاذا استاذنوك
في الانصراف لبعض شانهم ما يعرض لهم من المهام وفيه ايضا تعريض مبالغة وتضييق الامر
فاذن لمن شئت منهم فيه تعظيم شانه عليه السلام تفويض الامر اليه ايرود لالة على ان بعض
الاحكام مفوض اليه عليه السلام وتقييدا المشية بان يكون تابعة لعلمه بصدق تحسن يكون
المعني فاذن لمن علمت ان له عذرا تعسف ظاهر واستغفر لهم الله بعد الاذن فان الاستيذان
ولو لعذر قصور لانه تقديم الدنيا على امر الدين ان الله غفور لفرطات العباد رحيم
بالتيسير عليهم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا نهي عن التسوية بين الدعائين
والمقصود النهي عن لوازمها لجواز الاعراض والمساهلة في الاجابة والرجوع بغير اذن وذلك
لان المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة وحمل الدعا على الندا والتسمية او الدعا عليه
لا يناسب السياق واللحاق والفصل بين اجزاء الكلام بالاجنبي عن المساق يخل بمقتضي البلاغة وحسن
الاتساق قد يعلم الله الذين يتسللون منكم يخرجون قليلا قليلا من الجماعة ونظير التسلل التدرج

والتدخل لواذا ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض حتي يخرج او يلوذ بمن يوذن له فينطلق
معه كانه تابعه وانتصابه علي الحال اي ملاوذين فليحذر الذين يخالفون عن امره يخالفون
امره بترك مقتضاه وعن تضمينه معني الاعراض او يصدون عن امره دون المومنين والضمير لله لان
الامر في الحقيقة له او للرسول عليه الصلوة والسلام لان المقصود بالذكر ومفعول يحذر ان
تصيبهم فتنة محنة في الدنيا او تصيبهم عذاب اليم في الاخرة واو لمنع الخلو فلا ينافي الجمع
والاية تدل علي ان الامر للايجاب الا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه
ادخل قد ليوكد علمه بما انتم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ومرجع توكيد العلم الي توكيد الوعيد
والمعني ان جميع ما في السموات والارض مختصة به خلقا وملكا وعلما فكيف يخفي عليه احوال
المنافقين وان كانوا يجتهدون في سترها ويوم يرجعون اليه يوم يرجع المنافقون
اليه للجزا ويعلم يوم يردون الي الجزا وهو يوم القيمة والخطاب والغيبة في الكلامين المذكورين
يجوز ان يكون جميعا للمنافقين علي طريقة الالتفات ويجوز ان يكون الاول عاما والثاني خاصا
بهم فينبئهم يوم القيمة بما عملوا بما ابطنوا من سوء اعمالهم ويجازيهم جزاءهم
والله بكل شي عليم فلا يخفي عليه خافية

سورة الفرقان مكية

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك اي تزايد خيره وتكاثر او تزايد عن كل شي وتعالي عنه في صفاته
افعاله وهي كلمة تعظيم لم تستعمل الا لله وحده والمستعمل منه الماضي فحسب وترتيبه علي انزال
الفرقان القران من كثرة الخير الذي نزل الفرقان مر تفسيره في ال عمران علي عبده وقري
علي عباده وهم رسول الله صلي الله عليه وسلم وامته والمرسلون بالكتب السماوية علي ان الفرقان
اسم جنس لها ليكون العبد او الفرقان للعالمين الثقلين نذيرا منذرا او انذارا
كالنكير بمعني الانكار وهذه الجملة معلومة للرسول عليه السلام ولا يلزم ان يكون الصلة معلومة
لكل احد الذي رفع علي انه خبر مبتدا محذوف او علي الابدال من الذي نزل او علي المدح او
نصب عليه له ملك السموات والارض علي الخلوص ولم يتخذ ولدا كما زعم اليهود والنصاري
والمشركون الرب في عزير والمسيح عليهما السلام والملائكة ولم يكن له شريك في الملك كما زعمت
الثنوية وخلق كل شي لا كما قال المجوس انه لم يخلق الظلم ولا كما قال المعتزلة انه غير خالق
لافعال العباد فقدره تقديرا اي خلق كل شي تقديرا يوافق الحكمة فخلقه والقلب للمحافظة
الفاصلة واتخذوا الضمير للكافرين لدلالة نذيرا عليه من دونه الهة لما تضمن الكلام
اثبات التوحيد والنبوة اخذ في الرد علي المخالفين فيهما لا يخلقون شيا وهم يخلقون وصف
الهتهم بما يدل علي انها لا تستحق العبادة اي لا يقدرون علي الخلق ومع ذلك هم مخلوقون وانما
يخلقون اظهارا للتجدد حدوثها وفيه وجه اخر لعدم استحقاقها العبادة ولا يملكون
لانفسهم ضرا ولا نفعا ملكهما كناية عن القدرة علي التصرف فيهما بالرفع والجلب فلا حاجة الي

قدره

تقدير

تقدير مضاف وتقديم الضر لان دفعه اهم من جلب النفع وانما قال لانفسهم اظهارا
لغاية عجزهم فان من لا يقدر علي ذلك في حق نفسه لا يقدر عليه في حق غيره دون العكس
ولا يملكون موتا قدمه علي الحيوة علي عكس ترتيب الوجود لتقدم الضر علي النفع ن
ولا حياة ولا نشورا اراد به الاحيا بعد الموت اي انهم بمعزل عن الالوهية لعرائهم عن
لوازمها واتصافهم بما ينافيها وجعلها كالعقلا لزعم عابدها وقال الذين كفروا ان هذا
ما هذا القران الا افك كذب مصروف عن وجهه افتراه اختلقه يعني محمدا صلي
الله عليه وسلم واعانه عليه قوم اخرون اي اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم
واحوال الاخرة وهو يعبر عنهم بعبارته فقد جاوا جاوا يستعمل في معني فعل فيعدي
تعديته واما حذف الجار وايصال الفعل فلا بد فيه من السماع ظلما بجعل الكلام
المعجز افكا مختلقا متلقي من اليهود وزورا بنسبة ما هو بري منه اليه والزور القول
المايل عن الاعتدال القصد وقالوا اساطير الاولين ما سطره المتقدمون وقد مر
بيان الاساطير اكتتبها اي لنفسه او استكتبها وقري علي البنا للمفعول لانه امي
واصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام وافضي الفعل الي الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب
ثم حذف الفاعل وبني الفعل للضمير فاستتر فيه فهي تملي عليه اي تلقي عليه من
كتابه بكرة اول النهار واصيلا اخره ليحفظها فانه لا يقدر ان يكرر من الكتاب
والاصيل العشي لانها اصل الليل واوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض
والسر اخفي المعني في القلب والمراد ما في السموات والارض من خفايا الاحوال يعني
ان في القران اخبارا عما لا يعلمه الا الله تعالي من الجنة والنار وما فيهما ولا تعرض لها في التورية
والانجيل ولو كان ماخوذا من اليهود والنصاري لم يرد علي ما فيهما وفيه ايضا اخبار عن
الحوادث السماوية والارضية قبل حدوثها وليس فيه احتمال الاخذ من كتب المتقدمين
انه كان غفورا ساتر للذنوب ومؤخر للعقاب رحيما بالامهال وعدم الاستعجال
وادرار الانعام ليتوب بعضهم ويخرج عن الاصرار ويخرج من اصلاب المصرين اصحاب
الاعتبار والاختبار وزيادة كان لافادة الدلالة علي العبارة وقالوا مال
وقعت اللام في المصحف مفصولة عن الهاء وخط المصحف سنة لا تغير هذا الرسول
ما لهذا الرسول الذي يزعم انه رسول وفيه استهانة وتهكم ياكل الطعام ويمشي في الاسواق
حال والعامل فيها هذا والجملة الاولي كناية عن غاية الاكل ولا يخفي ما فيها من تقبيح الحال
الذي يقتضيه مساق الكلام والثانية كناية عن الغرض من المشي في الاسواق وهو طلب
اسباب المعاش اي ان صح انه رسول الملك المتعال فما باله يفعل هذه الافعال يعنون انه
كان يجب ان يكون ملكا مستغنيا عن لوازم البشرية ثم تنزلوا عن ذلك الاقتراح الي اقتراح ان يكون

ل

انسانا مثلهم ملك يتساعدا في الانذار بقولهم لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا
ثم تنزلوا الى ان يكون مرفودا بكنز يلقى اليه من السما يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش
فقالوا او يلقى اليه كنز ثم تنزلوا فقالوا او تكون له جنة ياكل منها اي ان لم تكن له
جنة ياكل منها كالدهاقين والمياسير فيعيش بريعه وحسن عطف وهو يلقى ويكون على
انزل وهو ماض دخول المضارع وهو فيكون بينهما وانتصب فيكون لانه جواب لولا بمعنى
هلا وحكمه حكم الاستفهام واراد بالظالمين في قوله وقال الظالمون اياهم باعيانهم
غير انه وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم ان تتبعون الا رجلا مسحورا
سحر فغلب على عقله فيخيل اليه الشيطان ملكا وكلاما وحيا انظر كيف ضربوا لك الامثال
اي قالوا فيك تلك الاقوال الغريبة واخترعوا لك تلك الاحوال النادرة فضلوا
عن طريق الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا اي طعن موجه فيهما فيبقون
ويخبطون كالمتحير في امره لا يدري ما يصنع او فلا يجدون سبيل هدايته ولا يطيقونه
لالتباسه عليهم تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك تكاثر خير الذي ان
شا وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا ولكن اخره الى الاخرة لانه خير وابقى وقوله جنات
تجري من تحتها الانهار بدل من خيرا ويجعل لك قصورا عطف على محل الجزا وقرئ
بالرفع لان الشرط اذا وقع بالرفع ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع ويجوز ان يكون استينافا
بوعد ما يكون له في الاخرة وقرئ بالنصب على انه جواب الشرط بالواو بل كذبوا بالساعة
عطف على ما حكي عنهم يقول بل اتى باعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة او متصل بما
يليه كانه قال بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا وهيانا للمكذبين
بها نارا شديدة الاستعار والاستعار تهيج النار بشدة الايقاد اذا راتهم اذا قابلتهم
وصارت منهم بقدر ما يرى منه الرائي كقولهم دورهم تتراءى اي تتناظر وتتقابل بحيث يكون
احدهما بمرأى من الاخرى على المجاز والتانيث لانه بمعنى النار او جهنم من مكان بعيد
هو اقصى ما يمكن ان يرى منه سمعوا لها تغيظا وزفيرا صوت يغيظ شبه صوت غليا
بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا ما تراءى في بادي النظر والذي يظهر
عند التامل هو من قبيل المجاز التمثيلي الشايع في كلام الله تعالى شبهت النار بمن له تلك الحال
وذلك في غاية البلاغة فمفردات الكلام على حالها وانما قال لها دون منها او فيها تنصيصا
على ما به يتم التمثيل وهو ان يكون التغيظ والزفير لها لا لما فيها واذا القوا بيان تقدم
فصار حالا مكانا في مكان ضيقا لزيادة العذاب فان الكرب مع الضيق كما ان
الروح مع السعة وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح مقرنين
قرنت ايديهم الى اعناقهم في الاغلال او يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي ارجلهم

الاصفاد دعوا هنالك ثمة ثبورا هلاكا اي يتمنون الهلاك وينادونه ويقولون
واثبوراه اي يقال يا ثبور هذا حينك فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا
ثبورا كثيرا وهم احقا بان يقال لهم ذلك وان لم يكن هناك قول اي لا تقتصروا على حزن
واحد بل احزنوا احزانا كثيرا وكثرته اما لدوام العذاب متجددا واما لانه انواع وكل نوع منه يكون
ثبورا لشدته وفظاعته قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون اي وعدها
فالراجع الى الموصول محذوف والمراد من المتقين بقرينة المقابلة من يتقي انواع الكفر والشرك
والتكذيب والاشارة الى مكان العذاب وهو النار وانما قال اذلك خير ولا خير في النار
توبيخا وتهكما الى الكفار ويجوز ان تكون الاشارة الى الكنز واضافة الجنة الى الخلد للمدح
للدلالة على خلودها ولانها حاصلة بقوله خالدين كانت لهم جزاء على اعمالهم بالوعد
الازلي ومصيرا مرجعا لهم فيها ما يشاؤن ما يشاؤن من انواع العذاب الملاذ و
المشتهيات والمشية تتبع العلم فالتفاوت في درجات اهل الجنة وانواع تلذذهم بحسب علمهم
وانما ذكر فيها مع عدم الحاجة اليه للتنبيه بتقديمه على ان حصول المشتهيات لا تكون الا
في الجنة خالدين حال من احد ضمايرهم والضمير في كان لما يشاؤن وعلى في قوله
على ربك استعيرت لما في منزلة الوجوب في التاكيد بقرينة الوعد والسؤال ومن وهم انه
على حقيقته لامتناع التخلف في وعده ثم قال ولا يلزم منه الالجاء الى الايجاد لان تعلق الارادة
بالموعود مقدم على الوعد الموجب للايجاد فقد وهم حيث لم يفرق بين الوجوب على الله
والوجوب منه فان اللازم هو الاول والذي صحح ودفع المحذور عنه انما هو الثاني
وعدا مسئولا اي كان ذلك موعودا حقيقيا بان يسال ويطلب او مسئولا ساله الناس
في دعائهم ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله يعم كل معبود سواه وما وضعه عام
ولذلك يطلق لكل شي يرى ولا يعرف او يراد به الوصف ولتغليب الاصنام لا لتحقير الا ان
المغلب عليه من الانبيا والملايكة لا يليق ذلك بشانهم بل اعتبار الغلبة عبادهم وانما قلنا
يعم كل معبود سواه اذ لا قرينة للتخصيص لا بالاصنام وذلك ظ ولا بالانبيا والملايكة لان
كل شي ينطق يومئذ فلا يكون السؤال قرينة له فيقول للمعبودين ءانتم اضللتم عبادي
الاضافة لتعظيم جريمة الاضلال للتشريفهم لانهم المشركون هؤلاء بدل من عبادي
ام هم ضلوا السبيل لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح والاستفهام
للتقريع والتبكيت للعبدة فلذلك قدم الضمير على الفعل ايلا طرف الاستفهام للمقصود
بالسؤال وهو الفاعل لا الفعل وانما حذف صلة ضل للمبالغة قالوا سبحانك تعجبا
مما قيل لهم لانهم اما ملايكة او انبيا معصومون او جمادات لا تقدر على شي او قصدوا به تنزيهه
تعالى عن الانداد ما كان ينبغي لنا اي ما كان يصح لنا ولا يستقيم ان نتخذ من دونك

من دونك من اولياء للعصمة او عدم القدرة فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا او نتولي
احدا دونك وقرئ نتخذ علي البنا للمفعول من اتخذ الذي له مفعولان كقوله تعالي
واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثاني من اولياء ومن للتبعيض لان من لا تزاد في المفعول
الثاني بل في الاول وعلي الاول مزيدة لتاكيد النفي ولما تضمن قولهم ما كان ينبغي لنا انا لم
نضلهم ولم نحملهم علي الامتناع من الايمان صلح ان يستدرك بلكن فقالوا ولكن متعتهم واباءهم
بالاموال والاولاد وطول العمر والسلامة من العذاب حتي نسوا الذكر حتي غفلوا عن
ذكرك او التذكر للايات والواو الفصيحة في وكانوا للعطف علي محذوف تقديره فكفروا
وكانوا قوما بورا هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه الجمع والواحد قال ابن
الزبعري في الواحد • يا رسول المليك ان لساني • راتق ما فتقت اذ انا بور •
فقد كذبوكم المعني فقد كذبكم المعبودون وهذه المفاجاة بالاحتجاج والالزام حسنة
رايقة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف وقد تحقيق هذا في قوله تعالي فقد جاءكم
بشير ونذير من سورة المائدة بما تقولون بقولكم فيهم انهم الهة او هؤلاء اضلونا والباء
بمعني في او مع المجرور بدل من الضمير وقرئ بالياء ومعناه فقد كذبوكم بقولهم سبحانك
ما كان ينبغي لنا الخ فما تستطيعون وقرئ بالتاء علي خطاب العابدين صرفا دفعا
للعذاب عنكم ولا نصرا فيعينكم عليه ثم خاطب المكلفين علي العموم بقوله ومن يظلم منكم
الشرط وان عم كل من كفر او فسق لكنه في اقتضا الجزا مقيد بعدم المزاحم وهو التوبة اجماعا
والاحباط بالطاعة والعفو عندنا في الاخير نذقه عذابا كبيرا وهو عذاب النار وفي
عبارة نذقه اشارة الي ان العذاب جسماني وما ارسلنا من قبلك من رسول الا انهم لياكلون
الطعام ويمشون في الاسواق كسرت ان لاجل اللام في الخبر لان مدخولها وخروجها
هنا سواء بل لانه موضع ابتدا تقديره الا انهم ياكلون والجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف
والمعني وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا اكلين وماشين وانما حذف لدلالة المرسلين
عليه ويجوز ان يكون حالا واكتفي فيها بالضمير وهو جواب لقولهم ما لهذا الرسول ياكل
الطعام ويمشي في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة محنة وابتلاء ولا دلالة فيه علي القضا
والقدر لان قوله اتصبرون علة للجعل لا للتقدير والمعني وجعلنا بعضكم لبعض فتنة
ليظهر ايكم يصبر ومن الفتنة ان يحسد المبتلي المعافي ويحقر المعافي المبتلي والصبر ان يحبس كلاهما
نفسه هذا عن البطر وذاك عن الضجر وكان ربك بصيرا بمن صبر ومن ضجر
بالصواب فيمن ابتلي به وغيره وقال الذين لا يرجون الرجا ترقب الخير الذي يقوي
في النفس وقوعه وبهذا القيد الاخير يفارق الامل لقاءنا بالخير لكفرهم بالبعث اولا
يخافون عقابنا اما لان الراجي قلق فيما يرجوه كالخائف او لان الرجا في لغة تهامة الخوف واللقا

المصير

المصير الي الشي من غير حايل ولهذا صح لقا الجزا لان العباد يصيرون اليه بشرا في الاخرة علي
هذا يصح ان يقال لا بد من لقاء الله تعالي لولا هلا انزل علينا الملائكة رسلا دون
البشر او شهودا علي نبوته عليه السلام ودعوي رسالته او نري ربنا جهرة فيخبرنا برسالته
ويامرنا باتباعه لقد استكبروا في انفسهم اي في شانها حتي ارادوا لها ما يتفق للافراد من
الانبيا الذين هم اكمل خلق الله تعالي في اكمل اوقاتها وما هو اعظم من ذلك وعتوا العتو الخروج
الي افحش الظلم عتوا كبيرا بالغا اقصي مراتبه حيث عاينوا المعجزات الباهرة فاعرضوا عنها
واقترحوا لانفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامع النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف
وفي الاستيناف بالجملة حسن واشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم فان في هذا الفعل
دليل علي التعجب من غير لفظه الا تري ان المعني ما اشد استكبارهم وما اكبر عتوهم •
لا بشرى يومئذ يوم يرون الملائكة ملائكة الموت والعذاب ويوم نصب بما دل عليه لا بشرى
اي يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى او يعدمونها وقوله يومئذ مؤكد ليوم يرون
او خبر وللمجرمين اذ كر ثم اخبر فقال لا بشرى بالجنة يومئذ ولا ينتصب يومئذ لان المضاف
اليه لا يعمل في المضاف ولا ببشرى لانها مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله ولان المنفي
بلا لا يعمل فيما قبل للمجرمين ظاهر في موضع ضميرهم تسجيلا علي جرمهم واشعارا بما
هو المانع للبشرى والموجب لما يقابلها او عام يتناول حكمه حكمهم من طريق البرهان والاولى
من نفي البشرى لعامة المجرمين نفي البشرى بالعفو والشفاعة في وقت ما ويقولون
حجرا محجورا عطف علي المدلول اي يقول الكفرة هذه الكلمة استعاذة وطلبا من الله تعالي
ان يمنع لقاءهم وهي مما كانوا يقولونه عند لقاء عدوهم او هجوم مكروه او يقولها الملائكة
بمعني حراما محرما عليكم الجنة او البشرى وقرئ حجرا بالضم واصله الفتح او الكسر فانهما
لغتان فيه غير انه لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك ولذلك لم يتصرف ولم يظهر
ناصبه ووصفه بمحجور للتاكيد كقولهم موت مايت وقدمنا الي ما عملوا من عمل فجعلناه
هباء منثورا لا قدوم هنا ولا ما يشبه القدوم ولكن يشبه حال هؤلاء واعمالهم التي
عملوها في كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقري ضيف ونحو ذلك بحال من خالف سلطانه
وعصاه فقدم الي اسبابه وما تحت يده فافسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها اثرا وعلي هذا
يكون الكلام المذكور تمثيلا علي سبيل الاستعارة لا استعارة في مفرداته بخلاف ما اذا كان
المعني وعمدنا الي ما عملوا في كفرهم من المكارم فاحبطناه فانه تكون الاستعارة في المفردات
لا في الكلام والهبا الشي المنبث الذي تراه في البيت من ضوء الشمس والهبا ايضا دقاق التراب
ويقال له اذا ارتفع ومنثورا صفته وليس فيه تشبيه علي تقدير التمثيل واما علي المعني الثاني
فقد شبه به عملهم المحبط في حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه في انتشاره بحيث لا يقبل الاجتما

ولا يقع به الانتفاع اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا تمييز والمستقر المكان الذي
يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس والتحادث واحسن مقيلا قال الازهري القيلولة
والمقيل الاستراحة في نصف النهار وان لم يكن مع ذلك نوم وروي انه يفرغ من الحساب في نصف
ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وفي لفظي الخير والاحسن تهكم بهم
ويوم واذكر يوم تشقق السماء اصله تتشقق فحذف التا بعضهم وادغمها في الشين
بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو المذكور في قوله الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام
والملٰيكة ونزل الملٰيكة تنزيلا في ذلك الغمام بصحايف اعمال العباد الملك يومئذ
الحق للرحمن الثابت له لان كل ملك يومئذ يبطل ولا يبقي الا ملكه تعالي فهو الخبر
وللرحمن صلته او تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق لانه متاخر او صفة والخبر يومئذ او
للرحمن وكان يوما علي الكافرين عسيرا شديدا لما ينالهم من الاهوال والتشديد في
السؤال ثم الخزي والنكال ثم النار والاغلال وفيهم منه يسيره علي المؤمنين وفي الحديث يهون
يوم القيمة علي المؤمنين حتي يكون عليهم اخف من صلوة مكتوبة صلوها في الدنيا ولافادة
الدلالة علي استمرار تلك الحالة ضمن الفعل المذكور معني الاستقرار فعداه بعلي ويوم
يعض الظالم علي يديه من فرط الحسرة والمراد بالظالم الجنس وقيل عقبة بن ابي معيط
وعض اليدين كناية عن الغيظ والحسرة يقول في محل النصب علي الحال يا ليتني اتخذت
في الدنيا مع الرسول سبيلا هداه اليه وتنكيره للاشعار بكمال الاتباع يا ويلتي
وقري بالياء وهو الاصل لان الرجل ينادي ويلته وهي هلكته يقول لها تعالي فهذا اوانك
ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يعني من اضل وفلان كناية عن الاجناس لقد اضلني عن
الذكر عن ذكر الله تعالي او كتابه او موعظة الرسول او كلمة الشهادة بعد اذ جاءني
من الله اعتراف بالمقصود من جانبه وكان الشيطان يعني الخليل المضل او ابليس
لانه حمله علي مخالفة الرسول او كل من تشيطن من الجن والانس للانسان المطيع له ۝
خذولا مبالغة في الخذلان اي من عادته ترك من يواليه وقت حاجته اليه وقال الرسول
اي في هذه الدنيا شاكيا الي الله ولو كان في الاخرة ما عدل عن سنن ما تقدم يا رب ان قومي
قريشا اتخذوا هذا القران مهجورا متروكا اي بتركوه ولم يؤمنوا به من الهجران
وهو مفعول ثان لاتخذوا وفي هذا تعظيم لشانه وتخويف لقومه لان الانبيا عليهم الصلوة
والسلام اذا شكوا اليه تعالي قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا ثم اقبل عليهم مسليا وواعدا
النصر عليهم فقال وكذلك اي كما جعلنا لك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين
فاصبر كما صبروا ومعني الكلية الكثرة كما في واوتيت من كل شي فلا يشكل بادم عليه السلام
فانه مبتلي بعدوه قومه ويجوز ان يكون واحدا او جمعا وكفي بربك هاديا الي الطريق الصبر المودي الي النصر

والباء زايدة

والباء زايدة وهاديا تمييز ويجوز ان يكون حالا اي كفي ربك في حال الهداية ونصيرا
لك عليهم وقال الذين كفروا اي احبار اليهود لولا هلا نزل عليه القران اي
انزل عليه كخبر بمعني اخبر بدلالة قوله جملة اي مجتمعا واحدة اي دفعة واحدة
كالتورية والزبور وهذا فضولي من القول ومماراة مما لا طائل تحته وغفول عن مقتضي
اصول البلاغة من وجوب رعاية المطابقة لمقتضي المقام في كل جملة من الكلام ولا تتيسر
تلك عنده والرعاية مجموع القران دفعة واحدة والشريعة من وجوب تقدم المجمل والعام
المنسوخ وتاخير البيان والخاص والناسخ ولا يتيسر ذلك ايضا علي التقدير المذكور والتذكر
من وجوب رعاية شرط التكرير وهو ان يكون في اوقات متعددة مع انه لتفرقة فوايد منها
ما اشار اليه بقوله كذلك جواب لهم اي انزلناه كذلك انزالا والاشارة الي مدلول
قولهم لان معناه لم نزل عليه القران مفرقا فاعلم ان ذلك لنثبت به فوادك لنقوي
بتفريقه فوادك حتي تعيه وتحفظه لان المتلقن وان لم يكن اميا انما يقوي قلبه علي حفظ
العلم شيا بعد شي ولو القي عليه جملة واحدة لعجز عن حفظه او لنثبت به فوادك عن الضجر
بتواتر الاصول وتتابع الرسول لان قلب العاشق المحب يسكن بتواصل كتب المحبوب ولانه اذا انزل
منجما وهو متحدي بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك فقهه قلبه ومنها ان نزوله
بحسب الواقع يوجب زيادة بصيرة وغوص في المعني ومنها انضمام القراين الحالية الي
الدلالات اللفظية فانه يعين علي البلاغة واما ان الناسخ والمنسوخ لا يجتمعان وكذا
اسباب النزول لا يجتمعون فليس من الفوايد وان كان من جملة البواعث لذلك ويحتمل
ان يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا والاشارة الي الكتب السالفة
واللام علي الوجهين متعلق بمحذوف ورتلناه ترتيلا وقراناه عليك شيا بعد شي
علي تؤدة وتمهل واصل الترتيل في الاسنان وهو تفليجها ولا ياتونك بمثل بسؤال
عجيب من سؤالاتهم الباطلة كانه مثل في البطلان الا جئناك بالحق الرافع له واحسن
تفسيرا وبما هو احسن بيانا التفسير التكشيف عما يدل عليه الكلام الذين يحشرون
اي يساقون ويجرون علي وجوههم الي جهنم ذم منصوبا ومرفوع او مبتدا خبره
اولئك شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة علي شرارتهم وقيل مكانا منصرفا
واضل سبيلا ووصف السبيل بالاضلال من الاسناد المجازي للمبالغة والمفضل عليه هو
الرسول عليه السلام علي طريقة قوله قل هل انبيكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله
وغضب عليه الاية كانه قيل الحامل لهم علي هذه الاسيلة تحقير مكانه وتضليل سبيله ولا
يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا ولقد اتينا موسي الكتاب التورية
وجعلنا معه في عبارة معه اشارة الي اصالة موسي عليه السلام في امر الدعوة اخاه هرون

بدلا او عطف بيان وزيرا هو في اللغة من رجع اليه ويتحصن برايه من الوزر وهو
الملجا والوزارة لا تنافي النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد انبيا ويؤمرون بان يوازر
بعضهم بعضا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا اي فرعون وقومه
فدمرناهم تدميرا التدمير الاهلاك بامر عجيب اراد الاختصار فاقتصر على حاشيتي
القصة لانهما المقصود منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم
فالفا فصيحة وهي فا سببية ولا يلزمها التعقيب وقوم نوح منصوب بفعل مقدر
يفسره هذا الظاهر اي اغرقنا قوم نوح والعامل في لما ذلك المحذوف كذبوا الرسل
نكروا البعثة مطلقا كالبراهمة اغرقناهم بالطوفان وجعلناهم للناس اية عبرة
واعتدنا للظالمين • لقوم نوح عليه السلام واصله واعتدنا لهم الا انه اراد بظلمهم واظهروا
وهو عام لكل من ظلم ظلم شرك وتبنا ولم يعمومه عذابا اليما في جهنم واما عذابهم في البرزخ
فهو متراخ عن اغراقهم وعادا وثمودا عطف على هم في جعلناهم او على الظالمين لان المعنى
ووعدنا الظالمين واما صرف ثمود على تاويل الحي او لانه اسم الاب الاكبر وقرئ وثمود على
على تاويل القبيلة واصحاب الرس ثم قوم شعيب عليه السلام كانوا يعبدون الاصنام
فكذبوا شعيبا فبينما هم حول الرس وهو البير غير المطوية انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم
وقيل الرس قرية قتلوا نبيهم فهلكوا او هم اصحاب الاخدود والرس الاخدود وقرونا
واهل اعصار وقد مر تفسير القرون في سورة الانعام بين ذلك اشارة الى ما ذكر كثيرا
لا يعلمها الا الله وكلا ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة من الامم التي كانت
قبلهم اي حذرنا كل امة ان ينزل بها ما نزل بمن قبلها فلما اصروا اهلكوا كما قال وكلا
تبرنا تتبيرا اي اهلكنا اهلاكا واصل التتبير التفتيت ومنه التبر لفتات الذهب
والزجاج وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو انذرنا او حذرنا والثاني
بتبرنا لانه فارغ له ولقد اتوا يعني اهل مكة على القرية يعني سدوم وهي اعظم
قرى قوم لوط عليه السلام التي امطرت مطر السوء اي اهلكت بالحجارة ومطر السوء مفعول
ثان والاصل امطرت القرية مطرا او مصدر محذوف الزوايد اي امطار السوء افلم يكونوا
يرونها في مرورهم فيتعظون بما يرون فيها من اثار عذاب الله تعالى بل كانوا لا يرجون
نشورا بل كانوا كفرة لا يخافون نشورا فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا وان راوك
ان يتخذونك الا هزوا موضع هزوا ومهزوا به محكي بعد القول المضمر وهذا استصغارا
واستحقارا اي قايلين اهذا الذي بعث الله رسولا والعايد الى الذي محذوف اي
اي بعثه واخراجه في معرض التسليم بجعله صلة وهم في غاية الانكار تهكما واستهزا ان كاد
ان كاد ليضلنا عن الهتنا ليصرفنا عن عبادتها لولا ان صبرنا عليها فيه دلالة

على

على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوتهم وعرض المعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم
ان تركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة الهتهم وسوف يعلمون
حين يرون العذاب من اضل سبيلا ولما عدوا عبادتهم الاصنام رشدا واعتقدوا صرفهم
عنها ضلالا اوعدهم الله تعالى فقيه وعيد ودلالة على انه لا يهملهم وان امهلهم هذا الذي
لا يرى معبودا الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه الى الهدى وانما قدم المفعول الثاني
للاشعار بان المعبود حقه التقديم للتعظيم فهم قد اخلوا بحقه حيث اتخذوا اهواءهم الهة
افانت تكون عليهم وكيلا اي حفيظا تحفظهم عن متابعة هواه وعبادة من يهواه او افانت
تكون عليه موكلا فتصرفه عن الهوى الى الهدى عرفه ان عليه التبليغ فقط فالاستفهام الاول
للتعجب والتقرير والثاني للانكار ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون فتجدي
لهم الايات او الحجج فتهتم بشانهم وتطمع في ايمانهم ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا
ام منقطعة معناه بل اتحسب كان هذه المذمة اشد من التي تقدمها حيث حقت بالاضراب
عنها اليها وهي كونهم مسلوبي الاسماع والعقول لانهم لا يلقون الى استماع الحق اذنا ولا الى
تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة فقد ركبهم الشيطان
بالاستذلال لتركهم الاستدلال ثم هم ارجح ضلالة منها لان الانعام تسبح ربها وتسجد
له وتطيع من يعلفها وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء عليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما
يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة
الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب
الذي هو اشد العذاب ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والعذب الروي وانما
ذكر الاكثر لان فيهم من امن الم تر الى ربك الم تنظر الى صنع ربك وقدرته كيف مد الظل
بسطه فعم الارض وذلك من حين طلوع الفجر الى وقت طلوع الشمس في قول الجمهور لانه
ظل ممدود لا شمس معه ولا ظلمة وهو اطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد
البصر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود
ولو شاء لجعله ساكنا ثابتا دايما لا يزول ولا يذهبه الشمس وفيه دليل على انه تعالى
يفعل بالقدرة والاختيار لا بالايجاب والاضطرار ثم جعلنا الشمس عليه دليلا
لانه بالشمس يعرف الظل ولولا الشمس لما عرف الظل والاشيا تعرف باضدادها •
ثم قبضناه القبض جمع المنبسط من المشي والمراد ازالته بايقاع الشمس موقعه الينا
الى حيث اردنا قبضا يسيرا مهلا وقليلا قليلا وجا ثم بثم في الموضعين لتفاضل الامور
وهو الذي جعل لكم الليل لباسا شبه ظلامه الساتر باللباس والنوم سباتا راحة
للابدان بقطع المشاغل واصل السبت القطع والنايم مسبوت لانه قد انقطع عمله وحركته

وجعل النهار نشورا ذا نشور اي انبعاث من النوم كنشور الميت او ينشر فيه الخلق للمعاش
في هذه الاية مع دلالتها على قدرة الخالق اظهار لنعمته على خلقه في الاحتجاب بستر الليل
فوايد دينية ودنيوية وفي النوم واليقظة المشبهين بالموت والحيوة عبرة لمن اعتبر •
وهو ارسل الرياح وقرى على التوحيد ارادة الجنس نشرا ناشرات للسحاب جمع نشور
وقرى بالفتح على انه مصدر وصف به وقرى بشرا بتخفيف بشر جمع بشور بمعنى مبشر بين
يدي رحمته قدام المطر لانه ريح ثم سحاب ثم مطر وهذه استعارة مليحة وانزلنا من السماء ماء طهورا
بليغا في طهارته وذلك لانه لم يشبه شي بخلاف ما نبع من الارض ونحوه فانه يشوبه اجزاء ارضية
من مقره او ممره او مما يطرح فيه وقيل مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء لما
يتوضا به قال عليه الصلوة والسلام التراب طهور المومن لنحيي به بالنبات بلدة ميتا
على ارادة البلد او المكان ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة واجرى مجرى الجامد
ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا وقرى نسقيه لغتان والاناسي جمع انسي على القياس
لكرسي وكراسي او انسان واصله اناسين كسرحان وسراحين فابدلت ياء وادغمت وقدم احياء
الارض على سقي الانعام والاناس لان حياتها سبب حياتها فقدم ما هو سبب حياتهما على
سقيهما وتخصيص الانعام من بين الحيوان لشارب لان عامة منافع الاناسي متعلقة بها
فكان الانعام يسقي الانعام بسقيهم وتنكير الانعام والاناسي ووصفهما بالكثرة لان اهل
المدن والقرى منيخون بالقرب من الاودية والانهار فبهم غنية عن سقي الماء واعقابهم وهم
كثير يعيشون بما ينزل من رحمته وتنكير البلدة لانه يريد بعض بلاد هولاء المبعدين عن مظان الماء
ولما كان سقي الاناسي من جملة ما انزل له الماء وصفه بالطهور اكراما لهم وبيانا ان من حقهم
ان تؤثر الطهارة في بواطنهم وظواهرهم لان الطهورية شرط للاحياء ولقد صرفناه بينهم
صرفنا هذا القول بين الناس في القران وسائر الكتب المنزلة على الرسل ليذكروا ليتفكروا
ويعتبروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة فيه فيشكروا فابى اكثر الناس الا كفورا فابى
اكثرهم الا كفران النعمة وقلة الالتفات لها وانما عدل عن الضمير كيلا يتوهم ان المراد اكثر ذلك
الكثير او صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة
من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة فابوا الا كفورا وان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله
تعالى ورحمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما من عام اقل مطرا من عام ولكن الله يصرفه حيث يشاء
وقرا الاية ولو شينا لبعثنا في كل قرية نذيرا نبيا ينذر اهلها • يعني ان المقصود من البعثة •
ابلاغ الدعوة والزام الحجة لا للاهتمام في امر الهداية وقبول الهداية والا لفعلنا ما هو ادعى لذلك
من دعوة كل قرية بنذير مستقل فلا تطع الكافرين اي فلا توافقهم واثم في بعض الامور ابتغاء
لقبولهم الدعوة ودخولهم في طريق الهداية وانما قيل نبيا ينذر اهلها فيخفف عليك اعباء النبوة لكن

الذي

قصرنا الامر عليك تعظيما لشانك وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد
في الدعوة ولا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه فيرد عليه ان موجب ذلك العطف بالواو دون الفا
على ما افصح عنه من قال فقابل ذلك بالتشدد والتصبر ولا تطع الكافرين ولم يدر ان فيه
تغييرا لنظم القران واثباتا للقصور فيه وجاهدهم به بترك طاعتهم الذي دل عليه فلا تطع
الكافرين بمعنى انهم يجتهدون في ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد في مخالفتهم وازاحة باطلهم
جهادا كبيرا لان جهاد مع كل الكفرة على ما فهم مما سبق من بعثته الى جميع القرى وجملة الامم
ثم عاد الى تعداد النعم فقال وهو الذي مرج البحرين خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من
مرج الدابة اذا خلاها هذا عذب فرات قامع للعطش
من فرط عذوبته وهذا ملح اجاج شديد الملوحة وقرى على فعل ولعل اصله مالح فخفف كبرد
في بارد وقد نقل الازهري صحة مالح وان كان الفصيح ملح وجعل بينهما برزخا حاجزا من
قدرته وحجرا محجورا وتنافرا بليغا كان كلا منهما يقول للاخر ما يقوله المتعوذ منه او سترا
ممنوعا عن الاعين لقوله حجابا مستورا وهو الذي خلق من الماء من النطفة بشرا اراد تقسيم
البشر قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان ابن فلان وفلانة ابنت فلان وذوات
صهر اي اناثا يصاهر بهن وهو كقوله فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا حيث
خلق من النطفة الواحدة نوعين ذكرا وانثى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ان عبدوه
ولا يضرهم ان تركوه وكان الكافر على ربه على معصية ربه ظهيرا معينا ومظاهرا
يعني الشيطان وفعيل بمعنى مفاعل كعزيز وما ارسلناك الا مبشرا للمطيعين ونذيرا
للعاصين كافرا كان او مومنا قل ما اسالكم عليه على التبليغ الذي دل عليه الا مبشرا
ونذيرا من اجر جعل الا من شاء الا فعل من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا ان يتقرب
اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصوره ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود فعله
واستثناه منه قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة حيث اعتد بانتفاعك بالتعرض للثواب
والتخلص عن العقاب اجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه واشعارا بان طاعتهم تعود عليه
بالثواب من حيث انها بدلالته وتوكل على الحي الذي لا يموت اتخذ من لا يموت وكيلا
لا يكلك الا من يموت ذليلا يعني ثق به واسند امرك اليه في استكفاء شرورهم والاغناء عن اجورهم
فانه الحقيق بان يعتمد عليه في كل امر وسبح ونزهه عن ان يكل الى غيره من توكل عليه
بحمده بتوفيقه الذي يوجب الحمد وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن خبيرا
مطلقا يعني انه عالم باحوالهم كاف في جزاء اعمالهم الذي خلق السموات والارض وما بينهما
في ستة ايام ثم استوى على العرش قد سبق الكلام فيه وذكره هنا لزيادة تقرير لكونه
حقيقيا بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل فيه تحريض على الثبات والتاني في الامور

فانه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاد امره في كل مراد خلق الاشيا على تؤدة وتدرج الرحمن
خبر للذي ان جعل مبتدا او لمحذوف ان جعل صفة للحي او بدلا من المستكن في استوى وقرئ بالجر
صفة للحي فاسئل به السؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى البحث والاستفسار يعدى بالبا
لتضمنه معنى الاعتنا وقيل انه صلة خبيرا اي فاسئل كما ذكر من الخلق والاستوا عالما يخبرك
بحقيقته وهو الله تعالى او جبريل عليه السلام او من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه
واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن اي لا نعرف فلنسجد له فهذا سؤال عن المسمى
لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما او لانهم ظنوا انه اراد به غيره ولذلك
قالوا انسجد لما تامرنا اي للذي تامرنا بالسجود له او لامرك لنا من غير عرفان وقرئ يامرنا
بالياء على انه قول بعضهم وزادهم اي الامر المذكور نفورا تباعدا عن الايمان تبارك
الذي جعل في السما بروجا يعني البروج الاثني عشر سميت به لظهورها وارتفاعها قال
الزجاج كل ظاهر مرتفع يقال له برج وجعل فيها سراجا يعني الشمس لتوقدها قال الله تعالى
وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الكواكب الكبار وقيل الشمس والكواكب الكبار
وقمرا منيرا اي مضيئا بالليل وعلى هذا يلزم تخصيص القمر بالذكر بعد دخوله في السرج
مع ان حق التخصيص بالذكر للشمس لظهور فضيلتها على سايرها وقرئ قمرا كالرشد والرشد
والعرب والعرب وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة جعلهما ذوي خلفة يخلف كل منهما
الاخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه او بان يعتقبان لقوله تعالى واختلاف الليل
والنهار وهي للحالة من خلفه كالركبة والجلسة لمن اراد ان يذكر اي يتذكر الاء الله ويتفكر
في صنعه فيعلم انه لا بد له من صانع حكيم او اراد شكورا ان يشكر الله تعالى على ما فيه من
النعم وعباد الرحمن مبتدا خبره في اخر السورة اوليك يجزون الغرفة او الذين يمشون
على الارض واضافتهم الى الرحمن للتخصيص والتفضيل وقرئ عباد الرحمن على انه جمع عابد
كتجار وتاجر هونا حال او صفة للمشي اي هينين او مشيا هينا والهون الرفق واللين اي
يمشون بسكينة ووقار وتواضع دون مرح واختيال وتكبر ولقوله ويمشون في الاسواق كره
بعض العلما الركوب في الاسواق واذا خاطبهم الجاهلون اي السفها بما يكرهون قالوا سلاما
سدادا من القول يسلمون فيه من الايذا والاثم او نتسلم منكم نتارككم ولا نجاهلكم فاقيم السلام
مقام التسلم قيل نسختها اية القتال ولا وجه له لان الاغضا عن السفها مستحسن شرعا ومروة
هذا وصف نهارهم ثم وصف ليلهم بقوله والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما سجدا جمع
ساجد وقياما جمع قايم والبيتوتة خلاف الظلول وهي ان يدركك الليل نمت فيه ام لم تنم وتخصيصها
لان العبادة بالليل اكثر اجرا وابعد من الريا وتاخير القيام لمحافظة الفاصلة والذين يقولون
ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما لازما ومنه الغريم لملازمته وهو ايذان بانهم

مع حسن مخالطتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق وجلون من العذاب مبتهلون الى الله
في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم باعمالهم ووثوقهم على استمرار حالهم انها سات مستقرا ومقاما
سات في حكم بيست وفيها ضمير مبهم تفسيره مستقرا والمخصوص بالذم ضمير محذوف معنا
سات مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها او
بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز والجملة تعليل للعلة الاولى او تعليل
وكلاهما يحتملان الحكاية او الابتدا الى الله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا الاسراف
مجاوزة الحد في الانفاق والاقتار التقصير عما لا بد منه وعن ابن عباس رضي الله عنهما الاسراف
الانفاق في معصية الله تعالى قل او كثر والاقتار منع حق الله تعالى من المال وقال عليه السلام
من منع حقا فقد اقتر ومن اعطى في غير حق فقد اسرف ولم يقتروا بضم التا وضم اليا وكسر
التا وبفتح اليا وكسر التا والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذي هو ضد الاسراف
وكان انفاقهم بين ذلك اي الاسراف والاقتار قواما القوام بالفتح العدل
وبالكسر العماد وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان او حال موكدة
ويجوز ان يكون الخبر قواما وبين ذلك لغوا والذين لا يدعون مع الله الها اخر لا يشركون
ولا يقتلون النفس التي حرم الله يعني حرم قتلها وهي نفس الانسان الا بالحق متعلق
بالقتل المحذوف او بلا يقتلون ولا يزنون نفي عنهم امهات المعاصي بعد ما اثبت لهم اصول
الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضا
للكفرة باضداده ولذلك عقبه الوعيد تهديدا لهم فقال ومن يفعل ذلك يلق اثاما
ابو عبيدة الاثام العقوبة وقرئ يضاعف على الاستيناف وعلى الحال وكذلك ويخلد فيه مهانا
ذليلا الا من تاب عن الكفر وامن بمحمد عليه السلام وعمل صالحا بعد موته فاوليك
يبدل الله سياتهم حسنات بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم
ويوفقهم للمحاسن بعد القبايح ان الله كان غفورا ولذلك يكفر السيات رحيما
يبدلها بالحسنات ومن تاب وعمل صالحا ومن خرج عن المعاصي ودخل في الطاعة اي
تاب وحقق توبته بالعمل الصالح فانه بذلك يتوب الى الله متابا مرضيا عنده مكفرا
للخطايا محصلا للثواب والذين لا يشهدون الزور لا يقيمون الشهادة الباطلة او لا
يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل شركة فيه لان حضورهم ونظرهم دليل الرضا
وسبب وجود الزيادة فيه واذا مروا باللغو يعني اذا مروا باهل اللغو والمشتغلين به وهو
كل ما ينبغي ان يلغى ويطرح مروا كراما معرضين عنه مكرمين انفسهم عن التلوث به بالوقوف
عليه والخوف منه والذين اذا ذكروا بايات ربهم اي قرئ عليهم القران ووعظوا به لم
يخروا عليها صما وعميانا هذا ليس بنفي للخرور بل هو اثبات له ونفي للصمم والعمى ونحو

قال الشاعر • بايدي رجال لم يشيموا انفوسهم • ولم تكثر القتلى بها حين سلت
بايدي رجال سامُوا سيوفهم فقد كثرت القتلى يعني انهم اذا ذكروا بها خرّوا سجدا وبكيا
سامعين باذان واعية مبصرين بعيون راعية لما امروا به ونهوا عنه كالمنافقين واشبا
دليله قوله وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا فان القران
يفسر بعضه بعضا والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا من للبيان كانه
قيل هب لنا قرة اعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من ازواجنا وذرياتنا ومعناه ان يجعلهم الله
قرة اعين وهو من قولهم رايت منك اسدا اي انت اسد او للابتدا على معنى هب لنا من جهتهم
ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح فان المومن اذا شاركه اهله في طاعة الله تعالى سر قلبه
بهم وقرت بهم عينه لما يرى من مساعدته في الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة وتنكير الاعين
لارادة تنكير القرة تعظيما فان المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف اليه وانما قيل
اعين على القلة دون عيون لان المراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم
واجعلنا للمتقين اماما ايمة يقتدون بنا في امر الدين باضافة العلم والتوفيق للعمل واكتفى
بالواحد لدلالته على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم نخرجكم طفلا او لانه مصدر في الاصل
او لان المراد واجعل كل واحد منا او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم وقيل
جمع ام كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم ومقتدين بهم اولئك يجزون الغرفة اي الغرفات
وهي العلالي في الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس دليله قوله وهم في الغرفات
امنون بما صبروا بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل
المجاهدات ويلقون فيها تحية وسلاما دعاء بالتعمير والسلامة يعني ان الملئكة يحيونهم
ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه وقرئ يلقون من لقى خالدين فيها لا
يموتون ولا يخرجون عنها حسنت اي الغرفة مستقرا ومقاما موضع قرار واقامة وهي
في مقابلة ساءت مستقرا ومثله اعرابا قل ما يعبؤا بكم ربي ما متضمنة لمعنى الاستفهام
وهي في النصب على المصدر كانه قيل اي عبا يعبؤا بكم معناه ما يصنع بكم ربي من عبات الجيش اذا هيا
لولا دعاؤكم لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام او لولا عبادتكم له اي انه خلقكم لعبادته كقوله
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي لا اعتبار عند ربكم لعبادتكم او ما يصنع بعذابكم لولا
دعاؤكم معه الهة وهو كقوله ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم فقد كذبتم بما اخبرتكم به
حيث خالفتموه وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد
كذب الكافرون منكم لان الخطاب لعامة الناس بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب •
فسوف يكون جزاء التكذيب واثره لزاما لازما بكم وانما اضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه
على انه مما لا يكتنه به الوصف وقرئ لزاما بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت والله اعلم بالصواب

سورة الشعرا مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تفخيم الالف وامالتها واظهار النون وادغامها تلك اشارة الى ايات السورة
ايات الكتاب المبين المظهر الحق من الباطل لعلك باخع نفسك قاتلها غما الا يكونوا
مومنين اجل امتناع قومك من الايمان لعل هنا للاشفاق اي اشفق على نفسك بتخفيف
هذا الغم والهم ولما كان مظنة ان يقال ان ذلك لتنفيذ امر الله تعالى وتحصيل المرادات الالهية
من الاوامر والنواهي تدور لدفعه بقوله ان نشا ننزل عليهم من السماء اية قاهرة قاسرة
لهم على الايمان اشير الى ذلك بقوله عليهم يعني ان ايمان تلك الطايفة ليس بمراد لنا انما المقصود
من بعثتك تبليغ احكام التكليف على ما تقتضيه الحكمة فليس امرنا عن ارادة ولا نهينا عن كراهة
فظلت عطف على ننزل عطف اكن على اصدق لانه لو قيل انزلنا بدله لصح اعناقهم لها خاضعين
الخضوع امارة الانقياد اللازم للاذعان وهي المراد منها بطريق الكناية اصله فظلوا لها
خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان محل الخضوع وترك الخبر على اصله وفي الكناية المقصودة من
عبارة الخضوع اشارة الى ان قهر تلك الاية فهو حجة وبرهان فلا يفوت الاختيار المعتبر
في صحة الايمان وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين ما يجدد
الله تعالى بوحيه على نبيه موعظة وتذكيرا الا استمروا على ما اعتادوا عليه من الاعراض
فقد كذبوا حذف المفعول اشارة الى ان تكذيبهم تجاوز عن حد الخصوص الى حد العموم
فان تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم كان تكذيبا لسائر الانبيا والمخبرين المبشرين عنه بل تكذيبا
لله تعالى ايضا والفا في فسياتيهم فصيحة تفصح عن محذوف معطوف على المذكور تقديره
واستهزؤا به فسياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون اتيان الخبر عبارة عن وقوع المخبر
المنتظر وهذا وعيد لهم وايذان بانهم سيعلمون اذا مسهم العذاب يوم بدر او يوم القيمة
ما الشيء الذي كانوا به يستهزءون اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج الزوج
اللون قاله الفرا وكل للاحاطة وكم للكثرة كريم كثير المنفعة ياكل منه الناس والانعام
كالرجل الكريم الذي نفعه عام وفيه دلالة على كمال القدرة ولذلك قال ان في ذلك
انبات تلك الانواع لاية عظيمة على ان منبتها تام القدرة والحكمة عام النعمة والرحمة
وما كان اكثرهم مومنين مصدقين وكان هنا صلة في قول سيبويه وهذا اخبار عن
حالهم في الواقع لا عن حالهم في علم الله وان ربك لهو العزيز المنيع الذي لا يغالب
فليس لعجزه وضعفه طالت مدة هؤلا في الشرك والعتو الرحيم فلا يعجل بعقوبتهم اذ
يخاف الفوت ويقبل توبة من تاب منهم قبل الموت ولما كان مساق الكلام في بيان القدرة قدم
صفة العز على صفة الرحمة والرحمة اذا كانت اعظم وقعا واذ نادى ربك موسى مقدر
باذكر او ظرف لما بعده ان ايت ان مصدرية او تفسيرية القوم الظالمين لانفسهم

اولبني اسرائيل قوم فرعون عطف بيان وليس فيه اقتصار على قومه بل اكتفاء بالدلالة
في جانبه واعتنا للاشارة الى ان ظلم قومه لاتباعهم الا يتقون استيناف للتعجب من
من افراطهم في الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتا على الالتفات للتوبيخ والحث واصل الايقاف في
الامر بحاجز بينه وبين الصارف والمراد اتقا العقاب بالطاعة قال رب اني اخاف الخوف
انزعاج النفس بتوقع الضرر ان يكذبون ويضيق صدري لتكذيبهم اياي مستانف او
عطف على اخاف ولا ينطلق لساني بان تلخذني الحمية على ما ادري من المحال واسمع من الجدال
وبنصبهما يعقوب على يكذبون فالخوف متعلق بهذه الثلاث على هذه التقدير بالتكذيب وجرم
بتقدير الرفع فارسل الى هرون اي ارسل اليه جبريل عليه السلام واجعله نبيا يعينني
على الرسالة ولم يكن هذا الالتماس عون في تبليغ الرسالة وتمهيدا للعذر في التماس المعين على
تنفيذ الامر وكفي بطلب العون دليلا على التعليل لا على التعلل ومن الدليل على ذلك وقوع فار
معترضا بين الاوايل فانه لو كان تعللا لاخر ولهم على ذنب دعوى جرم وهو قتل القبطي
فاخاف ان يقتلون كان عليه السلام عنده خوفان خوف تلف النفس وخوف فوات الرسالة
وانما قدم الثاني على الاول تقديما لمصلحة الرسالة على مصلحة نفسه كما هو اللايق لشان اولي
العزم من الانبيا عليهم الصلوة والسلام قال كلا فاذهبا باياتنا اجابه له الى الطلبين
بوعده للدفع اللازم وردعه عن الخوف وضم اخيه اليه في الارسال والفا فصيحة دلت
على محذوف تقديره ظاهر من التعليل في موضع اخر حيث قال وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا
فقلنا اذهبا الاية وقال في سورة طه اذهب انت واخوك باياتي ولا تنيا في ذكري اذهبا
الى فرعون ومن قال في تفسيره امر به موسى اولا وحضر وههنا اياه واخاه فلا تكرير ثم قال
هنا فالخطاب في اذهبا على تغليب الحاضر لانه معطوف على الفعل الذي دل عليه كلا كانه
قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت والذي طلبته وهو هرون لم يكن على بصيرة انا معكم
يعني موسى وهرون عليهما السلام وفرعون مستمعون الاستماع من السمع بمنزلة
النظر من الرؤية والكلام من قبيل التمثيل والمراد انا لكما وبعدوكما كالناصر الظهير لكما
عليه اذا حضر واستمع ما يجري بينكما وبينه فالمعروفات على حقايقها كما في قوله تعالى وقدمنا
الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين افرد
الرسول هنا ويجوز ان يقال افرد الرسول لاتفاق كلمتهما وثنى في قوله انا رسولا ربك وذلك
لانه في هرون عليه السلام جهتان جهة الرسالة من الله وجهة الوزارة لموسى عليه السلام على
ما نطق قوله تعالى وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا وحين قيل فقولا انا رسولا ربك نظر الى جهة
رسالته من الله تعالى وحين قيل فقولا انا رسول رب العالمين نظر الى جهة وزارته لموسى ولكون موسى
اصلا في باب الرسالة كان مخاطبة فرعون اياه ومجادلته معه خاصة وانما زيد هنا قوله لعدم

كان الخطاب المغني عنه ان ارسل معنا بني اسرائيل عن اسر الاستعباد وخلهم يذهبوا
حيث شاؤا وهو كارسال الصيد واهل القيد قال فرعون لموسى بعدما اتياه وقالا له ذلك
الم نربك التربية تنشية الشي حالا بعد حال فينا في منازلنا وليدا طفلا سمي به لقربه
من الولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قيل مكث فيهم ثلثين سنة وفعلت فعلتك التي فعلت
يعني القبطي وبخه به معظما اياه بعدما عدد عليه من نعمته وانما عرض عناية لدأب الملوك وفي
فعلتك بالكسر لانها كانت فعله بالذكر وانت من الكافرين بنعمتي حيث قتلت خبازي
قال فعلتها اذا اي اذ ذاك وانا من الضالين الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من
الفاعلين فعل اولي الجهل او من الذاهبين عما يؤول اليه الذكر لانه اراد به التاديب والضال
عن الشي هو الذاهب عن معرفته ففررت منكم الفرار الذهاب على وجه التحرز من الامر لك
لما خفتكم ان تقتلوني فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين من جملة رسله وتلك
نعمة تمنها على ان عبدت بني اسرائيل تلك اشارة الى خصلة شنعا مبهمة لا يدري ما هي الا بتفسيرها
ومحل ان عبدت الرفع عطف بيان لتلك اي تعبيدك بني اسرائيل نعمة تعدها على كره على امتنا
عليه بالتربية فابطله من اصله وابى ان يسمي نعمته الا نقمة حيث بين ان حقيقة انعامه عليه تعبيد
بني اسرائيل لان تعبيدهم وقصدهم بذبح ابنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته ولو تركهم
لرباه ابواه فكان فرعون امتن على موسى بتعبيد قومه واخراجه من حجر ابويه اذا حققت وتعبيدهم
تذليلهم واتخاذهم عبيدا ووحد الضمير في تمنها وعبدت وجمع في منكم وخفتكم لان الخوف والفرار
لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن الملا المؤتمرين بقتله قال فرعون وما رب العالمين لما سمع
جواب ما طعن به فيه وراى انه لم يرعو بذلك شرع في الاعتراض على دعواه فبدا بالاستفهام عن
حقيقة المرسل قال رب السموات والارض وما بينهما عرفه باظهار خواصه واثاره لما امتنع
تعريف حقيقته ان كنتم موقنين ان كنتم تعرفون الاشيا بالدليل فكفى بخلق هذه الاشيا دليلا
او ان كان يرجى منكم الايقان الذي يؤدي اليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب والا لم ينفع
الايقان العلم الذي يستفاد بالاستدلال ولذا لا يقال الله موقن قال فرعون لمن حوله
من اشراف قومه الا تستمعون معجبا قومه من جوابه لانهم يزعمون قدمها وينكرون ان لها
ربا فاحتاج موسى عليه السلام الى ان يستدل بما يشاهدوا حدوثه وفناءه غدو ولا الى ما الاعجال
للنزاع فيه قال ربكم وانما قال ورب ابائكم الاولين لان فرعون كان يدعي الربوبية على اهل
عصره دون من تقدمهم قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اساله عن شي ويجيب
عن اخر وسماه رسولا سخرية وترفعا عن نسبته الى نفسه ولو سخرية ولذلك لم يقل الينا قال رب
المشرق والمغرب وما بينهما انتقل الى هذا لان طلوع الشمس من احد الخافقين وغروبها في الاخر
على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب مستو من اظهر ما استدل به ولظهوره انتقل الى الاحتجاج به

خليل الرحمن عن الاحتجاج بالاحيا والاماتة على نمرود بن كنعان ان كنتم تعقلون اي
ان كان لكم عقل علمتم انه لا يمكن معرفته الا بهذا الطريق فلما تحير فرعون ولم يتهيا له ان يدفع
ظهور اثار صنعه قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين عدولا الى
التهديد الى المحاجة بعد الانقطاع وهكذا ديدن المعاند المحجوج واللام في المسجونين للعهد
اي ممن عرفت حالهم في سجوني وكان من عادته ان ياخذ من يريد سجنه فيطرحه في مهواة ذاهبة
في الارض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع وكان ذلك اشد من القتل ولو قيل
لاسجننك لم يفد هذا المعنى وان كان اخصر قال اولو جئتك الواو للحال وهمزة الاستفهام
انما دخلت على الفعل المقدر والمعنى انفعل ذلك ولو جئتك بشيء مبين صدق دعوي
يعني المعجزة قال فات به بالذي يبين صدقك ان كنت من الصادقين في انك
قادر على اتيانه وهذا الكلام بمعزل عن الدلالة على ان المعجزة لا ياتي بها الا الصادق
فالقى عصاه فاذا هي ثعبان حية عظيمة يقال انثعب الماء اذا جرى باتساع والثعب المجرى
الواسع ومنه الثعبان لانه يجري باتساع لعظمته والجان ايضا هو العظيم من الحيات ذكره
في الفايق فلا تدافع بين هذا وبين قوله كانها جان على ان المشابهة للجان في الاهتزاز لا
ينافي الثعبانية على تقدير المخالفة بينهما في القدر مبين ابان عن نفسه انه ثعبان حقيقة
لا شي يشبه الثعبان كما تكون الاشيا المزورة بالشعوذة والسحر ونزع يده فاذا هي بيضاء
للناظرين اي اخرجها من جيبه او كمه فاذا هي بيضاء لها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد
الافق وقوله للناظرين دلالة على ان بياضها كان شيا يجتمع النظارة على النظر اليه لخروجه
عن العادة قال للملاء للاشراف ليلبس عليهم حوله منصوب نصبين نصب في اللفظ
والعامل فيه ما يقدر في الظرف ونصب في المحل وهو النصب على الحال من الملا اي كائنين
حوله والعامل فيه قال ان هذا لساحر عليم فايق في علم السحر يريد ان يخرجكم من ارضكم
بسحره بان يلقي العداوة والفرقة بينكم وليستميل بعضكم ليحارب به بعضكم فيخرجكم من
بلادكم فماذا منصوب لانه مفعول به من قولك امرتك الخير تامرون تشيرون في
امره من المؤامرة وهي المشاورة قالوا ارجئه واخاه اي اخر امرهما وانما اشاروا بذلك
لانهم راوا الناس يفتتنون ان قتل او حبس وان السحرة اذا قاومته زال ذلك الافتتان فكان
لهم عذر في قتله او حبسه بحسب ما يراه وابعث في المداين حاشرين رجالا يحشرون
والحشر السوق من جهات مختلفة الى مكان واحد ثم انهم عارضوه في قولهم ان هذا الساحر عليم
بقولهم ياتوك بكل سحار عليم فجاؤا بكلمة الاحاطة وصيغة المبالغة ليسكنوا بعض قلقه
فجمع السحرة اي اتعد الحاشرين وانهم حشروا جميع السحرة والفا فصيحة لميقات يوم معلوم
يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذي وقتهم موسى عليه السلام بقوله موعدكم

يوم الزينة

يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت به اي حدد من زمان او مكان ومنه
مواقيت الاحرام وقيل للناس هل انتم مجتمعون اي اجتمعوا وهو استبطاء لهم في
الاجتماع والمراد منه استعجالهم لعلنا نتبع السحرة في دينهم ان كانوا هم الغالبين
ان غلبوا موسى عليه السلام وليس غرضهم اتباع السحرة وانما الغرض ان لا يتبعوا موسى
عليه السلام فساقوا الكلام مساق الكناية والغلبة الاستعلاء بالقوة فلما جاء السحرة
قالوا لفرعون اين لنا لاجرا الاجر الجزاء على العمل بالخير وان كان بالشر يسمى عقابا
ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين التزم لهم الاجر والقربة عنده زيادة
عليه ان غلبوا قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون لم يرد به امرهم بالسحر والتمويه
بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به الى اظهار الحق ولذلك زاد قوله ما
انتم ملقون فان قوله القوا كان كافيا في جوابهم حين قالوا اما ان تلقي واما ان نكون
نحن الملقين فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا اي جاؤا بسحر عظيم وقالوا فالواو
فصيحة بعزة فرعون انا لنحن الغالبون اقسموا بعزته وهي من ايمان الجاهلية والعز
والعزة القوة يمتنع بها من يخاف ضيما لعلو منزلها فالقى موسى عصاه الفا فصيحة
تنبي عن مقدر ذكر في سورة الاعراف فاذا هي تلقف التلقف تناول الشي بالفم بسرعة
ما يافكون ما يخيلونه منقلبا عن وجهه بتمويههم وتزويرهم او افكهم تسمية للمافوك به
مبالغة فالقي السحرة ساجدين لعلمهم بان مثله لا يتاتى بسحر وعبر عن الخرور بالالقا
بطريق الالقا لانه ذكر مع الالقاآت لانهم لسرعة ما سجدوا كانهم القوا قالوا امنا
برب العالمين بدل من القى بدل الاشتمال او استيناف رب موسى وهرون عطف
بيان لرب العالمين لئلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون لانه حشر جنوده نادى فقال انا ربكم
الاعلى قال امنتم له لموسى قبل ان اذن لكم بذلك انه لكبيركم الذي علمكم السحر
فعلمكم شيا دون شي فلذلك غلبكم وواعدكم ذلك وتواطاتم عليه وقد افصح عن هذا في
سورة الاعراف واراد به التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا انهم امنوا عن بصيرة وظهور حق
فسوف تعلمون وبال ما قصدتم فالفا فصيحة ومدخولها مرتبط لمحذوف تقديره على ما
ذكر في سورة الاعراف ان هذا المكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها ثم صرح بما كنى عنه
فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا وهذه الطريقة في السياسة
على الحكمة فانه لا ياس الجاني من الحيوة والتعيش فيكون القتل بعده سياسة اخرى بخلاف ما
اذا قطعا من شق واحد فانه يكون القتل راحة واراحة للعذاب المحض ولاصلبنكم اجمعين
اي لا اترك واحدا منكم لا تناله عقوبتي قالوا لا ضير لا ضرر وخبر لا محذوف اي في ذلك
او علينا انا الى ربنا منقلبون قد تقدم تفسيره في سورة الاعراف انا نطمع الطمع طلب النفس

الثالثة

للخبر الذي يقدر فيها انزيكون ان يغفر لنا ربنا خطايانا اي ما فعلناه من السحر وغيره
والخطيئة الزوال عن الاستقامة المؤدية الى الثواب ان كنا اول المؤمنين من اتباع فرعون
اومن اهل المشهد والجملة في المعنى تعليل ثان لنفي الضير او تعليل للعلة المتقدمة وقرئ
ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة المدل بامره المتحقق لصحته
واوحينا الى موسى وكان هذا بعد سنين من ايمان السحرة ان اسر بعبادي ببني اسرائيل
واضافهم الى نفسه للتشريف لانهم امنوا به وصدقوا انبيائه والاسرا السير في الليل وانما زيد قوله
ليلا لان المراد السير في قطعه لا في اوائله او اواخره انكم متبعون يتبعكم عدوكم
وهو علة الامر بالسير في الوقت المذكور فانهم لو ساروا في اول الليل لتنبه العدو في الحال فلا
يحصل لهم التقدم وكذا لو ساروا في اخره فارسل فرعون اي ففعل موسى عليه السلام ذلك
وخرجوا فاخبر بذلك فرعون فارسل فالفا فصيحة في المداين مداين مصر وتعدية ارسلت
بفي دون الى للتنبيه على الاستعجال منه وسرعة الامتثال من الرسل وعلى ان مدائن مصر كانت
مملوة اي غاصة بحيث سار الرسل كما خرجوا من عنده في المداين وفيه كسر استبعاد ما ذكر في كثرة
جنده حاشرين العساكر ليتبعوهم ان هؤلاء لشرذمة قليلون على ارادة القول والشرذمة
الجمع المحتقر ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم وصفهم بها واتى بصيغة الجمع باعتبار الاسباط
واختار جمع السلامة التي هو للقلة وانما استقلهم وكانوا ستمائة الف وسبعين الفا لكثرة
من معه وانهم لنا لغائظون لفاعلون ما يغيظنا بخروجهم من مصر بلا اذن منا وذهابهم
باموالنا التي استعاروها وانا لجميع حذرون وقرئ حذرون والحذر اليقظ والحاذر
الذي يجدد حذره يعني نحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا
خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المداين لئلا يظن
به العجز والفتور فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز انما خصها بالذكر لان اموالهم
الظاهرة قد انطمست ومن غفل عن هذا قال سماها كنوزا لانهم لم ينفقوها في طاعة الله ۞
ومقام كريم بهي بهيج وكذلك يحتمل النصب على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج والجر على
انه صفة مقام اي مثل ذلك المقام الذي كان لهم والرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي الامر كذلك
واورثناها بني اسرائيل عن الحسن لما عبروا النهر رجعوا واخذوا ديارهم واموالهم فاتبعوهم
مشرقين يقال اتبع فلان فلانا وتبعه اذا اقتفى اثره وقال الزجاج يقال شرقت الشمس واشرقت
اذا اضاءت فلما تراءى الجمعان اي تقابلا بحيث راى كل منهما الاخر قال اصحاب موسى
انا لمدركون لملحقون قال موسى كلا ان يدركوكم فان الله وعدكم الخلاص منهم
ان معي ربي اي وعد ربي سيهدين طريق النجاة ويجوز ان يكون من قبيل التمثيل ۰
فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر بحر القلزم فانفلق اي فضرب فانفلق

اذا طلعت

فانشق فصار اثني عشر فرقا على عدد الاسباط وفي حذف الفعل وترتيب الانفعال على
الامر المذكور في الظاهر اشعار بان ذلك الامر الخارق للعادة اثر امره تعالى لا اثر ضرب موسى
عليه السلام فكان كل فرق كالطود العظيم كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في
شعابها كل سبط في شعب وازلفنا وقربنا ثم حيث انفلق البحر الاخرين فرعون
وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم وانجينا موسى ومن معه اجمعين بحفظ البحر
على تلك الهيئة الى ان عبروا وانما قال ومن معه ولم يقل وقومه لينتظم مؤمن ال فرعون فانه
كان بين يدي موسى عليه السلام ويدل على ان نجاتهم كانت ببركة مصاحبة موسى عليه السلام
ومتابعته ثم اغرقنا الاخرين باطباق البحر عليهم وكلمة ثم دلت على تاخر غرقها لكين
عن خروج الناجين وذلك بحبس جبرائيل اولهم ليلحق به اخرهم حتى لا يشذ منهم احد ان
في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وما تنبه عليها اكثرهم اذ لم يؤمن بها احد ممن بقي في
مصر من القبط وبنوا اسرائيل بعد ما نجوا سالوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن
حتى نرى الله جهرة وان ربك لهو العزيز الرحيم غير عاجز عن الانتقام من اعدائه الرحيم
يؤخر العذاب برحمته ليتوب منهم من تاب واتل عليهم على مشركي العرب نبأ ابراهيم
خبره العجيب الشان اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون اي شيء تعبدونه ليس يستحق
للعبادة قالوا نعبد اصناما كان السؤال عن المعبود لا عن العبادة وانما زادوا نعبد
في الجواب افتخارا ومباهاة بعبادتها ولذا عطفوا على نعبد فنظل لها عاكفين فنقيم على
عبادتها طول النهار ويحتمل ان يكون نظل بمعنى ندوم فلا يدل على اختصاص عبادتهم بالنهار
قال هل يسمعونكم هل يجيبونكم اذ تدعون فان سمع بمعنى اجاب شايع ومنه سمع الله
لمن حمده ولو كان يسمعون على المعنى الحقيقي لقيل هل يسمعون كم تدعون او ينفعونكم ان
عبدتموها او يضرون ان تركتم عبادتها قالوا بل اضراب ۰ اي لا تسمع ولا تنفع
ولا تضر ولا نعبدها لشيء من ذلك ولكن وجدنا اباءنا كذلك يفعلون فقلدناهم
قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فان التقدم لا يدل على الصحة ولا ينقلب
به الباطل حقا فانهم عدو لي العدو والصديق في معنى الواحد والجماعة لو عبدتهم لكانوا
اعداء لي يوم القيمة لقوله تعالى سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقال الفراء هو من
المقلوب اي فاني عدو لهم وفي قوله لي دون لكم زيادة نصح ليكون ادعى لهم الى القبول الا رب
العالمين استثناء منقطع او متصل على ان الضمير لكل معبود عبدوه فيدخل فيه المعبود بحق
ولا حاجة الى ان يقال كان من ابائهم من عبد الله تعالى لانهم ايضا يعبدون الله تعالى الا انهم يشركون
الاصنام في العبادة دل على ذلك قوله اذ نسويكم برب العالمين الذي خلقني بالتكوين في
القرار المكين فهو يهدين لمناهج الدنيا ولمصالح الدين والاستقبال في يهدين مع سبق الضا

بالهداية لانه يحتمل يهدين للاهم الافضل والاتم الاكمل والذي خلقني لاسباب خدمته فهو يهدين
الى اداب خلقته والفا للسببية ان جعل الموصول مبتدا وللعطف ان جعل صفة رب العالمين
فيكون اختلاف النظم لتقدم الخلق واستمرار الهداية والذي هو يطعمني ويسقيني على الاول
مبتدا محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه وكذا اللذان بعده وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة
على ان كل واحد من الصلات مستقلة باقتضاء الحكم اضاف الاطعام اليه وكذا الانعام لان ركون
الى الاسباب عادة الانعام واذا مرضت لم يقل امرضني لانه قصد الذكر بلسان الشكر فلم يضف
اليه ما يقتضي الصبر فهو يشفيني ان شفيت لا غيره لانه يشفيني لا محالة والذي يميتني
لم يقل اذا مت لانه الخروج من حبس البلا ودار الفنا الى روض البقا لوعد اللقا فليس هو كالقضا
ولما كانت الاماتة والبعث مما لا يمكن اسنادها الا الى الله تعالى كالخلق لم يحتج الى توكيد بخلاف
الهداية والاطعام والسقي والشفا فانها مما يمكن اسنادها الى غيره تعالى وانما اتى باداة التراخي
في قوله ثم يحييني لانه اراد الاحيا في الاخرة دون الغير وباداة التعقيب في الهداية والشفا
لانهما يعقبان الخلق والمرض وباداة الجمع المطلق في السقي لانه قد يعقب الاطعام وقد يتراخي
عنه وقد يتقدم عليه والذي اطمع طمع العبيد في الموالي بالافضال لا على الاستحقاق
بالسؤال ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين استغفار الانبيا عليهم السلام تواضع منهم لربهم
وهضم لانفسهم وتعليم للامم في طلب المغفرة فقدم الثنا على الله تعالى وذكره بالاوصاف الحسنة
يدي طلبته مسئلته ثم ساله تعالى فقال رب هب لي حكما كمالا في العلم والعمل لانتظم في عداد
الكاملين وفي صلاح الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره والحقني بالصالحين
اي بالانبيا عليهم الصلوة والسلام ولقد اجابه حيث قال وانه في الاخرة لمن الصالحين واجعل
لي لسان صدق اي ثنا حسنا وذكرا جميلا وفي العبارة باللسان عن القول ما لا يخفى من البلاغة
وانما اضافه الى الصدق اضافة الموصوف الى الصفة الدالة للاختصاص به والعراقة فيه احترازا
عن الاطرا في نشاته في الاخرين في الامم التي تجي بعدي فاعطي ذلك فكل اهل دين يتولونه ويثنون
عليه بالجزا واجعلني من يتعلق بمحذوف اي وارثا من ورثة جنة النعيم ساله ان يفعل
معه من الالطاف ما يختار عنده الطاعات لان الجنة لا ينعم فيها الا بالاستحقاق وان كان الدخول
فيها بمحض لطف الله تعالى فلذلك قال من ورثة لان الوارث ياخذ بلا كسب منه واغفر لابي
طلب هدايته الى الايمان اقتضاء وقضاء لحق ابوته ولهذا قال انه كان من الضالين اي استمر
على الضلال في الازمنة الماضية قاله تاسفا وتلهفا لا اخبارا او اظهارا كان ذلك الطلب منه عليه
السلام قبل ان مات ابوه ولما مات وتبين انه عدو لله تبرا منه ولا تخزني الاخزا الخزي وهو
الهوان او من الخزاية وهو الحيا يوم يبعثون الضمير للناس لانه معلوم اي لا تخزني على رؤوس
المعشر فهو من تتمة الاستغفار لابيه اي بتعذيبه يوم المحشر يوم لا ينفع مال بدل من اليوم

لمرض

حجي

الاول ولا بنون احدا كما ينفع في الدنيا يفديه ماله ويذب عنه بنوه الا من مفعول
لينفع اتى الله بقلب سليم من الكفر والنفاق فقلب الكافر والمنافق مريض لقوله تعالى
في قلوبهم مرض اي ان المال اذا صرف في وجوه البر وبنوه صالحون فانه ينتفع به وبهم وسليم
القلب وصوب الجليل استثنا الخليل اكراما ثم جعله صفة له في قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم
اذ جاء ربه بقلب سليم وازلفت الجنة للمتقين اي قربت عطف جملة على جملة اي تزلفت
من موقف السعدا فينظرون اليها ويتحجون بقصدهم اليها وبرزت الجحيم اي اظهرت فيرونها
مكشوفة فيتحسرون على انهم يساقون اليها وفي اختلاف الفعلين دلالة على ان ارض المحشر
قريبة من الجحيم للغاوين الغاوي العامل بما يوجب الخيبة من الثواب واصل الغواية
الخيبة قال الشاعر • ومن يلق خيرا يحمد الناس امره • ومن يغو لا يعدم على الغي لائما
وقيل لهم على وجه التوبيخ والتقريع وكتا اينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم
هل ينفعونكم بنصرتهم او ينتصرون او هل ينفعون انفسهم بانتصارهم وهذا لانهم والهتهم
وقود النار كال فكبكبوا نكسوا وطرح بعضهم على بعض فيها في جهنم هم اي الهتهم
والغاوون وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ
دليلا على التكرير في المعنى كانه اذا القي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها •
وجنود ابليس شياطينه او متبعوه من عصاة الانس والجن اجمعون تاكيد للجنود
ان جعل مبتدا خبره ما بعده وان لم يجعل مبتدا بل معطوفا على هم يكون اجمعون تاكيدا للضمير
الذي هو هم ولما عطف عليه وهو الغاوون وجنود ابليس وهذان الاحتمالان قائمان
في الضمير المنفصل وما يعود عليه في قوله قالوا وهم فيها يختصمون يجوز ان ينطق الله
تعالى الاصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويؤيده الخطاب في نسويكم تالله ان كنا
لفي ضلال مبين بين اذ نسويكم نعدلكم ايها الاصنام برب العالمين في استحقاق العبادة
وما اضلنا الا المجرمون الجن فسا وهم الذين اضلوهم او ابليس وجنوده ومن سن الشرك
فما لنا من شافعين من الاباعد كما للمومنين من الانبيا والاوليا والملكة ولما اتى بصيغة
الجمع لمصلحة الفاصلة تدوراته من التبعيضية ولا صديق حميم من الاقارب كما نرى للمومنين
اصدقا قال الله تعالى الاخلا يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين والحميم من الاحتمام
وهو الذي يهمه ما يهمك او من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص فلو ان لنا كرة
رجعة الى الدنيا فنكون من المومنين وجواب لو محذوف وهو لفعلنا كيت وكيت او مثل
هذا التمني كانه قيل فليت لنا كرة لما بين معنى لو وليت من التلاقي ان في ذلك فيما ذكر من
قصة ابراهيم عليه السلام لاية لحجة وعظة لمن اراد ان يستبصر بها فانها جاءت على انظم
ترتيب واحسن تقرير يتامل المتفطن فيها لغزارة علمه لما فيها من الاشارة الى اصول العلوم الدينية

هيم

حق المقام زيادة

والتنبيه على لايمانا وحسن دعوته للقوم وحسن مخالفته معهم وكمال اشفاقه عليهم وتصوير
الامر في نفسه واطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون ادعى لهم
الى الاستماع والقبول وما كان اكثرهم اكثر قومه مومنين وان ربك لهو العزيز القادر
على تعجيل الانتقام الرحيم بالامهال لكي يومنوا او احد من ذريتهم كذبت قوم نوح القوم
مونث ولذلك يصغر على قويمة المرسلين فنظر الكلام في تكذيبهم المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح
انما قال اخوهم لانه كان منهم الا تتقون خالق الانام فتتركوا عبادة الاصنام اني لكم رسول
امين كان مشهورا بالامانة فيهم كمحمد عليه الصلوة والسلام في قريش فاتقوا الله واطيعون
فيما امركم به من التوحيد والطاعة لله تعالى وما اسئلكم عليه على ما علمته من الدعا والنصح
من اجر الاجر العبارة عن المنفعة المستحقة فاما الذي لا يكون مستحقا لا يكون اجرا بل هبة
ان اجري الا على رب العالمين بحكم وعده وفيه دلالة على عظم شان ما امر بتبليغه وهذا هو الموجب
لطاعته فيما يدعوهم اليه فلذلك اعاد قوله فاتقوا الله واطيعون واما حسم الطمع المستفاد
مما تقدم فقاصر عن ايجابها ثم ان في قوله رب العالمين اشارة الى ان التزام الاجر في ذلك لمصلحة
تربيتهم لا لامر يعود الى نفسه من نفع او دفع قالوا انؤمن لك واتبعك الواو للحال وقد
مضمرة بعدها دليله قراءة واتباعك جمع تابع كشاهد واشهاد او تبيع كبطل وابطال الارذلون
جمع الارذل على الصحة والرذالة الخسة والدناءة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم
من الدنيا وقيل كانوا من اهل الصناعات الدنية واشاروا بذلك الى ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة
وانما هو لتوقع مال ورفعة فلذلك قال وما علمي بما كانوا يعملون انهم عملوه اخلاصا وطمعا
في طعمة وما علي الا اعتبار الظاهر ان حسابهم الا على ربي ما حسابهم على بواطنهم الا على الله
تعالى فانه المطلع على السرائر لو تشعرون لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون
وما انا بطارد المومنين جواب لما اوهم قولهم واتبعك الارذلون من استدعا طردهم استنكافا عن
الشركة معهم في المتابعة خصوصا اذا كان لهم فضل التقدم وقدم السبق وتوفيقهم بايمانهم عليه
وقوله ان انا الا نذير مبين كالعلة له اي ما انا الا رجل مبعوث لانذار المكلفين من الكفر والمعاصي
سواء كانوا اعزاء او اذلاء وكم من ذليل عند الناس وهو عند الله عزيز وبالعكس فكيف يليق بي
طرد الفقراء لاستتباع الاغنيا او ما علي الا انذاركم انذارا بينا بالبرهان الواضح ثم انتم اعلم بشانكم
قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول والانتها بلوغ الحد من غير مجاوزة الى ما وقع عنه النهي واصل
النهاية بلوغ الحد لتكونن من المرجومين من المضروبين بالحجارة قال رب ان قومي كذبون
اظهار لما يدعو عليهم لاجله وهو تكذيب الحق لا تخويفهم له واستخفافهم عليه فافتح بيني وبينهم
فاحكم بيني وبينهم حكما من الفتاحة وهي الحكومة والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق ونجني ومن
معي من المومنين اي من قصدهم او شوم عملهم فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون المملو

ومنه

ومنه شحنة البلد الذي يملوه كفاية كانت السفينة مملوة من الناس وانواع الحيوان من سباع البهايم
وجوارح الطير فكانت في قصتهم قدر نجاة في نجاة ومن هنا اتضح وجه توصيف الفلك بالوصف
المذكور في مقام الامتنان ثم اغرقنا ثم للتفاوت بين الحال لا للتراخي ولذلك قال بعد لو
بعد انجايه ومن معه الباقين من قومه ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم المنتقم باهانته من جحده واصر الرحيم المنعم باعانته من وحده واقر كذبت عاد المرسلين
هي قبيلة وهي في الاصل اسم رجل هو ابو القبيلة اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول
امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين قد تقدم تفسير
عن قريب اتبنون بكل ريع مكان مرتفع والبنا وضع ساق على ساق الى حيث ينتهي والريع الارتفاع
من الارض ومنه الريع في الطعام وهو ارتفاعه بالزيادة والنما اية بناء يكون بارتفاعه كالعلامة
تعبثون تلعبون وتتخذون مصانع باخذ الما او قصورا مشيدة او حصونا اي تجعلون في
كل موضع بمال مشرف علامة تبنونها ولا تحتاجون اليها لسكناكم انما تريدون بها المباهاة والمراءاة
وذا عبث لعلكم تخلدون ترجون الخلود في الدنيا فتحكمون بنيانها واذا بطشتم البطش
العسف قتلا بالسيف وضربا بالسوط بطشتم جبارين الجبار العالي على غيره بعظيم سلطانه
وهو في صفة الله تعالى مدح وفي صفة غيره ذم وقال الحسن بطش الجبارين هو المبادرة من غير تثبت
ولا توقف فذمهم الله تعالى بذلك ونهاهم هود عليه السلام فاتقوا الله بترك هذه الاشياء
واطيعون فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم واتقوا الذي امدكم بما تعلمون من النعم ثم عددها
عليهم فقال امدكم بانعام وبنين قرن البنين بالانعام لانهم لا يعينونهم على حفظها والقيام
عليها وقرن وجنات وعيون العيون بالجنات في قوله لان قوامها ودوام منافعها بها كرر الامداد
بالانعام تنبيها على امداد الله تعالى اياهم بما يعرفونه من انواع النعم تعليلا وتنبيها عليهم بدوام الامداد
والوعيد على تركه بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بين مساويهم المدلول عليها اجمالا
بالانكار في الا تتقون مبالغة في الايقاظ والحث على التقوى فقال اني اخاف عليكم عذاب يوم
عظيم في الدنيا والاخرة فانه كما قدر على الانعام قدر على الانتقام قالوا سواء علينا اي
مستو عندنا وانما قيل علينا لان المراد الاستوا من جهة التاثير اوعظت الوعظ كلام يلين القلب
بذكر الوعد والوعيد ام لم تكن من الواعظين فانا لا نرعوي عما نحن عليه وتغيير شق النفي عما
تقتضيه المقابلة بارتكاب الاطناب للمبالغة في جانب السكوت عن الوعظ لكونه مقصودا فان الاخراج
عن عداد الواعظين ابلغ من نفي المباشر للوعظ والمحافظة على رؤس الاي ان هذا الا خلق الاولين
وقري خلق بفتح الخاء من الاختلاق اي ما هذا الذي نحن عليه من تهيئة اسباب المعاش واتخاذ الابنية
الا عادة الاولين وما نحن بمعذبين في الدنيا ولا بعث في الاخرة فكذبوه فاهلكناهم بسبب
تكذيبهم اياه بريح صرصر عاتية ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم

كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين تقدم تفسيره في هذه السورة اتتركون
انكار لان يتركوا كذلك وتذكير بالنعمة في تخلية الله تعالى اياهم واسباب تنعمهم فيما ههنا في
الذي استقر في هذا المكان من النعيم آمنين من العذاب والزوال والموت ثم فسره بقوله في جنات
وعيون وهذا ايضا اجمال ثم تفصيل وزروع ونخل وافرد النخل تفضيلا على سائر اشجار الجنات
طلعها هو ما يخرج من النخلة كنصل السيف هضيم ان نضيج كانه قال ونخل قد ارطب ثمره فانه ما دام
رطبا فهو هضيم فاذا يبس فهو هشيم وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين بطرين
وهذا هو المناسب لما في سورة الحجر من قوله آمنين لا بمعنى حاذقين وطيب قلب فاتقوا الله واطيعون
ولا تطيعوا امر المسرفين انما صرف الكلام عن الظاهر والكلمة عن المتبادر حيث لم يقل ولا تطيعوا المسرفين
تنزيلا لشانهم عن درجة الاطاعة وتبعيدا لهم عن حيز الطاغين واما جعل الامر مطاعا على المجاز الحكمي
فلا يناسب المقام الذين يفسدون في الارض وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون
على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم وتعميم فسادهم المستفاد من الاسناد الى كلية الارض يناسب هذا
قالوا انما انت من المسحرين المسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله ما انت الا بشر مثلنا كناية
عن استحالة كونه رسولا بناء على ما زعموا من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون من جنس البشر خصوصا
بلا امتياز له عن سائر الافراد وكان صالح عليه الصلوة والسلام رد قولهم هذا بان قال اني رسول بواسطة
الملك ولي امتياز عن سائر البشر بالمعجزة الخارقة للعادة فقالوا في مقابلته فأت بآية خارقة للعادة
ان كنت من الصادقين في دعواك قال هذه ناقة وفي سورة الاعراف هذه ناقة الله لكم آية
لها شرب نصيب من الماء فلا تزاحموها فيه ولكم شرب يوم معلوم لا تزاحمكم هي فيه ولا تمسوها
بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع العذاب مبالغة في الامر وازاحة
للعذر فيأخذكم عذاب يوم عظيم عظم اليوم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب لان
العذاب لان اليوم اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم اشد فعقروها الفاء فصيحة والجملة
المحذوفة مذكورة في سورة الاعراف وانما اسند الفعل الى الجمع لانه كان بامرهم ومعاندتهم عليها
افصح عنه قوله فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فاصبحوا نادمين لا على عقرها خوفا من نزول العذاب
بهم لانه مردود بقوله تعالى وقالوا يعني بعدما عقروها يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين
بل على ترك ولدها وقد تقدم وجه ذلك في سورة الاعراف فاخذهم العذاب اي العذاب الموعود
وهو الرجفة الحادثة من الصاعقة فاخذهم العذاب اي العذاب ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم
مؤمنين في نفي الايمان عن اكثرهم في هذا المعرض ايماء بانه لو آمن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا
بالعذاب وان قريشا انما عصموا عن مثله ببركة من آمن منهم وان ربك لهو العزيز الرحيم جامع الجهتي
الانتقام والانعام كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين

فاتقوا

فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتأتون الذكران
اي اتأتون من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم قد اعوزتكم او اتأتون من بين من عداكم
من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم فالمراد بالعالمين على الاول الناس وعلى الثاني كل
من ينكح وعلى هذا الجمع للتغليب ومبنى هذا الوجه على اختصاص هذا الفعل بالانسان وفيه نظر
وتذرون ما خلق لكم لاجل استمتاعكم ربكم من ازواجكم لبيان ما اريد به جنس الاناث او للتبعيض
ان اريد العضو المباح منهن فيكون تعريضا بانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم وانما خص الازواج
بالذكر لعمومه فان الاماء مخصوصة بالاحرار بل انتم قوم عادون بل اضراب بمعنى الانتقال من شيء الى
والعادي المتعدي في ظلمه المتجاوز فيه الحد والمراد هنا التجاوز عن حد الشهوات بالزيادة على سائر
الناس بل الحيوانات او الافراط في المعاصي مطلقا وعلى هذا الاضراب للترقي قالوا لئن لم تنته
اي لم تمتنع من انكارك علينا وتقبيح امرنا يا لوط لتكونن من المخرجين من جملة من اخرجناه من بيننا
وطردناه من ديارنا ولعلهم كانوا يخرجون من يخرجونه على اسوء حال قال اني لعملكم من القالين فلا اكره
مفارقتكم وارضى مجاورتكم والقلي البغض الشديد كانه بغض يقلي الفؤاد وانما قال من القالين للتنبيه
على انه غير منفرد بذلك بل واحد من الجماعة المعروفين به وايضا هو ابلغ من قال وان كان هو ارجح من
جهة اللفظ لما بينه وبين من قال من صنعة التجنيس رب نجني واهلي مما يعملون من شومه وعذابه
فنجيناه واهله اي قرابته اجمعين باخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب بهم الا عجوزا مقدرة
في الغابرين العجوز المرأة قد عجزها عن امور كثيرة كبر سنها وهي امرأته على ما افصح عنه قوله الا امرأته
كانت من الغابرين القاعدين في لذاتها واهل بيتها وقيل الغابر الباقي في قلة كالتراب الذي يذهب
بالكنس ويبقى غباره ثم دمرنا الآخرين التدمير الاهلاك وامطرنا عليهم مطرا امطر الله تعالى
على شذاذ القوم حجارة فاهلكهم فساء فاعله مطر المنذرين المخصوص بالذم وهو مطرهم محذوف
والمراد بالمنذرين جنس الكافرين ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
كذب اصحاب الايكة قال الخليل الايكة غيضة تنبت السدر والاراك ونحوهما من الشجر المرسلين اذ قال
لهم شعيب انما لم يقل اخوهم شعيب لانه لم يكن من نسبهم وانما كان من نسب اهل مدين وفي الحديث
ان شعيبا اخا مدين ارسل اليهم والى اصحاب الايكة الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين حقوق الناس
بالتطفيف ولو قليلا ولا تخسروا ولكان ابلغ في النهي على ما تقدم في تفسير ولا تركنوا الى الذين ظلموا وانما عدل
عنه الى ما ذكر تعريضا لاشتهارهم بتلك الحال وزنوا بالقسطاس المستقيم الوزن وضع الشيء
بازاء المعيار لما يظهر مقداره منه في ثقل المقدار اما بالزيادة او النقصان او التساوي والقسطاس
الميزان والمعيار وان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلال والا فهو
رباعي ولا تبخسوا الناس يقال بخسه حقه اذا نقصه اياه اشياءهم دراهمهم ودنانيرهم بقطع

اطرافها في المناهي ولولا ان المراد النهي عن المعتاد لقيل ولا تبخسوا الناس شيئا لانه ابلغ في النهي
ولا تعثوا في الارض مفسدين وهذا ايضا نهي عن معتاد تهم ولذلك عدل عن الابلغ في النهي وهو ولا
تفسدوا في الارض والعثو اشد الفساد وذلك قد يكون لمصلحة كتخريب ديار الكفار فلدفع هذا الاحتمال
قيل مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين يعني من تقدمهم من الخلائق اطلق الخليقة
واراد بها الخلق قيل الجبلة الخلق المتجمد الغليظ ماخوذ من الجبل فهي يناسب التعبير بها عن خلقة عاد
وثمود قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا ترك اداة الجمع في قصة ثمود ليفيد التوكيد
والتقرير والقطع بانه بشر مثلهم اي لا ينبغي ان نومن برسالتك الا بشيء تمتاز به عنا ولهذا قالوا فات به
ان كنت من الصادقين واتي بها هنا للدلالة على انه جامع بين وصفين متنافيين للرسالة مبالغة في
تكذيبهم فكانهم قالوا ونحن وانتم في عدم صلاحية الرسالة من جهة كونها بشرا سوا ولك المزية علينا بكونك
مسحرا دوننا ثم اكدوا ذلك بقولهم وان نظنك لمن الكاذبين والظن بمعنى اليقين ولذلك
ادخل ان واللام ولما كان هذا الرد ابلغ من الاول ما طلبوا البرهان هنا كما طلب ثمود حيث قالوا فات بآية
ان كنت من الصادقين بل قطعوا بما يدل على الناس من ايمانهم بقولهم على سبيل الاستهزا فاسقط علينا
كسفا جمع كسفة وهي قطعة من السماء ان كنت من الصادقين كما قطع قريش بقولهم ان كان هذا
هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء قال ربي اعلم بما تعملون اي ان الله تعالى علم باعمالكم
وبما تستحقون عليها من العقاب فان اراد ان يعاقبكم باسقاط كسف من السما فعل وان اراد عقابا باخر
فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة حبس عنهم الريح وعذبوا بالحر سبعة ايام فاجتمعوا تحتها مستجيرين بها
مما نالهم من الحر فامطرت عليهم نارا فاحترقوا ولهذا اي ولكونهم معذبين في ذلك الوقت بسبب امر غير
الظلة اضيف العذاب الى اليوم دون الظلة وقطع اضافة العذاب عنها لا يخلو عن نوع الاشعار بان هذا
قبل نزول النار من الظلة بلغوا الى حد كان ذلك التخلص لهم من العذاب انه كان عذاب يوم عظيم قدمر ان
وصف اليوم بالعظم ابلغ من وصف العذاب به ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز
الرحيم هذا اخر القصص السبع المذكورة على وجه الاختصار تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا
للكافرين وانه لتنزيل رب العالمين اي القران منزل من عند الله لمصلحة المومنين نزل به الروح الامين
اي جبريل عليه السلام فانه امين الله تعالى على وحيه وقرئ نزل مشددا والروح منصوبا اي جعل الله تعالى
الروح نازلا به والباء على القرائتين للتعدية على قلبك الفهم القلب والمعنى عليك لانه محل الوحي والتثبت وليعلم
ان المنزل محفوظ عن المخالطة والمغالطة لوصوله الى القلب بالذات لا بواسطة الصوت والة السمع
فافهم لتكون من المنذرين اقتصر على الانذار لعمومه الفريقين ولانه ازجر للسامع بلسان عربي بلغة
العرب متعلق بنزل ويجوز ان يتعلق بالمنذرين اي لتكون ممن انذروا بلغة العرب وهو هود وصالح وشعيب
وشعيب ومحمد عليهم الصلوة والسلام مبين للناس ما يحتاجون اليه من امر دينهم ودنياهم وانه لفي زبر
الاولين يعني ذكره مثبت في ساير الكتب السماوية وقيل ان معانيه فيها دلالة على ان القران قران اذا ترجم

بغير العربية والزبر جمع زبور كرسل ورسول وقد تقدم بيانه اولم يكن لهم اية على صحة القران او
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ان يعلمه علما بني اسرائيل اي يعرفوه بنعوته المذكورة في كتبهم وهو تقرير
لكونه دليلا وقرئ يكن بالتذكير واية بالنصب على انها خبره وان يعلمه هو الاسم تقديره اولم يكن لهم علم علما
بني اسرائيل اية وقرئ تكن بالتانيث واية بالرفع على انها اسم كان وخبره لهم وان يعلمه بدل وقيل كان
تامة والفاعل اية وان يعلمه بدل منها او خبر مبتدا محذوف اي اولم يحصل لهم اية ولو نزلناه على بعض
الاعجمين كما هو زيادة في اعجازه او بلغة العجم فقراه عليهم ما كانوا به مومنين لفرط عنادهم واستكبا
او لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والاعجمين جمع اعجمي على التخفيف كما قالوا الاشعرون
اي الاشعريون بحذف ياء النسبة ولولا هذا التقدير لم يجمع جمع سلامة لان مونثه عجما وزيادة كان لافادة
معنى الاستمرار والمراد استمرار النفي لا نفي الاستمرار فافهم سر هذا الاعتبار كذلك سلكناه اي مثل ما
ذكرنا من ادخال التكذيب به على تقدير قراءة الاعجمي ادخلنا التكذيب في قلوب المجرمين بقراءة افصح
العرب لا يومنون به حتى يروا العذاب الاليم المراد به معاينة العذاب عند الموت وذلك ايمان ياس
فلا ينفعهم فياتيهم بغتة يعني ان العذاب الذي يستعجلونه يجيئهم فجاة والبغتة حصول الامر العظيم
الشان من غير توقع وتقديم الاسباب وهم لا يشعرون باتيانه فيقولوا حذف النون منه عطف على
يروا هل نحن منظرون يسالون النظرة والامهال طرفة عين فلا يجابون اليها افبعذابنا يستعجلون
فيقولون امطر علينا حجارة من السما فاتنا بما تعدنا وحالهم عند حلول العذاب طلب النظرة وجي
بالهمزة للانكار والفاء للدلالة على ترتبه على السابق الا انها اخرت لان الهمزة همزة الاستفهام حقها
الصدارة وان استعيرت لمعنى اخر قال يحيى بن معاذ اشد الناس غفلة من اغتر بحياته والتذ بمراده
وسكن الى ما لوفاته والله تعالى يقول افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون
من العذاب ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون به في تلك السنين في دفع العذاب وتخفيفه وانما
جي بفعل الروية والاستفهام ليكون في معنى اخرا فادة بمعنى التعجب والانكار وان من حق هذه
القصة ان يخبر بها كل احد حتى يتعجب وزيادة كان في الموضعين لافادة الاستمرار وما اهلكنا
من قرية الا لها لم يدخل اللام على الجملة بعد الا كما في وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم لان
الاصل عدم الواو اذ الجملة صفة لقرية فلتاكيد وصف الصفة بالموصوف منذرون اتى بصيغة
الجمع لان من قرية عام فكانه قيل وما اهلكنا من القرى والعدول عنه لافادة الدلالة على ان المراد
الكل الافرادي لا الكل المجموعي ذكرى تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها في معنى
الانذار او حال من الضمير في منذرون او الرفع على انه صفة منذرون باضمار ذووا او بجعلهم ذكرى
لامعانهم في التذكرة او خبر مبتدا محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية ولا يجوز ان يكون ذكرى
متعلقة باهلكنا مفعولا له لان مذهب الجمهور ان ما بعد الا لا يعمل فيما قبلها الا ان يكون مستثنى منه
او تابعا له غير معتمد على الاداة وما كنا ظالمين اي ليس من شاننا الظلم فنعذب قوما غير مستحقين

ولما قال المشركون ان الشياطين تلقي القران على محمد نزل وما تنزلت به اي بالقران الشياطين
انما اتي بصيغة التكلف والجمع لانه على تقدير وقوع المنفي لا يكون الا بزيادة كلفة ومشقة من جماعة منهم
على ما بين عند كيفية استراق السمع ردا لما زعم المشركون انه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة وما
ينبغي لهم ان ينزلوا به وما يستطيعون ذلك نفى اولا الوقوع ثم اللياقة ثم القدرة ثم بين
عدم علة عدم القدرة بقوله انهم عن السمع لكلام الملئكة لمعزولون لممنوعون والعزل تنحية الشيء
عن الوضع الى خلافه وسبب ذلك ما ذكر في سورة الجن من كونهم مرجومين بالشهب فلا تدع مع الله
الها اخر فتكون من المعذبين انما نهي النبي عليه السلام عن الشرك في العبادة مع عدم الحاجة اليه
في حقه تمهيدا للبيان ترتب العذاب عليه على وجه لا يتخلف عنه اصلا حيث لا يتخلف عنه في حق خير الخلق
فكيف في حق غيره وانذر عشيرتك الاقربين خصهم لنفي التهمة اذ الانسان يتساهل قرابته وليعلموا
انه لا يغني عنهم من الله شيا فان النجاة في اتباعه دون قربه والعشيرة ينتظم الفخذ وما فوقها واخفض
جناحك والن جانبك وتواضع مستعار من خفض الطائر جناحه اذا اراد ان ينحط لمن اتبعك
من المؤمنين من عشيرتك وغيرهم فلافادة هذا التعميم ذكر قوله من المؤمنين والا فالايمان
واتباعه عليه السلام توامان فان عصوك مرتبط بقوله وانذر عشيرتك الاقربين وكان اصل
الكلام انذر اقرباءك فان اتبعوك واطاعوك فاخفض لهم جناحك وان عصوك ولم يتبعوك فتبرا من
اعمالهم الا انه غير التعبير في حدتين بلا للمقدمة منزلة المحقق في الجانب الغالب وعن حكمه الغالب
تنبيها على ان امر الانذار اصله غير مخصوص انما الاختصاص باقربائه عليه الصلوة والسلام في وقت
تقديمه وخص حكم شق العصيان بهم ليظهر ذلك الحكم في حق غيرهم بطريق الاولى فقل لهم اني بريء
لما كان الحكم في صورة الاتباع وجوديا وفي صورة الاختلاف عدميا امر بنفس الحكم في الاولى وبالاظهار
قولا في الثانية وهذا من دقائق الاعتبار فلا يتنبه له الا ذوو الاختيار مما تعملون مما تعملونه
او من اعمالكم امر بالبراة من عملهم لا منهم اشعارا بانهم لا يتركون باظهار العصيان بل يدعون الى الطاعة
مرة بعد اخرى باللطف الى ان نزل الامر بالعنف وتوكل التوكل تفويض الامر الى من يملكه وقرئ
فتوكل على الابدال من جواب الشرط على العزيز الرحيم على الذي يقهر اعداءك بعزته وينصرك
عليهم برحمته يكفيك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم الذي يراك الرؤية علم خاص بنوع من المحسوس
غير متوقف على النظر بل قد يحصل بطريق اخر فلذلك زاد موسى عليه السلام قوله انظر اليك حين
طلب الرؤية الخاصة المعهودة حين تقوم متهجدا وتقلبك اي ويرى تقلبك في الساجدين
في المصلين اتبع كونه رحيما على رسوله ما هو من اسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله في جوف الليل
من قيامه للتهجد وتردده في تصفح احوال المتهجدين من اصحابه رضي الله عنهم ليطلع عليهم من حيث
لا يشعرون ويعلم انهم كيف يعبدون الله تعالى في خلواتهم انه هو السميع العليم لما تقوله وتعمله
هون عليه معاناة مشاق ما تحمله من التهجد والتفقد حيث اخبر برؤيته له اذ لا مشقة على من يعلم

انه

انه يعمل بمراى مولاه هل انبئكم على من تنزل الشياطين انما قال تنزل لانه اكثر ما تكون في الهوا
وانه ثم مر الريح تنزل على كل افاك اثيم على كل من بلغ في الافك والاثم الغاية لما بين ان القران
لا يصح ان يكون مما تنزلت به الشياطين اكد ذلك بان بين ان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يصح ان
ينزلوا عليه بوجهين احدهما انه يكون على شرير كذاب كثير الاثم وهم الكهنة والمتنبئة ومحمد صلى الله
عليه وسلم يشتم الكذابين ويذمهم فكيف تنزل الشياطين عليه وانما زاد كلمة كل اعتبارا لما في من
من معنى العموم والا فلا حاجة اليه في اصل الكلام وثانيهما ما ذكر بقوله يلقون السمع اي
الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا وامارات لنقصان علمهم فيضمون
اليها على حسب تخيلاتهم اشياء لا تطابق اكثرها كما في الحديث الكلمة يحفظها الجني فيقرها في
اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة ولا كذلك محمد عليه السلام فانه اخبر عن مغيبات كثيرة
لا تحصى وقد طابق كلها ويلقون حال اي تنزل ملقين السمع او صفة لكل افاك لانه في معنى الجمع
فيكون في محل الجر او استيناف فلا يكون له محل كانه قيل لم تنزل على الافاكين فقيل لانهم يفعلون
كيت وكيت واكثرهم كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم واختصاص هذا
النوع من الكذب باكثرهم لا ينافي تناول جنس الكذب كلهم والشعراء يتبعهم الغاوون واتباع
محمد صلى الله عليه وسلم ليسوا كذلك وهو استيناف ابطل كونه ساحرا الم تر انهم في كل واد يهيمون
تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق وتجاوز الحد في المدح حتى
يفضلوا اجبن الناس على عنترة واشحهم على حاتم وينهموا البري ويفسقوا التقي وانهم
يقولون ما لا يفعلون وذلك لغلوهم في افانين الكلام ولحنهم بالفصاحة والمعاني اللطيفة
وقد ينسبوا لانفسهم ما لا يقع منهم لما كان اعجاز القران من جهة المعنى واللفظ وقد مدحوا
في المعنى بانه ما تنزل به الشياطين وفي اللفظ من جنس كلام الشعراء تكلم في القسمين وبين منافاة
القران لهما ومضادة حال الرسول عليه السلام بحال اربابهما الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
استثنا للشعراء من المؤمنين الصالحين كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن زهير
وذكروا الله كثيرا اي كانت ذكر الله وتلاوة القران غلب عليهم من الشعر واذا قالوا شعرا قالوا
في توحيده تعالى والثناء عليه وانتصروا هجوا من بعد ما ظلموا هجوا اي ردوا هجاء من
هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين وسيعلم الذين ظلموا تهديد شديد لما في سيعلم
من الوعيد البليغ وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي اي منقلب ينقلبون اي بعد
الموت من الابهام والتهويل وقرئ اي منفلت بالفاء والتاء والمعنى واحد ذكره الثعلبي ختم
السورة بما ينقع اكباد المتكبرين المدبرين **سورة النمل مكية** بسم الله الرحمن الرحيم
طس تلك اشارة الى السورة ايات القران وكتاب مبين عطفه على القران كعطف احدى
الصفتين على الاخرى وتنكيره للتعظيم وابانته انه يبين ما اودع فيه من الحكم والاحكام

وانما عرفا القران ونكرا الكتاب على عكس ما في سورة الحجر لانهما اسمان علمان للمنزل على نبينا عليه
السلام ووصفان له باعتبار معناهما الاصليين فاجعل اسما والاخر صفة صح وكتاب قرى بالرفع
على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه على معنى وايات كتاب. هدى وبشرى للمؤمنين
حالان من الايات والعامل فيها معنى الاشارة او بدلان منها او من كتاب او صفة له او خبران
لمحذوف اي هدى الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة تقدم تفسيره في سورة البقرة
وهم بالاخرة هم يوقنون من تتمة الصلة والواو للحال او للعطف وتغيير النظم للدلالة على
قوة يقينهم وثباته وانهم الاوحديون فيه او استيناف كانه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون
الصالحات هم الموقنون بالاخرة ويدل عليه انه عقد جملة اسمية وكرر فيها المبتدا حتى صار
معناها وما يوقن بالاخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان
خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق ان الذين لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم القبيحة
بخلق الشهوة فيهم حتى رأوا ذلك حسنا كما قال افمن زين له سوء عمله فراه حسنا وقدم البحث
مستوفى في اسناد التزيين لله تعالى في تفسيره سورة البقرة فهم يعمهون يتحيرون ويترددون
في ضلالتهم كما يكون حال الضال عن الطريق اولئك لهم سوء العذاب بما كان منهم من سوء الاعمال
وهم في الاخرة هم الاخسرون اشد الناس خسرانا لفوت المثوبة واستحقاق العقوبة
وانك لتلقى القران اي يلقى عليك بشدة من لدن حكيم مصيب في اقواله وافعاله
عليم بكل شيء واحواله فليس الاول منهما مشتملا على الثاني حتى يكون حقهما التاخير وهذه
الاية تمهيد لما يريد ان يسوق بعدها من القصص وما في ذلك من لطايف حكمته ودقايق علمه
والتنكير فيهما للتعظيم اذ قال موسى اي اذكر قصته اذ قال وقيل متعلق بعليم لاهله
اني انست نارا اي عن حال الطريق لانه قد ضلها ودوي انه لم يكن معه غير امرأته وانما ورد
الخطاب بلفظ الجمع للكناية عنها بالاهل واقامتها مقام الجماعة في الانس بها والسكون اليها
في الامكنة الموحشة والسين للتقريب وتقليل مدة الوعد كيلا تستوحش اهلها وفي التعبير بالاتيان
دون الابصار نوع تمهيد لها او اتيكم بشهاب قبس القبس قطعة من النار والشهاب ما
يمتد منها واضافته لانه يكون قبسا وغير قبس وقرئ منونا على ان القبس بدل منه او وصف له
لانه بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر عنه بصيغة الترجي في موضع اخر
والترديد لبيان عدم الخلو بناء على العادة فلا ينافي الجمع وبيان ان كلا منهما امر مهم باعث للسعي
في تحصيله لعلكم تصطلون رجاء ان تستدفوا بها من البرد والطاء بدل من تاء افتعل لاجل
الصاد فلما جاءها اي النار التي ابصرها نودي ان بورك ان مخففة من الثقيلة تقديره
بانه بورك دعاء والدعا يخالف غيره في احكام كثيرة او مفسرة لان في الندا معنى القول من
في النار ومن حولها اي جعل البركة والخير فيمن في مكان النار وهم الملئكة ومن حول مكانها

اي موسى عليه السلام بجد وثمرة بني وفي تصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضي له امر
عظيم تنتشر بركته في اقطار الشام وسبحان الله رب العالمين من تمام ما نودي به لئلا
يتوهم من سماع كلامه تشبيها او للتعجب من ذلك الامر او تعجب من موسى عليه السلام لما دهاه
من عظمته يا موسى انه انا الله الهاء للشان وانا الله جملة مفسرة له او للمتكلم وانا خبره
والله بيان له العزيز الحكيم صفتان لله تعالى ممهدتان لما اراد ان يظهر على يده من المعجزة
لمصلحة اثبات النبوة والق عصاك عطف على محذوف تقديره يفهم من التفصيل المذكور
في سورة طه لا على بورك لان الفصل بينهما بتجديد الندا في قوله يا موسى يأباه فلما راها
تهتز حال من المفعول والاهتزاز تحرك بحركتين متدافعتين كانها جان اي حية سريعة
الحركة ولى موسى عليه السلام مدبرا اعرض عنها وجعلها تلي ظهره خوفا منها بمقتضى
البشرية ولم يعقب لم يرجع يقال قد عقب فلان اذا رجع يقاتل بعد ان ولى فنودي
يا موسى لا تخف اي من غير ثقة بي وحذف المفعول لظهوره او مطلقا على تنزيل المتعدي
منزلة اللازم اني لا يخاف لدي المرسلون اي لا ينبغي لهم ان يخافوا حال تقريبي اياهم
بالخطاب وفيه اشارة الى ان تلك الحالة كانت مقدمة للرسالة الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد
سوء فاني غفور رحيم استثناء منقطع استدرك به ما يختلج في الصدر من نفي الخوف عن
كلهم ومنهم من فرطت منه صغيرة فانهم وان فعلوها اتبعوا فعلها ما يبطلها ويستحقون من
الله مغفرة ورحمة ولم يقصد به تعريض موسى عليه السلام بوكزه القبطي لانه عليه السلام لم
يكن وقتئذ مرسلا وقيل متصل وثم مستانف معطوف على محذوف تقديره ومن ظلم ثم بدل حسنا
اي اتى بالتوبة بعد سوء بدلاله بالحسن اي كان ذلك منه سببا لتبديله السيئة بالحسنة وفي
التعبير عنها بالحسن مبالغة في حسنها لبعدها عن مظنة شوب الريا والشرك فانه قلما يخلو عنه
وهذا البدل لما لم يحصل بالعمل خلص عنه وادخل يدك في جيبك انما قال في جيبك لانه
عليه مدرعة صوف لا كم لها تخرج بيضاء فيه جمع امري التكليف والتكوين من غير سوء
قبح لما كان خروج الشيء عن خلقته وجوهره مما يستقبح ويستقذر اخبر انه لم يكن كذلك واما
احتمال البرص فبمعزل عن هذا المقام مثل ذلك لا يخطر بالبال في امثال هذه الايات العظام حتى
يحتاج الى دفعه في تسع ايات وهي العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع
والدم والطمسة والجدب ونقصان المزارع منه واما الفلق فليس منها لانه عليه السلام لم يبعث
الى فرعون وقومه اي مرسلا اليهم انهم كانوا قوما فاسقين تعليل للارسال فلما جاءتهم
اياتنا لم يقل جاءهم موسى بها لانها لم تكن في حيز طاقته وفي بعضها لم يكن منه عليه السلام تصرف
عادي مبصرة اي ظاهرة بينة جعلت كانها تبصر فتهتدي لان العمي لا يقدر على الاهتداء فضلا
عن ان يهدي غيرها ومنه قولهم كلمة عيناء وكلمة عوراء لان الكلمة الحسنا ترشد والكلمة العوراء تغوي

فهو من قبيل الاستعارة المكنية وهي ابلغ من المجاز قالوا هذا سحر مبين واضح سحريته
قوبل بين المبصرة والمبين وجحدوا بها ويقال جحد حقه وبحقه بمعنى ذكره في الديوان
والجحود هو الانكار للشيء المجهل به وقد يكون بعد المعرفة يقينا والواو في واستيقنتها
للحال وقد بعدها مضمرة والاستيقان ابلغ من الايقان انفسهم اي جحدوها بالسنتهم
وقد استيقنوها بقلوبهم وفي التعبير بانفسهم عن قلوبهم تنزيلا له منزلة الترجمان •
ظلما لانفسهم وعلوا ترفعا عن الايمان وانتصابهما على العلية من جحد فانظر كيف
كان عاقبة المفسدين وهو الاغراق والاحراق في الدارين ولقد اتينا داود وسليمان
علما طائفة من العلم وهو علم الحكم او علما اي علم الشرايع وقالا الواو فصيحة تفصح
عن محذوف تقديره ففعلا شكرا الله تعالى ما فعلا مما لا ينبغي بيانه العبارة وقالا الحمد لله
الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين اراد بالكثير المفضل عليه من لم يؤت مثل علمهما
دل على ذلك تقييدهم بالايمان فان المؤمن لا يخلو عن علم وفيه اخراج الكفار عن حيز الاعتبار
وتعظيم لنعمة التفضيل بتوصيف المفضل عليه بوصف جليل ودليل على وصف العلم وشرف
اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونهما اوتيا من الملك الذي
لم يؤت غيرهما وتحريض للعالم على ان يحمد الله على ما اتاه من فضله وان يتواضع ويعتقد
انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير او تساويا وورث سليمان داود النبوة
والملك بان قام مقامه في ذلك بعد موته ولهذا قال المورث فان حقيقة الميراث انتقال
التركة من ملك الى ملك والتركة ما بقي بعد الموت واستعير ههنا مما ذكروا اما العلم
فقد شارك اباه فيه بل ترجح عليه حال الحيوة على ما افصح عنه قوله ففهمناها سليمان
وقال تشهيرا للنعمة وتعريفا بمكانها ودعاء للناس بذكر المعجزة التي علم منطق الطير
وغير ذلك من عظايم ما اوتيه يا ايها الناس علمنا منطق الطير النطق والمنطق
في المتعارف الاصوات المقطعة التي يظهرها اللسان وتعيها الاذان ولا يقال لغير
الانسان الا على سبيل التبع نحو الناطق والصامت لما له صوت ولما لا صوت له واوتينا
من كل شيء المراد به كثرة ما اوتي كما يقال فلان يعلم كل شيء ويقصده كل احد والضمير
في علمنا واوتينا له ولابيه او له ولابيه والنون في هذه نون الواحد المطاع وكان ملكا
مطاعا فكلم اهل ملكه على صفة حاله التي كان عليها ان هذا لهو الفضل المبين
قول وارد على سبيل الشكر كقوله عليه الصلوة والسلام انا سيد ولد ادم ولا فخر اي هذا
القول شكرا ولا اقوله فخرا وحشر اي جمع من جهات مختلفة لسليمان جنوده من
الجن والانس قدم الجن على الانس لان مقام التسخير لا يخلو عن نوع تحقير والطير
ولو كان فيها جنس اخر لذكرها فهم يوزعون عن التفرق والانتشار حتى يجتمعوا في

سيرهم وذلك احسن في الهيئة واهيب في الرؤية حتى اذا اتوا تفهمن يوزعون معنى
فعل يصلح ان يكون حتى غاية له اي فهم يسيرون ملفوفا لا يفارق بعضهم بعضا على وادي
النمل هو واد بالشام كثير النمل وعدي اتوا بعلي اما لان اتيانهم كان من فوق او لان اريد
معنى قطع الوادي وبلوغ اخره قالت نملة تاؤها للوحدة وهي في حكم الموت اللفظي جاز
ان يعامل معاملة كتمرة وتمرة فلا دلالة في قالت على انها انثى يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم
لم يقل ادخلن لان ترجعها قابلة والنمل مفعولا لهم كما يكون في اول الفعل فاجرى خطابهم
مجرى خطابهم لا يحطمنكم الحطم الكسر سليمان وجنوده نهي سليمان عليه
السلام عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم لا ارينك ههنا فهو استيناف
او بدل من الامر لا جواب له فان النون لا تدخل في السعة وهم لا يشعرون انهم يحطمونكم
اذ لو شعروا لم يفعلوا قالت النملة ذلك على وجه العذر ووصف سليمان وجنوده بالعدل
فتبسم الفا فصيحة تفصح عن محذوف تقديره سمع سليمان كلامها ضاحكا شارعا
في الضحك اخذا فيه من قولها متعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدايها لمصالحها ونصحها
للنمل او من حال ظهور عدله وانما قال ضاحكا لان التبسم قد يكون من غضب وقد يكون
من استهزاء او نصم الضحك لا يكون الا عن سرور فان قلت الظاهر من هنا ان سليمان عليه
السلام كان عالما بلسان غير الطير من الحيوانات فما وجه تخصيصه بالذكر في مقام الاظهار
الشكر على ما اتاه الله تعالى من جلائل النعم قلت قد اجاب الشعبي عن هذا حيث قال كانت
للنملة جناحان فصارت من الطير فلذلك علم منطقها ولولا ذلك لما علمه وقال سايلا نو
شكر تلك النعم الجليلة رب اوزعني ان اشكر اي يسر لي الشكر وازعا اياه ووزع الشكر كناية
عن وزع موجبه وهو النعمة وهو كلام في غاية الفصاحة نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي
ادرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة وان اعمل صالحا ترضاه تماما للشكر واستدامة للنعمة
وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين في عدادهم الجنة وتفقد الطير تعرف فقدان
فقال ما لي لا ارى الهدهد بدا او لا بنفسه ثم قال ام كان من الغائبين قرينة احاد بصره عنه
بسبب ولما كان المذكور في ثبوته تنزل منزلته وعطف عليه على سبيل العطف من جهة المعنى وكان
الغالب على ظنه هذا الاحتمال عاما دل عليه عبارة كان ولذلك قال لاعذبنه عذابا شديدا
كنتف ريشه والقايه في الشمس او من حيث النمل ياكله او جعله مع ضده في قفص او لاذبحنه
ليعتبر به ابناء جنسه او لياتيني بسلطان مبين بحجة تبين عذره والسلطان في الاصل
ما يتسلط به والحلف في الحقيقة على احد الامرين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع
احد الامور الثلاثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما فمكث اي كان غايبا فمكث الفا فصيحة
غير بعيد اي لبث زمانا غير بعيد عن وقت تفقده يريد به الدلالة على سرعة رجوعه خوفا منه

ولما كان المذكور في قوة الاخبار عن مجيئه عن قريب رتب عليه قوله فقال احطت بما علمته من
جهاته شيئا لم تحط به يعني حال سبا في مخاطبته بذلك تنبيه له على انه في اذى خلق الله تعالى
من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر لديه علمه ويكون لطفا في ترك الاعجاب
الذي هو فتنة العلما وجئتك من سباء وقرئ مصروفا على انه اسم للحي والاب الاكبر وغير
مصروف على تاويل القبيلة والبلدة بنباء بخبر له شان اتى بهذا النوع من الاطناب من
جهة المعنى تشويقا له حتى تنكسر سورة غضبه يقين محقق اني وجدت امراة يعني
بلقيس بنت شراحيل وانما قال وجدت دون رايت استغرابا لمرأى الحال حيث كانت بتلك العظمة
والشوكة وقرب المكان مجهولة لسليمان عليه الصلوة والسلام واصحابه تملكهم الضمير
لسباء او اهلها وانما لم يقل تملكها لانه اراد بيان ملكها وسلطنتها وتعيين ذلك بالاضافة الى
اهل الديار لا بالاضافة اليها ففيه ايضا تقوية لمعنى الغرابة المقصودة بعبارة النبا حيث
كانت امراة ملكت قبيلة عظيمة واوتيت من كل شيء قد نبهت فيما تقدم ان المراد من كل شيء
في مثل هذه المبالغة في الكثرة ولها عرش سرير عظيم كبير قدرا او قيمة وجدتها
وقومها يسجدون للشمس من دون الله اضلهم الله تعالى وزين لهم الشيطان اعمالهم
من عبادة الشمس وغيرها من قبايح الافعال فالواو فصيحة والجملة معطوفة على مقدر
فصدهم من صد السبيل اذا اعترض دونه مانع من عقبة او غيرها فاخذ في غيره ففيه
ثلاث معان المنع والدفع والصرف عن السبيل طريق الحق والصواب وانما اطلق السبيل لان
السبيل الذي لا يجوز سلوكه ممنوع عنه فكانه ليس بسبيل فهم لا يهتدون الا يسجدوا لله
اي فصدهم لئلا يسجدوا او زين لهم الشيطان اعمالهم لان لا يسجدوا فحذف الجار مع ان فادغمت
النون في اللام او زين لهم الشيطان ان لا يسجدوا على انه بدل من اعمالهم او لا يهتدون الى ان يسجدوا
بزيادة لا وقرئ الا بالتخفيف على انها للتنبيه ويسجدوا امر بمعنى يا اسجدوا اي نزل المنادي منزله
اي يا هؤلاء اسجدوا لله وعلى هذا صح ان يكون استينافا من سليمان عليه السلام او من الله والوقف
على لا يهتدون وكان امرا بالسجود وعلى الاول ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجود
في الجملة لا عند قراتها الذي يخرج الخبء في السموات والارض الخبء ما يخفى في غيره واخراجه
اظهاره وهو يعم اشراق الكواكب وانزال الامطار وانبات النبات او الانشاء فانه اخراج ما في الشيء
بالقوة الى الفعل والابداع فانه اخراج ما في الامكان والعدم الى الوجوب والوجود ومعلوم انه يختص
بالواجب لذاته ويعلم ما تخفون وما تعلنون وصف له تعالى بما يوجب اختصاصه باستحقاق
السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا على السجود وردا على من يسجد لغيره وتقديم ما يخفون على
ما يعلنون مع انه مقتضى اسلوب الترقي تاخيره عنه للتسوية بين جزئي الكلام في الاهتمام الله لا اله
الا هو رب العرش العظيم الذي هو اول الاجرام واعظمها والمحيط بجملتها فبين عظمه وشرعها

بون عظيم وقرئ العظيم بالرفع نعتا لله قال سليمان عليه السلام للهدهد سننظر
من النظر بمعنى التامل اصدقت فيما اخبرت به ام كنت من الكاذبين هذا ابلغ من
اكذبت لانه اذا كان معروفا بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة وانما استحق
هذه المبالغة على تقدير الكذب لانه اخبر بامر عظيم وبالغ فيه اذهب بكتابي هذا فالقه
انما امره بالالقا لان الطاير لا يمكنه تبليغ الكتاب مناولة الا انه ضمنه معنى الايصال
ولذا قال اليهم اي اطرحه على وجه يصل اليهم ولما كان المقام مقام التاني الذي
يقتضي قدرا من الزمان نبه عليه بقوله ثم تول عنهم تنح عنهم الى مكان قريب بحيث تراهم
ولا يرونك ليكون ما يفعلون بمنظر منك على ما دل عليه قوله فانظر ماذا يرجعون من
الرجوع لا من الرجعون اي ماذا يردون في مقابلة كتابنا قالت يا ايها الملأ اي
قالت ملكة سبا لاشراف قومها بعد ما فعل الهدهد ما امر به اني القي الي كتاب كريم
حسن مضمونه او مختوم قال عليه السلام كرم الكتاب ختمه انه من سليمان استيناف كانه
قيل لها ممن هو او وما هو فقالت انه اي الكتاب وانه اي وان المكتوب والمضمون وقرئ
بالفتح على الابدال من كتاب او التعليل لكرمه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا الا ترفعوا
علي وان مفسرة او مصدرية فيكون بصلته خبر محذوف اي هو او المقصود الا تعلوا او
بدل من كتاب قالت يا ايها الملأ افتوني اشيروا علي في امري في الامر الذي نزل
بي والفتوى الجواب في الحادثة استفتت على طريق الاستعارة من الفتوى في السن والمراد
ههنا الاشارة عليها بما عندهم من الراي وقصدها بالرجوع الى استشارتهم تطييب نفوسهم
ليمالئوها ويقوموا معها ولذلك قالت ما كنت اي في الزمان الماضي قاطعة
فاصلة امرا ممضيه حكما حتى تشهدون بكسر النون والفتح لحن لان الفتح انما
يكون في موضع الرفع وهذا موضع النصب واصله تشهدونني فحذفت النون الاولى للنصب
والياء للدلالة الكسرة عليها وبالياء في الوصل والوقف اي تحضرون اي كانت عادتي ان
لا ابت امرا الا بمحضركم فكيف في هذه النازلة الكبرى فراجعها الملأ بما يقر عينها من اعلامهم
اياها بما بهم من القوة والباس ثم سلموا الامر الى نظرها وهذه محاورة حسنة من الجميع قالوا
مجيبين لها نحن اولو قوة واولو باس شديد ارادوا بالقوة قوة الاجساد والالات
وبالباس النجدة في الحرب اي قادرون على القتال لا فتور فينا ولا قصور لو فور عددنا
وعددنا فقدموا هذا الكلام كيلا يتوهم العجز من تفويض الامر اليها بقولهم والامر اليك
موكول فانظري ماذا تامرون من الحرب والصلح نطعك ونمتثل امرك قالت ان الملوك
اتى بصيغة الجمع تنصيصا على تعميم الحكم في الافراد فان في الجنس احتمال الخصوص اذا دخلوا
قرية يعني عنوة قوله افسدوها بالتخريب وجعلوا اعزة اهلها اذلة اهانوا اشرافها

لتستقيم لهم الامور زيفت ما احست منهم من الميل الى المحاربة بادعائهم اسباب الغلبة وذكر
لهم سوء عاقبة الحرب فاشعرت بانها ترى الصلح مخافة ان يتخطى سليمان عليه السلام خططهم
فيسرع الى اشراف ما يصادفه من اموالهم وعماراتهم وكذلك يفعلون تاكيد لما وصفت
من حالهم وتقرير بان ذلك عادتهم الثابتة المستمرة او تصديق لها من الله عز وجل واني مرسلة
اليهم رسولا بهدية بيان لما ترى تقديمه في المصالحة فناظرة منتظرة بم يرجع
بالرعاية ام بالاهانة حتى اعمل بحسب ذلك المرسلون الرسول ومن ارسل معه قال
اتمدونني بمال خطاب للرسول ومن معه او الرسول والمرسل على تغليب المخاطب واستفهام انكار
فالفاء في قوله فما اتاني الله تعليلية اي فالذي اعطاني الله تعالى من النبوة والملك وسخر
لي الجن والانس والريح والطير والوحوش خير مما اتاكم فلا حاجة لي بهديتكم ولا وقوع لها
عندي بل اضراب عن انكار الامداد بالمال عليه وتعليله الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو
قياس حاله على حالهم في قصور الهمة بالدنيا والدنيا فيها انتم بهديتكم الهدية اسم لما يهدى
كما ان العطية اسم لما يعطى تضاف الى المهدي والمهدى اليه تقول هدية فلان تريد هو الذي
اهداها او اهديت اليه تفرحون لانكم لا تعلمون الا ظاهر الحيوة الدنيا فتفرحون بما يهدى
اليكم لزيادة اموالكم او بما تهدونه افتخارا على امثالكم ارجع خطاب للرسول اليهم الى
بلقيس وقومها فلنأتينهم اي ان لم ياتوني مسلمين فلنأتينهم بجنود بانواع من الجند
لا قبل لهم بها وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة اي لا يقدرون ان يقابلوهم ولنخرجنهم
منها اذلة الذل ان يذهب ما كانوا فيه من العز والملك وهم صاغرون الصغار ان يقعوا
في اسر واستعباد فلما رجع اليها رسولها بالهدايا وقص عليها القصة قالت هو نبي من عند الله
وما لنا به طاقة ثم جعلت عرشها في اخر سبعة ابيات وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه
ثم بعثت الى سليمان عليه الصلوة والسلام اني قادمة اليك لانظر ما الذي تدعوني اليه وشخصت
اليه في اثني عشر الف قيل تحت كل قيل الف فلما بلغت على راس فرسخ من سليمان عليه الصلوة والسلام
قال يا ايها الملأ ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين اراد ان يريها بذلك بعض ما خصه الله
تعالى به من اجراء العجائب على يده لتطلع على قدرة الله تعالى وعلى ما يشهد لنبوة سليمان عليه السلام
حتى تؤمن به وتصدقه ثم انه قصد في ضمن هذا فائدة اخرى على ما تقف عليه وقوله مسلمين اي
مستسلمين وانما تعرض بوصف الاسلام اعلاما بان طلبه عرشها ليس طمعا فيه فان النبي عم لا
عن مظنة الطمع في مال من علم انه ياتيه مستسلما واما ما قيل انها لو اسلمت لحظر عليه مالها
فلا ياتوني به فانما يصلح وجها لطلبه عرشها قبل اتيانها مسلمة واما ما قيل اتيانها مسلمة لا لتقييد
امره بذلك القيد قال عفريت الخبيث المنكر المعفر اقرانه ولا اختصاص له بالجن ولذلك
احتيج الى قوله من الجن روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه صخر الجني انا اتيك به

صالح للفعلية والاسمية قبل ان تقوم من مقامك يعني مجلسه للقضاء وهو من الغداة
الى نصف النهار واني عليه اي على حمله او الاتيان به لقوي لقادر ولما عبر عن القدرة
بالقوة للحاجة في تحصيل ما ذكر اي القدرة بالقوة امين اتي به كما هو لا اختزل منه شيا ولا
ابدله قال للفصل بين القولين لان احد القائلين لم يكن من جملة المخاطبين والظاهر انه
هو الثاني منهما واحتمال ان يكون المراد من القائل الثاني سليمان عليه السلام يرده كاف الخطاب
في اتيك فانه حينئذ ان يقول اتي به وايضا لا يناسبه قوله فلما راه انما المناسبة ان يقول
فلما اتي به اصف بن برخيا المشهور كاتب سليمان عليه الصلوة والسلام ويناسبه التعبير
عنه بقوله الذي عنده علم من الكتاب وفي التوصيف به اشارة انه ما قدر على ما قدر
عليه بقوة جسدانية بل بقوة صمدانية انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك ارتداد الطرف مع
تحريك الاجفان اي بين امتداد الطرف بفتحها وارتداده بطبقها والبين فيه وضع الطرف موضع
النظر فلما راه اي العرش فالفاء فصيحة اي اذن له سليمان عليه السلام فاتي به فلما راه
مستقرا عنده ثابتا غير مضطرب لديه وقراره في موضعه امر اخر وراء حضوره يحتاج الى
فضل زمان بحسب العادة وبهذا الاعتبار كان لعبارة مستقرا فضيلة على عبارة حاضرا
قال تلقيا للنعمة بالشكر هذا اي حصول مرادي وهو حضور العرش في طرفة العين
من فضل ربي علي واحسانه الي من غير استحقاق مني ليبلوني ليتعبدني في صورة
الاختبار ااشكر انعامه ام اكفر الحمد ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه يحط به
عنها عبء الواجب ويصونها عن وصمة الكفران ويستجلب به المزيد ويرتبط به التقييد
ومن كفر حذف جزاؤه وهو فانما يكفر على نفسه اي ضرر كفره عليه لا يتعداه لظهوره
بقرينة ما ذكر في قرينه واقيم تعليله مقامه فان ربي غني عن الشكر لا يتضرر انه لم يشكر
كريم بالانعام لا يتوقع عوضا ولا يفعل الغرض حتى ينفعل عند عدم حصوله فالوصفان
من تمام التعليل قال نكروا لها عرشها اراد بتنكير عرشها تغيير هيئته اذ ح يكون منكرا
منكرا مطلقا لا يكون منكرا عندها فقط وايضا مدار الاختبار سيأتي تفصيله ننظر بالجزم
على الجواب وقرئ بالرفع على الاستيناف اتهتدي الى الحق والصواب وقيل الى الايمان
بالله ورسوله ورد عليه انه حينئذ لا حاجة الى تنكير بل لا وجه له لان ابقاءه على حاله اعون
على تحصيل هذا المراد والله الهادي الى سبيل الرشاد ام تكون من الذين لا يهتدون
اي لا يقدرون على الاهتداء قالوا ان الشياطين خافوا ان تزوجها سليمان عليه السلام فيولد
له منها ولد يجتمع له فطنة الانس والجن لانها كانت بنت جنية فيخرجون من ملك سليمان عليه السلام
الى ملك هو اشد وافظع فقالوا له ان في عقلها شيئا وهو شعر الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر
عقلها بتنكير العرش وتعرف ساقها ورجلها باتخاذ الصرح على ما ياتي بيانه فالمراد من كونها

من الذين لا يهتدون كونها من الطايفة الحمقا ومن هنا تبين وجه الاطناب والله اعلم بالصو
فلما جاءت الفا فصيحة والمقدر يظهر بادنى تامل قيل اهكذا عرشك ها للتنبيه والكا
للتشبيه وذا اسم الاشارة ولم يقل اهذا عرشك ولكن مثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا
قالت كانه هو فاجابت احسن جواب فلم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها
حيث لم تقطع في المحتمل للامرين ولما شبهوا عليها بقولهم اهكذا عرشك شبهت عليهم بقولها
كانه هو مع انها علمت عرشها واوتينا العلم من قبلها من تمام كلامها اي واوتينا العلم
بقدرة الله تعالى وبصحة نبوتك بالايات المتقدمة من امر الهدهد والرسل من قبل هذه الخارقة
للعادة وكنا مسلمين منقادين لك مطيعين لامرك كانها وقفت على ما قصد سليمان
عليه السلام بذلك اولا واخرا وظاهرا وباطنا وصدها كلام مبتدا من الله تعالى
ما كانت تعبد من دون الله اي منعها عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشوها
بين اظهر الكفرة ثم بين نشاها بينهم بقوله انها كانت من قوم كافرين وقري بالفتح على
من فاعل صدها اي صدها نشوها بين اظهر الكفار او على التعليل فيكون كلام التعليل
محذوفا من ان قيل لها ادخلي الصرح الصرح الموضع البسيط المنكشف من غير
سقف ومنه قولهم صرح بالامر اذا افصح به ولم يكن عنه وكان ذلك الصرح من زجاج
ابيض شفاف تحته ما جار فيه سمك فلما راته حسبته لجة اللج معظم الما وكشفت
عن ساقيها لتخوضه والواو فصيحة عاطفة على مقدر تقديره فشمرت ذيلها فالمترتب على
الحساب المذكور مجموع معطوفين والواو المذكورة كاشفة عن هذا وكان سليمان عليه السلام
على سريره في صدر الصرح فراى قدميها وساقيها حسانا فصرف بصره ثم قال لها انه
صرح ممرد مملس مستو ومنه الامرد من قوارير من الزجاج واراد سليمان عليه السلام
تزوجها فكره شعرها فعمل لها الشياطين النورة فازالته فنكحها قالت رب اني ظلمت نفسي
بعبادتك واسلمت مع سليمان اي تابعت اياه لله رب العالمين فيه التفات من الخطا
الى الغيبة اظهارا للباعث اسلامها له تعالى وهي الوهية المستتبعة لربوبية العالمين
ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم في النسب صالحا بدل ان اعبدوا الله بان اعبدوا
اي وحدوه فاذا للمفاجاة هم مبتدا فريقان خبره يختصمون صفة الخبر
وهي العامل في اذا والمعنى فاذا قوم صالح فريقان مؤمن به وكافر به يختصمون فيقول
كل فريق الحق معي وقدم تفصيله في سورة هود قال الفريق الكافر يا صالح ائتنا بما تعد
ان كنت من الصادقين فقال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة بالعذاب الذي
توعدون به قبل التوبة لولا هلا تستغفرون الله تطلبون المغفرة من كفركم بالتوبة
والايمان قبل نزول العذاب بكم لعلكم ترحمون بالاجابة قالوا اطيرنا بك تشاءمنا

لانهم

لانهم قحطوا عند بعثته لتكذيبهم فنسبوه الى مجيئه والاصل تطيرنا وقري به فادغمت التاء
في الطا وزيدت الالف لسكون الطا وبمن معك من المؤمنين قال طائركم عند الله
اي سببكم الذي يجي منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته او عملكم مكتوب عند
الله تعالى فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة وقدم اصل ذلك في تفسير قوله تعالى وكل انسان
الزمناه طائره في عنقه بل اضراب عن بيان السبب الى بيان سبب السبب انتم قوم تفتنون
تختبرون بتعاقب السرا والضرا وكان في المدينة مدينة ثمود وهي الحجر تسعة رهط
الرهط اسم الجماعة فكانهم كانوا رؤسا يتبع كل واحد منهم رهطا كذا قال القرطبي يفسدون
في الارض ولا يصلحون اي شانهم الافساد الخالص عن شوب الاصلاح قالوا اي قال
بعضهم لبعض تقاسموا بالله خبر في محل الحال باضمار قد لانه ماض اي قالوا متقاسمين
او امر اي امر بعضهم بعضا بالقسم لنبيتنه لنقتلنه مباغتة ليلا واهله ولده وتبعه
ثم لنقولن لوليه لرهطه الذي له ولاية الدم ما شهدنا ما حضرنا مهلك اهله المهلك
من اهلك يحتمل الزمان والمكان والمصدر وكذا المهلك بكسر اللام وقري بالفتح ايضا فيكون
مصدرا فلم نتعرض لاهله فكيف تعرضنا له او ما حضرنا موضع اهلاكه فكيف توليناه وانا
لصادقون فيما ذكرنا ومكروا مكرا في ذلك ومكرنا مكرا اي جزيناهم على مكرهم بتعجيل
العقوبة وهم لا يشعرون بذلك فانظر كيف كان عاقبة مكرهم كان ان كانت ناقصة
فخبرها كيف وان كانت تامة فكيف حال انا دمرناهم قري بكسر الهمزة على الاستيناف او
خبر محذوف او على بدل من اسم كان او خبر له وكيف حال او يكون التقدير لانا وحذف حرف الجر
وقومهم بالصيحة فتلك بيوتهم خاوية ساقطة منهدمة من خوى النجم اذا سقط او خالية
من الخوي وهي حال عمل فيها ما دل على تلك بما ظلموا ان في ذلك لاية لقوم يعلمون فيتعظون
وانجينا الذين امنوا وكانوا يتقون عصيانه ولوطا اي واذكر لوطا او وارسلنا لوطا
لدلالة ولقد ارسلنا عليه والاول انسب لما نزل اولا والثاني لما نزل مكررا اذ قال بدل من
لوطا على الاول اي واذكر وقت قول لوط عليه السلام فظرف على الثاني لقومه اتاتون الفاحشة
الاستفهام للانكار التوبيخي والفاحشة الفعلة القبيحة والمراد اللواطة ابهمها هنا ثم بينها
بقوله لتاتون الرجال تقديرا او تنبيها على ان معنى الفاحشة بلغ الغاية فيها حتى صار علما
لها ثم ان في البيان المذكور تنبيها على ان المراد من الفاحشة محلها بطريق المجاز وبيانه كنايته عن
فعل اللواطة وانتم تبصرون اي والحال انكم ابصار يعني ان قباحة ذلك المحل من المحسوسات
فوجدوا البصر كاف في ادراكها ائنكم لتاتون الرجال اثر الرجال على الذكور ليزداد قبح الايثار
شهوة للشهوة ناظر الى قوله تعالى وانتم تبصرون كانه قيل القباحة هنا في حق درجة من درجتي
البصر ان يرغب عنه نفرة وانتم ترغبون فيه شهوة من دون النسا يعني ان الله تعالى خلق الا

للذكر ولم يخلق الذكر للذكر والانثى للانثى فهي مضادة لله تعالى في حكمته بل انتم قوم تجهلون
تفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم بذلك او اريد بالجهل السفاهة والمجانة التي
كانوا عليها وقد اجتمع الخطاب والغيبة هنا وفي قوله بل انتم قوم تفتنون فغلب الخطاب على
الغيبة لانه اقوى اذ الاصل ان يكون الكلام بين الحاضرين ضربين فما كان جواب قومه
الا ان قالوا خبر كان جواب واسمه ان قالوا اخرجوا آل لوط اي لوطا ومتبعيه تاو
الامر له عليه السلام دلالة من قريتكم انهم اناس يتطهرون يتنزهون عن الغاذورات
فيكون هذا العمل القذر وتغيظنا انكارهم تعليل للامر المذكور على وجه يتضمن الاستهزا
لانه على طريقة لانت الحليم الرشيد فانجيناه الفا فصيحة واهله يعني من العذاب
الواقع بقومه الا امراته قدرناها اي قدرنا كونها استيناف للتعليل من الغابرين
من الباقين في العذاب وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين مر تفسيره في سورة
الشعراء قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى امر رسوله عليه السلام بتحميده
ثم بالسلام على المصطفين من عباده توطية لما يتلوه من الدلالة على وحدانيته وقدرته
على كل شي وهو تعليم لكل متكلم في امر ذي بال بان يتبرك بهما ويستظهر بمكانهما او خطاب
للوط عليه السلام بحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله تعالى ونجاه
من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم الله خير ام ما يشركون لا خير فيما اشركوه اصلا حتى يوا [زن]
بينه وبين من هو خالق كل شي وانما هو الزام لهم وتهكم بحالهم لينتبهوا عن الخطا المفرط والجهل
المورط وليعلموا ان الايثار يجب ان يكون للخير الزايد ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع التي
هي من آثار رحمته وفضله فقال ام من بل ام من خلق السموات والارض تقريرهم
بان من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شي وانزل لكم من السماء ماء مطرا وفي
قوله لكم تنبيه على ان الغيث لان المقصود من انزاله النفع فانبتنا صرف الكلام عن الغيبة
الى التكلم تاكيدا لمعنى اختصاص الفعل بذاته وايذانا بان انبات الحدايق المختلفة الاصناف
والالوان والطعوم والاشكال مع حسنها بما واحد لا يقدر الا هو وحده به بالما حدايق
الحديقة البستان عليه حايط من الاحداق وهو الاحاطة ذات لم يقل ذوات لان المعنى
جماعة حدايق بهجة حسن لان الناظر يبتهج به ثم رشح معنى الاختصاص بقوله ما كان
لكم ان تنبتوا شجرها اي شجر الحدايق ومعنى الكينونة الابتغا اراد ان تاتي ذلك محال من غيره
اله مع الله اغيره يقرن به ويجعل شريكا له بل هم قوم يعدلون به غيره او يعدلون
عن الحق الذي هو التوحيد وبل هم بعد الخطاب ابلغ من تخطية رايهم ام من جعل الارض قرارا
وما بعده بدل من ام من خلق فكان حكمها حكمه قرارا دحاها وسواها للاستقرار عليها وجعل
خلالها ظرف اي وسطها وهو المفعول الثاني والاول انهارا وبين البحرين مثله وجعلها

للارض رواسي جبالا تمنعها عن الحركة وجعل بين البحرين العذب والمالح حاجزا
مانعا ان يختلطا االه مع الله بل اكثرهم لا يعلمون التوحيد فلا يؤمنون به •
ام من يجيب المضطر اذا دعاه الاضطرار افتعال من الضرورة وهي الحالة المحوجة
الى اللجا يقال اضطره الى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذي احوجه مرض
او فقر او نازلة من نوازل الدهر الى اللجا الى الله تعالى او المذنب اذا استغفر او المظلوم
اذا دعاه واللام للجنس لا للاستغراق فلا يلزم منه اجابة كل مضطر ويكشف السوء
اي الضر او الجور ويجعلكم خلفا الارض اي فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف
فيها قرنا بعد قرن او اراد بالخلافة الملك والتسلط وهذا اتم من الاولين واعم واعجل
وقعا واتم وهذا فصل بعدم التذكير وبالغ فيه االه مع الله قليلا ما تذكرون ما مزيدة
اي تذكرون تذكرا قليلا ويجوز ان يراد بالقلة العدم ام من يهديكم يرشدكم بالنجوم
في ظلمات البر والبحر ليلا بعلامات في الارض نهارا والظلمات ظلمات الليالي واضافتها
للبر والبحر للملابسة او مشتبهات الطرق على الاستعارة ومن يرسل الرياح بشرا من
البشارة وقدم في سورة الفرقان بين يدي رحمته قدام المطر االه مع الله تعالى
الله عما يشركون تعالى القادر الخالق عن مشاركة المخلوق العاجز تذييل كالنتيجة للايات
السابقة ام من يبدأ الخلق ثم يعيده انما قيل لهم ثم يعيده وهم منكرون للاعادة لانهم از [يحت]
بالتمكن من المعرفة والاقرار ولم يبق لهم عذر من الانكار ومن يرزقكم من السما والارض
اي باسباب سماوية وارضية االه مع الله يفعل ذلك قل هاتوا برهانكم حجتكم
على اشراككم ان كنتم صادقين في دعواكم ان مع الله الها اخر قل لا يعلم من في
السموات والارض الغيب الا الله من فاعل يعلم والغيب وهو ما لم يقم عليه دليل ولا
اطلع عليه مخلوق مفعوله والله بدل من من والمعنى لا يعلم احد الغيب الا الله ثم ان الله
تعالى ان يكون ممن في السموات والارض ولكنه جاء على لغة بني تميم حيث يجرون الاستثناء
المنقطع مجرى المتصل ويجيزون النصب والبدل في المنقطع كما في المتصل يقولون ما في الدا [ر]
احد الا حمار نزلت في المشركين حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة وما
يشعرون ايان يبعثون بل ادرك اي انتهى وتكامل من ادركت الفاكهة نضجا وقرئ
ادارك اي استحكم واصله تدارك فادغمت التا في الدال وزيدت الف الوصل لتمكن التكلم بها
علمهم في الاخرة اي في شان الاخرة والمعنى ان اسباب استحكام العلم وتكامله بان القيامة
كائنة لا ريب فيها قد حصلت لهم ومكنوا في معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك قوله •
بل هم في شك منها بل هم منها عمون والاضرابات الثلاث تنزيل لحالهم وتكرير لجهلهم وصفهم
اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيامة كائنة لا ريب فيها قد حصلت لهم

ثم بانهم يخبطون في شك ومريبة فلا يزيلونه والازالة مستطاعة ثم بما هو اسوء حالا وهو العمي
وقد جعل الاخرة مبدا اعمالهم ومنشاه فلهذا عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزا
هو الذي منعهم عن التدبر والتفكر وجاز ان يكون وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكما
بهم وذلك حيث شكوا وعموا اثباته الذي الطريق الى علمه مسلوك فضلا ان يعرفوا وقت
كونه الذي لا طريق الى معرفته ويجوز ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفني من قولك ادركت
الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسرها الحسن باضمحل علمهم وتدارك
من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك وقال الذين كفروا ايذا كنا ترابا واباؤنا
اينا لمخرجون اي من القبور احياء وتكرير حرف الاستفهام وان ولام الابتدا كل منها
بمنعه عن العمل فيما قبل والضمير في اينا لهم ولا بائهم لان كونهم ترابا قد تناولهم وابائهم
ولكن غلبت الحكاية على الغائبة واباؤنا عطف على الضمير في كنا لان المفعول جري مجري
التاكيد لقد وعدنا هذا اي البعث نحن واباؤنا من قبل من قبل محمد صلى الله
عليه وسلم قدم هنا هذا على نحن واباؤنا وفي المومنون اخره ليدل على ان المقصود بالذ
هنا البعث وثم المبعوث ان هذا الا اساطير الاولين ما هذا الا احاديثهم واكاذيبهم
قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين اي اخر الكافرين وفي ذكر
الاجرام لطف بالمسلمين في ترك الجرايم كقوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم ولا تحزن عليهم
لاجل انهم لم يتبعوك او لم يسلموا فلم يسلموا ولا تكن في ضيق في حرج صدر مما يمكرون
من مكرهم وكيدهم لك فان الله يعصمك من الناس ويقولون متى هذا الوعد اي
وعد العذاب ان كنتم صادقين ان العذاب نازل بالمكذب قل عسى ان يكون
ردف لكم تبعكم ردف يتعدى بنفسه وباللام ومن وهم ان تعديته باللام تتضمن معنى دنا
دني فقد وهم لان ذلك المعنى حاصل لردف ثم ان تعديته دني وقرب بمن لا باللام
بعض الذي تستعجلون استعجلوا العذاب الموعود وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل
وسوف في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الامر وجده وعلى ذلك جري وعد الله تعالى
ووعيده وان ربك لذو فضل افضال على الناس بترك المعاجلة في العذاب
ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي اكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه بل
يستعجلون بجهلهم وقوع العذاب وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم قال الرماني
الاكنان جعل الشي بحيث ما يحفيه لا يلحقه اذى بمانع يصدن عنه وما يعلنون يظهرون
فليس تاخير العذاب عنهم لخفاء حالهم ولكن له وقت مقدر وما من غايبة في السما والارض
سمي الشي الذي يغيب غايبة وخافية والتا فيهما كالتا في العاقبة والعافية ونظايرهما
الرمية والذبيحة والنطيحة في انها اسما غير صفات ويجوز ان يكون صفتين وتاؤهما للمبالغة

كالراوية

كالراوية الا في كتاب مبين بين او مبين ما فيه لمن يطالعه والمراد من الكتاب اللوح
ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اي يبين والقصص كلام يتلو بعضه بعضا
فيما ينبي عن المعني اكثر الذي هم فيه يختلفون كالتشبيه والتنزيه واحوال الجنة والنار
وعزير والمسيح والاختلاف ذهاب كل واحد الى خلاف ما ذهب اليه صاحبه وهذا تحريك
للمشركين على اتباع القران فانه لما كان فيه بيان لاهل الكتاب وانهم يرجعون اليهم في كثير من
امورهم فكان حقهم ان يرجعوا اليه لانه مرجع مرجعهم وكان منزلا على نبي منهم وانه لهدى
ورحمة للمؤمنين لانهم هم المنتفعون به ان ربك يقضي بينهم بين من امن بالقران
ومن كفر به بحكمه اي بعدله انه لا يقضي الا بالعدل فسمي المحكوم حكما او بحكمته ويدل
عليه قراة بحكمه جمع حكمه وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم بمن يقضي له وبمن
يقضي عليه فتوكل على الله ولا تبال بمعاداتهم انك على الحق المبين علل التوكل بانه
على الحق الابلج وهو الدين الواضح وفيه بيان ان صاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله تعالى
ونصره انك لا تسمع الموتي تعليل اخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه من مشايعتهم
ومعاضدتهم راسا وانما شبهوا بالموتي لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلي كما شبهوا بالصم في قوله
ولا تسمع الصم الدعا ثم اكد حال الاصم بقوله اذا ولوا مدبرين لانه اذا تباعد عن
الداعي بان تولي عنه مدبرا كان ابعد عن ادراك صوته وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم
الهداية لا يلزمها الاهتدا دل على ذلك قوله تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمي على
الهدي فلا جرم زيد قوله عن ضلالتهم حتي يكون المعنى الهداية المنجية عن الضلالة
لا مطلق الهداية لانها غير ممتنعة في حق العمي ان تسمع اي ما يجدي اسماعك الا
من يؤمن باياتنا الا الذين يصدقون بان القران كلام الله تعالى اذ ح تثبت نبوته
فيقبل قوله فيجدي اسماعه نفعا فهم مسلمون مخلصون من قوله بلى من اسلم وجهه لله
اي جعله سالما لله خالصا له واذا وقع القول عليهم سمي معني القول ومؤداه وهو
ما وعدوا من قيام الساعة وعذابه بالقول ووقوعه حصوله والمراد مشارفة الساعة وظهور اشراطها
اخرجنا لهم دابة هي الجساسة في الحديث طولها ستون ذراعا ولها اربع قوايم وزغب
وريش وجناحان لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب من الارض اي ارض مكة وروي
انه عليه السلام سيل عن مخرجها فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام
تكلمهم وقري يكلمهم وقال ابو الجوزا سالت عبد الله بن عباس رضي الله عنه تكلمهم او تكلمهم
فقال كل ذلك تفعل تكلم المؤمن وتكلم الكافر وقيل تكلم بالعربية وتقول ان الناس كانوا باياتنا
خروجها وساير احوالها فانها من ايات الله لا يوقنون لا يتيقنون وهو حكاية معني قولها
او حكايتها لقول الله تعالى وعلة خروجها وقري ان بالكسر ثم ذكر قيام الساعة فقال

عامم

كر

ويوم نحشر من كل امة فوجا اي واذكر يوم نجمع من كل امة من الامم زمرة ومن للتبعيض لان
امة كل نبي واهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين ومن في قوله ممن يكذب للتبيين
باياتنا المنزلة على انبيائنا فهم يوزعون يحبس اولهم على اخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقوا
الى موضع الحساب وهذه عبارة عن كثرة العدد وكذا الفوج عن الجماعة الكثيرة حتى اذا
جاؤا حضروا موقف الحساب والسؤال قال لهم تعالى تهديدا اكذبتم باياتي
المنزلة على رسلي ولم تحيطوا بها علما الواو للحال كانه قال اكذبتم بادي الراي من غير فكر
ولا نظر يؤدي الى احاطة العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او التكذيب او للعطف
اي اجمعتم بين التكذيب وعدم الغاء الاذهان لتحقيقها اماذا كنتم تعملون ام اي شيء
كنتم تعملون بعد ذلك وهو للتبكيت اذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون ان
يقولوا فعلنا غير ذلك وان جاز دخول ام على ما الاستفهامية لهذه النكتة فانها خرجت عن
حقيقة الاستفهام الى البيت في الحكم لا بالمعادل بل بالاول ووقع القول عليهم بما ظلموا
حل بهم العذاب الموعود بسبب ظلمهم وهو تكذيب فهم لا ينطقون فيشغلهم عن النطق
والاعتذار قال تعالى هذا يوم لا ينطقون الم يروا ليتحققوا التوحيد ويرشدهم الى
تجويز الحشر وبعثة الرسل انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه بالنوم والقرار والنهار مبصرا
جعل الابصار للنهار وهو للمبالغة فيه جعل الابصار حالا من احوال المحمول بحيث لا ينفك
عنها وهذا من باب ما حذف من احد المتقابلين ما اثبت في الاخر فالتقدير جعلنا الليل مظلما
ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ليتصرفوا فيه ومن غفل عن هذا قال والتقابل مراعي من حيث
المعنى لان معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب ان في ذلك لايات
لدلالتها على الامور الثلاثة لان معنى الم يعلموا انا جعلنا الليل والنهار قواما لمعاشهم
في الدنيا ليعلموا ان ذلك لم يجعل عبثا بل محنة وابتلاء ولا بد عند ذلك من ثواب وعقاب
فاذا لم يكونا في هذه الدار فلا بد من دار اخرى للثواب والعقاب لقوم يؤمنون
خصوا بتلك الايات لاختصاص الانتفاع بها لهم ويوم ينفخ في الصور هو قرن والنافخ
اسرافيل عليه السلام وروى ابو هريرة رضي الله عنه انه قال ينفخ ثلاث نفخات الاولى
نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة البعث كما قيل انه تمثيل لانبعاث الموتى
بانبعاث الجيش اذا نفخ في البوق ليس بذلك ففزع الفزع والجزع اخوان لكن الفزع ما
يعتري من الشيء المخيف والجزع ما يعتري من الشيء المولم من في السموات ومن في الارض
من الهول وعنه عبر بالماضي للاشعار بصحة وقوعه وانه كائن لا محالة ولا حاجة الى هذا
الاشعار في الاول لانه مضى الفزع فالقطع بوقوع هذا يقتضي القطع بوقوع ذلك الا
من شاء الله ان لا يفزع بان ثبت الله تعالى قلبه قالوا جبريل واسرافيل وميكائيل وملك الموت

فخ

عليهم السلام وكل اتوه بعد النفخة الثانية وراجعون الى امره داخرين صاغرين
وترى الجبال تحسبها حال من المخاطب جامدة واقفة ممسكة عن الحركة من جمد في مكانه
اذا لم يبرح وهي تمر مر السحاب اي مثل مر السحاب والمعنى انك اذا رايت الجبال وقت
النفخة ظننتها ثابتة في مكان واحد وهي تسير سيرا سريعا كالسحاب اذا ضربته الريح وهكذا
الاجرام المتلاصقة المتكاثرة العدد اذا تحركت لا تكاد تبين حركتها صنع الله مصدر
عمل فيه ما دل عليه تمر لان المرور كمر السحاب من صنع الله تعالى فكانه قيل صنع صنعا وذكر
اسم الله لانه لم يذكر قبل الذي اتقن كل شيء اي احكم صنعه ولقد اصاب عبارتا الصنع
والاتقان محزهما وذلك ان بقاء صورة الجبال بعد ما تخلخلت وصارت كالعهن المنفوش
دلت على كمال الاتقان من جهة الصنع وهو تركيب الصورة في المادة وهذا الاتقان يشمل
كل شيء قويا كان تركيبه او ضعيفا انه خبير بما يفعلون عالم بظواهر الافعال وبواطنها
فيكافئهم على حسب ذلك ثم لخص ذلك بقوله من جاء يوم القيمة بالحسنة قال
اكثر المفسرين الحسنة ههنا كلمة الاخلاص والسيئة ضدها وهو الشرك لانه قال في جزائها
فكبت وجوههم في النار فله خير منها اي خير حاصل من جهتها وهم من فزع
اي من فزع شديد مفرط الشدة وهو خوف النار او من فزع ما وان قل وقرئ بالاضافة
الى يومئذ لانه جعل يوم مع ان كالاسم الواحد والمراد يوم القيمة امنون امن
يعدى بالجار وبنفسه كقوله تعالى افامنوا مكر الله ومن جاء بالسيئة فكبت يقال
كبه واكبه اذا انكسه وجوههم انفسهم يعبر عن الجملة بالوجه كما يعبر بالرقبة والراس
عنها في النار اي القوا على رؤسهم فيها ويقال تبكيتا عند الكب هل تجزون الا ما كنتم
تعملون في الدنيا من الشرك والمعاصي انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة مكة
خصها من بين البلاد باضافة اسمه اليها لانها احب بلاده اليه واعظمها عنده واشار
اليها بقوله هذه اشارة تعظيم لها وتقريب دال على انها موطن نبيه عليه السلام ومهبط
وحيه الذي حرمها حرما امنا وله كل شيء خلقا وملكا وصف ذاته بالتحريم الذي
هو خاص وصفها وجعلها داخل كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها
تحتها ولا خفاء في ان اجراء الوصف على الله تعالى تعظيم لشان الوصف ولشان ما تعلق
به الوصف وزيادة اختصاص له بمن اجري عليه الوصف وجعل ذلك كالمسلم المفروغ
عنه ولا كذلك لو قيل التي حرمها ووصف البلدة تخصيصا او مدحا وامرت ان اكون
من المسلمين المنقادين وان اتلو القران من التلاوة او من التلو لقوله تعالى
واتبع ما يوحى اليك امر رسوله بان يقول امرت ان اخص الله تعالى وحده بالعبادة ولا اتخذ
له شريكا كما فعلت قريش وان اكون من الحنفاء الثابتين على ملة الاسلام وان اتلو القران

طنها

س

المذنبين

لاعرف الحلال والحرام وساير الاحكام وما يقتضيه الاسلام فمن اهتدي باتباعه
اياي في ذلك فانما يهتدي لنفسه فمنفعة اهتدايه راجعة اليه لا الي ومن ضل
بمخالفتي وحذف جواب هذا الدلالة مقابله عليه اي فمضرة ضلاله راجعة اليه لا الي
وانما حذف ذلك واقيم تعليله مقامه وهو قوله فقل انما انا من المنذرين اي فلا علي
انا الا رسول منذر وما علي الرسول الا البلاغ وقل الحمد لله ثم امران يحمد الله تعالي
علي نعمة النبوة او علي التوفيق للعلم والعمل به سيريكم اياته القاهرة في الدنيا او في
الاخرة فتعرفونها تعرفون انها ايات الله ولكن حين لا تنفعكم المعرفة وما ربك
بغافل عما تعملون فلا يغرنكم تاخير العقوبة فانه امهال لا اهمال

سورة القصص ثمان وثمانون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك ايات الكتاب المبين ابان لازم ومتعد اي مبين خيره وبركته ومبين بما
بهم بيانه والبيان اظهار المعنى للنفس بما يميزه عن غيره مشتق من ابنت كذا فصلته منه
نتلو عليك اي نقرا جبريل عليه السلام بامرنا ومفعول نتلو من نبا النبا الخبر
عما هو عظيم الشان موسي وفرعون استيناف مبين لذلك البعض اي نتلو عليك
بعض خبرهما بالحق اي محقين لقوم يومنون لانهم هم المنتفعون به
ان فرعون علا تعاظم في الارض تعني مصر وانما عبر عنه بما هو اسم للجهة السفلي
اشعارا انه اظهر بضد ما يليق بشانه وجعل اهلها شيعا فرقا بان اغرا بينهم العداوة
كيلا يتفقوا فهو كالتمهيد لما استانف باخباره في قوله يستضعف طايفة هم بنو اسرائيل
منهم من الشيع المذكورة فانهم لو كانوا متفقين لما تيسر له ذلك يذبح ابناءهم ويستحيي
نساءهم بدل من الاستيناف وقد تقدم في سورة الاعراف انه كان من المفسدين
من زمرة المعروفين بالفساد فلذلك اجترا علي قتل خلق كثير لتخيل فاسد ونريد حكاية
حال ماضية معطوفة علي ان فرعون علا من حيث انهما وقعا تفسيرا للنبا او حال من يستضعف
ويجوز ان يتحقق تعلق الارادة بشيئين في زمان مترقب وهذا لتكون نعمة المنة او مع
وسلطان التقدير علي التدبير الظاهر ان نمن نتفضل عليهم بانقاذهم من باسه علي
الذين استضعفوا وانما قال في الارض مع عدم الحاجة اليه ههنا ليلتئم بجعل النعم
في الوارثين عوضا عن الاضافة اليها ونجعلهم ايمة مقدمين في امر الدنيا والدين
ونجعلهم الوارثين اي يرثون الارض المعهودة لما كانت لورثائه في سبب الاستحقاق
والملك حيث لا يعقب بفسخ ولا استرجاع ولا يبطل برد واسقاط واستعير لاستحقاقهم
بمن الله تعالي ونمكن لهم اصل التمكين ان يجعل للشي مكانا يقعد عليه ويرقد فيه ثم
استعير للتسليط واطلاق الامر في الارض اظهر من مقام الاضمار تفخيما للشان بتلك الارض

ونري فرعون وهامان كان هامان وزير فرعون مدبر ملكه فلذلك اشركه في اضافة
الجنود اليهما في قوله وجنودهما منهم من بني اسرائيل ويتعلق بنري دون يحذرون
لان الصلة لا تتقدم علي الموصول ما كانوا يحذرون من ظهور موسي عليه السلام واما
ذهاب ملكهم وهلاكهم مما راوه بهم الحذر التوقي من الضرر وزيادة كان لبيان استمرارهم
مدة مديدة علي ذلك الحذر واوحينا الي ام موسي قد تقدم تفسيره في سورة طه
ان ارضعيه ان اي بذلك فهو ان تفسيرية او مصدرية فاذا خفت عليه من القتل
بان يسمع الجيران صوته فينموا عليه فالقيه في اليم ولا تخافي الغرق والضياع ولا تحزني
بفراقه والاخطار به الخوف غم يلحق لمتوقع والحزن غم يلحق لواقع انا رادوه اليك
بوجه لطيف لتربيته وجاعلوه من المرسلين في هذه الايتين امران ونهيان وخبران وبشارة
فالتقطه الفا فصيحة تفصح عن محذوف تقديره فارضعته الي ان خافت عليه فالقته في
اليم فالتقطه آل فرعون اخذوه وقد وجدوه من غير طلب هو معني الالتقاط ومنه
اللقيطة واللقط ليكون لهم ليصيروا الامر الي ذلك لا انهم اخذوه له كقولهم للموت
ما تلد الوالدة ومن هذا سموا هذه اللام لام العاقبة والصيرورة عدوا وحزنا وهما
لغتان كالعدم والعدم ان فرعون وهامان وجنودهما اي هامان مدبر ملك فرعون
وسايس جنده فلذلك اضافهم اليهما كانوا خاطئين مذنبين فعاقبهم الله تعالي بان ربي
عدوهم وهو سبب هلاكهم علي ايديهم وكانوا خاطئين في كل شي فليس خطاؤهم في تربية عدو
ببدع منهم وقري خاطين بتخفيف خاطئين او خاطين الصواب الي الخطا وقالت امراة فرعون
اي لفرعون حين اخرجه من التابوت قرة عين لي ولك اي هو قرة عين لنا لانه لما راه حين
اخرج من التابوت وفي الحديث انه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله كما هداها
لا تقتلوه بلفظ الجمع للتعظيم عسي ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن ودلايل النفع
وذلك لمارات بره البرص بريقه او نتخذه ولدا او نتبناه فانه اهل لذلك وهم لا
يشعرون حال وذو حالها ال فرعون وتقدير الكلام فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا
وحزنا وقالت امراة فرعون كذا وهم لا يشعرون انهم علي خطا عظيم في التقاطه ورجا النفع في
تبنيه وقوله ان فرعون جملة معترضة واقعة بين المعطوفين موكدة بمعني خطابهم وقيل هو تمام
كلام امراة فرعون اي نتخذ ولدا والناس لا يشعرون انه ملتقط بل يظنون انه ولدنا واصبح
فواد ام موسي معطوف علي محذوف دل عليه مساق الكلام فارغا صفرا من العقل لما
دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد ال فرعون وقيل من الهم لفرط وثوقها بوعد الله
او لسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه ويابيه قوله ليكون من المومنين ورده علي الثاني
قوله وقالت لاخته قصيه ان مخففة من الثقيلة اي انها كادت لتبدي به لتظهر

ه والضمير لموسى والمراد امره والباصلة لولا ان ربطنا على قلبها الربط على القلب تقوية
بالهام الصبر والثبات لتكون من المؤمنين من المصدقين بوعدنا وجواب لولا محذوف
اي لابدت وقالت لاخته قصيه اي اتبعي اثره يعني اثر المنقطعين به وتتبعي خبره فبصرت به
اي راته والعافصية عن جنب عن بعد اثره وهم لا يشعرون اي آل فرعون لا يعلمون
انها اخته وحرمنا عليه المراضع تحريم منع لا تحريم شرع اي منعناه ان يرضع ثديا غيره والمراضع
جمع مرضع وهي المراة التي ترضع او جمع مرضع وهو موضع الرضاع يعني الثدي او الارضاع
ولا يلايمه الجمع من قبل اي ان راته اخته فقالت اخته وقد دخلت دار فرعون
بين المراضع وراته لا يقبل ثديا هل ادلكم على اهل بيت احترزت به عن الرق ودناءة
الاصل فانهما مما يحترز عنه في امر الرضاع يكفلونه لكم بالارضاع وغيره وهم له ناصحون
النصح اخلاص العمل من شائبة الفساد وهو نقيض الغش روي ان هامان لما سمعها قال انها
لتعرفه واهله خذوها حتى تعرف بحاله فقالت انما اردت وهم للملك فامرها فرعون بان تاتي
بمن يكفله فاتت بامها وموسى على يد فرعون يبكي ويعلله فلما وجد ريحها استانس والتقم
ثديها فقال لها من انت فقد ابى كل ثدي الا ثديك فقالت انا امراة طيبة الريح طيبة اللبن
ما اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها فرجعت الى بيتها من يومها وهو قوله
فرددناه الى امه كي تقر عينها بالمقام معه ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق
علم مشاهدة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان وعده حق فيرتابون فيه وفيه التعريض
بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فزعت ولما بلغ اشده مبلغه الذي لا يزيد عليه نشوه
وذلك يختلف باختلاف الاعضاء والاقاليم واستوى اعتدل وتم استحكامه اتيناه
حكما حكمة وعلما فقها في الدين قبل ان يبعث نبيا وكذلك نجزي المحسنين على احسانهم
ودخل المدينة مدينة فرعون وهي منف بعدما غاب مدة على حين غفلة من اهلها
وهو وقت القايلة وقيل بين العشاءين ويا باه قوله واستنصره بالامس وانما قال حين غفلة
لان الغفلة هي المقصودة فصار هذا كما تقول جئت على غفلة بخلاف ما اذا اضيف الى ما
ليس بمقصود كما اذا قلت جئت حين غروب الشمس فانه لا يجوز ان يقال جئت حين غروب الشمس
قيل لما اوتي موسى عليه السلام حكما وعلما عاب ما عليه قوم فرعون وفشا ذلك فاخافوه
وخافهم فكان لا يدخل المدينة الا خايفا مستخفيا فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من
شيعته وهذا من عدوه احدهما سبطي والاخر قبطي والاشارة على الحكاية وفي عبارة
العدو بفرع دلالة على ما نقلناه انفا فاستغاثه فساله ان يغيثه بالاغاثة ولذلك
عدي بعلى الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى اي دفع صدره بجمع
كفه فقضى عليه فقتله واصله انهى حياته من قوله وقضينا اليه ذلك الامر قال هذا

من عمل الشيطان اشارة الى القتل الحاصل بغير قصد وانما جعل قتل الكافر من عمل الشيطان
وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه لانه لم يؤذن له في القتل وعن ابن جريج ليس لنبي ان يقتل ما لم
يؤمر ولا يقدح ذلك في عصمته عليه السلام لكونه خطاء انه عدو مضل مبين ظاهر الاضلال
ويلزمه ظهور العداوة بدون العكس قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو
الغفور لذنوب المستغفرين الرحيم بهم قال رب بما انعمت علي بم جوابه محذوف
تقديره اقسم بانعامك علي بالمغفرة وغيرها لاتوبن فلن اكون ظهيرا معينا للمجرمين
للكافرين او استعطاف كانه قال رب اعصمني بحق ما انعمت علي من المغفرة فلن اكون ان عصمتني
ظهيرا للمجرمين واراد بظاهر المجرمين صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثيره سواده
حين كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وقيل اراد به اني لا اعين بعد هذا سبطيا وكانوا منذ
كفارا او يعني من شيعته من قرابته المنتسبة له نسبا لا دينا قال ابن عباس لم يستثن اي لم
يقل ان شاء الله فابتلي ثانية فاصبح في المدينة خايفا من قتل القبطي يترقب ينتظر
ما يحدث بعده فاذا الذي للمفاجاة وما بعدها مبتدا استنصره بالامس يستصرخه
يصيح به من بعيد مستغيثا من قبطي اخر قال له اي لذلك السبطي موسى انك لغوي
مبين بين الغواية لانك تشاجر من لا تطيقه وقيل لانك تسببت لقتل رجل وتقاتل اخر
ولا يناسبه فلما ان اراد ان يبطش بان تذكر موسى عليه السلام لتسببه لذلك المحذور
باعث الاحجام لا باعث الاقدام وانما زيدان للتاكيد والتقوية بمعنى الارادة والمقام يقتضيها
وذلك ان ارادة البطش حسنت على حقيقتها لانها لا يصلح ان تكون سببا للخوف بل كناية
عن بسط اليد نحو المقصود بالبطش والتي تتبعها الفعل وترادفها انما هي لارادة المبالغة
الى حد العزم لا لمطلق الارادة بالذي اي بذلك القبطي الذي هو عدو لهما
لموسى عليه السلام والسبطي قال السبطي لموسى عليه السلام وقد توهم انه اراد اخذه
لا اخذ القبطي حيث اغلظ له في القول اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس اي
ما تريد الا ان تكون جبارا الجبار فعال من الجبروت على الامر بمعنى جبره وهو الذي يجبر
الناس على ما يريد في الارض ارض مصر وما تريد ان تكون من المصلحين بين الناس
فتدفع التخاصم بالتي هي احسن وكان قتل القبطي بالامس قد شاع ولكن خفي قاتله فلما
افشى على موسى عليه السلام علم القبطي ان قاتله موسى فاخبر ملا فرعون فهموا بقتله
فخرج مؤمن آل فرعون وهو ابن عمه يخبره كما قال وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى
يسرع صفة لرجل او حال منه اذا جعل من اقصى المدينة صفة له لا صلة لجاء لان تخصيصه
بها يلحقه بالمعارف قال يا موسى ان الملا ياتمرون بك ليقتلوك يتشاورون بسببك
وانما سمي التشاور ايتمارا لان كلا من المتشاورين يامر الاخر وياتمر فاخرج من المدينة

اي لك من الناصحين اللام للبيان وليس تصلح للناصحين لان معمول الصلة لا يتقدم
على الموصول فخرج منها خائفا يترقب التعرض له او ان يلحقه من يطلبه قال رب نجني
من القوم الظالمين خلصني منهم ولما توجه التوجه الاقبال على الشيء تلقاء قبالة
مدين قرية شعيب عليه السلام سميت باسم مدين بن ابراهيم عليه السلام ولم تكن في سلطان
فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمانية ايام قال ابن عباس رضي الله عنهما خرج ولم يكن
له علم بالطريق الا حسن ظن بربه قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل اي وسطه ومعظم
نهجه فجاءه ملك فانطلق به الى مدين ولما ورد ماء مدين ماءهم الذي يسقون منه
وكان بئرا وجد عليه وجد فوق شفيرها امة من الناس يسقون انما قال من الناس
مع ان السقي لا يكون الا منهم تنزيلا لشانهم كانه قيل كانوا لشانهما لا يستحقون الا التعبير باسم
الجنس بل ايهم في ذلك في درجة احتاجوا الى بيان كونهم من جنس الانس يسقون مواشيهم ووجد
من دونهم اي في مكان اسفل من مكانهم امراتين تذودان تطردان عن الماء لعجزهما عن المزاحمة
مع تلك الامة ترك المفعول في يسقون وتذودان لان الغرض هو الفعل لا المفعول اذ هو
يكفي في البعث على سؤال موسى عليه السلام وما زاد على المقصود بعده لكنه مفعولا واما
البعث على وجه الرحمة فليس هذا موضعه فان له قولهما لا نسقي حتى يصدر الرعاء وابونا
شيخ كبير قال موسى عليه السلام ما خطبكما اي ما شانكما تذودان سالهما
عن سبب الذود فاجابا بما مرجعه الى العجز عن المزاحمة والاجتناب عن المخالطة ولما انتجه
ان يقال خدمة السقي كانت للرجال فما بالكم تباشرونها تداركتا عن الاعتذار عنه بما تقدم
ليس لنا راع وابونا شيخ كبير فحذف صدر الكلام الا شيئا في الدلالة الواو والفصيحة في اول
الباقي عليه قالتا لا نسقي غنمنا حتى يصدر الرعاء يصرف الراعي مواشيهم عن الماء
وقرئ تصدر اي تنصرف والرعاء جمع راع وقرئ الرعاء بالضم وهو اسم جمع كالرجال وابونا
عطف على محذوف بيناه انفا شيخ كبير في السن لا يقدر على الرعي والسقي فسقى لهما
غنمهما لاجلهما رغبة في المعروف واغاثة للملهوف روي انه كانت ثمة بئر اخرى عليها صخرة
فاقلها وحده واستقى منها ثم تولى الى الظل الى الشجرة فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير
محتاج الى الطعام قيل كان لم يذق طعاما سبعة ايام وقد لصق ظهره ببطنه فقد كان يكفيه
رب اني فقير لانه قدم بيان سبب حاجته تمهيدا للاعتذار كما ارتكبه من مخالفة المعتاد بالخروج
الى السفر البعيد بلا زاد ومراده من المنازلة المذكورة مما ابتلاه الله تعالى من قتله القبطي
فانه كان سببا للتوهم به من مصر بلا تدارك لعدة السفر وانما بينه بقوله من خير فقال لما
تبرا من ظاهره التشكي وانما جزم بكونه خيرا لما اختاره الله تعالى فجاءته احداهما الفاء
فصيحة روي انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا

رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه لي تمشي على استحياء اي مستحية
قالت ان ابي يدعوك ليجزيك ليكافيك اجر ما سقيت لنا جزاء سقيك لنا روي
انها لما قالت ليجزيك اجر ما سقيت لنا كره ذلك وانما اجابها لئلا يخيب قصدها لان للقاصد
حرمة ولما وضع شعيب الطعام بين يديه امتنع فقال شعيب عليه السلام الست جائعا
فقال بلى ولكني اخاف ان يكون عوضا عما سقيت لهما وانا اهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا
ولا ناخذ على المعروف ثمنا فقال شعيب عليه السلام هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا
فلما جاءه الفاء فصيحة اي اجابها موسى عليه السلام فلما جاء اباهما وقص عليه
القصص القصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص قال لا تخف نجوت من القوم
الظالمين اذ لا سلطان لفرعون بارضنا قالت احداهما يعني التي استدعته
يا ابت استاجره لرعي الغنم ان خير من استاجرت القوي الامين تعليل جامع يجري
مجرى الدليل على انه حقيق بالاستيجار وللمبالغة فيه جعل خير اسما لان وذكر الفعل بلفظ
الماضي للدلالة على انه مجرب معروف روي ان شعيبا عليه السلام قال لها وما علمك
بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر وانه صوب راسه حين بلغته رسالته وامرها بالمشي
خلفه قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين لا دلالة فيه على
انه كانت له غيرهما اذ يكفي في الحاجة الى الاشارة عدم علم المخاطب بانه ما كانت له غيرهما
على ان تاجرني من اجرته اذا كنت اجيرا له ثماني حجج ظرف والحجة السنة لان في كل
سنة حجة فسموها بها لتضمنها اياها تعظيما لها والمعنى على ان تجعل اجري على تزويجي
اياك ابنتي رعي ماشيتي ثماني سنين والتزويج على رعي الغنم جائز في شريعتنا ايضا
فان اتممت عشرا اي عمل عشر حجج فمن عندك اي فذلك تفضل منك ليس بواجب
عليك اتمامه او فاتمامه من عندك ولا احتمه عليك ولكنك فان فعلته فمن عندك تفضل
وتبرع وما اريد ان اشق عليك بالزام اتم الاجلين والمناقشة في مراعاة الاوقات
واستيفاء الاعمال وحقيقة شق عليه الامر انه شق ظنه فكانه شق عليك ظنك باثنين تقول
تارة اطيقه وتارة لا اطيقه ستجدني ان شاء الله من الصالحين في حسن المعاملة
والوفاء بالعهد ويجوز ان يراد الصلاح على العموم ويدخل تحته المعاملة والمراد باشتراط المشيئة
الله تعالى فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيق الله تعالى ومعونته قال موسى عليه السلام
ذلك مبتدا وهو اشارة الى ما عاهده عليه شعيب عليه السلام والخبر بيني وبينك
يعني ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه لا انا
عما شرطت علي ولا انت عما شرطت على نفسك ثم قال ايما الاجلين قضيت اي نصب بقضيت
وما زائدة مؤكدة لابهام اي وهي شرطية وجوابها فلا عدوان علي اي لا تعتدي علي

في طلب الزيادة قال المبرد وقد علم انه لا عدوان عليه في اتمهما ولكن جمعهما ليجعل الاقل
كالاتم في الوفا كما ان طلب الزيادة على الاتم عدوان فكذا طلب الزيادة على الاقل والله
على ما نقول من المشارطة وكيل هو من وكل اليه الامر وعدي بعلى لانه استعمل في
موضع الشاهد والرقيب فلما قضى موسى الاجل قال عليه السلام قضى اوفاهما وتزوج صفورا
وسار باهله بامرأته نحو مصر انس من جانب الطور من الجهة التي تلي الطور نارا
قال لاهله امكثوا اثبتوا مكانكم اني انست من جانب الطور نارا لعلي اتيكم منها بخبر
مر تفسيره او جذوة بفتح الجيم وكسرها وضمها قطعة غليظة من الحطب كانت في رأسه
نار او لم يكن ولذلك بينه بقوله من النار لعلكم تصطلون فلما اتاها نودي من شاطئ
الوادي الايمن اي النداء من الشاطئ الايمن لموسى عليه السلام في البقعة المباركة
بتكليم الله تعالى فيها متصل بالشاطئ او صلة لنودي من الشجرة بدل من الشاطئ
بدل اشتمال لانها كانت نابتة على الشاطئ ان يا موسى ان مفسرة او مخففة من الثقيلة
اني انا الله رب العالمين هذا يوافق ما في سورة طه والنمل وان خالفه في اللفظ لما دنى من النار
شملته انوار القدس واحاطت به جلابيب الانس فخاطب بالطف خطاب واستدعى منه احسن
جواب فصار بذلك مكلما شريفا اعطي ما سأل وامن مما خاف وان الق عصاك ونودي
ان الق عصاك فالقاها فقلبها الله ثعبانا فلما رآها تهتز الفا فصيحا الاهتزاز شدة
الاضطراب كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب مر تفسيره يا موسى اقبل ولا تخف انك من
الامنين من المخاوف اسلك يدك في جيبك قال في سورة النمل وادخل يدك في جيبك
عطفا على قوله الق وترك العطف ههنا لئلا يذهب الى عطفه على اقبل تخرج بيضاء من غير سوء
مر تفسيره واضمم اليك جناحك اريد بضم جناحه اليه تجلده وضبط نفسه عند خروج
يده بيضاء حتى يتحير ولا يضطرب من الخوف فاستعارة من هيئة الطائر فانه اذا طار نشر جناحيه
وانحاها والا فجناحاه مضمومتان اليه مستمران فهذا القول هنا بمنزلة قوله ولا تخف
انك من الامنين فيما تقدم من الرهب من اجل الرهب جعل الرهب الذي كان يصيبه سببا
وعلة فيما امر به من ضم جناحيه اليه والرهب الخوف مع تحرز واضطراب فذانك مخففا
مثنى ذا ومشددا مثنى ذلك واحدى النونين عوض عن اللام المحذوفة والمراد اليد والعصا
برهانان حجتان نيرتان وبرهان فعلان لقوله ابره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره
الرجل اذا ابيض وقيل فعلال من قولهم برهن من ربك مرسلا بهما الى فرعون وملائه
انهم كانوا قوما فاسقين فكانوا احقا بان نرسل اليهم قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف
ان يقتلون بها واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا الردء العون الذي
يدفع الشر عن صاحبه لشدة العضد لانه قوام اليد يصدقني اي ردءا مصدقا وقوي

بالجزم جوابا للارسلة ومعنى تصديقه موسى عليه السلام اعانته اياه بزيادة البيان
في مظان الجدال ان احتاج ليثبت دعواه اني اخاف ان يكذبون تعليل يقوم مقام
الجواب المحذوف على قراءة يصدقني بالرفع قال سنشد عضدك باخيك سنقويك
به اذ اليد تشتد لشدة العضد لانه قوام اليد والجملة تقوى لشدة اليد على مزاولة الامور
ونجعل لكما سلطانا غلبة وتسلطا او حجة فلا يصلون اليكما باستيلاء او حجاج
باياتنا متعلق بيصلون اي لا يصلون اليكما بسبب اياتنا او قسم جوابه محذوف وهو لا
يصلون حذف لدلالة ما قبله عليه او بيان للغالبون في قوله انتما ومن اتبعكما الغالبون
لا صلة له بل للذي يبينه وهو الغالبون المقدر على ان اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذي
لامتناع تقدم الصلة على الموصول ومعمول الصلة في حكمها فلما جاءهم موسى باياتنا
بينات واضحات قالوا ما هذا الا سحر مفترى يختلقه من قبل مثله او سحر تعمله ثم تفتريه
على الله تعالى او سحر موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر وما سمعنا بهذا يعنون
السحر او ادعاء النبوة في ابائنا الاولين حال منصوب عن هذا اي كائنا في زمانهم
يعني ما حدث بما يكون فيهم وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده فيعلم اني محق
وانتم مبطلون وقرئ بغير واو لانه قال جوابا لمقالهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين
ليوازن الناظر فيهما فيميز صحيحهما من الفاسد ومن تكون له عاقبة الدار العاقبة المحمودة
فان المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها خلقت مجازا الى الاخرة والمقصود
منها بالذات هو الثواب والعقاب انما قصد بالعرض انه لا يفلح الظالمون لا يفوزون
بالهدى في الدنيا وحسن العاقبة في العقبى والاتيان بصيغة الجمع للايذان بان جمعهم لا يغنيهم
وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري نفى علمه باله غيره دون وجوده اذ لم
يكن عنده ما يقتضي الجزم ولما كان الظاهر من نفي العلم في مقام يقتضي نفي الوجود على تقدير
ثبوته عند اشتباه الحال فرع الامر عليه ببناء الصرح ليصعد عليه ويطلع على حقيقة الحال
فاوقد لي يا هامان على الطين قيل اول من اتخذ الاجر فرعون ولذلك نادى يا هامان
باسمه بيا في وسط الكلام وامره بما يؤمر به السوقة فاجعل لي صرحا الصرح البناء العالي
ومنه التصريح لشدة ظهور المعنى لعلي اطلع الطلوع والاطلاع الصعود وتعديته
بالى واما تعديته بعلى فباعتبار تضمينه معنى الاشراف الى اله موسى حسبانه في مكان
كما كان هو فيه واني لاظنه من الكاذبين في دعواه ان له الها وانه ارسله الينا رسولا
والظن هنا ليس بمعناه المتعارف المصطلح وهو الاعتقاد الراجح بل بمعناه اللغوي وهو
ما لا يكون بجانبه سواء كان راجحا او مرجوحا او مساويا واستكبر هو وجنوده في الارض
ارض مصر بغير حق بالباطل لانه كان بغير استحقاق فان الاستكبار بالحق لله تعالى

وظنوا عبر عن اعتقادهم وان كان جازما بالظن تحقيرا له انهم الينا لا يرجعون يوم القيمة وهذا بعذرهم بالجهل وترك التامل في الايات حتى تعلموا فاخذناه وجنوده اخذ عقوبة فنبذناهم في اليم من الكلام المفخم الذي دل عليه به على عظمة شانه شبههم استقلالا لعظمتهم وان كانوا الجم الغفير بحصيات اخذهن احد بكفه فطرحهن في البحر فانظر يا محمد كيف كان عاقبة الظالمين المكذبين فحذر قومك عن مثلها وجعلناهم ايمة قدوة للضلال بالحمل على الاضلال يدعون الى النار الى موضعها من الكفر والمعاصي ويوم القيمة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة طردا عن الرحمة او لعن اللاعنين تلعنهم الملئكة والمؤمنون ويوم القيمة هم من المقبوحين من المطرودين او ممن قبح بسواد الوجه وزرقة العيون ويوم ظرف المقبوحين ولقد اتينا موسى الكتاب التورية من بعد ما اهلكنا القرون الاولى قوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام بصائر للناس حال من الكتاب والبصيرة نور القلب الذي يبصر به الرشد كما ان البصر نور العين الذي يبصر به يريد اتيناه التورية انوارا للقلوب لانها كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف حقا من الباطل وهدى وارشادا الى الشرايع التي هي سبيل الى الحق ورحمة لانهم لو عملوا بها نالوا رحمة من الله تعالى لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وما كنت يا محمد بجانب الجبل الغربي وهو الذي وقع عليه ميقات موسى عليه السلام فانه كان في شق الغرب من مقامه اي الجانب الغربي منه على انه من قبيل اضافة الشيء الى صفته كقوله ولدار الاخرة اذ قضينا اوحينا الى موسى الامر الذي اردنا تعريفه وما كنت من الشاهدين للوحي اليه او على الوحي عليه وهم نقباؤه السبعون المختارون للميقات والمراد الدلالة على ان اخباره عن ذلك من قبيل الاخبار عن المغيبات التي لا تعرف الا بالوحي ولذلك استدرك عنه بقوله ولكنا انشانا قرونا فتطاول عليهم العمر فحرفت الاخبار وتغيرت الشرايع واندرست العلوم فحذف المستدرك واقيم سببه مقامه متضمنا لدفع ما عسى ان يخطر بالبال من احتمال ان يكون اخباره عليه السلام من ذلك بطريق الاخذ من افواه الرجال وما كنت ثاويا في اهل مدين شعيب عليه السلام والمؤمنون به تتلوا عليهم تعلما منهم اياتنا التي فيها قصة شعيب عليه السلام وقومه وتتلوا في محل نصب خبر ثان او حال من الضمير في ثاويا ولكنا كنا مرسلين اياك ومخبرين بها وما كنت بجانب الطور اذ نادينا موسى ان خذ الكتاب بقوة ولكن رحمة من ربك اي ولكن عرفناك ذلك رحمة منا اظهارا لنبوتك وقريب بالرفع على هذه رحمة لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى عليه السلام وهي خمسمائة وخمسون سنة لعلهم يتذكرون ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم من الكفر والمعاصي

ولما كان اكثر الاعمال تداول بالايدي نسب الاعمال اليها وان كان من اعمال القلوب تغليبا للاكثر على الاقل فيقولوا عند العذاب ربنا لولا ارسلت الينا رسولا لولا الاولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية والفاء الاولى للعطف والثانية جواب لولا لكونها في حكم الامر اذ الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واحد والفاء تدخل في جواب الامر والمعنى لولا قولهم اذا اصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا ارسلت الينا رسولا يبلغنا اياتك فنتبعها ونكون من المصدقين ما ارسلناك اي انما ارسلناك قطعا لعذرهم والزاما للحجة عليهم فان قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الارسال لا القول لدخول لولا الامتناعية عليها دونه قلت القول هو المقصود بان يكون سببا للارسال فادخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء العاطفة تنبيها على السببية المنبهة على ان القول هو المقصود بان يكون سببا بانتفاء ما يجاب به وانه لا يصدر عنهم حتى يلجيهم العقوبة فنتبع اياتك اراد بالايات المعجزات وباتباعها العمل بموجب دلالتها فقوله ونكون من المؤمنين اي من المصدقين برسلك كالتفصيل له فلما جاءهم الحق من عندنا اي القران او الرسول المصدق بالكتاب المعجز قالوا لولا اوتي هلا اعطي مثل ما اوتي موسى من الكتاب المنزل جملة واحدة او من الايات كاليد والعصا اولم يكفروا يعني ابناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة في زمن موسى عليه السلام بما اوتي موسى من قبل من قبل هذا القول قالوا ساحران يعني موسى ومحمد عليهما السلام تظاهرا تعاونا باظهار تلك الخوارق او بتوافق الكتابين وقرئ سحران اي التورية والقران واظهار تظاهرهما او اسناد لاله على سبب الاعجاز وقالوا انا بكل كافرون اي بكل منهما او بكل الانبياء عليهم السلام قل فاتوا بكتاب من عند الله اي اذا كذبتم يا معشر العرب بهذين الكتابين فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما مما انزل على موسى وعلى محمد وانما لدلالة المعنى اتبعه جواب فاتوا ان كنتم صادقين في انهما سحران مختلقان لا هداية فيهما وهذا من الشروط التي يراد بها الالزام والتبكيت وفي مجي حرف الشك نوع تهكم بهم فان لم يستجيبوا لك دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فحذف المفعول للعلم به وهذا الحذف شايع عند ذكر الداعي وتعديته اليه باللام والى الدعا بنفسه واما قول الشاعر فلم يستجبه عند ذاك مجيب فمعناه فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف فلا تعدية فيه الى الحق فاعلم انما يتبعون اهواءهم اذ لو اتبعوا حجة لاتوا بها ومن اضل ممن اتبع هواه استفهام بمعنى النفي بغير هدى من الله في موضع الحال للتاكيد او التقييد لان هوى النفس قد يوافق الحق ان الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم ولقد وصلنا لهم القول التوصيل تكثير الوصل يعني ان القول اتانهم متتابعا في الانزال ليتصل التذكير او في النظم لتقرر الدعوة

بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصايح بالعبر لعلهم يتذكرون ليتذكروا فيفلحوا الذين
اتيناهم الكتاب من قبله من قبل هذا القرآن وخبر الذين هم به يؤمنون نزلت في مؤمني
اهل الكتاب واذا يتلى عليهم قالوا امنا به اي بانه كلام الله تعالى انه الحق من ربنا
استيناف لبيان ما اوجب ايمانهم به انا كنا من قبله من قبل نزول القرآن مسلمين كاينين
على دين الاسلام مؤمنين بمحمد عليه السلام وقوله انه تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله حقيق
بان يؤمن به وقوله انا بيان لقوله امنا لانه يحتمل ان يكون ايمانا قريب العهد فاخبروا ان ايمانهم به
متقادم اولئك يؤتون اجرهم مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن بما صبروا
بصبرهم على الايمان بالتورية والايمان بالقرآن من قبل نزوله وبعد نزوله او بصبرهم على
اذى المشركين واهل الكتاب ويدرؤن بالحسنة السيئة يدفعون بالطاعة المعصية لقوله
عليه السلام اتبع الحسنة السيئة تمحها ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير واذا سمعوا
اللغو اعرضوا عنه تكرما وقالوا للاغين لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم متاركة
وتوديعا ودعاء لهم بالسلامة عما هم فيه لا نبتغي الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريدها
انك لا تهدي من احببت لا تقدر ان تدخله في الهداية فانه شفيع الجناية لا تدرك
الجناية ولكن الله يهدي من يشاء لقد اصاب كل من الحب والمشية محزها وهو
اعلم بالمهتدين بالمستعدين لذلك قال الزجاج اجمع المفسرون على انها نزلت في ابي طالب
وان كانت الصيغة عامة وقالوا ان نتبع الهدى معك ولو قال المشركون يا محمد ان نتبع
الهدى فنكون معك او نتبع الهدى الذي معك نتخطف من ارضنا التخطف الاستيلاء
بسرعة اي نخرج من ارضنا في الحال وهو تعلل فاسد منهم تعلقوا به عند عجزهم عن معارضته
فرد الله عليهم بقوله اولم نمكن لهم اي الم ندفع عنهم شر العرب حرما امنا اي الم نجعل
مكانهم في حرم ذا امن لا يساؤن فيه ولا يغار عليهم ولا يتعرض لهم بمكروه ثم هذا الحرم في
موضع لا ضرع فيه ولا زرع يجبى اليه ثمرات كل شيء اي يجمع ويجلب اليه ارفعه وانفقه
كما يقال ثمرة الكلام ومعنى الكلية الكثرة كقوله واوتيت من كل شيء رزقا مصدر لان يجبى
يجبى اليه يرزق او مفعول لهما او حال من الثمرات من لدنا اي تفضلا منا فاذا كان حالهم
وهم عبدة الاوثان هكذا فكيف يعرضهم للتخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد ولكن
اكثرهم لا يعلمون جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا وقيل متعلق بقوله من لدنا اي
قليل منهم يعرفون بان ذلك رزق من عند الله ليعلموا ان الخوف والامن ايضا من عند الله
وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها وكم من قرية كانت حالهم كحالهم في الامن وخفض
العيش حتى اشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم وكم نصب باهلكنا ومعيشتها بحذف
بحذف وايصال الفعل او بجعلها ظرفا بنفسه كقولك زيد ظني مقيم او بتقدير ظرف الزمان

تكررت الصحيفة سهوا

لان كونه حقا من الله حقيق بان يؤمن به وقوله انا بيان لقوله امنا لانه يحتمل ان
يكون ايمانا قريب العهد وتغيره فاخبروا بان ايمانهم منه متقادم اولئك يؤتون
اجرهم مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن بما صبروا بصبرهم
على الايمان بالتورية والايمان بالقرآن او بصبرهم على الايمان بالقرآن قبل نزوله وبعد
نزوله او بصبرهم على اذى المشركين واهل الكتاب ويدرؤن بالحسنة السيئة يدفعون
بالطاعة المعصية لقوله عليه السلام اتبع الحسنة السيئة تمحها ومما رزقناهم ينفقون
في سبيل الخير واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا للاغين لنا اعمالنا ولكم اعمالكم
سلام عليكم متاركة وتوديعا ودعاء لهم بالسلامة عما هم فيه لا نبتغي الجاهلين
لا نطلب صحبتهم ولا نريدها انك لا تهدي من احببت اي لا تقدر ان تدخل قلب من
احببت نور الهداية فانك شفيع الجناية لا شريك الهداية ولكن الله يهدي من يشاء
لقد اصاب كل من عبارتي الحب والمشية محزها وهو اعلم بالمهتدين بالمستعدين لذلك
قال الزجاج اجمع المفسرون على انها نزلت في ابي طالب وان كانت الصيغة عامة وقالوا
ان نتبع الهدى معك ولو قال المشركون يا محمد ان نتبع الهدى فنكون معك او نتبع الهدى
الذي معك وهو القرآن نتخطف من ارضنا التخطف الاستيلاء بسرعة من ارضنا اي
نخرج منها بسرعة في الحال وهو تعلل فاسد منهم تعلقوا به عند عجزهم عن معارضته فرد الله عليهم
بقوله اولم نمكن لهم اي الم ندفع عنهم شر العرب ولم نمكن لهم حرما امنا اي الم
نجعل مكانهم حرما ذا امن لا يسؤن فيه ولا يغار عليهم ولا يتعرض لهم بمكروه ثم هذا الحرم
في موضع لا ضرع فيه ولا زرع يجبى اليه ثمرات كل شيء اي يجمع ويجلب اليه ارفعه
وانفقه كما يقال ثمرة الكلام ومعنى الكلية الكثرة كقوله واوتيت من كل شيء رزقا
مصدر لان معنى يجبى اليه يرزق او مفعول لهما او حال من الثمرات ان كان بمعنى
مرزوق لتخصصها بالاضافة كما ينتصب عن النكرة المخصصة بالصفة من لدنا
اي تفضلا منا فاذا كان حالهم وهم عبدة الاوثان هكذا فكيف حالهم يعرضهم للتخطف
اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد ولكن اكثرهم لا يعلمون جهلة لا يتفطنون
له ولا يتفكرون ليعلموا وقيل متعلق بقوله من لدنا اي قليل منهم يعرفون بان ذلك رزق
من عند الله اذ لو علموا انه من عند الله ليعلموا ان الخوف والامن ايضا من عند الله ثم
بين ان الامر بالعكس بانهم احقا بان يخافوا من باس الله على ما هم عليه بقوله وكم
اهلكنا من قرية بطرت معيشتها وكم من قرية كانت حالهم كحالهم في الامن وخفض
العيش حتى اشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم وكم نصب باهلكنا ومعيشتها
بحذف الجار وايصال الفعل او بجعلها ظرفا بنفسه كقولك ظني مقيم او بتقدير

او تبعد بظرف الزمان المضاف اصله بطرت ايام معيشتها او مفعول على تضمين بطرت معني
معني كفرت والبطر سوء احتمال الغني وهو ان لا يحفظ حق الله تعالى لما فيه فتلك مساكنهم
منازل باقية الاثار يشاهدونها من بعدهم في الاسفار لم تسكن من بعدهم حال والعا
فيها الاشارة الا قليلا من السكني اي لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما او ساعة
وكنا نحن الوارثين لتلك المساكن من ساكنيها اي لا يملك التصرف فيها غيرنا وما كان
ربك مهلك القري اي ليس في عادته ان يهلك القري حتى يبعث في امها في اصلها
وقصبتها التي هي اعمالها لان اهلها تكون افطن وانبل رسولا يتلوا عليهم اياتنا
لالزام الحجة وقطع المعذرة او ما كان في حكم الله وسابق قضايه اي يهلك قرى الارض
حتى يبعث في ام القرى يعني مكة رسولا وهو محمد عليه الصلوة والسلام والظاهر المناسب
لعبارة ما كان ربك هو الاول وما كنا مهلكي القري الا واهلها ظالمون بتكذيب الرسل
والعتو في الكفر وما اوتيتم من شي في محل النصب على الحال وذو الحال الضمير العا
من العايدين من الصلة الى الموصول اي وما اتيتموه كاينا من شي فمتاع الحيوة الدنيا
اي واي شي اعطيتموه من اسباب الدنيا فما هو الا تمتع وزينة اياما قلايل وهو مدة الحيوة الفا
وما عند الله وهو ثوابه خير من نفسه في ذلك لانه لذة خالصة وبهجة كاملة وابقي
لانه دايم لا ينقطع افلا تعقلون ان الباقي خير من الفاني فتستبدلونه وقري بالياء
التحتانية وهو ابلغ في الفظ افمن وعدناه وعدا حسنا وعدا بالجنة فان حسن الوعد
بحسن الموعد فهو لاقيه مدركه لا محالة لعدم الخلف في وعده كمن متعناه متاع
الحيوة الدنيا ثم هو يوم القيمة من المحضرين للحساب والعذاب والفاء الاولى للترتيب
الانكار المستفاد من الاستفهام والمعني انه لما ذكر التفاوت بين متاع الحيوة الدنيا وما
عند الله عقبه بقوله افمن وعدناه اي ابعد هذا التفاوت الجلي يسوي بين ابناء الدنيا
وابناء الاخرة والفاء الثانية للتسبيب لان الفاء الموعود مسبب من الوعد وثم للتراخي حال
الاحضار عن حال التمتع وقري ثم هو لسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل ويوم يناديهم
نداء توبيخ وهو عطف على يوم القيمة او منصوب باذكر فيقول اين شركاي الذين كنتم تزعمون
اي تزعمونهم شركاي فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما ويجوز حذفهما في باب الظن
وان لم يجز الاقتصار على احدهما قال الذين حق عليهم القول اي وجب عليهم مقتضاه
وثبت وهو قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من ايات الوعيد ربنا هؤلاء
مبتدا والذين صفته و اغوينا اغويناهم خبر المبتدا ويقيد بقوله كما غوينا فاستفيد
من واغوينا صلة للذين والعايد محذوف تقديره اغويناهم من الصلة والكاف في غوينا صفة
لمصدر محذوف تقديره اغوينا فغووا غيا مثل ما غوينا يعنون انا لم نغوا الا باختيارنا فهؤلاء

كذلك غووا باختيارهم لانا اغوينا لم تكن الا وسوسة وتسويلا فلا فرق اذن بين غينا
وغيهم فان تسويلنا وان كان داعيا لهم الى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم الى الايمان
بما وضع فيهم من ادلة العقل وما بعث اليهم من الرسل وانزل عليهم من الكتب فهو كقوله
وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق الى قوله ولوموا انفسكم ويجوز ان
يكون هؤلاء مبتدا والذين اغوينا خبر المبتدا واغويناهم استيناف اخبار تعيد بقوله غووا
تبرانا اليك منهم مما اختاروا من الكفر ما كانوا ايانا يعبدون بل يعبدون اهواءهم
ويطيعون شهواتهم واخلاء الجملتين عن العاطف لكونهما مقررتين بمعني الجملتين الاولي
وقيل للمشركين قل ادعوا شركاءكم اي الهتكم لتخلصكم من العذاب فدعوهم لا لفرط
الحيلة بل الضرورة الامتثال فلم يستجيبوا لا يعجزهم عن الاجابة اذ يومئذ ينطق
كل شي بل العجزهم عن الاستجابة وراوا العذاب الضمير للتابع والمتبوع لو انهم كانوا
يهتدون جواب لو محذوف اي لما راوا العذاب ويوم يناديهم عطف على الاول فانه
تعالي يسيل اولا عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم الانبيا فيقول ماذا اجبتم المرسلين
الذين ارسلوا اليكم فعميت عليهم الانبياء يومئذ اي خفي عليهم الاخبار والاعذار خفا
لا يرجي رواله فلم يستطيعوا ان يجيبوا بما فيه نجاة لهم واتي بلفظ الماضي لتحقق وقوعه
فهم لا يتساءلون لا يسئل بعضهم بعضا عن العذر والجواب رجاء ان يكون عنده ما ليس
عند نفسه لانهم لا يتساءلون في العجز عن ذلك بالسبب المذكور على ما افصح عنه الفاء التفريعية
لا بفرط الدهشة كما توهم فاما من تاب من الشرك واما هذه للاشعار بزيادة اعتناء
بشان ما دخلت عليه فيما سبق له الكلام كقوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ ونصدين
بالفاء التفريعة على ما اقيم مقام قسيمه وامن وعمل صالحا وجمع بين الايمان والعمل
الصالح فعسى ان يكون من المفلحين يومئذ وعسى من الكرام تحقيق وترج من التايب
بمعني فليتوقع ان يفلح وربك يخلق ما يشاء ويختار المشيئة تجامع الايجاب بالذات
دون الاختيار ففيه تنصيص للرد على الفلاسفة كما ان في اثبات المشيئة تنصيص للرد على من
زعم انه تعالى بقتضي العالم اقتضاء النار للاحراق ما كان لهم الخيرة ترك العاطف لانه
تقرير لما قبله فان معني ويختار ويخلق ما يختار اي تدخل تحت تكوينه كل ما تعلق به اختياره
ويلزمه ان يكون لاختيار الغير تاثير والا لجاز ان يدخل بعض ما اختاره الله تعالى تحت تكوين
والخيرة التخير تستعمل بمعني المصدر كالطيرة بمعني التطير اي ليس لاحد من خلقه ان يختار
عليه سبحان الله تنزيها له ان يزاحم اختياره احد اختياره وتعالى عما يشركون اي
الله تعالى بري من اشراكهم وربك يعلم ما تكن صدورهم يقال اكننت الشي في صدري
اي اخفيته اسند الاخفا الى الصدور مبالغة وما يعلنون اي يعلم ما اضمروه

لعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسده وما اظهروه لطاعتهم فيه وهو الله الذي
المستحق للعبادة لا اله الا هو لا يستحقها الا هو ترك العاطف لانه تقرير لما قبله
له الحمد في الاولى والاخرة الاختصاص المستفاد من تقديم الظرف باعتبار المجموع
فان الحمد في الدنيا وان شاركه تعالى فيه غيره فان المستحق للحمد لا يلزم ان يكون موليا
للنعم لكن الحمد في الاخرة لا يكون الا له وله الحكم بالقضا النافذ في كل شي واليه
ترجعون بالبعث والنشور قل ارايتم اي اخبروني ان جعل الله عليكم انما قال
عليكم لان النفع انما هو في تقلب الملوان فاي منهما استمر ينقلب نفعه ضرا الليل سرمدا
اي دايما من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم في الاشهر الحرم ثلثة سرد وواحد فرد والميم
مزيدة وقرينه الى يوم القيمة بالكسوف او باسكان الشمس تحت الارض من اله
كان حقه هل اله فذكر من اله على زعمهم ان غيره الهة غير الله صفة له • يأتيكم بضياء
انما قال بضيا ولم يقل بنهار كما قال في قرينه الا بليل لان النهار لا يلزمه الضيا على ما
نبهت عليه انفا والنفع فيه بوجود الضيا فيه فانه لو خلا عنه لانقلب نفعه ضررا حتى
قالوا ان الكسوف ساعة يكون سببا لبعض الافات من الزلازل وغيرها بخلاف الليل
فانه لا يخلو عن النفع المذكور مظلما كان او مستنيرا ولما كان مبنيا على ما ذكر مما لا يقف
عليه عوام الانام الا باستماع عن الخواص قال هنا افلا تسمعون ومن زعم ان ذكر
السماع هنا لكثرة منفعة ايضا فقد ابعد قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار
اخر ام النهار عن ام الليل لانه اصل والنهار عارض سرمدا الى يوم القيمة باسكان
الشمس فوق الافق او بتحريك كرة الارض على وفق حركتها وانما كان الفساد في دامة
النهار في دار التكليف ولم يكن في دار النعيم لان دار التكليف لا بد فيها من التعب والنصب
الذي يحتاج معه الى الجماعة والراحة وليس كذلك دار النعيم من اله غير الله يأتيكم
بليل تسكنون فيه استراحة عن متاعب الاشغال وانما تعرض لوصف الليل والنهار
دون الضيا لانه نعمة في ذاته مقصودة بنفسه ولا كذلك الليل ولما كان مما ذكر مما يقف
عليه كل من له بصر ولم يتوقف على امر اخر قال هنا افلا تبصرون ومن فعل
ومن رحمته للتسبب جعل لكم الليل والنهار اي خلقهما لاجلكم لتسكنوا فيه اي في
الليل والتنبيه على انفراد كل من المنفعتين في ملته واحد منهما على التوزيع اعيد اللام في
قوله لتبتغوا من فضله اي في النهار وانما حذف اكتفا بما ذكر في قرينته فيكون من
باب اللف والنشر على الترتيب وفي التعبير بالابتغا عن الكسب اشارة الى انه لا مزيد له على
معنى الطلب ففيه نفي التاثير من جهته كما ان في قوله تعالى نفيا للايجاب منه تعالى والوجو
والوجوب عليه ولعلكم تشكرون ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك فتشكروه عليها تعليل

مبني م

اخر للجعل المذكور ولذلك صدره باداة العطف ويوم يناديهم فيقول اين شركاي الذين
كنتم تزعمون كرر التوبيخ باتخاذ الشركا ليوذن بان لا شي ادخل في مرضاته من توحيده
ونزعنا اخرجنا واحضرنا يقال فلان منزع الى وطنه اي يحن اليه حنينا يطالبه بالجزو
اليه من كل امة من الامم الضالة بدليل سياق الكلام ولحاقه شهيدا شاهدا
عليهم بما اجابوا رسلهم كما قال فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هولا شهيدا
وقال وجي بالنبيين والشهدا وهذا صريح في انهم غير الانبيا فقلنا لتلك الامة
هاتوا برهانكم حجتكم على صحة ما كنتم تدينون فعلموا ان الحق لله في الالهية لا يشاركه
فيها وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الشي الضايع ما كانوا يفترون من لوهية
غير الله والشفاعة لهم ان قارون لا ينصرف للعجمة والعلمية ولو كان فاعولا من
قرنت الشي لانصرف كان من قوم موسى كان ابن عم موسى عليه السلام فبغى تفريع
على مقدر يدل اجمالا على غناه المفرط على ما افصح عنه التفصيل الاتي ذكره فالفا فصيحة والبغي
طلب العلو بغير حق ومنه قيل لولاة الجور بغاة عليهم روي انه قال لموسى عليه السلام
لك الرسالة ولهرون الحبورة وانا في غير شي الى متى اصبر واتيناه من الكنوز من
الاموال المدخرة ما ان مفاتحه ما بمعنى الذي • في موضع نصب باتينا وان واسمها
وخبرها صلة الذي ولهذا كسرت ان والمفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به بيت لما
او الصندوق لتنوء يقال ناء به ينوء نوءا اي حمل على ثقل ونهض به على مشقة حتى مال
تحته وهو لازم وصار هنا متعديا بالبا التي في قوله بالعصبة وهي الجماعة الكثيرة اولي
القوة الشدة وقوي بالبا على اعطا المضاف حكم المضاف اليه اذ قال له قومه منصوب
ببغي وما بينهما اعتراض في معرض التعليل لبقية لا بتنوء اذ لا وجه لتخصيصه بذلك الوقت
لا تفرح اريد بالفرح هنا المرح الذي يخرج الى الاشر وهو البطر ان الله لا يحب الفرحين
لانه اذا اطلق صفة الفرح فهو الخارج بالمرح الى البطر واما قوله فرحين بما اتاهم الله من
فضله فحسن بهذا التقييد وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة في صرفه فيما يوجبها
لك ولا تنس ولا تترك ترك المنسي نصيبك من الدنيا اي خذ منه هذا امر دنياك
ما لا بد منه في معاشك فانك غير ملوم على ذلك فهو على وفق قوله تعالى ولا تبسطها
كل البسط فتقعد ملوما محسورا واحسن الى عباد الله تعالى كما احسن الله اليك
فيما وسع عليك وبسطه لك ولا تبغ الفساد في الارض بالبغي والظلم ان الله
لا يحب المفسدين بل يبغضهم والاكتفا بنفي حبه عليهم للتنبيه على ان هذا القدر يكفي في
انزجار العاقل عن الفساد قال انما اوتيته من المال على علم عندي اي على استحقاق
لما في من العلم الذي فضلت به الناس وهو علم التورية او علم الكيميا او العلم بوجوه المكاسب

ح

من المكاسب والتجارة والزراعة وعندي صفة لعلم وزيادة من لافادة معنى الاختصاص
اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا للمال
او اكثر جماعة تعداد التعجب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه قراه
في التوراة او سمعه من حفاظ التواريخ والواو للعطف على مقدر اي الم يقرا في التوراة اولم
يسمع من الحفاظ ولم يعلم الخ اورد لادعائه العلم وتعظيمه بنفي العلم المهم عنه اعني مثل
ذلك العلم الذي ادعى ولم يعلم هذا حتى لقي نفسه مصارع الهالكين ولا يسئل عن ذنوبهم
المجرمون سؤال استعلام فانه تعالى مطلع عليها او معاقبة فانهم يعذبون بها بغتة
كانه لما هدد بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا اقوى منه واقوى واغنى اكد ذلك بانه بين انه
لم يخصهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم معاقبهم عليها لا محالة فخرج على قومه
معطوف على محذوف دل عليه سياق الكلام من عدم تنصحه مما قيل له واظهار اسباب البطر
فالفا فصيحة في زينته اي خرج متزينا حال من فاعل قال الذين يريدون الحيوة
الدنيا على سبيل الرغبة في اليسار يا للتنبيه ليت لنا مثل ما اوتي قارون غبطة
والغابط هو الذي يتمنى مثل نعم صاحبه من غير ان تزول عنه انه لذو حظ عظيم الحظ
الجد وهو البخت والدولة وقال الذين اوتوا العلم باحوال الاخرة ويلكم اصل
ويل دعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضي ثواب الله
في الاخرة خير لمن امن وعمل صالحا مما اوتي قارون بل من الدنيا وما فيها وفي حذف
المفضل عليه تعظيم للمفضل كما في قوله الله اكبر ولا يلقاها اي لا يلقن هذه الكلمة
ومي ثواب الله خير الا الصابرون على الطاعات وعن المعاصي فخسفنا به
اي بقارون ساخت به الارض وذهبت في جهة السفل وبداره الارض روي انه
كان يؤذي موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكوة
فصالحه عن كل الف على واحد فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فتعهد ان يفضح موسى
عليه السلام بين بني اسرائيل ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد
قام عليه السلام خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى
محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت فقال ولو كنت فقال ان بني اسرائيل يزعمون انك
زنيت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى عليه السلام بالله ان تصدق فقالت جعل لي
قارون جعلا على ان ارميك بنفسي فخر موسى ساجدا يبكي وقال يا رب ان كنت رسولك
فاغضب فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فقال يا ارض خذيه فاخذته الى ركبته ثم قال
خذيه فاخذته الى وسطه ثم قال خذيه فاخذته الى عنقه وكان قارون يتضرع اليه في
هذه الاحوال وموسى عليه السلام لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم قال خذيه فانطبقت

عليه

عليه بما يناسب ما افتراه من الجريمة فقال الله تعالى لموسى عليه السلام استغاث بك مرارا
فلم ترحمه فوعزتي لو استغاث بي مرة لرحمته ثم قال لبعض بني اسرائيل انما اهلكه ليرث ماله
فدعى الله تعالى حتى خسف بداره وامواله فما كان فالفا فصيحة للعطف والتفريع على
محذوف دل على مفهومه الاجمالي سياق الكلام له من فئة اعوان قدم تفسيره على حق
التفصيل في سورة البقرة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين الممتنعين امتناع
نصره بدفع عذاب الله تعالى مع انه معلوم لان المراد بيان ان الله لم يكن الامر على ما قدره من
امتناعه بحاشيته وجنده فان ذلك الذي غره حتى تمرد في طغيانه ثم اخبر انه كما لم يكن له من
ينصره لم يكن هو ايضا ممن ينتصر بنفسه لضعفه عن ذلك واصبح الذين تمنوا مكانه
منزلته لم يقل مثل مكانه اكتفا بما ذكره قبل هذا بالامس استعمل لزمان قريب يقولون
ويكان الله اي صاروا يقول بعضهم لبعض الم تعلموا ان الله ويكان كلمة تقرير معناها
اما ترى اما تعلم قاله الفراء وروي ان اعرابية قالت لزوجها اين ابنك فقال ويكانه وراء البيت
اي اما ترينه وقال قطرب هما كلمتان ويك بمعنى ويلك بحذف اللام قال عنترة
ولقد شفى نفسي وابرا سقمها قول الفوارس ويك عنتر اقدم
وهذا الحذف لكثرة الاستعمال للتخفيف واما ما قيل ان وي للتعجب وكان للتشبيه
ففيه ان التشبيه لا يناسب المقام يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر بمقتضى مشيئته
لا لكرامة تقتضي البسط ولا لهوان يوجب القبض لولا ان من الله علينا بصرف ما
كنا تمنيناه بالامس لخسف بنا لتوليده فينا ما ولده فيه ويكانه لا يفلح الكافرون
لنعمة الله او المكذبين برسله وبما وعدوا له من ثواب الاخرة تلك الدار الاخرة تلك
تعظيم لها وتفخيم لشانها كانه قال تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفة
والخبر نجعلها للذين لا يريدون علوا غلبة وقهرا في الارض ولا فسادا ظلما
على الناس لم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما وجعل القلوب
اليهما كما قال ولا تركنوا الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بترك الركون والعاقبة المحمودة
للمتقين ما لا يرضاه الله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها مر في سورة النمل
ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا الصالحات السيئات معناه فلا يجزون فوضع
الذين عملوا السيئات موضع الضمير لان في اسناد عمل السيئة اليهم مكررا فضل تهجين لحالهم
وزيادة تبغيض السيئة الى قلوب السامعين الا ما كانوا يعملون الا مثل ما كانوا يعملون
وحذف المثل واقيم ما كانوا يعملون مقامه مبالغة في المماثلة ان الذي فرض عليك القران
اوجب عليك قراءته وتلاوته وتبليغه والعمل بما فيه لرادك الى معاد يعني مكة اراد رده
عليه السلام اليها يوم الفتح وانما نكره انها كانت في ذلك اليوم معاد له شان ومرجعا

له اعتداد لغلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقهره لاهلها ولظهور عز الاسلام واهله
وذل الكفر وحزبه والسورة مكية لكن هذه الاية نزلت بالجحفة لا بمكة ولا بالمدينة حين
اشتاق عليه السلام الى مولده ومولد ابائه قل ربي اعلم من جاء بالهدى وما يستحقه
من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يفسره اعلم ومن هو في ضلال مبين وما استحقه
من العذاب والاذلال يعني به نفسه والمشركين فهو تقرير للوعد السابق وما كنت ترجو
ان يلقى ان يوحى اليك الكتاب اي سيردك الى معادك كما القي اليك الكتاب
وما كنت ترجوه الا رحمة من ربك هو محمول على المعنى اي وما القي عليك الكتاب الا
رحمة لاجل الترحم او الا بمعنى لكن للاستدراك اي ولكن لرحمة من ربك القي اليك فلا
تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن ايات الله عن قراءتها والعمل بها بعد اذ انزلت
اليك اي بعد وقت انزاله وادع الى ربك الى عبادته وتوحيده ولا تكونن من المشركين
بمساعدتهم ولا تدع مع الله الها اخر هذا وما قبله تهييج وقطع اطماع المشركين عن
مساعدته لهم على ان العصمة لا تمنع النهي والوقف على اخر لازم لانه لو وصل لصار
لا اله الا هو صفة لالها اخر وفيه من الفساد ما فيه كل شيء هالك الا وجهه الا
ذاته والوجه يعبر به عن الذوات وانما قال هالك لان المراد كونه كذلك في حد نفسه وذلك
ليس بمتجدد فان كل ممكن في حد نفسه ليس بموجود له الحكم القضاء النافذ في
الخلق واليه ترجعون للجزاء بالحق

سورة العنكبوت مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الم مر في ذكر الاقاويل وسوق التفصيل
وهنا دليل الاستقلال بنفسه او بما يضم معه وهو موقع الاستفهام بعده احسب
الناس الحسبان بقوة احد النقيضين على الاخر كالظن ولا يصح تعليقهما بمعاني
المفردات ولكن بمضامين الجمل فاذا اردت الاخبار عن مضمون ثابت عندك على وجه
الظن لا اليقين دخلت على شطري الجملة فعل الحسبان حتى يتم غرضك والكلام الدال
على المضمون يقتضيه الحسبان هنا ان يتركوا فانه سد مسد المفعولين كما في قوله
ان يسبقونا ونظايره لان المعنى احسب الناس انفسهم متروكين والترك قصد الشيء
قصدا واختيارا او قهرا واضطرارا ومن الاخير قوله تركه فلان لما يخلفه بعد موته
وثاني مفعولي ان يتركوا متروك بدلالة الحال او الجار او على ما تم عليه ان يقولوا
امنا بمعنى لقولهم متعلق بيتركوا على انه غير مستقر وهم لا يفتنون غير مختبرين بما
يتبين به حقيقة ايمانهم نزل في جماعة امنوا فاذاهم المشركون والمراد من الفتنة الامتحان
بشدائد التكليف من مفارقة الاوطان ومجاهدة الاعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر
الشهوات وبالفقر والقحط وايقاع المصائب في الانفس والاموال ومصابرة الكفار على اذى

وكيدهم وقيل معناه احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم فالترك احد مفعوليه وغير مفتو
من تمامه ولقولهم هو الثاني كقولك حسبت ضربه للتاديب وفيه الفصل بين قولوا ومعموله
وبالحسنة من الاهتمام بشان الخبر لكونه نصب الانكار معارض بما يقتضيه من ايهام ان يتركوا
غير مختبرين لعلة اخرى ولقد فتنا اي اختبرنا وهو موصول باحسب او بلا يفتنون
الذين من قبلهم من الامم بانواع الفتن والمعنى ان ذلك سنة قديمة جارية في الازمان السا
فلا ينبغي ان يتوقع خلافها ويجوز ان يكون كقولك لا يمتحن فلان وقد امتحن من هو خير منه
يعني بعض الانبياء كزكريا وجرجيس عليهم السلام قد امتحنوا وصبروا فليعلمن الله
بالامتحان الذين صدقوا في الايمان وليعلمن الكاذبين فيه وعلم الله بالكائنات ينبئ
عن النسبة الى الزمان وعما يترتب عليها من التبديل والتغيير فهو ههنا كناية عن تحقق
المعلوم قطعا وظهوره على وجه ابلغ فالمعنى وليتميزن الصادق منهم من الكاذب قال
ابن عطا يتبين صدق العبد من كذبه في اوقات الرخاء والبلاء فمن شكر في ايام الرخاء وصبر في
ايام البلاء فهو من الصادقين ومن بطر و[illegible] وبعضهم قراءة فليعلمن من الاعلام اي ليعرفنهم النا
س بهم فحذف المفعول الاول ويجوز ان يكون من قولهم فارس معلم اي اعلم نفسه في الحرب
بثوب او غيره فيكون من العلامة فالمعنى فليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيمة كبياض الوجه
وسواده ام حسب ام هنا منقطعة لفقد شرط الاتصال وهو ان لا يكون بعدها جملة
ومعناها بل للاضراب بمعنى الانتقال من قصة الى قصة لا بمعنى الابطال والاضراب فيها
لان هذا الحسبان ابطل من الاول لان ذلك يقدر انه لا يمتحن لايمانه وهذا يظن انه لا يجازى
بمساويه ولهذا عقبه بالذم الذين يعملون السيئات من المعاصي واما الكفر فليس من
جنس العمل لانه لا يقال الا فيما كان عن فكر وروية نص عليه الراغب فحال الكفر يعلم مما ذكر
دلالة ان يسبقونا اي يفوتونا فلا نقدر ان نجازيهم على مساويهم بمعنى ان الجزاء يلحقهم
لا محالة واشتماله صلة ان على مسند ومسند اليه سد مسد المفعولين ساء ما يحكمون
ساء في موضع رفع على معنى ساء الحكم حكمهم او نصب على معنى ساء حكما يحكمون والمخصوص
بالذم محذوف اي حكما يحكمونه حكمهم هذا من كان يرجو لقاء الله يتوقع ثوابه او
يخاف عقابه فالرجاء يحتملهما فان اجل الله المضروب والعقاب لات لا محالة
تعليل لجواب الشرط المحذوف تقديره فليبادر للعمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحققه
واتيان الوقت المضروب لها كناية عن اتيانها والتعبير عنها بلقاء الله للتفخيم والتهويل
واضافته الى الله في الموضعين للتعظيم ويجوز ان يكون تمثيلا حاله بحال عبد قدم على
سيده بعد زمان مديد وقد اطلع السيد على حاله فاما ان يلقاه ببشر لما لقي من افعاله
او بسخط لما يسخط منها وهو السميع العليم بما يفعلونه فلا يفوته شيء ما ومن جاهد

نين

لفة

له

نفسه بالصبر على مخالفتها في طاعة الله فانما يجاهد لنفسه لان منفعة ذلك
ترجع اليها ان الله لغني عن العالمين فلا نفع له في طاعتهم ومجاهدتهم وانما كلفهم
وانما كلفهم رحمة عليهم ومراعاة لمصالحهم والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن
عنهم سياتهم التكفير اذهاب السيئة بالحسنة كاذهاب الكفر بالايمان والمعصية بالتو
ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون انما قال احسن لان المباح حسن ولا جزاء له
ووصينا الانسان بوالديه حسنا بايتائهما فعلا ذا حسن وما هو ذاته حسن لفرط حسنه
ووصى حكمه حكم امر في معناه وتصرفه ومعنى وصيت زيدا بعمرو امرته بتعهده ومراعاته
وان جاهداك اي وقلنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم يعني بالهية
عبر عن نفيها بنفي العلم اشعارا بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه
فضلا عما علم بطلانه فلا تطعهما في ذلك فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق
الي مرجعكم مرجع المطيع والعاصي منكم فانبيكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه وفي
ذكر المرجع والوعيد تحذير من متابعتهما على العصيان وحث على الثبات والاستقامة في
الطاعة روي ان سعيد بن ابي وقاص رضي الله عنه لما اسلم نذرت امه ان لا تاكل ولا
تشرب ولا تنتقل من الضح حتى يرتد ولبث ثلثة ايام كذلك فشكى سعد رضي الله عنه
الي النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية والتي في لقمان والتي في الاحقاف والذين
امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين في الانبيا والاوليا بان نحشرهم معهم
ومن الناس من يقول امنا بالله اي في الاخبار عنهم انهم من الناس تحقير لشانهم
فاذا اوذي في الله اي في طاعة الله وفي للسببية كما في المتني فيه جعل فتنة الناس
اي اذاهم له للصرف عن طاعة الله تعالى • كعذاب الله في الخوف منهم فيطيعهم
ولئن جا نصر من ربك فتح وغنيمة ليقولن انا كنا معكم متابعين لكم في دينكم فاعطو
نصيبنا من المغنم اوليس الله باعلم صيغة اعلم هنا لمطلق الزيادة واثبات العلم على
الوجه الابلغ واو للعطف على محذوف تقديره اليس الله باشد عذابا من الناس بما
في صدور العالمين من الاخلاص والنفاق فكيف يتوهم هذا المنافق ان يخفي حاله
على المسلمين ولا يخبرهم الله به وهو عالم فهذا تهديد دنيوي له كما ان قوله وليعلمن
الله الذين امنوا وليعلمن المنافقين تهديد اخروي كني بالعلم عن اثره وهو الجزا
على المعلوم وعبر عن الاخلاص بالايمان اخراجا للاقرار باللسان الخالي عن التصديق
بالجنان عن حد الايمان وفي اختلاف الصفتين اشعار بثبات المنافق على النفاق ومزيته
على الكفر بزيادة التمرد في محله وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل
خطاياكم امروهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي كانوا عليها في دينهم وامروهم انفسهم

بحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر واراد وا ليجتمع هذان الامران في الحصول والمعنى
تعليق الثاني على الاول على وجه المبالغة والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كانت تشجيعا
لهم على الاتباع ولهذا رد عليهم وكذبهم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء
انهم لكاذبون في ذلك من للتبيين والثالثة مزيدة لتاكيد الاستغراق وليحملن
اثقالهم اوزار انفسهم بضلالهم واثقالا مع اثقالهم واوزار الضالين باضلا
وهو كما قال ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم
وليسئلن يوم القيمة عما كانوا يفترون يكذبون على الله سوال التوبيخ واللام في
الفعلين للقسم وحذف فاعلها الواو ونون الرفع ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث
فيهم الف سنة الا خمسين عاما بعد المبعث الى حدوث الطوفان واختيار هذه العبارة
لما في ذكر الالف من تخييل طول المدة الى السامع فان المقصود تسلية رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتثبيته على ما كان يكابد من الكفرة وجي بالمميز اولا بالسنة ثم بالعام لان تكرار
لفظ واحد في كلام واحد حقيق بالاجتناب في البلاغة فاخذهم الطوفان هو ما
اطاف واحاط بكثرة وغلبة في سيل او ظلام ليل او نحوهما والواقع طوفان الما وهم ظالمون
انفسهم بالكفر فانجيناه واصحاب السفينة اي نوحا والذي حملهم نوح عليه السلام
في السفينة وجعلناها اي السفينة لانها بقيت اعواما حتى علمها الناس وراو
فحصل لهم العلم بها او الحادثة اية علامة او عبرة للعالمين يعتبرون بها
وابراهيم وقري بالرفع على تقدير ومن العالمين ابراهيم وبالنصب عطف على نوح
اذ قال لقومه اعبدوا الله ظرف لارسلنا ففيه دلالة على انه لم يتهاون في امر الرسالة
حيث بلغ الدعوة كما امر واتقوه ذلكم خير لكم مما انتم عليه ان كنتم تعلمون
اي ان كنتم من اهل العلم انما تعبدون من دون الله اوثانا الوثن ما يعمل من
حجر او طين وتخلقون اي تكذبون وتصنعون وقري تخلقون من خلق بمعنى
التكثير افكا وقري افكا وهو مصدر نحو كذب ولعب والافك مخفف عنه كالكذب
من اصلهما واختلاقهم الكذب تسميتهم الاوثان الهة وشركاء لله ان الذين تعبدون
من دون الله لا يملكون لكم رزقا استدل اولا على شرارة ما هم عليه من حيث انه
زور وباطل ثم استدل عليها من حيث انه لا يجدي بطائل ورزقا يحتمل النصب على
المصدر اي لا يستطيعون ان يرزقوكم وان يراد المرزوق وتنكيره للتعميم فابتغوا
عند الله لا عند الاسباب الرزق انما لم يقل من الله لعدم الدلالة فيه على الا
بترك الاعتماد على الاسباب العادية ثم بين طريق الطلب فقال فاعبدوه اي في
كل حال واشكروا له لما اقتضى من الافضال مستعدين للقائه بهما فانه اليه ترجعون

فانه فيجازيكم بما عملتم من الشكر والكفران والعبادة والطغيان وهو وعد ووعيد وان
تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم كقوم نوح وهود وصالح وما على الرسول الا البلاغ المبين
اي وان تكذبوني فلا تضرونني تكذيبكم فان الرسل قبلي كذبتهم اممهم وما ضرتهم وانما
ضروا انفسهم حيث حل بهم العذاب بسبب تكذيبهم واما الرسول فقد تم امره حين بلغ البلاغ
المبين الذي زال معه الشك وهو اقترانه بايات الله ومعجزاته وان كنت مكذبا فيما بينكم فلي
في ساير الانبيا اسوة حيث كذبوا وعلى الرسول ان يبلغ وما عليه ان يصدق ولا يكذب فالا
وما بعدها من جملة قصة ابراهيم عليه السلام اولم يروا وقري بالتا على تقدير القول
كيف يبدئ الله الخلق اي قد راوا ذلك وعلموه وقوله ثم يعيده ليس بمعطوف على
يبدئ وليس الرؤية واقعة عليه وانما هو اخبار عن حاله بالاعادة بعد الموت كما وقع النظر
في قوله كيف بدا الخلق ثم الله ينشئ النشاة الاخرة على البدء دون الانشا بل هو معطوف
على جملة قوله اولم يروا كيف يبدئ الخلق ان ذلك اي الاعادة على الله يسير سهل
قل حكاية كلام الله تعالى لابراهيم عليه السلام سيروا في الارض فانظروا كيف
بدا الخلق على كثرتهم واختلاف احوالهم ليعرفوا عجايب فطرة الله تعالى في المشاهدة
وبدا من حيث ان كلا من الاختراع واخراج من العدم ولما كان المقصود من سياق الكلام
والاستدلال من الابتدا على الاعادة والدليل النفسي اقرب واوضح من الافاقي ذكر
الرؤية في الاول والنظر في الثاني وكان القياس ان يقول كيف بدا الله الخلق ثم الله
ينشئ النشاة الاخرة وانما قيل كيف بدا الخلق ثم الله لينشئ النشاة الاخرة لان الكلام
معهم وقع في الاعادة فلما اقررتم في الابتدا انه من الله تعالى احتج عليهم بان الاعادة
انشاء مثل الابدا فاذا لم يعجزه الابدا وجب عليه ان لا يعجزه الاعادة فكانه قال ثم الذي
انشا النشاة الاولى هو الذي ينشئ النشاة الاخرة فللتنبيه على هذا المعنى ابرز اسمه
واوقعه مبتدا ان الله على كل شي قدير ومن جملة الاشيا ما يعاد فهو قادر على الاعادة
يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء رحمته واليه تقلبون تردون وما
انتم بمعجزين ربكم ان تفوتونه اذا هربتم من حكمه وقضايه في الارض الفسيحة
ولا في السما التي هي افسح منها وابسط لو كنتم فيها وما لكم من دون الله من ولي
يتولى امركم فيحرسكم من بلايه ولا نصير فيدفع عذابي عنكم والذين كفروا بايات الله
بدلايله عليه وهو انبياؤه او بكتبه ولقايه بالبعث اولئك يئسوا من رحمتي في الدنيا
بانكار البعث والجزا واولئك لهم عذاب اليم في الاخرة بكفرهم فما كان جواب قومه
قوم ابراهيم عليه السلام وقري بالرفع على انه اسم الحبس الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه
اي قال بعضهم لبعض او قاله واحد منهم وكان الباقون راضين ثم اتفقوا على تحريقه

فانجاه الله من النار الفا فصيحا اي قذفوه فيها فانجاه الله من النار بجعلها عليه بردا
وسلاما ان في ذلك في انجايه منها لايات هي عدم تاثيرها فيه مع شدة توقدها
وكونها باردة عليه وحارة على ما هي عليه روي انها لم تحرق الا الحبل الذي اوثقوه به
وروي انه لم ينتفع في ذلك اليوم بالنار وذلك لذهاب حرها لقوم يؤمنون لانهم
المنتفعون وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا اي
لتوادوا بينكم وتتواصلوا باجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها كما تتفق الناس على مذهب
فيكون ذلك سبب تحابهم وثاني مفعولي اتخذتم محذوف ويجوز ان تكون مودة المفعول الثاني
بتقدير مضاف او بتاويلها بالمودودة اي اتخذتم اوثانا بسبب المودة بينكم وقريت مودة منونة ناصبة
بينكم والوجه ما سبق وقريت مرفوعة مضافة على انها خبر مبتدا محذوف اي مودودة او
سبب تودد كم والجملة صفة اوثانا او خبر ان ما مصدرية او موصولة والعايد محذوف
وهو المفعول الاول وقريت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قري لقد تقطع بينكم
ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض يتبرا القادة من الاتباع ويلعن بعضكم بعضا و
ماويكم النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها فامن له لوط اي صدقه فيما قال
لانه احدث الايمان في ذلك الوقت لان الكفر لا يجوز على الانبيا عليهم السلام وقال
ابراهيم عليه السلام اني مهاجر من كوثي وهي من سواد الكوفة الى ربي الى حيث
امرني انه هو العزيز الذي من لجا اليه منعه من اعدايه الحكيم الذي لا يامر
الا بما فيه خيره روي انه هاجر مع لوط ابن اخيه وسارة بنت عمه الى حران ثم منها الى الشام
ونزل فلسطين ونزل لوط سدوم ووهبنا له اسحق ويعقوب ولدا ونافلة حين
ايس عن الولادة من عجوز عاقر كذلك ولم يذكر اسمعيل عليه السلام وردة قوله على الكبر
اسمعيل واسحق وجعلنا في ذريته النبوة لانه شجرة الانبيا والكتاب يريد الجنس
فيتنا ول الكتب الاربعة واتيناه اجره على هجرته الينا في الدنيا الثنا الحسن والصلوة
عليه الى اخر الدهر ومحبة اهل الملل له واما ما تقدم ذكره فالعطف عليه يابى عن دخوله في
الاجر وانه في الاخرة لمن الصالحين الذين لهم الدرجات العلى ولوطا عطف على
ابراهيم او على ما عطف عليه اذ قال لقومه اينكم لتاتون الفاحشة الفعلة البالغة
في القبح ما سبقكم بها من احد من العالمين جملة مستانفة مقررة لفاحشة تلك الفعلة
كان قايلا قال لم كانت فاحشة فقيل لان احدا قبلهم لم يقدم عليها اينكم لتاتون
الرجال وتقطعون السبيل طريق المارة بفعلكم الفاحشة بمن يمر بكم فترك الناس المرور
بكم وتاتون في ناديكم مجلسكم الذي تجتمعون فيه ولا يسمى ناديا الا ما دام فيه اهله
المنكر كالمضارطة والمجامعة والسباب والفحش في الممازحة والحذف في الحصا ومضغ العلك

والفرقعة والسؤال من الناس فما كان جواب قومه الا ان قالوا ايتنا بعذاب الله ان
كنت من الصادقين قد سبق في سورة الاعراف قال رب انصرني بانزال العذاب
على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة وسنها فيما بعدهم وصفهم بذلك مبالغة في استنزال
العذاب واشعارا بانهم احقاء بان يعجل لهم العذاب ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى
بالبشارة بالولد لقوله لا توجل انا نبشرك بغلام قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية
قرية سدوم وهذه تشعر بانها قريبة من قرية ابراهيم عليه السلام والاضافة لفظية لان
المعنى للاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين تعليل لاهلاكهم اي الظلم قد استمر فيهم في الايام
السالفة وهم عليه مصرون وانما قال ان اهلها ولم يقل انهم تضمينا للتعليل الاشعار
بمناسبة خبث طبيعتهم وهو خبث طينتهم ففيه اشارة خفية الا ان المراد من اهل القرية من
نشأ فيها فلا يتناول لوطا ولم يتنبه لهذا زعم ان في قولهم الآتي تخصيصا للاهل عما عدا
قال ان فيها لوطا معارضة للموجب بالموانع وهو كون النبي بين ظهرهم واما الاعتراض عليهم
بان فيها من لم يظلم فلا يناسب حال المعترض لان مبناه الاغفول عن الاشارة التي قدمنا
بيانها قالوا نحن اعلم منك بمن فيها لننجينه واهله وليس هنا خطاب بمعنى حكم شر
فلا وجه لما قيل فيه تاخير البيان عن الخطاب الا امراته كانت من الغابرين الباقين
في العذاب قال في سورة الحجر انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين
الا امراته والتوفيق بين القولين بان يقال ان الحكاية على وجه التفصيل والنقل بالعبارة
او بمرادفها وقد تكون على وجه الاجمال والنقل بحاصل المعنى المذكور ثمة من قبيل الثاني
والمذكور هنا من قبيل الاول ثم اخبر عن مصير الملئكة الى لوط عليه السلام بعد مفارقتهم
ابراهيم عليه السلام بقوله فلما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ساءه مجيئهم وان صلة
اكدت وجود الفعلين مترتبا احدهما على الاخر كانهما وجدا في جزء واحد من الزمان كانه
قيل كما احس بمجيئهم فاجاته المساءة من غير ريث عليهم من قومه ان يتناولوهم بالمجود
وضاق بهم ذرعا وضاق بشانهم وبتدبير امرهم ذرعه اي طاقته وقد جعلوا ضيق الذراع
والذراع عبارة عن فقدان الطاقة كما قالوا رحب الذراع اذا كان مطيقا له والاصل
فيه ان الرجل اذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع فصار ذلك مثلا في العجز
والقدرة وهو منصوب على التمييز وقالوا عطف على محذوف متفرع على ما تقدم
تقديره وقالوا وذلك لما راوا اثر الضجرة فالواو فصيحة لا تخف ولا تحزن لا على
تمكنهم فانا لا اندفاع الخوف والحزن من تلك الجهة باعلامهم انهم رسل الله بل على نفسه
واهله لما علم ان نزولهم لحادثة عظيمة فقولهم انا منجوك تعليل لنفي الخوف والحزن
واهلك نصب باضمار فعل لان موضع الكاف جر على المختار او بالعطف على محلها باعتبار

الا امراتك

الا امراتك كانت اي في امر الله من الغابرين الباقين في الهلاك انا منزلون على اهل
هذه القرية رجزا من السماء عذابا منها سمي بذلك لانه مقلق المعذب من قولهم ارتجز اذا
ارتجس اي اضطرب فاستعمل لما يضطرب من النفس بما كانوا يفسقون بسبب استمرارهم
على تجديد الفسق في كل حين ولقد تركنا منها من القرية اية بينة هي اثار منازلهم
الخربة وقيل الحجارة الممطورة وقيل الماء الاسود على وجه الارض لقوم يعقلون يستعملون
عقولهم في الاستبصار والاعتبار وهو متعلق بتركنا او ببينة والى مدين وارسلنا الى
اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر الامر بالرجاء امر بسببه اقتضاء
ولا يجوز فيه ان يكون الرجاء بمعنى الخوف واليوم مجاز عما فيه من الثواب والعقاب ولا
تعثوا في الارض مفسدين قد سبق تفسيره فاخذتهم الرجفة هي زعزعة الارض
تحت القدم وفي سورة الحجر فاخذتهم الصيحة اي صيحة جبرائيل عليه السلام وهي سبب
الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين الجاثم البارك على ركبته مستقبلا بوجهه الارض
اي ميتين على هذه الحالة وعادا وثمودا منصوبان بفعل دل عليه ما قبله مثل اهلكنا
وقرئ ثمود غير منصرف على تاويل القبيلة وقد تبين لكم ذلك بمعنى ما وصفه من
اهلاكهم من مساكنهم من جهة مساكنهم اذ نظرتم اليها عند مروركم بها وكانوا اهل
مكة يمرون عليها في اسفارهم فيبصرونها وزين لهم الشيطان اعمالهم من الكفر
والمعاصي فصدهم الصد الصرف عن الخير ولا يقال صد عن الشر ولكن يقال
صرفه عن الشر ومنعه منه عن السبيل الصراط المستقيم الذي هداهم اليه
الرسل وكانوا مستبصرين متمكنين اي من النظر والاستبصار ولكنهم لم يفعلوا
او مبينين ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا وقارون
وفرعون وهامان قدم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا
في الارض وما كانوا سابقين فائتين بل ادركهم امر الله من سبق طالبه اذا فاته فكلا
من المذكورين اخذنا بذنبه عاقبنا بسبب من جهته فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا
الحاصب ريح تاتي بالحصباء الحصا الصغار كقوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كعاد
وثمود ومنهم من خسفنا به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا كفرعون واما قوم نوح
فليسوا من المذكورين لان الغرق لا يكون الا بالماء بخلاف الخسف ولذلك زاد فيه قوله به الارض
وما كان الله ليظلمهم ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم وزيادة كان لبيان
انه ليس من عادته ذلك ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالتعريض بالعذاب مثل الذين
اتخذوا من دون الله اولياء يعني مثل من اشرك بالله الاوثان كمثل العنكبوت التاء
فيه كتاء طاغوت تقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث اتخذت بيتا اي كمثل العنكبوت

فيما تتخذه لنفسها من بيت فان ذلك البيت لا يدفع عنها الحر والبرد ولا يقي ما تقي البيوت فكذ
الاوثان لا تنفعهم في الدنيا والاخرة ولا وجه لما قيل في تفضيل بينها بل ذلك اوهن فان لهذا
حقيقة وانتفاعا ما لان قضية التشبيه عكس جعله وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت
من ظهر ان ما تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم بما هو مثل عند الناس في الوهن والضعف
لا تشبيه ذواتهم بالعنكبوت لو كانوا يعلمون يرجعون الى علم لعلموا ان هذا مثلهم وان
دينهم اوهن من ذلك ويجوز ان يخرج الكلام بعد تشبيه دينهم ببيت العنكبوت مخرج الاستعا
مصرح تمثيلية ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء على اضمار القول اي قل للكفرة
ان الله يعلم وقرئ تدعون بالتاء حملا على ما قبله وما استفهامية منصوبة بيدعون ويعلم
معلقة عنها ومن للتبيين او نافية ومن مزيدة وشيء مفعول يدعون او مصدرية او موصولة
مفعول ليعلم ومفعول يدعون عائدة المحذوف والكلام على الاولين وتوكيد للمثل وعلى
الاخيرين وعيد لهم وهو العزيز الحكيم تعليل على المعنيين فان من فرط الغباوة اشرا
ما لا يعد شيئا لمن هذا شانه وان الجماد بالاضافة الى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم
واتقان الفعل الغاية كالمعدوم وان من هذا صفته قدر على مجازاتهم وتلك الامثال
يعني المثل المذكور واشباهه نضربها للناس تقريبا لما بعد عن افهامهم وما يعقلها
الا العالمون الواقفون على ان الامثال والتشبيهات انما هي الطرق الى المعاني المستورة
حتى تبرزها وتصورها للافهام خلق الله السموات والارض بالحق محقا يعني لم يخلقها
باطلا بل لحكمة وهي ان تكون مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على عظم قدرته
كما اشار اليه بقوله ان في ذلك لاية للمؤمنين خصهم بالذكر لانهم المنتفعون بها
اتل ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الى الله تعالى بقراءته وتحفظا لالفاظه واستكشافا
لمعانيه فان القاري المتامل فيه ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له اول ما قرع سمعه
واقم الصلوة اي دم على اقامتها ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر قدم تفسيرها
والنهي مجاز عن المنع روي ان فتى من الانصار كان يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم الصلوة
ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له عليه السلام فقال ان صلوته ستنهاه فلم يلبث
ان تاب ولذكر الله اكبر اي والصلوة اكبر من غيرها من الطاعات وانما عبر عنها به
لتستقل بالتعليل كانه قال والصلوة اكبر لانها ذكر الله او لذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم
اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم به احسن المجازات
ولا تجادلوا اهل الكتاب اصل الجدال شدة الفتل الا بالتي الا بالخصلة التي هي احسن
كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح الا الذين ظلموا منهم بالافراط
في الاعتداء والعناد فلم ينفع فيهم الرفق وقيل معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة الا بالتي

هي احسن الا الذين ظلموا منهم فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية ومجادلتهم بالسيف وقوله
وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم من جنس المجادلة بالاحسن وعن النبي صلى
الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وكتبه ورسله وان
كان باطلا لم تصدقوهم وان كان حقا لم تكذبوهم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون
مطيعون له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله •
وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتاب مصدقا لكتبهم بانزل على ما وصف
فيها فالذين اتيناهم الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه تفريع على نزول القران
على ما وصف في كتابهم وانما قال يؤمنون به دون امنوا لان منهم من لم يؤمن بعد
ومن هؤلاء من يؤمن به الاشارة الى اهل مكة او الى عامة العرب لا الى من في عهد
الرسول من اهل الكتاب لانهم داخلون فيما تقدم ولا مجال لتخصيصه بمن تقدم عهده
عليه السلام لان التفريع يأباه وما يجحد باياتنا مع ظهورها وقيام الحجة عليها ولذلك
قال وما يجحد فان الجحد ليس مطلق الانكار بل هو الانكار بعد المعرفة الا الكافرون
الا المتوغلون في الكفر بعد وضوحه عندهم عنادا وما كنت تتلو من قبله من قبل
نزول القران عليك فيفهم منه انه عليه السلام قادر على التلاوة والخط بعده من كتاب
عربيا كان او عبريا او سريانيا او فارسيا ولا تخطه بيمينك فان ظهور هذا الكتاب
الجامع لانواع العلوم الشريفة على من لا يقدر على الخط والقراءة خارق للعادة وذكر
اليمين زيادة تصوير للنفي ونفي للتجوز وما فيه من الاطناب المعنوي لافادة ان الكتابة
من اشرف الصناعات فحقها ان تكون باليمين دون اليسار المخصوصة بخسايس الامور
على ما اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اليمين للوضوء واليسار للاستنجاء اذا
تقديره ولو كنت تتلو الكتاب وتخطه اذا لارتاب لشك المبطلون من اهل الكتاب
وقالوا الذي نجده في كتبنا امي لا يقرأ ولا يكتب وليس به وانما سماهم مبطلين لانهم وجدوه
في كتبهم كذلك فغيروه وقيل اي ولو كنت ممن يخط ويقرأ لقالوا لعله تعلمه او التقطه من كتب
الاقدمين وفيه ان ذلك الارتياب لا يندفع بكونه عليه السلام اميا فان التعلم من الغير
لا يتوقف على القراءة والكتابة بل هو بل القران ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم
هي من خصائص القران كونه ايات بينات للاعجاز وكونه محفوظا في الصدور بخلاف ساير
الكتب السماوية فانها لم تكن معجزات في حدود انفسها وكانت تقرأ الا في المصاحف وفي قوله الذين
اوتوا العلم تشريف للحفاظ وتنبيه على ان حفظه حقيقة انما يكون بالوقوف على معانيه وما
يجحد باياتنا الا الظالمون الا المتوغلون في الظلم بالمكابرة بعد وضوح دلايل الاعجاز
وقالوا عطف على اللازم مما تقدم اي لا يعتدوا بتلك الايات وقالوا لولا انزل عليه ايات من ربه

مثل ناقة صالح وعصى موسى ومائدة عيسى قل إنما الآيات عند الله ينزلها كما يشاء
وما قيل لست أملكها فآتيكم بما تقترحونه فلا يناسب المقام لان الاقتراح كان من الله تعالى
لا منه عليه السلام وإنما أنا نذير مبين ليس من شأني الا تبليغ ما أمرت به من الانذار
والابانة مما أعطيت من الآيات والاقتصار على ذكر الانذار لزيادة التهديد لهم في
حقهم والا فشأنه عليه السلام غير مقصور على ما ذكر بل التبشير أيضا من شأنه أولم
يكفهم انه مغنيه عما اقترحوه أنا أنزلنا عليك الكتاب الكامل في جنسه يتلى عليهم
تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان فلا يزال معهم آيته لا تزول كما تزول كل آية بعد كونها
ان في ذلك أي مثل هذه الآية الموجودة في كل مكان وزمان الى آخر الدهر لرحمة
لنعمة عظيمة وذكرى وتذكرة لقوم يؤمنون لمن همته الايمان دون التعنت
قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا بصدقي وقد صدقني بالمعجزات او بتبليغ ما أرسلت
به اليكم ونصحي ومقابلتكم اياي بالتكذيب والتعنت يعلم ما في السموات والأرض
فهو مطلع على أمري وأمركم وعالم بحقي وباطلكم والذين آمنوا بالباطل وهو الذي
يعبدون من دون الله وكفروا بالله منكم أولئك هم الخاسرون في صفقتهم
حيث اشتروا الكفر بالايمان ويستعجلونك بالعذاب بقولهم أمطر علينا حجارة من
السماء ولولا أجل مسمى على مقتضى الحكمة لكل عذاب او قوم لجاءهم العذاب
عاجلا وهم لا يشعرون بوقت مجيئه فليس وقعة بدر منه يستعجلونك بالعذاب
اعادة لربط قوله وان جهنم لمحيطة أريد بجهنم ما يوجبها او نزول الاحاطة المقدرة
منزلة المحققة للقطع بوقوعها وهذا بحسب النظر الجليل وأما الذي يقتضيه النظر
الدقيق فهو ان الله تعالى منزه عن النسب الزمانية فالكائنات كلها واقعة في أوقاتها المعينة
بالنظر اليه تعالى فلا يجوز في أحد جزئي الكلام بالكافرين اللام للعهد على وضع
الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب الاحاطة او للجنس فيكون استدلالا بحكم الجنس
على حكمهم ولا وقف على الكافرين لان يوم ظرف لاحاطة النار بهم يغشيهم العذاب
من فوقهم ومن تحت أرجلهم لقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل وذكر أرجلهم
للدلالة على تلك الغشية في انتصابهم ويقول الله او بعض الملائكة بأمره على قراءة
ونقول ذوقوا ما كنتم تعملون أي جزاءه يا عبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة
أي اذا لم تتسهل لكم العبادة في بلدة ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتمشى لكم ذلك
والفاء في قوله فإياي فاعبدون جواب شرط محذوف اذ المعنى ان أرضي واسعة ان لم
تخلصوا العبادة لي في أرضي فأخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم
المفعول مع افادة تقديمه لمعنى الاختصاص والاخلاص ثم شجع المهاجرين بقوله ٥

كل

كل نفس ذائقة الموت أي واجدة مرارته وكربه كما يجد الذائق طعم المذوق لأنها
اذا تيقنت بالموت سهل عليها مفارقة وطنها ثم الينا ترجعون بعد الموت للثواب
والعقاب ومن هذا عاقبته يجتهد في الاستعداد له والذين آمنوا وعملوا الصالحات
لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا علالي وقرئ لنثوينهم من الثواء وهو النزول
للاقامة وثوى غير متعد واذا تعدى بزيادة الهمزة لم يتجاوز مفعولا واحدا والوجه
في تعديته بزيادة الهمزة الى ضمير المؤمنين والى الغرف اما اجراؤه مجرى لننزلنهم ولنبوئنهم
او حذف الجار او ايصال الفعل او تشبيه الظرف الموقت بالمبهم تجري من تحتها الأنهار
خالدين فيها نعم أجر العاملين وقرئ فنعم والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه
ما قبله ويوقف على العاملين على ان الذين صبروا خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين
صبروا على أذية المشركين والهجرة للذين آمنوا الى غير ذلك من المحن والمشاق والوصف
أجود لكون الذين نعتا للعاملين وعلى ربهم يتوكلون ولا يتوكلون في جميع ذلك
الا على الله وكأين وكم من دابة لا تحمل رزقها لا تطيق حمله لضعفها او لا تدخر
وانما تصبح لا معيشة عندها الله يرزقها وإياكم ثم انها مع ضعفها وتوكلها وإياكم
مع قدرتكم واجتهادكم في الكسب سواء ثم انه لا يرزقها وإياكم الا الله فانه لو لم يقدركم
ولم يقدر لكم أسباب الكسب لكنتم أعجز وأضعف من الدواب فلا تخافوا على معاشكم
بالهجرة روي انهم لما أمروا بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة
فنزلت وهو السميع لقولكم نخشى الفقر والضيعة العليم بما في ضمائركم ولئن
سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر المسئول أهل مكة ليقولن الله
أي هم مقرون بذلك ولا يخفى ضعف التمسك بوجوب انتهاء الممكنات الى واحد واجب الوجود
في هذا المطلب فأنى يؤفكون فكيف يصرفون عن توحيده مع اقرارهم بهذا كله
الله يبسط الرزق لمن يشاء ويوسعه لمن يشاء من عباده ويقدر يقال قدر الرزق
وقتره اذا ضيقه له أي لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لان من يشاء مبهم غير معين
فكان الضمير مبهما مثله وليس المراد من الموسع له والمضيق عليه واحدا باعتبار الوقتين
اذ حق قوله يقدر له ان يتصدر بأداة التعاقب ان الله بكل شيء عليم يعلم ما يصلح
العباد وما يفسدهم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها
ليقولن الله معترفين بذلك فكيف يشركون به من لا يقدر على شيء أصلا قل الحمد لله
على هذه النعمة العظمى فان الماء ذو حيوة كل شيء بل أكثرهم لا يعقلون فلا يعلمون
ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد وكلمة بل اضراب عن
جهلهم الخاص والاتيان بما هو حجة عليهم يعني انهم مسلوبون العقول فلا يبعد عنهم مثله

وقوله قل الحمد لله معترض ويأتي في سورة لقمن تفسير هذه الاية بوجه اخر وما هذه
الحيوة الدنيا اشارة الى تحقيرها كيف وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة الا لهو ولعب
اي ما هي لسرعة زوالها وعدم النفع في مآلها كما يلهى ويلعب به الصبيان ويجتمعون
اليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون واللهو ما يتلذذ به الانسان فيلهيه ساعة ثم
ينقضي وان الدار الاخرة لهي الحيوان اي هي دار الحيوة الحقيقية لعدم طريان
الموت عليها او كانها في ذاتها حيوة اذ ليس فيها الا حيوة مستمرة دائمة والحيوان
مصدر حي به وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واوا ولم يقل لهي الحيوة لما في
بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب والحيوة حركة والموت سكون فمجيئه على
بنائه دال على معنى الحركة والاضطراب مبالغة في معنى الحيوة ويوقف على الحيوان لان
التقدير لو كانوا يعلمون حقيقة الدارين لما اختاروا اللهو الفاني على الحيوان الباقي
ولو وصل لصار وصف الحيوان معلقا بشرط علمهم ذلك وليس كذلك فاذا ركبوا في الفلك
متصل بما دل عليه ما قبله من شرح حالهم بطريق الاشارة والفاء هنا محذوف اي هم
على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا في البحر دعوا الله في تلك الحالة مخلصين
له الدين حقيقة حيث لا يدعون معه غيره لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد الا هو وهذا اي
التوفيق بين العلم والعمل حقيقة الاخلاص لا صورته وايضا مساق الكلام في تقبيح حالهم
وكمال القبح في انقلابهم عن الاخلاص الى الشرك بغتة فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون
فاجاؤا المعاودة الى الشرك ليكفروا بما اتيناهم وليتمتعوا على قراءة الكسر اي يعودون
الى شركهم ليكونوا بالعود اليه كافرين بنعمة النجاة مستمتعين باجتماعهم على عبادة الاصنام
وتوادهم عليها والتلذذ لا غير على خلاف عادة المخلصين من المؤمنين فانهم يشكرون نعمة الله
تعالى عليهم اذا انجاهم ويجعلون نعمة النجاة ذريعة الى ازدياد الطاعة لا الى التمتع والتلذذ
وعلى هذا لا وقف على يشركون ومن جعله لام الامر متمسكا بقراءة السكون على وجه التهديد
كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر يقف عليه فسوف يعلمون سوء تدبيرهم عند تدميرهم
اولم يروا اهل مكة انا جعلنا بلدهم حرما ممنوعا عن النهب والتعدي امنا
يا من اهله سواء كان من اهله او من غيرهم عن القتل والسبي ويتخطف الناس من حولهم
يختلسون سبيا وقتلا اذ كانت العرب حولهم في تغاور وتناهب افبالباطل ابعد
هذه النعمة المكشوفة وغيرها مما لا يقدر عليه الا الله بالصنم او الشيطان يؤمنون
وبنعمة الله يكفرون حيث اشركوا به غيره وتقديم الصلتين للمحافظة على الفاصلة والاهتمام
على طريق المبالغة ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان جعل له شريكا قائلين ما
نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهذا القول منهم باعتبار ان التقرب لا يكون الا بالطاعة

بان تلك العبادة طاعة امروا بها وهذا افتراء منهم على الله تعالى ثم ان الافتراء في نفسه
وان كان لا يخلو عن كذب ولكن المفترى قد يكون صادقا والمفترى ههنا وهو كون
عبادة الاصنام طاعة لما كان كذبا زاد قوله كذبا زيادة في تقبيح شانهم او كذب بالحق
يعني الرسول او الكتاب وفي لما جاءه تسفيه لهم حيث لم يتوقفوا ولم يتاملوا قط حيث
جاءهم بل سارعوا الى التكذيب اول ما سمعوه اليس في جهنم مثوى للكافرين تقرير
لثوائهم فيها اي لا يثوون فيها وقد افتروا مثل هذا الافتراء على الله وكذبوا بالحق هذا
التكذيب اولم يصح عندهم ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا مثل هذه الجراءة
والذين جاهدوا اطلق المجاهدة ليتناول كل ما يجب مجاهدته من الاعادي الظاهرة
والباطنة بانواعها فينا في حقنا ومن اجلنا ولوجهنا خالصا لنهدينهم سبلنا
لنزيدنهم هداية الى سبيل الخيرات وتوفيقا لسلوكها كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى
وان الله لمع المحسنين بالنصرة والمعونة في الدنيا وبالثواب والمغفرة في العقبى

سورة الروم مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم غلبت الروم غلبت في القراءة المشهورة على البناء للمفعول وسيغلبون على البناء للفاعل
وقرئ على العكس واضافة غلبهم في الاولى الى المفعول وفي الثانية الى الفاعل في ادنى
الارض ارض العرب لانها الارض المعهودة عندهم في ادنى ارض العرب منهم او ارضهم
او ادنى ارضهم من العرب واللام بدل من الاضافة وقيل ادنى ارضهم الى عدوهم اما الدلالة
على الاضافة فظاهر من ذكرهم واما النهاية فلحديث المغلوبية وعن مجاهد في ارض الجزيرة
وهي ادنى ارض الروم الى فارس وقيل اذرعات وبصرى وهي ادنى ارض الشام من العرب
وهم من بعد غلبهم وقرئ بسكون اللام فالغلب والغلب كالحلب والحلب سيغلبون
في بضع سنين البضع ما بين الثلاث الى العشرة وفي المجمل ما بين الواحد الى التسعة روي
انه لما بلغ مكة غلبة فارس الروم فرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى
اهل الكتاب ونحن وفارس اميون فقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن عليكم فنزلت وظهر
الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند راس سبع سنين وقيل كان النصر يوم بدر [illegible]
والمعنى على القراءة الثانية ان الروم غلبوا على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون في بضع سنين
وقد غلبهم المسلمون في السنة التاسعة وفتحوا بعض بلادهم لله الامر من قبل ومن بعد
اي من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم غالبين اي ليس الامر في الحالين الا لله وقبل من قبل
ومن بعد على الحذف من غير تقدير مضاف كانه قيل قبلا وبعدا اي اولا واخرا ويومئذ ظرف
معمول ليفرح والتنوين فيه عوض عن الجملة المحذوفة وقرئ ويوم اذ يغلب الروم فارس
يفرح المؤمنون بنصر الله وتغليب من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاؤل

وغيظ من شمت بهم من كفار مكة او مما ظهر من صدق المؤمنين فيما اخبروا به المشركين وقيل
وافق ذلك اليوم يوم بدر في هذا اليوم نصر المؤمنين ينصر من يشاء فينصر هؤلاء تارة
وهؤلاء اخرى وهو العزيز الرحيم ينتقم من عباده تارة بالنصر عليهم ويتفضل عليهم
اخرى بنصره اياهم وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان ما تقدمه في معنى وعد
كقولك على الف درهم عرفا الا انه معناه اعترف لك بها اعترافا لا يخلف الله وعده
اعتراض ولكن اكثر الناس لا يعلمون وعده او صحته وعدم لبلوغهم في الجهل غاية
حتى يستحقوا ان يقال فيهم لا يعلمون مطلقا يعلمون بدل من لا يعلمون وفي
هذا الابدال مع انه من لطايف علم البديع اشعار بان سلب العلم الذي هو الجهل لا ينافي
وجود العلم بظاهر امور الدنيا بل هو وهو لا فرق بينهما ظاهرا من الحيوة الدنيا فيه
اشارة الى الحيوة الدنيا ظاهرا وهو ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذ
وجميع اسبابها وضبطها وباطنا وهو ما يعرفه العقلاء من الاعتبار بها بسرعة زوالها
وكونها محلا متجرا للاولياء ومجازا للاخرة يجب التزود منها بالتقوى والطاعة وتنكير ظاهرا
يفيد انهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا من ظواهرها وهو التمتع منها بالاكل والشرب كالبهائم
لا جملتها فان من ظواهرها معرفة خواصها والاستدلال بها على صانعها وكيفية الانتفاع
لصلاح الدارين ففيه ذم لهم بالجهل بليغ وهم عن الاخرة التي هي غايتها والمقصود
منها هم غافلون لا تخطر ببالهم وهم الثانية تكرير للاولى او مبتدا وغافلون خبره
والجملة خبر الاولى وعلى الوجهين في توسطه وتكريره اشعار بانهم معدن الغفلة عن
الاخرة ومتبعها يتمادون فيها بالغون النهاية كانهم لا غافل غيرهم اولم يتفكروا
كلمة استبطا ومعناها هلا يتفكروا الم اخروا التفكر والواو للعطف على محذوف تقديره
الم يتفكروا او لم يتفكروا وقوله في انفسهم جوز ان يكون ظرفا وان يكون صلة للتفكر
ومعنى تقييد التفكر على الاول مع انه لا يكون في النفس زيادة تصوير لحال المتفكرين
كقولك كتبته بيميني كانه قيل اولم يحدثوا التفكر في انفسهم العاطلة الفارغة عن التفكر وعلى
الثاني معناه اولم يتفكروا في انفسهم التي هي اقرب الاشيا اليهم وفيما فيها من عجايب
الصنع وبديع الحكم التي اودعها الله تعالى فيها وفي انتقالها في السن الى الشيخوخة و
الضعف وضرورة فنائها ما خلق الله السموات والارض وما بينهما متعلق بعلم
او قول محذوف دل الكلام عليه اي فيعلموا او يقولوا هذا القول الا بالحق اي الا
ملتبسة بالحق اي بالحكمة البالغة والصواب واجل مسمى اي وتقدير اجل مسمى
ينتهي اليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب او الا وهي ملتبسة بالحق
وتقدير اجل مسمى اي ما خلقها باطلا ولا لتبقى خالدة وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم

ذفا

مل

بلقا

بلقاء جزايه عند الاجل المسمى والبعث لكافرون اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم الى اثار المدمرين من عاد
وثمود وغيرهم من الامم السالفة المترتب على ذلك السير ثم وصف حالهم فقال كانوا
اشد منهم قوة واثاروا الارض وقلبوا وجهها لزرع البزور واستنباط المياه واستخراج
المعادن وغيرها وعمروها بالاهتمام في امر البنا والغرس اكثر مما عمروها
عمارة اهل مكة اياها وفيه تهكم بهم لانهم اهل واد غير ذي زرع لا عمارة لهم ولا حرث وهم
مغترون بالدنيا مفتخرون بها مع انهم اضعف حالا فيها اذ مدار امرها على التبسط في
البلاد والتسلط على العباد والتصرف في الاقطار باظهار انواع الاثار وجاءتهم رسلهم
بالبينات بالمعجزات او الايات الواضحات فما كان الله ليظلمهم فما صح له ان يظلمهم
لان حاله تعالى ينافي الظلم كما ينبئ عن عدم كون تدميرهم واستيصالهم ظلما ولكن كانوا
انفسهم يظلمون حيث اصروا على ما اوجب تدميرهم من الكفر والتكذيب والمعاصي
ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوءى اي عوقبوا في الدنيا بالتدمير ثم كانت عاقبتهم
العقوبة التي هي اسوأ العقوبات فهي جهنم التي اعدت للكافرين فوضع الظاهر موضع
الضمير للدلالة على ان الموجب للعقوبة السوءى اساءتهم المفرطة والسوءى تانيث الاسوأ وهو
الاقبح كما ان الحسنى تانيث الاحسن او مصدر كالبشرى نعت بها للمبالغة ان كذبوا
بايات الله علة اي لان كذبوا او بدل من السوءى وعطف بيان له او خبر كان والسوءى مصدر
اساؤا او مفعوله اي اقترفوا الخطيئة السوءى والتهويل فان يكون كذبوا تفسيرا والتي هي
المفسرة اي لان الاساءة اذا كانت مفسرة بالتكذيب والاستهزاء كانت في معنى القول نحو
نادى وكتب وما اشبههما ويجوز ان يكون معنى اساؤا السوءى اقترفوا الخطيئة التي هي
اسوأ الخطايا وان كذبوا عطف بيان او خبر كان محذوف كما يحذف جواب لو ولما للارادة
الابهام اي ما لا يدخل تحت الوصف وقرئ عاقبة بالنصب على ان الاسم السوءى وان كذبوا
على الوجوه المذكورة وكانوا بها يستهزءون عدل عن حقيقة الماضي وزاد عبادة
للدلالة على الاستمرار التجددي في امر الاستهزاء المتضمن التكذيب والمحافظة على رؤس
الفاصلة الله يبدؤ الخلق ينشيهم ثم يعيده يبعثهم ثم اليه ترجعون للجزاء
والالتفات للاستحضار والتنبيه على ان المقصود وقرئ بالياء على الاصل ويوم تقوم
الساعة يبلس المجرمون يسكتون متحيرين بالسين يقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس
من ان يحتج ومنه ناقة مبلاس اذا لم يكن بها رغاء وقرئ بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته
ولم يكن لهم من شركائهم من الذين اشركوهم بالله وعبدوهم من دونه شفعاء يجيرونهم
من عذاب الله وكانوا بشركائهم كافرين يكفرون بالهتهم حتى ييسوا منهم وانما جي بلم يكن

ح

وكانوا على لفظ الماضي لتحقق وقوعه وقيل كانوا في الدنيا بسببهم كافرين وزيادة كان للمحافظة
على الفاصلة ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون في الاحوال والمحال فمن بعدها والضمير
للخلق او ضميري ترجعون واعادة يوم تقوم الساعة للتهويل فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فهم في روضة الفا للتفصيل الروضة البستان وكل ارض ذات نبات وماء تسمى روضة
وتنكيرها للتفخيم بالابهام اي في روضة لا يعرف قدرها في علو شانها يحبرون يسرون
من حبره اذا سره سرورا تهلل له وجهه واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك في
العذاب محضرون مقيمون لا يغيبون عنه وفي بنا الاحضار دلالة على انه ورود فوق
ما بالطبع والعادة فلا بد من سار تبشرهم بانواع المسار التي لا يمكن للانسان مثلها في الدنيا
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون لما ذكر الوعد والوعيد اتبعه بما يتعين طريقا
للخلاص عن الدركات الى الوصول الى الدرجات كانه قيل اذا صح ووضح عاقبة المعرضين
عن عبادته وطاعته والمقبلين اليها فسبحوا الله تسبيحا دائما وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون
اي تصبحون فيه وتمسون فيه وله الحمد في السموات والارض للشواهد الناطقة فيها
باستحقاق الحمد ممن له تمييز من اهلها ووجوبه عليهم وعشيا انما عدل هنا عن سنن نظا
لانه لم يتصرف من العشي فعل لا يقال اعشى كما يقال امسى واصبح واظهر وحين تظهرون
في صورة الاخبار لكونه اكد بتنزيه الله تعالى والثنا عليه في هذه الاوقات التي تظهر فيها
ايات قدرته وتجدد فيها نعمه وانما خص التسبيح بطرفي النهار لان اثار القدرة فيها اظهر
والحمد بالعشي والاظهار لان تجدد النعم فيها اكثر وابين والعشي اخر النهار من عشي العين
اذا نقص نورها والظهيرة وسطه ويجوز ان يكون عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله
وله الحمد في السموات والارض اعتراضا وقيل المراد بالتسبيح والتحميد في الاوقات المعينة
الصلوات وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الاية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلوة المغرب
والعشا وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر ولا يلزم منه
ان الاية مدنية لان الخمس فرضت بمكة يدل عليه حديث المعراج دلالة بينة يخرج الحي من الميت
الطاير من البيضة والحيوان من النطفة ويخرج الميت من الحي بالعكس ويحيي الارض
باخراج النبات فيها وكذلك ومثل ذلك الاخراج تخرجون من القبور بالبعث فانه
تعقيب الموت بالحيوة واخراج الحي من الميت والمراد ان الابدا والاعادة يتساويان بالنسبة
الى قدرة القادر وفي الاخراج والاحيا المذكورين دليل قاطع على البعث ومن اياته ان
خلقكم من تراب لانه اصله منه ثم اذا انتم بشر تنتشرون ثم فاجاتم وقت كونكم بشرا منتشرين
في الارض ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لان حوى خلقت من ضلع ادم عليه السلام
وساير النسا خلقن من نطف الرجال او لانهن من جنسهن لا من جنس اخر لتسكنوا اليها

برهما

بعد موتها

يقال

يقال سكن اليه اذا مال اليه ومنه المسكن وهو الالف المسكون اليه وذلك لان الالف انما يكون
من المتجانسين لان الجنسية علة الضم والاختلاف سبب التنافر وجعل بينكم بين الرجال
والنسا مودة ورحمة التواد والتراحم بعصمة الزواج بعد ان لم يكن بينهما سابقة معرفة
ولا قرابة توجب ذلك لينتظم امر النسب والترتيب والارث او بين افراد الجنس لابتناء امر المعاش
على التعاون المحوج الى التواد والتراحم ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فيعلمون ما
في ذلك من المصالح والحكم ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم لغاتكم
بالعربية والعجمية وغيرهما من لغات كل صنف واهل كل اقليم ولهجاتهم والوانكم اشكالكم
وهياتكم من تخاطيط الاعضاء والصدور فانه لا يكاد يتفق اثنان في الشكل والهيئة وعليه يبتني
التعارف المحتاج اليه في ضبط النظام ان في ذلك لايات حيث ولدوا من اب واحد وهم على
الكثرة التي لا يعلمها الا الله متفاوتون للعالمين لكل من له عقل من اهل العالم وقرئ بالكسر
ويرجحها قوله وما يعقلها الا العالمون ومن اياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من
فضله ظاهر الاية يدل على المنام بالليل والنهار وابتغاء الفضل فيهما وهو معنى صحيح
فان المنام في النهار الصيفية الطويلة هو القيلولة المستحبة في السنة لاستراحة القوى
النفسانية وانتعاش القوى الطبيعية وكذا ابتغا الفضل في الليالي الشتوية من المباحات
لقصر النهار وقصوره عن حاجات الناس ويجوز ان يكون منامكم بالليل والنهار من باب
اللف وترتيبه منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار اي منامكم بالليل وابتغاؤكم من
فضله بالنهار ففصل بين القرينين بالزمانين اشعارا بان كل واحد من الزمانين وان اختص
باحدهما فهو صالح للاخر عند الحاجة ويؤيده هذا الاختصاص تكرره هذا المعنى في القران
ان في ذلك لايات لقوم يسمعون يدركون المحسوس لما كان المشاهد اليه من جنس ما
يدرك بالمشاهدة وبالسماع من الغير كما في حق الاعمى والثاني اضعف الطرفين عبر به عن
ادراكه اعمالا للدلالة وهذا من لطايف الاعتبار التي قل من يتنبه لها الا من له اختبار
ومنه ومن اياته يريكم البرق ومن اياته خبر مبتدا محذوف اي من اياته ما يذكر او يتلى عليكم
ثم قال يريكم البرق اما بيان لذلك او يريكم مبتدا على حذف ان ورفع الفعل كقوله الا ايها الزاجري
احضر الوغى او تنزيل الفعل منزلة المصدر المرفوع ومن اياته اراءتكم البرق كقوله تسمع
بالمعيدي خير من ان تراه او صفة لمصدر وتقديره اية يريكم بها البرق كقوله
فما الدهر الا تارتان فمنهما ... اموت واخرى ابتغي العيش اكدح
اي تارة اموت فيها خوفا من الصاعقة وطمعا في الغيث وقيل خوفا للمسافر وطمعا
للحاضر ونصبهما على المفعول له وانما جاز مع انهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل لان الاراءة
متضمنة للرؤية او على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي ارادة خوف وطمع

اوتاويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقوله فعلته رغما للشياطين او على الحال اي خا
وطامعين وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بالنبات بعد موتها بسببها وقد
سبق وجه الفا التعقيبية بين الانزال والاحيا في تفسير سورة النحل ان في ذلك لايات
لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في استنباط اسبابها وكيف تكوينها ليظهر لهم كمال قدرة
الصانع وحكمته ومن اياته ان تقوم السما والارض بامره اي بقوله كونا قايمين والمراد
تعلق ارادته بقيامهما في حيزهما المعينين من غير مقيم محسوس شبهتا في قيامهما على وفق ارادة
بمامور مطيع امتثل امر آمر مطاع بلا توان وتقصير للمبالغة في كمال قدرته ونفاد امره وعدم
تخلف المراد عن ارادته وكذا قوله ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون شبه الموتى
بالمامور المطيع وللتصوير ترتب خروجهم على دعايه من غير توقف عطف على ان تقوم على تاويل
مفرد كانه قيل ومن اياته قيامهما ثم خروجكم من الارض بسرعة اذا دعاكم دعوة فيقول ايها
الموتى اخرجوا وثم مستعار لبعد هذه الحالة من قيام السموات والارض بامره وهي خروج الموتى
كلهم من الارض فجمة عند قوله قوموا دفعة واذا الاولى شرطية والثانية للمفاجاة وهي تقوم
مقام الفا في جواب الشرط ومن الارض متعلق بدعاكم لا بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما
قبله وله من في السموات والارض قد سبق ما يتعلق بمن في مثل هذا المقام كل له قانتون
منقادون لوجوه افعاله فيهم لا يمتنعون عليه وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده بعد
هلاكهم وهو الاعادة وتذكيره لمطابقة اهون او على تاويل ان يعيده عليه
اي يسهل عليه من الانشا بالنسبة الى عقولكم والقياس على اصولكم والا فجميع الممكنات
بالنسبة الى قدرته سواء والاعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس الى الانشا وانما
قدمت الصلة في قوله هو علي هين لقصد الاختصاص ولا وجه له ههنا فلذلك اخرت
وقيل الضمير في عليه للخلق اي الاعادة اهون على الخلق لانه وجود وقع على التمام واما
الانشا فهو وجود متدرج من النقصان الى الكمال فعلية فيه شرة وتعقر وله المثل
الاعلى في السموات والارض اي الوصف العجيب الشان الذي ليس لغيره ما يساويه او يدانيه
كالقدرة الكاملة والحكمة البالغة يصفه به ما في السموات والارض دلالة ونطقا وهو
العزيز القوي القادر المطلق على ابدا كل ممكن واعادته لا يعجزه شي ولا يمتنع عليه الحكيم
الذي يجري شؤونه وافعاله على مقتضي حكمته ضرب لكم مثلا في التوحيد من انفسكم
اي منتزعا من اقرب شي اليكم من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من مماليككم من شركا فيما رزقناكم
في اموالكم التي رزقناكموها اي هل ترضون لانفسكم ان يشارككم عبيدكم فيما رزقناكم من الاموال
وغيرها وهو بشر مثلكم وانتم عبيد مثلهم فانتم فيه سواء فتكونون انتم وهم سواء في التصرف
فيها من غير فرق ومن الاولى للابتدا والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام

الجاري مجرى النفي لانه للانكار تخافونهم تستبدوا بالتصرف فيها كخيفتكم انفسكم
كما يخاف بعض الاحرار بعضا اذا اشتركتم في ميراث لهم او مال مشترك ان يجوزه دونه او يستقل
بتدبيره والتصرف فيه او يخافوا ان يستبدوا بالتصرف دونهم مخافة بعض الاحرار بعضا
فاذا لم ترضوا بذلك لانفسكم وانتم وعبيدكم سوا في البشرية فكيف ترضون لرب الارباب
ومالك العبيد والاحرار ان يكون بعض عبيده له شركا كذلك اي مثل ذلك التفصيل
نفصل الايات اي نبينها فان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها تصديقا وتشكيكا
لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في تدبر الامثال بل اضراب عن تبصير المشركين
واثبات هداهم لا يجدي عليهم شيا اتبع التفات من الخطاب الى الغيبة للاعراض والمنا
الذين ظلموا بالشرك لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم اهواهم بغير علم حال انما فيه
لان العالم اذا ارتكب الهوى عنر مما يردعه علمه واما الجاهل فهم كالبهيمة لا يرده شي فمن
يهدي من اضل الله فمن يقدر ان يهدي من اضله الله تعالى وخذله والفا للسببية
والاستفهام للانكار اي اذا اتبع الظالمون اهواهم جاهلين لا وازع لهم فلا يقدر احد
ان يهديهم وما لهم من ناصرين ينقذونهم من ضلالتهم ويمنعونهم من تبعاتهم الذين
ظلموا ومن اضل الله موضوعان موضع الضمير والاول للتسجيل عليهم بالظلم والتعليل
عليهم بالظلم والتعليل لاتباع الهوى والثاني للتعليل لامتناع قبولهم الهدى فاقم
وجهك للدين تمثيل للاقبال عليه والاستقامة اذ محال من قصد شيا غير ملتفت عن
سمته يمينا وشمالا اي قوم وجهك له وعدله اليه غير منحرف عنه اصلا وكناية عن كمال
الاهتمام فان من اهتم بالشي غاية الاهتمام عقد طرفه عليه وسدد نظره اليه وقوم وجهه
مقبلا عليه بكليته والفا للسببية اي اذا لم تنجع هدايتك فيهم فاقم وجهك للدين واتركهم
حنيفا حال من ضمير اقم او من الدين فطرة الله نصب على الاغرا والزموا فطرة الله
او عليكم فطرة الله والاضمار على خطاب الجماعة لقوله واتقوه واقيموا ولا تكونوا فانه عطف
على مقدر واضافة الفطرة الى الله وتوصيفها بقوله التي فطر الناس عليها للاختصاص
والتعظيم وانه لا ينبغي ان تبدل وتغير ولا يقدر احد ان يغيرها حسما لاطماع المشركين
وحتما بان توحيده ذاتي لا يمكن تغييره وتنبيه للتاكيد والتقرير بقوله لا تبديل لخلق الله
ففيه دليل على ان المراد من الفطرة الخلقة اي الحالة التي جعلوا عليها من قبولهم للتوحيد
ودين الاسلام وتمكنهم من ادراكه بحيث خلوا وما جبلوا عليه لما اختاروا عليه دينا اخر
وشهدت عقولهم الفطرة ومن غوي منهم فباغوا الشياطين الانس والجن وقد افصح
عنه قوله عليه السلام كل عبادي خلقت حنفا فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وامروهم
ان يشركوا بي غيري وقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه اللذان

بهوائه وبنصرانه الى اخره ويجوز ان يراد بالفطرة دين الاسلام فيكون معنى لا تبديل
لا ينبغي ان يبدل وانما وحد الخطاب اولا ثم جمع لان خطاب الرسول خطاب لامته فافرد
تعظيما للامام ثم جمع لان خطابه للبيان وانما تعرض له بالاصالة وهم بالتبعية
ذلك اشارة الى الدين الماموربا قامة الوجه له الدين القيم المستوي الذي لا عوج
فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون استقامته لعدم تدبرهم منيبين اليه اي راجعين
الى الله بالتوبة مما لكم ومقبلين عليه باعمالكم من اناب اذا رجع بعد اخرى والمراد من التكرار
المبالغة في الرجوع الى الرضا والانقطاع عن الهوى وتضمين التنبيه على قبول التوبة مرة بعد
اولى وقيل الانابة الانقطاع الى الله تعالى بالطاعة واصله على هذا القطع ومنه الناب
لانه قاطع واتقوه واقيموا الصلوة خصها بالذكر لانها عماد الدين ولا تكونوا
من المشركين ممن يشرك به غيره في العبادة وفيه نهي عن الريا في الصلوة فانه شرك خفي
من الذين بدل من المشركين فارقوا دينهم تركوا دين الاسلام وانما عبر عن تركه
بالمفارقة لما عرف انهم جبلوا على قبوله فنزلوا قبوله منزلة فعله مبالغة في قوة قبولهم
اياه وقرئ فرقوا دينهم اي جعلوه اديانا مختلفة لاختلاف اهوائهم وكانوا شيعا
تشايع كل فرقة امامها الذي هو اصلها والشيع الفرق الذي يجتمع كل فريق منها على خلاف
مذهب الفريق الاول كل حزب بما لديهم فرحون مسرورون يحسبون انه الحق والجملة
في محل النصب صفة لشيعا وكل حزب مبتدا خبره من الذين فارقوا منقطعا عما قبله وفرحون
صفة كل واذا مس الناس ضر شدة دعوا ربهم منيبين اليه راجعين اليه من دعاء غيره
ثم اذا اذاقهم منه ذلك الضر رحمة خلاصا اذا فريق منهم بربهم يشركون
فاجا فريق منهم الاشراك بربهم الذي عافاهم وفي عبارة ثم ولفظ اذا افهام اشارة الى انهم مع
امتداد ايام شدتهم وتنائيهم منها في الغاية يشركون كما تظهر طليعة الاخلاص منها
ليكفروا بما اتيناهم اللام مجاز للعاقبة وقيل هي بمعنى التهديد فتمتعوا امر على الاول امر
كقوله اعملوا ما شئتم والفا سببية على تقدير شرط محذوف اي اذا اصررتم على الشرك
وتماديتم في الكفر فتمتعوا فسوف تعلمون وبال تمتعكم ام انزلنا ام بمعنى بل للاضراب
عن الكلام السابق والهمزة للاستفهام عن الحجة استفهام انكار وتوبيخ عليهم سلطانا
التنكير للتعظيم وفائدته الدلالة على ان ما تنزل في هذا الامر حقه ان يكون برهانا
عظيم الشان واضح الدلالة ولهذا عبر عنه لالته الواضحة بالنطق في قوله فهو يتكلم
اي بالتصريح دون التوصيف بما كانوا به يشركون بالامر الذي بسببه يشركون به تعالى في
الوهيته واذا اذقنا الناس رحمة نعمة من صحة وسعة فرحوا بها بطروا بسببها •
وان تصبهم سيئة شدة بما قدمت ايديهم اي بشوم معاصيهم اذا هم يقنطون قنطوا

ب

عا

من الرحمة بالكلية وانما جي بصيغة المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستغظاعا
للقنوط وتنبيها على ان ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا واذا المفاجاة جواب الشرط نائبا عن
الفا لتناسبهما في التعقيب ثم انكر عليهم بطرهم وقنوطهم بانهم قد علموا ان الله هو الباسط
القابض فما لهم لا يشكرونه على نعمته ولا يرجعون اليه تائبين عن معصيته كالمؤمنين حتى يعيد
عليهم رحمته ويبسط عليهم نعمته وهذا ما اراد بقوله اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن
يشا ويقدر عبارة واشارة ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون فيستدلون بها على كمال

ل

القدرة والحكمة لما وبخهم على البطر والقنوط وعلى السيئة بارتكاب المعاصي والذنوب حثهم
على ما يجب عليهم واوعد على ارتكاب ما حرم وحرضهم على ما يجب ان يفعل في حال السعة
ولذلك جاء بالفا السببية فقال فات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل اذا
فرض الاخيرين بالنصيب المسمى لهما من الزكوة وجب ان يفسر حق الاول بالنفقة الواجبة
لئلا يلزم استعمال لفظ الامر للوجوب والندب معا في استعمال واحد ولهذا احتج ابو حنيفة
بهذه الاية في وجوب النفقة للمحارم اذا كانوا محتاجين عاجزين عن التكسب وخص الشافعي
وجوبها للوالدين والاولاد وقاس سائر القرابات على ابن العم او الاولاد بينهم •
ذلك خير للذين يريدون وجه الله اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا واولئك
هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم من زخارف الدنيا النعيم المقيم في العقبى •
وما اتيتم من ربا زيادة محرمة في معاملة وقرئ بالقصر اي ما جئتم به من اعطا الربا
ليربو في اموال الناس ليزيد ويزكو في اموال الناس فلا يربو فلا يزكو عند الله
ولا يبارك فيه وقرئ لتربوا اي لتزيدوا ولتصيروا ذا ربا وقيل هو من الربا الحلال وما
تعطونه من الهدية لتاخذوا اكثر منها فلا تربوا عند الله لانكم لم تريدوا بذلك وجه الله خالصا
وما اتيتم من زكوة تريدون وجه الله تبتغون وجه الله خالصا فاولئك هم المضعفون
المضعف والضعف كالمقوي والموسر بمعنى ذي القوة وذي اليسار وقرئ بفتح العين
والراجع منه محذوف ان ما كانت موصولة تقديره المضعفون به او فرتموه فاولئك هم
المضعفون ذوو الاضعاف من الثواب او الذين ضعفوا اموالهم ببركة الزكوة وفيه التفات
حسن للتعظيم كانه قال للملائكة وخواص خلقه تعريفا لحالهم فاولئك الذين يريدون وجه الله
بصدقاتهم هم المضعفون فهو امدح لهم من ان يقولوا وانتم المضعفون وتغيير العبارة
والنظم عن سنن المقابلة للمبالغة في المدح او للتعميم اي فمن فعل ذلك فاولئك هم المضعفون
فيكون اثباتا برهانيا الله خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل
من ذلكم من شيء الله مبتدا الذي خلقكم خبره او صفته والخبر هل من شركائكم والرابط
للجملة بالمبتدا ذلكم لان معناه من افعاله ومن الاولى والثانية تفيدان شيوع الحكم في جنس

الشركاء

والافعال والثالثة لاستغراق النفي وكلها منها مستقلة بتاكيد مقرر لتعجيز الشركاء
وتجهيل عبدتها فان معنى الاستفهام الانكار المستلزم للنفي على سبيل التاكيد اثبت الله
هذه الافعال التي هي من لوازم الالوهية وخواصها ونفاها عن شركائهم من الاصنام
وغيرها لما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك انه منزه عن
ان يكون له شركاء سبحانه وتعالى عما يشركون قيل لما لم يجيبوا عما سيلوا عنه عجزا قال
استبعادا سبحانه الى اخره ظهر الفساد في البر والبحر مثل الموتان في الناس والدواب
والجدب والقحط وكثرة الحرق والغرق وقلة الريع والنسل وخيبة الصيادين والغاصة
وخسران التجار واحتباس الامطار ومحق البركات وشمول الافات بما كسبت ايدي الناس
لشوم معاصيهم وذنوبهم وقيل ظهر الفساد في البر بقتل ابن ادم اخاه وفي البحر بان جلندى
كان ياخذ كل سفينة غصبا وعن الحسن ان المراد بالبحر المدن والقرى التي على شاطئه
ليذيقهم بعض الذي عملوا اراد وباله في الدنيا فان جزاه الموعود في الاخرة ولما كان
ما في الدنيا موجب شانه فاعملوا ومقتضي شان ذلك العمل منزل منزلته واللام للعلة
استعيرت هنا للترتيب المسبب على السبب لعلهم يرجعون لارادة الرجوع عما هم عليه
قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل امرهم بالسير في الارض
والنظر في اثار من اهلكه الله من الامم قبلهم بسبب كفرهم ومعاصيهم ليشاهدوا اصرار
ذلك ويتحققوا صدقه كان اكثرهم مشركين استيناف للدلالة على ان منهم من اهلكه
بسبب ساير المعاصي ولم يكن المشرك وحده سبب تدميرهم الكل فاقم وجهك للدين القيم
البليغ الاستقامة التي لا يتاتى فيه عوج يعني قد بلغ الانذار مبلغه فلا تهتم لاعراض
هولاء واقصد انت الطريق الذي يوصلك الى الدين المستقيم وهو ما تقدم ذكره فطرة الناس
عليها ذلك الدين القيم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله يوم ياتي من الله يوم لا
يقدر ان يرده احد او ياتي يوم لا رد له من جهة الله اي لا يرده الله لتعلق ارادته القديمة
بمجيئه يومئذ يصدعون يتصدعون اي يتفرقون تفرق الاشخاص على ما ورد في قوله
تعالى يوم يكون الناس كالفراش المبثوث لا تفرق الفريقين كما ظنه من قال فريق في الجنة وفريق
في السعير فان المبالغة في التفرق المستفاد من يصدعون مما يناسب الاول ثم استانف
لبيان شانهم في تلك الحالة فكانه يقول لكل امرئ شان يشغله به من كفر فعليه كفره وبال
كفره مبالغة في احاطة جميع المضار لان مضرة الكفر وباله غاية في المضار لا وراءها وهي
احاطة النار به ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون يسوون مقرا في الجنة لا انم
ولا اخيب للراحة منه وهو تمثيل لحالهم بحال من يمهد فراشه ويوطيه لنفسه في غاية النعومة
بحيث لا يصيبه في مرقده ما ينغصه عليه من ذي خشونة وتقديم الظرف في الموضعين

للاختصاص

للاختصاص وصيغة الافراد في الكافر للدلالة على انفراده في زمان عذابه تشديدا له فان
الوحشة نقمة اخرى وصيغة الجمع في المومن للدلالة على ان لهم نعمة الانس زيادة على ثوابهم
الجزيل وفي مقابلة من كفر من عمل صالحا تنبيه على ان العمل الصالح من روادف الايمان لا يوجد
مع الكفر ولما كان العمل الصالح كناية عن الايمان لم يبق قسم اخر مجهول الاخر ليجزي الذين
امنوا وعملوا الصالحات من فضله مما يتفضل به عليهم لان الثواب من الفضل والعقاب
من العدل وقوله تعليل ليصدعون والاقتصار على جزاء المومنين للاشعار بانه المقصود
بالذات والاكتفاء من جزاء الكافرين بفحوى قوله انه لا يحب الكافرين وتوصيف المومنين بالعمل
الصالح ليس للتخصيص بل للتنبيه على ان الايمان الخالص يستتبع العمل الصالح او ليهتدون
والموصول مع صلته من باب وضع الظاهر موضع المضمر للتصريح بالتكرير للمدح والاشعار
بانه هو الموجب للكرامة واستحقاق الفضل والترغيب في الايمان والصلاح وكذا انه لا
يحب الكافرين بعد قوله من كفر فعليه كفره فانه تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس اي
يقرر الاول الثاني وبالعكس وذلك ان قوله ليجزي الذين الى اخره يدل بمنطوقه على اختصاصهم
بالجزاء التكريمي وبمفهومه على انهم اهل الولاية والزلفى وقوله انه لا يحب الكافرين لتعليل
الاختصاص يدل على ان عدم المحبة اقتضى حرمانهم وبمفهومه على ان مقتضي الجزاء الاهدا
معرفة فهو يحب المومنين ومن اياته اي ومن ايات قدرته وحكمته ان يرسل الرياح
من الجنوب والشمال والصبا وهي رياح الرحمة واما الدبور فهي ريح العذاب ومنه
قوله عليه الصلوة والسلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وذلك ان العرب تقول
لا يلقح السحاب الا من رياح مختلفة يريد اجعلها لقاحا للسحاب ولا تجعلها عقابا وتحقق
ذلك مجيء الجمع في ايات الرحمة والواحد في قصص العذاب وقرئ الريح على ارادة الجنس
ثم عدد الفوائد في ارسالها فقال مبشرات اي ارسلها للبشارة بالغيث وليذيقكم
من رحمته ولاذاقة الرحمة وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه والروح الذي
مع هبوب الريح وزكاء الارض وغير ذلك عطف على علة او على شيء محذوف دل عليها مبشرات
او عليها باعتبار المعنى لانه في معنى التعليل كانه قال ليبشركم وليذيقكم او متعلق بمحذوف
دل عليه ان يرسل تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا ارسلناها ولتجري الفلك بامره
عند هبوبها ولتبتغوا من فضله بتجارة البحر ولعلكم تشكرون وتشكروا نعمة الله
ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات لما وسط بين دلائل التوحيد
تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم ووعده اختصر الكلام بادراج ذكر الفريقين في طي ذكر الانتقام
والنصر قريبا للمقصود وقصرا للطريق والمعنى فجاؤهم بالبينات فمنهم من امن ومنهم من كفر
فانتقمنا في الدنيا من الذين اجرموا اي كفروا بالتدمير وكان حقا علينا نصر المومنين

اشعار بان الانتقام من المجرمين كان لاجلهم وتعظيم لهم واظهار لكرامتهم عند الله بان جعلهم
مستحقين على الله بنصرهم مستوجبين لان يظهرهم على عدوهم ولذلك قدم الخبر على الاسم
اعتناء بهم وتحقيق نصرهم عليه وقد يوقف على حقا ان اسم ان كان ضمير الانتقام وبهذا علينا
نصر المومنين اكتفا من معه الحق بعلينا   الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في
السما كيف يشا   اي يجعله متصلا تارة جارية في الجو كيف يشا سايرا او واقفا مطبقا وغير مطبق
من جانب دون جانب الى غير ذلك   ويجعله كسفا   قطعا تارة اخرى وقرئ بالسكون على انه
مخفف او جمع كسفة او مصدر وصف به والمراد بالسما جهة العلو وسمتها   فترى الودق
المطر يخرج في التارتين من خلاله من وسطه فاذا اصاب به بالودق من يشاء
من عباده يريد اصابة بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون بمجي الخصب وان كانوا
ان هي المخففة من الثقيلة واللام في لمبلسين الفارقة بينها وبين النافية من قبل ان ينزل
عليهم المطر من قبله تكرير للتاكيد كقوله فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها
وللدلالة على بعد عهدهم بالمطر واستحكام ياسهم وتمادي ابلاسهم ليفيد مبالغة في
استبشارهم فان الفرح بنزول المطر على قدر اغتمامهم بانقطاعه ويقوي معنى التاكيد
واللام في لمبلسين اي آيسين متحيرين من الغم منقبضين وكذلك معنى التشبيه في
فانظر الى اثر رحمة الله من النبات والاشجار وانواع الثمار وغير ذلك اي اذا كان كذلك
الاستبشار في نزوله وحل الغم في احتباسه فانظر الى اثار رحمة الله كيف هو واعتبره والضمير
في فانظر لكل مخاطب كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى اي ان ذلك
القادر الذي يحيي الارض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم فهذا استدلال باحياء
الموات على احياء الاموات وفي ان واللام تاكيد وتقوية للدليل في مقابلة انكارهم قرره وقواه
بقوله وهو على كل شي قدير لان نسبة قدرته الى جميع الممكنات على السوا ولئن ارسلنا
ريحا فراوه اي فراوا الاثر رحمة الله لان الرحمة الغيث واثره النبات مصفرا يابسا جافا
فانه اذا يبس اصفر وقيل الضمير للسحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر واللام موطية للقسم
دخلت على حرف الشرط وقوله لظلوا من بعده يكفرون جواب سد مسد جزا الشرط ولذلك
فسر بالمستقبل اي ليظلن من بعد اصفراره يكفرون بنعمه وهذه الايات ناعية على الكفار قلة
تثبتهم وسرعة تزلزلهم لعدم تدبرهم وسوء رايهم فان النظر السوي تقتضي ان يتوكلوا على
الله في الاحوال كلها ولا يضطربوا بل يشكروا نعمة الله تعالى عند الرخا والسعة ويصبروا عند
الضيق والبلا ولا يكفروا نعمه في الشدة واللاوا ويرضوا بما جرى من القضا فيفوزوا في الدارين
بالنعما والعافية   فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعا   للتسبيب اي انهم اذا كفروا
ولم ينتهوا بهذه الايات الواضحات ولم يسمعوا فهم موتى فهم صم او عمي فانك لا تسمع الموتى

ولا تسمع الصم الدعاء ولا تهدي العمي ويفيد الحكم بقوله   اذا ولوا مدبرين   المبالغة
في غفلتهم وتماديهم في جهلهم وعدم نجع الدعوة فيهم فان الاصم وان لم يسمع فان كان
مقبلا فربما يفطن بالاشارات والحركات واما اذا كان مدبرا فلا امكان لسماعه وفهمه
وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم انما عدل هنا عن صيغة الفعل الى صيغة الفاعل لانه لم يرد نفي
الهداية اصلا فان الهداية في الجملة ممكنة للاعمى بل اراد نفي الهداية التامة ولذلك
ضمنها معنى الاذهاب فلذلك قال   ان تسمع الا من يومن باياتنا   فان ايمانهم يدعوهم
الى سماع اللفظ وتدبر المعنى فهم منقادون لما يامرهم به   فهم مسلمون   منقادون
لاوامر الله تعالى   الله الذي خلقكم من ضعف   ابتداكم منه وجعل اساس امركم وما
عليه بنيتكم الضعف كقوله خلق الانسان من عجل وذلك حال الطفولة والصبي وقرئ ضعف
بالفتح والضم ومما لغتان كالفقر والفقر والثاني اقوى قراة لما روي ابن عمر رضي الله عنه
قال قراتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقراني من ضعف بالضم
ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة   ثم ردكم الى الضعف
والشيخوخة وزيادة قوله وشيبة للتنبيه على ان المراد التبدل بحسب السن ففيه دفع لذهاب
الوهم الا ان يراد بالجعل الاول الخلق من النطفة ومن الثاني نفخ الروح في البدن والتنكير
مع التكرار لان المتاخر غير المتقدم   يخلق ما يشاء   من ضعف وقوة وشيبة   وهو العليم
القدير   فهذه الانتقالات في الاحوال المختلفة دال على انه تعالى يخلق على مقتضى المشية
والعلم والقدرة لان التغيير من صورة الى صورة والترديد من حال الى حال مع امكان
خلاف ذلك دليل على ان الارادة المبنية على العلم والحكمة المفضية الى القدرة   ويوم
تقوم الساعة   الساعة القيامة من الاسما الغالبة كالنجم للثريا والكوكب للزهرة
سميت بها لانها تقوم في اخر ساعة من الدنيا ولانها تقوم في بغتة كما تقول لمن تستعجله
في ساعة   يقسم المجرمون   يحلف الكافرون   ما لبثوا   في الدنيا او في القبور او فيما
بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون
وهو يحتمل الايام والساعات والاعوام   غير ساعة   الظاهر من القسم ان ما ذكروه
على زعمهم نسيانهم لانهم استقلوا مدة لبثهم اضافة الى مدة عذابهم لان ذلك القول منهم
قبل الدخول في زمان عذاب الاخرة والوقوف على مدتها فلا وجه للاضافة اليها   كذلك
مثل ذلك الصرف الصرف عن الصدق والتحقيق   كانوا يوفكون   يصرفون في
الدنيا عن الصدق الى الكذب ويقولون ما هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين
وقال الذين اوتوا العلم والايمان   من الملك والانس والجن   لقد لبثتم في كتاب الله
فيما كتبه واوحاه لكم على ان في للتعليل كما في قوله عليه السلام ان امراة دخلت النار في هرة حبستها

الي يوم البعث رد وامّا قالوا وحلفوا عليه واطلعوهم علي الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم علي انكارهم البعث بقوله فهذا يوم البعث اي فقد تبين بطلان قولكم والفا فصيحة دخلت علي جواب شرط محذوف تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم في النظر فيومئذ لا تنفع الذين ظلموا معذرتهم وقري بالياء لان المعذرة بمعني العذر ولان تانيثها غير حقيقي وقد فصل بينهما ولا هم يستعتبون الاستعتاب الاسترضا يقال استعتبني فلان فاعتبته اي ازلت عتبه وارضيته والمعني يطلب منهم ان يستعتبوا ربهم بالتوبة والطاعة كما طلب منهم في الدنيا ولا يقال لهم استرضوا ربكم ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل ولقد بينّا كل امر من امور الدنيا والتوحيد او احوال الاخرة في هذا القران بالتمثيل او وصفنا لهم كل صفة هي في الغرابة كالمثل لصفة المبعوثين واحوالهم ومقاولاتهم وعدم فايدة معذرتهم وتوبتهم واستعتابهم ولئن جئتهم باية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون ولكن لقسوة قلوبهم واحتجابها بمزخرفاتها لئن جئتهم باية عظيمة لينسبون ومن معك من المؤمنين الى التزوير والابطال والذين في موضع الضمير للتصريح بكفرهم ذمًّا وبيانا ان كفرهم هو الموجب للعناد والانكار ونسبة المحق الي التزوير والابطال كذلك مثل ذلك الطبع العظيم يطبع الله علي قلوب الذين لا يعلمون من باب اجراء المتعدي مجري اللازم اي الذين لا علم لهم ولا يطلبون ويصرون علي معتقداتهم الباطلة علي طبع قلوبهم بسبب الجهل المركب المانع من ادراك الحق ومعرفة المحق والغافي فاصبر للتسبيبة علي تقدير شرط اي اذا علمت انهم جهال مطبوع علي قلوبهم فاصبر علي اذاهم ان وعد الله بنصرك حق لا بد من انجازه ولا يستخفنك الذين لا يوقنون ولا يحملنك علي الخفة والقلق قول هولا الجهلة فانهم قوم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وقري لا يستحقنك من الاستحقاق اي لا يذ يقولون فيكونوا احق من المؤمنين

سورة لقمان مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تلك ايات الكتاب الحكيم قد سبق بيانه في سورة يونس عليه السلام هدًي ورحمة حالان والعامل ما في تلك من معني الاشارة وقري بالرفع علي انه خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف للمحسنين الجامعين بين العلم والعمل وقوله الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون بيان كما قال الايلعي الذي يظن بك الظن كان قد راي وقد سمعا او الذين يعملون الحسنات كلها وتخصيص القايمين بهذه الثلاث بالذكر لانافتها وفضل الاعتداد بها وتكرير الضمير للتوكيد ولما حيل بينه وبين خبره اولئك علي هدًي من ربهم واولئك هم المفلحون قد سبق تفسيره في سورة البقرة ومن الناس من يشتري لهو الحديث نزلت في النضر بن الحارث وكان يشتري اخبار الاكاسرة

من فارس ويقول ان محمدا يقص طرفا من قصة عاد وثمود فانا احدثكم من احاديث رستم واسفنديار فيميلون الي حديثه ويتركون استماع القران وقيل كان يشتري القينات ويحملهن علي معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه ويشغله باللهو عما يعنيه وبهذا الحديث يعني السمر بالاساطير التي لا اصل لها والغنا والاشترا من الشري كما روي عن النضر او من قوله اشتروا الكفر بالايمان اي استبدلوه منه واختاروه عليه والاضافة بمعني من تبيينية سوا اراد بالحديث المنكر او الاعم منه نعم علي الثاني يجي التبعيض باعتبار ان بينهما عموما وخصوصا من وجه ولكن لا يكون من مقتضي الاضافة ليضل عن سبيل الله اي عن دينه او عن قراة القران وقري ليضل بفتح اليا اي ليثبت في الضلال عن الدين ويزيد فيه بغير علم بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل الباطل بالحق والضلالة بالهدي حال من ضمير ليشتري اي جاهلا ويتخذها هزوا الضمير في يتخذها للسبيل لانها مؤنثة هزوا سخرية وقري يتخذ بالنصب عطفا علي ليضل اولئك لهم عذاب مهين لاهانتهم الحق باستيثارهم الباطل واذا تتلي عليه اياتنا ولّي مستكبرا متكبرا لا يعبأ بها كان لم يسمعها مشبها حاله في عدم التفاته اليها بحال من لم يسمعها كان في اذنيه وقرا ثقلا لا يقدر ان يسمع كان مخففة من الثقيلة اسمها ضمير الشان محذوف واصلها كانه لم يسمعها جملة وقعت حالا من ضمير ولّي وضمير مستكبرا او كان بدل من الاول وحال من ضمير لم يسمع فهما حالان متداخلتان ويجوز ان يكونا مستانفين فبشره بعذاب اليم تهكم به والمعني اعلمه ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم النعيم الجنة من الجنان الثمانية كالماوي وعدن وقد سبق التفصيل في سورة البقرة والتعبير عن جنة واحدة بالجنات للمبالغة خالدين فيها حال من الضمير في لهم او جنات والعامل ما تعلق به اللام من معني الاول وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول لنفسه لان قوله لهم جنات النعيم في معني وعدهم الله جنات النعيم والثاني لغيره لان معناه الصدق والثبات وليس كل وعد كذلك وهو العزيز القوي الذي لا يغلبه احد فيمنعه عن انجاز وعده واتجاز وعيده الحكيم الذي يفعل ما يفعل بمقتضي الحكمة خلق الله السموات بغير عمد ترونها قد سبق تفسيره في سورة الرعد والقي في الارض رواسي جبالا شوامخ ان تميد بكم لئلا تضطرب بكم فيل تشابه اجزايها يقتضي تبدل احيازها واوضاعها وفيه نظر اذ لم يقم دليل علي تشابه اجزايها بل الظاهر خلافه وبث ونشر فيها من كل دابة وانزلنا فيه التفات في محل البلاغة لان انشا هذه الامور العظام خاصة ما به حياتهم من انزال الما وانبات اصناف النبات موضع التنبيه والايقاظ للعباد والشكر علي النعم

والاعراض عن الشكر وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم صنف كثير المنفعة استدل بما ذكر من الاشيا الدالة علي كمال قدرته وحكمته علي الوهيته وتوحيده واستحقاقه للعبودية ثم بكتهم بقوله هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه اي ماذا خلقته الهتكم حتي استوجبوا عندكم العبادة ماذا نصب بخلق او ما مرفوع بالابتدا وخبره ذا بصلته واروني معلق عنه ثم اضرب عن تبكيتهم والتهكم بهم الي التسجيل عليهم بالظلم والتورط في ضلال ليس بعده ضلال فقال بل الظالمون في ضلال مبين ووضع الظاهر موضع الضمير للدلالة علي انهم ظالمون باشراكهم ولقد اتينا لقمان الحكمة الجمهور علي انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة هي الكمال العلمي مع العمل اي العلم بحقايق الاشيا علي ما هي عليه والحكمة التامة علي الافعال الفاضل ان اشكر لله ان هي المفسرة لان ايتاء الحكمة في معني القول وانما فسر الحكمة بالشكر تنبيها علي ان الحكمة المعتبرة بها هي المقتضية للعمل الصالح والشكر لله والعبادة ومن يشكر فانما يشكر لنفسه لان نفعه عايد اليها وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها ومن كفر حذف جزاوه وهو فانما يكفر علي نفسه اي ضرر كفره لا يتعدي عنها بانتفاء نعمته بقرينة واقيم تعليله مقامه وهو قوله ان الله غني عن الشكر لا ينتفع بوجوده ولا يتضرر بعدمه حميد بذاته حقيق ان يحمد وان لم يحمده احد او محمود نطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال وهو انطق من لسان المقال واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني تصغير اشفاق لا تشرك بالله قيل كان كافرا فلم يزل به حتي اسلم ومن وقف علي لا تشرك جعل بالله قسما ان الشرك لظلم عظيم لانه تسوية بين من لا نعمة الا منه ومن لا نعمة منه اصلا ووصينا الانسان بوالديه الي قوله تعملون ايتان معترضتان في اثنا وصية لقمان لابنه تاكيدا لما فيها من النهي عن الشرك وذكرالوالدين استطرادا كانه قال ووصينا بمثل ما وصي حتي ان الوالدين اللذين وصينا بتعظيمهما وبرهما وطاعتهما وجعلنا هما تلو الباري في وجوب الشكر والطاعة لهما ان امرا بالشرك لم يجز طاعتهما وتقليدهما فيه مع وجوب الشكر مصاحبتهما في الدنيا بالمعروف فما ظنك بغيرهما حملته امه لما وصي بالوالدين اكد الوصية في حق الام خصوصا بذكر مصاحبتهما في الدنيا بالمعروف الحمل والفصال وما يكابد من المشاق والمتاعب فيهما فاعترض بين المفسر والمفسر تذكرا لحقها العظيم مفردا ولذلك قال عليه السلام لمن قال من ابر قال امك ثم امك ثم امك ثم قال بعد الثالثة ثم اباك وهنا حال وهو في الاصل نصب علي المصدر من فعل وقع حالا اي تهن وهنا او ذات وهن علي وهن اي تضعف ضعفا فوق ضعف اي ضعفا متزايدا لان الحمل كلما ازدادت مدته ازداد ثقلا فازدادت ضعفا فوق ضعف وفصاله

في عامين وفطامه في انقضا عامين وكانت ترضعه في تلك المدة توقيتا لفصال بالعامين بيان ان هذه المدة اقصي غاية الرضاع ان اشكر لي ولوالديك تفسير لوصينا والجملتان معترضتان بين المفسر والمفسر او بدل من والديه بدل الاشتمال الي المصير هو ترغيب وترهيب وان جاهداك علي ان تشرك بي ما ليس لك به علم اي باستحقاقه للاشراك وقيل اراد بنفي العلم نفي المعلوم اي ان تشرك بي ما ليس بشي كقوله ما تدعون من دونه من شي فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما في الدنيا معروفا صفة مصدر محذوف اي صحابا معروفا او مصاحبا معروفا بخلق حسن وبر واحتمال وصلة وحلم وغير ذلك بما يقتضيه الشرع ويقتضيه الكرم والمروة واتبع سبيل من اناب الي اي سبيل المومنين في دينك ولا تتبع سبيلهما فيه ثم الي مرجعكم اي مرجعك ومرجعهما فانبيكم بما كنتم تعملون فاجازيك علي ايمانك واجازيهما علي كفرهما روي انها نزلت في سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه وامه وفي القصة انها مكثت لاسلامه ثلثا لا تطعم ولا تشرب حتي شجروا فاها ولذلك قيل من اناب اليه ابو بكر رضي الله عنه فانه اسلم بدعوته يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل اي الخصلة من الاساة والاحسان ان تك مثقال في الصغر كحبة الخردل والمثقال مقدار يساوي غيره في وزن في الوزن وقري مثقال بالرفع علي ان الضمير للقصة وتانيث المثقال لاضافته الي الحبة او لان المراد به الحسنة والسيئة فتكن في صخرة او في السموات او في الارض في اخفي موضع واحرزه كجوف صخرة او اعلي مكان كمحدب سما من السموات او اسفله كمقعر الارض وقري فتكن بكسر الكاف من وكن الطاير يكن اذا استقر في وكنته او مبيته يات بها الله يحضرها يوم القيمة فيحاسب بها عاملها ان الله لطيف ينفذ علمه في البواطن فيصل الي كل خفي خبير بكنهه وعن قتادة لطيف باستخراجها خبير بمستقرها يا بني اقم الصلوة تكميلا لنفسك وامر بالمعروف وانه عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر علي ما اصابك من الشدا لا سيما في ذلك ان ذلك اشارة الي الصبر والي ما كلف به من عزم الامور مما عزمه الله من الامور اي قطعه قطع ايجاب والزام مصدر اطلق للمفعول ويجوز ان يكون بمعني الفاعل من قوله فاذا عزم الامر اي جد والمعني عازمات ولا تصاعر خدك ولا تلوي صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون من الصعر وهو دا يصيب البعير فيلوي عنقه للناس اي لا جلهم لم يقل عن الناس لان المنهي ما يكون تصعيرا للناس وتحقيرا لهم لا الميل عنهم مطلقا فاذا كان لامر اخر لا يكون منهيا ولا تمش في الارض مرحا مصدر في موضع الحال بمعني مرحا او مصدر محذوف الفعل اي يمرح مرحا او مفعول له اي للمرح يعني لاجل البطر والبطالة لا لغرض صحيح ديني او دنيوي ان الله لا يحب كل مختال فخور

علة للنهي وتاخير النهي الفجور وهي في مقابلة المقدم من المنهيين وكذا الاتيان بصيغة
المبالغة لتوافق رؤس الاي وانما لم يقل ونحوه حتي تكون المحبة مسلوبة عن كل منهما اصالة
للتنبيه علي ان الداخل في الجملة في عدم محبوبيته تعالي كاف في الانتها ومن هنا ظهر وجه
العدول عن اثبات البعض الي سلب المحبة ثم ان النفي داخل علي اداة السور لفظا وهي داخلة
عليه للتطاول بها علي السامع وَاقصد في مشيك واعدل فيه اي توسط بين الاسراع ع
والدبيب يعني لا تثب وثوب الشيطان ولا تدب دبيب المتماوتين قال النبي صلى الله عليه
وسلم سرعة المشي تذهب بهاء المومن واما قول عايشة رضي الله عنها كان اذا مشي اسرع
فانما ارادت السرعة المرتفعة عن التماوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرمي اذا سدد
سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر ويجوز ان يكون النقص
في الصوت مستعارا من غض البصر فانه نقص ان انكر الاصوات افحشها لصوت
الحمير وبها قد مثل في الذم البليغ ولذلك يكني عنه فيقال طويل الاذنين وفي الاية ذم
بليغ للرافعين اصواتهم حيث تشبهوا بالحمير واصواتهم بالنهاق ثم طرح التشبيه واخرج
الكلام مخرج الاستعارة كل ذلك لتهجين رفع الصوت في التنفير عنه والحث علي الغض
والترغيب فيه وتوحيد الصوت لان المراد جنسه الذي هو المثل في النكر لا افراده الم
تروا ان الله سخر لكم ما في السموات ما في جهة العلويات من الكواكب واوضاعها والسحاب ما في السموات
وامطارها بان جعلها اسبابا للمنافع وما في الارض اي في الجهة السفلية بان
سلطكم عليها ومكنكم من الانتفاع بها بوسط او بغير وسط واسبغ عليكم نعمه ظاهرة
محسوسة وباطنة معقولة ومخفية عنكم ما لم تدركوه بعقولكم ومن الناس من يجادل
في الله في توحيده وصفاته بغير علم مستفاد من دليل ولا هدي راجع الي نبي
ولا كتاب منير منزل بل بتقليد صرف كما صرح به في قوله واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله
قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا وفيه منع صريح عن التقليد في الاصول اولو
كان الشيطان يدعوهم جواب لو محذوف لدلالة نتبع عليه اي لاتبعوهم والواو للحال
والهمزة للانكار والتعجب والضمير لابائهم ولهم اي اتبعوهم في حال دعا الشيطان اياهم
الي عذاب السعير اي الي ما يؤدي اليه من الشرك والتقليد ومن يسلم وجهه الي الله
من اسلم اليه المتاع اذا دفعه اليه ويؤيده القراءة بالتشديد وحيث عدي باللام فلتضمين
معني الاختصاص اي من يجعل ذاته ونفسه خالصا لله تعالي وهو محسن في عمله
فقد استمسك بالعروة الوثقي قد تعلق باوثق ما يتعلق به مثلت حال المتوكل المفوض
نفسه الي الله تعالي بحال من اراد ان يتدلي من شاهق فاحتاط لنفسه بان استمسك باوثق
عروة من حبل متين مامون الانقطاع وتقديم والي الله للاختصاص اي صايرة الي الله

ل
عان

لا الي غيره عاقبة الامور فيجازي عليها ومن كفر فلا يحزنك كفره فلا يهمنك كفره
وكيده للاسلام فانه لا يضرك في الدنيا والاخرة وقرئ ولا يحزنك والمستقبل في الاستعمال
احزن في الماضي ويحزنه ثلاثيا مجرا في المستقبل الينا مرجعهم خاصة فننبئهم بما عملوا
فنعاقبهم علي اعمالهم ان الله عليم بذات الصدور ان الله يعلم ما في صدور عباده فيجازيهم
علي حسبه نمتعهم قليلا تمتيعا اي زمانا قليلا فان الزايد بالنسبة الي الدايم قليل
ثم نضطرهم الي عذاب غليظ استعار اللفظ من الاجرام الغليظ لثقل العذاب عليهم
وتشبيه الزامهم العذاب باضطرار المضطر الي الشيء الذي لا يقدر علي انفكاكه منه
ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح البرهان الملجي الي الاذعان
به قل الحمد لله الزام لهم علي اقرارهم بان الخالق هو الله وحده فانه يجب ان يكون له الحمد
وان لا يعبد معه غيره بل اكثرهم لا يعلمون ان اقرارهم يلزمهم وقيل اضراب عن
دعويهم لجهلهم وانهم لا ينتبهون بالتنبيه ولا يتفطنون ان قولهم عليهم لله ما في السموات
والارض تقرير للتوحيد باختصاص الملك به ودخول الهتهم في ملكه ان الله هو الغني
عنهم وعن اسلامهم وحمدهم الحميد المستحق للحمد المحمود منك ومن كل عارف وان
لم يحمدوه ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام توحيد شجرة لتفصيل الجنس وتقتضي
كل واحدة من جنس الشجر واستغراق عموم ما اي جميع ما في الارض من شجرة شجرة حتي
لا تبقي واحدة منها الا كانت قلما والبحر يمده من بعده سبعة بالرفع والواو للحال
وبالنصب عطفا علي اسم ان واضمار فعل يفسره يمده اي ولو ثبت كون اشجار الارض كلها
اقلاما وكون البحر ممدودا السبعة ابحر او علي الابتداء والواو للحال اي ولو ان الاشجار
اقلام في حال كون البحر ممدودا واستغني بالواو عن الضمير لكون هذه الاحوال جارية
مجري الظروف ويجوز ان يكون اللام بعد الاضافة اي وبحرها والضمير للارض وقرئ
وبحر يمده علي التنكير ولا وجه له الا العطف علي محل ان واسمها وقرئ يمده ويمده من مد
الدواة وامدها اغني عن ذكر الواو بقوله يمده ما نفدت كلمات الله اختار جمع القلة
علي جمع الكثرة وهي الكلم للاشعار بانها لا تفي بالقليل منها فضلا عن الكثير والتقدير
ولو ان اشجار الارض اقلام كلها والبحر المحيط دواة فجعل البحر بمنزلة الدواة والابحر
السبعة مملوة مدادا تمدها ابدا وكتب بها كلمات الله ما نفدت كلمات الله ونفدت الاقلام
والمداد لقوله تعالي قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي
ان الله عزيز حكيم لا يعجزه شيء ولا يخرج عن علمه وحكمته امر ومن كان كذلك لا تنفد
كلماته وحكمه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت جوابا لليهود لما قالوا اوتينا التورية
وفيها كل الحكمة وقيل امر وفد قريش ان يقولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم السنة تلوا

فيما انزل عليك انا قد اوتينا التورية وفيها علم كل شيء واما ما قيل انها نزلت حين سالوه
عن قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا ومخالفته لنزول التورية وفيها علم كل شيء ورد
عليه انه لا يصلح سببا للنزول اذ ليس فيما نزل تعرض لوجه التوفيق بينهما ما خلقكم ولا
بعثكم الا كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها لانه لا يشغله شان عن شان فلا يتفاوت عنده
القليل والكثير لانه يكفي في وجود الكل تعلق ارادته القديمة منضمة الى قدرته الذاتية
كما قال انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون ان الله سميع لكل مسموع بصير
لكل مبصر فلا يشغله ادراك بعضها عن بعض وكذلك الخلق والبعث الم تر ان الله يولج
الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل من الشمس والقمر
يجري في فلكه الى اجل مسمى الى منتهى معين الشمس الى اخر السنة والقمر الى
اخر الشهر وقيل الى يوم القيامة لانه منتهى جريهما ومنقطعه استعمل الجري هنا مع
حرف الانتهاء وفي فاطر مع حرف الاختصاص اي تجري لادراك اجل معين لان بلوغ الجري
الى منتهاها يوافق اختصاص الجري بادراك الاجل المعين في المعنى فكلا المعنيين متوافقا
في افادة المقصود وان الله بما تعملون خبير عالم بكنهه ذلك الوصف الذي
وصف به من كمال القدرة والحكمة بان الله بسبب ان الله هو الحق الثابت في ذاته
او الثابت في الالوهية وان ما يدعون من دونه الباطل المنتفي الالوهية او المعدوم
في حد ذاته وان الله هو العلي الشان الكبير السلطان او المرتفع على كل شيء الكبير
ان يشرك به شيء الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمت الله باحسانه في تهيئة اسبابه
او برحمته والباء للصلة او الحال وهو استشهاد اخر على باهر قدرته وكمال حكمته وشمول
نعمته ليريكم من اياته اي بعض دلايل قدرته وحكمته ورحمته ان في ذلك لايات
لكل صبار على المشاق فيتعب نفسه بالتفكر في الافاق شكور يعرف النعم ويعرف
مانحها ومما صفتا المومن فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر فكانه قال
ان في ذلك لايات لكل مومن وقيل صبار على بلايه شكور لنعمايه واذا غشيهم علاهم
وغطاهم موج مرتفع متراكم كالظلل جمع ظلة وهي كل ما اظلك من الجبل او السحاب
او غيرهما وقيل كالظلال كقلة وقلال دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع
الفطرة من الهوى والتقليد بما دهمهم من الخوف الشديد فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد
ثابت على الطريق القصد الذي هو التوحيد اي باق على الاخلاص الحادث في البحر وقليل
ما هم او متوسط في الكفر لانها خاينة تعرض لانزجار والخاصة علوانه وما يجحد باياتنا
الا كل ختار كفور مبالغ في الغدر ناقض للعهد الفطري اي لما عاهد الله عليه في البحر والختر
اشد الغدر كفور بنعمة الله يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما التنكير للتفخيم

والتهويل لا يجزي والد عن ولده لا يقضي عنه وقرئ لا يجزئ اذ لا يغني والجملة صفة
يوما والعايد محذوف اي لا يجزي فيه ولا مولود عطف على والد او مبتدا خبره هو
جاز عن والده شيا وتغيير النظم بالعدول عن الجملة الفعلية الى الجملة الاسمية للتوكيد
والدلالة على ان المولود اولى بان لا يجزي شيا عن والده وحسم اطماع المومنين ان ينفعوا
اباهم الكفار في الاخرة فانهم كانوا يتوقعون ذلك والمبالغة في التاكيد جيء بلفظ هو
ومولود دون ولد لان الولد قد يطلق على ولد الولد بخلاف المولود فانه لا يطلق على
ولد الابن النسبة الى الذي ولد منه اي قصد النفع لمن ولد منه لم يقدر عليه فضلا ان
ينفع الاجداد كذا قيل ومبناه على التخصيص الخطاب والحكم والظاهر العموم في الوجه
ان يقال ان الابن من شانه ان يكون جازيا عن والده لما عليه من الحقوق والوالد لا
يجزي لما فيه من الشفقة فليس الثاني كالاول ان وعد الله حق بالثواب والعقاب
حق لا يمكن خلفه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا بزينتها فان نعيمها دانية ولذاتها فانية
ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان وقرئ بضم الغين فجعل الغرور غارا للمبالغة
او ارادة زينة الدنيا لانها غرور لاطلاق اسم المسبب على السبب ان الله عنده علم
الساعة وقت قيامها لما روي ان الحرث بن عمرو اتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال
متى قيام الساعة واني قد القيت حباتي في الارض فمتى السماء تمطر وحمل امراتي ذكر ام
انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت محفوظ علمها من جهة الله تعالى لا يتصل اختصاص
العلم المذكور به تعالى وينزل الغيث اي يرسل المطر النافع بحسب المصالح على القدر
في اوقات متعددة ويعلم ما في الارحام اذكر ام انثى احي ام ميت تام ام ناقص
وما تدري نفس اية نفس كانت وانما جعل العلم لله تعالى والدراية للعبد لما في
الدراية من معنى الحيل والحيلة والمعنى انها لا تعرف وان عملت حيلها ماذا تكسب غدا
من خير او شر فربما كانت عازمة على خير فعملت سوءا او عازمة على سوء فعملت خيرا وما تدري
نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير اين تموت وربما قامت بارض وضربت اوتادها
وقالت لا ابرح فترمي بها مرامي القدر في مكان لم يخطر ببالها وقرئ باية ارض وشبه سيبويه
تانيثها بتانيث كل في كلهن واعلم ان الانطباق على سبب النزول المذكور والاتفاق
لما روي في صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما مفاتيح الغيب خمسة لا يعلمها
الا الله تعالى ان الله عنده علم الساعة الاية انما يكونان على تقدير ان يظهر علم اوقات
نزول الغيث وعلم احوال الحمل به تعالى وذلك بان يكون تقدير قوله وينزل الغيث
وان ينزل الغيث عطفا على الساعة وعلم انزال الغيث فحذف ان كقوله
الا ايها اللايمي احضر الوغى والمعنى ان احضر الوغى على هذا قوله تعالى

ويعلم ما في الارحام **سورة السجدة مكية** بسم الله الرحمن الرحيم
الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ان جعل الم للسورة فهو مبتدا تنزيل
الكتاب خبره على ان التنزيل بمعنى المنزل ومن رب العالمين صلة تنزيل او خبر ثان
وان جعل تعديدا للحروف فتنزيل خبر مبتدا محذوف او مبتدا خبره من رب العالمين
ولا ريب فيه اعتراض ولا محل له من الاعراب والضمير فيه راجع الى مضمون الجملة
اي لا ريب في ذلك يعني في كونه منزلا من رب العالمين او الامر لا ريب فيه ومن رب
العالمين خبر ثان او حال من الضمير في فيه على الله للتنزيل او للكتاب ام يقولون افتراه
مزيد لرجوع الضمير في فيه اليه او الى مضمون الجملة وكذا قوله بل هو الحق من ربك
لان قولهم هذا مفترا انكار لان يكون من رب العالمين والهمزة في ام يقولون انكار
لقولهم وتعجيب منه فيكون الكلام مصدرا باعجازه واثبات انه من رب العالمين مقرر
بانه لا ريب في ذلك ثم مقفى بالاضراب عن ذلك الى انكار قولهم افتراه والتعجيب منه لظهور
امره في الاعجاز ثم بالاضراب عن الانكار الى التقرير المقصود بتقرير قولهم واثبات انه الحق
من ربك ثم لبيان الغرض منه بقوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير ولا يشكل هذا
بقوله وان من امة الا خلا فيها نذير لانهم لم يحل لهم من الوثوق بشي يعتد بنذيرهم وان لم
ياتهم نذير من قبلك لانهم كانوا اهل الفترة لعلهم يهتدون بانذارك اياهم
الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش قد
سبق تفسيره في سورة الاعراف ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع ما لكم اذا جاو
رضاء الله احد ينصركم او يشفع لكم افلا تتذكرون بمواعظ الله يدبر الامر
من السماء الى الارض يدبر امر الدنيا كلها باسباب سماوية نازلة اثارها الى الله في
كل يوم من ايام الدنيا وهو الف سنة كما قال وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون
ثم يعرج اليه اي يصعد ويكتب عنده في صحف ملائكته في يوم كان مقداره الف
سنة مما تعدون كل وقت من اوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الامر ويدخل تحت
الوجود الى ان تبلغ المدة اخرها ثم يدبر ايضا ليوم اخر وهلم جرا الى ان تقوم الساعة
وقيل ينزل الوحي مع جبرائيل عليه السلام من السما الى الارض ثم يعرج اليه في زمان
هو في الحقيقة الف سنة لان المسافة مسيرة الف سنة فان ما بين السما والارض مسيرة
خمسمائة عام وفيه نظر اذ لا يلزم من قطع هذه المسافة الطويلة في مدة قصيرة ان
تكون تلك المدة طويلة في الحقيقة وذلك ظاهر نعم لو قيل في قوله مقداره يجوز ان
المقدار المذكور للمسافة باعتبار قطعها المعتاد لكان له وجه ذلك عالم الغيب
والشهادة فيدبر على وفق علمه العزيز القوي بانفاذ امره الرحيم على العباد

في تدبيره على وفق مصالحهم تفضلا وامتنانا الذي احسن كل شي خلقه حسنه
على وفق المصلحة والحكمة موفورا عليه ما يستعده ويليق به وان تفاوت الى حسن
واحسن وخلقه بدل من كل شي بدل الاشتمال وقيل علم كيفية يخلقه من قوله قيمة المرء
ما يحسنه اي يحسن معرفته وخلقه مفعول وقرئ بفتح اللام فالشي على الاول مخصوص
بمنفصل والثاني بمتصل وبدا خلق الانسان يعني ادم عليه السلام من طين ثم
جعل نسله من سلالة النسل الذرية سميت به لانها تنسل منه اي تنفصل وتخرج
من صلبه والسلالة ما يسل من الشي ويخرج من ماء مهين ضعيف حقير
ثم سواه ثم قومه بتصوير اعضايه على ما ينبغي ونفخ فيه من روحه اضافه
الى نفسه تشريفا واظهارا بان له خلقا عجيبا وان له شانا له مناسبة ما الى الحضرة
الربوبية قال عليه السلام من عرف نفسه فقد عرف ربه وجعل لكم السمع والابصار
والافيدة خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا وانما قدم السمع على البصر هنا
نظرا الى البصر فان الكلام على اسلوب الترقي من السريع الى الاشرف فالاشرف
قليلا ما تشكرون اي تشكرون شكرا قليلا وقالوا قيل القايل ابي بن خلف
ولا حاجة الى ضمانهم بقوله في الاسناد اليهم بل يكفي وجود القول بينهم كقوله واذ
قتلتم نفسا ايذا ضللنا بالفتح والكسر في الارض اي صرنا ترابا مخلطا
بتراب الارض بحيث لا امتياز فيه او غبنا فيها وقرئ ضللنا من ضل اللحم اذا انتن
وقيل صرنا من جنس الصلة وهي الارض وقرئ اذا على الخبر والعامل فيه ما دل عليه
اينا لفي خلق جديد وهو يبعث او يجدد خلقنا وقرئ انا على الخبر بل هم بلقاء ربهم
كافرون لما ذكر كفرهم بالبعث اعرض عنه الى ما هو ابلغ في الكفر بما بعد الموت من الرجوع
الى الله والجزاء قل يتوفاكم التوفي استيفاء النفس من قولك توفيت حقي من فلان
واستوفيته اذا اخذته وافيا كاملا كملا اي يقبض نفوسكم بتمامها ملك الموت الذي
وكل بكم اي يقبض ارواحكم عند انتهاء مدد اعماركم وفي عبارة وكل بكم اشارة الى وجه
التوفيق بين هذه الاية وقوله تعالى يتوفى الانفس حين موتها وهو ان فعل الوكيل
فعل الموكل ثم الى ربكم ترجعون للحساب والجزاء ولو ترى الافصح ان يكون
الخطاب لكل احد ممن يتاتى له الرؤية فلا يقدر ان يرى مفعول لان المعنى لو يكون
منك الرؤية في هذا الوقت اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم من الذل والحياء والندم
عند ربهم عند حساب ربهم ويوقف عليه لحق الحذف اذ التقدير قايلين ربنا ابصرنا
صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك وكنا عميا وصما ابصرنا
وسمعنا فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا اي الايمان والطاعة انا موقنون

بالبعث والحساب لان وجواب لو محذوف تقديره لو ات امرا فظيعا والمضي فيها
وفي اذ لمترقب من الله تعالى في منزلة الواقع ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها
ما تهتدي به الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق له ولكن حق القول مني
سبق حكمي وقضائي وهو لاملان جهنم من الجنة انما قدم الجن لان المقام مقام
التحقير والناس اجمعين ولكن اقتضى الحكمة خلاف ذلك وما ذكر من سبق
القضا الذي به كما يتزعزع ذلك لا اتفقنا فليس فيه بسبب عدم ايمانهم عن سبق التعلق
الازلي به كما سبق الى بعض الاوهام فذوقوا يعني ما انتم فيه من الخزي والغم
بما نسيتم بسبب نسيانكم لقاء يومكم هذا اي بترككم العمل لهذا اليوم كانكم
نسيتموه فلم تذكروه انا نسيناكم اي تركناكم في العذاب وجازيناكم على نسيانكم
وفي استينافه وبناء الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم وذوقوا
عذاب الخلد اي واعلموا ان العذاب نازل بكم غير زايل عنكم بما كنتم تعملون •
باعمالكم من الكفر والمعاصي وانما كرر الامر للتاكيد ولما ينطوي به من التصريح بمفعوله
وتعليله بافعالهم السيئة كما علله بترككم تدبر العاقبة والتفكر فيها دلالة على
ان كلا منهما يقتضي ذلك فهذا ينادي على انه لا عذر لهم في ذلك من جهة القضا الازلي
انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا خوفا من عذاب الله تعالى وسبحوا
نزهوه عما لا يليق به كالعجز عن البعث بحمد ربهم حامدين له شكرا على ما وفقهم
للاسلام واتاهم الهدى وهم لا يستكبرون عن الايمان والطاعة تتجافى
ترتفع وتتنحى جنوبهم عن المضاجع الفرش ومواضع النوم مبالغة في الاعتناء
بقيام الليل كانهم يقومون بالطبع بالاختيار كما يقومون لحاجتهم الطبيعية يدعون
ربهم داعين اياه خوفا من سخطه وطمعا في رحمته وعن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيره
قيام العبد من الليل وقيل كان ناس من الصحابة رضي الله عنهم يصلون من المغرب الى
العشا فنزلت فيهم ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير فلا تعلم نفس •
واحدة من النفوس لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ما اخفي لهم على البنا للمفعول
والفاعل وقرئ وما اخفي على انه مضارع اخفيت وما تخفي وما اخفيت والفاعل في الكل
هو الله تعالى وما موصولة والعلم بمعنى المعرفة او استفهامية بمعنى اي شيء علق عنها
الفعل من قرة اعين مما تقر به اعينهم وقرئ من قرات اعين لاختلاف الانواع •
جزاء بما كانوا يعملون مفعول له اي اخفي للجزاء او مصدر اي جزوا جزاء او حال على
التسمية للمصدر والفاء للسببية اي اذا القينا من كانوا يخفون عبادتنا بالليل فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم وفي الابهام ثم التوضيح والتفسير بقرة تفخيم لشان جزائهم وتعظيم له

لان

ها

وان

وان جعل ما استفهامية زيد تعظيم على تعظيم افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا
الفاء للتعقيب والهمزة للانكار اي بعد ما ذكر من ثواب المؤمن وكرامته هل يكون
مساويا للانسان الخارج عن الايمان في الشرف والمثوبة لا يستوون تاكيد
وتصريح والجمع للحمل على المعنى اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى
اي المأوى الحقيقي الابدي فان الدنيا منزل مرتحل عنها وقيل نوع من الجنان كما روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما ياوي اليها ارواح الشهدا نزلا سبق في ال عمران •
بما كانوا يعملون باعمالهم واما الذين فسقوا فماويهم النار فجنة ماواهم النار
اي النار له مكان تلك جنة المأوى للمؤمنين كقوله فبشرهم بعذاب اليم كلما ارادوا ان
يخرجوا منها اعيدوا فيها قد سبق تفسيره وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به
تكذبون اضافة لهم وزيادة في غيظهم ولنذيقنهم من العذاب الادنى عذاب الدنيا
مما محنوا به من الاسر والقتل والقحط سبع سنين دون العذاب الاكبر عذاب الاخرة
لعلهم لعل من بقي منهم يرجعون يتوبون عن الكفر روي ان وليد بن عقبة فاخر
عليا رضي الله عنه يوم بدر فنزلت هذه الاية ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها
ولم يتفكر فيها وثم مستعار للاستبعاد لان الاعراض عن هذه الايات مع وضوحها
وانارة برهانها وارشادها الى الفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد
عقلا كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها ومنه بيت الحماسة •
ولا يكشف الغماء الا ابن حرة • يرى غمرات الموت ثم يزورها •
انا من المجرمين منتقمون استيناف يؤذن بان الانتقام منهم هو اشد الانتقام
لانه لما انه اظلم من كل ظالم ثم دل على انه ينتقم من كل مجرم والظالم مجرم كان من هو اظلم
اشد انتقاما فلهذا المعنى وضع المجرمين موضع الضمير ولقد اتينا موسى الكتاب
كما اتيناك فلا تكن في مرية في شك من لقائه من لقايك الكتاب كقوله وانك
لتلقى القران انك اوتيت مثل ما اوتيه كقوله وان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسئل
الذين يقرؤن الكتاب من قبلك او من لقا موسى الكتاب ويؤيده انتظام قوله وجعلناه
اي المنزل على موسى عليه السلام هدى لبني اسرائيل واما عود الضمير الى موسى
عليه السلام او من لقايك موسى فياباه تصدير النهي باداة التفريع وجعلنا منهم
ايمة يهدون الناس الى ما فيه من الحكم والاحكام بامرنا اياهم به او توفيقا له
لما صبروا بصبرهم وقرئ لما اي حين صبروا وكانوا باياتنا يوقنون لامعانهم
فيها النظر ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة يقضي فيميز الحق من الباطل بتمييز
المحق من المبطل فيما كانوا فيه يختلفون من امر الدين اولم يهد لهم كم اهلكنا

من قبلهم من القرون اي كثرة اهلاكنا القرون وهذا الكلام كما هو بمضمونه
كقولك يعصم لا اله الا الله الدماء والاموال وضمير يهد بدليل قراءة نهد
بالنون يمشون في مساكنهم يعني اهل مكة في متاجرهم على بلادهم وديارهم
ان في ذلك لايات افلا يسمعون قد سبق تفسيره في سورة الرقم ووجه توصيف
القوم بالسمع وكان الظاهر توصيفهم بالابصار اولم يروا الواو للعطف والاستفهام
على نظيره وتاخيره عن اداته لصدارتها انا نسوق الماء الى الارض الجرز التي جرز
نباتها اي قطع اما لعدم الماء او لانه زيل او رعي ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز
بدليل قوله فنخرج به زرعا وقيل اسم موضع باليمن تاكل منه اي من الزرع
انعامهم من عصفه وتبنه وانفسهم من حبه وثمره قدم اكلها على اكلهم لان ما تاكلها
من الورق والقصيل يحصل مقدما افلا يبصرون فيستدلون به على كمال فضله
وقدرته ويقولون متى هذا الفتح النصر او الفصل بالحكومة من قوله وفتحت
السماء فكانت ابوابا لا من قوله ربنا افتح بيننا فان اطلاق يوم الفتح على يوم القيمة
لانفتاح ابواب السماء لا لانتصار المؤمنين من الكفار ان كنتم صادقين في الوعد
قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون يوم الفتح يوم القيامة
لانه يفتح فيه بين المؤمنين وبين اعدائهم وينتصرون عليهم وقيل هو يوم بدر او يوم
فتح مكة والمراد بالذين كفروا المقتولون في احد اليومين فانهم لا ينفعهم ايمانهم
حال القتل ولا يمهلون وتطبيق الجواب على سؤالهم من حيث المعنى لانهم غرضهم من
الاستفهام لم يكن طلب تعيين الوقت بل الاستعجال كانه قيل لا يستعجلون به فانه
اذا جاء لا ينفعهم الايمان ان امنتم ولا ينظرون ان استنظرتم والذين كفروا من باب
وضع الظاهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالكفر وان الكفر مستمر معهم الى وقت العذاب
الذي هو يوجب عدم نفع الايمان وينفي الانظار فاعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم
وقيل هي منسوخة باية السيف وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم انهم منتظرون
الغلبة عليكم وهلاككم وقرئ منتظرون بفتح الظاء اي انهم احقاء ان ينتظر هلاكهم
فانهم هالكون لا محالة

سورة الاحزاب مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي نودي عليه السلام في جميع القران بيا ايها النبي ويا ايها الرسول
تعظيما له وتعليما للعباد وكيف ينادونه اتق الله بالتقوى تعظيما للتقوى
واعلاما للامة بانه باب عظيم يجب ان يعتد به ويحافظ عليه والمراد بالامر بالثبات
على ما هو عليه ليكون مانعا له عما نهي عنه بقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين
اي لا تساعدهم على شيء يعود لوهن في الدين ولا تقبل لهم رايا في ذلك روي ان

اباسفين وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا المدينة بعد قتال احد
فنزلوا على عبد الله بن ابي واعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الامان على ان يكلموه
فقالوا له ارفض ذكر الهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك فوازرهم المنافقون
على ذلك وهم المسلمون بقتلهم فنزلت اتق الله في نقض العهد ولا تطع الكافرين من
اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا منك ان الله كان عليما بخبث اعمالهم
حكيما في تاخير الامر بقتالهم واتبع ما يوحى اليك من ربك من الامر والنهي
ان الله كان بما تعملون خبيرا فموح اليك ما يصلحه ومغن من الاستماع الى الكفرة
وقرئ بالياء ان الله خبير بمكايدهم يدفعها عنك وتوكل على الله وفوض امرك
اليه وكفى بالله وكيلا موكولا قال الزجاج ولفظ كفى وان كان الخبر فالمعنى اكتف
بالله ما جعل الله لرجل تنكيره وزيادة من في قوله من قلبين بعد النفي للتعميم
والاستغراق اي ما جعل الله لفرد واحد من جملة الرجال فضلا عن الصبيان و
النسوان قلبين البتة بوجه من الوجوه في جوفه تاكيد وزيادة تصوير ليكون
اذا سمع تصوير جوف انسان مشتملا على قلبين فيكون اسرع الى الانكار وما جعل
ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم وما جعل الزوجية
والامومة في انثى ولا الدعوة والنبوة في ذكر جعل نفي اجتماع القلبين في جوف
مثلا لانتفاء الاجتماعين الاخيرين وذلك ان العرب تزعم ان اللبيب الاريب له قلبان
ولذلك قيل لابي معمر جميل بن اسد الفهري ذو القلبين وكان رجلا من العرب واوعى
وكان يقول ان لي قلبين افهم باحدهما اكثر مما يفهم محمد فاكذبه الله تعالى بقوله وقيل
وجعله مثلا في الظهار والتبني فانهم كانوا يقولون المراة المظاهر عنها ام والدعي
الرجل ابنه والمعنى كما لم يجعل الله تعالى قلبين في جوف لادائه الى التناقض وهو
ان يكون كل منهما اصلا لكل القول وغيره اصلا لم يجعل الزوجة والدعي اللذين لا ولادة
بينها وبينه امه وابنه اللذين بينها وبينه ولادة ومعنى الظهار ان يقول للزوجة
انت علي كظهر امي ماخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن
لتضمنه معنى التجنب لان الظهار كان في الجاهلية طلاقا فكانوا يتجنبون المراة
المظاهر عنها كما يتجنبون المطلقة ونظيره آلى من امراته فانه عدي بمن لتضمنه معنى
التباعد والا فآلى بمعنى حلف فلا يعدى بمن وذكر الظهر في تشبيههم كناية عن البطن
في التحريم كانهم تحاشوا عن ذكره لانه يقارب ذكر الفرج فكنوا بالظهر عنه لانه عمود
البطن او للتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان المراة وظهرها الى السماء والادعياء
جمع دعي وهو المدعو ولدا فعيل بمعنى مفعول وحقه ان يجمع على فعلى كجرحى وقتلى

والجمع على افعلا انما يكون للفعيل بمعنى الفاعل كتقي واتقيا وشقي واشقيا فهو
شاذ عن القياس كقتلى واسرى ووجه التشبيه اللفظي ذلكم اشارة الى ما ذكر
والى الاخير قولكم بافواهكم اي لا حقيقة له ولا يطابق الواقع والله يقول
الحق ما له حقيقة عينية مطابقة له وهو يهدي السبيل سبيل الحق وفي فصل
بعض الجمل الواقعة في هذه الاية وفصل بعضها ما لا يخفى على العالم بعلم المعاني المتد
في طريق النظم ادعوهم لابائهم اي انسبوهم اليهم وهو افراد للمقصود من
اقواله الحقة هو اقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا واقسط افعل
المستعمل لمطلق الزيادة من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ في الصدق فان
لم تعلموا اباءهم اي ان لم تعرفوا اباءهم حتى تنسبوهم اليه فاخوانكم في الدين
فهم اخوانكم في الدين وليس عليكم جناح اثم فيما اخطاتم به قبل النهي او بعد
على سبيل النسيان وسبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم ولكن الجناح فيما تعمدتم
بعد النهي وكان الله غفورا رحيما يغفر للمخطي ويعفو عنه وعن العامد اذا تاب
النبي اولى بالمومنين من انفسهم من كل شي من امور الدين والدنيا فانه لا يامرهم
ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم وفلاحهم بخلاف انفسهم فيجب ان يكون احب اليهم
من انفسهم وامره انفذ عليهم من امرها وشفقتهم عليه اتم واقدم من شفقتهم عليها
وحقه اثر لديهم من حقوقهم وان يبذلوها دونه وان يتبعوه كلما دعاهم اليه وصرفهم
عنه روي انه عليه السلام اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس نستاذن
اباءنا وامهاتنا فنزلت وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه النبي اولى بالمومنين
وهو اب لهم اي في الدين وقال مجاهد كل نبي هو ابو امته من حيث انه اصل فيما به الحيوة
الابدية ولذلك صار المومنون اخوة وازواجه امهاتهم كناية عن التحريم خاصة
ولذلك قالت عايشة رضي الله عنها لسنا امهات النسا لا غيره وعن استحقاق التعظيم
اذ حينئذ ينتظم النسا ويرده الاثر المذكور واولوا الارحام وذووا القرابات
بعضهم اولى ببعض في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام بالتوارث
بالمواخاة في الدين وبالهجرة في كتاب الله اي في اللوح او فيما اوحي الى النبي عليه
السلام وهو هذه الاية او اية المواريث او فيما فرض الله تعالى من المومنين والمهاجرين
بيان لاولي الارحام وتخصيص المهاجرين بالذكر بعد التعميم لما ذا عسى ان يسبق
اليه الوهم من عدم تناول الحكم لهم لما فيهم من فضيلة الهجرة او صلة لاولي اي واولوا
الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المومنين بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين
بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى اوليايكم معروفا استثنا مفرغ من اعم العام معنى

النفع والاحسان وانتصاب ان تفعلوا على الظرف اي الا وقت ان تفعلوا وعدي بالى
لانه في معنى ان تسدوا والمراد بفعل المعروف التوصية وبالاوليا المومنون والمهاجرون
لما بينهم من الولاية في الدين اي الاقربا بعضهم اولى ببعض من الاجانب في كل نفع من
ميراث وهدية وهبة وصدقة ومعاونة وغير ذلك الا في التوصية كان ذلك
اشارة الى ما ذكر في الايتين جميعا في الكتاب في اللوح المحفوظ او في القران وقيل
في التورية مسطورا مثبتا او مذكورا واذ اخذنا مقدر باذكر من النبيين
ميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة والدعوة الى الدين القيم ومنك خصوصا
ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم تخصيص للمشاهير واصحاب الشرايع من
الانبيا عليهم السلام بالذكر لبيان شرفهم وفضيلتهم ولذلك قدم محمدا عليه السلام على
الجميع لكونه افضلهم وانما قدم عليه نوح عليه السلام في قوله شرع لكم من الدين ما وصى
به نوحا والذي اوحينا اليك لان الغرض من مساق الكلام ثمة بيان اصالة الدين وقدمه
واستقامته كانه قال شرع لكم من الدين الاصيل القويم الذي وصينا به نوحا في العهد
القديم والذي اوحينا اليك في العهد الحديث ووصينا به من توسط بينهما من الانبيا
المشاهير فهو دين قديم اصيل اتفق عليه وعلى اقامته الانبيا كلهم ولم يتفرقوا فيه
واخذنا منهم ميثاقا غليظا موثقا بالايمان الغلاظ وسماه ميثاقا الا عهدا دلالة
على توثيقه باليمين والغلظ استعارة من وصف الاجرام لتصوير معنى القوة والوثاقة
في الدين ليسال الصادقين عن صدقهم تعليل لاخذنا ميثاقهم وليسال الله يوم
القيامة عن مواقفة الاشهاد المومنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم
عن صدق عهدهم او الانبيا الذين صدقوا عهدهم عما قالوه لقومهم وتصديقهم اياهم
تبكيتا او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق واعد للكافرين
عذابا اليما عطف على اخذنا لان المعنى اكد على الانبيا الدعوة الى دينه لاثابة المومنين
واعد للكافرين او دل عليه ليسال اي فاثاب المومنين واعد للكافرين يا ايها
الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود يعني الاحزاب وهم قريش وغطفان
واليهود وقريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر الفا فارسلنا عليهم ريحا من الصبا
قال عليه السلام نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وجنودا لم تروها وهم
الملئكة روي انه عليه السلام لما سمع باقبالهم ضرب الخندق على المدينة وخرج اليهم
في ثلاثة الاف فضرب معسكره بينه وبين القوم ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب
بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاخصرتهم
وسفت التراب في وجوههم واطفات نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها في بعض

وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملئكة في جوانب العسكر فقال طليحة بن خويلد الاسدي
اما محمد فقد بداكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير قتال وكان الله بما تعملون
من ضرب الخندق وغيره بصيرا• وقري باليا اي بما يعمل المشركون واليهود من
التحزب والتضام اذ جاؤكم بدل من اذ جاءتكم من فوقكم من اعلي الوادي من
قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم اي من اسفل الوادي من قبل المغرب
قريش لم يقل ومن تحتكم مع ما فيه من رعاية المقابلة والاختصار اظهار الما في مقابله
من التحوه وانما اختير ذلك لانه احسن لفظا ومعني من اعلي منكم واذ زاغت الابصار
مالت عن مستوي نظرها حيرة وشخوصا وبلغت القلوب الحناجر فان الرية تنتفخ
عند شدة الخفقان واضطراب القلب فان صاحب الخفقان الشديد يتوهم من شدة
انفتاح الرية ان قلبه بلغ الحنجرة وهي راس قصبة الرية وهي مخرج النفس وتظنون
بالله الظنونا الظنون المختلفة الخطاب للمومنين فمنهم الاقويا الثبات الاقدام
يظنون ان الابتلاء من الله تعالي وانجاز وعده بالنصر ومنهم من يخاف الزلل لضعف
الاحتمال ومنهم الضعفا الذين يشكون في امرهم ويستاذنون والمنافقون يظنون
ان المسلمين يستاصلون هنالك ابتلي المومنون اختبروا ليميز المخلص من المنافق
والثابت من المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا وازعجوا شدة ازعاج من شدة
الفزع فالزلزال الاضطراب العظيم واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض
ضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وعدا باطلا اراد وانما وعد
تعالي من علاء الدين والظفر علي المشركين واذ قالت طايفة منهم هم اوس
من قيظي ومن وافقه يا اهل يثرب اسم المدينة وقيل اسم ارض وقعت المدينة
في ناحية منها لا مقام لكم لا موضع قيام لكم ههنا وقري بالضم علي انه اسم مكان
او مصدر من اقام فارجعوا الي المدينة وانخزلوا من معسكر الرسول الي منازلكم
وقيل لا مقام لكم بالمدينة ان بقيتم علي دين محمد فارجعوا كفارا مشركين واسلموا محمدا
حتي يمكنكم المقام بها ويستاذن فريق منهم النبي للرجوع يقولون ان بيوتنا
عورة بسكون الواو وكسرها فالعورة بالسكون الخلل مبالغة في وصفها بالعورة
كان انفسها عورة وبالكسر ذات عورة يقال عور المكان عورا اذا بدا فيه خلل يخاف
منه العدو والسارق ويجوز ان يكون عورة تخفيف عورة وما هي بعورة بل هي
حصينة ان يريدون الا فرارا ما يريدون بذلك الا الفرار من القتال ولو
دخلت عليهم دخلت المدينة او بيوتهم من اقطارها من جوانبها وحذف الفاعل
للايما بان دخول هولا المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من العسا كرسيان في اقتضا

الحكم

في اقتضا الحكم المترتب عليه ثم سئلوا الفتنة الردة ومقاتلة المسلمين لاتوها
لاعطوها وقري بالقصر اي لجاؤهم وفعلوها وما تلبثوا بها اي بالفتنة او باعطايها
الا يسيرا وبهما يكون السوال والجواب من غير توقف او بالمدينة ما لبثوا بها بعد
الارتداد الا زمانا يسيرا او لبثا يسيرا الا ان الله تعالي يهلكهم ويستاصلهم ولقد
كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار عن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا عاهدوا
رسول الله صلي الله عليه وسلم ان يمنعوه بما يمنعوا منه انفسهم وقيل قوم غابوا عن بدر
فقالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن وعن محمد بن اسحاق بنو حارثة عاهدوا يوم
احد رسول الله صلي الله عليه وسلم حين فشلوا ثم تابوا ان لا يفروا بعد ما نزل فيهم ما
نزل وكان عهد الله مسئولا عن الوفاء به مجازي عليه اي شانهم ذلك قل لن
ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت والقتل نفعا تاما في دفع الامرين المذكورين
بالكلية اذ لا بد لكل شخص من حتف انفه او قتل في وقت لانه سبق به القضا لانه تابع •
للمقضي فلا يكون باعثا له لانه مقتضي ترتب الاسباب والمسببات بحسب العادة علي
مقتضي الحكمة فلا دلالة فيه علي ان الفرار لا يغني شيا حتي يشكل هذا بالنهي الواقع
في الكتاب عن القا النفس للتهلكة وبالامر الواقع في السنة بالفرار عن المضار وكيف وقد
دل قوله واذا لا تمتعون الا قليلا علي ان الفرار نفع في الجملة اذ المعني لا تمتعون
علي تقدير الفرار الا تمتاعا قليلا او زمانا قليلا وعن بعض المروانية انه مر بحايط
مايل فاسرع فتليت له هذه الاية فقال ذلك القليل نطلب قل من ذا الذي
يعصمكم من الله اي مما اراد الله انزاله بكم ان اراد بكم سوا او اراد بكم رحمة
العصمة هي المحافظة من السو فلا يكون من الرحمة واقترانها بالسو في حكم العصمة
علي طريقة عطف عامل حذف وبقي معموله علي عامل اخر يجمعهما معني واحد اقتصارا
اي او يصيبكم بسو ان اراد بكم رحمة ويجوز ان تكون الرحمة قرينة السو في العصمة
لانها في معني المنع كما كان الرمح قرين السيف في قوله ومتقلدا سيفا ورمحا في التقليد
لانه في معني الحمل فلم يحتج الي تقدير ومعتقلا ولا يجدون من دون الله وليا ينفعهم
ولا نصيرا يدفع الضرر عنهم قد يعلم الله قد هنا للتحقيق وان دخل علي
المضارع المعوقين المثبطين الناس عن رسول الله صلي الله عليه وسلم وهم المنافقون
منكم والقايلين لاخوانهم من ساكني المدينة هلم الينا قد سبق تفسيره في سورة
الانعام ولا ياتون الباس الا قليلا اي اتيانا قليلا او زمانا قليلا او باسا قليلا
اي يخرجون معكم يوهمون المومنين انهم معهم ولا يقاتلون الا قتالا قليلا اذا اضطروا
اليه لقوله وما قاتلوا الا قليلا اشحة عليكم بخلا عليكم وقتا الامن او بالمعاونة او النفقة

في سبيل الله او الغنيمة عند الظفر جمع شحيح نصب على الحال من فاعل يأتون او المعوقين
او على الذم فاذا جاء الخوف اي وقت الحرب رايتهم ينظرون اليك لواذ ابك
تدور اعينهم في موضع الحال اي دائرة اعينهم والكاف في كالذي يغشى عليه في موضع
النصب على المصدر اما من ينظرون اي نظرا مثل نظر الذي يغشى عليه او من تدور اي
دورانا مثل دوران عين الذي يغشى عليه من الموت من شدة سكرات الموت خوفا
وجبنا فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنايم سلقوكم ضربوكم بالسنة حداد ذربة
يطلبون الغنيمة بعد ان كانت حصرة بالخوف قال قطرب سلقت المراة وصلقت صخبت
واصله رفع الصوت قال صلى الله عليه وسلم ليس منا من حلق وسلق اي حلق شعره عند
المصيبة او رفع صوته بالنياحة اشحة على الخير حال من الباخل سلقوكم او نصب على الذم
ويؤيده قراءة من قرا بالرفع وليس بتكرير لان كلا منهما يفيد فائدة اخرى اولئك لم يؤمنوا
اخلاصا والفا في فاحبط الله اعمالهم للسببية اي ابطل الله تعالى ما عملوه من
اعمال البر بسبب نفاقهم وعدم ايمانهم حقيقة فانه شرط صحة العبادة وقبولها وكان ذلك
الاحباط على الله يسيرا هينا لتعلق ارادته من غير مانع يمنعه يحسبون الاحزاب لم
يذهبوا من شدة الجبن والخوف ففروا الى المدينة وقد انهزم الاحزاب وهم من استيلا الفزع
عليهم لا يصدقون بذلك وان يات الاحزاب كرة اخرى يودوا لو انهم بادون في
الاعراب تمنوا انهم خارجون الى البدو بين الاعراب يسئلون كل قادم من جانب المدينة
عن انبايكم وعما جرا عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يفروا الى المدينة ووقع قتال
ما قاتلوا الا قليلا الا قتالا قليلا رياء وخوفا من التعيير لقد كان في رسول الله اسوة
حسنة لمن كان يرجوا الله يجب ان يؤتسي به وهي المصابرة على الجهاد والثبات في الجهاد
ومقاسات الشدايد والاولى بفصاحة القران ان في قوله لكم في رسول الله للتجريد اي
لقد كان لكم رسول الله بنفسه اسوة اي هو قدوة يجب ان يقتدي به كما تقول لي في
فلان صديق صادق ومعناه المبالغة في الصدق اي كان فيه من كمال صداقته صديقا
اخر لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر يرجو ثواب الله او لقاه والعاقبة المحمودة وي
نعم الاخرة او ايام الله واليوم الاخر خصوصا ويجوز ان يكون يرجوا الله من باب الموطئة
كما تقول رجوت زيدا فضله اي فضل زيد والرجا ههنا يجوز ان يكون بمعنى الامل وبمعنى
الخوف لمن كان صلة لحسنة او صفة لاسوة وقيل بدل من لكم كقوله للذين استضعفوا لمن
امن منهم والاكثر على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر الله كثيرا قرن الرجا بالذكر
الكثير المؤدي الى ملازمة الطاعة لئلا يكون رجاؤه طمعا فارغا فان المقتدي برسول
الله صلى الله عليه وسلم من كان كذلك ولما راى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا

لانهم وعدوا ان نزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة وفي قوله صلى الله عليه وسلم سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم
وقوله صلى الله عليه وسلم ان الاحزاب سايرون اليكم بعد تسع او عشر اي في اخر تسع ليال
او عشر فلما راوهم قد اقبلوا للميعاد قالوا ذلك وهذا اشارة الى الخطب والبلا ايمانا بالله
وبوعده وتسليما لقضائه وقدره واظهار الاسمين في قوله وصدق الله ورسوله
للتعظيم اي ظهر صدق خبرهما او صدقا في النصر والثواب كما صدق في البلاء وما زادهم
ضمير الفاعل لما راوا او للمشار اليه بهذا من الخطب والبلا الا ايمانا بالله وبمواعيده
وتسليما لاوامره وتقاديره من المؤمنين رجال التنكير للتفخيم صدقوا ما عاهدوا
الله عليه اي صدقوا فيما عاهدوا الله عليه من الثبات مع الرسول والمصابرة على قتال
اعدا الدين فحذف الجار كما في المثل صدقني سن بكره اي في سن بكره نذر رجال من الصحابة
رضي الله عنهم انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا
وهم عثمان بن عفان وطلحة وسعيد بن زيد وحمزة ومصعب وغيرهم رضي الله عنهم ويجوز
ان يجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كانهم قالوا اصدقني به فاذا اوفوا به فقد صدقوه
من قولك صدقني اخوك اذا قال لك الصدق فمنهم من قضى نحبه نذره بان قاتل
حتى استشهد كحمزة ومصعب وانس رضي الله عنهم قيل استعارة للموت فان الموت لازم
لكل حيوان فكانه نذر لازم في رقبته فاذا مات فقد قضى نحبه كان هذا القايل غافلا عن النذر
المذكور سببا للنزول فان موجبه ان يكون النحب على حقيقته وقضا نذرهم يجوز ان
يكون كناية عن شهادتهم ومنهم من ينتظر كعثمان وطلحة رضي الله عنهما وما بدلوا
العهد وما غيروه لا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة ولقد ثبت طلحة مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة
اي الجنة تبديلا اي شيئا من التبديل تعريض بمن بدل من اهل النفاق وتبديلهم
ولذلك قال ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين تعليل للمنطوق
والمعرض به جعل المنافقين كانهم قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد الصادقون
بوفايهم عاقبة الصدق فاللام مجاز للعاقبة فانها وان امكن حملها على الحقيقة بالنسبة
الى الصادقين لكن لا يمكن حملها عليها بالنسبة الى المنافقين لان التعذيب لم يكن غرضا
لهم ولا يستعمل اللفظ الواحد حقيقة ومجازا في استعمال واحد فيجب حملها على المجاز لان
كلا الفريقين مسوقا الى عاقبته من الثواب والعقاب ان شاء اذا لم يتوبوا او
يتوب عليهم اذا تابوا ويجوز ان يراد يعذبهم ان شاء او يوفقهم للتوبة ان الله كان غفورا
بقبول التوبة رحيما بعفو الحوبة ورد الله الذين كفروا يعني الاحزاب بغيظهم لم ينالوا خيرا

حالان متداخلتان او متعاقبتان اي مغيظين غير ظافرين ويجوز ان تكون الثانية
بيانا للاول او استينافا وكفى الله المومنين القتال بالريح والملايكة وكفي هنا بمعني
وفي يتعدي لاثنين واذا كانت بمعني حسب فالاكثر في لسان العرب ان يكون الفاعل مجرورا
بالباء نحو كفي بالله وكان الله قويا علي احداث ما يريده عزيزا غالبا علي كل شي •
وانزل الذين ظاهروهم ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب من صياصيهم حصونهم
جمع صيصية وهي ما يتحصن به من حصن وغيره وقذف في قلوبهم الرعب الفزع والخوف
فريقا تقتلون وتاسرون فريقا انما اخره عن قوله تاسرون وغير النظم للدلالة
علي ان الكل منحصر في الفريقين قيل كان بنوا قريظة ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنقضوا العهد باستدعاء ابي سفيان وجاوا لمحاربة المسلمين فلما فرغ رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قريش ودخل الحجرة ووضع السلاح سمع وجبة علي باب الحجرة فنظر فاذا هو
جبريل عليه السلام علي فرس ابلق وعلى ثيابه النقع فقال يا رسول الله وضعت السلاح و
السلاح ونحن ما وضعنا السلاح بعد ان الله يامرك ان لا تصلي العصر الا ببني قريظة فامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك في المسلمين فخرجوا اليه ولحق بهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وحاصرهم احدى وعشرين يوما ثم نزلوا علي حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه فحكم
بان يقتل مقاتليهم ويسبي ذراريهم ونساءهم ويغنم اموالهم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقد حكمت بحكم الله تعالى فيهم ففعل ذلك ومن الله تعالى علي المسلمين بذلك واورثكم
ارضهم مزارعهم وديارهم حصونهم واموالهم نقودهم ومواشيهم واثاثهم
اي جعلها لكم بعدهم وارضا لم تطوها اي لم تصيروا اليها بعد قاصدين قتال
اهلها وهذا وعد لهم باخذ ارض اخرى قيل هي ارض فارس والروم وقيل هي مكة وقيل
هي خيبر وفدك وكان الله علي كل شي قديرا فيقدر علي ذلك يا ايها النبي قل
لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها الحيوة الدنيا توطية وتمهيد للاختصا
اي ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وكذا ذكر الله في تردن الله ورسوله فانه لاختصاص الرسول به
فتعالين اصل تعالى ان يقوله من في المكان المرتفع العالي لمن كان في المكان المستوطي
ثم كثر حتي استعمل في الامكنة ومعني تعالين هنا اقبلن بارادتكن واختياركن لاحد
الامرين ولم يرد نهوضهن اليه بانفسهن كقولك قام يهددني امتعكن اعطكن
متعة الطلاق واسرحكن التسريح كناية عن رفع قيد النكاح وذلك لوقوع البينونة
سراحا جميلا لا ضرار فيه اردن شيئا من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغايرن
فغم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فبدا بعايشة رضي الله عنها فكانت اجابته
اليه فخيرها وقرا عليها القران فاختارت الله ورسوله والدار الاخرة فرئي الفرح في وجه

رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اختارت جميعهن اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل
لا يحل لك النساء من بعد الاية وتعليق التسريح بارادتهن زينة الحيوة الدنيا وجعلها قسيمة لارادة
الرسول دليل علي انها ان اختارت زوجها لا تقع البينونة واما انه لا يقع الطلاق اصلا فلا
دلالة فيما ذكر عليه لما نبهت عليه انفا ان التسريح ينبي عن البينونة وتقديم التمتيع علي
التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق وقرئ امتعكن واسرحكن بالرفع علي الاستيناف
وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما تنكير
اجرا للتعظيم اي اجرا عظيما يستحقر دونه الدنيا وزينتها ومن للتبيين لانهن كلهن محسنات وانما
عدل فيه عن مقتضى الظاهر للدلالة علي سبب استحقاقهن لاصل الاجر وتميزه علي ساير
المحسنات يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة سيئة بليغة في القبح مبينة
ظاهرة قبحها من بين بمعني تبين يضاعف لها العذاب ضعفين ضعفي عذاب
غيرهن من النسا اي مثليه لان ما قبح من ساير النسا كان اقبح منهن فزيادة قبح المعصية
تتبع زيادة فضل العاصي وزيادة العقاب تتبع زيادة قبح المعصية ولذلك فضل
حد الاحرار علي حد العبيد ولا يرجم الكافر وعوتب الانبيا عليهم السلام بما لا يعاتب
به غيرهم من الصغاير وكان ذلك اي التضعيف علي الله يسيرا لا يمنعه
عنه كونهن نسا النبي عليه السلام بل هو السبب له فكيف يصرف عنه ومن يقنت
منكن يدم الطاعة لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وذكر الله تعالى
هنا كذكره في قوله تردن الله ورسوله لان طاعته طاعة الله كما قال من يطع الرسول
فقد اطاع الله وتعمل صالحا نوتها اجرها مرتين مرة علي الطاعة ومرة علي طلبهن
رضا النبي صلى الله عليه وسلم بالقناعة وحسن المعاشرة وقرئ ايضا يعمل بالياء حملا
علي لفظ من ويوتها علي ان فيهما ضمير اسم الله واعتدنا لها رزقا كريما في الجنة
زيادة علي اجرها يا نسا النبي لستن كاحد من النساء في الفضل واحد في الاصل
وحد بمعني واحد واستعمل في النفي العام مستويا فيه المذكر والمونث والواحد وما
فوقه ولذلك جاء ههنا بمعني جماعة واحدة من جماعات النساء ان اتقيتن الظاهر
انه بمعني استقبلتن احدا فلا تخضعن بالقول فلا تقلن قولا خاضعا لينا خنثا
كقول المومسات واتقى بمعني استقبل معروف في اللغة قال النابغة

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه • فتناولته واتقتنا باليد •

اي استقبلتنا باليد وهذا المعني ابلغ من مدحهن اذ لم يعلق فضيلتهن علي التقوى
ولا علق نهيهن عن الخضوع بها اذ هن متقيات في انفسهن والتعليق ظاهر يقتضي
انهن لسن متحليات بالتقوى فيطمع الذي في قلبه مرض ريبة وفجور وقرئ بالجزم

عطفا على محل النهي على انه نهي لمريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول اي
لا يخضعن فلا يطمع الفاجر وقلن قولا معروفا حسنا مع كونه خشنا بعيدا عن الريبة
وقرن في بيوتكن من وقر يقر وقارا او من قر يقر قرارا بحذف الرا الاولى من اقررن فحذفت
الرا ونقلت فتحتها الى القاف كقولك ظلن بالفتح وقيل من قار يقار اذا اجتمع ومنه القارة
للجبل لاجتماعه ولا تبرجن التبرج الخروج بالزينة تبرج الجاهلية الاولى تبرجا
مثل تبرج النسا في ايام الجاهلية القديمة التي يقال لها الجهلا وهي الزمن الذي ولد فيه
ابراهيم عليه السلام كانت المراة تلبس الدرع من اللولو فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها
على الرجال وقيل ما بين ادم ونوح عليهما السلام وقيل بين ادريس ونوح وقيل زمن
داود وسليمان عليهما السلام والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة
والسلام ويجوز ان تكون الجاهلية الاولى جاهلية الكفرة قبل الاسلام والجاهلية الاخري
جاهلية الفسوق في الاسلام ويعضده ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لابي الدردا رضي الله عنه ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر ام اسلام فقال بل جاهلية
كفر واقمن الصلوة واطعن الله ورسوله في سائر ما امر به ونهى عنه امرهن بالصلوة

وآتين الزكوة

والزكوة على الخصوص ثم بالطاعة على العموم اعتنا بشانهما وايماء الى انهما اصل الطاعات
البدنية والمالية من اعتنى بهما حق الاعتنا جرتاه الى جميعها انما يريد الله استيناف
لتعليل امرهن ونهيهن بما امرهن به ونهاهن عنه ليذهب عنكم الرجس الذنب
المدنس لعرضكم اهل البيت نصب على الندا او على المدح ويطهركم عن المعاصي
تطهيرا استعار الرجس للماثم والطهر للتقوى للتنفير عن القبايح والترغيب في المحاسن
وفي التصريح والتخصيص باهل البيت تعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم وبيان لشرف
اهل البيت واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة لما وعظهن بما يزكي
نفوسهن جمع الى اعمال التزكية ما يحلي قلوبهن من العلم والحكمة فذكرهن ما يتلى في بيوتهن
من الايات الجامعة بين الايات الدالة على التوحيد من النبوة والحكم والشرايع المقننة
لقوانين العدالة في مهابط الوحي ومنازل العلم والهداية فيجب عليهن ان يحفظنه ولا
يغفلن عنه ان الله كان لطيفا خبيرا حيث علم ما ينفعكم ويصلحكم فانزل عليكم واخبركم
به وفيه تحريض على الايتمار والانتهاء ان المسلمين والمسلمات الداخلين في السلم المنقادين
لحكم الله والمومنين والمومنات المصدقين بما يجب ان يصدق به والقانتين والقانتات
المداومين على الطاعة والصادقين والصادقات في نياتهم واقوالهم واعمالهم
والصابرين والصابرات على الطاعات وعن المعاصي والصايمين والصايمات
والخاشعين والخاشعات المتواضعين لله المخبتين اليه بقلوبهم وجوارحهم

والمتصدقين

والمتصدقين والمتصدقات بما وجب في مالهم والصايمين والصايمات الصوم المفروض
والحافظين فروجهم والحافظات عن الحرام والذاكرين الله كثيرا والذاكرات بقلوبهم
والسنتهم اعد الله لهم مغفرة لما اقترفوا من الصغاير التي لا يخلو الانسان عنها بحكم البشرية
لانها مكفرات واجرا عظيما على الطاعات روي ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا
رسول الله ذكر الله الرجال في القران بخير فما فينا خير نذكر به وانا نخاف ان لا يقبل منا طاعة
فنزلت وعطف الاناث على الذكور ضروري لكونهما صنفين مختلفين تحت جنس واحد فلا بد
من توسيط العاطف وانما عطف الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضروري ولذلك ترك
في قوله مسلمات مومنات وفايدته الدلالة على ان اعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات
وما كان وما صلح لمومن ولا مومنة اذا قضى الله ورسوله امرا اي باداة الجمع دون
التفريق للدلالة على ان القضا لا ينفك عن الاخر فان قضا الله لا ينفك الا من جهة الرسول
صلى الله عليه وسلم وقضاؤه لا يكون الا بامر الله ان تكون لهم الخيرة وهي ما يتخير وجمع
الضمير على المعنى فان النكرة في سياق النفي تفيد العموم من امرهم هذا الجمع للتعظيم
اي لا يجوز لهم ان يختاروا من امرهم شيا بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله
ورسوله ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا وسبب نزوله انه خطب رسول
الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بنت عمته على مولاه زيد بن حارثة فابت وابى اخوها
عبد الله فنزلت فقالا يا رسول الله فانكحها اياه واذ تقول للذي انعم الله عليه بتوفيقه
للاسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه وانعمت عليه بعتقه وتربيته وما وفقك الله
في حقه يعني زيدا امسك عليك زوجك يعني زينب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقالت سبحان الله مقلب القلوب وسمعت
زينب التسبيحة فذكرتها لزيد ففطن ذلك والقى الله تعالى في نفسه كراهتها فاتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شي فقال لا والله ما رايت
منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم علي فقال له امسك عليك زوجك وامره بامساكها وزيادة
عليك لتضمين معنى الحبس اي احبسها ولا تطلقها كما في قوله تعالى فكلوا مما امسكن عليكم
واتق الله في امرها ولا تطلقها تعللا بتعظمها وتكبرها وتخفي في نفسك ما الله مبديه
من نكاحها ان طلقها زيد وهو الذي ابداه الله تعالى وتخشى الناس اي قالة الناس
بانه نكح امراة ابنه قوله وتخفي عطف على تقول والله احق ان تخشاه حال الحقيقة في ذلك ان
تخشى الله واعتراض اي والله احق ان تخشاه في كل حال ويجوز ان تكون الواو في وتخفي واو الحال
على وانت تخفي ان تقول امسك مخفيا في نفسك خاشيا قالة الناس فيك وليس العتاب في الاخفا
وحده فانه حسن بل في الاخفا مخافة قالة الناس فيه واظهار ما ينافي اضماره فان الاولى فيه

ان تصمت وتفوض الامر الى رايه حتى لا يخالف سره علانيته لان الانبيا عليهم الصلاة والسلام
كذلك وعن عايشة رضي الله تعالى عنها لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم مما اوحي اليه لكتم
هذه الاية فلما قضى زيد منها وطرا اذا تعلقت همة الرجل بشي وبلغ حاجته منه قيل
قضى منه وطره اي فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها
وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق نحو لا حاجة لي فيك زوجناكها اي امرناك بتزويجها
منك او تولينا تزويجها منك ويؤيده انها كانت تقول لنسا النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تولى
نكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن الا ان انطباق التعليل الاتي ذكره على الاول وقيل كان السفير
في خطبتها زيد وذلك ابتلا عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه لكي لا يكون على المؤمنين حرج
في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا تعليل للتزويج وهو دليل على ان حكمه صلى الله
عليه وسلم وحكم المؤمنين واحد الا ما خصه الدليل وقضاء الوطر هنا كناية عن الطلاق لان
الحكم المذكور غير مشروط ببلوغ الحاجة منهن وكان امر الله مفعولا جملة اعتراضية اي
وكان امر الله الذي يريده مكونا لا محالة كما كان تزويج زينب ما كان على النبي من
حرج فيما فرض الله له اي قسم وقدر من قولهم فرض له في الديوان كذا ومنه فروض العسكر
لارزاقهم سنة الله اسم موضوع موضع المصدر وهو مؤكد لما تقدم اي سن الله سنة
في الذين خلوا من قبل في الانبيا الماضين عليهم الصلوة والسلام وهو نفي الحرج عنهم
فيما اباح لهم ووسعه عليهم في باب النكاح وغيره وقد كانت لداود عليه السلام ثلثماية
حرة وسبعماية سرية وكان امر الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مقطوعا
الذين يبلغون رسالات الله مجرور وصف للذين خلوا او نصب على المدح او رفع عليه
ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله تعريض بعد التصريح في قوله وتخشى الناس والله
احق ان تخشاه وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا للصغيرة والكبيرة فيجب
ان لا يخشى غيره الخشية الا منه ما كان محمد ابا احد من رجالكم اي لم يكن ابا رجل منكم
على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الاب وابنه من حرمة المصاهرة وغيرها
ولا ينتقض عمومه بكونه عليه الصلوة والسلام ابا للطاهر والطيب والقاسم وابراهيم
لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال قيل ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم ولا وجه له وتستفاد من القيد
التاكيد بقوله وخاتم النبيين لا ينتظم معه ولا بكونه ابا للحسنين لانه قصد المولود منه
لا ولد الولد ولكن رسول الله بالنصب عطفا على ابا احد وكل نبي ابو امته من
حيث انه يعلمهم ويربيهم ويجب عليهم تعظيمه وتوقيره وعليه شفقتهم ونصيحتهم لا في سائر
الاحكام ونسبتهم فحكمه حكمهم فيما ذكر لا انه ولدهم والادعا والتبني من باب الاختصاص
والتقريب لا غير وقرئ رسول الله بالرفع على انه خبر محذوف اي ولكن هو رسول الله

من غير فتمونه اي لم يعش له ولد ذكر وخاتم النبيين اي وكان خاتم النبيين وآخرهم
الذي ختمهم على قراة الكسر وختموا به على قراة الفتح بمعنى الطابع ولو كان له ابن بالغ
لكان نبيا لما روي انه عليه الصلاة والسلام قال حين توفي ابراهيم لو عاش لكان نبيا
فلم يكن هو خاتما فهو مؤكد لكونه لم يكن ابا احد من الرجال ولا يقدح في ذلك نزول
عيسى عليه السلام لانه اذا نزل كان على دينه لانه لا نبيا في استقلال له في النبوة وانما نبيا
استقلالا له في الرسالة بل لانه صلى الله عليه وسلم كان نبيا قبله صلى الله عليه وسلم لا بعده
فلا ينافي كونه خاتما للانبيا على انه اخرهم بعثة وكان الله بكل شي عليما فيعلم من
يليق بان يختم به النبوة وكيف ينبغي شانه يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا
اذكروا الله باصناف الذكر من التقديس والتمجيد والتكبير والتهليل وكلما هو
اهله من انواع الثنا وسبحوه بكرة واصيلا تخصيص التسبيح بالذكر من بين
سائر الاذكار بيان لفضله واختصاصه بالشرف لان التنزيه اصل الاذكار مقدم
على كل الحمد وثنا والتقييد بالوقتين المذكورين لذلك ايضا اي لبيان فضلهما وشرفهما
لكونهما طرفي الليل والنهار ومجتمع الملائكة ومختلفهما ويجوز ان يراد بهما الدوام هو الذي
يصلي عليكم وملائكته بالاستغفار والاهتمام بما يصلحكم والصلوة المشتركة بين الله تعالى
وملائكته هي اقامة الخيرات والكمالات مما يسعد المؤمنين في الدارين والعناية بذلك
مستعارة من الصلوة التي هي الشرف والكمال لهم ولهذا علله بقوله ليخرجكم من الظلمات
من ظلمات الكفر والمعاصي الى النور الى نور الايمان والطاعات ولما كانت الملائكة
واسطة الفيض كان لهم مدخل في الامداد النورية الكمالية وقيل هي الرحمة والرافة
والتعطف المعنوية استعيرت من الصلوة المشتملة على الحنو والانعطاف في الركوع والسجود
للحنو والانعطاف الصوري كانعطاف العائد على المريض والمراة على ولدها ثم نقل بكثرة
الاستعمال الى الترحم والرؤف المعنويين ومنه قولهم صلى الله عليه وسلم ترحم وتراف ولان
الملائكة وسائط الرحمة ومستجابوا الدعوة في الاستغفار لهم نسب الرحمة اليهم كما نسب الى الله
على ان الاستغفار ترحم ويؤيده قوله تعالى وكان بالمؤمنين رحيما حيث اعتنى بصلاح امرهم
وانافة قدرهم واستعمل في ذلك ملائكته المقربين تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول
اي يحيون يوم يلقونه يوم القيمة او عند الموت والخروج من القبر او دخول الجنة سلام
باخبار السلامة من كل مكروه وافة والتنكير للتعظيم واعد لهم اجرا كريما في الجنة وتغيير
النظم في تحيتهم واعد للمبالغة فيما هو اهم وادل على الكرامة وللمحافظة على الفاصلة يا ايها
النبي انا ارسلناك شاهدا على من بعثت اليهم مقبول القول في تصديقهم وتكذيبهم وطاعتهم
ومعصيتهم وهو حال مقدرة ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله الى الاقرار به وبتوحيده

ومما يجب الايمان به من صفاته باذنه بتيسيره لما كان التصرف للغير في حق المالك
متعذرا انما يتيسر بالاذن استعير الاذن لما صعب متعذر لا يستطاع الا اذا سهله الله
تعالى ويسره ولا يصح حمله على الحقيقة لان قوله ارسلناك داعيا يغني عن الاذن بمعناه
الوضعي وسراجا منيرا شبه النبي صلى الله عليه وسلم بالسراج لاستضاءة من تحير
في ظلمات الجهل بنوره واهتدا من ضل بضوئه ولانه قد ازال الله تعالى ظلمات الشرك بنور
توحيده او نور البصائر بنور هدايته كما ينور الابصار بنور السراج وبولغ في وصفه
بالانارة لان من السرج ما لا ينير وقيل ذا سراج منير على ان السراج مستعار للقران
وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا اي عطاء واسعا اي ثوابا جزيلا او فضيلة
على سائر الامم وصفه بخمس صفات ثم قابل كلا منها بخطاب يناسبه وصفه بكونه شاهدا
واضمر ما يقابله بد لانه عطف بشر عليه فانه مقابل المبشر فيجب ان يكون معطوفا
على ما يناسب الوصف الذي عطف عليه مبشرا وهو فراقب امتك وقابل نذيرا بالنهي
عن موافقة الكفار والمبالات بهم الوارد في قوله ولا تطع الكافرين والمنافقين
فان ذلك اشد الانذار كانه قال خلهم وشانهم فانا اكفيكهم وذلك تهييج له صلى
الله عليه وسلم على ما هو عليه من مخالفتهم وقابل وداعيا الى الله باذنه بقوله وتوكل
على الله فانه ميسر لكل عسير وسراجا منيرا بقوله وكفى بالله وكيلا لان من اناره
برهانا على جميع خلقه حقيق بان يكتفى من غيره ولا يستعان الا به يا ايها الذين امنوا اذا
نكحتم المؤمنات النكاح العقد وتخصيص المؤمنات مع ان الحكم المذكور يستوي فيه
المؤمنات والكتابيات تعليم لما هو الاولى وتحريض عليه فان الاولى للمؤمن ان يتخير لنطفته
ولا يختار للنسل الا الطيبة الطاهرة ومما في المائدة بيان الجواز ومعنى التراخي في
ثم طلقتموهن دفع لما عسى ان يتوهم ان تراخي الطلاق ريثما يمكن فيها الاصابة
مؤثر في العدة كما في النسب من قبل ان تمسوهن المساس كناية عن الجماع فما لكم
عليهن من عدة ايام يتربصن فيها بانفسهن تعتدونها تستوفون عددها
من عددت الدراهم فاعتدها كقوله كلته فاكتاله او تعدونها والاسناد الى الرجال
للدلالة على ان العدة حق الازواج كما اشعر به فما لكم ومن قرا تعتدونها بالتخفيف حذف
الجار واوصل الفعل الى الضمير بنفسه كقوله ويوم شهدناه اي شهدنا فيه ومنطوقه
ساكت عن العدة بمجرد الخلوة الصحيحة ولا عبرة للمفهوم فلا مانع لالحاق الخلوة بالمساس
في ايجاب العدة فمتعوهن للوجوب ان لم يكن مفروضا لهن فان المفروض لها نصف المهر
ويجوز ان يحمل على الراجح والاولى ان القدر المشترك بين الوجوب والندب فيتناولهما
لان المتعة المفروضة لها مستحبة ولم تجب الا لغير المفروض لها قبل المساس من المطلقات

وسرحوهن اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا من غير ضرار
ولا منع حق يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن مهورهن لان
المهر اجر على البضع وايتاؤها اعطاؤها عاجلا او فرضها وتسميتها في العقد فانه في حكم
الاعطا وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وهي صفية وجويرية فتمتعهما وتزوجهما
وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك الجمع في العمات والخالات
دون العم والخال لنسق الكلام على وفق الواقع كما في قرينة السياق اللاتي هاجرن معك
مع ليس للقران بل للوجود مما يحسب كقوله واسلمت مع سليمان والتقييد المذكور للتخصيص
لما روي عن ام هانئ رضي الله تعالى عنها انها قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاعتذرت اليه فعذرني فانزل الله هذه الاية فلم احل له لاني لم اهاجر معه وامراة
مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اتفق ولذلك نكرها اي رضيت بالنكاح له بلا مهر
فالهبة المذكورة مجاز عن تمليك المتعة بلا عوض وليس معناه ان عرضت قالت وهبت
نفسي للنبي حتى ينتهض حجة في الخلافية المشهورة بيننا وبين الشافعي عليها اولنا وامراة عطف
على ازواجك وما بعده لا يمنعه التقييد بان الاستقبالية لان المراد بالاحلال الاعلام بالحل
اي اعلمناك حل امراة مؤمنة او نصب بفعل مضمر يدل عليه احللنا اي واحللنا لك امراة
وقرئ بالفتح على التعليل بتقدير حذف اداته او على الظرف بحذف وقت ان وهبت او مدة هبتها
ان اراد النبي ان يستنكحها شرط للشرط الاول في استيجاب الحل فان هبتها نفسها منه
لا يوجب له حلها الا بقبوله والارادة المذكورة عبارة عنه ولا وجه لحملها على الحقيقة لان قوله
يستنكحها يغني عن الارادة بمعناها الوضعي والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي ثم
الرجوع اليه في قوله خالصة لك للايذان بانه مما خص به لنبوته وتكرير تقرير لاستحقاقه
الكرامة لاجله وخالصة مصدر مؤكد كقوله وعد الله حقا اي خلص لك احلالها خالصة
بمعنى خلوصا او حال من الضمير في وهبت او صفة مصدر محذوف اي هبة خالصة وقرئ خالصة
بالرفع اي ذلك خلوص لك من دون المؤمنين او تلك المراة خالصة لك من دونهم
قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم من شرائط العقد ووجوب القسم والمهر بالوطء حيث
لم يسم وما ملكت ايمانهم من توسيع الامر فيها عليهم كيف ينبغي ان يفرض عليهم والعدول
من عبارة الاماء الى ما ذكر للدلالة على ان مدار الحل الى ملك اليد ولذلك لا يتحقق الحل
اذا تخلف ملك اليد عن ملك الرقبة كما في المكاتبة لكي لا يكون عليك حرج علة لقوله
خالصة لك وما بينهما اعتراض لبيان ان الفرق بينه وبين المؤمنين ليس لمجرد التوسيع عليه
كما هنا بل لمعان من خواص النبوة تقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة وبالعكس
اخرى وكان الله غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما بالتوسعة في مظان الحرج

ترجي من تشاء منهن تؤخرها وتترك مضاجعتها فلا تقسم لها وتؤوي اليك تضم
اليك من تشاء وتضاجعها او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء ومن ابتغيت طلبت ممن
عزلت طلقت بالرجعة فلا جناح عليك في شيء من ذلك ذلك التفويض الى مشيتك ادنى
اقرب ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن اي قرة اعينهن وقلة حزنهن
وحصول رضاهن جميعا لانه حكم كلهن فيه سوا لا تفاضل بينهن فيتغايرن ثم ان سويت
بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن على بعض علمن ان ذلك من عند الله
وبوحيه وتفويضه فتطمئن نفوسهن ويرضين ولا يتغايرن والله يعلم ما في قلوبكم •
وعيد لمن لم ترض منهن بما دبر الله تعالى وفوض الى مشيته وكان الله عليما بذات
الصدور حليما لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى ويحذر لا يحل لك النساء
اي ذلك الجنس واتيان صيغة الجمع ثم ابطاله بالتعريف لعدم المفرد من لفظها ولم يقل
امراة لعمومها وقرئ بالتذكير لان تانيث الجمع غير حقيقي واذا جاز بغير فصل في وقوع
فمع الفصل اجوز المملوكة بملك اليمين والمراد المملوكة بملك النكاح بقرينة قوله من ازواج •
من بعد من بعد التسع لانه نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الازواج كما ان الاربع نصاب الامة
الاربع لو من اليوم حتى لو ماتت واحدة منهن لم يحل له نكاح اخرى ولا ان تبدل بهن من ازواج
لا بكلهن ولا ببعضهن بان تطلق احداهن وتنكح اخرى مكانها كرامة لهن وجزاء على ما اخترن
ورضين به فقصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهن وهن التسع التي مات عنهن رضي الله
عنهن ومن في من ازواج هي الاستغراقية مزيدة لتاكيد نفي المتبدل من جنس الازواج •
ولو اعجبك حسنهن حسن الازواج المستبدلة وهو حال من ضمير الذي هو فاعل تبدل
اي مفروضا اعجابك بهن او من المفعول الذي هو من ازواج لانه في سياق النفي فشابه المعرفة
المستغرقة الا ترى الى تجوزهم ان تقع مبتدا وعن عايشة رضي الله عنها ما مات رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى احل له النسا يعني ان الاية قد نسخت ولا يخلو نسخها ان يكون اما
بالسنة واما بقوله تعالى انا احللنا لك او بقوله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء
على المعنى الثاني وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف وقيل المعنى لا تحل لك النساء من بعد
الاجناس الاربعة اللاتي نص على احلالهن لك من الاعرابيات والكتابيات والغرايب والاماء
بالنكاح فانهن لا يناسبن منصب النبوة وجلالته الا ما ملكت يمينك استثناء منقطع
لان النساء وان كان في الاية يتناول الحراير والاماء لكن غلب استعماله في الازواج وهو المراد ههنا
على ما مر بيانه وكان الله على كل شيء رقيبا حافظا مهيمنا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده
ويخطي حلاله الى حرامه يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي لم يقل بيت النبي كي لا يسبق
الوهم الى ان المراد البيت الذي هو فيه الا ان يؤذن لكم اي الا بان يؤذن لكم والا ماذونا لكم

ولا يجوز انتصابه على الظرف لانهم قد نصوا على ان المصدرية لا تكون في معناه تقول
اجيئك صياح الديك وقدوم الحاج ولا يجوز اجيئك ان يصيح الديك ولا ان يقدم الحاج
الى طعام متعلق بيؤذن لانه متضمن معنى يدعو للدلالة على ان حكم النهي لا يرتفع بمجرد
الاذن لا لدلالة بفتح الباب ورفع الحجاب مثلا بل لا بد معه من الدعوة صريحا ويعضده قوله
غير ناظرين اناه غير منتظرين وقته وادراكه حال من فاعل لا تدخلوا او من المجرور في لكم
وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير وهو غير جائز عند
البصريين وقرئ اناه بالامالة لانه مصدر انى الطعام اذا ادرك قيل الخطاب مخصوص
بقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين
لادراكه والا لم يجز لاحد ان يدخل بيوته الا باذن خاص والظاهر ان الخطاب عام لغير
المحارم وخصوص السبب لا يصلح مخصصا على ما تقرر في الاصول نعم يكون وجها
لتقييد الاذن بقوله الى طعام فيندفع وهم اعتبار مفهومه ولكن اذا دعيتم فادخلوا
هذه الفا للجزا ولا دلالة فيه للتعقيب بلا مهلة واما الفا في قوله فاذا طعمتم
فللتعقيب بلا مهلة للدلالة على انه ينبغي ان يكون دخولهم بعد الاذن والدعوة على وجه يسرع
في الاكل والشرب لما دخلوا ففيه تقرير لما اشير اليه بقوله غير ناظرين اناه من النهي عن الدخول
للطعام قبل ادراكه فانتشروا فتفرقوا ولا تمكثوا روي عن انس رضي الله عنه انه قال
انا اعلم بهذه الاية لما زفت زينب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت معه في البيت وصنع
طعاما للناس فاكلوا فتفرقوا وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فاطالوا فقام رسول الله صلى الله
ليخرجوا ثم رجع فاذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
شديد الحيا فتولى فلما راوه متوليا خرجوا فرجع فنزلت ولا مستانسين لحديث اي
ولا مستانس بعضكم لبعض لاجل الحديث او مستمعين حديث اهله والاول بحكم سبب
النزول عطف على ناظرين او منصوب على تقدير فعل اي ولا تدخلوها او ولا تمكثوا
مستانسين ان ذلكم اللبث كان يؤذي النبي لتضييق المنزل عليه وعلى اهله
واشتغاله فيما لا يعنيه فيستحيي منكم تعليل المحذوف المعنى يستحيي من اخراجكم
دل عليه مساق الكلام اي ولا يخرجكم فيستحيي منكم ولذلك صدره باداة التعليل ولو كان
المعنى يستحيي منكم من اخراجكم لكان حقه ان يصدره بالواو العاطف والله لا يستحيي
من الحق لما كان الحيا بمعنى الحيا من بعض افعاله وافق له وان كان حقا قيل ان الله لا
يستحيي من الحق اي لا يمنع منه امتناع الحيي وهو مجاز او على طريقة قوله قلت اطبخوا لي
جبة وقميصا يعني ان اخراجكم حق فينبغي ان لا يترك حيا كما لم يتركه الله تعالى فامركم
بالخروج واذا سالتموهن الضمير لنسا النبي صلى الله عليه وسلم لدلالة ذكر البيوت

او دلالة الحال عليهن متاعا شيئا ينتفع به فاسئلوهن من وراء حجاب
ستر روي ان عمر قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات
المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض اصحابه
رضي الله عنهم فاصابت يد رجل يد عائشة رضي الله عنها فكره النبي صلى الله عليه
وسلم ذلك فنزلت ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر الشيطانية
وما كان وما صح لكم ان تؤذوا رسول الله اي تفعلوا ما يكرهه ولا ان
تنكحوا ازواجه من بعده ابدا من بعد وفاته او فراقه وخص التي لم يدخل بها
لما روي ان اشعث بن قيس تزوج المستعيذة في ايام عمر رضي الله عنه فهم برجمها
فاخبر بانه عليه الصلوة والسلام فارقها من غير نكير قبل ان يمسها فترك من غير نكير
ان ذلكم اي ايذاءه ونكاح نسائه كان عند الله عظيما ذنبا عظيما استيناف
لتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وايجاب حرمته حيا وميتا فلذلك بالغ في الوعيد عليه
ان تبدوا شيئا من نكاحهن وغيره او تخفوه في صدوركم فان الله كان
بكل شيء عليما فيعلم فيجازيكم عليه وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود تهويل
عظيم ومبالغة شديدة في الوعيد لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن
ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن استيناف لمن لا يجب الاحتجاب عنه روي انه
لما نزلت اية الحجاب عنهما مخافة ان يصفا لابنائهما ولا نسائهن يعني
نساء المؤمنات وانما لم يذكر العم والخال مع شدة الاهتمام على ما دل عليه ما في عدم الا
لانفهامه في حق الاخ فان ذكر ابنه يغني عنه دلالة لانه كره ترك الاحتجاب عنهما مخافة
ان يصفا لابنائهما ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد والاماء وقيل من الاماء
خاصة وقد سبق في تفسير سورة النور واتقين الله فيما امرتن به التفات من
الغيبة الى الخطاب لاظهار الاعتناء بامر الحجاب والتشديد عليهن في ذلك وانه من باب
التقوى الواجب رعايته والمحافظة عليه ثم اوعد على ذلك بقوله ان الله وملائكته
يصلون على النبي يعتنون باظهار شرفه وتعظيم امره يا ايها الذين امنوا صلوا
عليه اعتنوا انتم ايضا فانكم اولى بذلك فقولوا اللهم صل على محمد وسلموا تسليما
وقولوا السلام عليك يا ايها النبي والاية تدل على وجوب الصلوة والسلام عليه صلى
الله عليه وسلم في الجملة ان الذين يؤذون الله ورسوله جاز ان يكون مجازا اي
يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصي وان يكون حقيقة وذكر الله توطية للتعظيم
والاختصاص اي يؤذون رسول الله لعنهم الله ابعدهم من رحمته في الدنيا
والاخرة واعد لهم عذابا مهينا يهينهم مع الايلام والذين يؤذون المؤمنين

قال الاباء والابناء والاقارب
يا رسول الله او نكلمهن ايضا من
وراء الحجاب فنزلت صح

والمؤمنات

والمؤمنات بغير ما اكتسبوا بغير جناية استحقوا بها ذلك الطلق ايذاء الله ورسوله
وقيد ايذاء المؤمنين والمؤمنات لان ايذاء الله ورسوله لا يكون الا بغير حق وايذاءهم
قد يكون بحق فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ظاهرا روي انها نزلت في ناس من
المنافقين يؤذون عليا رضي الله عنه وقيل في اهل الافك وقيل في زناة كانوا يتبعون
النساء وهن كارهات يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين
عليهن من جلابيبهن يغطين بها وجوههن واعطافهن ويرخينها على ابدا
اذا برزن لحاجة يقال اذا زل الثوب عن وجه المراة ادن ثوبك على وجهك والجلباب
الملحفة وكل ما يستتر به من كساء وغيره ومن للتبعيض لان المراة تتلفع ببعضها وترخي
بعضها على بدنها او لان لها جلابيب كانت النساء في اول الاسلام يبرزن في درع وخمار
كما كانت عادتهن في الجاهلية لا فرق بين الحرة والامة في ذلك وربما كان الشبان
والشطار يتعرضون لهن فاذا عوتبوا في ذلك يقولوا حسبناها امة فامرن ان يخالفن
بزيهن عن زي الاماء ذلك ادنى ان يعرفن يميزن من الاماء والقينات
فلا يؤذين فلا يؤذيهن اهل الريبة بالتعرض لهن بما يكرهن وكان الله غفورا
لما سلف من تفريطهن رحيما بتعليم اداب المكارم لئن لم ينته المنافقون عن
نفاقهم والذين في قلوبهم مرض ضعف ايمان وقلة ثبات عليه وقيل اهل الريبة
والفجور والزناة من قوله فيطمع الذي في قلبه مرض والمرجفون في المدينة
الذين يرجفون باخبار السوء عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون هزموا
وقتلوا او بالجملة ما يكسر قلوب المؤمنين والارجاف الاخبار الكاذب لانه متزلزل
غير ثابت يقال ارجف بكذا اذا اخبر به على غير حقيقة من الرجفة وهي الزلزلة
لنغرينك بهم الاغراء التحريش جعل مجازا عن قصدهم بالسوء اي لئن لم ينته المنافقون
عن نفاقهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجفون عن اراجيفهم لنامرنك بان
تفعل بهم الافاعيل التي تسوؤهم من انواع التعذيب ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا
عطف على لنغرينك لان النفي مما يجاب به القسم ولو قيل لئن لم ينتهوا لا يجاورونك
لكان صحيحا وانما عطف بثم لان الجلاء عن الاوطان كان اعظم عليهم من كل واحد
من كل ما اصيبوا به من العذاب مبعدا حاله من حال المعطوف عليه اي ثم يفعل بهم ما
ما يضطرهم الى الجلاء من المدينة وان لا يساكنونك فيها الا زمنا قليلا ريثما يتهيئون
للرحيل ملعونين منصوب على الشتم او الحال اي لا يجاورونك الا ملعونين فالا
شامل له ايضا ولا يجوز انتصابه باخذوا في قوله اينما ثقفوا وجدوا اخذوا وقتلوا
تقتيلا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها والتشديد للدلالة على التكثير

نهن

وكذا التنكير سنة الله في الذين خلوا مصدر مؤكد اي سن الله في الانبيا الذين
مضوا من قبل ذلك سنة وهو الاخذ والتقتيل في الذين نافقوا وافسدوا ولن تجد
لسنة الله تبديلا لانه تعالي لا يبدلها ولا يقدر احد علي تبديلها يسئلك الناس
عن الساعة عن وقت قيامها كان المشركون يسئلون رسول الله صلي الله عليه وسلم
عنه استعجالا علي سبيل الهزؤ والانكار امتحانا لان الله تعالي عمي وقته في التورية
وفي جميع كتبه قل انما علمها عند الله لم يطلع عليها احدا لا الانبيا ولا ملكا ثم تبين
لرسول الله صلي الله عليه وسلم بقوله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا انها
قريبة الوقوع تهديد للمستعجلين واسكات للممتحنين وتذكير قريبا علي تاويل الشي
او اليوم او الزمان ويجوز انتصابه علي الظرف اي في زمان قريب ان الله لعن الكافرين
واعد لهم سعيرا نار مسعورة شديدة الاتقاد خالدين فيها لا يجدون وليا
ينفعهم ولا نصيرا يدفع العذاب عنهم يوم ظرف ليقولون او نصب بالذكر
ويقولون حال تقلب وجوههم في النار كما يقلب اللحم عند الشي او من حال الي
حال وهيئة الي هيئة وخصت الوجوه بالذكر لانها اشرف اعضا الانسان واعزها
وعبر بها عن الجملة وقري تقلب بمعني تتقلب يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا
الرسولا فلن نبتلي بهذا العذاب وزيادة الالف في الرسولا والسبيلا لاطلاق
الصوت جعلت فواصل الاي كقراين السجع وقوافي الشعر وفائدتها الوقف والدلالة
علي ان الكلام قد انقطع وان ما بعده مستانف وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا
يعنون رؤسا الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم وقري ساداتنا علي جمع الجمع
للدلالة علي الكثرة فاضلونا السبيلا بما زينوا لنا ربنا اتهم ضعفين
اي مثلي ما اتيتنا من العذاب لضلالهم واضلالهم لنا والعنهم لعنا كبيرا
كثير العدد وقري بالبا اي لعنا هو اشد اللعن واعظمه يا ايها الذين امنوا لا
تكونوا كالذين اذوا موسي فبراه الله مما قالوا فاستحقوا العذاب في العقبي
في حقه لما اظهر الله تعالي براءته عليه الصلوة والسلام مما قرفوه به اتقطع كلما تهم
فيه فبري عليه السلام من قولهم فحصل لهم الخجالة في الدنيا بظهور كذبهم وافترا
علي رسولهم وذلك ما مر في القصص من تحريض قارون امراة علي قذف بنفسها واتهامها
اياه بقتل هارون فاحياه الله تعالي فاخبرهم ببراة موسي عليه السلام فقذفوه بعيب
في بدنه من برص او ادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم الله علي انه بري منه وكان عند
الله وجيها ذا وجاهة ومنزلة فلذلك كان يدفع عنه التهم ويحافظ علي ما وجهه
لصونه عن كل وصم ونقيصة وقري عبد الله وجيها يا ايها الذين امنوا اتقوا الله

في

في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله وقولوا قولا سديدا السداد
القصد الي الحق يقال سدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها يصلح لكم
اعمالكم بالقبول والاثابة عليها وذلك بالتوفيق لصالح الاعمال لما نهي عن القول
المؤذي لرسول الله صلي الله عليه وسلم قرن النهي بالامر بالقول السديد الحق وحفظ
اللسان عن الكذب والغيبة والرية ليتعاضد الامر والنهي مترادفين عليهم مع ابا
النهي الوعد الشديد في ضمن قصة موسي عليه الصلوة والسلام واتباع الامر الوعد
البليغ فيقوي الصارف عن الشر والاذي بالداعي الي الخير والتقي وافرد القول السديد
بالذكر وان كان داخلا في التقوي لان اجتناب من رذيلة الكذب لفضله كانه جنس
براسه كما خص به جبرايل وميكايل من بين الملكة ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها
مكفرة باستقامتكم في القول والعمل ومن يطع الله ورسوله في الاوامر والنوا
فقد فاز فوزا عظيما عاش في الدنيا حميدا وفي الاخرة سعيدا انا عرضنا
الامانة علي السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها
الاشفاق الخوف مع اعتنا عظيم بها وحملها الانسان تقرير للوعد السابق بتعظيم
الطاعة فانه لما علق الفوز العظيم بها اراد ان يقرر انه حقها فاستعار الامانة
لها وفي من حيث انها واجبة الادا كالامانة وبين انها من عظمها بحيث لو عرضت
علي هذه الاجرام العظام مع احكامها وقوتها وكانت شاعرة لابت ان تحملها واشفقت
منها وحملها الانسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته فجدير بالقيام بقوتها والمراعي لها
ان يفوز بخير الدارين وسعادة المنزلين وحول من اضاع حقوقها وخانها ان يرهق
باشد العذاب ويؤوب بشر المآب انه كان ظلوما حيث لم يراع حقوقها ولم
يؤدها ولم يف بها جهولا حيث لم يعرف عظم قدرها وفخامة شانها فلم يؤدها
وهذا حكم علي الجنس بحسب الاغلب ووجه اخر وهو ان يراد بالطاعة الانقياد لامر الله
تعالي مطلقا بحيث يشمل الاختياري والطبيعي وبعرضها استدعاوها الذي يعم
ارادة صدورها ما خلقت هذه الاجرام لها عليها وطلب ما خلق الانسان له ومنه وبحملها
الامتناع عن ادايها والخيانة فيما يقال حمل الامانة واحتملها اذا لم يؤدها الي صاحبها
فيخرج من عهدتها ونزول عن ذمته لان الامانة اذا كانت عليه كانت كانها راكبة له وهو
حاملها كما تقول ركبته الديون فاذا ادّاها لم تبق راكبة ولا يكون هو حاملها وبابايها
حملها اتيانها بما اراد الله تعالي طوعا وانقيادا وباشفاقها موافقتها لامر الله تعالي
وامتناعها من مخالفته علي انها مجازات فيكون المعني ان هذه الاجرام مع عظمها
وقوتها لم تمتنع عن طاعتنا وانقادت لما امرنا به وادت ما تنا ولم تخن واذعنت

ع
هي
بهم
بهم
على نبيها وهم
الادرة بالضم نفخة الخصية

لما اردنا منها كقوله اتينا طايعين واما الانسان مع كونه عاقلا عالما بوجوب طاعتنا فما له بخلاف ذلك فانه حمل الامانة ولم يؤدها اي عصانا ولم يطع انه كان ظلوما لانه لم يؤد حقنا واما نتنا ولم يف بعهدنا وخاننا جهولا بوخامة عاقبته ولام التعليل للعاقبة لان التعذيب يعقب حمل الامانة ويجوز ان يراد بالامانة العقل وما يلزمه من التكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الي استعدادهن وبابائهن الاباء الطبعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وعلي هذا يحسن ان يكون علة للحمل عليه فان من فوايد العقل ان يكون مهيمنا علي القوتين حافظا لهما عن التعدي ومجاوزة الحد ومعظم المقصود من التكليف تعديلهما وكسر سورتهما ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله علي المومنين والمومنات تعليل للحمل من حيث انه نتيجة كالتاديب للضرب في ضربته تاديبا وذكر التوبة في الوعد اشعار بان كونه ظلوما جهولا في جبلته لا يكاد يخلو من شي منه وقرئ ويتوب بالرفع علي ان العلة قاصرة علي فعل الحامل ويتوب الله ابتدا كلام وكان الله غفورا حيث تاب علي فرطاته رحيما حيث اثاب علي طاعته

سورة سبا مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض قد سبق ان وصف المحمود بعد اثبات الحمد له اشعار بانه موجب لاستحقاقه للحمد فالمعني انه تعالي لحقيق بالحمد لاجل انعامه بجميع النعم الدنيوية ولهذا عطف عليه بقوله وله الحمد في الاخرة علي النعم الاخروية عطف المقيد علي المطلق انه المحمود علي نعم الدنيا في الدنيا وعلي نعم الاخرة في الاخرة وتقديم الصلة للاختصاص لكون النعم الاخروية منه تعالي بلا واسطة واما نعم الدنيا فقد تكون بواسطة من يستحق الحمد ايضا لنسبته لها والفرق بين الحمدين بان الاول منهما واجب دون الثاني لانه علي نعمة واجبة الايصال الي مستحقها لا يتمشي علي اصل اهل السنة وذلك ظاهر ولا علي اصل الاعتزال لانهم لا ينكرون التفضل في الاخرة غايته انهم لا يوافقونا في كون الكل تفضلا ووجوبه بحكم الوعد لا ينافيه لان الوعد منه تعالي مع عدم شموله لانواع النعم الاخروية فضلا عن افرادها كان تفضلا وما يجب بحكم التفضل لا يخرج عن كونه علي انه لا يثبت به الاستحقاق فلا يجدي نفعا في دفع الخلاف وهو الحكيم المحكم في افعاله المصيب في اقواله الخبير بما في الضماير من السراير فهما للايذان بانه تعالي كما يستحق الحمد لانه منعم يستحقه لانه منعوت بصفات الكمال وان انعامه علي وجه الحكمة والصواب ومن علم بموضع الاستحقاق والاستيجاب ثم فصل علمه وحكمته

بعد الاجمال بقوله يعلم ما يلج في الارض من ماء الارض وعروق النبات واصول الاشجار واما الكنوز والدفاين والاموات فمما يوضع فيها مما يلج فيها والولوج الدخول في مضيق وما يخرج منها من مياه العيون والنبات والاشجار وحشرات الارض واما الفلذات فمما يخرج لا مما يخرج وما ينزل من السماء من الملكة والكتب وقطرات الامطار والصواعق وامثال ذلك وما يعرج فيها من الملكة والاعمال والابخرة والادخنة وغيرها وتعديته بفي لتضمينه معني الاستقرار يقال عرج في الدرجة اذا ارتقي وهو مع وفور هذه النعم ومع سبوغها الرحيم بالنعم الدينية من العلم والحكمة والهداية الغفور للمفرطين في اداء موجب شكرها عقبه بهذين الوصفين تتميما للمقصود يعني انه تعالي مع انه اولا بتلك النعم وشهد منهم ذلك التقدير يزيد في تلك النعمة ويغفرلهم ذلك التفريط •

وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة النفي ما انكروا واما استبطا للموعود استهزاء وسخرية كقولهم متي هذا الوعد قل بلي وربي لتاتينكم رد لقولهم واثبات لما نفوه بما هو الغاية بتكرير الايجاب مع التاكيد القسمي واتباع المقسم به بالوصف المقرر لوقوعه والتعليل الموجب لثبوته وقرئ لياتينكم باليا التحتانية علي ان الساعة بمعني اليوم او علي الفاعل عالم الغيب اوليانينكم امره وعلي الاول كان المذكور رفعا علي المدح اي هو عالم الغيب او مبتدا خبره لا يعزب عنه وقرئ عالم الغيب بالجر صفة لربي وعلام الغيوب للمبالغة ولا يعزب بكسر الزاي وضمها من العزوب وهو البعد مثقال ذرة مقدار اصغر نملة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا جملة موكدة لنفي العزوب ورفعهما علي الابتدا ويويده القراة بالفتح فيهما علي نفي الجنس كقوله لا حول ولا قوة بالرفع والنصب والاستثنا في قوله الا في كتاب مبين اي اللوح المحفوظ يابي عطف المرفوع علي مثقال والمنصوب علي ذرة علي انه فتحه لامتناع الصرف الا ان يجعل الضمير في عنه للغيب ويجعل المثبت في اللوح بارزا عن الغيب مشهودا للملا الاعلي كما قال بعضهم ولا يساعده المعني لان المعني الغيبي اذا برز الي الشهادة لم يعزب عنه بل بقي في الغيب علي ما كان عليه مع بروزه والجملة مستقلة والواو عاطفة للجملة علي الجملة لتناسبهما في بيان علمه تعالي بالغيب ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات تعليل لقوله لتاتينكم اولئك لهم مغفرة ورزق كريم اذ لا تعب فيه ولا من عليه والذين سعوا في اياتنا بالابطال وتزهيد الناس فيها معجزين مسابقين ليفوتونا وقرئ معجزين اي مثبطين الناس عن قبولها اولئك لهم عذاب من رجز الرجز سوء العذاب اليم مولم قرئ بالرفع والجر ويري الذين اوتوا العلم اي ويعلم اولوا العلم من اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم

وتابعيهم من امته او علماء اهل الكتاب الذين اسلموا كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار
رضي الله عنهما واضرابهما الذي انزل اليك من ربك القران هو الحق مفعول لان
يرى وهو فصل ومن رفع الحق جعله مبتدا والحق خبرا والجملة في موضع المفعول الثاني
وهو محل الرفع على انه كلام مستانف للاستشهاد باولي العلم على الجهلة الساعين في الايات
وقيل في محل النصب عطفا على ليجزي اي وليعلم العلماء عند مجي الساعة انه الحق عيانا كما علموا
اهل الكتاب الذين لم يؤمنوا حينئذ انه الحق فيزدادوا حسرة وغما ويهدي الى صراط
العزيز الحميد الذي هو التدرع والتوحيد والتدرع بلباس التقوى وقال الذين
كفروا قال بعض كفار قريش لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم
وانما عبروا عنه برجل على التنكير ولم يذكروه باسمه مع شهرته فيما بينهم للتعجب واخراج كلامه
مخرج الاعاجيب التي لا يعرف ناقلها وواضعها بل يحكى للتلهي والسخرية فلذلك اخرج هو
مخرج من لم يعرف وفي قوله ينبئكم دون يخبركم تاييد لما ذكر فان النبا خبر فيه غرابة وشان
اذا مزقتم اذا متم وفرقتم كل ممزق نصب على المصدر او الظرف على انه اسم مكان
اي فرقتم كل تفريق وصرتم ترابا او كل موضع تفريق كبطون السباع وحواصل الطيور ومذاهب
السيول والعامل في الظرف ما دل عليه انكم لفي خلق جديد اي بعثتم وجدد خلقكم
وجديد فعيل بمعنى فاعل من جد او بمعنى مفعول من جد النساج اذا قطعه وامثله في
الثوب ثم شاع وانما قدم الظرف اعتبارا باستبعاده وايذانا بانه سبب التعجب لبعده عن
عن العقول واصله ينبئكم انكم تبعثون وتجدد خلقكم اذا متم فقدم واخر وبدل وغير لما
قلنا ولذلك بالغوا في التاكيد بان واللام متعجبين ومعجبين من جزمه بالبعث اي لا يقنع
بامكانه بل يجزم بوقوع محاله مثله وهذا هو السبب في حصرهم قوله صلى الله عليه وسلم
في الافترا والجنون بناء على ان كونه صدقا وحقا امر بين الاستحالة عندهم فالترديد
بين قسمي الكذب افترى الف الاستفهام دخلت على الف الوصل المجتلبة فاسقطتها الكو
عنها على الله كذبا اقصد وتعمد كذبا بالغا في كذبه ام به جنة ام حل به جنون
فيقول بغير قصد عادلوا بين الافترا والجنون لان هذا القول عندهم انما يصدر عن
احد هذين لانه ان كان يعتقد خلاف ما اخبر به فهو مفتر وان كان لا يعتقد فهو مجنون
بل الذين لا يؤمنون بالاخرة في العذاب والضلال البعيد اضرب عن تقسيمهم لبطلانه
الى ان الكافرين وقعوا بسبب انكارهم للبعث وعدم ايمانهم بالدار الاخرة في العذاب والضلال
معا ولم يفطنوا لغاية ضلالهم للقسم الثالث الذي هو الحق وانه صلى الله عليه وسلم بعيد
من القسمين المذكورين لم يقل لفظ الاصدقا وحقا ووضع الموصول موضع الضمير للايذان
بان سبب استبعادهم للبعث ونسبة الاخر فترا والجنون اليه الذي هو الضلال المحض

انما هو عدم ايمانهم بالاخرة وقرن العذاب بالضلال اشعارا بان العذاب بلزوم الضلال
غير منفك عنه كانهما في وقت واحد لسرعة اداء الضلال اليه ووصف الضلال بالبعد
من الاسناد المجازي لان البعد صفة الضال اذا ضل عن الجادة اولم يروا الى ما بين
ايديهم وما خلفهم من السما والارض تذكير لهم بما هم يعاينونه من كمال قدرة الله
تعالى وتهديد على تكذيبهم اي اعموا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم من السما والارض
فيستدلوا بذلك على انهم في سلطان الله تعالى يجري عليهم احكامه ان نشا نخسف
بهم الارض كما فعلنا بقارون او نسقط عليهم كسفا قطعة من السما كما فعلنا
باصحاب الايكة لتكذيبهم بالايات البينات بعد ظهورها ان في ذلك لاية اي في
النظر الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السما والارض لاية بينة ودلالة واضحة
على قدرة الله تعالى لكل عبد منيب راجع الى الله لان الراجع اليه تعالى متفكر في
اياته الدالة على انه قادر على البعث وعلى عقاب المكذبين ولقد اتينا داود منا فضلا
على سائر الناس ويندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن او على سائر
الانبيا عليهم السلام في زمانه وهو ما ذكر بعده من المعجزات الخاصة به يا جبال بدل
من فضلا باضمار قولنا او من اتينا باضمار قولنا اوبي ارجعي معه التسبيح
وقرئ اوبي من الاوب اي ارجعي معه في التسبيح لانه اذا رجعه فقد رجع فيه وذلك
مثل صوته معجزة له كخلق الكلام في الشجرة وقيل سيري معه اينما سار والطير قرئ
بالرفع عطفا على لفظ الجبال تشبيها للحركة البنائية بسبب العارض وهو وقوع منادى
مقام مبني الاصل وهو كاف اذ عوملت بالحركة الاعرابية او عطفا على فاعل اوبي
او بي انت والطير كقولك له اسكن انت وزوجك وبالنصب على محله ولا تاييد في القراة
بالرفع لهذا لان مبناه على ان يتعين فيها العطف على لفظ الجبال وقد عرفت انه غير متعين
او على انه مفعول معه وقيل عطف على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير واصل النظم ولقد
اتينا داود منا فضلا تاويب الجبال والطير فعدل الى هذه الصيغة للفخامة والجزالة
والدلالة على كمال قدرته تعالى وعزة سلطانه وكبرياء شانه وجعل الجبال والطير كالعقلاء
المطيعين الذين اذا دعاهم سمعوا واجابوا واذا امرهم اذعنوا واطاعوا اشعارا بان كل
حيوان وجماد مطيع له ومنقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته والنا له الحديد
وجعلناه له هينا كالشمع يصرفه بيده كيف يشا بغير احماء بنار ولا ضرب بمطرقة بل
بالانته او بشدة قوته عليه السلام ان اعمل ان هي المفسرة اي امرناه ان اعمل او المصدرية
اي بان اعمل سابغات دروعا واسعات يقال سبغ الثوب اذا غطى كل ما هو عليه وفضل
منه والمراد زيادته عن البدن حتى يستر الساعدين والساقين وهو اول من اتخذها

وكانت قبل ذلك صفائح فكانت ثقالا ولذلك امره بالتقدير بان يجمع بين الخفة والحصانة
اي لا تقصد الحصانة فتثقل ولا الخفة فتزول المنفعة وقدر في السرد السرد نسج الدرع هو
ان يحكمها ويجعل نظام حلقها ولا غير مختلف ومنه سرد الكلام نظمه في نسق واحد وقيل
التقدير امر به في الحلقة اي لا تجعلها صغيرة فتضعف ولا يقوى الدرع على الدفاع ولا
كبيرة فينال لابسها من خلالها وقيل هو في المسمار اي اجعل المسامير على قدر الحلق لا
تغلظها فتخرق ولا تدقها فتقلق وهذان القولان على الوجهين المذكورين في تفسير
الناله الحديد يدفع الاخير بان درعه لم تكن مسمرة مردود لان عدم الحاجة الى التسمير
على تقدير ان يكون الحديد لينا بالانة تعالى واما اذا كان على طبيعته ويلينه داود عليه
السلام بشدة قوته فلا بد من التسمير وبهذا التفصيل ظهر فساد ما قيل ويؤيد الرد المذكور
والناله الحديد واعملوا الضمير لداود عليه السلام واهله صالحا عملا يوافق
امر الله تعالى اني بما تعملون بصير ترغيب وترهيب ولسليمان الريح مسخرة في
من رفع غدوها شهر ورواحها شهر اي جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي
كذلك واسلنا له عين القطر النحاس المذاب اسال له معدن النحاس فكان ينبع له
نبوع الماء من الينبوع ولذلك سماه عين القطر وكان ذلك باليمن ومن الجن من يعمل
من في محل النصب عطفا على الريح ومن الجن حال متقدمة او في محل الرفع على الابتداء
ومن الجن خبره بين يديه قدامه باذن ربه بتيسيره وقد سبق وجه هذا الاستعمال
في سورة الاحزاب ومن يزغ منهم عن امرنا الذي امرناه به من طاعة سليمان عليه
السلام نذقه من عذاب السعير عذاب النار قيل كان معه ملك وبيده سوط من نار
فمن زاغ عن امره ضربه ضربة احرقته يعملون له ما يشاء من محاريب اي مساجد انما
عبر عن المسجد بالمحراب لاختصاصه به من بين سائر البيوت وتماثيل صور الملئكة
والنبيين والعباد كانت تعمل في المساجد على هياكل العبادات التي اعتادوها ليراها
الناس فيعبدوا نحو عبادتهم ولم يكن عمل التصاوير اذ ذاك حراما وجفان وصحاف
كالجواب لان الماء يجبى فيها اي يجمع جعل الفعل مجازا جمع جابية وهي الحوض الكبير
وهي من الصفات الغالبة كالدابة وقرئ بحذف اكتفاء بالكسرة كقوله يوم يدع الداع
وقدور راسيات ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها كناية في عظمها وهذه الكناية
كانت في منزلة التشبيه في قربها اعملوا آل داود شكرا حكاية لما قيل لهم وشكرا
مفعول له او حال بمعنى شاكرين او نصب على المصدر اي اشكروا شكرا وحذف فعله لدلالة
اعملوا عليه من حيث ان العمل للمنعم شكر له ويجوز ان يكون مفعولا له على طريق المشاكلة
بمعنى انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا انتم لنا شكرا وقليل من عبادي الشكور

المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه في اكثر اوقاته فلما قضينا عليه على
سليمان الموت ما دلهم الضمير للجن الا دابة الارض وهو تاثر الخشب من فعلها
فاضيفت اليه تاكل منساته المنساة العصا لانه ينسا بها اي يطرد ويؤخر وقرئ بفتح
وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا وكلاهما ليس بقياس ولكن التخفيف القياسي ومنسائه
على مفعالة كما يقال في الميضاة ميضاءة ومن سائته اي من طرف عصاه استعيرت من سأة
القوس وفيه لغتان كقحة وقحة فلما خر تبينت الجن من تبين الشيء اذا ظهر وتجلى ومن
تبينه اذا تحققه ان لو كانوا يعلمون الغيب ان مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال
كقولك تبين زيد جهله اي تبين جهل زيد وعلى الاول الظهور في المعنى المبدل من الجن
لا لهم اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين وعلى الثاني
معناه تحقق الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا بموته حال وقوعه فلم يلبثوا
بعده حولا في تسخيره او علم الجن كلهم علما بينا بعد التباس الامر على عامتهم وضعفتهم وتوهمهم
ان كبراءهم يصدقون في ادعائهم علم الغيب لقد كان لسبأ الانتظام بين القصتين
ان الاولى في مدح الشكور والثانية في ذم الكفور وبيان جزاء كفرانه وقرئ سبأ منصرفا
اي لاولاد سبا وهو سبا بن يعرب بن قحطان وبالفتح ممنوعا عن الصرف على معنى القبيلة
او المدينة وسبا بقلب الهمزة الفا في مساكنهم في مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها
مارب وقرئ مسكنهم بفتح الكاف وكسرها حملا على ما شذ من القياس كالمسجد والمطلع
آية اي علامة تدل على ان لهم الها خلقهم ورزقهم لان ما اعطاهم من انواع الشجر
والوان الثمر كان خارجا عن وسع البشر • جنتان بدل من آية او خبر مبتدأ محذوف اي
هي جنتان وقرئ بالنصب على المدح ودل ذلك في رفعه على انه في معنى المدح والمراد جماعتان
من البساتين لا بستانان اثنان عن يمين وشمال جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن
شماله كل واحد منهما لتقاربها وتضامها والتفاف اغصانها واحد او بستان كل
رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كلوا من رزق ربكم واشكروا له حكاية لما قيل لهم
اي قلنا على لسان الانبياء المبعوثين اليهم عليهم الصلوة والسلام او هم احقاء بان يقال
لهم او قال لهم لسان الحال بلدة طيبة لم تكن سبخة ولا عاهة فيها ولا هامة استيناف
للدلالة على موجب الشكر وتعليل الامر اي هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة •
ورب غفور وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور فرطات من يشكره وقرئ
بلدة وربا بالنصب على المدح او اسكنوا واعبدوا فاعرضوا عن الشكر فارسلنا عليهم
سيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة والمراد المسناة التي عقدوها سكرا وقيل العرم
اسم الوادي الذي فيه السكر او الوادي الذي جاء منه السكر وقيل المطر الشديد او الجرذ الذ

وبدلناهم بجنتيهم جنتين تسمية البدل جنتين للمشاكلة مع التهكم به ذواتي اكل خمط
الاكل بالضم والسكون هو الثمر والخمط شجر الاراك وقيل كل شجر ذي شوك وقيل كل نبت
اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله وقرئ اكل بالتنوين والاضافة الى خمط واذا نون جعل
خمط بدلا منه كانه قيل ذواتي اكل بشع او جعل اصله ذواتي اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه واما الاضافة فلان الخمط في البرير وهو ثمره واثل شجر يشبه
الطرفا اعظم منه واجود عودا وشيء من سدر قليل السدر شجر النبق وهو مما يطيب
اكله ولذلك كان يغرس في الجنان الاول ويرغب فيه ولذلك قيل بالقليل وبالغ فيه بقوله
وشيء من سدر اي بقي اثر ما منه في الجنان المبدلة يتذاكرون به ما كان ويتحسرون عليه
والاثل والسدر معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل لا اكل له وقرئ واثلا وشيئا
بالنصب عطفا على جنتين ذلك جزيناهم بما كفروا بسبب كفرانهم النعمة او بسبب كفرهم
بالرسل وتقديم المفعول على جزيناهم للاهتمام والتعظيم ولذلك اشير اليه بذلك وهل
يجازي لما استعمل الجزا في معنى العقاب قيل هل يجازي بمعنى نعاقب اي هل يجازي مثل هذا
الجزا وهو العقاب العاجل الا الكفور الا البليغ في الكفران والكفر وجعلنا
بينهم وبين القرى التي باركنا فيها بالتوسعة على اهلها وهي قرى الشام قرى ظاهرة
متواصلة يرى بعضها من بعض وراكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة وقدرنا فيها السير
قيل كان الغادي منهم يقيل في قرية والرايح يبيت في قرية الى ان يبلغ الشام لا يخاف جوعا ولا
عطشا ولا عطشا ولا يحتاج الى حمل زاد ولا ماء سيروا فيها على ارادة القول
بلسان الحال اذ لا قول ثمة ولكن لما هيئت اسبابهم ومكنوا من السير كانهم امروا بذلك
واذنوا فيه ليالي واياما امنين اي ان شيتم بالنهار فانه لا يختلف الامن فيها
باختلاف الاوقات او سيروا فيها امنين وان طالت مدة سفركم وامتدت اياما وليالي
او سيروا ليالي اعماركم واياما لا يلقون فيها الا الامن فقالوا ربنا باعد بين
اسفارنا سئموا طيب العيش وملوا العافية والترفه وبطروا النعمة فطلبوا الكد والتعب
كما طلب بنو اسرائيل الثوم والبصل مكان المن والسلوى وهو بان يجعل الله بينهم
وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل ويتزودوا الازواد ويبطروا ولو على الفقرا فجعل
الله لهم الاجابة بتخريب القرى المتوسط وقرئ ربنا باعد على لفظ الخبر ومعناه على خلاف
ذلك وهو استبعاد مسايرهم على قصدها ودنوها لفرط تنعمهم وترفههم وعدم اعتدا
بما انعم عليهم كانوا تشاجروا على ربهم وتشاكوا اليه ومثله قراة من قرا باعد وبعد على
الندا ورفع بين باسناد الفعل اليه وظلموا انفسهم حيث بطروا النعمة ولم يعتدوا
بها فجعلناهم احاديث اي عظات وعبر يتحدث بهم ويتمثل فيقال تفرقوا

ايدي سبا ومزقناهم كل ممزق وفرقناهم غاية التفريق فلحق غسان بالشام وانمار
بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان ان في ذلك لايات لكل صبار على الطاعة
والبلاء شكور للنعم في الرخا ولقد صدق عليهم ابليس ظنه بالرفع ظنه بالنصب
اي حقق عليهم ظنه صادقا وقرئ بنصب ابليس ورفع ظنه اي وجد ظنه صادقا
وقرئ بتخفيف صدق على الوجهين ومعنى الاول صدق ابليس في ظنه او صدق يظن
خيله اغواهم يقولون صدقك وبالتخفيف ورفعهما على ان ظنه بدل منه اي صدق
عليهم ظن ابليس في تخييله اغواهم انه حين وجد فاتبعوه ان جعلنا الضمير هنا
وفي عليهم لبني ادم كان كالبرهان على ان اهل سبا اتبعوا الشيطان فاغواهم ومعنى
صدق ظن ابليس في تخييله اغواهم انه حين وجد ادم عليه الصلوة والسلام ضعيف
العزم قد اصغى الى وسوسته قال ان ذريته اضعف عزما منه فظن بهم اتباعه فقال
لاضلنهم ولاغوينهم الا فريقا من المومنين قلل المومنين بالنسبة الى الكفار على
ان من للبيان اي الا فريقا هم المومنون لقوله لاحتنكن ذريته الا قليلا ولا تجد اكثرهم
شاكرين وان كان للتبعيض فهم المخلصون لقوله الا عبادك منهم المخلصين وما
كان له عليهم من سلطان من تسلط واستيلا بالوسوسة والاستغوا الا لنعلم من
يومن بالاخرة الا ليظهر علمنا بايمان من امن وشك من شك بتمييزهم على مظاهر
الرسول والمومنين وقرئ ليعلم على البنا للمفعول والمراد بالعلم متعلقه ليترتب عليه
الجزا ولذلك علل التسليط به وفي قوله ممن هو منها في شك وتغيير نظم الصلتين
بايراد الجملة الاسمية وتنكير الشك وجعله مقرا لهم ما لا يخفى اي ممن هو راسخ في شك
عظيم لا يرعوي منه اي لا يتوب وعلى الكفر يموت وربك على كل شيء حفيظ والزنتان
متاخيتان قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم حذف مفعولا زعمتم والتقدير
زعمتموهم الهة اما الاول فلطول الموصول بصلته واما الثاني فلقيام صفته مقامه وهي
من دون الله وهو حذف شايع اذا كان معلوما ولا يستقيم ان يكون هو مفعوله الثاني
لان قولك هم من دون الله لا يلتئم كلاما ولا يملكون لانهم لم يزعموا ذلك بل نقيضه
والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع ودفع ضر كما تدعون الله تعالى هل يستجيبون
لكم بشيء لا يملكون بانفسهم واختيارهم مثقال ذرة من خير او شر او نفع او ضر
استيناف لجواب عنهم بعد امرهم اشعارا بانه متعين ضروري لا يحتمل غيره ولا يمكنهم
الافصاح عنه لكونه حجة عليهم قوله في السموات ولا في الارض تعميم عرفي اي لا يملكون
شيئا في موضع ما او لان الهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام
او لان الاسباب القريبة للخير والشر اما سماوية واما ارضية والجملة المعطوفة على الاستثنا

كلها لبيان منافاتهم الالوهية بالكلية الزاما لهم وما لهم فيهما من شرك في هذين
الجنسين من شركة في خلقهما ولا ملكهما وما له منهم من ظهير عون يعينه على خلقهما
وتدبيرهما يعني انهم في العجز والبعد عن صفات الربوبية بهذه المثابة فكيف يصح ان
يعبدوا ويرجوا ويدعوا كما يعبد الله ويرجا ويدعا ولا تنفع الشفاعة عنده اي لا
تنفعهم من جهة الشفاعة ايضا كما تزعمون اذ لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له
قرئ على البناء اي الا لمن اذن له ان يشفع او لمن اذن ان يشفع له فان اللام المتعلقة
بالشفاعة قد تكون للشافع وقد تكون للمشفوع له والاليق بهذه المواضع ان تكون
من بمعنى المشفوع له واللام الثانية كالثالثة اذ لم يرد لعمرو اي لاجله والمعنى لا
تنفع الشفاعة الا كائنة لمن وقع الاذن للشفيع لاجله حتى يكون ردا لقولهم هؤلاء
شفعاؤنا عند الله اي لا تنفعكم شفاعتهم لانهم لا يؤذنون ان يشفعوا لاجلكم حتى
اذا فزع عن قلوبهم غاية لمفهوم الكلام فان توقف الشفاعة على الاذن مؤذن
بان ثمة انتظارا للاذن وفزعا للراجين للشفاعة والشفعاء من ان لا يؤذن لهم كانه
قال يتربصون فزعين حتى كشف الفزع عن قلوبهم بالاذن في الشفاعة والتفزيع كشف
الفزع وازالته وقرئ مخففا بمعنى المشدد وقرئ بالراء المهملة والغين المعجمة اي
نفي الوجل عنها اي ترك ذكر الوجل واسند الى الجار والمجرور قالوا اي قال بعضهم
لبعض ماذا قال ربكم في الشفاعة قالوا الحق اي قالوا قال القول الحق وهو
الاذن بالشفاعة لمن ارتضى من المؤمنين وقرئ الحق بالرفع اي مقوله الحق وهو
العلي الكبير ذو العلو والكبرياء وليس لملك مقرب ولا لنبي مرسل ان يتكلم ذلك
اليوم الا باذنه ولان يشفع الا لمن ارتضى من المؤمنين قل من يرزقكم من السموات
والارض تقرير لقوله لا يملكون ولذلك امره بالجواب بعد سؤالهم بقوله قل الله
يقينه عند العقل وفيه اشعار بانهم ان سكتوا وتلعثموا في الجواب مخافة الالزام فهم
مقرون بقلوبهم لعلمهم ان لا جواب الا هذا وان الجم العناد وحب الشرك افواههم
ان ينطقوا به وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين اي وان احد الفريقين
من الموحدين الذين يخصون الرازق ويخص المنفرد بالقدرة الواجب لذاته بالعبادة
ومن المشركين الذين يشركون الجماد النازل في ادنى مراتب الامكان لعلى احد الامرين
من الضلال والهدى وهو غاية الانصاف الذي كل من سمعه من الموافق والمخالف
رضيه في طيه بعد ما تقدم من التقدير البليغ تعريض بمن هو في ضلال من الفريقين
ومن هو على الهدى ابلغ من التصريح لانه في صورة الانصاف المسكت للخصم المشاغب وانما
خولف بين حرفي التعدية لان المحق كالمستعلي على جواد يركضه حيث يشا او على منار شرف

على كل احد مطلع على كل شيء والمبطل كالمحبوس في مطمورة لا يمكنه التفصي منها
ولا يرى وجه الخلاص او كالمنغمس في ظلام مرتبك لا يرى وجهة يتوجه اليها ثم
اتبعه بقوله قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون بما هو ابلغ
من الاول في ارخاء العنان والانصاف وبالغ فيه حتى بلغ ذروة الاخبات حيث
نسب الاجرام الى نفسه واصحابه والعمل اليهم وهو بناء على الفرض والتقدير فلا
يلزم اجرامهم ولا يخلو من التعريض المذكور ايضا مع التهكم قل يجمع بيننا ربنا
يوم القيامة ثم يفتح بيننا بالحق يحكم ويفصل بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين
النار وهو الفتاح الحاكم الفيصل في القضايا العليم بما ينبغي ان يقضى به
قل اروني الذين الحقتم به شركاء استفسار عن شبهتهم بعد الزام الحجة تبصيرا
اياهم بخطاياهم العظيم وزيادة في التبكيت اي اروني باي صفة الحقتم به في الاستحقاق
بالعبادة وشركتموهم به في التعظيم وكيف قايستم الجماد الذي في غاية العجز والذلة
بالقادر الذي قهر كل شيء بالقدرة كلا ردع لهم عن دينهم بعدما بصرتهم ببطلانه
عند المقايسة بل اضراب بعد الردع عن الشرك اي حصر الالهية في الله تعالى
محض التوحيد هو الله العزيز الحكيم الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة
تنبيه لهم على تفاحش غلطهم وتعامي بصائرهم كانه قال اين شركاؤكم من هذا الوصف
وهو راجع الى الله او الى الشان كما في قوله قل هو الله احد وكيف ما كان دال على انفراده
بالوصفين الملقم اياهم الحجر وما ارسلناك الا كافة للناس كافة من كف اذا منع صفة
مصدر محذوف اي ارسالة عامة محيطة بهم مانعة لهم من ان يخرج منهم احد وقال الزجاج
جامعا للناس في الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف وحق التاء ان تكون على هذا
للمبالغة كتاء الرواية والعلامة ويجوز جعله حالا من الناس متقدمة فان تقدم الحال
على صاحبه المجرور مختلف فيه ومذهب ابي علي وابن كيسان وابن برهان وابن الجواز وهو
الصحيح ولا حاجة الى ان يتاول اللام بمعنى الى فان ارسل يتعدى باللام كقوله تعالى
وارسلناك للناس رسولا بشيرا ونذيرا للمطيعين والعاصين ولكن اكثر الناس
لا يعلمون فيحملهم جهلهم على مخالفتك ويقولون من فرط تعنتهم لا من فرط جهلهم
ولذلك عطفه بالواو دون الفاء متى هذا الوعد يعنون المبشر به والمنذر منه الموعود
بقوله يجمع بيننا ان كنتم صادقين يخاطبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
ولما كان سؤالهم عن تعيين الميعاد تعنتا وانكارا لا استرشادا جاء الجواب تهديدا وقع
مطابقا لما قصدوه قل لكم ميعاد يوم الميعاد ظرف الموعد من مكان او زمان وهو
هنا الزمان والاضافة للتبيين كما يقول سحق ثوب قيل ويؤيده انه قرئ ميعاد يومٌ

ق

سنين

فابدل منه اليوم وقرئ يوما على التعظيم وقرئ لكم ميعاد اعني يوما ويجوز ان يكون
الرفع ايضا على التعظيم لا تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون اي فاذا جاءكم
لا تستطيعون عنه تاخرا ولا عليه تقدما وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القران ولا
بالذي بين يديه من الكتب المتقدمة المنزلة على الانبيا عليهم الصلوة والسلام
الدالة على البعث روي ان كفار مكة قالوا اهل الكتاب عنه صلى الله عليه وسلم فاخبروهم
انهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه القيامة اخبر
عن صورة حالهم في الاخرة فقال لهم صلى الله عليه وسلم اولئك من يستحق ان يخاطب
ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول اي ولو ترى
في الاخرة موقفهم عند المحاسبة وهم يتخاطبون ويتراجعون القول وجواب لو محذوف للدلالة
على ما لا يدخل تحت الوصف من العجب والهول والروع يقول الذين استضعفوا اي الاتباع
للذين استكبروا للرؤساء لولا انتم لولا صدكم واضلالكم ايانا عن الايمان
لكنا مؤمنين باتباع الرسول قال الذين استكبروا للذين استضعفوا بصيغة المضارع
تصويرا للحال ثم عدل عنها الى الماضي ولذلك ترك العاطف هنا انحن صددناكم
عن الهدى بعد اذ جاءكم قد يتسع في الظروف الزمانية ما لا يتسع في غيرها فيضاف
بعضها الى بعض والى الجمل فلذلك اضيف بعد الى اذ واذا الى الجملة بل كنتم مجرمين
او الى اسم الهمزة لانكار ان يكونوا هم الصادين اياهم عن الهدى بعد ان جاءهم
وتمكنوا منه واثبات انهم الذين صدوا باختيارهم واثروا الضلال على الهدى ولذلك
اضرب عن دعواهم الاضلال عليهم اي انهم هم الذين اجرموا بكسبهم وقال
عطف هذا الكلام على كلامهم الاول بالواو دون كلام المستكبرين في جوابهم لانه ابتدا
جواب حقه الاستيناف الذين استضعفوا للذين استكبروا كرر المستضعفون
عليهم وقابلوا اضرابهم بقولهم بل مكر الليل والنهار مبطلين اضرابهم بالاضراب
عنه الى ان الاضراب كان من جهة مكركم الدائم وحملكم ايانا على الشرك واتخاذ الانداد
لا من جهتنا واختيارنا واضيف المكر الى الظرف على الاتساع واجري الظرف مجرى المفعول به
اي مكركم لنا في الليل والنهار ويجوز ان يكون اضافة المكر الى الليل والنهار من باب
الاسناد المجازي واضافة المصدر الى الفاعل من باب جعل الليل والنهار ماكرين
وقرئ مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين على الاصل ومكر الليل والنهار
بالرفع والنصب من الكرور اما الرفع فعلى الابتدا او الخبر اي سبب ذلك تكركم او
مكركم سبب ذلك واما النصب فعلى المصدر اي يكرون الاغوا مكر الليل والنهار
اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا اذ بدل من الليل والنهار اي مكركم في زمان

امركم ايانا بالكفر او ظرف نصب على الظرف للمكر او تعليل اي لامركم ايانا بالكفر واسروا
اي اسر الظالمون الموقوفون الشاملون للفريقين الندامة لما راوا العذاب اي
اخفوا الكلام بالندامة فيما بينهم على سبيل المسارة والتناجي ندامة المستكبرين على الضلال
والاضلال وندامة المستضعفين على الضلال والاتباع او اظهروها على سبيل الجزع والتضو
على ان الهمزة للازالة كما في قولك اعتبته واشكيته وجعلنا الاغلال في اعناق الذين
كفروا من باب وضع الظاهر موضع المضمر اي في اعناقهم للتصريح والتنويه بذمهم
والدلالة على ان الكفر هو الذي استحقوا به الاغلال هل يجزون الا ما كانوا يعملون
اي لا يفعل بهم ما يفعل الا جزا اعمالهم وتعديته يجزي لتضمين معنى يقتضي او لنزع
الخافض وما ارسلنا في قرية من نذير تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان الرسل
كلهم منوا بما مني به رسول الله صلى الله عليه وسلم من التكذيب والمفاخرة بالاموال
والاولاد الا قال مترفوها تخصيص المتنعمين بذلك لان معظم الدواعي الى الكفر
والانكار التكبر والمفاخرة بالاموال والاسباب التي هي منشا الطغيان ولذلك ضموا
التهكم والمفاخرة على التكذيب فقالوا انا بما ارسلتم به كافرون على مقابلة الجمع
بالجمع لان قوله من نذير في سياق النفي للعموم ولان الانبيا عليهم الصلوة والسلام
كلهم متفقون في اثبات التوحيد والبعث وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا فنحن اولى
بما تدعونه ان امكن واولي النفي الاسم في قوله وما نحن بمعذبين لانهم اعتقدوا
ان اختصاصهم بالغنا واسباب التنعم والترفه انما هو لكرامتهم عند الله تعالى وقاسوا
امر الاخرة على امر الدنيا فقالوا ذلك على ان البعث ان وقع لم يكونوا معذبين لانهم
اعتقدوا ان اختصاصهم بالغنا والترفه لكرامتهم عند الله وهم اكرم على الله من ان يعذبهم
انما المعذبون من يهون عند الله تعالى من اهل الفقر والفاقة وسوء الحال في الدنيا
وفيه استهزا بالانبيا عليهم الصلوة والسلام واصحابهم من الفقرا واستهانتهم اي ان
صدق وعدكم بالبعث فانهم المعذبون لا نحن كما في الدنيا قل رد لحسبانهم ان
ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء مكرما
كان عنده او مهانا فلا التوسيع يدل على الاكرام ولا التضييق على الاهانة ولا تعلق
للسعادة والشقاوة الاخرويتان بتوسيع الرزق الدنيوي وتضييقه قيل ولو كان ذلك
لكرامة وهوان لوجب انه لم يكن بمشيئته وفيه نظر لما تقرر في موضعه ان المشيئة تجامع
الايجاب انما المنافي له القدرة على الفعل والترك ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك
لعدم وقوفهم على مواقع الحكمة واسرارها فيظنون ان الكرامة والهوان عند الله تعالى
الغنا والفقر وكثرة الاولاد وقلتهم بقوله وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى

اخبر عن الاموال والاولاد بالتي على ارادة الجماعة لان الجمع المكسر يستوي في تانيثه
العقلا وغيرهم وقرئ باللاتي لانها جماعات وقرئ بالذي اي بالشي الذي زلفى في
محل النصب على المصدر اي تقربكم قربة كقوله انبتكم من الارض نباتا الا من امن وعمل
صالحا الظاهر انه استثنا منقطع اي لكن من امن وعمل صالحا فايمانه وعمله يقربانه
وقيل استثنا متصل من مفعول تقربكم اي لا تقرب الاموال والاولاد احدا الا المومن الصالح
الذي ينفق امواله في سبيل الله تعالى ويعلم الاولاد الخير والتفقه في الدين ويربيها
على الصلاح او من اموالكم واولادكم على حذف المضاف اي اموال من امن واولاده
فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا اي تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا الى سبعمائة
واكثر من اضافة المصدر الى المفعول اولئك لهم ان يجازوا الضعف جزاء على انه تمييز
او مصدر لدلالة لهم على فعله اي يجزون جزا ويجوز كونه حالا لا تسمية بالمصدر وجزاء
الضعف برفعهما على ان الضعف بدل من جزا والفا في فاولئك للسببية وبالغ فيها باسم
الاشارة وبقوله بما عملوا في ان الموجب للكرامة والزلفى عند الله تعالى هو الايمان والعمل
الصالح لا غيرهما وهم في الغرفات امنون اي في غرف منازل الجنة وقرئ في الغرفة على
ارادة الجنس امنون من كل مخوف ومكروه والذين يسعون في اياتنا اي في ابطالها وصرف
الناس عنها معاجزين مسابقين لانبيائنا او ظانين انهم يفوتوننا اولئك في العذاب
محضرون عبر عن موضع العذاب بالعذاب مبالغة قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر له انما اعاده لان ما سبق باعتبار الاشخاص وهذا باعتبار الاوقات بالنسبة
الى شخص بدلالة له فيكون دالا على المقصود وما انفقتم من شي فهو يخلفه عوضا
اما عاجلا او اجلا لا معوض سواه وهو خير الرازقين لانه قادر على موصلة رزقه
وزيادة ما شا لمن شا بغير حساب وليس العبد كذلك وانما انه رازق حقيقة دون
العبد فلا يناسب تفضيل احدهما على الاخر لانه يقتضي الشرك في اصل الفعل حقيقة
ويوم نصب بقالوا او باذكر نحشرهم جميعا اي المستكبرين والمستضعفين •
ثم نقول للملئكة اهولاء اياكم كانوا يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا واقناطا لهم
عما يتوقعون من شفاعتهم فهو وارد على المثل السائر اياك اعني واسمعي يا جارة وتخصيص
الملئكة لانهم اشرف معبوديهم لان عيسى عليه السلام اشرف منهم ولا لانحصار صلاحية الخطاب
فيهم لان مبدا الشرك عبادتهم قالوا سبحانك تنزيها لك ان نعبد معك غيرك
انت ولينا انت الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم ارادوا باثبات
موالاة الله تعالى ونفي موالاتهم براءتهم من الرضا بعبادتهم لان تخصيص موالاتهم به تعالى
واثبات معاداتهم اياهم بينا في ذلك ثم اضربوا عن عبادتهم لهم الى اثبات عبادتهم الجن

بقولهم

بقولهم بل كانوا يعبدون الجن اي الشياطين الذين يخيلون لهم ذلك لانهم اطاعوهم
في عبادة غير الله تعالى او يتوهمون الصور الجنية ويحسبونها ملئكة اكثرهم بهم مومنون
انما قال اكثرهم لان عبادة بعضهم كان عن وهم واحتمال لا عن تصديق واعتقاد
فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا اذ الامر يومئذ لله تعالى فلا يملك
احد شيا من الضر والنفع لا لغيره ولا لنفسه وانما نفي الملك دون القدرة لما في البعض
من القدرة على الشفاعة باذن الله تعالى ونقول عطف على لا يملك مبين للمقصود من
تمهيده للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار تخصيص العقاب بالذين ظلموا التصدير
المقاولة بهم في قوله ولو ترى اذ الظالمون فختم باختصاصهم بالعقاب لان الكلام فيهم
وفي قوله التي كنتم بها تكذبون دلالة قاطعة على ان عود الضمير على المضاف اليه
لا يخل بحسن الكلام اذا لم يكن في محل الاشتباه واذا تتلى عليهم اياتنا ايات القرا[ن]
بينات واضحات الدلالة على اعجازه قالوا ما هذا يعنون رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا رجل يريد ان يصدكم الصد الصرف عن الخير عما كان يعبد اباؤكم عن
دين ابائكم وقالوا ما هذا يريدون القران الا افك كذب مفترى على الله
وقال الذين كفروا للحق لامر النبوة او للاسلام او للقران الاول او الطلاق للكذب
عليه باعتبار معناه وهذا اي اطلاق السحر عليه باعتبار لفظه وبلاغته لما جاءهم ان هذا
اي الحق الا سحر مبين ظاهر سحريته وفي الاشارة بهذا في المواضع الثلثة دال على جرا[تهم]
على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وكتابه ورسالته فلهذا قوبلت بما يدل على غضب
شديد وانكار عظيم وتعجيب من كفرهم بليغ بايقاع الموصول والصلة موقع الضمير
في قوله قال الذين كفروا وتعريضها الحق وايراد لما الدالة على مبادهتهم بالكفر وتسمية
الحق النير بالسحر المبين وما اتيناهم من كتب يدرسونها يقرؤونها وفيه دليل
على صحة الشرك او امر به وقرئ يدرسونها من التدريس وهو تكرير الدرس وللتكثير
من درس الكتاب ودرس الكتب ويدرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس
وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم اليه وينذرهم العقاب على تركه وقد بان
قبل البرهان وجه بطلانه فمن اين وقعت لهم الشبهة وهذا غاية في تجهيلهم وتسفيه
رايهم ويجوز ان يكون معناه انهم قوم جهال اميون لا كتاب لهم ولا نبي نشاوا على
طباعهم الجاسية في الجاهلية لا تثبت لهم بوجه ولا تمسك بشبهة كقوله ام اتيناهم كتابا
من قبله فهم به مستمسكون ثم هددهم بقوله وكذب الذين من قبلهم كما كذبوا
وما بلغوا معشار ما اتيناهم وما بلغ هولاء عشر ما اتينا اولئك من القدرة والقوة
وطول الاعمار وعظم الاجرام وكثرة الاموال وقيل معنى المعشار عشر العشر •

فكذبوا رسلي فكيف كان نكير فحين كذبوا رسلهم جاءهم انكاري فكيف كان حالهم
في التدمير والاستيصال حيث لم يغن عنهم استظهارهم بما هم به مستظهرون ويجوز ان
يكون المعنى وما بلغ اوليك عشر ما اتينا هولاء من البينات والهدى فكذبوا رسلي
فاستوصلوا مع ان الحجج والبينات لم تتكرر عليهم كما تكررت على هولاء فكيف كان حالهم
في انكاري فكيف يكون حال هولاء مع تكرر البينات وتكثرها فليعتبروا بحالهم وليحذروا
من مثلها فكذبوا عطف على كذب الذين عطف المفيد على المطلق بالفا السببية اي فعلوا
التكذيب واقدموا عليه حتى تعودوا به فصار سببا لتكذيب رسلي ويجوز ان يعطف
على ما بلغوا كقوله ما بلغ زيد معشار فضل عمرو فيفضل عمرو عليه قل انما اعظكم
انصح لكم بواحدة بخصلة واحدة ان فعلتم اصبتم الحق وتخلصتم وفسرها بقوله
ان تقوموا لله او خبر مبتدا محذوف اي هي ان تقوموا والمراد القيام من مجلس رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يجوز ان يكون عطف بيان لان بواحدة نكرة وان
تقوموا لله معرفة تقديره قيامكم لله والتخالف في عطف البيان لم يذهب اليه ذاهب
مثنى وفرادى متفرقين اثنين اثنين متناظرين على النصفة دون العصبية والجدال او واحدا
منفردين فان الازدحام والاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمي البصاير ويمنع الفكر
والتخاصم او تقوموا بهذا الامر من قولهم قام بالامر اذا جد فيه ومعنى لله خالصا لله
معرضا عن المرا باضمار هوا واغنى ما بصاحبكم من جنة ما نافية متعلقة بتفكروا اي
تتفكروا فتعلموا ما به من جنة ويجوز ان يكون استينافا فانبههم من الله تعالى على ان ما
عرفوا من رجاحة عقله كاف في ترجيح صدقه فانه لا يدعه ان يتصدى لادعا مثل هذا
الامر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والاخرة من غير تحقق بيقين وتعرف ببرهان مبين
فيفتضح على روس الاشهاد ويلقي نفسه في معرض الهلاك كيف وقد انضم اليه ايات باهرة
ومعجزات قاهرة ويجوز ان تكون استفهامية اي ثم تتفكروا في احواله واقواله وافعاله
هل فيه ما يتهمه ويدل على ان به جنة ان هو الا نذير لكم يرجح كون ما نافية بين
يدي عذاب شديد قدامه كقوله صلى الله عليه وسلم بعثت في نسم الساعة قل ما
سالتكم عليه من اجر فهو لكم جزاء الشرط اي اي شي سالتكم من اجر الرسالة فهو لكم
ويجوز ان تكون ما موصولة والفا لتضمنها معنى الشرط والغرض نفي الاجر راسا كما يقول
الرجل لصاحبه ان اعطيتني شيا فاسترده وهو يعلم انه لم يعطه شيا او اثبات الاجر وهو
ما اراد بقوله قل ما اسالكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وبقوله قل لا
اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى لان اتخاذ السبيل الى الله نفعهم وكذا المودة فرابة
فان فيه قربانهم الى الله تعالى وعلى الاول قيل كانه جعل النبي مسئولا لاحد الامرين

الجنون وتوقع نفع دنيوي عليه لانه لا يخلو من ان يكون لغرض ولا وايا ما كان يلزم
احدهما ثم نفى كلا منهما ولا يخفى ضعفه لان توقع النفع الدنيوي غير منحصر في سوال
الاجر وذلك ظاهر ان اجري الا على الله اي ما ابتغي عليه الا الثواب من الله تعالى
وهو على كل شي شهيد مطلع يعلم صدقي واني لا اطمع في شي ولا اتوقع اجرا الا منه
قل ان ربي يقذف بالحق القذف مستعار من معناه من الالقا اي يلقيه الى انبيائه
اي يرمي به الباطل فيدمغه ويزهقه علام الغيوب خبر ثان او صفة لربي محمول
على محل ان واسمها او خبر مبتدا محذوف او بدل من المستكن في يقذف وقرئ بالنصب
صفة لربي او على المدح اي اعني واخص وقرئ بكسر الغين كالبيوت وبفتحها كالصبور
على انه مبالغة غايب وهو البليغ في الغيبة والخفا قل جاء الحق الاسلام وما
يبدي الباطل وما يعيد اي زهق الباطل وهو الشرك بحيث لم يبق له اثر ولا يبدي
ولا يعيد مثل في الهلاك لان الحي اما يبدي فعلا او يعيده فاذا هلك لم يبق له ابدا ولا
اعادة فصار مثلا فيه ومنه قول عبيد فقر من اهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد وقيل
الباطل ابليس اي ما ينشي خلقا ولا يعيده انما المنشي والباعث هو الله تعالى وقال
الزجاج انما المنشي والباعث هو الله تعالى اي شي ينشي ابليس ويعيده فجعله للاستفهام
قل ان ضللت عن الحق فانما اضل على نفسي فان وبال ضلالي على نفسي ٥
وان اهتديت فبما يوحي الي ربي اصل الكلام ان ضللت فبما وسوسة الشيطان
وضره على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي ونفعه لها فعدل الى ما ذكر فبين
في احد القسمين الحكم وفي الاخر السبب اكتفا بما فهم مما ذكر في احدهما عن الاخر وهذ
غاية الايجاز وقلما يتنبه لمثله الا الحذاق انه سميع قريب يسمع ويرى قول كل ضال
ومهتدي وفعله لا يخفى عليه منهما شي وان اخفاه ولو ترى اذ فزعوا حذف جواب
لو للتهويل اي لرايت امرا هايلا لا يمكن وصفه ووقت الفزع وقت البعث وقيام الساعة
او وقت الموت وقيل يوم بدر ولو واذ والافعال الماضية بعدهما وهي فزعوا واخذوا
وحيل وفعل كلها للمضي والمراد بها الاستقبال للدلالة على تحقق وقوع معانيها عند الله
تعالى وكل ما يفعل الله تعالى في المستقبل فهو بمنزلة الماضي لتحقق وقوعه لا محالة فكانه
قد وقع فلا فوت فلا يفوتون الله ولا يسبقونه اي لا فوت لهم واخذوا من مكان
قريب من الموقف الى النار او من ظهر الارض الى بطنها ومن صحرا بدر الى القليب والعطف
على فزعوا اي اخذوا وفزعوا فلا فوت لهم او على لا فوت على معنى او فزعوا فلم يفوتوا
واخذوا ويويده ما قرئ واخذ معطوفا على محل لا فوت اي لا فوت هنالك وهنالك اخذ
وقالوا امنا به اي بمحمد صلى الله عليه وسلم لمرور ذكره في قوله ما بصاحبكم او للعذاب

المذكور في قوله بين يدي عذاب شديد وانى لهم التناوش ومن اين لهم التناول
من مكان بعيد يعني تناول الايمان من مكان بعيد فانه يكون في حيز التكليف وقد
تعد عنهم تمثيل لطلبهم المستحيل وهو ان ينفعهم الايمان وقت العذاب في الاخرة كما نفع
المؤمنين في الدنيا مثل حالهم بحال من يريد ان يتناول الشيء من غلوة كما يتناوله الاخر
من قيس ذراع تناولا سهلا وقرئ التناوش بهمزة الواو المضمومة كما همزت في اجوه وادور
روي عن ابي عمرو التناوش بالهمزة التناول من بعد قولك ناشت اذا ابطات وتاخرت
وقد كفروا به اي بمحمد صلى الله عليه وسلم او بالعذاب من قبل من قبل ذلك اوان
التكليف ويقذفون بالغيب يرجمون به ويتكلمون بما لم يظهر في رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قولهم ساحر وشاعر وكذاب ولم يشاهدوا منه شيئا من ذلك من مكان بعيد
اي قد اتوا هذا الغيب من جهة بعيدة عن حاله صلى الله عليه وسلم لانه ابعد شيء مما جاوا به
الشعر والسحر وابعد شيء من عادته التي هو معروف بها الزور والكذب وعلى تقدير عود
الضمير على العذاب معنى قذفهم بالغيب قياسهم امر الاخرة على امر الدنيا وهو غيب
ومقذوف به من جهة بعيدة والعطف على وقد كفروا على حكاية الحال الماضية او على قالوا
فيكون تمثيلا اخر لهم بان مثلت حالهم في طلب المستحيل وهو نفع الايمان في الاخرة بمن
يقذف شيئا الى من لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه لغاية بعده وقرئ
يقذف على البناء للمفعول على ان الشيطان يلقي اليهم ويلقنهم ذلك وحيل بينهم وبين
ما يشتهون من نفع الايمان يومئذ والنجاة من النار والفوز بالجنة او من الرد الى الدنيا
كما حكي عنهم بقوله فارجعنا نعمل صالحا كما فعل باشياعهم من قبل باشباههم من كفرة
الامم الدارجة انهم كانوا في شك مريب من اراب اذا اوقعه في الريبة والتهمة او من
اراب الرجل اذا صار ذا ريبة ودخل فيها مجاز في كلا المعنيين والفرق ان المريب بالمعنى الاول
منقول ممن يصح ان يكون مريبا من الاعيان والمعنى الثاني منقول من ان يكون الشك
الى الشك كما تقول شعر شاعر ينعت به الشك للمبالغة

سورة الملئكة مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السموات والارض مبدعهما من الفطر وهو الشق فاستعمل في الخلق
ابتداء على طريقة المجاز المرتب على الكناية والاضافة حقيقية لانه بمعنى الماضي على ما قرئ
بلفظه ولذلك وصف به المعرفة جاعل الملئكة وقرئ بالرفع على المدح رسلا
وسائط بينه وبين عباده يبلغون اليهم رسالته بالوحي والالهام والرؤيا الصالحة اولي اجنحة
اولي اسم جمع لذو كذوو وهو بدل من رسلا او نعت له مثنى وثلاث ورباع صفات
لاجنحة غير منصرفة اي صنف منهم اجنحتهم اثنان اثنان وصنف منهم اجنحتهم ثلثة ثلثة

ومنهم

وصنف اجنحتهم اربعة اربعة وتفاوتها بحسب تفاوت امورهم التي سخرت لها وما روي
انه صلى الله عليه وسلم راى جبرئيل عليه السلام ليلة المعراج وله ستمائة جناح فلعله مخصوص
فلم يذكر لانه ليس من جنس المذكور يزيد في الخلق ما يشاء استيناف للدلالة على ان
على ان الاختلاف المذكور امر تقتضيه مشيئته وحكمته وانما عمم الخلق ليتناول كل زيادة
في جميع الخلائق كحسن الصورة وحصافة العقل وذكاء القلب وشهامته وشجاعة النفس
وسماحتها الى ما لا يتناهى ان الله على كل شيء قدير استيناف للتعليل فان القدرة
الكاملة الشاملة لا بد له من مرجح لا من خارج لانه لا ينافي كمال القدرة هو المشيئة
ما يفتح الله للناس استعير الفتح للاطلاق والارسال واما الى استعارته بقوله فلا
مرسل له مكان لا فاتح له من رحمة تنكيرها للاشاعة والتعميم اي من اية رحمة كانت
معنوية او صورية سماوية او ارضية فلا ممسك لها فلا احد يقدر على امساكه
وما يمسك قيد المرسل بالرحمة وقدم لانها الاصل واطلق الممسك لتناولها وغيرها
من النقمة والغضب اشعارا بقوله سبقت رحمتي على غضبي فلا مرسل له فلا احد
يقدر على ارساله وانث ضمير الاسم الاول المتضمن للشرط على المعنى لتفسيره بالرحمة
وذكر الثاني على اللفظ لاطلاقه من بعده من بعد امساكه وهو العزيز
الغالب القادر على ما يشاء ليس لاحد ان ينازعه في الارسال والامساك الحكيم
الذي لا يفعل ما يفعل الا بحكمة واتقان علم ثم لما بين انه الموجد للملك والملكوت
المتصرف في الكل على الاطلاق امر الناس بشكر نعمته وتخصيصه به تعالى فقال
يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم الخطاب عام وكذا النعمة والاعتبار بالخصوص
في سبب النزول والمراد بذكر النعمة شكرها بالقلب واللسان والجوارح بروفيتها منه لا
من غيره واداء حقوقها بالثناء على المنعم والطاعة له واستعمالها فيما رضيه ثم انكر ان
يكون لغيره في ذلك مدخل يستحق به ان يشرك به بقوله هل من خالق غير الله وقرئ
بالحركات الثلاث اما الرفع فللحمل على محل من خالق بانه وصف او بدل فان الاستفهام
بمعنى النفي او لانه فاعل خالق واما الجر فللحمل على لفظه واما النصب فعلى الاستثناء
يرزقكم من السماء والارض صفة لخالق او تفسير لعامله ان جعلته مرفوع المحل
باضمار فعل لا بالابتداء اي هل يرزقكم من خالق واستيناف دل على ان الخالق ليس غير الله
وعلى وجوب شكر نعمته فهو احسن الوجوه وعلى الوجهين الاخرين لا محل له من الاعراب
لا اله الا هو جملة منصوبة مثل يرزقكم في الوجه الثالث ولو وصلته مثل يرزقكم في
الوجهين الاولين لفسد المعنى لان قولك هل من خالق سوى الله لا اله الا ذلك
الخالق متناقض فانى تؤفكون فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد الى اشراك غيره

وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث له
على التاسي بالرسل السابقين في الصبر على تكذيبهم اي وان يكذبوك فتاس بالرسل العظام
واصبر على تكذيبهم فوضع فقد كذبت موضعه لبيان السبب واستغني بذكر السبب عن المسبب
ايجازا وتنكير رسل للتعظيم المقتضي لزيادة التسلية والحث على الصبر اي رسل عظام ذووا
عدد كثير واولوا ايات بينات ثم نعي بها على قريش سوء تقلبهم لايات الله وتكذيبهم بها بعد
التقريع البالغ في قوله فاني توفكون والى الله ترجع الامور وعد ووعيد اي فيجازيك
واياهم على الصبر والتكذيب يا ايها الناس ان وعد الله الجزاء بالثواب والعقاب
حق لا خلف فيه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا فلا تخدعنكم الدنيا وشهواتها ولذاتها
فيذهلكم التمتع بها عن السعي للاخرة وطلب ما عند الله ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان
فانه هو البالغ في التغرير بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية فانها وان امكنت
لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة وقرئ بالضم وهو
مصدر غره كاللزوم والنهوك او جمع غار كقاعد وقعود ان الشيطان لكم عدو
تذكير لبني ادم بما فعل بابيهم ادم عليه السلام بالاغواء والتغرير وتحذير عن مواتاته
فاتخذوه عدوا بالغ العداوة في عقايدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه في مجامع احوا
انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير مبالغة في التحذير عن عداوته وتقرير لها وبيان
غرضه في دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى الدنيا الذين كفروا لهم عذاب شديد
والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير وعد لمن اجابه
ووعيد لمن خالفه وبني الامر على الايمان والعمل الصالح وتركهما ليقطع الاطماع الفارغة
ويهيج الهمم العالية ولما ذكر الفريقين قدر الوعد والوعيد بقوله افمن زين له سوء عمله
فراه حسنا اي افمن زين سوء عمله لغلبة وهمه وهواه على عقله فانتكس رايه فراي
الباطل حقا والقبيح حسنا كمن لم يزين له بل وفق للنظر الصحيح فعرفهما وراي الحق حقا
فاستحسنه واختاره وراي الباطل باطلا فاستقبحه وتركه والهمزة للانكار ودخلت
على الفاء العاطفة لانكار الجهل وفقد النظر والتمييز اي ابعد ما بين عاقبة الفريقين
من فقد التمييز واتبع للشيطان فراي القبيح الذي زين له حسنا كمن ليس كذلك وانما
حذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليهم حسرات عليه اي فلا تهلك نفسك
للحسرات وعليهم صلة تذهب كقولك هلك عليه حبا او بيان للمتحسر عليه ولا يجوز ان
يتعلق بحسرات لان صلة مصدر لا يتقدم عليه ولا يجوز ان يكون حالا على انها كلها صارت
حسرات لفرط التحسر وجمع الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على احوالهم او كثرة مساوي
افعالهم المقتضية للتاسف عليهم وقرئ فلا تذهب نفسك اي فلا تهلكها والفاآت الثلث

للسببية غير ان الاوليين دخلتا على السبب والثالثة على المسبب ان الله عليم بما يصنعون
وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم الله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا على حكاية الحال
الماضية وقد خولف به عما قبله وما بعده الى المضارع استحضارا لتلك الصورة البديعة
الدالة على القدرة الباهرة من اثارة الريح السحاب وما يقارنه من انزال المطر وغيره وهكذا تفعل
النظم في كل امر عجيب وفعل يختص بحال تستغرب او تهم المخاطب او يتميز بنوع شرف وغير ذلك
والتفت في فسقناه الى بلد ميت من الغيبة الى التكلم الذي هو ادل على الاختصاص
بالقدرة الباهرة والضمير في فاحيينا به الارض للمطر الدال عليه المطر او للسحاب
لانه سبب السبب او للسابق له بعد موتها بعد يبسها كذلك النشور اي مثل
احيا الموات نشور الاموات في صحة الانتقال المقدورية اذ لا فرق بينهما الا احتمال اختلاف الما
في المقيس عليه ولا مدخل له فيها وقيل في كيفية الاحيا ان الله تعالى يرسل ماء من تحت
العرش تنبت به اجساد الخلق من كان يريد العزة اي القوة والقدرة والمنعة فليطلبها
من عند الله تعالى فحذف الجزا استغناء عن المدلول بالدليل وهو قوله فلله العزة جميعا
اي عز الدنيا والاخرة ثم بين ان ما يطلب به العز هو التوحيد والعمل الصالح فقال
اليه يصعد الكلم الطيب الكلم الطيب هو قول لا اله الا الله وصعوده اليه مجاز عن
قبوله اياه والمستكن في يرفعه للكلم لان القاعد بنفسه هو ولا خلاف في ان العمل لا
يقبل الا بالتوحيد والايمان ويؤيده القراة المشهورة بنصب العمل وقيل لله تعالى والمرفوع
العمل وتخصيصه بهذا الشرف لما فيه من الكلفة وقيل للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه
والكلم اسم الجنس من الاجناس التي تفرق بين احدها والجنس بالتا كتمر وتمرة وقرئ
يصعد على البنا للمفعول من اصعد ونصب للمتكلم والفاعل هو المتكلم به لانه يصعده
الى الله والذين يمكرون السيئات نعت لمصدر محذوف اي المكرات السيئات
او المضاف الى المصدر اي اصناف المكرات السيئات اي يمكرون معنى يكسبون فنصب
السيئات مفعولا به والمكرات مكرات قريش في دار الندوة وقدم تفصيلها في الانفال
لهم عذاب شديد لا يوبه دونه بما يمكرون به ومكر اوليك هو يبور اوليك
اشارة الى الذين يمكرون السيئات جي به للدلالة على عظم مكرهم وانه لخبثه اوجب فساده
وعدم نفاده وتوسيط هو للحصر اي هو خاصة يبور ويفسد دون مكر الله تعالى بهم
وكون الامور مقدرة لا تتغير لا يصلح علة لفساد مكرهم لما قررناه في مواضع من انه لا تاثير
في التقدير كما زعمه الجبرية ولا دلالة على ذلك في قوله والله خلقكم من تراب بخلق ادم
عليه الصلوة والسلام منه ثم من نطفة بخلق ذريته منها ثم جعلكم ازواجا
اصنافا او ذكرانا واناثا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه في موضع الحال اي الا معلومة له

لما اثبت القدرة الكاملة والعلم الشامل اراد اثبات القضا والقدر فقال وما يعمر
من معمر من باب تسمية الشي بما يوول اليه اي وما يعمر من احد لا يري انه يرجع الضمير
في قوله ولا ينقص من عمره اليه والنقصان من عمر المعمر محال وهو التسامح في العبارة
ثقة بفهم السامع هذا بحسب الجليل من النظر واما النظر الدقيق فيحكم بصحة ان المعمر
الذي قدر له عمر طويل يجوز ان يبلغ حد ذلك العمر وان لا يبلغ فيزيد عمره على الاول وينقص
على الثاني ومع ذلك لا يلزم التغيير في التقدير وذلك لان المقدر لكل شخص انما هو
الانفاس المعدودة لا الايام المحدودة والاعوام الممدودة لا خفا في ان ما قدر من
الانفاس يزيد وينقص بالصحة والحضور والمرض والتعب فافهم هذا السر العجيب
حتي ينكشف لك اختيار حبس النفس ويتجه وجه قوله صلى الله عليه وسلم ان الصدقة والصلة
تعمران الديار وتزيدان في الاعمار الا في كتاب وهو اللوح او الصحيفة ان
ذلك على الله يسير اشارة الي الزيادة والنقص وما يستوي البحران هذا عذب فرات
سايغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب البحرين العذب والملح مثلين للمومن والكافر العذب
ما يقمع العطش ويردعه من اعذب عن الشي اذا امسك عنه والفرات الذي يكسر العطش
والسايغ الذي يسهل انحداره والملح الما الذي فيه ملوحة ولا يقال مالح والاجاج اشد
المياه ملوحة وهو الذي لشدة ملوحته يلتهب ويقال اججت النار اي الهبتها والاجيج
شدة الحر ثم وصف البحرين بما فيهما من النعم والفوايد على سبيل الاستطراد امتنانا وتفضلا
فقال ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون منه حلية تلبسونها انما غير النظم حيث
لم يقل وتلبسون حلية لتفاوت الحال حيث كان الاول سهل الماخذ دون الثاني وفي زيادة
السين نوع دلالة الي مزيد كلفة في اخراجها وفي عبارة كل دلالة على ان قوله تعالى يخرج
منهما اللولو والمرجان على ظاهره ويجوز ان يكون وصفهما من تمام المثل وهو انهما مشتركان
في فوايد كثيرة كما ان الكافر وان كان المقصود فيه من الانسان مفقودا كالمقصود الاعظم
من الما في البحر الملح ولكن قد يشارك المومن في فوايد دنيوية كالشجاعة والسخاوة وامثالهما
او ان الملح وان لم يبق فيه خاصية الما وفسد جوهره بما اختلط به وابطل فطرته كالكافر
فانه لا خير فيه ولا نفع فيكون على طريقة قوله تعالى فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من
الحجارة الاية وتري الفلك فيه في كل مواخر شواق الما بجريها لتبتغوا من فضله
من فضل بالنقلة فيها واضمر للعلم به تعالى وتعينه واللام متعلقة بمواخر ويجوز ان تتعلق
بما دل عليه الافعال المذكورة ولعلكم تشكرون لعل مستعارة من معني الترجي
للارادة ولذلك سلك به مسلك التعليل وعطف على قوله لتبتغوا كانه قال
لتبتغوا من فضله ولتشكروا على ذلك يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل

وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمي قد سبق تفسيره في سورة لقمن ذلكم
اشارة الي الموصوف بالصفات المذكورة وفيه اشعار بان فاعليته لها موجبة لثبوت الاخبار
المترادفة الله ربكم له الملك ذلكم مبتدا الله عطف بيان ولا يجوز ان يكون صفة لانه علم
والعلم لا يوصف به له الملك جملة استينافية مقررة لمعني التعظيم في ذلك او لما في الصفات
المذكورة او ثالثها اخبار مترادفة ولا ياتي المعني عن خبرية ربكم لانه يكون قد اخبر بانه المشار
اليه بتلك الصفات والافعال والله ربكم خبران وله الملك جملة مبتدا لا محل لها من الاعراب
واقعة في قران قوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير مقدمة منضمة الي
الاول لينعقد القياس منهما برهانا دالا على انها لم تصلح للالهية ولم تستحق العبادة و
القطمير القمع الذي في راس الثمرة وقيل لفافة النواة ثم قرر نفي الالوهية عنها بقوله
ان تدعوهم لا يسمعوا دعاكم لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض والتقدير
ما استجابوا لكم بتحصيل مسئولكم لعدم قدرتهم على شي ويوم القيمة يكفرون بشرككم
اي ينكرونه هذا على ان يكون الكلام في الاصنام فيجريهم بان ينطقهم الله تعالى يوم القيمة
فينكرون كونهم اهلا للعبادة او ينكرون ان تكون تلك العبادة حقا وانما ذكروا فعالهم
بالواو والنون لانه وصفهم بصفات العقلا وان كان في الملايكة والانبيا عليهم السلام فمعني
قوله ان تدعوهم لا يسمعوا دعاكم لغيبتهم عنكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم لانهم لا يملكون
ذلك ومعني انكار شركهم انهم يوم القيمة يقولون ما كانوا ايانا يعبدون بل كانوا يعبدون
الجن او ينكرون ان ذلك حقا ولا ينبيك مثل خبير التنكير للتعظيم اي ولا يخبرك بحقيقة
الامر على ما هو عليه خبير مثل خبير اي خبير عليم بكل خفية وجلية يعني ما اخبرتكم به من حال
الاوثان هو الحق لاني خبير بكل شي يا ايها الناس انتم الفقرا الي الله في انفسكم وما يعن
لكم وتعريف الفقرا للماهية بنا على المبالغة وتوسيط انتم للحصر اي انتم جنس الفقرا مطلقا
دون ساير الخلايق يعني انكم لكثرة حوايجكم وشدة افتقاركم وغاية ضعفكم بالنسبة الي ساير الخلايق
كانكم جنس الفقرا ليس غيركم فقرا وكذلك قوله والله هو الغني مطلقا وبالذات
لوجوب وجوده لا غني سواه لاحتياج الكل اليه وزيادة عليه الحميد لان الغني
قد لا يجود فلا يحمد وهو الجواد المنعم بجميع النعم وقد انعم عليهم بالوجود وكل
ما يحتاجون اليه فكان محمودا مطلقا ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد
بقوم اطوع منكم وما ذلك على الله بعزيز بعسير ولا تزر وازرة وزر اخري
ولا تحمل نفس اثمة اثم نفس اخري ولا تغتروا بقول كبرايكم القايلين ولنحمل
خطاياكم ولا يخالف هذا قوله تعالى في حق الضالين المضلين وليحملن اثقالهم واثقالا
مع اثقالهم لان الحملين كلاهما من اوزاره وان تدع مثقلة الي حملها نفس

اثقلها الاوزار الى حملها لحمل بعض اوزارها لا يحمل منه شي لا يحمل شيا من وزرها اي لا غياث لمن استغاث منهم حذف مفعول ان تدع للتعميم اي وان تدع كل من في العالم واحدا واحدا وكهذا لم يجب وهذا اضمر المدعو في ولو كان ذا قربى وقوي ذو قربى على حذف الخبر ويجوز ان يكون كان تامة الا ان الناقصة اوقع وافصح و انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب حال من الفاعل اي يخشون غائبين عن عذابه او من المفعول اي يخشون عذابه غايبا عنهم او نصب على الظرف اي في السر والغيبة من الناس واقاموا الصلوة فانهم المنتفعون بالانذار واختلاف الفعلين للدلالة على استمرار خشيتهم ومن تزكى ومن تطهر عن دنس المعاصي فانما يتزكى لنفسه اذ نفعه لها وهو اعتراض موكد لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانهما من جملة التزكي والى الله المصير ترغيب وترهيب وما يستوي الاعمى والبصير مثل اخر للكافر والمومن وللصنم والله تعالى وتاخير البصير للمحافظة على الفاصلة ولا الظلمات ولا النور مثل للباطل والحق وانما جمع الظلمات دون النور لان الحق واحد بخلاف الباطل فانه على انواع متعددة ولا الظل ولا الحرور مثل للثواب والعقاب والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل غلبه على ما يكون بالليل والسموم ما يكون بالنهار والواو عاطفة الوتر على الوتر كالتي بين الاعمى والبصير وبعضها عاطفة الشفع على ما يشفع كالتي بينهما وبين ولا الظلمات ولا النور وكرر فيما كرر لتاكيد المنافاة فالظلمات تنافي النور والظل ينافي الحرور والاعمى لا ينافي البصير انما المنافاة بين الوصفين ولذلك يكون الشخص الواحد بصيرا في وقت واعمى في وقت فلهذا لم يذكر لا بينهما وما يستوي الاحيا ولا الاموات مثل العقلا الذين دخلوا في الاسلام والجهال الذين لم يدخلوا فيه واصروا على الكفر وصيغة الجمع هنا لانه اراد نفي المساواة بين الافراد اي ليس في جنس الاموات فرد يساوي فردا من جنس الاحياء ولا صحة لهذا المعنى في الاعمى والبصير فانه قد يوجد في جنس الاعمى ما يساوي بعض افراد البصير بل يفضل عليه فلذلك اثر فيه صيغة الافراد تفضيلا للجنس على الجنس ان الله يسمع من يشا هدايته فيوفقه لهدايته والاتعاظ بعظاته وبناء الفعل على الاسم يفيد انك لا تسمع من تشا وما انت بمسمع من في القبور وما شانك في ارادة اسلام من تشا من قوم مخذولين الا شان من يريدان يسمع من في القبور وهو تمثيل لترشيح المصرين على الكفر بالاموات ومبالغة في اقناطه عنهم ثم قال ان انت الا نذير اي لست بمسمع فان الاسماع ليس اليك ولا حيلة لك في اسماع المطبوع على قلوبهم ما عليك الا الانذار انا ارسلناك بالحق حال من احد الضميرين اي محقين او محقا او صفة مصدر محذوف اي ارسالا مصحوبا بالحق وصلة لقوله بشيرا ونذيرا اي بشيرا بالوعد الحق

ونذيرا بالوعيد الحق وان من امة الامة الجماعة الكثيرة والمراد هنا اهل عصر الا خلا مضى فيها نذير من نبي او عالم قايم مقامه في الانذار وانما خصه بالذكر لان البشارة انما تكون بالسمع فهي من خصايص الانبيا فالبشير لا يكون الا نبيا او ناقلا منه او بالانذار فانه كما يكون بالسمع يكون بالعقل فكذلك وجد النافي في كل امة دون الاول ولا يشكل هذا بقوله تعالى لان المراد من النذير فيه النذير بالسمع وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم جاتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم وبالزبر وبالصحف وبالكتاب المنير ويجوز الكتاب كالتورية والزبور والانجيل ولما كانت الاشياء المذكورة في جنس الانبياء عليهم الصلوة والسلام بعضها في جميعهم وهي البينات وبعضها في بعضهم وهي الزبر والكتب سند المجي بها اليهم مطلقا على ان الكل منهم جاوا بالكل لا ان كل واحد منهم جاوا بكل واحد ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير قد سبق تفسيره في سورة سبا الم تر ان الله انزل من السما ما فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها اي اجناسها كالرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصى او اصنافها على ان كلا منها اصناف مختلفة او هياتها من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها ومن الجبال جدد طرايق مختلف الوانها اي جبال كل بعض منها على لون وطريقة مخالفة للاخرى كما في التراب او من الجبال ذو جدد اي خطط بيض وحمر مختلف الوانها اي بعض مختلف الالوان وبعض على لون واحد وقري جدد بضم الدال جمع جديدة وهي الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح وغرابيب سود عطف على بيض او على جدد اي ومن الجبال مخطط وطرايق مختلفة ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وغربيب البالغ في السواد وهو من التوابع الموكدة ومنه الغراب وعلى تفسير عكرمة ووجهه ان يضمر الموكد قبله لانه تابع ثم اوقع بيانا له حقيقة اللبس كقول النابغة والمومن العايذات الطير وتغيير الاضافة فيه لزيادة التاكيد كانه دل على المعنى الواحد بطريق الاضمار والاظهار فيكون كتكرير التاكيد بوجه ابلغ ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك كاختلاف الثمار والجبال انما يخشى الله من عباده العلماء ما يخشى الله تعالى من عباده الا العلماء بالله وبصفاته وافعاله فان الخشية على قدر العلم فمن كان اعلم بالله كان اخشى منه وفي الحديث اعلمكم بالله اشدكم خشية منه ولهذا لما ذكر افعاله الدالة على كمال قدرته وعظمته وحكمته اتبعه بقوله انما يخشى الله اي انما يخشاه مثلك ومن على صفتك ممن يعرفه حق معرفته وتاخير الفاعل للحصر فيه ولو قدم لانعكس الحصر فكان في المفعول

ومن قرا برفع الله ونصب العلما استعار الخشية للاجلال والتعظيم اي انما يجل الله من
بين الناس كما يجل المهيب المخشي الا العلما ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية
لان من قدر على العقوبة والانتقام والعفو والغفران حقيق ان يخشي ان الذين
يتلون كتاب الله يداومون على قراة القران واقاموا الصلوة واتوا الزكوة وانفقوا
مما رزقناهم يعني لا يقنعون بتلاوته عن حلاوة العمل به سرا وعلانية كيف
اتفق من غير قصد اليها او سرا في المسنونة وعلانية في المفروضة يرجون تجارة
حال من ضمير انفقوا والخبر انه غفور شكور تجارة تحصيلا للثواب بالطاعة لا
طلبه لانه لا يصلح متعلقا للرجا لن تبور لن تكسد ولن تهلك يعني بالخسران صفة
للتجارة ليوفيهم متعلق بلن تبور او بيرجون وعلة للافعال المذكورة من التلاوة
واقامة الصلوة والانفاق اي فعلوا ما فعلوا من الطاعات راجين تجارة لن تبور ليوفيهم
ويزيدهم اجورهم ما وعد من ثواب اعمالهم وانما عبر عنه بالاجر لكونه في مقابلة
العمل ويزيدهم على الموعود من فضله متعلق بجميع ما ذكر من التوفية والزيادة
ولا للزيادة خاصة اذح لا يلزم ان يكون تعالى في التوفية متفضلا بل مؤديا ما وجب
عليه كما زعمه المعتزلة انه غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم مجاز عن اعطا الجزيل
على العمل القليل والذي اوحينا اليك من الكتاب القران ومن للتبيين او للجنس
ومن للتبعيض هو الحق مصدقا حال موكدة لان الحق لا ينفك عن هذا التصديق
لما بين يديه من الكتب المتقدمة ان الله بعباده لخبير بالبواطن بصير بالظواهر
فلو لم ير فيك اهلية واستحقاقا لهذه الكرامة لم يوح اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي
هو عيار سائر الكتب وتقديم الخبير لان الاعتنا بالامور الروحانية اكثر وهي العمدة ثم
اورثنا الكتاب اي اعطيناه بلا كلفة كسب كالميراث الذين اصطفينا من
عبادنا يعني امة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم مختارون من بين سائر الامم وفي عبارة
اورثنا اشارة الى ان الكتاب المذكور يكون باقيا في هذه الامة يرثه بعضهم من بعض
الى قيام الساعة ولا تضيع كما ضاع سائر الكتب فالمعني نورثه على عادة الله تعالى
في اخباره عما يتحقق وقوعه وكما ان ورثة الدنيا ثلثة اصناف صاحب فرض وعصبة
وذوي الارحام كذلك ورثة الدين ثلثة اصناف فمنهم ظالم لنفسه وهو من عاش
عاصيا ومات عاصيا من اهل الايمان الذين قال النبي صلى الله عليه وسلم فيهم شفاعتي
لاهل الكبائر من امتي قدمه اهتماما لانه ابعد الاصناف عن عكومة الاصطفا واللام للا
لان فعل الظلم يتعدى بنفسه وفايدته الاحتراز عن الظلم لغيره لان التجاوز عنه في
عهدة ذلك الغير ومنهم مقتصد وهو من عاش عاصيا ومات مطيعا من اهل

الايمان ومنهم سابق بالخيرات ومنهم من عاش مطيعا ومات مطيعا ونقل عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سابقنا سابق و
مقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له فالاصناف المذكورة على مراتب في الوصول اي متاخر
ومتوسط وسابق حائز فضيلة السبق لكن بفضيلة ذاتية كما في سباق الدنيا بل بفضيلة من
الله تعالى والى هذا اشير بقوله باذن الله بتيسيره وقد سبق وجر هذا المجاز والباء
الاولى للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
سبقك بها عكاشة ذلك الاصطفا هو الفضل الكبير لما ذكر الاصناف المذكورة
بحسب احوالهم في دار العمل فرق بينهم ولما ذكرهم باعتبار ما لهم الى دار الجزا جمعهم فقال
جنات عدن لان الفضل هو السبب في الوصول اليها فكانه من شدة اقتضائه للمسبب
عينه وتنزيل السبب منزلة المسبب غير عزيز يدخلونها اي الفرق الثلاث يدخلونها
ويجوز ان يكون الاشارة الى السبق واختصاص السابقين بعد التقسيم بذكر ثوابهم
والسكوت عن القسمين الاخرين للانذار والحث على التوبة والتشويق الى نشاوالسا
وقرئ جنات بالنصب بفعل يفسره الظاهر وقرئ يدخلونها على بنا المفعول
يحلون فيها حال مقدرة او خبر ثان وقرئ يحلون من حليت المراة فهي حالية من
اساور من للبيان او للتبعيض يحلون بعض اساور كانه بعض فاق سائر الابعاض
كما سبق المسورون به غيرهم وعلى تقدير ان تكون الاشارة الى السبق من ذهب
من للبيان لا للتبعيض اذ حينئذ يكون الخبر خلوا عن الفائدة ولؤلؤا عطف على
ذهب اي من ذهب مرصع باللؤلؤ او ذهب في صفا اللؤلؤ وقرئ لؤلؤ عطفا على محل
من اساور ولباسهم فيها حرير التنكير للدلالة على انه نوع غير معهود من جنس
الحرير وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن همهم من خوف العاقبة او من اجل
المعاش وافاته او من وسوسة ابليس وغيرها ان ربنا لغفور للمذنبين شكور
للمطيعين الذي احلنا دار المقامة دار الاقامة من فضله من انعامه وتفضله
اذ لا واجب عليه لا يمسنا فيها نصب النصب التعب والمشقة التي تصيب المنتصب
للامر ولا يمسنا فيها لغوب اللغوب الفتور والكلال دون التعب فهو من باب الترقي
لا من باب التتميم ولذلك اعاد قوله ولا يمسنا ولم يقل ولا لغوب والذين كفروا لهم
نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا جواب النفي ونصبه باضمار ان اي لا يماتون بموت
ثان فيستريحوا يقال قضى عليه اذا اماته قال تعالى فوكزه موسى فقضى عليه فلا بد
من صرف قوله فيموتوا عن الحقيقة الى المجاز صونا له عن وصمة اللاغية فيموتوا عطف على
يقضى وداخل له في حكم النفي اي لا يقضى عليهم الموت فيموتون كقوله ولا يؤذن لهم

فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها من عذاب جهنم لقوله تعالى كلما خبت زدناهم
سعيرا فان فيه دلالة على مظنة الخفة في غيرهم بينة الشرع في حقهم كذلك اي مثل
ذلك الجزا يجزي كل كفور مبالغ في الكفر والكفران قرئ بالنون والياء والفاعل هو
الله تعالى وقرئ يجزى على بناء المفعول واسناده الى الكل وهم يصطرخون فيها
يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة واستعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث
صوته فيها في جهنم ربنا باضمار القول اي يستغيثون ويقولون ربنا اخرجنا
نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل اعتراف منهم بان ما عملوه غير صالح حسبوه صالحا
وتحسروا عليه والدلالة على ان طلب الخروج لتلافيه اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر
اي من اراد ان يتذكر توبيخ من الله تعالى على طلبتهم وتقرير على تقدير القول اي يقول
لهم اي فيقولون الرجوع ولم نعمركم مدة يمكن فيها التذكر والتدبر وما يتذكر فيه يتناول كل عمر
يتمكن فيه الانسان من العمل الموجب للنجاة وان قصر الا ان التوبيخ في المطاول اعظم وقيل
ما بين العشرين الى الستين وعنه صلى الله عليه وسلم العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن ادم ستون
سنة وجاءكم النذير عطف على معنى اولم نعمركم لعله تقرير بلفظ الاستفهام ومعناه معنى
الخبر كانه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير اي النبي المنذر او الكتاب وهذا الزام الحجة عليهم
بالعقل والسمع فان التذكر من باب العقل والسمع والانذار من باب السمع والفاء في
فذوقوا للسببية اي تذكرتم فذوقوا سببه وكذا الثانية الا ان فيها معنى التعليل
فما للظالمين من نصير يدفع العذاب عنهم ان الله عالم غيب السموات والارض لا تخفى
فيها عنكم انه عليم بذات الصدور تعليل لان ما في الصدور اخفى الغيوب فاذا علمه
علم كل غيب في العالم فيعلم انه لو ردهم الى الدنيا لم يعملوا غير الذي كانوا يعملون
كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه هو الذي جعلكم خلايف في الارض يقال
للمستخلف خليفة وخليف ويجمع الخليفة على خلايف والخليف على خلفا والخطاب عام على
ان المعنى انه جعلكم خلفا في الارض والقى اليكم مقاليد التصرف فيها واباح لكم منافعها
لتؤمنوا به وتشكروه وقيل لمن بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم خلفوا من قبلهم
وشاهدوا من اثار هلاكهم ما فيه معتبر وراوا ما فيه مزدجر فمن كفر منكم وغمط تلك النعمة
فعليه كفره اي فعليه وبال كفره لا على غيره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا
بيان له والتنكير المقت اشد الكفر والتكبير في الاحسان ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا
وهو خسار الاخرة تكرير الكافرين والتصريح في موضع الاضمار ذم وبيان لكون الكفر مقتضيا
لكل واحد من الامرين القبيحين المذمومين بالاصالة قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون
من دون الله يعني الهتهم واضافة الشركا اليهم للملابسة لانهم جعلوهم شركا الله تعالى

ارونى ماذا خلقوا من الارض بدل من ارايتم بدل الاشتمال لانه بمعنى اخبروني
عن هؤلاء الشركا وعن ما استحقوا به العبادة اي اي شيء من الخلق استبدوا بخلقه
ام لهم شرك في السموات ام لهم شركة في السموات مع الله في خلق السموات فاستحقوا
بذلك الشركة في الالوهية ذاتية ام اتيناهم كتابا ينطق بانهم شركاوه ويجوز
ان يكون الضمير في اتيناهم للمشركين كقوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا على ان السؤ
عن دليل الهيتهم اهو برهان عقلي ام نقلي فهم على بينة منه على حجة من ذلك
الكتاب بان لهم شركة جعلية وقرئ بينات فيكون ايماء الى ان الشرك امر خطير لا بد
فيه من تعاضد الدليل ام منقطعة على معنى الاضراب عن العقلى وانكار النقلي ثم
اضرب عنها صريحا بقوله بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا واثبات
ذلك لاتباعهم ما هو الا غرور صرفا وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله فوله بعضهم
بدل من الظالمون وهم الروسا والمراد من البعض الاخر الاتباع ويجوز ان يكون
وعد الشيطان للكافر كما قال يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا امنا هم
ان تشفع لهم اصنامهم وتقربهم الى الله زلفى ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا يمنعهما ان تزولا لان الامساك منع او لان لا تزولا كقوله ان تميد بكم اي
لان لا تميد بكم ولئن زالتا على سبيل الفرض ان امسكهما ما امسكهما من احد
من بعده من بعد الله او من بعد الزوال واللام موطية للقسم ساد مسد جواب الشرط
ومن الاولى مزيدة لتاكيد النفي والثانية للابتدا انه كان حليما لا يعاجل بالعقوبة
حيث يمسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا لعظم كلمة الشرك كما قال تعالى تكاد
السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا غفورا لمن تاب عن
الشرك وحسن مؤمنا واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من
احدى الامم اي واحدة من الامم من اليهود والنصارى والصابئين وغيرهم او من
الامة التي يقال فيها هي احدى الامم اي اوحديها تفضيلا لها على غيرها في الهدى
والاستقامة كما تقول فلان احد الرجال بلغ قريشا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم
فوالله لو اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم كذبوه فلما جاءهم نذير التنكير للتعظيم ما زادهم اي النذير او مجيئه
والاسناد مجازي لانه هو السبب في ان ازدادوا نفورا الا نفورا عن الحق وتباعدا
عنه استكبارا في الارض بدل من نفورا او مفعول له او حال اي مستكبرين به
ومكر السيء عطف على نفورا على ان الاصل وان مكروا السيء فحذف الموصوف استغناء

بوصفه ثم بدل ان والفعل بالمصدر وسكر السيئ ثم اضيف ولا يحيق ولا يحيط المكر
السيئ الا باهله وهو الماكر وقرئ ولا يحيق المكر اي لا يحيق الله تعالى فهل ينظرون
ينتظرون الا سنة الاولين الا انتظار سنتهم ومجيء انزال العذاب على من كذب من الامم
قبلهم مجاز عن استقبالهم لذلك وقوعه في المستقبل لا محال كالمشي المنتظر المترقب
فلن تجد لسنة الله تبديلا بان لا يعذبهم ولن تجد لسنة الله تحويلا بان ينقله الى غيرهم
وقوله اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاد عليه
بما كانوا يشهدونه في متاجرهم ومسايرهم الى الشام والعراق واليمن من اثار الماضين
وعلامات هلاكهم وديارهم وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه ليسبقه
ويفوته اي ليس من شانه تعالى ذلك من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليما
بالاشياء كلها قديرا عليها ثم بين ان تاخير العذاب عنهم ليس للعجز ابل للحكمة تقتضيه
فقال ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا من المعاصي ما ترك على ظهرها على
ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها اي الانس وحدهم وقيل ما ترك الانس
وغيرهم من سائر الدواب بشؤم ذنوبهم على ما ورد في الاثار ويرجح الاول قوله ولكن
يؤخرهم اي يؤخر كل واحد منهم الى اجل مسمى معلوم عنده قيل هو يوم القيمة
وفيه ان الكل لم يؤخر اليه فاذا جاء اجلهم وقت عذابهم حذف الجزا واقيم ما هو كالدليل
عليه مقامه وهو قوله فان الله كان بعباده بصيرا وذلك ان العمل بموجب العلم
كاللازم لشان الحكيم **سورة يس ثمان وثلاثون اية مكية**

ثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

يس كالم في الاعراب وقرئ بالكسر كجير وبالفتح كاين الجد في الهرب من التقا الساكنين
لا للبنا على اضمار حرف القسم ومنع الصرف او بالنصب على اتل يس وبالضم كحيث وبالرفع
على هذه يس وبتفخيم الالف وامالتها وبادغام النون في الواو والقران وهي واو
القسم او العطف ان جعل مقسما به الحكيم ذي الحكمة ومعنى يس يا انسان بلغة
طي عند الهيثم بن عدي وبالسريانية عند ابن عباس رضي الله عنهما وعند سعيد بن جبير
رضي الله عنه هو اسم من اسماء محمد صلى الله عليه وسلم دليله انك لمن المرسلين
جواب القسم وهو رد على الكفار في قولهم لست مرسلا على صراط مستقيم خبر بعد
خبر او صلة المرسلين او حال من المستكن في الجار والمجرور وفايدة التصريح بالمدح والجمع
بين وصفه ووصف شريعته وتعظيمه وتعظيمها المستفاد من التنكير تنزيل العزيز
الرحيم قرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وبالنصب على المدح او على انه مصدر اي نزل

تنزيل وبالجر على البدل من القران لتنذر قوما متعلق بتنزيل او معنى الارسال في المرسلين
ان جعلت ما في ما انذر اباؤهم نافية فالجملة في محل النصب صفة لقوما اي قوما غير
منذر اباؤهم قيل كقوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك وفيه نظر لا يلزم من عدم
اتيانهم النذير ان لا يكونوا منذرين فان اسار لاهل الكتاب وهم يعلمون ذلك يكفي في الانذار
وان جعلتها موصولة او موصوفة فهي مع صلتها او صفتها مفعول ثان لتنذر اي لتنذر
قوما الذي انذره او شيئا انذره اباؤهم من العذاب كقوله تعالى انا انذرناكم عذابا
قريبا وان جعلتها مصدرية فهي في محل النصب على المصدر اي لتنذر قوما انذارا اباؤهم
والمعنى انذارا مثل انذار ابائهم وعلى الاول متعلق بالفعل المنفي اي لم ينذروا فهم
غافلون على ان الانذار عدمه هو سبب غفلتهم وعلى الثاني تعليل للارسال والا
اي انك لمن المرسلين لتنذرهم فهم غافلون والمراد بابائهم الاقربون الذين في زمن
الفترة والجاهلية ان حمل ما انذر على النفي والاقدمون من ولد اسمعيل عليه السلام
الذين كانت فيهم النذارة ان حمل على الاثبات لقد حق القول على اكثرهم اي ثبت
ووجب عليهم لما علم من اعتنائهم انهم يموتون على الكفر باختيارهم اياه واختيارهم عليه
فشا منهم ذلك واخبر عنهم به واما قوله تعالى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين
فلا يعين الاشخاص ولا يقتضي ان يكون ذلك اكثر المذكورين انا جعلنا في اعناقهم
اغلالا مثل تصميمهم على الكفر وعدم مبالاتهم بالانذار وتدبرهم بالايات تمثيلين
تقرير التصميمهم على الكفر وعدم ارعوائهم عنه جعلهم كالمغلولين مقمحين في انهم
لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطؤن رؤسهم له وجعلهم كالمحصورين
المحبوسين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم وما خلفهم ولا يتبصرون العبر ولايات
في ايات الله تعالى فيعتبروا او ينزجروا فهي الى الاذقان الضمير للاغلال اي هي
عريضة تبلغ بحرفها الاذقان والذقن مجتمع اللحيين فيضطر المغلول الى رفع وجهه
الى السما وذلك هو الاقماح فهم مقمحون رافعون رؤسهم غاضون ابصارهم
يقال اقمحه الغل اذا ترك راسه مرفوعا من ضيقه وقال الفرا المقمح الذي يغض بصره
بعد رفع راسه وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا قرئ بالفتح والضم
وقيل بالفتح المصدر وبالضم الاسم وقيل ما كان من اعمال الناس فبالفتح وما كان
من خلق الله فبالضم فاغشيناهم فاغشينا ابصارهم اي غطيناها وجعلنا عليها
غشاوة عن ان تطمح الى شيء والمعنى فاعميناهم وقرئ بالعين المهملة من العشا
فهم لا يبصرون فلا ينتفعون بالانذار وهو مضمون قوله وسواء عليهم انذرتهم
ام لم تنذرهم قد سبق تفسيره في سورة البقرة لا يؤمنون استيناف لبيان عدم

نفع الانذار في حقهم لما بين ان الانذار لا ينجع فيهم وان ثمرة المقصود من الانذار وهو
ايمان المؤمن لا يترتب عليه وان الانذار وعدمه بالنسبة اليهم سوا اخبر ان انذارهم
كلا انذار انما تنذر الانذار المنجع المستتبع لفايدته من اتبع الذكر
اي امن بما جاء من عند الله تعالى فالذكر القران وخشي الرحمن بالغيب الخشية
كناية عن الايتمار بالاوامر والانزجار عن المناهي وتعضده قوله فبشره بمغفرة
واجر كريم وذلك ان الغفران جزا الايمان والاجر الكريم جزاء العمل كما قال تعالى
فالذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم وفي عبارة الرحمن
اشارة الى ان ما في الخشية من الخوف ينبغي ان لا يخلو عن الرجا وذلك لان مقابل
كل منهما مذموم وانما قال بالغيب ان عند العيان لا يبقى للخشية شان انا نحن نحيي
الموتي نبعثهم بعد مماتهم او نخرجهم من الضلالة بالهداية ونكتب ما قدموا اي
ما اسلفوا من الاعمال الصالحة والطالحة عبر عن احاطة علمه باعمالهم بالكتابة
التي تضبط بها الاشياء وكني بذلك عن المجازاة فانتظم مع قوله تعالى ينبا
الانسان يومئذ بما قدم واخر اي قدم من اعماله واخر من اثاره واثارهم وكل شي
منصوب بفعل مضمر يفسره احصيناه وقري بالرفع على الابتدا في امام مبين
يعني اللوح المحفوظ لانه اصل الكتب ومقتداها واضرب لهم مثلا اي مثل لهم
من قولهم عندي من هذا الضرب كذا اي من هذا المثال وهو يتعدى الى مفعولين
لتضمنه معنى اجعل ونما مثلا اصحاب القرية على حذف مضاف تقديره اجعل لهم
مثل اصحاب القرية مثلا ويجوز ان يقتصر على مفعول واحد لجعل ويجعل المقدر بدلا
من الملفوظ او بيانا له اي اضرب لهم مثلا مثل اصحاب القرية والقرية انطاكية عبر
عنها بالقرية هنا وفيما ياتي بالمدينة رعاية في كل من المقامين ما يناسبه وذلك ان ما
في اصل القرية من معنى الجمع يناسب الاصحاب وما في اصل المدينة من معنى الاطاعة
يناسب غرض ذلك الرجل من كلامه وهو الحث على اتباع المرسلين وانتصاب اذ بانه
بدل من اصحاب القرية جاها عدل عن الظاهر وهو ارجاع الضمير الى الاصحاب
لان المذكور اوفر فايدة حيث دل على انهم بلغوا الرسالة اليهم في مقر عزهم ومركز شوكتهم
المرسلون رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره ابن عباس رضي الله عنهما وكعب وهو
الظاهر من قوله تعالى اذ ارسلنا اليهم اثنين ومن قولهم ما انتم الا بشر
مثلنا وقيل رسل عيسى عليه السلام واسناد الارسال اليه تعالى لانه فعل رسوله
وخليفته وفيه تعظيم عيسى عليه السلام بعثهم دعاة الى الخلق وكانوا عبدة اوثان
واذ بدل من اذ الاولى والاثنان يوحنا ويونس وقيل غيرهما فكذبوهما فعززنا

فقوينا بثالث هو شمعون وقري مخففا من عزه اذا غلبه وانما حذف المفعول
لان المراد ذكر المعزز به وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل وحق الكلام
المنصب الى غرض تجريد سياقه له كان ما سواه مرفوض فقالوا انا اليكم مرسلون
التاكيد بان تسبق الانكار منهم بمضمون الخبر بتكذيبهم المرسلين والمعتبر علم المخبر بانكار
المخاطب لا صدوره منه وهو حاصل للثالث ايضا فلا صحة لما قيل انه ابتدا اخبار والثاني جواب
عن انكار قالوا ما انتم الا بشر مثلنا اي لا مزية لكم علينا يقتضي اختصاصكم بما تدعون
ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي اعمال ما بالا وما انزل الرحمن من شي اي وحيا
من السما ان انتم الا تكذبون فيما تدعون وانما اوثر صيغة الفعل مع ان صيغة
الفاعل ابلغ اعتبارا للمعنى التجدد فكانه قيل تجدد دون الكذب وقتا بعد وقت وتسمرون
على ذلك قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون لما نفوا الرسالة وبالغوا في ذلك قابلوا
في الجواب بمزيد التاكيد بقولهم ربنا يعلم لانه استشهاد بعلم الله تعالى جار مجرى القسم
في التوكيد كما تقول شهد الله وعلم الله وبزيادة اللام وبتقوية التاكيد وبجنس الاستشهاد
بقولهم وما علينا الا البلاغ المبين اي التبليغ الظاهر المكشوف بالايات الشاهدة
لصحته فان الاستشهاد على الدعوى انما يحسن ببينة ظاهرة قالوا انا تطيرنا تشاءمنا
بكم يعني سمعنا منكم ما هو من جهة الفال نذير بحيفنا في انفسنا او في اهلينا او في اموالنا
او غير ذلك من اسبابنا وامورنا فكفوا عن هذا الكلام ولا تعاودونا به لئن لم تنتهوا
عما نهيتم عنه لنرجمنكم لنرمينكم بالحجارة وليمسنكم منا عذاب اليم المس انما
تتنازمنها البشرة قالوا طايركم اي سبب شومكم معكم وهو سوء اعتقادكم وفساد
اعمالكم اان ذكرتم بهمزة الاستفهام وحرف الشرط وقري اان بالف بينهما وجواب
الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان وعظتم تطيرتم وتوعدتم بالرجم والتعذيب
وقري ان ذكرتم بهمزة الاستفهام وان الناصبة اي ان تطيرتم لان ذكرتم وقري ان
وان بغير استفهام بمعنى الاخبار اي ان ذكرتم وتطيرتم لان ذكرتم واين ذكرتم بمعنى
شومكم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ لانه اذا اشيم المكان بذكرهم كان بحلولهم فيه
اشام بل انتم قوم مسرفون قوم عادتكم الاسراف في العصيان فمن ثم جاكم الشوم
او انتم مسرفون في غيكم وضلالكم حيث تشاءمتم بمن يجب التبرك به من رسل الله تعالى
وجاء من اقصى المدينة رجل هو حبيب بن اسرايل النجار وكان ينحت الاصنام يسعى
يقصد وجه الله تعالى بالذات عن رسله وهو من قوله وسعى لها سعيها والسعي في الاصل
المشي بسرعة وخفة حركة ثم استعير للجد في اصلاح امر او افساده قال استيناف
على تقدير سوال سايل عما قال عند ذلك يا قوم اتبعوا المرسلين باح باسلامه ليشتغل

العقوم عن الرسل وقوله يا قوم دلالة واظهار منه انه لا مباينة بيننا ولا تهمة في ارادة
السوء بكم اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون كلمة جامعة في الترغيب اي لا
تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا والاخرة ورشحها
وقواها بابراز مناصحتهم في صورة المناصحة لنفسه ليكون ادخل في محاض النصح حيث
اراد لهم ما اراد لنفسه وليتلطف بهم ويداريهم حتي لا يتمعضوا فيقبلوا فوضع قوله
ومالي لا اعبد الذي فطرني مكان قوله وما لكم لا تعبدون الذي فطركم واوما الي
المراد بقوله واليه ترجعون مبالغة في التهديد والالتفات واليه ارجع ثم عاد الي المساق
الاول فقال ءاتخذ من دونه الهة اي اصناما مما دل علي انهم كانوا عبدة اصنام ان
يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا نفي الشفاعة راسا كقوله لا تري الضب
بها ينجحر ولا ينقذون لا يقدرون علي انقاذي من ذلك الضر اي لا نفع من جهتهم
بالشفاعة ولا دفع بالقدرة اني اذا لفي ضلال مبين تفريع علي ترك عبادة خالقه
الي عبادة من لا يضر ولا ينفع وقد برهن في اثناء كلامه علي ضلالهم حيث ذكر ان الله تعالي
هو المبدي الفاطر حيث ذكر ان الله واليه الرجوع ومنه الرحمة العامة الشاملة وله القدرة
الكاملة وهو الذي اذا اراد باحد شيئا من الضر او النفع فعل فان ترك عبادته الي
عبادة من لا يضر ولا ينفع ولا تغني شفاعته شيئا ولا يقدر علي انقاذ من ابتلاه الله
بالنصرة والمظاهرة او اشركه به في عبادته فاني اذا لفي ضلال مبين لا يخفي علي عاقل
اني امنت بربكم فاسمعون اي فاتبعوني السماع هنا مجاز عن الاتباع اذ لا وجه
للترتيب بين سماع القول منه وايمانه قيل رجموه وهو يقول اللهم اهد قومي وقبره
في سوق انطاكية وباشتغالهم بقتله تخلص الرسل قيل ادخل الجنة استيناف
لان قصته مظنة السؤال عن حاله كان سائلا سال فقال كيف كان لقاء ربه بعد
ذلك التصلب في نصرة دينه والتسخي بروحه فقيل قيل ادخل الجنة ولما كان السؤال
عن المقول سيق الجواب لبيانه وجرد عما لا حاجة اليه وهو بيان المقول له مع كونه
معلوما وكذلك قوله قال يا ليت قومي يعلمون استيناف علي تقدير سؤال
سائل عما قال عند ذلك الفعل العظيم بما غفر لي ربي ما مصدرية اي بغفران
ربي لي او موصولة اي بالذي غفره لي من ذنبي ويحتمل ان تكون استفهامية اي
باي شيء غفر لي ربي علي الاصل مع ان الاكثر حذف الالف تقول قد علمت بما صنعت هذا
اي باي شيء صنعت والاكثر بم صنعت تمني ان يعلم قومه انه غفر له بايمانه فيرغبوا في
الايمان وهذه مرتبة اولياء الله تعالي يريدون الخير لمن اراد بهم الشر ويتمنون ان لا
يكون لله تعالي عاصيا وجعلني من المكرمين باعطاء المنزلة الرفيعة في الجنة

دل علي ذلك علي ان الجنة مخلوقة وعلي ان القبر روضة من رياضها او حفرة من حفر النيران
وما انزلنا علي قومه من بعده من بعد قتله من جند من السماء استحقارا
لاهلاكهم وايماء الي تعظيم رسول الله صلي الله عليه وسلم اي كفيناه امر اهلاكهم بصيحة
واحدة من ملك وما انزلنا عليهم جندا من الجنود السماوية كما فعلنا يوم بدر والخندق
وما كنا منزلين وما صح في حكمتنا ان ننزل لان انزال الجنود السماء من عظائم الامور
التي لا يؤهل لها الا مثلك وقد اهلك الله تعالي كل امة بسبب تقتضيه حكمته ولم ينزل
جنود السماء لانتصار احد من الانبياء عليهم الصلوة والسلام الا لانتصار محمد صلي الله عليه
وسلم وذلك لكرامته عند الله تعالي وتفضيله علي سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام
والا لكان يكفي في نصرته ملك واحد ان كانت الا صيحة واحدة كان القياس
التذكير لان القياس ما وقع شيء الا صيحة واحدة ولكن طوبقت بها الصيحة لانها في حكم
فاعل الفعل وعليها قراءة الحسن فاصبحوا لا تري الا مساكنهم بتانيث الفعل المبني للمفعول
ورفع مساكنهم وقرئ الا صيحة بالرفع علي كان التامة اي ما وقعت الا صيحة واحدة
فاذا هم خامدون بناء علي تشبيه الحرارة الغريزية بحرارة النار وانطفائها بخمود
النار علي الاستعارة بالكناية اي خمدوا كما تخمد النار وذلك ان الروح عند الفزع الشديد
تتحرك مع الدم الي الباطن دفعة فيختنق من شدة الانحصار والاجتماع فينطفي يا حسرة
علي العباد الحسرة هي بلوغ النهاية في التلهف حتي يبقي القلب حسيرا لا موضع فيه
لزيادة التلهف كالبصير الحسير الذي لا قوة فيه للنظر والبعير الحسير الذي لا قوة
له علي السير وهذا نداء للحسرة عليهم كانما قيل يا حسرة فهذه من الاحوال التي حقك ان
تحضري فيها وهي ما دل عليه ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن ويجوز
ان يكون المعني انهم متحسر عليهم من الله تعالي علي سبيل الاستعارة والمراد تعظيم ما جنوه
علي انفسهم وفرط انكاره له وتعجيبه له منه ويعضده قراءة من قرا يا حسرتا لان المعني
يا حسرتي وقرئ يا حسرة العباد بالاضافة الي الفاعل او المفعول لاختصاصها بهم من
حيث انها موجهة اليهم ويا حسرة علي العباد علي اجراء الوصل مجري الوقف والمعني انهم
احقاء بان يتحسر عليهم المتحسرون او هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من
الثقلين الم يروا معلق عن العمل في كم اهلكنا قبلهم من القرون لان كم
لا تعمل فيها قبلها وان كانت خبرية لانها وضعت لانشاء التكثير او لان اصلها الاستفهام
وانما جاز تعليق فعل الرؤية لانه بمعني الم يعلموا ومعناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك
الم تر ان زيدا منطلق وان لم يعمل في لفظه ولهذا ابدل انهم اليهم لا يرجعون
من كم اهلكنا علي المعني لا علي اللفظ تقديره الم يروا كثرة ما اهلكنا القرون من قبلهم

كونهم غير راجعين اليهم وقيل انه بدل من موضع كم اهلكنا وليس بدلا من كم وحده لان
لان العامل فيه هو اهلكنا ولا يصلح عاملا في البدل وقري بالكسر على الاستيناف وقري
الم يروا من اهلكنا والبدل على هذه القراة بدل الاشتمال ٥ وان كل لما جميع ان مخففة
من الثقيلة واللام هي الفارقة وما مزيدة للتاكيد وقري لما بالتشديد على ان ان نافية
ولما بمعنى الا وكل المعنى الاحاطة وان لا ينفلت منهم احد والجميع بمعنى الاجتماع وان
يجمعهم المحشر والتنوين في كل عوض من المضاف اليه اي انهم كلهم محشورون مجموعون
لدينا محضرون للحساب يوم القيمة وقيل محضرون في النار معذبون وآية لهم الارض
الميتة الارض الميتة مبتدا خبره آية لهم و احييناها استيناف لبيان كون الارض
الميتة آية لهم ولا يجوز ان يكون صفة للارض لان المراد الجنس المطلق لا ارض بعينها فجاز
وصفها بالنكرة وان يكون آية مبتدا ولهم صفتها او الارض خبرها وان يكون احييناها خبرا
للارض والجملة خبر آية او صفة لهم واخرجنا منها حبا المراد بالحب الجنس وتقديم
الظرف في قوله فمنه ياكلون للدلالة على ان الحب معظم ما يوكل ويعاش به ويقوم
البدن بالاوتراق الا ترى انه اذا فقد حضر الهلاك بالقحط وعم البلاء وجعلنا
فيها جنات بساتين من نخيل واعناب من انواع النخل والعنب ولذلك جمعهما دون
الحب فان كون قوام البدن باعتبار جنسه لا باعتبار تنوعه واما ما قيل ان ذلك لان
الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع خلاف ما في المشهور
وعليه الجمهور فانهم قالوا في العالمين اشعار بالاختلاف دون العالم وذكر النخيل دون
التمور مع مطابقتها الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع واثار الصنع ٥
وفجرنا فيها وقري بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى في ان التشديد
للمبالغة والتكثير من العيون من زائدة عند الاخفش وعند غيره المفعول محذوف
اي شيئا من العيون لياكلوا من ثمره الضمير للتفجير اي لينتفعوا بفوائده يقال ثمرة
التجارة الربح وتخصيص الاكل بالذكر لانه معظم الفوائد وقري بضمتين وهو لغة فيه
او جمع ثمار وما عملته ايديهم عطف على الثمر او على موضع من ثمره والمراد ما يتخذ منه
كالعصير والدبس والخل وكل ما يتخذ من التمر والعنب وقيل ما نافية والمراد ان الثمر بخلق الله
تعالى لا بفعلهم ويويد الاول قراة وما عملت غير راجع لان حذف الراجع من الصلة احسن
من غيرها افلا يشكرون استبطا وحث على شكر نعمه سبحان الذي خلق الازواج
الاجناس والاصناف كلها مما تنبت الارض من النخل والشجر والزرع والثمر ومن انفسهم
الاولاد ذكورا واناثا ومما لا يعلمون ومن ازواج لم يطلعهم الله تعالى عليها ولم يجعل
لهم طريقا الى معرفته وآية لهم الليل فيه الوجهان المذكوران فيما تقدم من نظيره وفي

نسلخ منه النهار الوجوه المذكورة في احييناها من الاستيناف والصفة والخبرية والسلخ
الكشط يقال سلخ جلد الشاة اذا كشطه واستعير لازالة الضوء وكشطه عن مكان الليل
وملقى ظله فاذا هم مظلمون داخلون في الظلام والشمس تجري لمستقر لها
لحد معين من فلكها ينتهي اليه دورها في اخر كل سنة وقيل الوقت الذي تستقر فيه وينقطع
جريها وهو يوم القيمة وقري الى مستقر لها وقري لا مستقر لها اي لا استقرار لها ان يكون
جريها على وفق يوم القيمة على ان لا بمعنى ليس ذلك تقدير العزيز العليم ذلك الجري على
هذا التقدير العجيب ما هو الا تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور والمحيط علما بكل معلوم
والقمر قدرناه قدرنا مسيره منازل على حذف المضاف وهي ثمانية وعشرون منزلة
ينزل كل ليلة في واحدة منها لا يتخطاها ولا يتقاصر عنها على السوا الى الثامنة والعشرين
فيدق مستقوسا كالعرجون القديم ثم يستتر ليلة اذا نقص الشهر او ليلتين اذا تم وهذا
ما ذكره بقوله حتى عاد كالعرجون القديم العرجون العود العذق ما بين شماريخه
الى منبته من النخلة وقال الزجاج هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف وقري العرجون
بوزن فرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون والقديم المحول واذا قدم العرجون
دق وانحنى واصفر فشبه به من ثلثة اوجه لا الشمس ينبغي لها اي لا يصح ولا يستقيم لها
ان تدرك القمر وتجتمع معه وتداخله في سلطانه فتطمس نوره لان التدبير الالهي
اقتضى المعاقبة وايلاء الشمس حرف النفي للدلالة على انها مسخرة لم يتيسر لها الا ما قدر
لها من السير والطريق وانما وصفها بالادراك ووصف القمر بالسبق لسرعة سيره بالنسبة
اليها فانه يقطع بحركته في شهر ما تقطع الشمس سنة من المسافة فيناسبه السبق ومنه هنا
ظهر شبه السبق الى الليل دون النهار ولا الليل سابق النهار اي لا الليل يسبقه
فيزيل ضوءه كذلك وقيل المراد بهما اياتهما وهما الشمس والقمر فيكون عكس الاول وذلك
اصلاح النبات والحيوان وجميع الشوون الالهية مبني على تعاقبهما وان يكون لكل منهما
سلطان على حياله وقري سابق النهار بالتنوين ونصب النهار على الاصل وكل التنوين
عوض من المضاف اليه اي كل واحد منهما في فلك يسبحون اي في فلك غير فلك الاخر
والجمهور على ان الفلك موج مكفوف تحت السماء يجري فيه الشمس والقمر والنجوم وعلى
ان المراد من الفلك الجنس يسبحون يسيرون فيه بانبساط فان كل ما انبسط في شي فقد
سبح فيه ومنه السباحة في الماء وانما جمع جمع العقلاء للوصف بفعلهم وآية لهم انا حملنا
لم يقل وآية لهم الفلك كما قال وآية لهم الليل لان التعجب حملهم على الفلك لا نفس الفلك فانه
بيت مبني من الخشب ذريتهم اولادهم ومن يهمهم حمله وقيل اسم الذرية يقع على النسا
لانهن مزارعها وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل الذراري وتخصيص الذريات

لانه لا قوة لهم على السفر فكان الامتنان في حقهم اظهر في الفلك قيل المراد فلك نوح عليه
الصلوة والسلام قال الله تعالى فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون فعلى هذا يراد بالذ
الاسلاف لانه من الذرء وهو الخلق فيصلح لاسم الاصل والنسل لان بعضهم خلق من بعض
ويجوز ان يكون المعنى انه تعالى حمل اباءهم الاقدمين وفي اصلابهم ذرياتهم وتخصيص
الذرية لان الخطاب للكفار ولا فايدة في وجودهم فلم يكن الحمل حملا لهم بل كان حملا لما في
اصلابهم من المؤمنين ولم يقل على الفلك لانه الانسب للحمل لان معنى الحفظ المستفاد من
حرف الظرف ادخل في الامتنان وانسب لما قصد من توصيف الفلك بقوله المشحون
لما كانت السفينة مملوءة بانواع المخاوف من سباع البهايم وجوارح الطير وهوام الدواب
كان حفظ بني ادم فيما بينهم من اثار اللطف العظيم والقدرة الباهرة ولولا ذلك
الاعتبار اللطيف لكان التوصيف بالمشحون بمعزل عن مقام الغرابة المستفادة من عبا
الاية لان القرار على الفلك المشحون الثقيل اهون من القرار على الفلك الخالي الخفيف
وذلك لم يوصف الفلك به في قوله وعلى الفلك تحملون وخلقنا لهم من مثله مثل
جنس الفلك ما يركبون من الابل فانها سفاين او من مثل فلك نوح عليه الصلوة
والسلام من السفن والزوارق وان نشا نغرقهم فلا صريخ لهم الصريخ والصارخ
بمعنى المستغيث ويجي بمعنى الاغاثة لان اصله مصدر بمعنى الصراخ وقد سبق تفسيره
في السورة السابقة ولا هم ينقذون اي لا يخلصون بعد ذلك الا رحمة منا
ومتاعا الى حين الا لرحمة منا وتمتيع بالحيوة الى زمان قدر لاجالهم واذا قيل لهم
اتقوا ما بين ايديكم من الوقايع النازلة بالامم المكذبة قبلكم وما خلفكم من السما
واهوالها او نوازل السماء ونوايب الارض او ما تقدم من ذنوبكم وما تاخر او فتنة الدنيا
وعذاب الاخرة لعلكم ترحمون لتكونوا راجين رحمة الله تعالى وما تاتيهم من
اية من ايات ربهم من الاولى للتاكيد وجواب اذا محذوف مدلول عليه بقوله
الا كانوا عنها معرضين كانه قال واذا قيل لهم اتقوا اعرضوا وكان دابهم الاعراض
عند كل اية وموعظة فهو تذييل مؤكد لما سبق من حديث الاعراض واذا قيل لهم
انفقوا لم يذكر المنفق عليه لان اباءهم وان كان عن الانفاق على المؤمنين خاصة الا ان
موجب ما تعللوا به سد باب الانفاق راسا وللاشعار بهذا ترك ذكر المنفق عليه ٥
مما رزقكم الله اشارة الى ان البخل به في غاية القبح فان ابخل البخلاء من يبخل بمال الغير
قال الذين كفروا بالصانع تعالى يعني معطلة كانوا بمكة للذين امنوا تهكما بهم
وذلك انهم لما سمعوا المؤمنين يعلقون الامور بمشية الله تعالى يقولون لو شاء الله لكان
كذا وافترصوا هذا الكلام فرصة واتخذوه هزوا واستهزؤن بالمؤمنين يجيبون به عند امرهم

بالانفاق والتصريح بالوصفين من الكفر والايمان لبيان ان المقول لهم هم الكافرون
والقايل لهم هم المؤمنون وان كل وصف حامل لصاحبه على ما صدر عنه اذ كل اناء
بالذي فيه يترشح وايضا لما كان الغرض الرد على المؤمنين لا الامتناع عن الاطعام لانه
مما يفتخرون به كان نحو المقام التصريح بوصف الايمان في القول له ومن هنا تبين وجه
للعدول عن عبارة الانفاق الى عبارة الاطعام انطعم لما كان الاطعام ادنى وجوه
الانفاق واعلى ما يفتخرون به كان الاباء عنه اباء عن الانفاق راسا من لو يشاء الله
اطعمه على زعمكم وقيل نزلت في مشركي مكة حيث استطعمهم فقراء المؤمنين من اموالهم
التي جعلوها لله تعالى في حرثهم وقالوا لو شاء الله لاطعمكم موهمين ان الله تعالى
قادر على اطعامهم فنحن احق بذلك ان انتم الا في ضلال مبين حيث امرتمونا بما
يخالف مشية الله تعالى ويجوز ان يكون من تتمة كلامهم ويكون جوابا من الله تعالى لهم
او حكاية لجواب المؤمنين لهم بان ذلك من فرط ضلالتهم لان الله تعالى يطعم من يطعم
باسباب منها حث الاغنيا على اطعام الفقرا وتوفيقهم له ويقولون متى هذا الوعد
وعد البعث ان كنتم صادقين فيما تقولون خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
رضي الله عنهم ما ينظرون ما ينتظرون اراد الانتظار المفهوم من قولهم الا صيحة
واحدة اي عذابا تفجؤهم فيستاصلهم يقال صاح بهم الزمان اي هلكوا قال الشاعر

• صاح الزمان بال برمك صيحة • خروا لشدتها على الاذقان ٥

وقيل هي نفخة الاماتة ذكر في الصيحة امور تدل على هولها وعظمها احدها التنكير وثانيها
واحدة اي لا يحتاج معها الى الثانية وثالثها تاخذهم اي تعمهم بالاخذ وتصل الى من
في اقطار الارض ومثلها لا يكون الا عظيما وقوله وهم يخصمون اي تاتيهم بغتة
وهم في غفلتهم وامنهم يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطرون امرها ببالهم مما
يعظم به الامر فان العامل المقبل على مهمه اذا صاح به صايح يكون ارتجافه اعظم فتكون
بخلاف المنتظر لها فلا يستطيعون توصية اي يوصوا في شي من امورهم ولا الى
اهلهم يرجعون ولا ان يرجعوا الى اهلهم وما زالهم بل يموتون حتى تبعثهم القيمة
ونفخ في الصور هي نفخة البعث وقد سبق في سورة المؤمنين فاذا هم من الاجداث
من القبور جمع جدث وقرئ بالفا واذا للمفاجاة الى ربهم ينسلون النسول الاسراع
في الخروج ولفظ الرب اصاب المحز لان من اصاب واضطر الى التوجه الى من احسن اليه يكون
ذلك اشد الما واكثر ندما من غيره قالوا يا ويلنا من بعثنا وقرئ من اهبنا من هب
من نومه اذا انتبه واهبه غيره وقرئ من هبنا بمعنى اهبنا وقرئ من بعثنا ومن اهبنا
على من الجارة والمصدر وعن مجاهد للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم ولو استمر

عذاب النار للكفار في قبورهم بالنار لما صح منهم القول المذكور هذا ما وعد الرحمن
هذا مبتدأ وما وعد خبره وما مصدرية او موصولة محذوفة الراجع دل على هذا قوله تعالى
يا ويلنا هذا يوم الدين وصدق المرسلون اي صدق فيه ويجوز ان يكون اعتراضا
افاقوا عما بهم وتنبهوا يتذكرون ما سمعوا من الرسل فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا
وقيل هذا ليس من كلامهم بل جواب الملئكة او المؤمنين لهم لكن عدل عن سنته ومطابقته
السؤال لاغراض منها تنبيههم على ان الذين يهمهم هو السؤال عن البعث لا عن الباعث
ومنها تذكيرهم لكفرهم وتكذيبهم الرسل وتقريعهم على ذلك ومنها نعيهم اليهم احوالهم
التي هم فيها واختبارهم بوقوع ما انذروا به كانه قيل لهم ليس هذا بالبعث الذي توهمتم
وهو بعث النايم من مرقده حتى تهمكم السؤال عن الباقيات ان هذا هو البعث الاكبر ذو الافزاع
والاهوال الذي وعد الله تعالى في كتبه المنزلة واخبر به على السنة رسله الصادقين
ان كانت الا صيحة واحدة وقرئ بالرفع على كان التامة والضمير في الناقصة
للنفخة التي دل عليها ونفخ فاذا هم جميع لدينا محضرون بمجرد تلك الصيحة وفي
ذلك تهوين امر البعث والحشر واستغناؤهما عن الاسباب التي يتوهمونها بالقياس على
ما يشاهدونه فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون حكاية
لما يقال لهم حينئذ وكذا ما بعده من وصف اهل الجنة تصويرا للموعود وتمكينا له في
النفوس وترغيبا وترهيبا ان اصحاب الجنة اليوم في شغل عن ذكر اهل النار
ولو خطر ذلك ببالهم وفيما احل من لذاتهم او معارفهم تنغص عليهم ما هم فيه و[التنكير]
في شغل للتعظيم والتنبيه على انه اعلى من ان يحيط بها الافهام ويعرب عن كنهه الكلام
والشغل العارض الذي يذهل الانسان عن امر لولا ذلك العارض كان متوجها اليه
فاكهون وقرئ فكهون كفطس على انه حال والخبر هو الظرف والفاكه والفكه
المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لانها مما يتلذذ به هم وازواجهم هم مبتدأ
او تاكيد للضمير في شغل او فاكهون والمعنى على تقدير التاكيد ان ازواجهم
تشاركهم في ذلك الشغل والتفكه والاتكاء والازواج جمع زوجة ومن حرم الرجل
التي يحل له وطيها في ظلال جمع ظل كشعاب وظلة كقباب ويؤيده قراءة في
ظلل على الارائك جمع اريكة وهي السرير في الحجلة وقيل الفراش فيها متكئون
خبر او في ظلال خبر وعلى الارائك مستانف وقرئ متكين على الحال لهم فيها
فاكهة عبر عن كل ما يتزفون فيها بالفاكهة للتنبيه على انهم مستغنون فيها
عن حفظ الصحة بالاقوات بان اجسامهم محكمة مخلوقة للابد فكل ما ياكلونه ياكلونه على
سبيل التلذذ ولهم ما يدعون يفتعلون من الدعا يدعون به لانفسهم كقوله

اشتوي واحتمل اذا اشوي وحمل لنفسه ويجوز ان يكون بمعني يتداعونه كقولك ارتموه
وتراموه وقيل يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعني تمنه علي وفلان في خير ما ادعى
وقال الزجاج هو من الدعا اي ما يدعو به اهل الجنة ياتيهم وما موصولة او موصوفة
مرفوعة بالابتدا ولهم خبرها سلام بدل منها او صفة اخرى قولا مصدر
مؤكد لقوله ولهم ما يدعون سلام اي عدة من رب رحيم والاوجه ان ينتصب
على الاختصاص وهو من مجازه ان الله يسلم عليهم بواسطة الملئكة او بغير واسطة مبالغة
في تعظيمهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونه قال ابن عباس رضي الله عنهما والملئكة
يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين وامتازوا اليوم يقال مازه فامتاز وامتاز
بمعني تمايز ايها المجرمون اي انفردوا عن المؤمنين والمراد من اليوم يوم الحشر قال
الضحاك يمتاز اليهود فرقة والنصارى فرقة والمجوس فرقة والصابئون فرقة وعبدة
الاوثان فرقة ولكل فرقة في النار بيت تدخل فيه ويرد بابه فتكون فيه ابدا لا ترى ولا يرى
ويشكل هذا بقوله تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وقوله تعالى
ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء الم اعهد اليكم يا بني ادم
في خطاب بني ادم نوع ايماء الى ان ذلك العهد كان في عهد ادم عليه الصلاة والسلام
الا تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال لهم تقريعا والزاما للحجة وعهد الله تعالى
اليهم ما ركز في عقولهم ونصب لهم من الحجج العقلية والادلة السمعية الامرة بالعبادة
الناهية عن عبادة غيره وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم
والعهد الوصية يقال عهد اليه اذا وصاه انه لكم عدو مبين تعليل للمنع
من عبادته وان اعبدوني عطف على ان لا تعبدوا هذا صراط مستقيم
اشارة الى ما عهد اليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن اذ لا صراط اقوم منه
جملة استينافية لبيان المقتضي للعهد بشقيه او بالشق الاخير والتنكير في الصراط
للتعظيم والمبالغة ولقد اضل منكم جبلا كثيرا رجوع الى بيان معاداة الشيطان
مع ظهور عداوته ووضوح اضلاله لمن له ادنى تمييز فقوله افلم تكونوا تعقلون
استفهام تقريع على تركهم الانتفاع بالعقل والجبل الخلق واصل الجبل الطبع ومنه
الجبل لانه مطبوع على الثبات هذه جهنم التي كنتم توعدون بها في دار التكليف
اصلوها اليوم الزموا العذاب بها واصل الصلاة اللزوم ومنه المصلي الذي في
اثر السابق للزومه اثره بما كنتم تكفرون بسبب كفركم اليوم نختم على افواههم
اي نفعل بافواههم ما لا يمكن معه ان يتكلموا بالسنتهم وتكلمنا ايديهم بانطاق
الله تعالى اياها على ما نطق قوله تعالى قالوا انطقنا الله الذي كل شيء فلا مساغ

للتاويل بظهور اثار المعاصي عليها ودلالتها على افعالها وتشهد ارجلهم اسند
الختم الى نفسه دون الكلام والشهادة دفعا لوهم الاجبار واظهار التوسط الاختيار
بعد الاقدار على النطق والتكلم ولما كان كلام الايدي اقرارا على الغير المنكر نزلت
تصديق الارجل اياها منزلة الشهادة فعبر عن تكلمها بالشهادة بما كانوا يكسبون
اذ الكسب باليد اخص فيكون الاخبار منها اقرارا ومن الارجل شهادة لانها تحاضر
وقلما تباشر هذا خص التكلم بمعنى الاقرار بالايدي والشهادة بالارجل ولو نشاء
لطمسنا على اعينهم الطمس محو الشيء حتى يذهب اثره والطمس على العين تغفية
شقها حتى تعود ممسوحة ولو فاستبقوا الصراط فطلبوا الطريق الذي اعتادوا
سلوكه سابقين على طريقه وانما اعتبر قيد السبق على طريقة التضمين لان التعذر في
سلوك الاعمى الطريق الظهر ويجوز ان يكون من باب الجار وايصال الفعل اي
فاستبقوا الى الصراط او نصبا على الظرف فانى يبصرون لم يقدروا ان
يسلكوه ولم يبصروه ولم يعلموا جهة سلوكه فضلا عن غيره ولو نشاء لمسخناهم
بتبديل صورهم وابطال قواهم وقدرتهم على مكانتهم في مكانهم المكانة والمكان
كالمقامة والمقام او باقعادهم فما استطاعوا مضيا ذهابا ولا يرجعون
ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه للفواصل اي انهم احقاء بان يفعل بهم ذلك ولا
عجز فينا لكنا لم نفعل لشمول الرحمة واقتضاء الحكمة امهالهم قيل ولا يرجعون عن تكذ يبهم
ومن نعمره نطل عمره ننكسه بالتشديد وبالتخفيف من التنكيس والانكا
وقرئ بفتح الكاف من النكس في الخلق اي نقلبه فيه فلا يزال يتزايد ضعفه
وانتقاص بنيته وقواه عكس ما انشاناه عليه افلا يعقلون ان من قدر على
ذلك قدر على الطمس والمسخ فانه مشتمل عليهما وزيادة غير انه على تدرج وما
علمناه الشعر اي بتعليم القران وهو رد لقولهم ان محمدا شاعر والمراد ان القران
ليس بشعر واين هو من الشعر لان الشعر كلام موزون مقفى منتظم من المخيلات
المرغبة والمنفرة وما ينبغي له اي لا يليق به ولا يصلح له لان الشعر يدعو الى
تغيير المعنى لمراعاة اللفظ والوزن فالشاعر يكون المعنى منه تبعا للفظ والشارع
يكون اللفظ منه تبعا للمعنى وقيل لا يتاتى له ان اراد قرضه وقوله انا النبي لا كذب
انا ابن عبد المطلب قال بعضهم انما الرواية بالاعراب واذا كانت بالاعراب لم تكن شعرا
واما ما قيل ليس هذا الوزن من الشعر فمكابرة لان اشعار العرب على هذا قدروها
الخليل وغيره واما قوله هل انت الا اصبع دميت ۰ وفي سبيل الله ما لقيت فلعله قالها
ساكنة التاء او متحركة من غير اشباع ولا يكون شعرا الا اذا كسرت التاء باشباع

ان

ان هو الا ذكر اي موعظة وتذكير من الله عز وجل وقران مبين كتاب سماوي بين
كونه ليس من كلام البشر لظهور اعجازه لينذر اي القران او الرسول ويؤيده القراءة
بالتاء الفوقانية من كان حيا عاقلا فهما فان الغافل كالميت او مؤمنا في علم الله
تعالى واختصاص الانذار به لانه هو المنتفع منه دون غيره ويحق القول وتجب كلمة العذا ب
على الكافرين المصرين على الكفر وفي ذكرهم في مقابلة من كان حيا تنزيل لهم منزلة الاموات
لخلوهم عن ثمرة الحيوة اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا مما تولينا نحن احداثه
لا يقدر على توليه غيرنا وذكر الايدي واسناد العمل اليها استعارة من عمل يعمل بالايدي
للمبالغة في الاختصاص والتفرد باحداثها انعاما خصها بالذكر لما فيها من بدايع الفطرة
ولطايف الحكمة وكثرة المنافع جمعا بين اظهار القدرة والامتنان بتذكير النعمة المختصة
بها ولهذا كمله بقوله فهم لها مالكون اي خلقناها لاجلهم وملكناهم اياها فهم
لها متصرفون تصرف الملك وذللناها لهم التذليل من جملة النعم لولاه لما قدر عليها
عليها احد ولهذا الزم الله تعالى الراكب ان يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذي
سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فمنها ركوبهم هو ما يركب ومنها ياكلون اي
سخرناها لهم ليركبوا ظهرها وياكلوا لحمها ولهم فيها منافع مجمل مفصله في قوله تعالى
وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا الاية ومشارب من اللبن وما يتخذ منه جمع مشرب
وهو الشرب او موضع الشرب وانما لم يقل ومنها يشربون لان ابتداء الشرب ليس منها بخلاف
الاكل افلا يشكرون لخالق هذه النعم ورازق هذه النعم واتخذوا من دون الله الهة
بعدما راوا القدرة الباهرة واثارها الظاهرة لعلهم ينصرون طمعا في ان
يتقووا بهم ويتعززوا كما قال ليكونوا لهم عزا والامر على عكس ما قدروا والانه لا يستطيعون
نصرهم وهم لهم جند محضرون معدون لحفظهم يخدمونهم ويذبون عنهم والالهة
لا استطاعة بهم ولا قدرة على النصر وقيل هم يوم القيمة محضرون لعذابهم ويرد عليه ان
فيه زيادة تفكيك في الضماير فينافي النظم الذي هو مناط اعجاز القران ومراعاته اهم
ما يجب على المفسر وايضا المتبادر من لهم النفع دون الضرر وقيل هم محضرون اثرهم في
النار وياباه عبارة الجند فانه جمع معد للحرب فلا يحزنك الفا للسببية اي اذا
علمت حالهم وما لهم فتسل عنهم ولا يحزنك قولهم فيك انك شاعر وساحر وكاهن وكاذب
وسائر وجوه الاذى بالقول فانا مجازوهم قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون
تعليل للنهي وفيه وعيد شديد لهم وزيادة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان
قلت اليس مقتضى البلاغة تقديم تقديم ما يعلنون حتى يكون نظم الكلام على اسلوب
الترقي قلت مقتضاها بحسب جليل النظر واما مقتضاها بحسب دقيقه فانما هو تاخيره

حتى يكون لكل من جزئي الكلام حظ من الاهتمام وذلك انه حينئذ يكون الجزء الاول اهتمام
التقديم والجزء الثاني اهتمام التصريح بعد الانفهام بطريق الالتزام وعلى تقدير التقدم
يفوت احد الاهتمامين كما لا يخفى على ذوي الافهام اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة
ايلاء الهمزة واو العطف للتقرير والتعجيب من حال الانسان اي اينكر الانسان البعث ولم
ير مبدا خلقه وابداع نشاته وفيه تسلية اخرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتهوين ما يقولون
بالنسبة الى انكارهم للبعث وفيه تقبيح بليغ لانكارهم لا يرى ابلغ ولا افحش منه ولا اعجب
ولا ادل على تمادي كفر الانسان وافراط جحود النعم حيث تقرر في علمه انا خلقناه من شيء
قليل وبلغناه الى قدر جليل وانما لم يقل من ماء مهين مع ما فيه من المناسبة لغرابة رعاية
لحق الكلام بتجريده لما سيق له من المرام وذلك بحسب ما تخيل عرضا اخر وهو الامتنان بالاعزاز
والاكرام ومن لم يتنبه لهذا قال انا خلقناه من امهن شيء واقذره وهو مع مهانة اصله
وخساسة عنصره يتصدى لمخاصمة الجبار الذي شرفه بعد خسته وكرمه بعد ذلته ويقول
من يحيي العظام فاذا هو خصيم مبين اذا للمفاجاة والفاء فصيحة للعطف على مقدر
تفصيله لما ابلغ مظنة اظهار الشكر والحمد على اثار قدرتنا فاجا باعلان الكفر والجحد
مبالغا في الخصومة معربا عما في نفسه من الخيانة وحاله ان خصامه في اللوم وضعف له وابلغ
حجة عليه وهو انه منشا من موات الاعادة اهون من الابتداء فخصامه محض مكابرة وصرف
معاندة وضرب لنا مثلا انما سمي قوله مثلا لكونه امرا عجيبا وقصة غريبة كالمثل حيث
انكر قدرة الله تعالى على انشاء الموات وقد انشاه الله تعالى من الموات ونسي ولا يتذكر
خلقه وهو اقرب الشيء اليه قال من يحيي العظام وهي رميم روي ان ابي بن خلف
اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم بال تفتت بيده فقال اترى ان الله يحيي هذا بعد ما رم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت والرميم اسم لما بلي عظما
كان او غيره غير صفة كالرمة والرفات لا فعيل بمعنى فاعل ولا مفعول فلهذا لم يؤنث مع كونه خبرا
عن مؤنث وقيل لانه معدول عن فاعل وكلما كان معدولا عن وجهه ووزنه كان مصروفا
عن اخواته كبغيا في قوله وما كانت امك بغيا فانه مصروفة عن باغية وفي ظاهره دلالة على
ان في العظام حياة وانها تنجس بالموت قل يحييها الذي انشاها اول مرة انما قال
انشاها دون احياها اشارة الى ان الاحيا الفرق بين الاحيائين من حيث ان الاول
منهما انشا والثاني اعادة فلا جرم يكون اهون ولا تغير في جانب الفاعل وهو بكل خلق عليم
يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شيء من خلق المنشات والمعادات وجميع اجزائها جلائلها
ودقائقها الذي جعل لكم من الشجر الاخضر وصف الشجر بالاخضر حملا على اللفظ
وقرئ الخضراء على المعنى نارا نوعا غريبا من النار حيث يحدث مما يقطر منه الماء

وعن ارباب الحكمة ان النار على اربعة انواع نار تاكل ولا تشرب وهي النار المعهودة ونار
تشرب ولا تاكل وهي نار الشجر ونار تاكل وتشرب وهي نار المعدة ونار لا تاكل ولا تشرب
وهي نار الحجر فاذا انتم منه توقدون لا تشكون في انها نار تخرج منه استدل بالنشاة
الاولى على الثانية ثم بانقداح النار من الشجر الاخضر وهي من زناد الاعراب واكثرها
من المرخ والعفار يقطع منهما غصنان مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق
المرخ وهو ذكر على العفار وهو انثى فتنقدح النار باذن الله تعالى مع مضادة الماء النار وانطفائها
به فمن قدر على ذلك كان قادرا على اعادة الغضاضة فيما كان غضا فيبس وبلي افقدر
اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم دليل ثالث كانه قال
ابعد ما مر من الدليلين لا يقدر من خلقهما مع كبر جرمهما وعظم شانهما على خلق مثلهما
مع صغرهما وحقارتهما بالنسبة اليهما وقيل على اعادتهما لان المعاد مثل للمبدا في اصول البنية
والذات والصفات ورده ان المذهب خلاف ذلك بلى جواب من الله تعالى يشعر
بان الجواب منحصر في هذا وهو الاثبات بعد النفي وهو الخلاق العليم المبالغة
في الخلق والعلم المستفادة من الصفتين المذكورتين تناسب المقام انما امره
قوله على ما مر في سورة النحل انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
ومن حمل الامر هنا على الشان فقد غفل عن ذلك البيان شبه تاثير قدرته تعالى
في مراده بامر امر مطاع ورد على مامور مطيع لم يلبث ان يمتثل فقال انما امره في ايجاد
الاشيا اذا اراد شيئا اي تكوينه ان يقول له كن فيكون فيحدث
من غير امتناع عليه ولا توقف من المامور ولا افتقار الى الالات وحركات من الامر
حسما لمادة الشبهة في قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق وهو من الاستعارة
التمثيلية تقوم مقام تعليل لقدرة الله تعالى على اعادة الموتى اي من كان ايجاده
للاشيا بهذه المثابة فكيف يعجز عن الاعادة وقرئ فيكون بالنصب عطفا على
يقول والرفع على تقدير جملة اسمية اي فهو يكون معطوفة على اخرى مثلها
وهي انما امره ان يقول فسبحان الذي تنزيه له تعالى عما وصفه المشركون وتعجيب
من ان يقولوا فيه ما قالوا والفاء السببية اوردها تعليلا بكونه المتصرف في ملكوت
كل شيء بمقتضى مشيئته وموجب حكمته فكيف يمتنع عليه شيء والملكوت مقابل الملك
على ما ورد في الدعا الماثور سبحان ذي الملك والملكوت فان كل شيء له جسمانية
كثيفة وروحانية لطيفة فجسمانية ظلمانية من عالم الملك وروحانية نورانية من
عالم الملكوت وهو عالم الامر وعالم الغيب ومعنى كون ملكوت كل شيء بيده

وهو عالم الخلق وعالم الشهادة

ان تصرفه فيه بالذات لا بالاسباب العادية بخلاف ما في عالم الملك والخلق فان
تصرفه فيه بواسطة الاسباب والالات على مقتضى حكمته والبه ترجعون
وعد ووعيد للمقرين والمنكرين والله اعلم

سورة الصافات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا الواو للقسم والصف ترتيب الجمع على خط واحد فالزاجرات زجرا
صفا مصدر موكد وكذلك زجرا والفا المتوسطة بين الصافات والزاجرات
اما لترتبها في الوجود واما لترتبها في بعض الوجود بحسب التفاضل والتناقص
وكذا الثاني اما في الوجود واما في الاعتبار ويحتمل ههنا اتحاد الموصوفين وترتيب
الصفات في التفاضل على ان الصف طاعة وكمال والزجر تكميل بالمنع عن الشر والسوق
الى الخير والتلاوة افاضة المعارف والحكم على الانبيا عليهم السلام او في الثنا
على ان الصف هو الخضوع بين يدي الله تعالى في مواطن القرب والزجر زجر
الشياطين والتلاوة الذكر بالتسبيح والتحميد وكذا اذا اريد تعدد الطوايف
وتثليثها فقد يترتب في الفضل على ان الطوايف في الصافات فضلا والطوايف
الزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا فالتاليات ذكرا اقسم الله تعالى
بطوايف الملئكة الصافين في مراتب العبودية بحسب تفاوت فيضان الانوار الالهية
عليهم منتظرين لامر من فوقهم له وانا لنحن الصافون الزاجرات عن المعاصي
بالهام الخير والشياطين عن التعرض لهم بالاضلال والاجرام العلوية والسفلية
كالسحاب والرياح وغير ذلك مما امر والمتراتبين ها التاليات لايات الله تعالى
من الكتب المنزلة على انبيايه عليهم السلام وغيرها من التقديسات والتسبيحات
وساير الاذكار او بنفوس العلماء العباد الصافات اقدامها في الصلوات وخصوصا
في الجماعات فالزاجرات بالمواعظ والنصايح فالتاليات كلام الله تعالى وشرايعه
وحكمه او بنفوس الغزاة المجاهدين في سبيل الله تعالى الصافين في صفوف الجهاد
الزاجرين للخيل الذاكرين مع ذلك الله تعالى التالين لاياته لا تشغلهم تلك الشواغل
عنها كما حكي عن علي رضي الله تعالى عنه وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير
صافات والزاجرات كل ما زجر عن معاصي الله تعالى والتاليات كل من تلى كتاب
الله تعالى وقرئ بادغام التا آت الثلاث فيما يليها لقرب مخرجها من مخرج التاء
ان الهكم لواحد جواب القسم وفايدة الاقسام تعظيم المقسم وتاكيد المقسم عليه
على ما هو الاصل في كلامهم واما تحقيقه بالبرهان فبقوله رب السموات والارض

فان

فان انتظامها على الوجه الاكمل دليل على وحدة الصانع على ما مر في تفسير قوله تعالى
لو كان فيهما الهة الا الله رب خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف على المدح اي هو رب
السموات والارض ويجوز ان يكون بدلا من واحد وما بينهما يتناول افعال العباد
فيدل على انها من خلقه تعالى ورب المشارق مشارق الشمس في السنة قيل وهي
ثلثمائة وستون تشرق كل يوم في واحد وفيه نظر ويتبعها اختلاف المغارب ولذلك
اكتفى بذكرها لدلالتها عليها كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر واما كونها ادل على القدرة
وابلغ في النعم فلا يصلح وجها للاكتفا المذكور انما يصلح وجها لتخصيص المشارق
بالذكر على تقدير الاكتفا باحدهما انا زينا السماء الدنيا القربى منكم بزينة
الكواكب الزينة مصدر كالنسبة او اسم لما يزان به كالليقة اسم لما تلاق به الدواة
واضافتها الى المفعول ان جعلتها مصدرا اي بان زان الله تعالى الكواكب وجعلها
زينة لانها انما زينت السما لحسنها في نفسها واصله بزينة الكواكب بالتنوين ونصب الكواكب
وقد قرئ كذلك او الى الفاعل اي بان زانتها الكواكب واصله بزينة الكواكب وقد قرئ
بغيرها اي بزينة من الكواكب كقولك باب ساج او بزينة هي الكواكب ويعضده القراءة
بالتنوين وجر الكواكب على الابدال ويجوز في النصب ايضا الابدال من محل الجار والمجرور
بهذا المعنى ويجوز قراءة الجر ان يراد بالزينة ما زينت به الكواكب من اضوائها واوضاعها
المختلفة كشكل الثريا وبنات نعش والجوزاء وغير ذلك ويعضده قوله تعالى ولقد
جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين اي بالاشكال وعن ابن عباس رضي الله عنهما
بزينة الكواكب بضوء الكواكب واعلم ان تقييد السما بالدنيا يابى حمل الزينة على ما بحسب
الظهور في الحس لعدم التمايز بين العليا والدنيا في ذلك فنفي المذكور قدح لما اشتهر
من ان ما عدا القمر من الكواكب ليس في السما الدنيا وحفظا عطف على محل قوله
بزينة الكواكب على المعنى لان المعنى انا خلقنا الكواكب زينة للسما وحفظا من الشياطين
كما قال ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين او منصوب بفعل
مقدر على المصدر اي وحفظناها حفظا او على التعليل اي وحفظا زيناها بالكواكب
من كل شيطان مارد خارج عن الطاعة لا يسمعون ابتدا الاقتصاص لبيان حال
مسترقة السمع لا تعلق له بما قبله الا من حيث المعنى ورجوع الضمير فيه الى كل شيطان
اما من حيث اللفظ فلا يجوز ان يكون صفة لكل شيطان اذ لا معنى للحفظ من الشياطين
لما صح الجواب بانهم لا يسمعون فبقي ان يكون منقطعا ومن زعم انه تعليل اصله لئلا يسمعوا
فحذف اللام فبقي ان لا يسمعوا فحذفت ان واهدر عملها فقد ركب شططا فان كل واحد
من الحذفين على الانفراد غير منكر واما جمعهما فمن المنكرات التي يجب صون القران عنها

الي الملا الاعلي وهم الملٰيكة وسكان السماء والتعلا ان الملا الاسفل لانهم سكان
الارض وقري لا يسمعون بالتخفيف والتسمع تطلب السماع وعن ابن عباس رضي الله عنه
انهم يتسمعون فلا يسمعون وهذا ينصر التخفيف على التشديد وعدي يسمعون بالي
لتضمنه الانتها اي لا ينتهون بالسمع او التسمع الي الملا الاعلي لا لتضمنه معني الاصغا
اذ ح لا يلزم انتفا السمع او التسمع اذ لا يلزم من انتفا المجموع انتفا كل جزء منه فمن وهم
ان فيه المبالغة في النفي فقد وهم ويقذفون يرمون بالشهب من كل جانب
من كل جهة يصعدون الي السما منها للاستغراق دحورا مفعول له اي للدحور
وهو الطرد او حال اي مدحورا او مصدر لان القذف والدحور متقاربان في المعني
فكانه قيل يدحرون دحورا او على انه جاء مجي القعود والولوع ولهم عذاب واصب
دايم اي انهم مرجومون في الدنيا بالشهب وقد اعد لهم في الاخرة عذاب غير منقطع
الا من خطف الخطفة من مرفوع المحل بدل من الواو في لا يسمعون اي لا يسمع الشيا
الا الشيطان الذي خطف الخطفة وقري خطف بكسر الخا والطا وتشديدها وخطف
بفتح الخا وكسر الطا وتشديدها واصلها اختطف والخطف الاستلاب بسرعة والمراد
استلام كلام الملٰيكة مسارقة ولذلك عرف الخطفة فاتبعه لحقه وقري فاتبعه
بالتشديد وقد مر التفصيل في سورة طه شهاب نجم رجم اي هم مقذوفون بالشهب
مدحورون عن ذلك الا من اسهل عن ذلك ربما خطف خطفة فاتبع بشهاب قيل
نجوم الرجوم غير نجوم الزينة تلك ثابتة وهذه سايرة منتشرة قال الشعبي لم يقذف
بالنجوم حتي بعث محمد صلى الله عليه وسلم فلما قذف بها جعل الناس يسيبون انعامهم
ويعتقون رقيقهم يظنون انها القيمة فاتوا عبد قيس الثقفي وكان قد عمي فاخبروه
بما فعلوه فقال لم قالوا ان النجوم تهافت من السما فقال لهم لا تعجلوا فان كان النجوم
التي نعرف فهي عند قيام الساعة وان كانت بنجوم لا نعرف فهو امر حدث فنظروا
فاذا هي بنجوم لا تعرف قال فما مكثوا الا يسيرا حتي اتاهم خبر النبي صلى الله عليه وسلم
وفيما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ذلك حدث بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم
وعلى كلا التقديرين الحادث قذف الشياطين بالشهب لا الشهب نفسها فلا قدح فيه
بدلالة اشعار الجاهلية على وجود الشهب قبله ولا حاجة الي ان يقال ان الحادث
كثرتها لا وجودها واما ما قيل ان اصل الشهب بخار يتصعد الي الاثير فيشتعل فيرده
نص الكتاب لانه صريح في ان اصل الشهب الكواكب المشبهة بالمصابيح وان انقضاضها
واشتعالها لحكمة القذف لا باقتضا طبعها عند وصولها الاثير ثاقب المثاقب
الشديد الاضاءة كانه يثقب بضوئه فاستفتهم اي فاستخبرهم ولم يقل فقررهم

طين

وان خرجت الي معني التقرير والضمير لمشركي مكة او بني ادم عليه السلام اهم اشد
خلقا ام من خلقنا المراد منه ما ذكر من خلايقه من الملٰيكة والسموات والارض وما
بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب والشياطين المردة وغلب اولي العقل على
غيرهم فقال من خلقنا ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك وقراة من قرا ام من عددنا
بالتخفيف والتشديد وقوله انا خلقناهم من طين فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم
وبين من قبلهم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم اياه والامر فيه
بالاضافة اليهم والي من قبلهم سوا لازب لازم ما جاوره ملاصق به اي اصل
خلقهم هو الطين اللازب واليبس الا التراب والما وهو على حاله فمن اين استنكروا ذلك
بل عجبت من انكارهم البعث ويسخرون اي وهم يسخرون منك ومن تعجبك وتقريرك
للبعث وقري عجبت بضم التا وحمل الكلام على المجاز فان التعجب روعة تعتري الانسان عند
استعظامه لشي وهو على الله تعالى وهو محال فهو في حقه اما لمجرد الاستعظام واما على
سبيل الفرض على معني انه عند الله تعالى بمنزلة لو جاز عليه التعجب لعجب او التخييل من باب
الاستعارة على ما مر في قوله تعالى يا حسرة على العباد وان الامر في نفسه متعجب منه
وقد جاء في الحديث قد عجب من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم واذا ذكروا لا يذكرون
ودابهم انهم اذا وعظوا بشي لا يتعظون به واذا راوا اية عظيمة من ايات الله تعالى
كانشقاق القمر ونحوه يستسخرون يبالغون في السخرية كانهم يطلبون من انفسهم
السخرية منها او يجدون في ذلك او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر وقالوا ان هذا
الا سحر مبين ظاهر سحريته ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما اينا لمبعوثون
اصله انبعث اذا متنا فبدل الفعلية بالاسمية وقدم الظرف وكرر الهمزة مبالغة في
الانكار واشعارا بانه مستنكر في نفسه وفي هذه الحال اشد استنكارا فهو ابلغ من القراة
بطرح احدي الهمزتين او اباؤنا مبتدا خبره محذوف تقديره مبعوثون ويدل
عليه ما قبله فاذا قلت اقام زيد ام عمرو فعمرو مبتدا محذوف الخبر ويجوز عطفه على
محل ان واسمها على خلاف مذهب سيبويه لانه يقول ان عمرا في قولك ان زيدا قايم
وعمرو مرفوع على الابتدا واما عطفه على الضمير في مبعوثون لا صحة له لان همزة الاستفهام
لا تدخل الا على الجمل فعلى تقدير العطف على المفرد كان العامل عاملا فيه بواسطة حرف
العطف وهمزة الاستفهام لا يعمل ما قبلها فيما بعدها وادخال الهمزة للانكار بين على
الواو لزيادة الاستبعاد على معني ايبعث ايضا اباؤنا يعنون انهم اقدم فبعثهم ابعد وقري
اباؤنا باو الفاصلة قال صاحب المطالع واذا كانت للتقرير او التوبيخ او الرد او الانكار
او الاستفهام كانت مفتوحة الواو واذا جاءت للشك او التقسيم او الابهام او التورية

م

او التخيير او بمعنى بل او بمعنى حتي او بمعنى الي وكيف كانت عاطفة فهي ساكنة الواو
الاولون الاقدمون قل وقري قال نعم اي نعم تبعثون وانما اكتفي به
في الجواب لسبق ما يدل على جوازه واما قيام المعجز على صدق المخبر عن وقوعه فلا
يجدي في حق القايلين انه سحر مبين والكلام معهم بعد ما انكروا الاعجاز والرسالة
وانتم داخرون صاغرون وقرئ نعم بكسر العين وهما لغتان فانما هي مبهمة
لا ترجع الى شي يوضحها خبرها ويجوز ان ترجع الى البعثة الدال عليها المبعوثون
والفا جواب شرط مقدر تقديره اذا كان كذلك فما هي زجرة واحدة اي صيحة
هي النفخة الثانية من زجر الراعي غنمه اذ اصاح عليها وامرها بالاعادة كما مر في الا
ولذلك رتب عليها قوله فاذا هم ينظرون احيا يبصرون او ينتظرون ما يفعل
بهم وقالوا يا ويلنا مر تفسيره في سورة يس انا كنا ظالمين هذا يوم الدين
كلام الكفرة وهذا يوم الفصل كلام الملئكة جوابا لهم ويجوز ان يكون الاول
ايضا من كلام الملئكة وان يكون الثاني ايضا من كلام بعض الكفرة لبعضهم اي
هذا يوم الجزا الذي ندان فيه ونجازي باعمالنا هذا يوم الفرق والقضا بين فرق
الهدي والضلال الذي كنتم به تكذبون فيه دليل على ان الرسل عليهم الصلوة
والسلام جددوا الانذار بعذاب النار وساير الاهوال في دار القرار وهم اصروا على
الانكار واستمروا على الاضرار احشروا الذين ظلموا خطاب الله تعالى للملئكة
او خطاب بعضهم لبعض بامر الله تعالى والحاجة الى الحشر لانهم يخرجون من الاجداث
كانهم جراد منتشر او فراش مبثوث والحشر السوق الى مجموع واحد من الجهات
المختلفة وازواجهم قرناؤهم من الشياطين قال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه
في تفسير قوله تعالى واذا النفوس زوجت اي قرنت نفوس المؤمنين بالحور العين ونفوس
الكفار بالشياطين وما كانوا يعبدون من دون الله دل هذا على ان المراد من
الذين ظلموا المشركون وقوله عليه الصلوة والسلام على وفق قوله تعالى حكاية عن الملئكة
بل كانوا يعبدون الجن بل انهم عبدوا الشياطين الذين امرتهم بذلك في جواب ابن الزبعري دل
على ان ما على عمومه وان الاصنام وغيرها غير داخلة فيه فالضمير في قوله تعالى
فاهدوهم للمجموع المذكورين الى صراط الجحيم فعرفوهم طريق النار حتى يسلكوها
وفيه تهكم بهم لما مر في سورة الفاتحة ان الهداية دلالة بلطف وفي الصراط ايضا نوع تهكم
لانه طريق مستو لا التوا فيه ولا اعوجاج وقفوهم واحبسوهم هذا الحبس عند
مجيئهم النار على ما دل عليه قوله تعالى ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون
حتي اذا جاؤها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وافيدتهم الاية فالسؤال في قوله تعالى

لة

ثم

انهم مسئولون ليس عن عقايدهم واعمالهم بل عما كانوا يرجون منه الشفاعة والنصرة
بدلالة قوله ما لكم لا تناصرون وفي قوله تعالى في موضع اخر ويوم نحشرهم جميعا
ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون توبيخ لهم وتهكم بهم بالعجز عن
التناصر وتخليص بعضهم لبعض بعد ما كانوا متناصرين في الدنيا متعاضدين بل هم
اليوم مستسلمون اي ليس احد يقدر على نصر احد بل الكل منقادون لما يراد بهم وكلمة
بل حرف ابتدا لا عاطفة واقبل بعضهم على بعض يعني الكفرة والشياطين يتساءلون
يتخاصمون قالوا يعني الكفرة والشياطين بل لم تكونوا مؤمنين اضراب عن مقدر
دل عليه المساق اي ما اجبرناكم على الضلال بل انتم اعرضتم عن الايمان واخترتم الكفر عليه
بالاختيار وما كان لنا عليكم من سلطان من تسليط يسلبكم التمكن ويقسركم بل
كنتم قوما طاغين مختارين الطغيان كما وهذا على وفق ما في موضع اخر من قوله تعالى
قال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان في ضلال بعيد فحق علينا اي اذا لم نقسركم فلزمنا
قول ربنا انا لذائقون اي حكم ربنا بانا لذائقون لعذابه ولما اخبروا بذلك عن انفسهم
عدلوا عن الخطاب الى لفظ التكلم فحكي الله تعالى قولهم ولو حكي وعيد الله تعالى كما هو
لقال انكم لذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين فدعوناكم الى الغي لانا كنا غاوين فاحببنا
ان تكونوا مثلنا وما احببنا لكم الا ما احببنا لانفسنا فلم استحببتم الغي على الرشد
اي غاية ما في الباب انا دعوناكم فلم اجبتم وقبلتم فكان تقرير لقولهم فحق علينا قول ربنا
اي ليست غوايتكم في الحقيقة بنا ولو كان كل غواية باغواء غاو فمن اغوانا فانهم اي
ان الاتباع والمتبوعين من الكفرة والشياطين يومئذ يوم القيمة في العذاب مشتركون
كما كانوا في الغواية مشتركين انا كذلك مثل ذلك الفعل الفظيع نفعل بالمجرمين
بالمشركين بدلالة السياق واللحاق وفي الاطلاق ما لا يخفى من المبالغة في كون الاشراك
جرما حيث لم يعد ساير المعاصي جرما نظرا اليه انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون
عن الاذعان والقبول ويقولون اينا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون يعنون رسول الله
صلى الله عليه وسلم بل جاء بالحق اضراب عن مقدر دل عليه السياق وصدق المرسلين
اذ هو وهم عليهم الصلوة والسلام على طريقة واحدة في دعوة الامم الى التوحيد وترك
عبادة غيره تعالى وفيه رد على المشركين بان ما جاء به من التوحيد حق تطابق عليه البرهان
العقلي والبيان النقلي من المرسلين انكم لذائقوا العذاب الاليم بالاشراك وتكذيب
الرسل وقري بنصب العذاب على تقدير النون كقوله تعالى ولا ذاكر الله بتقدير التنوين وقري
لذائقون العذاب على الاصل وفي عبارة الذوق دلالة على ان لهم عذابا جسمانيا وما
تجزون الا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم وانما حذف المضاف للمبالغة والمماثلة

كما في التشبيه البليغ الا عباد الله المخلصين استثنا منقطع اي لكن عباد الله
المخلصين ثوابهم مضاعف وقيل متصل عن الضمير في تجزون او لذايقوا على انها للنوم
اوليك لهم تقديمه للتخصيص رزق معلوم خصايصه من الدوام وتمحض اللذة
ولذلك فسره بقوله فواكه فان الفاكهة ما يتلذذ به ولا يتقوت وذلك لانهم
مستغنون عن التغذي اذ لا تحليل هناك فيكون رزقهم كله للتفكه والتلذذ لا
للتقوت وهم مكرمون عند الله تعالى لا يلحقهم هوان وذلك من اعظم الثواب
والبقه بذوي الهمم في جنات النعيم ليس فيها الا النعيم ظرف او حال من المستكن
في مكرمون او خبر ثان لاوليك وكذا على سرر يحتمل الحال والخبر فان جعل خبرا
كان متقابلين حالا من الضمير فيه او في مكرمون ويجوز ان يتعلق بمتقابلين على
ان متقابلين حال من مكرمون متقابلين يطاف عليهم بكاس الكاس الزجاجة
ما دامت فيه الخمر وقد يطلق على الخمر كما في قوله وكاس على خمر شربت على لذة من
معين من شراب معين او نهر معين والمعين الماء الجاري على وجه الارض الظاهر
للعيون وانما وصف بما يوصف به الما لانها تجري في الجنة في انهار كما يجري الما كما قال
تعالى وانهار من خمر بيضا لذة للشاربين صفتان للكاس ولذة وصف بالمصدر
للمبالغة كانها نفس اللذة او تانيث اللذ فال لذ الشي فهو لذيذ ولذ ولذة تانيث اللذ بمعنى
فعل وطب قال ولذ كطعم الصرخدي تركته لا فيها غول اي فساد من انواع المفا
التي تكون في خمور الدنيا من خمار او صداع واختلاط عقل ولغو وعربدة وغير ذلك
والغول الاهلاك والافساد ومنه الغول وتقديم الظرف وايلاوه حرف النفي للافادة
نفي الغول عنها ما هو الثابت في حق غيرها وهو المراد من تخصيص المنفي بها اي ليس فيها
ما في خمور الدنيا من اغتيال العقل ولا هم عنها ينزفون على البنا للمفعول من نزف
الشارب اذا ذهب عقله وقرى ينزفون بضم الزاي من نزف ينزف اذا سكر وانما افرز
النزف من انواع الغول وافرد بالذكر للدلالة على ان السكر من اعظم المفاسد كانه مفسدة
براسها وجنس اخر غير داخل تحت الغول وعندهم قاصرات الطرف قصرن ابصارهن
على ازواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم عين العين النجل العيون جمع عينا
كانهن بيض مكنون شبههن ببيض النعام المكنون في الاداحي فانه مصون عن الغبار
في غاية الصفا ولونها بياض به صفرة حسنة وهي احسن الالوان الابدان وبها تشبه
العرب مخدراتهم وتسميهن بيضات الخدود وقيل اراد به المصون عن الكسر يعني انهن
عذارى متمنعات قال الفرزدق

خرجن الي لم يطمثهن قبلي • وهن اصح من بيض النعام

ويؤيده ما في سورة الرحمن فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان قال
في صفة الحور كانهن بيض مكنون وفي صفة الولدان كامثال اللؤلؤ المكنون واشار
بذلك الى ان الحور للصحبة دون الولدان لان اللؤلؤ للنظر لا للذوق والبيض لهما
فاقبل بعضهم على بعض عطف على يطاف يتساءلون اي يتحادثون يسال بعضهم
بعضا على الشراب عما جرى له وعليه في الدنيا وعن رفقايه وتغيير النظم الى الماضي
للاخبار بتحقق وقوع تلك اللذة خاصة من بين سايرها وهي التحادث على الشراب كما قال
الشاعر

وما بقيت من اللذات الا • احاديث الكرام على المدام

قال قايل منهم في مكالمتهم اني كان لي قرين جليس في الدنيا يقول اينك
لمن المصدقين قرى بالتخفيف والتشديد اي يوبخني على التصديق بالبعث او
التصديق ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما لا يقال ذكر كونهم عظاما بعد ذكر
كونهم ترابا تنزيل من القوي الى الضعيف في مقام الاستبعاد بل في ذكر ذلك غنى عن
ذكر هذا لانا نقول كونهم عظاما محقق حسا ومحقق لكونهم ترابا عقلا فلا غنية ولا
تنزل فافهم هذه الدقيقة الانيقة اينا لمدينون لمجزيون من الدين وهو الجزا
او المسوسون من دانه اي ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه قال
اي ذلك القايل هل انتم مطلعون الى النار لاريكم ذلك القرين وقيل القايل
هو الله تعالى وقيل بعض الملايكة يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا وقرى مطلعون بالتخفيف
والمعنى يقال طلع علينا فلان واطلع واطلع بمعنى فاطلع اي عرض لهم الاطلاع
فقبلوا عرضه فاطلع بعد ذلك هو ايضا قرى بالتشديد على قراة مطلعون مشددا
وبالتخفيف على قراة مطلعون مخففا كلاهما على لفظ المضارع المنصوب جوابا للاستفهام
وقرى مطلعون بكسر النون والتخفيف على ارادة مطلعون اياي فوضع المتصل
موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والامرونه وقيل شبه اسم الفاعل في ذلك
بالمضارع لما بينهما من التاخي كانه قال تطلعون وهو ضعيف لا يقع الا في الشعر وعلى
قراة المضارع معناه هل انتم مطلعون اي القرين فاطلع ايضا وان جعلت الاطلاع من
الطلعة غيره فالمعنى انه شرط في اطلاعه اطلاعهم لرعاية ادب المجالسة وهو ان لا يستبد
بشي دون جلسايه فقبلوه فكانهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملايكة اي اطلعوني
على قريني ايها الملايكة فاطلع اصحابي من اهل الجنة عليه فراه اي قرينه في سواء
الجحيم في وسطها قال تالله ان كدت لتردين لتهلكني بالاغواء وقرى لتغوين
اي مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة كقوله ان كاد ليضلنا ولولا نعمة ربي

بالعصمة والهداية لكنت من المحضرين في العذاب معك افما نحن بميتين الهمزة
للتقرير دخلت على الفا العاطفة ما بعدها على معطوف محذوف تقديره انحن مخلدون
منعمون فما نحن بميتين بمن شانه الموت وقرئ بمايتين الا موتتنا الاولى التي
في الدنيا وهي متناولة لما في القبر بعد الاحيا للسوال ونصبها على المصدر من اسم
الفاعل وقيل على الاستثنا المنقطع وما نحن بمعذبين كما وعدنا والمعنى ان هذه
حال المومنين وصفتهم فيما وعد الله تعالى لهم بخلاف حال الكفار فانهم فيها يتمنون
الموت كل ساعة وهذا تمام كلام بقرينه تقريعا له ثم يقول معاودا الى مكالمة جلسائه
بمسمع من قرينه تحدثا بنعمة الله تعالى واغتباطا بحاله وحال رفقائه وبحجابها وزيادة
في تقريع قرينه ان هذا الذي نحن فيه لهو الفوز العظيم وقيل هو من قول الله
تعالى تقريرا لقوله وتصديقا له واشارة الى ما هم فيه من النعمة والخلود والامن من
العذاب وقرئ لهو الرزق العظيم اي ما رزقوه من السعادة لمثل هذا اي لنيل
مثل هذا ان عملوا عملا فليعمل العاملون لان الحظوظ الدنيوية المشوبة بالالام
السريعة الانصرام وهذا معنى تقديم الغاية وايراد فا السببية من عادة الله تعالى ان
يتبع الوعد بالوعيد فلما فرغ من بيان الرزق المعلوم ووصف اهل الجنة في تحادثهم واتساق
الكلام الى قصة المومن وقرينه شرع في رزق الكافر ووصف اهل النار فقال اذلك
اي اذلك الرزق المعلوم الموصوف خير نزلا ام نصب على الحال والنزل الرزق الذي
يعد للنازل تكرمة له ويجوز حمله على معنى الحاصل على انه نصب على التمييز ام شجرة الزقوم
شجرة صغيرة الورق منتنة مرة حريفة تنبت بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة وهي
الرزق المعلوم وما ذكر معه من النعيم لاهل الجنة بمنزلة ما يقام للنازل وما وراءه
لما من اللذات بعد اقامتهم لا يدخل تحت الوصف وكذلك شجرة الزقوم وما ذكر معه
انا جعلناها فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الاخرة وابتلاء وامتحانا لهم في الدنيا حيث
قالوا لما سمعوا انها في النار كيف يكون ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر
على خلق حيوان يعيش فيها ويلتذ بها كالسمندر فهو قادر على خلق شجر فيها وحفظه
من احراقها انها شجرة تخرج في اصل الجحيم وقرئ نابتة مكان تخرج قيل منبتها في
قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها طلعها الطلع ما يطلع اولا من النخلة عند
اثمارها وهو كمام شجرها كانه رؤس الشياطين استعير الطلع من حمل النخلة لشجرة
الزقوم وشبه برؤس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لان استقباح
الشيطان وكراهة منظره امر راسخ في طباع الناس وهذا امر تخييلي وقيل الشيطان
حية عرفا قبيحة المنظر هايلة جدا فانهم لاكلون منها من الشجرة او من طلعها •

فمالئون منها البطون اما لغلبة الجوع الشديد واستيلائه عليهم واما مقسورون
على اكلها تعذيبا ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم انهم اذا شبعوا وغلب
عليهم العطش وطال استقاؤهم واحرق الزقوم بطونهم سقوا شرابا من غساق وصديد
شوبه اي مزاجه من حميم يشوي وجوههم ويقطع امعاءهم وقرئ لشوبا بالضم وهو
اسم لما يشاب ويجوز ان يكون ثم لتفاوت ما بين الطعامين في شراهم من مزيد البشاعة والكراهة
من طعام ثم ان مرجعهم لالى الجحيم اي لهم مقار ومنازل معينة في دركات الجحيم
اذا جاعوا الى الزقوم فاذا عطشوا جاؤا الى الحميم ثم يرجعون الى مقارهم ومنازلهم
من دركات الجحيم على ما اخبر الله تعالى عنه في قوله يطوفون بينها وبين حميم آن
وقرئ ثم ان منقلبهم ثم ان مصيرهم ثم ان منقذهم لالى الجحيم انهم الفوا صادفوا
اباءهم ضالين تعليل لاستحقاقهم الوقوع في تلك الشدايد كلها يعني ان ذلك
بسبب تقليدهم اباءهم الضالين فهم على اثارهم يهرعون الاهراع الاسراع
الشديد كانما يحث صاحبه حثا وقيل اسراع فيه شبيه بالرعدة وفيه اشعار بانهم
بادروا الى ذلك من غير توقف على تامل ونظر ولقد ضل قبلهم قبل قومك
قريش اكثر الاولين بالتقليد وترك النظر ولقد ارسلنا فيهم منذرين انبيا
عليهم الصلوة والسلام حذروهم العواقب وانما قال فيهم دون اليهم دلالة على انغماسهم
في الانذار بغرارتهم فيما بينهم فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الذين انذروا فكذبوا
فاهلكوا جميعا الا عباد الله المخلصين الذين امنوا منهم فاخلصوا دينهم لله تعالى
او اخلصهم الله تعالى لدينه على اختلاف القراءتين والخطاب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم والمراد قومه لانهم راوا اثارهم وسمعوا اخبارهم ثم شرع في تفصيل المنذرين والمنذرين
فقال ولقد نادانا نوح حين ايس من قومه فلنعم المجيبون اللام جواب قسم
محذوف والمخصوص بالمدح محذوف اي فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع في نادانا
والمجيبون دليل العظمة والكبرياء واظهارهما اي ولقد دعانا فاجبناه وعظمنا انا اجبناه
احسن الاجابة ونصرناه على اعدائه وانتقمنا منهم بابلغ ما يكون ونجيناه واهله من الكرب
العظيم من الغم الذي كان فيه من اذى قومه لانه بذلك دعا ربه فاجابه والكرب
الحزن الثقيل على القلب وجعلنا ذريته هم الباقين ثم الذين بقوا وحدهم دون
غيرهم ولا دلالة فيه على عدم بقاء ذرية غيره حتى يخالف ظاهر قوله تعالى ذرية من حملنا
مع نوح لان الذرية تتناول اولاد البنات دل على عدم علو عيسى عليه السلام من ذرية
نوح عليه السلام على ما مر في سورة الانعام وتركنا عليه في الاخرين من الامم كلهم
هذه الكلمة وهي سلام على نوح في العالمين على الحكاية كقوله قرات الحمد لله اي

يسلمون عليه تسليما ويدعون له بثبوت هذه التحية في العالمين من الملائكة والثقلين
جميعا كانه قيل ثبت الله التسليم على نوح وادامه في الكل عن آخرهم انا كذلك نجزي
المحسنين علل مجازاته بتلك التكرمة السنية وعظمها بقوله كذلك اي مثل ذلك
الجزاء العظيم وهي تبقية ذكره وتسليم العالمين عليه ابدا باحسانه ثم علل احسانه بانه
واضافه الى ذاته تعالى في زمرة خواصه بقوله انه من عبادنا المؤمنين لاختصاصه
به كل ذلك لجلالة قدر الايمان وعلو شانه وانه الغاية القصوى من صفات المدح
والتعظيم اذ جعلته موجبا لكرامته واختصاصه مع كونه نبيا محتاجا ترغيبا للعباد
في الايمان والازدياد فيه الى الايقان ثم اغرقنا الآخرين ثم اخبر الله تعالى انه
اغرق من لم يؤمن من قومه وان من شيعته ممن شايع نوحا عليه السلام في التوحيد
واصول الدين لابراهيم ولا يقدح في ذلك اختلاف الشرايع فانها تختلف بحسب
اختلاف الامم وكان بينهما الفان وستماية واربعون سنة وما كان بينهما من الانبيا
الا هود وصالح عليهما الصلوة والسلام اذ جاء ربه منصوب بتقدير اذكر لا بما
في الشيعة من معنى المشايعة لان فيه الفصل بين العامل والمعمول باجنبي وهو قوله
لابراهيم وايضا لام التاكيد يمنع ان تعمل ما قبلها فيما بعدها لو قلت ان ضاربنا
لقادم علينا زيدا لم يجز بقلب سليم من جميع آفات القلب كالشرك والشك والغل
والغش ونحو ذلك استعار المجيء به للاخلاص والاعراض عما سوى الحق بالتوجه اليه
اذ قال لابيه وقومه بدل من اذ جاء ماذا تعبدون سؤال توبيخ ائفكا آلهة
دون الله تريدون افكا مفعول له اي اتريدون آلهة افكا قدم المفعول وهو آلهة
للعناية لان الانكار متوجه اليه ثم قدم المفعول له عليه لان الاهم عنده ان يكافحهم
بانهم ليسوا على غرض صحيح ويقرر عليهم انهم على الباطل ومبنى امرهم على الافك
او مفعول به وآلهة بدل منه او تفسير وبيان للمبالغة جعلت انفسهم افكا واريد
عبادتهم على حذف المضاف لدلالة ما تعبدون عليه او حال بمعنى اتريدون آلهة
من دون الله آفكين والافك اشنع الكذب واقطعه واصله قلب الشيء عن جهته
التي هي له فما ظنكم برب العالمين بمن هو الحقيق بالعبادة لكونه رب العالمين
حتى تركتم عبادته الى عبادة غيره وهو كالحجة على ما قبله ومعنى انكار الظن انه لا يقدر
في وهم ولا ظن ما يصد عن عبادته الى عبادة غيره فضلا عن القطع به او فما ظنكم به
انه اي شيء هو حتى جعلتم الاصنام له اندادا اي فما ظنكم به انه يفعل بكم اي هل تظنون
انه كيف يعاقبكم على عبادة غيره فنظر نظرة في النجوم في اوضاعها واتصالاتها او
في كتابتها او في علمها توهمهم الاستدلال على حاله وكانوا منجمين فقال اني سقيم

انما قال ذلك لانهم ارادوا ان يصحبوه الى عيدهم وكان غلب اسقامهم الطاعون
فاوهمهم السقم فهو براءة منه على ما دل عليه قوله تعالى فتولوا عنه مدبرين •
فاعرضوا عنه مولين الادبار مخافة العدوى لانه مرض معد ففعل في اصنامهم ما فعل
وقوله اني سقيم من معاريض الكلام وليس بكذب اي سقيم القلب لكفركم او مشارف
للسقم لان من كان بصدد الموت كان مستعدا للسقم فلا يخلو صحيح من ذلك فلم يكن
كاذبا فيما اظهر من الكلام فلم يلحقه به شيء من الملام اذ كان في نفسه قصد كسر الاصنام
فاحتال لاظهار الحق وابطال الباطل فكان عملا مبرورا وسعيا مشكورا فراغ
فذهب في خفية من روغة الثعلب واصله الميل بحيلة الى آلهتهم بناء على زعمهم
اي الى اصنامهم التي يزعمونها آلهة كقوله تعالى اين شركائي فقال الا تاكلون
اي الطعام الذي عندكم ما لكم لا تنطقون بجوابي استهزاء وتهكما بها وبعبدتها
وايماء الى انحطاطها عنهم فراغ عليهم فاقبل عليهم مستخفيا ضربا نصب على
الحال بمعنى ضاربا او على المصدر من فعل مقدر هو حال اي فراغ عليهم يضربهم
ضربا او من راغ لانه في معنى الضرب كانه قيل فضربهم مقبلا عليهم ضربا وتقييده
باليمين للدلالة على قوته فان قوة الآلة يستدعي قوة الفعل وقيل معناه بسبب
الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه اي الى ابراهيم عليه السلام
يزفون يسرعون من زفيف النعام وقرئ يزفون من ازف اذا دخل في الزفيف او من
ازفه اذا حمله على الزفيف اي يزف بعضهم بعضا ويزفون على البناء للمفعول اي يحملون
على الزفيف ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون زفاه اذا حداه كان بعضهم
يزفون بعضا لتسارعهم اليه قال ابراهيم عليه السلام لهم بعد محاورات كانت
بينهم ذكرها في سورة الانبياء عليهم الصلوة والسلام اتعبدون ما تنحتون تنحت
الخشبة بيدها يقول اتعبدون اصناما تعملونها انتم والله خلقكم وما تعملون
وخلق ما تعملونه من الاصنام فان جواهرها بخلقه واشكالها وان كانت بنحتهم ولذلك
نسب اليهم عملها فانها باقداره تعالى اياهم عليها وخلقه ما يتوقف عليه اعمالهم
من الآلات والجوارح والدواعي قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم في النار
الشديدة الوقود من الجحمة وهي شدة التوهج فارادوا به كيدا صنعوا لاهلاكه حظيرة
مملوة بالنار ومنجنيقا لرميه اليها من بعيد لان شدة حرها كانت مانعة عن الحضور فلذلك
عبر عنه بالكيد المشتمل على نوع من الحيلة فجعلناهم الاسفلين لما غلبهم بالحجة
ارادوا ان يهلكوه مكيدة لئلا يظهر للعامة عجزهم فابطل الله تعالى كيدهم وجعلهم الاذلين
الاسفلين وصار كيدهم حجة اخرى له عليه الصلوة والسلام ومعجزة اخرى بالصدق

بانه من عند الله تعالى والمراد من المعجزة هذا المقام الامر الخارق للعادة مطلقا لا مصطلح
اهل الكلام وقال اني ذاهب الى ربي مهاجر الى حيث امرني ربي وهو الشام او حيث
اتجرد فيه بالعبادة له تعالى سيهدين سيرشدني الى ما فيه صلاحي واستقامة
امر ديني وانما بت القول لان الله تعالى وعده الهداية فبني الامر على وعده لقوة يقينه
او بناه على عادة الله تعالى معه في هدايته وارشاده لقوة توكله وتفويضه الامر اليه
تعالى ولم ينبه على الرجا كما بنى عليه موسى عليه السلام حيث قال عسى ربي ان يهديني
سواء السبيل لانه كان في امر الدنيا لا في امر الدين فلا دلالة فيه على تقصير موسى عليه
السلام في ذلك الباب والله اعلم بالصواب رب هب لي من الصالحين ان بعض
الصالحين يستانس به في الغربة ويتفرج به عني الكربة اراد به الولد لان الهبة غالبة فيه
وان جاءت في الاخ ايضا كما في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا
على ان الموهوب فيه نبوة هارون عليه السلام لا نفسه واما البشارة بالغلام فلا تدل
على ارادة الولد بخصوصه فبشرناه بغلام حليم الفا لترتبه على هب لي كقوله تعالى
فاستجبنا ولا كلمة اقل لفظا واكثر معنى من هذه لاحتوائها على البشارة بالولد وانه
ذكر وانه يبلغ اوان الحلم لا لان غير البالغ لا يوصف بالحلم بل لان الغلام من طر شاربه
وبانه يكون حليما وقيل ما نعت الله تعالى الانبيا عليهم السلام باقل مما نعتهم بالحلم لعزة
وجوده وما نعت به الا ابراهيم وابنه عليهما السلام فلما بلغ معه السعي متعلق ببلغ
اي بلغ السعي مقارنا له وذلك لا يقتضي بلوغهما معا حد السعي كما لم يقتض قول
بلقيس اسلمت مع سليمان ان يكون مع اسلامهما الحديث كنا نخيض مع رسول الله تمامه
في صحيح البخاري ويجوز ان يتعلق بالسعي فانه معمول المصدر اذا كان ظرفا او شبهه
يجوز تقديمه عليه لان الظرف مما يكفيه رايحة من الفعل فلا حاجة في العمل فيه الى تاويل
المصدر مع الفعل على انه ليس كل مؤول بشي حكمه حكم ما اول به والمراد باختصاص الاب
بالسعي معه بيان صغر سنه اي لم يبلغ ان يسعى في الحوايج الا مع ابيه لا مع غيره لان
اباه ارفق الناس به واعطفهم عليه لا يكلفه الا ما سهل عليه وغيره ربما عنف به في الاستعما
فلا يحتمله لانه لم يستحكم قوته ولم يصلب عوده وفايدة ذلك البيان اظهار انه مع حداثة
سنه وغضاضة غصنه بلغ مبلغا من رصانة الحلم وكبر النفس وفسحة الصدر ما سهل عليه
احتمال تلك البلية العظيمة ويسر له الاجابة بذلك الجواب الحكيم قال يا بني اني ارى
في المنام اني اذبحك اي بامر الله تعالى ويدل عليه قوله افعل ما تومر وذلك ان رويا
الانبيا عليهم الصلوة والسلام وحي كما في اليقظة وانما لم يقل رايت لانه راى مرة بعد اخرى
والامر به انما كان في المنام دون اليقظة لتكون مبادرته عليه السلام للامتثال ادل على كمال

الانقياد والاخلاص فانظر ماذا ترى من الراي وانما قال على وجه المشاورة مع
انه حتم من الله تعالى عليه ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله تعالى فيثبت قدمه
ويصبره ان جزع ويامن عليه الزلل ان صبر وليوطن نفسه عليه ويلقى البلاء مستانسا
به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله تعالى وقري ماذا تري من الاراءة اي ماذا تبصر
من رايك وتبديه وماذا تري على البنا للمفعول اي ماذا تريك نفسك من الراي •
قال يا ابت افعل ما تومر اي تومره حذفه وهو منصوب واصله ما تومر به فحذف
الجار كما حذف في قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به واتصل الضمير منصوبا فجاز حذفه
او امرك على اضافة المصدر الى المفعول وتسمية المامور به امرا وقري ما تومر به على
الاصل ستجدني ان شاء الله من الصابرين على الذبح او على ما قضى الله به •
فلما اسلما يقال سلم لامر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد اذا انقاد له وخضع وقد
قري بهن جميعا واصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من ان ينازع
وقولهم سلم لامر الله واسلم له منقولان وحقيقة معناهما اخلص نفسه لله وعن قتادة
في اسلما اسلم هذا ولده وهذا نفسه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع احد
جنبيه على الارض تواضعا على مباشرة الامر بصبر وجلد ليرضيا الرحمن ويخزيا
الشيطان وروي ان ذلك المكان عند الصخرة التي بمنى وقيل في الموضع المشرف على
مسجد منى وقيل في المنحر الذي ينحر فيه اليوم وناديناه ان يا ابراهيم في ايثا
الندا على القول ايذان بتمثيل حاله بحال من يحتاج في خطابه الى رفع الصوت فان كان
الخطاب عن قريب زجرا له عما اقبل عليه وتوغل فيه قد صدقت الرويا بصدق
العزيمة والاتيان بما في وسعه من المقدمات وروي انه امر السكين على حلقه فلم تقطع
وجواب لما محذوف تقديره كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف والمقا
من استبشارهما واغتباطهما وحمدهما الله تعالى وشكرهما على ما انعم به عليهما من
دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين النفس عليه من
الثواب والرضوان والكرامة عند الله والفوز بالدين الذي ليس وراءه مطلوب
انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لتخويلهما ما خولهما من الفرج بعد الشدة والظفر
بالبغية بعد الياس ان هذا لهو البلاء المبين الاختبار البين الذي يتميز به
المخلصون من غيرهم او المحنة البينة الصعوبة التي لا محنة اصعب منها وانما قال
وفديناه والفادي في الحقيقة هو ابراهيم عليه السلام والله تعالى هو المفتدى
منه لان الله تعالى هو الذي وهب له الكبش فكان هو الممكن من الفدا بهبته فاسند
الى نفسه اسنادا الى المسبب مجازا بذبح اسم ما يذبح عظيم الجثة سمين وهي السنة

في الاضاحي وقيل عظيم القدر لانه كان فدا لنبي من انبياء الله تعالى وهو اسمعيل عليه
السلام في قول ابي بكر وابن عباس رضي الله عنهم وجماعة من التابعين واسحاق عليه السلام
فيما روي عن علي وابن مسعود والعباس رضي الله عنهم وجماعة من التابعين والاول
اظهر لانه الذي وهب له اثر الهجرة ولان البشارة بهذا الغلام ولقوله صلى الله عليه وسلم
انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل عليه السلام والاخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب
نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله تعالى له حفر زمزم او بلغ بنوه عشرا فلما سهل خرج السهم
على عبد الله ففداه من الابل ولان ذلك كان بمكة ولان قرني الكبش كانا معلقين بالكعبة
في يد اسباط اسمعيل عليه السلام حتى احترق البيت ولان البشارة باسحاق عليه السلام
كانت مقرونة بالاخبار عن ولادة يعقوب عليه السلام فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقا
واما ما روي انه اسحق عليه السلام فاخبار لم يثبت صحتها وتركنا عليه في الاخرين
ثناء حسنا ولا وقف عليه لان سلام على ابراهيم مفعول تركنا كذلك نجزي
المحسنين لم يذكر ههنا انا مع ذكرها في اواخر القصص كلها لانه قد سبق فيما مر
فاكتفى به ايجازا انه من عبادنا المؤمنين قد سبق بيانه في هذه السورة وبشرناه
باسحاق نبيا من الصالحين حالان مقدرتان كقوله تعالى فادخلوها خالدين اي
بشرناه باسحاق عليه السلام مقدرا كونه نبيا مقضيا كونه من الصالحين ولا حاجة الى
تقدير مضاف كما قيل فان تقدير الحال لا يوجب وجود ذي الحال بل تقدير وجوده وفي
ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشانه وباركنا عليه على ابراهيم عليه السلام •
وعلى اسحاق بان اخرجنا من نسلهما انبيا عليهم الصلوة والسلام وافضنا عليهما
بركات الدين والدنيا وتكرير الجار واظهار اسحاق عليه السلام للاشعار بان التبريك
عليه بالاصالة والاستقلال لا بالتبعية لكونه نبيا وبالانبيا عليهم الصلوة والسلام بني
اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب عليهما السلام ومن ذريتهما محسن في عمله بالايمان
والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعصية مبين ظاهر ظلمه وفيه تنبيه
على ان النسب لا يؤثر في الهدى والضلال وان الظلم في الاعقاب لا يعود بعيب ولا
نقيصة على الاسلاف وان المدح والذم لا يترتبان على كسب المرء وحسن عمله وقبحه
وصلاحه وفساده في نفسه لا على عمل الاصول والفروع واما انه لا تاثير للعرق الطيب
والخبيث اصلا حتى يلزم ان ينهدم حتى يلزم ان ينهدم حكم امر الطبايع والعناصر بالكلية
فينافي ما هو الظاهر من قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم ومن قوله عليه السلام
لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده بعد ذلك من ان النطفة اذا خبثت
خبث الناشي منها فلا دلالة فيما ذكر عليه ولقد مننا انعمنا على موسى

وهارون بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية ونجيناهما
وقومهما بني اسرائيل من الكرب العظيم من استيلاء فرعون وقومه
وظلمهم ومن الغرق ونصرناهم الضمير لهما ولقومهما فكانوا هم
الغالبين على فرعون وقومه واتيناهما الكتاب المستبين البليغ في
بيانه وهو التورية وهديناهما الصراط المستقيم الطريق الموصل الى
الحق وتركنا عليهما في الاخرين سلام على موسى وهارون انا كذلك نجزي المحسنين
انهما من عبادنا المؤمنين مر تفسيره في هذه السورة وان الياس لمن المرسلين
قيل ان الياس كان ادريس عليه السلام رفع قبل الطوفان الى السما ونزل بعد ذلك
ويعضده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وان ادريس في موضع وان الياس وقرئ
ادراس وقيل هو الياس بن يس بن سبط هارون اخي موسى عليه الصلوة والسلام
اذ قال لقومه الا تتقون الا تخافون الله تعالى اتدعون بعلا تعبدونه
وهو علم صنم كان لهم عظموه غاية التعظيم واخدموه اربعمائة سادن يلقنون
شرايع الضلالات من الشيطان ويقولون ان بعلا امر بكذا ونهي عن كذا وكان
اسم مدينتهم وهي من بلاد الشام فنسبت اليه وركبا اسمها باسمه وسميت بعلبك
وقيل ان البعل الرب بلغة يمن يقال من بعل هذه الدار يعني من ربها والمعنى
اتعبدون بعض البعول وتذرون احسن الخالقين تتركون عبادة الله سبحانه
وتعالى ولم يقل وتدعون مع ما فيه من صنعة التجنيس لا لانه مذموم لانه اذا
كان بداعي التصنع فهو ممدوح وهو واقع في كلام الله تعالى وكلام الرسول
صلى الله عليه وسلم بل لان في دع امارة على الترك لا يناسب المقام وهو معنى الحفظ
ومنه وديعة الله ربكم ورب ابائكم قرئ بالرفع على الابتدا وبالنصب على البدل
وكان حمزة اذا وصل نصب واذا وقف رفع فكذبوه فانهم لمحضرون اي في
العذاب وانما اطلقه اكتفاء بالقرينة او لاختصاص الاحضار المطلق بالشر عرفا
الا عباد الله المخلصين استثناء من واو فكذبوه او من المحضرين ولا استثناء من
من القوم المحضرين لعدم تكذيبهم على ما دل عليه التوصيف بالمخلصين لا من المكذ
فما ل المعنى واحد سلام على الياسين لغة في الياس وقرئ على الياسين الوصل
على انه جمع يراد به الياس وقومه كقولهم الخبيبون والمهلبون ولا يجوز حمله على
الجمع اذ قرئ بالقطع اذ لا بد للجمع من التعريف بالالف واللام واما قراءة ال يس
فعلى ان ياسين اسم ابي الياس واضيف اليه الال انا كذلك نجزي المحسنين انه
من عبادنا المؤمنين وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا

فسادٍ فيه لان

في الغابرين ثم دمرنا الاخرين سبق بيانه وانكم يا اهل مكة لتمرون في متاجركم
الي الشام فان سدوم في طريقه عليهم علي منازلهم مصبحين داخلين في الصباح
وبالليل اي مسا اي بتكرر دورهم عليها بالليل والنهار وهو الداعي الي الاعتبار
افلا تعقلون ابعد هذه المعاينة ما لكم عقول تعتبرون بها وان يونس لمن المرسلين
قرئ يونس بضم النون وكسرها اذ ابق الي الفلك الابق فرار العبد الي حيث لا يهتدي
اليه طالبه وكان يونس عليه السلام فاستعير الابق له فهرب باعتبار هذا القيد لا باعتبار
القيد الاول فقط المشحون المملو فساهم اي قارع اهل الفلك بالقا السهام
فكان من المدحضين اي من المغلوبين وحقيقته من المزلقين اي عن مقام الظفر
في الاسهام روي انه عليه السلام لما وعد بعذاب قومه خرج من بينهم هاربا قبل
ان يامره الله تعالي به فركب في السفينة فوقفت فقالوا ههنا ابق وفيما يزعم البحارون
ان السفينة اذا كان فيها ابق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة علي يونس عليه السلام
فقال انا الابق وزج بنفسه الي الماء فالتقمه الحوت ابتلعه ومنه اللقمة
وهو مليم داخل في الملامة وات بما يلام عليه او مليم نفسه واللوم العتب وقرئ
بالفتح من ليم كما جا مشيب في مشوب فلولا انه كان من المسبحين من الذاكرين
الله كثيرا بالتقديس والتسبيح مدة عمره وقيل في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت
سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين للبث في بطنه الي يوم يبعثون
عبارة اللبث دلت علي الحياة فالمعني لكان محبوسا في بطن الحوت الي يوم القيمة وفهم
منه ان لا يعم الهلاك عند النفخة الاولي الحيوانات البحرية وفيه حث علي اكثار الذكر
وتنبيه علي ان من اقبل اليه تعالي في السراء اخذ بيده عند الضراء واختلف في مدة لبثه
في بطن الحوت ولا طائل تحت ذكره فنبذناه بان حملنا الحوت علي لفظه بالعراء
بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر وغيره وما روي ان الحوت سار مع السفينة رافعا
راسه يتنفس فيه يونس عليه السلام ويسبح حتي انتهوا الي البر فلفظه مردود بقوله
فنادي في الظلمات علي ما مر بيانه في سورة الانبيا عليهم السلام وهو سقيم معتل
مما حل به وروي ان بدنه عاد كبدن الصبي حين يولد وانبتنا عليه اي فوقه مظلة
عليه شجرة من يقطين اليقطين ما ينبسط علي وجه الارض من الشجر ولا يقوم علي
ساق كشجر الدبا والبطيخ والقثا والحنظل وهو تفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به
والاكثر علي انها كانت الدبا وفائدة الدبا ان الذباب ينفر منها وهي اسرع الاشجار نباتا
وامتدادا وارتفاعا ويدل عليه انه قيل لرسول الله صلي الله عليه وسلم انك لتحب القرع
قال اجل هي شجرة اخي يونس وارسلناه الي مائة الف هو اما الارسال الي قوم اخر

واما ارسال ثان الي قومه الذين خرج من بينهم وجوز ان يكون المراد الارسال لان
الواو لا تدل علي الترتيب ويابا الفا في قوله فامنوا لانها تدل علي التعقيب بلا مهلة
او يزيدون باعتبار اخر وذلك لان المكلفين منهم كانوا مائة الف واذا ضم اليهم
من بصدد التكليف كانوا اكثر ومن هنا ظهر وجه التعبير بصيغة التجدد دون
الثبات واما ما قيل ان المعني في مراي الناظر اي اذا نظر اليهم قال هم مائة الف
واكثر فلا يظهر وجه العدول عن الظاهر وقرئ بالواو فامنوا فصدقوه
اي جددوا الايمان بحضره فمتعناهم الي حين الي اجل مسمي وقرئ حتي حين
فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون معطوف علي فاستفتهم في اول السورة وان
تباعدت بينهما المسافة لان مرجعهما امر رسول الله صلي الله عليه وسلم اولا باستفتا قريش
من وجه انكار البعث وسياق الكلام جار بما يلائمه من القصص موصلا بعضه ببعض
ثم امره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزي حيث جعلوا لله تعالي الاناث ولانفسهم
الذكور في قولهم الملائكة بنات الله تعالي مع كراهتهم الشديدة لهن واستنكافهم
عن ذكرهن كما قال تعالي واذا بشر احدهم بالانثي ظل وجهه مسودا وهو كظيم
ولقد زادوا بذلك علي الشرك ضلالات اخر التجسيم وتجويز الفنا علي الواجب الوجود
تعالي شانه لان الولادة مخصوصة بالاجسام الكائنة الفاسدة وتفضيل انفسهم
عليه تعالي حيث جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم واستهانتهم بالنوع ابين
المقربين حيث انثوهم ولهذا كرر الله انكار ذلك في كتابه العزيز مرات وبين فظاعتهم
في ايات وجعله مما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا
وخص الانكار ههنا بامرين منها مما اقرب الي العامة وافظعهما عندهم بمقتضي
العادة في التقسيم المذكور وتانيث الملائكة حيث جعل المعادل للاستفهام
ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون وانما خص علم المشاهدة لان الانوثة
من لوازم ذواتهم حتي يمكن للعقل طريقا الي معرفة ذلك ولم ينزل به كتاب فلا
طريق الي علم امثال ذلك الا بالمشاهدة مع ما فيه من الاستهزا بهم والتسفيه لرايهم
حيث يبتون بهم القول كانهم شاهدوا خلقهم والتخصيص بتقديم الظرف في
الربك ولهم وايلاؤه حرف الانكار لزيادة التشنيع وتفظيع قولهم الا انهم
من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون الافك الكلام المصروف من
الحق الي الباطل والولد فعل بمعني المفعول يقطع الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
بالغ في الانكار بالا وان واللام وتقديم من افكهم لظهور استحالته ووضوح
حجة التوحيد اصطفي البنات علي البنين استفهام انكار وتعجيب واستبعاد

والاصطفا اخذ صفوة الشي وقري بكسر الهمزة وجوز ان يكون على الاخبار باغنا
القول متعلقا بقوله لكاذبون في قولهم اصطفي البنات او ابدا له من قولهم ولد الله
من كلام الكفرة وبدون ذلك تلك القراة ضعيفة جدا لكون هذه الجملة مكتنفة
بالانكار من جانبها واقتضا المقام اختصاصها بزيادة الانكار لانه بالغ في انكا
الولادة فاقتضي الحال ان يقول خصوصا الاناث فمن جعلها للاثبات اوقعها
دخيلة بين السببين وبين نظم الكلام والجملة الاعتراضية التاكيد تراغبي وانهم
لكاذبون تزيدها ضعفا لانها مقررة لنفي الولد عن اصله موكدة لذلك فاذا كون
وجهتها الي هذه خرجت عن كونها صفة للافك وصارت كانها مجوزة للولادة المد
معارضة لصدقهم لو قالوا بها وكذا الالتفات في قوله ما لكم كيف تحكمون اي
بما يرتضيه عقل يا باه افلا تذكرون انه منزه عن ذلك وقري تذكرون والاو
ان يقال ان تلك القراة علي حذف حرف الاستفهام لوضوح دلالة قراينه وشهادة
معادله في قوله ام لكم سلطان مبين حجة نزلت عليكم من السما وخبر من نبي
بان الملئكة بنات الله اي لا يجوزه عقل ولا نزل به نقل فان كان شي من ذلك
فاتوا بكتابكم الذي ينطق بذلك كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما
كانوا به يشركون ان كنتم صادقين في دعواكم وهذه الايات واردة عن
سخط عظيم واستبعاد لاقاويلهم شديد واما الاساليب التي وردت عليها والتي
التي انتظمت لاناطقة بتسفيه احلامهم وتجهيل نفوسهم واستركاك عقولهم
مع استهزا وتهكم وتعجيب من ان يخطر مثل ذلك علي بال ويحدث به نفس فضلا عن
ان يجعلوه معتقدا ويتظاهر به مذهب وجعلوا بينه اي بين الله تعالى
وبين الجنة اي بين الملئكة عليهم الصلوة والسلام ذكرهم باسم الجنس وضعا لهم
وتقصيرا بهم ان يبلغوا هذه المناسبة التي اضافوها لهم وان كانوا في انفسهم مكرمين
معظمين لاقتضا المقام التحقير نسبا وهو زعمهم انهم بنات الله تعالى والمعني
وجعلوا بما قالوا نسبة بين الله تعالى وبينهم ونسبوا له بذلك جنسية جامعة
وللملئكة والجنة جنس يشمل كل من يجتن ولا يونس لكن من صفا ذاته وتنور ونسك
وطهر وكان خيرا وكان ملكا ومن تكدر جوهره واظلم وخبث ومرد وكان شرا كله
كان شيطانا وقيل قالوا ان الله تعالى صاهر الجن وقيل قالوا ان الله تعالى
والشيطان اخوان فعلي هذا لا يتناول اللفظ الملئكة ولقد علمت الجنة انهم
اي الكفرة لمحضرون النار ومعذبون بما يقولون فيعذبون به وانما نسب
العلم الي الذين ادعوا لهم تلك النسبة وعظموهم ووضع محضرون موضع كاذبون

كب

للمبالغة في التكذيب اي ان الذين تحمونهم بهذا النسب وشرفوهم يعلمون انهم في ذلك
كاذبون مفترون بما يقولون فيعذبون وقيل ان فسرت الجنة بالجملة لشياطين ان الله تعالى
يعذبهم ويحضرهم النار ولو كانوا مناسبين له تعالى لما عذبهم وفيه ان علم الشياطين
بذلك غير معلوم لا بشهادة العقل ولا بشهادة النقل علي ان نسبة العلم اليهم قليل
الجدوي سبحان الله عما يصفون من الولد والنسب الا عباد الله المخلصين
استثنا منقطع من المحضرين اي ولكن المخلصين ناجون او من واو يصفون اي ولكن
المخلصين تبراون ان يصفون به ولاستعظام ذنبهم اوقع التنزيه معترضا بين
المستثني والمستثني منه فانكم وما تعبدون عود الي خطابهم ما انتم عليه
علي الله تعالى بفاتنين مفسدين الناس بالاغوا يقال فتن فلان علي فلان
امراته اذا افسدها عليه وانتم ضمير لهم ولالهتهم غلب فيه المخاطب علي الغايب والفا
في فانكم للسببية من الاستثنا اي اذا كان المخلصون برا من ذلك فلا تفتنون انتم
وما تعبدون الا من هو من اصل النار ويجوز ان تكون الواو بمعني مع وما تعبدون
ساد مسد الخبر كقولك كل رجل وضيعة بمعني انكم مع ما تعبدون بمعني فانكم قرنا
واصحاب لا يزالون يعبدونها ثم قال ما انتم عليه اي علي ما تعبدون بفاتنين
باعثين او حاملين علي طريق الفتنة والضلال الا من هو صال مثلكم صال النار
فهو كلام مبتدا الا من هو صال الجحيم بكسر اللام اي لستم تضلون احدا الا اصحاب
النار الذي سبق في علمه تعالى انهم بسوء هم يستوجبون ان يصلوها وقري صال
بضم اللام علي الجمع والتقا الساكنين بمعني صالوا محمولا علي معني من التوحيد
في هو علي لفظه او علي حذف لامه واجراء الاعراب علي عينه كما خذف من قولهم
ما باليت به بالة واصله بالية من بالي كعافية من عافي او علي القلب حتي يصير
صايل ثم يقال صال في صايل كما يقال شاك في شايك وما منا احد الا له مقام
معلوم اي رتبة معلومة عند الله تعالى معينة لا يتجاوزها وهو حكاية اعتراف
الملئكة بالعبودية ردا علي عبادتهم والوجه ان يكون هو وما قبله من قوله سبحان
الله الي قوله لنحن المسبحون من كلامهم متصلا بقوله ولقد علمت الجنة كانه قال
ولقد علم الملئكة ان المشركين معذبون بذلك وقالوا سبحان الله تنزيها ثم استثنوا
المخلصين تبريا لهم ثم خاطبوا الكفرة بالافتنان بذلك للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا
بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيها لا يتجاوزه وليس هذا من حذف الموصوف واقامة
الصفة مقامه كما قيل لان احد المحذوف مبتدا والا له مقام معلوم خبره وانا لنحن
الصافون اقدامنا واجنحتنا في ادا الطاعة ومنازل الخدمة وانا لنحن المسبحون

المنزهون ربنا عما لا يليق بشانه والاول اشارة الي درجاتهم في الطاعة وهذا في المعا
وما في انا واللام وتوسيط الفصل وتعريف الخبر في جملتي اخر الكلام الملكية من
التاكيد والاختصاص لانهم مواظبون علي ذلك دايما من غير فترة دون غيرهم
وان كانوا ليقولون ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة اي فانهم
كانوا يقولون اي مشركوا قريش لو ان عندنا ذكرا من الاولين اي كتابا من
كتب الاولين لكنا عباد الله المخلصين لاخلصنا العبادة لله تعالي ولما كذبنا
وخالفنا كما كذبوا وخالفوا فكفروا به اي لما جاءهم الذكر الذي هو اشرف
الاذكار والكتاب الذي هو معجز من بين الكتب كفروا به فسوف يعلمون عاقبة
كفرهم اذا حل بهم الانتقام ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين اي حكمنا
او وعدنا لهم بالنصر والغلبة وهو قوله انهم لهم المنصورون وان جندنا
لهم الغالبون وهي باعتبار الغالب والمقتضي بالذات لا باعتبار كل مرة وانما
سميت كلمة وهي كلمات لانتظامها في معني واحد فهي في حكم كلمة واحدة وقري كلماتنا
وقري علي عبادنا علي تضمين سبقت معني حقت فتول عنهم فاعرض عنهم واعف
علي اذاهم حتي حين الي مدة يسيرة هي الموعد لنصرهم قيل هو يوم بدر وقيل
يوم الفتح وابصرهم علي ما يصيبهم حينئذ من القتل والاسر وفي مجيئه علي صيغة
الامر تنبيه علي انه كاين لا محالة قريب كانه قدامك وفيه تسلية لرسول الله صلي الله
عليه وسلم وتنفيس عنه فسوف يبصرون يبصرونك علي ما ينالك من النصرة
والغلبة وسوف للتاكيد في الوعيد لا للتبعيد روي انهم لما نزل فسوف يبصرون
قالوا متي هذا فنزل افبعذابنا يستعجلون فاذا نزل اي العذاب قري علي
البنا للمفعول مسندا الي الجار والمجرور كقولك ذهب بزيد وقري نزل مشددا
بساحتهم بفنائهم فساء وقري فبيس صباح المنذرين صباحهم واللام
للجنس لاقتضائه فعلا لذم ذلك والصباح الغارة ولما كانت عادة مغاويرهم ان
يغيروا صباحا سميت الغارة به اي وقت وقت ولو عشاء شبهه بجيش هجمهم فاناخ
بفنائهم بغتة فهو من باب التمثيل وقيل هو نزول رسول الله صلي الله عليه وسلم خيبر
وكانوا خارجين الي مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد والخميس فرجعوا الي حصنهم فقال
عليه السلام الله اكبر خربت خيبر فاذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين •
وتول عنهم حتي حين وابصر فسوف يبصرون في تكريره تاكيد لوقوع الميعاد علي
تاكيد وتسلية بعد تسلية واطلق الفعلان في الثاني بعد تقييد الفعل الاول بالمفعو
لزيادة المبالغة في عذابهم كما بولغ في نصرته اجمالا انه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط

به الوصف من انواع المسرة واصناف المساءة او ارتبط بالاول عذاب الدنيا وبالثاني
عذاب الاخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون عما قاله المشركون فيه واضاف
الرب الي العزة لاختصاصها به اذ لا عزة الا له ولمن يعزه وقد ادرج فيه جملة صفات
الثبوتية والسلبية مع الاشعار بالتوحيد وسلام علي المرسلين تعميم للرسل
بالتسليم بعد تخصيص بعضهم والحمد لله رب العالمين علي ما افاض
عليهم وعلي من تبعهم من النعم وحسن العاقبة ولذلك اخره عن التسليم ولما كان
مدار الكلام في هذه السورة علي مقالة المشركين في الله بنسبة الولد والشريك اليه
تعالي ومقالة الرسل معهم ومقاساتهم اياهم وما منحوا به من التاييد والنصرة
عليهم ختمها علي وفق ما ضمنت بالتنزيه عما يصفونه والتسليم علي المرسلين عليهم
السلام بما تحملوا من اعباء الرسالة واذي المرسل اليهم والتحميد علي ما انعم به
عليهم من النصرة في العواقب واعزاز الدين واعلاء كلمته والله اعلم بالصواب

سورة الملك ثلاثون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك تعالي عما يدركه الحواس والاوهام وتعاظم عما يحيط به القياس والافهام
الذي بيده بقبضة قدرته الملك يتصرف فيه كيف يشاء والملك عالم الاجسام
كما ان الملكوت عالم الارواح فلذلك وصف ذاته تعالي باعتبار تصريفه في عالم الملك
وتدبيره اياه بحسب مشيئته بالتبارك الذي هو غاية التعظم في افاضة الخير والبركة
والزيادة فيها وباعتبار تسخيره عالم الملكوت بمقتضي ارادته بالتسبيح فهو كون مراد
بالتسبيح هو كونه منزها عن مشابهة طبيعة الاجسام حيث قال فسبحان الذي بيده
ملكوت كل شي كلا بما يناسبه لان الزيادة والبركة تناسب الاجسام في نموها وازديادها
والتنزه يناسب المجردات عن المادة وهو علي كل شي قدير سواء كان ذلك الشي من
عالم الملك او من عالم الملكوت ففيه دفع ما عسي ان يسبق الي الوهم من تخصيص الملك
بالذكر اختصاص الحكم السابق الذي بدل من الذي قبله او خبر مبتدا محذوف •
خلق الموت والحيوة الخلق بمعني الايجاد ان كان الموت ضد الحيوة وبمعني التقدير ان
كان عدمها وانما قدم الموت عليها لانه ادعي الي حسن العمل فذكره في المقام اهم
واما قوله تعالي وكنتم امواتا فاحياكم فالموت فيه علي المعني المجازي ليبلوكم ليعاملكم
معاملة المختبر من البلوي وهي الخبرة ايكم احسن عملا في الدنيا بالزهد في امورها
والرغبة عنها وكان الاختبار في قوله تعالي انا جعلنا ما علي الارض زينة لها لنبلوهم ايهم
احسن عملا غير مخصوص بالمكلفين بالشرايع كذلك ههنا غير مخصوص ثم جملة واقعة

موقع المفعول الثاني لفعل البلوي من حيث انه تضمن معني العلم فليس هذا من باب
التعليق لان الجملة المعلق عنها يجب ان تقع موقع المفعولين معا ولما قدم الموت
الذي هو اثر صفة القهر على صفة اللطف في قوله وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه
من اسا العمل الغفور الستار الذي لا ييأس اهل الاساءة والزلل الذي خلق
سبع سموات طباقا متطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل اذا خصفها طبقا
على طبق وجمع طبق كجمل وجمال او طبقة كثمرة وثمار صفة ان كان جمعا او وصف
بالمصدر او على ذات طباق او طوبقت طباقا والخطاب في ما ترى في خلق الرحمن
لكل احد للتعجب العام من التناسب التام في خلقهن من تفاوت من اختلاف في الخلقة
وقرئ من تفوت ومعني البنائين واحد كالتعاهد والتعهد وحقيقة التفاوت عدم
التناسب كان بعض الشيء يفوت بعضا ولا يلايمه وقوله في خلق الرحمن من باب وضع
الكبرى موضع النتيجة اثباتا للحكم بعلته وذلك ان اصل الكلام ما ترى فيهن من
تفاوت لانه من خلق الله تعالى وما ترى في خلقه من تفاوت وفي اضافة الرحمن اشعار
بان ذلك التناسب اثر الرحمة لانه مدار نظم العالم والجملة صفة ثانية للسبع
فارجع البصر هل ترى متعلق بما قبله على معني التسبب اي ان اردت ان تتحقق
ما اخبرتك به فارجع البصر هل ترى من فطور صدوع وشقوق جمع فطر وهو
الشق والمراد الخلل ثم ارجع البصر معني التراخي في ثم هو ان يتوقف بعد كلال
البصر بكثرة المراجعة حتى يجم بصره ثم يعاود ويعاد فلا ينقلب اليه الا بالبعد عن المطلوب
والكلال ولا يعثر على شيء من التفاوت والفطور والمراد بالتثنية في كرتين التكرير
والتكثير كما في قولهم لبيك وسعديك ولذلك اجاب الامر بقوله ينقلب اليك البصر
خاسئا بعيدا عما طلب كانه طرد عنه بالصغار وهو حسير كليل من كثرة المراجعة
وطول المعاودة ولقد زينا السماء الدنيا القربى منكم وفي هذا التوصيف دلالة
على ان الزينة في الواقع لا في الرؤية اذ لا تمايز بين عليا ها ودنياها في النظر بمصابيح
استعير للكواكب المضيئة بالليل والتنكير للتنويع اي بمصابيح ليست من جنس مصابيحكم
وجعلناها رجوما جمع رجم بالفتح وهو مصدر سمي به ما يرجم به للشياطين اي
ضممنا الى التزيين فائدة اخرى جليلة هي رجم الشياطين التي تسترق السمع بالشهب
المنقضة وقد عين هذا المعني قوله وحفظا من كل شيطان مارد والقران يفسر بعضه
سيما في حكم واحد فلا وجه لما قيل معناه وجعلناها ظنونا لجنس الانس وهم المنجمون
وفيه دلالة على ان الكواكب التي استعيرت لها المصابيح في السما الدنيا لان انقضاض
الشهب لا يتصور من ساير السموات وقد مر في سورة الانبيا ان تحت السما فلك هو

موج مكفوف فيه الكواكب كلها وعن كعب ان السماء الدنيا لانها موج مكفوف واعتدنا
لهم عذاب السعير في الاخرة بعد الاحراق بالشهب في الدنيا والسعير اشد الحريق
وللذين كفروا بربهم من الثقلين عذاب جهنم وقرئ بالنصب على ان للذين عطف
على لهم وعذاب جهنم على عذاب السعير وبئس المصير المرجع اذا القوا فيها
طرحوا في جهنم كما يطرح الحطب في النار العظيمة سمعوا لها لجهنم شهيقا صوتا
منكرا كصوت الحمار شبه حسيسها الفظيع بالشهيق قال ابن عباس رضي الله عنهما
الشهيق لجهنم عند القا الكفار فيها تشهق اليهم شهقة البغلة للشعير ثم تزفر زفرة
لا يبقى احد الا خاف واما الزفير والشهيق المذكوران للكفار في قوله تعالى لهم فيها
زفير وشهيق فذلك بعد القرار في النار وبعد ما قيل لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون
فصاروا لا يتكلمون ولم يبق لهم الا اصوات منكرة لا حروف معها وهي تفور ترفع
بهم بالغليان فان الفور ارتفاع الشيء بالغليان لا الغليان نفسه ومنه الفوارة
لارتفاعها بالماء ارتفاع الغليان تكاد تميز تتميز اي تتقطع وتتفرق من الغيظ
على الكفار تمثيل لشدة اشتعالها بهم ويجوز ان يراد غيظ الزبانية واسند اليها
للملابسة والغيظ الغضب الكامن ولا يلزم ان يكون من العجز كما توهمه الجوهري
لقوله تعالى والكاظمين الغيظ فانه في مقام المدح والعاجز بمعزل عنه كلما القي
فيها فوج من الكفار المكذبين للرسل بدلالة قوله فكذبنا فلا حجة فيها للمرجئة
على انه لا يدخل النار احد الا الكفار لانه تبين حال الداخلين فيها وادي سالهم
اي قال لهم على ما صرح به في سورة الزمر وفي التعبير عنه بالسؤال غير موفر حقه
بالتعدية الى مفعوله الى المفعول الثاني تنبيه على انه ليس بسؤال حقيقة
بل تقريع وتوبيخ في صورة السؤال خزنتها حفظة جهنم وهم الملائكة الموكلون
بتعذيب اهلها توبيخا لهم الم يأتكم نذير رسول من جنسكم يخوفكم من هذا
العذاب وحمل النذير على ما في العقول من الادلة المحذرة المخوفة يرده قوله تعالى
وقال لهم خزنتها الم يأتكم نذير منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا
قالوا بلى قد جاءنا نذير اعتراف منهم بان الله تعالى ازاح عللهم بارسال الرسل
وحمل النذير على معني الجمع لمساعدة الصيغة له لا يحتمله المقام لان معنى فكذبنا
فكذب كل واحد منا النذير الذي جاءنا وكل واحد منهم لم يكذب رسلا متعددة جاؤهم
كيف وقوم نوح ما جاءهم الا نوح عليه السلام وقلنا ما نزل الله من شيء اي فكذبنا
وافرطنا في التكذيب حتى نفينا الانزال والارسال راسا وعلى وفق هذا ورد ما
في حذف المفعول من الايما الى ان تكذيبهم لم يكن لرسولهم خاصة فقولهم ان انتم الا

الا في ضلال كبير خطاب لرسولهم الله صلى الله عليه وسلم ولامثاله على التغليب واقامة
تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل اشارة اولا الى عموم تكذيبهم للرسل وبعدما صرحوا بما
يقتضي ذلك اخرجوا ما في حيز الاشارة الى معرض العبارة ويجوز ان يكون من كلام الخزنة
على ارادة القول والمراد بالضلال الهلاك او الضلال في الدنيا حكاية لما كانوا عليه فيها
وقالوا لو كنا نسمع اي نفهم بتفهيم الغير كقوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم
او نعقل من عند انفسنا بالتامل في الايات الظاهرة الدالة على وجوده تعالى ووحدته
والبينات على صحة الدعوى من الرسل عليهم السلام وقيل نسمع سماع قبول وطاعة
او نعقل عقل متفكر متامل وكلمة او بمعنى الواو كما في قوله تعالى ان يشا يرحمكم او ان
يشا يعذبكم اذ لا استقلال في كل من السمع والعقل في الحكم المذكور بعده او تنزيل شرط
العلة في منزلة تمامها تفصيلا لمواضع التفريط واعتنا بشان كل منهما في مقام التحسير
ما كنا في اصحاب السعير في جملة من اعدت لنا رهم فاعترفوا بذنبهم حين لا ينفعهم
الاعتراف وفي افراد الذنب اعتبار الاصل له اشارة الى ان ما اعترفوا امر مشترك بينهم
وهو الكفر بسبب تكذيب الرسل فسحقا لاصحاب السعير السحق بتحريك الحا وتسكينها
البعد وانتصابه على انه مصدر وقع موقع الدعا اي فاسحقهم الله سحقا واصحاب
السعير الشياطين لان اعداده كان لهم لا لكل من دخل فيه وقد اشير الى ذلك في
سياق كلامهم حيث قيل في اصحاب السعير ولم يقل من اصحاب السعير ولما فصل فيه
بينهم وبين اصحاب السعير وانما عدل الى ما ذكر تغليبا لاصحاب السعير عليهم للتحقير
والتعليل والمبالغة في التهديد على وجه الايجاز ان الذين يخشون ربهم بالغيب
الخشية خوف يشعر به تعظيم المخشي مع المعرفة به ولهذا قال الله تعالى انما يخشى الله
من عباده العلما وانما قال بالغيب اذ عند العيان لا يبقى للخشية شان لهم مغفرة
واجر كبير متعلق التخصيص المستفاد من تقديم الجار والمجرور مجموع الامرين
فلا يلزم اختصاص مغفرة الذنوب بالذين يخشونه تعالى واسروا قولكم او اجهروا به
ظاهره الامر باحد الامرين الاسرار والاجهار ومعناه المبالغة في استوائهما في علم
الله تعالى ثم علله بقوله انه عليم بذات الصدور اي بضمائرها من غير ان تترجم
الالسنة عنها فكيف لا يعلم ما تكلم به ثم انكر بقوله الا يعلم من خلق اي الا يحيط علما
بالمستتر والمجهر من خلق الاشيا كلها وهو اللطيف الخبير وحاله ان المتصل علمه لما
بطن من خلقه وما ظهر فهو تذييل بعد التعليل روي ان مشركي مكة كانوا ينالون
من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل عليه السلام بما قالوا فيه ونالوا منه
فقالوا فيما بينهم اسروا قولكم كيلا يسمعه اله محمد فنزلت هو الذي جعل لكم الارض ذلولا

لينة

لينة ليسهل لكم التطرق فيها بالحركة والسكون وغير ذلك فامشوا في مناكبها شبهت
الارض في غاية تذليلها بالبعير وجعلها مما يمس المذلل والمشي في المناكب مثل لفرط التذليل
ومجاوزته الغاية فان منكبي البعير وملتقاهما من الغارب ارق وانبا عن ان يطاه الراكب
بقدمه فاذا جعلها في الذل بحيث يمشي على مناكبها لم يترك شيا من التذليل وحق
المثل ان تكون المفردات على حالها فلا استعارة في لفظ المناكب وقيل استعير المناكب
للجبال قال الزجاج معناه سهل لكم السلوك في الجبال فاذا امكنكم السلوك فيها فهو
ابلغ التذليل وقيل استعير لجوانبها وكلوا من رزقه التمسوا من نعم الله تعالى
وتخصيص الاكل بالذكر لكونه اهم واعم واليه النشور اي الى الله تعالى خاصة
نشوركم فهو مسائلكم عن شكر ما انعم به عليكم اامنتم من في السماء امره وقضاؤه
والوهيته كقوله وهو الذي في السما اله وفي الارض اله والهمزة للانكار وقري
بقلب الهمزة الثانية الفا ان يخسف بكم الارض كما خسفها بقارون وهو بدل
من من بدل الاشتمال والخسف ان تنهار الارض وتغيبه بنفسه وبكم حال اي مخسوفا
بكم فاذا هي تمور المور الاضطراب في المجي والذهاب ام امنتم من في السماء
ان يرسل عليكم حاصبا كما فعل بقوم لوط عليه السلام والحاصب الحجارة التي
يرمى بها فستعلمون كيف نذير اي اذا رايتم المنذر به علمتم كيف انذاري حين
لا ينفعكم العلم به ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير اي انكاري عليهم
بانزال العذاب وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لقومه اولم
يروا الى الطير الاعتبار بالطير يناسب المقام اذ تقدم الحاصب في الكلام وقد اهلك
الله تعالى اصحاب الفيل بالطير والحاصب الذي رمتهم به ففيه اذكار قريش بهذه
القصة فوقهم صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند الطيران فانها اذا بسطتها
صففن قوادمها صفا والصف وضع الاشيا المتوالية على خط مستقيم ويقبضن
ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن ولما كان الاستدلال على قدرة الله تعالى
بالطيران والاصل فيه بسط الاجنحة واما القبض فكان للاستظهار على التحريك
للبسط لم يقل وقابضات ليدل على ان القدرة على ما هو خلاف الطبع انما هي في البسط
واما القبض فبطرو وقتا بعد وقت لاحتياج البسط اليه في التحريك فان الطيران
في الهوا كالسباحة في الما فكما ان الاصل في السباحة مد الاطراف والقبض انما يكون
تارات للاستعانة على البسط فكذلك في الطيران ما يمسكهن في الجو على خلاف
الطبع الا الرحمن الشامل الرحمة للكل بقدرته بما دبر لهن من القوادم والخوافي
وخصهن بهيئات واشكال يتهيأ بها الجري في الجو وما يمسكهن مستانف وان جعل

حالا من الضمير في يقبضن بخوف انه بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق ويدبر ويهيئ لكل
شيء ما يصلح لما خلق له واراده منه ام من هذا الذي هو جند لكم ام من يشار اليه
من الحزب المجموع ويقال هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان
ارسل عليكم عذابه ليس من هذا الذي معادله لهمزة الاستفهام في اولم يروا ومن
مبتدا وهذا خبره والموصول مع صلته صفة هذا وينصركم وصف جند محمول على لفظه
والمعنى اولم ينظروا الى هذه الصنايع العجيبة فيعلموا قدرتنا على تعذيبهم بخسف
او حاصب ام لكم جند ينصركم من دون الله تعالى ان ارسل عذابه وهو نحو قوله تعالى
ام لهم الهة تمنعهم من دوننا الا انه اخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم
اشعارا بانهم اعتقدوا هذا القسم ان الكافرون الا في غرور اي ما هم الا في غرور
ام من هذا الذي يرزقكم ام من يشار اليه ويقال هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه
تقديرا وفيه ايذان بان هذا اشارة الى جميع الاوثان لاعتقادهم انهم يحفظون
من النوايب ويرزقون ببركة الهتهم فكانهم الجند الناصر والرازق على اعتقادهم
والامثال اللزوم المانع عن السقوط فلما لم يتعظوا اضرب عنهم فقال بل لجوا
اللجاج تقحم الامر مع كثرة الصارف عنه في عتو العتو هو الخروج الى فاحش الفساد
ونفور النفور النبو عن الشيء هربا من الشعور بضرره اي اصروا على العناد
وتمادوا في الشراد عن الحق النافع زاعمين انه باطل ضار ثم ضرب مثلا للكافر
والمومن فقال افمن يمشي مكبا المشي جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعي
فاذا ازداد فهو عدو والنقلة اعم من المشي لتحققها بدونه فيمن زحف و[illegible]
الحركة اعم من النقلة لوجودها بدونها فيمن يدور في مكانه مكبا اكب مطاوع كب
ودخل في الكب وهو السقوط في الوهدة ونحو اقشع السحاب دخل في القشع وهما من
باب انفض والام لا من باب المطاوعة كما توهم فان مطاوع كب انكب وانقشع
ولم يجي من باب افعل مطاوع على وجهه عاثرا كل ساعة يخر على وجهه لوعورة الطريق
واختلاف اجزايه في الارتفاع والانخفاض ولذلك قابله بقوله سويا على صراط مستقيم
واكتفي بما في الكب من الدلالة على المسلك اشعارا بان ما عليه المشرك لا يستاهل ان
يسمى طريقا وخبر من اهدى اي ارشد ام من يمشي سويا اي قايما سالما من
العثور على صراط مستقيم لا ميل فيه اصلا فينتفي فيه الصعود والهبوط و
العدول عن قصد السبيل وقد مر التفصيل في تفسير سورة الفاتحة وخبر من محذوف
لدلالة اهدى عليه وقيل المكب الذي يحشر على وجهه الى النار لانه مكب على المعاصي
والسوي الذي يمشي على قدميه الى الجنة لانه كان على طريق التوحيد والاسلام ○

قل

قل هو الذي انشاكم وجعل لكم السمع لتسمعوا المواعظ والابصار لتنظروا
صنايعه والافيدة لتتفكروا وتعتبروا قليلا ما تشكرون هذه النعم
والمعنى تشكرون شكرا قليلا وما زايدة ويحتمل ان القلة عبارة عن العدم قل
هو الذي ذراكم خلقكم في الارض واليه تحشرون للجزاء والحشر السوق من
جهات مختلفة الى مكان واحد ويقولون متى هذا الوعد يعنون وعد البعث
ان كنتم صادقين يعنون النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين قل انما العلم
علم وقته عند الله لا يطلع عليه احد غيره وانما انا نذير مبين مخوف ظاهر
وذلك ان بعثته عليه الصلوة والسلام كانت من اشراط الساعة فكان صلى الله
عليه وسلم منذرا حالا وقالا على ما اشار اليه انا النذير العريان فلما راوه الضمير
للوعد بمعنى الموعود زلفة نصب على الحال اي ذا زلفة اي قرب منهم او على الظرف
اي مكانا ذا زلفة اي فلما راوا ما وعد قريبا سيئت وجوه الذين كفروا من باب
وضع الظاهر موضع المضمر واصل النظم ان يقال فلما راى الذين كفروا الموعد ساءت
رؤيته وجوههم فغير الى ما ترى للذم والايذان بان سبب الاساءة والنكاية برؤية
الوعيد انما هو الكفر وكذلك فمن يجير الكافرين في موضع يجيركم وقيل هذا
الذي كنتم به تدعون تفتعلون من الدعا وقيل من الدعا وقيل من الدعوى وقيل
تدعون بالتخفيف قبل القايلون هم الزبانية اي تطلبون وتستعجلون به او كنتم
بسببه تدعون وتزعمون انكم لا تبعثون قل ارايتم ان اهلكني الله اماتني
ومن معي من المومنين او رحمنا بتاخير اجالنا فمن يجير الكافرين من عذاب
اليم لا ينجيهم احد من العذاب متنا او بقينا وهو جواب لقولهم نتربص به ريب
المنون وفيه تعريض بان الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه يتربصون احدى
الحسنيين فالهلاك الذي يطلبونه لهم انما هو استعجال الفوز والسعادة وانتم
على صفة ليس وراها الا الهلاك الذي لا هلاك بعده وانتم غافلون لا تطلبون
الخلاص منه قل هو الرحمن الذي ادعوكم اليه مولى النعم كلها امنا به
للعلم بذلك وعليه توكلنا للوثوق عليه وانما اخرت صلة امنا وقدمت صلة توكلنا
لوقوع امنا تعريضا بالكافرين حيث ورد عقيب ذكرهم كانه قيل امنا ولم نكفر كما كفرتم
ثم قيل وعليه توكلنا خصوصا لم نتكل على ما انتم متكلون عليه من رجالكم واموالكم
فستعلمون من هو في ضلال مبين منا ومنكم وقرى بالغيبة ردا على قوله فمن يجير
الكافرين قل ارايتم ان اصبح ماوكم غورا غايرا ذاهبا في الارض لا ينالها الدلا
يقال غار الماء غورا اذا اسفل في الارض مصدر وصف به للمبالغة فمن ياتيكم بماء معين

ظاهر للعيون او جار على وجه الارض فهو على الاول مفعول من العين كمبيع
من البيع وعلى الثاني من الامعان في الجري فوزنه فعيل كانه قيل بمعين في الجري

سورة النبا اربعون وآية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

عم اصله عما على انه حرف جر دخل على ما الاستفهامية وقرئ على الاصل ثم حذفت
الالف فرقا بين الاستفهام والخبر وهي القراة وقرئ عمه بهاء السكت اما اجرا
للوصل مجرى الوقف واما وقفا على اضمار يتساءلون والابتدا بما بعده على الابهام
والتفسير ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شان المستفهم عنه كانه قال عن اي شان
يتساءلون ونحوه ما في قولك زيد ما زيد جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كانه شي
خفي عليك جنسه فانت تسال عن جنسه هذا اصله ثم جرد للعبارة عن التعظيم حتى
وقع في كلام من لا يخفى عليه خافية ويناسب المعنى المذكور هما في البناء وصفه من
الدلالة على الخطر يتساءلون يسال بعضهم بعضا والضمير لاهل مكة او يسالون
غيرهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كما ذكر في بيدا عوتهم كان
المشركون يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويسالون المؤمنين عنه على طريق الاستهزا
وقرئ يسالون بالادغام عن النبا العظيم بيان لشان المفخم او صلة يتساءلون
وعم متعلق بمضمر مفسر به ولا دلالة على هذا في قراة السكت لانتظامها كلحن الو
على ما نبهت عليه انفا والنبا الخبر الذي له شان الذي هم فيه مختلفون منهم
من يقطع بنفيه ومنهم من يشك فيه ولا يجوز ان يكون الاختلاف بالاقرار والانكار
لان الفريقين كلاهما في حيز الردع وعلى هذا يلزم ان لا يدخل احد منهما فيه وفيه ما فيه
على ان يكون الضمير في يتساءلون للمسلمين والمشركين جميعا كلا ردع للسائلين
سيعلمون وعيد وتخويف مما يتعلق به العلم تهويلا اي سيعلمون ما يحل بهم وقيل
المعنى سيعلمون حين يروا العذاب ان ما تساءلون عنه حق ويضحكون منه وقرئ
بالتاء على تقدير قل لهم ثم كلا سيعلمون تكرير الردع مع الوعيد تشديد في ذلك
ومعنى ثم الاشعار بان الثاني ابلغ من الاول واشد وقيل الاول عند النزع والثاني في القيمة
وقيل الاول عند البعث والثاني عند الجزا الم نجعل الارض استفهام بمعنى التقرير
مهادا ولجا وهو القرار المتهيا للتصرف فيه من غير اذية تذكيرهم ببعض ما عاينوا
من عجائب الصنع الدال على كمال قدرته ليستدلوا بذلك على البعث كما ذكر مرارا وقرئ
مهدا اي انها لكم كالمهد للصبي وهو ما يمهد فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر
او وصفت بالمصدر او بمعنى ذات مهد والجبال اوتادا اي للارض كيلا تميد بكم

ميد المهد بما فيه فهو تكميل لما قبله ولذلك لم يفصل بينهما باعادة الفعل وخلقناكم
ازواجا ذكرا وانثى حتى يصح منكم التناسل وجعلنا نومكم سباتا قطعا عن الحركة
والاحساس استراحة للقوى الحيوانية وازاحة لكلالها بتعطيل الحواس وجعلنا
الليل لباسا غطاء استارا بظلمته فيه لقوته لغاية فيه المقصودة من جعل النوم
سباتا وجعلنا النهار معاشا متصرفا للعيش فهو ظرف لا مصدر فلا حاجة
الى اضمار الوقت والعيش الاعتياش الذي يبقى مع الحيوة على حال الصحة والنهار
اتساع الضيا المنبث في الافاق وبنينا فوقكم سبعا سبع سموات شدادا
قوية الخلق محكمة لا يوثر فيها مرور الدهور وكرور الشهور وجعلنا سراجا وهاجا
مضيا وقادا اي جامعا للنور والحرارة والمراد الشمس وانزلنا من المعصرات
اي السحايب اذا اعصرت اي شارفت ان يعصرها الرياح فتمطر او الرياح التي حان
لها ان تعصر السحاب وانما جعلت مبدا للانزال لانها تنشي السحاب وتدر اخلافه ويويد
قراة بالمعصرات وان ربنا السحاب فتوجيه تلك القراة ان الانزال اذا كان منها فهو بها
ماء ثجاجا منصبا بكثرة وقرئ بالحاء المهملة ومثاجح الماء مصابه لنخرج به حبا
ما يقتات به كالحنطة والشعير ونباتا ما يعتلف به من التبن والحشيش وجنات
الفافا ملتفة لا واحد له كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد منه كجذع واجذاع
وانشد حسن بن علي الطوسي

جنة وعيش مغرق ∴ وندامي كلهم بيض زهر

او لفيف كشريف واشراف وزعم ابن قتيبة انه لفا ولف ثم الفاف ولم يوجد له نظير
من نحو حمر واحمار وخضر واخضار وقيل جمع ملتفة بحذف الزوائد ان يوم الفصل
كان ميقاتا حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه
يوم ينفخ في الصور بدل من يوم الفصل او عطف بيان له فتاتون من القبور
الى المحشر افواجا جماعات وفتحت السماء شققت لنزول الملائكة كما قال ويوم
تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقرئ بالتخفيف فكانت ابوابا اي كثرت
طرقها فصارت كان كلها ابواب مفتحة لقوله وفجرنا الارض عيونا كان كلها عيون
تنفجر وسيرت الجبال اي في الهوا كالهبا بل كالعهن المنفوش على ما مر في سورة
النمل بني اسرائيل فكانت سرابا فصارت مثل سراب اذ يرى على صورة الجبال ولم
يبق حقيقتها لتفرق اجزائها وانبثاث جواهرها ان جهنم كانت مرصادا موضع
رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار او خزنة الجنة المؤمنين لا ليحرسوهم من فيحها في
مجازهم عليها لانهم مستغنون عن تلك الحراسة لغلبة نورهم على نار جهنم حتى ورد

كان في علم الله تعالى وحكمه

في صحيح الخبر ان جهنم تتاذى من نورهم عند عبورهم وقد مر في تفسير قوله تعالى
وان منكم الا واردها ان المؤمنين يمرون عليها وهي خامدة بل لاستقبالهم عندها
لان مجازهم عليها والراصد للشيء المراقب له او محدة في ترصد الكفار لئلا يشذ منها واحد
فان مفعالا من ابنية المبالغة وقرئت بالفتح على التعليل لقيام الساعة بان جهنم
كانت مرصادا كانه قيل كان ذلك لاقامة الجزاء للطاغين مآبا مرجعا ومأوى
بدل من قوله مرصادا لابثين فيها حال مقدرة من الضمير في للطاغين وقرئ
لبثين ولا يقال لبث الا لمن شانه اللبث كالذي يجثم بالمكان لا ينفك عنه احقابا
ظرف وهو جمع حقب وهو الدهر ولم يرد به عددا محصورا بل الابد اذ لا يكاد
يستعمل الا حيث يراد تتابع الازمنة وتواليها وقيل الحقب ثمانون سنة او سبعون
الف سنة فعلى تقدير صحته ليس فيه ما يقتضي تناهي تلك الاحقاب حتى يعارض
مفهومه منطوق الادلة الدالة على خلود الكفار ولجواز ان يكون احقابا مترادفة كلما
مضى حقب تبعه اخر الى غير نهاية وانما استعير جمع القلة للكثرة محافظة على الفاصلة
لا يذوقون اي غير ذائقين حال من ضمير لابثين فيها اي في تلك الاحقاب
ويجوز ان يكون احقابا منصوبا بلا يذوقون على ان المعنى انهم لا يلبثون فيها
غير ذائقين الا حميما وغساقا ثم يذوقون جنسا اخر من العذاب ويجوز ان يكون
جمع حقب من حقب الرجل اذا اخطاه الرزق وحقب العام اذا قل مطره وخيره فيكون
حالا بمعنى لابثين فيها حقبين ويكون قوله لا يذوقون تفسيرا له بردا اي
لا يمسهم من الهواء ما يستلذ ويكسر شدة الحر ولا شرابا الا حميما ماء حارا يحرق
ما ينزل عليه وغساقا ما يسيل من صديدهم استثناء متصل من قوله ولا شرابا
وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد الا انه اخر ما حقه ان يقدم محافظة على الفاصلة
وقرئ بالتشديد جزاء جوزوا جزاء وفاقا موافقا لاعمالهم مصدر بمعنى
الصفة او ذا وفاق ثم استانف معللا بقوله انهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا
بآياتنا كذابا تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل فاش وقرئ بالتخفيف وكل شيء
نصب بمضمر يفسره احصيناه كتابا مكتوبا في اللوح المحفوظ او مصدر في
موضع احصيناه فان الاحصاء يكون بالكتابة غالبا وقرئ بالرفع
على الابتداء وهذه الآية اعتراض لبيان وعيدهم بضبط معاصيهم لان قوله فذوقوا
فلن نزيدكم الا عذابا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات اي فذوقوا
جزاء في هذا التسبيب مع الابهام والتبيين والتاكيد بالتكرير والمصدر في الجملة
الاعتراضية ودلالة لن نزيدكم على ان ترك الزيادة كالمحال الذي لا يدخل تحت الامكان

ومجيئها

ومجيئها على طريقة الالتفات مبالغات بالغة حد النهاية وورد لايل شاهدة بان
الغضب قد بالغ وعن النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية اشد ما في القرآن على اهل
النار ان للمتقين مفازا فوزا بالبغية او موضع فوز حيث اخرجوا عن النار وادخلوا
الجنة ولم يعطف قصتهم على قصة الطاغين كما عطف في قوله تعالى ان الابرار لفي
نعيم وان الفجار لفي جحيم لان وزان هاتين القصتين ليس وزان هاتين القصتين
فان الاولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر جهنم وانها كانت مرصادا وسيقت الثانية لان
المتقين من حالهم كيت وكيت فبينهما تباين في الغرض والاسلوب وهما على حد لا
مجال فيه للعطف حدائق جمع حديقة البستان المحوط عليه يقال احدق به اذا
احاط بدل من مفازا او بيان واعنابا المراد بها الكروم وكواعب جمع كاعب
وهي الناهد اترابا الاتراب الاقران في السن جمع ترب وكاسا دهاقا ممتلئة
او متتابعة لا يسمعون فيها اي في الحدائق المذكورة لغوا كلاما لا طائل تحته
ولا كذابا قرئ بالتشديد والتخفيف اي لا يكذب بعضهم بعضا وقيل الضمير
للكاس اي لا يجري فيها اثناء شربها ما يجري في اثناء شرب خمر الدنيا من الهذيان والصخب
والعدوان جزاء من ربك مصدر مؤكد منصوب بمعنى قوله ان للمتقين مفازا
كانه قال جازى المتقين عطاء بدل منه على الاشتمال جزاء باعتبار كونه في مقابلة
العمل وعطاء العمل استحقاق العبد له كيف والعمل واجب عليه بحكم العبودية فلا
يستحق بسببه الاجر ولا يجوز نصبه بجزاء نصب المفعول به لان المصدر المؤكد لا يعمل
اذ لا ينحل بحرف مصدري والفعل قال ابو حيان ولا نعلم في ذلك خلافا حسابا
صفة له بمعنى كافيا من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي وقرئ حسابا بالتشديد
على انه بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك رب السموات والارض وما بينهما
قرئ بالرفع على اضمار هو او مبتدا الرحمن صفة لا يملكون خبرا او خبران
وبالجر على البدل من ربك وبجر الاول ورفع الثاني على انه مبتدا خبره لا يملكون او هو
الرحمن ولا يملكون خبر ثان والضمير في لا يملكون لاهل السموات والارض وفي
منه خطابا لله تعالى اي لا يملكون ان يخاطبوه بشيء من نقص العذاب او زيادة
في الثواب الا ان يؤذن لهم فيه او لا يملكون مما يخاطب الله تعالى به ويامر في
الثواب والعقاب خطابا واحدا اي يتصرفون فيه تصرف الملاك بزيادة او نقصان
اذ لا يقدر احد ان يخاطب الله تعالى خوفا وذلك لا ينافي الشفاعة باذنه يوم يقوم
نصب بلا يملكون او بلا يتكلمون الروح جبريل وقيل ملك عظيم ما خلق الله تعالى
بعد العرش اعظم منه موكل على الارواح كلها والملائكة صفا حال اي مصطفين

لا يتكلمون اي الروح والمليكة خوفا الا من اذن له الرحمن في الكلام او في
الشفاعة وقال صوابا هما شريطتان اذن الرحمن وقوله الصواب وهو الشفاعة
لمن ارتضي لقوله تعالي ولا يشفعون الا لمن ارتضي والجملة تقرير وتوكيد لقوله
لا يملكون علي ان الضمير لمجموع من تقدم ذكره واما اذا كان للروح والمليكة خاصة
فلا يتمشي امر التوكيد الا علي اصل الاعتزال الاتيان يقال ان هولا الذين هم اشرف
الخلايق واقربهم من الله تعالي منزلة اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما يكون صوابا
كالشفاعة لمن ارتضي الا باذنه فكيف يملكه غيرهم لان مذهب اهل السنة ان
خواص الانسان اشرف الخلايق فانهم افضل من خواص المليكة ذلك اليوم الحق الثابت
وقوعه لا محالة فمن شا اتخذ الي ربه الي ثوابه مآبا مرجعا بالعمل الصالح
انا انذرناكم عذابا قريبا هو عذاب الاخرة وقربه لتحققه لان كل ما هو آت قريب ولان له
مبدا الموت يوم ينظر المرء مومنا كان او كافرا هو المطابق لما سبق من وصف يوم الفصل
بما اشتمل علي حال الفريقين ما قدمت يداه من خير وشر ما موصولة منصوبة بينظر يقال
نظرته بمعني رايته ونظرت اليه اعم والراجع من الصلة مفعول قدمت وحذفه لا
شايع او استفهامية منصوبة بقدمت اي ينظر اي شي قدمت يداه ويقول الكافر
يا ليتني جز بعض المرتب علي ما قبله كما في قوله وارسلت اليهن واعتدت لهن متكيا
واتت كل واحدة منهن سكينا والتقدير فييس المومن ويقول الكافر وقد نبهت فيما سبق
ان هذا الواو تسمي فصيحة فان قلت لم خص قول الكافر بالذكر دون المومن
علي عكس ما تقدم من تخصيص حال المومن بالذكر حيث قال فمن شا اتخذ الي ربه
مآبا قلت دل ذكر الكافر علي غاية الجنة ونهاية التحسر ودل حذف قول المومن علي
غاية التبجح ونهاية الفرح بما لا يحيط به الوصف كنت ترابا اي حين مت كما كان
ساير الحيوانات فان الانسان مخصوص من بينها بالروح الباقي بعد الموت وهذا
وجه ما قيل يحشر ساير الحيوانات للاقتصاص ثم ترد ترابا فيود الكافر حالها لا ما
توهم من ان كان بمعني صار

سورة والنازعات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

والنازعات من نزع الشي نزعا اذا جذبه عن مقره كنزع القوس عن كبده غرقا
اسم بمعني الاغراق كالسلام او مصدر محذوف الزوايد يقال اغرق النازع في
القوس اذا استوفي في مدها والناشطات نشطا من نشط الدلو من البير
اذا اخرجها والسابحات سبحا اصل السبح في المايع وقد يستعمل في غيره
بطريق الاستعارة فالسابقات سبقا عدل هنا عن الواو الي الفا لترتب السبق

علي السبح والعدول في قوله فالمدبرات امرا ايضا لذلك المعني اقسم سبحانه
وتعالي بطوايف المليكة التي تجذب ارواح الكفار بشدة وعنف لقوة تعلقهم وبطوايف
المليكة التي تجذب ارواح المومنين بسهولة ولطف لقلة تعلقهم وبالطوايف التي
تسرع في مضيها فتسبق الي ما امروا به فتدبر امرا من امور العباد علي ما رسم لهم
او بالنجوم فانها تنزع من المشرق الي المغرب غرقا في النزع بان يقطع ما بينهما من
المسافة كلها وتنشط من برج الي برج اي يخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الي
بلد ويسبحون في الفلك فتسبق بعضها في السير لكونه اسرع حركة فتدبر امرا نيط
بها من اختلاف الفصول وتقدير الاوقات ولما كان في الحركة الاخري معني الاستيفا
ذكر فيها النزع والاغراق ومن زعم ان ذلك لانها قسرية فقد وهم لا يقال التسامح في
عبارة القسرية فان المراد معني العرضية فان حركات النجوم كلها عرضية يوم منصوب
بالجواب المضمر لدلالة ما بعده عليه وهو لتبعثن ترجف الراجفة الراجفة حركة الشي
من تحت غيره بترديد واضطراب والراجفة الاجرام الساكنة التي ترجف من الارض
والجبال لقوله تعالي يوم ترجف الارض والجبال تتبعها الرادفة وهي الزلزلة
الثانية تردف الاولي فتنشق السما وتنتثر الكواكب والترديف الكاين بعد الاولي
قريبا منه والفرق بينه وبين التابع ان في التابع معني الطلب لموافقة الاول دون
الرديف والرديف معني القرب دون التابع قلوب مبتدا لانه مخصصه فات
تنكيرها عوض من المضاف اليه كتنكير كل في قوله تعالي كل في فلك يسبحون
والمعني قلوب الناس لا قلوب الكفار يومئذ منصوب بقوله واجفة وهو خبر
ابصارها خاشعة جملة ابتدايية اخري وانما فصل عما قبلها اعلم ان الادراك
صفة القلب بدلالة قوله تعالي فتكون لهم قلوب يعقلون بها والبصر من جملة
الاية والخشوع ايضا صفة والبصر مظهره يقال اخشع فلان اذا طاطا راسه راميا
ببصره الي الارض وهو خاشع الطرف خاضع العنق فاسناد الخشوع الي البصر من
قبيل اسناد الفعل الي آلته واضافة البصر الي القلب من قبيل اضافة الالة الي
الي صاحبها فلا حاجة الي التقدير بل لا حاجة له يقولون اينا لمردودون في الحافرة
اي انرد بعد الموت الي الحالة الاولي اي الحيوة يقال رجع في حافرته اي طريقته
التي جا فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه جعل اثر قدميه حفرا وتوصيفها بالحافرة
بطريق المجاز في النسبة كقوله عيشة راضية اذا منصوب بفعل محذوف مقدر
كنا عظاما نردو نبعث وقري اذا علي الخبر نخرة يقال نخر العظم فهو نخر
وناخر كقولك طمع فهو طمع وطامع والاول اشكل وابلغ لرووس الاي وقد قري بها

رعايتهما وهو البالي الاجوف الذي تمر به الريح فيسمع له نخير قالوا تلك اذا
كرة خاسرة وصفت الكرة بخسران اصحابها مبالغة اي انها ان صحت فنحن
اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم فانما هي متعلق بمحذوف اي لا
تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله تعالى فانما هي زجرة واحدة سهلة هينة
في قدرته تعالى والزجرة الصرفة عن الشي بالمخافة وهي ههنا بالصيحة لقوله
تعالى ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون فاذا هم اي
فاجؤا الحصول بالساهرة اي وجه الارض فالعرب تسمي وجه الارض من الفلاة
بالساهرة اي ذات سهر لانه يسهر فيها خوفا وفيه اشارة الى ان حصولهم فيها احيا
هل اتاك حديث موسى ان كان اتاه قبل ذلك فمعناه اليس قد اتاك وان كان
لم ياته فمعناه ما اتاك فانا اخبرك اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى
قد مر تفسيره في سورة طه اذهب الى فرعون على ارادة القول وقرئ ان
اذهب لما في النداء من معنى القول كذا قيل فيه ان بين النداء المذكور وهذا القول
من الفواصل المصدرة بالقول في سورة طه انه طغى فقل هل لك الى ان تزكى
اي هل لك رغبة الى ان تتطهر من دنس الكفر بالايمان وقرئ تزكى بالتشديد
للقول اللين الذي امر به في سورة طه وهو على صيغة العرض دون الامر والترغيب
دون الترهيب واهديك الى ربك وارشدك الى معرفة ربك فتعرفه فتخشى
لان الخشية ثمرة المعرفة قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ذكر الخشية
مكان التدين بدين الله تعالى لانها ملاك الامر فيه فاراه الفاء فصيحة اي
فذهب وبلغ واراه الاية الكبرى هي قلب العصا حية لانها كانت المقدمة
والاصل كالتبع لها لانه كان يتقيها بيده فقيل له ادخل يدك في جيبك او اراد
جميعا الا انه جعلهما واحدة لان الثانية كانها من جملة الاولى لكونها تابعة او
المجموع لانها باعتبار الاعجاز والدلالة على صدقه واحد فكذب بموسى
عليه السلام وعصى الله تعالى بعد ظهور الحق ووجوب الطاعة ثم ادبر
يسعى اي تولى عن موسى عليه السلام يجتهد في مكايدته كقوله تعالى فتولى
فرعون فجمع كيده فحشر اي السحرة لما مر من قوله تعالى فجمع كيده والحشر الجمع
من كل جهة وقد يكون الجمع بضم جزء الى جزء فلا يكون حشرا فنادى في حشره
فقال انا ربكم الاعلى اي اعلى من يلي امركم فاخذه الله نكال الاخرة والاولى
النكال بمعنى التنكيل مصدر موكد اي نكل الله به تنكيلا في الاخرة بالاحراق
وفي الدنيا بالاغراق او مفعول له اي للتنكيل فيها وعن ابن عباس رضي الله عنهما

نكال كلمة الاخرة وهي هذه وكلمة الاولى وهي قوله ما علمت لكم من اله غيري
والنكال عقاب ينكل به عن الاقدام الى سببه لشدته ان في ذلك لعبرة لمن يخشى
العبرة للكل وانما خص به من يخشى لانه هو المنتفع بهذا الخطاب ءانتم اشد خلقا
لمنكري البعث اي انتم اصعب خلقا وانشاء ام السماء ثم بين كيف خلقها
فقال بناها ثم بين كيفية البنا فقال رفع سمكها اي مقدارها في جهة
العلو بان يجعل مدورا رفيعا فسواها فعدلها مستوية ملسا لا فطور فيها
ولا تفاوت او فتممها بما يتم به كمالها وصلاحها من التدوير والتزيين بالكواكب
وغير ذلك من قولهم سوى فلان امره اذا اصلحه واغطش ليلها اظلمه اغطش الليل
واغطشه الله كظلم واظلمه ويقال ايضا اغطش كما يقال الحكم الاول منقول من
اغطش والثاني بمعنى الصيرورة واخرج ضحاها الضحى الضوء لقوله تعالى
والشمس وضحيها اي ضوءها ووقت الضحى هو وقت اشراق ضوء الشمس
والارض بعد ذلك دحاها بسطها اخرج منها حال باضمار قد كقوله او
جاءوكم حصرت صدورهم ماءها عيونها المتفجرة ومرعاها رعيها
والمرعى مشترك بينه وبين المصدر والموضع ذكره في القاموس والجبال ارسيها
اثبتها الاثبات بالثقل متاعا تمتيعا مفعول له لكم ولانعامكم ولمواشيكم
فصل بينه وبين الفعل المعلل به بقوله والجبال ارسيها فاذا جاءت الطامة الكبرى
هي القيامة لطمومها اي علوها على كل داهية وهي اكبر الطامات وقيل النفخة الثانية
فانها كبرى النفختين لعموم اثرها بخلاف الاولى فان تاثيرها في الاحيا فقط
يوم يتذكر الانسان ما سعى عند تمثل الاعمال بصورها وهيأتها على ما نطق به
الاحاديث وبرزت الجحيم اظهرت لمن يرى وهم الطاغون لقوله تعالى
وبرزت الجحيم للغاوين ومن قال انه من الافعال التي لا يقدر لها مفعول اي لكل
ذي بصر والمراد العموم والمعنى انها تظهر اظهارا بينا لا يخفى على احد فيراها
اهل الساهرة جميعا فكانه غفل عن قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وقرئ وبرزت مخففة ولمن راى
ولمن ترى والضمير للجحيم لقوله تعالى اذا راتهم من مكان بعيد فاما تفصيل
له وتفسير من طغى وآثر الحيوة الدنيا اي اختارها فانهمك فيها ولم يعمل للآخرة
فان الجحيم هي الماوى هي ماواه لا على ان اللام فيه ساد مسد الاضافة لانه على
المذهب المرجوح بل لانه استغنى عن الاضافة لحصولها بالقرينة لا بادخال اللام
ثم ادخل اللام لانه معتق كما في قولك غض الطرف واما من خاف مقام ربه مقامه

للتعظيم كانه قيل حضوت رتبه او بمعني خاف قيامه عليه وكونه رقيبا من قوله افمن
هو قايم علي كل نفس بما كسبت ونهي النفس عن الهوي اي النفس الامارة بالسو
عن الهوي المردي فان الجنة هي الماوي اي ليس له سواها ماوي يسئلونك
عن الساعة ايان مرسها متي اتيانها واقامتها اي متي يقيمها الله تعالي ويثبتها
او متي منتهاها ومستقرها من مرسي السفينة فيم انت من ذكراها اي في اي شي
انت من ان تذكر وقتها لهم اي ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شي لان الله تعالي
هو المستاثر بعلمها قالت عايشة رضي الله عنه لم يزل يسال رسول الله صلي الله عليه
وسلم عن الساعة حتي نزل فانتهي الي ربك منتهاها اي لا ينتهي علمها الا الي ربك
لا يعلمها احد الا هو وقيل فيم انكار لسؤالهم اي فيم هذا السؤال ثم قيل انت من ذكراها
يعني ارسالك وانت خاتم الانبيا المبعوث في نسم الساعة ذكر من ذكرها اي علامة من
علاماتها فكفاهم بذلك دليلا علي اقترابها وباعثا علي الاستعداد لها ووجوب
الحذر من هولها فلا معني لسؤالهم عنها انما انت منذر من يخشيها ما انت الا
منذر من يخشيها ويتقي هولها اي لست بمعلم وقتها ولم تبعث لذلك بل لتنذر من
اهوالها كانهم يوم يرونها اي الساعة لم يلبثوا اي في الدنيا او في القبور
الا عشية اي عشية يوم علي ان التنكير بدل من الاضافة او ضحيها اي ضحي
ذلك اليوم ولما اكتفي عن المضاف اليه بالتنوين عيد الضمير الي المضاف للملابسة
لكونهما من يوم واحد والفايدة في قوله الا ساعة من نهار واصله من نهارها فابدل
من الضمير في الاضافة استقصار المدة اي ان مدة لبثهم كانها لم تبلغ يوما ولكن ساعة
من نهار والعدول له عن الاصل لمحافظة رؤس الاي والضمير في الموضعين للساعة

سورة الطارق سبع عشرة اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق اصل الطرق الدق ومنه المطرقة لانه يدق بها والطريق
لانها المارة تدقها بارجلها والطارق الاتي ليلا لانه يحتاج الي الدق للتنبيه واطلاقه
علي النجم البادي ليلا بطريق الاستعارة كالنجم للكوكب الطالع فانه يقال لكل طالع
نجم تشبيها له بنجم النبت اذا طلع وما ادريك ما الطارق تفخيم لشان هذا
المقسم به ولما كان القصد بالاقسام به تعظيمه لما فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة
ويدفع الصفة بهذا المعني المقصود بالابهام والتبيين فجاء بالوصف المشترك
بينه وبين غيره ثم فسره بقوله النجم الثاقب زيادة في تعظيم امره والثاقب
المضي كانه يثقب بضوئه الظلام او الفلك فينفذ فيه والمراد جنس النجم او كوكب الصبح

بخصوصه كما قال الجوهري ولا رجل بخصوصه كما قال ابو زيد اذ يا باه سبب النزول
قال ابن عباس رضي الله عنهما ان اباطالب كان عند النبي صلي الله عليه وسلم فانحط
نجم فتلالا ما ثم نورا ففزع ابو طالب وقال اي شي هذا فقال النبي صلي الله عليه وسلم
هذا نجم رمي به وهو اية من ايات الله تعالي فعجب ابو طالب فنزلت ان كل نفس
لما عليها حافظ قري لما بالتشديد بمعني الا وان نافية وبالتخفيف علي ان ما
صلة موكدة وان هي مخففة واللام هي الفارقة او علي ان اللام بمعني وان نافية
كما في قول الشاعر

امسي ابان ذليلا بعد عزته • وما ابان لمن اعلاج سودان

وعلي هذا اتحد القرااتان في المعني وحملة عليها علي جواب القسم وتقديم الظرف
للاختصاص والمعني كل نفس عليها رقيب مخصوص بها يحفظ عملها خيرا كان او شرا
فلا مساغ لان يراد بان الحافظ هو الله تعالي لعدم اختصاصه بنفس دون نفس
فلينظر الانسان مم خلق لما اثبت ان عليه رقيبا حثه علي النظر في مبدا نشاته حتي
يتحقق صحة اعادته لجزا الاعمال فلا يملي علي حافظه الا ما يسره في عاقبته خلق من ماء
دافق استيناف جواب عن استفهام مقدر لانسلاخ ما قبله عن معني الاستفهام
والدافق في وصف الماء علي الاسناد المجازي فان الدفق وهو الصب يرفع لصاحبه
يخرج من بين الصلب والترايب اي صلب الرجل اي ظهره وترايب المراة هي عظام
صدرها جمع تريبة اصل والضمير في انه للخالق كانهم او لا بترك الفاعل في قوله
مم خلق اذ لا يذهب لوهم الي غيره فهم بالاضمار قبل الذكر ثانيا فاكد التاكيد البالغ
لفظا لما اقام البرهان لواضح معني علي رجعه علي اعادته حيا لقادر
دل التنكير علي الكمال يوم تبلي السراير يتعرف ويتميز ما طاب منها وما خبث وهو
ظرف لرجعه والسراير ما استتر واختفي من العقايد والنيات والاعمال فما له اي فما
للانسان من قوة من منعة في نفسه ولا ناصر يمنعه والنصر اخص من المعونة
لاختصاصه بدفع الضرر والسماء اقسم بها ثانيا ذات الرجع الرجع المطر
سمي به لانه يرجع غير مرة وبناسبة المبالغة المستفادة من اطلاق المصدر علي المفعول
اولا لانه تعالي يرجعه وقتا فوقتا او لان السحاب يحمله من الارض ثم يرجعه اليها
والارض ذات الصدع ما تتصدع عنه الارض من النبات والعيون او الشق بهما
انه ان القول المتقدم لقول فصل فاصل بين الحق والباطل والتجوز في الفصل
عقلي لا لفظي كما في العدل في رجل عدل وما هو بالهزل ولو كان الضمير للقران
لكان المناسب نفي وجود الهزل فيه حتي يدل علي كونه جدا كله انهم يعني اهل مكة

واضمارهم قبل الذكر لتفخيم شانهم في الاشتهار بالوصف الآتي ذكره بحيث لا يذهب الوهم الى غيرهم عند الاطلاق **يكيدون** يعملون المكايد في ابطال امر الله تعالى واطفاء نور الحق **كيدا** الكيد توجيه المكروه الى شخص خفية والتنكير للتعظيم **واكيد كيدا** واقابلهم بكيد اعظم من كيدهم وهو استدراجه تعالى لهم والانتقام منهم من حيث لم يحتسبوا **فمهل الكافرين** لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به فاني قد وقت لهم وقتا **امهلهم رويدا** امهالا يسيرا التكرير والمخالفة بين اللفظين في مهل وامهل والتاكيد برويدا وهو مصدر ارود يرود مصغر التصغير ترخيم اذا اصله ارودا الزيادة التمكين والتصبير والله سبحانه وتعالى اعلم

تم ما وجد وكتب من التفسير بحمد الله تعالى وعونه
وحسن توفيقه في يوم الجمعة المباركة
سادس عشر المحرم الحرام افتتاح
عام سبع عشرة بعد الالف
من الهجرة النبوية على
صاحبها الصلوة
والسلام